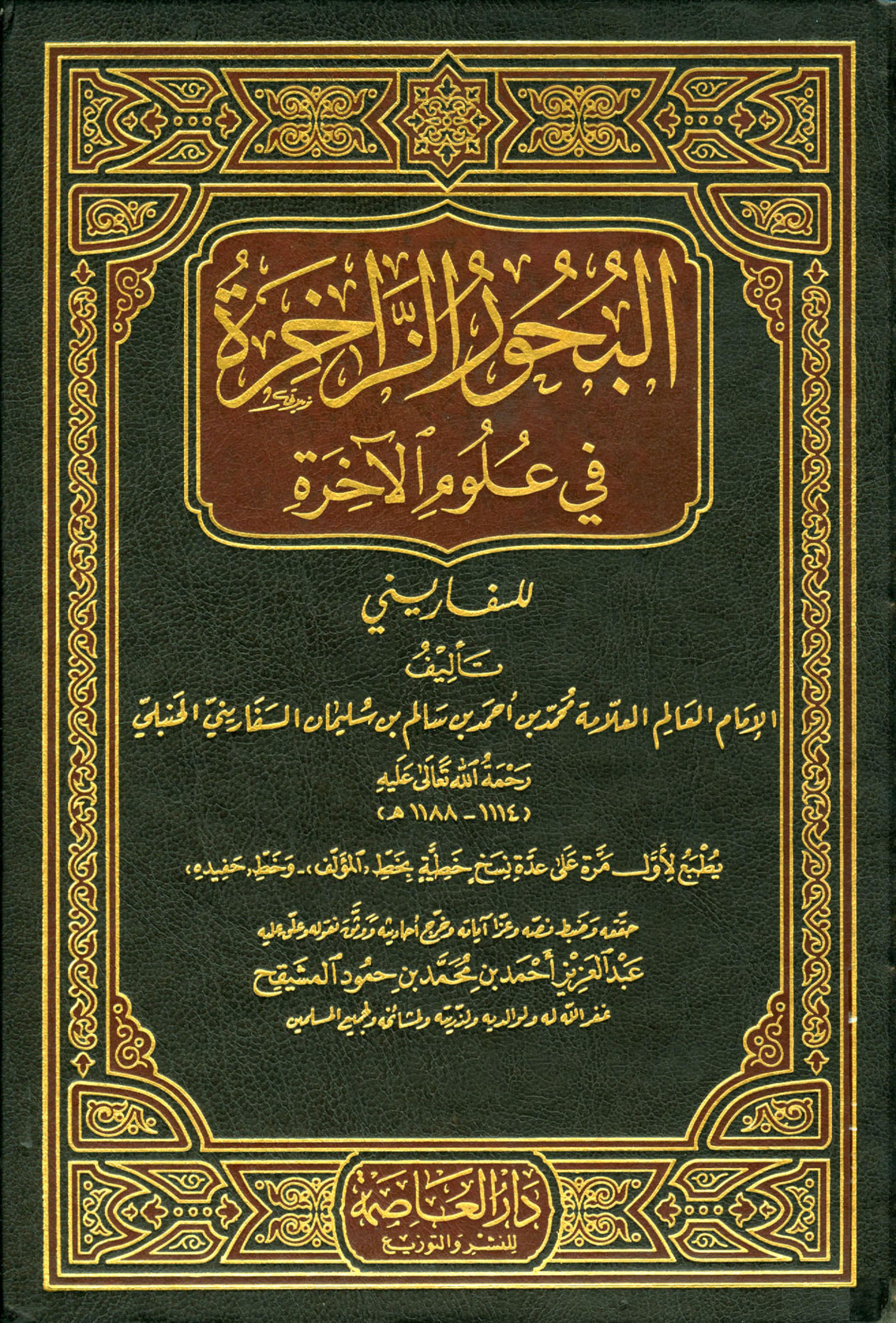

البحور الزاخرة
في علوم الآخرة
للسفاريني
تأليف
الإمام العالم العلامة محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني الحنبلي
رحمة الله تعالى عليه
(١١١٤ - ١١٨٨ هـ)
يطبع لأول مرة على عدة نسخ خطية بخط «المؤلف»، وخط «حفيده»
حققه وضبط نصه وعزا آياته وخرج أحاديثه ووثق نقوله وعلق عليه
عبد العزيز أحمد بن محمد بن حمود المشيقح
غفر الله له ولوالديه ولذريته ولمشائخه ولجميع المسلمين
دار العاصمة
للنشر والتوزيع

ح دار العاصمة للنشر والتوزيع ، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر

السفاريني، محمد

البحور الزاخرة في أحوال الآخرة. / محمد السفاريني ؛

عبد العزيز المشيقح - الرياض ، ١٤٢٩هـ

٣مج

ردمك ٣-٤٦-٦٩٢-٩٩٦٠-٩٧٨ (مجموعة)

٠-٤٧-٦٩٢-٩٩٦٠-٩٧٨ (ج١)

١- الحياة الأخرى ٢- الموت

أ- المشيقح، عبد العزيز (محقق) ب- العنوان

ديوي ٢٤٣ ١٤٢٩/١٠٥٧

رقم الإيداع: ١٤٢٩/١٠٥٧

ردمك: ٣-٤٦-٦٩٢-٩٩٦٠-٩٧٨ (مجموعة)

٠-٤٧-٦٩٢-٩٩٦٠-٩٧٨ (ج١)

الطبعة الأولى

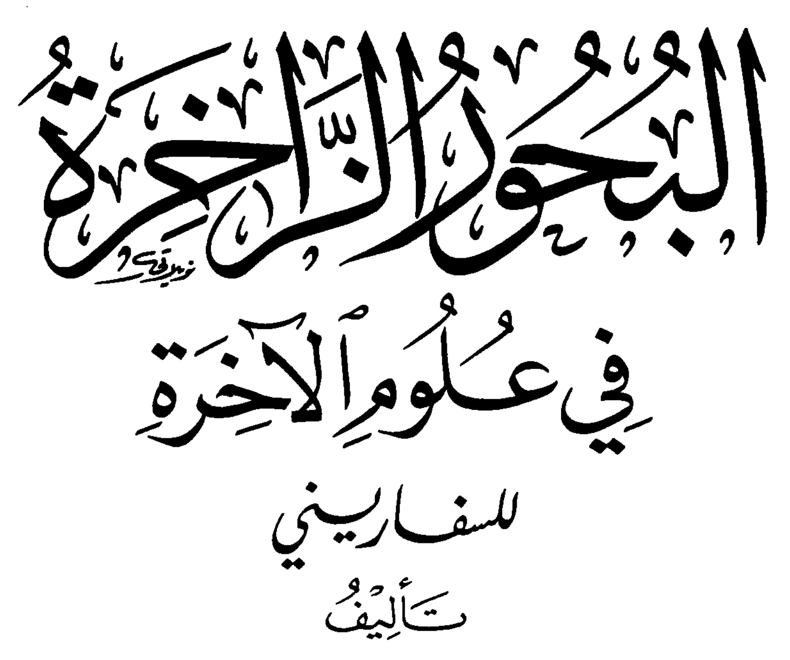
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار العاصمة

المملكة العربية السعودية

الرياض - ص.ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١

هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤



في علوم الآخرة

للسفاريني

تأليف

الإمام العالم العلامة محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني الحنبلي

رحمه الله تعالى عليه

(١١١٤ - ١١٨٨ هـ)

يطبع لأول مرة على عدة نسخ خطية بخط «المؤلف» - وخط «حفيده»

حققه وضبط نصه وعزا آياته وخرج أحاديثه ووثق نقوله وعلق عليه

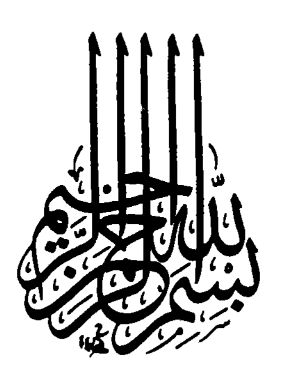
عبد العزيز أحمد بن محمد بن حمود المشيقح

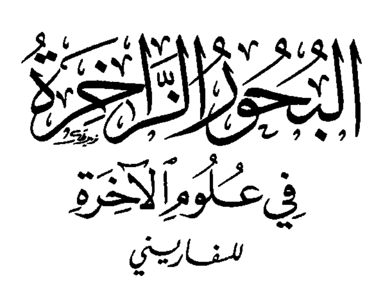
غفر الله له ولوالديه وذريته ولمشائخه ولجميع المسلمين

المجلد الأول

دار العاصمة

للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم


البحور الزاخرة
في علوم الآخرة
للسفاريني

ح دار العاصمة للنشر والتوزيع ، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر

السفاريني، محمد

البحور الزاخرة في أحوال الآخرة. / محمد السفاريني ؛

عبد العزيز المشيقح - الرياض ، ١٤٢٩هـ

٣مج

ردمك ٣-٤٦-٦٩٢-٩٩٦٠-٩٧٨ (مجموعة)

٠-٤٧-٦٩٢-٩٩٦٠-٩٧٨ (ج١)

١- الحياة الأخرى ٢- الموت

أ- المشيقح، عبد العزيز (محقق) ب- العنوان

ديوي ٢٤٣ ١٤٢٩/١٠٥٧

رقم الإيداع: ١٤٢٩/١٠٥٧

ردمك: ٣-٤٦-٦٩٢-٩٩٦٠-٩٧٨ (مجموعة)

٠-٤٧-٦٩٢-٩٩٦٠-٩٧٨ (ج١)

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار العاصمة

المملكة العربية السعودية

الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١

هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

مُقَدِّمَة

إنَّ الحمدَ لله، نَحْمَدُه، ونستعينُه، ونستغفِرُهُ، ونعوذُ به مِن شرور أنفسِنا، وَمِن سيئاتِ أعمالنا، مَنْ يَهْدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِل، فلا هَادِيَ له، وأشْهَدُ أن لا إلٰه إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

وبعد

فإنَّ الإيمان بالحياةِ الآخرة والعمل لها أصلٌ مِنْ أصول العقيدة الإسلامية، ولكن كثيرًا مِنَ الناسِ قد انشغلوا في حياتهم، فرضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، ونسوا أو تناسوا الموت وسكراته، والقبر ووحشته، والبعث ورهبته، والحشر وروعته، والحساب ودقته، والصراط والعبور عليه، وإنها لجنةٌ أبدًا، أو نارٌ أبدًا؛ ذلك لأننا نعيش في عصر قد طغىٰ فيه

حب الدنيا علىٰ قلوب كثيرٍ من الناس، حتىٰ تنافسوا علىٰ متاعها الزائل، ونسوا ما أمامهم من بعثٍ وجزاء، فكان لا بد من التذكير بهٰذِه الحياة الآخرة في وقت المسلمون أحوج ما يكونون إليه. ولقد كان الحديث عن الحياة الآخرة موضع ٱهتمام وعناية في القرآن الكريم، والسُّنة المطهرة.

ومن هذين المصدرين: الكتاب، والسنة: ألَّف العلماء مصنفات كثيرة عن الحياة الآخرة وجوانبها وغيرها مما يتصل بها، والمتأمل لما كتبه العلماء عن الحياة الآخرة قديمًا وحديثًا، يجد أن طريقتهم في التأليف متنوعة: فمنهم من يكتب عن قضية واحدة من قضايا الآخرة، ومنهم من يكتب في أكثر من قضية، ومنهم من ٱستوفىٰ أكثر أمور الآخرة في مصنف واحد.

نماذج من بعض المؤلفات عن الحياة الآخرة وما يتصل بها:

١- التذكرة في أحوال الموتىٰ والآخرة: للإمام القرطبي.

٢- العاقبة: لعبد الحق الأشبيلي.

٣- البعث والنشور: للإمام البيهقي.

٤- البعث والنشور: لابن أبي داود.

٥- البدور السافرة في أحوال الآخرة، شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور: للسيوطي.

٦- إثبات عذاب القبر: للبيهقي.

٧- أهوال القبور: لابن رجب.

٨- حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح: لابن القيم.

٩- التخويف من النار: لابن رجب.

١٠- يقظة أولي الٱعتبار مما ورد في ذكر النار لصديق بن حسن خان.

١١- التحرير المرسوخ في أحوال البرزخ. لابن طولون الصالحي ت: ٩٥٣.

١٢- التصديق بالنظر إلىٰ الله تعالىٰ في الآخرة: للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري.

ما يتعلق بكتب الفتن وأشراط الساعة:

١- عبد الرحمن بن مهدي (ت ١٩٨هـ) له كتاب السنة والفتنة.

٢- نعيم بن حماد المروزي - أبو عبد الله الخزاعي ت (٢٢٢) له كتاب الفتن، له بعض النسخ موجودة في جامعة أم القرىٰ بمكة مكتبة مركز البحث العلمي قسم المخطوطات، ط. بتحقيق سمير بن أمين الزهري. وله ط أخرىٰ بتحقيق سهيل زكار.

٣- إسماعيل بن عيسىٰ العطار (٢٣٢) له كتاب: الفتن.

٤- عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (٢٣٥) له كتاب الفتن.

٥- أخوه عثمان بن محمد بن أبي شيبة (٢٣٩) له كتاب الفتن.

٦- حنبل بن إسحاق - ابن عم الإمام أحمد بن حنبل ت(٢٧٣) له كتاب الفتن.

٧- أبو داود سليمان بن الأشعث ت (٢٧٥) له كتاب الملاحم.

٨- أبو الحسن أحمد بن جعفر - ابن المناوي ت (٣٣٦) له كتاب الملاحم.

٩- محمد بن الحسين الآجري ت (٣٦٠) له كتاب الفتن انظر الشريعة له ص ٤٤ .

١٠- أبو محمد عبد الله بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ ت (٣٦٩).

١١- أبو الحسين علي بن محمد القابسي ت (٤٠٣) له المنبه للفطن من غوائل الفتن.

١٢- عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ت (٦٠٠) هـ له أشراط الساعة.

١٣- عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر، ليوسف بن يحيى السلمي من علماء القرن السابع.

١٤- أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي المعروف بابن كثير ت (٧٧٤)هـ.

١٥- أبو عمرو بن عثمان بن سعد الداني ت (٤٤٤)هـ له كتاب السنن الواردة في الفتن.

١٦- الفتن لمحمد بن فطيس بن واصل الغافقي الألبيري ت (٣١٩)هـ.

١٧- جزء فيه فوائد في مسائل من قوله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق لا يضرهم من خالفهم حتىٰ تقوم الساعة**» لأبي علي الجبائي ت (٤٩٨)هـ.

١٨- الفتن لأبي محمد بن الوليد الطرطوشي ت (٥٢٠)هـ.

١٩- أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي ت (٩٠٢)هـ القناعة فيما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة وهو مطبوع.

٢٠- الحصر والإشاعة في أشراط الساعة للسيوطي ت (٩١١) هـ.

٢١- استطراد الظرفاء في شرح حديث الخلفاء أي الإثنا عشر لأحمد بن بابا التنبكي ت (١٠٣٦) هـ.

٢٢- محمد بن عبد رب الرسول البرزنجي ت (١١٠٣) هـ الإشاعة

لأشراط الساعة وهو يشتمل علىٰ أحاديث ضعيفة كثيرة وما لا يصلح الاستدلال به.

٢٣- مجموع في أحاديث الهدى لأبي العلاء إدريس العراقي ت (١١٨٣) هـ.

٢٤- النواب صديق حسن خان القنوجي ت (١٣٠٧) هـ له الإذاعة لما كان وما يكون بين أشراط الساعة، مختصر كتاب: البرزنجي وقد تجنب فيه مصنفه إيراد كثير من الضعيف والموضوع، مطبوع.

٢٥- بهجة الناظرين للشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي ت (١٠٣٣)هـ.

٢٦- تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان. له أيضًا.

٢٧- أبو غنم الكوفي له كتاب الفتن باسم العرف الوردي في أخبار المهدي.

٢٨- شرح حديث إنما بقاؤكم فيمن سلف من الأمم كما بين صلاة العصر إلىٰ غروب الشمس لأبي عبد الله الطيب بن كيران الفاسي (١٢٢٧).

٢٩- نصر بن عبد المنعم التنوخي له كتاب: مختصر في الملاحم والفتن له نسخة خطية.

٣٠- أصح ما ورد في المهدي وعيسىٰ لمحمد بن حبيب الله الجكني الشنقيطي (١٣٣٦). هـ

٣١- الجواب المقنع المحرر في الرد علىٰ من طغىٰ وتجبر بدعوىٰ أنه عيسىٰ أو المهدي المنتظر له أيضًا.

٣٢- المفهوم والمنطوق مما ظهر من الغيوب التي نبأ بها الصادق المصدوق لمحمد بن عبد السلام السابح ت (١٣٤٨) هـ.

٣٣- أشراط الساعة وذهاب الأخيار وبقاء الأشرار لعبد الملك بن حبيب (٢٣٨).

ومن المعاصرين:

٣٤- الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله له رسالة في إثبات نزول عيسىٰ بن مريم عليه السلام في آخر الزمان، وغيرها من الكتب النافعة والمفيدة.

٣٥- الشيخ حمود بن عبد الله التويجري رحمه الله، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن، والملاحم وأشراط الساعة.

٣٦- الشيخ عبد الله بن جار الله الجار الله رحمه الله: إتحاف أهل الإيمان بما يعصم من فتن هٰذا الزمان.

٣٧- الشيخ عبد الله بن سليمان المشعلي له مجموع أخبار آخر الزمان وأسرار الساعة وما سيجري منه من الفتن والحروب.

حياة المؤلف وعصره

الحالة السياسية:

عاش السفاريني -رحمه الله- في القرن الثاني عشر في بلاد الشام، في الفترة ما بين (١١١٤هـ-١١٨٨هـ)، وكانت بلاد الشام لا تزال تحت الحكم العثماني، وإذا نظرنا إلى الدولة العثمانية في هٰذا العصر، نجدها أصبحت ضعيفة من بعد قوتها (... فقد تألبت عليها دول أوربا في هٰذا القرن، حتى أنتزعت منها كثير من ممتلكاتها في أوربا، وكان سلاطينها من الضعف بمكان، فلم يكن لهم شيء من الأمر في الدولة، وإنما كان الأمر لوزرائهم، وكان أكثر هٰؤلاء الوزراء جهلاء، لا يعرفون شيئًا من أحوال

السياسة الدولية في هٰذا القرن، ولا يعرفون ما يجري حولهم، ولا يأخذون بشيء من الإصلاح والتجديد بل يجمدون علىٰ ما ألفوه...)[١].

وإذا أردنا أن نتعرف علىٰ حكم الشيخ السفاريني من حكام عصره، ولا شك أن السفاريني قد نشأ وتربىٰ في هٰذا الجو السياسي والظروف القاسية قد عانىٰ منها وأحس بوطئتها علىٰ من حوله. ولذا فإنه عندما ٱكتملت رجولته ووصل إلىٰ درجة التأثير (نراه محاربًا للظلم والطغيان، صادعًا بكلمة الحق، لا يماري فيه، ولا يهاب أحداً، والجميع من أعيان بلده وأمرائه يهابونه، يأمر بالمعروف، وينهىٰ عن المنكر)[٢].

الحالة الدينية:

كان العالم الإسلامي في القرن الثاني عشر يعاني من الجمود والانحطاط وقد تسربت الأدواء إلى الأخلاق والمجتمعات، وقبل المسلمون كثيرًا من العادات والشعائر والتقاليد الأعجمية غير الإسلامية.

فقد ٱنتشرت غربة الإسلام بينهم، وعفت آثار الدين لديهم، وانهدمت ملة الحنفية، وغلب على الأكثرين ما كان عليه أهل الجاهلية، وانطمست أعلام الشريعة في ذلك الزمان، وغلب الجهل والتقليد والإعراض عن السنة والقرآن.. فقد خلعوا ربقة التوحيد والدين، وجدوا واجتهدوا في الٱستغاثة والتعلق علىٰ غير الله من الأولياء والصالحين والأوثان، وعلماؤهم ورؤساؤهم علىٰ ذلك مقبلون[٣].

---

(١) ٱنظر: كتاب المجددون للصعيدي ص٤١٦.

(٢) النعت الأكمل: ص٣٠٢.

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١/ ١٨٦.

وفي خضم هٰذا الفساد الأعتقادي، والابتعاد عن كتاب الله، وسنة النبي ﷺ الذي ساد العالم في القرن الثاني عشر، قيض الله له من يصحح لهٰذِه الأمة عقيدتها وسلوكها، ومن يبين هٰؤلاء الذين حملوا لواء الإصلاح الشيخ محمد السفاريني في بلاد الشام، ومن أبرز مظاهر تغييره للأوضاع الأعتقادية السائدة تأليفه في العقيدة السلفية، ومنها كتابه (لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية).

الحالة العلمية:

كان هٰذا العصر من الناحية العلمية يغلب عليه الجمود وعدم الأبتكار، ويعلل بعض المؤرخين سبب هٰذا الأنحطاط إلى الحكم الأستبدادي، والضرائب الفادحة، والتدهور الأقتصادي، والانهيار الأجتماعي، وهٰذِه الأمور لا تغري بالابتكار الشخصي في العلوم، فعصر الجمع والتعليق والاختصار والتقليد الذي بدأ قبل ذلك بقرون عديدة، واستمر في هٰذِه الأثناء، ولٰكن النتائج التي أعطاها كانت أقل وأضعف.

ويصف الشيخ السفاريني الحالة العلمية التي عاشها في معرض حديثه عن إقدامه علىٰ شرح (ثلاثيات مسند الإمام أحمد) بعد تردد طويل، -بعد أن أستقر رأيه علىٰ كتابة شرحه القيم- (... ولم يبق من آثار هٰذا البيان إلا حكايات تتزين بها الطروس ككان وكان، والعلم قد أفلت شموسه، وتقوضت محافله ودروسه، وربعه المأهول أمسىٰ خاليًا، وواديه المأنوس أضحىٰ موحشًا داويًا، وغصنه الرطيب غدا ذاويا، وبرده القشيب صار باليا. فالعالم الآن قلت مضاربه، وضاقت مطالبه، وعالت معاطيه، وسددت مذاهبه، فليس له في هٰذا الزمان ومنذ أزمان

إلا الألتجاء إلىٰ عالم السر والإعلان...)[١].

فالحاصل: أن السمة البارزة للحياة العلمية في هٰذا العصر من حيث التأليف قد كانت عبارة عن الأختصار والنقل والتعليق والشرح والجمع وتكرار ما قاله السابقون، مع بعض الإضافات العلمية من ترجيح وتصويب خطأ، ونحو ذلك، ونجد هٰذِه السمة واضحة في مؤلفات الشيخ السفاريني مواكبة منه لروح العصر العلمية، وتأثرًا بالسائد فيه.

ترجمة المُصَنِّف من كتاب «السحب الوابلة»

هو العلامة مُحمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السَّفَّارِيني أبو العون، أو أبو عبد الله(١١١٤-١١٨٩هـ)[٢].

قلتُ: وترجمه العلامة محمد بن عبد الله بن حميد النجدي (ت١٢٩٥) فقال في «السحب الوابلة علىٰ ضرائح الحنابلة»[٣]:

مُحَمَّدُ بن أَحْمَدَ بن سَالِمِ بن سُلَيْمَان السَّفَّارِينِيُّ، أَبُو العَوْنِ كَمَا قَالَهُ تِلْمِيذُهُ الكَمَال الغَزِّيِّ، مُفْتِي الشَّافِعِيَّة بِدِمَشق، وَأَبُو عَبْدِ اللهِ - عَلىٰ مَا قَالَهُ تِلْمِيذُهُ العَلَّامَةُ البَارِعُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ مُرْتَضَى الحَنَفِيُّ فِي «شَرْحِ

(١) أنظر: شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد ١/ ٤.

(٢) أخباره في «النَّعت الأكمل»: (٣٠١)، و«مُختصر طبقات الحنابلة»: (١٢٧)، و«التَّسهيل»: (٢/ ١٨١). ويُنظر: «مُعجم الزَّبيدي (غير مرقم)، و«سِلك الدُّرر»: (٤/ ٣١)، و«تاريخ الجبرتي»: (١/ ٤٠٩)، و«فهرس الفهارس»: (٢/ ١٠٠٢)، و«الأعلام»: (٦/ ١٤)، و«مُعجم المؤلِّفين»: (٥٩١)، «المُستدرك»، وهو مترجم في «النَّقش اليَماني»: (١٣٠)، و«ثَبَتِ عابدين»: (٦٢)، و«مُعجم المطبوعات»: (١٠٢٨)..

(٣) السحب الوابلة ٢-٨٣٦-٨٤٦.

القَامُوسِ» شَمْسُ الدِّينِ العَلَّامَة الفَهَّامَة، المُسْنِدُ، الحَافِظُ، المُتْقِنُ.

نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ شَيْخِ مَشَايِخِي الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بن سَلُّوم مَا نَصُّهُ: وُلِدَ سَنَةَ ١١١٤ بِقَرْيَتِهِ سَفَّارِينَ، فَقَرَأَ القُرْآنَ صَغِيرًا وَحَفِظَهُ وَأَتْقَنَهُ، ثُمَّ قَدِمَ دِمَشْقَ فقَرَأَ العِلْمَ فِي الجَامِعِ الأُمَوِيِّ، عَلَىٰ مَشَايِخَ فُضَلاءَ، وَأَئِمَّةٍ نُبَلاءَ، مَا بَيْنَ مَكِّيِّينَ، وَمَدَنِيِّينَ وَشَامِيِّينَ، وَمِصْرِيِّينَ، وَذَكَرَهُم فِي إِجَازَتِهِ الكُبْرَىٰ لِلسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ مُرْتَضَىٰ.

فَمِنْهُم فِي الحَدِيثِ وَالْفِقْهِ، وَالْفَرَائِضِ، وَالأَصْلَيْنِ: العَلَّامَةُ خَاتِمَةُ المُحَقِّقِينَ شَيْخُ المَذْهَبِ فِي عَصْرِهِ وَمِصْرِهِ الشَّيْخُ عَبْدُ القَادِرِ التَّغْلِبِيُّ، وَالشَّيْخُ مُصْطَفَىٰ بن عَبْدِ الحَقِّ اللَّبَدِيُّ، وَالشَّيْخُ عوَّاد بن عُبَيْدٍ الكوري، وَالشَّيْخُ طَهَ بن أَحْمَدَ اللَّبَدِيّ، وَالشَّيْخُ مُصْطَفَىٰ بن الشَّيْخ يُوسُف الكَرْمِيُّ، وَالشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحِيم الكَرْمِيُّ، وَالْمُعَمَّرُ السَّيِّدُ هَاشِمٌ الحَنبَلِيُّونَ، وَفِي أَنْوَاعِ الفُنُونِ العَلَّامَةُ الفَهَّامَةُ الشَّيْخ عَبْدُ الغَنِيِّ النَّابُلُسِيُّ، صَاحِب البَدِيعِيَّاتِ المَشْهُورَةِ والتَّآلِيفِ الجَلِيلَةِ، وَالْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ المَنِينِيُّ، وَشَيْخُ الطَّرِيقَةِ السَّيِّدُ مُصْطَفَى البَكْرِيُّ، وَالْعَلَّامَةُ حَامِدُ أَفَندِي مُفْتِي الشَّام، وَالْحَافِظُ مُحَمَّد حَيَاة السِّنْدِيُّ ثُمَّ المَدَنِيُّ، وَالْمُعَمَّرُ الشَّيْخ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ المُجَلَّدُ الحَنَفِيُّ، وَالْمُلَّا إِلْيَاسُ الكُرْدِيُّ، وَالْعَلَّامَةُ إِسْمَاعِيل جَرَّاح العَجْلُونِيُّ، وَالْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ الغَزِّيُّ مُفْتِي الشَّافِعِيَّةِ، وَقَرِيبُهُ الشَّيْخ مُحَمَّدٌ الغَزِّيُّ الذِي تَوَلَّى الإِفْتَاءَ بَعْدَهُ، وَالشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ البَصْرَوِيُّ، وَالشَّيْخُ سُلْطَان المَحَاسِنِيُّ خَطِيبُ الجَامِعِ الأُمَوِيِّ وَغَيْرُهُم، وَأَجَازُوهُ بِإِجَازَاتٍ مُطَوَّلَةٍ وَمُخْتَصَرَةٍ.

وَبَرَعَ فِي فُنُونِ العِلْمِ، وَجَمَعَ بَيْنَ الأَمَانَةِ، وَالْفِقْهِ وَالدِّيَانَةِ وَالصِّيَانَةِ،

وَفُنُونِ العِلْمِ، وَالصِّدْقِ، وَحُسْنِ السَّمْتِ، وَالْخُلُقِ، وَالتَّعَبُّدِ، وَطُولِ الصَّمْتِ عَن مَّا لاَ يَعْنِي، وَكَانَ مَحْمُودَ السِّيرَةِ، نَافِذَ الكَلِمَةِ، رَفِيعَ المَنزِلَةِ عِندَ الخَاصِّ وَالْعَامِّ، سَخِيَّ النَّفْسِ، كَرِيمًا بِمَا يَمْلِكُ، مُهَابًا، مُعَظَّمًا، عَلَيْهِ أَنْوَارُ العِلْمِ بَادِيَةٌ.

وَصَنَّفَ تَصَانِيفَ جَلِيلَةً فِي كُلِّ فَنٍّ، فَمِنْهَا:

«الْعَقِيدَةُ الفَرِيدَةُ» وَشَرْحُهَا الحَافِلُ، العَظِيمُ الفَوَائِدِ، الجَمُّ العَوَائِدِ، مُجَلَّدٌ ضَخْمٌ، شَرْحُ «فَضَائِلِ الأَعْمَالِ» لِلضِّيَاءِ المَقْدِسِيِّ، «نَفَاثُ الصَّدْرِ المُكْمَدِ بِشَرْحِ ثُلاَثِيَّاتِ المُسْنَدِ» وَعَدَدُهَا ٣٦٣، مُجَلَّدَانِ، «شَرْحُ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ» مُجَلَّدَانِ[1]، «شَرْحُ نُونِيَّةِ الصَّرْصَرِيِّ» فِي السِّيرَةِ مُجَلَّدَان، «المُلَحُ الغَرَامِيَّةِ شَرْحُ مَنظُومَةِ ابن فَرَحِ اللامِيَّة»، «شَرْحُ الدَّلِيلِ» فِي الفِقْهِ وَصَلَ فِيهِ إِلَى الحُدُودِ، «الْبُحُورُ الزَّاخِرَةُ فِي عُلُومِ الآخِرَةِ» مُجَلَّدَانِ[2]، «تَحْبِيرُ الوَفَا فِي سِيرَةِ المُصطَفَىٰ»، «غِذَاءُ الأَلْبَابِ بِشَرْحِ مَنظومَةِ الآدَابِ» مُجَلَّدَانِ أَوْدَعَ فِيهِ مِنْ غَرَائبِ الفَوَائِدِ مَا لاَ يُوجَدُ فِي كِتَابٍ، «دَرَارِي الذَّخَائِرِ شَرْحُ مَنظُومَةِ الكَبَائِرِ»، «قَرْعُ السِّيَاطِ فِي قَمعِ أَهْلِ اللِّوَاطِ»، «الْجَوَابُ المُحَرَّرُ فِي كَشْفِ حَالِ الخَضِرِ وَالاسْكَندَرِ»، و«تُحْفَةُ النُّسَّاكِ فِي فَضْلِ السِّوَاكِ»، «التَّحْقِيقُ فِي بُطْلاَنِ التَّلْفِيقِ» رَدَّ بِهَا جَوَازَ التَّلْفِيقِ فِي العِبَادَاتِ وَغَيْرِهَا لِلشَّيْخِ مَرْعِي، «الدُّرُّ المَنْثُورُ فِي فَضْلِ يَوْم عَاشُور المَأْثُورِ»، «اللُّمْعَةُ فِي فَضْلِ يَوْمِ الجُمْعَةِ»، «الْقَوْلُ العَلِيُّ شَرْحِ أَثَرِ سَيِّدِنَا الإِمَامِ عَلِيٍّ»، «نَتَائِجِ الأَفْكَارِ شَرْحُ حَدِيثِ سَيِّدِ الاْسْتِغْفَارِ» أَوْدَعَ فِيهِ غَرَائِبَ، نَحْو سَبْعِ كَرَارِيسَ، رِسَالَةٌ فِي بَيَانُ كُفْرِ تَارِكِ الصَّلاَةِ، رِسَالَةٌ فِي ذَمِّ الوَسْوَاس، رِسَالَةٌ فِي شَرْحِ حَدِيثِ الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، رِسَالَةٌ

(١) يسر الله تحقيقه وإتمامه علىٰ خير. (٢) وهو الكتاب الذي بين أيدينا.

فِي فَضْلِ الفَقِيرِ الصَّابِرِ، «مُنتَخَبُ الزُّهْدِ لِلإِمَامِ أَحْمَدَ» حَذَفَ مِنْهُ المُكَرَّرَ وَالأَسَانِيدَ، «تَعْزِيَةُ اللَّبِيبِ» قَصِيدَةٌ فِي الخَصَائِصِ النَّبَوِيَّةِ.

وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ التَّحْرِيرَاتِ وَالْفَتَاوى الحَدِيثِيَّةِ وَالفِقْهِيَّةِ، وَالأَجْوِبَةِ عَلَى المَسَائِلِ العَدِيدَةِ، وَالتَّرَاجِمِ لِبَعْضِ أَصْحَابِ المَذْهَبِ.

وبِالجُمْلَةِ فَتَآلِيفُهُ نَافِعَةٌ مُفِيدَةٌ مَقْبُولَةٌ، سَارَتْ بِهَا الرُّكْبَانُ وَانتَشَرَتْ فِي البُلْدَانِ؛ لأَنَّهُ كَانَ إِمَامًا مُتْقِنًا، جَلِيلَ القَدْرِ، وَظَهَرَتْ لَهُ كَرَامَاتٌ عَظِيمَةٌ، وَكَانَ حَسَنَ التَّقْرِيرِ وَالتَّحْرِيرِ، لَطِيفَ الإِشَارَةِ، بَلِيغَ العِبَارَةِ، حَسَنَ الجَمْعِ وَالتَّأْلِيفِ، لَطِيفَ التَّرْتِيبِ وَالتَّرْصِيفِ، زِينَةَ أَهْلِ عَصْرِهِ، وَنَقَاوَةَ أَهْلِ مِصْرِهِ، صَوَّامًا، قَوَّامًا، وِرْدُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ سُتُّونَ رَكْعَةً، وَكَانَ مَتِينَ الدِّيَانَةِ، لاَ تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ، مُحِبًّا لِلسَّلَفِ وَآثَارِهِمْ، بِحَيْثُ إِنَّهُ إِذَا ذَكَرَهُمْ أَو ذُكِرُواْ عِندَهُ لَمْ يَمْلِكْ عَيْنَيْهِ مِنَ البُكَاءِ، وَتَخَرَّجَ بِهِ وَانتَفَعَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ النَّجْدِيِّينَ وَالشَّامِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٨، أو سَنَة ١١٨٩. - ٱنتَهَىٰ -[١].

قَال في «سلكِ الدررِ»: بنابلس، ودفنَ بتربتهَا الشّماليةِ، ثم قالَ: وبالجملةِ فقد كانَ غُرة عصرِهِ، وشامة مصره، ولم يظهرْ بعدهُ في بلادهِ، وكانَ يدعىٰ للملمات، ويُقصد لتفريج المهمات[٢]، ذا رأيٍ صائبٍ، وفهم ثاقبٍ، جسورًا علىٰ ردعِ الظالمينَ، وزجرِ المعتدينَ، إذا رأىٰ مُنكَرًا أخذَتهُ رعدةٌ وعلاَ صوتهُ من شدةِ الحدةِ، وإذا سكنَ غيظهُ وبردَ قيظهُ يقطرُ رقةً ولطافةً، وحلاوةً وظرافةً، ولهُ البَاع الطويلُ في علمِ التاريخِ، وحفظَ وقائع الملوكِ والعلماءِ والأمراءِ والأدباءِ وما وقعَ في الأزمانِ السالفةِ، ويحفظُ من

(١) أي ٱنتهىٰ كلام محمد بن سلوم شيخ ابن حميد النجدي صاحب السحب الوابلة، والكلام بعده ٱستمرار لكلام ابن حميد النجدي.

(٢) هذه الأمور كلها من البدع والشركيات التي أمرنا بالابتعاد عنها والتحذير منها.

أشعارِ العربِ العرباءِ، والمولدين شيئًا كثيرًا، وله شعرٌ لطيفٌ مِنه قوله:

مـن لي بـأنْ أنـظر إلـىٰ خِـشْـفٍ بـليلٍ مُـعْـتَـكِـرْ
وأضُمُّـهُ مِـن غـير شَـفٍّ كَـالـضَّـمـيرِ المُسْـتَـتِرْ

ومنه:

الـصبرُ عِـيـلَ مِـنَ الـقِـلاَ وَالـنَّـفْـسُ أَمْـسَـتْ فِي بَـلاَ
وَالْجَـفْـنُ جَـفَّ مِـنَ الـبُـكَـا وَالْـقَـلْـبُ فِي الـشَّـجْـوِ غَـلاَ
وَشَـكَـى الـلِّـسَـانُ فَـقَـالَ فِي شَـكْـوَاهُ لاَ حَـوْلَ وَلاَ

وَمنه قوله:

أَحِبَّةَ قَلْبِي تَزْعُمُواْ أنَّ حُبّكُمْ صَحِيحٌ فَإِنْ كُنتُمْ كَمَا تَزْعُمُواْ زُورُواْ
وَأَحْيُواْ فَتًى فَتَّ الغَرَامُ فُؤَادَهُ وَإِلَّا فَدَعْوىٰ حُبِّكُمْ كُلُّهَا زُورُ

وذكرهُ تلميذهُ الكمالُ محمدُ العامريُّ الغزيُّ في كتابهِ «الورود الأنسيّ بترجمةِ الشيخِ عبدِ الغنِي النابلسيِّ» قال: وقد ترجمتهُ في معجمِي المسمَّىٰ بـ«إتحاف ذوِي الرسُوخِ» وفي طبقاتِ الحنابلة المسماة بـ«النعتِ الأكملِ في ترجمةِ أصحابِ الإمامِ أحمدَ بن حنبل» بترجمةٍ طويلةٍ.

قلتُ: وأخبرني بعضُ العلماءِ الصلحاءِ النابلسيِّينَ أنهُ لما أرادَ الرحلةَ إلىٰ دمشق أتىٰ به والدهُ إلى الشيخِ زيدٍ المشهور في بلادِ نابلس المنتسبِ إلى الشيخ عبدِ القادرِ الجيلانيِّ ليدعوَ لهُ - وكانَ معتقدًا في تلكَ الجهاتِ - فلما أخبراهُ بمطلوبهمَا دعا له وأوصاهُ وقال لهُ: إذَا وصلتَ دمشق تجد في الجامعِ الأموي علىٰ يمينكَ منَ البابِ الفلانِي شخصًا صفتهُ كيت وكيت فبلغه منِّي السلامَ قلْ لهُ: يقولُ لكَ أخوكَ زيدٌ: ٱدعُ لي فحينَ وصلَ رأى الشَّخص وعرفه بالصفةِ، وقال لهُ ما وصىٰ بهِ الشيخُ زيدٌ، فقال

الشخص: الشيخُ زيدٌ لاحقني بتوصياتِهِ في كلِّ بلدٍ أجيها، ودعا لهُ كثيرًا وبشرهُ بالفتوحِ العظيمِ، ومما ذكرهُ المترجمُ في إجازتِهِ للسيدِ محمدٍ مُرتضىٰ أن شيخهُ الشيخَ سلطان المحاسني وشىٰ إليهِ بعضُ الوشاة بأني سئلتُ من أفضل الشيخُ المحاسنيُّ أو الشيخُ المنينيُّ؟ فزعمَ الواشي أني فضلتُ الشيخَ المنينيَّ عليهِ، فكتبَ لي بهٰذِه الأبياتِ هِيَ:

لاَ تَزْدَرِي العُلَمَاءَ بِالأَشْعَارِ وَتَحُطَّ قَدْرًا مِن أُولِي المِقْدَار
أَتَظُنُّ سَفَّارِينَ تُخْرِجُ عَالِمًا يُنشِي القَرِيضَ بِدِقَّةِ الأَنظَارِ
هَلَّا أَخَذْتَ عَلَى الشُّيُوخِ تَأَدُّبًا كَيْ تَرْتَقِي دَرَجَ العُلاَ بِفَخَارِ
وَاللِّينُ مِنكَ لاحَ فِي مِرْآتِهِ لاَزِلْتَ تَكْشِفُ مُشْكِلَ الأَخْبَارِ

فأجبتهُ بقولي:

قُلْ لِلإِمَامِ مُهَذِّبِ الأَشْعَارِ مُنشِي القَرِيضَ وَمُسْنِدِ الأَخْبَارِ
تَفْدِيكَ نَفْسِي يَا أَرِيبَ زَمَانِنَا يَا ذَا الحِجَىٰ يَا عَالِيَ المِقْدَارِ
مَنْ قَالَ عَنِّي يَا هُمَامُ بِأَنَّنِي أُزْرِي بِأَهْلِ الفَضْلِ وَالآثَارِ
عَجَبًا لِمَن أَضْحَىٰ فَرِيدًا فِي الوَرَىٰ يُصْغِي لِقَوْلِ مُفَنِّدٍ مَكَّارِ
مَقْصُودُهُ وَشْيُ الحَدِيثِ وَوَضْعُهُ فَقَبِلْتَهُ مِنْ غَيْرِ مَا إِنكَارِ
وَغَدَوْتُ مُفْتَخِرًا عَلَىٰ صَبٍّ إِذَا جَنَّ الظَّلاَمُ بِكَامِنِ الأَكْدَارِ
وَرَشَقْتَهُ بِسِهَامِ نَظْمٍ مُزْدَرٍ لِلنَّاسِ بِالتَّحْقِيرِ وَالإِصْغَارِ
هَبْ أَنَّ سَفَّارِين لم تخرج فتًى ذَا فِطْنَةٍ بِنَتَائِجِ الأَفْكَارِ
أَيُبَاحُ عُجْبُ المَرْءِ يَا مَوْلاَيَ فِي شَرْعِ النَّبِيِّ المُصْطَفَى المُخْتَارِ
لاَ زِلْتَ فِي أَوْجِ المَكَارِمِ رَاقِيًا تُنشِي القَرِيضَ بِهَيْبَةٍ وَوَقَارِ
مَا حَرَّكَ الشَّوْقَ التَّلِيدَ صَبَابَة صَدْحُ الحَمَامِ وَنَغْمَةُ الهَزَّارِ

فجاء واعتذرَ وظنَّ أني لم أقبل عذره، فجاءَ يومًا بابنه وقال لهُ: قمْ قبِّل يد عمك يسمح لأبيك عن ما بدر منهُ، فقلت: أنا أرجو منكَ السماحَ. فقالَ: سبحانَ اللهِ قد ٱستجزتَ علماءَ الشامِ وأهملتني مع مزيدِ الصحبةِ، فطلبتُ منهُ إجازةً فاحتفلَ في إجازةٍ مطولةٍ، فاخترمتهُ المنيةُ قبلَ وصولِها إلينا، رحمهُ اللهُ تعالَىٰ ورضي عنهُ. أ.هـ من السحب الوابلة.

التعريف بالكتاب

١- **عنوان الكتاب**: إن أكثر النسخ الخطية التي وقفت عليها لهٰذا الكتاب، تتفق علىٰ تسميه بـ«البحور الزاخرة في علوم الآخرة»، وقد صرح بهٰذِه التسمية في خطبة الكتاب، كما نجد المؤلف يذكر في بعض كتبه هٰذا الكتاب بهٰذا الاسم، فنراه في «لوامع الأنوار» عندما ذكر سؤال الملكين في القبر، يقول: «وقد ذكرنا في كتابنا «البحور الزاخرة في علوم الآخرة» ما لعله يشفي ويكفي[1].وعندما ذكر الدجال في «لوامع الأنوار» ذكره بهٰذا الاسم[2]. وفي «غذاء الألباب»، لما ذكر صفة النار، قال: «وقد ذكرنا من ذلك شافيًا وقسمًا وافيًا في كتابنا «البحور الزاخرة من علوم الآخرة»[3]. وعلىٰ هٰذا جرىٰ من ترجم للمؤلف، كالجبرتي[4]، وابن حميد[5]، والغزي[6]، وغيرهم.

---

(١) ٱنظر: «لوامع الأنوار» ٢/ ٧. (٢) المصدر السابق ٢/ ١١٣.
(٣) ٱنظر: «عذاء الألباب» ١/ ٦٦. (٤) ٱنظر: «تاريخ الجبرتي» ١/ ٤٦٠.
(٥) ٱنظر: «السحب الوابلة» وقد نقلنا كلامه.
(٦) ٱنظر: «النعت الأكمل» ص٣٠٢.

٢- توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف:

هناك أدلة كثيرة تؤكد صحة نسبة كتاب: «البحور الزاخرة في علوم الآخرة» للشيخ السفاريني، وهي كالآتي:

أولًا: إن جميع نسخ الكتاب الخطية التي وقفت عليها تؤكد صحة نسبة هٰذا الكتاب للسفاريني، وإنه من تأليفه؛ وذلك مما كتب علىٰ ظهرها وفي أثنائها، وفي آخر ورقة منها.

ثانيًا: أن السفاريني يذكر كتابه هٰذا في بعض مؤلفاته، فنراه في كتابه «غذاء الألباب»، يصفه بقوله: هو كتاب جليل المقدار، ٱشتمل على الموت والبرزخ والمحشر والموقف والجنة والنار، وغير ذلك من أحوال الآخرة، وفيه نفائس العلوم وجواهر المنطوق والمفهوم درر فاخرة. ومن سميناه بـ«البحور الزاخرة». فإنه ٱسم يوافق مسماه، ولفظ يطابق معناه[(١)].

وذكره في كتابه: «شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد» في عدة مواضع، منها: أنه لما ذكر أحاديث الدجال، قال: وقد فصلت هٰذا وبينته مع الجمع بين الأحاديث المختلفة في ذلك في كتابي «البحور الزاخرة في علوم الآخرة»[(٢)].

ويذكر في كتابه «لوامع الأنوار البهية» في مواضع مختلفة، منها: أنه لما تحدث عن فتنة القبر قال: وقد ذكرنا في كتابنا: «البحور الزاخرة في علوم الآخرة» ما لعله يشفي يكفي[(٣)].

ثالثًا: أن الشيخ محمود الألوسي -صاحب «تفسير روح المعاني»-

---

(١) ٱنظر: «غذاء الألباب» ١/ ٦٦.

(٢) ٱنظر: شرح ثلاثيات المسند ٢/ ٢٥٥.

(٣) ٱنظر: «لوامع الأنوار» ٢/ ٧.

ينقل من كتاب «البحور الزاخرة» وينسبه للشيخ السفاريني، ومن ذلك قوله أثناء ذكره الروايات الواردة في وصف الدابة التي تخرج في آخر الزمان، يقول: وقد تصدى السفاريني في كتابه «البحور الزاخرة» للجمع بين هٰذِه الروايات المتعارضة»[1].

وفي موضع آخر أثناء كلامه عن أشراط الساعة والرد على القائلين بتحديد وقت قيامها، يقول: نقله السفاريني في «البحور الزاخرة»[2].

رابعًا: أن الشيخ صديق حسن خان، في كتابه «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة» ينسب كتاب «البحور الزاخرة» إلى السفاريني[3].

خامسًا: أن الشيخ نعمان بن محمود الألوسي يذكر في بعض مؤلفاته هٰذا الكتاب منسوبًا إلى الشيخ السفاريني، ومن ذلك قوله في كتابه «الآيات البينات»: قال الشيخ محمد السفاريني الحنبلي في كتابه «البحور الزاخرة في أحوال الآخرة»[4].

٤- تاريخ تأليف الكتاب:

جاء في آخر ورقة من المخطوطة التي كتبها المؤلف بقلمه ما نصه: «ووافق الفراغ من تبييضه نهار الخميس لثلاثة وأربعين ومائة وألف من الهجرة النبوية علىٰ صاحبها الصلاة والسلام آمين آمين».

٥- موضوعات الكتاب:

اشتمل الكتاب علىٰ خطبة الكتاب والمقدمة وخمسة كتب وخاتمة.

---

(١) أنظر: تفسير روح المعاني للألوسي ٢٠/ ٢٤.

(٢) المرجع السابق ٢٦/ ٣٥، وانظر أيضًا: ١٥/ ١٥٢، ٩/ ١٣٥.

(٣) أنظر: الإذاعة ص١٢١. (٤) أنظر: «الآيات البينات» ص٢٥.

خطبة الكتاب: وقد ذكر فيها المؤلف -رحمه الله- أهمية الكتابة عن الحياة الآخرة، ودوافع التأليف، واستطرد فيها بذكر فصل في «مثالب الحسد» لخاطر خطر له.

مقدمة الكتاب: وهي في ذكر الموت وما يتعلق به، والكلام على الروح بالتفصيل، وجعلها في سبعة فصول وخاتمة.

الكتاب الأول: في البرزخ. وقد قسمه إلىٰ أبواب، والأبواب إلىٰ فصول، وضمن ذلك تنبيهات وفوائد، وقد ذكر في هٰذا الكتاب ما يتعلق بالقبر وساكنيه، فذكر أهوال القبور، وعذاب القبر ونعيمه، وأدلة ثبوته، وشبهات المنكرين له، والرد عليها، وذكر تلاقي الأرواح في البرزخ، ومحل الأرواح بعد خروجها من البدن، وعن زيارة القبور.

الكتاب الثاني: في أشراط الساعة. وجعله في ثلاثة أبواب. تحدث في الباب الأول عن أشراط الساعة التي مضت وانقضت. وفي الباب الثاني: تكلم عن أشراط الساعة الوسطىٰ بأدلتها. وفي الباب الثالث: ذكر أشراط الساعة الكبرىٰ، وختم هٰذا الكتاب بالكلام علىٰ نفختي الفزع والصعق، وأحوال الكون عند ذلك.

الكتاب الثالث: وهو خاص بالمحشر، وما يتعلق به، وقد ذكر في هٰذا الكتاب الحشر والنشر، والوقوف في المحشر، وأحوال الناس في ذلك، والحساب والصراط، والحوض والشفاعة، والرؤية، وغير ذلك من مشاهد القيامة بأدلتها وتفاصيلها.

الكتاب الرابع: في ذكر الجنة وصفاتها، وصفات أهلها، وأطال الكلام علىٰ ذلك بالتفصيل.

الكتاب الخامس: في ذكر النار وفي صفاتها، وصفات أهلها، وذكر

حال الموحدين في النار، وخروجهم منها برحمة الله وشفاعة الشافعين.
الخاتمة: في فضل التوبة إلىٰ الله، وذكر الأدلة علىٰ فضلها، وفي لزوم محبة الله تعالىٰ، وأحوال أهلها، وبهذا تم الكتاب. والله أعلم.

٦- منهج المؤلف في الكتاب:

١- رتب المؤلف الكتاب ترتيبًا حسنًا، وقسمه إلىٰ كتب، والكتب إلىٰ أبواب، والأبواب إلىٰ فصول، وضمن بعضها تنبيهات وفوائد.

٢- ٱستقى المؤلف مادة الكتاب من القرآن الكريم، ومن السنة الشريفة، ومن بعض كتب التفسير، وشروح السنة، والعقائد، والتواريخ والسير، وكتب الزهد والوعظ واللغة والأدب والفقه، كما يظهر ذلك من مراجعة المصادر التي رجعت إليها في توثيق نصوص الكتاب، وهو غالبًا يصرح بعزو المعلومات إلىٰ مصادرها ذاكرًا الكتاب ومؤلفه، أو أحدهما.

٣- النقل والجمع والاختصار سمة بارزة ومنهج سار عليه المؤلف، وقد يعلق -أحيانًا- علىٰ بعض المسائل، مشيرًا إلىٰ ذلك بقوله: قلت. وتارة يعرض المسألة وأقوال العلماء فيها، ولا يرجح شيئًا منها. وأحيانًا يحقق بعض المسائل، ويرجع فيها إلى المراجع الكثيرة.

٤- أسلوبه في هٰذا الكتاب هو أسلوب المصادر التي ٱعتمد عليها مع بعض التصرف، ويظهر ذلك جليًا في إرجاع المعلومات إلىٰ مصادرها، فنجد الفروق يسيرة.

٥- عندما يذكر مسألة أو دليلًا لأي منها تكملة تقدمت أو ستأتي، يشير إلىٰ ذلك غالبًا بأنه: سبق أو سيأتي.

٦- ينقل أحيانًا نصوصًا فيها مبالغة كبيرة بدون نقد ولا تمحيص، ولعله جرىٰ في هٰذا علىٰ ما صرح به في بعض كتبه من أنه يخلي نفسه من التبعة بالعزو، فهو يقول: «وعزوت -غالبًا- كل قول لقائله، لأخرج من

معرة تبعة مسائله»[1].

ومن أمثلة ذلك: نقله للحوادث الواقعة قبل خروج المهدي، وفيها مبالغة، وكذا الروايات الواردة في أوصاف «يأجوج ومأجوج». وغيرها.

٧- لديه ملكه شعرية. فهو يورد شيئًا من ذلك في بعض المناسبات.

٨- يختم بعض الأبواب والفصول بالدعاء والتوجه والتضرع إلىٰ الله ﷻ. علمًا بأن بعض تلك الفصول بدون عنوان.

٩- للمؤلف -رحمه الله- في هٰذا الكتاب ٱصطلاحًا سار عليه، عرف بالتتبع والاستقراء. فمراده:

من قوله (إمامنا): الإمام أحمد بن حنبل.

ومن قوله (علماؤنا أو الأصحاب): علماء الحنابلة.

ومن قوله (شيخ الإسلام): مراده تقي الدين أحمد بن تيمية.

ومن قوله (المحقق): مراده ابن القيم.

ومن قوله (الحافظ): مراده ابن رجب.

ومن قوله (العلامة): مراده مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي.

١٠- للمؤلف اجتهادات خاصة كما في ص٢٣٠ وص٢٤١.

٧- بعض المآخذ على الكتاب:

أولًا: إيراده لبعض الروايات والحكايات التي فيها مبالغة، وتحتاج إلىٰ نظر، ولا يتكلم عليها بشيء، ٱعتمادًا علىٰ عزوها إلىٰ من ذكرها.

ثانيًا: تساهله في إيراد بعض الأحاديث الواضحة الضعف الشديد؛ بل والموضوع، وبعضها في ثبوته نظر، ويحتاج إلىٰ تدقيق وتمحيص، دون التنبيه علىٰ ذلك غالبا.

---

(١) ٱنظر: «غذاء الألباب» ٢/ ٦٠٣.

وقد حاولت قدر الإمكان بيان درجة الحديث معتمداً على ما قاله أهل هذا الشأن_ وربما اكتفيت بالعزو إلى مصادرها. وبالله التوفيق

وصف النسخ الخطية

اعتمدت في إثبات نص هٰذا الكتاب علىٰ أربع نسخ خطية:

١- النسخة الأولىٰ:

وهي بخط المؤلف ومكانها المكتبة الظاهرية بدمشق برقم ٥٣٩٦-٥٣٩٧ تصوف ويقع الجزء الأول في ٢١٠ ورقة، والثاني في ١٥٧ ورقة. ورمزت لها بالرمز (ط).

٢- النسخة الثانية:

وهي بدار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم ٣٥٨٧ تصوف، وكتبت بخط رقعة وعدد أوراقها ٤٥٢ ورمزت لها بالرمز (أ)، وهي نفس النسخة الآتية.

٣- النسخة الثالثة:

وتقع في ٨٨٦ صفحة بقلم حفيد المؤلف سعيد السفاريني وانتهىٰ منها لستة عشر مضت من شهر صفر الخير سنة ثلاثة وأربعين ومائتين وألف وهي مصورة من المكتبة الخاصة لفضيلة الشيخ علي بن إبراهيم بن صالح بن حمود المشيقح وقد عرفني بها ابنه الشيخ فهد. ورمزت لها بالرمز (ب). وخطها جميل وواضح.

٤- النسخة الرابعة: مخرومة وخطها رديء ولم أستفد منها شيء.

٥- النسخة الخامسة المطبوعة في المطبعة العمومية في الهند سنة ١٣٤١ ومقدار ما طبع منها قدر ربع الكتاب في مجلد واحد وانتهى إلى نفخة الصعق وعنوانها «البحور الزاخرة في علوم الآخرة».

***

بيان عملي في الكتاب

يتلخص فيما يلي:

١- نسخ الكتاب من المخطوط، معتمداً في ذلك نسخة المكتبة الظاهرية وهي النسخة الأصل، مع الإشارة إلى بدايات كل صفحة من أوراقها مشيراً إلى أرقام الصفحات [أ] مراعياً في ذلك القواعد الإملائية الحديثة في رسم الكلمات التي جاءت مخالفة كـ: مسئلة، مشايخ، وغيرها فقد كتبتها وفق الرسم الحديث لتظهر «مسألة، مشائخ»، أيضاً: إضافة ما كان في هامش النسخ وكتب عليه علامة «صح» إلى صلب الكتاب، أيضاً: تصحيح الكلمة المخالفة للفصيح وإضافة النقط للكلمات التي أهمل نقطها وكتابة الكلمات كتابة نحوية صحيحة إذا ورد ذلك وهو قليل.

٢- الاجتهاد في المقابلة بين النسخ وإثبات الفروق في الهامش، لإكمال السقط، ورمزت لكل نسخة برمز هي موضحة في نماذج صور المخطوطات، متبعاً ما يأتي:

(أ) إذا وجدت اختلاف بين النسخ فإنني أجتهد حسب الطاقة في اختيار الصواب في صلب الكتاب معتمداً في ذلك على مرجحات منها: تناسب السياق، أو مناسبة الكلام وغير ذلك، وإذا تم ذلك أثبته في النص مع الإشارة إلى خلافه وإلى ما تم اختياره من النسخ.

(ب) الإشارة إلى ما سقط من النسخ في الهامش.

(ج) إصلاح التصحيف في النسخة الأصلية وذلك بالرجوع إلى النسخ الأخرى، أو التنبيه على ذلك بما توصلت إليه من المصادر.

(د) إضافة ما ترجح عندي أنه ساقط من الأصل في النسخ أو من

المصادر التي رجع إليها المؤلف، وغالباً ما أكتفي بالإشارة إلى ذلك، وما أهمل استدركته من مصادر المؤلف كما في ص٦٣٤ وص٧٤٥.

٣- جرت عادة النساخ بالاختلاف في الكتابة للصلاة على النبي ﷺ أن يقتصروا على قولهم «عليه السلام» ولا يذكروا الصلاة، في بعض الأحيان لا يذكروا لفظ التسليم فخوفاً من إطالة الحاشية فإنني قد اقتصرت على ما في النسخة الام معرضاً عن هذا الاختلاف ولم أشر إليه في الهامش لكثرته، إلَّا قليلاً في بداية الكتاب.

٤- وجود كلمات لم أستطع قراءتها ولا المراد منها أو طمس، فأضعها بين قوسين وأشير في الهامش إلى معناها أو أجتهد في تقدير الكلمة المطموسة في الهامش.

٥- عزو الآيات القرآنية الواردة في النص إلى موضعها في المصحف.

٦- عزو الأحاديث التي وردت في الكتاب إلى مواضعها في غير الصحيحين من كتب السنة المشهورة سواء ورد بلفظه كاملاً أو بمعناه.

٧- الاجتهاد في البحث للحكم على الأحاديث التي لم يحكم عليها ابن السفاريني أو أطلب ما يؤيد حكمه وذلك معتمداً في النقل على فحول علماء هذا الشأن

٨- توثيق النقول التي ينسبها المؤلف إلى أصحابها، وإذا لم يصرح فإنني أبحث عن ذلك للوقوف عليه وهذا قليل ولم يفوتني ذلك إلَّا نزراً يسيراً وهذا يرجع إلى عدة أسباب إما عدم طبع الكتاب أو ندرته وعدم وجوده.

٩- ترجمت لبعض الأعلام الواردين في النص ترجمة مختصرة.

١٠- ضبط ما يشكل على القارئ قراءته أو يلتبس عليه بالشكل مع شرح بعض الكلمات اللغوية.

١١- وضع الفواصل بين الكلمات وعلامات الترقيم المتفق عليها حديثاً ليستقيم المعنى.

١٢- ربط الكتاب بمواضيعه وأحاديثه بعضه بعضاً وذلك برصد الإحالات إلى المواضيع التي مرت بها إلا ما ندر وهذا قليل.

١٣- وضع فهارس عامة للكتاب حسب ما ورد في صلب الكتاب.

١٤- التنبيه على أخطاء المؤلف في العقيدة، وهي كثيرة فمنها على سبيل المثال في الصفحات التالية: ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٩١، ٥٠٥، ٥٠٧، ٥٣٩، ٦٨٢، ٦٨٥، ٧٤٥، ٧٦٨، ١١٨٤، ١٤١٨، ١٤٤٣، ١٤٦٧، ١٥١٠، ١٥١٩، ١٥٢٦، ١٥٣٥، ١٥٣٩، ١٥٦٩، ١٥٧١، ١٥٨١، ١٦٠١. ويقابلها في الطبعة التي صدرت الصفحات التالية/ حسب الأولوية في طبعتي بأجزائها فمثلاً عندي ص٤٧٦ في الطبعة الصادرة (١/٤٠١) وهكذا إلى آخر التنبيهات (١/٤٠٣) (١/٤١٤) (١/٤٢٥) (١/٤٢٧) (١/٤٥٠) (١/٥٦٥) (١/٥٦٨) (١/٦١٥) (١/٦٣٧) (٢/٢٥٠) (٢/٤٥٦) (٢/٤٧٩) (٢/٤٩٨) (٢/٥٣٢) (٢/٥٣٩) (٢/٥٤٤) (٢/٥٥١) (٢/٥٥٤) (٢/٥٧٩) (٢/٥٨١) (٢/٥٨٩) (٢/٦٠٧).

١٥- نقل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وأئمة الدعوة - رحمهم الله - وترجيح ما رآه في كثير من المسائل.

وفي النهاية فإنني أشكر كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل، وهم كُثْر، فجزاهم الله عني خير الجزاء، وقد يفوتني بعض العزو إلى من نقلت

عنه فأرجو من القارئ أن يعذرني في التقصير على ذلك وأن ينبهني إلى وجود خطأ لاستدراكه في الطبعات القادمة إن شاء الله.

نسأل الله سبحانه أن يجزي الجميع خيراً وأن يضاعف أجورنا ويغفر لنا سيئاتنا إنه ولي ذلك والقادر عليه، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً[1].

وكتبه

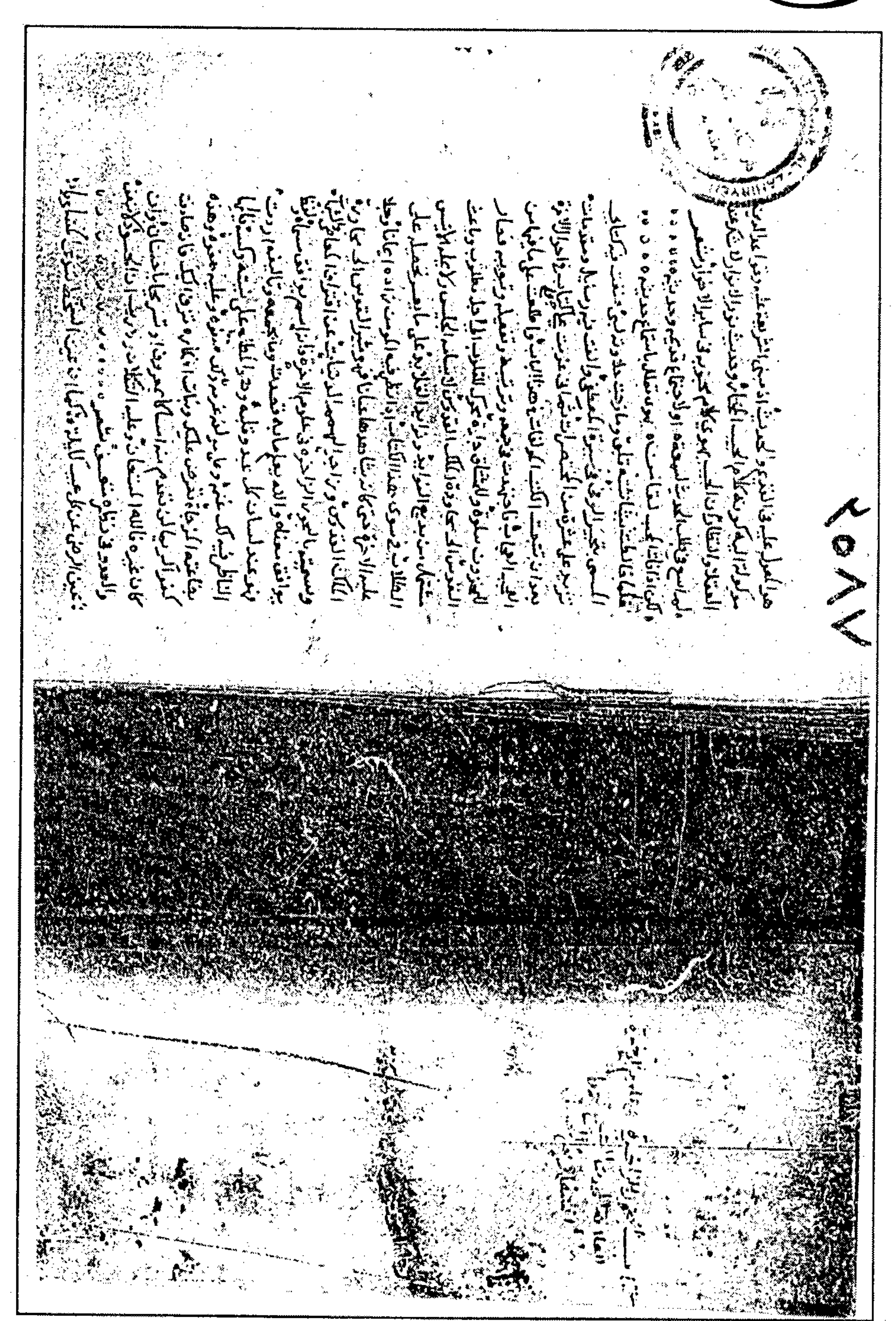
أبو أحمد عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن حمود المشيقح

في مدينة بريدة، حرسها الله من كل سوء وبلاد المسلمين

---

(١) تأخر الكتاب بسبب الناسخ هداه الله وإلا الكتاب قد انتهيت منه في غرة محرم ١٤٢٤هـ وكذلك كتب أخرى.

ورقة من النسخة (ط) بخط المصنف



الورقة الأولى من نسخة الظاهرية ٣٥٨٧ (أ)

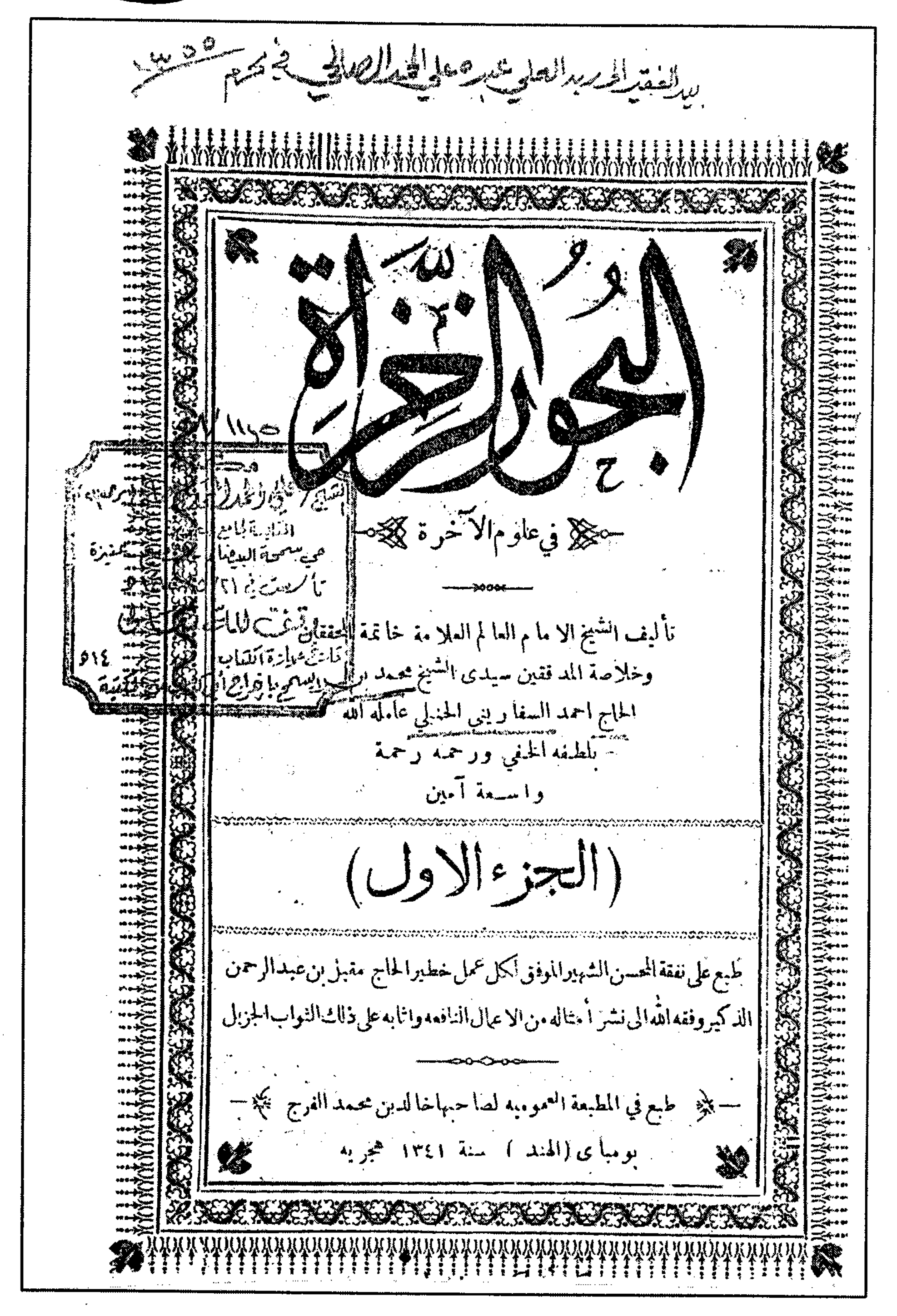
ومشوبة بها امتحانا لتظهر الحكمة من الكريم الجواد، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا في ذاته و
لا في صفاته ولا في أقواله ولا في أفعاله فهو المنزه عن
الصاحبة والأولاد، شهادة عبد مذنب قد قالها من صميم الفؤاد
وادخرها عند من لا تضيع لديه الودائع يوم تذوب الأكباد
وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله وصفيه
وحبيبه وخليله النبي الهاد، الذي أرسله رحمة للعالمين
فأظهر الحق وأباد الفساد صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه
وأنصاره وأحزابه الأئمة الأمجاد صلاة وسلاما دائمين
ما دامت السموات والأرض، والبياض والسواد، وعلى العلماء
العاملين والأئمة المجتهدين الذين بذلوا نفوسهم النفيسة
في مرضاتك وجاهدوا حق الجهاد، أما بعد: فلما كانت
فوائد العلوم لا تحصى، وعوائده لا تستقصى إذ هو البحر
لكن لا ساحل له، والفضاء الذي لا تدرك آخره ولا أوله،
وكنت قد انقطعت للاشتغال بالعلوم الشرعية النقلية
وعكفت على التقاط الفوائد الذهنية العقلية غير أني جعلت
جل مطلوبي، وغاية مقصودي ومرغوبي علم الحديث
الذي عليه المعول في القديم والحديث، إذ مبنى الشريعة
عليه، وقواعد الدين موكولة إليه، كونه كلام الحبيب المختار
وحديث نور الأنوار لا شك عند العقلاء والنظار أن الحبيب
يهوى كلام محبوبه في سائر الأطوار شعر
(لم أسع في طلب الحديث لسمعة، أو لاجتماع قديمه وحديثه)

الورقة الأولى من النسخة (ب)



وصح ... عن ... أبي هريرة ... ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً وليسلكن فجاً حاجاً أو معتمراً وليأتين قبري حتى يسلم علي ولأردن عليه قال أبو هريرة ... فتولوا أبو هريرة يقرئك السلام ... الحاكم عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدرك منكم عيسى فليقرئه مني السلام ... وقد خرج البخاري في تاريخه والطبراني ... ابن مريم ... عليه وسلم ... المدينة ... ويكون قبره الرابع ... حديث ابن عمر عند ابن الجوزي في المنتظم ... العلامة في ... قال بعض مشايخنا وذكر ... في قوله معي في قبري فإنه عبر بذلك لشدة القرب ... لقربه كان معه ... في جانب قبري لينطبق الكلام ويستفاد بذلك مجموع ما ذكرنا أنه يموت عليه السلام بالمدينة قال بعضهم ولعل موته عند حجه وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم والله أعلم ... في ذكر يأجوج ومأجوج وخروجهم من الفتن العظام والمصائب الجسام فنسأل الله أن يمن علينا بالتوفيق وأن يذيقنا حلاوة التحقيق إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير ... ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ... قوله تعالى حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ... ففي صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان مرفوعاً أن الله يوحي إلى عيسى عليه السلام بعد قتل الدجال إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور

نموذج من النسخة الرابعة


البحور الزاخرة

في علوم الآخرة

تأليف الشيخ الامام العالم العلامة خاتمة المحققين وخلاصة المدققين سيدى الشيخ محمد ابن الحاج احمد السفاريني الحنبلي عامله الله بلطفه الخفي ورحمه رحمة واسعة آمين

(الجزء الاول)

طبع على نفقة المحسن الشهير الموفق لكل عمل خطير الحاج مقبل بن عبد الرحمن الذكير وفقه الله الى نشر أمثاله من الاعمال النافعه واثابه على ذلك الثواب الجزيل

طبع في المطبعة العموميه لصاحبها خادين محمد الفرج

بومباى (الهند) سنة ١٣٤١ هجريه

صفحة العنوان من المطبوع

(٦١٠)

بحمده تعالى تم طبع الجزء الاول من كتاب البحور الزاخرة للامام السفاريني على نفقة ذي الخيرات و المبرات (الحاج مقبل الذكير)

بتصحيح و مراقبة خالد بن محمد الفرج صاحب المطبعة العمومية

مراعياً للنسخة الاصلية مع ما فيها من تحريف الناسخ

بقدر الامكان و صار الفراغ من طبعه

في غرة شعبان سنة ١٣٤١ هجريه

أعاننا الله على

اكماله

الصفحة الأخيرة من المطبوع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي قهرَ بالموتِ العباد، وأذل به رقاب أهل التجبر والعناد، وجعله تذكرة لأهل المعرفة والسداد، وسوىٰ به بين الشريف والخسيس، والقريب والنائي[1]، وشرح صدور عباده المتقين، وألهمهم المعرفة والرشاد، وأحيا بذكره قلوب المخلصين، وعمرها بحبه وشاد، وجعل زبدة أعمالهم السكون لعظمته والانقياد، وأقام لهم من يدعوهم إلىٰ منازل الأفراح فذلك حادي الأرواح والأجساد، وأبهج وجوههم بنور معرفته فأصبحوا كالبدور السافرة، فمن ٱقتدىٰ بهم ساد، وجعل لهم السعادة في الدنيا والعاقبة في الأُخرىٰ، يوم النفخ والتناد، وجعل قلوبهم قبور أسراره، وصدورَهم محشر نوره الوقَّاد.

فسبحانه مِن إله تفرَّد بالعظمة والبقاء والإيجاد، وقضىٰ علىٰ عباده بالسعادة والشقاء، فكم من متكبر أباد، وجعل الدور ثلاثة طيبة لأهل الطاعة والازدياد، وخبيثة لأهل الكفر والإلحاد، /أ/ ومَشوبة بهما ٱمتحانًا لتظهر الحكمة من الكريم الجواد.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أقواله، ولا في أفعاله، فهو المنزه عن الصاحبة والأولاد، شهادة عبد مذنب قد قالها من صميم الفؤاد، وادَّخرها عند مَن لا تضيع لديه الودائع يومَ تذوبُ الأكباد.

---

(١) في (أ): والناء.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وحبيبه وخليله النبي الهاد، الذي أرسله رحمة للعالمين فأظهر الحق وأباد الفسَاد صلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه الأئمة الأمجاد، صلاةً وسلاما دائمين ما دامت السموات والأرض، والبياض والسواد، وعلىٰ العلماء العاملين، والأئمة المجتهدين الذين بذلوا نفوسهم النفيسة في مرضاتك، وجاهدوا حق الجهاد.

أما بعد: فلما كانت فوائد العلوم لا تحصىٰ، وعوائده لا تستقصىٰ، إذ هو البحر لكن لا ساحل له، والفضاء الذي لا نُدرك آخره ولا أوله، وكنت قد ٱنقطعت للاشتغال بالعلوم الشرعية النقلية، وعكفت علىٰ التقاط الفوائد الذهنية العقلية.

غير أني جعلت جُلَّ مطلوبي، وغاية مقصودي ومرغوبي علم الحديث الذي عليه المعول[1] في القديم والحديث؛ إذ مبنىٰ الشريعة عليه، وقواعد الدين موكولة إليه، كونه كلام الحبيب المختار، وحديث نور الأنوار، لاشك عند العقلاء والنظار، أن الحبيب يهوىٰ كلام محبوبه في سائر الأطوار. شعر:

لم أسع في طلب الحديث لسمعة أو لاجتماع قديمه وحديثه

لكن إذا فات المحب لقاءَ مَنْ يهوىٰ تعَلَّل باستماع حديثه

فلما خالطت بشاشتُه قلبي، ومازجت حلاوته لبي صنفت فيه كتابي المسمىٰ بـ(تحبير الوفَاء، في سيرة المصطفىٰ) وألفت فيه

(١) بداية النسخة (ب).

رسائل ومقدمات / ١/ تزيد علىٰ عشرة من المختصرات.

ثم إني عزمتُ علىٰ جمع كتاب في أحوال الآخرة، بعد أن تتبعت الكتب المؤلفة في هذا الباب(١)، واطلعت علىٰ ما فيها من العجب العجاب؛ فاجتهدت في جمعه وترتيبه، وتفصيله وتبويبه، فصار للمحزون سلوة، وللمشتاق جلوة، محرك القلوب إلىٰ أجلِّ مطلوب، وباعث النفوس إلىٰ مجاورة الملك القدوس، لا يسأمُه الجليس، ولا يمله الأنيس، مشتمل من بديع الفوائد، وفرائد القلائد علىٰ ما يعسر تحصيله علىٰ الطلاب في سوىٰ هذا الكتاب، إذا نظر فيه المؤمن زاده إيمانًا، وجلا عليه الآخرة حتىٰ كأنه يشاهدها عيانًا، فهو مثير النفوس إلىٰ مجاورة الملك القدوس، وزاجر الهمم الدنيات، عن ٱقتراف المعاصي والشبهات، وسميته بـ:

(البحور الزاخرة في علوم الآخرة)

فإنه ٱسم يوافق مسماه، ولفظ يوافق معناه، والله يعلم ما به قصدت، وما بجمعه وتأليفه أردت، فهو عند لسان كل عبد وقلبه، وهو المطلع علىٰ نيته وكسبه، فيا أيها الناظرُ فيه لك غنمه، وعلىٰ مؤلفه غرمه، ولك صفوه، وعليه هفوه، وهذه بضاعته المزجاة تعرض عليك، وبنات أفكاره تزف إليك.

فإن صادفت كفؤاً كريمًا، لن تعدم منه إمساكًا بمعروف أو

---

(١) وأكثر ما يعزوا إليه الروح لابن القيم، التذكرة للقرطبي، أهوال القبور لابن رجب، شرح الصدور، البدور السافرة في أحوال الآخرة للسيوطي وكتب ابن أبي الدنيا وأبي نعيم الإشاعة في أخبار الساعة، الفتن لأبي عمرو الداني البهجة للشيخ مرعي.

تسريحًا بإحسان، وإن كان غيره، فَالله المستعان، وعليه التكلان، ولا ريب أن الحسود لا يُنصف، والعدو في نظره متعسف شعر:

وعينُ الرضا عن كلِّ عيبٍ كليلة كما أن عينَ السُّخطِ تبدي المساويا[(١)]

ومَا كان في هذا الكتاب من صواب، فمن الله ورسوله، وخلفائه العلماء، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، /٢/ والله بَرَيء منه ورسوله، ويأبي الله العصمة لغير كتابه المجيد والسعيدُ مَنْ عُدت هفواته في جنب صوابه.

فصل

وقد خطر لي أن أذكر في صدر كتابي هذا بعض مثالب الحسد:

أخرج القاسم بن أصبغ وأبو بكر بن أبي شيبة عن الزبير بن العوّام رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**دبّ إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء، والبغضاءُ هي الحالقة، لا أقول إنها تحلق الشعر لكن تحلُقُ الدّين، والذي نفسي بيده لن تدخلوا الجنة حتىٰ تؤمنوا ولن تؤمنوا حتىٰ تحابّوا ألا أونبئكم بما يثبت ذلك أفشوا السلام بينكم**»، ورواه الترمذي والإمام أحمد وهو صحيح[(٢)].

(١) البيت لعبد الله بن معاوية بن عبد الله الجعفري يقوله للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس. آنظر: الأغاني ١٢/ ٢٥٠، ٢٧٢.

(٢) رواه أحمد ١/ ١٦٥ (١٤١٢)، ١/ ١٦٧ (١٤٣٠)، (١٤٣١)، (١٤٣٢)، والطيالسي ١/ ١٥٩ (١٩٠) وابن أبي شيبة ٨/ ٦٢٥، وعبد بن حميد / ١٤٧ (٩٧)، والدارمي (١٥٤٥)، والترمذي (٢٥١٠)، وأبو يعلىٰ (٦٦٩)، والبيهقي ١٠/ ٢٣٢، وإسناده ضعيف فيه مولىٰ لآل الزبير وهو مجهول، وفي إسناده آضطراب. لكن يشهد لأوله حديث أبي الدرداء عند البخاري في=

وفي الحديث: «إن الغلَّ والحسدَ يأكلان الحسناتِ كما تأكلُ الجمرةُ[(١)] الحطبَ»[(٢)]. وصح عنه ﷺ: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا، ولا تناجشوا، وكونوا عباد الله إخوانا»[(٣)].

وفي الخبر: «إن لنِعم الله أعداء، قيل: من أعداء نِعم الله؟[(٤)]» [قيل: ومَن يُعادي نعم الله] يا رسول الله قال: «الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فَضْله»[(٥)].

وقال معاوية: يا بنيّ إيّاك والحسد، فإنه يبين فيك قبل أن يبين في محسودك.

= «الأدب المفرد» (٣٩١)، وأبو داود (٤٩١٩)، والترمذي (٢٥٠٩)، ويشهد لآخره حديث أبي هريرة عند مسلم (٥٤).

(١) في (ب)، و(ط): النار.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢١٠)، وأبو يعلىٰ (٣٦٥٦) من حديث أنس بمعناه وإسناده ضعيف جدًا. ولأنس أيضًا: «إن الحسد يطفئ نور الحسنات» أخرجه أبو داود (٤٩٠٤) وأبو يعلىٰ (٣٦٩٤) وهو حديث حسن.

(٣) حديث صحيح. رواه البخاري (٦٠٦٥) و(٦٠٧٦)، ومسلم (٢٥٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) وفي (أ) «وفي الخبر إن لنعم الله أعاطيل من أعداء نعم الله يا رسول الله» والمثبت من (ب)، و(ط).

(٥) لم أقف عليه مرفوعًا، ونسبه القرطبي في تفسيره ٥/ ٢٥١ لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وما بين معقوفتين منه.

وقال ابن عبد الملك:

وأظلم من في الأرض من بات حاسدًا لمن كان في نعمائه يتقلب[١]

وقال بعض الحكماء: إياكم والحسد، فإن الحسد أوّل ذنب عصىٰ الله به في السماء، وأوّل ذنب عُصي الله به في الأرض، يشيرُ إلىٰ إبليس وقابيل.

وقال الأحنف بن قيس: لا راحة لحسود ولا وفاء لبخيل، ولا صديق لملول، ولا مرؤة لكذوب، ولا سُؤدد لسيء الخلق[٢].

وقال محمد بن سيرين: ما حسدت أحدًا علىٰ شيء من الدّنيا، فإن كان من أهل الجنّة فكيف أحسده وهو صائرٌ إلىٰ الجنّة؟! وإنْ كان من أهل النار فكيف أحسده وهو /٣/ صائرٌ إلىٰ النار؟!

وقال الحسنُ البصري: يا ابن آدم لِمَ تحسدُ أخاك؟ فإن كان الذي أعطاه الله إياه لكرامته فلم تحسد مَنْ أكرمه الله؟ وإن كان غير ذلك، فلا ينبغي لك أن تحسد مَن مصيره إلىٰ النار.[٣]

وقال بعضهم: ليس شيء أضرّ من الحسد، يصل إلىٰ الحاسد خمس عقوبات قبل أن تصل إلىٰ المحسود: غمّ لا ينقطع، ومصيبة لا يؤجرُ عليها، ومذمّة لا يحمد بها، ويسخط عليه الرب، ويغلق عنه أبواب التوفيق.

---

(١) البيت منسوب لأبي الطيب المتنبي. «خزانة الأدب» ١/ ٢٠٤، المثل السائر ١/ ٥١ وفيهما: (وأظلم أهل الظلم).

(٢) رواه البيهقي في «الشعب» ٥/ ٢٧٣ وفيه: لا راحة لحسود، ولا مرووءة لكذوب، ولا وفاء لملوك، ولا حيلة لبخيل، ولا سؤدد لسيء الخُلق.

(٣) انظر «إحياء علوم الدين» ٣/ ١٨٩ .

ومما ينسب للإمام الشافعي في ذمّ الحسد:

ألاَ قل لِمَنْ كان لي حاسدا   أتدري علىٰ من أسأت الأدب
أسأت علىٰ الله في فعله   لأنك لم ترض لي ما وهب
فجازاك منه بأن زادني   سدَّ عليك وجوه الطلب[1]

ولا ريب أنَّ من أشد الناس تحاسدا العلماء سيما في هذه الأزمان، ومن ثَمَّ ورد عن ابن عباس: آستمعوا[2] عِلمَ العُلماء ولا تصدّقوا بعضهم علىٰ بعض فوالذي نفسي بيده لهم أشد تغاورًا من التيوس في زربها[3]. وفي رواية عنه: خذوا العلم حيث وجدتموه، ولا تقبلوا[4] أقوال الفقهاء بعضهم علىٰ بعض؛ فإنهم يتغايرون تغاير التيوس في الزريبة[5].

وهذا الداء قد فشى في الناس سيما في أهل العلم، فنسأل الله العافية والموازين الوافية، واعلم أن النصح من الحسود مفقود كما أن الوفاء من النساء ليس بموجود. وقد قلت في ذلك نظمًا وهو:

(١) الأبيات نسبها البيهقي في «الشعب» ٥/ ٢٧٦ لمنصور الفقيه، مع بعض ٱلاختلاف في البيت الأخير.
(٢) في الأصل: (استعملوا). والمثبت من «جامع بيان العلم» ٢/ ٢٣.
(٣) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» ٢/ ١٠٩٠ (٢١٢٣) و(٢١٢٤) بإسناد ضعيف.
(٤) في حاشية «ط» قوله: ولا تقبلوا إلخ أقول ونظيره قول العلامة الشامي رحمه الله تعالى في كتابه «عقود الجمان في الذب عن أبي حنيفة النعمان» كلام المعاصرين مردود. اهـ.
(٥) جامع بيان العلم (٢١٢٥).

اسمع مقالة ناصح لك منصف يغنيك عن تسآل من لم يعرف
طلبُ الوَفاء من النِّساءِ متعذر والنصح من شخص حسود منتفِ
/ ٤/ والهيبة العظماء من ذي فاقة والحرمة أعدد من جهولٍ مسرف
واحذر تَسلْ يومًا عدوك حاجة فلقد علمنا أنه لم يُسعِفِ

وقد رتبتُ هذا الكتاب علىٰ مقدمة وخمسة كتب وخاتمة.

المقدمة

في ذِكْرِ الموتِ وما يتعلقُ بِهِ، والرُّوح

وتشتمل علىٰ ثمانية فصول[(١)]:

الفصل الأول

في النَّهْي عن تَمَنِّي الموتِ وحِكْمتِهِ

أخرج الإمام أحمد في الزهد، وابن أبي شيبة في المصنف عن الحسن قال: لما خلق الله آدمَ وذريته قالت الملائكة: إنَّ الأرض لا تسعهم. قال: إني جاعلٌ موتًا. قالوا: إذن لا يهنؤهم عيش. قال: إني جاعل أملاً[(٢)].

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن مجاهد قال: لما هبط آدم عليه السلام إلىٰ الأرض قال له ربه: ابن للخراب ولِدْ للفناء[(٣)].

واعلم أن الموت ليس بعدم محض، ولا فناء صرف، وإنما هو ٱنقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته، وانتقال من دار إلىٰ دار. وهو من أعظم المصائب، وقد سماه الله تعالىٰ مصيبة في قوله: ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾ [المَائدة: الآية ١٠٦] ، فهو المصيبة العظمىٰ، والرزية

---

(١) كذا قال وهي سبعة فصول فقط.

(٢) رواه ابن أبي شيبة ٧/ ١٩٧. وعزاه في الدر المنثور ١/ ١١٤ إلىٰ ابن أبي الدنيا في «الأمل»

(٣) «حلية الأولياء» ٣/ ٢٨٦، والزهد لابن المبارك (٢٥٨).

في حاشية «ط» شعر من بحر الوافر

قليل عمرنا في دار دنيا   وخرجنا إلى تحت التراب

نادى كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب

الكبرىٰ، وأعظم منه الغفلة عنه، والإعراض عن ذكره، وقلة التفكير فيه وترك العمل له، مع أنه فيه عبرة لمن اعتبر، وفكرة لمن افتكر، وقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«لو أنَّ البهائم تعلم من الموتِ ما تعلمون ما أكلتم مِنْها سمينًا»**[(١)].

وقد نهىٰ ﷺ عن تمني الموت والدعاء به لضرٍّ نزل به؛ فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يتمنين أحدكم الموت لضرٍ نزل به في الدنيا، إن كان لابد متمنيًا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي»**، متفق عليه[(٢)].

وفي رواية: **«لا يتمنين أحدكم الموت، / ٥/ ولا يَدْعُ به من قبل أن يأتيه إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله وإنه لا يزيد المؤمن عمرُهُ إلا خيرًا»**[(٣)].

---

(١) رواه القضاعي (١٤٣٤)، والبيهقي في «الشعب» ٧/ ٣٥٣ من حديث أم حبيبة الجهنية.
وإسناده ضعيف كما في «فيض القدير» ٥/ ٣١٥. ورواه ابن المبارك في «الزهد» عن الحسن بن صالح بلغنا أن رسول الله.. فذكره بلاغًا. وأورده الديلمي (٥٠٨٨) من حديث أنس.
ورواه أبو نعيم في «الحلية» ٦/ ٣٩٢، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٧/ ٢٥٧ من قول سفيان، وهو أشبه.

(٢) رواه البخاري (٥٦٧١) و(٦٣٥١) و(٧٢٣٣) ومسلم (٢٦٨٠) من حديث أنس رَضِي اللهُ عَنْهُ.

(٣) رواه مسلم (٢٦٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِي اللهُ عَنْهُ.

وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يتمنينّ أحدكم الموت، إمّا محسنًا فلعله أن يزداد، أو مسيئًا فلعله أن يستعتب**»[١] أي: يرجع. قال في «الصحاح»[٢]: أعتبني فلان إذا عاد إلىٰ مسرّتي راجعًا عن الإساءة، واستعتب، وأعتب بمعنىً.

وقال القرطبي في التذكرة: ٱلاستعتاب طلبُ العُتبى وهو الرضى، وذلك لا يحصل إلا بالتوبة والرجوع عن الذنوب[٣].

وأخرج الإمام أحمد والبزار عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تمنَّوا الموت فإنَّ هَوْل المُطَّلع شديد، وإنَّ من السعادةِ أن يطولَ عُمْرُ العبدِ حتَّىٰ يرزقَه اللهُ الإنابةَ**»[٤].

قال في النهاية[٥]: المُطَّلع - بالتشديد -: مكان ٱلاطلاع من موضع عال والمراد به هنا ما يشرف عليه من أمر الآخرة عقب الموت تشبيهًا له بالمُطَّلع الذي يُشرَفُ عليه من موضع عال.

وأخرج الشيخان عن أنس رَضِي اللهُ عَنْهُ لولا أنَّ رسول الله ﷺ نهانا أن نتمنىٰ الموت لتمنيناه[٦].

وتمنىٰ سعدُ بن أبي وقاص رضي الله عنه الموت والنبي ﷺ

---

(١) البخاري (٥٦٧٣). (٢) الصحاح (١/ ١٧٦).

(٣) «التذكرة» ص١٧.

(٤) رواه أحمد ٣/ ٣٣٢ (١٤٥٦٤)، والبزار كما في «كشف الأستار» (٣٢٤٠ و٣٤٢٢). وأخرج بعضه الحاكم ٤/ ٢٤٠. وهو حديث حسن بشواهده.

(٥) النهاية ٣/ ١٣٢.

(٦) رواه البخاري (٧٢٣٣)، ومسلم (٢٦٨٠).

يسمع، فقال ﷺ: «لا تتمنَّ الموتَ، فإن كنتَ من أهل الجنَّةِ، فالبقاء خير لك، وإن كنتَ من أهل النَّارِ، فما يعجلك إليها»[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنىٰ أحدكم الموت فإنه لا يدري ماذا قدم لنفسه»[2].

وأخرج /٦/ الإمام أحمد وأبو يعلىٰ، والطبراني، والحاكم، عن أُمّ الفضل رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليهم وعمّه العباس رضي الله عنه يشتكي فتمنَّىٰ الموتَ: فقال له: «يا عمّ لا تتمنّ الموت فإنك إن كنت محسنًا، كنت تؤخر وتزداد حسنا إلىٰ إحسانك خيرًا لك، وإن كنتَ مسيئًا، فإن تؤخرّ تستعتب من إساءتك خير لك، فلا تتمنّ الموت»[3].

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يتمنين أحدكم الموت ولا يدع به قبل أن يأتيه إلا أن يكون قد وثق بعمله»[4].

واعلم أنَّ خير الناس مَنْ طالَ عُمره وحسن عمله.

وكما أخرجه الإمام أحمد والترمذي وصححه والحاكم عن أبي

---

(١) رواه أحمد ٥/ ٢٦٦، والطبراني ٨/ ٢١٧ (٧٧٨٠) من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفي إسناده ضعف.

(٢) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» ٦/ ١٢٥-١٢٦.

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٢٣، والإمام أحمد ٦/ ٣٣٩، والحارث كما في «بغية الباحث» ١٠٨٢، وأبو يعلىٰ (٧٠٧٦)، والطبراني في «الكبير» ٢٥/ ٢٨، والحاكم ١/ ٤٨٩، وإسناده حسن.

(٤) رواه أحمد ٢/ ٣٥٠.

بكرة رضي الله عنه «أن رجلاً قال يا رسول الله، أيّ الناس خير؟ قال: «**مَنْ طال عُمُره وَحُسَن عَمَلُه**» قال: فأيُّ الناسِ شَرٌّ؟ قال: «**مَنْ طَال عمُره وساءَ عَمَلُه**»(١).

وأخرج الحاكم عن جابر رضي الله عنه مرفوعًا «**خياركم أطولكم أعمارًا وأحسنكم أعمالاً**»(٢).

والإمام أحمد عن أبي هريرة مرفوعًا: «**خياركم أطولكم أعمارًا وأحسَنُكم أعمالا**»(٣).

والطبراني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعًا: «**ألا أنبئُكم بخياركم؟**» قالوا: بلىٰ يا رسول الله قال: «**أطولكم أعمارًا في الإسلام إذا سُددوا**»(٤).

وأخرج عن عوف مرفوعًا: «**كلما طال عمر المسلم كان له خيرًا**»(٥).

---

(١) رواه أحمد ٥/ ٤٠ (٢٠٤١٥) و٥/ ٤٣ و٤٤ و٤٧ و٤٩ و٥٠، والدارمي (٢٧٤٥) و(٢٧٤٦)، والترمذي (٢٣٣٠) والطحاوي في المشكل كما في «تحفة الأخيار» (٥١١٩ و٥١٢٠) والحاكم ١/ ٣٣٩، والبغوي (٤٠٩٤) و(٤٠٩٥)، وهو حديث حسن في حاشية «ط» العمر: بضم الميم وإسكانها. اهـ.

(٢) رواه الحاكم ١/ ٤٨٩، والبيهقي ٣/ ٣٧١.

(٣) رواه أحمد ٢/ ٢٣٥ (٧٢١٢) و٢/ ٤٠٣ (٩٢٣٥)، وابن أبي شيبة ٧/ ٩٠، وابن حبان (٤٨٤) و(٢٩٨١) وهو صحيح.

(٤) أبو يعلى عن أنس (٦/ ٢١٤) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ٢٠٣ وقال: رواه الطبراني وفيه أبو أمية بن يعلىٰ وهو ضعيف.

(٥) رواه أحمد ٦/ ٢٢ و٢٣ ولفظه: «**ما عمَّر المسلم كانَ خيرًا له**».

ورواه الطبراني ١٨/ ٥٧ (١٠٤) باللفظ المذكور عند المصنف.

قال الهيثمي ١٠/ ٢٠٤: فيه النهاس بن قهم وهو ضعيف.

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رجلان من بلىٰ - حي من قضاعة - أسلما مع رسول الله ﷺ، فاستشهد أحدهما وأُخِرّ الآخر سنةً، قال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: فرأيت الجنة فرأيت الرجل المؤخّر منهما أُدخل الجنة قبل الشهيد، فعجبت لذلك فأصبحت فذكرتُ ذلك للنبي ﷺ، فقال: **«أليس قد صَام / ٧/ بعدهُ رمضان وصلَّىٰ ستة آلافِ ركعة، وكذا وكذا ركعة، صلاة سنة»**(١).

وروىٰ أحمد والبزار عن طلحة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«ليس أحد أفضلَ عند الله، من مؤمن يُعمّرُ في الإسلام، لتسبيحه وتكبيره، وتهليله»**(٢).

وأبو نعيم عن سعيد بن جبير قال: بقاءُ المسلم كُلَّ يومٍ غنيمة؛ لأداء الفرائض والصلوات، وما يرزقه الله من ذكره(٣).

وابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن أبي عبلة قال: بلغني أن المؤمن إذا مات تمنىٰ الرجعة إلىٰ الدنيا، ليس ذاك إلا ليكبر تكبيرة، أو يهلل تهليلة، أو يسبح تسبيحة(٤).

واعلم: أنه يجوز تمني الموت والدعاء به لخوف الفتنة في الدنيا.

---

(١) رواه أحمد ٢/ ٣٣٣ (٨٣٩٩) و(٨٤٠٠) وهو حديث حسن.

(٢) رواه أحمد ١/ ١٦٣ (١٤٠١)، والبزار (٩٥٤) وأبو يعلىٰ (٦٣٤)، وأورده الهيثمي ١٠/ ٢٠٤ وصححه.

(٣) «حلية الأولياء» ٤/ ٢٨٠ و٥/ ١١٠.

(٤) رواه ابن عساكر في (تاريخ دمشق» ١٠/ ٣٢٤-٣٢٥ من طريق ابن أبي الدنيا.

فقد أخرج الإمام مالك عن أبي هريرة مرفوعًا: **«لا تقوم الساعة حتىٰ يمر الرجل بقبر الرجل فيقولُ: يا ليتني كنتُ مكانه»**(١).

والبزار عن ثوبان أن النبي ﷺ قال: **«اللهمّ إني أسألك فِعْلَ الخيرات وَتْركَ المنكرات وحُبَّ المساكينِ، وإذا أردتَ بالنَّاسِ فتنةً فاقبْضني إليك غيرَ مَفْتُونٍ»**(٢).

ومالك عن عمر رضي الله عنه قال: اللهمَّ قد ضَعُفَتْ قوّتي، وكَبِرَت سِنِّي، وانتشَرَت رعيَّتي، فاقبضني غَير مضيّعٍ ولا مُقصّرٍ، فما جَاوزَ ذلك الشهرَ حتىٰ قُبِضَ(٣).

وأخرج الإمام أحمد في مسنده، وابن عبد البر في التمهيد، والمروزي في الجنائز، والطبراني في الكبير، عن عليم الكندي قال: كنتُ مع عيسىٰ الغفاري علىٰ سطح فرأىٰ قومًا يتحملون من الطاعون، فقال: يا طاعون خذني إليك، ثلاثًا فقال عُليم: لم تقول هذا؟ ألم يقل رسول الله ﷺ: **«لا يتمنّيَنَّ أحدكُم الموتَ؛ فإنه عند ذلك أنقطاعُ عَمله، ولا يرد فيستعتب»**، فقال أبو عيسىٰ: أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«بادروا بالموت ستًّا: إمرةَ السفهاءِ، وكثرة**

---

(١) الموطأ ١/ ٢٤١. ورواه البخاري (٧١١٥) و(٧١٢١) ومسلم ٤/ ٢٢٣١ (١٥٧).

(٢) الترمذي (٥/ ٢٤٣) رواه البزار كما في «كشف الأستار» (٣١٩٧) والحاكم١/ ٥٢٧ وإسناده ضعيف. وأورده الهيثمي ٧/ ١٧٧. في «ط» وفي رواية «بعبادك» بدل «الناس».

(٣) «الموطأ» (١٧٦٦ رواية أبي مصعب) كتاب الحدود-باب ما جاء في الرجم (١٠) بمعناه.

الشُّرَط، وبيعَ الحكم، واستخفافًا بالدم، وقطيعة الرحم، ونَشْوءًا يتخذون القرآن مزامير، يقدمون الرجل لِيُغنِّيَهمُ بالقرآن، وإن كان أقلهم فقهًا»(١).

قوله: يتحملون أي: يرتحلون. كما في الصحاح(٢).

وفي الحديث: **«فإن رأيتم في الإسلام ستة خصال فتمنَّوا الموت، وإن كانت نفسك في يدِك فأرسلها: إضاعةُ الدّم، وإمارة الصِّبيانِ، وكثرة الشُّرَط، وإمارة السُّفهاء، وبيع الحكم، ونشوءاً يتخذون القرآن مزامير»**(٣).

وأخرج أبو نعيم عن ابن مسعود مرفوعًا: **«لا يخرج الدجال حتىٰ لا يكون شيءٌ أحب إلىٰ المؤمن من خروج نفسه»**(٤).

وقال سفيان: يأتي علىٰ الناس زمان يكون الموتُ أحبَّ فيه(٥)

---

(١) رواه ابن أبي شيبة ٧/ ٥٢٩ (باب ما ذُكر في عثمان)، والإمام أحمد ٣/ ٤٩٤ (١٦٠٤٠)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» ٢/ ٢٦٩، وابن قانع في «معجم الصحابة» ٢/ ٣١٠، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» ص٨٠-٨١، والطبراني في «الكبير» ١٨/ ٣٤ و٣٥، وفي «الأوسط» (٨٧٣١)، وابن عبد البر في «التمهيد» ١٨/ ١٤٧. وهو حديث صحيح بمجموع طرقه.

(٢) الصحاح (٤/ ١٦٧٧).

(٣) الحلية (١/ ٣٨٤) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ٢٠٦ وقال: رواه الطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم.

(٤) الحلية (٧/ ١٢٣) وعزاه في «الكنز» ١٤/ ٣٢٣ له.

(٥) في العبارة تقديم وتأخير في (ب)، و(ط).

إلىٰ قُرَّاء ذلك الزمان من الذهب الأحمر.[١]

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: يُوشك أن يكون الموت أحبَّ إلىٰ المؤمن من الماء البارد يُصب عليه، والعسل فيشربه.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أمّ الدّرداء قالت: كان أبو الدّرداء إذا مات الرجل علىٰ الحالة الصالحة قال: هنيئًا لك يا ليتني كنت مكانك، فقالت له أمّ الدرداء في ذلك. قال: هل تعلمينَ يا حمقاء أن الرجل يصبح مؤمنًا ويمسي منافقًا يُسلبُ إيمَانُه وهو لا يَشعر؟ فأنا لهذا الميت أغبط مني لهذا بالبقاءِ في الصلاة والصوم[٢].

وفي «فروع» ابن مفلح[٣] ٱتجاهٌ يستحب، يعني تمني الموت للخبر المشهور «**إذا أردت بعبادك فتنة، فاقبضني إليك غير مفتون**»، إسناده جيّد.رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه، وقال الإمام أحمد في رواية المروزي: إنما أتمنَّىٰ الموتَ صباحًا ومساءً أخاف أن أُفتَنَ في الدنيا[٤]. ٱنتهىٰ.

وسمعتُ أستاذي الشيخ عبد القادر التغلبي يقول: قال الشيخ

---

(١) ورد ذلك من رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة، ورواه ابن سعد ٤/ ٣٣٧، ٣٣٨ والحاكم ٤/ ٥٦٣، وأبو نعيم ١/ ٣٨٤ وورد أيضًا من كلام أبي مسلمة رواه عبد الرزاق ١١/ ٣٥٧ وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» ٢/ ٤٥٦، وانظر فتح الباري ١٣/ ٧٦-٧٧ .

(٢) رواه الفريابي في «صفة المنافق» (١١٤) و(١١٥).

(٣) «الفروع» ٢/ ١٦٨. باب الجنائز - فصل كراهة الأنين وتمني الموت.

(٤) هذا الخبر عن الإمام أحمد أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ١١/ ٢١٦.

أبو المواهب: تمَنِيّ الموت في عصرنا هذا غير مكروه، بل يجب. كذا سمعت وفي «فنون» ابن عقيل: قال عالم يومًا - يعني نفسه - لكربٍ /٩/ دخل عليه: يا ليتني لَم أَعِشْ لهذا الزمان فقال متحذلق يدّعي الزهد يريد أن يظهر اعتراضه على أهل العلم: لا تقل هذا وأنت إمام تتمنى على الله تعالى، مَا أرادَهُ اللهُ بِكَ خَيرٌ مما تتمناهُ لنفسك، وهذا اتهام لله. فأجابه: ومِن أين لك لسانٌ ينطق بما لا يكبر على العلماء، كأنك تعلمهم ما لا يعلمون، وتوهم أنك تدرك عليهم ما يجهلون، أليس الله قد حَكَىٰ عن مريم: ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ [مريم: ٢٣]! وقال أبو بكر الصديق: يا ليتني كنت مثلك يا طائر[1]. انتهىٰ.

والمراد غيرُ تمني الشهادة، وأما تمنيها فلا خلاف في ذلك؛ فقد تمناها عمر، كما في البخاريّ[2]، وفي الحديث: «**مَن تمنّاها مخلصًا من قلبه أعطاه الله منازل الشهداء**»[3] والله أعلم.

* * *

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣٠/ ٣٣٠ .

(٢) رواه البخاري (١٨٩٠) كتاب فضائل المدينة.

(٣) رواه مسلم (١٩٠٩) وابن حبان (٣١٩٢) من حديث سهل بن حنيف نحوه.

الفصل الثاني
فِي فَضْلِ الْموتِ وَذِكْرِهِ

تقدم أنَّ الموت ليس بعدم محض، ولا فناء صرف، وإنما هو ٱنقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته، وحيلولة بينهما وتبدل وانتقال من دار إلىٰ دار.

أخرج أبو نعيم، عن بلال بن سعد أنه قال في وعظه: يَا أَهْلَ الخُلودِ ويَا أَهْلَ البقاءِ إنكم لم تُخْلقوا للفناء، وإنما خُلقتم للخلود والأبد، ولكنكم تنتقلون من دار إلىٰ دارٍ[1]. وقال عمر بن عبد العزيز إنما خُلقتم للأبد، ولكنكم تنتقلون من دارٍ إلىٰ دار[2]. ومن هذا قول المعري في قصيدته الداليّة[3].

خُلّقَ الناسُ للبقاء فَضَلّتْ أُمّةٌ يَحسبونهم للنفادِ
إنما ينقلون من دارِ أعما لٍ إلىٰ دار شقوةٍ أو رشاد

وأخرج الحاكم في المستدرك والطبراني في الكبير، وابن المبارك في الزهد، وابن أبي الدنيا، عن عبد الله بن عمروٍ

---

(١) «حلية الأولياء» ٥/ ٢٢٩.

(٢) «الحلية» ٧/ ٢٨٧ من قول الحسن.

(٣) سقط الزند لأبي العلاء المعري ص٨. من حاشية «ط».

رضي الله عنهما مرفوعًا: «**الموتُ تحفة المؤمن**»(١).

والديلمي عن الحسين بن علي رضي الله عنهما مرفوعًا: «**الموت ريحانة المؤمن**»(٢).

وقالت عائشة رضي الله عنها: /١٠/ قال رسول الله ﷺ: «**الموت غنيمة والمعصية مصيبة والفقر راحة، والغنَىٰ عقوبة**»(٣).

وقال ﷺ: «**اثنتان يكرههما ابن آدم: يكره الموتَ والموتُ خير له من الفتنة، ويكره قِلةَ المال وقلة المالِ [أقل](٤) للحساب**»(٥).

وأخرج الشيخان عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: مُرّ علىٰ النبي ﷺ بجنازة، فقال: «**مستريحٌ ومستراح منه**». قالوا: يا رسول الله: ما المستريح والمستراح منه؟ فقال: «**العبد المؤمن**

---

(١) رواه عبد بن حميد (٣٤٧)، وابن المبارك في «الزهد» (٥٩٩)، والحاكم في «المستدرك» ٤/ ٣١٩ وأبو نعيم في «الحلية» ٨/ ١٨٥. وإسناده ضعيف. وعزاه في «مجمع الزوائد» ٢/ ٣٢٠ للطبراني في «الكبير».

(٢) الفردوس ٤/ ٢٣٩. وعند الديلمي أيضًا ٤/ ٢٣٨ من حديث جابر، وهو في «العلل المتناهية» (١٤٨٠) من حديث جابر أيضًا. وإسناده ضعيف جدًا.

(٣) أورده الديلمي كما في «الفردوس» ٤/ ٢٣٨. ورواه البيهقي في «الشعب» ٥/ ٣٨٨ وإسناده ضعيف.

(٤) في الأصل: (خير) وكُتب في الهامش: في نسخة [أقل]. قلتُ: وهو الموافق لمصادر التخريج.

(٥) رواه أحمد ٥/ ٤٢٧ و٢٤٨، وأبو عمر الداني في «السنن الواردة في الفتن» ١/ ٢٣٧، والبغوي في «شرح السنة» (٤٠٦٦) من حديث محمود بن لبيد. وأورده الألباني في «الصحيحة» (٨١٣).

يستريح من تعب الدنيا وأذاها إلىٰ رحمة الله تعالىٰ، والفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب»[١].

وقال ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن**[٢] **وسَنته وإذا فارق الدنيا فارق السجن والسَّنة**» بفتح أوله القحط والجدب. رواه ابن المبارك والطبراني من حديث عمرو بن العاص[٣].

وأخرج ابن المبارك وابن أبي الدنيا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن، وإنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان في سجن، فأُخرِجَ منه فجعل يتقلب في الأرض ويتفسح فيها[٤].

وأخرج أبو نعيم عن ابن عمر أنّ النبي ﷺ قال لأبي ذرّ: «**يا أبا ذر، الدنيا سجن المؤمن والقبر أمنه، والجنة مصيره، يا أبا ذر إنّ الدنيا جنةُ الكافر، والقبرُ عذابُه، والنارُ مصيرُه**»[٥].

وقال ابن مسعود: حبذا المكروهان: الفقر والموت[٦]. وقال

---

(١) رواه البخاري (٦٥١٢) و(٦٥١٣)، ومسلم (٩٥٠).

(٢) في (ب) زيادة «وجنة الكافر» ولا يستقيم بها المعنىٰ.

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٥٩٨)، والإمام أحمد ٢/ ١٩٧ (٦٨٥٥)، وعبد بن حميد (٣٤٦)، والحاكم ٤/ ٣١٥، وأبو نعيم في «الحلية» ٨/ ١٧٧. وفي إسناده ضعف.

(٤) رواه أحمد في «الزهد» (١٤٣)، وأبو نعيم في «الحلية» ٦/ ٣٥٣، والخطيب في «تاريخه» ٦/ ٤٠١.

(٥) «الحلية» ٦/ ٣٥٣.

(٦) رواه الطبري في «تهذيب الآثار» (مسند علي) ١/ ٢٢٩ (٥٠٥).
وابن المبارك في الزهد ص١٩٩ (٥٦٦).

=

بعضُ السلف: بلغني أنّ أوّل سرور يدخل علىٰ المؤمن الموت؛ لما يرىٰ من كرامة الله وثوابه.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله[1].

وعن أبي عنبة الخولاني الصحابي رضي الله عنه أنه قيل له: إن عبد الملك خرج هاربًا من الطاعون. فقال: /١١/ إنا لله وإنا إليه راجعون، ما كنت أرىٰ أنّي أبقىٰ حتىٰ أسمع بمثل هذا! أفلا أخبركم عن خلال كان عليها إخوانكم أوّلها: لقاء الله كان أحبَّ إليهم من الشَّهد. والثانية: لم يكونوا يخافون عدوًّا قلّوا أو كثروا. والثالثة: لم يكونوا يخافون عَوزًا من الدنيا، كانوا واثقين بالله أن يرزقهم. الرابعة: إن نزل بهم الطاعون لم يبرحوا حتىٰ يقضي الله فيهم ما قضى[2].

وقال أبو عبد ربه لمكحول: أتحبُّ الجنة؟ قال: ومَن لا يحبّ الجنّة! قال: فأحبّ الموت، فإنك لن ترىٰ الجنّة حتىٰ تموت.

وأخرج الترمذي والنّسائي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أكثروا ذكر هادم اللذات»**[3] وعن

= والطبراني في «المعجم الكبير» ٩/ ٩٢ (٨٥٠٥).
وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ١/ ١٣٢ .

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٧) وأبو نعيم في «الحلية» ١/ ١٣٦ و٨/ ١٣٣:
في حاشية الأصل قال الشاعر من بحر الكامل.

فقلت من مدحوا الحياة وأطنبوا ... في الموت ألف فضيلة لا تعرف
منها أمان لقائه بلقائه ... وفراق كل معاند لا ينصف

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٥٢٤)، وفي «الجهاد» (١٢٨)، والمزي في «تهذيب الكمال» ٣٤/ ١٥٢.

(٣) رواه الترمذي (٢٣٠٧)، والنسائي ٤/ ٤، وابن ماجه (٤٢٥٨)، والإمام أحمد =

عمرَ مثله[١].

وأخرج البزار عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«أكثروا من ذكر هادم اللذات؛ فإنه ما ذكره أحدٌ في ضيق من العيش إلا وسعه عليه، ولا في سعة إلا ضيّقه عليه»**[٢].

وسئل رسول الله ﷺ: أيّ المؤمنين أكيسَ؟ - أي: أعقل -. قال: **«أكثرهم للموت تذكرًا، وأحسنهم لما بعده استحسانًا أولئك الأكياس»**[٣] أي: العقلاء رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر.

وقال ﷺ: **«الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجزُ من أتبعَ نفسَهُ هواها وتمنىٰ علىٰ الله»**[٤] رواه الترمذي من

= ٢/ ٢٩٢-٢٩٣، وابن حبان (٢٩٩٢) و(٢٩٩٣) و(٢٩٩٤) و(٢٩٩٥) والحاكم ٤/ ٣٢١. والحديث حسن بشواهده.

(١) حديث عمر عند أبي نعيم في «الحلية» ٦/ ٣٥٥. وفي سنده راو مجهول.

(٢) رواه البزار (٣٦٢٣-كشف) وعزاه في «المجمع» ١٠/ ٣٠٨ للبزار، والطبراني باختصار قال: وإسنادهما حسن. قلت: الحديث المختصر عند أبي نعيم ٩/ ٢٥٢، والخطيب ١٢/ ٧٢، والضياء في «المختارة» ١/ ٥٢١.

لكن روي من حديث ابن عمر رَضِي اللهُ عَنْهُما بهذا اللفظ؛ رواه الطبراني في «الأوسط» (٥٧٨٠)، والقضاعي (٦٧١)، والبيهقي في «الشعب» ٧/ ٣٥٣ وأورده في «المجمع» ٧/ ٣٥٤.

(٣) رواه ابن ماجه (٤٢٥٩)، وابن حبان في «المجروحين» ٢/ ٦٧، وأبو نعيم في «الحلية» ١/ ٣١٣، والبيهقي في «الشعب» ٦/ ٢٣٥ و٧/ ٣٥١. قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» ٤/ ٢٤٩: هذا إسناد ضعيف.

(٤) رواه الترمذي (٢٤٥٩)، وابن ماجه (٤٢٦٠)، والطيالسي (١٢١٨)، والإمام =

حديث شداد بن أوس.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله عنه قال: أكثروا ذكر الموت؛ فإنه يُمَحِّصُ الذنوبَ، وَيُزَهِّدُ في الدنيَا، فَإِن ذكرتُموه عندَ الغِنىٰ هدَمَه، وإن ذكرتُموه عندَ الفَقرِ أرضَاكم بِعَيْشِكُم[1].

وأخرج أيضًا عن عطاء الخُراساني /١٢/ قال: مرّ رسول الله ﷺ في مجلس قد ٱستعلاه الضحك، فقال: «**شوبوا مجْلِسَكُم بمُكدّر اللذات**». قالوا: وما مكدّر اللذات؟ قال: «**الموت**»[2].

وأخرج الطبراني عن عمّار مرفوعًا: «**كفىٰ بالموت واعظًا**»[3].

وفسَّر السديُّ قوله تعالىٰ: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ﴾ [المُلك: الآية ٢] قال: أكثركم للموت ذكرًا[4].

قال الجلال السيوطي - في «**شرح الصدور**» عن بعضهم -: من

أحمد ٤/ ١٢٤، والبزار في «البحر الزخار» ٨/ ٤١٧، وعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (٢٠٦)، والطبراني في «الصغير» ٢/ ١٠٧، وفي «الكبير» ٧/ ٢٨١ و٢٨٤، وفي «مسند الشاميين» ١/ ٢٦٦ و٢/ ٣٥٤، والحاكم ١/ ٥٧، وأبو نعيم ١/ ٢٦٧، والقضاعي (١٨٥)، والبيهقي ٣/ ٣٦٩، والبغوي (٤١١٦ و٤١١٧) وإسناده ضعيف. وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع».

(١) قال العراقي في تخريج الإحياء - «المغني عن حمل الأسفار ٤٣٣٤»- رواه ابن أبي الدنيا في «الموت» بإسناد ضعيف جدًا.

(٢) قال العراقي «المغنىٰ» (٤٣٤٣): رواه ابن أبي الدنيا في الموت، هكذا مرسلاً ورويناه في «أمالي الخلال» من حديث أنس ولا يصح.

(٣) القضاعي (٢/ ٣٠٢) قال الهيثمي ١٠/ ٣٠٨: رواه الطبراني وفيه الربيع بن بدر وهو متروك.

(٤) عزاه في شرح الصدور لابن أبي الدنيا والبيهقي في «الشعب» ٧/ ٤٠٨.

أكثرَ ذكرَ الموت أكُرِمَ بثلاثة أشياء: تعجيلِ التوبةِ، وقناعةِ القلبِ، ونشاطِ العبادةِ. ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويفِ التوبةِ، وتركِ الرضىٰ بالكفافِ، والتكاسلِ في العبادةِ. وقال التيمي: شيئان قطعا عَنّي لذاذة[1] الدّنيا: ذكرُ الموت، وذكر الوقوف بين يدي الله تعالى[2].

ومَن ذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة حشر مع الشهداء[3].

قال القرطبي في «التذكرة»[4]: قوله عليه الصلاة والسلام: «**أكثروا ذكر هادم اللذات (الموت)**» كلام مختصر وجيز، قد جمع التذكرة، وأبلغ في الموعظة، فإنّ مَن ذكر الموت حقيقةَ ذكرِهِ نغّص عليه لذته الحاضرة، ومنعه من عينها في المستقبل، وزهّده فيما كان منها يؤمّل، ولكنَّ النفوس الذاهلة والقلوبَ الغافلة تحتاج إلىٰ تطويل الوعاظ، وتزويق الألفاظ، وإلا ففي قَولِه عليه السلام: «**أكثروا ذكر هادم اللذات**» مع قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨٥] [الأنبياء: ٣٥، العنكبوت: ٥٧] ما يكفي السامع له،

---

(١) في (ب): لذات.

(٢) شرح الصدور للسيوطي ص٤٦. وأكثر النصوص التي تقدمت نقلها المصنف عنه.

(٣) هذا يحتاج إلىٰ دليل من كتاب الله أو سنة نبيه صلّى الله عليه وعلى آله وسلم.

(٤) «التذكرة» للقرطبي ص٢٢ سبق تخريجه ص٢٤ ت(٣) و(٢٥) ت(١، ٢).

ويشغل الناظر فيه. وكان أميرُ المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثيرا ما ينشد هذه الأبيات:

لا شيء ممّا ترىٰ تبقىٰ بشاشته ... يبقىٰ الإله وُيودىٰ المالُ والولدُ

لم تغن عن هرمزٍ يوما خزَائنُهُ ... والخلدَ قد حاولت عادٌ فما خُلِّدو

/١٣/ ولا سليمانَ إذ تجري الرّياحُ له ... والإنس والجنّ فيما بينها يردُ

أين الملوكَ التي كانت لعزتها ... من كلّ أوب إليها وافدٌ يفدُ

حوضٌ هنالك موروذٌ بلا كذبٍ ... لابُدَّ من وردِهِ يومًا كما وردُوا[1]

وحكىٰ القرطبي في «التذكرة»، وعبد الحق الإشبيلي[2] في «العاقبة»: أن أعرابيًا كان يسير علىٰ جمل له فخر الجمل ميتًا، فنزل الأعرابي عنه وجعل يطوف به ويتفكر فيه، ويقول: مَالَك لا تقومُ؟! مَالَك لا تُبعثُ؟! هذه أعضاؤك كاملة، وجوارحك سالمة ما شأنك؟! ما الذي كان يحملك؟! ما الذي كان يبعثك؟! ما الذي صرعك؟! ما الذي عن الحركة منعك؟! ثم تركه وانصرف متفكرًا في شأنه، متعجبًا من أمره. وأنشدوا في ذلك:

(١) إلىٰ هنا ٱنتهىٰ النقل من القرطبي في ص٢٢. وهذه الأبيات منسوبة لورقة بن نوفل، كما في «المستطرف» ١/ ١٧٤، و«المدهش» ١/ ٢٧٤.

(٢) هو أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي المعروف بـ"ابن الخراط" ولد عام ٥١٠ وتوفي ٥٨٢هـ له مؤلفات عديدة ومما طُبع منها كتاب «الأحكام الوسطىٰ»، و«الصلاة والتهجد» وكتاب «العاقبة» والأخير الذي ينقل منه المصنف هو كتاب العاقبة في أحوال الآخرة، وهو في التذكير بالموت والحشر والوعظ والزهد. وانظر «سير أعلام النبلاء» ٢١/ ١٩٩ - «كشف الظنون» ٢/ ١٤٣٧.

جاءته من قِبَل المنونِ إشارةٌ فَهَوىٰ صريعًا لليدين وللفمِ
ورمىٰ بمحكم دِرعهِ وبرمحهِ وامتدَّ مُلقىٰ [كالقتيل] الأعظمِ
لا يستجيبُ لصارخٍ إنْ يَدْعُهُ أبدًا ولا يُرجىٰ لخطبٍ معظمِ
ذهبت بَسالتُه وَمَرَّ غرامُه لَمَّا رأىٰ خيل المنيّةِ ترتمي
يا ويَحُه مِنْ فارس ما بالُه ذهَبَتْ مروءته ولم يتكلمِ
هذي يداهُ وهذه أعضَاؤه ما منه من عضوٍ غدا بمثلمِ
هيهاتَ ما خيلُ الردىٰ محتاجةٌ للمشَرفِيِّ ولا السنانُ اللهذمِ
هي وَيْحكُم أمرُ الإله وحُكمهُ واللهُ يقضي بالقضاء المحكمِ
يا حسرةً لو كان يُقدَرُ قدرُها ومصيبةٌ عظمت ولما يعظمِ
خبرٌ علمنا كلُّنا بمكانه وكأنّنا في حالنا لم نعلمِ[1]

قال في «العاقبة»[1]: فكيف إذا أضاف الفكرة في الموت إلىٰ الفكرة في مَا بعد الموت، وفي حال الموت وما له وما يُجازَى به من أقواله وأفعاله وفي أيّ متّجر فاته، وأيّ بضاعة فرّط فيها، وأيّ علق نفيس من العمر ضيّعه! هنالك تطيش العَقول؛ وتُخْرَسُ الألسُن، وتنبذ الدُنيا بالعراء وتطرحُ بجميع ما فيها بالوراء.

قال ابن السَّمَّاك[2] /١٤/ رحمه الله: إن الموتىٰ لم يبكوا من

---

(١) العاقبة (٤٥، ٤٦) «التذكرة» ص١٧ وما بين القوسين في العاقبة (كالفنيق) ومعناه الجمل الضخم أو الغرارة. اهـ. من العاقبة.

(٢) محمد بن صبيح العجلي، أبو العباس الكوفي المعروف بابن السماك، الواعظ، قال ابن حبان في الثقات: مستقيم الحديث، وكان يعظ الناس في مجالسه. وترجمة الخطيب في تاريخه ٥/ ٣٦٨-٣٧٣، وقال ابن نمير: ليس حديثه بشيء. =

الموت، ولكن بَكَوْا من حسرة الفَوت، فاتتهم والله دارٌ لم يتزودوا منها، ودخلوا دارًا لم يتزوّدوا لها، فأيّةُ ساعةٍ مرّت علىٰ من مضىٰ؟! وأيةُ ساعةٍ بقيت علينا؟!، والله إن المتفكر في هذا، لجديرٌ أن يَترُكَ الأوطانَ، ويهجرَ الخلاّن، ويدَع لها ما عزّ وما هان.

قال الإشبيلي في «العاقبة»[١]: رُوي أنّ ملِكًا من ملوك بني إسرائيل كان كلما وُلدَ له ولد فبلغ ما يبلغ الرّجالُ، ويعقل ما يعقل الرّجالُ، لبس مسوحه وتعلق برؤوس الجبال، وسلك بطون الأودية يعبد الله عزّ وجل.

فلم يزل ذلك دأبهُ حتىٰ ولد له مولود فجمع رجاله وخاصّته وقال تعلمون ما كان منْ أمر بَنِيّ وأنه ليس منهم واحد بقى معي ولا التفت إليّ، وإنه ليس يصلح لكُم ولا يستقيم أمركم إلا بأن يليكم واحد من ولدي، وإني أخاف إن لم يكن ذلك تهَلكوا بهلاكي، فخذوا ولدي هذا فرَبّوه وقوموا بأمره فإذا شبّ وعقل، فزينوا له الدنيا وعظموا قدرها عنده ثمّ أمَرَ فبُنِي له قصر عظيم: فرسخ في فرسخ، وجمع له المراضع، وأكثر له من الحواضن، ووكل به رجالا من عقلاء أصحابه ووجوه دولته، وأمر إذا فَهِمَ وعَقَلَ أن لا يخرج من ذلك القصر، وأن لا يُذكرَ عنده الموت، ولا يكون ميتٌ في موضع يكون فيه؛ مخافة أن يسمع بالموت أو يرىٰ ميّتا فيسأل عنه، فيفسر له؛ فتتنغّص عليه لذّته، وتتكدّر عليه حياتُه، ويزهد في

= وقال الدارقطني: لا بأس به.

(١) ص٤٦.

الملك، ويسلك مسلك إخوته ويلحق بهم.

فبقي الغلام علىٰ ذلك لا يذكرون له موتا، ولا يُسمِعونه خبر موت ولا يطلعونه عليه ولا يذكر عنده إلاّ الدّنيا وتعظيمها والفرح بها، والإقبال عليها، وتعظيم آبائه الملوك، وأجداده العظماء، والترغيب في ٱلاقتداء بهم والمشي علىٰ طريقتهم، /١٥/ والاستنان بسنتهم، إلىٰ أن شبّ الغلام، وعقل ما يعقله الناس.

فمشى ذات يوم في ذلك القصر وطاف في أرجائه، وقد أحدق به خاصّته الموكلون به، فانتهىٰ إلىٰ سور القصر فقال: ما وراء هذا السور؟ وما خلف هذا الحائط؟ فقالوا له: وراءه الأرض الوَاسعة، والبلاد الكثيرة، والجمّ الغفير من الناس، وكل ذلك لك وللملك أبيك. فقال: أخرجوني حتىٰ أنظر وأرىٰ، فأبَوْا حتىٰ يشاوروا أباه، فشاوروه وأخبروه أنه يريد الخروج، ويرىٰ الناس، وظنوا أنه يحكمهم، فأذِن لهم فأخرجوه فرأىٰ ونظر، فأوّل من وقع عليه بصره من الناس شيخ كبير، قد سال لعابه وسقط حاجباه علىٰ عينيه من الكبر. فقال: ما هذا؟ قالوا: شيخ كبير. قال: وما شيخ كبير؟ قالوا: كان شابّا فعمر وعاش حتىٰ أصابه الهرم فعمل به ما ترىٰ قال: وما الهرم؟ قالوا: الكبر وطول العمر، يعيش إلىٰ أن تقل طاقته، وتضعف حركته، حتىٰ لا يقدر أن يُمسك لعابه في فيه، مع عِلِل أخرىٰ تعتريه من طول الحياة قال: أو يصيبكم هذا؟ أو هو شيء يصيب قومًا دون قومْ؟ قالوا: ليس هو مختصًا بأحدٍ دون أحد، بل

يصيب كل من طال عمرُه. قال: ويصيبني أنا مع ما أنا فيه من النعيم، وضروب اللذات، وبلوغ الشهوات؟ قالوا: ويصيبك أنت إن طال عمرك[١]. فقال: أفٍ لعيش يكون آخره هذا.

ثم رجع ورجعوا إلىٰ قصره [وقد][٢] تكدّر عليه بعض نعيمه، وتنغّص عليه بعض ما كان فيه، فعالجوه بكل لهو وباطل، حتىٰ ٱستخرجوا من قلبهِ ما كان وقع فيه من أمر الهَرَم والكبر، فأقام عاما، ثمّ إنه أمرهم بأنْ يُخرجوه ثانيا، فأبَوْا عليه، وخافوا من أبيه، ثم إنَّه عزم عليهم فأخرجوه، فأوّل من رأىٰ مِن الناس /١٦/ شابًا به جُذام أو غيرُهُ من الأدواء. فقال: ما هذا؟ ومِمَّ يكون هذا؟ قالوا: هذا فساد في المزاج وتحريك في الأخلاط، فيتولد عنه هذا وغيره قال: وهذا وحده أصابه، أو كلكم خائف منه أن يصيبه هذا الداء؟ فقالوا: ما عند أحدٍ أمان كلٌّ واحدٍ خائف من هذا الداء ومن غيره، الدارُ دارُ أمراض وأسقام وبلايا ورزايا. قال: وأنا خائف؟ قالوا: وأنت خائف، قد أخبرناك أنه ليس لأحد أمانٌ في هذه الدنيا، فأصابه من الغم أكثر مما أصابه في المرّة الأُولىٰ.

فرجع ورجعوا، ولم يزالوا يشغلونه بضروب المحاب، وأصناف الملاذ، حتىٰ أخرجوا من قلبه ما كان قد وقع فيه، فأقام كذلك حولاً، ثم قال: أخرجوني فأخرجوه، فنظر فإذا ميت يُحملُ

(١) في هامش الأصل: وفي نسخة: إن طالت بك الحياة.

(٢) ساقطة من (أ).

علىٰ سرير، قال: ما هذا؟ قالوا: ميت قال: وما ميت؟ قالوا: رجل مثلنا نزل به قضاءٌ إلهيٌّ، وحادثٌ سماويّ، فأطفأ شرارته، وأخمد حرارته، وردّه حجرًا من الحجارة، وجمادًا من الجمادات، فقال عَلَيّ به حتىٰ أراه، فجاؤا به فكشف له عنه، فقال: كلّموه. فقالوا: إنه لا يتكلم. وقال: أجلسوه، فقالوا له: لا يجلِس. فجعل ينظر إليه، ويتفكر فيه، ثم قال: وهذا وحده خُصّ بهذا الحادث، أو أنتم كلكم ينزل به هذا الحادث؟ قالوا: كُلّنا فيه سواءٌ وكلّنا ينزلُ بنا هذا الحادث. قال: وأنا؟ قالوا: وأنت. قال: ولا يَدفَعُ عني أبي؟ قالوا: لا يدفع عنك أبوَك، ولا يدفع عن نفسه؟

فقال: إنّ نعيما يصير آخره إلىٰ هذا لجديرٌ أن يتكدّرَ وإن قلبا يخطر به ذكر هذا لحقيق أن يتفطّر قال: وما تصنعون به؟ قالوا: نحفر له حفرة في الأرض نلقيه فيها، ونتركه هنالك، ونرد عليه التراب إلىٰ يوم النشور والعَرض قال: وما يوم النشور والعرض؟ قالوا له: هو يوم تبعث فيه الأموات، /١٧/ وتظهر فيه المخبَّآت. قال: ويكون ولابد منه؟ قالوا: ولا بدّ منه. فقال: وهذه أشد.

فعمل الكلامُ في نفسه عملَه، وأخذ من قلبه مأخذه، فتغيّر وجهُه، وضعفَ جسمه، وشحب لونه، وأقصر عما كان فيه من تلك الراحات، وتلك البطالات.

فأخُبر أبوه بخبره، ووصف له حديثه، فقال: أو قد فعلها؟ قالوا: نعم، فداواه أبوه بكل شيء، فلم ينفع فيه شيء، وهَوَّن عليه

الأمر، فلم يهن، وسلاه، فلم يتسلَّ، فقال له أبوه: لا جَرَمَ والله لأدعنَّك تلحق بإخوتك، فبعث إليه ثيابه من المسوح فلبسها وخرج من جوف الليل فتعلق بالجبال ولحق بإخوته فتعبد معهم، وكان يقول في مناجاته: اللهم إني أسألك أمرًا ليس إليَّ، قد سبقت به المقّاديرُ، ولوددت أني لو كنت كالطير في الهواء والسمك في الماء، ولم أك شيئًا مذكورًا مخافة الحساب والعقاب.

وأنشد الإمام ابن الجوزي في «تبصرته»(١):

أتنكر أمر الموت أم أنت عارفٌ	بمنزله تفنىٰ وفيه المتالف
كأنَك قد غُيِّبت في اللحد والثرىٰ	كما لقي الموت القرونُ السوالِف
أرىٰ الموت قد أفنىٰ القرون التي مضت	فلم يبق مألوف ولم يبق آلف
كأن الفتىٰ لم يصحب الناس ليلة	إذا عُصبت يوما عليه اللفائف
وقامت عليه عصبة يدفنونه	فمستذكر يبكىٰ حزينًا وهاتف
وغيّب في لحد كريه فناؤه	ونُضِّد من لبن عليه السقائف
وما صاحب البحر القطيع مكانه	إذا هاج آذىٰ من عليه وقاصف
أحق بطول الحزن من ضيق غربة	تصدّع عنه أهله والمعارفُ

ثم قال: أين من ربح في متاجر الدنيا واكتسب؟ أين من أعطىٰ وأولىٰ ثم وَالىٰ ووهب؟ أما رحل عن قصره الذهبُ فذهب؟ أما حلّ به في الحرب المصطلم الحرب؟ أما نازله التلف وأسره العطب؟ / ١٨/ أما نابته نائبة لا تُشْبِه النُّوَب؟ أنفعه بُكاء من بكىٰ أو نَدبُ مَن

(١) التبصرة لابن الجوزي ١/ ١٧٣-١٧٤.

نَدَب؟ أما ندِم علىٰ كل ما جنىٰ وارتكب؟ أما توقنون أنَّ طالبه لكم في الطلب؟ تدبّروا قولَ ناصحكم صدقَ أو كذَب؟ ٱنتهىٰ.

واعلم أن ذكر الموت يُوَرّثُ ٱلاستشعارَ بالانزعاج عَن هذه الدار الفانية، والتوجه في كل لحظة إلىٰ الآخرة الباقيةُ ثم إن الإنسان لا ينفك عن حالتَي ضيقٍ وَسعَة ونعمة ومحنة؛ فإن كان في حال ضيق ومحنة فذكر الموت سَهّل عليه بعضُ ما هو فيه، إذ لا مصيبةَ إلا والموتُ أعظمُ منها وهو ذائقه ولا بدّ، أو في حال نعمة وسعة، فذِكر الموت يمنعه من ٱلاغترار بها والركون إليها لتحقق عدم دوامها وذهابها عنه وانصرامها.

وما أحسن قول من قال:

اذكر الموت هادم اللذات وتجهز لمصرع سوف يأتي

وقول الآخر:

اذكر الموت تجده راحة في أدّكار الموت تقصير الأمل

وَكَتَبَ عمر بن عبد العزيز إلىٰ بعض أهل بيته أما بعد: فإنَّك إن ٱستشعرت ذكر الموت في ليلك ونهارك، بغض إليك كل فانٍ وحبّب إليك كل باق[1].

وقال مجمع التيميّ: ذكرُ الموت غنى[2].

وقال أبو نعيم: كان الثوري إذا ذكر الموت لا يُنتفَع به أياما،

---

(١) الخبر في «سير أعلام النبلاء» ٥/ ١٣٨.

(٢) «حلية الأولياء» ٥/ ٩٠. وانظر ترجمته في «المعرفة والتاريخ» ٣/ ٩٥، و«صفة الصفوة» ١/ ٧٠.

فإن سُئل عن شيء قال: لا أدري[١].

وذكر القرطبي في «**تذكرته**» قال: ذكر عند النبي ﷺ رجل فأثنىٰ عليه، فقال ﷺ -: «**كيف ذِكرهُ للموت**» فلم يذكر منه[٢]. فقال: «**ما هو كما تقولون**»[٣].

ثم قال: فتفكر يا مغرور بالموت وسكراته وصعوبة كأسه ومرارته، فيا للموت من وعد ما أصدقه! ومن حاكم ما أعدله! فكفىٰ بالموت مفزعًا[٤] للقلوب، ومبكيا للعُيون، ومفرّقا للجماعات؛ وهادمًا لِلّذات؛ وقاطعًا للأُمنيات؛ فهلا تفكرت يا ابن آدم في يوم مصرعك؟! وانتقالك من موضعك! إذا نُقلت من سعة إلىٰ ضيق؛ وفارقك[٥] الصاحب والرفيق، وهجرك الأخُ والصَّديقُ؛ وأُخذْتَ من فَراشك وغطائك إلىٰ غرر[٦]، /١٩/ وغطوك من بعد لين لحافك بتراب ومدر، فيا جامعَ المالِ والمجتهد في البنيان، ليس لك من

---

(١) «حلية الأولياء» ٦/ ٣٨٧ و٧/ ٥٨، و«الجرح والتعديل» ١/ ٨٥، «سير أعلام النبلاء» ٧/ ٢٧٦.

(٢) في «التذكرة»: (ذلك عنه) ص٢٣.

(٣) رواه ابن أبي شيبة ٧/ ٧٨، والإمام أحمد في «الزهد» ١/ ١٧، وابن المبارك في «الزهد» ١/ ٩٠، وأبو نعيم في «الحلية» ٧/ ٢٩٩ بأسانيد منقطعة. ورواه ابن عدي في «الكامل» ٧/ ١٥٣ بإسناده وفيه متروك.

(٤) في هامش (أ): مفزعًا نسخة، مفرجًا نسخة. والمثبت في (ب)، و(ط): مفرجًا وفي التذكرة (مقرحاً).

(٥) في التذكرة وخانك.

(٦) في (ب): (غرز) في التذكرة (عرر) وفي مختصرها (الحضر).

مالك والله إلا الأكفان، بل هي للخراب والذهاب؛ وجسمك للتراب والمآب؛ فأين الذي جمعته من المال، فهلا أنقذك من الأهوال! كلا بل تتركه إلىٰ من لا يحمدك، وقدِمْتَ بأوزار علىٰ من لا يعذُرك.

وقد فسّر بعضُهم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القَصَص: الآية ٧٧] بالكفن. قال القُرطبي: فهو وعظٌ متصل بما تقدم من قوله تعالىٰ: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [القَصَص: الآية ٧٧] أي أُطلب فيما أعطاك الله من الدنيا الدار الآخرة، وهي الجنة، فإن حق المؤمن أن يصرف الدنيا فيما ينفعه في الآخرة، لا في الطين والمال والتجبر والبغي، فكأنه قال لا تنس أن تترك جميع مالك إلا نصيبك الذي هو الكفن.

وما أحسن قول القائل:

هي القناعة لا تبغي بها بدلا ... فيها النعيم وفيها راحة البدن

انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القطن والكفن[1]

واعلم أن مما يُعين علىٰ تذكر الموت زيارة القبور كما في حديث مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد في الدنيا، وتذكر الآخرة»**[2].

---

(١) «التذكرة» ص٢٤.

(٢) رواه مسلم (٩٧٦) (١٠٨) ولفظه: **«فزوروا القبور فإنها تذكِّر الموت»**. أما اللفظ المذكور فهو لحديث ابن مسعود عند ابن ماجه (١٥٧١) انظر ص٣٨١ ت(٢).

وعند الحاكم: «**فإن فيها عبرة**»[١]. وعنده أيضًا عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها فإنها يرق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة، ولا تقولوا: هجرًا**»[٢].

وفي «التذكرة»: عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه خرج إلىٰ المقبرة فلما أشرف عليها قال: يا أهل القبور: أخبرونا عنكم أو نخبركم، أما خبر (ما) قِبَلنَا فالمال قد قُسم، والنساء قد تزوجْن، والمساكن قد سكنها قوم غيركم، ثم قال: أمَا واللهِ لو / ٢٠/ ٱستطاعوا لقالوا لم نر زادًا خيرًا من التقوى[٣].

وقد أحسن القائل حيث قال:

يا عجبًا للناس لو فكروا ... وحاسبوا أنفسهم وأبصروا
وعبروا الدنيا إلىٰ غيرها ... فإنما الدنيا لهم معبر
لا فخر إلا فخر أهل التقىٰ ... غدًا إذا ضمّهمُ المحشرُ
ليعلمنّ النَّاس أنَّ التقى ... والبر كانا خير ما يُدْخَرُ
عجبت للإنسان في فخره ... وهو غدا في قبره يُقبر
ما بال مَن أوّله نطفة ... وجيفة آخره يفخر

---

(١) هذا اللفظ من حديث أبي سعيد عند الحاكم ١/ ٣٧٥، وهو عند أحمد ٣/ ٣٨. انظر ص٣٨١ ت(٢).

(٢) «المستدرك» ١/ ٣٧٦. انظر ص٣٨١ ت(٣).

(٣) ذكره ابن عبد البر في «التمهيد» ٢٠/ ٢٤٢ دون إسناد، وروىٰ نحوه ابن حبان في «الثقات» ٩/ ٢٣٥ بصيغة فيها تضعيف. والخبر في «التذكرة» ص٢٦. وما بين القوسين في التذكرة (من).

يصبح لا يملك تقديمَ ما يرجو ولا تأخير ما يحذر
وأصبح الأمر إلىٰ غيره في كل ما يُقضَىٰ وما يُقدر [١]

قال القرطبي: قال العلماء: ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور وخاصة إن كانت قاسية فعلىٰ أصحابها أن يعالجوها بأربعة أمور:

أحدُها: الإقلاع عما هي عليه بحضور مجالس العلم بالوعظ والتذكير والتخويف، والترغيب وأخبار الصالحين، فإن ذلك مما يلين القلوب.

الثاني: ذكر الموت، فيكثر من ذكر هادم اللذات ومفرق الجماعات، وموت البنين والبنات.

يُروىٰ أن امرأة شكتْ إلىٰ سيدتنا عائشة رضي الله عنها قساوة في قلبها فقالت لها أكثري من ذكر الموت يرق قلبك، ففعلت ذلك فَرَقّ قلبها، فجاءت تشكر عائشة[٢].

قال القرطبي عن العلماء: فذكر الموت يردعُ عن المعاصي، ويلين القلب القاسي، ويُذهبُ الفرحَ بالدُنيا ويهوّن المصائب فيها.

الثالث: مشاهدة المحتضرين؛ فإن في النظر إلىٰ الميت، ومشاهدة سكراته ونزعاته، وتأمّل صورته بعد مماته، ما يقطع عن النفوس لذاتها، ويطرُد عن القلوب مَسرَّاتها، ويمنع الجفون من النوم، والأبدان من الراحة، ويبعث علىٰ العمل /٢١/ والاجتهاد، في عبادة الكريم الجواد.

---

(١) الأبيات في «التذكرة» ص٢٦-٢٧ نسبها لأبي العتاهية.
(٢) كذا في «التذكرة» ص٢٧ ولم أقف عليه.

فروي أن الحسن البصري[١] رحمه الله، دخل علىٰ مريض يعوده، فوجده في سكرات الموت، فنظر إلىٰ كربه وشدة ما نزل به، فرجع إلىٰ أهله بغير اللّون الذي خرج به من عندهم، فقالوا له: الطعام يرحمك الله. فقال: يَا أهلاه عليكم بطعامكم، وشرابكم، فوالله لقد رأيتُ مصرعًا لا أزال أعمل له حتىٰ ألقاه.

الرابع: زيارة القبور، فإنها تبلغُ في دفع ذلك ما لا يبلغه الأوّل، والثاني، والثالث. وينبغي للإنسان، لاسيما عند ٱلاحتضار أن يحسن ظنه بالله، فقد قال ﷺ: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسِنُ الظن بالله**»[٢] متفقٌ عليه.

وأخرج الترمذيُّ، وابن ماجه، عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل علىٰ شاب وهو في الموت، فقال له: «**كيف تجدك؟**» فقال: أرجوا الله وأخاف ذنوبي. فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجوه وأمنه مما يخاف**»[٣].

---

(١) «التذكرة» ص٢٧.

(٢) رواه مسلم (٢٨٧٧)، والإمام أحمد ٣/ ٢٩٣ (٤١٢٥)، وأبو داود (٣١١٣) والطيالسي (١٨٨٨)، وابن حبان (٦٣٦-٦٣٨) من حديث جابر. أما قول المصنف رحمه الله: «متفق عليه» إنما يقصد متفق علىٰ معناه إشارة إلىٰ حديث أبي هريرة عند البخاري (٧٤٠٥) «**يقول الله تعالىٰ: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني..**» أما حديث جابر فليس عند البخاري.

(٣) رواه الترمذي (٩٨٣) وابن ماجه (٤٢٦١)، وأبو يعلىٰ (٣٣٠٣) و(٣٤١٧) وابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (١٧) وفي «حسن الظن بالله» ص٣٨، وفي =

وأخرج الحكيم الترمذي عن الحسن قال: بلغني عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«قال ربكم لا أجمع علىٰ عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين، فمن خافني في الدنيا أمنته في الآخرة، ومن أمنني[1] في الدنيا أخفته في الآخرة»**[2].

وأخرجه أبو نعيم موصولاً من حديث شداد بن أوس[3].

وقال إبراهيم النخعي: كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند الموت حتىٰ يحسن ظنه بربه[4].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: والذي لا إله غيرُه لا يُحسنُ أحد الظنَّ بالله، إلا أعطاه الله ظنه[5].

= «المرض والكفارات» ص٩٨، وأبو نعيم ٦/ ٢٩٢.قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(١) في «ط» حاشية: أي أمن مكرى، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الفاسقون. اهـ.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٥٧) من حديث الحسن مرسلاً، وهو في «نوادر الأصول» للحكيم الترمذي ٣/ ٢٤٢، ومجمع الزوائد ١٠/ ٣٠٨.

ورواه ابن حبان (٦٤٠)، والبيهقي في «الشعب» ١/ ٤٨٣ من حديث أبي هريرة رَضِي اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

قال الدارقطني في «العلل» ٨/ ٣٨: لا يصح هذا، وإنما يعرف من حديث عوف عن الحسن مرسل.

(٣) «الحلية» ١/ ٢٧٠ و٥/ ١٨٩ و٦/ ٩٨. وهو عند الطبراني في «مسند الشاميين» (٤٦٢). وقد صححه الشيخ الألباني بمجموع طرقه، انظر «الصحيحة» (٧٤٢).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (٢٧) وفي «حسن الظن بالله» ص٣٨ والبيهقي في «الشعب» ٢/ ٧-٨.

(٥) رواه ابن أبي شيبة ٧/ ١٠٨، وابن المبارك ص٣٦٦، والطبراني كما في «مجمع =

وأخرج الإمام أحمد عن واثلة، عن النبي ﷺ أنه قال [قال الله عز وجل]: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء»[(١)].

وأخرج ابن أبي الدنيا / ٢٢/ عن أبي غالب صاحب أبي أُمامة قال: كنتُ بالشام فنزلت علىٰ رجل من قيس من خيار الناس، وله ابن أخ مخالف له، يأمره وينهاه ويضربه فلا يطيعه، فمرض الفتىٰ فبعث إلىٰ عمه فأبىٰ أن يأتيه، فأتيته أنا به حتىٰ أدخلته عليه، وأقبل عليه يشتمه، ويقول: أي عدوَّ الله، ألم تفعل[كذا]؟.

قال: أرأيت أي عم لو أن الله دفعني إلىٰ والدتي ما كانت صانعة بي؟

قال: كانت والله تدخلك الجنة. قال: فوالله لله أرحم بي من والدتي.

فقُبض الفتىٰ ودفنه عمّه، فلما سوىٰ اللبن سقط منه لبنة، فوثب عمّه ليأخذها ثم تأخر، فقلت ما شأنك؟ قال: مُلِيءَ قبره نورًا وفُسح له مدّ البصر[(٢)].

= الزوائد» ١٠/١٤٨.

(١) رواه أحمد ٣/ ٤٩١ و٤/١٠٦ وابن المبارك في «الزهد» (٩٠٩)، والدارمي (٢٧٣١) وابن حبان (٦٣٣) و(٣٦٤) و(٣٦٥) و(٦٤١)، والطبراني في «الكبير» ٢٢/ ٨٧ وفي «مسند الشاميين» ٢/ ٣٨٤، والبيهقي في «الشعب» ٢/ ٦ وهو حديث صحيح. وانظر ص٤١ ت(٣) وما بين القوسين من المحقق عفا الله عنه يقتضيها السياق.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (١٩) و«حسن الظن بالله» ص٤١، والبيهقي في «الشعب» ٥/ ٤١٧.

وقال ناصر السّنّة الحافظ ابن الجوزي في «تبصرته»: كان داود عليه السلام إذا ذكر الموت والقيامة بكىٰ حتىٰ تنخلع أوصاله[1]، فإذا ذكر الرّحمة رجعت إليه نفسه.

وفي التبصرة أيضًا عن المزني أنه قال: دخلت علىٰ الشافعي في مرض موته فقلت: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحتُ من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقًا، ولسوء عملي ملاقيا، وبكأس المنيّة شاربا، وعلىٰ الله واردا، فلا أدري: أروحي تصيرُ إلىٰ الجنَّة فأهنّيها، أم إلىٰ النار فأُعزّيها؟[2].

ثم أنشأ يقول:

ولمّا قسىٰ قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلتُ رجائي نحو عفوك سلّما
تعاظمني ذنبي فلما قرنتُه ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما
وما زِلتَ ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو مِنّة وتكرما

فحسن الظنّ بالله سبحانه وتعالىٰ واجب، لاسيمّا عند الموت. فانظر: كلام الإمام الشافعي رضي الله عنه، كيف قال في حال احتضاره: تعاظمني: أي: عظم في عيني وكبر ذنبي. لأن دأب / ٢٣/ المؤمن أن يرىٰ ذنبه عظيمًا كبيرا، ويرىٰ عمله قليلاً حقيرا. فلما رأىٰ الإمام - رضي الله عنه -: أن ذنبه في عينه عظيم، وكبر ذلك

(١) في «ط» أي عظامه.
(٢) رواه البيهقي في «الزهد الكبير» ٢/ ٢٢٢، وأورده الذهبي في «السير» ١٠/ ٧٥، وليس عندهما الأبيات، وهي في «صفة الصفوة» لابن الجوزي ٢/ ١٧١ و«التبصرة» له ١/ ٢١٧. والأبيات في «ديوان الشافعي» ص٧٨.

في مرآةُ قَرَنهُ بعفو الله ورحمته، فرآه صغيرًا بالنسبة إلىٰ عفو تلك الحضرة الإلهية، ورحمة تلك العزة الصمدانية، فلذا قال: فلما قرنته - يعني ذنبي - بعفوك ربي - أي يا ربي - كان عفوك من ذنبي أعظما، بل ذنبي بالنسبة إلىٰ عفوك لا يبلغ قطرة من بحرٍ لجيٍّ. فهذا دَأبُ السلف أن يخافوا ذنوبَهم، ويرجوا رحمةَ ربّهم ومعبودِهم.

ولهذا قال ﷺ: «**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن**»[1] الحديث.

وقال ﷺ: «**لا يموتّن أحدكم إلا وهو حَسِنُ الظنّ بربه**»[2] وكان ذلك قبل موته بثلاثة أيام. فإن أشدّ الشدائد عند الموت، عدم حسن الظن بالله، وربّما أدىٰ ذلك إلىٰ القنوط من رحمة الله فيهلك، ورُبّما غاب عن حواسه فخرجَتْ رُوحُه وهو يَظنُ بالله الظنون السّيّئة.

ولخوفِ هذا قال ﷺ: «**احضروا موتاكم، ولقنوهم لا إله إلا الله، وبشروهم بالجنة، فإن الحكيم العليم من النساءِ والرِّجال يتحير عند ذلك المصرع، وإن إبليس عدوّ الله أقرب ما يكون من العبد في ذلك الموطن عند فراق الدنيا، وترك الأحبة، ولا تقنطوهم فإن الكرب شديد، والأمر عظيم، والذي نفس محمدُ بيده لمعالجة مَلَك الموت أشدُ من ألف ضربة بالسيف، وما من ميّت يموت إلا كل عِرق منه يألم علىٰ حدته**»[3].

---

(١) تقدم تخريجه ص٤٠ ت (٣). (٢) تقدم تخريجه ص٤٠ ت (٢).

(٣) حديث: «القنوا موتاكم لا إله إلا الله» رواه مسلم (٩١٦) من حديث أبي سعيد=

فانظر كيف قال ﷺ: **«وبشروهم بالجنة، ولا تقنطوهم»**. فهذا كله من شفقته ﷺ. فإن أسباب الرجاء قوية عندنا، فإنا نقول لمن خفنا عليه من غلبة الخوف:/ ٢٤/ عدّل ما عندك بالرجاء، غير أنَّه ينبغي أن تتوب وترجو القبول، ونبذرُ ونرجو الحصاد، لكن الرَّجَاء مع العصيان حماقة، كما نُقرّرهُ في آخر الكتابِ إن شاء اللهُ تعالىٰ.

وفي الصحيحين: **«سددوا وقاربوا وأبشِرْوا»**[1].

وفي صحيح مسلم: **«لا يموتَنَّ أحدُكم إلا وهو يُحسنُ بالله الظَنّ»** وتقدم[2].

قال الحافظ ابن الجوزيّ في «تبصرته»: إذا ٱشتدّ خوف المُؤمن لذنبٍ تقدم منه، فليرجُ العفوَ وليحذر القنوط، وليعلم أن مراد الحق منه التوبة والاستغفار.

وفي مُسند الإمام أحمد عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«والذي نفسي بيده، لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله، فيُغفَرُ لهم»**[3].

وفي «المسند» أيضًا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عنْ النبي ﷺ أنه قال: **«إن إبليس قال لربه عز وجل، بعزتك وجلالك، لا**

= رَضِي اللهُ عَنْهُ. وفي (٩١٧) من حديث أبي هريرة رَضِي اللهُ عَنْهُ، أما اللفظ المطَول الذي أورده المصنف الضعيفة (٢٠٨٣) المجلد (٥).

(١) رواه البخاري (٦٤٦٤) و(٦٤٦٧) ومسلم (٢٨١٨) من حديث عائشة .

(٢) رواه مسلم (٢٨٧٧) من حديث جابر انظر ص٤٠ ت(٢).

(٣) رواه أحمد ٢/ ٣٠٩ (٨٠٨٢)، ومسلم (٢٧٤٩).

أزال أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم. فقال اللهُ عز وجل: بعزتي وجلالي لا أزالُ أغفرُ لهم ما ٱستغفروني»[١].

فلا ريب أنّ حسن الظن بمن خلق فسّوىٰ، وقدّر فهدىٰ، وهو سبحانه وتعالىٰ مستغنٍ عنّا، وعن عملنا، وعن تعذيبنا، وعقابنا من أعظم ما نتقربُ به إليه، ومن أجزل ما نتوجه به عليه، وأيّ عبادة أعظم من حسن ظنّنا بربّنا، مع خوف أن يعاملنا بعدله. فالعاقل يكون بين الرّجاء والخوف، لكن يغلِّب الرّجاء عند ٱلاحتضار، ويحسن الظّنّ ثَمَّ بالكريم الغفّار، ويستحضر أنه قدم علىٰ أكرم الأكرمين، إذْ هُو الكريم الستار. ولذا لمّا قال ذلك الفتىٰ لعمّه، وهو يعنّف فيه، فواللهِ للهُ أرحمُ بي من والدتي، فلما قُبِض الفتىٰ ودفنه عمّه، ثم نظر في قبرِ الفتىٰ لإصلاح بعض شأنه، فإذا بالقبر قد مُلِئَ نُورًا مِن كَرم الله سُبحانه وتعالىٰ، وفُسح لَه مَدّ البصر.

وحكي في الأخبار أن الإمام أحمد رضي الله عنه لمَّا حضرته الوفاة قال لولده عبد الله: ألق عليّ أحاديثَ الرجاء.

واعلم أن للموت سكرات، وأن الأعضاء يُسلمّ بعَضُها علىٰ بَعض قال الله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: الآية ١٩] وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنعَام: الآية ٩٣] وقال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾ [الواقِعَة: الآية ٨٣]

---

(١) رواه أحمد ٣/٢٩ و٣/٤١، وأبو يعلىٰ (١٢٧٣) و(١٣٩٩)، والبغوي (١٢٩٣) وهو حسن بمجموع طرقه.

وقال: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦﴾ [القِيامَة: الآية ٢٦].

وفي «البخاريّ» أن رسول الله ﷺ كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء، فجعل يدخل يديه، في الماء فيمسح بهما وجهه، ويقول: «**لا إله إلا الله، إن للموت سكرات**»[١].

وفي «**تذكرة**» القرطبيّ عن أنس مرفوعًا: «**أنَّ العبدَ ليعالج كربَ الموت، وأنَّ مفاصله ليسلِّمُ بعضُها علىٰ بعضٍ، يقول: عليك السلام تفارقني وأفارقك إلىٰ يوم القيامة**» رواه إبراهيم بن هدبه[٢].

وحكىٰ المحاسبيّ في «**الرعاية**»، أن الله تعالىٰ قال لإبراهيم عليه السلام: «**يا خليلي، كيف وجدت الموت**» قال: كسفودٍ مجميّ جُعلَ في صوفٍ رطب، ثم جذب قال: أمّا إنّا قد هَوّنّا عليك». ونحوه عن موسىٰ وأنه قال: وجدتُ نفسي كالعُصفور الحيّ يقلىٰ علىٰ المقلىٰ، لا يموت فيستريح، ولا ينجو فيطير[٣].

ورُويَ عنه أنه قال: وجدتُ نفسي كشاة تُسلخُ بيد القصّاب.

---

(١) رواه البخاري (٤١٨٤) و(٦١٤٥) من حديث عائشة رَضِي اللهُ عَنْها.

(٢) «التذكرة» ص٣٦، وأورده القرطبي في «تفسيره» ١٧/ ١٣ عند قوله تعالىٰ ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: الآية ١٩]. وإبراهيم بن هدبة قال فيه أبو حاتم: كذاب. والحديث في «تنزيه الشريعة» ٢/ ٣٧٥ وهو موضوع.

(٣) انظر هذه الأخبار في «العظمة» لأبي الشيخ ٣/ ٩٣١ (٤٧٤) والزهد لابن أبي عاصم ص٧٨، و«الكامل» لابن عدي ٢/ ١٥٢ (ترجمة جعفر بن نصر) وميزان الاعتدال ٢/ ١٥٠. وكلها مقاطيع أو بواطيل.

ورُوي: أن الموت أشدُّ من الضرب بالسُّيوف، والنشر بالمناشير، والقَرْض بالمقارض.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية»، عن واثلة مرفوعًا «**والذي نفسي بيده، لمعاينة ملك الموت أشدُّ من ألف ضربة بالسّيف**»[١].

وجاء أن ملك الموت إذا تولّىٰ قَبضَ نَفسِه بعد موت الخلائق يقول: وعزتك لو علمت من سكرة الموت ما أعلم؛ ما قبضتُ نفس مؤمن. ذكره القاضي أبو بكر بن العربي. ويأتي قريبًا /٢٦/ الكلامُ علىٰ شدة الموت.

واعلم أن لملك الموت نذيرًا قال القرطبي: ورد في الخبر: أن بعضَ الأنبياء قال لملك الموت: أمالك رسولُ تقدمه بينَ يديك يكون الناسُ علىٰ حَذَر منك؟ قال: نعم، لي واللهِ رسلٌ كثيرة من الأعلال، والأمراض والهرم، وتغيّر السمع والبصر، والشيب، فإذا لم يتذكر من نزل به ذلك ولم يتُب، ناديته إذا قبضته، ألَمْ أقدّم إليك رسولاً بعد رسول، وأنا النذير الذي ليس بعدي نذير. فما من يوم تَطلعُ شمسُه، إلا وملك الموت يُنادي، يا أبناء الأربعين، هذا وقت أخذ الزاد، أذهانكم حاضرة، وأعضاؤكم قويّة شداد، يا أبناء الخمسين، قدْ دَنا الأخذ والحصاد. يا أبناء السّتّين نسيتم العقاب، وغفلتم عن ردّ

(١) «حلية الأولياء» ٥/ ١٨٦. وروي عن غير واثلة: انظر «مصنف عبد الرزاق» (٦٧٧٣)، و«بغية الباحث» (٢٥٦)، و«حلية الأولياء» ٨/ ٢٠١، و«تاريخ بغداد» ٣/ ٢٥٢. وسيأتي الكلام عليها بعد نحو عشرين صفحة. انظر ص٦٢ ت(١)

الجواب، فما لكم من نصير[1]. ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فَاطِر: الآية ٣٧] ذكرهُ ناصر السّنّة أبو الفرج بنِ الجوزيّ، في كتابه «روضة المشتاق، والطريق إلىٰ الملك الخلاّق».

وفي صحيح البخاري، **«أعذر الله إلىٰ امرئٍ أخر أجله حتىٰ بلغه ستّين سنة»**[2].

أي أعذر غاية الإعذار الذي لا إعذار بعده، أو أكبرُ الأعذار إلىٰ بني آدم، بعثه الرسل إليهم لتتم الحجة عليهم، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسرَاء: الآية ١٥] قال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فَاطِر: الآية ٣٧] فقيل المراد بالنذير: القُرآن. وقيل: الرُّسل، وقيل: الشيب، فإنه يأتي في سنّ الاكتهال، فهو علامة لمفارقة سِنّ الصِّبَىٰ الذي هو بسنّ اللهو واللعب، قال الشاعر:

رأيتُ الشيب من نُذُر المنايا   لصاحبه وحسبك من نذير
فقلت لها المشيب نذير عمري   ولستُ مُسوّدا وجهَ النذير

وقال القاضي منذر بن سعيد البلوطي:

كم تصابىٰ وقد علاك المشيبُ   وتعامىٰ عمدًا وأنت اللبيب
كيف تلهو وقد أتاك نذيرُ؟   وشباك الحِمام منك قريب
/٢٧/ يا مُقيمًا قد حان منه رحيلُ   بعد ذاك الرحيل يومٌ عصيبُ

---

(١) هذه الأخبار رواها وهب بن منبه كما في «الزهد الكبير» للبيهقي (٢٣٧) و«حلية الأولياء» ٤/ ٣٣ و٨/ ١٥٨ وهي من الإسرائيليات التي كان يرويها.
(٢) رواه البخاري (٦٤١٩) من حديث أبي هريرة رَضِي اللهُ عَنْهُ.

إن لـلـمـوت سـكـرةٌ فـارتـقـبْـهـا لا يـدوايـك إذْ أتـتْـكَ طـبـيـب
ثـم تـشـوي حـتـىٰ تـصـيرَ رهـيـنـا ثم تـأتـيك دعـوةٌ فـتـجـيـب
بـأمـور الـمـعـاد أنـت عـلـيـمٌ فـاعـمَـلَـنْ جـاهـدًا لهـا يـا أريـبُ
وتـذكـرّ يـومًـا تـحـاسـبُ فـيـه إن مَـن يـذّكـرّ المـمـات يـنـيـب
لـيـس في سـاعـةٍ مـن الـدهـر إلا لـلـمـنـايـا عـلـيك فـيـهـا رقـيـبُ
كـل يـوم تـرمـيـك مـنـهـا بـسـهـم إن يخـطـئ يـومًـا فـسـوف يـصـيـب[1]

وقال بعضهم المراد بالنذير الحُمَّىٰ، ومنه قوله عليه السلام: «**الحمّىٰ رائد الموت**».[2] قال الأزهري: معناه أن الحمىٰ رسول الموت فكأنها تُشعر بقدومه وتنذر بمجيئه، وقيل:

موت الأهل والأقارب والأصحاب والإخوان، فإن ذلك إنذار بالرحيل في كل وقت، وأوان وحين وزمان، وما أحسن قول القائل:

وأراك تـحـمـلـهـم ولـيـس تـردُهـم وكـأني بـك حُمِـلـت فـلـم تـرد

---

(١) الأبيات في «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» ١/ ٣٧٥ و٢/ ١٦٣ عدا الأخير مع آختلاف في بعض الأحرف. وقد ضبطتها من التذكرة (٣٨) ومختصرها (٤٩).

(٢) رواه البيهقي في «الشعب» ٧/ ١٦٧ (٩٨٧٠)، وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٧٣) و(٩٢).
ورواه القضاعي في «مسند الشهاب» ١/ ٦٩ (٥٨) من حديث الحسن مرسلًا.
وهو في الفردوس بمأثور الخطاب (٢٧٩٠) من حديث أنس.
وكذلك (٨١٧٦) من حديث عبد الرحمن بن أبي المرقع، وهو في مجمع الزوائد ٥/ ٩٥ وعزاه للطبراني.

وقول الآخر(١):

الموت في كل حين يَنشُرُ الكفنا ونحن في غفلة عما يُراد بنا

لا تطمئن إلىٰ الدنيا وبهجتها وإن توشَّحَتَ من أثوابها الحسَنا

أين الأحبّةُ والجيران ما فَعلوا أين الذين همُ كانوا لنا سكنا

سقاهُم الموتُ كأسا غيرَ صافية فصيرتهم لأطباق الثرىٰ رَهنا

وذكر القُرطبي: أنَّه روىٰ أنَّ مَلك الموت دخل علىٰ داودَ عليه السلام فقال: مَن أنت؟ قال: مَن لا يهاب الملوك، ولا يمتنع من القصور، ولا يقبل الرّشا. قال: فإذًا أنت ملك الموت، ولم أستعد بعد قال: يا داود أين فلانُ جارُك؟ أين فلان قريبك؟ قال: ماتا قال: أمَا كان لك في هؤلاء عبرة لتستعد(٢).

وقيل: النذير: العقل؛ لأنه يميّز بين الحسنات والسّيّئات، والقبيح والحسن.

وذكر القرطبي حكاياتٍ في الشيب منها عن بعض المترفين: أنه رفض ما كان يفتنه فسُئل /٢٨/ عن السبب فقال: كانت لي أمة، لا يزيدُني طول ٱلاستمتاع منها إلاَّ غرامًا بها، فقلَّبْتُ شَعْرَها يَومًا،

(١) الأبيات في «نفح الطيب» ونسبها لابن أبي زمنين الأندلسي (ت٣٩٩هـ) وهو مترجم في «سير أعلام النبلاء» ١٧/ ١٨٨.

(٢) هذا خبر موضوع بهذا السياق بلا ريب، فإنَّ الأنبياء صلوات الله عليهم هم أكثر الناس ٱستعدادًا للموت، والمروي في «مسند أحمد» ٢/ ٤١٩ من حديث أبي هريرة مرفوعًا أن داود عليه السلام قال لملك الموت: مرحبًا بأمر الله .. الحديث. وسيورده المصنف علىٰ الصواب.

فإذا فيه شعرتان بيضاوان، فأخبرتها، فارتاعت، وقالت: أرني فأريْتُها فقالت: جاء الحقُّ وزهقَ الباطل، ٱعلم أنّي لو لم تفترضْ عَليَّ طاعتك لما أويت إليك، فدع لي ليلي أو نهاري لأتزوَّدَ فيه، لآخرتي فقلت: لا، ولا كرامة. فَغَضِبَتْ وقالت: تحول بيني وبين ربي، قد آذنني بلقائه، اللهمَّ بدّل حبّه لي بغضًا. قال: فبتُ وما شيء أحبّ إليّ من بُعدِها عنّي، وعرضتُها للبيع، فأتاني مَن أعطاني فيها ما أريد فلما عزمتُ علىٰ البيع بكت، فقلتُ: أنتِ أردتِ هذا. فقالتْ: واللهِ ما ٱخترتُ عليكَ شيئًا من الدُّنيا، هل لك إلي ما هو خير من ثمني. قُلتُ: وما هو؟ قالتْ: تعتقني لله عزّ وجل فإنه أملك لك، وأعود عليك منك علي. فقلتُ: قد فعلتُ. فقالت: أمضىٰ الله صفقتك، وبلغّك أضعاف أملك. فتزهّدتُ وبغضت إليَّ الدنيا ونعيمها[1].

قال القرطبي: وفي الإسرائيليّات أن إبراهيمَ الخليل عليه الصلاة والسلام لمّا رجع من تقريب ولده إلىٰ ربّه عزّ وجل، رأت سارة في لحيته شعرة بيضاء، وكان - عليه السلام - أوّل من شاب فأنكرتها، وأرته إياها، فجعل يتأمَّلهُا وأعجبته، وكرهتها سارة وطالبته بإزالتها، فأبىٰ وأتاه ملك فقال: السلامُ عليك يا إبراهيم، وكان ٱسمه أبرم فزاده في ٱسمه هاء والهاء في السريانية للتفخيم، والتعظيم ففرحَ بذلك وقال: أشكر إلهي وإله كل شيء. فقال له

---

(١) «التذكرة» ص٦٤-٦٥.

الملك: إنَّ الله قد صيرك مُعظَّما في أهل السموات وأهل الأرض، وقد وسمك بسمة الوقار في اسمك، وفي خلقك، أمّا اسمك فإنك تدعىٰ في أهل السموات وأهل الأرض إبراهيم، وأمّا خَلْقك فقد أُنزل وقارًا ونورًا علىٰ شعرك. فأخبر سارة بما قال له الملك، وقال: هذا الذي كرهتيه نور ووقار. قالت: فإني كارهة له. قال: لكني أُحبّه، اللهم زدني نورًا ووقارًا، فأصبح وقد ابيضت لحيتُه كلُّها[(١)].

وفي الآثار النّبويّة: «**مَن شاب شيبة في الإسلام /٢٩/ كانت له نورًا يوم القيامة**»[(٢)]، ورُوي أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إن الله ليستحي أن يعذّب ذا شيبة**» ذكره القرطبي[(٣)].

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**قال الله: وعزتي وجلالي وفاقة خلقي إليّ إني لأستحيي من عبدي وأمتي يشيبان في الإسلام**»، ثم بكىٰ فقيل له: ما يُبكِيك يا رسول الله قال: «**أبكي ممّن يستحي اللهُ منه، وهو لا يستحي من الله**»[(٤)].

---

(١) «التذكرة» ص٦٦، وأورده في «فتح القدير» ٤/ ١٨٤ وفي إسناده متروك.

(٢) هو جزء من حديث رواه أحمد في مسنده ٤/ ٢٣٥-٢٣٦ (١٨٠٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢٢)، والترمذي (١٦٣٤)، والنسائي ٦/ ٢٧ عن كعب بن مرة السلمي والحديث صحيح لغيره.

(٣) «التذكرة» ص٦٦. ذكره في كنز العمال (١٥/ ٤٢٦٧١، ٤٢٦٨٤).

(٤) الحديث بهذا اللفظ رواه ابن حبان في «المجروحين» ٢/ ٢٦٧ وفي إسناده محمد بن عبد الله بن زياد: منكر الحديث.

وروي دون قصة البكاء: رواه ابن عدي في «الكامل» ١/ ٣٥٧ وفي =

وما أحسن قول بعض العرب في الشيب:

يا بُؤس من فقد الشباب وغُيرّت منه مفارق رأسه بخضاب
يرجو نضارة وجهه بخضابه ومصير كلّ عمارة لخراب
إنّي وجدت أجلّ كلّ مصيبةٍ فَقْدُ الشباب وفرقة الأحباب

فائدة: روىٰ أبو نعيم من حديث أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**الموتُ كفارة لكل مسلم**»[1].

قال أبو بكر ابن العربي: حديث حسن صحيح.

* * *

= إسناده أيوب بن ذكوان: منكر الحديث أيضًا ولا تصلح متابعته. وهو في «مسند أبي يعلىٰ» (٢٧٦٤) و«بغية الباحث» (١٠٨٤)، و«الزهد الكبير» ٢/ ٢٤٣.

(١) رواه القضاعي (١١٩)، وأبو نعيم في «الحلية» ٣/ ١٢١، والبيهقي في «الشعب» ٧/ ١٧١، والخطيب في «تاريخه» ١/ ٣٤٧، وابن حجر في «اللسان» ١/ ٢١١ وطرقه كلها ضعيفة. قال الحافظ: والذي يصح في ذلك حديث حفصة بنت سيرين عن أنس: «**الطاعون كفارة لكل مسلم**» أخرجه البخاري.

الفصل الثالث

في علامة خاتمة الخير، ومن دنىٰ أجله، والكلام علىٰ شدة الموت

أخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا: «**إذا أرادَ اللهُ بعبد خيرا استعمَلهُ**» قالوا: كيف يستعمله؟ قال: «**يوفقه لعمل صالح قبل الموت**»(١).

وأخرج الإمام أحمد والبزار والحاكم عن عمرو بن الحمق مرفوعًا: «**إذا أحبَّ اللهُ عبدا عسله**»، قالوا: وما عسله؟ قال: «**يوفق له عملا صالحًا بين يدي أجله، حتىٰ يُرضي جيرانه**»(٢).

وابن أبي الدنيا عن عائشة مرفوعًا، «**إذا أراد اللهُ بعبدٍ خيرا، بعثَ إليه قبل موته بعام ملكا، يسدّده ويوفقه، حتىٰ يموت علىٰ خير أحايينه فيقول الناس: ماتَ فلانٌ علىٰ خير أحايينه**»(٣) الحديث.

فائدة: قال بعض العلماء: الأشياء المقتضية لسوء الخاتمة

---

(١) رواه أحمد ٣/ ١٠٦ و١٢٠ و٢٣٠، والترمذي (٢١٤٢)، وابن حبان (٣٤١)، والحاكم ٤/ ٣٤٠، والبغوي (٤٠٩٨) وهو حديث صحيح.

(٢) صحيح، رواه أحمد ٥/ ٢٢٤، والبزار في «البحر الزخار» (٢٣١٠)، وابن حبان (٣٤٢) و(٣٤٣)، والحاكم ١/ ٣٤٠، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٨٣).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» ص٣٨٦، وإسحاق بن راهويه في «مسند عائشة» (١٥٩١) ورجاله ثقات.

والعياذ بالله تعالىٰ أربعة: التهاونُ بالصلاة، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، وإيذاء المسلمين. وزاد بعضُهم: النظر في الأحداث - يعني: الغلمان - المرد، أي: بشهوة /٣٠/ فإنّ ابن القيّم قال تبعًا لغيره: ما ٱبتُلي بمحبة المردان إلا من سقط من عَين الرحمن.

وتقدم بعض الكلام علىٰ شدة الموت ولنلحقه بتكملة:

أخرجَ الطبرانيُّ في الكبير، وأبو نعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«نفس المؤمن تخرجُ رشحًا، وإن نفس الكافر تسيلُ كما تسيل نفسُ الحمار، وإنَّ المؤمنَ ليعمل الخطيئة فَيُشَدُّ بها عليه عند الموت؛ ليكفر بها عنه وإن الكافر ليعمل الحسنة فيسهل بها عليه عند الموت ليجزي بها»**[1].

وأخرج الدينوري في «المجالسة» عن وهيب بن الورد قال: يقولُ الله تعالىٰ: **«إني لا أريد أن أخرج أحدًا من الدنيا وأنا أريد أن أرحمه، حتىٰ أوفيه بكل خطيئة كان عملها سقمًا في جسده، ومصيبة في أهله وولده، وضيقًا في معاشه، وافتقارًا في رزقه، حتىٰ أبلغ منه مثاقيل الذرّة، فإن بقي عليه شدّدت عليه عند الموت؛ حتىٰ يفضي إلي كيوم ولدته أمّه. وعزّتي لا أُخرج عبدًا من الدنيا وأنا أريد أن أعذبه، حتىٰ أوفيه بكلّ حسنةٍ عملها صحّة في جسمه، وسعة في رزقه، ورغدًا في عيشه، وأمنًا في سربه حتىٰ أبلغَ منه مثاقيل الذرّ، فإن بقي له شيء**

(١) رواه الطبراني ١٠/ ٧٩ (١٠٠١٥)، وعند أبي نعيم ٥/ ٥٩، وروىٰ الترمذي بعضه (٩٨٠). وانظر «مصنف ابن أبي شيبة» ٣/ ٤٨ وعبد الرزاق ٣/ ٥٩٥.

هوّنت عليه الموت، حتىٰ يفضي إليّ وليس له حسنة يتقي بها النار»[1].

قال في «الصحاح»: فلان آمن في سربه بالكسر أي: في نفسه.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن زيد بن أسلم قال: إذا بقي علىٰ المؤمن من درجاته شيء لم يبلغه بعمله شُدد عليه الموت، ليبلغَ بسكراته وشدائده درجته من الجنة. وإن الكافر إذا كان قد عمل معروفًا في الدنيا هون عليه الموت، ليستكمل ثواب معروفه في الدنيا ثم يصير إلىٰ النار.

وأخرج الترمذيّ وحسنه، والحاكم وصححه، وابن ماجه عن النبي ﷺ قال: «المؤمن يموت بعرق الجبين»[2].

وأخرجَ الحاكم والترمذي في نوادره عن سَلمان رضي الله عنه مرفوعًا: «ارقبوا الميت عند الموت /٣١/ ثلاثًا: إن رشحتْ جبينه، وذَرفتْ عيناه - أي: سالتَ - وانتشَر منخاره - أي: اَنتفخ - فهي رحمة الله تعالىٰ قد نزلت به. وإن غطّ غطيطَ البَكر - أيْ: تردَّد صوته بحيث لا يجد مساغًا. والبَكر من الإبل بمنزلة الفتي من الناس. المخنوق صفة للبكر - وخمد لونه، وأزبد شدقاه، فهو عذاب من الله قد حلّ به»[3].

---

(١) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» ٧/ ٢٢ بأخصر منه وعزاه محققه لابن عساكر في «تاريخ دمشق» ترجمة عبد الله بن الزبير من طريق الدينوري.

(٢) صحيح رواه أحمد ٥/ ٣٥٠ و٣٥٧ و٣٦٠، وابن ماجه (١٤٥٢)، والترمذي (٩٨٢)، والنسائي ٤/ ٥، والحاكم من حديث بُريدة رَضِي اللهُ عَنْهُ.

(٣) «نوادر الأصول» للحكيم الترمذي ١/ ٥٢٣، ورواه الرافعي في «التدوين» ١/ ٤٩٨. إسناده ضعيف.

وقال ابن مسعود: إنّ المؤمن يبقىٰ عليه خطايا يجازىٰ بها عند الموت، فيعرق لذلك جبينه[١]. وقال سفيان: كانوا يستحبون العرق للموت[٢].

ومن ثم قال علقمة لبعض أصحابه: ٱحضرني فلقّنّي لا إله إلا الله، فإن عرق جبيني فبشّرني. قال بعض العلماء: وإنما يعرق جبينه حيَاء من ربه لما ٱقترف من مخالفته؛ لأنّ ما سفل منه قد مات، وإنما بقيت منه قوة الحياة وحركاتها فيما علا، والحياء في العينين. والكافر في عمىٰ عن هذا كله. والموحد المعذب في شُغل عن هذا بالعذاب، الذي قد حلّ به.

وأخرج الإمام أحمد في «الزهد»، وابن أبي شيبة في «مسنده»، وابن أبي الدنيا عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «**تحدثوا عن بني إسرائيل فإنه كان فيهم أعاجيب**». ثم أنشأ يحدثنا قال: «**خرجت طائفة منهم فأتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا: لو صلينا ركعتين ودعونا الله يُخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت، ففعلوا فطلعَ رجل أسود اللون، بين عينيه أثر السجود، فقال: يا هؤلاء ما أردتم إليّ لقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عني حرارة الموت حتى الآن، فأدعوا الله أن يعيدني كما كنت**».

وأخرج الإمام أحمد في الزهد عن عمر بن حبيب أن رجلين من بني إسرائيل عبدا حتى سئما العبادة فقالا: لو خرجنا إلى القبور فجاورناها لعلنا أن نراجع، فجاؤوا إلى القبور، فعبدا الله فنشر لهما

---

(١) «نوادر الأصول» ١/ ٥٢٤، وعزاه السيوطي في «شرح الصدور» لسعيد بن منصور، والمروزي في «الجنائز».

(٢) «مصنف أبي شيبة» ٣/ ٤٨.

ميت فقال لهما: لقد متُّ منذ ثمانين سنة، وإني لأجد ألم الموت بعد، وقال كعب: لا يذهب / ٣٢/ عن الميت ألم الموت ما دام في قبره، وإنه لأشد ما يمر علىٰ المؤمن، وأهون ما يصيب الكافر[١]. رواه أبو نعيم.

وأخرج ابن أبي الدنيا، بسند رجاله ثقات، عن الحسن، أن رسول الله ﷺ ذكر ألم الموت وغصته، فقال: «**هو كقدر ثلاثمائة ضربةٍ بالسيف**»[٢].

وأخرج أيضًا عن الضحاك: سئل رسول الله ﷺ عن الموت، فقال: «**أَدْنَىٰ جبذات الموتِ بمنزلةِ مائة ضربةٍ بالسَّيف**»[٢].

وقال علي: والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت علىٰ فراشه[٢].

وأخرج أبو الشيخ في كتاب «العظمة» عن الفضيل بن عياض أنه قيل له: ما بال الميت تنزع نفسه، وهو ساكت، وابن آدم يضطرب من القرصة؟ قال: إن الملائكة توثقه[٣].

وأخرج المروزي في «الجنائز» وابن أبي الدنيا عن ميسرة مرفوعًا «**لو أن قطرة من ألم الموت وضعت علىٰ أهل السماء والأرض لماتوا جميعًا. وإن في القيامة لساعة تضاعف عن شدة الموت سبعين ضعفًا**»[٢].

وأخرج ابن أبي الدنيا في التاريخ عن أنس مرفوعًا: «**لمعالجة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف**»[٤]، وأخرج أيضًا أن

(١) «حلية الأولياء» ٦/ ٤٤.
(٢) ذكر الموت (٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣).
(٣) رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة ص٤٣٦ ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» ٨/ ١١١، وفيه راو مجهول.
(٤) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» ٣/ ٢٥٢ ومن طريقه ابن الجوزي في =

عمرو بن العاص رضي اللهُ عنه قال له ابنه لما ٱحتضر: يا أبت إنك كنت تقول ليتني ألقىٰ رجلاً عاقلاً عند الموت حتىٰ يصف لي ما يجد /٣٣/ وأنت ذَلِكَ الرجل فصف لي الموت، قال: يا بني والله لكأني أتنفس من سم إبرة وكأن غصن شوك يجر من قدمي.

وقال في «العاقبة»: كان عمرو بن العاص رضي اللهُ عنه يقول: لوددت أني لو رأيتُ رجلاً لبيبًا حازمًا قد نزل به الموت فيخبرني عن الموت، فلما نزل به الموت، قيل له: يا أبا عبد الله، كنت تقول أيام حياتك: وددت أني رأيت رجلاً لبيباً حازماً قد نزل به الموت، فيخبرني عن الموت، وأنت ذَلِكَ الرجل اللبيب الحازم وقد نزل بك الموت فأخبرنا عنه فقال: أجد كأنّ السموات قد أطبقت علىٰ الأرض وأنا بينهما، وكأن نفسي تخرج علىٰ ثقب إبرةٍ، وكأنَ غُصْن شوك يجذب به من هامتي إلىٰ قدمي، ثم قال متمثلاً بقول أمية بن أبي الصلت:

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي   في رؤوس الجبال أرعىٰ الوعولا[1]

وأخرج الحاكم في «المستدرك»، وابن سعد عن عوانة بن الحكم أنّ عمرو بن العاص كان يقول: عجبًا لمن نَزَل به الموتُ وعقله معه، كيف لا يصفه، فلما نزل به قال له ابنه عبد الله يا أبت:

= الموضوعات ٣/ ٢٢٠، وأورده السيوطي في اللآلي ٢/ ٤١٦. قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ وإنما يروىٰ عن الحسن. وقال الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٧٧٤): ضعيف جدًا انظر ص٦٢ ت(١).

(١) العاقبة (١١٣) خبر أمية بن الصلت في الأغاني ٤/ ١٣٥، و«طبقات فحول الشعراء» ١/ ٢٦٦-٢٦٧.

إنك كنت تقول عجبًا لمن نزل به الموت، وعقله معه كيف لا يصفه، فصف لنا الموت. قال: يا بُني الموتُ أجلُّ من أن يُوصف، ولكن سأصفُ لك منه شيئًا أجدني كأنّ على عُنقي جبال رَضوىٰ، وأجدني كأن في جوفي شوك السلاء، وأجدُني كأنَّ نفَسي يخرج من ثقب إبرة[1].

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا وأبو نعيم، عن ابن أبي مُليكة أنّ عمرَ رضي الله عنه قال لكعب: أخبرني عن الموت قال: يا أمير المؤمنين: هو مثل شجرة كثيرة الشوك في جوف ابن آدم، فليس منه عِرق ولا مِفصل إلا فيه شوكةٍ ورَجُلٌ شديد الذراعين فهو يعالجها وينزعها[2].

وأخرج ابن أبي الدنيا عن وهب بن منبّه قال: الموت أشد من ضربِ السيف، ونَشْر بالمناشير، وغَلْيٍ في القدور، ولو أنّ أَلَمَ عِرقٍ من عروق الميت قُسّم علىٰ أهل الأرض لوسعهم أَلَمًا ثمّ هو أوّل شِدّة يلقاها الكافر، وآخر شِدّة يلقاها المؤمن.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية»، عن واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ قال: «**أحضروا موتاكم ولقّنوهم لا إله إلا الله وبشروهم بالجنّة، فإن الحليم من الرجال والنساء يتحيّر عند ذلك المصرع، وإنَّ الشيطانَ أقرب ما يكون من ابن آدم عند ذلك المصرع، والذي نفسي بيده لمعاينة ملك الموت أشد /٣٤/ من ألف ضربة بالسيف، والذي نفسي بيده لا تخرجُ**

---

(١) الطبقات ٤/ ٢٦٠، والمستدرك ٣/ ٥١٤. وفي إسناده ضعف.

(٢) «حلية الأولياء» ٦/ ٤٤. وفي إسناده ضعف.

نفس عبد مؤمن من الدنيا، حتىٰ يتألّم كل عِرق منه علىٰ حياله »(١).

وقال ﷺ: «اللهم إنك تأخذ الرّوح من بين العصب والقصب والأنامل، اللهم فأعنّي علىٰ الموت وهوّنه عليّ» رواه ابن أبي الدنيا.

وأخرج الحارث بنُ أبي أسامة، بسند جيد عن عطاء بن يسار مرفوعًا: «معالجة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف، وما من مؤمن يموت، إلا وّكُلّ عِرق يألَمُ منه علىٰ حدة، وأقرب ما يكون عدوّ الله - يعني: الشيطان - منه تلك الساعة»(٢).

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله عنه قال: لم يلق ابن آدم شيئا قط، منذ خلقه الله أشد من الموت عليه(٣).

وأخرج الإمامُ أحمد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: آخر شدة يلقاها المؤمن الموت(٤).

وقال عمر بن عبد العزيز: ما أحبُّ أن يهوَّن علي سكرات الموت؛ لأنه آخر ما يؤجر به المسلم(٥).

---

(١) «حلية الأولياء» ٥/ ١٨٦. وضعفه الألباني أنظر «الضعيفة» (١٤٤٨) مضى في ص٤٨ ت(١).

(٢) «بغية الباحث» (٢٥٦)، و«الحلية» ٨/ ٢٠١، «تاريخ بغداد» ٣/ ٢٥٢ وهو مرسل، وإسناده ضعيف جدًا.

وروىٰ أوله من حديث أنس: الخطيب ٣/ ٢٥٢ وابن الجوزي في «الموضوعات» (١٧٤٥) وإسناده هالك.

(٣) رواه أحمد ٣/ ١٥٤ (١٢٥٦٦) والطبراني في «الأوسط» (١٩٩٧) وإسناده ضعيف.

(٤) رواه أحمد ١/ ٢٢٣، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٢٢٨).

(٥) «حلية الأولياء» ٥/ ٣١٧.

وقال رجل لكعب: ما الداء الذي لا دواء له؟ قال: الموت. قال زيد بن أسلم: دواه رضوان الله.

وقال الحسن: أشد ما يكون من الموت على العبد إذا بلغت الروح التراقي، فعند ذلك يضطربُ وتغلو نفسه.

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن محمد بن كعب القرظيِّ قال: بلغني أن آخر من يموت ملك الموت، يقال له يا ملك الموت مت، فيصرخ عند ذلك صرخة لو سمعها أهل السموات والأرض لماتوا فزعًا، ثم يموت.

وأخرجَ زيادُ النُميري قال قرأتُ في بعض الكتب، أن الموتَ أشدُّ علىٰ ملك الموت منه علىٰ جميع الخلق.

وقد قال ﷺ: **«ليس أحدٌ أشدَّ بلاءً من الأنبياء كما يشدد علينا البلاء كذلك يضاعف لنا الأجر»**[1] وقال في مرض موته: **«اللهم أعني علىٰ سكرات الموت»**[2].

فإن قلت: ما وجه تشديد البلاء علىٰ الأكابر من الأنبياء والصالحين، فهل له من حكمة؟

قلتُ: نعم بل له حِكم فقد قال الإمام ابن عقيل: كأن له

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥١٠)، وابن ماجه (٤٠٢٤)، والحاكم ١/ ٩٩ و٤/ ٣٤٢ من حديث أبي سعيد الخدري رَضِي اللهُ عَنْهُ بإسناد حسن. ورواه عبد الرزاق (٢٠٦٢٦) وأحمد ٣/ ٩٤ (١١٨٩٣) من وجه آخر.

(٢) رواه البخاري (٦٥١٠) من حديث عائشة رَضِي اللهُ عَنْهَا.

سبحانه وتعالىٰ /٣٥/ فيهم جواهرَ مودعة، أحبّ أن يظهرها ويجعلهم حججًا علىٰ المتخلفين عنه، صبرًا علىٰ بلائه، ورضًا بقضائه.

وقال القرطبي: لتشديد الموت علىٰ الأنبياء فائدتان[١]:

إحداهما، تكميل فضائلهم ورفع درجاتهم، وليس ذلك نقصًا ولا عذابًا، بل هو كما جاء «**إنّ أشدّ الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل**».

والثانية: أنْ يعرف الخلق مقدار ألم الموت وأنه باطن، وقد يطلع الإنسان علىٰ بعض الموتىٰ، فلا يرىٰ عليه حركة ولا قلقًا ويرىٰ سُهولة خروج روحه، فيظنُ سهولة أمر الموت ولا يعرف ما الميت فيه، فلما ذكر الأنبياء الصّادقون في خبرهم شدة ألمه مع كرامتهم علىٰ الله، قَطَعَ الخلقُ بشدة الموت، الذي يقاسيه الميت مطلقًا بإخبار الصادقين عنه ما عدا الشهداء، أي لما أخرج الطبراني عن أبي قتادة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**الشهيد لا يجد ألم القتل، إلا كما يجد أحدكم القرصة**»[٢]. وأخرج النسائي مثله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[٣].

---

(١) «التذكرة» ص٤١.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٨٠). وفيه رشدين بن سعد وهو ضعيف. المعجم الكبير (٩/ ١٦٤) الترمذي (٤/ ١٩٠).

(٣) رواه أحمد ٢/ ٢٩٧، والنسائي ٦/ ٣٦، والترمذي (١٦٦٨)، وابن ماجه (٢٨٠٢)، وابن حبان (٤٦٥٥) وإسناده حسن.

فائدتان: الأولىٰ: ذكر جماعة من العلماء أن السّواك يسهّل خروج الرّوح، واستدلوا بحديث عائشة رضي الله عنها في الصحيحين في قصّة سواكه ﷺ عند موته[(١)].

الثانية: أخرج ابن أبي حاتم[(٢)] عن قتادة في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [المُلك: الآية ٢] خلق الموت في صورة كبش لا يمرّ علىٰ أحدٍ إلا مات، وخلق الحياة في صورة فرس لا تمر علىٰ شيء إلا أُحيي.

وأخرج أبو الشيخ في كتاب «العظمة»، عن وهب بن منبه قال: خلق الله الموت كبشًا أملحًا مستترًا بسواد وبياض، له أربعة أجنحة، جناح تحت العرش، وجناح في الثرىٰ، وجناح في المشرق، وجناح في المغرب، قال له كن فكان، ثم قال له أبرز فبرز الموت عزرائيل[(٣)].

وبهذه الآثار عُرف أن الموت جسم خلق في صورة كبش، لا عرض.

ويؤيده ما ورد في حديث الصحيحين: «**يُجاءُ بالموت يوم القيامة في صورة كبشٍ أملح، فيوقف بين الجنة والنار، ثمّ يُقال: /٣٦/ هل**

(١) كما في حديث عائشة رَضِي اللهُ عَنْهُا عند البخاري (٨٩٠).
(٢) «التفسير» ١٠/ ٣٣٦٣.
(٣) «العظمة» ٣/ ٩٠٠.

تعرفون ما هذا؟ فيقولون: نعم، وكلّ قَدْ رآه، هذا الموت. فيذبح». زاد أبو يعلىٰ: «**كما تذبح الشاة**»[١].

ولا شكّ أن ألم الموت شديد، والحرص منه لا يفيد، فيا من غَفَل عنَ هذا الخطْبِ العظيم، والداء الجسيم. أنتبه قبل أن يحلّ بك الحِمام، وتذوقَ طعم الآلام. فلا ينفع ثمّ عُذر ولا نّدامةَ، سوىٰ التقوىٰ والاستقامة، فما بالك تطلب الدنيا طلب من لا يموت، وتجهد نفسك في جمعها، مع أنّ حظك من ذلك القوت، أنتبه يا مسكين لذلك الوقت المحتوم، واعبد مولاك الجوَاد الحيّ القيّوم، فإنَّ الدنيا لا تدوم، والندمُ علىٰ ذي الفعل المذموم. وما أحسن قول القائل:

أذكـرُ الـمـوتَ ولا أرهـبـهُ إنّ قـلـبي لـغـليظ كـالحـجـر
أطـلـب الـدّنـيـا كـأنّـي خـالـد ووَرائي المـوت يـقـفـو بـالأثـر
وكفىٰ بـالـموت فـاعلم واعظا لمـن المـوت عـليه قـد قـدَر
والـمـنـايـا حـولـه تـرصُـده ليس يـنـجي المرءُ مـنـهـنّ مَـفـر

فمثل لنفسك يا مغرور قد حلّت بك السّكرات، ونزل بك الأنين والغمرات، فمِن قائل: إنّ فلانا قدْ أوصىٰ. وماله قد أُحصي. ومن قائل يقول: إنّ فلانا ثقل لسانه، فلا يعقل يعرف جيرانه، ولا يكلم إخوانه. وكأنّي أنظر إليك تسمع الخطاب، ولا تحسن ردّ

(١) رواه البخاري (٤٧٦٠) ومسلم (٢٨٤٩) وأبو يعلىٰ (١١٧٥) من حديث أبي سعيد رَضِي اللهُ عَنْهُ.

الجواب، ثم تبكي ابنتك كالأسيرة، وتتضرّع وتقول من ليتمي بعدك يا حسن السّيرة، وأنت تسمع ذلك، ولا تردّ جوابا فمالك. وأنشدوا:

فأقبلت الصُّغرىٰ تمرّغ خدّها — علىٰ وَجنتي حينا وحينا علىٰ صدري
وتخمش خدّيها وتبكي بحرقة — تنادي أبي إني غُلبتُ عن الصبر
أجبني أبي مَن لليتامىٰ تركتهم — كأفراخ زغب في بعيد من الوكري

* * *

الفصل الرابع

فيما يقول الإنسان في مَرض الموت وما يقرأ عنده. وما يقال إذا ٱحتضر وتوابع ذلك

قال ﷺ: «ما من ميت يُقرأ علىٰ رأسه يس إلاّ هوّن الله عليه» رواه ابن أبي الدنيا /٣٧/ والديلمي عن أبي الدّرداء[١].

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم وابن حبان أن النبي ﷺ قال: «اقرءوا علىٰ موتاكم سورة يس» قال ابن حبان: أراد به من حضره الموت[٢].

وأخرج المروزي عن جابر بن زيد قال: كان يُستحب إذا حَضر الميت أن يُقرأ عليه سورة الرعد؛ فإن ذلك يخفف عن الميت، وإنه أهون لقبضه وأيسر لشأنه[٣].

وكان يُقال قبل أن يَموت الميت بساعة في حياة رسول الله

(١) رواه الديلمي (٦٠٩٩)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» ١/ ١٨٨، وابن أبي عمر في «مسنده» (مطالب ٧٨٢) وإسناده ضعيف ومنقطع.

(٢) رواه أحمد ٥/ ٢٦ و٢٧، وأبو داود (٣١٢١)، وابن ماجه (١٤٤٨)، وابن حبان (٣٠٠٢)، والحاكم ١/ ٥٦٥ من حديث معقل بن يسار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفي إسناده مجهول.

(٣) رواه ابن أبي شيبة ٢/ ٤٤٥، وعزاه الحافظ في «التلخيص الحبير» ٢/ ١٠٤ لأبي بكر المروزي في الجنائز، وعزاه في «سبل السلام» لأبي الشيخ في فضائل القرآن.

ﷺ اللهمَّ ٱغفر لفلان بن فلان، وبرِّد عليه مضجعه، ووسع عليه في قبره، وأعطه الراحة بعد الموت، وألحقه بنبيه، وتولّ نفسه وصعّد روحه في أرواح الصالحين، واجمع بيننا وبينه، في دار تبقىٰ فيها الصُحبة، ويذهب عنا فيها الغضب واللغوب، ويصلىٰ علىٰ رسول الله ﷺ ويكرّر ذلك، حتىٰ يقبض.

وأخرج عن الشعبي: كانت الأنصار يقرؤن عند الميت سورة البقرة[١].

وقال ﷺ: **«لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»** أخرجه مُسلم[٢]. قال ابن حبان وغيره: أراد من حضره الموت.

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والحاكم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»**[٣].

وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن المحاربي قال: حَضَرتْ رجلاً الوفاة فقيل له: قل: لا إله إلا الله. فقال: لا أقدر، كنت أصحب قومًا يأمرونني أن أشتم أبا بكر وعمر.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة ٢/ ٤٤٥. وإسناده إلىٰ الشعبي صحيح.

(٢) رواه مسلم (٩١٦) وابن حبان (٣٠٠٣) من حديث أبي سعيد. وحسنه الألباني في الإرواء (٦٨٧).

(٣) رواه أحمد ٥/ ٢٣٣ و٢٣٧، وأبو داود (٣١١٦)، والحاكم ١/ ٥٠٣ والطبراني ٢٠/ ١١٢.

وأخرج أبو يعلىٰ والحاكم بسند صحيح عن طلحة وعمر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنّي أعلم كلمة لا يقولها رجل يحضره الموت، إلاّ وَجدَتْ رُوحه لها راحة حتىٰ تخرج من جسده، وكانت له نورًا يوم القيامة»**[(١)]، وفي رواية **«إلا نفسَّ الله عنه، وأشرق لونه، ورأىٰ ما يَسُرّه -لا إله إلا الله-»**.

وأخرج الطبراني في **«الأوسط»** عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما مرفوعًا: /٣٨/ **«مَن قال عند موته: لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، لا تطعمُهُ النارُ أبدا»**[(٢)].

وأخرج الحاكم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«هل أدلكم علىٰ اَسم الله الأعظم دعاء يونس لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فأيما مسلم دعا بِها في مرضه أربعين مرّة فمات في مرضه ذلك أعطىٰ أجر شهيد وانبرىٰ مغفورًا له»**[(٣)].

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب «المرض والكفارات» وابن منيع في «مسنده» عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: **«ألا أخبركم بأمر حق، من تكلم به في أوّل مضجعه من مرضه نجاه الله من النار؟»**

---

(١) رواه أحمد ١/ ٢٨ (١٨٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» ٦/ ٢٦٩، وأبو يعلىٰ (٦٤٠) و(٦٤١)، والحاكم ١/ ٣٥٠.

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (٢٩٥٨) وفي «الصغير» ١/ ١٥٢، ورواه أيضًا الترمذي (٣٤٣٠) مطولاً. وقال الحافظ في «التلخيص» ٢/ ١٣: فيه جابر بن يحيىٰ الحضرمي.

(٣) الحاكم ١/ ٥٠٦.

قُلْتُ: بلىٰ. قال: «**لا إله إلا الله يحيىٰ ويميت، وهو حيّ لا يموت، وسبحان الله رب العباد والبلاد، والحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، فيه علىٰ كل حال، الله أكبر كبرياء ربّنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم إن كنتَ أمرضْتني لتقبض روحي في مرضي هذا، فاجعل روحي في أرواح من سبقت له منك الحسنىٰ، وأعذني من النار كما أعذت أولياءك الذين سبقت لهم منك الحسنىٰ، فإِنْ مت في مرضك ذلك فإلىٰ رضوان الله تعالىٰ، والجنة وإن كنت قد ٱقترفت ذنوبًا تاب الله عليك**»(١).

وأخرج ابن عساكر عن الإمام عليّ رضي الله عنه، سمعت من رسول الله ﷺ: «**كلمات من قالهن عند وفاته دخل الجنة، لا إله إلا الله الحليم الكريم ثلاث مرات الحمد لله ربّ العالمين، ثلاث مرّات، تبارك الذي بيده الملك، يحيىٰ ويميت، وهو علىٰ كلّ شيء قدير**»(٢).

والمروزي قالت أم سلمة: إذا رأيته ٱحتضر فقل السلام علىٰ المرسلين والحمد لله ربّ العالمين.

أخرج البزّار والطبراني في «**الأوسط**» عن أبي بكرة قال: دخل رسول الله ﷺ علىٰ أبي سلمة وهو في الموت، فلمّا شقّ بصره مدّ رسول الله ﷺ يده فأغمضه فلما أغمضه صاح أهل البيت فسكتّهم رسول الله ﷺ وقال: «**إن / ٣٩/ النفس إذا خرجت يتبعها البصر،**

---

(١) «المرض والكفارات» (١٥٦).

(٢) تاريخ دمشق (٦٤/ ٣٢٥) ضعيف الجامع (٤٢٦٤).

وإن الملائكة تحضر الميت فتؤمن علىٰ دعائكم لأهل الميت». ثم قال ﷺ: «اللهم ارفع درجة أبي سلمة في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يوم الدين»(١). وقال ﷺ: «إذا حضرتم الميت فأغمضوا البصر، فإن البصر يتبع الروح، وقولوا خيرًا، فإن الملائكة تؤمن علىٰ دعاء أهل الميت» رواه الحاكم(٢).

وقال ابن عباس لمجاهد: لا تنامنَّ إلا علىٰ وضوءٍ، فإن الأرواح تُبعث علىٰ ما قُبضت عليه(٣).

وقال ﷺ: «من أتاه ملك الموت وهو علىٰ (طهارة)(٤) وضوءٍ أُعطي الشهادة»(٥).

وأخرج المروزي عن بكر بن عبد الله المزني قال: إذا أغمضتَ

---

(١) أخرجه البزار ٩/ ١٢١ (٣٦٦٩)، والطبراني في «الأوسط» (٨٤١١) من طريق محمد بن أبي النوار وهو مجهول كما ذكر الهيثمي في «المجمع» ٢/ ٣٣٠.

(٢) رواه أحمد ٤/ ٢٥ (١٧١٣٦)، وابن ماجه (١٤٥٥)، وابن حبان في «المجروحين» ٢/ ٢١٦ والبزار في «البحر الزخار» (٣٤٧٨)، والطبراني في «الكبير» ٧/ (٧١٦٨) وفي «الأوسط» (١٠١٥) و(٥٩٧٥)، وابن عدي في «الكامل» ٢/ ٢٧١، والحاكم ١/ ٣٥٢، وإسناده ضعيف، ويشهد له حديث أم سلمة عند «مسلم» (٩٢٠).

(٣) رواه عبد الرزاق (١٩٨٤٤) ومن طريقه البيهقي في «الشعب» ٤/ ١٧٥ (٤٧١٦) وأبو نعيم في «الحلية» ٣/ ٢٩٥.

(٤) ليست في (ب) ولا (ط) والمثبت من (أ).

(٥) رواه أبو يعلىٰ (٣٦٢٤) ضمن حديث طويل، والطبراني في «الصغير» ٢/ ٣٢، وفي «الأوسط» (٥٩٩١) وإسناده ضعيف، سيأتي في ص٣٣٦ ت(٤).

ميتا فقُل: بسم الله وعلىٰ ملة رسول الله. زاد في «التذكرة»: وسبِّح[(١)].

* * *

(١) رواه ابن أبي شيبة ٢/ ٤٤٨، وليس فيه: (وسبح). وروىٰ مرفوعًا من حديث ابن عمر رَضِي اللهُ عَنْهُما: «**إذا وضعتم موتاكم في القبر فقولوا: بسم الله وعلىٰ ملة رَسول الله ﷺ**». أخرجه أحمد ٢/ ٢٧ و٤٠ و٥٩ و٦٩ و١٢٧، وأبو داود (٣٢١٣)، وأبو يعلىٰ (٥٧٥٥) وابن حبان (٣١٠٩) و(٣١١٠) وهو صحيح.

الفصل الخامس
فيما جاء في ملك الموت وأعوانه

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السَّجدَة: الآية ١١] وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعَام: الآية ٦١] [١].

أخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعَام: الآية ٦١] قال: أعوان ملك الموت من الملائكة. زاد إبراهيم النخعيُّ فيما رواه أبو الشيخ: ثم يقبضهما ملك الموت[٢].

وأخرج أبو الشيخ وابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما أراد الله أن يخلق آدم بعث ملكًا من حملة العرش، يأتي بتراب من الأرض، فلما أهوى[٣] ليأخذ قالت الأرض: أسألك بالذي أرسلك لا تأخذ منِّي اليوم شيئًا يكون منه للنار نصيب غدًا. فتركها، فلما رجع إلىٰ ربه قال: ما منعك أن (تأتيني)[٤] بما أمرتُك

(١) جلّ هذا الفصل منقول من كتاب السيوطي «شرح الصدور بشرح حال الموتىٰ والقبور» ص٧٥-٨٨. باب ما جاء في ملك الموت وأعوانه وفصل قطع الآجال كل سنة ص٨٩-٩٠ بتصرف يسير من المصنف كاختصار الكلام في بعض المواضع أو عدم ذِكر بعض الأسانيد التي ينقلها السيوطي.

(٢) رواه ابن أبي شيبة ١٣/ ٣٧٢ والطبري في تفسيره ١١/ ٤١١.

(٣) في (ب)، (ط): (هوىٰ).

(٤) في (ب)، و(ط): (تأتي).

قال: سألتني بك فعظمتُ أن أردّ شيئًا سألتني بك. فأرسل آخر فقال مثل ذلك، حتىٰ أرسلهم كلهم. فأرسل ملك الموت فقالت له مثل ذلك، فقال: إن الذي أرسلني أحقُّ بالطاعة منك، فأخذ من وجه الأرض كلها، من طيبها وخبيثها، فجاء به إلىٰ ربِّه فصبَّ عليه من ماء الجنة /٤٠/ فصار حمأً مسنونا فخُلقَ منه آدم عليه السلام. زاد ابن عساكر عن يحيىٰ بن خالد فسمّاه ملك الموت، ووكّله بالموت[1].

وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن سابط قال: يدبر أمرَ الدّنيا أربعة: جبريلُ وميكائيل وإسرافيل وملكُ الموت، فأمّا جبريلُ، فصاحب الجنود والريح، وأما ميكائيل فصاحب القطر والنبات، وأمّا ملك الموت فموكل بقبض الأنفس وأمّا إسرافيل فيتنزل بالأمر عليهم بما يُؤمرون[2].

وأخرج أبو الشيخ في «العظمة» عن الرّبيع بن أنس، أنَه سُئِل عن ملك الموت، هل هو الذي وحده يقبض الأرواح قال: هُو الذي يَلي أمرَ الأرواح، وله أعوان علىٰ ذلك، غير أنَّ ملك الموت هو الرئيس، وكل خطوة منه من المشرق إلىٰ المغرب. قلتُ: أين تكون أرواح المؤمنين؟ قال: عند السدرة[3].

---

(١) رواه محمد بن عبد الواحد الأصبهاني في مجلس في رؤية الله تبارك وتعالىٰ (٦٦٢). ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (١٠٤٧) بإسناد معضل.

(٢) رواه ابن أبي شيبة ٧/ ١٧٠ والبيهقي في «الشعب» (١٥٨). وإسناده إلىٰ ابن سابط صحيح.

(٣) العظمة (٤٣٣)، وأخرجه الطبري في «التفسير» ٧/ ٢١٧، وإسناده ضعيف.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾ [النَّازِعَات: الآية ٥] ملائكة يكونون مع ملك الموت يحضرون الموتىٰ عند قبض أرواحهم، فمنهم من يعرج بالروح، ومنهم من يُؤمّن علىٰ الدعاء ومنهم من يستغفر للميت حتىٰ يصلى، عليه ويدلى في حفرته[1].

وقال عكرمة في قوله تعالىٰ: ﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ۝٢٧﴾ [القِيَامَة: الآية ٢٧] أعوان ملك الموت يقول بعضهم لبعض: مَنْ يرقىٰ بروحه من أسفل قدمه إلىٰ موضع خروج نفسه.

وأخْرَجَ الطبرانيُّ في «الكبير» وأبو نعيم وابن منده عن الحارث بن الخزرج، عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول - ونظر[2] إلىٰ ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار، فقال -: «**يا ملك الموت، أرفق بصاحبي فإنَّه مؤمنٌ**»، فقال ملكُ الموت: طب نفسًا، وقر عيْنا، واعلم أني بكل مؤمن رفيق، واعلم يا محمد أني لأقبض روح ابن آدم، فإذا صرخ صارخ من أهل بيته قمت في الدار ومعي روحه، فقلت ما هذا الصّارخ، والله ما ظلمناه ولا سبقنا أجله، ولا ٱستعجلنا قدره، وما لنا في قبضه من ذنب، فإن ترضوا بما صنع الله تؤجروا وإن تسخطوا تَأثموا وتؤزروا، وإن لنا عندكم عودة بعد /٤١/ عودة فالحذر الحذر، وما مِنْ أهل بيت شعر ولا مدر برٍّ ولا فاجر، ولا جبل إلا أنا أتصفحهم في كل يومٍ وليلة، أنا أعرف بصغيرهم وكبيرهم

---

(١) ذكره في «الدر المنثور» في تفسير آية النازعات (٥).

(٢) كذا في (أ) وفي (ب)، و(ط): (وانظر).

منهم بأنفسهم والله لوْ أردتُ أنْ أقبضَ روح بعوضَة ما قدرت علىٰ ذلك، حتىٰ يكون الله هو يأذن بقبضها[(١)].

قال جعفر بن محمد: بلغني أنّه إنما يتصفحهم عند مواقيت الصلاة، فإذا نَظَرَهُ عند الموت فإن كان يحافظ علىٰ الصلاة، دنا منه ملكُ الموت وطرد عنه الشيطان، ويلقنه الملك لا إله إلا الله محمد رسول الله، في ذلك الحال العظيم.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن الحسن: ما من يوم إلا وملكُ الموت يتصفح في كل بيتٍ ثلاثَ مرات، فمنْ وجده منهم قد ٱستوفىٰ رزقه وانقضىٰ أجله، قبض روحه. وإذا قبض روحه أقبل أهله برنّة وبكاء، فأخذ ملك الموت بعضادَتي الباب، فيقول ما لي إليكم من ذنب، وإني لمأمورٌ والله ما أكلت له رزقًا، ولا أفنيت له عُمرا، ولا ٱنتقصت له أجلا، وإنّ لي فيكم لعودة ثم عودة حتىٰ لا أبقي منكم أحدا[(٢)].

قال الحسن: والله لو رأوا مقامه، وسمعوا كلامه، لذهلوا عن ميتهم ولبكوا علىٰ أنفسهم.

وأخرجَ ابن أبي الدُنيا، عن عبيد بن عمير قال: بينما إبراهيم

---

(١) ضعيف جدًا، رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٢٥٤)، والبزار (٧٨٤) - «كشف الأستار»، والطبراني في «الكبير» (٤١٨٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤٧٧)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١٧٤٧) وفي إسناده عمرو بن شمر، وهو متروك.

(٢) موضوع. رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤٤٣) وفي إسناده الحسن بن دينار، متروك ومتهم بالكذب.

عليه السلام يَوْمًا في داره إذْ دخلَ عليه رجلٌ حسن الشارة - بالشين المعجمة والرَاء المخفّفة: أي الهيئة. فقال يا عبد الله: من أدخلك داري؟ قال: أدخلنيها ربّها قال: ربّها أحقّ بها، فمن أنت؟ قال: ملك الموت قال: لقد نُعتَ لي منك أشياء ما أراها فيك، قال: أدبر فأدبر، فإذا عيون مقبلة وإذا عيون مدبرة، وإذا كلّ شعرة منه كأنها إنسان قائم، فتعوّذ إبراهيم عليه السلام من ذلك وقال: عُد إلىٰ الصّورة الأولىٰ. قال: يا إبراهيم، إنَّ الله إذا بعثني إلىٰ من يحبّ لقاءه، بعثني في الصورة التي رأيت أوّلا.

وأخرج نحوَه[1] الإمام ابن الإمام عبد الله، في زوائد «الزهد» وابن أبي الدنيا عن كعب غير أنهما قالا: قال إبراهيم إن كنت صادقًا فأرني منك آية أعرف أنك ملك الموت. قال له ملك الموت أعرض /٤٢/ بوجهك فأعرَضَ ثُمَّ نظر فأراهُ الصَّورة التي يقبض المؤمنين قال: فرأىٰ من النَّور والبهاء شيئًا لا يعلمه إلا الله، ثم قال: أعرض بوجهك فأعرض، ثمَّ نَظَر فأراهُ الصورة التي يُقبَضُ فيها الكُفّارُ والفجّار، فرعب إبراهيم رُعبا، حتىٰ ٱرتَعدتْ فرائصه، وألصقَ بطنهُ بالأرض، وكادت نفسه تخرج.

وفي «**شرح الصُدور في أحوال الموتىٰ والقبور**» للسيوطي[2]،

---

(١) أخرجه أبو الشيخ (٤٤٩) وأبو نعيم ٥/ ٣٧٥ بأطول منه من قول كعب.

(٢) شرح الصدور ص٧٩. وروىٰ نحوه أبو نعيم في «الحلية» ٦/ ٢٨ وهو من قول كعب.

عن ابن عباس وابنِ مسعودٍ معًا قالا: لمّا اتخذ اللهُ إبراهيمَ خليلاً سأل ملكُ الموت ربّه أنْ يأذنَ له، فيبشره بذلك فأذن له، في إبراهيمَ فبشّره، فقال: الحمدُ لله. ثم قال: يا مَلكَ الموت أرني كيف تقبض أنفاس الكفار. قال: يا إبراهيم، لا تطيق قال: بلىٰ فأعرض ثم نظر فإذا برجُل أسود، ينال رأسه السّماء يخرجُ من فيه لهب النار، ليس من شعرة في جسده، إلاّ في صورة رَجُل يخرجُ من مسامعه لهبُ النار، فغشي علىٰ إبراهيم ثم أفاق وقد تحوّل ملكُ الموت في الصّورة الأولىٰ، فقال: يا ملك الموت، لو لم ير الكافر من النار والخزي إلاّ صورتك لكفاه، فأرني كيفَ تقبضُ أرواح المؤمنين. قال: أعرضْ ثمَّ التفَتَ فإذا هو برجل شابّ أحسنُ النّاس وَجْهًا وأطيَبُه ريحًا في ثيابٍ بيض، فقال: يا ملك الموت لو لم يَر المؤمن عندَ موته من قُرّة العينِ والكرامة إلاّ صورتك لكان يكفيه.

وأخرجَ الإمام أحمدُ، وأبو الشيخ وأبو نعيم عن مجاهد قال: جُعلت الأرض لملك الموت مثل الطست، يتناول من حيث شاء، وجُعل لهُ أعوان يتوفونَ الأنفُسَ، ثمَّ يقبضُها مِنهُم[1].

وأخرجَ ابن أبي الدُنيا: قيلَ لملك الموتِ ما مِنْ نَفْسٍ منفوسة إلا وأنت تقبض روحها؟ قال: نعم. قيل: كيف وأنت هاهنا والأنفس في أطراف الأرض؟ قال: إنّ اللهّ سَخّرَ لي الدُنيا فهيَ كالطست، يُوضع

(١) رواه الطبري ٧/ ٢١٧، وأبو الشيخ(٤٣٦)، وأبو نعيم٣/ ٢٨٦وإسناده إلىٰ مجاهد حسن.

قدّام أحدكم فيتناول من أيّ أطرافها شاء، كذلك الدنيا عندي[١].

وأخرج ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ وأبو نعيم عن شهر بن حوشب، قال: ملك الموت جالسٌ والدنيا بين ركبتيه، واللوح الذي فيه آجال بني آدم /٤٣/ في يده وبين يديه ملائكة قيام، وهو يَعرضُ اللوح، لا يطرف فإذا أتىٰ علىٰ أجل عبد قال: ٱقبضوا هذا[٢].

وأخرج ابن أبي الدنيا أنّ الدّنيا سهلها وجبلها بين فخذي ملك الموت، ومعه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فيقبض الأرواح فيعطي هؤلاء لهؤلاء [وهؤلاء لهؤلاء][٣]، يعني ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، قيل فإذا كانت ملحمة، وكان السيف مثل البرق قال يدعوها فتأتيه الأنفس[٤].

وقال سيدنا سليمان بن داود عليه السلام لملك الموت - وكان له صديقًا -: مالك تأتي أهل البيت فتقبضهم جميعًا، وتدع أهل البيت إلىٰ جنبهم لا تقبض منه أحدا؟ قال: لا أعلم بما أقبض منها إنما أكون تحت العرش، فتلقىٰ إلىٰ (صكاك)[٥] فيها أسماء. رواه ابن أبي شيبة عن خيثمة[٦].

---

(١) روىٰ نحوه أبو الشيخ في العظمة (٤٤٣، ٤٦٩) وكلها مقاطيع وأخبار متناقَلة عن أهل الكتاب وفي الحبائك للسيوطي (٣٦).

(٢) رواه أبو الشيخ (٤٤٤)، وأبو نعيم في «الحلية» ٦/ ٢٦١.

(٣) زيادة ن (ب)، و(ط).

(٤) رواه أبو الشيخ (٤٧٢). وإسناده منقطع.

(٥) في (ب): (صهار).

(٦) رواه ابن أبي شيبة ٧/ ٧٠، وأبو نعيم في «الحلية» ٤/ ١١٩.

وأخرج أيضًا عنه قال: دَخل ملك الموت إلىٰ سليمان، فجعل ينظر إلىٰ رجل من جلسائه، يديم النظر إليه، فلمّا خرج قال: الرجُل مَن هذا؟ قال: هذا ملكُ الموت قال: رأيتُه ينظر إليّ كأنّه يريدني. قال: فما تريدُ؟ قال: أريدُ أنْ تحمِلَني علىٰ الرّيح حتىٰ تلقيَني بالهِند، فدعا الريح فحمله عليها، فألقته في الهند. ثم أتىٰ ملك الموت سليمان فقال: إنك كُنت تديم النّظر إلىٰ رجل من جلسائي. قال: كنتُ أعجبُ منه أمرت أن أقبضه بالهند وهو عندك[1].

وذكر الجلال السيوطي في «أحوال الموتىٰ والقبور» عن ابن عساكر من خبر خيثمة قال سُليمانُ بنُ داود لملك الموت: إذا أردتَ أن تقبض رُوحي فأعلمني. فقال: ما أنا بأعلم بذلك منك إنما هو كتب تلقىٰ إليّ فيها تسمية من يموت.

وأخرجَ ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ ملكا ٱستأذن ربّه أن يهبط إلىٰ إدريس، فأتاه فسلّم عليه، فقال له إدريس: هل بينك وبين ملك الموت شيء؟ قال: ذلك أخي من الملائكة. قال: هل تستطيع أن تنفعني عنده بشيء؟ قال: أمّا أن تؤخّر شيئًا أو تقدمُه فلا، ولكن سأكلمه فيرفق بك عند الموت قال: ٱركب بين جناحيّه، فركب إدريس فصعد به إلىٰ السماء العليا /٤٤/ فلقىٰ ملكَ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة ٧/ ٧٠، وأحمد في «الزهد» ص٤١، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤٤١) مطولاً و(٤٥٣)، وأبو نعيم في «الحلية» ٤/ ١٨ و٦/ ٦٠، وهذا الأثر وغالب الآثار السابقة إسرائيليات لا تثبت صحتها.

الموت، وإدريس بين جناحه، فقال له: يا ملك الموت إنّ لي إليك حاجة. قال: علمت حاجتك، تكلمني في إدريس، وقد محي ٱسمه من الصحيفة، ولمْ يبقَ من أجله إلا نصفُ طرفة، فمات إدريس بين جناحي ذلك الملك[1].

وأخرجَ المروزي وابن أبي الدنيا عن جابر بن زيد: أن ملك الموت كان يقبض الأرواح بغير وجع، فسبّه النّاس ولعنوه فشكىٰ إلىٰ ربّه، فوضع الله الأوجاع ونُسى ملك الموت، يقال مات فلان بوجع كذا وكذا[2].

وأخرج الإمام أحمد والبزّار عن النبي ﷺ قال: **«كانَ ملك الموت يأتي الناس عيانًا، فأتىٰ مُوسىٰ فلطمه، ففقأ عينهُ فأتىٰ ربه فقال: يا ربّ عبدك موسىٰ فقأ عيني، ولولا كرامتُه عليك لشققت عليه. قال له: ٱذهب إلىٰ عبدي فليضع يده علىٰ جلد ثور، فله بكلّ شعرة وارت يده سَنة. فأتاه فقال له، فقال: ما بعد هذا؟ قال: الموت. قال: فالآن، فشمّه شمّه فقبض روحه، وردّ الله عليه عينه، فكان يأتي الناس خُفية»**[3].

---

(١) ذكره القرطبي في «التفسير» ١١/ ١١٨-١١٩.

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤٣٧).

(٣) رواه أحمد ٢/ ٥٣٣ والحاكم ٢/ ٥٧٨، وأورده الهيثمي ٨/ ٢٠٤. وهو في صحيح البخاري (١٣٣٩) دون قوله: «كان ملك الموت يأتي الناس عيانا». وهي زيادة منكرة.

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «كانَ داودَ عليه السلام فيه غيرةٌ شديدة، فكان إذا خَرج أغلق الأبواب فلمْ يدخل علىٰ أهله أحد حتىٰ يرجع، فخرج ذات يوم ورجع فإذا في الدار رجل قائم، فقال له: من أنت؟ قال: أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يُمنعُ مني الحجاب، قال داود: أنت إذن والله ملكُ الموت، مَرحبًا بأمر الله. فرمل داود مكانه، فقبضت نفسه»[1].

وأخرج الطبراني، عن الحسين أن جبريل هَبط علىٰ النبي ﷺ يوم موته، فقال: كيف تجدُك؟ قال: «أجدني يا جبريلُ مغمومًا وأجدني مكروبًا» فاستأذَنَ ملكُ الموت علي الباب، فقال جبريل: يا مُحمَّد هذا ملك الموت، يستأذن عليك، ما ٱستأذن علىٰ آدميّ قبلك، ولا يستأذن علىٰ آدميّ بعدك. قال: «ائذن له». فأقبل حتىٰ وقف بين يديه فقال: إن الله أرسلني إليك، وأمرني أن أطيعك إن أمرتني أن أقبضَ نفسك، /٤٥/ قبضتها، وإن كَرهتَ تَركتُها قال: «وتفعلُ يا ملك الموت؟» قال: نعم بذلك أمُرت، فقال له جبريل: إن الله ٱشتاق إلىٰ لقائك، فقال رسول الله ﷺ: «امض لما أُمرتَ به»[2].

وأخرج أبو نعيم عن ثابت البناني قال: الليلُ والنهار أربعةٌ

---

(١) رواه أحمد ٢/ ٤١٩ (٩٤٣٢) وفيه ضعيف.

(٢) حديث موضوع، رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٨٩٠).
وأورده الهيثمي ٩/ ٣٥ وقال: فيه عبد الله بن ميمون القداح وهو ذاهب الحديث.

وعشرون ساعة، ليس فيها ساعة تأتي علىٰ ذي روح إلاّ وملك الموت قائمٌ عليها، فإن أُمِر بقبضها قبضَها وإلاَّ ذهبَ[١].

وأخرج الإمام أحمد في «الزهد» وأبو الشيخ عن أنس رَضِي اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**إن ملك الموت لينظر في وجوه العباد، في كل يوم سبعين نظرة، فإذا ضَحك العبدُ الذي بعث إليه، يقول: عجبًا بُعثت إليه لأقبض روحه وهو يضحك**»[٢].

تنبيه: أخرج أبو الشيخ، والعقيلي في «الضّعفاء» والديلمي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**آجَالُ البهائم (وخشاش)**[٣] **الأرضِ كلها في التسبيح، فإذا اَنقضىٰ تسبيحها قبض الله أرواحها وليس لملك الموت من ذلك شيء**»[٤].

قال السيوطي: وله طريق آخر، أخرجه الخطيبُ في الرواة عن مالك، من حديث ابن عمر مثله.

قال ابن عطية[٥]، والقرطبي: وكأن معنىٰ ذلك أن الله يعدم حياتها بلا مباشرة ملك، فالآدميّ شرُف بأن خلق له ملكا وأعوانه

(١) «الحلية» ٢/ ٣٢٦.

(٢) رواه الديلمي كما في «الفردوس» ١/ ٢٣٣.

(٣) في (ب)، (ط): (حشاش).

(٤) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (١٢٣٢)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» ٤/ ٣٢١، والديلمي (١٦٩٥)، وابن عساكر ٦٣/ ٣٠٠، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١٧٥٠). وفي إسناده الوليد بن موسىٰ القرشي يروي الموضوعات.

(٥) التذكرة (٦١) تح عصام.

وجعل قبض روحه وإسلالها من جسده علىٰ يده، وقد قال عزرائيل للنبي ﷺ لو أني أردت أن أقبض روح بعوضة، ما قدرت علىٰ ذلك، حتىٰ يكون الله هو الآمر بقبضها، كما تقدم[1].

قال السيوطي[2]: ولكن أخرج الخطيب في الرّواة عن مالك عن سليمان بن مهير الكلابي قال: حضرتُ مالك بن أنس وسأله رَجلٌ عن البراغيث أملك الموت يقبض أرواحها فأطرق طويلاً ثم قال: ألها نَفس؟ قال: نعم. قال: فإن ملك الموت يقبض أرواحها ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزُّمَر: الآية ٤٢] [3].

قال السيوطي: ثم رأيتُ جويبرا أخرجَ في تفسيره عن الضحاك، عن ابن عباس قال: وكّل ملك الموت بقبض أرواح الآدميين، فهو الذي يلي قبض أرواحهم وملكًا في الجن، وملكًا في الشياطين، وملكًا في الطير، /٤٦/ والوحش والسباع، والحيتان والنّمل، فهم أربعة أملاك والملائكة يموتون في الصعقة الأولىٰ، وإن ملك الموت يلي قبض أرواحهم، ثم يموت، فأما الشُهداء في البحر، فإن الله يلي قبض أرواحهم، لا يكل ذلك إلىٰ ملك الموت لكرامتهم عليه، حيث ركبوا لجج البحر في سبيله. قال: وجويبر

(١) جزء من حديث الحارث بن الخزرج عن أبيه، ولا يصح وليس فيه (عزرائيل) وإنما (ملك الموت). انظر ص٧٧ ت(١).

(٢) شرح الصدور ص٨٦.

(٣) أورده القرطبي بإسناد الخطيب في «التفسير» ١٤/٩٣. التذكرة (٥٨) تح عصام.

ضعيف جدًا والضحاك عن ابن عباس منقطع.

قال: ولآخره شاهد مرفوع فأخرج ابن ماجه عن أبي أمامة سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنّ الله وكل ملك الموت بقبض الأرواح، إلاَّ شُهداء البَحر فإنه يتولىٰ قبضَ أرواحهم**»[١].

وأخرجَ ابن أبي شيبةَ في «المصنف»، عن عبد الله بن عيسىٰ قال: كان فيمن قبلكم رجَلٌ عَبَد الله أربعين سنة، في البرّ، ثم قال: يا رب قد آشتقتُ أن أعبدك في البحر، فأتىٰ قومٌ فاستحملهم فحملوه وجرت بهم سفينتهم ما شاء الله، أن تجري ثم قامت فإذا شجرة في ناحية الماء، قال: ضعوني علىٰ هذه الشجرة، فوضعوه وجَرتْ بهم سفينتهم، فأرادَ ملكٌ أن يَعرجَ إلىٰ السّماء فتكلم بكلامه الذي كان يعرج به فلم يقدر علىٰ ذلك فعلم أن ذلك لخطيئة كانت منه، فأتىٰ صاحب الشجرة فسأله أن يشفع له إلىٰ ربه، فصلىٰ ودعا للملك، فعرج وطلبَ من ربه أن يكون هو يقبض نفسه، ليكون أهون عليه من ملك الموت، فأتاه حين حضر أجله، فقال: إني طلبت إلىٰ ربيّ أن يشفّعَني فيك كما شفّعك فيّ، وأن أكون أنا أقبض نفسك فَمِن حيث شِئتَ قبضتها، فسجد سجدة فخرجت من عينه دمعة فمات[٢].

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٧٧٨)، والطبراني (٧٧١٦). وفي إسناده عفير بن معدان يروىٰ أحاديث لا أصل لها. وحكم عليه العلامة الألباني بالوضع «الضعيفة» (٨١٧).

(٢) ابن أبي شيبة ٧/ ١٦٢ من قول عبد الله بن عيسىٰ.

فائدة: أخرج ابن عساكر في «تاريخه» عن أبي زرعة قال: قال لي نجيب بن أبي عبيد، رأيتُ ملك الموت في النوم وهو يقول: قل لأبيك يصلي عليّ حتىٰ أرفق به عند قبض روحه، فحدّثت أبي بما رأيت فقال: يا بُني لأنَا بملِك الموت آنسُ منيّ بأمّك.[1]

وأخرجَ ابن عُساكر من طريق زيد بن أسلم عن أبيه قال: ذكرتُ حديثًا رواه ابن عمر عن النبي ﷺ: **«ما حقّ أمرء مسلم يبيت ثلاث ليالٍ إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه»**[2]. فدعوت بدواة وقرطاس لأكتب وصيّتي، فغلبني النوم، /٤٧/ فنمت ولم أكتبها، فبينما أنا نائم إذ دخل داخلٌ أبيض الثياب، حسن الوجه طيّب الرائحة، فقلت: يا هذا من أدخلك داري قال: أدخلنيها رَبُّها. قلت: من أنت؟ قال: ملك الموت فرعبتُ منه، فقال: لا ترع إني لم أؤمر بقبض روحك قلت: فاكتب لي براءة من النار قال: هات لي دواة وقرطاسًا. فمددت يدي إلىٰ الدواة والقرطاس الذي نمت عنه، وهو عند رأسي فناولته فكتب إذن لي بسم الله الرحمن الرحيم، أستغفر الله، أستغفر الله، حتىٰ ملأ ظهر الكاغد وبطنه، ثم ناولنيه وقال: هذه براءتك، رحمك الله، وانتبهت فزعًاودعوت بالسّراج ونظرتُ، فإذا القرطاس الذي نمت وهو عند رأسي مكتوب ظهره وبطنه أستغفر الله.

تتمة: قال القرطبي[3]: لا تنافي بين قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم

---

(١) تاريخ دمشق ٥٢/ ٢٨٩

(٢) الحديث المرفوع فقط دون القصة: رواه البخاري (٢٧٣٨) ومسلم (١٦٢٧).
أما قصة زيد بن أسلم عن أبيه فهي في «تاريخ دمشق» ٨/ ٣٤٩.

(٣) التذكرة (٦١) تح عصام.

﴿مَلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السَّجدَة: الآية ١١] وقوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعَام: الآية ٦١] وقوله: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النّحل: الآية ٢٨]، وقوله: ﴿يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ [الزُّمَر: الآية ٤٢] لأن إضافة التوفي إلىٰ ملك الموت، لأنّه المباشر للقبض، وللملائكة الذين هم أعوانه لأنهم يأخذون في جذبها، من البدن، فهو قابضٌ وهم معالجون، وإلىٰ الله لأنه الفاعل الحقيقي.

وقال الكلبيّ: يقبضُ ملك الموتِ الروحَ من الجسدِ، ثم يسلمها إلىٰ ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب.

وأما ٱختلاف صفة ملك الموت بالنسبة إلىٰ المؤمن، والكافر فواضح، كما تقرر أن الملائكة لهم قوّة التشكّل بأيّ شكل أرادوا.

تنبيه: قبض الأرواح علىٰ قسمين: فمنهم من يطعنه الملك بحربة، مسمومة قد سقيت سُمّا من نار؛ فتفر الرّوح خارجة فيأخذها في يده، وهي ترعدُ أشبه شيء بالزئبق علىٰ قدر الجرادة، شخصاً إنسانيًا ثم يناولها الزّبانية. ومن الموتىٰ من يجذبُ نفسَه رويدًا، حتىٰ تنحصر في الحنجرة، إلا شعبة متصلة بالقلب، فحينئذ يطعنها بتلك الحربة الموصوفة.

قال في «التذكرة»: لم أجد لهذه الحربة في الأخبار ذكرًا إلا ما ذكره أبو نعيم، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: إن لملك الموت عليه السلام حربة، تبلغ ما بين المشرق والمغرب، فإذا ٱنقضىٰ أجل عبد من الدُنيا ضرب رأسه، بتلك الحربة، وقال: الآن

يزار بك عسكر الأموات[1]. والله أعلم.

واعلم أنه تقطع /٤٨/ الآجال كلّ سنة، فقد أخرجَ الديلميّ عن أبي هُريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: **«تقطع الآجال من شعبان، حتىٰ إنّ الرجل لينكح ويولد له، وقد خرج ٱسمه في الموتىٰ»**.

وأخرج ابن أبي الدنيا مثله، عن عثمان بن المُغيرة بن الأخنس[2].

وأخرج أبو يعلىٰ بسند حسّنه [المنذري][3]، عن عائشةَ رضي الله عنها أن النبيّ ﷺ كانَ يصومُ شعبانَ كُلّه فَسألتُه قال: **«إن الله يكتبُ فيه كُلّ نفس ميتة تلك السنة، فأحبّ أن يَأتيني أجلي وأنا صائم»**[4].

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عطاء بن يسار قال: إذا كانتْ ليلةُ النّصف من شعبان رُفع إلىٰ ملك الموت صحيفة، فيقال: ٱقبض ما

---

(١) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤٧٤) وأبو نعيم في «الحلية» ٥/ ٢٤١ وفي إسناده ٱنقطاع.

(٢) رواه الطبري في «التفسير» ٢٥/ ١٠٩، والبيهقي في «الشعب» ٣/ ٣٨٦، والديلمي ٢/ ٧٣ من قول عثمان بن الأخنس.

(٣) في جميع الأصول: (الترمذي) والتصويب من «شرح الصدور» ص٨٩، وهو عند المنذري في «الترغيب والترهيب» ٢/ ١١٧.

(٤) رواه أبو يعلىٰ (٤٩١١) وإسناده ضعيف، وحسنه المنذري كما في التعليق السابق.

في هذه الصحيفة، فإن العبدَ ليغرسُ الغراس وينكحُ الأزواجَ، ويبني البنيان، وأنّ ٱسمَه قد نسخ في الموتىٰ.

وأخرجَ ابن أبي الدُنيا، والحاكمُ في المستدرك عن عقبةَ بن عامر الصحابي رضي الله عنه قال: أوّلُ مَن يعَلمُ بموتِ العبد الحافظ لأنّه يعرج بعمله، وينزل برزقه، فإذا لم يخرج له رزق علم أنَّه ميت[(١)].

وأخرج أبو الشيخ في «تفسيره»، عن محمد بن جحادة قال: إنّ شجرة تحت العرش، ليس مخلوق إلاّ له فيها ورقة، فإذا سقطت ورقة عبد خرجت روحه من جسده، فذلك قوله تعالىٰ عز وجل: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام: الآية ٥٩] [(٢)]. [قوله: ﴿مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ أي: سواء كانت الورقة الساقطة من الشجرة التي تحت العرش أو غيرها من الأشجار، لأن النكرة إذا جاءت بسياق النفي تفيد العموم، كقولك: ما جاءني من أحدِ انتهى][(٣)].

* * *

(١) رواه الحاكم ٤/ ٢٦٠، في حاشية «ط» زيادة قف على أول من يعلم بموت العبد.

(٢) رواه أبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» ٢/ ٧٧.

(٣) زيادة من «ط».

الفصل السادس

فيما يحضر الميت من الملائكة وغيرهم وما يَراه المحتضر، وما يقال له، وما يبشر به المؤمن، وينذر به الكافر[١]

أخرج الإمام أحمد وأبو داود في «سننه»، والحاكم في «المستدرك»، وابن أبي شيبة في «المصنف»، والبيهقي في كتاب «عذاب القبر»، وغيرهم من طرق صحيحة، عن البراء ابن عازب رضي الله عنهما قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلىٰ القبر فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله، وكأنّ علىٰ رؤسنا الطير، وفي يده عودٌ ينكث به في الأرض، فرفع رأسه فقال: **«استعيذُوا بالله من عذاب القبر»**، مرتين أو ثلاثًا، ثم قال: **«إنَّ العبَد المؤمن إذا كان في اَنقطاعٍ /٤٩/ من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه الملائكة من السّماء بيضُ الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم أكفانٌ من كفن الجنة وحَنُوطٌ من حنوط الجنة، حتىٰ يجلسوا منه مدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتىٰ يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس المطمئنّة، اَخرجي إلىٰ مغفرة من الله ورضوان»**.

قال: **«فتخرجُ تَسيلُ كما تسيل القطرةُ مِن في السِّقاء وإن كنتم ترونَ غير ذلك، فيأخذها فإذا أخذها لم يَدَعوها في يده طرفة عين،**

---

(١) هذا الفصل جله منقول من شرح الصدور ص٩١.

حتىٰ يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرجُ منها كأطيب نفحة مسكٍ، وُجدت علىٰ وَجهِ الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرّون علىٰ ملأٍ من الملائكةِ، إلا قالوا ما هذا الروحُ الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه، التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتىٰ ينتهوا بها إلىٰ سماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم، فيشيّعه من كلّ سماء مقرّبوها، إلىٰ السمّاء التي تليها، حتىٰ ينتهي به إلىٰ السّماء السابعة، فيقول الله تعالىٰ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلىٰ الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرىٰ فتعاد رُوحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربّك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به، وصدقت فينادي منادٍ من السّماء، صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلىٰ الجنة.

فيأتيه من رَوحها، وطيبها ويفسح له في قبره مدّ بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول له: من أنت فوجهك الوجه الذي جاء بالخير فيقول له: أنا عملُك الصالح. فيقول: يا ربّ أقِم السّاعة حتىٰ أرجع إلىٰ أهلي ومالي».

قال: «وإن العبدَ الكافر إذا كان (بانقطاع من الدنيا، وإقبال من

الآخرة)[1] نزل إليه من السّماء ملائكة سودُ الوجوه مَعهم المسوحُ فيجلسونَ منه مدَّ البصر، ثُم يجيء ملك الموت، حتىٰ يجلس عند رأسه، فيقول أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلىٰ سخط من الله وغضب، فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلّول فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتىٰ يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج، منها كأنتن ريح جيفة وُجدتْ علىٰ وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرّون بها علىٰ ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الرُّوح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمىٰ بها في الدنيا، حتىٰ ينتهي بها إلىٰ السماء الدّنيا، فيستفتح فلا يفتح له، ثم قرأ ﷺ ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف: الآية ٤٠] فيقول الله عزّ وجل اكتبوا كتابه في سجّين، في الأرض السفلىٰ، فتطرح روحه طرحًا، ثمّ قرأ ﷺ ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحجّ: الآية ٣١] ، فتُعادُ روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: مَن ربّك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فينادي منادٍ من السّماء أن كذب عبدي، فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابًا إلىٰ النار، فيأتيه من حرّها وسمومها ويُضيق

---

(١) في جميع الأصول (بانقطاع من الآخرة وإقبال من الدنيا) والصواب ما أثبتناه.

عليه قبرُه حتىٰ تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول: مَن أنت؟ فوجهَك الوجه الذي جاء بالشّر. فيقول: أنا عملك الخبيث. فيقول: يا ربّ لا تقم الساعة»[١].

وأخرج أبو يعلىٰ في «مُسنده» وابن أبي الدُنيا من طريق يزيد الرقاشي عن أنس، عن تميم الداري، عن رسول الله ﷺ قال: **«يقول الله لملك الموت انطلق إلىٰ وليّي فأتني به، فإني قد خبرته بالسّرّاء والضّرّاء فوجدته حيث أحبّ، فاتني به لأريحه من هموم الدنيا وغمومها، فينطلق إليه ملك الموت، ومعه خمسمائة من الملائكة، معهم أكفان وحنوط من حنوط الجنة، ومعهم ضبائرُ الريحانِ»** والضبائر - بالضاد /٥١/ المعجمة وبعدها موّحدة آخره راء كعمائر-: هي الجماعاتُ، كما في «**نهاية ابن الأثير**»[٢]، وواحدتها ضبارة، كعمارة «**أصل الريحانة واحد**» «**وفي رأسها عشرون لونًا لكل لون منها ريح سوىٰ ريح صاحبه، ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك الأذفر فيجلس ملك الموت عند رأسه، وتحوشه الملائكة ويضع كل ملك منهم يده علىٰ عضو من أعضائه، ويبسط ذلك الحرير الأبيض،**

---

(١) صحيح، رواه ابن أبي شيبة ٣/ ٣١٠ و٣٧٤ و٣٨٠-٣٨٢ و١٠/ ١٩٤، وهناد في «الزهد» (٣٣٩)، وأحمد ٤/ ٢٨٧ (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٣٢١٢) و(٤٧٥٣) والحاكم ١/ ٣٨ و٣٩، والبيهقي في «عذاب القبر» (١-٧)، انظر: ص٣٦٧ ت(٤).

(٢) النهاية لابن الأثير ٣/ ٧١-٧٢.

والمسك الأذفر»، الحديث بطوله[١].

وأخرج الإمام أحمد وابن حبّان والحاكم واللفظ له والبيهقي عن أبي هُريرة أنَّ النّبي ﷺ قال: «إن المؤمن إذا قُبض أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون اخرجي راضية مرضياً عنك، إلىٰ روح الله وريحانٍ وربّ غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك حتىٰ إنه ليُناولُ بعضهُم بعضًا فيشمّونه حتىٰ يأتوا به باب السّماء، فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءت مِن قِبَل الأرض، كلما أتوا به سماء قالوا ذلك، حتىٰ يأتوا به أرواح المؤمنين، فلهم أفرح به من أحدكم بغائبه إذا قدم عليه، يسألونه ما فعل فلان؟ فيقولون: دَعُوه حتىٰ يستريح، فإنه كان في غمّ الدنيا فإذا قال لهم: ما أتاكم؟ فإنه قد مات. يقولون: ذُهب به إلىٰ أمّه الهاوية.

وأما الكافر فتأتيه ملائكة العذاب، بمسح فيقولون: اخرجي ساخطة مسخوطًا عليك إلىٰ عذاب الله وسخطه. فتخرجُ كأنتن ريح جيفة فينطلقونَ به إلىٰ بابِ الأرض، فيقولون: ما أنتن هذه الريح، كلّما أتوا علىٰ أرض قالوا ذلك، حتىٰ يأتوا به أرواح الكُفار»[٢].

---

(١) رواه أبو يعلىٰ كما في «إتحاف الخيرة المهرة» ٢/ ٤٤٢-٤٤٣. قال البوصيري: رواه أبو يعلىٰ بسند ضعيف؛ لضعف يزيد بن أبان الرقاشي انظر ص٣٦١ ت(١).

(٢) رواه النسائي ٤/ ٨، وابن حبان (٣٠١٤)، والحاكم ١/ ٣٥٣، والبيهقي في «عذاب القبر» (٤٥)، وإسناده صحيح. أما عزوه إلىٰ أحمد فهو وهم وإنما هو لفظ الحديث التالي.

وأخرج ابن ماجه والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «[إنَّ الميتَ][1] تحضُرُه الملائكة فإذا كان الرجلُ صالحًا قال: أخرجي أيتها النفس الطّيبة، كانت في الجسد الطيب، أخرجي حميدةً وأبشري برَوح وريحان، وربّ راض غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتىٰ تخرج، ثم يعرج بها إلىٰ السماء فيفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان بن فلان فيقال: مرحبًا بالنفس الطيبة، كانت في الجسد الطيب، أدخلي حميدة وأبشري برَوْحٍ / ٥٢/ وريحان وربّ راضٍ غيرِ غَضبان، فلا يزالُ يقالُ لها ذلِك حتّىٰ تنتهي إلىٰ السابعة.

فإذا كان الرّجُلُ السّوء قال: أخرجي أيّتها النفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، أخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق، وآخر من شكله أزواج، فلا يزال يُقال لها ذلك حتىٰ تخرج، ثم يعرج بها إلىٰ السّماء، فيسُتَفتح لها، فيقال: مَن هذا؟ فيقال: فلان بن فلان، فيقال: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة، فإنها لا تفتح لكِ أبواب السماء، فترسل من السماء ثم يصير إلىٰ القبر»[2].

وأخرج البزارُ عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ

---

(١) زيادة من مصادر التخريج.

(٢) رواه أحمد ٢/ ٣٦٤-٣٦٥ (٨٧٦٩)، وابن ماجه (٤٢٦٢) و(٤٢٦٨)، والبيهقي في «عذاب القبر» (٤٤)، وإسناده صحيح.

قال: «إن المؤمن إذا حضر أتته الملائكة بحريرة، فيها مسك ومن ضبائر الريحان، فتُسلّ روحه كما تُسل الشعرة من العجين، ويُقال: أيتّها النفس الطيبة، ٱخرجي راضية مرضيًا عنك، إلىٰ روح الله وكرامته، فإذا أخرجَتْ رُوحه، وُضعت علىٰ ذلك المسك والريحان، وطويت عليه الحريرة وذهب به إلىٰ عليين.

وإن الكافر إذا حُضر أتته الملائكة، بمسح فيها جمرة فتنزع روحه ٱنتزاعًا شديدًا، ويُقال: أيّتها النفس الخبيثة، ٱخرجي ساخطة مسخوطًا عليكِ إلىٰ هوان الله وعذابه، فإذا أخرجت رُوحه، وُضِعت علىٰ تلك الجمرة ويطوىٰ عليها المسح ويُذهَبُ به إلىٰ سجّين»[1].

* * *

(١) هو بمعنىٰ الحديث السابق مع ٱختلاف اللفظ.

الفصل السابع
في الكلام علىٰ الرّوح وما يتعلق بذلك

اعلم رَحمني الله وإياكَ أن الناس ٱختلفوا في حقيقة الرّوح، ومنهم من سكت عن الخوض في ذلك لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ * قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥]. وأما الذين خاضوا في الكلام عليها تباينت مذاهبهم، واختلفت أراؤهم، والصحيح أنَّ الروح جسم مخالف بالماهية، لهذا الجسم المحسوس، وهو جسمٌ نوراني عُلوي، خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الوَرد، وسريان الدِّهن في الزّيتون، والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف، بقي ذلك الجسم اللطيف، /٥٣/ مُشابكًا لهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية، وإذا فسدت هذه الأعضاء، بسبب ٱستيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجَتْ عن قبول تلك الآثار، فارق الروح البدن، وانفصل إلىٰ عالم الأرواح، ٱختار هذا القول، الإمامُ المحقق ابن القيم، في كتابه «الرّوح»[(١)] من أقوال عديدة وقال: إنه الصواب في هذه المسألة وهو الذي لا يصح غيره، وكلّ الأقوال سواه باطلة، وعليه دلّ الكتاب والسّنّة، وإجماع الصحابة وأدلّة العقل والفطرة، وذكر لهذا القول مائة دليل وخمسة عشر دليلا، وأجاد، وأفاد، وزيَّف قول ابن سينا وابن

(١) نقل المصنف جل هذا الفصل من كتاب «الروح» لابن القيم.

حزم وأمثالهما، وكتابه هذا من أجل ما رأينا في هذا الفن، بل هو أجلّها وأعظمها، ولا ينبغي لمن له رغبة في العلوم أن يجهله، ولا شيء منه فعليك به فإنه مفيد جدًا.

فائدة: نقل بعض المتكلمين أن محلّ الروح القلبُ، واستدلّ له بحديث ابن عساكر أن النبي ﷺ قال: «**وأما النفس ففي القلب، والقلب بالنياط، والنياط يسقي العروق، فإذا هلك القلب أنقطع العِرق**»[1]، وهذا الحديث مرسل وقال ابن حجر في «**الإصابة**»[2]: الحديث فيه غريب كثير، وأسانيده ضعيفة جدًا والله أعلم.

فإن قلتَ هل تموت الروح، أم الموت علىٰ البدن وحده؟ قلتُ: أجاب عن هذا الإمام المحقق في «الرّوح» فقال: قد ٱختلف الناس في هذا فقالت طائفة: تموتُ وتذوق الموت؛ لأنها نَفْس و﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨٥] قالوا: وقد دَلّت الآيةُ علىٰ أنه لا يبقىٰ إلا الله وحده قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٢٦] الآية. وقال: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصص: الآية ٨٨] قالوا: وإذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولىٰ قالوا: وقد أخبر الله عن أهل النار أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غَافر: الآية ١١] فالموتة الأولىٰ هذه المشهودة وهي للبدن، والأخرىٰ للرّوح.

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٦/ ٣٧٤).

(٢) (٢/ ١١٢) في ترجمة خزيمة بن حكيم.

وقال آخرون: لا تموت الأرواح فإنّها خلقت للبقاء، وإنما تموت الأبدان قالوا: وقد دلّت علىٰ هذا الأحاديث الدالة علىٰ نعيم الأرواح، وعذابها بعد المفارقة، إلىٰ أن يُرجعها الله في أجسادها، ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم والعذاب، وقد /٥٤/ قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٦٩] الآية. هذا مع القطع بأن أرواحهم فارقت أجسادهم، وقد ذاقت أجسادهم الموت.

قال: والصّواب أن يُقال: موت النفس هو مفارقتها لأجسادها، وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتضمحل، أو تصير عدمًا محضًا فهي لا تموت بهذا ٱلاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب(١).

قال: وقد نظم أحمد بن الحسين الكندي هذا ٱلاختلاف في قوله:

تنازع الناسُ حتىٰ لا ٱتّفاقَ لهم ... إلاّ علىٰ شحب والخلقُ في شحب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة ... وقيل تشرك جسم المرء في العطب

فإن قلت: فعند النفخ في الصور هل تبقىٰ الأرواح حية كما هي؟ أو تموت، ثم تحيىٰ؟ فالجوابُ ما ذكره المحقق: أنه مستثناة

---

(١) الروح لابن القيم ص٧٠-٧١ ط دار الكتاب العربي، مع ٱختلاف في كلمات يسيرة.

من قوله تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزُّمَر: الآية ٦٨] فقد ٱستثنىٰ الله بعضَ من في السّموات، ومن في الأرض من هذا الصّعق؛ فقيل هم الشهداء، وهو قول أبي هريرة وابن عباس وسعيد بن جبير، وقيل: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وقيل هم الذين في الجنة من الحور العين، وغيرهم ومن في النار من أهل العذاب، وخزنتها وهذا قول أبي إسحاق بن شاقِلاّ من أصحابنا، وقد نصّ إمامنا[1] رضي الله عنه علىٰ أن الحور العين لا يمتن عند النفخ في الصّور، وقد أخبر الله تعالىٰ أن أهل الجنة ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدّخان: الآية ٥٦]، وهذا نصّ علىٰ أنهم لا يموتون، غير تلك الموتة الأولىٰ فلو ماتوا مرّة ثانية لكانت موتتان.

وأما قول أهل النار ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: الآية ١١] فتفسير هذه الآية والتي قبلها قوله تعالىٰ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨] فكانوا أمواتًا وهم نُطف في أصلاب آبائهم وفي أرحام أمّهاتهم ثم أحياهم بعد ذلك، ثم أماتهم ثم يحييهم يوم النشور، وليس في ذلك إماتة أرواحهم قبل يوم / ٥٥/ القيامة، وإلا كانت ثلاث موتات، وصعق الأرواح عند النفخ في الصّور لا يلزم منه موتها، ففي الصحيح أن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أوّل من يفيق، فإذا موسىٰ آخذ

---

(١) يقصد الإمام أحمد بن حنبل، والكلام ما زال لابن القيم في الروح ص٧٠.

بقائمة العرش فلا أدري أفاق قبلي، أم جوزي بصعقه يوم الطور، فهذا صعق في موقف يوم القيامة، إذا جاء الله لفصل القضاء وأشرقت الأرض بنور ربها فحينئذ تصعق الخلائق كلهم، قال تعالىٰ: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الطُّور: الآية ٤٥] ولو كان هذا الصّعق موتًا، لكانت موتة أخرىٰ، قال: وقد تنبه لهذا جماعة من الفضلاء. فقال القرطبي: ظاهر هذا الحديث، أن هذه صعقة غشي تكون يوم القيامة، لا صعقة الموت الحادثة عند نفخ الصّور[1].

وحاصل الجواب أن الروح لا تموت ولا تفنىٰ، والله الموفق.

فإن قلتَ: فأين مستقر الأرواح، بعد مفارقتها الأجساد إلىٰ يوم القيامة، هل في السماء أم في الأرض، وهل هي في الجنة أم في النار؟ أم لا؟ وهل تودع في أجساد غير أجسادها التي كانت فيها؟ فتنعّم وتعذّب فيها أم تكون مجرّدة؟

قلتُ: قد أجاب عن هذه المسألة الإمام المحقّق في الروّح[2]، وهي مسألة عظيمة قد تكلم فيها الناس، واختلفوا [فيها] وهي إنما تتلقىٰ من السمع فقط وحاصل ما ٱعتمده من الجواب، بعد أن ذكر مذاهب الناس في ذلك وأطال نحو كرّاسين أن: الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت[3]:

---

(١) الروح ص٧١-٧٢.

(٢) ٱنظر الروح لابن القيم من أول ص١٥٤.

(٣) من هنا نص كلام ابن القيم في الروح ص١٨٧.

فمنها أرواح في أعلا علّيّين وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهم متفاوتون في منازلهم، كما رآهم النّبيّ ﷺ في ليلة الإسراء.

ومنها [أرواح][1] في حواصل طيور خضرٍ، تسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشّهداء لا جميعهم، كما قد يتوهم، بل مِن الشّهداء مَن تُحبَس روحه عن دخول الجنة لِدَين عليه أو غيره كما في المسند، عن محمد بن جحش أنّ رجلاً جاء إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لي إن قُتِلتُ في سبيل الله؟ /٥٦/ قال: «**الجنة**»، فلمّا وَلَّىٰ قال: «**إلا الدين سارني به جبريل آنفا**»[2].

ومنهم من يكون محبوسًا علىٰ باب الجنة، كما في الحديث الآخر «**رأيت صاحبكم محبوسًا علىٰ باب الجنَّة**»[3].

ومنهم من يكون محبوسًا في قبره.

ومنهم من يكون مَحبوسًا في الأرض لم تعلُ روحه إلىٰ الملأ الأعلىٰ، فإنها كانت روحًا سفلية أرضية فإن الأنفس الأرضية، لا تجامع الأنفس السماوية، كما لا تجامعها في الدنيا معرفة ربها، ومحبته وذكره، والأنس به والتقرب إليه، بل هي أرضية سُفلية، لا

---

(١) ساقطة من الأصل. ومستدركة من كتاب الروح.

(٢) رواه أحمد ٥/ ٢٨٩ و٢٩٠، وعبد بن حميد (٣٦٧)، والنسائي ٧/ ٣١٤، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٩٣٠) وإسناده قوي.

(٣) أحمد (٥/ ١١) من حديث سمرة بن جندب.

تكون بعد المفارقة لبدنها إلا هناك، كما أن النفس العُلوية التي كانت في الدّنيا عاكفة علىٰ محبة الله وذكره، والتقرب إليه، والأنس به تكون بعد المفارقة في الأرواح العُلوية المناسبة لها، فالمرءُ مَع مَن أحبّ، في البرزخ ويومَ المَعاد، فالرّوح بعد المفارقة تُلحقُ بأشكالها وأخواتها، وأصحاب عملها فتكون معهم هناك.

وفي الحديث[١] «**وتجعل روحه يعني المؤمن مع النّسيم الطيّب**» أي: الأرواح الطّيّبة، المشاكلة لروحه.

قال: ومنها أرواح تكون في تنور الزنادقة والزواني، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه، وتلقم الحجارة فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد، بل رُوح في أعلا عليين وروح أرضية سفلية.

وإذا تأملت السّنن والآثار في هذا الباب، وكان لك فضل ٱعتناء عرفت حجة ذلك، ولا تظن أنّ بين الآثار الصحيحة في هذا الباب تناقضًا فإنها كلها حقّ، يصدّق بعضها بعضا، لكن الشأن في فهمها ومعرفة النّفس وأحكامها، وأن لها شأنًا غير شأن البدن، وأنها مع كونها في الجنة فهي في السماء وتتصلُ بالقبر وبالبَدن فيه وهي أسرع شيء حركةً وانتقالاً، وصعودًا وهبُوطًا، وأنها تنقسمُ إلىٰ مُرسلة ومحبوسة، وعُلوية وسُفلية، ولَها بعد المفارقة صحة ومرض، ولذة ونعيم وألم أعظم مما كان لها في حال ٱتصالها بالبدن بكثير، فهنالك الحبس والألم والعذاب والمرض، والحسرة وهنالك اللذة

---

(١) انظر: ص١٨٢، ١٨٣ ت(١).

والراحة والنعيم والإطلاق /٥٧/ وما أشبه حالها في هذا البدن بحال الجنين في بطن أمه، وحالها بعد المفارقة، بحاله بعد خروجه من البطن إلىٰ هذه الدار. قال: فلهذه الأنفس أربع دور، وكُلٌّ دار أعظمُ من التي قبلها:

الدارُ الأولىٰ: بطن الأم، وذلك الحَصْرُ والضيق و(العجز)[1] والظلماتُ الثلاث.

الدار الثانية: هذه الدار التي نشأت فيها وألفتها واكتسبت فيها الخير والشر، وأسباب السعادة، والشقاوة.

الدار الثالثة: دار البرزخ وهي أوسع من هذه الدار وأعظم، بل نسبتها إليها كنسبة هذه الدار إلىٰ الأولىٰ.

الدار الرابعة: دارُ القرار إلىٰ الجنة أو النار فلا دار بعدَها والله سبحانه وتعالىٰ ينقلها في هذه الدار طبقًا بعد طبق، حتىٰ يبلغها إلىٰ الدار التي لا يصلح لها غيرها، وهي التي خُلقت لها، وهُيئت للعمل الموصل لها إليها؛ ولها في كل دار من هذه الدّور حكم وشأن، غير شأن الدار الأخرىٰ، فتبارك الله فاطرها، ومنشيها ومميتها، ومحييها، ومسعدها ومشقيها، فهو الذي فاوت بينها في درجات سعادتها وشقوتها كما فاوت بينها، في مراتب علوها وأعمالها، وقواها وأخلاقها، فمن عرفها كما ينبغي، شهدَ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي له الملك كله، وله الحمد كله، وبيده

---

(١) في (ب)، و(ط): (الغم).

الخير كله، وإليه يُرجَع الأمر كُلّه، وله القوة والقدرة كلها، والعزة والكمال المطلق من جميع الوجوه، وعرف بمعرفة نفسه صِدقَ أنبيائه ورسله، وأن الذي جاءوا به هو الحقّ الذي تشهد به العقول، وتقربه الفطر، وما خالفه هو الباطل، وبالله التوفيق(١).

وسيأتي الكلامُ علىٰ مستقر الأرواح أوفىٰ مِن ذلك.

فإن قُلتَ: هل الروّح قديمة أم مخلوقة؟ وإن قُلتم أنها محدثة فما الجواب عن قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسرَاء: الآية ٨٥] وكيف يكون أمر الله مخلوقًا وقد أخبر الله سُبحانه، أنه نفخ في آدم من روحه؟

قلتُ: قد أجاب عنها الإمام المحقّق: وهي مسألة عظيمة زلّ فيها عَالَم وضلّ فيها طوائف، من بني آدم وهدىٰ الله أتباع رسله فيها للحق المبين والصواب المستبين، /٥٨/ فأجمعت الرسل صلوات الله وسلامُه عليهم، علىٰ أنها محدثة مصنوعة، وهذا معلوم بالاضطرار، من دينهم أن العالم حادث وأنّ معاد الأبدان واقعُ وأن الله وحده هو الخالق، وكل ما سواه مخلوق له وقد ٱنطوىٰ عصر الصحابة والتابعين، وتابعيهم وهم القرون الفضيلة، علىٰ ذلك، من غير ٱختلاف بينهم في حدوثها، وأنها مخلوقة حتىٰ نبعث نابعة ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة.

فزعم أنها قديمة غير مخلوقة واحتج علىٰ أنها من أمر الله

---

(١) ٱنتهىٰ هنا كلام ابن القيم في الروح ص١٩٠.

وأمره قديم، وبأنّ الله تعالىٰ أضافها إليه كما أضاف إليه علمه، وكتابه وقدرته وسمعه وبصره ويده، وتوقّف آخرون، وقالوا: لا نقول شيئا.

وسئل عن ذلك حافظ أصبهان أبو عبد الله بن منده من أصحابنا فقال: أمّا بعد فإن سائلاً سألني عن الروح التي جعلها الله قوام أنفس الخلق، وأبدانهم وذكر أن أقوامًا تكلموا في الروح وزعموا أنها غير مخلوقة، وخَصّ بعضهم منها روح القدس وأنها من ذات الله، قال: وأنا أذكر ٱختلاف أقاويل الناس، وأبيّن ما يخالف أقاويلهم من الكتاب والأثر، وأقاويل الصحابة والتابعين وأهل العلم.

وأذكر بعد ذلك، وجوه كلام الذين تكلموا علىٰ الروح بغير علم، وأنّ كلامهم يوافق قول جهم وأصحابه، فنقول - وبالله التوفيق -: إن الناس ٱختلفوا في معرفة الأرواح ومحلّها من النفس فقالت طائفة الأرواح كلها مخلوقة وهذا مذهب أهل الجماعة والأثر، واحتجت بقول النّبيّ ﷺ: «**الأرواح جنودٌ مجنّدة، فما تعارف منها ٱئتلف، وما تناكر منها ٱختلف**»[1] والجنود المجنّدة لا تكون إلا مخلوقة.

وقالت طائفةٌ: الأرواح من أمر الله أخفىٰ الله حقيقتها وعلمها عن الخلق، واحتجت بقوله تعالىٰ ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسرَاء: الآية ٨٥] .

وقالت طائفة: الأرواح نور من نور الله تعالىٰ، وحياة من

(١) رواه مسلم (٢٦٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه البخاري (٣٣٣٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

حياته، واحتجت بقول النبي ﷺ: «**إن الله خلق خلقهُ [من] ظلمة، ثم ألقىٰ عليهم من نوره**»[١]، ثم ذكر الخلاف في الأرواح هل تموت أم لا، وهل تعذّب مع /٥٩/ الأجسادُ في البرزخ وفي مستقرها بعد الموت؟ وهل هي النفس، أو غيرها؟

قال محمد بن نصر المروزي في كتابه: تأوّل صنف من الزّنادقة وصنف من الروافض في روح آدم ما تأوّله النصراني في روح عيسىٰ، وما تأوّله قوم من أنّ الرّوح أنفصل من ذات الله، فصار في المؤمن، فعند صنف من النصارىٰ، أنّ عيسىٰ ومريم جميعًا غير مخلوقين، لأن عيسىٰ عندهم صار في مريم، فهو غير مخلوق علىٰ زعمهم، وقال صنف من الزنادقة وصنف من الروافض: إنّ روحَ آدم مثل ذلك، أنه غير مخلوق قالوا: ثم صار بَعد آدم في الوصي بعده، ثم هي في كلّ نبيّ ووصيّ إلىٰ أن صار في عليّ، ثم في الحسن والحسين، ثم في كل وصيّ وإمام فبه يعلم الإمام كلّ شيء، لا يحتاج أن يعلم من أحد، ولا خلاف بين المسلمين أنّ الأرواح التّي في آدم وبنيه وعيسىٰ ومن سواه من بني آدم كلها مخلوقة لله، خلقها وأنشأها وكوّنها وأخبر عنها ثم أضافها إلىٰ نفسه، كما أضاف إليه سائر خلقه، قال تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجَاثِيَة: الآية ١٣] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[٢] قدّس الله روحه الزكيّة: روح الآدمي مخلوقة مبتدعة، باتفاق سلف الأمّة وأئمّتها، وسائر أهل

(١) أحمد (٢/١٧٦) وما بين القوسين (في).

(٢) الروح السابق ص٢٢٨.

السّنّة، وقد حكى إجماع الأمّة علىٰ أنها مخلوقة غير واحد من المسلمين، مثل محمد بن نصر المروزي، الإمام المشهور الذي هو من أعلم زمانه بالإجماع، والاختلاف وكذلك أجاب أبو إسحاق بن شاقلاً، من أصحابنا بلفظ سألت رحمك الله عن الروّح، مخلوقة هي أم غير مخلوقة؟، قال: وهذا لا يشكّ فيه من وُفِّق للصّواب، أنّ الرّوح من الأشياء المخلوقة وقد تكلّم في هذه المسألة طوائف من أكابر العُلماء والمشايخ، وردّوا علىٰ من يزعم أنّها غير مخلوقة.

وصنّف الحافظ أبو عبد الله بن منده في ذلك كتابًا، وقبله الإمام محمد بن نصر المروزي، وغيره والشيخ أبو سعيد الخراز، وأبو يعقوب النهرجوري، والقاضي أبو يعلى(١) وقد نصّ علىٰ ذلك الأئمة الكبار، واشتد نكيرهم علىٰ من يقول ذلك في روح عيسىٰ بن مريم / ٦٠/ فكيفَ بروح غيره كما ذكره سيّدنا الإمام أحمد رضي الله عنه فيما كتبه في محتبسه في الرّدّ علىٰ الزّنادقة، والجهميّة قال: ثم إن الجهمي ٱدّعىٰ أمرًا فقال: أنا أجد آية في كتاب الله علىٰ أنّ القرآن مخلوق، قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النِّساء: الآية ١٧١] وعيسىٰ مخلوق، قلنا له إنّ الله منعك الفهم للقرآن، إنّ عيسىٰ تجري عليه

(١) محمد بن نصر المروزي أبو عبد الله الحافظ له مصنفات: «السنة»، و«تعظيم قدر الصلاة» و«الإيمان» وغيرها ت٢٩٤هـ. وأبو سعيد الخراز شيخ الصوفية ت٢٨٦هـ «سير أعلام النبلاء» ١٣/ ٤١٩. والقاضي أبو يعلىٰ الفراء ت٤٥٨هـ له كتاب «الروح» و«مسائل الايمان» وغيرها «سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٨٩.

ألفاظ لا تجري علىٰ القرآن؛ لأنّا نسمّيه مولوداً وطفلا وجنينا، وغُلامًا يأكل ويشرب، وهو مخاطب بالأمر والنهي ويجري عليه الخطاب، الوعد والوعيد، ثم هو من ذرية نوح، ومن ذرية إبراهيم، فلا يَحل لنا أن نقول في القرآن ما نقوله في عيسىٰ، فهل سمعتم الله يقول في القرآن ما قال في عيسىٰ؟

ولكن المعنىٰ في قوله ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النِّساء: الآية ١٧١] فالكلمة التي ألقاها إلىٰ مريم حين قال له: كن فكان عيسىٰ بكن، وليس عيسىٰ هو كن ولكن كان بكن، فكن من الله قول وليس كن مخلوقًا، وكذبت النصارىٰ والجهمية علىٰ الله في أمر عيسىٰ؛ وذلك أن الجهمية قالوا: روح الله وكلمته إلا أن كلمته مخلوقة وقالت النصارىٰ: عيسىٰ روح الله وكلمته في ذاته، كما يُقال هذه الخرقة من هذا الثوب قلنا: نحن إنّ عيسىٰ بالكلمة كان، وليس هو الكلمة، وإنما الكلمة قول الله كن، وقوله وروح منه نقول: من أمره كان الرّوح فيه كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثِيَة: الآية ١٣] يقول من أمره وتفسير روح الله إنما معناه بكلمة الله خلقها، كما يقال عبد الله وسماء الله(١). وأرض الله فقد صرح بأنّ روح المسيح مخلوقة فكيف سائر الأرواح، وقد أضاف الله إليه الرّوح الذي أرسله إلىٰ مريم، وهو

---

(١) الرد علىٰ الزنادقة للإمام أحمد ص١٢٤، ط دار اللواء بالرياض، الكلام بنصه نقله ابن تيمية في «درء تعارض العقل والنقل» ٧/ ٢٥٨ عن الإمام أحمد.

عبده ورسوله، ولم يدل ذلك علىٰ أنه قديم غير مخلوق فقال تعالىٰ ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ[1] لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ / ٦١/ [مريم: ١٧-١٩] فهذا الروحُ هو روح الله وهو عبده ورسوله.

ثم ٱستدلّ علىٰ خلقها الإمام المحقق في كتابه (باثنتي)[2] عشر وجهًا، وأطنب فراجعه.

ثم قال: وأمّا ما ٱحتجت به هذه الطائفة، فإن الذي أتوا به من متشابه القرآن والعدول عن محله، وهذا شأن كل ضالّ مُبتدع فحكم القرآن من أوّله إلىٰ آخره يدلُ علىٰ أن الله خالقُ الأرواح ومبتدعها، وأما قوله تعالىٰ ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: الآية ٨٥] فمعَلوم قطعًا أنه ليس المراد ههنا بالأمر الطلب الذي هو أحد الأنواع للكلام.

فيكونُ المرادُ أنّ الروح كلامه الذي يأمرُ به، وإنما المرادُ بالأمر ههنا المأمورُ وهو عرف مستعمل في عرف العرب، وفي القرآن منه كثير، كقوله تعالىٰ: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النّحل: الآية ١] أي مأموره الذي قدره، وقضاؤه وقال له كن وكذلك قوله ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [هُود: الآية ١٠١] أي: مأموره الذي أمرَ به من هلاكهم وكذلك قوله تعالىٰ

(١) في ط «ليهب» وهي إحدى القراءة في الآية وهي قراءة ورش وأبو عمرو، انظر: «التبصرة في القراءة السبع» لمكي ص٥٨٥.

(٢) في (ب)، و(ط): (باثني).

﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ﴾ [النّحل: الآية ٧٧]، وكذلك لفظُ الخلق يُستعمل بمعنىٰ المخلوق كقوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ﴾ [لقمَان: الآية ١١] أي: مخلوقه وكقوله للجنة «أنتِ رحمتي، أُسْكِنُكِ مَن شِئتُ من خلقي»[1] أو كما ورد فليس في قوله ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسرَاء: الآية ٨٥] ما يدلّ علىٰ أنّها قديمة غير مخلوقة، بِوَجْهٍ مّا. وقد قال بعض السّلف في تفسيره المراد بالرّوح في الآية، أنه جَرىٰ بأمر الله في أجْساد الخلق، وبقدرته ٱستقرّ، وهذا بناء علىٰ روح الإنسان، وفي ذلك خِلاف بين السلف والخلف، وأكثر السّلف بل كُلهم علىٰ أنّ الرّوح المسئول عنها في الآية، ليست أرواح بني آدم بل هي الروح الذي أخبر الله عنه في كتابه، أنه يقوم يوم القيامة مع الملائكة، وهو ملك عظيم.

وقد ثبت في الصحيح من حديث عبد الله قال بينا أنا أمشي مع رسول الله ﷺ إلىٰ أن قال فمررنا علىٰ نفرٍ من يهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الرّوح وقال بعضهم: لا تسألوه عسىٰ أن يجيء فيه بشيء تكرهونه، وقال بعضهم نسأله فقال رجل يا أبا القاسم: ما الروح؟ فسكت عنه ﷺ فعلمت أنه يوحىٰ /٦٢/ إليه فقمت فلما تجلىٰ عنه قال: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٨٥﴾ [الإسرَاء: الآية ٨٥][2].

---

(١) البخاري (٤٨٤٩، ٤٨٥٠) بلفظ: «أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي».
(٢) رواه البخاري (١٢٥) و(٤٧٢١) و(٧٢٩٧) و(٧٤٥٦) و(٧٤٦٢) من حديث ابن مسعود رَضِي اللهُ عَنْهُ.

قال المحقّق: معلوم أنهم إنما يسئلونه من أمر لا يُعرف إلاّ بالوحي، وذلك هو الروح الذي عند الله، لا يعلمها الناس وأمّا أرواح بني آدم فليست من الغيب، وأطال فراجعه:

وأمّا ٱستدلالهم بإضافتها إلىٰ الله سُبحانه وتعالىٰ بقوله ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحِجر: الآية ٢٩] فينبغي أن تعلم أنّ المضاف إلىٰ الله سبحانه نوعان "صفات لا تقوم بأنفسها، كالعِلم والقُدرة والسّمع والبصر، فهذه إضافة صفة إلىٰ الموصوف بها (فعلمه وقدرته، وكلامه وإرادته وحياته)[1] صفات له غير مخلوقة، وكذلك وجهه ويده سبحانه، والثاني:

إضافة أعيان منفصلة كالبيت والعبد والناقة والرّسول والرّوح، فهذه إضافة مخلوق إلىٰ خالقه ومصنوع إلىٰ صانعه، ولكن إضافته تقتضي تخصيصًا أو تشريفًا يتميز به المضاف إليه من غيره، كبيت الله وإن كانت البيوت كلها مُلكًا له، وكذلك ناقة الله فالإضافة الخاصّة تقتضي محبته لها، وتكريمه وتشريفه، بخلاف الإضافة العامة، فإنها تقتضي الخلق والإيجاد، والخاصّة تقتضي ٱلاختيار وربّك يخلق ما يشاء ويختار، وإضافة الرّوح إليه من هذه الإضافة الخاصّة لاَ مِن العَامة، ولا من باب إضافة الصّفات فتأمّل هذا الموضع، فإنّه يخلّصُك من ضلالات كثيرة، وقع فيها ما يشاء الله من الناس.

قال المحقّق: فإن قيل: فما تقولون في قوله تعالىٰ: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحِجر: الآية ٢٩] فأضاف النفخ إلىٰ نفسه وهذا

---

(١) في العبارة تقديم وتأخير في (ب)، و(ط).

يقتضي المباشرة من الله تعالىٰ، كما في قوله ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: الآية ٧٥] ولهذا قرن بينهما في الذكر في الحديث الصحيح، في قوله ﷺ «**فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته وعلّمك أسماء كلّ شيء**»[1]، فذكروا لآدم أربع خصائص اختصّ بها عن غيره، ولو كانت الرّوح التي فيه إنّما هي من نفخة الملك، لم يكن له خصوصيّةٌ بذلك، وكان بمنزلة المسيح، بل وسائر أولاده فإنّ الرّوح حصلت فيهم من نفخة المَلَك. وقد قال تعالىٰ /٦٣/ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحِجر: الآية ٢٩] فهو الذي سوّاه بيده وهو الذي نفخ فيه من روحه؟

فالجواب: ما ذكره المحقّق من أنّ هذا الموضع هو الذي أوجب لهذه الطّائفة أن قالتْ بقدم الرّوح وتوقّف فيه آخرون، ولم يفهموا مُراد القُرآن، فأمّا الرّوحُ المضافة إلىٰ الرّبّ فهي روح مخلوقة، أضافها إلىٰ نفسه إضافة تخصيص وتشريف، كما بيّنّاه وأمّا النفخ فقد قال تعالىٰ في مريم: ﴿وَالَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبيَاء: الآية ٩١] وقد أخبر في موضع آخر أنه أرسل إليها الملك فنفخ في فرجها فكان النفخ مضافًا إلىٰ الله، أمرًا وإذنًا وإلىٰ الرسول مباشرة يبقىٰ هاهنا سؤالان: أحدهما أن يقال إذا كان النفخُ حصل في مريم من الملك، وهو الذي ينفخ في سائر

---

(١) روي ذلك في حديث أبي هريرة الطويل: رواه البخاري (٣٣٤٠) و(٤٧١٢) ومسلم (١٩٤).

البشر، فما وجه تسمية المسيح روح الله؟ وإذا كان سائر الناس تحدث أرواحهم من هذه الروح، فما خاصية المسيح؟

الثاني: أن يقال: فهل تَعلق الروح بآدم كانت بواسطة نفخ الملك؟ أم الرّبُّ هو الذي نفخها بنفسه، كماخلقه بيده؟

قيل - لعمرُ الله - إنّهما سؤالان مهمّان، فأما الأوّل: فالجواب عنه ما ذكره المحقق أنّ الرّوح الذي نفخ في مريم هو الرّوح المضاف إلىٰ الله، الذي ٱختصّه لنفسه، وأضافه إليه، وهُوَ روح خاصّ من بين سائر الأرواح، وليس هو الرّوح الذي ينفخه الملك الموكّل بالنفخ في بطون الحوامل، من المؤمنين والكفّار فإنّ الله سبحانه وكّل بالرّحم مَلكًا ينفخ الروح في الجنين، فيكتب رزق المولود وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، وأمّا هذا الروح المرسل إلىٰ مريم، فهو روح الله، الذي (هو)[1] من الأرواح النفيسة، فكان لمريم بمنزلة الأب لسائر النوع الإنساني، فإن نفخته لما دَخلت في فرجها كان ذلك بمنزلة لقاح الذكر للأنثىٰ، من غير أن يكون هناك وطء وأمّا ما ٱختصّ به آدم، فهو أنه لم يخلق كخلقه من أب ولا أمّ، كخلق سائر النّوع من أب وأمّ، ولا كان الروح الذي نفخ الله فيه منه، هو الملك الذي ينفخ الروح / ٦٤/ في سائر أولاده ولو كان كذلك لم يَكنْ لآدم به ٱختصاص، وإنّما ذكر في الحديث ما ٱختصّ به علىٰ غيره، (وهي)[2] أربعة أشياء خَلْقُ الله له بيده، ونفخُه

---

(١) ليست في (ب)، ولا (ط). (٢) في (ب)، و(ط): (وهو).

فيه من روحه وإسجادُ ملائكته له وتعليمه أسماء كلّ شيء فنفخه فيه من روحه، يستلزم نافخًا ونفخًا ومنفوخًا منه، فالمنفوخ منه هو الروح المضافة إلىٰ الله، فمنها سرت النفخة في طينة آدم، فأتته الروح من قبل رأسه[١]. كما قال ابن عباس رضي الله عنهما فالله تعالىٰ هو الذي نفخ في طينته، من تلك الروح هذا هو الذي دلّ عليه النّصُّ وأمّا كونُ النفخة بمباشرة منه سبحانه، كما خلقه بيده أو أنها حصلت بأمره، كما حصلت في مريم، فهذا يحتاج إلىٰ دليل، والفرق بين خلق الله تعالىٰ له بيده ونفخه فيه من روحه أن اليد غيرَ مخلوقة، والرّوحُ مخلوقة، والخلق فعل من أفعال الرّبّ وأمّا النفخ فهل هو فعل من أفعال الرّبّ القائمة به أو هو مفعول من مفعولاته القائمة بعبده المنفصلة عنه، هو مما يحتاج إلىٰ دليل، وهذا بخلاف النفخ في فرج مريم، فإنه مفعول من مفعولاته وأضافه إليه لأنّه بإذنِه وأمرِه فنفْخهُ في آدم هل هو فعل له؟ أو مفعول؟ وعلىٰ كلّ تقدير، فالرّوح التي نفخ فيها من آدم روح مخلوقة غير قديمة وهي مادّة روح آدم، فروحه أولىٰ أن تكون حادثة، مخلوقة وهو المراد والله الموفّق.

فإن قلتَ: هل تقدّم خَلق الأرواح علىٰ الأجسام أم تأخّر؟ قُلتُ: ذكر المحقّق أنّ في هذه المسألة قولين معروفين، حكاهما شيخ

---

(١) روىٰ معنىٰ ذلك ابن الجوزي في «التبصرة» ١/ ٢٥ من حديث أنس مرفوعًا: لما نُفخ في آدم الروح مَارَتْ فطارت فصارت في رأسه.

الإسلام ابن تيميّة قدّس الله روحه، وممّن ذهب إلىٰ تقدّم خلقها محمد بن نصر المروزي، وأبو محمد ابن حزم الظاهري، وحكاه إجماعًا.

وذكر المحقق أدلّة القولين في كتابه «الرّوح»، وظاهرُ كلامه بل صريحه أنّ الجسد خلق قبل الروح، ومن أدلّة هذا القول قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**إنّ خلق ابن آدم يجمع في بطن أمّه أربعين يومًا / ٦٥/ دمًا، ثمّ يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح**»[١]. فالملك وحده يرسل إليه فينفخ فيه فإذا نفخ فيه، كان ذلك سبب حدوث الروح فيه ولم يقل يرسل الملك إليه بالروح، فيدخلها في بدنه فإنما أرسل إليه الملك فأحدث فيه الروح بنفخه فيه، لا أنّه سبحانه أرسل إليه الروح التي كانت موجودة قبل ذلك بالزمان الطويل، مع الملك ففرق بين أن يُرسل إليه الملك فينفخ فيه، وبين أن يُرسل إليه روحًا مَخلوقة قائمة بنفسها مع الملك، وقال في موضع آخر، وأما «حديث خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام»، فلا يصحّ إسنادُه وذكر علّته[٢].

وقال الإمام المحقق في كتابه «**روضة المحبين ونزهة المشتاقين**»: إنّ القول بأنّ الأرواح خلقت قبل الأجساد، قول فاسد وخطأٌ صريح بل القول الصّحيح، الذي دلّ عليه الشّرع والعقل، أنّ الأرواح مخلوقة مع الأجساد، وأنّ الملك ينفخ الروح في الجسد، إذا مَضىٰ علىٰ

---

(١) رواه من حديث ابن مسعود رَضِي اللهُ عَنْهُ: البخاري (٣٢٠٨) و(٣٣٣٢) و(٧٤٥٤) ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) ينظر كتاب الروح (١٦٠) من رواية عمرو بن عبسة وأما رواية على فذكرها ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٤٠١) وحكم عليه بالوضع.

النُطفة أربَعة أشهر، ودخلت في الخامس، وذلك أول حدوث الرّوح فيه، ومن قال إنّها مخلوقة قبل ذلك فقد غلط، وأقبح منه قول من قال إنها قديمة. ٱنتهى[١].

وبعضهم ردّ عليه وصحّح القول بأنّ الأرواح خلّقت قبل، واستدل بما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أنّ النبي ﷺ قال: «**الأرواح جُنودٌ مجنّدة، فما تعارف منها ٱئتلفَ، وما تناكر منها ٱختلف**»[٢].

قال ناصر السّنّة ابن الجوزي رحمه الله في «تبصرته»: قال أبو سليمان الخطابي[٣]: معنىٰ هذا الحديث: الإخبار عن مبدأ كونِ الأرواح خُلقت قبل الأجساد، وتقدّمت علىٰ الأجساد في التكون، علىٰ ما روي إنّ الله تعالىٰ خلق الأرواح قبل الأجساد بكذا وكذا قال ابن الجوزي: وفي هذا الحديث دليل علىٰ أن الأرواح ليست بأعراض، وأنها كانت موجودة قبل الأجساد وأنّها تبقىٰ بعد الأجساد /٦٦/ يُؤيّد هذا المعنَىٰ قوله ﷺ: «**أرواح الشُّهداء في حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة**»[٤] ٱنتهىٰ ملخصًا.

وقد حكينا القولين فاختر لنفسك مايحلو.

فَإِنْ قُلتَ: إذا فارقت الأرواح الأبدان، وتجردت بأيّ شيء يتميز بعضها من بعض حتىٰ تتعارف وتتلاقىٰ وهل تتشكل إذا تجردت

(١) روضة المحبين ص٧٧.

(٢) تقدم تخريجه ص١٠٧ وهو في الصحيح.

(٣) أعلام الحديث (١٥٣٦).

(٤) رواه مسلم (١٨٨٧) من حديث ابن مسعود رَضِي اللهُ عَنْهُ.

بشكل بدنها التي كانت فيه أم لا.

فالجَوابُ: إنّ المحقّق أجاب عن هذا بعد أن قال: إن هذه المسألة لا أكاد أجد من تكلم فيها، وإنما يمكن الجواب عنها علىٰ أصول أهل السّنّة، التي تظافرت عليه أدلّة القرآن والسّنّة والاعتبارات، وهو أنّ الرّوح ذات قائمة بنفسها، تصعد وتنزل قال وعلىٰ هذا أكثر من مائة دليل قد ذكرناها في كتابنا الكبير في معرفة الأرواح والنفس، وبيّنّا بطلان ما خالف هذا القول من وجوه كثيرة، وأنّ من قال غيره لم يعرف نفسه وأمّا علىٰ أصول من يقول إنّها مجرّدة عن المادّة، وعلائقها وليست بداخل العالم ولا خارجه، ولا شكل لها ولا قدر ولا شخص، وكذا علىٰ أصُول من يقول: إنها عرض من أعراض البدن، فلا جواب لهذا علىٰ أصولهم، بل لا وجود لها علىٰ زعمهم، بل تعدم وتبطل باضمحلال البدن، كما تبطل سائر صفات الحي.

قال: وقد وصفها الله سبحانه وتعالىٰ بالدخول والخروج والقبض، والتوفي والرجوع، وصعودها إلىٰ السماء، وفتح أبوابها لها وغلقها عنها، فقال: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعَام: الآية ٩٣] وقال ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفَجر: الآية ٢٧] الآية وقال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: الآية ٧ ـ ٨] فأخبر أنه سوىٰ النفس كما سوىٰ البدن في قوله ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ﴾ [الانفِطار: الآية ٧] فتسوية البدن تابع لتسوية النفس، والبدنُ موضع

لها كالقالب، قال: ومن هنا يعلم أنها تؤخذ من بدنها صورة تميز بها عن غيرها، فتميز الروح عن الروح وصفاتها أعظم مِن تميز البدن عن البدن بصفاته، وحاصل الجواب أنّها /٦٧/ تؤخذ من بدنها صورة متميزة، عن غيرها تميزًا بيّنًا لا خفاءَ معه ولا ٱشتباه والله الموفق.

فإن قيل النفسُ واحدة أم ثلاثة؟، فقد وقع في كلام كثير أن لابن آدم ثلاثة أنفس، مطمئنة ولوّامة وأمّارة، وأن منهم من يغلب عليه هذه، ومنهم من يغلب عليه الأخرىٰ ويحتجون علىٰ ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفَجر: الآية ٢٧] وبقوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾﴾ وقوله: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾ [القِيَامَة: الآية ١، ٢] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يُوسُف: الآية ٥٣].

فالجوابُ كما قال المحقق: إنها نفس واحدة ولكن لها ثلاث صفات، تسمىٰ باعتبار كلّ صفة باسم، فتسمّىٰ مطمئنّة، باعتبار طمأنينتها إلىٰ ربّها بعبوديّته ومحبته والإنابة إليه، والتوكل عليه، والرضىٰ به والسّكون إليه فالطمأنينة إلىٰ الله سبحانه، خفية ترد منه سبحانه علىٰ قلب عبده المؤمن تجمعه عليه، ولا يمكن حصول الطمأنينة الحقيقة إلاّ بالله وبذكره، وهو كلامه المنزل علىٰ نبيّه المرسل، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: الآية ٢٨] فإن طمأنينته سكونهُ واستقراره بزوال القلق، والانزعاج والاضطراب عنه وهذا لا يتأتّىٰ بشيء سوىٰ الله وذكره البتة، وأطال. فراجعه.

وأما اللّوّامة التي أقسم بها سبحانه، فاختلف فيها فقالت طائفة: هي التي لا تثبت علىٰ حالة واحدة أخذوه من لفظة اللّوم وهو التردّد، فهي كثيرة التقلّب والتّلون وهي مِنْ أعظم آيات الله فإنَّها مخلوقة من مخلوقاته تتقلب وتتلون في السّاعة الواحدة، فضلاً عن اليوم والشّهر والعام، والعمر ألوانًا متلوّنة فتذكر وتغفل، وتقبل وتعرض، وتلطف، وتكثف، وتحب وتبغض، وترضىٰ وتغضب، إلىٰ غير ذلك من الأوصاف وقالت طائفة: اللفظة مأخوذة من اللّوم، ثم آختلفوا فقالت فرقة: هي نفسُ المؤمن، وهذا من صفاتها المجرّدة.

قال الحسن البصري[1] رحمه الله: إنّ المؤمن لا تراه إلاّ يلوم نفسه دائمًا، يقول ما أردتِ بهذا؟ لِمَ /٦٨/ فعلتِ هذا؟ كان غيرَ هذا أولىٰ، أو نحوًا منْ هذا الكلام.

وقال غيره: هي نفس المؤمن تُوقعه في الذنب، ثم تلوم عليه فهذا اللوم من الإيمان بخلاف الشّقي، فإنه لا يلوم نفسه علىٰ ذنب، بل يلومها وتلومه علىٰ فوات الذنب، كأنّه من جهله بنفسه وربّه يرىٰ أنّه إذا فاته الذنب فاته ما يوجب التأسف علىٰ فواته، والندم واللوّم لنفسه وهذا من سفهه وغفلته وقالت طائفة بل هذا اللوم لنوعين فإنّ كلّ أحدٍ يلوم نفسه بَرًّا كان أو فاجرًا، فالسّعيد يلومها علىٰ آرتكاب معصية الله وترك طاعته، والشقي لا يلومها إلاّ علىٰ فوات حَظها وهواها، وقالت فرقةٌ هذا اللوم يوم القيامة فإن كلّ أحد يلوم نفسه إن كان مسيئًا فعلىٰ إساءته وإن كان محسنًا فعلىٰ تقصيره، وعدم زيادته.

(١) «الدر المنثور» في تفسير سورة القيامة آية (٢).

قال المحقق[١]: وهذه الأقوال كلها حق ولا تنافي بينها، واعلم أن اللوامة نوعان: لوّامة ملومة، وهي النفس الجاهلة، الظالمة التي يلومها الله وملائكته، ولوّامة غير ملومة وهي التي لا تزال تلوم صاحبها علىٰ تقصيره في طاعة الله، مَع بذل جهده فهذه لوّامة غير ملومة، بخلاف الأولىٰ فإنها تلوم صاحبها والله يلومها.

قال المحقق[٢]: وأشرف النفوس من لاَمت نفسَها في طاعة الله، واحتملت ملام اللائمين في مرضاته، فلا يأخذها في الله لومة لائم. وأمّا النّفس الأمّارة فهي المذمومة فإنها تأمر بكلّ سُوء وهذا من طمعها، إلا ما وفّقها الله وثبتّها وأعانها وَمَن يخلص مِن شرّ نفسه، غير من وفّقه الله كما قال تعالىٰ حاكيًا عن زليخا: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [يُوسُف: الآية ٥٣] وقال: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا﴾ [النُّور: الآية ٢١] فالنفس المطمئنة قرينها الملك، والنّفْس الأمّارة قرينها الشيطان، فنسأل الله العافية والتوفيق، فإنّه وليّ التوفيق.

فَإنْ قُلْتَ هل تتلاقىٰ أرواح الموتىٰ وتتزاور وتتذاكر أم لا؟ قُلْتُ: أجاب عن هذه المسألة الإمام المحقّق وقال: إنّها /٦٩/ مسألة شريفة كبيرة القدر.

---

(١) «الروح» ص٣٣٨.
(٢) «الروح» ص٣٣٩ بتصرف.

وملَخّص ما أجَاب: أنّ الأرَواحَ قسمان: أرواح معذبة، وأرواحٌ منعّمة، والمعذّبة في شُغل، بما هي فيه من العذاب، عَن التزاور والتلاقي، والأرواح المنعّمة مرسلة، غيرُ محبوسة تتلاقىٰ وتتزاور، وتتذاكر ما كان منها في الدنيا، وما يكون من أهل الدنيا فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو علىٰ مثل عملها، وروح نبينّا ﷺ مع الرفيق الأعلىٰ قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [النِّساء: الآية ٦٩] الآية[١]. وهذه المعية ثابتة في الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار الجزاء، والمرء مع من أحبّ في هذه الدور الثلاث وروىٰ جرير عن مسروق قال: قال أصحاب محمّد ﷺ: ما ينبغي لنا أن نفارقك في الدنيا، فإذا متّ رفعت فوقنا فلم نرك فأنزل الله ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [النِّساء: الآية ٦٩] الآية.

وقال الشعبي: جاء رجل من الأنصار وهو يبكي إلىٰ النّبيّ ﷺ فقال: «**ما يبكيك يا فلان؟**» فقال: يا نبي الله والله الذي لا إله إلا هُو لأنت أحبّ إليّ من نفسي، وأنّا نذكرك أنا وأهلي فيأخذني كذا، حتىٰ أراك فذكرت موتك وموتي، فعرفت أني لن أجامعك إلاّ في الدُنيا، وأنك ترفع مع النّبيّين وعرفت أنّي إن دخلت الجنّة، كنتُ في منزل أدنىٰ من منزلك فلم يرد النبي ﷺ عليه شيئًا فأنزل الله ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [النِّساء: الآية ٦٩] ٱلاية[٢].

---

(١) «الروح» ص٤٥.

(٢) رواه سعيد بن منصور ٤/ ١٣٠٧-١٣٠٨ (٦٦١) من طريق عطاء بن السائب عن الشعبي مرسلاً. ورواه الطبراني ١٢/ ٨٦ (١٢٥٥٩) من طريق عطاء عن الشعبي عن ابن عباس، به.

وفي قصّة الإسراء من حديث عبد الله بن مسعود قال: «**لما أسري بالنبي ﷺ لقي إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ صلوات الله وسلامه عليهم فتذاكروا الساعة، فبدؤا بإبراهيم فسئلوه عنها فلم يكن عنده علم منها، حتىٰ أجمعوا الحديث إلىٰ عيسىٰ فقال عيسىٰ: عهد الله إليّ فيما دون وجبتها، فذكر خروج الدجال فقال: فأهبط فأقتله، وترجع الناس إلىٰ بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج، وهم من كلّ حدب ينسلون فلا يمرّون بماء إلا شربوه، ولا يمرّون بشيء إلاّ أفسدوه فيجأرون إلىٰ الله / ٧٠/ تعالىٰ فَأدعوا الله فيميتُهم فتجأر الأرضُ إلىٰ الله من ريحهم ويَجأرون إليّ فأدَعو ويُرسلُ الله السّماءَ بالماء فتحمل أجسامَهُمْ فتقذفها في البحر، ثُمْ تُنسفُ الجبالُ وتُمَدُّ الأرضُ مَدّ الأديم فعهد اللهُ إليّ إذا كان كذلك فإنّ السّاعة من النّاس كالحامل المتم لا يَدرِي أهلها متىٰ تفجؤهم بولادتها ليلاً أو نهارًا**» قال المحقق ذكره الحاكم والبيهقي وغيرهما[١].

وهذا نصٌ في تذاكر الأرواح وقد أخبر الله سبحانه عَن الشُهداء بأنّهم أحياء عند رَبّهم يُرزقون وأنهم يستبشرون بنعمة من الله وفضل، وهذا يدل علىٰ تلاقيهم من ثلاثة أوجه؛ أحدها: أنهم أحياء عند الله وإذا كانوا أحياء فهم يتلاقون، الثاني: أنهم يستبشرون بإخوانهم

(١) حديث ضعيف، رواه ابن أبي شيبة (٤٩٩١٧)، وابن ماجه (١٣٦٥)، وأحمد ١/ ٣٧٥، والشاشي (٨٤٥)، وأبو يعلىٰ (٥٢٩٤) وصححه البوصيري، والحاكم ٢/ ٣٨٤ و٤/ ٤٨٨.

لقدومهم عليهم، ولقائهم لهم. الثالث: أن لفظ يستبشرون يُفيد في اللّغة أنهم يبشر بَعضُهم بعضًا مثل ما يتباشرون في الدنيا.

وقد تواترت الأخبارُ بذلك فمنها ما ذكره صالح بنُ بشر قال: رأيتُ عطاء السلمي في النوّم بعد موته فقلت: يرحمك الله، لقد كنت طويل الحزن في الدنيا، فقال: أمّا والله لقد أعقبني ذلك فرحًا طويلاً، وسرورًا دائمًا، فقلت في أي الدّرجات أنت؟ قال: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ [النّساء: الآية ٦٩] الآية[١].

وقال عبد الله بن المبارك: رأيتُ سفيان الثوري في النوم فقلت له: ما فَعل الله بك؟ قال: لقيتُ محمدًا وحزبه.

وقال صخر بن راشد: رأيت عبد الله بن المبارك في النوم بعد موته فقلت: أليس قَدْ مِتَّ؟ قال: بلىٰ. قلت: فما صنع الله بك؟ قال: غَفَر لي مغفرة أحاطت بكلّ ذنب. فَقلت: فسفيان الثوري؟ فقال: بخٍ بخٍ ذلك ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [النِّسَاء: الآية ٦٩] الآية[٢].

وذكر ابن أبي الدُنيا مِن حديث حمّاد بن زيد عن هشام بن حَسّان عن حَفصة بنتِ راشد قالت: كان مروان المحلمي[٣] لي جارًا، وكان ناصباً[٣] مجتهدًا فمات، فَوجَدْتُ عليه وَجْدًا شديدًا،

---

(١) «حلية الأولياء» ٦/ ١٧٢.

(٢) «حلية الأولياء» ٦/ ٣٨٦، وتاريخ بغداد ١٠/ ١٦٨.

(٣) في المخطوط: المحكي، رياضياً، وما أثبت من المحقق عفا الله عنه.

قالت فرَأيته فيما يرىٰ النائم، فقلت: /٧١/ أبَا عبد الله ما صنع الله بك؟ قال: أدخلني الجنّة قلت: ثُمَّ ماذا قال: ثم رَّفعتُ إلىٰ أصحاب اليمين قُلتُ: ثمَّ ماذا قال: رُفعت إلىٰ المقربين، قلتُ: فمن رأيتَ من إخوانك؟ قال: رأيتُ الحسنَ وابن سيرين وميمون بن سياه[1].

قال المحقق: وقد جاءت سنّة صريحة بتلاقي الأرواح وتعارفها.

أخرج ابن أبي الدُنيا قال: لما مات بشر بن البراء بن معرور رضي الله عنه وجدَت أمّ بشر وَجْدًا شديدًا فقالت: يا رسول الله إنه لا يزال الهَالِكُ يَهلك من بني سلمة فهل تتعارف الموتىٰ؟ فأرسل إلىٰ بشر السّلام فقال رسول الله ﷺ: «**نعم، والذي نفسي بيده يا أمّ بشر إنهم ليتعارفون كما يتعارف الطيرُ في رؤوس الشجر**»، وكان لا يهلك هالك من بني سلمة إلاّ جاءته أمّ بشر فقالت: يا فُلان عليك السلام فيقول وعليك فتقول: أقرأ علي بشر السلام[2].

وأخرج ابن أبي الدُنيا أيضًا عن عبيد بن عُمير قال: أهل القبور يتوكفون الأخبار، فإذا أتاهم الميت قالوا: ما فعل فلان؟ فيقولون صالح، ما فعل فلان؟ فيقول: صالح، ما فعل فلان؟ فيقول: ألم يأتكم؟ أما قدم عليكم؟ فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، سلك به غير سبيلنا[3].

---

(١) «تاريخ بغداد» ٥/ ٣٣٨.

(٢) أورد البخاري بعضه في «التاريخ الكبير» ٥/ ٣٠٥، انظر ص٣٤٩ ت(١).

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد عن أبيه في «السنة ٢/ ٦١٣، وأبو نعيم في «الحلية» ٣/ ٢٧١.

قال صالح المري: بلغني أنّ الأرواح تتلاقىٰ عند الموت، فتقول أرواح الأموات التي تخرج إليهمْ كيف كانَ مأواك وفي أي الجسدين؟ كنت في طيب أم في خبيث؟، ثم بكىٰ حتىٰ بلغه البكاء.

وقال عبيد بن عمير: إذا مات الميتُ تلقته الأرواح يستخبرونه كما يستخبر الركب ما فعل فلان؟ ما فعل فلان؟ فإذا قال: تُوُفي ولم يأتهم قالوا: ذُهِب به إلىٰ أمّه الهاوية.

وقال أيضًا: لو أني آيس مِن لقاء مَن مات من أهلي لألقاني مِتّ كمدًا.

وفي كتاب «الروح» للمحقق أنّ أبا أيّوب الأنصاري حدّث أنّ رسول الله ﷺ قال: **«إنّ نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرّحمة من عند الله،** /٧٢/ **كمَا يتلقىٰ المُبشَّر في الدنيا، فيقولون أنظروا أخاكم حتىٰ يستريح فإنه كان في كرب شديد، فيسألونه ماذا فعل فلان؟ وماذا فعلت فلانة؟ وهل تزوّجت فلانة؟ فإذا سألوه عن رجل مات قبله قال: قد مات قبلي، قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون ذُهبَ به إلىٰ أمه الهاوية، فبئست الأم وبئست المربية»** [(١)(٢)].

---

(١) كذا في جميع الأصول (المربية) وما أثبت من مصادر التخريج.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» ٤/ ١٢٩ (٣٨٨٧)، وفي «الأوسط» (١٤٨)، وفي «مسند الشاميين» (١٥٤٤) و(٣٥٧٤). وأورده الهيثمي ٢/ ٣٢٧ وقال: فيه مسلمة بن علي وهو ضعيف. قلتُ: مسلمة بن علي قال فيه ابن حبان: روىٰ عن الثقات الموضوعات. «المجروحين» ١/ ٣٣٦، سيأتي في ١٣٦ ت(٢) ص٣٥٠ (٣).

وفي «الهدي» للمحقق أيضًا، عن بعض أهل عاصم الجحدري قال: رأيتُ عاصمًا الجحدري في منامي بعدَ مَوته بسنتيْن، فقُلتُ: أليس قدْ متّ؟ قال: بلىٰ، قلت: فأين أنت؟ قال: أنا والله في رَوضة من رِياض الجنة، ونفر من أصحابي، نجتمع كُلّ ليلة جمعة وصبحتها إلىٰ أبي بكر بن عبد الله المزني، فنتلاقىٰ أخبارَكم قال: قلتُ أجسامكم أم أرواحكم؟ قال: هيهات بليتِ الأجسامُ إنما تتلاقىٰ الأرواح، قال: فقلت فهل تعلمون زيارتنا إياكم؟ قال: نعلمُ بها عشية الجُمعة ويوم الجمعة كله، وليلةَ السبت إلىٰ طلوع الشمس، قال: قلتُ وكيف ذاك دون الأيام كلها؟ قال: لفضل يوم الجمعة، وعظمته(١).

فإن قيل: فهل تتلاقىٰ أرواح الأحياء والأموات؟ فالجواب: نعم تتلاقىٰ.

قال المحققُ في «الرّوح»: وشواهدُ هذه المسألة وأدلتها أكثر من أنْ يُحصيها إلا الله تعالىٰ، فتلتقي أرواح الأحياء والأموات كما تلتقي أرواح الأحياء، وقد قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزُّمَر: الآية ٤٢].

---

(١) زاد المعاد ١/ ٤١٥-٤٦٠ وعزاه ابن القيم إلىٰ ابن أبي الدنيا في «المنامات»، والخبر في «شعب الإيمان» للبيهقي ٧/ ١٨.

وذكر أبو عبد الله بنِ مَنده من الأصحاب عن ابن عبّاس في هذه الآية قال: بلغني أنَّ أرواحَ الأحياء والأموات تلتقي في المنام، فيتساءلون بينهم، فيمسك اللهُ أرواح الموتىٰ ويرسل أرواح الأحياء، إلىٰ أجسادها. وذكر ابن أبي حاتم نحوه عن السدي[١].

قال المحقق[٢]: وهذا أحد القولين في الآية وهو /٧٣/ أن الممسَكة مَنْ تُوفيت وفاة الموت أولا، والمرسلة من توفيت وفاة النوم والمعنىٰ علىٰ هذا أنه يَتوفىٰ نفس الميت، فيمسكها، ولا يُرسِلُها إلىٰ جَسَدها قبل يوم القيامة ويتوفىٰ نفس النائم، ثم يُرسلها إلىٰ جَسَدها إلىٰ بقية أجلها، فيتوفاها الوفاة الأخرىٰ والقول الثاني: أن الممسكة والمرسلة كلاهما توفي وفاة النوم، فمن ٱستكملت أجلها أمسكها عنده فلا يردها، إلىٰ جَسدها ومَن لم تستكمل أجلها رَدّها إلىٰ جسدها.

واختار هذا شيخ الإسلام[٣] قدس الله روحه قال: وعليه يَدُلّ القرآن والسّنّة، فإنّه سُبحانه ذكر إمساكَ التي قَضىٰ عليها الموت من هذه الأنفس، التي توفاها وفاة النوم، وأما التي توفاها حين مَوتها فتلك لمْ يصفها بإمساك، ولا إرسال، بل هي قسم ثالث والذي يترجح هُو القولُ الأوّل لأنه سُبحانه أخبرَ بوفاتين، وفاة كُبرىٰ وهي:

---

(١) تفسير الطبري ٢٤/٩.

(٢) «الروح» ص٥٠.

(٣) كما نقله في الروح ص٥٠-٥١.

وفاة الموت، ووفاة صغرىٰ، وهي وفاة النوم.

وقسّم الأرواح قسمين: قسمًا قضَىٰ عليه الموت فأمسكها عنده، وهي التي توفاها وفاة الموت، وقسمًا لها بقية أجل فردّها إلىٰ جسدها قاله المحقق، ثم قال: والتحقيقُ أنَّ الآية تتناوَل النوعين فإنَّه سبحانه ذكر وفاتين، وفاتَ نوم ووفات موت، وذكر إمساك المتوفاة وإرسال الأخرىٰ، ومعلوم أنه يُمسك كُلّ نفس ميّت سواءً مات في النوم أو اليقظة ويُرسل كُل نفسٍ مَن لم يمت فقوله ﴿يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزُمَر: الآية ٤٢] يتناول من مات في اليقظةِ، ومن مات في المنام.

وقد دَلَّ علىٰ التقاء أرواح الأحياء والأموات؛ أنّ الحيّ يرىٰ الميت في منامه فيستخبره، ويخبره الميت بما لا يعلمه الحي، فيصادف خبره ما أخبر في الماضي والمستقبل، وربُما أخبره بمالٍ دفنَه الميتُ في مكانٍ لم يعلم به سواه، وقد حكىٰ غير واحد من أهل العلم، أنّ رجلاً غنيًا حج فأودع آخر مؤسومًا /٧٤/ بالأمانة والصّلاحِ ألفَ دينارٍ حتّىٰ يعود، مِن عَرفة فلمّا عاد، وجده قد مات، فسأل ورثته عن المال، فلم يكن لهم به علم فسأل علماء مكة عن قصّته، فقالوا له: إذا كان نصف الليل فائت زمزم وانظر فيها، وناد يا فلان باسمه، فإن كان من أهل الخير فيُجيبك من أوّل مرّة، فذهب ونادىٰ فيها فلم يجبه أحد فأخبرهم فقالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون، نخشىٰ أن يكون

صاحبك من أهل النار، اْذهب إلىٰ أرض اليمن ففيها بئر تسمىٰ برهوت[1]، يقال إنها علىٰ فم جهنم، فانظر فيها بالليل، وناد فيها يا فلان فيجيبك منها فمضىٰ إلىٰ اليمن.

وسأل عن البئر فدُلّ عليها، فذهب ليلاً ونادىٰ فيها يا فلان، فأجابه فقال أين ذهبي فقال: دفنتُه في الموضع الفلاني من داري، فلم آمن عليه ولدي فائتهم، واحفر هناك تجده فقال: ما الذي أنزلك ههنا، وقد كنت يظنّ بك الخير قال: كانت لي أخت فقيرة هجرتها، وكنتُ لا أحسن عليها، فعاقبني الله تعالىٰ بسببها، وأنزلني هذا المنزل، فبالله عليك إذا رجعت إلىٰ أولادي وأخذت حقك تذهب إلىٰ أختي، وتعمل معها جميلاً وتسألها بأن ترضىٰ عني.

فذكر ذلك إلىٰ أولاده، وذكر لَهم أمانته فأجابوه إلىٰ ذلك، فأخذها، وأمرهم بأن يتوجّهوا إلىٰ عمّتهم، ويأخذوا بخاطرها وتجعل أخاها في حِلّ، فذهبوا إليها وسألوا عنها، فأُخبرُوا بأنها تسأل الناس، فعاد الأولاد وأخبَروا الرّجل، بذلك فذهب الرجل إليها فاجتمع بها، وسألها ما كان حالها مع أخيها، فأبت وقالت: لا تذكره لي، وأغتمّت لذلك فأخذ الرّجل بخاطرها، وأعطاها صلة فعفت عن أخيها ودعت له بالرحمة، فعاد الرجل بعد ذلك إلىٰ زمزم

(١) وردت أخبار أن هذه البئر تلقىٰ فيها أرواح الكفار. اْنظر تفسير القرطبي ١٦/ ٦٠٤، وابن كثير ٤/ ١٦١. ومصنف عبد الرزاق ٥/ ١١٦، ومعجم البلدان ١/ ٤٠٥-٤٠٦. قال الحافظ في الفتح ٧/ ٢٣٣: وهو قول ابن الدغنة.

ونادىٰ يا فلان فأجابه وقال: جزاك الله خيرًا، قد رضي الله عني برضاها، وأعادني إلىٰ هنا ذكر هذه الحكاية الحافظ ابن رجب في «أهوال القبور»، وابن حجر في «أسنىٰ المطالب» / ٧٥/ وفي «الزّواجر» والبقاعي في «مُختصر أهوال القبور» وغيرهم مِن العلماء - رحمهم الله تعالىٰ - والله أعلم.

قال المحقق في «الرّوح»: وصحّ عن حمّاد بن سلمة، عن ثابت عن شهر بن حوشب أن الصّعب بن جثامة، وعوفَ بنَ مالك، كانا متواخيين[1]، قال صعب لعوف: أي أخي أيّنا مات قبل صاحبه فليتراء له، قال أو يكون ذلك قال: نعم، فمات صعب فرآه عوف فيما يرىٰ النائم كأنه قد أتاه، قال قلت: ما فعل الله بك، قال غفر لي بعد المثارب، ورأيت لمعة سوء في عنقه قلت: أخي: ما هذه؟ قال: عشرة دنانير ٱستلفتها من فلان اليهودي، فهنّ في قرني فأعطوه إيّاها. واعلم أي أخي أنه ما يحدث في أهلي حدث بعد موتي إلاّ قد لحق بي خبره، حتىٰ هرّة لنا ماتت منذ أيّام، واعلم أنّ بنتي تموت إلىٰ ستة أيام، فاستوصوا بها معروفًا.

فلمّا أصبحت قلت إن في هذا لمعلمًا فأتيت أهله، فقالوا: مرحبًا بعوف أهكذا تصنعون بتركة إخوانكم، لم تقربنا منذ مات صعب، فاعتللت بما يَعتلُ بِه النَّاس، فنظرت إلىٰ القرن فأنزلته فانتشلت ما فيه فوجدت الصّرّة التي فيها الدنانير، فبعثت إلىٰ

---

(١) روىٰ أبو يعلىٰ (٣٤٠٤) عن أنس أن رسول الله ﷺ آخىٰ بين عوف بن مالك وبين صعب بن جثامة. ورواه شهر مرسلاً كما عند ابن أبي شيبة ٥/ ٣٤١.

اليهودي فقلت: كان لك علىٰ صعب شيء، قال: رَحمَ الله صَعبًا كان من أخيار أصحاب رسول الله ﷺ هي له قلت لتخبرني قال: نعم. أسلفْتُه عشرةَ دنانير قال: فمددتها إليه قال هي والله بأعيانها قال: قلت: هذه واحدة فقلت هل حدَث فيكم حدث بعد موته؟ قالوا: نعم، حدث فينا كذا قلتُ: اذكروه. قالوا: نعم هرّة ماتت منذ أيام فقلت هاتان اثنتان. قلتُ: أين ابنت أخي؟ قالوا: تلعب فأتيت بها فمسكتها فإذا هي محمومة، فقلت: استوصوا بها معروفًا، فماتت لستّة أيام[1].

قال المحقق: وهذا من فقه عوف رحمه الله ورضي عنه وكان من الصَّحابة حيثُ نفَّذَ وصيّة الصعب بن جثامة بعد موته وعلم صحّة قَوله بالقرائن التي أخبر بها من أنّ الدّنانير /٧٦/ عشرة وهي في القرن، ثم سأل اليهوديّ فطابقَ قوله لما في الرّؤيا فجزم عوف بصحة الأمر، فأعطىٰ اليهودي الدنانير، وهذا فقه إنما يليق بأفقه الناس وأعلمهم وهم الصحابة رضي الله عنهم ولعلّ أكثر المتأخرين ينكر ذلك، ويقول: كَيفَ جاز لعوفٍ أنْ ينقل الدنانير من تركة صعب، وهي لأيتامه وورثته إلىٰ يهودي بمنام؟

قال المحقق: ونظير هذا من الفقه الذي خصهم الله به دون الناس، قصّة ثابت بن قيس بن شمّاس، وقد ذكرها أبو عمر بن عبد البر وأخرجها مالك عن محمد بن مالك الأنصاري عن ثابت بن

---

(١) «شعب الإيمان» ١/ ٤٥٠ وذكر بعضه البخاري في «التاريخ الصغير» ١/ ٣٩.

قيس بن شمّاس رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال له: «**يا ثابت أما ترضىٰ أن تعيش حميدًا وتقتل شهيدًا وتدخل الجنة**»[١] قال الإمام مالك: فقُتِل ثابتُ يوم اليمامة شهيدًا.

وقال أبو عمر عن ابن ثابت قال: لما نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرَات: الآية ٢] دخل أبوه بيته وأغلق عليه الباب، ففقده رسول الله ﷺ وأرسل إليه يسألهُ ما خبره؟ قال: أنا رجلٌ شديدُ الصوت أخافُ أن قد حبط عملي قال: «**لستَ منهم، بل تعيش بخير وتموت بخير**». قال: ثم أنزل الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾ [القمَان: الآية ١٨]، فأغلق عليه بيته وطفق يبكي، ففقده رسول الله ﷺ فأرسل إليه فأخبره فقال: يا رسول إني أُحبّ الجمال وأحبُّ أن أسود في قومي، فقال: «**لستَ منهم بل تعيش حميدا، وتقتل شهيدا، وتدخل الجنة**». قال: فَلمّا كان يوم اليمامة خرج مع خالد بنُ الوليد رضي الله عنه إلىٰ مسيلمة فلمَا التقَوا ٱنكشفوا، فقال ثابت وسالم مولىٰ أبي حذيفة ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ ثم حفر كل واحد له حُفيرة، فثبتا وقاتلا حتىٰ قُتلا وعلىٰ ثابت يومئذ درع /٧٧/ له نفسه فمرّ به رجل من المسلمين، فأخذها فبينا رجل من المسلمين نائم، إذ أتاه ثابت في منامه فقال له: أوصيك بوصيّة فإيّاك أن تقول هذا حُلم فتضيعه، إني لّما قتلت أمس مرّ بي رجل من المسلمين، فأخذ درعي، ومنزله في أقصىٰ الناس وعند خبائه فرس يستن في

---

(١) مالك في الموطأ (٩٤٥).

طوله، وقد كفا علىٰ الدّرع برمة، وفوق البرمة رحلًا، فأت خالدا فمُرْهُ أن يبعث إلىٰ درعي فيأخذها، وإذا قَدِمْتَ المدينة علىٰ خليفة رسول الله، يعني الصّديق رضي الله عنه فقل له إنّ عليّ من الدَّين كذا وكذا، وفلان من رقيقي عتيق، وفلان فأتىٰ الرجل خالدًا فأخبره، فبعث إلىٰ الدّرع فأتي به، وحُدّث أبو بكر برؤياه، فأجازَ وصيّته[1].

قال المحققُ عن أبي عمر: ولا نعلم أحدًا أُجيزت وصيّته بعد موته، غير ثابت بن قيس - رحمه الله ورضي عنه.

قال المحقق: فقد ٱتفق أبو بكر وخالد والصحابة رضي الله عنهم علىٰ العمل بهذه الرّؤيا، وتنفيذ الوصية بها، وانتزاع الدرع ممن هو في يده بها، وهذا محض الفقه والله أعلم. والمقصود أنّ الأرواح تجتمع مع بَعْضِها، سواء كانت موتىٰ أو لا.

وقد أخرج ابن أبي شيبة، عن عبد الله بن عمرو قال: الجنّة مطويّة معلّقة بقرون الشمس، تُنشر في كلّ عام مرّة، وأرواح المؤمنين في طير الزرازير، يتعارفون ويُرزقون من ثمر الجنة[2].

وأخرج أحمد عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول ﷺ: «إنَّ

---

(١) ٱنظر خبر ثابت مطولاً ومختصرًا في «الآحاد والمثاني» لابن أبي عاصم ٣/ ٣٦١، والطبراني في «الكبير» ٢/ ٧٠ (١٣٢٠)، والحاكم ٣/ ١٣٥، والبيهقي في الدلائل ٦/ ٣٥٦.

(٢) رواه ابن أبي شيبة ٧/ ٥٦ باب ما ذكر في الجنة وما فيها مما أُعد لأهلها. ومن طريقه أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ١/ ٢٨٩ و٢٩٠، وفي «صفة الجنة» (١٣٣) والجوزقاني في «الأباطيل» ١/ ٣٢٠-٣٢١، وإسناده ضعيف، انظر في ص٣٣١ ت(٢)، (ص٣٤٩) ت(٣).

أرواح المُؤمِنَيْن ليلتقيان علىٰ مسيرة يوم، وما رأىٰ أحدُهما صاحبه قط»[١].

وأخرج البزارُ بسند صحيح عن أبي هريرة رفعه: «إن المؤمن ينزل به الموت ويعاين ما يعاين، يودُ لو خرجت نفسه، والله يحب لقاءه، وأن المؤمن تصعد روحه إلىٰ السّماء، فتأتيه أرواح المؤمنين فيستخبرونه /٧٨/ عن معارفه من أهل الدنيا، فإذا قال: تركت فلانا في الدنيا أعجبهم ذلك، وإذا قال: إن فُلانا قد مات قالوا: ما جيء به إلينا»[٢].

وسيأتي بقية الكلام علىٰ ذلك في باب مفرد، والله أعلم.

فإن قِيلَ: هل النفس والروح شيء واحد؟ أم هما شيئان؟

قلتُ: هذا فيه خلاف مشهور بين الناس. وظاهر حديث أبي هريرة المتقدم أنَّهما شيء واحد، وأنا أذكر تفصيل ذلك وما قيل فيه، مبينًا للصّواب إن شاء الله تعالىٰ:

حكىٰ ابن زيد، عن أكثر العلماء: أن الرّوح والنفس ٱسمان لمسمىٰ واحد، يعني كالبر والقمح ٱسم للحنطة، والإنسان والبشر ٱسم للحيوان الناطق، ويسمّىٰ هذا عند أهل الأصول مترادفًا.

وقال ابن حبيب: هما شيئان فالروح هي النفس المتردد في

---

(١) رواه الإمام أحمد ٢/ ١٧٥ (٦٦٣٦) و٢/ ٢٢٠ (٧٠٤٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٦١)، وإسناده لا بأس به.

(٢) رواه البزار (٨٧٤) «كشف الأستار» بأطول منه، وأورده الهيثمي ٣/ ٥٢، وقال: في الصحيح طرف منه، انظر ص١٢٧ ت(٢) ص٣٥٠ ت(٣).

الإنسان، والنفس هي التي يقا لها جسد مجسد لها يدان ورجلان وعينان ورأس وأنها هي التي تلذ وتفرح وتألم وتحزن، وأنها هي التي تُتَوفَّىٰ في المنام، وتخرج وتسرح، وترىٰ الرؤيا فتسرُ بما ترىٰ أو تحزن به، ويبقىٰ الجسم دونها بالروّح لا يلذّ ولا يفرح، ولا يعقل حتىٰ تعود إليه النفس، فإن أمسكها الله ولم يرجعها إلىٰ جسدها، تبعها الروح فصارت معها شيئًا واحدًا، ومات الجسم وإن أرسلها إلىٰ أجل مسمّىٰ، وهو أجل الوفاة حَيَىٰ الجسمُ، واحتج بقوله ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزُّمَر: الآية ٤٢] .

والصواب، قول الأكثر: إنهما شيء واحد، لما تظافرت به الأحاديث الصّحيحة، والأخبار الصريحة من إطلاق كل واحد منهما عليها فتارةً يقول: الروح، وتارة يقول النفس.

وقال ابن منده من أصحابنا: ٱختلفوا في معرفة الروح والنفس، فقال بعضهم، النفس[1] طينية نارية والروح نورية روحانية. وقال بعضهم: الروحُ لاهوتية والنفس ناسوتية وإن الخلق بها ٱبتلىٰ، وقالت طائفة: وهم أهل الأثر إن الروح غيرُ النفس، والنفس غيرُ الروح، وقوام النفس بالرّوح، /٧٩/ والنّفس صورة العبد، والهَوىٰ والشهوة والبلاء معجون فيها، ولا عدوّ أعدىٰ لابن آدم من نفسه، لا تريد إلاّ الدنيا ولا تحب إلاّ هي، والرّوح تدعو إلىٰ الآخرة وتؤثرها وجعل الهوىٰ تبعًا للنّفس، والشيطان تبع لها وللهوىٰ، والملك مع

(١) ليست في (أ).

العقل والروح والله تعالىٰ يُمدّها بإلهامه، وتوفيقه ذكر ذلك ابن القيم، في الرّوح، ثم اعتمد أن الروح والنفس واحدة، وإنما يختلفان بالصّفات لا بالذّوات، والله تعالىٰ أعلم.

وذكر بعض الصّوفية: أن النّفس هي الأصل في الإنسان، فإذا صقلت بالرياضة والمشاهدة، وأنواع الذكر والتّألّه والفكر صارت روحًا، ثم قد تترقىٰ إلىٰ أن تصير سرّا من أسرار الله تعالىٰ، والله أعلم[1].

تتمة: وممّا ينبغي أن يعلم، أنّ الميّت يعرف من غسله وجهّزه، ويسمع ما يقال فيه وما يقال له، والجنازة مارّة وأن الملائكة تمشي في الجنازة، وأن السماء والأرض والملائكة تبكي علىٰ المؤمن إذا مات، وأن الميت يُلقَّنُ ونحن نذكر أدلّة ذلك كلّه.

أخرج الإمام أحمد والطبراني في «**الأوسط**»، وابن أبي الدنيا والمروزي، عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «**إنّ الميت يعرف من يغسله ويحمله، ومن يكفنه ومن يدليه في حفرته**»[2].

وأخرج ابن أبي الدنَيا عن مجاهد قال: إذا مات الميّت فمَلكٌ قابضٌ نفسه، فما من شيء إلا وهو يراه عند غسله، وعند حمله،

---

(١) على ترتيب ن ب.

(٢) رواه الإمام أحمد ٣/ ٣ و٦٢، والخطيب في «تاريخه» ١٢/ ٢١٢ وفي «موضح أوهام الجمع» ٢/ ٢٦٤، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» ١/ ٢٠٨، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢/ ٢١، وقال: رواه أحمد والطبراني في الأوسط وفيه رجل لم أجد من ترجمه.

حتىٰ يوصله إلىٰ قبره.

وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ قال: الروحُ بيد ملكٍ يمشي به، فإذا دَخل قبره جُعل فيه[1].

وأخرج أبو نعيم عن عَمرو بن دينار قال: ما من ميت يموت، إلا روحه في يد ملك ينظر إلىٰ جسده، كيف يغسّل وكيف[2] يكفّن وكيف يُمشى به، ويقال له وهو علىٰ سريره ٱسمع كيف ثناء / ٨٠/ الناس عليك[3].

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عمرو بن دينار قال: ما من ميت يموت، إلاّ روحه في يد ملك الموت، فهم يغسلونه وهو يرىٰ ما يصنع أهله، فلو يقدر علىٰ الكلام، لنهاهم عن الرّنّة والعويل.

وأخرج عن سفيان قال: الميتُ يعَرف كلّ شيء، حتىٰ إنّه ليناشد غاسله، بالله إلا أحسنت غسلي، قال: ويقال له وهو علىٰ سريره: ٱسمع ثناء الناس عليك.

وفي «التذكرة»[4]: أنّ الروح ترفعها الملائكة، حتىٰ توقفها بين يدي الله تعالىٰ فيسألها، فإن كانت من أهل السعادة قال لهم: سيروا بها وأروها مقعدها من الجنَّة، فيسيروا بها في الجنة قدر ما يغسل الميت، فإذا غُسل وكفّن رُدَّت، وأدرجت بين كفنه وجسده فإذا حُمل

---

(١) رواه ابن أبي شيبة ٧/ ١٦٨. (٢) [كيف] ليست في (أ).

(٣) «حلية الأولياء» ٣/ ٣٤٩.

(٤) (١/ ١٠١) تحقيق أبو سفيان محمود منصور.

علىٰ النعش، فإنها تسمع كلامَ الناس من متكلم بخير، ومن متكلم بشر، فإذا وصل إلىٰ قبره، وصُلِّيَ عليه رُدّت فيه الرّوح وأقعد ودخل عليه الملكان كما سيأتي.

وأخرج البخاري ومسلم عن أنس أن النّبي ﷺ وقف علىٰ قتلىٰ بدر فقال عمرُ: يا رسول الله، كيف تكلِّم أجسادًا لا أرواح فيها؟، فقال: «**يا فُلان بنُ فلان هل وجدتم ما وعد ربكم حقّا**»، فإنّي وجدت ما وعدني ربّي حقا، فقال: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، غير أنهم لا يستطيعون أن يردّوا علىٰ شيء**»[(١)].

وأخرج أبو الشيخ، من مُرسل عبيد بن مرزوق قال: كانت آمرأةٌ بالمدينة تقُمُّ المسجد، أي تكنسه فماتت فلم يعلم بها النبي ﷺ فمرّ علىٰ قبرها فقال: ما هذا القبر؟ فقالوا: أمّ محجن، قال: «**التي كانت تقمّ المسجد؟**» قالوا: نعم فصفّ النَّاس فصلَّىٰ عليها، فقال: «**أيّ العمل وجدتِ أفضل؟**» قالوا: يا رسول الله أتسمع؟ قال: «**ما أنتم بأسمع منها**»، فذكر أنها أجابته: قَمُّ المسجد.

وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري /٨١/ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا وُضعت الجنازة واحتملها الرّجال علىٰ أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت قدّموني، وإن كانت غير صالحة، قالت: يا ويلها أين تذهبون بها؟ يسمع صوتها كلّ شيء إلاّ الإنسان، ولو يسمعه الإنسان لصعق**»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٣٩٧٦) ومسلم (١٧٧٩).

(٢) رواه البخاري (١٣١٤) و(١٣١٦) و(١٣٨٠).

وأخرج الإمام أحمد في «الزّهد»، عن أمّ الدّرداء قالت: إنَّ الميت إذا وُضع علىٰ سريره، فإنّه يُنادي يا أهلاه ويا جيراناه، ويا حملة سريراه، لا تّغرنكم الدّنيا كما غرّتني، ولا تلعبنّ بكم كما لعبت بي، فإنّ أهلي لم يحملوا من وزري شيئا[1].

وأخرج سعيد بن منصور: إن الملائكة لتمشي أمام الجنازة، ويقولون: ما قدّم فلان؟ ويقول الناس: ما ترك فلان؟

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي الجلد قال: قرأتُ في مسألة داود رَبَّه قال: إلهي ما جزاء من شيّع الجنازة ٱبتغاء مرضاتك؟ قال: جزاؤه أن تشيّعه الملائكة يوم يموت، وأصلّي علىٰ روحه في الأرواح[2].

وأخرجه ابن عساكر عن ابن مسعود مرفوعًا، ولفظه: أن داود قال: إلهي ما جزاء من شيع ميتًا إلىٰ قبره ٱبتغاء مرضاتك؟ قال: جزاؤه أن تشيّعه ملائكتي، فتصلّي علىٰ روحه في الأرواح[3].

وأخرج أبو نعيم، وأبو يعلىٰ، وابن أبي الدنيا، وابن أبي حاتم، عن أنس عن النبيّ ﷺ قال: **«ما من إنسان إلاّ وله بابان في السّماء، بابُ يصعد عمله فيه، وباب ينزل منه رزقه، فإذا مات العبدُ المؤمن بكيا عليه»**[4].

---

(١) رواه البيهقي في «الزهد الكبير» ٢/ ٢٠٢، وهو في «صفة الصفوة» ٤/ ٣٩٦. وروي نحوه عن عمر مرفوعًا كما في «تاريخ جرجان» ص١٧٨، و«الفردوس» ٤/ ٣١.

(٢) الحلية (٦/ ٥٦).

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب (٤٥٥٩) (٣/ ٢٣٩).

(٤) رواه الترمذي (٣٢٥٥)، وأبو يعلىٰ (٤١٣٣)، وفي إسناده ضعف ويقويه ما روي عن ابن عباس موقوفًا: رواه البيهقي في «الشعب» ٣/ ١٨٣، وهو الخبر التالي.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله تعالىٰ ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدّخان: الآية ٢٩] هل تبكي السماء والأرض علىٰ أحد؟ قال: «**نعم إنه ليس أحد من الخلائق إلا له باب في السّماء، منه ينزل رزقه، وفيه يصعد عمله، فإذا مات المؤمن، فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله، وينزل منه رزقُه فقد بكىٰ، فإذا فَقَد مصلاّه من الأرض الذي كان يصلي فيها** / ٨٢/ **ويذكر الله فيها بكت عليه، وإن قوم فرعون لم يكن لهم في الأرض آثارٌ صالحة، ولم يكن يصعد إلىٰ الله منهم خير، فلم تبك عليهم السماء والأرض**»[1].

وأخرج ابن جرير وابن أبي الدنيا عن عبيد الحضرمي قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه، إلاّ بكت عليه السماء والأرض**»، ثم قرأ: «﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدّخان: الآية ٢٩] ». ثمّ قال: «**إنهما لا يبكيان علىٰ كافر**»[2].

وقال مجاهد: ما من مؤمن يموت إلا تبكي عليه الأرض سبعين صباحًا.

وقال محمد بن كعب: إن الأرض لتبكي من رجل وتبكي علىٰ رجل، تبكي علىٰ من كان يعمل علىٰ ظهرها بطاعة الله، وتبكي من

---

(١) شعب الإيمان ٣/ ١٨٣.

(٢) تفسير الطبري ٢٥/ ١٢٥ وهو منقطع.

رجل يعمل علىٰ ظهرها بمعصية الله[1].

وقال علي كرّم الله وجهه: إذا بلغت الجنازة القبر فجلس الناس فلا تجلس، ولكن قم علىٰ شفير قبره فإذا دُلي في قبره فقل: بسم الله، وفي سبيل الله، وعلىٰ ملّة رسول الله، اللهم إنه عبدك نزل بك، وأنت خيرُ منزول به خلّف الدنيا خلْفَ ظهره فاجعل ما قَدِمَ عليه خيرًا مما خلّف، فإنك قلت ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٩٨] [2].

وأخرج الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا مات أحدكم فلا تحبسوه وأسرعوا به إلىٰ قبره، وليقرأ عند رأسه بفاتحة الكتاب، وعند رجليه بخاتمة سورة البقرة في قبره**»[3].

وكان أنس رضي الله عنه يقول إذا وُضع الميتُ في قبره: اللهم جاف القبر عن جنبيه وصعّد روَحهُ، وتقبله وتلقاه منك برَوح[4].

وقال عَمرو بن مرة: كانوا يستحبون، إذا وضع الميت في

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» ص١٥٠، وأبو نعيم في «الحلية» ٣/ ٢١٣.

(٢) رواه البزار في مسنده ٢/ ١٢٤، وأروده الهيثمي ٣/ ٤٤ وقال: فيه عبد الله بن أيوب وهو ضعيف.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» ١٢/ (١٣٦١٣)، والبيهقي في الشعب ٧/ ١٦ وفيه ضعف. وأورده في المجمع ٣/ ٤٤.

(٤) رواه ابن أبي شيبة ٣/ ١٩ و٢٠ و٦/ ١٠٧، والطبراني ١/ ٢٤٤ (٦٨٧)، والبيهقي في الشعب ٧/ ٨.

اللحد أن يقولوا: اللهم أعذه من الشّيطان الرجيم.

وأخرج الطبراني في «الكبير»، عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات أحدُ من إخوانكم فسوّيتم التراب عليه، فليقم أحدكم علىٰ رأس قبره، ثم ليقل: يا فلان ابن فلانة فإنه يسمعه ولا يجيبه، ثم يقول /٨٣/ يا فلان ابن فلانة، فإنه يستوي قاعدًا، ثم يقول: يا فلان بن فلانة، فإنه يقول أرشدنا أرشدك الله، ولكن لا تشعرون فليقل: اْذكر ما خرجت عليه من الدنيا، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وأنك رضيت بالله ربّا، وبالإسلام دينا، وبمحمدّ نبيّا وبالقرآن إماما، فإنّ منكرًا ونكيرًا يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول: اْنطلق بنا ما نقعد عند من لقّن حجّته، فيكون الله حجيجه دونهما قال رجل يا رسول الله: فإن لم يعرف أمّه؟ قال: ينسبه إلىٰ حواء يا فلان ابن حواء**»[1]. والله أعلم.

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» ٨/ (٧٩٧٩). وأروده في «المجمع» ٢/ ٣٢٤ و٣/ ٤٥ وقال: في إسناده جماعة لم أعرفهم وهو حديث ضعيف، قال العراقي في تخريج الأحياء (٤/ ٤٢٠) لا يصح وقال الألباني في الضعيفة (٥٩٩) حديث منكر.

خاتمة

أخرج البزار والحاكم، عن أبي سعيد، أنّ النّبيّ ﷺ مرّ بالمدينة، فرأىٰ جماعةً يحفرون قبرًا، فسأل عنه، فقالوا: حبشي قدم فمات، فقال رسول الله ﷺ: «**لا إله إلاّ الله سيق من أرضه وسمائه إلىٰ التربة التي خلق منها**»(١).

وأخرج أبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**ما من مولود إلا وقد ذرّ عليه من تراب حفرته**»(٢).

وأخرج الحكيم الترمذي في «**نوادر الأصول**» عن عبد الله رضي الله عنه قال: إن الملك الموكل بالرّحم يأخذ النطفة من الرحم، فيصعد بها علىٰ كفه، فيقول: يا ربّ مخلقة أو غير مخلقة؟ فإن قال: مخلقة، قال: ربّ ما الرّزق؟ ما الأثر؟ ما الأجل؟ فيقول: أنظر في أمّ الكتاب، فينظر في اللوح المحفوظ، فيجد فيه رزقه وأجله، وعمله. ويأخذ التراب الذي يدفن في بقعته، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه: الآية ٥٥] (٣).

---

(١) رواه البزار (٨٤٢) «كشف»، والحاكم ١/ ٥٢١، والبيهقي في «الشعب» ٧/ ١٧٣. وأورده الهيثمي ٣/ ٤٢. ورواه أحمد في «فضائل الصحابة» (٥٢٨) من حديث عبد الله بن سوار. وإسناده ضعيف.

(٢) «حلية الأولياء» ٢/ ٢٨٠.

(٣) أنظر التعليق علىٰ هذا الموضوع في هامش كتاب «المجالسة» ٢/ ٤١-٤٣ (تحقيق مشهور سليمان) وقد روي بمعناه مرفوعًا دون آخره، أخرجه البخاري (٣٢٠٨) و(٣٣٣٢)، و(٦٥٩٤) و(٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣). وانظر =

وذكر في «المجالسة» عن هلال بن يساف قال: ما من مولود يولد، إلا وفي سرّته من تربته التي يموت فيها[١].

وأخرج الترمذي عن مطر بن عُكامِس مرفوعًا: «**إذا قضي لعبدٍ أن يموت بأرض، جعل له إليها حاجة**» قال الترمذي: حسن غريب[٢].

وروَى السّدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود /٨٤/ وعن ناس من أصحاب النّبيّ ﷺ في قوله عزّ وجلّ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٦] قال إذا وقعت النطفة في الأرحام، طارت في الجسد أربعين يومًا، ثم تكون علقة أربعين يومًا، ثم تكون مضغة أربعين يومًا، فإذا بلغ أن تخلق، بعث الله ملكًا يصوّرها، فيأتي الملك بتراب بين إصبعيه، فيخلطه في المضغة، ثم يعجنه بها ثم يُصوّرها كما يؤمر، الحديث. وفيه: «**فإذا ماتَ ذلك الجسَدُ دُفن حيث أخذ ذلك الترابُ**» خرّجه ابن جرير الطبري في تفسيره[٣].

= «ترتيب مشكل الآثار» (١٣) وما بعده.

(١) رواه أبو بكر الدينوري في «المجالسة» (١٩٠) وحسنه المحقق بمجموع طرقه.

(٢) رواه الترمذي (٢١٤٦)، والطبراني في «الأوسط» (٢٥٩٦).

قال العلائي في «جامع التحصيل» ص٢٨١ عن مطر بن عكامس: قال ابن معين: ليست له صحبة، وقال أحمد بن حنبل وأبو حاتم: لا تعرف له صحبة ولا رؤية ولا يروى إلا هذا الحديث الواحد.

(٣) تفسير الطبري ٣/ ١٥٩.

قال الحافظ ابن رجب، قدّس الله روحه والسّدي: مختلف في أمره، وكان الإمام أحمد رضي الله عنه ينكر عليه جمعه الأسانيد المتعددة، للتفسير الواحد.

وأخرج الترمذي عن أبي عزة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة**»، أو قال: «**بها حاجة**»، قال: هذا حديث حسن صحيح وأبو عزّة له صحبة واسمه يَسار بنُ عُبيد[1] وأنشدوا:

إذا ما حمام المرء كان ببلدة دعته إليها حاجة فيطير

وأخرج ابن ماجه عن ابن مسعود مرفوعًا: «**إذا كان أجل العبد بأرض أتته الحاجة إليها، حتىٰ إذا بلغ أقصىٰ أثره قبضه الله، فتقول الأرض يوم القيامة: رَبّ هذا ما استوْدَعْتني**»[2].

قال القرطبي في «التذكرة»[3]: قال علماؤنا رحمةُ الله عليهم: فائدة هذا الباب، تنبيه العبد علىٰ التيقظ للموت، والاستعداد له بحسن الطاعة، والخروج من المظلمة وقضاء الدّين، وإثبات الوصيّة بما لَهُ وعليه في الحضر، فضلاً عن أوان الخروج عن وطنه إلىٰ سفر فإنه لا يدري أين كتبت منيّته من بقاع الأرض وأنشدُوا:

مشينا في خُطا كُتبت علينا ومن كتُبت عليه خُطا مشاها

---

(١) رواه الترمذي (٢١٤٧)، انظر ت(٢) الصفحة السابقة.

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢٦٣) وصححه البوصيري.

(٣) التذكرة (٧٥) تح عصام.

وأرزاق لنا متفرّقات فمن لم تأته مِنّا أتاها
/ ٨٥/ ومن كُتبت منيته بأرض فليس يموتُ في أرضٍ سواها

وقُلْتُ: والقلبُ ملذوع بنار الفراق واللب في طماطيم البلابل والاحتراق، أذكر غربتي وبعدي عن الأحبّة، وأتسلىٰ بالقضاء والجسم قد قضىٰ نحبه

[شعراً](١)

بكت عيني وأرّقني سُهادي وذاب القلْب من طول البُعاد
ولم أر عترتي وسوادَ عيني فوا أسفي ويا حرّ الفؤاد
فلا أدري إذا دَنت المنايا أموت بغربتي أم في بلادي
وهذي غربة كُتبَت علينا وآثارٌ بتقدير الجواد
قضىٰ الرحمن آثاري ورزقي وأجلي مذ خُلقت كذا معادي
فما أبغي(٢) وحُكم الله فينا يقينًا غيرَ ممنوع النَّفاد

فائدتان:

الأولىٰ: لأولياء الميّت أن يتحروا له الجار الصالح، فقد أخرج أبو نعيم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ادفنوا موتَاكم وسط قوم صالحين، فإن الميّت يتأذَىٰ بجار السوء، كما يتأذىٰ الحي بجار السوء»**(٣).

---

(١) في (ب): (أبقىٰ) وما بين القوسين زيادة من «ط».

(٢) رواه ابن حبان في «المجروحين» ١/ ٢٩٠، وأبو نعيم في «الحلية» ٦/ ٣٥٤، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١٧٨١)، والقزويني في «التدوين» ٣/ ١٥٠، والديلمي كما في الفردوس ١/ ١٠٢. وإسناده شديد الضعف.

وأخرج ابن عساكر، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «**إذا مات لأحدكم الميت، فأحسنوا كفنه، وعجّلوا إنجاز وصيّته وأعمقوا له في قبره، وجنبوه جار السّوء**» قيل: يا رسولَ الله وهل ينفع الجار الصالح في الآخرة؟ قال: «**هل ينفع في الدنيا؟**» قالوا: نعم، قال: «**كذلك ينفع في الآخرة**».

وأخرج الديلمي، من حديث أمّ سلمة مرفوعًا «**أحسنوا الكفن ولا تؤذوا موتاكم بعويل، ولا بتأخير وصيّة، ولا بقطيعة، وعجلوا قضاء دَيْنه، وأعدلوا [ ] عن جيران السّوء**»[1].

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن نافع المزني قال: مات رَجلٌ بالمدينة فَدُفن بها فرآه رجلٌ كأنّه من أهل النار، فاغتم لذلك، ثم رآه بعد سابعة أو ثامنة كأنه من أهل الجنة، فسأله قال: دفن معنا رجل من الصالحين، فشفع في أربعين من جيرانه، فكنت فيهم.

الثانية: قال الآجرّي: يستحب الوقوف بعد /٨٦/ الدفن قليلاً والدعاء للميت، مستقبل وجهه بالثّبات، فيقال اللهم هذا عبدك، وأنت أعلم به منّا، ولا نعلم منه إلا خيرًا، وقد أجلسته لتسأله، اللهم فثبّته بالقول الثابت في الآخرة، كما ثبّته في

---

(١) الفردوس (٣١٧)، وما بين القوسين في الأصل زيادة «به» وهي غير موجودة في الفردوس.

الدّنيا، اللهمّ ارحمه، وألحقه بنبيّه، ولا تضلّنا بعده، ولا تحرمنا أجره.

قُلتُ: فإن كان يعلم من عمله غير الخير، فلا ينبغي أن يقول، ولا نعلم إلا خيرًا لأنّه كذب، وهو لا يجوز، ثم رأيت علماءنا أعزّهم الله، صرحوا بذلك منهم «الإقناع»[1]، والله أعلم بالصواب

* * *

(١) (١/ ٣٤٣) تحقيق الشيخ عبد الله التركي. حفظه الله. أقول: وهذا قد ورد فيه حديث «اسئلوا لأخيكم الثبات فإنه الآن لا يسئل».

الكتاب الأوّل
في أحوال البرزخ

وهو الحاجز بين شيئين ومنه قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٢٠] أي حاجز يمنعهما من أن يختلط أحدهما بالآخر، ووجه تسمية ما هنا برزخًا، لأنه يحجز بين الدّنيا والآخرة، كما هو ظاهر، وفيه أربعة أبواب:



الباب الأول

في ذكر حال الميت عند نزوله قبره، وسؤال الملائكة له، وما يفسح له في قبره أو يضيق عليه، وما يرىٰ من منزله في الجنة والنّار، وكلام القبر للميت عند نزوله إليه

قال الله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: الآية ٢٧].

وأخرج الشيخان عن البراء بن عازب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٧] نزلت في عذاب القبر» زاد مسلم «**يقال له من ربُّك؟ فيقول الله ربي، ونبييّ محمّد**» فذلك قوله ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٧]، وفي رواية للبخاري «**إذا أقُعد المؤمن في قبره أتىٰ، ثم شهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّدًا رسول الله، فذلك قوله** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٧] » الآية[1].

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٩) و(٤٦٩٩)، ومسلم (٢٨٧١)، وأحمد ٤/ ٢٨٢ و٢٩٢، وأبو داود (٤٧٥٠)، والترمذي (٣١٢٠)، والنسائي ٤/ ١٠١، وابن ماجه (٤٢٦٩).

وأخرج الطبراني عن البراء مرفوعًا: «**يقال للكافر مَن ربّك فيقول: لا أدري، فهو تلك الساعة أصمّ أعمىٰ أبكم، فيضرب بمرزبة، لو ضُرب بها جبلٌ لصار ترابًا، فيسمعها كلُّ شيءٍ غير الثقلين**»، وقرأ ﷺ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [إبراهيم: الآية ٢٧] الآية[١].

وفي رواية لأبي داود[٢]: «**يأتيه ملكان، فيجلسانه فيقولان له: /٨٧/ مَن ربّك؟ فيقول: ربّي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ فيقولان له: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله تعالىٰ، فآمنت به وصدّقت، فيُنادِي منادٍ من السّماء أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنّة، وافتحوا له بابًا إلىٰ الجنّة، وألبسوه من الجنّة، ويفسح له فيه مدّ بصره**»، وذكر الكافر إلىٰ أن قال: «**ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له مَن ربّك؟ فيقول: هاه هاه: لا أدري، فيقولان: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فينادي منادٍ من السّماء، أن كَذَبَ عبدي، فأفرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له بابًا إلىٰ النار، قال: فيأتيه من حرها، وسمومها قال: فيضيق عليه قبره، حتىٰ تختلف فيه أضلاعه**» وفي رواية: «**ثم يقيض له أعمىٰ أبكم معه مرزبة من حديد، لو ضرب بها جبلاً لصار ترابًا**»، قال: «**فيضربه ضربة**

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٣٦٧٧) وفي «الصغير» (٤٩٥).

(٢) سنن أبي داود (٤٧٥٣).

يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصيرُ ترابًا». قال: «ثم تعاد الروح» وخرّجه النسائي وابن ماجه مختصرًا[١]. وخرّجه الإمام أحمد رضي الله عنه بسياقٍ مطوّل[٢].

وأخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: **«إن العبد إذا وُضع في قبره، وتولىٰ عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان: ما كُنتَ تقول في هذاالرّجل؟ لمحمّد ﷺ فأمّا المؤمن، فيقول: أشهد أنّه عبدُ الله ورسوله، فيقال له: أنظر إلىٰ مقعدك من النار وقد أبدلك الله مقعدًا من الجنة، قال: فيراهما جميعا»**[٣]، يعني المقعدين.

قال قتادة: ذكر لنا **«أنه يُفسح له في قبره وأما المنافق والكافر، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنتُ أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت. ويُضرب بمطراق من حديد، ضربة فيصيح صيحة يسمعه من يليه، غير الثقلين»**[٤].

زاد أبو داود: **«إنَّ /٨٨/ المؤمن يُقال له: ما كنت تعبد؟ فإن**

---

(١) رواه النسائي ٤/٧٨، وابن ماجه (١٥٤٧) و(١٥٤٨) مختصرًا: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فانتهينا إلىٰ القبر فجلس كأن علىٰ رؤوسنا الطير". أو نحو ذلك.

(٢) رواه الإمام أحمد ٤/٢٨٧ و٢٨٨ (١٨٥٣٤) مطولاً.

(٣) البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠) وأحمد (٣/١٢٦)، وأبو داود مختصرًا (٣٢٣١)

(٤) رواه البخاري (١٣٣٨) و(١٣٧٤) ومسلم (٢٨٧٠)، والإمام أحمد ٣/١٢٦، وأبو داود (٣٢٣١) و(٤٧٥١) و(٤٧٥٢)، والنسائي ٤/٩٦ و٩٧، وابن حبان (٣١٢٠).

هداه الله تعالىٰ قال: كنتُ أعبد الله، فيقال: ما كنت تقول في هذا الرّجل؟ فيقول: هو عبد الله ورسوله، قال: فما يُسأل عن شيء غير هذا»، وزاد أيضًا «فيقول دعوني حتىٰ أبشّر أهلي، فيقال له اُسكن، وذكر الكافر أنه يُسأل عما كان يعبد، ثم عن هذا الرجل»[(١)].

وفي الصّحيحين عن أسماء بنت الصّدّيق رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يوم كُسفت الشمس: «ولقد أوحى[(٢)] الله إليّ أنكم تفتنون في قبوركم، مثلٌ أو قريبٌ من فتنة الدّجّال، يؤتىٰ أحدكم فيقال له: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن فيقول: محمد رسول الله، جاءنا بالبينات والهدىٰ، فأجبنا وآمنا واتبعنا فيقال: له نم صالحًا، فقد عَلمنا أن كنت لموقنا، وأما المنافق أو المرتاب فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته»[(٣)].

وخرّجه الإمام أحمد بلفظ: «ولقد رأيتكم تفتنون في قبوركم، يُسأل الرّجل ما كنت تقول؟ وما كنت تعبد؟ فإن قال لا أدري، رأيتُ الناس يقولون شيئًا فقلته، ويصنعون شيئًا فصنعته، قيل له: أجل أي نعم علىٰ الشك، عشت وعليه متّ، هذا مقعدك من النار، وإن قال:

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٥١).

(٢) في (ب): (أوحي إلي).

(٣) رواه البخاري (٨٦) و(١٨٤) و(٩٢٢) و(١٠٥٣) و(٧٢٨٧)، ومسلم (٩٠٥)، وأحمد ٦/ ٣٤٥ و٣٥٠.

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، قيل له: علىٰ اليقين عشتَ وعليه متّ، هذا مَقعدك من الجنة»[١] .

وأخرج الترمذي وابن حبّان في «صحيحه»، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبي ﷺ قال: «إذا قُبر الميت أو قال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان، يُقال لأحدهما المنكر والآخر النكير، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول: ما كان يقول، هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين ذراعًا، ثم ينوّر له فيه، ثم يقال له نَمْ فيقول أرجع إلىٰ أهلي فأخبرهم، فيقولان نم كنومة العَروس الذي لا يوقظه / ٨٩/ إلاّ أحب أهله إليه، حتىٰ يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقا، قال: سمعت الناس يقولون شيئًا فقلت مثله لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنّك تقول ذلك، فيُقالُ للأرض التئمي عليه فتلتئم عليه، حتىٰ تختلف فيه أضلاعه، فلا يزال فيها معذبًا، حتىٰ يبعثه الله من مضجعه»[٢].

وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يجلس الرّجل الصّالح في قبره، غير فزع ولا

---

(١) رواه أحمد ٦/ ٣٤٥ لكن ليس بهذا التمام.

(٢) رواه الترمذي (١٠٧١)، وابن حبان (٣١١٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٦٤).

مشغوف، ثم يقال له: فيم كنت؟ فيقول: كنتُ في الإسلام، فيقال: ما هذا الرّجل؟ فيقول: محمد رسول الله ﷺ، جاءنا بالبينات والهدىٰ من عند الله، فصدقناه، وآمنّا، فيقال له: هل رأيت الله؟ فيقول: ما كان ينبغي[1] لأحد أن يَرىٰ الله، أي في الدّنيا فيفرج له فرجة قِبَل النار، فينظر إليها، يحطم بعضها بعضا، فيقال له ٱنظر إلىٰ ما وقاك الله، ثم يُفرج له فرجَة إلىٰ الجنة فينظر إلىٰ زهرتها، وما فيها فيقال له: هذا مقعدك، ويقال له: علىٰ اليقين كنت، وعليه متّ، وعليه تُبعث إن شاء الله تعالىٰ، ويجلس الرجل السّوء في قبره، فزعًا مشغوفًا فيقال له: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري فيقال: ما هذا الرّجل؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلته، فيفرج له فرجة قبل الجنة، فينظر إلىٰ زهرتها وما فيها فيقال له: ٱنظر إلىٰ ما صرف الله عنك، ثم يفرج له فرجة إلىٰ النار، فينظرُ إليها يحطم بعضها بعضا، فيقال له: هذا مقعدك علىٰ الشكّ، كنت، وعليه متّ، وعليه تبعث إن شاء الله تعالىٰ»[2].

وأخرج الطبراني، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ جنازة، فلما فرغ من دفنها وانصرف الناس، قال نبيُّ الله ﷺ: **«إنّه الآن يسمع خفق نعالكم، أتاه منكرٌ ونكيرٌ، أعينهما**

(١) في (ب): (ما ينبغي).

(٢) رواه أحمد ٢/ ٣٦٤ (٨٧٦٩) و٦/ ١٣٩، وابن ماجه (٤٢٦٢) و(٤٢٦٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٤٤٢)، وابن خزيمة في «التوحيد» ١/ ٢٧٦-٢٧٧.

مثل قدور النحاس، وأنيابهما مثل صياصي البقر، أي قرونها وأصواتهما مثل الرعد القاصف، فيجلسانه فيسألانه /٩٠/ ما كان يعبد؟ ومَن كان نبيُّه؟ فإن كان ممّن يعبد الله قال: كنت أعبدُ الله، ونبييّ محمّد ﷺ جاءنا بالبيّنات والهدىٰ، فآمنّا واتّبعنا، فذلك قول الله عزّ وجلّ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٧].

فيقال له: علىٰ اليقين حَييت، وعليه متّ وعليه تبعث إن شاء الله، ثم يُفتح له باب إلىٰ الجنة، ويوسّع له في حفرته، وإن كان من أهل الشكّ قال: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته، فيقال له: علىٰ الشكّ حَييت، وعليه متّ، وعليه تبعث، ثم يفتح له باب إلىٰ النار، ويسلط عليه عقارب وتنانين لو نفخ أحدُهم في الدّنيا ما أنبتت شيئًا تنهشه، وتؤمر الأرض فتنضمّ عليه، حتىٰ تختلف أضلاعه»(١).

وأخرج الإمام أحمد عن جابر، عن النّبي ﷺ قال: «إنّ هذه الأمّة تبتلىٰ في قبورها، فإذا دخَل المؤمن قبرَه وتولىٰ عنه أصحابه، جاءه مَلَك شديد ٱلانتهار فيقول له: ما كنت تقول في هذا الرّجل؟ فيقول المؤمن: أشهد أنّه رسول الله، فيقول الملك ٱنظر إلىٰ مقعدك

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٦٢٩)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٣/ ٥٤ وقال: فيه ابن لهيعة وفيه كلام. وانظر فتح الباري ٣/ ٢٣٧ تنبيه: في الطبراني الأوسط «والنبي ﷺ» وهي خطأ وفيه لفظة «ثعابين» بدل «تنانين».

الذي كان لك في النار، قد أنجاك الله منه، وأبدلك بمقعدك الذي ترىٰ من النار، مقعدك الذىٰ ترىٰ من الجنة، فيراهما كلاهما، فيقول المؤمن: دعوني أبشر أهلي، فيقال له: اَسكن. وأمّا المنافق، فيُقعد إذا تولَىٰ عنه أهله، فيقال له ما كنت تقول في هذا الرّجل؟ قال: لا أدري، أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت هذا مقعدك الذي كان لك في الجنة، قد أبدلك الله به مقعدك من النار»(١).

قال جابر: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يُبعث كل عبد علىٰ ما مات عليه(٢)، المؤمن علىٰ إيمانه، والمنافق علىٰ نفاقه»(٣).

وأخرج أيضًا عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: شهدت مع رسول الله ﷺ جنازة، فقال ﷺ: «يا أيّها الناس إن هذه الأمّة تبتلَىٰ في قبورها، فإذا الإنسانُ دُفِن، فتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق، فأقعده قال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان / ٩١/ مؤمنًا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّدًا عبده ورسوله. يُقال أو يقولُ: صدقت، ثم يُفتح له بابُ إلىٰ النار فيقول: هذا منزلك لو كفرت بربك، فأما إذ آمنتَ، فهذا منزلُك فيفتح لَه بابٌ إلىٰ الجنة، فيريد أن ينهض إليه، فيقول له اَسكن، ويُفسح لَه في قبره، وإن كان كافرًا أو منافقًا يقول له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، سمعت

(١) رواه أحمد ٣/٣٤٦ (١٤٧٢٢)، والطبراني في «الأوسط» (٩٠٧٢). ورواه بنحوه عبد الرزاق (٣٧٤٤) و(٤٧٤٦). وهو صحيح بشواهده.

(٢) رواه مسلم (٢٨٧٨).

(٣) أبو يعلىٰ (١٩٠١)، وابن حبان (٧٣١٣) و(٧٣١٩). وانظر تخريج رقم (١).

الناس يقولون شيئًا فقلته، فيقال له: لا دريت ولا تليت، ولا اهتديت، ثم يفتح له باب إلىٰ الجنة، فيقال هذا منزلك لو آمنت بربك، فأما إذْ كفرت به، فإنّ الله تعالىٰ أبدلك هذا، ويفتح له باب إلىٰ النار، ثم يقمعه قمعة بمطراق، يسمعها خلق الله كُلهم، غير الثقلين». فقال بعض القوم: يا رسول الله: ما أحد يقوم عليه ملك في يده مطراق إلاّ هيل أي فزع، وخاف عند ذلك، فقال ﷺ: «﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٧]»[1].

وأخرج أبو بكر الخلال في كتاب «السنة»، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّ النّبي ﷺ قال له: «كيف أنت ياعمر؟ إذا كنت من الأرض في أربعة أذرع، في ذراعين ورأيتَ منكرًا ونكيرًا؟»

قلت يا رسول الله: وما منكر ونكير؟

قال: «فتّانا القبر، يبحثان الأرض بأنيابهما، ويطآن في أشعارهما أصواتهما كالرّعد القاصف، وأبصارُهما كالبرق الخاطف، ومعهما مرزبة، لو اجتمع عليها أهل مِنىٰ لم يطيقوا رفعها، هي أيسر عليهما من عصاي هذه؟»

قُلتُ: يا رسولَ الله، وأنا علىٰ حالي هذه؟

قال: «نعم»، فقلت: إذًا لأكفيكهما.

---

(١) رواه أحمد ٣/ ٣ و٤ (١١٠٠٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٦٥)، والبزار (٨٧٢) «كشف»، والطبري في «تفسيره» ١٣/ ٢١٤.
وأورده الهيثمي ٣/ ٤٧-٤٨ وقال: رجاله رجال الصحيح.

وفي رواية: «**فامتحناك، فإن التويت ضرباك بها ضربة صرت رمادًا**»(١).

قال الحافظ ابن رجب: في إسناده ضعفٌ، وخرّجه الإسماعيلي من وجه آخر، وفيه ضعف بنحوه، وزاد فيه: «**يأتيان الرجل في صورة قبيحة، يطآن علىٰ شعورهما، ويحفران بأنيابهما**»(٢).

وأخرج الإمام أحمد وابن حبّان في «صحيحه»، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ ذكر فتاني القبر فقال عمر: أَتُرَدُّ علينا / ٩٢/ عقولنا يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «**نعم كهيأتكم اليوم**»، فقال عمر: بِفيةِ الحَجَرُ(٣).

---

(١) رواه البيهقي في «عذاب القبر» (١١٨)، وفي ٱلاعتقاد ص٢٩٠ (ط دار الفضيلة) قال البيهقي: غريب بهذا الإسناد تفرد به مفضل هذا وقد رويناه من وجه آخر عن ابن عباس، ومن وجهٍ آخر صحيح عن عطاء بن يسار عن النبي ﷺ مرسلاً في قصة عمر وقال: ثلاثة أذرع في عرض ذراع وشبر ولم يذكر المرزبة.
وروره الذهبي في «الميزان» ٦/ ٤٩٩. وفي إسناده مفضل بن صالح قال البخاري وغيره: منكر الحديث.

(٢) «أهوال القبور» ص٢٠ .

(٣) رواه أحمد ٢/ ٧٢، وابن حبان (٣١١٥)، والآجري في «الشريعة» ص٣٦٧، وابن عدي في «الكامل» ٢/ ٨٥٥ ترجمة محيي بن عبد الله. وفي إسناده ضعف.وقال الهيثمي ٣/٤٨: رواه أحمد والطبراني في «الكبير» ورجال الطبراني رجال الصحيح.
قول عمر: بِفيه الحجرُ. أي: جعل اللهُ الحجرَ في فم المفتون في قبره دلالة علىٰ الخيبة والحسرة. ٱنظر «لسان العرب» مادة (فوه).

وأخرجَ الإمام أحمد عن بعض حفدة أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه أن أبا موسىٰ أوصاهم قال: إذا حفرتم فأعمِقوا قعره، أما إنّي والله لأقول ذلك، وإني لأعلم إن كنت من أهل طاعة الله ليفسحنّ لي في قبري، ولينوّرنّ لي فيه، ثم ليفتحن لي باب مساكني في الجنة، فما أنا بمساكني من داري هذه بأعلم بمساكني منها، وليأتيّني من روحها وريحها وريحانها، ولئن كنتُ من أهل المنزلة الأخرىٰ، ليضيقنّ عليّ قبري ولتُهدَمنَّ عليّ الأرضُ، وليُفتَّحنَّ بابُ مساكني من النار، فما أنا بمساكني من داري هذه بأعلم مني بمساكني منها، ثُمَّ ليأتيني من شررها، ودخانها[1].

وقد رُوي عَن مجاهد أن الموتىٰ يفتنون في قبورهم سبعًا فكانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام .[2]

وسنذكر الكلام علىٰ هذا بعد إن شاء الله تعالىٰ.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن بحير، حدثنا بعضُ أصحابنا قال: مات أخ لي فرأيته في النوم فقلت له ما كان حالك حين وضعت في قبرك؟ قال: أتاني آت بشهاب من نار، فلولا أن داع دعا لي، لرأيت أنه سيضربني به[3].

* * *

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» ١/ ٢٦٣ بإسناد جيد.

(٢) روىٰ ذلك أبو نعيم في «الحلية» ٤/ ١١ من قول طاوس ولا دليل علىٰ ذلك من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولم يصح عن أحد من الصحابة.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا، وفي إسناده مجهول.

فصل في كلام القبر للميت عند نزوله

أخرج الترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: دَخل رسول الله ﷺ مصلاه فرأىٰ ناسًا يكشرون أي يضحكون، فقال: «أما إنكم لو أكثرتم من ذكر هادم اللذات لشغلكم عما أرىٰ الموتُ فأكثروا ذكر هادم اللذات، فإنه لم يأت علىٰ القبر يوم إلا يتكلم فيه، فيقولُ: أنا بيت الغربة أنا بيت الوحدة، أنا بيت التراب، أنا بيت الدود، فإذا دُفن العبد المؤمن قال له القبر: مرحبًا وأهلاً أما إن كنت لأحبَّ من مشى علىٰ ظهري، فإذا آويتك اليومَ وصرت إليّ فسترىٰ صنعي بك فيتسع مدّ بصره، ويُفتح له بابٌ إلىٰ الجنّة، وإذا دُفن العبدُ الكافر أو الفاجر قال القبر: لا مَرحبا بك ولا أهلاً أما إن كنت لأبغض من مشى /٩٣/ علىٰ ظهري، فإذا وليتك اليوم، وصرت إليّ فسترىٰ صنعي بك، قال فيلتئم عليه حتىٰ تلتقي، وتختلف أضلاعه». وقال ﷺ بأصابعه، فأدخل بعضها في بعض، «ويقيّض له تسعون تنينًا، لو أنَّ واحدًا منها نفخ في الأرض، ما أنبتت شيئًا ما بقيت الدنيا فتنهشه وتخدشه، حتىٰ يُقضىٰ به إلىٰ الحساب»

قال: وقال رسول الله ﷺ: «القبرُ إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار» قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه، إلا من هذا الوجه[١].

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٦٠). والفقرة الثانية «ويقيض له تسعون تنينًا..» مع زيادة =

قال الحافظ ابن رجب: لكن رُوي معناه من وجوه أُخر، فذكر منها عن أبي الحجاج الثمَالي[١] قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول القبر للميت حين يوضع فيه: ويحَك يا ابن آدم، ما غرّك بي؟، ألمْ تعلم أني بيت الفتنة، وبيت الظلمة، وبيت الوحدة، وبيت الدّود، ما غرّك بي؟ تمرّ بي مرارًا[٢] قال: فإن كان مصلحًا! أجاب عنه مجيب القبر، فيقول: أرأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، قال: فيقولُ القبرُ إني إذًا أتحول عليه خَضراءَ، ويعود قبره[٣] نورًا، وتصعدُ روحه إلىٰ الله تعالىٰ»[٤].**

خرّجه ابن أبي الدنيا والحاكم واسم أبي الحجاج: عبد الله بنُ عمرو، يُقال: عبد بن أبي عبد، قال الحاكم: أرىٰ لهُ صحبة.

وأخرجَ ابن منده عن البراء بن عازب، عن النبي ﷺ نحوه، وفيه: **«إذا وُضع الميتُ في لحده تقول الأرض إن كُنت لحبيبًا إلي وأنت علىٰ ظهري، فكيف إذا صرت اليوم إلىٰ بطني، سأريك ما**

= «فلو أنَّ تنينًا منها نفخ في الأرض ما أنبتت خضراء» رواه أحمد ٣/ ٣٨ (١١٣٣٤)، وابن حبان (٣١٢١)، والدارمي ٢/ ٣٣١، والآجري ص٣٥٩ فيه اختلاف في طبعة بشار للترمذي وسيأتي في ص٢١٦ ت(١).

(١) في (ب): (السماقي) والصواب ما أثبتناه.

(٢) في (ب): (قدادًا) في الطبراني ومسند أبي يعلى «فداداً» ولها تفسير عند أبي يعلى.

(٣) في (ب): (حره).

(٤) رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» ٤/ ٣٧١ (٢٤١٢)، وأبو يعلىٰ (٦٨٧٠)، والطبراني ٢٢/ ٣٧٧ (٩٤٢)، وأبو نعيم في «الحلية» ٦/ ٩٠.

أصنع بك، فيفسح له قبره مدّ بصره»[١].

وقال عبيدُ بن عمير: يجعلُ الله للقبر لسانًا ينطق به، فيقول: ابن آدم كيف نسيتني؟ أما علمتَ أني بيت الأكلَة، وبيتُ الدّود، وبيت الوحدة، وبيت الوَحشة[٢].

وقال محمد بن السمّاك الواعظ: بلغنا أن الرجل إذا وُضع في قبره فعذّب، أو أصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتىٰ، أيّها المُخلّف في الدنيا بعد إخوانه وجيرانه / ٩٤/ أما كان لك فينا مُعتبر أما كان لك في تقدّمنا إياك فكرة أما رأيت ٱنقطاع أعمالنا عنا، وأنت في المهلة فهلا ٱستدركت ما فات إخوانك قال: فتناديه بقاع القبر أيها المغتر بظاهر الدنيا، هلا ٱعتبرت بمن غيب عنك من أهلك، في بطن الأرض ممن غرّته الدنيا قبلك! ثم سبق به أجله إلىٰ القبور، وأنت تراه محمولاً، تهاديه أحبته إلىٰ المنزل الذي لا بدّ منه.

---

(١) رواه ابن المبارك عن أسيد بن عبد الرحمن ١/ ٤١ .

(٢) رواه هناد في «الزهد» (٣٤١)، وأبو نعيم في «الحلية» ٣/ ٢٧١.

فصل

قال الحافظ ابن رجب، في «أهوال القبور»: وقد أَطلَع اللهُ تعالىٰ من شاء من خلقه وعباده، علىٰ كثير ممّا ورد في هذه الأحاديث، حتىٰ سمعوه وشاهدوه عيانًا، ونحن نذكر طرفًا من ذلك.

وأخرج ابن أبي الدنيا، من طريق يزيد بن طريف قال: مات أخي فلما ألحِد وانصرف الناس، وضعتُ رأسي علىٰ قبره، فسمعت صوتًا يقول ما ربك فسمعت صوتًا[1] ضعيفًا أعرف أنه صوت أخي، وهو يقول الله، فقال الآخر: ما دينك؟ قال: الإسلام[2].

ومن طريق العلاء بن عبد الكريم، قال: مات رجلٌ وكان له أخ ضعيف البصر، قال أخوه: فدفناه، فلما ٱنصرف الناس، وضعتُ رأسي علىٰ القبر، فإذا أنا بصوت من داخل القبر، يقول من ربّك؟ ومن نبيّك؟ فسمعت صوت أخي وهو يقول: الله، قال الآخر: فما دينك؟ قال: الإسلام.

وخرّجَهُ ابن أبي الدنيا في كتاب «القبور»[3] بلفظ آخر، وهُو: قال: فإذا أنا بصوت من داخل القبر يقول: من ربّك؟ ومن نبيّك؟ فسمعت أخي يقول وعرفتُه، وعرفتُ صوتَه قال: اللهُ ربّي، ومحمدٌ نبيّ، ثم ٱرتفع شبه سهم من داخل القبر إلىٰ أذني، فاقشعرّ جلدي، وانصرفت.

---

(١) هناك سَقْط في هذا الموضع في (ب)، انظر كتاب القبور لابن ابن الدنيا رقم (١٣٣).
(٢) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» ١١/ ٥٤.
(٣) رقم (١٣٤).

وقال الضحاك: توفىٰ أخ لي، فدُفِن قبل أن ألحق جنازته، فأتيت قبره فاستمعت عليه، فإذا هو يقول: ربي الله، الإسلام ديني.

وخرّج ابن أبي الدنيا حكاية في «كتاب القبور»، عن يزيد بن حوشب قال: كنت جالسًا عند يوسف بن عَمرو إلىٰ جنبه رجل كأن شقّ وجهه صفحة من حديد، فقال /٩٥/ له يوسف: حدِّثَ يزيد بما رأيت قال: كنتُ شابًا قد أتيتُ هذه الفواحش، فلما وقع الطاعون قلت: أخرج إلىٰ ثغر من هذه الثغور، ثم رأيتُ أن أحفر القبور، فإني لليلة بين المغرب والعشاء، قد حفرت قبرًا، وأنا متكئ علىٰ تراب آخر، إذ أقبل بجنازة رجل، حتىٰ دُفن، في ذلك القبر، وسَوّينا عليه التراب[1] فأقبل طائران أبيضان من المغرب، مثل البعيرين، حتىٰ سقط أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه، ثم أثاراه، ثم تدلىٰ أحدهما في القبر والآخر علىٰ شفيره، قال: فجئت حتىٰ جلست علىٰ شفير القبر، وكنت رجلاً لا يملأ جوفي شيء، قال: فضرب بيده إلىٰ حقوه فسمعته يقول ألست الزائر لأصهارك في ثوبين تسحبهما كبرا تمشي الخيلاء فقال: أنا أضعف من ذلك، قال فضربه ضربة أمتلأ القبر ماء أو دمًا[2] قال: ثمّ عاد فعاد عليه القول مثل الأوّل، حتىٰ ضربه حتىٰ فاض، ثلاث ضربات كل ذلك يقول له ويذكر أنّ القبر يفيض ماء أو دمًا قال: ثم رفع رأسه، فنظر إليّ

---

(١) كلمة (التراب) ليست في (ب)، وكذلك في كتاب القبور (٩٨).

(٢) في (ب): (دهنًا) بدلاً من (دمًا) وتكرر ذلك عدة مرات.

فقال: ٱنظر أين هو جالس بلسه الله قال: ثم ضرب جانب وجهي، فسقطت فمكثت ليلتي حتىٰ أصبحت، قال: ثم أخذت أنظر إلىٰ القبر علىٰ حاله، وأذكر جلوسي، وذكر نحو هذا وشبهه. وكذلك شوهد ٱتساع اللحد وانفراجه.

روىٰ ابن أبي الدنيا، في كتاب «ذكر الموت»، عن أبي بكر بن أبي مريم عن الأشياخ قال: كان شيخ من بني (الجرمي)[1][2] بالبصرة، وكان شيخًا صالحًا، وكان له ابن أخ يصحب الفساق، فكان يعظه فمات الفتىٰ، فلمّا أنزله عمه في قبره، وسوىٰ عليه اللبن، شك في بعض أمره فنزع بعض اللبن، فنظر في قبره فإذا فيه أوسع من جبانة البصرة، وإذا هو في وسط منها، فردّ عليه اللبن وسأل ٱمرأته عن عمله، فقالت كان إذا سمع المؤذّن، يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، يقول وأنا أشهد بما شهدت وأكفيها /٩٦/ مَنْ تولىٰ عنها.

وأخرج ابن أبي الدنيا، في كتاب من «عاش بعد الموت»، حكاية[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينا نحن حول مريض لنا إذ هدأ وسكن حتىٰ ما يتحرك منه عرق، فسجّيناه وأغمضناه، وأرسلنا إلىٰ ثيابه وسدره وسريره[4]، فلمّا ذهبنا لنحمله لنغسله تحرّك، فقلنا سبحان الله! ما كنا نراك إلاّ قدْ متّ، قال: فإنّي قدْ متّ

---

(١) كذا بالأصل وفي كتاب «ذكر الموت» ص١٧٩: الحضرمي

(٢) «ذكر الموت» ص١٧٩ (٣١٩).

(٣) كلمة (حكاية) ليست في (ب) والقصة في كتاب «من عاش بعد الموت» (٦٤).

(٤) أي أرسلنا في إحضارها.

وذُهِب بي إلىٰ قبري، فإذا إنسانٌ حسن الوجه، طيّبَ الرّيح قد وضعني في لحدي فطوّاه بالقراطيس، إذ جاءت إنسانة سوداء منتنة الريح قالت: هذا صاحب كذا، وهذا صاحب كذا، أشياء والله أستحيي منها، كأنّما أقلعتُ عنها ساعته، قال: قلتُ: أنشدك الله أن تدعني وهذه، قالت: ٱنطلق نخاصمك، فانطلقتُ إلىٰ دار فيحاء واسعة، فيها مصطبة كأنّها من فضة، وفي ناحية منها مسجد ورجل قائم يصلي، فقرأ سورة النحل، فتردّد في مكان منها، ففتحتُ عليه فانفتل، فقال: السورة معك؟ قلتُ: نعم. فقال: أمّا إنها سورة النجم، ورفع وسادة قريبة منه، فأخرج منها صحيفة فنظر فيها فبادرته السَّوداء، فقالت: فعل كذا وفعل كذا، قال وجعل الحسن الوجه يقول: وفعل كذا وفعل كذا، وفعل كذا؛ يذكر محاسني.

فقال الرّجل: عبدٌ ظالم لنفسه ولكن الله تجاوز عنه، لم يجيء أَجَلُ هذا بعدُ، أَجَلُ هذا يوم ٱلاثنين. قال: فقال: ٱنظروا فإن أنا متّ يوم الأثنين فارجو لي ما رأيت، وإن لم أمت يوم ٱلاثنين فإنما هو هذيان الوجع. قال: فلمّا كان يوم ٱلاثنين، صحّ حتىٰ بعد العصر ثم أتىٰ أجله.

وفي لفظ: فلمّا خرجنا من عند الرجل قلت للرّجل الحسن الوجه الطيب الريح، ما أنت؟ قال: أنا عملك الصّالح، قلت: فما الإنسانة السوداء المنتنة الريح؟ قال: عملك الخبيث، أو كلامٌ يُشبه هذا، ذكرهُ الحافظ ابن رجب في «أهوال القبور»[1]. وقال: فيه عن عمر بن

---

(١) في أهوال القبور ص٣٩.

مسلم، عن رجل حفّار القبور، قال: حفرت قبرين وكنت في الثالث فاشتد عليّ الحرّ، فألقيت كسائي علىٰ ما حفرت، واستظللت فيه فبينا أنا /٩٧/ كذلك إذ رأيت شخصين، علىٰ فرسين أشهبين، فوقفا علىٰ القبر، فقال أحدهما لصاحبه: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: فرسخ وفرسخ[1]، ثم تحوّلا إلىٰ الآخر، قال: اكتب قال وما أكتب؟ قال: مدّ البصر ،ثم تحوّلا إلىٰ الآخر الذي أنا فيه فقال اكتب قال: وما أكتب قال: فِتْرٌ في فِتْرٍ[2] فقعدت أنظر الجنائز، فجيء برجل معه نفر يسير، فوقفوا علىٰ القبر الأوّل قلت: ما هذا الرجل؟ قالوا: إنسانٌ قرّاب يعني سقّاء ذو عيال، ولم يكن له شيء، فجمعنا له، فقلُت: ردُّوا الدراهم علىٰ عياله، ودفنته معهم، ثم أُتي بجنازة ليس معها إلا من يحملها فسألوا عن القبر فجاءوا إلىٰ القبر، الذي قالا: مد البصر، قلتُ: من ذا الرجل، فقالوا: إنسان غريب مات علىٰ مزبلة، ولم يكن معه شيء، فلم آخذ منهم شيئًا، وصليت عليه معهم، وقعدت أنظر الثالث فلم أزل أنتظره إلىٰ العشاء، فأُتي بجنازة امرأة لبعض القواد فسألتهم الثمن، فضربوا برأسي، ودفنوها فيه[3]. فسبحان اللطيف الخبير.

قُلْتُ: وقد أخبرني بعض إخواني وهو عندي غير متهم؛ أنّ

---

(١) كذا في جميع الأصول، وفي «أهوال القبور»: فرسخ في فرسخ.

(٢) الفِتْرُ: ما بين الإبهام والسَّبابَةِ، أو ما بين طرف الإبهام والسَّبابَةِ إذا فَتَحْتَهُما. «اللسان» مادة (فتر).

(٣) أهوال القبور ص٤٠.

رجلاً من بلدهم ماتت زوجته، قال وكانت تتعاطىٰ الرّبا، بالباء الموحّدة، فلما كان وقت العشاء سمع زوجها صريخها من داخل القبر، وكان جالسًا في باب داره فلمّا سمعها أخذته الحشومة من أجلها، وكان ذا شدّة وبأس، فأخذ سلاحه وذهب إلىٰ عند قبرها، فوقف عليه وقال: لها لا تخافي، فإنّي عندك؛ زعمًا منه أنه سينقذها مما هي فيه، لشدّة عتوّه وجهله، وتناول حجرًا من[1] القبر، قال: فما رفع رأسه حتىٰ ضُرِب ضربةً أبطلت حركته، وأرخت مفاصله، وأدُلع لسانه، فرجع علىٰ حالة قبيحة، وهيئة فضيحة. قال: فوالله لقد رأيته وهو مرخي لسانه[2]، وبصاقه ينزل علىٰ صدره. قال: وهذا خبر ٱستفاض عند أهل البلد كلّها، والله أعلم.

وأخبرني الشيخ التقي /٩٨/ المتعبد، وهو غير مُتّهم، بل ثقة صدوق، أعني: الشيخ صالح ابن الشيخ محمّد جرّاح، سنة سبع وثلاثين بعد المائة[3]، في شهر رجب في خلوتي بدمشق الشام، في مدرسة الشيخ مراد، في رحلتي في طلب العلم، وكانَ الشيخُ صالح يتردّدُ عليّ يقرأ في علم العروض، قال: أخبرني والدي الشيخ الصّالح محمد جراح العجلوني قال: ذكر لي جماعة من أهل بلدة، وسمّاها قالوا: كان عندنا هنا رجلٌ يظن به الخير، غير أنه يشرب التتن[4]،

---

(١) في (ب): (عن).

(٢) في (ب): (حنكه) بدلاً من: (لسانه).

(٣) يعني سنة ١١٣٧هـ.

(٤) التتن: هو الدخان بأنواعه.

فتوفّىٰ في يوم شديد الشتاء والبرد، فلم يستطيعوا أن يحفروا له قبرًا من شدة الثلج، فقالوا: نضعه في خشخاشة[١]، ففعلوا فنزل عليه رجل فسوّاه ثم خرج فلمّا كان بعد العشاء الآخرة، وأراد أن ينام تذكّر أنّه كان معه صرة دراهم، وظن أنها إنما وقعت في الخشخاشة، فقال لأولاده، وكانوا ثلاثة أو قال ٱثنين: قومُوا بنا إلىٰ الخشخاشة وذكر لهم الخبر، فقالوا: غدًا نذهب إليها فقال: بل الليلة لئلا تكون الدّراهم فيها، فننفضح غدًا، وأمّا الآن فإن لقينا الدراهم فبها ونعمت، وإلاّ فلا أحد يعلم خبرنا، قال: فأخذوا أضواء وذهبوا إلىٰ المحلّ ففتح الرّجل علىٰ الميت، فلقي القبر ملآن نارًا عليه، وإذا بالميّت جالس، وإذا بذكره ممدود، وإذا هو واضع رأس ذكره في فمه، ويخرج من فمه دخان منتن، والقبرُ يُضرمُ عليه نارًا، قال: فذهل الرجل وأولاده وصرخ بأهل بلده، فأتوا إليه ونظروا حالته، ولم يقدر الرجل أن يهجم علىٰ القبر، لينظر الدراهم لشدة النار.

قال: وهذه قصّة معلومة قد أخبرني والدي أنه ذكر هذا[٢] له جماعة من أهل تلك البلدة، ومن جملتهم الرّجل الذي ضاعت دراهمه، أو كلامًا هذا معناه والله أعلم بحقيقة ذلك.

ولقد سمعت أذناي ووعىٰ قلبي؛ وعمري إذ ذاك نحو تسع سنين

(١) الخشخاشة: يبدو أنها كلمة عامية لما يشبه الجِراب الكبير أو التابوت مصنوع من أعواد النبات وجريد النخل، والله أعلم.

(٢) كلمة (هذا) ليست في (ب).

صراخ ميّت من خشخاشة وذلك أني كنت مع أجير لنا، يدعىٰ حمدًا ناحية الجبّانة وكان قد /٩٩/ دُفن رجل يقال له شحادة الهمشري، في خشخاشة في طرف الجبّانة، فلمّا دنوت من الجبّانة سمعته يتضجّر ويصيح تضجّر الذي يضرب بالسّياط، وأبْلغ وسمع ذلك أجيرنا أيضًا، ففزعت لذلك فزعًا شديدًا، وسمع ذلك من تلك الخشخاشة جماعة في مرّات متعدّدة، ومضىٰ عليّ مدّة طويلة، لا أستطيع أن أهجم علىٰ الجبّانة، بسبب ذلك حتىٰ مَنَّ الله عليّ بقراءة القرآن، وذلك سنة إحدىٰ وثلاثين ومائة وألف وعمري إذ ذاك نحو سبع عشرة سنة[1]، ولله الحمد.

وذكر لي رجلٌ من أهل القرآن أنّه سَأَلَ حفّارًا عن أعجب ما رأىٰ من أهوال القبور، قال: كشفت يومًا عن قبر، فرأيت فيه جثة إنسان، وفي وسط تلك الجثة عقرب عظيم، وإذا زبانه مثل المرود، وإذا به يَضربُ تلك الجثّة، فتنضمّ وتنطوي، فإذا قلع زبانه منها ٱمتدّت كما كانت، وهكذا والرّجل الذي أخبرني ٱسمه محمّد، والحفّار ٱسمه عطا الله، وهذا سمعته منه سنة ٱثنتين وثلاثين علىٰ جبّانة، ولمّا رجعت من رحلتي في طلب العلم، سنة تسعة وثلاثين سألت ولد عطا الله عن ذلك فقال: وأنا والله سمعتُ ذلك من والدي، وهذا عندي غير متّهم، وهذا شيء قد عاينه الناس وتواتر وكثرت الحكايات فيه، وهو ممّا يجب الإيمان به، ولا ينكره إلاّ ضال، ونعوذ بالله والله سبحانه أعلم.

---

(١) كلمة (سنة) سقطت من (ب).

تَتِمَّة:

أخرج ابن أبي الدّنيا في «التهجّد»، وابن الضريس في فضائل القرآن(١)، وغيرهما عن عبادة بن الصّامت قال: إذا قام أحدكم من اللّيل، فليجهر بقراءته فإنه يطرد بجهره الشياطين، وفسّاق الجنّ، وإنّ الملائكة الذين هم في الهواء، وسكّان الدّار يستمعون لقراءته، ويصلّون بصلاته، فإذا مضت هذه الليلة، أوصت تلك الليلة المستأنفة فتقول /١٠٠/ نبهيه لساعته، وكوني عليه خفيفة، فإذا حضرته الوفاة جاء القرآن، فوقف عند رأسه وهم يغسّلونه، فإذا فرغ منه دخل القرآن حتىٰ صار بين صدره وكفنه، فإذا وضع في حفرته وجاءه منكر ونكير، خرج القرآن فصار بينه وبينهما، فيقولان له إليك عنا، فإنا نريد أن نسأله فيقول: والله ما أنا بمفارقه حتىٰ أدخله الجنّة، فإن كنتما أمرتما فيه بشيء فشأنكما، ثم يَنظرُ إليه فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا القرآن، أنا الذي كنت أسهرُ ليلَك، وأضمي نَهارَك، وأمنعك شهوتك، وسمعَك وبصرَك، فستجدني من بين الأخلاّء خليل صدق، ومن الإخوان أخا صدق، فأبشر فما عليك بعد مسألة منكر ونكير، مِنْ هَمّ ولا حَزن، ثمّ يخرجان عنه فيصعد القرآن إلىٰ ربه تعالىٰ، فيسأل له فراشًا ودثارًا، وقنديلاً من

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» ص١٣٥-١٣٨ (٣١) وابن الضريس في «فضائل القرآن» ص١١٦ (١١٦)، وفي إسناده داود بن راشد الطفاوي يحدّث بالبواطيل. وانظر التعليق علىٰ الحديث في آخره.

نور الجنة، فيؤمر له بفراش ودثار، وياسمين من ياسمين الجنة[١]، فيحمله ألف ملك من مقربي السّماء الدنيا، فيسبقهم القرآن إليه، فيقول: هل ٱستوحشت بعدي؟ ما زلت منذ فارقتك، علىٰ أن كلمّت الله في فراش ودثار ومصباح، فهذا قد جئتك به، فتدخل عليه الملائكة، فيحملونه ويُفرِشُونه ذلك ويضعون الدثار تحت رجليه، والياسمين عند صدره، ثم يحملونه حتىٰ يضعونه علىٰ شقه الأيمن، ثم يصعدون عنه فيستلقي عليه، فلا يزال ينظر إلىٰ الملائكة، حتىٰ يلجوا إلىٰ السّماء، ثم يدفع القرآن في قبلة القبر، فيوسع عليه ما شاء الله من ذلك[٢].

قال الجلال السيوطي في «**شرح الصدور**»[٣] والحافظ ابن رجب في «أهوال القبور»[٤]: قال أبو عبد الرحمن المقري[٥]، وكان

(١) في (ب) تقديم وتأخير في بعض العبارات.

(٢) رواه ابن أبي أسامة كما في «بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث» (٧٢٩)، والعقيلي في «الضعفاء» ٢/ ٣٩ (ترجمة داود بن راشد) وقال: هذا حديث باطل.
وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» ١/ ٢٥١ مرفوعًا وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ والمتهم به داود.
وأورده الهيثمي ٢/ ٢٥٣ و٢٦٦ من حديث معاذ بن جبل مرفوعًا وعزاه للبزار. وقال المنذري: في إسناده من لا يعرف حاله وفي متنه غرابة كثيرة بل نكارة ظاهرة. «الترغيب والترهيب» ١/ ٢٤٤.

(٣) «شرح الصدور» ص١٧٥ .

(٤) «أهوال القبور» ص٩٧-٩٨ .

(٥) هو عبد الله بن يزيد المكي وهو الذي يروي الحديث السابق عن داود.

في كتاب أبي معاوية: فيوسع له أربعمائة عام ثم يحمل الياسمين، من عند صدره فيجعله عند أنفه، فيشمّه غضًا إلىٰ يوم ينفخ في الصور، ثم يأتي أهله كل يوم مرة أو مرتين، فيأتيه بخبرهم ويدعو لهم بالخير، /١٠١/ والإقبال، فإن تعلّم أحدٌ من ولده القُرآن بشرَه بذلك، وإن كان عقبه عقب سوء أتىٰ الدار بكرة وعشيا، فبَكىٰ عليه إلىٰ أن ينفخ في الصور.

قال الحافظ أبو عيسىٰ المديني: هذا خبر حسن، وقد رواه الإمام أحمد رضي الله عنه وأبو خيثمة، وطبقتهما من المتقدمين، عن أبي عبد الرحمن المقري، هذا كلام الحافظ ابن رجب، في أهوال القبور، وقد رواه العقيلي في «الضّعفاء»[(١)].

قلت: ورواه ابن الجوزي في «الموضوعات»[(٢)]، من وجه آخر عن عبادة مرفوعًا، قالا - أعني - العقيلي وابن الجوزي: ولا يصح.

وأخرج جويبر[(٣)] في «تفسيره»، عن الضّحّاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: شهدت مع رسول الله ﷺ جنازة رجل من الأنصار، فانتهىٰ إلىٰ القبر لم يُلحد له، فجلس وجلس الناس،

---

(١) «الضعفاء الكبير» ٢/ ٣٩. (٢) «الموضوعات» ١/ ٢٥١ .

(٣) تقدم قول المصنف أن جويبراً ضعيف. قلت: قال ابن المديني: جويبر أكثر علىٰ الضحاك روىٰ عنه أشياء مناكير. وقال النسائي والدارقطني والجوزجاني: متروك. وقال ابن عدي: الضعف علىٰ حديثه ورواياته بيّن. وروي عن ابن خزيمة أنه كان يحتج به. أنظر «تهذيب الكمال» ٥/ ١٦٧.

وكأنّ علىٰ رؤسهم الطّير، فَضَربَ رسولُ الله ﷺ بصره في الأرض، ينكت بمخصرة معه، ثم رفع بصره إلىٰ السّماء فقال: «أعُوذ بالله من عذاب القبر»، ثلاث مرّات، ثم قال: «إنّ العبد المؤمن، إذا كان في إقبال من الآخرة، وإدبار من الدنيا، أتاه ملك الموت فجلس عند رأسه، وتهبط إليه ملائكة معهم تحفة من تحف الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، ومن كسوتها فيجلسون منه مدّ البصر، سماطين فيبدأ ملك الموت فيبشره، ثمّ تبشّره الملائكة، فتسيل نفسه كما تسيل القَطْرة من فيّ السّقاء فرحًا بمباشرة ملك الموت، حتىٰ إذا أخذ نفْسَه، لم تدعها الملائكة طرفة عين، حتىٰ يأخذوها ويحتضنوها إليهم بتلك التحف التي هبطوا بها، فإذا ريحُها قد ملأ ما بين السّماء والأرض، فتقول الملائكة ما أطيب هذه الرائحة، فتقول الملائكة هذه [رائحة][1] نفس فلان، قبض اليوم، وتُصلّي عليه، فإذا اَنتهوا به إلىٰ السماء فُتحت أبواب السماء، فليس من بابٍ إلا وّهو مشتاق إليه أن يهبط / ١٠٢/ منه حتىٰ إذا دخلوا بها من باب عمله بكىٰ عليه الباب فلا يمرّون [بها][2] علىٰ أهل سمّاء إلا قالوا: مرحبًا بهذه النفس المطمئنة، التي قبلت دعوة[3] ربها حتىٰ اَنتهوا إلىٰ سدرة المنتهىٰ، فيقول ملك الموت والملائكة الذين هبطوا إليها: يا رب قَبضْنا روح

---

(١) من (ب).

(٢) من (ب).

(٣) في (ب): (وصية) بدلاً من (دعوة).

فُلان بن فلان المؤمن، وهو أعلم منهم بذلك، فيقولُ الله: ردّوه إلىٰ الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدُهم ومنها أخرجهم تارة أخرىٰ، فإنه يسمعُ خفق نعالكم، ونفض أيديكم إذا وليتم عنه مدبرين، فتأتيه أملاك ثلاثة، ملكان من ملائكة الرحمة، وملك من ملائكة العذاب، وقد ٱكتنفه عمله الصالح والصلاة عند رجليه والصيام عند رأسه، والزكاة عن يمينه، والصدقة عن يساره، والبِرّ وحسن الخُلُق علىٰ صدره، فكلما أتاه ملك العذاب من ناحية، ذبَّ عنه عمله الصالح، فيقوم بمرزبة، لو ٱجتمع أهل منىٰ لم يقلوها، فيقول: أيّها العبد الصالح لولا ما ٱكتنفك من الصلاة والصوم، والزكاة، والصدقة لضربتك بهذه المرزبة ضربة يشتعل قبرك منها نارًا، فهو لكما وأنتما له.

ثم يصعد ملك العذاب فيقول أحدهما لصاحبه: ٱرفق بوليّ الله فإنه جاء من هول شديد، فيقول: مَن ربّك؟ فيقول: الله، فيقول: ما دينك؟ قال: ديني الإسلام، فيقول: مَن نبيّك؟ قال: محمّد، فيقولان: وما يدريك؟ قال: قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدّقت، وينتهرانه عندها، وهي أشد فتنة تُعرضُ علىٰ المؤمن، فينادىٰ من السماء: قد صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، واكسوه من كسوتها، وطيبوه من طيبها، وأفسحوا له في قبره مدّ البصر، وافتحوا له بابًا من الجنة عند رأسه، وبابًا عند رجليه، ثم يقولان له: نم نومة العروس في حَجلتها، لم يذق عذاب القبر، فهو يقول: ربّ أقم السّاعة لكي أرجع إلىٰ أهلي ومالي وما أعددت لي، فيبعث من قبره مبيضّ الوجه»، قوله

في الحديث: / ١٠٣/ ينكت بمثناة آخره، أي: يبحَثُ. والمخصرة: ما ٱختصره الإنسان بيده فأمسكه من عصا ونحوه، والحَجَلة[١]: بفتح المهملة، والجيم البشخانة. ذكرهُ السيوطي .

وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي عن ابن مسعود قال: إنَّ أحدكم إذا مات، ليُجلَّسُ في قبره إجلاسًا، فيقالُ: ما أنت؟ فإن كان مؤمنًا قال: أنا عبد الله حيّا وميّتا، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله، فيفسح له في قبره ما شاء الله، فيرىٰ مكانه من الجنة، وينزل عليه كسوة يلبسها من الجنة، وأما الكافر فيقال له: ما أنت؟ فيقول: لا أدري! فيُقال: لا دريت، ثلاثًا، فيضيق عليه قبره، حتىٰ تختلف أضلاعه، ويُرسل عليه حيّات من جوانب قبره، تنهشه، وتأكله، فإذا جَزِعَ فصاح قُمع بمقمع من نار وحديد، ويُفتحُ له بابٌ إلىٰ النّار[٢].

وأخرج الآجري في «الشريعة»، عن ابن مسعود أيضًا رضي الله عنه قال: إذا تُوفيّ العبدُ بعثَ الله إليه ملائكة، فيقبضون روحه في أثوابه، فإذا وُضع في قبره، بعث اللهُ إليه ملكين ينتهرانه، فيقولان: مَن ربّك؟ قال: ربّي الله، قالا: ما دينك؟ قال: ديني الإسلام. قالا: من نبيّك؟ قال: نبيّ محمّد، قالا: صدقت، كذلك كنت، أفرِشوه من الجنّة، وألبسُوه منها، وأروه مقعده منها، وأما الكافرُ: فيُضربُ ضربةً

---

(١) في هذا الحديث: «العروس في حجلتها» هو بيت يزين بالثياب والأَسِرَّة والستور للعروس. «اللسان» ٢/ ٧٨٧-٧٩٠، مادة (حجل).

(٢) رواه ابن أبي شيبة ٣/ ٥٥-٥٦، والبيهقي في «عذاب القبر» (٩).

يلتهب قبره منها نارًا، ويضيّق عليه قبره، حتىٰ تَختلفَ أضلاعه، وتُبعث عليه حيّاتٌ من[1] حيات القبر، كأعناق الإبل[2].

وأخرج هنّاد في «الزهد»، وابن أبي شيبة، و[ابن] جرير وابن المنذر، وابن حِبّان في «صحيحه»، والطبراني في «الأوسط»، وابن مردويه والحاكم والبيهقي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، إن الميّت إذا وُضع في قبره، إنه يسمع خفق نعالهم، حين يُولّون عنه، فإذا كان مؤمنًا، كانت الصّلاةُ عند رأسه، والزكاة عن يمينه، والصومُ عن شماله، وفعل الخيرات والمعروف والإحسان /١٠٤/ إلىٰ الناس من قِبَل[3] رجليه، فيُؤتَىٰ من قِبَل رأسه، فتقول الصلاة: ليس قِبَلي مدخل، فيُؤتىٰ من قبل يمينه، فتقول الزكاة: ليس قِبَلي مدخل، ويُؤتىٰ مِن قِبَل شِمالِه، فيقول له الصّوم: ليس قِبَلي مدخل، ثم يُؤتىٰ من قِبَل رجليه، فيقول فعِل الخيرات والمعروف والإحسان إلىٰ الناس: ليس قِبَلي مدخل، فيُقال له: اجلس فيجلس، وقد مثلت له الشمس، قد قربت للغروب، فيُقال له: أَخبرنا عمّا نسألك، فيقول: دعني حتىٰ أُصلّي فيُقال: إنك ستفعل، فأخبرنا عمّا نسألك فيقول: عمّ تسألون؟ فيقالُ له: ما تقول في هذا الرجل الذي كان فيكم؟ يعني النبيّ ﷺ، فيقولُ: أشهد أنه

---

(١) قوله: (حياتٌ من) ليست في (ب).

(٢) الشريعة للآجري رقم (٨١١) وإسناده حسن.

(٣) قوله (قبل) سقطت من (ب).

رسول الله ﷺ جاءنا بالبيّنات من عند ربّنا، فصدَّقناه واتبّعناه، فيُقال له: صدقت، علىٰ هذا حييت، وعليه متّ، وعليه تبُعث إن شاء الله، ويُفسح له في قبره مدّ بصره، وذلك قول الله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۖ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٧] ويُقال: ٱفتحوا له بابًا إلىٰ النار، فيُفتح له بابٌ إلىٰ النار، فيقال: هذا منزلك لو عصيت الله، فيزداد غبطة وسرورًا، ويُقال: ٱفتحوا له بابًا إلىٰ الجنة، فيُفتح له، فيُقال: هذا منزلك وما أعدّ الله لك، فيزداد غبطة وسرور، فيُعادُ الجسد إلىٰ ما بدأ منه التراب، وتُجعلُ روحه في النسيم الطيب، وهي طيرٌ خضرٌ تعلّق في شجر الجنَّة، وأمّا الكافرُ فيُؤتىٰ في قبره من قبل رأسه، فلا يوجد شيء فيُؤتىٰ من قبل رجليه، فلا يوجد شيء، فيُجلَّس خائفًا مرعوبًا فيُقال له: ما تقول في هذا الرجل الذي كان فيكم؟ وما تشهد به، فلا يهتدي لاسمه، فيُقالُ: محمد [رسول الله][1] ﷺ فيقول: سمعتُ الناس يقولون أشياء فقلتُ كما قالوا، فيقال له: كَذَبْتَ علىٰ هذا حيِيتَ، وعليه متّ، وعليه تبعث إن شاء الله /١٠٥/ ويُضيّقَّ عليه قبره، حتىٰ تَختلِفَ أضلاعُه فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: الآية ١٢٤] فيُقال: ٱفتحوا له بابًا إلىٰ الجنة، فيُفتح له بابٌ إلىٰ الجنَّة فيُقال: هذا كان منزلك وما أعدَّ الله لك، لو كُنت أطعته، فيزدادُ حسرة وثبورا، ثمّ يُقال: ٱفتحوا له بابًا إلىٰ النار، فيُفتح له بابٌ إليها،

---

(١) من (ب).

فيقال: هذا منزلك وما أعدّ الله لك، فيزداد حسرة وثبورًا».

قال أبو عمرو الضرير: قلت لحمّاد بن سلمة، كأن هذا من أهل القِبلة، قال: نعم، قال أبو عمرو: وكأنه يشهد بهذه الشهادة علىٰ غير يقين، يرجع إلىٰ قلبه كانَ يسمعُ الناس يقولون شيئًا فيقوله[1].

وأخرج الإمام أحمد، والبيهقي بسند صحيح، عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت يهوديّة، فاستطعمت علىٰ بابي، فقالت: أطعموني، أعاذكم الله من فتنة الدّجّال، ومن فتنة عذاب القبر، فلم أزل أحبسها، حتىٰ أتىٰ رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، ما تقولُ هذه اليهوديّة؟

قال: «**ما تقول؟**» قلت: تقول: أعاذكم الله من فتنة الدَجّال، ومن فتنة عذاب القبر، فقالت عائشة: فقام رسول الله ﷺ فرفع يديه مَدًّا، يستعيذ بالله من فتنة الدّجّال، ومن فتنة عذاب القبر، ثمّ قال: «**أمّا فتنة الدجّال فإنه لم يكن نبيٌّ إلا حذّر أمّته، وسأحذّركموه بحديث لم يحذرْهُ نبي أمتَه، إنّه أعور والله ليس بأعور، مكتوب بين عينيه: كافر يقرأه كلّ مؤمن، فأمّا فتنةُ القبر، فبي تفتنون وعنّي تُسألون، فإذا كان الرجل الصالح، أُجلس في قبره غير فزع، ولا مشغوف ثمُ يقال له: فيم كُنتَ؟ فيقول: في الإسلام، فيقال: ما هذا الرجل الذي كان**

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٦٧٠٣)، وهناد في «الزهد» (٣٣٨)، والطبري في تفسيره ١٣/ ٢١٥، وابن حبان (٣١١٣)، والطبراني في الأوسط (٢٦٣٠)، والبيهقي في «عذاب القبر» (٧٩) وهو حديث حسن.

فيكم؟ فيقول: محمد رسول الله، جاءنا بالبينات من عند الله، فصدّقناه فيفرج له فرجة قِبَل النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضا فيقال له: اُنظر ما وقاك الله ثم يفرج له فرجة /١٠٦/ إلىٰ الجنّة، فينظرُ إلىٰ زهرتها، وما فيها فيقال له: هذا مقعدك منها، ويُقال: علىٰ اليقين كنت، وعليه متّ وعليه تبعث إن شاء الله.

وإذا كان الرّجل السّوء، أجلس في قبره فزعًا مشغوفًا، فيُقال له: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري، فيُقالُ: ما هذا الرّجل الذي كان فيكم؟ فيقول: سمعتُ النّاس يقولون قولاً، فقلت كما قالوا، فيُفرج له فُرجة قبل الجنّة، فينظر إلىٰ زهرتها وما فيها، فيُقال له اُنظر إلىٰ ما صرف الله عنك، ثم يُفرجُ له فرُجة قِبَل النار، فيُنظرُ إليها يحطم بعضها بعضا، ويُقال له: هذا مقعدك منها علىٰ الشك كُنتَ، وعليه مِتّ، وعليه تبعث إن شاء الله تعالىٰ، ثمَّ يُعذَّب»[(١)].

وأخرج الحكيم في «نوارده»[(٢)]، عن سفيان الثوري قال: إذا سُئل الميّتُ: مَن ربك؟ تراءىٰ له الشيطان، في صورة فيشيرُ إلىٰ نفسه، إني أنا ربك. قال الحكيم: ويؤيّده قوله ﷺ عند دفن الميت: «اللهم أجره من الشيطان» كما تقدم، فلو لم يكن للشيطان هناك سبيل، ما دعا ﷺ بذلك.

---

(١) رواه أحمد ٦/ ١٣٩-١٤٠ بإسناد حسن. ورواه مختصرًا البيهقي في «عذاب القبر» (١٩٤) وفي الصحيح طرف منه.

(٢) «نوادر الحكيم» ص٣٢٣ .

وأخرج ابن شاهين في «السُّنّة»[١] عن راشدٍ قال: كان النبي ﷺ يقول: «تعلموا حُجَّتَكم، فإنكم مسئولون»، حتىٰ إن كان أهل البيت من الأنصار، يحضر الرجلَ الموتُ فيُوصُّونه، والغلام إذا عَقل، فيقولون له: إذا سألوك مَن ربّك؟ فقُل: الله ربّي: وما دينك؟ فقل: الإسلام دِيني، ومَن نبيّك؟ فقل: محمّد ﷺ.

وأخرج السلفي في «الطيوريات»، عن سهل بن عمَّار قال: رأيتُ يزيد بن هارون في المنام بعد موته، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: أتاني في قبري ملكان، فظّان غليظان، فقالا: ما دينك؟ ومَن ربك؟ ومَن نبيّك؟ فأخذتُ بلحيتي البيضاء، وقلت: لمثلي يُقال له هذا؟ وقد علمّتُ الناس جوابكما ثمانين سنة، وقالا: أكتبت عن حريز بن عثمان قلت: نعم، قالا: إنه كان يبغض عثمان فأبغضه الله.

وأخرجه اللالكائي بدون زيادة: /١٠٧/ أكتبت إلخ، وبدل ثمانين سنة ستين سنة، وزاد فقال: أحدهما صدق، نم نَومة العَروس، فلا روعة عليك بعد اليوم[٢].

وأخرج ٱلالكائي في «السُّنّة»، عن محمّد بن نصر الصايغ، قال:

---

(١) ذكره في الدر المنثور في تفسير سورة إبراهيم آية (٢٧).
(٢) شرح أصول أهل السنة للالكائي (٢١٤٧)، تاريخ بغداد (١٤/ ٣٤٦)، سير أعلم النبلاء (٩/ ٣٦٥).

كان أبي مُولعًا بالصّلاة[١] علىٰ الجنائز، من عرف ومن لم يعرف، فقال: يا بُني حَضرتُ يومًا جنازة، فلمّا دفنوها، نزل إلىٰ القبر نفسان، ثم خرج واحد وبقىٰ الآخر، وحَثا الناسُ التراب، فقلت: يا قوم يُدفن حيّ مع ميّت؟ فقالوا[٢]: ما ثَمَّ أحد، فقلت: لعلَّه شُبّه لي، ثم رجعت فقلت ما رأيت إلا اثنين، خرج واحد وبقي الآخر، لا أبرح حتىٰ يكشف اللهُ لي ما رأيت، فجئت إلىٰ القبر، فقرأت عشر مرّات يس وتبارك، وبكيت فقلت: يا ربّ اكشف لي عمّا رأيتُ فإني خائف علىٰ عقلي وديني، فانشقّ القبرُ وخرج منه شخص فولىٰ مبادرًا فقلت: يا هذا بمعبودك إلاّ وقفت حتىٰ أسألك، فالتفت إليّ فقلت له: الثانية والثالثة فالتفت وقال: أنت نصر الصّايغ قلت: نعم. قال: هل تعرفني؟ قلت: لا. قال: نحن ملكان من ملائكة الرّحمة، وُكّلنا بأهل السُّنّة، إذا وُضعوا في قبورهم، نزلنا حتىٰ نلقنهم الحُجَّة وغاب عني[٣].

---

(١) في الأصل (في الصلاة) والتصويب من شرح أصول أهل السنة للالكائي وهو ما يقتضيه السياق.

(٢) في (ب): (فقال).

(٣) أخرجه اللالكائي (٢١٤٥).

فصل

واعلم أنّ القبر أوّل منازل الآخرة، كما أخرجه ابن ماجه عن سيدنا عثمان رضي الله عنه أنه كان إذا وقف علىٰ قبر يبكي حتىٰ يبلّ لحيته، فقيل له: تذكر الجنَّة والنار فلا تبكي، وتبكي إذا ذُكر القبر؟ قال: إنّ رسول الله ﷺ قال: **«إنّ القبرَ أوّل منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشدّ منه»**[١]. وقال ﷺ: **«ما رأيتُ منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه»**[٢].

وأخرجه الترمذي، وزاد فيه: وسمعت عثمان يُنشد علىٰ قبر:

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ... وإلا فإني لا أخالك ناجيا

قلت: وأنكر الحفاظ هذه الزيادة وقال بعضهم: ليست هذه الزيادة /١٠٨/ في الترمذي، والله أعلم[٣].

قال القرطبي[٤]: القبرُ واحد القبور في الكثرة، وأقبرٌ في القلةّ، ويقال للمَدفن مقبر قال الشاعر:

لكلّ أناس مقبرٌ بفنائهم ... فهم ينقصون والقبور تزيد

قال: واختُلف في أوّل من سنّ القبر، فقيل: الغُراب لما قتل

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٦٧)، والترمذي (٢٣٠٨)، وعبد الله بن أحمد ١/ ٦٣ (٤٥٤)، والحاكم ٤/ ٣٣٠-٣٣١، والبيهقي في «الشعب» (٣٩٧)، وحسنه الترمذي وصححه الحاكم.

(٢) انظر التخريج السابق وسيأتي في ص٢١٥ ت(١).

(٣) هذه الزيادة ليست في المطبوع من الترمذي.

(٤) «التذكرة» ١/ ١١٨.

قابيل هابيل، وقيل بنو إسرائيل، وليس بشيء، وقد قيل: إنّ قابيل كان يعلمُ الدفن، ولكن؛ ترك أخاه آستخفافًا به، فبعث الله غُرابًا يبحثُ في الأرض، يعْني يبحثُ الترابَ علىٰ هابيل ليدفنه، كذا في «التذكرة»، فقال: عند ذلك ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المَائدة: الآية ٣١] حيث رأىٰ كرامة الله لهابيل، بأن قيّض الله الغراب حتىٰ واراه، ولم يكن ذلك ندم توبة.

وقيل: ندمه إنما كان علىٰ فقده لا علىٰ قتله، وقيل: علىٰ عدم معرفته الدّفن، فقد قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: لو كان ندمه علىٰ قتله لكان ندمه توبة(١).

ويقال: إنه لمّا قتله قعد يبكي عند رأسه، إذ أقبل غرابان فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر، ثم حفر له حفرة فدفنه، ففعل قابيل بأخيه كذلك، فكان ندمُه لعدم هدايته أن يفعل كَما فَعل الغُراب، فكان الدّفن سنّة في بني آدم. وفي التنزيل ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾ [عَبَسَ: الآية ٢١] أي جعل له قبرًا يُوارىٰ فيه إكرامًا له، ولَمْ يُجعل مّما يُلقىٰ علىٰ وجه الأرض تأكله الطير والعوافي، قاله الفرّاء(٢).

فائدة: الأفضل في القبر أن يكون مُسنمًا، وأن يُرفع قدر شبر، إلاّ بدار حرب فالأولىٰ تسويته بالأرض، وإخفاؤه ولا يُجصّص القبر، ولا يُزوّق ولا يُخلّق أي يبخّر، ولا يُقبّل.

(١) ذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ٦/ ١٤٢ .
(٢) ذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ١٩/ ٢١٩ . معاني القرآن (٣/ ٢٣٧).

فقد روىٰ مسلم عن جابر قال: نهىٰ رسول الله ﷺ أن يُجصّص القبر، وأن يُقعد عليه، وأن يُبنىٰ عليه[(١)].

وأخرج التّرمذيّ عنه: نهي رسولُ الله ﷺ أن تُجصّص القُبور، وأن يُكتَب عليها، وأن يُبنىٰ عليها، وأنْ تُوطأ. وقال: حديث حسن صحيح[(٢)].

قُلْتُ: وجزم صاحب[(٣)] /١٠٩/ «الإقناع» بكراهة تجصيص القبور[(٤)].

وأمّا شيخ الإسلام، وتلميذه المحقق فشن الغارة علىٰ فاعل ذلك، قال في «التذكرة»[(٥)]: لأنّ ذلك من المباهاة فيه، وزينة الحياة الدنيا، وهو من منازل الآخرة، وليس بموضع المباهاة وإنما يُزيّن الميتُ في قبره عمله.

وقد قلت في ذلك نظمًا:

ولربّ قبر في القبور منقّشا سطحا وجوف القبر شعلة نار
ما النقش يُغني ظالمًا عن ظلمه كلاّ ولا التزويق يُرضي الباري
ما زينةُ الأمواتِ في جدث سوىٰ فعلِ الجميل وصُحبة الأخيار

---

(١) رواه مسلم (٩٧٠)، والنسائي ٣/ ٣٣٩، والإمام أحمد ٣/ ٢٥٥، وابن حبان (٣١٦٥)، والبيهقي ٤/ ٤.

(٢) رواه الترمذي (١٠٥٢)، وأبو داود (٣٢٢٦)، والنسائي ٤/ ٨٦، وابن ماجه (١٥٦٣)، والإمام أحمد ٣/ ٢٩٥، وابن حبان (٣١٦٤)، والحاكم ١/ ٣٧٠، والبيهقي ٤/ ٤.

(٣) كلمة (صاحب) ليست في (ب). (٤) «الإقناع» ص٦٠ .

(٥) «التذكرة» ١/ ١١٩.

وفي صحيح مسلم عن عليّ كرّم الله وجهه: «**لا تَدَعْ تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلاّ سوّيته**»[١].

وإنما قالت العُلماء: يُسنَّم القبرُ ليعرف فيحترم، لا أنه يُتّخذ مَعبدًا فيمُنع من ٱلارتفاع الكثير الذي كانت الجاهلية تفعله، فإنها كانت تُعلىٰ عليها، وتبني فوقها تفخيمًا وتعظيمًا، ومن ثمّ شَدّد النكير الإمامُ المحققُ غاية التشديد علىٰ فعل ذلك[٢]، وقال: إن فاعل ذلك من إخوان الكفار عَبَدةِ الأحجار. ذكره في المجلد الثاني من «الهدىٰ»[٣].

وما أحسن قول القائل:

أرىٰ أهل القُصور إذا أميتوا ... بنوا في المقابر بالصّخور

أَبَوْا إلاّ مُباهاة وفَخْرًا ... علىٰ الفُقراء حتىٰ في القبور

لعمرُك لو كشفْتَ التّرب عنهم ... لَمَا تدْرِي الغنيَّ من الفقير

ولا الجلدَ المباشرَ ثوبَ صوفٍ ... من الجلد المباشِر للحرير

إذا أكلَ الثّرىٰ هذا وهذا ... فما فضلُ الغنيّ علىٰ الفقير

يا هذا أين الذي جمعتَهُ من المال؟ وأعددتَه للشدائد والأهوال.

لقد أصبحت كفك منه صفرًا، وبُدّلت من بَعد غناك فقرا،

فكيف أصبحت يا رهين أوزاره؟!

ويا من سُلِب من ماله وداره؟!

ما كان أخفىٰ عليك سبيل الرّشاد، وأقل ٱهتمامك بحمل الزاد،

---

(١) مسلم (٩٦٩) وقال في رواية: "ولا صورة إلا طمستَها".

(٢) في (ب) تقديم وتأخير في بعض العبارات.

(٣) «زاد المعاد» ١/ ٥٢٤ .

فيا من غرّه طول الأمل. أما تفكّرت فيمن قبلك عن أهله قَدِ ٱرتَحَل؟!

ويا مَن غرّه طولُ العمر: أفلا يتفكر في حاله وهو في القبر؟!

ويا من أعجبته شُرُفات قصره، أمَا يتأمّل في ظُلمات قبره؟

ويا من ٱغتر بإخوانه ونجدته. ألا يتذكّر حالته في وحدته؟ أنَسي ما صار إليه إخوانه؟!

أم لم يعتبر فيما سار إليه أقرانه؟!

/١١٠/ أمّا سمعَ قول الرسول لمن في فعل الخير جدوا، وقد جلس علىٰ قبر [يا إخواني][1] لمثل هذا فأعِدّوا.

أو ما سمع قول الذي خلق فسوىٰ .﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٩٧] .

وما أحسنَ قول القائل:

تزوّد من معاشك للمعاد ... وقُمْ لله واعمل خير زاد

ولا تجمع من الدنيا كثيرا ... فإن المال يجمع للنّفاد

أترضىٰ أن تكون رفيق قوم ... لهم زادٌ وأنت بغير زاد

وقول الآخر:[2]

---

(١) ليست في (أ) والمثبت من (ب)، ومثبتة في التذكرة (١/ ١٥١).

(٢) نسبه ابن هشام في «السيرة النبوية» ١/ ٤١٤ . إلىٰ أعشىٰ بني قيس بن ثعلبة عند خروجه إلىٰ رسول الله ﷺ مريدًا الإسلام، فأنشأ مادحًا النبي ﷺ بقصيدة مطلعها:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا ... وبت كما بات السليم مسهدا

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقىٰ ولاقيت بعد الموت مَنْ تزوَّدا
ندمت علىٰ أن لا تكونَ كمثله وأنك لم ترصد كما أرصدا

وقول الآخر:

إذ الموتُ بحرٌ طافح موجه تذهب فيه حيلة السابح
يا نفس إني قائل فاسمعي مقالةً من مُشفق ناصح
لا ينفع الإنسانَ في قبره غير التقىٰ والعمل الصّالح[1]

وقلت:

تزوّد في حياتك للمآل وقم بالذّلّ في غَسِقِ الليّالي
ولا تركن لدنيانا وسافر لدار الخُلد واقصِد ذا الجلال
ولا تدع الدُّعا سِرّا وجهرا وتقوىٰ الله تظفرْ بالنَّوال
وإن لمّ تجتن الخيرات فيها فترحلْ من وبال إلىٰ وبال

فوائد

الأولى[2]: قال القرطبي[3]: جاء في رواية سؤال ملكين، وفي أخرىٰ، سؤال ملك واحد، ولا تَعَارُض، بل ذلك بالنسبة إلىٰ الأشخاص فرُبّ شخص يأتيه ٱثنان معًا، فيسألانه معًا عند ٱنصراف الناس؛ ليكون أهون والفتنة في حقه، أشد أعظم وذلك بحسب ما ٱقترف من الآثام، وآخر يأتيانه قبل ٱنصراف الناس عنه، تخفيفًا عليه لحصول أنسه بهم، وآخر يأتيه ملك واحد، فيكون أخف عليه، وأقل

---

(١)فيه إضافة في الأصل بقلم غير مؤلفة وتم عدم إضافتها.
(٢) شرح الصدور ص١٩٧-١٩٨ بتصرف يسير.
(٣) «التذكرة» ١/ ١٥١.

في المراجعة، لما قدّمه من العمل الصالح. قال: ويُحتمل أن يأتي ٱثنان، ويكون السائل أحدهما، وإن ٱشتركا في الإتيان. فتُحملُ رواية الواحد علىٰ هذا.

قال السيوطي في «أهوال القبور»: قلتُ: وهذا الثاني هو الصَواب، فإن ذِكر الملكين /١١١/ هو الموجود في غالب الأحاديث الثابتة.

الثانية: قال القرطبي[1]: ٱختلفت الأحاديث في كيفيّة السؤال والجواب، وذلك بحسب الأشخاص أيضًا، فمنهم من يُسأل عن بعض ٱعتقاداته ومنهم من يُسأل عن كُلها، ويُحتمل أن يكون ٱلاقتصار علىٰ البعض من بعض الرّواة، وأتىٰ به غيره تامّا.

قال السيوطي[2]: قلت: والثاني هو الصّواب، لاتّفاق أكثر الأحاديث عليه. نعم يُؤْخَذُ منها خصوصًا من رواية أبي داود، عن أنسٍ فما يُسألُ عن شيء بعدها، ولفظ ابن مردويه فما يُسأل عن شيء غيرها إنه لا يسأل عن شيء من التكليفات غير ٱلاعتقاد خاصة، وصُرِّحَ به في رواية البيهقي، من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٧] قال: الشهادة يُسألون عنها في قبورهم بعد موتهم، قيل لعكرمة: ما هو؟ قال: يُسألون عن الإيمان بمحمدٍ وأمر التوحيد.

---

(١) الموضع السابق.

(٢) شرح الصدور ص١٩٨.

الثالثة: قال السيوطي: ورد في رواية أنسٍ، أنّه يُسألُ في المجلس الواحد ثلاثَ مرات، وباقي الروايات ساكتة عن ذلك، فتُحمل علىٰ ذلك أو يختلف الحال بالنسبة إلىٰ الأشخاص وعن طاووس أن الموتىٰ يُسألون سبعةَ أيام[١].

قلت: وقد قدّمنا عن مجاهد[٢] أن الموتىٰ يفتنون في قبورهم سبعًا، وكانوا يَستحبّون أنْ يُطعَم عنهم تلك الأيام.

قلتُ: وقد أشار إلىٰ هذا الحافظ جلال الدين السيوطي في منظومته الموسومة «بالتثبيت عند التبييت» حين قال:

يُكرّر السؤالُ للأنام ... فيما رووْا في سبعة أيّام
كذا رواه أحمد بنُ حنبل ... في الزهد عن طاووس الحر العلي
وبعده أبو نعيم خرَّجه ... في حلية فيا لها من درجة
إسنادُه قد صَحّ وهو مُرسل ... وقد يُرىٰ من جهة يتّصل
وحكمه الرّفع كما قد قالوا ... إذ ليسَ للرّأيْ به مَجال
فليس للقياس في ذي الباب ... من مدخلٍ عند أولي الألباب
/١١٢/ وإنما التّسليمُ فيه اللائق ... والانقيادُ حيث أنبا الصّادقُ
وفيه أنْ قد كانت الصّحابا ... يرَوْن إطعامًا له ٱستحبابًا
في طول تلك السّبعة الأيّام ... معونَة في ذلك المقام
ومثل هذا جاء عن مجاهد ... فيا له من عاضدٍ وشاهد
وعنه أيضًا تمكثُ الأرواح في ... قبورها سبعًا بِلاَ مُتَصَرّف

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ص١٦٣ ت(٢) في هٰذا الكتاب المبارك.

روىٰ الجميعَ في القبور ابن رجب   وهـو إمـامٌ حـافـظ ومـنـتـخَـب
وعـن عُـبيْـد بـن عُـمـير[١] ورَدا   وذاك فـيمـا ابـن جـريـج أسـنـدا
بـأنـه يُـفـتـن سـبـعًـا مـؤمـنٌ   وأربـعـين ذا الـنـفـاق يُـفـتن

فأفادنا أن المؤمن يُفتن سبعة أيام، وأنّ المنافق يُفتن أربعين يومًا فنسألُ الله أن يثبتنا عند السؤال بسرّ لا إله إلا اللهُ الواحد المتعال[٢].

الرابعة: قال القاضي الباقلاّني: إنّ من لم يُدفن ممّن بقي علىٰ وجه الأرض، يقع لهم السؤال والعذاب، ويحجب الله أبصار المُكلَّفين عن رؤية ذلك، كما حجبها عن رؤية الملائكة والشياطين، قال بعضهم: وتُرد الحياة إلىٰ المصلوب، ونحن لا نشعر به كما أنا نحسبُ المغمىٰ عليه ميتًا، وكذلك يضيقُ عليه الجوّ كضمّة القبر، ولا يستنكر[٣] شيئًا من ذلك مَن خالط الإيمان قلبه، وكذلك من تفرّقت أجزاؤه، يخلق الله في بعضها أو كلّها يوجّه السؤال عليه، قاله بعضهم[٤].

قلت: وفي «الروح» للإمام المحقّق وممّا ينبغي أن يُعلم أنّ عذاب القبر هُو عذابُ البرزخ، فكلّ من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيب منه، قُبر أم لم يُقبر فلو أكلته السّباعُ أو أحرق حتىٰ صار رمادًا أو نُسف في الهواء أو صُلب أو غرق في البحر، وصل إلىٰ روحه وبدنه

---

(١) في (ب): (عبيد بن عمرو).

(٢) قصده التوسل بالتوحيد والتوسل به مشروع ا.هـ من إفادة شيخنا الشيخ صالح الفوزان.

(٣) في (ب): (يستكثر).

(٤) نسبه في «شرح الصدور» ص١٩٩ لإمام الحرمين.

من العذاب ما يصل من القبر. ٱنتهىٰ.

قال بعضهم: وليس هذا بأبعد من الذّرّ، الذي أخرجه الله تعالىٰ من صلب آدم وأشهدهم علىٰ أنفسهم ألست بربكم قلت: لا شيء من هذا ببعيد إذ هو الفعّال لما يُريد والخلقُ خلقه، والملك ملكه، وأين الفِرار من ذىٰ ٱلاقتدار، واللهُ الفاعلُ المختار.

الخامسة: قال ابن عبد البرّ: لا يكون /١١٣/ السّؤال إلاّ لمؤمن أو منافق كان منسوبًا إلىٰ دين الإسلام، بظاهر الشهادة بخلاف الكافر، فلا يُسأل[١].

وخالفه الإمام المحقّق في «الرّوح»[٢]؛ فقال: القرآن والسّنّة تدلّ علىٰ خلاف هذا القول، وأن السؤال للكافر والمسلم. قال الله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٧] . وقد ثبت في الصحيح، أنّها نزلت في عذاب القبر، حين يُسأل من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنّ العبدَ إذا وُضع في قبره**» وذكر الحديث الذي ذكرناه سابقًا.

«**وأما المنافق والكافر، فيُقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دَريت ولا تَليت، ويُضربُ بمطرقة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها من يليه،**

(١) «التمهيد» ٢٢/ ٢٥٢ .
(٢) الروح ص١٤٣-١٤٤.

إلا الثقلين»[١]. هكذا في البخاري، واسم الفاجر في عرف القرآن والسنة يتناول الكافر قطعًا، لقوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ۝٧﴾ [المطفّفين: الآية ٧] هذا كلامه ونحوه في «العاقبة»[٢]، للحافظ عبد الحق الإشبيلي.

وصوّب هذا القول القرطبي في «التذكرة»، وأنكر ذلك الجلال السيوطي، وقال: ما قالاه - يعني: المحقق والقرطبي - ممنوع، فإنه لم يُجمع بينهما - يعني: الكافر والمنافق - في شيء من الأحاديث، وإنما ورد في بعضها ذكر المنافق، وفي بعضها بدله الكافر، وهو محمولٌ علىٰ أنّ المُراد به المنافق، بدليل قوله في حديث أسماء: «**أمّا المنافق أو المرتاب**»، ولم يذكر الكافر كذا[٣][٤].

قال: ولا يخفىٰ أن حديث أنس مُصرِّحٌ بالجمع بين الكافر والمنافق، كما قدمناه، وقد أشار الجلال السيوطي لهذا الخلاف في «**أرجوزته**» بقوله:

قال ابن عبد البّر فيما نقلُوا ... الكافر الصّريح ليس يُسأل

وإنما السؤال للمنافق ... منهم كما دلّ حديث الصّادق

والقرطبيُ خالَفَ وابنُ القيّم ... والأوّلُ الأرجحُ عندي فافهْم

---

(١) حديث أنس تقدم، وهو في البخاري (١٣٣٨) و(١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٦٨).

(٢) «العاقبة» ص. ٢٣٨

(٣) التذكرة (١/ ٢٣٠).

(٤) في هامش المخطوطة: في نسخة: كذا في الصحيحين بالواو: «**وأما المنافق والكافر**»، فجمع بين المنافق والكافر، وأما قوله: واسم الفاجر فهذا في حديث آخر، وأما المنافق والفاجر فاحفظ ولا تخلط. والله الموفق، من خط المؤلف.

/ ١١٤/ قلت: وأنا أقول: الثاني أرجح، تبعًا للأعلام، والله وليّ الإنعام.

السادسة: اختلف العلماء: هل السّؤال خاصٌّ بهذه الأمّة المعظمة؟ أم هو عام؟

علىٰ ثلاثة أقوال: خاصٌّ وعليه الحكيم الترمذي، عام وعليه المحقق والإشبيلي في «العاقبة»، والقرطبي في «التذكرة»، الوقف وعليه ابن عبد البرّ، وأشار السيوطي لهذا الخلاف في الأرجوزة[1]، مُرجحًا للخصوص في قوله:

خُص نبيّ الله فيما قد ذُكِر ... بأنّه يُسأل عنه من قُبر
ولم يكن ذا لنبيّ قبلَهُ ... أبان ربُّ العرش فيه فضلَه
ولم يكن لأُمّة من الأمم ... من قبلنا قطُ سؤالٌ ملتزَم
نَصَّ علىٰ ذاك كبير القدر ... الترمذي وابن عبد البرّ
وآخرون عمّموه في الأُمم ... وبعض أهل العلم نحو الوقف أمّ

قال إمام المحققين في «كتاب الروح»، بعد أن ذكر الأقوال[2]: والظاهرُ والله أعلم أن كل نبيّ مع أمته كذلك، أي: كنبيّنا مع أمّته، وأنهم مُعذَّبون في قبورهم بعد السؤال لهم، وإقامة الحجة عليهم، كما يعذبون في الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة.

واستدلّ الحكيم الترمذي علىٰ عدم السؤال: أن الأمم قبل هذه

---

(١) جمع الشتيت في شرح أبيات التثبيت (٨١) والبيت الثالث غير موجود.

(٢) الروح ص١٤٧-١٤٩.

الأمّة، كانت الرسل تأتيهم بالرسالة، فإذا أبَوا كُفّت الرسل، واعتزلوهم وعُوجلوا بالعذاب، فلما بعث الله محمّدًا بالرحمة، أمسك عنهم العذاب، وأُعطي السيف، حتىٰ يُدخلَ في دين الإسلام من دخل؛ لمهابة السّيف ثم يَرسخ الإيمان في قلبه، فمن هنا ظهر النفاق، فكانوا يُسرّون الكفر ويعلنون الإيمان، وكانوا بين المؤمنين في ستر، فلمّا ماتوا قيّض الله لهم فَتّانَي القبر ليستخرج أمرهم بالسؤال، وليميز الله الخبيث من الطيب[1]»،

قلت: وما ذكره مردود من وجهين:

الأول: أنّ دعوىٰ أن الرسل لم يكونوا يقاتلون، وأنهم إنما كانوا يأتون قومهم بالرسالة، فإذا أبَوا كَفّوا عنهم غير مُسلِّمٍ /١١٥/ إذ من المعلوم: أنّ الرسل كانت تقاتل علىٰ إعلاء كلمة الله، وقد أخبر الله بذلك في كتابه، في قصّة طالوت وأخبر النبيّ أنه أُحِلّت له الغنائم، ولم تحل للأنبياء قبله، وإنما كانت تأكلها النار، فهل الغنائم إلاّ من قتال الكفار؟!

وأخبر الله في سورة المائدة: أنّ سيدنا موسىٰ غزا العمالقة، وفي الخبر: أنه غزاهم، وكان فيهم بلعام بن باعوراء الذي أنزل الله فيه سبحانه: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥﴾ [الأعراف: الآية ١٧٥] ، وقصّته مشهورة، وهذه أخبار الإسكندر طافحة، وقتاله الملوك والقبائل، فعلىٰ القول بنبوّته، ففيه دليل لما آدّعيناه، وفي التواريخ أن أوّل من

(١) «نوادر الأصول» ٣٢٣ - ٣٢٤ .

قاتل لإعلاء كلمة الله: سيّدُنا شيث عليه السلام قاتل أخاه قابيل وذرّيته لكفرهم.

والحاصل: أنّ القول بأنّ الرسل لم تكن تقاتل لإعلاء كلمة الله مردود، وهذا من فضل ربّ العالمين، علىٰ هذا العبد المسكين، في ٱلاستدلال لهذه المسألة، ولم أر من ٱستدلّ بذلك لها، فالحمدُ لله الذي هدانا لهذا، وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الوجه الثاني: قد مرّ في حديث عائشة الصحيح، في قصّة اليهودية ما يردّ دعوىٰ الترمذي، وأيضًا في حديث أنس الصحيح، قال: مرّ النّبيّ ﷺ بحائط لبني النجار، فسمع صوتًا من قبر فقال: **«متىٰ مات صاحب هذا القبر»**؟ قالوا: مات في الجاهلية، قال: **«لولا أن لا تدافنوا؛ لدعوتُ الله أن يُسمعكم عذاب القبر»**[1]. والذي يظهر: أنّ عذاب القبر إنما يكون بعد السّؤال والله الموفق.

السّابعة: قال الحكيم[2]: إنما سمّيا فتّانَي القبر؛ لأنّ في سؤالهما ٱنتهارًا، وفي خلقهما صعوبة، وسُمّيا منكرًا ونكيرًا؛ لأنّ خَلقهما لا يُشبه خلق الأدميين، ولا خلق الملائكة، ولا خلق البهائم، ولا خلق الهوام، بل هما خلق بديع، وليس في خلقهما أنس للناظرين إليهما،

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٨)، وأحمد ٣/١٠٣ و١١٢ و١٧٥ و١٧٦ و٢٠١ و٢٧٣ و٢٨٤، والنسائي ٤/١٠٢، وأبو يعلىٰ (٣٦٩٣)، وابن حبان (٣١٢٦) و(٣١٣١).

(٢) «نوادر الأصول» ٣٢٣ .

جعلهما الله تكرمة للمؤمن، ليُثَبّته وينصره /١١٦/ وهتكًا لستر المنافق في البرزخ، من قبل أن يُبعث. قال السيوطي[(١)]: وهذا يدل علىٰ أن ٱلاسم منكَر بفتح الكاف، وهو المجزوم به في القاموس. قال: وذكر ابن يونس من أصحابنا الشّافعيّة: أن ٱسم ملكي المؤمن مُبشّر وبَشير قلت. وهذا يحتاجُ إلىٰ دليل مأثور، وإلا فالأحاديث ليس فيها سوىٰ منكر ونكير، وقد أشار السيوطي[(٢)] لهذا في قوله:

وضَبطُ مُنكر بفتح الكاف فلست أدري فيه من خلاف
وذكر ابن يونس من صحبنا أنّ اللذين يأتيان المؤمنا
اسمهما البشير والمُبشر ولم أقف في ذا علي ما يؤثر
وحيثُ لم يوجد له دليل فلاله إلاّ الرّدّ يا نبيل

الثامنة: قال القرطبي[(٣)]: إن قيل: كيف يخاطبُ الملكان جميع الموتىٰ، في الأماكن المتباعدة في الوقت الواحد؟

فالجواب: إن عظم خَلْقهما يقتضي ذلك فيُخاطبان الخلق الكثير، في الجهة الواحدة، في المرّة الواحدة، مخاطبة واحدة، بحيث يُخَيّل لكلّ واحد من المُخَاطبَين أنه المخاطب دون من سواه، ويمنعُه الله من سماع جواب بقية الموتىٰ.

وقال السيوطي[(٤)]: ويُحتمل تعدد الملائكة، لذلك كما في الحفظة ونحوهم. وذهب إليه الحليمي من الشافعية، وألمّ به الجلال

---

(١) شرح الصدور (١٤٤) وكذا في النهاية لابن الأثير (٥/ ١١٥).

(٢) جمع الشتيت ص١٣٤ والبيت الرابع غير موجود فيما لدي.

(٣) «التذكرة» ١/ ١٦٨. (٤) «شرح الصدور» ص٢٠٠.

السيوطي في «الأرجوزة» حيث قال:

ويسألانِ كُلّ أهل الأرض كحال عزرائيلَ عند القبض
هذا الذي نصّ عليه القرطبي وهو الذي أختاره وأجتبي
واختار في منهاجه الحَليمي تِعداد هذا الملك الكريم
وقال بل ملائكِ السّؤال جماعة ككاتبي الأعمال
فبعضهم بمُنكَرٍ يُسمّي وبعضُهم له النكير وسما
فيرُسلُ الله لكل ميتٍ اثنين منهم بُعثا للفتنة

التاسعة: ٱختلفت الأحاديث في قدر سعة القبر للمؤمن، ولا تعارض فإن ذلك يتفاوت بحسب الأشخاص؛ لتفاضل الأعمال.

العاشرة: /١١٧/ في أسئلة تتعلقُ بهذا الباب، سُئلها الحافظ العسقلاني رحمه الله: سُئل عن الميّت إذا سُئل: هل يُسئل قاعدًا أو يُسأل وهو راقد؟

فأجاب: يُقعد ويُسأل.

وسئل عن الروح، هل تُلبس حينئذٍ الجثة كما كانت؟

فأجاب: نعم لكن ظاهر الخبر: أنها تحل في نصفه الأعلىٰ.

وسُئل: هل يُكشف له حتىٰ يرىٰ النبي ﷺ؟

فأجاب: إنه لم يَرد في حديث، وإنما ٱدّعاه من لا يُحتج به بغير مستند، سوىٰ قوله في هذا الرجل، ولا حجة فيه؛ لأن الإشارة إلىٰ الحاضر في الذهن. وقد ألمّ بهذا السيوطي في «الأرجوزة»[1] فقال:

---

(١) «شرح الصدور» ص. ٢٠١

قال عياضٌ ما هُو المرضي	ومن يَقُل يُمثَّل النبيّ
وقال لا أصل لهذا في الأثر	وهكذا أجاب فيه ابن حجر

وسئل - أعني - الحافظ ابن حجر عن الأطفال: هل يُسألون؟

فأجاب: بأن الذي يَظهر ٱختصاص السؤال بمن يكون مكلفًا.

قلت: وذكر المحقّق في «الرّوح» قولين[١]، وذكر أدلتهما، ولم يُرجّح منهما شيئًا، غير أنه قدّم قولَ مَن قال: إنهم يُسألون، وهو مُقتضي ما ذهب إليه أصحابُنا أعزّهم الله قال في الإقناع: وهل يُلقّنُ غيرُ المكلّف؟ مبني علىٰ نزول الملكين إليه، والمرجّح النزول وصحّحهُ الشيخ يعني: شيخ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله روحه، قال ابن عبدوس من أصحابنا: يُسألُ الأطفالُ عن الإقرار الأوّل، حين الذّرّية والكبارُ يُسألون عن معتقدهم في الدّنيا، وإقرارهم الأوّل.

وقد حكىٰ السيوطي الخلاف في ذلك بقوله في «الأرجوزة»[٢]:

أرجح قوليهم وجزم النسفي	الخامس الأطفال دون الحنث في
وابن الصّلاح لا يُلقَّن الصّبي	وذاك مُقتضىٰ كلام النووي
بأنّهُ في قبره لا يُسألا	فالزركشيُ أضحىٰ له معللا
ويُحصَل العقل لهم ويُكمَلُ	وقيل إنّ كُلّ طفل يُسأل
قد عوهد الذُرّ عليه قدما/١١٨/	واللهُ يلهم الجواب عمّا
وهو الذي أفتىٰ به البرازي	قد قاله الضّحّاك ذو الإحراز
به وجمعٌ من كبار العلماء	والقرطبي والفاكهاني جزما

(١) «الروح» لابن القيم ص١٤٩، ١٥٠ .

(٢) جمع الشتيت (٩٦).

وصرّح ابن يونس من صَحِبْنا بـأنّـه يـنـدب أن يُـلـقّـنـا
قـال وفـي تـتـمـة قـديـمـا قـد لـقـن الـنـبي إبـراهـيـمـا
[كذلك في تعليقه القاضي حكىٰ وفي النظامي وهو لابن فوركا
واستغرب السبكي هذا الأثرا فمـا لـه في كـتـبـه أصـل يـرىٰ

وصوب السيوطي في «شرح الصدور» عدم السؤال. والله أعلم.

[الحادية عشرة: في **«روض الرياحين»** لليافعي، عن شقيق البلخي، أنه قال: طلبنا خمسًا فوجدناها في خمس: طلبنا ترك الذنوب فوجدناها في صلاة الضحىٰ، وطلبنا ضياء القبور فوجدناه في صلاة الليل، وطلبنا ظل العرش فوجدناه في الخلوة، وطلبنا منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن، وطلبنا عبور الصراط فوجدناه في الصوم والصدقة[(١)].

الثانية عشرة: أخرج الأصبهاني في «الترغيب»، من طريق ابن هدبة، عن أنس مرفوعًا: **«من فارق الدنيا وهو سكران دخل القبر سكران»**[(٢)].

وأخرجه أبو الفضل الطوسي في «عيون الأخبار» من طريق ابن هدبة عن أنس وفيه: **«فإنه يعاين ملك الموت سكرانًا، ويعاين منكرًا ونكيرًا سكرانًا»**[(٣)].

---

(١) «روض الرياحين» ص٣٢٨ . وقد حذر علماء الدعوة من قراءته أو النظر فيه، سيأتي في ص٢٨٢.

(٢) حديث موضوع. رواه ابن عدي في «الكامل» ١/ ٣٤٣ (ترجمة إبراهيم بن هدبة)، ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات (١٤٣٤). قال ابن عدي: هذا حديث باطل وأبو هدبة متروك الحديث، كذّبه يحيىٰ وعلي، وقال ابن حبان: لا يحل كتب حديثه إلا علىٰ التعجب والحديث في «اللآلي» ٢/ ٢٠٥، و«تنزيه الشريعة» ٢/ ٢٢٢.

(٣) «شرح الصدور» ص٢٠٢ .

الثالثة عشرة: ذكر السيوطي أنه وقع في فتاوىٰ شيخه علم الدين البلقيني أنَّ الميت يجيب السؤال بالسريانية. قال: ولم أقف لذلك علىٰ مستند. هذا كلامه في «شرح الصدور»[1].

وقال في أرجوزته رحمه الله:

ومن غريب ما ترىٰ العينان[2]] أن سؤال القبر بالسرياني

أفتىٰ بهذا شيخنا البلقيني ولم أره لغيرِه بعيني

قال بعضُهم: وعلىٰ تقدير صحّة ذلك، فكيفيّة السؤال هذا «أنزه»: أي قُم يا عبد الله، «أنزح» أي: فيم كنت تقول[3] «كاره» أي: من ربّك، وما دينك؟ وما الذي مت عليه «سالحين»، أي: ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ وفي الخلائق أجمعين والله أعلم.

الرابعة عشر: زعم بعض العلماء أن الملائكة الذين ينزلون علىٰ الميت في قبره أربعة، وأنّ اسم أحدهما ناكور، والآخر دومان، وقد أشار السيوطي إلىٰ ذلك في «أرجوزته»[4] بقوله رحمه الله /١١٩/:

وقد أتىٰ في مرسل مضعّف أنّ السؤال من ثلاثة [لفي]

---

(١) «شرح الصدور» ص٢٠٢ .

(٢) ما بين معقوفتين مطموس في (أ) واستدركناه من (ب) و(ط). انظر للأبيات جمع الشتيت (١٣٤).

(٣) كلمة «تقول» ليست في (ب)، ولا (ط).

(٤) جمع الشتيت (١٣٥) وما بين القوسين في الجمع يفي. والخبر عن كونهم أربعة أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ٢٣٤) عن ضمرة بن حبيب مرفوعًا وقال: (هذا حديث موضوع. إلخ انظر أيضًا «لوامع الأنوار» (٢/ ٨)، وأيضاً ما بين القوسين صحح من الموضوعات.

أو أربع أولئك الاثنان وألحقوا ناكور مع [دوماني]

فقد أخبر رحمه الله تعالىٰ أنّ الخبر فيه علّتان، أحدهما: الإرسال، والثانية: أنه ضعيف والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.

تنبيه: [قال أبو القاسم السعدي في كتاب «الرّوح»[1]: ورد في الأخبار الصحاح أن بعض الموتىٰ لا (تناهم) فتنة القبرِ، ولا يأتيهم الفتانان وذلك علىٰ ثلاثةِ أوجه: مضاف إلىٰ عمل، ومضاف إلىٰ حال بلاءٍ نزل بالموتِ، ومضاف إلىٰ زمانٍ.

أخرج النسائي عن راشد بن سعد، عن رجلٍ من أصحابِ رسول اللهِ ﷺ أنَّ رجُلاً قال: يا رسولَ اللهِ، ما بالُ المؤمنينَ يُفتنون في قبورِهم إلا الشهداء؟ قال: **«كفىٰ ببارقةِ السُّيوفِ علىٰ رَأسِهِ فتنةً»**[2].

وأخرج الطبراني في **«الأوسط»** عن أبي أيوب رضي اللهُ عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«مَنْ لَقي العدوَّ فَصَبَرَ حَتَّى يُقتلَ أو يغلِبَ لم يُفتن في قبرِهِ»**[3].

وأخرج مسلم عن سلمان الفارسي رضي اللهُ عنه قال: سِمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«رباطُ يومٍ وليلةٍ خيرٌ مِنْ صيامِ شهرٍ وقيامه وإنْ مات جَرىٰ عليه عمله الذي كان يعملُه وأُجريَ عليه رزقهُ وأَمِنَ مِنَ الفتَّان»**[4].

وأخرجَ الترمذي وصححه عن فضالةَ بن عبد الله، عن

---

(١) «شرح الصدور» ص٢٠٤ .

(٢) أخرجه النسائي ٤/ ٩٩، وفي الكبرىٰ ١/ ٦٦٠، وابن أبي عاصم في «الجهاد» (٢٣٠).

(٣) رواه الطبراني في «الأوسط» (٤١١٨) و(٨٢٤٣)، والحاكم ٢/ ١١٩ وفيه ضعف.

(٤) رواه مسلم (١٩١٣)، والنسائي ٦/ ٣٩، وابن حبان (٤٦٢٦) سيأتي في ص٢٨٠.

رسول الله ﷺ قال: «**كل ميتٍ يختمُ علىٰ عملِهِ إلا الذي مات مرابِطًا في سبيل اللهِ فإنه ينمو]**[١] **عليه**[٢] **إلىٰ يوم القيامةِ ويأمن فتنة القبر**»، وأبو داود بلفظ: «**ويؤمن من فَتَّانَي القبر**»[٣].

وأخرج ابن ماجه بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «**من مات مرابطًا في سبيل الله أجرىٰ اللهُ عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمله**[٤]، **وأجرىٰ عليه رزقه وأمن من الفتان، ويبعثه الله آمنا من الفزع**»[٥].

وأخرج نحوه الإمام أحمد والطبراني عن عقبة بن عامر، وزاد: «**يبعثه الله يوم القيامة آمنا من الفزع الأكبر**»[٦].

قال القرطبي[٧] في هذا الحديث: والذي قبله: وهو الموت حالة الرباط والرّباط ملازمة ثغور المسلمين مدةً علىٰ نية الجهاد، فارسًا كانَ أوْ راجِلا.

---

(١) هذه الكلمات ليست في (ب).

(٢) ما بين المعقوفتين مطموس في (أ) واستدركناه من (ب)، و(ط).

(٣) رواه الترمذي (١٦٢١) في: فضائل الجهاد. ورواه أيضًا أحمد ٦/ ٢٠ و٢٢، وأبو داوود (٢٥٠٠).

(٤) في (ب)، و(ط): «يعمل».

(٥) ابن ماجه (٢٧٦٧). ورواه بنحوه أحمد ٢/ ٤٠٤، والبزار (١٦٥٥)«كشف»، وابن أبي عاصم في الجهاد (٢٩٧) وفيه ضعف لكن يقويه الشاهد الذي بعده.

(٦) رواه أحمد ٤/ ١٥٠ و١٥٧، والدارمي (٢٤٣٠)، والطبراني في «الكبير» ١٧/ (٨٤٨) وإسناده حسن.

(٧) «التذكرة» ١/ ١٨٨.

قلت: وأقلّ الرّباط /١٢٠/ ساعة، وتمامه أربعون يومًا قال القرطبي: وأمّا سكان الثغور دائمًا بأهليهم الذين يعمرون ويكتسبون هناك، فليسوا بمرابطين. كذا قال: ولعلّه حيث لم ينووا المرابطة، وإلا فَلا يَظهر كلامه فليُتأمل.

وأخرج ابن ماجه والبيهقيّ، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**من مات مريضًا مات شهيدًا ووُقي فتنة القبر، وغدي وريح عليه برزقه من الجنة**»[1].

قال القرطبيّ[2]: هذا عامٌ بجميع الأمراض لكن يقيد بالحديث الآخر: «**من قتله بطنه لم يعذّبْ في قبره**». أخرجه النسّائي وغيره[3]. والمراد به: ٱلاستسقاء، وقيل: الإسهال، والحكمة في ذلك أنه يموت حاضر العقل، عارفًا بالله، فلم يحتج [إلىٰ إعادةِ السؤالِ عليه بخلافِ مَنْ يموتُ بسائرِ الأمراض، فإنّهم تغيب عقولهم.

قال السيوطي[4]: ولا حاجة لشىْء من هذا التقييد فإن الحديث غلط فيه الراوي باتفاق الحُفاظ وإنما هو: «**من ماتَ مرابِطًا**» لا «**مَنْ مات مريضًا**» وقد أورده ابن الجوزي في «الموضوعات»[5] لأجل

---

(١) رواه ابن ماجه (١٦١٥)، والطبراني في «الأوسط» مختصرًا (٥٢٥٨)، وأبو نعيم في «الحلية» ٨/ ٢٠٠-٢٠١، والبيهقي في «الشعب» (٩٨٩٧).وابن الجوزي في «الموضوعات» (١٧٣٥) - (١٨٣٧). وإسناده ضعيف.

(٢) التذكرة ١/ ١٧٢ .

(٣) النسائي ٤/ ٩٨ من حديث خالد بن عرفطة وسليمان بن صرد. ورواه أيضًا أحمد ٤/ ٢٦٢، والطبراني في «الكبير» (٤١٠٢) - (٤١٠٨). وإسناده جيد.

(٤) «شرح الصدور» ص٢٠٧ .

(٥) الموضوعات لابن الجوزي ٣/ ٥١١-٥١٣ (١٧٣٥-١٧٣٨) [ط أضواء السلف].

ذلك، والله أعلم.

ورُوِي أنَّ سورة تبارك (الملك) **«مَنْ قرأها كل ليلةٍ لم يضره الفتَّان»**[١].

أخرج جُويبر في «تفسيره» عن ابن مسعود رضي الله عنه: مَنْ قرأ سورةَ الملكِ كل ليلةٍ عُصم مِنْ فتنةِ القبرِ[٢].

وأخرج أيضًا عن البراء مرفوعًا **«مَنْ قرأَ الم السجدةَ، وتبارك قبلَ النوم نجا من عذاب القبر ووقي فتاني القبر»**[٣] لكنه ضعيف][٤].

وأخرج الإمام أحمد والترمذي وحسنه، وابن أبي الدّنيا والبيهقي عن ابن عَمرو[٥] رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من مسلم يموت يوم الجمعة، أو ليلة الجمعة، إلاّ وقاه الله فتنة القبر»**[٦].

قال القرطبي[٧]: هذه أحاديث لا تعارض أحاديث السّؤال

(١) ذكر معناه البيهقي في «عذاب القبر» (١٤٩).

(٢) رواه النسائي أيضًا في «عمل اليوم والليلة» (٧١٦) موقوفًا.

(٣) عزاه في «كنز العمال» ١/ ٥٨٩ لأبي الشيخ والديلمي وفيه سوار بن مصعب متروك.

(٤) ما بين معقوفتين فيه طمس في(أ)وواضح منه بعض الكلمات وقد أتممناه من(ب)، و(ط).

(٥) كذا في (أ)، و(ط) والمثبت في (ب) «عمر».

(٦) رواه أحمد ٢/ ١٦٩، والترمذي (١٠٧٤)، والطحاوي في «مشكل الآثار» كما في «تحفة الأخيار» (١٢٧٥) و(١٢٧٧) و(١٢٧٨)، والبيهقي في «عذاب القبر» (١٥٤) - (١٥٧) وإسناده ضعيف. وله شاهد من حديث أنس عند أبي يعلىٰ (٤١١٣) وهو ضعيف أيضًا.

(٧) «التذكرة» ص١٧١ .

السّابقة بل تخصها، وتبيّن من لا يُسأل في قبره ولا يفتن فيه، ممّن يجري عليه السّؤال ويقاسي تلك الأهوال، وهذا كله ليس فيه مدخل للقياس ولا مجال للنظر فيه، وإنما فيه التسليم والانقياد؛ لقول الصادق المصدوق.

قال: وقوله في الشهيد: «**كفىٰ ببارقة السيوف علىٰ رأسه فتنة**»[١]، معناه: أنه لو كان في هؤلاء المقتولين نفاق كان إذا التقىٰ الجمعان وبرقت /١٢١/ [٢] [السيوف علىٰ رءوسهم فرُّوا، لأن من شأن المنافق الفرار والروغان عند ذلك، ومن شأن المؤمن البذل والتسليم والتفويض للعزيز الحكيم، وقد ظهر صدق ما في ضميره، حيث برز للحرب والقتل، فلماذا يعاد عليه السؤال في القبر؟ قاله الحكيم الترمذي.

قال القرطبي[٣]: وإذا كان الشهيد لا يُسأل، فالصدِّيق أجل قدرًا، وأعظم خطرًا، فهو أحرىٰ أن لا يفتن، لأنه المقدم ذكره في التنزيل علىٰ الشهداء، وقد جاء في المرابط الذي هو أقل رتبة من الشهيد أنه لا يفتن، فكيف بمن هو أعلىٰ مرتبة منه ومن الشهيد؟ ٱنتهىٰ.

قال السيوطي[٤]: وقد صرح الحكيم بأن الصِّدِّيقين لا يُسألون، وعبارته: قال تعالىٰ: ﴿وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٧] ، وتأويله عندنا - والله أعلم - أن من مشيئته أن يرفع مرتبة أقوام

---

(١) انظر: ت (٢٠٦) ت (٢).

(٢) سقط من (أ) الصفحات ١٢٢إلىٰ١٢٦ واستدركناه من (ب وط)، انظر ص٢١٨.

(٣) «التذكرة» ١٧٢ .

(٤) «شرح الصدور» ص٢٠٨ .

عن السؤال، وهم الصدِّيقون والشهداء. وما نقله عن الحكيم الترمذي[١] في توجيه حديث الشهيد، يقتضي ٱختصاص ذلك بشهيد المعركة. لكن قضية أحاديث الرباط التعميم في كل شهيد. هذا كلام السيوطي قلت: لا يلزم من كون المرابط لا يسأل أن يكون كل شهيد كذلك نعم جزم الحافظ ابن حجر، في «بذل الماعون في فضل الطاعون»[٢]، بأن الميت بالطعن لا يُسأل، لأنه نظير المقتول في المعركة، وبأن الصابر في الطاعون يعلم محتسبًا أنه لا يصيبه إلا ما كُتب له، إذا مات فيه بغير الطعن، لا يفتن أيضًا، لأنه نظير المرابط. كذا قال السيوطي[٣]: وهو متجه جدًا. قال الحكيم في توجيه حديث المرابط[٤]: إنه قد ربط نفسه وسجنها وصيّرها حبيسًا لله في سبيله، لمحاربة أعدائه، فإذا مات علىٰ هذا فقد ظهر صدق ما في ضميره، فَوُقِيَ فتنة القبر.

قلت: قد ظهر لي من هذا التعليل مع ضم تعليل حديث المريض الذي تقدم أن كل شهيد كذلك؛ لأن المبطون والغريق والشريق والحريق وصاحب الهدم وذات الجنب والسل وصاحب اللقوة والمتردي من رؤوس الجبال واللديغ ومن قتل دون ماله أو أهله أو دينه أو دمه أو مظلمته وفريس السبع ومن خر عن دابته كلهم متجه فيهم تعليل القرطبي للذي مات بالاستسقاء؛ لأن هؤلاء يموتون وكل منهم حاضر العقل عارف بالله. ولكني لا أسلم لهذا التعليل أبدًا؛ لأن موت الفجأة كذلك، ولأن المقصود من سؤال القبر ٱلاختبار عن

(١) «نوادر الأصول» ص ٤٠٤.
(٢) «شرح الصدور» ص٢٠٨.
(٣) «شرح الصدور» ٢٠٨.
(٤) «شرح الصدور» ص٢٠٨-٢٠٩.

صحة العقيدة وإخلاص الشهادة ولا شيء من ذَلِكَ يدل علىٰ ذَلِكَ كما لا يخفىٰ علىٰ من تأمل.

بقي من الشهداء العاشق[(١)] إذا عف وكتم ومات والتعليل فيه كما في المرابط؛ لأن صبره عن معشوقه مع القدرة عليه وكتمان ما في قلبه من نار العشق والتعفف عن المعصية يظهر صدق ما في ضميره من الإيمان بالله ورسوله. ولولا ذَلِكَ لهجم علىٰ محبوبه ومطلوبه. وهذا ما فتح الله به علىٰ هذا الفقير ولم أر من تعرض لذلك.

يبقىٰ موت الغريب[(٢)] فلا أعلم له تعليلاً غير الذل والانكسار، نعم إن كان مغتربًا لنحو طلب العلم يأتي فيه التعليل في حق المرابط وأما أمناء الله في الأرض فيلحقوا بالصديقين.

فيبقىٰ المجنون والنفساء فأما المجنون فهو كالطفل، وأما النفساء فإما لموتها عاقلة عارفة بالله وإما لشدة ما تلقىٰ من النصب ومقاساة صعوبة النفاس وهذا ما ظهر لي والله أعلم.

قال الحكيم الترمذي[(٣)]: ومن مات يوم الجمعة، فقد انكشف الغطاء عما له عند الله، لأن يوم الجمعة لا تسجر فيه جهنم وتغلق أبوابها، ولا يعمل سلطان النار ما يعمل في سائر الأيام، فإذا

---

(١) بلفظ: «من عشق فكتم وعف مات شهيداً» أخرجه الخطيب في تاريخه وفي سنده مقال، انظر (٣٣٧) ت(١).

(٢) بلفظ «موت غربة شهادة» أخرجه ابن ماجه بسند واهٍ، قال المنذري «الترغيب والترهيب» (٥/ ٢٧٩) جاء أن موت الغريب شهادة أحاديث، لا يبلغ شيء منها درجة الحسن سيأتي في ص٣٣٦ ت(٢).

(٣) «نوادر الأصول» ص٤٠٤ .

قبض الله عبدًا من عبيده فوافق قبضه يوم الجمعة كان ذَلِكَ دليلاً لسعادته وحسن مآبه؟ لأنه لم يقبض في هذا اليوم العظيم إلا من كتب له السعادة عنده، فلذلك يقيه فتنة القبر؛ لأن سببها إنما هو تمييز المنافق من المؤمن. أنتهىٰ.

قلت: والمراد إن كان من أهل الإيمان والتقوىٰ وإلا فكم من منافق يموت يوم الجمعة، وكم من فاسق وكافر ولا ينفعه ذلك، والأولىٰ السكوت عن التعليل بل كان من أخبار النبي ﷺ عنه أنه لا يسأل فليتلق بالقبول والتبجيل من غير ما تأويل ولا تعليل.

قال السيوطي[1]: من مات يوم الجمعة فله أجر شهيد، فكان علىٰ قاعدة الشهداء في عدم السؤال.

كما أخرج أبو نعيم في «الحلية»، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: **«من مات يوم الجمعة، أو ليلة الجمعة، أُجير من عذاب القبر، وجاء يومَ القيامةِ وعليه طابع الشهداء»**[2].

وأخرج حميد في «ترغيبه» عن عطاء، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من مسلم أو مسلمة يموت ليلة الجمعة، أو يوم الجمعة، إلا وُقي عذاب القبر وفتنة القبر، ولقي الله ولا حساب عليه، وجاء يوم القيامة ومعه شهود يشهدون له، أو طابع**[3]**»** قال السيوطي[4]: وهذا الحديث

---

(١) «شرح الصدور» ص٢٠٩ .

(٢) «الحلية» ٣/ ١٥٥ وقال: غريب من حديث جابر ومحمد، تفرَّد به عمر بن موسىٰ، وهو مدني فيه لين. قلت: عمر بن موسىٰ قال فيه أبو حاتم: ذاهب الحديث كان يضع الحديث.

(٣) «تمييز الطيب من الخبيث» (١٤٦٢). (٤) «شرح الصدور» ص٢٠٩ .

لطيف، صرَّح فيه بنفي الفتنة والعذاب معًا.

قلت: وهذا من خصائص الجمعة وقد أنهيت الكلام علىٰ ذلك، في رسالة لي سميتها (اللمعة في فضل الجمعة)[1].

وممن لا يفتن في قبره من قرأ في مرض موته ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: الآية ١] لما أخرج أبو نعيم في الحلية أن النبي ﷺ قال: «**من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي مات فيه لم يفتن في قبره، وأمن ضغطة القبر، وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتىٰ تجيزه الصراط إلىٰ الجنة**»[2]، ومن جملة الذين لا يسألون الذي تمنىٰ الشهادة بقلب صادق لكنه ملحق بالشهداء، واستثنىٰ جمع فوق ما ذكرنا الملائكة والأنبياء ونبه السيوطي علىٰ ذَلِكَ بقوله:

ومن هنا يقطع بانتفائه عن رسل الله وأنبيائه
فكم إمام قاله وكم أمم والنسفي في بحره به جزم
والشيخ سعد الدين منهم نقلاً خلفًا وهذا الخلف مما أشكلا
والنيكساري قال إنّ المسألة عن النبي جل من قد أرسله
ويسأل عنه غيره في رمسه فكيف يسأل النبي عن نفسه
والفاكهاني قال في الملائك الظاهر انتفاؤه في أولئك
قلت: أما الجن فالأدلة تعمهم فيسألون جملة

وقد اجتمع مما ذكرنا جماعة لا يسألون سيما أن عممنا ذَلِكَ في كل شهيد فإن الشهداء يزيدون علىٰ ثلاثين كما ذكره السيوطي، والله أعلم.

---

(١) «اللمعة في فضل الجمعة» ص١١٧ .

(٢) «حلية الأولياء» ٢/ ٢١٣ بإسناد ضعيف جدًا.

فصل
في فظاعة القبر وسعته علىٰ المؤمن وضيقه علىٰ الكافر وفي ضمة القبر

أخرج الحاكم، وابن ماجه، والبيهقي خبر عثمان وتقدم قول النبي ﷺ: «**ما رأيت منظرًا إلا والقبر أفظع منه**»[(١)].

وأخرج ابن ماجه عن البراء قال: كنا مع الرسول ﷺ في جنازة فجلس علىٰ شفير قبر فبكىٰ وأبكىٰ حتَّىٰ بل الثرىٰ ثم قال: «**يا إخواني لمثل هذا فاعملوا**»[(٢)].

أخرج الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر قال: توفىٰ رجل بالمدينة فصلىٰ عليه رسول الله ﷺ فقال: «**يا ليته مات في غير مولده**» فقال رجل من الناس: لم يا رسول الله؟ قال: «**إن الرجل إذا توفي في غير مولده قيس له من مولده إلىٰ منقطع أثره في الجنة**»[(٣)].

وأخرج ابن منده عن ابن مسعود رضي اللهُ عنه مرفوعًا: «**يفسح للغريب في قبره كبعده عن أهله**».

وأخرج عن أبي سعيد الخدري رضي اللهُ عنه مرفوعًا: «**إنما القبر**

---

(١) رواه أحمد ١/ ٦٣، وابن ماجه (٤٢٦٧)، والحاكم ١/ ٥٢٦ و٤/ ٣٦٦، والبيهقي ٤/ ٥٦ انظر ص١٨٧ ت(١).

(٢) رواه ابن ماجه (٤١٩٥)، والبيهقي ٣/ ٣٦٩ بإسناد ضعيف فيه محمد بن مالك لم يسمع من البراء.

(٣) رواه أحمد ٢/ ١٧٧، والنسائي ٤/ ٧، وابن ماجه (١٦١٤)، وابن حبان (٢٩٣٤). وإسناده حسن.

روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار»[١].

وأخرج البيهقي عن ابن عمر نحوه. وأخرج علي بن سعيد عن معاذ رضي اللهُ عنه قال: قلت لعائشة رضي اللهُ عنها: ألا تخبريني عن مقبورنا وما يلقىٰ وما يصنع به. فقالت: إن كان مؤمنًا فسح له في قبره أربعون ذراعًا.

قال القرطبي: وهذا إنما يكون بعد ضيق القبر والسؤال، وأما الكافر فلا يزال قبره ضيقًا عليه. قال: وقوله ﷺ في «القبر إنه روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» محمول عندنا علىٰ الحقيقة إلىٰ المجاز، وإن القبر يملأ علىٰ المؤمن خضرًا وهو العشب من النبات وقد بينه ابن عمر[٢] في حديثه أنه الريحان ويملأ نارًا..

قال: وذهب بعض العلماء إلىٰ حمله علىٰ المجاز وإن المراد خفة السؤال علىٰ المؤمن وسهولته عليه وأمنه وطيب عيشه وراحته وسعته عليه بحيث يرىٰ مد بصره؛ كما يقال: فلان في الجنة إذا كان في رغد من العيش وسلامة وكذا في ضده قال والأول أصح[٣].

وأخرج أحمد[٤]، والحكيم الترمذي، والبيهقي في كتاب «عذاب القبر»، عن حذيفة، قال: كنا مع النبي ﷺ في جنازة فلما ٱنتهينا إلىٰ

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٦٠) قال أبو عيسىٰ: هٰذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هٰذا الوجه.

وقال الألباني في «ضعيف الترمذي»: ضعيف جدًا. انظر ص١٦٥ ت(١).

(٢) في «التذكرة»: ابن عمرو.

(٣) انظر «التذكرة» ص ١٤٥ .

(٤) كلمة «أحمد» ليست في (ب).

القبر، قعدنا علىٰ شفته، فجعل يرددٌ بصره فيه، ثم قال: «**يُضغط فيه المؤمن ضغطة تزول منها حمائله ويُملأ علىٰ الكافر نارًا**»[(١)].

قال في النهاية: الحمائل هنا: عُروق ٱلانثيَيْنِ. وَيَحْتمل أن يُراد موضع حَمَائِلِ السيف، أي عَواتِقه وصَدْره وأضْلاعه[(٢)].

وأخرج أحمد، والبيهقي عن عائشة، عن النبي ﷺ قال: «**إن للقبر ضغطةً، لو كان أحدٌ منها ناجٍ لنجا منها سعدُ بنُ معاذٍ**»[(٣)].

وأخرج الإمام أحمد والبيهقيَ والحكيم، عن جابر بن عبد الله رضي اللهُ عنهما، قال: لما دُفن سعد بن معاذ سبَّح النبي ﷺ وسبَّح الناس معه طويلاً، ثم كبَّر وكبَّر الناس، ثم قالوا: يا رسول الله، لِمَ سَبَّحْتَ؟ قال: «**لقد تضايق علىٰ هذا الرجل قبرُه حتىٰ فرج الله عنه**»[(٤)].

---

(١) رواه أحمد ٥/ ٤٠٧، والحكيم في «نوادر الأصول» ١/ ٦٢٤، والبيهقي في إثبات عذاب القبر رقم (١٢٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٤٦: رواه أحمد وفيه محمد بن جابر، وهو ضعيف، وقال ابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ٢٣١: هذا حديث لا يصحّ، وتعقّبه ابن حجر في «القول المسدد» ص(٢٨-٢٩) وقال: قلت: وأبو البختري ٱسمه سعيد بن فيروز لم يدرك حذيفة، ولكن مجرَّد هذا لا يدلُّ علىٰ أنَّ المتن موضوع؛ فإن له شواهد في أحاديث كثيرة لا يتسع الحال لاستيعابها.

(٢) النهاية ١/ ٤٤٢.

(٣) رواه أحمد ٦/ ٥٥ و٩٨، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» رقم (١١٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٤٦): رواه أحمد عن نافع عن عائشة، وعن نافع عن إنسان عن عائشة، وكلا الطريقين رجالهما رجال الصحيح.

(٤) رواه أحمد ٣/ ٣٦٠ و٣٧٧، والطبراني في «الكبير» (٥٣٤٦)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (١٢٦)، وأورده الحكيم الترمذي ١/ ٦٢٥.

وأخرج النسائي، والبيهقي، عن عبد الله بن عمر - رَضِي اللهُ عَنْهُما - عن رسول الله ﷺ قال: «**هذا الذي تحرَّكَ له العرشُ، وفُتِحَتْ له أبوابُ السماء، وشهده سبعون ألفًا من الملائكة، لقد ضُمَّ ضمَّةً، ثم فُرِّج عنه**»[١] يعني سعَدَ بن معاذ رضي اللهُ عنه. قال الحسن: تحرك العرش فرحًا بروحه.

وأخرج الطبراني، عن أبي أيوب، بسند صحيح، أن صبيًا دُفن، فقال رسول الله ﷺ: «**لو أفلت أحدٌ من ضمَّةِ القبرِ، لأفلتَ هذا الصبيُّ**»[٢].

قال: ابن أبي مليكة، ما أجير من ضغطة القبر أحد، ولا سعد ابن معاذ الذي منديلٌ من مناديله - أي: في الجنة - خيرٌ من الدنيا وما فيها.

قال مجاهد: أشدُّ حديثًا سمعناه عن النبي ﷺ قوله في سعد بن معاذ، وقوله في أمر القبر.

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما عُفِي**] /١٢٦/[٣]

---

(١) رواه النسائي ٤/ ١٠٠-١٠١، والبيهقي في «الدلائل» ٤/ ٢٨، وفي «عذاب القبر» (١٢٢).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» ٤/ (٣٨٥٨)، قال الهيثمي في «المجمع» ٣/ ٤٧: رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله رجال الصحيح.

(٣) إلىٰ هنا تنتهي الورقات الساقطة وقد أستدركتها من (ب)، (ط) كما تقدم بيانه، انظر ص٢١٠.

أحدٌ منْ ضَغْطَةِ القَبر إلاّ فاطمةُ بنتُ أسد»، فقيل: يا رسول الله، ولا القاسمُ ابنك؟ قال: «**ولا إبراهيمُ**». وكان أصغرهما[1].

قال أبو القاسم السعدي في كتاب «الروح» له: لا ينجو من ضغطةِ القبر صالحٌ ولا طالحٌ.

والمرادُ إلاّ من ٱستثناه النبيُّ ﷺ، وهو فاطمةُ بنتُ أسد بن هاشم بنِ عبدِ مناف والدةُ عليّ بن أبي طالب رضيَ اللهُ عنهما إن ثبت الحديثُ فقيل الحكمة في ذلك لأنها ضمّت المصطفىٰ، وقيل؛ لأنّه سَكبَ عليها الماء الذي فيه الكافور. تُوُفّيَت في المدينة ودُفنت شِمال قبّة عثمان في موضع يقال له الحمام، وعليها قبّةٌ صغيرة، كذا في «زُبدة الأعمال» والله أعلمْ.

قال أبو القاسم السَّعديّ: والفرقُ بينَ المسلم والكافر دوامُ الضغْطِ للكافر، وحُصولُ هذه الحالة للمؤمنِ في أوّل نزوَلِه إلىٰ قبره، ثم يعودُ إلىٰ ٱلانفساح لهُ فيه.

قال: والمرادُ بضغطةِ القبر: التقاء جانبيْه علىٰ جسدِ الميّت.
قال الحكيم الترمذيّ: سببُ هذه الضَّغْطة؛ أنَّه مَا منْ أحَد إلاّ وقد ألم بخطيئةٍ ما، وإن كان صالحًا؛ فجُعلتْ هذه الضغطة جزاء لها ثُمّ تُدركُه الرحمة. ولذلك ضغط سعدِ بنِ معاذٍ رضي الله عنه.

---

(١) الخبر في «تاريخ المدينة» ١/ ١٢٤ من رواية محمد بن علي بن أبي طالب - ابن الحنفية - مرفوعًا وهو مرسل قوي قال في تخريج الأحياء (٤٠٦٩) ذكره في كتاب أخبار المدينة عن أنس وهو فيه عن محمد بن علي.

قال: وأمّا الأنبياءُ فلا نعلم أن لهم في القَبور ضَمةً ولا سؤالاً لعصمتهم[1].

قُلت: قَدْ قدَّمنا أنَّ السؤال إنما هُو عن الأنبياء وما أخبروا به، فكيفَ يُسألونَ عن أنفسهم، فهم أكرمُ علىٰ الله وأجلُّ وأعظمُ عندَ اللهِ من أن يُسألوا.

وقد ذَكرَ ابن الجوزي رحمهُ الله في «مناقب سيّدنا الإمام أحمدَ»، أنَّهُ رآه المروزي رحمهُ اللهُ فقال له: ما فعل اللهُ بك؟ فَذكرَ أنَّ الملكين سألاهُ وقالا له: من ربّك؟ فقال: سبحانَ الله أوَمثلي يُسال عن ربه؟ فقالا: لا تؤاخذنا، بذا أمرنا ثم ٱنصرفا، فكيفَ بأنبياء الله الكرام، وهمُ المخبرون عنه، الدّالونَ عليه، المجتهدون في إنقاذ عباده من غضبه إلىٰ مرضاتِه بإذنه.

من أسباب ضمة القبر

قالَ محمدُ التيمي: كان يُقالُ ضمّةُ القبر، /١٢٧/. إنّما أصلُها أنَّها أمّهم، ومنها خُلقوا، فغابوا عنها الغيبةَ الطويلةَ فلمَّا رُدّوا إليها ضمتْهم ضمّةَ الوالدةِ إذا غابَ عنها ولدُها ثُمَّ قدم. فمَنْ كانَ لله مُطيعًا ضمتهُ برأفة ورفق، ومَنْ كانَ عاصيًا ضمته بعنف؛ سَخطًا منها عليهِ لربّها.

وأخرجَ البيهقي وابنُ مندهَ والديلمي وابن النجارِ، عن عائشةَ

---

(١) «نوادر الأصول» ص١٦٠، وانظر تخريج الأحياء (٤٠٦٩).

رضي الله عنها قالتْ: يا رسول الله، إنك منذ يوم حدثتَني بصوتِ مُنكرٍ ونكير[(١)] وضغطةِ القبر، ليس ينفعني شيء قال: «**يا عائشة، إنَّ أصوات منكرٍ ونكيرٍ في سَماع المؤمنينَ كإثمد في العين، وإنّ ضغطة القبر علىٰ المؤمن كالأمّ الشفيقة يشكو إليها ابنها الصداعَ، فتغمرُ رأسهُ غَمرًا رفيقًا، ولكنْ يا عائشةُ ويلٌ للشاكين في الله، كيفَ يُضغطونَ في قبُورهم كضغطةِ الصخرة علىٰ البيضة**»[(٢)].

فائدتان:

الأولىٰ: أسباب دفع عقوبة السيئة: قالَ بعضُهمْ: مَن فعلَ سيّئة فإن عقوبتها تُدفع عنه بعشَرة أسباب: أن يتوَب فيتوبَ[(٣)] الله عليه، أو يستغفر فَيُغفر له، أو يعملَ حسنات فتمحوها، فإن الحسنات يُذهِبْنَ السيّئات، أو يُبتلىٰ بمصْائب في الدُّنيا، فيُكَفَّرَ عنهُ، أو في البرزخ بِالضغطة والفتنة، فيكفر عنه، أو يدعو له إخوانُه من المؤمنين ويستغفرونَ له، أو يُهدون له من ثواب أعمالِهمْ ما ينفعه، أو يُبتَلىٰ في عرصاتِ القيامةِ بأهوال تكفِّر عنه، أو تُدرِكه شفاعة نبيّه ﷺ أو رحمة ربّه. ٱنتهىٰ.

الثانية: ذُكِرَ في «الفردوس» للديلمي، ولم يُسنده ولدُه مِنْ حديث علي رضي الله عنه مرفوعًا: «**أوّلُ عدلِ الآخرةِ القبور، ولا**

---

(١) كلمة (نكير) ليست في (أ).

(٢) البيهقي في «عذاب القبر» ص١١٦ «الفردوس» (٧١٥٣).

(٣) هكذا في النسخة (أ)، وفي (ب) و(ط) «فيتاب عليه».

يُعرف شريف من وضيع»[١].

وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما: إن الله أرحَمُ ما يكون لعبده إذا دخل قبرَه وتفرقَ عنْه الناس وأهله.

وأخرجَ الديلمي عَنْ أنسٍ رضي الله عنهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أرحمُ ما يكونُ اللهُ بالعبد إذا وُضعَ في حفرته**»[٢].

وأخرجَ ابن أبي الدنَيا عَنْ أبي عاصِمِ الحَبْطيّ يرفعه قال: «**إن أوّل مَا يُتحف به المؤمنُ في قبره يُقال له: أبشر فَقدْ غُفِرَ لِمَنْ تبعَ جَنازتك**»[٣].

وأخرجَ البزارُ وعبد بن حميد /١٢٨/ في «**مُسنديهما**» والبَيْهقي في «**الشّعب**»، عَن ابن عَبّاس رضي الله عنهما قال: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**إن أوَلَ ما يُجازىٰ به المؤمنُ بَعدَ موته، أنْ يُغْفَرَ لجميع مَنْ تبِعَه**»[٤].

وفي الباب عن جابر بنِ عبدِ الله، أخرَجَهُ ابن أبي الدُّنيا[٥]،

---

(١) مسند الفردوس (٦٩).

(٢) «كنز العمال» ١٥/ ٦٠١ وعزاه للديلمي.

(٣) انظر «القبور» ص٢٢٤ (٣٥٧).

(٤) رواه البزار في «مسنده» (٨٢٠) «كشف»، وعبد بن حميد (٦٢١)، وابن عدي ٨/ ١١٩ (ترجمة مروان بن سالم) ومن طريقه ابن الجوزي (١٧٥٨) وإسناده ضعيف جدًا.

(٥) انظر «القبور» ص٢٤٤ (٣٥٨).

وسلمان الفارسيّ أخرجَهُ أبو الشيخ في «الثَواب»، وأبي هريرة أخرجهُ الحاكمُ في «التاريخ»، والبيهقيُّ في «الشعب» والديلمي[١]، وأنسُ أخرجهُ الحكيمُ الترمذي[٢].

* * *

(١) انظر «شعب الإيمان» ٧/ ٧ (٩٢٥٦).
(٢) حديث أنس في «نوادر الأصول» ١/ ٤٠٣.وكل هذه الأحاديث شديدة الضعف ولا تصلح شواهد لبعضها والله أعلم.



البابُ الثاني
في عذابِ القبرِ ونعيمه

نسألُ اللهَ أنْ يجَعلنا من أهلِ النعيم؛ بمنه وكرمه العميم

قال السيوطي: وقع ذِكْرهُ أي عذابُ القبر في القُرآن في عدّةِ أماكن، كما بينتُه في «**الإكليل في ٱستنباط التنزيل**»، ٱنتهىٰ.

قالَ الحافظ ابن رجب في قولِ اللهِ عزّ وجلّ: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾ إلىٰ قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾ [الواقِعَة: ٨٣-٩٥] عَنْ عَبدِ الرحمن بنِ أبي لَيْلىٰ قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآيات: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾ [الواقِعَة: الآية ٨٣] إلىٰ قوله: ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ قال: «إذا كانَ عندَ الموتِ قِيلَ له هذا، فإنْ كانَ مِنْ أصحاب اليمين أحبَّ لقاءَ اللهِ، وأحبَّ اللهُ لِقاءه وإنْ كان من أصحابِ الشمال كَره لقاءَ الله، وكَرِه اللهُ لقاءه»[1].

وأخرجَ الإمامُ أحمدُ، أن النّبيَّ ﷺ قال: «**مَن أحبّ لِقاء الله أحبّ اللهُ لِقاءه، ومَن كَره لقاء الله، كَرِهَ اللهُ لِقاءهُ**»، فَأكبَّ القومُ يَبْكون: قال: «**ما يبكيكم**» قالوا: إنَّا نكره المَوت قال: «**ليس ذلك ولكنه إذا حَضَر**، ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة ٨٨، ٨٩] **فإذا بشر بذلِك أحبَّ لقاء اللهِ، واللهُ للقائه أحبّ وإمّا أنْ يَكُون من المكذبين الضالين**؛ ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾﴾

(١) انظر «أهوال القبور» ص.٦٨ انظر ما بعده والدر المنثور (١٤/ ٢٤٥) تفسير سورة الواقعة آية (٨٨).

[الواقِعَة: الآية ٩٣]، **فإذا بُشر بذلك، كره لقاء اللهِ، واللهُ للقائهِ أكْره»**[1].

وظاهرُ كلامِ المحقق في كتابِ «الرّوح» أنَّ عذابَ القَبر ذُكِرَ في القرآن؛ لأنَّه قالَ: قولُ السّائل ما الحكمةُ في أنّ عذابَ القبر لمْ يُذكرْ في القرآنِ، مع شدّة الحاجة إلىٰ معرفته، والإيمان به، ليُحذر ويُتّقىٰ، فالجوابُ من وجهين: مجملٌ ومفصّل، /١٢٩/.

أمّا المجْمَلُ فهو: أنَّ الله سُبحانَهُ وتعالىٰ أنزَلَ علىٰ رَسُولِه وَحْيَيْن فَأَوْجَبَ عَلىٰ عبادِه الإيمانَ بهما، والعملَ بما فيهما، وهُما: الكتابُ والحكمة، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النّساء: الآية ١١٣] وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجُمُعَة: الآية ٢] إلىٰ قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٢٩] وقال: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزَاب: الآية ٣٤] والحكمة: هي السّنّة باتفاق السَّلف، وما أخبَر به الرسولُ عن الله، فهو في وجوب تصديقه والإيمانِ به كما أخبرَ به الرّبُّ علىٰ لسانِ رسوله، هذا أصلٌ متّفقٌ عليه بينَ أهل الإسلام، لا يُنكره إلا من ليس منهم، وقد قال النّبي ﷺ:

---

(١) روي ذَلِكَ من حديث عائشة، وأبي هريرة، وعبادة بن الصامت، وأبي موسىٰ الأشعري. وهذا اللفظ أقرب للفظ حديث عبادة عند البخاري (٦٠٥٧) وفيه ذِكر عائشة أيضًا. ومن حديث عائشة وأبي هريرة رواه مسلم (٢٦٨٥)، والنسائي ٤/ ١٠، وأحمد (٣٠/ ٢١٦) (١٨٢٨٣).

«**إني أوتيتُ الكتابَ ومثلَهُ معه**»(١).

قال: وأما الجوابُ المُفصَّلُ: فهو أنّ نعيمَ الروح وعذابَه، مذكورٌ في القرآن، في مواضعَ، فمنها: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنعَام: الآية ٩٣] الآية، وهذا خطابٌ لهم عندَ الموتِ قطعًا، وقد أخبرتِ الملائكةُ وهم الصادقونَ أنهم حينئذ يجزَوْنَ ﴿عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعَام: الآية ٩٣] (٢) ولو تأخر عنهم ذلك إلىٰ ٱنقضاء الدنيا لَمَا صحَّ أنْ يُقال لهم اليومَ تُجزون عذابَ الهُونِ، وقوله: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ [غافر: الآية ٤٥] الآية، فَذَكَر عذاب [الدار] ذكرًا صريحًا، لا يحتملُ غيره ومنها قوله تعالىٰ: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الطور: الآية ٤٥ ـ ٤٦] ٱنتهىٰ كلامه.

وأخرجَ البخاريُّ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله ﷺ يدعو: «**اللهم إني أعوذُ بكَ من عذابِ القبر**»(٣).

قلتُ: وَذكرَ الحافظُ ابن رجب في «أهوال القبور» أنَّ عَذابَ

---

(١) حديث صحيح، رواه أحمد ٤/ ١٣٠، وأبو داود (٣٨٠٤) و(٤٦٠٤).

(٢) في هامش الأصل: بعد قوله أنهم حينئذ يجزوْن عذاب الهون أن يُقال: بما كانوا يقولون علىٰ الله غير الحق وكانوا عن آياته يستكبرون خاصة وأنه لم يقل: وقد قال الله تعالىٰ، فهو من كلامه: أئ المؤلف، وما بين القوسين لعله النار.

(٣) البخاري (١٣٧٧).

القَبْرِ ذُكرَ في القُرآن في عدةِ مواضعَ[١].

أخرج الترمذي عن علي رضي اللهُ عنه قال: ما زلنا في شك من عذاب القبر حتىٰ نزلت ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝﴾ [التكاثر: الآية ١، ٢][٢].

وأخْرَجَ آدمُ بنُ أبي إياس عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: إذا مات الكافرُ أُجْلِسَ / ١٣٠/ في قَبره فيُقالُ: من ربك وما دينك؟ فيقولُ: لا أدْري، فيُضَيّقُ عليه قبرُه، ثم قرأ ابن مسعود ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: الآية ١٢٤] المعيشةُ الضنكُ: هي عذابُ القبر[٣].

ورَوىٰ شُريكٌ عن أبي إسحق عن البراء رضي الله عنه في قوله عزّ وجل: ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الطُّور: الآية ٤٧] قال: عذابُ القبر[٤].

وكذا رُويَ عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عنْهُما في قوله تعالىٰ:

---

(١) ص ٧٠ .

(٢) رواه الترمذي (٣٣٥٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٧٧) وابن جرير في تفسيره لسورة التكاثر والبيهقي في «عذاب القبر» (٢٤٧). وإسناده ضعيف لضعف حجاج بن أرطأة.

(٣) رواه هناد في «الزهد» (٣٥٢)، والطبري في تفسير للآية (طه ٢٤)، وأبو نعيم في «الحلية» ٤/ ٢٠٦، وروي مرفوعًا من حديث أبي هريرة رواه أبو يعلىٰ (٦٦٤٤) وابن حبان (٣١١٩)، والحاكم ١/ ٣٨١ وسيأتي.

(٤) روي ذَلِكَ عن ابن عباس، رواه علي بن طلحة في «صحيفته»، ومن طريقه البيهقي في «عذاب القبر» (٨٣).

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السَّجدَة: الآية ٢١] [1] وكذا قال قتادةُ والربيعُ بنُ أنس في قوله تعالىٰ: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [التّوبَة: الآية ١٠١]، إحداهما: في الدنيا والأخرىٰ هي عذاب القبر[2].

قال الحافظُ ابن رجب[3]: وقد تواترت الأحاديثُ عن النبي ﷺ في عذابِ القبر، ففي الصحيحينِ عن عائشة رضي الله عنها أنّها سألتْ رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال: «**نعم عذابُ القبر حقّ**» قالت عائشةُ رضي الله عنها: فما رأيتُ النبي ﷺ بعدُ صلّىٰ صلاةً إلاّ تعوّذ من عذاب القبر[4].

وفيهما عنها رضي الله عنها أنَّ النّبيّ ﷺ قال: «**إني رأيتُكم تُفتَنُون في القبور كفتنة الدجال**» قالت عائشةُ رضي الله عنها: فكُنتُ أسمعُ رسولَ اللهِ ﷺ بعد ذلك يتعوّذُ من عذابِ القبر[5].

وفي صحيح مسلم عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كانَ يُعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذُ بكَ مِنْ عَذابِ القبر وأعوذُ**

(١) رواه الطبري في تفسير الآية عن مجاهد (١٨/ ٦٣١)، وما ورد عن ابن عباس فيها ليس فيه عذاب القبر.

(٢) رواه الطبري في تفسيره للآية، والبيهقي في «عذاب القبر» (٦٣).

(٣) أهوال القبور ص ٧١-٧٢.

(٤) رواه البخاري (١٣٧٢).

(٥) رواه البخاري (٨٦) و(١٨٤) و(٩٢٢) و(١٠٥٣)، ومسلم (٥٨٤) (٩٠٥)، وأحمد ٦/ ٣٤٥، وابن حبان (٣١١٤) مطولا وفيه روايات كثيرة في صلاة الخسوف.

بك من فِتنةِ المحيا والممات، وأعوذ بكَ مِنْ فتنة المسيح الدجال»[١].

وأخرجَ مسلم وابنُ أبي شيبةَ عن زيد بن ثابتٍ، قال: بينما النبي ﷺ في حائط - أي: بستان - لبني النجار على بغلة له، ونحنُ معهُ إذْ حَادت به فكادت أن تُلقيَه وإذا أقبرٌ ستة أو خمسة أو أربعة، فقال: «مَن يعرِف أصحاب هذه الأقبر؟» فقال رجل: أنا، فقال: «متى مات هؤلاء؟» فقال: ماتوا في الإشراك، فقال النبيُّ ﷺ: / ١٣١/ «إن هذة الأمَّةُ تُبتلىٰ في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا؛ لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر، الذي أسمع منه» ثم أقبل علينا بوجهه فقال: «تعوّذوا بالله من عذاب النار»، فقالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: «تعوّذوا بالله من عذاب القبر» فقالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، فقال: «تعوّذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن»، فقالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، فقال: «تعوّذوا بالله من فتنة الدجال، فقالوا: نعوذُ بالله من فتنة الدجال»[٢].

وأخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إنَّ أهل القبور يعذبون في قبورهم، عذابًا تسمعه البهائم»[٣].

وأخرج الإمام أحمد وأبو يعلىٰ، والآجري عن أبي سعيد

---

(١) رواه مسلم (٥٩٠)، وأبو داود (٩٨٤) و(١٥٤٢)، والترمذي (٣٤٩٤)، والنسائي ٤/ ١٠٤ و٨/ ٢٧٦-٢٧٧، والإمام أحمد ١/ ٢٤٢ و٢٥٨ و٢٩٨ و٣١١، وابن حبان (٩٩٩).

(٢) رواه مسلم (٢٨٦٧)، والإمام أحمد ٥/ ١٩٠، وعبد بن حميد (٢٥٤).

(٣) رواه البخاري (٦٣٦٦)، ومسلم (٥٨٦)، والنسائي ٣/ ٥٦ و٤/ ١٠٥.

الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يُسَلّطُ علىٰ الكافر تسعة وتسعون تنّينا تلدغُه حتىٰ تقوم الساعة»**(١).

وأخرج أبو يعلىٰ والآجري وابن منده، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: **«المؤمن في قبره في روضة، ويُرَحَّبُ له قبره، أي: يُوسّع سبعون ذراعًا، وينوّر له كالقمر ليلة البدر، أتدرون فيم نزلت هذه الآية: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾** [طٰه: الآية ١٢٤] ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **«في عذاب الكافر، والذي نفسي بيده، إنه ليُسَلّطُ عليه تسعة وتسعون تنّينًا، ينفخون في جسمه ويلسعونه، ويخدشونه إلىٰ يوم القيامة»**(٢).

وأخرج الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: **«يُرسَلُ علىٰ الكافر حَيّتان واحدة من قبل رَأسه، والأخرىٰ من قِبل رجليه، يَقرصانه قرصًا، كلمّا فرغتا عادتا إلىٰ يوم القيامة»**(٣).

وأخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لولا**

---

(١) رواه أحمد ٣/ ٣٨، والدارمي ٢/ ٣٣١، وابن حبان (٣١٢١)، والآجري في الشريعة ص٢٥٩، ورواه موقوفًا: أبو يعلىٰ (١٣٢٩)، والبيهقي في «عذاب القبر» (٧٤).

(٢) رواه أبو يعلىٰ (٦٦٤٤)، وابن حبان (٣١١٩) مختصرًا، والحاكم ١/ ٣٨١، والبيهقي في «عذاب القبر» (٦٩) و(٧٠) مختصرًا.
وأورده الهيثمي ٣/ ٥٥ وقال: فيه دراج وحديثه حسن واختلف فيه.
قلت: دراج ضعيف.

(٣) رواه أحمد ٦/ ١٥٢ وفي إسناده ضعف.

أن لا تدافنوا لدعوتُ الله أنْ يُسمعكم من عذاب القبر»[١].

قوله ﷺ: «**لولا أن لا تدافنوا**»: هو بحذف إحدىٰ التاءين تخفيفًا، أي: لولا خوف ترك دفنكم الأموات، بل تتركونهم /١٣٢/ بلا دفن، من خوف أن يُصيبهم من العذاب ما أصاب الميت، وقيل: لولا أن تموتوا من سماعه لفظاعته وعظيم أمره، فتصعقون لوقتكم، وقيل غير ذلك.

فإنْ قُلْتَ: ما معنىٰ قوله: «**لولا أن لا تدافنوا**» الخ، ومن المعلوم أن الصحابة رضي الله عنهم مؤمنون بعذاب القبر، مصدّقون به، فهو عندهم كالمحسوس، وكيف لا وهم خير هذه الأمة؟

فالجوابُ: عن ذلك من وجوه فقيل: محمول علىٰ ما ذكرنا، من أنهم يموتون، ولا إشكال وقد تقدم في الأحاديث ما يدل لذلك، وقيل: إن الذي حمله ﷺ علىٰ ذلك: أنهم إذا سمعوا، تركوا دَفن الميت، ٱستهانة به أو لعجزهم عنه، أو لدهشتهم وحيرتهم، أو لفزعهم وعدم قدرتهم علىٰ دفنه، أو لئلا يحكموا علىٰ كل من أطلعوا علىٰ تعذيبه في قبره، أنه من أهل النار، فيتركون الترحم عليه، وتَرَجيّ العفو عنه.

ذكر مُلخص هذه الأوجه المناوي، في «**شرحه الكبير علىٰ الجامع الصغير**»[٢]، وأكثرها لا يخلو من مناقشة والله أعلم.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٨)، والإمام أحمد ٣/ ١٠٣ و١٧٥ و١٧٦ و٢٠١ و٢٧٣ و٢٨٤، وابن حبان (٣١٢٦) (٣١٣١).

(٢) فتح القدير ٥/ ٣٤٢.

وأخرج الشيخان، عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، وقد وجبت الشمس، فسمع صوتًا فقال: **«يهود تعذب في قبورها»**(١).

وأخرجا عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مرّ علىٰ قبرين، فقال: **«إنهما ليُعذبان وما يعذبان في كبير، أمّا أحدُهما: فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر، فكان يمشي بالنميمة»**، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها باثنتين، ثم غرزَ علىٰ كل قبر منهما واحدة، قالوا: لم فعلت هذا يا رسولَ الله؟ قال: **«لعله يُخَفِّفُ عنهما، ما لم ييبسا»**(٢).

وقد رُويَ هذا الحديثُ عنه ﷺ من وجوه متعددة، وخَرَّجه ابن ماجه عن أبي بكرة.

وفي حديثه **«وأما الآخر، يعذب في الغِيبة»**(٣). وخرَّجه الخلال وغيره، عن أبي هريرة مرفوعًا، وفي بعض رواياته: **«وأما الآخرُ فكان يهمز الناس بِلسانه، ويمشي بينهم بالنّميمة»**.

---

(١) رواه البخاري (١٣٧٥)، ومسلم (٢٨٦٩)، وابن حبان (٣١٢٤).

(٢) رواه البخاري (٢١٦) و(٢١٨) و(١٣٦١) و(١٣٧٨) و(٦٠٥٢) و(٦٠٥٥)، ومسلم (٢٩٢)، والترمذي (٧٠)، والنسائي ١/ ٢٨، وابن ماجه (٣٤٧)، وأحمد ١/ ٢٢٥، وابن حبان (٣١٢٨).

(٣) رواه ابن ماجه (٣٤٩)، والإمام أحمد ٥/ ٣٥ و٣٩، والبيهقي في «عذاب القبر» (١٣٧)، ووقع في الأصل: (أبي بكر) والصواب (أبي بكرة)، وهو نفيع بن الحارث رَضِي اللهُ عَنْهُ.

وخرجه الطبراني عن عائشة[١] وأنس وابنِ عُمر[٢].

وخرّجه /١٣٣/ أبو يعلىٰ الموصلي وغيره، عن أبي أُمامة، وفي حديثه قالوا: يا نبيّ الله وحتىٰ متىٰ يُعذبان؟ قال: «**غيبٌ لا يعلمه إلا الله ولولا تمريج في قلوبكم وتَزَيُّدكم في الحديث لسمعتم ما أسمع**»[٣]. ورُوي من وجوه أُخرَ.

وأخرج النّسائي، عن عائشة رضي الله عنها قالت: دَخلت عليّ اْمرأةٌ من اليهود، فقالت: إنّ عذاب القبر من البول، قلتُ: كَذَبْتِ، قالتْ: بلىٰ إنه ليُقرضُ منه الجلد والثوب، قالت: فخرج رسول ﷺ إلىٰ الصلاة، وقد اْرتفعت أصواتنا، فقال: «**ما هذه**» فأخبرته بما قالت، فقال: «**صَدَقَتْ**»[٤].

وأخرج الإمام أحمد، وأبو داود، والنّسائي وابن ماجه، عن عبد

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٦٥٦٥).

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٣٦٤).

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (٧٨٦٩)، والطبري في «صريح السنة» (٤٠).
وأورده الهيثمي ١/٢٠٨ وقال: رواه أحمد وفيه علي بن يزيد بن علي الألهاني، عن القاسم وكلاهما ضعيف. وأورده أيضًا ٣/٥٦، وقال: رواه الطبراني في «الكبير» وفيه علي بن يزيد وفيه كلام، لفظة «تمريج» في الطبراني «تمريجاً» في الزوائد للهيثمي «تمرغ» قال المحقق والصواب تمزع.

(٤) رواه الإمام أحمد ٦/٦١، وابن أبي شيبة ١/١١٥، والنسائي ٣/٧٢، و٨/٢٧٨، وفي «عمل اليوم والليلة» (١٣٨)، وفي «الكبرىٰ» ٣/٧٢ و٦/٤٠.
وهو من رواية جسرة بنت دجاجة عن عائشة، قال الحافظ: مقبولة ويقال أن لها إدراكًا. فهو حديث علىٰ أقل أحواله حسن بشواهده.

الرحمن بن حَسَنة، سمع النبي ﷺ يقول: «**ألم تعلموا ما لقي صاحب بني إسرائيل؟ كانوا إذا أصابهم البولُ: قطعوا ما أصابه البول، فنهاهم فعُذّب في قبره**»(١).

وأخرجَ الإمام أحمد، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**أكثر عذاب القبر من البول**»(٢).

ورُويَ موقوفًا عن أبي هريرة.

وأخرج البزارُ والحاكم عن ابن عباس، عنه ﷺ قال: «**إنّ عامة عذاب القبر من البول، فتنزهوا منه**»(٣).

وخَرّجه الطبراني والدارقطني، عن أنس بنحوه(٤).

---

(١) حديث صحيح أخرجه الحميدي (٨٨٢)، والإمام أحمد ٤/ ١٩٦، وأبو داود (٢٢)، وابن ماجه (٢٤٦)، والنسائي ١/ ٢٦، وفي «الكبرىٰ» (٢٦)، وأبو يعلىٰ (٩٣٢)، وابن حبان (٣١٢٧)، والحاكم ١/ ١٨٤، والبيهقي ١/ ١٠٤.

(٢) رواه أحمد ٢/ ٣٨٨ و٣٨٩، وابن أبي شيبة ١/ ١١٥، وابن ماجه (٣٤٨)، والدارقطني ١/ ١٢٨، والحاكم ١/ ١٨٣، والبيهقي ٢/ ٤١٢، وفي عذاب القبر (١٣٣).
وصححه الدارقطني والحاكم. وقال أبو حاتم «العلل» ١/ ٣٦٦: هذا حديث باطل يعني المرفوع.
قلت: قال البيهقي في «عذاب القبر» ص١١٨: قال أبو عيسىٰ الترمذي سألتُ محمدًا - يعني البخاري - عن حديث أبي عوانة - يقصد هذا الحديث - فقال: هذا حديث صحيح وهذا غير ذاك الحديث.

(٣) رواه البزار «كشف» (٢٤٣)، والحاكم ١/ ٢٩٣، والطبراني ١١/ ٧٩ (١١١٠٤) و(١١١٢٠)، والدارقطني ١/ ١٢٨، والبيهقي في «عذاب القبر» (١٣٤).

(٤) رواه أبو حاتم «العلل» ١/ ٢٦ مرسلاً، وقال: وهذا أشبه عندي. ورواه الدارقطني ١/ ١٢٧ وقال: المحفوظ مرسل.

وأخرج الطبراني، عن أبي أُمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اتقوا البول؛ فإنه أوّل ما يحاسب به العبد في القبر**»(١).

وأخرج ابن عدي عن أنس، أن رسول الله ﷺ مرّ برجل يُعذّبُ في قبره من البول(٢).

وأخرج أيضًا بإسناد ضعيف، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**فتنة القبر من ثلاث: من الغيبة والنمَيمة والبول**»(٣).

قال الحافظ ابن رجَب(٤): لكن رَوىٰ عبد الوهاب الخفاف، عن سعيد، عن قتادة قال: كان يُقال: «**عذاب القبر ثلاثة أثلاث: ثلثٌ من الغيبة، وثُلث من النميمة، وثُلثٌ من البول**»(٥). خرّجه الخلال موقوفًا علىٰ قتادة، قال الحافظ(٦): وهو أصح. وأخرج الخلال عن

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» ٨/ (٧٦٠٥)، وقال المنذري ١/ ٨٦: إسناده لا بأس به.

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (١٠٥٤)، وابن عدي في «الكامل» ٣/ ٤٨ (ترجمة خليد بن دعلج)، وأورده الهيثمي ١/ ٢٠٧، و٨/ ٩٣. وفي إسناده خليد بن دعلج: شديد الضعف.

(٣) رواه ابن عدي ٤/ ١٣٣ (ترجمة عبد الله بن محرر)، والجرجاني في «تاريخه» ص٤٧٨ وإسناده ضعيف.

(٤) «أهوال القبول» ص٧٧ .

(٥) أخرجه البيهقي في «عذاب القبر» (٢٦١) من قول قتادة، وأورده ابن عبد البر في التمهيد ٢٢/ ٢٥٤ وقال: وهذا لا حجة فيه لأنه ليس بمسند ولا متصل ولا يحتج بمثله.

(٦) «أهوال القبور» ص٧٧ .

ميمونة مولاة رسول الله ﷺ قال لها النبي / ١٣٤/ ﷺ: **«يا ميمونة إن من أشد عذاب القبر: الغيبة والبول»**[١].

قال الحافظ ابن رجب[٢]: وقد ذكرَ بعضُهم السرَّ في تخصيص البول والنميمة والغيبة بعذاب القبر: وهو أنه أوّل منازل الآخرة، وفيه أنموذج ما يقع يومَ القيامة، من العقاب والثواب، والمعاصي التي يُعاقب عليها يومَ القيامة نوعان: حقّ لله وحقٌّ لعباده، وأوّل ما يُقضىٰ فيه يومَ القيامة من حقوق الله: الصلاة، ومن حقوق العباد، الدِّماء فأمّا البرزخ: فيقضىٰ فيه مقدمات هذين الحقين، وما يليهما فمقدمة الصلاة: الطهارة منَ الحدث والخبث، ومقدمة الدِّماء: النميمة والوقيعة في الأعراض، وهما أيسر أنواع الأذىٰ فيُبدأ في البرزخ بالمحاسبة والعقاب عليهما.

وقد أخرج عبد الرزاق عن معمر، عن أبي إسحق، عن أبي ميسرة عَمرو بن شرحبيل، قال: مات رجلٌ فلما دخل قبره أتته الملائكة، فقالوا: إنّا جالدوك مائة جلدةٍ من عذاب الله، فذكر صلاته وصيامه وجهاده، فخففوا عنه، حتىٰ ٱنتهىٰ إلىٰ عشرة أسواط[٣]، ثم سألهم فخففوا عنه حتىٰ ٱنتهىٰ إلىٰ واحدة، فجلدوه جلدة ٱضطرم قبره نارًا وغُشّي عليه فلمّا أفاق قال: فيم جلدتموني

---

(١) أخرجه البيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٢٣٢).

(٢) «أهوال القبور» ص٧٧ .

(٣) ليست في (ب)، ولا في (ط).

هذه الجلدة، قالوا: إنك بُلْتَ يومًا ثم صليّت، ولم تتوضأ وسمعت رجلاً يستغيث مظلومًا، فلمْ تُغثه. ورواه أبو سنان، عن أبي إسحق، عن أبي ميسرة بنحوه[1].

قال الحافظ ابن رجب[2]: ورويناه من طريق حفص بن سليمان القاري، وهو ضعيف جدًا، عن عاصم عن أبي وائل، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ به.

فعذاب القبر حصل هنا بشيئين: ترك طهارة الحدث وترك نصرة المظلوم، مع القدرة عليه كما أنه في الأحاديث المتقدمة حصل بترك طهارة الخبث، والظلم بالقول، وهي متقاربة في المعنىٰ.

فَإِنْ قُلْتَ: عدم التنزه من البول والغيبة والنميمة من الكبائر أم من الصغائر؟ قُلت: بل هي من الكبائر، كما جزم به صاحبُ «الإقناع» وغيره.

فَإِنْ قُلْتَ: فكيف ذا مع قوله ﷺ **«إنهما ليعذبان / ١٣٥/ وما يعذّبان في كبير»** وقوله ﷺ في حديث يعلىٰ بن مُرة قال: مررت مع رسول الله ﷺ علىٰ مقابر، فسمعتُ ضغطةً في قبر، قال: **«سمعتَ؟»** قلتُ: نعم، قال: **«فإنه يُعذّب في يسير من الأمر»**، قلت: وما هو؟ قال: **«كان يمشي بين الناس بالنميمة، وكان لا يتنزه من البول»**،

---

(١) رواه عبد الرزاق (٦٧٥٢)، وابن أبي شيبة ٧/ ١٢٥، وأبو نعيم في «الحلية» ٤/ ١٤٤.

(٢) «أهوال القبور» ص٧٨

وذكر قصّة الجريدة. رواه البيهقي في «دلائل النبوة»، ويعلىٰ بن مُرّة هذا: هوَ يعلىٰ بنُ سيابة، وسيابة أمّه[١].

قُلْتُ: قد أجاب عن هذا علماؤنا أعزّهم الله تعالىٰ بأنّ معناه لم يعذبا في أمرٍ كان يكبر عليهما، أو يشق فعله لو أراد أن يفعَلاه، وهو التنزه من البول، وترك النميمة. وقوله: «**كان يعذب في يسير من الأمر**» أي: في زعَمه أو يَسير تركه، ولمْ يردْ ﷺ أن المعصية في هاتين الخصلتين، ليستا من الكبائر في حق الدين، وأن الذنب فيهما هين سهل، ومن ثمَّ قال الحافظ المنذري[٢]: ولخوف توهّم مثل هذا، ٱستدرك ﷺ فقال: «**بلىٰ إنه كبير**» كما في رواية صحيحة أخرجها البخاري وغيره.

فالمُعْتَمدُ عندنا أن هذه الخِصال من الكبائر، كما بيّنت ذلك مُوضّحًا في كتابي «الذخائر، لشرح منظومة الكبائر»، الواقعة في «**الإقناع**» فراجِعْه تَظفرْ بمرادك، والله تعالىٰ الموفق.

وأخرج الطبراني في الأوسط، وابن أبي الدنيا في القبور، واللالكائي في السنة، وابن منده، عن ابن عُمر رضي الله عنهما قال: بينا أنا أسيرُ بجنبات بدر، إذ خرج رجلٌ من حفرة في عنقه سلسلة، فناداني: يا عبد الله ٱسقني، فلا أدري أعَرَف ٱسمي، أم

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٣/ ٥٢، والطبراني في «الأوسط» (٢٤١٣)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/ ٩٣.

(٢) «الترغيب والترهيب» ١/ ٨٤.

دعاني بدعاية العرب! قال: وخرج رجل من تلك الحفرة، في يده سوط فناداني: يا عبد الله لا تسقه فإنه كافر، ثم ضربه بالسوط، حتىٰ عاد إلىٰ حفرته. قال: فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: «**أوقد رأيتَه؟**» قلتُ: نعم. قال: «**ذلك عدوّ الله أبو جهل، وذلك عذابُه إلىٰ يوم القيامة**»[1]. قال الحافظ ابن رجب[2]: /١٣٦/ ضعيف.

وأخرج ابن أبي الدُنيا، في كتاب «من عاش بعد الموت» والخلال في «**السنة**» وابن البراء في «الروضة»، عن ابن عُمر رضي الله عنهما قال: خرجت بسفر فمررتُ بقبر من قبور الجاهلية، فإذا رجل قد خرج من القبر، يتأجّجُ نارًا في عنقه سلسة من نار، ومعي إداوة من ماء فلما رآني قال: يا عبد الله ٱسقني، إذ خرج علىٰ أثره رجُلٌ من القبر، فقال: يا عبد الله لا تسقه، فإنه كافر، ثم أخذ بالسلسلة، واجتذبه فأدخله القبر، ثم أضافني الليل إلىٰ بيت عجوز، إلىٰ جانبِ بيتها قبر فسمعت من القبر صوتًا يقول: بولٌ وما بول، شن وما شن، قلت: للعجوز ما هذا؟ قالت: هذا كان رجلاً لي، وكان إذا بال لم يتق البول، وكنت أقول له: ويحك إن الجمل إذا بال تفاجَ، فكان يأبىٰ فهو يُنادي منذُ يوم مات يقول بولٌ وما بول، قلتُ: فما الشّن؟

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٦٥٦٠)، واللالكائي في «شرح أصول أهل السنة» (٢١٤٨)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٣/ ٥٧، وقال: فيه عبد الله بن المغيرة وهو ضعيف. وفي ٦/ ٨٠ وقال: فيه من لم أعرفه.
قلت: عبد الله بن المغيرة منكر الحديث. الميزان ٢/ ٤٨٧.

(٢) «أهوال القبور» ص١٠١ .

قالتْ: جاءه رجلٌ عطشان، فقال: ٱسقني، فقال: دونك الشن، وإذا ليس فيه شيء فخرَ الرّجل ميتًا فهو ينُادي منذ يومِ ماتَ يقول: شن وما شن؟ فلمّا قدمتُ علىٰ رسول الله ﷺ أخبرته، فنهىٰ أن يُسافر الرجل وحده[١].

وذكره الحافظ ابن رجب[٢] بلفظ أن الرجل قال: ٱسقني فإني عطشان، قال: عندك الشن، وشن لنا معلق أي ليس فيه ماء، فقال: يا هذا ٱسقني، فإني عطشان الساعة أموت، قال: عندك الشن، قال: ووقع الرجل ميتًا، قال الحافظ ابن رجب: وفيه يحيىٰ المدني غير معروف.

وقال عروة: بينما راكب يسير بين مكة والمدينة، إذ هو بمقبرة، فإذا رجل قد خرج من قبر يلتهب نارًا، مصفد في الحديد، فقال: يا عبد الله ٱنضح ٱنضح وخرج آخر يتلوه فقال: يا عبد الله لا تنضح، قال: وغُشي على الراكب، وعدلت به راحلته، فأصبح وقد أبيض شعره، حتىٰ صار كأنه ثغامة، قال: فأخبر بذلك عثمان، فنهىٰ أن يسافر الرجل وحده. أخرجه ابن أبي الدنيا[٣].

وأخرج أيضًا عن الحويرث الرباب، قال: بينما أنا بالإثابة، إذ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «من عاش بعد الموت» (٣٣) بإسناد ضعيف، ورواه ابن عبد البر في «التمهيد» ٩/٢٠ من طريق ابن أبي الدنيا.

(٢) «أهوال القبور» ص١٠٠ .

(٣) «من عاش بعد الموت» (٥٥). و«القبور» (٩٥).

خرج علينا إنسان من قبر /١٣٧/ يلتهبُ وجهه ورأسه نارًا، في جَامِعَةٍ من حديد، قال: اسقني اسقني، وخرج في إثره إنسان يقول: لا تسقه إنه لكافر، فأدركه وأخذ بطرف السلسلة، فسلبه ثم جره، حتىٰ دخلا القبر جميعًا، قال: الحويرث، فصارت الناقة، لا أقدر منها علىٰ شيء، حتىٰ التَوَتْ بعِرْقِ الظُّبْيَة[1] فبركت، فصَليتُ المغرب والعشاء، ثم ركبت حتىٰ أصبحت بالمدينة، فأتيت عمر بن الخطاب، رضي الله عنه فأخبرته، قال: يا حويرث: والله ما أتهمك، ولقد أخبرتني خبرًا شديدًا، فأرسل عُمر إلىٰ مشيخة من كتفي الصفراء، وقد أدركوا الجاهلية، ثُم دعا الحويرث فقال: إن هذا أخبرني ولست أتهمه، حدّثهم يا حويرث ما حدثتني، فحدّثهم فقالوا: قد عرفنا هذا يا أمير المؤمنين، هذا رجلٌ من بني غفار، مات في الجاهلية، ولم يكن يرىٰ للضيف حقًا، فحمد الله عمر وسُرّ بذلك حين أخبروه أنه مات في الجاهلية[2].

وروىٰ هشام بن عمار في كتاب «البعث»[3]، عن يحيىٰ بن حمزة، حدثني النعمان عن مكحول: أن رجلاً أتىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد ابيض نصف رأسه ونصف لحيته، فقال لهُ عُمر رضي الله عنه: ما بالك؟ فقال: مررتُ بمقبرة بني فلان ليلاً، فإذا رجل يطلب رجلاً بسوط من نار، كلما لحقه ضربه فاشتعل ما بين

(١) عرق الظبية: بين مكة والمدينة. معجم البلدان ٤/١٠٨.
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «من عاش بعد الموت» (٥٦).
(٣) «أهوال القبور» ص١٠٣ .

قرنه إلىٰ قدمه نارًا، فلاذ بيَ الرجل، وقال: يا عبدَ الله أغثني، فقال الطالب: يا عبدَ الله لا تُغثه فبئس عبد الله هو، فقال عمر: لذلك كرّه لكم نبيكم ﷺ أن يسافر أحدُكم وحدَه.

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب «من عاش بعد الموت»[1]، عن مجاهد قال: أردت حاجة فبينما أنا في الطريق، إذ فجأني حمار وقد أخرج عنقه من الأرض، فنهق في وجهي ثلاثًا، ثم دخل فأتيت القوم الذين أردتهم، فقالوا: ما لنا نرىٰ لونك قد حال، فأخبرتهم الخبر، فقالوا: ذاك غُلام من الحي، وتلك أمه في ذلك الخباء وكانت إذا أمرته بشيء شتمها، وقال ما أنت إلا حمار /١٣٨/ ثم نهق في وجهها، فماتَ يوم مات، فدفناه في تلك الحفيرة، فما من يوم إلا وهو يُخرج رأسه في الوقت الذي دفنّاه فيه، فينهق إلىٰ ناحية الخباء ثلاث مرات، ثم يدخل.

وأخرج ابن أبي الدُنيا عن عمرو بن دينار قال: كان رجلٌ له أخت[2] منْ أهل المدينة، فماتت فجهزها وحملها إلىٰ قبرها، فلمّا دُفنت ورجع إلىٰ أهله، ذكر أنه نسي كيسًا كان معه في القبر، فاستعان برجل من أصحابه فأتيا القبر، فنبشاه فوجد الكيس، فقال للرجل تنح حتىٰ أنظر علىٰ حال أختي، فدفع بعضَ ما علىٰ اللحد، فإذا القبر يشتعل نارًا، فردّه وسوىٰ القبر، ورجع إلىٰ أمّه فسألها عن حال

---

(١) «من عاش بعد الموت» (٢٧).

(٢) في (ب)، و(ط) «كان رجل من أهل المدينة له أخت».

أخته، فقالت: كانت تؤخِّر الصّلاة، ولا تصلي فيما أظنّ بوضوء، وتأتي أبواب الجيران إذا ناموا فتلقم أذنها أبوابهم، فتخرج حديثهم[١].

وحكىٰ الحافظُ ابن رجب وغيره[٢] أنّ جماعةً من التابعين خرجوا لزيارة أبي سنان، فلما دخلوا عليه، وجلسوا عنده، قالوا: قوموا بنا نزر[٣] جارًا لنا مات أخوه، ونعزيه فيه.

قال محمد بن يوسف الفريابي: فقمنا معه، ودخلنا علىٰ ذلك الرجل، فوجدناه كثير البكاء والجزع علىٰ أخيه، فجعلنا نُعزيه ونسليهُ وهُوَ لا يقبل تسلية، ولا عزاء: فقلنا له: أما تعلم أنَّ الموت سبيلٌ لابُدَّ منه؟

قال: بلىٰ، ولكن أبكي علىٰ ما أصبح وأمسىٰ فيه أخي من العذاب فقلنا له: قد أطلعك الله علىٰ الغيب؟ قال: لا، ولكن لمّا دفنته وسويت عليه التراب، وانصرف الناس جلستُ عند قبره، وإذا صوتٌ من قبره يقول: أوه أفردوني وحيدًا أقاسي العذاب، قد كُنتُ أصُلّي، قد كنت أصوم، فأبكاني كلامه وقلتُ: صوت أخي والله أعرفه، فقلت: لعلّه خُيّل إليك، قال: ثم سكت، فإذا أنا بصوته يقول: أوه ولا أدري في الثانية، أو في الثالثة فنبشته حتىٰ بلغْتُ قريبًا من اللبن، فإذا طوق من نار في كفنه، وفي «الزواجر» في عنقه. ٱنتهىٰ وفي وسطه فأدخلت يدي رجاء أن /١٣٩/ أقطع ذلك الطوق،

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «من عاش بعد الموت» (٢٧).

(٢) «أهوال القبور» ص١٠٤-١٠٥ .

(٣) في الأصل: «نزور» والصواب ما أثبتناه.

فاحترقتْ أصابعي، فبادرت إخراجها، فإذا يده قد ٱحترقت أصابعها، قال: فرددت عليه التراب وانصرفت، فكيف لا أبكي علىٰ حاله، وأحزن عليه؟!

فقُلنا: فما كان أخوك يعمل في الدنيا؟ قال: كان لا يؤدّي الزكاة من ماله، فقلْنا هذا تصديق قول الله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨٠] وأخوك عجّل له العذاب في قبره، ثم خرجنا من عنده.

قال محمد بن يُوسف الفريابي[١]: فقلت للأوزاعي، وزعم في «الزواجر»[٢] أنه إنما قال لأبي ذر صاحب رسول الله ﷺ: هؤلاء اليهود والنصارىٰ، يموت الميت منهم ولا نرىٰ فيهم ذلك، أو لا نسمع هذا منهم، فقال: أولئك لا شك أنهم في النار، وإنما يريكم الله في أهل الإيمان، لتعتبروا، أو نحو هذا.

وذكرَ الحافظ ابن رجَب أيضًا، في «أهوال القبور»[٣] له: أن ابن أبي الدنيا أخرج عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان جالسًا، فأتاه قومٌ فقالوا: إنا خرجنا حُجاجًا ومعنا صاحبٌ لنا، حتىٰ أتينا ذات الصفاح[٤]، فمات فيها فهيأناه، ثم ٱنطلقنا، فحفرنا له قبرًا ولحدنا

---

(١) «أهوال القبور» ص١٠٥ . (٢) «الزواجر» ١/ ١٧٢ .

(٣) «أهوال القبور» ص١٠٥ .

(٤) قال الفاكهي في «أخبار مكة» ٥/ ١٠٤: الصفاح من وراء جبال عرفة بينها وبين مكة عشرة أميال وكان الناس يلتقون هنالك عند دخولهم بالحج =

اللحد، فلمّا فرغنا من لحده، إذا نحنُ بأسود قد ملأ اللحد، فحفرنا غيره، فلمّا فرغنا من لحده، فإذا نحنُ بالأسود قد ملأ اللحد، فتركناه وحفرنا له مكانًا آخر، فلمّا فرغنا من لحده إذا نحنُ بالأسود قد ملأ اللحد، فتركناه وأتيناك.

قال ابن عبّاس: ذاك عمله الذي يُعمل به ٱنطلقوا فادفنوه في بعضها، فوالذي نفسي بيده، لو حفرتم الأرض كلها لوجدتموه فيه، فانطلقنا فدفنّاه في بعضها، فلما رجعنا قلنا لامرأته: ما كان عمله؟ ويحك! قالت: كان يبيع الطعام فيأخذ منه، قوت أهله، ثم يُقَرّض القصب مثله، فيُلقيه فيه.

قال الحافظ ابن رجب في كتابه «أهوال القبور»(١): وروىٰ الهيثم ابن عديّ حدثنا أبان بن عبد الله البجليّ قال: هلك جار لنا، فشهدنا غسله وكفنه وحمله / ١٤٠/ إلىٰ قبره وإذا في قبره شيء شبيه بالهرّ، فزجرناه فلم ينزجر، فضرب الحفار جبهته بِبَرمة، فلم يبرح فتحولوا إلىٰ قبر آخر، فلمّا لحدوا فإذا هو فيه فصنعوا به مثل ما صنعوا أولاً، فلم يلتفت، فرجعوا إلىٰ قبر ثالث، فلمّا لحدوا، فإذا ذلك الهر فيه، فصنعوا به مثل ما صنعوا أوّلا فلم يلتفت، فقال القوم: يا هؤلاء: إنّ هذا الأمر ما رأينا مثله، فادفنوا صاحبكم، فدفنوه، فلمّا سُوّيَ عليه

= والعمرة، وقال الحافظ في «الفتح» ١٢/٢٠٧: موضع خارج مكة من جهة طريق اليمن.

(١) «أهوال القبور» ص١٠٦ .

اللّبن، سمعنا قَعقعة عِظامه، فذهبوا إلىٰ ٱمرأته، فقالوا: يا هذه ما كان عملُ زوجك؟ وحدثوها ما رأوا فقالت: كان لا يغتسل من الجنابة.

وذُكر أيضًا[١] عن بعض مشايخ أهل دِمشق قال: حججنا، فهلك صاحبٌ لنا في بعض الطريق علىٰ ماءٍ من تلك المياه، فأتينا أهل الماء نطلب شيئًا نحفر له فأخرجوا لنا فأسًا ومجرفة، فلمّا وارينا صاحبنا، نسينا الفأسَ في القبر، فنبشناه، فوجدناهُ قد جُمعَ عُنقُه ويداه ورجلاه في حلقة الفأس، فسوّينا عليه التراب، وأرضينا أصحابه أي الفأس من الثمن، فلمّا ٱنصرفنا جئنا إلىٰ ٱمرأته، فسألناها عنه، فقالت: ما رأيتم من حاله يحج ويغزو!! فلما أخبرناها الخبر قالت: صحبه رجل معه مال، فقتلَ الرّجل، وأخذ المال، فَبِهِ كان يحج ويغزو.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: كنتُ فيمن دَلّى الوليدَ بنَ عبدِ الملك في قبره، فنظرتُ إلىٰ ركبتيه قد جُمعت إلىٰ عنقه، فقال ابنه: عاش والله أبي وربِّ الكعبة، فقلت: عوجل أبوك وربِّ الكعبة، فاتعظ بها عُمر بعده[٢].

وقال الحافظ في «أهوال القبور»[٣]: وروينا من طريق أبي إسحق الفزاري أنه سأل نباشًا قد تاب، فقلتُ أخبرني عن من مات علىٰ الإسلام تُرِكَ وجهُهُ علىٰ ما كان أم ماذا؟ قال: أكثر ذلك حُوّل

---

(١) «أهوال القبور» ص١٠٧ . (٢) «الروح» ص٧٠.

(٣) «أهوال القبور» ص١٠٨ .

وجهه عن القبلة، قال: فكتبت بذلك إلىٰ الأوزاعي، فكتب: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثلاث مرات أمّا من حُوّل وجهه عن /١٤١/ القبلة فإنَّه ماتَ علىٰ غير السُّنّة[1].

وخرَّجه ابن أبي الدُنيا وقال: حَدَّثنا عبدُ المؤمن بن عبد الله القيسي، قال: قيل لنباشٍ قد كان تاب، ما أعجب ما رأيت؟ قال: نبشتُ رَجُلا فإذا هو مسمّرٌ بالمسامير في سائر جسده، ومسمار كبير في رأسه وآخر في رجليه[2].

قال: وقيل لنبّاش آخر ما أعجب ما رأيت؟ قال: رأيتُ جمجمة إنسانٍ مصبوب فيها رصاص.

قال: وقيل لنبّاش آخر ما كان سببُ توبتك؟ قال: عامة من كنت أنبش، أراه محوّل الوجه عن القبلة.

وذكر ابن الفارسي الليثي صاحب ناصر السنة ابن الجوزي رحمه الله أنه سنة تسعين وخسمائة، وجد ميتًا ببغداد بظاهر باب البصرة، وقد بلي ولم يبق غير عظامه، وفي يَديه ورِجْليه ضبُابٌ من حديد، وقد ضُربَ فيها مسامير في قصب يديه ورجليه، وقد وُضِعت ضُبّةُ حديد علىٰ بطنه، وضُرب فيها مسماران. أحدُهما في سرته، والآخر في جبهته، وكان هائل الخلقة، غليظ العظام، وكان سبب ظهوره زيادة الماء، فكشف جانب تل، كان يُعرف بالتّلّ الأحمر علىٰ ميلين من سور باب البصرة القديم.

---

(١) رواه ابن قدامة في كتاب «التوابين» ص٢٨٥.

(٢) الروح ص٦٨.

فصل

واعلم رحمك الله أن الملاحدة والزنادقة أنكروا عذاب القبر، وسعته وضيقه وكونه حفرة من حفر النّار، أو روضة من رياض الجنة، وأنكروا جلوس الميت في قبره.

قالوا: فإنا نكشفُ القبر ولا نجد فيه ملائكة يَضربون الموتىٰ، بمطارق الحديد، ولا نجد ثَمّ حيّات وثعابين، ونيران. قالوا: وكيف يفسح له مدّ بصره أو يضيق عليه ونحن نجده بحاله، ومساحَته علىٰ حالها؟ وكيف يَسع ذلك اللحد الضيق له؟ ولمن يؤنسه أو يوحشه؟

وقال إخوانهم من أهل البدع والضلال: كُل حديث يُخالف مقتضىٰ العقول، نقطع بتخطئة ناقله قالوا: ونحن نرىٰ المصلوب علىٰ الخشبة مُدة طويلة، لا يُسأل ولا يجيب ولا يتحرك، ولا يتوقد جسمُه /١٤٢/ نارًا ومن ٱفترسته السباع، ونهشته الطير، وتفرّقت أجزاؤه في حواصل الطيور، وأجواف السباع، وبطون الحيّات، ومدارج الرياح، فكيف يُسأل وكيف يَصير القبر علىٰ هذا روضة أو حُفرة؟ وكيف يتسع قبرهُ أو يُضيق؟

هكذا زعم أعداءُ الله ورسله، وأجاب عن ذلك الإمام المحقق في «الرّوح»[1]، كغيره بأمور يُعلم بها.

الجواب: الأمر الأوّل: أن يعلم أن الرسل عليهم السلام، لم يخبرونا بما تحيله العقول، وتقطع باستحالته، بل إخبارُهم قسمان،

---

(١) «الروح» ١١٢ وما بعدها.

أحدهما: ما شهد به العقل والفطرة.

والثاني: ما لا تُدركه العقول بمجردها كالغيوب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ، واليوم الآخر، والثواب والعقاب، ولا يكون خبرهم محالاً في العقول أصلاً، وكلُ خبر يُظن أن العقل يُحيله لا يخلو من أحد أمرين أن يكون كذبًا عليهم، أو فسادًا في ذلك العقل، وهو شُبهة خيالية، ظن صاحبها أنها معقول صريح، قال تعالىٰ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [سَبَإ: الآية ٦] إلىٰ غير ذلك من الآيات، فالمؤمن المصدّق لِلّه ورسوله، يَنشرحُ صدره لما يتلقاه عنهما، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [سَبَإ: الآية ٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يُونس: الآية ٥٧] والمحال لا يشفي، ولا يحصل به هدىٰ ولا رحمة، ولا يُفرح به وأمّا الذين في قلوبهم مرض، فلا يزدادون إلا رجسًا علىٰ رِجْسهم.

الأمر الثاني: أن يفهم عن الرّسول ﷺ مُراده من غير غلوّ ولا تقصير ولا يُحمّل كلامه علىٰ ما لا يَحتمله، ولا يقصرُ به عن مراده، وعمّا قصده من الهدىٰ والبيان، وبإهمال ذلك، حصل الضلال والعدول عن الصواب، بل سؤالهم عن الله ورسوله ﷺ أصلٌ لكل بدعة وضلالة، نشأت في الإسلام وما أوقع القدرية والمرجئة والخوارج والمعتزلة والجهمية والروافض، وسائر طوائف أهل البدع في الضلال إلا سؤالهم عن الله ورسوله، فلهذا تراهم حيارىٰ لا

يهتدون لربّ /١٤٣/ [يعبدونه أو أنهم يعترفون أن لهم ربًا ولكنهم بين الراضي والساخط، كما أنك ترىٰ الجبرية يزعمون أن الذنب منه سبحانه وتعالىٰ فينسبون القبيح له تعالىٰ الله عن ذلك، وطائفة من الروافض تراهم سخاطًا لكون النبوة ما هي في علي رضي اللهُ عنه.

الأمرُ الثالث: أنَّ اللهَ سبحانه جعل الدور ثلاثًا: دارَ الدنيا. ودارَ البرزخِ، ودارَ القرارِ، وجعلَ لكلِّ دارٍ أحكامًا تختصُّ بها وركبَ هذا الإنسانَ من بدنٍ ونفسٍ وجعلَ أحكامَ الدنيا علىٰ الأبدانِ والأرواحِ تبعًا لها ولهذا جعلَ أحكام الشريعةَ مرتبةً علىٰ ما يظهرُ مِنْ حَركاتِ الإنسان والجوارحِ وإن أضمرتْ النفوسُ خلافهُ، وجعل أحكامَ البرزخِ علىٰ الأرواحِ والأبدانِ تبعًا لها فكما تبعت الأرواحُ الأبدانَ في أحكام الدنيا فتألمتْ بألمهَا والتذتْ براحتها وكانتْ هي التي باشرت أسبابَ النعيمِ والعذابِ فتبعت الأبدانُ الأرواحَ في نعيمهَا وعذابهَا. فإذا كان يوم محشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب علىٰ الأرواح والأجساد ظاهرًا باديًا أصلاً.

وأن ما أخبر به الرسول ﷺ من عذاب القبر ونعيمه وضيقه وسعته وكونه حفرة أو روضة مطابق للعقل وأنه حق لا مرية فيه.

الأمر الرابع: أن الله سبحانه جعل أمرَ الآخرةِ وما كان متصلا بها غيبًا وحجبها عن إدراك المكلفين في هذه الدار وذلك من كمال حكمتِه وليتميز المؤمنون بالغيبِ من غيرهم فأولُ ذَلِكَ أن الملائكةَ

تنزلُ علىٰ المحتضرِ وتجلسُ قريبًا منه ويشاهدهم عيانا ويتحدثون عنده ومعهم الأكفانُ والحنوطُ إما من الجنة وإما من النارِ ويؤمنون علىٰ دعاءِ الحاضرين بالخيرِ والشرِّ وقد يسلِّمون علىٰ المحتضر ويرد عليهم السلام تارةً بلفظهِ وتارةً بإشارة وتارة بقلبه إذا لم يتمكن من نطقٍ وإشارةٍ.

(وقد سمع) بعض المحتضرين يقول: أهلا وسهلا ومرحبًا بهذه الوجوه. قال المحقق: (أخبرنا) شيخنا[1] - يعني شيخ /١٤٤] الإسلام ابن تيمية قَدس الله روحه - عن بعض المحتضرين، فلا أدري أشاهده، أو أُخبرِ عنه أنه سمع وهو يقول: وعليكَ السلام هَهُنا فاجلس، وعليكَ السلام ههنا فاجلس.

وذكر ابن ٱبي الدنيا أنّ عمرَ بنَ عبد العزيز رحمه الله لمّا كان في يومه الذي مات فيه، قال: أجلسوني فأجلسوه، فقال: أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت، ثلاث مرات، ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه فأحدّ النظر فقالوا: إنك لتنظر نظرًا شديدًا يا أمير المؤمنين، قال: إني لأرىٰ حضرة، ما هم بإنسٍ ولا جن، ثم قُبض رضي الله عنه[2].

وقال مسلمة بن عبد الملك: لما ٱحتضر عُمر بنُ عبد العزيز، كنّا عنده في قُبّة فأومَى إلينا أن ٱخرجوا، فخرجنا فقعدنا حول القبة،

---

(١) «الروح» ص١١٦ .

(٢) «حلية الأولياء» ٥/ ٣٣٥.

وبقي عنده وصيفٌ فسمعناهُ يقرأ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القَصَص: الآية ٨٣] . ما أنتم بإنس ولا جان. ثم خرج الوصيفُ، فأومأ إلينا أن ادخلوا، فإذا هو قد قُبض(١).

ويكفي في ذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾ [الواقِعَة: الآية ٨٣] الآية وأما عصرة القبر، حتىٰ تختلف أضلاع بعض الموتىٰ، فلا يَرده حس ولا عقلٌ ولا فطرة، ولو قُدّرِ أن أحدًا نبش عن ميت، فوجد أضلاعه كما هي، لم يمتنع أن تكون قد عادت.

الأمر الخامس: أن النار التي في القبر ليست من نار الدنيا، فيشاهدها من شَاهَدَ نارَ الدُنيا، وإنما هي من نار الآخرة، وهي أشد من نار الدنيا، ولا يُحس بها أهلُ الدنيا فإن الله يُحمي عليه ذلك التراب، والحجارة التي عليه وتحته، حتىٰ تكون أعظم حرًا من حَرِّ نار الدّنيا، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بذلك، بل أعجب من ذلك أنّ الرجُلين يدفنان، فيكون أحدُهما إلىٰ جنب صاحبه، وهذا في حفرة من حفر النار، لا يصل حرها إلىٰ جاره، وذلك في روضة من رياض الجنة لا يصل نعيمها إلىٰ جاره، وقدرة الرّبّ تعالىٰ أوسع وأعجب من ذلك، ويفرش للكافر لوحان من نار / ١٤٥/ يُشَعلُ عليه قبره بهمَا، كما يُشعل التنور.

---

(١) «حلية الأولياء» ٥/ ٣٣٥.

قال المحقق رحمه الله ورضي عنه[١]: حدثني صاحبنا أبو عبد الله محمد بن الرزين الحرّاني، أنه خرج من داره بعد العصر قاصدًا إلىٰ بستان، قال لما كان قبل غروب الشمس، توسطت القبور، فإذا بقبر منها وهو جمرة نار مثل كور الحداد، والميت في وسطه فجعلت أمسح عيني وأقول، أنا نائم أم يقظان، ثم التفتّ إلىٰ سور المدينة وقلت: والله ما أنا بنائم ثم ذهبتُ إلىٰ أهلي وأنا مدهوش، فأتوني بطعام فلم أستطع أن آكل، ثم دخلت البلد فسَألت عن صاحب ذلك القبر، فإذا هو مكّاس قد تُوفي في ذلك اليوم.

قال: فرؤية هذه النار في القبر كرؤية الملائكة والجن، تقع أحيانًا لمن شاء الله أن يرَيهُ ذلك.

قال: وحدثني صاحبنا أبو عبد الله محمد بن مثناه السلامي التاجر، وكان من خيار عباد الله، وكان يتحرىٰ الصدق، ويتجر؛ قال: جاء رجُلٌ إلىٰ سوق الحدادين ببغداد، فباع مسامير صغارًا، المسمار برأسين فأخذها الحداد، وجعل يحمي عليها فلا تلين معه، حتىٰ عجز عن ضربها فطلب البائع فوجده، فقال: من أين لك هذه المسامير؟ قال: لقيتها فلم يزل به حتىٰ أخبره بأنه وجَدَ قبرًا مفتوحًا وفيه عظام ميت، منظومة بهذه المسامير قال: فعالجتها علىٰ أن أخرجها فلم أقدر، فأخذت حجرًا فكسرت عظامه، وجمعتها قال:

---

(١) الروح» ص١١٩ .

أبو محمد التاجر المذكور[1]، وأنا رأيت تلك المسامير. قال المحقق: فقلت له: كيفَ صِفَتُها؟ قال: المسمار صغيرٌ برأسين.

وقال ثابت البناني: بينا أنا أمشي في المقابر وإذا صوتٌ خفي وهو يقول: يا ثابت لا يغرنك سكوتها، فكم من مغموم فيها، فالتفتُّ فلمْ أرَ أحدًا.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي إسحق قال: دُعيتُ إلىٰ ميت، لأغسله، فلما كشفت الثوب عن وجهه، إذا بحيّة قد تطوقت علىٰ حلقه، فذكر من غلظها قال: فخرجت فَلم أغسله، ولم يَرها غيره، فذكروا أنه كان يَسُبُ الصّحابة رضي الله عنهم.

وذَكرَ ابن أبي الدنيا، عن سعيد بن خالد بن يزيد الأنصاري، عن رجل من أهل البصرة، كان يحفر القبور قال: حفرتُ /١٤٦/ قبرًا ذات يوم، ووضعت رأسي قريبًا منه، فأتتني ٱمرأتان في منامي فقالت إحداهما: يا عبد الله: نشدتك الله إلا صرفت عنا هذه المرأة، فلا [تجاورنا بها فاستيقظت فَزِعًا، فإذا بجنازة ٱمرأة قد جيء بها، فقلت: القبر وراءكم فصرفتهم عن ذلك القبر، فلما كان بالليل، إذ أتتني المرأتان في منامي، تقول إحداهما: جزاك الله عنا خيرًا، قد صرفت عنا شرًا طويلاً، فقلت: ما لصاحبتك لا تكلمني؟ قالت: إن هذه ماتت من غير وصية، وحُق لمن مات عن غير وصية،

---

(١) في هامش الأصل: قوله: قال أبو محمد التاجر وصوابه: أبو عبد الله محمد التاجر المذكور وهو سبقُ قلمٍ منه رحمه الله كما قدّمه هو قريبًا فتأمّل وتمّهل.

أن لا يتكلم إلىٰ يوم القيامة[١].

وقد ذكرنا فيما تقدم شيئًا من هذا، وسنذكر شيئًا منه فيما يأتي، إن شاء الله تعالىٰ، وليس عند الملاحدة والزنادقة، إلا التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه.

الأمر السادس: أنَّ الله سبحانه وتعالىٰ يُحدث في هذه الدار، ما هو أعجب من ذلك، فهذا جبريل عليه السلام، كان ينزل علىٰ النبي ﷺ ويتمثل له رجلاً، فيكلمه بكلام يسمعه، ومَن إلىٰ جانب النبي ﷺ لا يراه، وكذلك غيره من الأنبياء، وأحيانًا يأتيه الوحي مثل صلصلة الجرس، ولا يسمعه غيره من الحاضرين، وهؤلاء الجن يتحدثون ويتكلمون بالأصوات المرتفعة بيننا، ونحن لا نسمَعُهم.

وقد كانت الملائكة تضرب الكفار بالسياط، وتَضربُ رقابهم وتصيح بهم، والمسلمون معهم لا يَرونَهم ولا يسمعون كلامهم، والله سبحانه قد حجب ابن آدم عن كثير مما يحدث في الأرض، وهو بينهم وقد كان جبريل يقرئ النبي ﷺ ويدارسه القرآن،والحاضرون لا يسمعونه، وكيف يستنكر من يعرف الله سبحانه، ويقر بقدرته أن يحدث حوادث، يصرف عنها أبصار خلقه، حكمةً منه ورحمة بهم، لأنهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها، والعبد أضعف بَصرًا وسمعًا، من أن يَثبت لمشاهدة عذاب القبر، وكثير ممن أشهده الله ذلك صَعُف وغُشِّي عليه، ولم ينتفع بالعيش زمنًا، وبعضهم كُشف قناع قلبه فمات، فكيف يُنكر في الحكمة الإلهية مثل هذا؟ أليس هو الفاعل المختار؟

(١) «القبور» لابن أبي الدنيا (١٣٧).

وإذا كان أحدنا يمكنه توسيع القبر /١٤٧/ عشرة أذرع، ومائة ذراع وأكثر طولاً وعرضًا وعُمقًا ويستر توسعته عن الناس، ويطلع عليه من شاء أفيعجز رب العالمين أن يوسعه ما يشاء ويستر ذلك عن أعين الناس من بني آدم، فيروه ضّيقًا وهو أوسع شيء، وأطيبه ريحًا، وأعظمه إضاءة ونورًا وهم لا يرون ذلك وسر المسألة: أنّ هذه التوسعة والضيق، والإضاءة والخضرة، والنار ليس من جنس المعهود في هذا العالم، واللهُ سبحانه وتعالىٰ، إنما أشهد بني آدم في هذه الدّار ما كان فيها ومنها.

أمّا ما كان من أمر الآخرة، فقد أسبل عليه الغطاء، ليكون الإقرار به والإيمان سببًا لسعادتهم، فإذا كُشف عنهم الغطاء صار عيانًا مُشاهدًا، فلو كان الميت بين الناس موضوعًا، لم يمتنع أن يأتيه الملكان، فيسألانه من غير أن يشعر الحاضرون بذلك، ويجيبهما من غير أن يَسمعوا كلامه، ويضربانه من غير أن يشاهد الحاضرون ضربه، وهذا الواحد منا ينام إلىٰ جنب صاحبه، فيعذب في النوم ويُضرب ويألم، وليس عند المستيقظ خبرٌ من ذلك البتة.

وقد قال لي يومًا بعض ضعفاء اليقين: أتمنىٰ أن ينشر لنا ميت، فيخبرنا عن عذاب القبر ونعيمه، هل هو حق أم لا؟ فقلت له: أوَكنتَ تصدّقه، قال: نعم فقلتُ له: أليس تعلم أن محمّدًا رسول الله ﷺ ؟ قال: بَلَىٰ، قلتُ: فهل هو صادق في كُلّ ما أخبر به أمّ لا؟ قال: بلىٰ. فقلتُ له: ويا سبحان الله! إذا كنت في شك من خبر المعصوم، الذي لا ينطق عن الهوىٰ، فكيف تصدّق إنسانًا يجوز عليه الكذب والصدق، والله يا رجل أنت جاهل بالله ورسوله، ففُحم،

ولم يُحسن أن يتكلم، فنسألُ الله سبحانه وتعالىٰ أن يُزيح عن قلوبنا حجاب الغفلة، بمنه وكرمه.

الأمر السابع: أنه غير ممتنع أن تُردَّ الأرواحُ إلىٰ المصلوب، والغريق ونحوهما، ونحن لا نشعر بها، إذ ذلك الرّدّ نوع آخر غير المعهود، فهذا المغمى/١٤٨/ عليه، والمسكوت والمبهوت، أحياء وأرواحهم معهم، ولا نشعر بحالتهم، مَنْ تفرقت أجزاؤه لا يمتنع علىٰ من هو علىٰ كل شيء قدير، أن يجعل][1] للرّوح ٱتّصالاً بتلك الأجزاء علىٰ تباعد ما بينها وقربه، ويكون في تلك الأجزاء شعور بنوع الألم واللذة.

الأمر الثامن: أنه ينبغي أن يُعلم، أن عذاب القبر ونعيمه، ٱسم لعذاب البرزخ، وهو ما بين الدنيا والآخرة.

فالحريق والغريق وأكيل السبع، والطير له من العذاب واللذّة، قسطه الذي تقتضيه أعماله، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب، وكيفياتهما، وقد ظن بعض هؤلاء، إذ ٱحرق جسده في النار، وصار رمادًا أو ذري بعضُه في البر، وبعضه في البحر، في يوم شديد الريح، أنه ينجو من ذلك فأوصىٰ بنيه أن يفعلوا به ذلك، فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال قم فإذا هو قائم بين يدي الله، فسأله ما حملك علىٰ ما فعلت؟ فقال: خشيتك يا رب، وأنت أعلم فما تلافاهُ أن رحمه، فلم يفت عذاب البرزخ ونعيمه.

الأمر التاسع: الموت معاد وبعث أول، فإن الله سبحانه، جعل

---

(١) هنا ٱنتهىٰ سقط (ب).

لابن آدم معادين وبعثين، يجزىٰ فيهما الذين أساءوا بما عملوا، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنىٰ،

فالبعث الأوّل: مفارقة الروح للبدن، ومصيرها إلىٰ دار الحشر الأوّل،

والبعث الثاني: يوم يَردُ الله الأرواح إلىٰ أجسادها، ويبعثها من قبورها، إلىٰ الجنة أو النار وهو الحشر الثاني، ولهذا قال: وتؤمن بالبعث الآخر، فإن البعث الأوّل لا ينكره أحد، وقد ذكر الله سبحانه هاتين القيامتين، وهما الصغرىٰ والكبرىٰ في سورة المؤمنين، وسورة الواقعة، وسورة المطففين.

وقد اْقتضىٰ عدله وحكمته: أن تنعيم الأبدان لأوليائه، فلابد أن يذيق بدن المطيع وروحه من النعيم، واللذة، ما يليق به ويُذيق بدنَ الفاجر /١٤٩/ العاصي ورُوحه من الألم والعقوبة، ما يستحقه هذا موجب عدله، وحكمته وكرمه وقدرته، ولما كانت هذه الدارُ دارَ تكليف وامتحان، لا دار جزاء، لم يظهر فيها هذا،

وأما البرزخ فهو أوّل دار الجزاء فظهر فيها من ذلك، ما يليق بتلك الدار، واقتضت الحكمة إظهاره فإذا كان يومُ القيامة الكبرىٰ وفّىٰ أهل الطاعة وأهل المعصية، ما يليق بهم من نعيم الأبدان، والأرواح وعذابهما فعذاب البرزخ ونعيمه، أوّل عذاب الآخرة ونعيمها، وهو مشتق منه، وواصل إلىٰ أهل البرزخ من هناك، كما دل عليه القرآن والسُنة الصحيحة الصريحة في غير موضع، كقوله: «**فيُفتح له بابٌ إلىٰ الجنّة، فيأتيه من رَوْحِها ونعيمها**»، وفي الفاجر:

«فيُفْتَحُ له بابٌ إلىٰ النار، فيأتيه من حَرّها وسمومها»، ومعلوم قطعًا أن البدن يأخذ حظَّه من هذا الباب، كما تأخذُ الروح حظها، فإذا كان يوم القيامة، دَخل من ذلك الباب إلىٰ مقعده الذي هو داخله، وهذان البابان، يصل منهما إلىٰ العبد في هذه الدار، أثر خفي محجوب بالشواغل والعوارض، لكن يحس به كثير من الناس، وإن لم يعرف سببه.

هذا كله ملخص كلام الإمام المحقق، من الجواب عن شبه الملاحدة والزنادقة، ومن نحا نحوهم، وهو كلام سديد مفيد، لا يعيبه إلاّ كُل كفار عنيد، فجزاهُ الله عن الإسلام والسنة خيرًا[1].

ومن عجيب ما ذكر الحافظ الدّمياطي في «**مُعجمه**»[2]: سمعتُ محمد بن إسماعيل بن عبد الله الدمياطي، يقول: سَمعتُ أبا إسحق، إبراهيم بن عبد الله الثعلبي، صاحب السلفي يقول: كان عندنا رجلٌ نباش يتكفف الناس أعمىٰ، وكان يقول من يُعطني شيئًا فأخبره بالعجب، ثم يقول من يزيدني فأرهِ العجب قال: فأعُطِي شيئًا وأنا إلىٰ جنبه. أنظر، فكشف عن عينيه، فإذا بهما قد نفدتا إلىٰ قفاه، كالأنبوبتين النافذتين، يرىٰ من قبل وجهه ما وراء قفاه، ثم قال: أخبركم أني كنت في بلدي نباشًا، حتىٰ شاع أمري فأخفت / ١٥٠/

(١) ذكر ابن القيم رحمنا الله وإياه عشرة أمور من الأدلة على إثبات عذاب القبر أجارنا الله ووالدينا وذرياتنا وإخواننا المسلمين والمسلمات منه وأسقط هنا الأمر السابع وهو قوله: «أن الله سبحانه وتعالى يحدث في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك فهذا جبريل كان ينزل على النبي ﷺ» إلخ.

(٢) «شرح الصدور» ص٢٤٦ .

الناس، حتىٰ ما أبالهم، وأن قاضي البلد مرض مرضًا خاف منه الموت، فأرسل إليّ وقال: أنا أشتري هتكي في قبري منك، وهذه مائة دينار، فأخذتها، فعوفي من ذلك المرض، ثم مرض بعد ذلك فمات، وتوهمت أن العطية للمرض الأوّل، فجئت فنبشته، فإذا في القبر حس عقوبة والقاضي جالس، ثائر الرأس مُحمّرة عيناه، عيناه كالسّكُرجتين فوجدتُ زمعًا في ركبتي وإذا بضربة في عيني من أصبعين، وقائل يقول: يا عدو الله، تطلع علىٰ أسرار الله عز وجل.

وذكر البيهقي في كتاب «عذاب القبر» عن يزيد بن عبد الله بن الشخير، قال: بينما رَجل يسير في أرض إذ أتىٰ إلىٰ قبر، فسمع صاحبه يقول: آه آه فقام علىٰ قبره، فقال: فضَحَكَ عملك، وافتضحت[1].

وذكر السيوطي عن المقريزي[2]: أنه قدم في سنة سبع وتسعين وستمائة البريد بأن رجلاً من الساحل ماتت ٱمرأته، فدفنها وعاد فذكر أنه نسي في القبر منديلاً، فيه مبلغ دراهم، فأخذ فقيه القرية، ونبش القبر ليأخذ المال، والفقيه علىٰ شفير القبر، فإذا المرأة جالسة مكتوفة بشعرها، ورجلاها قد ربطتا بشعرها، فحاول حل كتافها فلم يقدر، فأخذ يجهد نفسه في ذلك، فخُسف به وبالمرأة، حيث لم يعلم لهما خبر فغشي علىٰ فقيه القرية، مدة يوم وليلة، فبعث السلطان بخبر هذه الحادثة إلىٰ الناس ليعتبروا بذلك.

---

(١) رواه البيهقي في «عذاب القبر» (٢٦٣).

(٢) «شرح الصدور» ص٢٤٧ .

وحكىٰ عبد الكافي: أنه شهد جنازة، فإذا عبد أسود معنا، فلما صلىٰ الناس لم يصل، فلمّا حضرنا الدفن نظر إلي، ثم قال: أنا عمله، ثم ألقىٰ نفسه في القبر، فنظرت فلم أر شيئا.

وأخرج ناصر السنة ابن الجوزي رحمه الله، عن عبد الله بن محمد المديني، عن صديق له: أنه خرج إلىٰ ضيعة له، قال: فأدركتني صلاة المغرب إلىٰ جنب مقبرة، فصليت المغرب قريبًا منها، فبينا أنا جالس، إذ سمعت من ناحية القبور صوت أنين، فدنوت إلىٰ القبر الذي سمعت منه الأنين، وهو يقول أوه قد كنت أصلي، قد كنت أصوم، فأصابتني قشعريرة، فدنا من حضرني فسمع مثل ما سمعت، ومضيت /١٥١/ إلىٰ ضيعتي، ورجعت في اليوم الثاني، فصليت في موضعي الأوّل، وصبرت حتىٰ غابت الشمس، وصليت المغرب ثم ٱستمعت علىٰ ذلك القبر فإذا هو يئن ويقول: أوه قد كنت أصلي، قد كنت أصوم فرجعت إلىٰ منزلي، وحُمِّيتُ فمكثت مريضًا شهرين.

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب «من عاش بعد الموت»، من طريق عبد الله بن دينار، عن أبي أيوب اليماني، عن رجل من قومه، يقال له عبد الله: أنه ونفر من قومه ركبوا البحر، وإن البحر أظلم عليهم أيامًا، ثم ٱنجلت عنهم تلك الظلمة، وهم قرب قرية، قال عبد الله: فخرجت ألتمس الماء فإذا الأبواب مغلقة، تُجأجئ فيها الريح، فهتفت فيها، فلم يجبني أحد فبينا أنا علىٰ ذلك، إذ طلع عليّ

فارسان، تحت كل واحد منهما قطيفة بيضاء، فقالا لي: يا عبد الله اسلك هذه السكة، فإنك تنتهي إلىٰ بركة فيها ماء، فاستق منها ولا يهولك ما ترىٰ، فسألتهما عن تلك البيوت المغلقة التي تُجأجئ فيها الريح، فقال: هذه بيوت فيها أرواح الموتىٰ، فخرجت حتىٰ انتهيت إلىٰ البركة، فإذا فيها رجل معلق مصوب[١] علىٰ رأسه، يريد أن يتناول الماء بيده، وهو لا يناله، فلمّا رآني هتف بي وقال: يا عبد الله اسقني، فغرفت بالقدح لأناوله إياه فقبضت يدي، فقال لي: بلّ العمامة ثم ارم بها إليّ فبلّلتُ العمامة لأرمي بها إليه، فقبضت يدي، فقلت: يا عبد الله: قد رأيت ما صنعت فقُبضت يديّ فأخبرني من أنت؟ قال: أنا ابن آدم، أنا أول من سفك دمًا في الأرض[٢].

وأخرج أبو نعيم، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: بينا رجل في مركب في البحر، إذ انكسرت بهم مركبهم، فتعلق بخشبة، فطرحته إلىٰ جزيرة من الجزائر، فخرج يمشي فإذا هو بماء فاتبعه، فدخل في شعب فإذا برجل في رجليه سلسلة، مربوط فيها، بينه وبين الماء شبر، فقال: اسقني رحمك الله، قلت: مالك؟ قال: ابن آدم الذي قتل أخاه، والله ما قُتِلتْ نفس ظلمًا منذ قَتلتُ أخي، إلا عذبني الله بها، لأني أوّل من سنّ القتل[٣].

---

(١) في (ب) «مصلوب» والمثبت من (أ)، و(ط).
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «من عاش بعد الموت» (٤٨).
(٣) رواه أبو الشيخ في العظمة ٤/ ١٤١٤ (طبعة العاصمة).

وروىٰ تمام بن محمد الرازي، في كتاب «**الرهبان**» له، حدثنا عصمة / ١٥٢/ **العباداني**، قال: كُنتُ أجول في بعض الفلوات، إذ نظرتُ دِيرًا وفيه صومعة، وفيها راهب، فناديتُه: فأشرف عليَّ، فقلتُ من أين تأتيك الميرة؟[1] قال: مسيرة شهر، قلتُ حدّثْني بأعجب ما رأيت في هذا الموضع، قال: بينا أنا ذات يوم أديرُ بصري في هذه البرية القفراء وأتفكر في عظمة الله، وقدرته إذ رأيت طائرًا أبيض، مثل النعّامة كبيرًا، قد وقع علىٰ تلك الصخرة، وأومأ بيده إلىٰ صخرةٍ بيضاء، فتقايأ رأسًا، ثم رجلاً، ثم ساقًا، وإذا هو كلما تقايأ عُضوًا من تلك الأعضاء التأمتْ بعضُها إلىٰ بعض، أسرع من البرق فإذا هو رجَلٌ جالس، فإذا هَمَّ بالنهوض، نقره الطائر نقرة قَطع أعظامه، ثم يرجع فيبتعله، فلم يزل علىٰ ذلك أيامًا فكثر تعجبي منه، وازددت يقينًا لعظمة الله تعالىٰ، وعلِمتُ أن لهذه الأجساد حياةً بعد الموت، فالتفَتُّ إليه يومًا، فقلتُ: يا أيها الطائر سألتُكَ بحق الذي خلقك وبراك، إلاَّ أمسكتَ عنه، حتىٰ أسأله بقصّته، فأجابني الطائر بصوت عربي طلق: لربي الملك وله البقاء الذي يُفني كُلّ شيء ويُبقي أنا ملك من ملائكة الله موكل بهذا الجسد لما ٱجترم.

فألتفتّ إليه، وقلتُ: يا هذا الرجل المسيئ إلىٰ نفسه، ما قصتك؟ ومن أنت؟ قال: أنا عبد الرحمن بن مُلجم، قاتل علي رضي الله عنه، وإني لما قتلته، وصارت روحي بين يدي الله، ناولني

---

(١) الميرة: الطعام يمتاره الإنسان. والميرة: هي جلب الطعام: لسان العرب مادة: (مير).

صحيفة مكتوب فيها، ما عملته من الخير والشر منذ ولدتني أمي، إلىٰ أن قتلتُ عليًا، [كرّم الله وجهه][١]، فأمر الله هذا الملك بعذابي، إلي يوم القيامة، فهو يفعل بي ما تراه، ثم سكت فنقره الطائرُ نقرةً نشر أعضاءه بها، ثم جعل يبتلعه عضوًا عضوًا، ثم مضىٰ.

قال ابن رجب[٢]: قال الراهب: وقال لي الملك قد أتىٰ النبي ﷺ، فأمرني أن أمضي بهذا الجسد، إلىٰ جزيرة في البحر الأسود، الذي يخرجُ منه هَوام أهل النار، فأعذبه إلىٰ يوم القيامة.

قال السيوطي: وهذا الإسنادُ يعني إسناد هذه الحكاية، ليس فيه من تكلم فيه /١٥٣/ سوىٰ أبي علي شيخ تمام، قال الذهبي: كان متهمًا. وقال الحافظ ابن رجب[٣]: قد رُويت هذه الحكاية من أوجه أخر، أخرجَها ابن النجار في «تاريخه» من طريق السلفي، بإسناد له إلىٰ الحسن بن محمد بن عبيد اليشكري، حدثنا إسماعيل بن أحمد بن علي بن أحمد بن يحيىٰ بن المنجم، سنة مائة وثلاثة عشر: أنه حضر مع يوسُف بن أبي التياح، فأحضر راهبًا، فحدث فذكر شبيهًا بها، وفيها أنه قال: إن مِلَكًا نفاه إلىٰ جزيرة علىٰ البحر منفردة، قال: فرأيت يَومًا طائرًا إلخ.

ورُويت من وجه آخر من طريق أبي عبد الله، محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي، صاحب «السُداسيات» المشهورة، عن علي بن بقّار بن محمد الورّاق، حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن عُمر البزار،

(١) الأولى أن يقال رضي الله عنه.
(٢) «أهوال القبور» ص١٩٨ . (٣) «أهوال القبور» ص.١٩٨.

سمعت أبا بكر بن أحمد بن أبي الأصبغ قال: قدم علينا شيخ غريب، فذكر أنه كان نصرانيًا سنين، وأنه تعبّد في صومعته، قال: فبينا هُوذات يوم جالس، إذ طائر كالنسر، أو كالكركي، فذكر شبيهًا بالحكاية، مختصرًا. ٱنتهىٰ كلام الحافظ ابن رجب.

قُلْتُ: ومن هذه الأخبار ما هو كثير جدًا. ولا ينكر عذاب القبر[1] من خَالطت بشاشةُ الإيمان قلبه، إذ قد صحت به الأخبار، وتواترت الآثار، فيالها من حفرة بعد أن كان مسكنه القصور العُلىٰ، ووحده في ظلمة، بعد أن كان يضاجع غيدة كالطلا، والشمع مَضوء به قصره مُستعظمًا في عَيشه المُبتلىٰ.

قال الإشبيلي في «العاقبة»[2]: قال عمرُ بن عبد العزيز رضي الله عنه لبعض جلسائه يا فلان. لقد أرقت البارحة تفكرا في القبر وساكنه، إنك لو رأيت الميت بعد ثلاث ليال في قبره، لاستوحشت منه، بعد طول الأنس به، ولرأيت بيتًا تجول فيه الهوام، ويجري فيه الصديد، ويخترقه الديدان، مع تغير الريح وتقطع الأكفان، وكان ذلك بعد حُسن الهيئة، وطيب الريح، ونقاء الثوب، ثم شهق شهقة خر مغشيًا عليه.

وفي بعض الخطب: يا ابن آدم لا يغرنك ٱرتفاع ذكرك، ونفاذ أمرك، وتشييد قصرك، مع ما جمعت فيه من /١٥٤/ الظُبا الشُرد، والأوانس النهد، والمتاع المزخرف المنجد، فإنك تخرجُ منه بالرغم،

---

(١) في هامش الأصل: قلت وكذا نعيمه. ٱنتهىٰ. كاتبه سعيد...

(٢) «العاقبة» ص١٩١ .

والأمر الجزم إلىٰ الحجارة والرجم، فتغتسل فيها بصديدك وتأنس فيها بحشراتك ودودك، إلىٰ أن تبلغك الرجفة لهلاك هذا المعمور، ثم الصيحة ليوم النشور، وبَعْثرة القبور، فتخرج بالأمر الكُبّار، إلىٰ دارك دار القرار، إما إلىٰ الجنة وإما إلىٰ النار.

وأنشد بعضهم في ذلك:

من كان مسكنه قصرًا يشيده فإن مسكنه من بعد ذا جَدثُ
ومن تكن فرشه فيها مُرَقّشة ففرشه في ضريح بعدها الرثث
ومن غدا وسط نادٍ شعره رجلا فإن آخره التمزيق والشعَثُ[1]

قال الإشبيلي[2]: مرّ داود الطّائي بامرأة تبكي علىٰ قبر وهي تقول:

عدمتُ الحياة فلا نُلتها إذا أنت في القبر قد وسّدوكا
وكيف ألذُّ بطعم الكَرىٰ وها أنت في القبر قد أفردوكا

ثم قالت: يا أبتاه، بأيّ خديك بدأ الدود أوّلاً؟ [قال] فخرّ داود مغشيّا عليه.

واعلم: وفقني الله وإياك أنه من أقام خيال حالةِ كونه في تلك الحفرة الفظيعة، والرؤية البشيعة، وتفكر في ما يؤول إليه حاله قفرت همته وآماله. وعلم أن بدنه سيطرح في حفرة تقطع أوصاله وتغير أحواله وتبين إلىٰ [أين][3] يصير مآله وأنه يطلب بكل ما عملهُ أو قاله

---

(١) سقط بيت كما في العاقبة:

ومن تكون آنسوه خرّد العبا فآنسوه هناك الدود والعثث

(٢) «العاقبة» ص. ١٩٥ وما بين قوسين زيادة منه.

(٣) في النسخة (أ): «أن» والمثبت من (ب)، و(ط).

ولم يشغل بميت باله، ولم يبك إلا لنفسه لا لَه وما أحسن قول القائل:

أمن جدث أبصرته فشجاني وأرسل في شجو الهموم عناني
سفكت عليه أدمعًا فسقيته كما هو من كأس الهموم سقاني
وقفت به حيرانَ وقفة هائم أعالج قلبًا دائم الخفقان
وما بي من في القبر لكن رأيته علىٰ حالةٍ فيها وسوف تراني

وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالىٰ: أتيْتُ القبورَ مرةً فقلت فيها:

/ ١٥٥/ أتَيتُ القبورَ فناديتها أين المعظَّمُ والمحتَقَرْ
وأين المُدَله سلطانُه وأين العزيز إذا ما ٱفتخر

قال: فنوديتُ من بينهم، أسمعُ صوتًا، ولا أرىٰ شخصًا وهو يقول:

تفانوا جَميعًا فلا مُخبر وماتُوا جَميعًا ومات الخبر
تروحُ وتغدو بناتُ الثَرىٰ وتمحو محاسنَ تلك الصُور
وصاروا إلىٰ ملك قاهرٍ عزيز مطاع إذا ما أمر
فيا سائلي عن أناس مضَوا أمالكَ فيما ترىٰ مُعتَبر

قال مالك: فرجعتُ وأنا أبكي.

وأنشد بعضهم وأحسن:

قِف بالقبور بأكبادٍ مصدعة ودمعة من سويد القلب تنبعث
وسل بها عن رجال طالما مارشفوا ثغر النّعيم وما في ظلّه مكثوا
ماذا لقَوا في خباياها وما قَدِموا عليه فيها ومَا من أجله ٱرتبثوا

وعن محاسنهم إن كان غيرّها   طول المقام، ببطن الأرض واللبث
وما لهم حشرات الأرض تنهشهم   نهشا تزول به الأعضاء [والجثث]
فإن يُجِبْك بما لاقىٰ مُجيبُهم   ولن يُجيب وأنىٰ ينطق الجدث
فانظر مكانك في أفناء ساحتهم   فإنه الجدّ لا هزلٌ ولا عَبثُ
واعمل لمصرع يوم هال(١) أوّله   ومن أمامك فيه الروع والجأث

فَإنْ قلت: هل عذابُ القبرِ دائم أو منقطع؟

فالجوابُ كما قال المحقق: إنَّ عذابَ القبر نوعان: نوع دائم وهو عذاب الكافر، سوىٰ ما ورد في بعض الأحاديث، إنه يُخففُ عنهم ما بين النفختين، فإذا قاموا من قبورهم، ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ هَٰذَا﴾؟! ويدلُ علىٰ دوامه قوله تعالىٰ: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾ [غافر: الآية ٤٦] وحديث سمرة الذي رواه البخاري، في رؤيا النبي ﷺ وفيه، فهو يُفعَلُ به ذلك إلىٰ يوم القيامة، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة الجريدتين: «**لعله يُخفف عنهما ما لم ييبسا**»(٢)، فجعل التخفيفُ مقيدًا بمدة رطوبتهما، فقط.

وفي حديث البراء /١٥٦/ بن عازب في قصة الكافر: «**ثم يُفتح له باب إلىٰ النّار فينظرُ إلىٰ مقعده فيها، حتىٰ تَقومَ الساعة**». رواه الإمام أحمد. وتقدّم. وفي [(٣)بعض طرقه: «**ثم يُخرق له خرقًا إلىٰ**

---

(١) في (ب)، (ط): «وم هال أوله». وفي الأصل (هال يوم) وما أثبت من العاقبة وما بين القوسين من العاقبة (النجث) وفي العاقبة بعده

وتلكم الفتيات إذ طرحن بها   هل كان فيهن ذا التغير والشعث

(٢) رواه البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢) وتقدم تخريجه.

(٣) من أول هذا الموضع يوجد سقط في (ب).

النار، فيأتيه من غمها ودخانها إلىٰ يوم القيامة»، فهذا كله يدل علىٰ دوام العذاب علىٰ الكافر في قبره.

النوع الثاني: إلىٰ مدة، ثم يزول وينقطع عنه العذاب بدعاء أو صدقة، أو ٱستغفار، أو ثواب حج، أو قراءة تصلُ إليه من بعض أقاربه أو غيرهم. وحَكى القرطبي في التذكرة[١]، أن ٱمرأة جاءت إلىٰ الحسن البصري رحمه الله فقالت: إن ابنتي ماتت، وَقَدْ أحببت أن أراها في المنام. فعلمّني صلاة أصليها، لعلّي أراها، فعلمها صلاة فرأت ابنتها، وعليها لباس القطران، **والغُل في عُنقها، والقيدُ في رجليها**، فارتاعت لذلك وأخبرت الحسن فاغتم عليها، فلم تمض مدة حتىٰ رآها الحسن في المنام، وهي في الجنة علىٰ سرير، وعلىٰ رأسها تاجٌ فقالت له: يا شيخ أما تعرفني؟ قال: لا، قالت: أنا بنت تلك المرأة التي علّمت أمي الصّلاة فرأتني في المنام. قال: فما سبب أمرك قالت: مر بمقبرتنا رجل، فصلىٰ علىٰ النبيّ ﷺ وكان في المقبرة خمسمائة وستون إنسانًا في العذاب، فنودي: ٱرفعوا العذاب عنهم، **ببركة صلاة هذا الرجل علىٰ النبي ﷺ**[٢].

قال القرطبي[١]: وقد ذَكر أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة رضي الله عنه، في كتاب «**عيون الأخبار**»[٣] عن الحارث بن نبهان أنه

---

(١) (٢٨٠، ٢٨١).

(٢) لا يعلم في الشرع صلاة تصلى فيراى الأحياء فيها الأموات كما أن العمل الصالح يقتصر أثره على العامل على الخلاف في إهداء الثواب، وهذا لم يهده.

(٣) لم أجده فيه. وراوي الحكاية متروك الحديث عند المحدثين انظر: الضعفاء والمتروكين للنسائي (٢٩).

قال: كنت أخرج إلىٰ الجبانات، فأترحم علىٰ أهل القبور، وأتفكر وأعتبر، وأنظر إليهم سكوتًا لا يتكلمون، وجيرانًا لا يتزاورون، وقد صار لهم من بطن الأرض وطاء، ومن ظهرها غطاء، وأنادي: يا أهل القبور، مُحِيتْ من الدنيا آثارُكم، وما مُحيت عنكم أوزاركم، وسكنتم في دار البلى فتورمت أقدامكم، ثم يبكي بكاء شديدًا، ثم يميل إلىٰ قبة فيها قبر[1]، فينامُ في ظلها، قال: فبينما أنا نائم إلىٰ جنب القبر إذ أنا بحس مقمعة يُضربُ بها صاحبُ القبر، وأنا أنظر إليه، والسلسلة في عنقه، وقد /١٥٧/ ٱزرقّت عيناه، واسودّ وَجهه، وهو يقول: يا ويلي! ماذا حَلّ بي لو رآني أهل الدنيا ما ٱرتكبوا معاصي الله أبدًا، طُولبتُ والله باللّذات فأوبقتني، وبالخطايا فأغرقتني، فهل من شافع لي؟ أو مخبر أهلي بأمري.

قال الحارث: فاستيقظتُ مرعوبًا، وكاد أن يخرج قلبي من هول ما رأيت، فمضيتُ إلىٰ داري، وبتُّ ليلي، وأنا متفكر فيما رأيت، فلما أصبحت قلتُ: دعني أعد[2] إلىٰ الموضع، لعلي أجد به أحدًا من زُوّار القبُور، فأعُلمه بالذي رأيت، قال: فمضيتُ إلىٰ المكان الذي كنتُ فيه بالأمس، فلم أرَ أحدًا، فأخذني النومُ فنمت، فإذا أنا بصاحب القبر، وهو يسحب علىٰ وجهه ويقول: يا ويلتاه! ماذا حلّ بي ساء في الدّنيا عملي، وطال فيها أجلي حتىٰ غضب عليّ ربُّ الأرباب، فالويلُ لي إن لم يرحمْني ربيّ.

---

(١) لا يجوز بناء القباب على القبور وتشييدها.

(٢) في الأصل: «أعود» والصواب ما أثبتناه.

قال: فلما ٱستيقظت وقد توله عقلي مما رأيتُ وسمعت، فمشيت إلىٰ داري وبتُ ليلتي، فلما أصبحت أتيت القبر، لعلّي أجد أحدًا من زوّار القبور، فأعلمه بما رأيت، فلم أرَ أحدًا ثم نمت، فإذا أنا بصاحب القبر قد قُرن شيطان وهو يقول: ما أغفل أهل الدنيا عني، ضُوعف عليّ العذاب، وتقطعت عني الحيل والأسباب، وغضب عليَّ رَبُّ الأرباب، وغُلّق في وجهي كلُّ باب، فالويل لي، إن لم يرحمْني ربي العزيز الوهاب.

قال: فاستيقظت من منامي مرعوبًا، وهممتُ بالانصراف، فإذا بثلاث جوارٍ قد أقبلْن، فتباعدْتُ لهنّ عن القبر، وتواريتُ لكي أسمع كلامهن فتقدّمّتِ الصُغرىٰ، ووقفت علىٰ القبر، وقالت: السلام عليك يا أبتاه، كيف هدوءك في مضجعك؟ وكيفَ قرارك في موضعك؟ ذهبت عنا بودك، وانقطع عنا سؤالك، فما أشد حسرتنا عليك! ثم بكت بكاء شديدًا، ثم تقدّمت ٱلابنتان فسلّمنَ علىٰ القبر، ثم قالتا: هذا قبر أبينا الشفيق علينا، الرحيم بنا، آنسك الله بملائكة رحمته، وصرف عنك ملائكة عذابه ونقمته، يا أبتاهُ جَرَت بعدك أمور، لو عاينتها لأوهنتك، ولو ٱطّلعت[1]] عليها لأحزنتك، كشف الرجال /١٥٨/ وجوهَنا، وقد كنتَ أنت تسترها.

قال: فبكيتُ لمّا سمعتُ كلامهنّ، ثم قمت مسرعًا إليهن، فسلمت عليهن وقلتُ لهن: أيتّها الجواري إن الأعمال بما قُبلت،

---

(١) هنا ٱنتهىٰ سقط (ب).

ورُبّما رُدّت علىٰ صاحبها، فما كان عمل أبيكن المخلد في هذا القبر، الذي عاينتُ من أمره ما أحزنني، واطّلعت من حاله علىٰ ما آلمني؟

فلما سمعن كلامي كشفن وجوههن، وقُلن: أيها العبد الصالح، وما الذي رأيت؟ قلتُ لهُن: لي ثلاثةُ أيام أختلفُ إلىٰ هذا القبر، أسمعُ صوت المقمعة، والسلسلة فيه قال: فلمّا سمعن ذلك مني قُلن لي: يا لها من بشارة ما أضرّها، ومصيبة ما أحزنها، نحن نقضي الأوطار، ونُعمرّ الديار، وأبونا يُحرّق بالنّار، فوالله لا أقر بنا قرار، ولا ختمنا للذة العيش دار، أو نتضرع للجبار فلعله يعتق أبانا ويُنقذه من النار، ثُمّ مضين يَعثُرْن في أذيالهنّ. قال: فمضيت إلىٰ داري فبت ليلتي فلما أصبحت أتيت القبر. فجلست عنده، فغلبني النوم، فإذا أنا بصاحب القبر، له حُسن وجمال، وفي رجليه نعلٌ من ذهب، ومعه حور وغلمان، قال الحارث: فسلمتُ عليه وقلتُ له: رحمك الله من أنت؟ فقال: أنا الرجل الذي عاينت من أمره ما أحزنك، واطلعت منه علىٰ ما أفجعك فجزاك الله خيرًا، فما أيمن طلعتك عليّ، فقلت له: وكيف حالك؟ فقال لي: لمّا ٱطّلعتَ عليّ، وأخبرتَ بناتي بالأمس بحالي أعرين أبدانهن، وأسبلن شعورهنّ، وتضرّعن لمولاهنّ، ومرغن خدودهنّ في التراب، وأهملن دموعهنّ بالانسكاب واستوهبنني من العزيز الوهاب، فغفر لي الذنوب والأوزار، واستنقذني من النار، واسكنني دار القرار، جوار محمد المختار فإذا رأيت بناتي فأعلمهنّ بأمري، وما كان من قصّتي ليزول عنهن روعهنّ، ويفارقْن حزنهنّ، وتُعلمهُنّ أني قد صرت إلىٰ جنات وحور، ومسك وكافور، وعندي

غلمانٌ وسرور، وقد عفا /١٥٩/ عني العزيز الغفور، فاستيقظت فرحًا مسرورًا لما رأيت، وسمعت ثم مضيت إلىٰ داري وبت ليلتي

فلما أصبحتُ أتيت القبر فوجدتهن حافيات الأقدام، فسلمت عليهنّ، وقلت لهن أبشرن؛ فقد رأيت أباكنّ في خير عظيم، وملك مقيم، وقد أعلمني أن الله أجاب دعاءكن، ولم يخيب مسعاكنّ، وقد وهبَ لكنّ أباكنّ، فاشكرنه علىٰ ما أولاكنّ.

قال: فقالت الصُغرىٰ: اللهمّ يا مؤنس القلوب، ويا ساتر العُيوب، ويا كاشف الكروب، ويا غافر الذنوب، ويا عالم الغيوب ويا مبلغ الأمل المطلوب، قد علمت مكان مسألتي ورغبتي، واعتذاري في خلوتي، واستقامتي من زلتي، وتنصلي من خطيئتي، وأنت اللهم تعلم همتي، والمطلع علىٰ نيتي، والعالم بطويتي، ومالك رقبتي، والآخذ بناصيتي وغايتي في طلبتي، ورجائي عند شدتي ومؤنسي في وحدتي، وراحم عبرتي، ومقيل عثرتي، ومجيب دعوتي، فإن كنتُ قصرتُ عمّا أمرتني، وركنت إلىٰ ما عنه نهيتني، فبحلمك حملتني، وبسترك سترتني، فبأيّ لسان أذكرك، وعلىٰ أيّ نعمة أشكرك، ضاق بكثرتها ضرعي، فيا أكرم الأكرمين، ومنتهىٰ غاية الطالبين، ومالك يوم الدين، الذي يعلم ما أُخفي في الضمير، وتدنو من الصغير والكبير، فإن كنت قضيت الحاجة بفضلك، وشفّعتني في عبدك، فاقبضني إليك وأنت علىٰ كل شيء قدير، ثم صَرخت صرخة فارقت الدنيا، رحمة الله عليها.

ثم قامت الثانية فنادت بأعلىٰ صوتها، يا رب يا رب، فرج عني كربي، وخلّص من الشك قلبي، يا من أقامني من صرعتي، وأقالني من

عثرتي، ودلني من حيرتي، وأعانني في شدتي، إن كنت قبلت دعوتي وقضيت حاجتي، وأنجحت طَلبَتي، فألحقني بأختي ثمَّ صاحت صيحة فارقت الدنيا رحمة الله عليها.

قال: ثم قامت الثالثة فنادت بأعلىٰ صوتها: يا أيها الجبار الأعظم والمِلك الأكرم، والعالم بمن سكت وتكلم، لك الفضل العظيم، والمُلك / ١٦٠/ القديم، والوجه الكريم، العزيز من أعززته والذليل من أذللته، والشريف من شرفته، والسعيد من أسعدته، والشقي من أشقيته، والقريب من أدنيته، والبعيد من أبعدته، والمحروم من حرمته، والرابح من أوهبته، والخاسر من عذبته، أسألك باسمك العظيم، ووجهك الكريم، وعلمك المكنون، الذي بَعد عن إدراك الأفهام، وغمض عن مناولة الأوهام، باسمك الذي جعلته علىٰ الليل فدجا، وعلىٰ النهار فأضاء، وعلىٰ البحار فزخرت، وعلىٰ الجبال فدكدكت، وعلىٰ الرياح فتناشرت، وعلىٰ السموات فارتفعت، وعلىٰ الأصوات فخشعت، وعلىٰ الملائكة فسجدت، اللهم إني أسألك إن كُنت قضيت حاجتي وأنجحت طلبْتي، فألحقني بصويحباتي ثم صاحت صيحة فارقت الدنيا، رحمة الله عليها. انتهىٰ ما ذكره القرطبي[1].

قال المحقق[2]: وهذا يعني كون الدعاء ونحوه، يكون سبب

---

(١) هذه القصة يشم من سبكها الوضع وفيها أمور منكرة من كشف الوجوه عند الأجانب، والتعري بين يدي الله تبارك وتعالى. كما في بعض الألفاظ اختلاف هنا وفي التذكرة في بعض الأحرف.

(٢) «الروح» ص١٥٢ .

انقطاع عذاب القبر، كما يشفع الشافع في المتعذب في الدنيا، فيُخلَّص من العذاب بشفاعته، لكن هذه شفاعة قد تكون بدون إذن المشفّع عنده، والله سبحانه وتعالىٰ لا يتقدم أحد بالشفاعة بين يديه، إلا من بعد إذنه، فهو الذي يأذن للشافع أن يشفع، إذا أراد أن يرحم المشفوع له، ولا يعتبر بغير هذا فإنه شرك وباطل، تعالىٰ الله عنه ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥٥] ، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبيَاء: الآية ٢٨] ، فـ ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يُونس: الآية ٣] ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سَبَإ: الآية ٢٣] ، ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزُّمَر: الآية ٤٤] .

وقد ذكر ابن أبي الدنيا(١) عن عبد الله بن نافع، قال: مات رَجل من أهل المدينة، فرآه رجل كأنه من أهل النار، فاغتم لذلك، ثم إنّه بعد ساعة أو ليلة [ثانية](٢)، رآه كأنه من أهل الجنة فقال: ألم تكن من قُلت إنك من أهل النار؟ قال: قد كان ذلك إلا أنه دُفن معنا رجلٌ من الصالحين، فشُفّعَ في أربعين من جيرانه، فكنت أنا منهم، وتقدمت.

وفي كتاب / ١٦١/ «الروح» للمحقق(٣)، عن بشار بن غالب قال: رأيتُ رابعة العدوية في منامي وكنت كثير الدّعاء لها، فقالت لي: يا بشار بن غالب هداياك تأتينا علىٰ أطباق من نور، مخمرة

(١) «القبور» ص١٢٨ (١٣٩).

(٢) كلمة «ثانية» ليست في (أ) وهي في (ب)، و(ط).

(٣) «الروح» ص١٥٣ .

بالمناديل الحرير، فقُلت: وكيف ذاك؟ فقالت: هذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دَعوا للموتىٰ، فاستجيب لهم، جُعل ذلك علىٰ أطباق من نور وخُمّر بمناديل الحرير، ثم إن الذي دعىٰ له من الموتىٰ يقال له: هذه هَديّة فلان إليك.

قال ابن أبي الدنيا[1]: وحدثني عبد الله بن بجير [قال: حدَّثني بعض أصحابنا][2] قال: رأيت أخًا لي في النوم بعد موته، فقلت: أيصل إليكم دعاء الأحياء قال: أي والله مثل النور نلبسه والله الموفق.

فَإِنْ قُلْتَ: ما الأسباب الموجبة لعذاب القبر؟

فالجَوَابُ من وجهين: كما ذكره المحقق، مُجمل ومفصّل:

أمّا المجمل: فإنهم يُعذبون علىٰ جهلهم بالله، ومخالفتهم لأمره وارتكابهم لمعاصيه، فلا يُعذب الله روحًا عرفته، وأحبته وامتثلت أمره، واجتنبت نهيه، ولا بدنًا كانت فيه أبدًا فإن عذاب القبر، وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه علىٰ عبده، فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار، ثم لم يتُب ومات علىٰ ذلك، كان له من عذاب البرزخ، بقدر غضب الله وسخطه عليه.

وأما الجواب المفصل: فقد أخبر ﷺ عن الرجلين اللذين رآهما يعذبان في قبورهما، كان يَمشي أحدهما بالنميمة بين الناس، ويعدم التّنزّه من البول، فهذا ترك الطهارة، وذاك ارتكب سببًا مُوقعًا

---

(١) «ذكر الموت» ص١٧٤ (٣١٠).

(٢) ليست في (أ) والمثبت من (ب)، و(ط).

للعداوة بين الناس، بلسانه وإن كان صادقًا. وفي هذا تنبيه، علىٰ أن الموقع بينهم العداوة بالكذب والزور أعظم عذابًا، كما أن في ترك ٱلاستبراء من البوَل، تنبيهًا علىٰ أن من ترك الصلاة، التي هي المقصودة من الطهارة، والاستبراء من البول، أشد عذابًا، فعذاب القبر من معاصي القلب، والعين والأذن، والفم واللسان، والبطن والفرج، واليد، والرجل، والبدن كله فالكذاب والمغتاب، وشاهد الزور وقاذف المحصن، والوقيعة /١٦٢/ في الفتنة، والداعي إلىٰ البدعة، والقائل علىٰ الله ورسوله ما لا علم له به، والمجازفُ في كلامه، وآكلُ الربا، وكاتبهُ، وشاهداه، وكذا معطيه وآكل أموال اليتامىٰ، وآكلُ السحت من الرشوة والبرطيل ونحوهما، وآكلُ مالَ أخيه المسلم بغير حق، وكذا مالَ الذمي والمستأمَنِ وشاربُ المسكر، وآكل لقمة الشجرة الملعونة والزاني واللوطي، والخائن، والغادر والمخادعُ والماكر والمحلِّلُ، والمحلّلُ له، والمحتالُ علىٰ إسقاط فرائض الله، وارتكاب محارمِه، ومؤذي المسلمين ومتبعُ عوراتِهم، والحاكم بغير ما أنزل الله، والمفتي بخلاف ما شرعه الله، والمعين علىٰ الإثم والعدوان، وقاتلُ النفس التي حرّم الله والمقدم رأيه وذوقه علىٰ سنة رسول الله ﷺ، والنائحة والمستمع إليها، ونوايح جهنم وهم المغنون الغِنَاء الذي حرم الله ورسولُه والمستمعُ إليهم والذين يبنون المساجدَ علىٰ القبور، ويوقدون عليها القناديل والسرُج، والمطففون في ٱستيفاء مالهم [إذا أخذوه][1]، ونقصهم ما عليهم إذا بذلوه،

---

(١) سقطت من (أ) وفي (ب)، و(ط) (إذا أذخوه) وما أثبت من الروح.

والجبارون والمراؤون والمتكبرون والهمازون والطاعنون علىٰ السلف والذين يأتون الكهنة، والمنجمين والعرافين فيسألونهم ويصدقونهم وأعوان الظلمة، الذين باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم والذي إذا خوفته بالله وذكّرته به لم ينزجر، وإذا خوفته بمخلوق خاف وانزجر، والذي يُهدىٰ بكلام الله ورسوله فلا يُهدىٰ ولا يرفع به رأسًا، فإذا بلغه عمن يحسن الظن به ممن يصيب ويخطئ عضّ عليه بالنواجذ، ولم يخالفه، والذي يعظم عليه غير الله والمفتخر بالمعصية، والذي لا تأمنه علىٰ مالك وحرمتك، وفاحش اللسان والمؤخر الصلاة وناقرها نقرًا، ومانع الزكاة، والذي لا يحج مع قدرته علىٰ الحج، ولا يؤدي ما عليه من الحقوق، مع قدرته عليها، ولا يتورع في لحظه ولا في لفظه ولا يبالي مما حصل المال، من حلال أو حرام ولا يصل رحمه ولا يرحم المسلمين ولا الأرملة، /١٦٣/ ولا اليتيم ولا الجيران، والحيوان بل يدعّ اليتيم ولا يحض علىٰ طعام المسكين، ويرائي العالمين، ويمنع الماعون ويشتغل بعيوب الناس عن عيبه، وبذنوبهم عن ذنبه، فكل هؤلاء وأمثالهم يعذبون في قبورهم، بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقلتها، وكبرها وصغرها، إن لم يعف عنهم أرحم الراحمين.

قال المحقق[1]: ولما كان أكثرُ الناس كذلك، أكثر أصحاب القبور معذبين، والفائز منهم قليل، فظاهر القبور تراب، وباطنها حسرة وعذاب، ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنيات، وفي

---

(١) «الروح» ص١٣٦ .

باطنها الدواهي والبليّات، تغلي بالحسرات كما تغلى القدور بما فيها،

فكم جدث يزوّق بالنقوش وباطنة أَرَثُّ من الحشوش

فَإنْ قُلْتَ: ما الأسباب المنجية من عذاب القبر؟ فالجَوَابُ: كما قال المحقق[1]: من وجهين أيضًا: مُجمل ومفصّل، فالمجمل: تجنب تلك الأسباب، التي تقتضي ذلك العذاب، ومن أنفعها، أن يجلس عند ما يريد النوم لله تعالىٰ ساعة، يُحاسب فيها نفَسه، علىٰ ما خسره وربحه في يومه، ثم يجدد له توبة نصوحًا بينه وبين الله، ثم ينام علىٰ تلك التوبة، ويعزم علىٰ أن لا يعود إلىٰ ذنب فإذا ٱستيقظ ٱستيقظ مقبلاً للعمل مسرورًا بتأخير أجله حين يستقبل ربه قال المحقق: وليس للعبد أنفع من هذه التوبة، ولاسيما إذا عقب ذلك بذكر الله، واستعمال السنن، التي وردت عن النبي ﷺ عند النوم حتىٰ يغلبه النوم، فمن أراد الله به خيرًا، وفقه لذلك ولا قوة إلا بالله.

وأما الجواب المفصّل: فما روىٰ عنه ﷺ من الأحاديث الثابتة، فمنها ما رواه مسلم في صحيحه، عن سلمان رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«رباط يوم وليلة خيرٌ من صيام شهر وقيامه، وإن مات أُجْرِي عليه عملُه الذي كان يعمله وأُجرِيَ عليه رزقُه وأمِنَ الفتّانَ»**[2].

(١) «الروح» ص١٣٧ .

(٢) رواه مسلم (١٩١٣)، والإمام أحمد ٥/ ٤٤٠، والنسائي ٦/ ٣٩، والترمذي (١٦٦٥)، وابن حبان (٤٦٢٣)، والبيهقي ٩/ ٣٨، انظر ص٢٠٦.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ضرب رجل من أصحاب رسول الله ﷺ / ١٦٤/ خباءً علىٰ قبر، وهو لا يحسب أنه قبر، فسمع إنسانًا يقرأ سورة الملك حتىٰ ختمها، فقال رسول الله ﷺ: «**هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر**»، رواه الترمذي وقال: حديث غريب[1].

وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: خرَج علينا رسول الله ﷺ ونحن في صُفة بالمدينة، فقام علينا فقال: «**إني رأيت البارحة عجبًا، رأيت رجلاً من أمتي أتاه ملكُ الموت ليقبض روحه، فجاءه برّ والديه فردّ ملك الموت عنه، ورأيتُ رجلاً من أمتي قد تسلط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلاً من أمّتي قد احتوشه الشيطان، فجاء ذكرُ الله فطرد الشيطان عنه، ورأيتُ رجلاً من أُمّتي قد احتوشته ملائكة العذاب، فجاءته صلاته فاستنقذتهُ من أيديهم**»[2]. الحديث رواه أبو موسىٰ المديني، وقال: حسنٌ جدًا.

وسيأتي إن شاء الله تعالىٰ، فيما بعد.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٩٠)، والطبراني في «الكبير» ١٢/(١٢٨٠١)، وابن عدي في «الكامل» ٧/ ٢٠٥ (ترجمة يحيىٰ بن عمرو) وأبو نعيم في «الحلية» ٣/ ٨١، والمزي في «تهذيب الكمال» ٣١/ ٤٧٩.

وقال ابن عدي: إن أحاديث يحيىٰ بن عمرو بن مالك عن أبيه عن ابن عباس كلها غير محفوظة تفرد بها يحيىٰ.

(٢) رواه بحشل في «تاريخ واسط» ص١٦٩ مطولاً. وعزاه في الروح لأبي موسىٰ المديني، انظر: ص٩٢٣ ت(١).

وقال الحافظ ابن رجب: روي بإسناد ضعيف عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن عذاب القبر يرفع عن الموتىٰ في شهر رمضان.

وحكىٰ اليافعي في «رَوْضِ الرياحين»[1] عن بعض الأولياء قال: سألت الله أن يُرِيَني مقامات أهل المقابر، فرأيتُ في ليلة من الليالي القبور، قد ٱنشقت وإذا منهم النائم علىٰ السندس، ومنهم النائم علىٰ الحرير والديباج، ومنهم النائم علىٰ الريحان، ومنهم النائم علىٰ السّرر، ومنهم الباكي ومنهم الضاحك، فقلتُ: يا رب: لو شئت ساويت بينهم في الكرامة فنادىٰ منادٍ من أهل القُبور، يا فلان: هذه منازل الأعمال: أمّا أصحابُ السندس، فهم أهل الخُلق الحسن، وأمّا أصحابُ الحرير والديباج، فهم الشهداء وأمّا أصحابُ الريّحان، فهم الصائمون، وأمّا أصحابُ المراتب يعني السرر، فهم المتحابون في الله، وأمّا أصحاب البُكاء فهم المذنبون، وأمّا أصحابُ الضحك، فهم أهل التوبة.

وذكر اليافعي فيه أيضًا قال: بلغنا أن الموتىٰ لا يُعذبون ليلة الجمعة، تشريفًا لهذا الوقت قال: ويُحتملُ ٱختصاص ذلك بعصاة المسلمين دون الكفار، /١٦٥/ وعَمَّم النّسفيُّ في «بحر الكلام»، فقال: إنَّ الكافر يُرفعُ عنه يومَ الجمُعة وليلتها، وجميع شهر رمضان، وأما المسلمُ العاصي، فإنه يُعذب في قبره، لكن ينقطع عنه يوم الجمعة

---

(١) «روض الرياحين» ص١٩٧-١٩٨ . وقد حذر أئمة الدعوة رحمهم الله تعالى من النظر في هذا الكتاب، انظر ص٢٠٤.

وليلتها، ثم لا يعود إليه إلىٰ يوم القيامة، قال: وإن مات ليلة الجمعة أو يومها، يكونُ له العذابُ ساعة واحدة، وضغطة القبر كذلك، ثم ينقطع عنه العذاب، ولا يعود إليه ٱنتهىٰ.

قُلْتُ: وهذا إنما هو مُجردُ زعم لا دليلَ عليه، فيجبُ أن يُطرحَ ولا يصغى له من ذاق شيئًا من حديث الصادق المصدوق، ﷺ، فإنه جزم بأن عذابَ القبر يُرفعُ في جميع شهر رمضان، وقد علمتَ أنَّ الحديث ضعيف، والضعيف لا يبني عليه مثلُ هذا الأصل العظيم، ثم إنه تجازف، فزعمَ أنّ الكافر يُرفعُ عنه العذاب أيضًا، وقد علمتَ مما ذكرنا فيه آنفًا في كلام المحقق، ثم إنه علىٰ ما زعم، لا تُعذبُ عصاةُ المسلمين إلا جمعةً واحدة، هذا علىٰ ما زعم أكثرهُمْ عذابًا، لأنهَّم إذا أتت عليهم ليلة الجمعة، ٱنقطع ذلك عنهم، ثم لا يعودُ وما أحسنَ هذا، لو كان له دليل، يُعولُ عليه، أو مُسَّتندٌ يُستنّدُ إليه، لكن مُجرد الزعم والحدس لا يُثبَتُ به مثل هذا، والله أعلم.

فائدتان:

الأولىٰ: ذكر المحقق، في «بدائع الفوائد»[1] ما نصُّه: نقلت من خط القاضي أبي يعلىٰ في تعاليقه: لابد من ٱنقطاع عذاب القبر لأنه من عذاب الدنيا، والدُّنيا وما فيها منقطع، فلابُدّ أن يلحقهم الفناء والبلاء، ولا يعرف مقدار مدة ذلك.

قال السيوطي[2]: ويؤيد هذا، ما أخرجه هنادٌ في «الزهد»، عن

(١) «بدائع الفوائد» (٣/ ١٠٥) «شرح الصدور» ص٢٤٨ .

(٢) هناد في «الزهد» (٣١٧) «شرح الصدور» ص٢٤٨ .

مُجاهد، للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم يوم القيامة، فإذا صِيح بأهل القُبور يقول الكافر: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: الآية ٥٢]، فيقول المؤمن إلىٰ جنبه: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: الآية ٥٢].

الثانية: قال المحقق في «البدائع»[1] أيضًا: قال جماعةٌ من الناس: إذا ماتت نصرانية في بطنها /١٦٦/ جنين مسلم، نزل ذلك القبر نعيم وعذاب، فالنعيم للابن، والعذابُ للأم، قال: ولا بُعد [في ذلك]، كما لو دُفنَ في قبر واحد مؤمن [وكافر]، فإنه يجتمع في القبر النعيم والعذاب، والله الموفِّقُ للصواب.

فصل

وأمّا ما شُوهد من نعيم القبر وكرامة أهله، فكثير جدًا، وقد تقدم بعض ذلك.

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب «الرقة والبكاء»[2] أن ورّاد العجلي، لمّا مات وحُمل إلىٰ حفرته، نزلوا ليُدلوهُ في حفرته، فإذا اللحدُ مفروشٌ بالريحان، فأخذ بعضهم من ذلك الريحان، فمكث سبعين يومًا طريًا لا يتغير، يغدو الناس ويروحون، ينظرون إليه، فأكثر الناس في ذلك فأخذه الأمير، وفرق الناس خشية الفتنة، ثم فقده الأميرُ من منزله فلمْ يَدرِ أين ذهب[3].

---

(١) (٣/ ١٣) وفيه وما بين القوسين «فيما قالته» «فاجر».

(٢) رقم (٢٧١) «شرح الصدور» ص٢٦٧.

(٣) رواه ابن قدامة المقدسي في «الرقة والبكاء» ص٣٦٨.

ورَوىٰ أبو بكر الخطيب بإسناده عن محمد بن مخلّد الداروردي، قال: ماتت أمي، فنزلتُ ألحدها، فانفرجت لي فرجة عن قبر بلزقها، فإذا رجل عليه أكفان جُدد، وعلىٰ صدره طاقةُ ياسمين طرية، فأخذتها فشممتها، فإذا هي أزكىٰ من المسك، وشمّتها جماعة كانوا معي، ثم رددتها إلىٰ موضعها، وسددت الفرجة.

وذكر ناصر السُنة أبو الفرج بن الجوزي، رحمه الله من طريق جعفر السراج، عن بعض شيوخه، قال: كُشفَ قبرٌ قربَ قبر الإمام أحمد، رضي الله عنه، وإذا علىٰ بدن الميت ريحانة، تهتز.

وذكَر ابن الجوزي أيضًا في «تاريخه»[1]: أنَّ في سنة ست وسبعين ومائتين، انفرج تل [في أرض البصرة] يُعرَفُ بتل [بني] شقيق، عن سبعة أقبر في مثل الحوض، وفيها سبعةُ أنفس أبدانهم صحيحة، وأكفانهم يفوح منها رائحة المسك، أحدهم شاب له جُمة، وعلىٰ شفته بلل، كأنه شرب ماء وكأن عينَيه مكَحّلتان، وبه ضربة في خاصرته، وأراد بعضُ من حضر أن يأخذ من شعره شيئًا، فإذا هو قوي كشعر الحي.

وذكر ابن سعد في «طبقاته»، بإسناده عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه قال: كنت ممن حفر لسعد بن معاذ قبره بالبقيع، وكان

---

(١) «المنتظم» ص(١٢/ ٢٧٣) وما بين القوسين فيه (بنهر الصراة) وبنى زيادة منه.

يَفوحُ علينا المسك / ١٦٧/ كُلّما حفَرنا من قبره تُرابًا حتىٰ ٱنتهينا إلىٰ اللّحد(١).

وبإسناده عن محمد بن شرحبيل بن حَسنة قال: أخذ إنسانٌ قبضةً من تراب قبر سعد، فذهب بها، ثم نظر إليها بعد ذلك فإذا هي مسك(٢).

وروىٰ ابن أبي الدنيا بإسناده، عن يونس بن أبي الفرات قال: حفر رجل قبرًا، فقعد يستظل فيه من الشمس، فجاءت ريح باردة، فأصابت ظهره فإذا نقب صغير، فوسعه بأصبعه، فإذا هو ينظر مد البصر، وإذا شيخ مخضوب، كأنما رفَعت المواشطُ يديْها عنه، وقد بقي منْ أكفانه علىٰ صدره شيء.

وأمّا من شُوهدَ بدنُه طريّا صحيحًا وأكفانه عليه صحيحة، بعد تطاول المدة من غير الأنبياء عليهم الصّلاة والسلام، فكثير جدًا، منها ما ذكره ابن أبي شيبة، عن عروة بن الزبير قال: لما سقط جدارُ بيت النبي ﷺ وعمرُ بنُ عبد العزيز رحمه الله علىٰ المدينة، ٱنكشفَ قدم من القبور التي في البيت، فأصابها شيء فدَميت، ففزع من ذلك عمر بن عبد العزيز فزعًا شديدًا، فدخل عروة البيت فإذا القدم قدم عمر بن الخطاب فقال: لعمر لا تفزع، هي قدم عمر بن الخطاب،

---

(١) الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٤٣١، والسير للذهبي ١/ ٢٨٩ و٢٩٥.

(٢) الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٤٣١، وابن أبي شيبة ٧/ ٣٧٥، وسير أعلام النبلاء ١/ ٢٨٩ و٢٩٥، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١٤٩٤).

فأمر بالجدار فبُني، وردّه[١] علىٰ حاله[٢].

ومنها ما ذكره أبو القاسم البغوي، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: كتب مُعاويةُ إلىٰ عامله بالمدينة، أن يُجري عينًا إلىٰ أُحد، فكتب إليه عامله، إنها لا تجري إلا [علىٰ][٣] قبور الشهداء فكتب إليه أن أنفذها، قال: سمعت جابرًا يقول: فرأيتهم يخرجون علىٰ رقاب الرجال، كأنّهم نُوَّمٌ حتىٰ أصابتْ المسحاةُ قدم حمزة رضي الله عنه، فانبعثت دمًا[٤].

ورَوىٰ الإمامُ مالك، عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة، أنه بلغه أن عمروَ بنَ الجموح، وعبدَ الله بنَ عمرٍو الأنصاري كانا في قبر واحد، وهما ممن ٱستشهد يوم أحد، فحفر السيلُ قبرَهُما فحفر عليهما، ليُغيَّرا من مَكانهما، فوُجدا لم يتغيّرا كأنهما ماتا بالأمس / ١٦٨/ وكان أحدهما قد جُرح، فوضع يده علىٰ جُرحه، فَدُفن وهو هكذا فأشيلتْ يدُه عن جُرحه، ثم أرسلت، فرجعتْ كما كانت، وكان بين أُحد، وبينَ ما حُفر عليهما، ستٌ وأربعون سنة[٥].

---

(١) كذا في (أ)، والمثبت من (ب)، و(ط).

(٢) رواه البخاري بعد حديث (١٣٩٠)، وانظر «شعب الإيمان» (٤١٧٣)، والفتح ٣/ ٢٥٧.

(٣) ليست في (أ) والمثبت من (ب)، و(ط).

(٤) صفة الصفوة ١/ ٣٧٧.

(٥) رواه مالك في «الموطأ» ٢/ ٤٧٠ (١٠٠٥)، وانظر سير أعلام النبلاء ١/ ٢٥٥.

وفي حديث الترمذي[١]، الذي خرّجه عن صُهيب، المرفوع في قصَّة أصحاب الأخدود: أنّ ذلك الغُلام الذي قتله الملك، وآمن الناس كلهم وقالوا: آمنا برب الغُلام، وُجد في زمان عمرَ بن الخطاب، ويدُه علىٰ جُرحه كهيئته حين مات.

وقال ناصر السنة، أبو الفرج بن الجوزي: رحمه الله، إنّ الشريف أبا جعفر بن أبي موسىٰ، قدس الله روحه، لما دُفن إلىٰ جانب قبر الإمام أحمد رضي الله عنه، بعد وفاة الإمام بمائتي سنةٍ رؤىٰ كفن الإمام أحمد رَضِي اللهُ عَنْهُ وهو يتقعقع.

قال: ولَمَا كُشِفَ قبر البربهاري، فاحت ببغداد رائحة طيبة، حتىٰ مَلأتَ المدينة.

---

(١) الترمذي (٣٣٤٠) وقال: هٰذا حديث حسن غريب.

الباب الثالث

فيما ورد من سَماع الموتىٰ كلامَ الأحياء وتلاقيهم، ومعرفتهم بحالهم بعد الموت، وحال أقاربهم في الدنيا، ومحل الأرواح في البرزخ

قد تقدم شيء من الكلام علىٰ هذا الباب، فليُتَفَطن له، ونقول الآن: أمّا سماعُ الموتىٰ كلامَ الأحياء ففي الصحيحين، عن أنس رضي الله عنه عن أبي طلحة، رضي الله عنه، قال: لمّا كان يومُ بدر، وظهر عليهم يعني مشركي قريش، رسول الله ﷺ أمرَ ببضعة وعشرين رجلاً، وفي رواية أربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش، فألقوا في طُوي، أي: في بئر من أطواء بدر، وأن رسول الله ﷺ ناداهم: «**يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبةَ بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعدكم ربُكم حقًا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقا**»، فقال عمر: يا رسول الله، ما تكلمُ مِن أجسادٍ لا أرواح لها؟ فقال: «**والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**». زاد في رواية لمسلم، عن أنس، «**ولكنهم** /١٦٩/ **لا يقدرون أن يُجيبوا**»[1].

---

(١) رواه مسلم (٢٨٧٤)، والإمام أحمد ٣/ ٢١٩-٢٢٠، وأبو داود (٢٦٨١)، وأبو يعلىٰ (٣٣٢٦)، وابن حبان (٤٧٢٢) و(٦٤٩٨)، والبيهقي ٩/ ١٤٧-١٤٨.

وأنكرت عائشة رضي الله عنها ذلك، وقالت: ما قال رسولُ الله ﷺ إنهم ليسمعون الآن ما أقول، إنما قال: «**ليعلمون الآن ما كُنتُ أقول لهم إنه حق**»، ثم قرأتْ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النَّمل: الآية ٨٠] ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾[فَاطِر: الآية ٢٢][1].

قال الحافظُ ابن رجب[2]: وقد وافَق عائشة علىٰ نفي سماع الموتىٰ كلام الأحياء، طائفة من العلماء، ورجّحهُ القاضي أبو يعلىٰ من أكابر أصحابنا في كتابه: «الجامع الكبير»، واحتجوا بما ٱحتجت به وأجابوا عن حديث قليب بدر، بما أجابت به عائشة، وبأنه يجوز أن يكون ذلك، معجزةً مُختصَّةً بالنبيِّ ﷺ، دونَ غيره. وفي صحيح البخاري قال قتادة: أحياهم الله تعالىٰ - يعني: أهل القليب - حتىٰ أسمعهم قوله ﷺ توبيخًا وتصغيرًا، ونقمة وحسرة وندمًا، وذهب طوائفُ من أهل العلم إلىٰ سماع الموتىٰ كلام الأحياء في الجملة.

قال ابن عبد البر[3]: ذهب إلىٰ ذلك جماعة من أهل العلم، وهم الأكثرون، وهُو ٱختيار الطبريّ - يعني: ابن جرير - وغيره، وكذا ذكرهُ ابن قتيبة وغَيره، وهؤلاء يحتجون بحديث القليب، كما سبق، وليس هُوَ وهمٌ ممن رواه، فإن عُمرَ وأبا طلحة وغيرهما، ممن

---

(١) ورد ذَلِكَ في البخاري (١٣٧٠) و(٣٩٧٩) و(٣٩٨٠)، ومسلم (٩٣٢)، وانظر فتح الباري ٣/ ٢٣٤ و٧/ ٣٠٢ و٣٠٤.

(٢) «أهوال القبور» ص١٢٨.

(٣) التمهيد (٢٠/ ٢٤٠).

شهد القصة، حكاهُ عن النبيِّ ﷺ، وعائشة رضي الله عنها، لم تشهد ذلك، وروايتُها عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنهم ليعلمون الآن، ما كنت أقول لهم**»، حقّ تُؤيد روايةَ من روىٰ: «**[إنهم لَيَسْمَعُون]**»، ولا تنافيها؛ فإنَّ الميت إذا جاز أن يعلم، جاز أن يسمع، لأن الموت ينافي العلم، كما ينافي السمع والبصر، فلَو كان مانعًا من البعض، لكان مانعًا من الجميع، وتقدَّمَ حديثُ أُمِّ محجن.

وأمّا قولُ مَن قال: إن ذلك خاصٌ بكلام النبيِّ ﷺ فليس كذلك، فقد ثبت في الصحيحين، أنّ النبيَّ ﷺ قال: « **إنّ / ١٧٠/ العبدَ إذا وُضع في قبره، وتولىٰ عنه أصحابه، إنَّه لَيَسْمَعُ قرعَ نِعالهم** » وتقدم.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النَّمل: الآية ٨٠] وقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فَاطِر: الآية ٢٢]. فإن السَّماع يُطلقُ ويُرادُ به: إدراك الكَلام وفهمُه، ويُرادُ به ٱلانتفاع به، والاستجابة له، والمرادُ بهذه الآيات: نفي الثاني دون الأوّل، فإنها في سياق خطاب الكفار، الذين لا يستجيبون للهدىٰ والإيمان إذا دُعوا إليه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: الآية ١٧٩] الآية.

فنفي السماع والإبصار عنهم، لأنَ الشيء قد يُنفىٰ لانتفاء فائدته وثمرته، فإذا لم ينتفع المرء بما سمعه وأبصره، فكأنه لم يسمع ولم يُبصر، وسماع الموتىٰ بهذه المثابة، وكذلك سماع الكفار لمن دَعاهم إلىٰ الإيمان والهدىٰ، وقول قتادة في أهل القليب أحياهم الله

حتىٰ أسمعهم، يدلُ علىٰ أن الميت لا يسمعُ القول إلاّ بعد إعادة الروح إلىٰ جسده، كما جاء ذلك مُصرَّحًا في حديث البراء بن عازب، عن النبي ﷺ الطويل وتقدم فيه: «**وتُعادُ روُحه إلىٰ جسده**».

وقد رجّح جماعةٌ، أن السؤال، والعذاب والثواب، أعني: النعيم للروح خاصة؛ وعليه الإمام ابن عقيل وأبو الفرج ابن الجوزي[(١)]، في بعض تصانيفهما، واستدل الإمام ابن عقيل بأن أرواح المؤمنين تتنعم في حواصل طيور خضر، وأرواح الكفار في حواصل طيور سود، وهذه الأجساد تبلىٰ، فدلّ ذلك علىٰ أن الأرواح، تعذب وتنعم في أجساد أُخرَ، كذا زعم. وهذا لا حُجة فيه، لأنه لا ينافي ٱتصال الروح ببدنها أحيانًا، مع بقائه واستحالته.

واستدل بعضُ من ذهب إلىٰ هذا القول بما رُوي أنّ ابن عُمر دخل المسجد، وابن الزبير قد قُتل وصُلب، فقيل له: هذه أسماء بنتُ أبي بكر في المسجد، فقال لها ٱصبري، فإن هذه الجثة ليست / ١٧١/ بشيءٍ وإنما الأرواح عند الله فقالت: وما يمنعني من الصبر، وقد أهدي رأُس يَحيىٰ بن زكريا إلىٰ بَغي من بغايا بني إسرائيل[(٢)].

وبما روىٰ ابن أبي الدُنيا: نزل عمرُ بنُ الخطاب إلىٰ جانب قبور قد درستْ، فنظر إلىٰ قبر منها، فإذا جُمجَمة بادية، فأمر رَجُلاً فواراها، ثم قال: إنَّ هذه الأبدانَ ليس يضرها هذا الثرىٰ شيئًا، وإنَّما الأرواح التي تُعاقَبُ وتُثابُ إلىٰ يوم القيامة.

---

(١) «أهوال القبور» ص١٣٣ .

(٢) رواه ابن أبي شيبة ٦/ ٢٠٢ و٣٤٥ و٧/ ٤٧٢.

وروىٰ محمد بن سعدٍ، عن خالد بن مَعدانٍ قال: لمَّا ٱنهزمت الرُّوم يومَ أجنادين، ٱنتَهوا إلىٰ موضع لا يعبره إلا إنسان [إنسان][1]، فَجَعلَتِ الرُّوم تُقاتل عليه، فتقدَّمَ هِشامُ بنُ العاص، فقاتلهم حتىٰ قتل، ووقَعَ علىٰ تلك التلة فسدّها، فلما ٱنتهىٰ المسلمون إليها، هابُوا أن يُوطئوه الخيل، فقال عَمرو بنُ العاص: إنَّ الله قد ٱستشهده ورفع روحه، وإنَّما هُو جُثة، فأوطِئوه الخيلَ، ثم أوطأه هُوَ، وتَبعهُ الناسُ حتَّىٰ قطَّعوه[2].

فأجاب ابن رجب كغيره[3]: إنَّ هذه الآثار لا تدل علىٰ أن الأرواحَ لا تتصلُ بالأبدانِ بَعدَ الموتِ وإنَّما تدلُ علىٰ أن الأجساد لا تتضَّررُ بما ينَالُها من عذابِ النَّاس لها، أو من أكل التراب لها، وهذا حق؛ فإن عذابَ القَبر، ليسَ من جنس عذاب الدُنيا، وإنَّما هو نوعٌ آخرُ يصلُ إلىٰ الميِّت بمشيئة الله عزّ وجلّ وقُدرته، وقولُهم: إن الأرواحَ عند الله تُعاقَبُ وتُثاب، لا ينافي أن تتصل بالبَدَن أحيانًا، فيصل بذلك إلىٰ الجسد نعيمٌ وعذاب.

قال: وقد تُستقلُ الرُّوح أحيانًا بالنعيم والعذاب، إما عند ٱستحالة الجسد، أو قبل ذلك، وأثبتت طائفةٌ النَّعيم والعذاب للجسد من غير ٱتّصال الروح به، ومِمَّن ذكر ذلك من أصحابنا: الإمامُ ابن

---

(١) ليست في (أ) والمثبت من (ب)، و(ط).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات ٤/ ١٩٣ والحاكم في المستدرك ٣/ ٢٦٧.

(٣) «أهوال القبور» ص١٣٤ .

عقيل في كتابَ [الإرشاد][١] وابن الزاغوني وحُكِي عن ابن جرير الطبري، وذكر القاضي أبو يعلىٰ أنَّه ظاهر كلامِ الإمام أحمد رضي الله عنه فإنَّه قال في رواية: خَيل أرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكفار في النار، والأبدان في الدنيا، يعذب الله من يشاء، ويرحم من يشاء بعفوه.

قال القاضي: / ١٧٢/ دلّ هذا علىٰ أن الأرواحَ تُعذَّب، وتُنَعَّم علىٰ ٱلانفراد، وكذلك الأبدان إن كانت باقية، أو إلىٰ الأجزاء التي ٱستحالت. قال: ولا مانع أن يُخْلَق في الأبدان إدراك تحس به النعيم والعذاب، كما خلق في الجبل لما تجلَّىٰ لَهُ ربُّه، ثم جعله دكّا.

وقال ابنه القاضي أبو الحسين: وَلأَنَّهُ لما لَم يستحل نطق الذِّراع المسمومة، لم يستحلْ عذابُ الجسد البالي، واتصال العذاب إليه، بقدرة الله تعالىٰ.

قال الحافظ ابن رَجب[٢]: وقد يُستَدلُ لهذا أيضًا، بأن عُمَر قال للنبي ﷺ يوم كلّم أهل القَليب، كيف تُكلّم أجسادًا لا أرواح فيها؟ فلم ينكر النبي ﷺ ذلك، وإنَّما قال: ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم، فدلّ علىٰ أنَّ سماعهم حصل علىٰ أجساد[٣] لا أرواحَ فيها، وقد دلّ القُرآن علىٰ سجود الجمادات، وتسبيحها لله عز وجل وخشوعها له،

---

(١) سقطت من (أ) واستدركناها من (ب)، و(ط).

(٢) «أهوال القبور» ص١٣٥ . (٣) في الأصل (أجسادهم).

فدل علىٰ أنَّ فيها حياة تحسها، وإدراكًا فلا يُمْنَعُ مثل ذلك في جسد ابن آدم بعد مفارقة الرُّوح له. والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.

قال الحافظ: ويدل علىٰ ذلك، ما أخبرَ الله من شهادة الجُلود والأعضاء يومَ القيامة، وما رُويَ عن ابن عباس، رضي الله عنهما، في ٱختصام الروح والجسد يومَ القيامة، فإنَّه يَدلُّ علىٰ أن الجسد يُخاصِم الروح ويكلمها وتكلمه، قال: ومما يدل علىٰ وقوع العذاب علىٰ الأجساد؛ الأحاديث الكثيرة في تضييق القبر علىٰ الميّت حتىٰ تختلف أضلاعه، ولأنَّه لو كان العذاب علىٰ الروح خاصة لم يختص العذاب بالقبر، ولم يُنسب إليه. ٱنتهىٰ.

والمعروف أن العذاب والنعيم علىٰ الأرواح والأجساد، وأن الأرواح لها نوع ٱتِّصال بالجسد، وبسبب ذلك يتألم الجسد ويتنعم والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.

فصل

وأما تلاقي الأرواح في البرزخ، فقد رَوىٰ مسلم بن إبراهيمَ الوراق من حديث أبي قتادة مرفوعًا «**إذا وَلي أحدكم أخاه فليحسن كفنه، فإنهم يتزاورون / ١٧٣/ في قَبورهم**» [وخرّجه الترمذي، وابن ماجه غير أنهما لم يذكرا «أنهم يتزاورون في قبورهم»، وخرّجه محمدُ بنُ يحيىٰ الهمداني، في صحيحه بهذه الزيادة[١].

ورُويَ عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «**أحسنوا كفانةَ موتاكم، فإنَّهم يتباهون، ويتزاورونَ في قُبُورهم**»[٢].

ذكره الحافظُ ابن رجب في «أهوال القبور» بصيغة التمريض، ولفظُه: يُروىٰ من حديث محمد بن مصفىٰ، ثنا معاوية، عن أبي الزُبَيْر عن جابر، عن النبي ﷺ، فذكره.

وخرَّجَ ابن أبي الدُّنيا عن راشد بن سَعْدٍ أنَّ رَجلا تُوفِّيت ٱمرأتُه، فرأىٰ نساءً في المنام، ولم يرَ ٱمرأته معهنّ فسألهُنَّ عنها، فقُلْن إنكم قَصَّرْ تُم في كفنها، فهي تستحي أن تخرُج معنا، فأتىٰ الرجل النَّبيّ ﷺ،

---

(١) رواه ابن ماجه (١٤٧٤)، والترمذي (٩٩٥) بلفظ «إذا وَلي أحدكُم أخاه فليحسن كفنهُ» قال الترمذي: حديث حسن غريب.
ولهذه الفقرة شاهد من حديث جابر رواه أحمد ٣/ ٢٢٩ و٣٤٩ و٣٧٢، وأبو داود (٣١٤٨)، والنسائي ٤/ ٣٣ و٨٢، وابن حبان (٣٠٣٤).

(٢) «الفردوس» (٣١٧) من حديث جابر وعزاه في الديباج ٣/ ٢٧ للحارث بن أبي أسامة وعزاه في كشف الخفا ١/ ١٠٢ للحارث وابن منيع.

فأخبره فقال ﷺ: «**انظر هل إلىٰ ثقة من سبيل**» قال: فأتىٰ رجلاً من الأنصار قد حضرته الوفاة، فأخبَرَهُ، فقالَ الأنصاريُّ: إن كان أحدٌ يُبلِّغُ الموتىٰ بلَّغتُ، قال: فَتُوفِّيَ الأنصاري فجاء بثوبين مثرودين بالزعفران، فجعلهما في كفن الأنصاريّ، فلما كانَ اللَّيلُ، رأىٰ النسوة معهن ٱمرأته، وعليهن الثوبان الأصفران[1].

قال الجلالُ السُيوطي: هذا مُرسل، لا بأسَ بإسناده[2].

وذكر ناصرُ السُنَّة ابن الجوزي في «**عُيُونِ الحكايات**» بسنده عن محمد بن يوسف الفريابي قال: كانت ٱمرأة بقيسارية، فتُوفيِّتْ فرأتها بنتُها في المنام فقالت: يا بُنيّة: كفَّنتموني بكفنٍ ضَيّق وأنا بين صواحباتي، أستحي منهن، وفلانة تأتينا في يوم كذا وكذا، ولي في موضع كذا أربعة دنانير، فاشتروا بها كفنا، وابعثوا به إليّ مَعها قالت البنت: ولم أعلم أنَّ لها في الموضع الذي ذكَرتْهُ دنانير قالت: فنظرت فإذا الدنانير كما ذكرت، لم يكن بالمرأة التي ذكرت بأس، فلما كان بعد ٱعتلّت، قال الفريابي: فجاءوني فقالوا: يا عبد الله: ما تقول؟ فقصُّوا عليَّ القصة فذكرت الحديث الذي ورد أنهم يتزاورون في أكفانهم، فقلت: ٱشتروا لها كفنًا، وذهبتِ / ١٧٤/ البنتُ إلىٰ المرأة فقَالَتْ: إنْ حَدث بك حادثة الموت فإني أبعثُ إلىٰ أمي بشيء تبلغيه،

---

(١) المنامات: ١٠٦ (١٦١).

(٢) انظر: «شرح الصدور» ٢٦٢-٢٦٣

فماتت في اليوم الذي ذكرَتْ ووضَعُوا الكفنَ معَها في كفنها، فرأت البنتُ أمَّها في المنام فقالت: يا بُنيَّة قد أتتنا فلانة، ووصل إليّ الكفَن ما أحسنه جزاكِ اللهُ خيرا، وذكره الحافظُ ابن رجَب بنحوه[١].

وقد أخرَجَ الإمام أحمد وغيره من طريق أبي لهيعة، عن أبي الأسود عن دُرَّةَ بنتِ مُعَاذ، عن أُمّ هانيء الأنصاريَّة، أنَّها سألت رسولَ الله ﷺ أنتزاور إذا مِتنا، ويَرىٰ بعضُنا بعضا؟ فقال ﷺ: **«يكونُ النسم طيرًا يعلقُ بالشَّجر حتىٰ إذا كانَ يومُ القيامة، دخلت كُل نفس في جسدها»**[٢].

(١) انظر: «أهوال القبور» ١٢٢-١٢٣ .

(٢) رواه الإمام أحمد ٦/ ٤٢٤، انظر ص٣٤٦.

فصل

وأمّا معرفة الموتىٰ بمن يزورهم ويُسَلّم عليهم، فأخرج ابن أبي الدنيا عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما من رجل يزور قبر أخيه ويَجلسُ عنده إلا اَستأنس به ورَدّ عليه حتىٰ يقوم**»(١).

وأخرج من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: إذا مَرّ الرجل بقبر يعرفه، فسلم عليه ردّ عليه السلام، وعرَفه، وإذا مَرّ بقبر لا يعرفه، فسلم عليه ردّ عليه السلام(٢).

وأخرج ابن عبد البر عَن ابن عباسٍ مَرفوعًا: «**مَا من أحد يمرُّ بقبر أخيه المؤمنِ كان يعرفه في الدنيا يسلم عليه إلاَّ عرفه وردّ عليه السلام**»(٣).

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «القبور» كما في ترجمة عبد الله بن سمعان في لسان الميزان ٣/ ٢٩٧ وهو ضعيف.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا كما في تفسير ابن كثير ٣/ ٤٣٩ قوله تعالىٰ ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الرُّوم: الآية ٥٢] ، ومن طريقه البيهقي في الشعب (٩٢٩٦). ورواه ابن حبان في «المجروحين» ٢/ ٥٨، وابن جميع في «معجمه» (٣٣٣)، والخطيب في «تاريخه» ٦/ ١٣٧، ومن طريقه الذهبي في «الميزان» ٤/ ٢٨٤، وأورده ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٥٢٣)، وإسناده ضعيف.

(٣) لم أقف علىٰ هذا اللفظ إلا من حديث أبي هريرة السابق.

قال عبد الحق الإشبيلي[١]: إسنادُهُ صحيح. وتعقّبه الحافظُ ابن رجب بأنه ضعيف، بل مُنكر[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ، أنه وقف علىٰ مُصعب بن عُميرٍ، حين رَجع من أحد فوقف عليه، وعلىٰ أصحابه فقال: «**أشهد أنكُمْ أحياء عند الله فزوروهم، وسلموا عليهم، فوالذي نفسي بيده، لا يُسلم عليهم أحدٌ إلا رَدّوا عليه إلىٰ يوم القيامة**»[٣]. رواه البيهقي والحاكم وصححه /١٧٥/ وغيرهما.

وأخرجَ مسلم في صحيحه، كان رسول الله ﷺ يعلمهم، إذا خَرجوا إلىٰ المقابر أن يقول قائلهم: «**السلام عليكم أهلَ الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، نسألُ الله لنا ولكم العافية**»[٤].

وفي حديث آخر: «**ويرحم الله المستقدمين منكم، والمستأخرين**»[٥]. رواه الإمام أحمد. وفي آخر: «**اللهم لا تحرمنا**

---

(١) ذكره عبد الحق في «العاقبة في ذكر الموت والآخرة» ص٢١١، وسكت عنه.

(٢) انظر: «أهوال القبور» ١٣٦، وقال: غريب بل منكر.

(٣) أورده الهيثمي ٣/ ٦٠ من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُما وقال: رواه الطبراني في «الكبير» وفيه أبو بلال الأشعري، ضعفه الدارقطني.

(٤) رواه مسلم (٩٧٥)، وأحمد ٥/ ٣٥٣ و٣٥٩، وابن ماجه (١٥٤٧)، وابن حبان (٣١٧٣)، والبيهقي ٤/ ٧٩ من حديث بريدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٥) رواه من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مطولاً الإمام أحمد ٦/ ٢٢١، ومسلم (٩٧٤).

أجرهم ولا تفتنا بعدهم»[1] ويحسن أن يزيد «**واغفر لنا ولهم**».

قال شيخ الإسلام في «**فتاويه**»: ٱلاستثناء - يعني: في قوله ﷺ: «**وإنا إن شاء اللهُ بكم للاحقون**» - لأجل بقاء الإيمان، فكأنه قال: نموتُ إن شاء الله مُؤمنين، أو لأجل بيان تعليق كل الحوادث بمشيئة الله، تفويضًا وتوكلاً واستعانَة، أو لأجل اللحاق بأولئك المخاطبين ٱنتهىٰ أو للتبرك كما قاله جماعة من الفقهاء.

وخرّجَ ابن أبي الدنيا في كتاب «من عاش بعد الموت» من رواية عطاء بن خالد حدثتني خالتي قالت: ركبتُ يومًا إلىٰ قبور الشهداء، فنزلتُ عند قبر حمزة رضي الله عنه، وما في الوادي داعٍ ولا مُجيب يتحركُ إلاّ غلامًا قائمًا أخذ برأس دابّتي، فَلمَّا فرغت من صلاتي قلت: هكذا بيدي السلام عليكم، فسمعتُ ردّ السّلام عليّ، يخرجُ من تحت الأرض أعرفه، كما أعرف أن الله خلقني وكما أعرف الليل من النَّهار، فاقشعرَّتْ كُل شعرة منّي[2].

وفي صحيح مُسلم عن عَمرو بن العاص، رضي الله عنه، لمَّا حضره الموت قال في وصيته: إذا دفنتموني فشنُّوا علّي التراب شنًّا، ثم أقيموا حول قبري قدْرَ ما يُنحُر جزور ويقسَّمُ لحمُها، حتَّىٰ أستأنسَ

(١) رواه أحمد ٦/ ٧١، وابن ماجه (١٥٤٦)، والنسائي ٧/ ٧٥ من حديث عائشة رَضِي اللهُ عَنْهُا.

(٢) «منَ عاش بعد الموت» (٤١).

بكمْ وأنظرَ ماذا أراجع به رسلُ ربي[(١)].

قال الحافظ ابن رجب[(٢)]: وخرَّج ابن أبي الدنيا بإسناد صحيح عن أبي التياح قال: كان مُطرف يبدو فإذا كان يومُ الجمعة أدلج، قال: فأقبل حتىٰ إذا كان عند المقابر هوم علىٰ فرسه، فرأىٰ كأن أهل القبور، كل صاحب قبر جالسٌ /١٧٦/ علىٰ قبره فقالوا: هذا مُطرفُ يأتي الجمعة قلت: أتعلمون عندكم يومَ الجمعة قالوا: نعم ونَعلم ما تقول فيه الطيرُ، قلت ما تقول الطير؟ قال: تقول سلامٌ سلامٌ يوم صالح.

قال ابن أبي الدنيا: وحدثني إبراهيم بن بشار الكوفي، قال: حدَّثني الفَضيلُ بنُ موفق قال: كنتُ آتي قَبر أبي كثيرًا فشهدتُ جِنازة، فلما قُبر صاحبها تعجلتُ لحاجَة، ولم آت إلىٰ قبر أبي قال: فرأيتُه في النوم، فقال: يا بُني لِمَ لَمْ تأتني؟ قلتُ: يا أبت، وإنك لتعلم بي قال: أي والله، إنك لتأتيني، فما أزال أنظرُ إليك من حين تطلع من القنطرة حتىٰ تقعد إليّ وتقوم من عندي، فما أزالُ أنظر إليك مولّيا، حتىٰ تجوز القنطرة[(٣)].

قال ابن أبي الدُنيا: قال الفضيل بن مُوفق ابن خال سفيان بن عيينة: لما مات أبي جزعت عليه جزعًا شديدًا، فكنتُ آتي قبره كل

---

(١) رواه مسلم (١٢١)، وابن منده في الإيمان (٢٧٠).

(٢) أهوال القبور ص١٤١.

(٣) انظر: ملحق كتاب القبور ٢١٠ (١٧).

يوم، ثم إني قصرتُ عن ذلك ما شاء الله، ثم إني أتيته يومًا، فبينا أنا جالس عند القبر غلبتني عيناي فنمت، فرأيت كأنّ قبر أبي ٱنفرج، وكأنّه قاعد في قبره متوشحًا أكفانه، عليه سحنة الموتىٰ، قال: فبكيتُ لما رأيته فقال: يا بني ما أبطأ بك عنّي قال: قلتُ وإنك لتعلمُ بمجيئي، قال: ما جئتَ من مرّة إلا علمتها، وقد كنتَ تأتيني فأُسَرّ بك ويسرّ من حولي بدعائك، قال: فكنُتُ بعدُ آتيه كثيرًا(١).

وأخرج ابن أبي الدنيا أيضًا عن عثمانَ بن سودة الطفاوي، وكانت أمّهُ مِن العابدات، وكانَ يُقالُ لها راهبة، فماتت قال: فكنت كثيرًا آتيها كل جمعة، فأدعو لها وأستغفر لها، ولأهل القبور قال: فرأيتُها ذات ليلة في منامي، فقلت لها: يا أمَّه فكيفَ أنتِ؟ فقالت: يا بُنيّ إنّ الموتَ لكربه شديد، وأنا بحمد الله تعالىٰ في برزخ محمود، يُفرش فيه الريحان، ويوسد فيه السندسُ والاستبرق إلىٰ يوم النشور، فقلت: ألكِ حاجة؟ قالت: نعم. قلت: وما هي؟ قالت/ ١٧٧/ : لا تَدَع ما تصنعُ من زيارتنا والدعاء لنا، فإني لأُبشر بمجيئك يومَ الجمعة إذا أقبلتَ من أهلك فيُقال: يا راهبة ابنك قد أقبل فأسرّ بذلك، ويُسرُّ من حولي من الأموات(٢).

وأخرج الحافظ ابن رجب، عن الأسد بن مُوسىٰ قال: كان لي صديق فمات، فرأيتُه في النوم، وهو يقول لي: سبحان الله جئت إلىٰ قبر فلان صديقك، قرأت عنده وترحّمت عليه، وأنا ما جئت إلي ولا

(١) انظر: ملحق كتاب القبور ٢٠٤ - ٢٠٥ (٧).

(٢) السابق ٢٠٥ (٨).

قربتني، فقلت له: وما يدريك؟ قال: لمّا جئتَ إلىٰ قبر صديقك، رأيتك، قلت: كيف رأيتنىٰ والتراب عليك؟ قال: ما رأيت الماء إذا كان في الزجاج؟ أما يتبيّن؟ قلتُ: بلىٰ، قال: كذلك نحنُ نرىٰ من يزورنا(١).

تنبيه: قال الحافظ ابن رجب: قد ذكرنا فيما تقدم من كلام الموتىٰ، ورد السلام عليهم، يعني ما ذكرنا قال: ولا يُنافي ذلك قوله ﷺ: «**ولا يستطيعون أن يجيبوا**»؛ لأن المرادَ نفيُ الإجابة المعهودة التي يسمعها الأحياء، وقد ثبت تكلم الموتىٰ، كما في «**صحيح البخاري**»، عن أبي سعيد مرفوعًا: «**إذا وُضعَت الجنازةُ واحتملها الرجالُ علىٰ أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدّموني..**»(٢) الحديث. وتقدم.

قُلْتُ: قد يُقال إنّ ردَّ السلام وعدمَه، يختلف باختلاف الأشخاص.

وقد ذكر في «الروح»، عن مالك بن دينار قال: رأيتُ مسلمَ بنَ يسار بعد موته، فسلمت عليه فلم يردّ عليّ السلام، فقلت: ما يمنعك أن تردّ عليّ السّلام؟ قال: أنا ميتُ فكيف أردّ عليك السلام؟ فقلت:

---

(١) أهوال القبور ص١٤٢.

(٢) أخرجه البخاري (١٣١٤) و(١٣١٦) و(١٣٨٠)، والإمام أحمد ٣/ ٤١ و٥٨، والنسائي ٤/ ٤١، وأبو يعلىٰ (١٢٦٥)، وابن حبان (٣٠٣٨) و(٣٠٣٩)، والبيهقي ٤/ ٢١-٢٢.

ماذا لقيتَ بعد الموت؟ قال: لقيتُ والله أهوالاً وزلازل[1] عظامًا شدادًا. قال: قلتُ فما كان بعد ذا؟ قال: وما تراه يكونُ من الكريم؟ قَبِلَ مِنّا الحسناتِ، وعَفَىٰ لنا عن السّيّئات، وضمن عنا التّبعات، قال: ثم شهق مالك شهقة خرّ مغشيّا عليه، فلبث بعد ذلك أيامًا مريضًا ثم ٱنصدع قلبه، فمات، رحمة الله عليه.

---

(١) في (أ) «وزلزالاً» والمثبت من (ب)، و(ط).

فصل

وأمّا /١٧٨/ معرفة الموتىٰ بحالهم في الدنيا قبل الدفن، ومعرفتهم في قبورهم بحال أهلهم وأقاربهم في الدنيا. فأخرج الإمام أحمد، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الميت يَعرف من يغسله ومن يحمله، ومن يدلّيه في قبره**». فقال ابن عمر وهو في المجلس - يعني: لأبي سعيد -: ممّن سمعتَ هذا؟ فقال أبو سعيد: من رسول الله ﷺ[1].

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبيّ ﷺ قال: «**لا تفضحوا أمواتكم بسيّئات أعمالكم، فإنها تعرض علىٰ أوليائكم من أهل القبور**»[2][3].

وأخرج الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه، مرفوعًا: «**إنّ أعمالكم تعرض علىٰ أقاربكم وعشائركم من الأموات، فإن كانت[4] خيرًا ٱستبشروا، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تُمتهم حتَّى تهديهم، كما هديتنا**»[5].

---

(١) رواه أحمد ٣/ ٣ و٦٢، والخطيب ١٢/ ٢١٢، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» ١/ ٢٠٨. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٣/ ٢١ وقال: رواه أحمد والطبراني في الأوسط وفيه رجل لم أجد من ترجمه.

(٢) أورده في الفردوس (٧٣٥٧)، وعزاه في كشف الخفا ٢/ ٤٨١ لابن أبي الدنيا والمحاملي بسند ضعيف.

(٣) انظر: «المنامات» ١٩-٢٠ (٢).

(٤) كذا في (أ) والمثبت في (ب)، و(ط) «كان».

(٥) رواه أحمد ٣/ ١٦٤-١٦٥، وفي إسناده مجهول. وانظر «الضعيفة» للألباني (٨٦٣).

وأخرجه أبو داود، من حديث جابر بن عبد الله، غير أنه قال: «**حتىٰ تهديهم كما هديتنا، وألهمهم أن يَعملوا بطاعتك**»[(١)].

وأخرج ابن أبي الدنيا من حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**إنه لم يبقَ من الدنيا إلاّ مثلُ الذباب تَمورُ في جَوّها، فالله الله في إخوانكم من أهل القبور، فإن أعمالكم تعرض عليهم**»[(٢)].

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي الدرداء أنه قال: إن أعمالكم تُعرضُ علىٰ موتاكم، فيُسرون ويساءون، فكان أبو الدرداء يقول عند ذلك: اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً أخزَى عند عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، وفي لفظ اللهم إني أعوذ بك أن يَمقتني خالي عبد الله بن رواحة إذا لقيتُه، يقول ذلك في سجوده[(٣)].

ودخل عباد علىٰ إبراهيم بن صالح، وهو أمير علىٰ فلسطين، فقال له: عِظني، قال: ما أعظك أصلحك الله، بلغني أن أعمال

---

(١) رواه الطيالسي في «مسنده» ١/ ٣٤٠ (١٩٠٣) وفي إسناده متروك. وفي الباب أيضا حديث النعمان بن بشير. رواه الحاكم ٤/٣٠٧. وحديث أبي أيوب أخرجه الطبراني في الكبير (٣٨٨٧) و(٣٨٨٨)، وابن عدي في «الكامل» ٣/ ١١٤٨ وكلها أسانيد ضعيفة جدًا.

(٢) رواه الحاكم ٤/ ٣٤٢، والبيهقي في «الشعب» (١٠٢٤٢)، وفي إسناده مالك بن أدّا مجهول كما في «الجرح والتعديل» ٩/ ٣٣٦.

(٣) رواه نعيم بن حماد في «زوائده» علىٰ «الزهد» لابن المبارك (١٦٥)، ونعيم ضعيف.

الأحياء تُعرض علىٰ أقاربهم من الموتىٰ، فانظر ماذا تعرضُ علىٰ رسول الله ﷺ ابن عمك قال: فبكىٰ إبراهيم حتىٰ سالت دموعه علىٰ لحيته /١٧٩/ ومِمّا ينبغي أن يتفطّنَ له أنه جاء أنَّ أعمال الأمَّة كُلّها تُعرضُ علىٰ رسول الله ﷺ لأنه ﷺ لأمُّته بمنزلة الوالد، بل أولىٰ ولقد سمعتُ أستاذِي الشيخ عبد القادر التغلبي، قدَّسَ الله روحه يقول: شيخُ المرءِ أولىٰ من أبيه؛ لأنَّ أبَ الإنسان يُربّيه حتىٰ يبلغ أشدّه، ويَدَعُه فيكون جُلُّ تربيته له من جهة ما يتعلقُ بأمُور الدنيا، وأمّا الشيخ فإنه يرشدُه لمعرفة ما يجب عليه وما يُسن وما يُكره، وما يُحرم وما يُباح ويدلّه علىٰ رَبِّه، ويعلّمه كلّ ما يحتاج إليه من أمر آخرته، ويعرّفه ما يجبُ لِلّه، وما يجوز وما يستحيل، وكذلك لنبيّه، أو نحو ذلك رضي الله عنه وجزاه الله عنا خيرا.

وممَّا يدلّ لما ذكرنا مِن أنّ أعمالَ الأمّة، تُعرض علىٰ النبي ﷺ ما أخرجه البزار في مُسنده، عن عبد الله رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام**».

وقال ﷺ: «**حياتي خيرٌ لكم تُحدثون ويُحدث لكم، ومماتي خير لكم تُعرضُ عليّ أعمالُكم فما رأيتُ مِن خير؛ حمدتُ اللهَ عليه، وما رأيتُ من شرٍ اَستغفرتُ الله لكم**»(١).

(١) رواه البراز في «البحر الزخار» (١٩٢٥) بتمامه.

ورواه الحارث بالفقرة الثانية «بغية الباحث» (٩٥٣)، وابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٩٤، وأروده بتمامه الهيثمي ٩/ ٢٤ وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

=

وأخرج ابن أبي الدُنيا، عن محمد بن الحسين، عن خالد بن عمرو القرشي: حدثني صدقة بن سليمان الجعفري، قال: سرتُ سيرة سَمجة فماتَ أبي فأُنبئْتُ وندمت علىٰ ما فرطتُ، قال: ثم زَللتُ أيضًا[1] زلَّة، فرأيت أبي في المنام فقال: أي بُني ما كان أشد فَرحي بك، وأعمالك تعرض علي، فنشبهها بأعمال الصالحين، فلمّا كانت هذه المرة، ٱستحيت حياء شديدًا، فلا تُخزني فيمن حَولي من الأموات، قال خالد: فكانَ بعد ذلك قد خشعَ ونسك فكنتُ أسمعه يقول في دعائه في السحر، وكان لنا جارًا بالكوفة: أسألك إنابةً لا رجوع فيها ولا حور، يا مُصلح الصالحين ومهدي / ١٨٠/ الضالّين [وراحم المذنبين][2].

تنبيهان: الأوّل: إذا كانَ الإنسانُ يستحي من أهله وأقاربه أن تُعرضَ عليهم أعماله السّيّئة، فما بالُه لا يستحي من الذي خلقه من عدم، وعلمه الأخبار والحكم، وجعل له العقل والفكر، وخلق له السمع والبصر، وهو سبحانه وتعالىٰ من غير شك مطلع علىٰ جميع أعماله الظاهرة والباطنة، لا ريب أن الله أحق أن يُستحىٰ منه.

الثاني: قد ورد أن أبانا آدم تُعرض عليه أعمالُ ذريته، وأنُه يفرحُ

= وهو في «مسند الفردوس» (٦٨٦) من حديث أبي هريرة رَضِي اللهُ عَنْهُ.
ومن حديث أنس رواه ابن عدي في «الكامل» ٣/ ٧٦ (ترجمة خراش بن عبد الله) وهو متهم بالوضع.

(١) في «كتب القبور»: أيما.

(٢) انظر: «القبور» ص٢٠٦-٢٠٧.

لصالحها ويغتم لسيّئها، فينبغي لكل ذي لُبّ أن لا يسوء أباهُ بأعماله الخبيثة.

وفي الحديث: أنّ النبي ﷺ، تُعرض عليه صلاة أمّته يومَ الجمعة، ذكره الحافظ ابن رجَب[١] من حديث أوس، وأبي الدّرداء وأبي هريرة، وأبي مسعود، وأبي أمامة وأنس، وغيرهم. قال: وأشهرها حديثُ أوس بن أوس[٢].

قال: وأمَّا قوله ﷺ: «**حياتي خيرٌ لكم**» إلىٰ آخره فقد رواهُ حمَّادُ بن زيد، عن غالب بن بكر المزني مرسلاً[٣].

وَروىٰ ابن أبي الدنيا في «كتاب الأولياء»، بإسناده عن عبيد بن سعد، عن أبي أيوب الأنصاري قال: غزونا حتىٰ ٱنتهينا إلىٰ القسطنطينية، فإذا قاصٌّ يقول: مَن عَمل صالحًا من أوّل النهار، عُرض علىٰ أقاربه ومعارفه إذا أمسىٰ مِن أهل الآخرة، فقال أبو أيوب: ٱنظر أيها القاص: ما تقول؟ فقال: والله إن ذلك لكذلك. فقال: اللهُم لا تفضحني عند عُبادة بن الصامت، ولا عند سعد بن عبادة، فيما عملت [بعدهما][٤] فقال القاص: واللهِ ما كتب اللهُ ولايته لعبد إلا ستر الله عورته، وأثنىٰ عليه بأحسن عمله[٥].

---

(١) «أهوال القبور» ص١٤٩ . (٢) كتاب «أهوال القبور» ص١٤٩ .

(٣) انظر المصدر السابق، انظر ص٣٠٨ ت(١).

(٤) ليست في (أ) وهي في (ب)، و(ط).

(٥) «كتاب الأولياء» ١/ ٢١ .

ورَوىٰ في كتاب «الموتىٰ» بإسناده عن مجاهد إن الرجل ليُسرّ بصَلاح ولده في قبره[١].

وقد سبق في صدر الكتاب[٢]، أن مصعبَ بن جثامة وعوف بن مالك، كانا متآخين وإن مصعبًا قال لعوف: أي أخي أيّنا مات قبل صاحبه فليتراءىٰ له قال: أو يكون / ١٨١/ ذلك؟ قال: نعم، فمات مُصعَبُ فرآهُ عوفٌ، فيما يرىٰ النائم الخبر بتمامه تقدم.

قال الحافظ ابن رجب: وقد رُويت هذه القصّة علىٰ وجهٍ آخر، قال: وهُو أشبهُ فَرَوىٰ ابن المبارك في كتاب «الزهد»[٣]، عن أبي بكر ابن مَريم، عن عطيّة بن قيس، عن عوف بن مالك الأشجعي، أنه كانّ مُؤاخيًا لرجل من قيس، يُقالُ لهُ مُحكم، ثم إنَّ مُحكمًا حضَرته الوفاة، فأقبل عليه عوف فقال له: يا محكم: إذا أنت وردت فارجع إلينا، فأخبرنا بالذي صنع بك، قال محكم: إن كان ذلك يكون لمثلي فعلت، فقبض محكم، ثم ثوىٰ عوف بعده عاما، فرآه في المنام فقال له: يا محكم ما صَنعت وما صُنع بك؟ فقال له: وُفّينّا أجورنا، قال: كلكم؟ قال: كُلنّا إلاَّ خواصًا هلكوا في السر، الذين يشار إليهم بالأصابع، واللهِ لقد وُفّيتُ أجري كُلَّه، حتىٰ وفيتُ أجرَ هرّة ضَلّت لأهلي قبل وفاتي بليلة فأصبح عوف فغدا علىٰ أمرأة مُحكم، فلما دَخل قالت: مرحبًا زورَ مُصعب بعد مُحكم، فقال عوف: هل رأيت محكمًا منذ مات؟ قالت: نعم، رأيتُه البارحة، ونازعني ابنتي ليذهب بها، فأخبرها عوف بالذي رأىٰ، وما ذكر من الهرة التي ضلّت، فقالت: لا علم لي

(١) «المنامات» ص٢٩، رقم (١٦). (٢) ص١٣٣.
(٣) «الزهد» ص٢٨٦ (٨٣٠).

بذلك، خدمي أعلم بذلك فدعت خدمها، فسألتهم فأخبروها أنها ضلّت لهم هرّة قبل موت محكم بليلة قال الحافظ: ومحكم هو ابن جثامة أخو المصعب قلت: والتعدّد ممكن[١]، والله أعلم.

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن أبي بكر بن عياش، عن حَفّار، كان في بني أسد قال الحفار: كنتُ أنا وشريك لي نتحارس في مقبرة بني أسد، قال: فإني لليلة في المقابر إذ سمعتُ قائلاً يقول: مَنْ قُبِرَ يا عبد الله؟ قال: مالك يا جابر، قال: غدًا تأتينا أمُّنا، قال: وما ينفعها؟ لا تصلُ إلينا إذ أبي قد غضب عليها، وحلف أن لا يُصَلي عليها قال: فجعلا يكرران ذلك مرارًا /١٨٢/ فجئتُ بشريكي، فجعل يَسمعُ الصّوتَ ولا يفهم الكلام، فلقّنته إياه ثم تفهَّمَ ففهمه، فلما كان من الغد جاءني رجل فقال: احفر في ههنا قَبرًا[٢] بين القبرين اللذين سمعت منهما الكلام، فقلتُ: اسم هذا جابر، واسم هذا عبد الله، قال: نعم، فأخبرته بما سمعت، فقال: نعم قد كنتُ حلفْتُ أن لا أصلي عليها، لا جرمَ لأكفرّن عن يمين، ولأصلّيَنَّ عليها، ولأترحَمَنَّ عليها، قال: ثم مرّ بي بعد، وبيده عكاز وإداوة فقال: إني أريدُ الحج لمكان يميني تلك.

---

(١) ورد في هامش الأصل هذا الكلام:
قلت: بل يتعين حمل القصة علىٰ التعدد؛ لأن كلا الحكايتين محفوظ فإن الإمام المحقق قال في قصة مصعب: صح عن حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب فذكر الحكاية وأثبتها كما أسلفناه. والله أعلم.

(٢) في (أ) «قبل» والمثبت من (ب).

وقال ناصرُ السنة ابن الجوزي، قدَّس الله روحه: حدثني الشيخ أبو الحسن البرّادنسي عن بعض العدول، أن رَجلا رأىٰ في منامه قاضي القضاة: أبا الحسن الزَينبيّ فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي وأنشد:

وإنّ امرأً ينجو من النار بعدما تزوَّد من أعمالها لسعيدُ

ثم قال: قلْ لِفلان وفلان - رجلان كانا وصيين له - لِمَ تُضيّقُونَ صدرَ فُلانة وفلانة؟ فسمَّىٰ ثلاث سراري كُنَّ له، قال: ولم أسمع بأسمائهن إلا في هذا المنام، فلقي الرجل الوصيين، فذكر لهما ذلك فقالا: سبحان الله! والله لقد كُنَّا البارحة في المسجد نتحدث في التَّضْييق عليهن

قال الإمام المحقق في «الروح»: قال سعيد بن المسيب: التقىٰ عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، رضي الله عنهما، فقال أحدهما للآخر: إن مت قبلي فأخبرني ما لقِيتَ من ربك، وأنا إن مت قبلك، لقيتك فأخبرتك، فقال الآخر: وهل تلتقي الأمواتُ والأحياء؟ قال: نعم أرواحهم في الجنّةِ تذهبُ حيث شاءت، قال: فماتَ فلان فلقيه في المنام، فقال: توكل وأبشر فلم أر مثل التوكل قط[1].

وقال العباسُ عمُّ رسول الله ﷺ ورضي عن العباس، كنُتُ

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» ص١٤٤ من طريق سعيد بن المسيب، به. ورواه أبو نعيم في «الحلية» ١/ ٢٠٥ من طريق المغيرة بن عبد الرحمن، فذكره. وصورة الروايتين الإرسال. وسيأتي رد لهٰذه القصة في ص٣٦٩ من كلام ابن القيم رحمنا الله وإياه. وانظر «الروح» ص٥٢ .

أشتهي أن أرىٰ عمرَ رضي اللهُ عنه في المنام، فما رأيته إلا عندَ قُرب الحَوْل /١٨٣/ فأريته يمسحُ العرقَ عن جبينه، وهُو يقولُ هذا أوانُ فراغي، إن كان عرشي ليُهَدُّ، لولا أني لقيتُ رؤوفًا رحيما[1].

وقال عبدُ الله بن عمر بن عبد العزيز، رحمهما الله تعالىٰ: رأيت أبي في النوم بعد موته، كأنه في حديقة، فدَفع إليَّ تُفاحة، فأوّلتها الولد فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: ٱلاستغفارُ أي بُنيّ.

قال: ورأى مسلمة بن عبد الملك، عُمر بن عبد العزيز بعد موته فقال: يا أمير المؤمنين مع أيّ الحالات صرت بعد الموت؟

قال: يا مسلمة: هٰذا أوانُ فراغي، واللهِ ما ٱسترحتُ إلاّ الآن، قال: قلتُ: فأين أنت يا أمير المؤمنين؟ قال: مع أئمة الهُدى في جنات عدن.

قال: ولمّا ماتَ الحسن بن صالح رآه عمّار بنُ سيف في المنام، فقال له: قد كُنت متمنيًا لقاك، فماذا عندك فتخبرنا به؟ فقال: أبشر فإني لم أر مثل حسن الظن بالله شيئا.

قال: ولما ماتت رابعة، رأتها ٱمرأةٌ من صاحباتها، وعليها حلةٌ من ٱستبرق وخمار من سندس، فقالت لها: ما فعلت بالجبَّة التي كفنتك فيها؟ والخمار الصوف؟ قالت: والله إنه نُزع عَنّي، وأبدلتُ به هٰذا الذي ترين علي، وطُويَت أكفاني وخُتم عليها، ورُفعَتْ في عليين، ليكملَ لي ثوابُها يومَ القيامة، قالت: فقلت لها: كنتِ تعملين أيام الدنيا، فقالت: وما هٰذا عندما رأيت من كرامة الله لأوليائه؟ فقلتُ:

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٣٧٥، والخبر في «صفة الصفوة» ١/ ٢٩٢.

فما فعَلت عبدة بنت أبي كلاب؟ فقالت: هيهات، سبقتنا والله إلى الدرجات العُلا، قلت: وَبِمَا وقد كنت عند الناس أعبد منها؟ فقالت: إنها لم تكن تبالي على أيّ حال أصبحت من الدنيا وأمست، فقلتُ: فما فُعِل ببشر بن منصور؟ قالت: بخ بخ، أُعْطِيَ واللهِ فوقَ ما كانَ يؤمل، قلتُ: مريني بأمرٍ أتقرب به إلى الله، قالت: عليك بكثرة ذكر الله، فيوشك أن تغبطي بذٰلك في قبرك[1].

قال: وقال أبو يعقوب القاري / ١٨٤/ رأيتُ في منامي رَجُلاً آدماً طويلاً، والناسُ يَتْبَعُونه، فقلتُ من هٰذا، قالوا: أُوَيس القرني فاتبعته، فقلت: أوصني يرحمك الله، فَكَلَحَ في وَجْهي، فقلت: مُسترْشِد فأرشدني، رحمك الله، فأقبل عليّ فقال: ٱبتغ رحمة الله عند محبته، واحذر نقمته عند معصيته، ولا تقطع رجاك منه في خلال ذٰلك، ثم ولّى وتركني.

وقال ابن السماك: رأيت مُسعرًا في النوم فقلت له: أيُّ الأعمال وَجدْتَ أفضل؟ قال: مجالس الذكر.

وقال الأجلح: رأيتُ سلمة بن كُهيل في النوم، فقُلتُ: أيُّ الأعمال وجدتَ أفضل؟ قال: قيامُ الليل.

وقال أبو بكر بن مريم: رأيتُ وفاء بن مريم بعد موتهِ، فقلتُ: يا وفاء ما فعلت؟ قال: نجوتُ بعد كل جهد، فقلتُ: فأيّ الأعمال

---

(١) الخبر في «صفة الصفوة» ٤/ ٣٠. وبعضه فيه في ٣/ ٣٧٧.

وجدتموها أفضل؟ قال: البُكاء من خشية الله عزّ وجل.

قال: وقالت فاطمة بنت عبد الملك، امرأة عمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه: انتبَهَ عُمرُ بنُ عبد العزيز ليلة فقال: لقدْ رأيتُ رؤيا مُعجبة، فقلت: جعلني الله فداك فأخبرني بها فقال: ما كنت لأخبرَكِ بها حتى أصبح، [فلما طلع الفجر خرج فصلىًّ ثم عاد إلى مجلسه قالت: فاغتنمت خلوته][1] فقلتُ أخبرني بالرّؤيا التي رأيت، قال: رأيت كأني رُفعتُ إلى أرض خضراء واسعة، كأنها بساط أخضر، وإذا فيها قصرٌ أبيض، كأنه الفضة، وإذا خارج قد خرجَ من ذٰلك القصر، فهتف بأعلى صوته يقول: أين محمد بن عبد المطلب؟ أين رسول الله ﷺ إذ أقبل رسول الله ﷺ، حتى دخل ذٰلك القصر.

ثم إن آخر خرج من ذٰلك القصر، فنادى أين أبو بكر الصديق ابن أبي قحافة، إذ أقبل أبو بكر حتى دخل ذٰلك القصر، ثم خرج آخر فنادى: أين عمر بن الخطاب؟ فأقبل عُمر، حتى دخل ذٰلك القصر، ثم خرج آخر فنادى أين عثمانُ بن عفان؟ فأقبل حتى دخل ذٰلك القصر، ثم خرج آخر فقال: أين عليّ بن أبي طالب؟ /١٨٥/ فأقبلَ حتى دخل ذٰلك القصر، ثم خرج آخر فنادى: أين عُمر بن عبد العزيز؟ قال: عمر، فقمتُ حتى دخلت ذٰلك القصر، قال: فدفعتُ إلى رسول الله ﷺ والقَومُ حولَه فقلتُ: في نفسي: أين أجلس؟ فجلستُ إلى جنب

---

(١) سقطت من (أ).

عمر بن الخطاب، فنظرتُ، فإذا أبو بكر عن يمين النبي ﷺ، فإذا بين يديَّ رسولُ اللهَ ﷺ وبين أبي بكر رجل، فقلتُ: مَن هٰذا الرجل الذي بين يدي رسول الله ﷺ، وبين أبي بكر؟ فقالوا: هٰذا عيسى بن مريم، فسمعت هاتفًا يهتف، وبيني وبينه ستر نور: يا عمر بن عبد العزيز: تمسّكْ بما أنت عليه، واثبت على ما أنت عليه، ثم كأنه أُذن لي في الخروج، فقمتُ فخرجْتُ مِن ذٰلك القصر، فالتفتّ خلفي، فإذا أنا بعثمان بن عفان، وهو خارج من ذٰلك القصر، يقول: الحمدُ لله الذي غفر لي.

قال عمر بن عبد العزيز: رأيت رسول الله، ﷺ، وأبو بكر وعمر، جالسان عنده فسَلّمْتُ عليهم، وجلستُ فبينا أنا جالس، إذ أُتي بعليّ ومعاوية، فأُدخلا بيْتًا وأجيفَ عليهما الباب، وأنا أنظر فما كان بأسرع من [أن خرج علي وهو يقول قُضي لي ورب الكعبة وما كان بأسرع من][1] أن خرج معاوية على أثره، وهو يقول: غُفر لي وربِّ الكعبة.

وقال حمّاد بن أبي هاشم: جاء رجلٌ إلى عُمر بن عبد العزيز، فقال: رأيت رسول الله ﷺ، وأبو بكر عن يمينه، وعمر عن شِماله، وأقبل رجلان يختصمان، وأنت بين يديه جالس، فقال لك: يا عمر إذا عملتَ فاعمل بعمل هذين، لأبي بكر وعمر، فاستحلفهُ عمر بالله،

---

(١) سقطت من (أ).

أرأيت هٰذه الرؤيا؟ [فحلف][1] فحلفَ فَبكى عمر.

قال: وقال عبد الرحمن بن غنم، رأيت معاذ بن جبل، رضي الله عنه، بعد وفاته بثلاث ليال على فرسٍ أبلق، خلفه رجال بيض، عليهم ثياب خضر، على خيل بُلق /١٨٦/ وهُوَ قُدامهم وهو يقول: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ الآية [يس: آية ٢٦] ثم التفت عن يمينه وشماله، يقول: يا ابن رواحة، يا ابن مظعون: الحمدُ لله الذي صدقنا وعده، وأورثنا الجنة، ثم صافحني وسلّم عليّ.

قال: وقال قُبيصةُ بن عقبة: رأيتُ سفيان الثوري في المنام بَعدَ موته فقُلتُ: ما فعل الله بك يا أبا عبد الله؟ فأنشأ يقول:

نظرتُ إلى ربيِّ عيانا فقال لي   هنيئا رِضايا عنكَ يا ابن سعيد
لقد كُنَت قوّاما إذا الليلُ قد دجا   بِعَبْرة محزون وقلبٍ عميد
فدونك فاختر أيّ قصر تريده   وزُرني فإنّي منكَ غيرُ بعيد

قُلْتُ: ذكر الحافظ ابن رجب في «طبقات الأصحاب»، في ترجمة الحافظ العماد[2]، عن سبط ابن الجوزي، أنه قال: نمتُ وأنا متفكر في جنازته يعني: العماد، وذكرتُ أبيات سفيان الثوري: يعني التي ذكرناها آنفًا فقلت: أرجو أنّ العمادَ يرى ربّه، كما رآه سفيان عند نزول حفرته، ونمتُ فرأيتُ العماد في النوم، وعليه حلة خضراء،

---

(١) سقطت من (ب)، و(ط) والمثبت من (أ).

(٢) انظر ترجمة في «سير أعلام النبلاء» ٤٧/٢٢ وهو أخو الحافظ عبد الغني المقدسي.

وعمامة خضراء، وهو في مكان متسع، كأنه روضة وهو يرقى في درج مرتفعة، فقلت يا عماد الدين: كيف بت فإني والله متفكر فيك فنظر إليّ وتبسّم على عادته وقال:

رأيتُ إلهي حين أنزلت حفرتي وفارقتُ أصحابي وأهلي وجيرتي

فقال جزيت الخير عني فإنني رضيتُ فها عَفْوى لديك ورحمتي

دأبتَ زمانًا تأملُ العفو والرضى فَوقِّيتَ نيراني، ولقيتَ جنَّتي

قال: فانتبهتُ مرعوبًا، وكتبتُ الأبيات.

قال الحافظ في الطبقات: وَذُكِرَ أيضًا هذا المنام، عن أبي المظفر السبط. قُلْتُ: وكذا ذكره الشيخُ عبد الرحمن العليمي، في طبقاته المسمَّى بـ «المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد»، رضي الله عنهم، وفي «طبقات» الحافظ ابن رجب، بَعد هذا عن الضّياء، قال: رُئي الحافظ العماد في النوم على حصان، فقيل له: إلى أين؟ قال: أزور الجبّار[1].

ورآه آخر فقال /١٨٧/ : ما فعل الله بك؟ فقال: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٧﴾ [يس: ٢٦، ٢٧]، والله أعلم.

وقال سفيانُ بنُ عُيينة: رأيت سُفيان الثوريّ يطيرُ من نخلة إلى نخلة، ومن شجرة إلى شجرة، وهو يقول: ﴿لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ۝٦١﴾ [الصافات: آية ٦١]، فقيل له: بما أدْخلت الجنّة؟ فقال: بالورع، قيل له: فما فَعلَ عليُّ بنُ عاصم؟ قال: ما نراهُ إلا مثلَ

(١) الخبر في «سير أعلام النبلاء» ٢٢/ ٥٠.

الكوكب[١].

قال الإمام المحقق، في كتاب الروح: وكان شعبةُ بن الحجاج، ومسعر بن كدام، حافظين، وكانا جليلين، قال أبو أحمد «الترمذي»: فرأيتهما بعد موتهما فقلتُ يا أبا بسطام: ما فعل الله بك؟ فقال: وفقك الله لما أقول:

حَباني إلهي في الجنان بقبة ... لها ألف باب من لُجين وجوهرا
وقال لي الرحمنُ يا شعبةُ الذي ... تحبَّر في جمع العلوم فأكثرا
تنعّمْ بقُربي إنني عنك ذو رضا ... وعن عبديَ القوَّام في اللّيل مسعرا
كفى مُسعر عزًّا بأن سيزورني ... وأكشفُ عن وجهي الكريم لينظرا
وهٰذا فعالي بالذينَ تنسّكوا ... ولم يألفوا في سالف الدهر مُنكَرا[٢]

قال: وقال أحمد بنُ محمد اللبدي: رأيتُ الإمام أحمد بن حنبل في النوم فقلت: يا أبا عبد الله، ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، ثم قال يا أحمد ضُربتَ فيَّ ستين سوطا، قلتُ: نعم يا رب، قال: هٰذا وجهي قد أبحتك فانظر إليه.

وقال أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج: حدّثني رجلٌ من أهل طرسوس قال: دعوت الله عزّ وجل أن يُريني أهل القبور، حتى أسألهم عن أحمد بن حنبل، ما فعل الله به؟ فرأيت بعد عشر سنين في المنام، كأنّ

(١) رُوي نحو هذا الخبر في «تاريخ بغداد» ٩/ ١٧٣ و١١/ ٤٥٧، وفي «سير أعلام النبلاء» ٧/ ٢٧٩، و«تهذيب الكمال» ٢٠/ ٥١٩.

(٢) الخبر في «سير أعلام النبلاء» ٧/ ٢٢٠ عدا البيت الأخير. وفي الروح «البريدي» بدلاً من «الترمذي».

أهل القبور قد قاموا على قبورهم، فبادروني بالكلام، فقالوا: يا هٰذا كم تدعو الله عزّ وجلّ أن يُرَيك إيانا تسألنا عن رجل لَمْ يَزل منذ فارقكم تحليّه[(١)] الملائكة تحت شجرة طوبى.

قال الحافظ عبد الحق الإشبيلي: وهٰذا كلام من أهل القبور إنما هو إخبار عن علّو درجة أحمد بن حنبل رضي الله عنه وارتفاع مكانه وعظم منزلته، فلم يقدروا أن يُعبّروا عن صفة حاله، وعن ما هو فيه إلا بهٰذا، وما هو في معناه[(٢)].

قُلْتُ: وذكر الحافظ /١٨٨/ ابن رجب في «طبقات الأصحاب»[(٣)]، رضي الله عنهم في ترجمة أحمد بن علي الصوفي، قال: كنتُ على مذهب الإمام الشافعي، رضي الله عنه وكان من عادتي أن لا أُرجع في الأذان، ولا أقنت في صلاة الفجر، غير أنني أجهر ببسم الله الرَّحمن الرحيم، وكان عادتي أيضًا ليلة الغيم أنوي رمضان، كما جرت عليه عادة أصحاب أحمد، فلما كان في بعض الليالي، رأيت كأنني في دار حسنة جميلة، وفيها الغلمان والخدم، والجند خلق عظيم وهم صغار وكبار، والدُخل والخُرج، والأمر والنهي، فإذا رجلٌ بهي شيخ على سرير والنور على وجهه ظاهر، وعلى رأسه تاجٌ من ذهب مرصع بالجوهر، وثياب خضر تلمع، وكان إلى جانبي رجل ممنطق يشبه الجند، فقلت له: بالله هٰذا المنزل لمن؟ قال: لمن ضُربَ

---

(١) سقطت من (ط).

(٢) «الروح» ص٦٠-٦١ .

(٣) ١/ ٤٦.

بالسوط، حتى يقول القرآنُ مخلوق، قلتُ أنا في الحال: أحمدبنُ حنبل، قال: هوَذا فقلتُ واللهِ إن في نفسي أشياء كثيرة، أشتهي أن أسأله عنها، وكان على سرير وحول السرير خلقٌ قيام فأومأ إليّ: أن أجلسْ وسَلْ عمّا تريد: فمنعني الحياء من الجلوس، فقلت يا سيّدي: عادتي لا أرجِّعُ في الأذان، ولا أقنت في صلاة الفجر، غيرَ أني أجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، وأخشع فقال بصوتٍ رفيع عال: أصحاب رسول الله ﷺ، أتقى منك وأخشع، وأكثرهم لم يجهر بقراءتها، فقلت: عادتي ليلة الغيم أصوم، كما قال الإمامُ أحمد بنُ حنبل، فقال: ٱعتقد ما شئت من أيّ مذهب تدين الله به، ولا تك مَعْمَعِيًا وأنا أُرعد.

فلما أصبحتُ أعلمْت من يصلي ورائي بما رأيت، وأخبرتهم أني حنبلي، ولم أجهر بعد ودعاني ذٰلك إلى أن قلتُ هٰذه القصيدة وهي قوله:

حقيقة إيماني أقولُ لتسمعوا ... لعلي به يومَ القيامة أرجع

إلى أن قال:

وعن مذهبي إن تسألوا فابن حنبل ... به أقتدي ما دمت حيًّا أُمتَّعُ

وذكر القصيدة وهي طويلة مشهورة ذكرها الحافظُ في الطبقات وغيرهُ ممّن /١٨٩/ ترجَم الأصْحابَ واللهُ أعلم.

وذكر في «تنبيه الغافلين»، عن شيخ من أهل البصرة وكان من كبارِ الصالحين بها: أنه رأى الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه في النوم فقال: ما صنع اللهُ بك يا أحمد؟ فقال: رحمني وأكرمني، وحياني وقال: يا أحمد ٱدعُني بالدعوات التي كنت تدعو بها في دار الدنيا، فقلت: اللهم يا رب كل شيء، قال: صدقت يا أحمد أنا ربُّ كل

شيء، قلتُ: بقدرتك على كل شيء، قال: صدقت يا أحمد أنا القادر على كل شيء، قلت: اغفر لي كُل شيء، قال: يا أحمد غفرت لك كل شيء، قلت: ولا تسألني عن شيء، وفيه: فقلتُ: يا رب شفعني في أهل السُنّة قال: قد شفعتك فيهم، وأعطيتك سؤلك.

قُلْتُ وذكر هٰذه الرؤيا بنحو ما ذكرنا البيهقي، والحافظ ابن الجوزي، وغيرهما بغير زيادة فقلت: يا رب شفعني إلى آخره، والله أعلم.

وذكر الحافظ ابن رجب، في «طبقات الأصحاب»(١) في ترجمة، شَيخه الإمام المحقق ابن القيم، قدس الله روحه، قال: رأى شيخُنا قبل موته بمدة شيخَه شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه في النوم، فسأله عن منزلته فأشار إلى علوها فوق بعض الأكابر، ثم قال له: وأنت قد كدت تلحق بنا، لكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة، فمات بعد تلك الرّؤيا رضي الله عنه.

وذكر الحافظ في «طبقات الأصحاب»(١) أيضًا في ترجمة حافظ الدنيا وإمامها: الحافظ عبد الغني، طيب الله ثراه عن الضياء المقدسي، رحمه اللهُ قال: سمعت الإمام أبا العباس أحمد بن محمد بن عبد الغني، سنة اثنتي عشرة وستمائة، قال: رأيتُ البارحة الكمال، يعني: أخا عبد الغني، وكان تُوفّي في تلك السنة في النوم، وعليه ثوبٌ أبيض فقلت له: يا فلان أين أنت؟ قال: في جنة عدن قلت: أيهما أفضل الحافظ عبد الغني أو الشيخ أبو عمر؟ فقال: ما أدري، وأما

---

(١) (٢/ ٣١، ٤٥١).

الحافظ فكل ليلة جمعة ينصب له كرسي /١٩٠/ عند العرش، ويقرأ عليه الحديث، وينثر عليه الدّرّ والجوهر، وهٰذا نصيبي منه، وكان في كمه شيء وقد أمسك بيده على رأسها.

وقال الإمام المحقق في الروح: قال أبو جعفر الضرير: رأيتُ عيسى بن زاذان بعد موته، فقلتُ: ما فعل الله بك؟ فأنشأ يقول[1]:

لو رأيتَ الحسانَ في الخُلد حولي والأكاويب مَعَهن للشراب
يتمرغن بالكتاب جميعا يتمشين مُسبلات الثياب

ثم قال: والرؤيا الصحيحة أقسام منها إلهام، يلقيه الله سبحانه في قلب العبد، وهو كلام يكلم به الرب عبده في المنام، كما قال عبادة بن الصامت وغيره، ومنها مثلٌ يضربه ملك الرؤيا الموكل بها، ومنها التقاء رُوح النائم بأرواح الموتى من أهله وأقاربه وأصحابه وغيرهم، كما ذكرنا، ومنها عروج روحه إلى الله عز وجل وخطابها له، ومنها دخول روحه الجنَّة ومشاهدتها، وغير ذٰلك، فالتقاء أرواح الأموات والأحياء نوع من أنواع الرؤيا الصحيحة، التي هي عند الناس من جنس المحسوسات، وهٰذا موضع اضطرب فيه الناس[2].

وقد أخرج الإمام أبو عبد الله بن منده، الحافظ من الأصحاب في كتاب «النفس والروح»، بسنده عن ابن عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما قال: لقي عُمرُ بنُ الخطاب عليَّ بن أبي طالب، رضي الله

---

(١) «الروح» ص٦٢ . (٢) المصدر السابق ص٦٣ - ٦٤ .

عنهما فقال له: يا أبا حسن، ربَّما شهدتَ وغِبنا ورُبّما شَهدنا وغبت، [ثلاثة أسألك عنهن][(١)]: فهل عندك منهن علم؟ فقال: وما هن؟ فقال الرجل يحبُ الرجل ولم يَرَ منهُ خيرا، والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شرا. فقال عليّ: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الأرواح جنودٌ مجندة، تلتقي في الهواء**[(٢)] **أقسام، فما تعارف منها أئتلف، وما تناكر منها أختلف**».

فقال عمرُ واحدة، والرجل يحدث الرجل الحديث إذ نسيه فبينا هو قد نسيه إذ ذَكَرَه، فقال: نعم، سمعتُ رسول الله ﷺ /١٩١/ يقول: «**ما في القلوب قلبٌ إلاّ ولهُ سحابة كسحابة القمر بينا القمر يضيء إذ تخللته سحابة، فأظلم إذ تجلت فأضاء، وبينا القلب يتحدث إذ تخللته سحابة فنسي، إذ تجلت عنه فذكر**».

فقال عمر أثنتان: والرجلُ يرى الرّؤيا فمنها ما يَصدُقُ ومنها ما يكذب، فقال: نعم سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد [ينام]**[(٣)] **يمتلئ نومًا إلا يُعرج بروحه إلى العرش، فالذي لا يستيقظ دون العرش، فتلك الرؤيا التي تصدُق والذي يستيقظ دون العرش، فهي التي تكذب**».

---

(١) كذا في (ب)، و(ط)، وفي النسخة (أ) تقديم وتأخير في تلك الجملة.
(٢) كذا في (أ)، و(ط) والمثبت في (ب): «في الهوى».
(٣) ساقطة من (أ).

فقال عمر: ثلاثٌ كنتُ في طلبهن فالحمد لله الذي أصبتهن قبل الموت[(١)](٢).

ومن عجيب صحَّة الرؤيا ما ذكره الإمام المحقق في «الروح»، مما نحن بصدده أنَّ رجلا كان ٱسْمُه عبد الله، ويُكنَّ بأبي محمد، وكان معروفًا برؤية الأموات، قال: وكان رجلاً صالحًا، مشهورًا برؤية الأموات وسؤالهم عن الغائبات، ونَقْل ذٰلك إلى أهلهم وقراباتهم، وكثر منه ذٰلك، فكان المرء يأتيه فيشكوا إليه أن حميمه قد مات من غير وصية، وله مال لا يهتدي لمكانه، فيعده خيرًا ويدعو الله في ليلته فيتراءى لهُ الميت الموصوف، فيسأله عن الأمر فيخبره به(٣).

قال: فمن نوادره: أن ٱمرأة عجوزًا من الصالحات ماتت، ولامرأة عندها سبعة دنانير وديعة، وشكت إليه ما نزل بها وأخبرته باسمها، واسم الميتة صاحبتها، ثم عادت إليه من الغد، فقال لها: تقولُ لك فلانَة: عُدّي من سقفِ بيتي سبع خشبات، تجدي الدنانير في السابعة، في خرقة صوف ففعلت، فوجدتها كما وَصَفَ لها(٤).

قال: وقال علي القيرواني العابد: أخبرني رجلٌ لا أظن به كذبًا

---

(١) الخبر بطوله في «الأوسط» للطبراني (٥٢٢٠)، و«الحلية» ٢/ ١٩٦ وأورد بعضه في «الفردوس» (٦١٧٣)، وفي «مجمع الزوائد» ١/ ١٦٢.
قال الهيثمي: فيه أزهر بن عبد الله، قال العقيلي: حديثه غير محفوظ عن ابن عجلان وهذا الحديث يعرف من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي موقوفًا، وبقية رجاله موثقون، الضعفاء الكبير (١/ ١٣٥).

(٢) «الروح» ص٦٤-٦٥ . (٣) «الروح» ص ٦٨ .

(٤) المصدر السابق.

قال: ٱستأجرتني ٱمرأةٌ من أهل الدنيا، على هدم دارٍ لها، وبنائها بمال معلوم، فلما أخذت في الهدم، لزمت الفعلة هي ومن معها، فقلت /١٩٢/: مالك؟ قالت: والله ما لي إلى هدم هٰذه الدار من حاجة، لكن أبي ماتَ وكان ذا يسار كثير، فلم نجد له كثير شيء فخلتُ: أي ظننتُ أن ماله مدفون، فعمدت إلى هدم الدار، لعلي أجد شيئًا فقال لها بعض من حَضَرنا: لقد فاتك ما هو أهون من ذٰلك، قالت وما هو؟ قال: فلان تمضين إليه، وتسألينه أن يُبيت قصتك الليلة، فلعله يرى أباك، فيدلك على مكان ماله بلا تعب، فذَهبَت إليه، ثم عادت إلينا فزعمت أنه كتب ٱسمها، واسم أبيها عنده، فلما كان من الغد، بكرت إلى العمل وجاءت المرأة من عند الرجل، وقالت: إنَّ الرجل قال لي: رأيتُ أباك وهو يقول: المال في الخبية، فجعلنا نحفر تحت الخبية، وفي جوانبها حتى لاح لي شق، وإذا المال فيه قال: فأخذنا في التعجب، والمرأة تستخف بما وجدت، وتقول: مالُ أبي كان أكثرَ من هٰذا، ولكن أعود إليه، فمضت فأعلمته، ثم سألته المعاودة، فلمّا كان من الغد، أتت وقالت: إنه قال لها إن أباك يقول لكِ: ٱحفري تحت الجابية المربعة، التي في مَخْزن الزيت، قال: ففتَحت المخزن، فإذا بجابية مُرَبَّعة في الركن، فأزلناها وحفرنا تحتها، فوجدنا كوزًا كبيرًا، فأخذته، ثم دام بها الطمع في المعاودة ففعلت، فرجعت من عنده وعليها الكآبة فقالت: زعم أنه رآه وهو يقول له قد أخذتْ ما قُدّر لها وأما ما بقي فقد أخذه عفريت من الجن يحرسه إلى مَنْ قُدِّرَ له. والله أعلم .

فصل

وأما محل الأرواح بعد الموت، فقد كَثُرَ فيه الخلافُ بين أهل الإتقان والإنصاف، حتى حقق أهل التحقيق ذٰلك؛ وبينوا هاتيك المسالك.

قال الحافظ ابن رجب[1]: فأما الأنبياء فليس فيهم شك أن أرواحهم في أعلى عليين عند رب العالمين، وقد ثبت في الصحيح أن آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ عند موته /١٩٣/ أن قال: «**اللهم الرفيق الأعلى**»[2] وكررها حتى قُبِض.

وقال رجلٌ لابن مسعود: قُبِضَ رسول الله ﷺ فأين هو؟ قال: في الجنة.

وأما الشهداء؟ فقال أكثر العلماء هم في الجنة، وقد تكاثرت الأحاديث بذٰلك:

ففي صحيح مسلم عن مسروق قال: سألنا ابن مسعود عن هٰذه الآية، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩] فقال: أما إنا فقدْ سألنا عن ذٰلك، فقال: « **أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، فاطلع عليهم ربُّك اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أيّ شيء نشتهي، ونحنُ نسرحُ من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذٰلك بهم ثلاث مرات، فلما أنهم لم يُتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نرُيد أن ترد أرواحنا في أجسادنا، حتى نُقتلَ في سبيلك مرةً أخرى، فلمّا رأى أن**

(١) «أهوال القبور» ص١٥٧. (٢) البخاري (٤٤٦٣).

ليس لهم حاجة تُركوا»[١].

وأخرج الإمام أحمد، وأبو داود والحاكم، عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «لمّا أصيب إخوانكم بأحُد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضرٍ، تَرِدُ أنهارَ الجنَّة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب، معلقة في ظل العرش، فلمّا وجدوا طيب مأكلهم، ومشربهم، ومقيلهم، قالوا: من يُبلغ إخواننا عَنّا أنا أحياء في الجنة، نُرزقُ لئلاً ينكلوا عند الحرب، ولا يزَهدوا في الجهاد، قال: فقال الله أبلّغُهُ عنكم، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩][٢].

وأخرج الإمام أحمد والترمذي، وصححه من حديث عمرو بن دينار، عن الزهري عن ابن كعب بن مالك، عن أبيه رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: إن أرواح الشُّهداء في طير خُضر تعلقُ من شجر الجنّة»[٣].

---

(١) رواه مسلم (١٨٨٧)، وابن ماجه (٢٨٠١)، والترمذي (٣٠١١) من طريق عن سليمان الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق.

(٢) أخرجه أحمد ١/ ٢٦٦ (٢٣٨٨)، وأبو داود (٢٥٢٠)، وأبو يعلى (٢٣٣١)، والحاكم (٢/ ٨٨ و٢٩٧-٢٩٨)، والبيهقي في «السنن» (٩/ ١٦٣) وهو حديث حسن.

(٣) رواه أحمد ٣/ ٤٥٥ و٤٥٦، والترمذي (١٦٤١)، وابن ماجه (٤٢٧١)، والنسائي ٤/ ١٠٨ وهو حديث صحيح.

كذا رواه عمرو عن الزهري، ورواه /١٩٤/ سائر أصحاب الزهري عنه، ولَم يذكروا: الشهداء وإنما ذكروا نسمة المؤمن.

وأخرج ابن منده، من طريق معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد، أنه سَأل ابن شهاب عن أرواح المؤمنين قال: بلغني أن أرواح الشهداء كطير أخضر، مُعلقة بالعرش تغدوا ثم تروح إلى رياض الجنة، تأتي ربها سبحانه وتعالى كل يوم، تسلم عليه.

وكذا قال الضحاك وإبراهيم اليمني وغيرهما من السلف، في أرواح الشهداء.

وأخرج الإمام أحمد وأبو يعلى وابن أبي الدُّنيا، من حديث ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا الحسنة، فكان فيما يقول: «**هل رأى أحدٌ منكم رؤيا؟**» فإذا رأى الرجل الذي لا يَعرفه الرّؤيا سَأل عنه، فإن أُخْبِرَ عنه بمعروف كان أعجب لرؤياه.

قال: فجاءت ٱمرأة فقالت: يا رسول الله، رأيتُ في المنام كأني خرجت فأدخلت الجنة، فسمعتُ وجبة ٱرتجت لها الجنة، فإذا بفُلان وفُلان وفُلان، حتَّى عَدَّت ٱثني عشرَ رجلاً، وقد بَعثَ رسول الله ﷺ بسريّة قبل ذٰلك، قالت: فجيء بهم، عليهم ثيابٌ طلس، تشخُب أوداجهم، فقال: ٱذهبوا بهم إلى نهر البيذخ، فغُمسوا فيه وأخرِجُوا، ووُجوههم كالقمر، ليلة البدر وأتوا بكراس من ذهب، فأقعدوا[١] وجيء بصحفة من ذهب، فيها بسر فأكلوا من بُسره ما شاءوا، فما

---

(١) في (ب)، (ط): «فأقعدوا عليها».

يقلبونها لوجه من وجه، إلاّ أكلوا من فاكهة ما شاءوا قالت: وأكلت معهم. قالت: فجاء البشير من تلك السرية، فقال يا رسول الله كان كذا وكذا، وأصيب فلان وفلان، حتى عدّ ٱثني عشر فقال: عَلَيَّ بالمرأةِ، فقال: «**قُصّي رؤياكِ على هٰذا**»، فقال الرجل: هُو كما قالت: أصيب فلان وفلان(١).

وروى ابن عُيَيْنة، عن عبد الله بن أبي يزيد، سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول: أرواح الشهداء /١٩٥/ تحولُ في أجواف طَير خُضر، تُعلَّق في ثمر الجنة.

وقال قتادة: بلغنا أنَّ أرواح الشهداء في صُوَر طير بيض تأكل من ثمار الجنة.

وقال عبد الله بن عمرو(٢): أرواح الشهداء في طير كالزرازير، يتعارفون ويُرزقون من ثمر الجنة، وقال ابن عباس، عن كعب بن مالك، جنة المأوى جَنة فيها طير خضر، ترعى فيها أرواح الشهداء.

وقال أبو الدّرداء وقد سُئل عَن أرواح الشهداء: هي طيرٌ خضر معلقة في قناديل تحت العرش، تسرحُ في رياض الجنة حيث شاءت، وقال ابن مسعود: أرواح الشهداء طيرٌ خضر في قناديلَ تحت العرش،

---

(١) أحمد ٣/ ١٣٥، ٢٥٧، وأبو يعلى (٣٢٨٩)، وابن حبان (٦٠٥٤) وابن أبي الدنيا في «المنامات» (٣١١)، وإسناده صحيح، انظر ص ١١٠٩.

(٢) في (ب): (ابن عمر)، سيأتي تخريجه في ص٣٤٩ ت(٣)، انظر ص١٣٥ ت(٢).

تسرحُ في الجنّة حيث شاءت، ثم ترجعُ إلى قناديلها[(١)].

ورُوي عن مجاهد أنه قال: ليس الشهداء في الجنة، ولكنهم يُرزقون منها، وقال في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩] الآية قال يقول: أحياء عند ربهم يُرزقون من ثمر الجنة، ويجَدون ريحها، وليسوا فيها. وروىٰ ابن المبارك عنه أيضًا أنه قال: ليس هم في الجنة لكن يأكلون من ثمارها ويجدون ريحها[(٢)].

قال الحافظ ابن رجب[(٣)]: وقد يُستَدلُ لقوله، أي: مجاهدُ بما رَوى ابن إسحق عن عاصم عن عَمرو بنِ قتادة، عن محمود بن لبيد، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الشهداء على بارق نهر الجنة، فيه قُبة خَضراء يخرجُ عليهم رزقُهم من الجنة بكرة وعشيًا»**[(٤)]، وخرجه ابن منده، ولفظه على بارق نهر في الجنة، قال الحافظ: وهٰذا يدل على أن النّهر خارج من الجنة، قال وابن إسحق مُدلس، ولم يصرح بالتحديث.

قال الحافظ: ولعل هٰذا في عموم الشهداء، والذين في القناديل

---

(١) روي ذَلِكَ عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا كما تقدم، ورواه الطيالسي موقوفًا ١/ ٢٣٣ (٢٨٩).

(٢) الطبري ٢/ ٣٩.

(٣) «أهوال القبور» ص١٦٤ .

(٤) رواه أحمد ١/ ٢٦٦، وابن أبي شيبة ٤/ ٢٠٣، وابن حبان (٤٦٥٨)، والحاكم ٢/ ٦٤.

التي تحت العرش خواصهم، أو لَعل المراد بالشهداء هنا: مَن هُو شهيد من غير قتل: في سبيل الله، كالمطعون والمبطون، والغريق وغيرهم، ممّن ورد النص بأنه شهيد، والأحاديث السابقة كُلها فيمن قتل في سبيل الله، وبعضها صريح في ذٰلك وفي بعضها /١٩٦/ أن الآية نزلت، وهي قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩] والاية نصّ في المقتول في سبيل الله، وقد يُطلق الشهيد على من حقق الإيمان، وشهد بصحته بقوله كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الحديد: ١٩](١).

قال ابن أبي نجيح عن مُجاهد في هٰذه الآية يقول(٢): يشهدون على أنفسهم بالإيمان لله. ورَوى سفيان عن رجل عن مُجاهد قال: كلٌّ مؤمن صدّيق وشهيد، ثم قرأ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الحديد: ١٩].

وخرج ابن أبي حاتم(٣) عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أنه قال: كُلكم صِدّيق وشهيد، قيل له: ما تقول يا أبا هريرة؟ قال: ٱقرءوا ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الحديد: ١٩] الآية.

قال الحافظ ابن رجب: فيه إسماعيلُ بن يحيى التيمي ضعيف

---

(١) «تفسير الطبري» ٢٧/ ٢٣١. (٢) «الدر المنثور» ٦/ ٢٥٦ .

(٣) «تفسير ابن أبي حاتم» ١٠/ ٣٣٤٠ .

جدًّا، [لكن] يُعضده: ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] من شهادة هٰذه الأمّة للأنبياء، من تبليغ رسالاتهم. قال الحافظ: وبكلّ حال فالأحاديث المتقدّمة، كلها في الشهيد المقتول في سبيل الله، لا يحتمل غير ذٰلك. قال: وإنما النظر في حديث ابن إسحق أنتهى(١).

فائدة: سُمّي الشهيد شهيدًا قيل: لأنّه مشهود له بالجنة، فهو فعيل بمعنى مفعول، وقيل إن أرواحهم يعني الشهداء حضرة دار السلام، لأنهم أحياء عند ربهم، فهو فعيل بمعنى فاعل: أي شاهد، أي حاضِر للجنة، وقيل: سُمّي بذٰلك لسقوطه بالأرض، والأرض الشاهدة، وقيل: سُمي بذٰلك لشهادته على نفسه، لله عز وجل، حين لزمه الوفاء بالبيعة التي بايعهُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] فاتّصلت شهادة الشهيد الحق، بشهادة العبد /١٩٧/ فسمّاهُ شهيدا، وقد قال ﷺ في شهداء أحد: «**أنا شهيدٌ على هؤلاء**»(٢) لبذلهم أنفسَهم دونه وقتلهم بينَ يَديه تصديقًا لما جاء به ﷺ. هٰذا ملخّص ما ذكره القُرطبي رحمه الله(٣).

---

(١) «أهوال القبور» ص١٦٠: ١٦٩.

(٢) رواه البخاري (١٣٤٣) و(١٣٤٧) و(١٣٥٣) و(٤٠٧٩)، وأبو داود (٣١٣٨) و(٣١٣٩)، والترمذي (١٠٣٦)، والنسائي ٤/ ٢٦، وابن ماجه (١٥١٤)، وابن حبان (٣١٩٧)، والبيهقي ٤/ ٣٤.

(٣) «التذكرة» ص١٨٢، ١٨٣،

ثم قال: هٰذا الكَلام في الشهيد، وأما الشهادة فصفة يُسمّى حاملها بالشاهد، ويبالغ بشهيد.

قال: وللشهادة ثلاثةُ شروط لا تتمُ إلا بتمامها، وهي الحضور والوعي، والأداء، أمّا الحضور: فهو شهود الشاهد المشهود، وأمّا الوعي: فهو أن يعي ما شاهده وعلمه في شهوده ذٰلك، وأمّا الأداء: فهو الإتيان بالشهادة على وجهها، في موضع الحاجة إلى ذٰلك، هٰذا معنى الشهادة والشهادة على الكمال: إنما هي لذي العزة والجلال، وجميع الشاهدين سواه يؤدون شهادتهم عنده، قال تعالى: ﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الزمر: ٦٩] والشهداء هُم العدول، وأهل العدالة في الدنيا والآخرة، وهم القائمون بما وجب للحق سبحانه وتعالى عليهم في الدنيا.

تتمة

جَاء في حديث «**من جملة الشهداء المرأة تموت بجمع**»[١]، رواه النسّائي عن جابر مرفوعًا فقيل هي التي (تموت)[٢] من الولادة، وولدها في بطنها قد تمّ خلقه، وقيل إذا ماتت من النفاس، فهي شهيدة كما تقدم، وقيل التي تموت بكرًا لم يمسها الرجال.

قُلْتُ: ولم أعلم أنّ أحدًا قال في هٰذه إنها شهيدة من هٰذه الحيثية، وقوله: «بجمع» فيه لُغتان ضم الجيم وكسرها. وأخرج

---

(١) جزء من حديث جابر بن عتيك رَضِي اللهُ عَنْهُ، رواه الإمام مالك ١/ ٢٣٣، وأبو داود (٣١١١)، والنسائي ٤/ ١٣، وابن حبان (٣١٨٩).

(٢) سقطت من (أ).

الترمذي وأبو داود والنسّائي، عن سعيد بن زيد سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**مَن قُتِلَ دون ماله فهو شهيد، ومن قُتِلَ دون دمه فهو شهيد، ومن قُتِلَ دون دينه فهو شهيد، ومن قُتِلَ دون أهله فهو شهيد**»[(١)]، قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وتقدّمت الإشارة إلى مضمونه.

وأخرج ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما/١٩٨/: «**موت غربة شهادة**»[(٢)]. وذكره أيضًا من حديث ابن عُمر وصححه.

وأخرج الترمذي، عن معقل بن يسار مرفوعًا «**من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وكّل اللهُ به سبعين ألف ملك يصلّون عليه حتى يمسي، وإن مات في يومه مات شهيدا، ومن قرأها حين يمسي فكذلك**»[(٣)]. قال حديث حسن غريب.

وأخرج الأجري عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أنس إن اَستطعت أن تكون أبداً على وضوء فافعل، فإن ملك الموت إذا قبض رُوحَ العبد وهو على وضوء كتبت له شَهادة**»[(٤)].

---

(١) رواه أحمد ١/ ١٩٠ (١٦٥٢)، و١/ ١٩٠ (١٦٥٣)، وأبو داود (٤٧٧٢)، والنسائي ٧/ ١١٦، والبيهقي ٣/ ٢٦٦ و٨/ ٣٣٥، انظر ص٢٠٦، ٢٠٧.

(٢) رواه ابن ماجه (١٦١٣) وفي إسناده الهذيل بن الحكم، قال البخاري: منكر الحديث، انظر ص٢١٢ ت(٢).

(٣) رواه أحمد ٥/ ٢٦، والدارمي ٣٤٢٨، والترمذي (٢٩٢٢) وحسّنه.

(٤) رواه الطبراني في «الأوسط» (٥٩٩١)، وفي «الصغير» ٢/ ١٠١، والبيهقي في «الشعب» ٣/ ٢٩ بإسناد ضعيف، انظر ص٧٢ ت(٥).

وأخرج الشعبي عن ابن عمر مرفوعًا «**من صلى الضحى وصام ثلاثة أيام من كل شهر ولم يترك الوتر في حضر ولا سفر، كُتب لهُ أجر [شهيد]**»(١) وذكره أبو نعيم والقرطبي في التذكرة.

وروى أبو نعيم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**إذا جاء الموتُ طالب العلم وهو على حاله مات شهيدا**»(٢) وبعضهم يزعم أنه ليس بينه وبين الأنبياء إلاّ درجة واحدة.

وفي مسُلم عن أنس مرفوعًا «**من طلب الشهادة صادقًا أعطيها، ولَو لم تُصبه**»(٣).

وأخرج الإمام بنُ الإمام محمد بن داود الظاهري، عن ابن عباس يرفعه «**من عشق وكتم وعفَّ وصبر، غفر الله له وأدخله الجنّة**»

وفي لفظ لغير ابن داود، عن ابن عباس يرفعه «**من عشق وعفّ وكتم فمات فهو شهيد**» وتقدمت الإشارة إلى هٰذا(٤).

---

(١) «التذكرة» ص١٨٢، ورواه أبو نعيم في «الحلية» ٤/ ٣٣٢، وقال: غريب. من حديث الشعبي تفرد به أيوب. وأورده الهيثمي ٢/ ٢٤١ وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه أيوب بن نهيك ضعفه أبو حاتم وغيره ووثقه ابن حبان وقال: يخطىء، تنبيه: وما بين القوسين في المجمع «شهر» وفي الحلية «شهيد».

(٢) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» ٩/ ٢٤٧، وأورده الذهبي في «اللسان» ٢/ ١٤٥ وعدّه من الأباطيل.

ويغني عنه حديث أنس رَضِي اللهُ عَنْهُ مرفوعًا «**من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حَتَّى يرجع**». رواه الترمذي (٢٦٤٧) وحسنه، والطبراني في «الصغير» (٣٨٠)، وأبو نعيم في «الحلية» ١٠/ ٢٩٠.

(٣) رواه مسلم (١٩٠٨).

(٤) انظر ص٢١٢ ت(١).

قُلْتُ: ذكر الإمام المحقق في كتابه: الدّاء والدّواء[١] أنّ حفاظ الإسلام، أنكروا على (سويد بن سعيد)[٢] هٰذا الحديث، وذكره جماعة في الموضوعات، منهم ابن الجوزي والبيهقي، وابن طاهر، وأنكره الحاكم وقال: أنا أتعجّب منه[٣].

قال الإمام المحقّق: والصّواب /١٩٩/ في الحديث أنه من كلام ابن عباس، موقوفًا عليه فغلط سُوَيد في رفعه. وابن داود روى الحديث المذكور من طريق سويد بن سعيد، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد عن ابن عباس يرفعه والله أعلم.

لطيفة: أخرج النّسائي، عن العرباض بن سارية، أن رسول الله ﷺ قال: «**يختصم الشهداء والمتوفون على فرشهم إلى ربّنا، في الذين يُتوفون زَمن الطاعون، فيقولُ الشهداء: إخواننا قُتلوا كما قُتلنا، ويقول المتوفون على فرشهم: إخواننا ماتوا على فُرشهم كما متنا، فيقول ربّنا عزّ وجلّ: انظروا إلى جراحهم فإن أشبهت جِراح المقتولين فإنهم منهم، فإذا جِراحُهم أشبهت جراحهم**»[٤] والله أعلم.

---

(١) «الداء والدواء» ص٣٧٢ . (٢) في (ب): (سعيد بن سويد).

(٣) الحديث أورد طرقه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» ٢/ ٧٧١ وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ ثم بين وهاء طرقه انظر: المقاصد الحسنة (١١٥٣)، كشف الخفاء (٢٥٣٨)، التذكرة في الموضوعات ص١٨٠. والحديث رواه الخطيب ٥/ ١٥٦ و٢٦٢ و٦/ ١٥٠.

(٤) رواه أحمد ٤/ ١٢٨، ٤/ ١٢٨، والنسائي ٦/ ٣٧ وحسنه الحافظ في الفتح (١٠/ ١٩٤).

فصل

وأما بقية المؤمنين سوى الشهداء، فإنهم ينقسمون إلى أهل تكليف وغير أهل تكليف، فغير أهل التكليف كأطفال المؤمنين، فالجمهور على أنهم في الجنة، وقد حكى الإمام أحمد رضي الله عنه الإجماع على ذلك. قال في رواية جعفر بن محمد: ليس فيهم ٱختلاف يعني أنهم في الجنة، وفي رواية الميموني: أوا أحد يشك أنهم في الجنة.

وذكر الخلال من طريق حنبل عن الإمام أحمد رضي الله عنه قال: نحنُ نُقرّ أن الجنة خُلقت، ونؤمن بأن الجنة والنار مخلوقتان، قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦] لآل فرعون.

وقال: أرواح ذراري المسلمين في أجواف طير خضر، تسرحُ في الجنة، يكفلهم أبوهم إبراهيم عليه السلام، وكذلك نصّ الإمامُ الشافعي على أن أطفال المسلمين في الجنة، وجاء صريحًا عن السلف، أن أرواحهم في الجنة.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر، تسرح بهم في الجنة حيث شاءوا، وإن أرواح وِلْدَان المؤمنين في أجواف عصافير / ٢٠٠/ تسرحُ في الجنّة حيث شاءت فتأوي إلى قناديل مُعلَّقة في العرش[١]. خرّجه ابن أبي حاتم ورواه الثوري والأعمش عن أبي قيس عن هذيل من قوله: ولم يذكر ابن مسعود.

---

(١) تقدم في أكثر من موضع.

وخرَّج البيهقي عن ابن عباس عَن كعب رضي الله عنهم نحوه.

وخرج الخلاّل من طريق ليث عن أبي الزُبير، عن عبيد بن عُمير قال: إن في الجنة لشجرة، لها ضروع كضروع البقر، تُغَذى به ولدان، أهل الجَنَّة، حتى إنهم ليستنون ويلعبون، كاستنان البكار. قوله يستنون: أي: يمرحون.

وخرج ابن أبي حاتم بإسناده، عن خالد بن مَعدان قال: إنَّ في الجنَّة شجرة يُقال لها طُوبى، ضروع كلها تُرضع صِبيانَ أهل الجنَّة، وإنّ سقط المرأة يَكون في نهر من أنهارِ الجنَّة، يتقلب فيه حتى تقوم القيامة، فَيُبعَث ابن أربعين سنة.

قال الحافظ ابن رجب[1]: ويدل على صحة ذٰلك ما في مسلم، عن أنس رضي الله عنه قال: لمّا تُوفيِّ إبراهيمُ عليه السلام، قال النّبيّ ﷺ، **«إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي، وإنَّ له لضئرين يكمّلان رِضاعَه في الجنة»**[2]. وخرّج ابن ماجه نحوه، من حديث ابن عباس وخرج الإمام أحمد نحوه من حديث البراء بن عازب.

وخرج سعيد بن منصور عن مكحول، عن النبي ﷺ، أنه قال: **«إن ذراري المؤمنين، أرواحهم في عصافير في شجر (في) الجنة، يَكفُلُهم أبوهم إبراهيم عليه السلام»**. وكذا رواه علي بن عثمان اللاحقي، عن مكحول إلا أنّه قال: **«عصافيرُ خضرٌ في الجنة»**، وهٰذا

(١) «أهوال القبور» ص ١٣٧ .

(٢) رواه مسلم (٢٣١٦)، وما بين معقوفتين بلفظ حديث مسلم.

كما (قال)[1] الحافظ قال مرسل ولفظه يُشبهُ لفظ الحديث الذي ٱحتجَّ به الإمام أحمد، على خَلق الجنَّة كما تقدم.

قال الحافظ: وقد رُوي متّصلاً من وجه آخر، من رواية عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن عطاء بن فروة، عن عبد الله بن ضمرة، عن أبي هُريرة /٢٠١/ عن النبي ﷺ قال: «**ذَرَارِي المؤمنين يكفلهم (إبراهيمُ)[2] عليه السلام في الجنّة**»[3] خرّجه ابن حِبّان في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، والإمام أحمد عن موسى بن داود، عن ابن ثوبان، إلاّ أنه ذَكر أنّ موسى شك في رفعه، ولكن رواه عن واحد، عن ثابت بن ثوبان ولم يشك في رفعه.

ورُوي من وجه آخر عن أبي هُريرة عن النبي ﷺ قال: «**أولاد (المسلمين)[4] في جبل، يكفُلهم إبراهيمُ وسارة عليهما السلام، فإذا كانَ يومَ القيامة، دُفعوا إلى آبائهم**»، وكذا رواه محمدُ بنُ عبد الله، عن وكيع عن سفيان مرفوعًا، ورواه ابن مهدي، وأبو نعيم عن سفيان موقوفًا، قال الدارقطني: والموقوف أشبه[5].

قال الحافظ ابن رجب[6]: وممّا يُستدَل به لهٰذا أيضًا ما خرّجه

---

(١) سقطت من (أ). (٢) سقطت من (ب).

(٣) رواه ابن حبان (٧٤٤٦)، والحاكم ١/ ٣٨٤، والإمام أحمد ٢/ ٣٢٦ بإسناد قوي.

(٤) في (ب): (المؤمنين).

(٥) رواه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» ٢/ ٢٦٣، والحاكم ١/ ٣٨٤، والبيهقي في الشعب (٢٣١).

(٦) «أهوال القبور» ص١٦٩-١٧٠ .

البخاريُّ، عن سَمرة بن جُندبٍ عن النبي ﷺ أنه رأى في منامه جبريل وميكائيل، أتياه فانطلقا به، وذكر حديثًا طويلاً وفيه: «وإذا روضة خضراء فيها شجرة عظيمة، وإذا شيخٌ في أصلها، حوله صبيان قال: فصَعَدوا بي للشجرة فأدخلاني دارًا لم أر قط أحسن منها، فإذا فيها رجال شيوخ وشباب، وفيها نساء وصبيان»، وذكر الحديث وفيه قالا: «وأما الشيخ الذي رأيت في أصل الشجرة فذاك إبراهيم، وأما الصبيان (الذي)[1] رأيت فأولاد الناس»[2].

وفي رواية «فكل مَولود ماتَ على الفِطرة، وفي رواية «ولد على الفطرة، وأمَّا الدّارُ التي دخلت أولاً: فدارُ عامَّة المؤمنين، وأمَّا الدارُ الأخرى فدارُ الشهداء» واستدلّ الحافظُ بغير ما ذكرنا من الأحاديث، ولكنّا اقتصرنا على المقاصد طلبًا للاختصار، مع وجود ما تلقح به الأفكار، والله الموفق.

قال الحافظ[3]: وذهبت طائفة إلى أنه يُشهَدُ لأطفال المؤمنين عموما أنهم في الجنَّة، ولا يُشهدُ لآحادهم كما يُشهدُ للمؤمنين عمومًا أنَّهم في الجنة، ولا يُشهدُ لآحادهم، وهو قول إسحق بن راهويه/ ٢٠٢/ ، نقله عنه إسحق بن منصورٍ وحربُ في مسائلهما.

---

(١) في (ب)، (ط): (الذين).

(٢) رواه أحمد (٥/٨-٩)، والبخاري (١١٤٣)، (٣٣٥٤)، (٤٦٤٧)، (٧٠٤٧)، وابن حبان (٦٥٥)، وابن خزيمة (٩٤٢).

(٣) «أهوال القبور» ص١٧١ .

قال الحافظ: ولعلّ هٰذا يرجعُ إلى أن الطفلَ المعين لا يُشهَدُ لأبيه بالإيمان، فلا يُشهدُ له أنه من أطفال المؤمنين، فيكون الوقف في آحادهم للوقف في إيمان آبائهم، وحكى ابن عبد البر[1]، عن طائفة من السلف القول بالوقف في أطفال المؤمنين، سمى منهم حماد بن زيد، وحمّاد بن سلمة، وابن المبارك، وإسحاق. قال الحافظ: وهٰذا بعيد جدًا، ولعلّه أخذ ذٰلك من عموم كلام لهم، وإنما أرادوا بها أطفال المشركين، وكذلك ٱختار القول بالتوقف طائفة منهم الأثرم، والبيهقي، وذُكِرَ أنّ ابن عباس رجع إليه، والإمام أحمد، ذكر أنّ ابن عباس إنما قال ذٰلك في أطفال المشركين، وإنما أخذه البيهقي من عُموم لفظ رُوي عنه، كما أنه ورد في بعض ألفاظ حديث أبي هريرة، أن النّبي ﷺ، سئل عن الأطفال فقال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»[2].

قال الحافظ: ولكن الحُفاظ الثقات، ذكروا أنه سُئل عن أطفال المشركين، واستدل القائل بالوقف بما أخرجه مسلم، عن عائشة رضي الله عنها قالت: تُوفي صبيٌّ فقلتُ طوبى له، عُصفورٌ من عصافير الجنة، فقال رسولُ الله ﷺ : «**أولا تدرين أنّ الله خلق الجنَّة وخلق النّار، فخلق لهٰذه أهلاً ولهذه أهلاً**»[3] قال الحافظ: قد ضعَّفَ الإمام أحمد رضي الله عنه هٰذا الحديث، فإن فيه طلحة بن يحيى، وقد رَوى

---

(١) «التمهيد» ١٨/ ١١ .

(٢) رواه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (٢٦٥٩).

وانظر تفصيل هذا الموضوع في أول باب في «تحفة الأخيار بترتيب مشكل الآثار».

(٣) رواه مسلم (٢٦٦٢)، وأحمد ٦/ ٤١ و٢٠٨.

مناكير، وذكر له هذا الحديث. وقال ابن معين فيه ليس بالقوي[١].

وقد خرّجه مسلم من طريق فُضيل بن عمرو، عن عائشة بنت طلحة، عن عائشة أمّ المؤمنين[٢].

قال الإمامُ أحمد: ما أراه يعني: فُضيل بن عَمرو سمعه، إلا من طلحة بن يحيى، يعني أخذه عنه ودلسه، حيث رواه عن عائشة بنت طلحة، وذكر العقيلي[٣] أنه لا يُحفظ إلا من حديث طلحة، /٢٠٣/ ويُعارضُ هذا، ما خرّجه مسلم، عن أبي حَسان قال: قلُت لأبي هريرة رضي الله عنه: إنه مات لي ابنان، فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث، فتطيِّب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم، **«صغارهم دعاميصُ الجنة (يلتقي)[٤] أحدُهم أباه أو قال أبويه، فيأخُذُ بثوبه، أو قال بيده، كما أنا آخذ بصفة ثوبك، فلا يناهى** أو قال: **ينتهي حتى يُدخله الله وإياه الجنة»**[٥].

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«ما من الناس مُسلم يموت له ثلاثة من الولد، لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة، بفضل رحمته إياهم»**[٦].

---

(١) «الضعفاء الكبير» للعقيلي ٢/ ٢٢٦ .(٢) رواه مسلم (٢٦٦٢).

(٣) «الضعفاء الكبير» ٢/ ٢٢٧ . (٤) في (ب)، (ط): (يتلقى).

(٥) رواه مسلم (٢٦٣٥)، وأحمد ٢/ ٤٨٨ و٢/ ٤٨٨ و٥٠٩، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٤٥) «دعاميص» واحد دعموص، أي صغار أهلها. وأصل الدعموص دويبة تكون في الماء لا تفارقه أي أن هذا الصغير في الجنة لا يفارقها.

(٦) البخاري (١٢٤٨)، (١٣٨١) وفي الأدب المفرد (١٥١)، وابن ماجه (١٦٠٥)، والنسائي ٤/ ٢٤.

ولهذا قال الإمام أحمد نَضَّرَ الله وجهه: هُو يُرجى لأبويه، فكيف يشك فيه؟ يعني أنه يُرجى لأبويه دخول الجنة بسببه.

قال الحافظ: ولعل النبي ﷺ، نهي أولاً عن الشهادة لأطفال المسلمين بالجنة قبل أن يطَّلع على ذٰلك، لأن الشهادة على ذٰلك، تحتاجُ إلى علم به، ثم أطلع على ذٰلك فأخبَرَ به[١]، واعترض بعضُهم هٰذا التوجيه بأن سورة الطور مكية، وقد دلّت على تبعيتهم، وأقول هٰذا الأعتراض ساقط فإنا إن قلنا بالتبعية، فلا يُقطع لأطفال المسلمين كما لا يُقطع لآبائهم قلنا: لا نقطعُ لأحد أنَّه من أهل الجنة، إلاّ من قَطَع له رسول الله ﷺ بذٰلك، ولٰكن: نرجوا من الله ذٰلك.

وعندي أنّ النبي ﷺ، إنما نهى عائشة عن ذٰلك، لمسارعتها للشهادة له، من غير توقيف منه ﷺ، وهٰذا كما لا يجوز للحاكم أن يحكم بغير علم، وإن صادف الحق، فكأنّ عائشة قالت ذٰلك باجتهاد منها، وفيه أنه يَبعد من مثل عائشة، أن تتكلم بمثل هٰذا الكلام من غير توقيف، ويُجابُ بأنه ﷺ، لو أوقفها على ذٰلك لم ينهها عنه، وأيضًا هي رضي الله عنها، لمَّا علمت أن الطفل غير مكلف، وأنه ما ألَمَّ بسيّئة قطّ، شهدت / ٢٠٤/ له بأنَّه من عصافير الجنة، والله سبحانه أعلمُ بالصواب.

وقال بعضُ العلماء: يُحتملُ أن يَكونا أبوا الطفل[٢] منافقين، فيكونَ الصبي بين كافرين، والله أعلم.

---

(١) «أهوال القبور» ١٧٠-١٧٦.

(٢) في (ب)، (ط): (أبوى).

تنبيه

قد ذكرنا فيما تقدم أن أرواح الشهداء في طير خضر[١]، وفي بعض الأحاديث: (نسمة)[٢] المؤمن طائر والأوّل: يدلّ على أن الطير ظرف للروح، والثاني: يدل على أن الطير هو الروح، وكذلك في أطفال المسلمين في بعض الأحاديث، في أجواف طير خضر، وفي بعضها في أجواف عصافير، وفي بعضها أنهم دعاميص الجنة.

قال القرطبي في حديث كعب: نسمةُ المؤمن طائر، هٰذا يدلّ على أنها نفسها تكون طائرًا أي على صورته لا أنها تكون فيه ويكون الطائر ظرفًا لها، وكذا في رواية ابن مسعود عند ابن ماجه: «**أرواح الشهداء عند الله كطير**»[٣] وفي لفظ عن ابن عباس، «(**تجولُ**)[٤] **في طير خضر**»، ولفظ ابن عمرو «**في صورة طير بيض**»، وفي لفظ عن كعب «**أرواح الشهداء طيرٌ خضر**» قال: وهٰذا كله أصح من رواية «**في جوف طير**»، وقال القابسي[٥]: أنكر العلماء رواية في حواصل طير خضر؛ لأنها حينئذ تكونُ محصورةً مُضَيَّقًا عليها، ورُدَّ بأنَّ الرواية ثابتة، والتأويل مُحتمل بأن تُجعل «في» بمعنى «على»، والمعنى:

---

(١) ص٣٣١ ت(٣).

(٢) في (ب): (تسمية)، انظر ص٢٩٨ ت(٢) سيأتي في ص٣٥٢ ت(١).

(٣) في (ب)، (ط): (كطير خضر). (٤) في (ب)، (ط): (تحول).

(٥) هو الإمام الحافظ الفقيه أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القروي القابسي المالكي صاحب «الملخَّص»، كان عارفًا بالعلل والرجال والفقه والأحوال والكلام. توفي في ربيع الآخر بمدينة القيروان سنة ثلاث وأربع مئة.
انظر: «وفيات الأعيان» ٣/ ٣٢٠، «تذكرة الحفاظ» ٣/ ١٠٧٩، «سير أعلام النبلاء» ١٧/ ١٥٨ .

أرواحهم على جوف طير خضر كقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي على جذوع النخل، وجائز أن تسمَّى الطيرُ جوفًا إذا هي مُحيط به، ومُشتمل عليه.

قاله الحافظ عبد الحق الإشبيلي، في «**العاقبة**» وقال غيره: لا مانع من أن تكون في الأجواف حقيقة، ويوسعها الله لها، حتى تكون أوسع من الفضاء.

وقال ابن دحية في «التنوير»[1]: قال قومٌ من المتكلمين هٰذه رواية منكرة، إذ لا تكون روحان في جسد واحد، فإن ذٰلك محال، وقولهم جهل بالحقائق، واعتراض على السّنّة الثابتة، فإنّ معنى الكلام بيّنٌ، فإن روح الشهيد، الذي كان في جوف جسده في الدنيا، يجعل في جوف جسد / ٢٠٥/ آخر، كأنّه صورة طائر فيكون في الجسد الآخر، كما كان في الأوّل وذكر مدّة البرزخ، إلى أن يعيده الله يوم القيامة كما خلقه، وإنما الذي يَستحيل في العقل: قيامُ حياتين بجوهر واحد، فيحْيىَ الجوهر بهما جميعًا، وأما روحان في جسد، فليس بمحال إذ لم نقل بتداخل الأجسام، فهٰذا الجنين في بطن أمه وروحه غير روحها، وقد ٱشتمل عليهما جسد واحد، وهٰذا أقرب لو قيل لهم: إن الطائر له روح غير روح الشهيد، وهما في جسد واحد، فكيف؟ وإنما قيل في أجواف طير خضر، أي: في صورة طير، كما تقول ملكًا في صورة إنسان، وهٰذا في غاية البيان. ٱنتهى

---

(١) «شرح الصدور» ص٣٢١ .

قُلْتُ: ليس هٰذه بأوّل جناية من المتكلمين على السنة الغراء، بل هم غالبًا نابِذُوها خلف ظهورهم، فالله يأخذ منهم ومن أتباعهم، فالحقُ للديان، والذي جزم به المحقق وابن عبد السلام، وجمعٌ أن أرواح الشهداء كما قال الصادق في جوف طير خضر ولا حاجة إلى تأويل؛ غير أنّ الشهداء يتفاوتون، والله الموفق.

القسم الثاني: أهل التكليف من المؤمنين سوى الشهداء. وقد ٱختلف العُلماء فيهم قديمًا وحديثًا، والمنصوص عن الإمام أحمد رضي الله عنه، أن أرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكفار في النار.

قال الخلالُ في كتاب السنة، من رواية حنبل سمعتُ أبا عبد الله يقول: أرواحُ الكفار في النار، وأرواح المؤمنين في الجنة، وفي موضع آخر عن حنبل قال: قال عميّ رضي الله عنه: أرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكفار في النار، والأبدان في الدنيا يُعذّب الله من يشاء، ويرحم من يشاء، قال أبو عبد الله ولا نقول إنهما يفنيان، بل هما على علم الله باقيان، يبلغ الله فيهما علمه نسأل الله التثبيت وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا.

وقوله ولا نقول إنهما يفنيان، يعني: الجنة والنار، فإنّ في أوّل الكلام عن حنبل، أن أبا عبد الله حكى قصّة ضرار، وحكايته واختلاف /٢٠٦/ العلماء في خلق الجنّة والنار، وأن القاضي أهدر دمَ ضرار لذٰلك، فاستخفى إلى أن مات، وأن أبا عبد الله قال: هٰذا كُفر يعني القول بأنهما لم يُخلقا بعد، وسيأتي الكلامُ على هٰذا مبسوطًا[1].

---

(١) «أهوال القبور» ص١٧٧.

وقيل إنّ أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر، كما في حديث أمّ بشر مرفوعًا «**إن أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر، ترعى في الجنة تأكل من ثمارها، وتشرب من مائها، وتأوى إلى قناديل من ذهب تحت العرش، فتقول: ربّنا ألْحِقْ بنا إخواننا، وآتنا ما وعدتنا، وإنَّ أرواح الكفار في حواصل طير سود، تأكل من النار، وتشرب من النار، وتأوي إلى حِجرٍ في النار، يقولون: ربنا لا تلحق بنا إخواننا ولا تؤتّنا ما وعدتنا**». رواه ابن منده[١].

وأخرج الإمام مالك عن كعب بن مالك مرفوعًا «**إنما نسمة المؤمن طائر يُعلق في شجر الجنة، حتى يُرجعه الله إلى جَسده**»[٢].

ورواه الإمام أحمد في مسنده وخرّجه النسائي من طريق مالك، وخَرّجه ابن ماجه، ورواه خلق كثير، وخرج ابن منده عن ابن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**أرواح المؤمنين في طير كالزرازير تأكل من ثمر الجنة**»[٣] قال ابن منده رحمه الله: رواه جماعة عن الثوري موقوفًا،

---

(١) رواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧٨٨٥)، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٧/ ٣٠٦. وروي بعضه من حديث كعب بن مالك، وفيه ذكر أم بشر (وهي أم مبشر) رواه ابن ماجه (١٤٤٩)، وتقدم حديث أم بشر ص١٢٦ ت(٢).

(٢) مالك في الموطأ ص(١٦٤)، وأحمد ٦/ ٣٨٦ وفي ٣/ ٤٥٥، و٤٥٦، وابن ماجه (٤٢٧١)، والترمذي (١٦٤١)، والنسائي (٤/ ١٠٨).

(٣) رواه ابن أبي شيبة ٧/ ٣١، وابن المبارك في الزهد (٤٤٦)، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٢٩٠، وابن عبد البر في التمهيد ١١/ ٦٤ من قول عبد الله بن عمرو. وأورده الهيثمي ٢/ ٣٢٩، وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه يحيى بن يونس ولم أجد من ذكره وبقية رجاله ثقات انظر: ص١٣٥، ت(٢)، وص٣٣١ موقوفاً على ابن عمرو.

يعني: على عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما.

قال الحافظ ابن رجب[١]، قدّس الله روحه: الصوابُ وقفُه، وقد ذكره الإمام أحمد موقوفًا وروى ابن المبارك عن كعب من رواية الأعمش، عن شمر بن عطية، عن هلال بن يساف، قال: كُنا جلوسًا إلى كعب فجاء ابن عباس رضي الله عنهم، فقال: يا كعب كُل ما في القرآن قد عرفتُ غير أربعة أشياء فأخبرني عنهن، فسأله عن سجّين وعلّيين. فقال كعب: أما علّيّون فالسماء السابعة، فيها أرواح المؤمنين، وأما سجين فالأرض السابعة السُّفلى، فيها أرواح الكفار، تحت خدِّ إبليس.

قال الحافظ: وقد ثبتَ بالأدلّة أن الجنّةَ فوقَ السماء السابعة، وأن النار تحت /٢٠٧/ الأرض السابعة.

وسيأتي بيانُ ذلك في الكتاب الرابع من هذا التأليف، إن شاء الله تعالى[٢].

وقال وهب بن منبّة: إنَّ لله عزّ وجلّ في السماء السابعة دارًا يقال لها البيضاء: يجتمع فيها أرواح المؤمنين، فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح، فيسألونه عن أخْبار الدنيا، كما يَسألُ الغائب أهله إذا قدمَ عليهم[٣].

وروى ليث من حديثٍ عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: إنَّ

---

(١) «أهوال القبور» ص١٧٩. (٢) ص٩٣٥.

(٣) حلية الأولياء ٤/ ٦٠، انظر ص١٢٧ ت(٣).

أرواح آل فرعون في أجواف طير سود، تغدوا على جهنم وتروح عليها، فذٰلك عرضُها. أخرجه ابن أبي حاتم[١].

واعلم أنه: إنما تَدخُل أرواح المؤمنين من الشهداء وغيرهم الجنة، إذا لم يمنع مانع من نحو كبيرة، كما لو غَلّ، أو كان عليه دين، فإنه يُحبَس عن الجنة إن لم يلطف الله به، ويتغمده برحمته حتى يُقضى عنه دينه.

وفي الصحيحين، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن مِدْعَمًا قُتل يوم خيبر، فقال الناسُ: هنيئًا له الجنة. فقال النبي ﷺ: **«كلاّ والذي نفسي بيده، إنَّ الشملة التي أخذها يومَ خيبر، لم تُصبها المقاسم لتشتعل عليه نارًا»**[٢].

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ، فقال: **«ههنا أحد من بني فلان؟»** ثلاثًا فلم يُجبه أحد، ثم أجابه رجل. فقال: **«إن فُلانا الذي تُوفيَ اٌحتُبس عن الجنة، من أجل الدَّين الذي عليه، فإن شئتم فافْتَكُّوه، أو فافدوه وإن شئتم فأسلموه إلى عذاب الله تعالى»** خرّجه الإمام أحمد وأبو داود، والنسائي بألفاظٍ مُختلفة[٣].

وقالت طائفة: الأرواح في الأرض، ثم اٌختلفوا فقالت فرقة منهم: الأرواح تستقرُ على أفنية القبور، وهٰذا القول هو الذي ذكره

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره لسورة غافر آية (٤٦).

(٢) رواه البخاري (٤٢٣٤)، ومسلم (١١٥).

(٣) رواه أحمد ٥/ ٢٠، وأبو داود ٣٣٤١، والنسائي ٧/ ٣١٥.

عبد الله بن الإمام أحمد، في سؤاله لوالده رضي الله عنهما، حيث قال سألت أبي عن أرواح الموتى أفتكون في أفنية قبورها أم هي /٢٠٨/ في حواصل طير؟ أم تموتُ كما تموتُ الأجساد؟ قال: رُوي عن النبي ﷺ، قال: «**نسمة المؤمن إذا مات طائرٌ يُعلق في شجر الجنة، حتى يُرجعَه اللهُ إلى جسده يوم يبعثه**»[١].

وحكى القول الذي هو: أن أرواح الموتى في أفنية قبورها ابن حزم، عن عامة أهل الحديث، ورجّحه ابن عبد البرِّ. وقال مجاهد: الأرواح على القبور سبعةَ أيام، من يوم دَفن الميت لا تفارقه، ذٰلك واستدل هو وغيره بحديث ابن عُمر، عن النبي ﷺ، «**إذا مات أحدُكم عُرضَ عليه مقعَدُه بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار، فمِنْ أهل النار، يُقالُ له هٰذا مقعدُك حتى يَبعثَك الله**»[٢].

فهٰذا يدلّ على أن الأرواح ليست في الجنّة، وإنما تُعرض عليها بكرة وعشيّا.

واحتج ابن عبد البر أيضًا: بحديث النبي ﷺ، حين خَرج إلى المقبرة فقال: «**السلامُ عليكم دارَ قوم مؤمنين**»[٣]، قال: فهٰذا يدل على

(١) تقدم تخريجه ص٢٩٨ ت(٢)، ٣٢٩ ت(٣)، ٣٤٦.

(٢) مسلم ٤/ ٢١٩٩ (٢٨٦٦).

(٣) أحمد ٦/ ٧٦، و٦/ ١١١ من طريق القاسم عن عائشة وأحمد ٦/ ٧١، وابن ماجه ١٥٤٦، والنسائي ٧/ ٧٥ من طريق عبد الله بن عامر بن ربيعة عن عائشة.

أن الأرواح بأفنية القبور، لكنه رُجح بأنّ أرواح الشهداء في الجنة وما عداهم على أفنية قبورها كما ذكرنا[١]، وَردّ الإمام المحقق على عموم هٰذا، يَعني كونُ الأرواح على أفنية القبور، حيثُ قال: إن أراد أنها تكون على أفنية قبورها، أي: هٰذا الأمر لازم لها لا تفارق أفنية القُبور أبدًا، فهٰذا خطأ يردّه نصوص الكتاب والسنة، من وجوه كثيرة، وإن أراد أنّها تكون على أفنية القبورِ وَقْتًا من الأوقات أو لها إشراق على قُبورها، وهي في مقرها، فهٰذا حقّ لكن: لا يُقال مستقرها أفنيةُ القُبور، وذكرَ المحقِّق شُبَه من قال بذٰلك، ثم ردها بأنَّ عَرْض مقعد الميت عليه من الجنة أو النار لا يدل على أن الروح في القبر، ولا على فنائه دائمًا من جميع الوجوه، بل لها إشراق واتصالٌ بالقبر وفنائه، وذٰلك القدرُ منها يُعرض عليه مقعده، فإن للروح شأنًا آخر يكون في الرفيق الأعلى في أعلى عليين، ولها اتصال بالبدن، بحيث[٢] إذا سلم المسلم على الميت رُدَّ عليه روحه، فيردُّ عليه السلام. قال: وإنما يغلط أكثر الناس في هٰذا الموضع، بحيث يعتقد أن الروحَ من جنس ما يعهد من الأجسام التي إذا شغلت مكانًا، لم يمكن أن تكونَ في غيره، وهٰذا غلط محض، بل الروح تكونُ فوق السموات في علّيّين، فترد إلى القبر، وترد السلام، وتعلم بالمسلم وهي في مكانها هناك.

---

(١) «أهوال القبور» ص١٨٧ : ١٩٠.

(٢) في الأصل حاشية، لعله: ما يعتقد وما أثبت من كتاب «الروح» ص١٠١.

قال: وروحُ نبينا ﷺ في الرفيق الأعلى دائمًا، ويردها الله سُبحانه إلى القبر، فيردّ السلام على من سلّم عليه، ويسمع كلامه، وقد رأى رسول الله ﷺ، موسى قائمًا يصلي في قبره، ورآه في السماء السادسة أو السابعة، فإما أن تكون سريعة الحركة والانتقال كلمح البصر، وإما أن تكون متصلة بالقبر وفنائه، بمنزلة شعاع الشمس وجرمها في السّماء إلى أن قال: وأما السلام على أهل القبور وخطابهم فلا يدلّ على أنّ أرواحهم ليست في الجنة، وإنها على أفنية قبورها، فهٰذا سيّدُ العالم ﷺ، الذي روحه في أعلى عليين مع الرفيق الأعلى، نسلم عليه عند قبره، فيسمع سلام المسلم. ٱنتهى.

وذكر نحوه تلميذه الحافظ ابن رجب، وقال تبعًا له: ويشهد لذٰلك الأحاديث المرفوعة والموقوفة.

وذكر عن أبي الدارداء وعبد الله بن عَمرو بن العاص، في أن النائم يُعرجُ بروحه إلى العرش مع تعلقها ببدنه، وسرعة عودها إليه عند ٱستيقاظه، فأرواح الموتى المتجردة عن أبدانهم أولى بعروجها إلى السماء وعودها إلى القبر في مثل تلك السرعة ٱستدل الخصم بحديث البراء بن عازب، حيث قال فيه في صفة قبض روح المؤمن، «..**فإذا ٱنتهى إلى العرش، كتُب كِتَابهُ في عليين، ويقول الرّبّ عزّ وجلّ: رُدّوا عبدي إلى مضجعه، فإني وعدتهم أنّي منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، فيُرد إلى مضجعه**. الحديث. **وقال في روح الكافر: فيُصعد بها إلى / ٢١٠/ السماء فَتُغلقُ دونه، فيقول الرّبّ:**

رُدّوا عبَدي إلى مضجعه، فإنّي وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أُخرِجُهم تارة أخرى».

وفي لفظ: «رُدُّوا روح عبدي إلى الأرض، فإني وعدتهم أن أرُدَّهم فيها»، ثمّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ [طه: ٥٥] الآية[١].

وهٰذا يدل على أنّ أرواح المؤمنين تستقر في الأرض، ولا تعود إلى السّماء بعد عرضها ونزولها إلى الأرض. قال الحافظ: لٰكن حديث البراء وحده لا يعارض الأحاديث المتقدمة في أنّ الأرواح في الجنة لاسيّما الشهداء.

وأخرج أبو يعلى في مسنده، وابن أبي الدنيا من طريق يزيد الرقاشي، عن أنس، عن تميمٍ الداري، عن النبي ﷺ، قال: «يقولُ الله لملك الموت: انْطلق إلى وَلِي فأتني به، قد جَرّبتُه بالسَّرّاء والضّرّاءِ فوجدته حيث أحب، فأْتني به لأريحه من هموم الدنيا وغمومها، فينطلق إليه ملك الموت، ومعه خمسمائة من الملائكة، معهم أكفان وحنوط من الجنة، ومعهم ضبائر الريحان»[٢] والضبائر: بضاد معجمة وباء مُوحدة آخره راء هي الجماعات، واحدتها: ضِبارة بكسر أوّله مثل عِمارة، وكل مجتمع ضبارة قاله في النهاية[٣].

قال في الحديث «أصل الريحانة واحد وفي رأسها عشرون لونًا لكلّ

---

(١) انظر ص(٣٦٥) ت(٤).

(٢) هذا الحديث الطويل سيأخذ عدة صفحات وهو حديث منكر كما سيأتي الكلام عليه.

(٣) «النهاية في غريب الحديث» ٣/ ٧١-٧٢.

لون منها ريح سوى ريح صاحبه، ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك الأذفر، فيجلس ملك الموت عند رأسه وتحتوشه الملائكة، ويضع كُل ملك منهم يده على عضو من أعضائه، ويبسط ذٰلك الحرير الأبيض، والمسك الأذفر تحت ذقنه، ويُفتح لهُ باب إلى الجنة، قال: فإن نفسه لتُعلَّل عند ذٰلك بُطُرف الجنة»، وهو بضم الطاء المهملة، وضم الراء وفاء: جمع طُرفة المستحدث من المال كالطريف، والطارف وهو خلاف التليد والتالد، قاله السيوطي، «مرّة بأزواجها» يَعني أزواج الجنة، «ومرّة بكسوتها ومرّة بثمارها، كما يُعلل الصَبيَّ أهلُهُ إذا بكا، وإنَّ أزواجه ليبتهشنَّ عند ذٰلك ٱبتهاشًا».

قال في النهاية: يُقالَ للإنسان إذا نظر إلى شيء / ٢١١/ فأعجبه واشتهاه وأسرع نحوه، قد بَهش إليه[١].

وفي الصحاح: بهش[٢] إليه يبهش بهشًا إذا ٱرتاح له وخف إليه. ٱنتهى «وتنزُو الروح نَزوا» أي تُسرع وتشبُ كما في الصّحاح[٣]. ويقول ملك الموت: ٱخرجي أيتها الروح الطيبة، إلى سِدر مخضود، وطلح منضود، وظل ممدود، وماء مسكوب» قال: «ولَملك الموت أشد تلطفًا به من الوالدة بولدها، يَعرف أن ذٰلك الروح حبيب إلى ربه، كريم على الله، فهو يلتمس بلطفه بتلك الروح رضى الله عنه، فَتُسَلّ روحه كما تسلّ الشعرة من العجين. قال: وإنّ روحه لتخرُجُ والملائكة حوله يقولون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]

---

(١) «النهاية في غريب الحديث» ١/ ١٦٦. (٢) «الصحاح» ٣/ ٩٩٦ مادة [بهش].

(٣) «الصحاح» ٦/ ٢٥٠٧ مادة [نزا].

وذلك قول ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ قال: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: ٨٨ ـ ٨٩] قال: رَوْحٌ من جهة الموت وريحَان يتلقى به عند خروج نفسه، وجنّة نعيم أمامه، أو قال مقابله فإذا قبضَ ملك الموت روحه يقول الروحُ للجسد: جزاك الله خيرا، لقد كنت بي سريعًا إلى طاعة الله بطيئًا عن معصيته، فهنيئًا لك اليوم، فقد نجوت وانجعت، ويقول الجسد للروح مثل ذٰلك قال وتبكي عليه بقاع الأرض التي كان يطيعُ اللهَ عليها، وكلّ باب من السّماء كان يصعد منه عمله، وينزل منه رزقه أربعين ليلة فإذا قَبضت الملائكة روحه أقامت الخمسمائة ملك عند جسده، لا يقلّبه بَنوا آدم لشق، إلا قلبته الملائكة قبلهم وَعَلَته بأكفانٍ قبل أكفانهم، وحنوطٍ قبل حنوطهم، ويقوم من باب بيته إلى باب قبره صفان من الملائكة، يستقبلونه بالاستغفار وَيصيحُ إبليسُ عند ذٰلك صيحةً يتصدع منها بعض عظام جسده، ويقول لجنوده: الويلُ لكم كيف خلص هٰذا العبد منكم؟ فيقولون: إن هٰذا كان معصومًا، فإذا صَعَد ملك الموت بروحه إلى السماء، يستقبله جبريل في سبعين ألفًا من الملائكة، كلهم / ٢١٢/ يأتيه ببشارة من ربه، فإذا ٱنتهى ملك الموت إلى العرش خرّت الروحُ ساجدة لربها، فيقول الله لملك الموت ٱنطلق بروح عبدي، وضعه في سدر مخضود، وطلح منضود، وظلّ ممدود وماء مسكوب، فإذا وُضع في قبره جاءت الصلاة، فكانت عن يمينه وجاء الصيام، فكان عن يساره، وجاء القرآن والذكر فكانا عند رأسه، وجاء مشيه للصلوات،

فكان عند رجليه، وجاء الصبر فكان ناحية القبر، ويَبعثُ الله عنقًا أي طائفة من العذاب، فيأتيه عن يمينه، فتقول الصلاة وراك، والله ما زال دائبًا بالدال المهملة وموحدة آخره أي جادًا عمره كله، وإنما اَستراح الآن، حين وضع في قبره قال: فيأتيه عن يساره فيقول الصيام مثل ذٰلك، فيأتيه من قِبَل رأسه فيقال مثل ذٰلك، فلا يأتيه العذاب من ناحية فيلتمسُ، هل يجد إليه مساغًا إلاّ وجد وليَّ الله قد أحرزته الطاعة، فيَخرجُ عنه العذاب عندما يرى ويقول الصبر لسائر الأعمال: أما إنه لم يمنعْني أن أباشرَهُ بنفسي، إلا أني نظرت ما عندكم، فلو عجزتم كنتُ أنا صاحبه، فأمّا إذ أجزأتُم فأنا ذخر له عند الصراط، وذخر له عند الميزان، قال: ويبَعثُ الله ملكين أبصارُهما كالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرعد القاصف، وأنيابهما كالصّياصي، أي: بمهملتين هي: قرون البقر، واحدها صيصيه وأنفاسهما كاللهب، يَطآن في أشعارهما، بين منكبي كل واحد منهما مسيرة كذا وكذا، وقد نُزعت منهما الرأفة والرحمة، إلا بالمؤمنين يُقال لهما منكر ونكير، في يد كلّ واحد منهما مِطرقة، لو اَجتمع عليها الثقلان لم يقلوها فيقولان له: اَجلس، فيستوي جالسًا في قبره فتسقط في حقويه فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ فيقول: ربي الله وحده لا شريك له، والإسلام ديني، ومحمدٌ نَبِيّ، وهو خاتم النّبيّين، فيقولان له: صدقت فيدفعان القبر، فيوسعانه من بين يديه، ومن خلفه وعن يمينه وعن /٢١٣/ يساره، ومن قِبل رأسِه ومن قِبَل رجليه، ثم يقولان له اَنظرُ فوقك فينظرُ، فإذا

هو مفتوح إلى الجنة، فيقولان له هٰذا منزلك يا وَلِيَّ الله، لما أطعتَ الله قال رسول الله ﷺ: «فوالذي نفسُ محمد بيده، إنَّه لتصلُ إلى قلبه فرحةٌ، لا ترتدُ أبدًا، فيقال له: أنظر تحتك فينظر تحته، فإذا هو مفتوح إلى النار فيقولان يا ولِيَ الله نجوت من هٰذا، قال رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده، إنه لتصلُ إلى قلبه عند ذٰلك فرحة لا ترتد أبدا، ويُفتَح له سبعةُ وسبعون بابًا إلى الجنة، فيأتيه ريحُها وبردُها حتى يبعثه اللهُ من قبره قال: ويقولُ الله تعالى لملك الموت: أنطلق إلى عدوّي فأتني به فإني قد بسطت له رزقي، وسربلته بنعمتي فأبى إلاّ معصيتي، فأتني به لأنتقَم منه اليوم، فينطلق إليه ملك الموت، في أكره صورة رآها أحد من الناس قط، له أثنا عشر عينا ومعه سَفّود، وهو بفتح المهملة وضمّ الفاء المشددة آخره مهملة: الحديدة التي يُشوَى بها اللحم من نار، كثير الشوك ومعه خمسمائة من الملائكة، معهم نحاس أي: دخان لا لهب فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ [الرحمن: ٣٥] وجمرٌ من جمر جهنم ومعهم سياطٌ من النار، تتأجج فيضربه ملك الموت بذٰلك السفّود ضربةً يغيب أصل كلّ شوكة من ذٰلك، في أصل كلّ شعرة وعِرق من عروقه، ثم يلويه ليّا شديدًا فينزع روحه من أظفار قدميه، فيلقيها في عقبيه، فيَسكرُ عدوُّ الله عند ذٰلك سكرةً، وتضرب الملائكةُ وجهه ودبره بتلك السياط، ثم يجبذه جبذة[1] فتُنزع روحه من عقبيه،

---

(١) ورد في هامش الأصل: قوله: يجبذه جبذةً هو مثل يجذبه جذبةً وهو مقلوب منه. انتهى.

فيُلقيها في ركبتيه فيسكر عدوّ الله سكرة، وتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط، ثم كذٰلك إلى حقويه، ثم كذٰلك إلى صدره، ثم كذٰلك إلى حلقه، ثم تبسط الملائكة ذٰلك النحاس وجمر جهنم تحت ذقنه، ثم يقولُ ملكُ الموت أُخرجي أيتها النفس / ٢١٤/ اللعينة الملعونة إلى سَموم وحميم، وظل من يحموم لا باردٍ ولا كريم، فإذا قَبضَ ملكُ الموتِ روحه، قال الرّوحُ للجسد جزاك الله عني شرًا، فقد كنت سريعًا إلى معصية الله تعالى، بطيئًا عن طاعة الله، فقد هلكتَ وأهلكتَ ويقولُ الجسد للروح مثل ذٰلك، وتلعنه بقاعُ الأرض التي كان يَعصي الله عليها، وتنطلق جنود إبليس إليه، يبشرونه بأنهم قد أوردوا عبدًا من بني آدم النار، فإذا وُضع في قبره ضُيّق عليه قبره، حتى تختلف أضلاعه، فتدخل اليمنى في اليُسرى واليُسرى في اليمنى، ويبعثُ الله إليه حيات دُهما».

قال السيوطي: يُحتمل أن يكونَ بضم أوّله أي سُود فيكون جمع دُهم، وأن يكون بفتح أوّله أي عَددًا كثيرًا، فيكون مفردًا والجمع دهوم انتهى. «فتأخذ برأسه[1] وإبهام قدميه، فتقوضه» بقاف ثم واو ثم ضاد معجمة، أي: تنقصه. بمعنى تفسخه وتفرقه وفي النهاية[2]. تقويض الخيام قلعها وإزالتها انتهى حتى تلتقي في وسطه قال: ويبعث اللهُ إليه الملكين، فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن

---

(١) في (ب)، و(ط): (بأزبنته).

(٢) «النهاية في غريب الحديث» ص/ ١٣٢ .

نبيك؟ فيقول: لا أدري فيقال: لا دَريت ولا تليت فيضربانه ضربة، يتطاير الشرار في قبره، ثم يعود فيقولان له أنظر فوقك فإذا باب مفتوح إلى الجنة، فيقولان يا عدوّ الله لو كنت أطعت الله كان هٰذا منزلك، قال: فوالذي نفسي بيده ليصل إلى قلبه عند ذٰلك حسرة لا ترقد أبدًا، ويُفتح له باب إلى النار فيقالُ يا عدو الله: هٰذا منزلك لما عصيت، ويفتح له سبعة وسبعون بابًا إلى النار، يأتيه حرُّها وسمومُها حتى يبعثه الله من قبره يوم القيامة إلى النار ففيه أن الله يقولُ لملك الموت في حقّ المؤمن: أنطلق بروح عبدي، وضعه في سدر مخضود، وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب»[1]. والله أعلم.

وفي صحيح مسلم[2] عن عبد الله /٢١٥/ بن شقيق عن أبي هُريرة رضي الله عنه، في صفة قبض روح المؤمن قال: « **يُصعد به إلى ربه عز وجل فيقول: ردّوه إلى أحد الأجلين**» وذكر مثله في الكافية، وفي حديث ابن أبي الدنيا في روح المؤمن «**ويبعث بها إلى عليين**»، وفي روح الكافر «**وينصب بها إلى سجين**» وخرجَّهُ النسائي وغيره[3].

---

(١) أورده الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/٥٣٧-٥٣٩ تفسير ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [إبراهيم: ٢٧]. وفيه ضرار بن عمرو.
قال ابن حبان في المجروحين ١/ ٣٨٠: منكر الحديث جدًا.
قال أبو نعيم في كتاب «الضعفاء» ص٩٥: حديث منكر، انظر ص٩٥ ت(١).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٨٧٢) ولفظه: «إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدانها» وقد رواه بنفس اللفظ ابن منده في «الإيمان» (١٠٦٩).

(٣) «ذكر الموت» لابن أبي الدنيا ص٢٧٩-٢٨٠ (٥٥٥) ورواه النسائي ٤/٨-٩، وابن حبان في صحيحه» (٣٠١٤)، والحاكم في «المستدرك» ١/ ٣٥٣ .

وقال ابن مسعود: إن الروح بعد السؤال في القبر ترفع إلى عليين، وتلا قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨﴾ [المطففين: ١٨] وقالت فرقة: تجتمع الأرواح بموضع من الأرض.

كما روى همّام عن قتادة: حدَّثني رجلٌ عن سعيد بن المسيب، عن عبد الله بن عمرو قال: إن أرواح المؤمنين تَجتمعُ بالجابية، وأما أرواح الكفار فتجتمع بسبخة بحضرموت، يقال لها برهوت. خرّجه أبو عبد الله ابن منده[١].

ورواه هشام الدستوائي، عن قتادة عن سعيد بن المسيب من قوله: لم يَذكر عبد الله بن عَمرو على أن قتادة لم يسمعه من سعيد، بل بينه وبينه من لم يُعرف.

وأخرج ابن منده[٢] عن عليّ رضي الله عنه قال: شرُّ وادٍ بئرٌ في الأحقاف، وبرهوت بئر في حضرموت. ترده أرواح الكُفّار.

ورواه من طريق آخر[٣] عن ابن عباس عن علي رضي الله عنهم، قال: أبغض بُقعة في الأرض بئرٌ بحضرموت يقال له برهوت، فيه أرواح الكفار، وفيه بئر ماؤه بالنهار أسود كأنه قيح، تأوي إليه الهوام.

---

(١) ذكره ابن حبان في «صحيحه» (٧/ ٢٨٤) دون إسناد، قال: قال قتادة: وحدثني رجل عن سعيد بن المسيب... فذكره.

(٢) وأخرجه عبد الرزاق في (مصنفه» (٩١١٨)، والفاكهي في «أخبار مكة» (١١١٠).

(٣) أخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (١١١١) وفي إسناده علي بن زيد وهو ابن جدعان ضعيف، ويوسف بن مهران لين الحديث.

وأخرج ابن مَنده أيضًا[١]: أن ابن عَمرو سُئل عن أرواح المؤمنين، وأرواح الكافرين، فقال: أرواحُ المؤمنين بالجابية، وأرواحُ الكفار ببرهوت. وأخرج أيضًا عن سفيان عن إبان بن تغلبٍ قال: قال رجلٌ: بتُّ فيه، يعني: وادي برهوت فكأنما حشرتْ فيه أرواح الناس، وهمُ يقولون يا دومة، يا دومة قال أبان: حدثنا رجل من أهل الكتاب، أنّ دومة هو الملك الذي على أرواح الكفار.

قال سفيان: وسألنا الحضرميين فقالوا: /٢١٦/ لا يستطيع أحدٌ أن يبيتَ فيه بالليل.

وقال ابن قتيبة في كتابه «غريب الحديث»[٢]: ذَكَر الأصمعي عن رجُل من أهل برهوت: يعني البلد الذي فيه هذا البئر قال: نجدُ الرائحة المنتنة الفظيعة جدًا، ثم تمكثُ حينا، فيأتينا الخبرُ بأنّ عظيمًا من عظماء الكفار قد مات، فنرى أنّ تلك الرائحة منه.

وقال ابن عيينة أخبرني رجلٌ أنه أمسى ببرهوت، فكأن فيه أصوات الحاج قال: وسألتُ أهل حضرموت، فقالوا: لا يَستطيع أحدٌ أن يُمسي به.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عُمر بن سليمان، قال: ماتَ رجل من اليهود عنده وديعة لمسلم، وكان لليهودي ابن مسلم، فلم يعرف موضع الوديعة، فأخبر شعيبًا الجبائي فقال: آئت برهوت، فإن دونه عينا بسيسب، فإذا جئت يومَ السبت فامش عليها، حتى تأتي هناك فادع أباك فإنه يجيبك فتسأله عمّا تُريد ففعل ذلك الرجل، ومضى حتى

(١) انظر: «أهوال القبور» ص١٩٣ .

(٢) باب «الباء مع الراء» لم يذكر هذا فيه.

أتى العين، فدعا أباهُ مرتين أو ثلاثًا فأجابه فقال: أين وديعة فلان؟ فقال: تحت أسكفة الباب فدفعها إليه[١]، وتقدَّمت حكايةُ الرجل صاحبِ الذهب.

وقال أبو موسى الأشعري: روح الكافر بوادي حضرموت، في أسفل الثرى من سبع أرضين.

قال الحافظ[٢]: وكل ما ورد من هٰذه الآثار فإنه محمول على أن الأرواح تنتقل من مكان إلى مكان، فلا تدل على أنها تستمر في موضع معين من الأرض. واللهُ أعلم.

قال ويشهد لهٰذا ما رُويَ عن شهر بن حوشب قال: كتب عبد الله بن عَمرو إلى كعب يسأله أين تلتقي أرواحُ أهل الجنة وأرواح أهل النار؟ فقال: أمّا أرواح أهل الجنَّة فبالبادية، وأما أرواحُ الكُفّار فبحضرموت. ذكره ابن منده تعليقًا[٣].

وقالت طائفة من الصحابة[٤]: الأرواح عند الله عزّ وجل، وقد صحّ ذٰلك عن عُمر رضي الله عنه، وقال حذيفة إن الأرواح موقوفة عند الرّحمن عزّ وجل، تنتظر /٢١٧/ مَوعدها حتى يُنفخ فيها، قال الحافظُ إسناده ضعيف، ثم قال وهٰذا لا ينُافي ما وَرَدَتْ به الآثارُ من محَل الأرواح على ما سبق.

---

(١) «أهوال القبور» ص١٩٣ : ١٩٥. (٢) «أهوال القبور» ص١٩٨-١٩٩ .

(٣) «أهوال القبور» ص١٩٩ .

(٤) «أهوال القبور» ص١٩٩، «الروح» ص١٧٣ .

وقالت طائفة[١]: أرواح بني آدم عند أبيهم آدم عن يمينه وشماله، ويستدلّ له بما في الصحيحين، عن أنس رضي الله عنه عن أبي ذرّ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، في حديث المعراج وفيه: **«لما فَتح عَلوْنا السماء الدُنيا فإذا رَجل قاعدٌ على يمينه أسودة، وعلى يساره أسودة، فإذا نظر قِبَلَ يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، فقال: مرحبًا بالنبي الصالح، والابن الصالح، قلت لجبريل من هٰذا؟ قال: آدم، وهٰذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه، وأهل اليمين فهم أهل الجنَّة والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر عن شماله بكى»**[٢] وذكر بقية الحديث. قال الحافظ[٣]: وظاهر هٰذا اللفظ يقتضي أن أرواح الكفار في السماء قال: وهٰذا مُخالف لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف: ٤٠] الآية.

وكذلك حديث البراء[٤] وأبي هُريرة[٥] وغيرهما فيها «إن السماء لا تُفتح لروح الكافر، وإنما تُطرح طرحًا» وإن رسول الله ﷺ، قرأ: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ * فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج: ٣١] الآية. وقد حمله

---

(١) «أهوال القبور» ص١٩٩، «الروح» ص١٧٩ .

(٢) رواه البخاري (٣٤٩) و(١٦٣٦) و(٣٣٤٢)، ومسلم (٢٦٣).

(٣) «أهوال القبور» ص٢٠٠ .

(٤) أحمد (٣٠/ ٣٩٩، ٥٠٧)، والطيالسي (٧٨٩)، والحاكم (١/ ٣٧)، وأبو داود (٣٢١٢، ٤٧٥٣، ٤٧٥٤)، انظر ص(٣٥٥) ت(١).

(٥) أحمد رقم (٨٧٦٩)، وابن ماجه (٤٢٦٢) صحيح ابن ماجه (٣٤٣٧)، والنسائي في الكبرىٰ (١١٤٤٢)، والحاكم (١/ ٣٥٢،٣٥٣، ٣٧).

بعضهم بأنّ هٰذه الأرواح التي عن يمين آدم وشماله، هي أرواح بنيه التي لم تُخلق أجسادهم بعد، قال الحافظ وهٰذا في غاية البُعد، مع ما فيه من النزاع في أنّ الأرواح هَل خُلقت قبل الأجساد؛، أو بعدها على ما قدّمناه.

قال الحافظ: وقد وَرَدَ من حديث أبي هُريرة رضي الله عنه، ما يُزيل هٰذا الإشكال كله، في حديث الإسراء وفيه: «**فدخل فإذا هو برجل تام الخلق، لم ينقص من خلقه شيء، كما ينقص من خلق الناس عن يمينه /٢١٨/ باب يخرجُ منه ريح طيبة، وعن شماله بابٌ يخرجُ منه ريح خبيثة، إذا نظر إلى الباب الذي عن يمينه ضحك واستبشر، وإذا نظر إلى الباب الذي عن شماله بكى وحزن، قال يا جبريل من هٰذا الرجل التام الخلق؟ الذي لم ينقص من خلقه شيء؟ وما هذان البابان، قال: هٰذا أبوك آدم ﷺ، وهٰذا الباب الذي عن يمينه بابُ الجنة، فإذا نظر مَن يَدخُلُ من ذريته الجنة ضحك واستبشر، والباب الذي عن شِماله بابُ جهنم، فإذا نظر من يدخل من ذريته جهنم بكى، وحزن**»[1] وذكر الحديث خرّجه بتمامه البزار في مسنده، والخلال وغيرهما، وفيه التصريح بأنّ أرواح ذريته في الجنة، والنار.

قال الحافظ: وهٰذا لا يقتضي أن تكون الجنة والنار في السماء الدنيا، وإنما معناه أن آدم في السماء الدنيا يُفتح له بابان إلى الجنة والنار، ينظر منهما إلى أرواح ولده فيهما وقد رأى النبي ﷺ، الجنَّة

(١) رواه الطبري في تفسير أول سورة الإسراء آية (١) من حديث أبي هريرة أو غيره (على الشك) وإسناده ضعيف، وضعفه ابن حجر في الفتح (١/ ٤٦٢) بشرحه الحديث (٣٤٩) حيث قال: فهذا لو صح لكان المصير إليه ولكن سنده ضعيف. اهـ.

والنارَ في صلاة الكسوف، وهو في الأرض، وليست الجنة في الأرض، ورُوي أنه رآهما ليلة الإسراء في السماء، وليست النارُ في السماء[١].

ويؤيده حديث هارون العبدي مع ضعفه، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ، في حديث الإسراء الطويل، أن ذكر السماء الدنيا قال: **«وإذا أنا برجل كهيئته يومَ خلقه الله، لم يتغير منه شيء وإذا هو يعرض عليه أرواح ذُرّيته، فإذا كان روح مؤمن قال: روح طيبة اْجعلوا كتابه في عليين وإذا كان روح كافر قال: روحٌ خبيثة، وريح خبيثة اْجعلوا كتابه في سجين، قلت: يا جبريل من هٰذا؟ قال: أبوك آدم»**[٢]. وذكر الحديث ففي هٰذا: إنه يُعرض عليه أرواح ذريته في السماء الدنيا، وأنه يأمر بجعل الأرواح في مستقرها من عليين وسجين فدل على أن الأرواح ليس محل اْستقرارها في السماء الدنيا وزعم ابن حزم: أن الله خلق الأرواح جملة قبل الأجساد وأنه جعلها في برزخ /٢١٩/ وذٰلك البرزخُ عند منقطَع العناصر، يعني حيث لا ماء ولا هواء ولا نار، ولا تُراب وإنه إذا خلق الأجساد أدخل فيها تلك الأرواح، ثم يعيدها عند قبضها إلى ذٰلك البرزخ، وهو الذي رآها فيه رسول الله ﷺ، ليلة الإسراء به عند منقطع العناصر، أرواح أهل السعادة عن يمين آدم وأرواح أهل الشقاوة عن يساره، وذٰلك عند السماء الدنيا وأما أرواح الأنبياء والشهداء فترفع إلى الجنة، قال:

---

(١) «أهوال القبور» ص٢٠١.

(٢) انظر: الصفحة السابقة لتخريجه، انظر ص(٣٧٣) ت(٢).

وهٰذا القولُ قول جميع أهل الإسلام(١)(٢).

قال المحقق في الروح: قولهُ أي ابن حزم إن ذٰلك عند مُنقطع العناصر: لا دليل عليه من كتابٍ ولا سُنَّة، ولا يُشبه قول أهل الإسلام، والأحاديث الصحيحةُ تدلّ على أن الأرواح فوقَ العناصر في الجنة عند الله، وأدلّة القُرآن تدل على ذٰلك، وقد وافقنا ابن حزم على أنّ أرواح الأنبياء والشّهداء في الجنة، ومعلومٌ أن الصديقين أفضل من الشهداء، فكيف يكون روح أبي بكر وعبد الله بن مسعود، وأبي الدّرداء وحُذيفة بن اليمان، وأشباههم عند منقطع العناصر، وذٰلك تحت هٰذا الفَلَكِ الأدنى، وتحتَ السماء الدنيا وتكون أرواح شهداء زماننا وغيرهم فوق العناصر، وفوق السموات(٣) ٱنتهى. وقال تلميذه الحافظ قوله: «وهٰذا قول جميع أهل الإسلام»(٤).

وأمّا قوله وقد ذكر محمد بن نصر المروزي عن إسحاق بن راهويه، أنه ذكر هٰذا الذي قلناه بعينه، قال: وعلى هٰذا أجمع أهل العلم فقال المحقق قلتُ محمد بن نصر المروزي، ذكر في كتاب الرد على ابن قتيبة في تفسير قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ ...﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية. الآثار التي ذكرها السلف من ٱستخراج ذرية آدم من صُلبه، ثم أخذ الميثاق عليهم وردّهم في صلبه، وأنه أخرجهم

---

(١) جاء في هامش الأصل: لا نعرف ما قاله في هذه عن أحدٍ من أهل الإسلام غيره فكيف يكون قوله جميع أهل الإسلام؟

(٢) «أهوال القبور» ص٢٠٢.

(٣) «الروح» ص ١٧٩-١٨١ .

(٤) أهوال القبور» ص٢٠٢، انظر ت(١) لتمام الكلام.

مثل الذّر؛ وأنه سبحانه قسمهم قسمين، إذ ذاك إلى شقي وسعيد، وكتب آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وما يصيبهم من خير وشرّ، ثمّ قال: قال إسحق: أجمعَ أهلُ العلم أنها الأرواح قبل الأجساد، ٱستنطقهم ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الآية [الأعراف: الآية ١٧٢] قال المحقق: / ٢٢٠/ هٰذا نصُّ كلامه قال: وهو كما ترَى لا يَدل على أنّ مستقر الأرواح ما ذُكر بوجه من الوجوه، بل ولا يدل على أنّ الأرواح كانت قبل خلق الأجساد، بل إنما يدلّ على أنه سبحانه أخرجَها فخاطبها ثم ردها إلى صلب آدم، والله أعلم. هٰذا كلام المحقق، وأما الحافظ فقال: ليس هٰذا يعني: ما حكاهُ ابن حزم من جنس كلام المسلمين، إنما هو من جنس كلام المتفلسفة، وردّ الحافظ ما أخرجه ابن جرير في كتاب الآداب(١)، أنه قال سلمان لعبد الله بن سلام إن مِتّ قبلي فأخبرني بما تلقى، وإن مِتُ قبلك أخبرتك بما ألقى، فقال له الناس: يا عبد الله كيف تخبر وقد متّ؟ قال: ما روح تقبض من جسد إلاّ كان بين السماء والأرض، حتى يُردَّ في جسده الذي أخذ منه، بأن هٰذا لا يثبت وهو منقطع، وقد سبقت رواية ابن المسيب(٢) لهٰذه القصّة، بغير هٰذا اللفظ، وهو الصحيح وقالت طائفة: تجتمعُ في الأرض التي قال الله فيها ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ الآية [الأنبياء: ١٠٥].

وهٰذا كما قال المحقق: إن كان قاله تفسيرًا للآية فليس هو تفسير

---

(١) «أهوال القبور» ص٢٠٣ . (٢) سبقت ص٣١٣ .

لها، وقد آختلف الناس في الأرض المذكورة هنا، فقال سعيد بن جبير عن ابن عباس[١]: هي أرض الجنة وهو قول أكثر المفسرين، وعن ابن عباس أنها الدنيا التي فتحها الله على أمة محمد ﷺ، وصححه المحقق وقالت طائفة من المفسرين: المرادُ بذلك أرض بيت المقدس.

قال المحقق: هي يعني: أرض بيت المقّدس من الأرض التي أورثها الله عباده الصالحين، وليسَت الآية مختصة بها، وهٰذا بناء على ما ذهب إليه من أن المراد بها: ما فُتح على هٰذه الأمة من الدنيا، والله أعلم.

وزعمت طائفة أن أرواح المؤمنين تجتمع ببئر زمزم، وقد قدّمنا في حكاية صاحب الذهب، ما يدل على ذٰلك لكن قال المحقق: هٰذا لا دليل عليه من كتاب ولا سنة، ولا يجب التسليم له، ولا /٢٢١/ يوثق به، إلى أن قال: وبالجملة، فهٰذا أَبطلُ الأقوال وأفسدها، وهو أفسد مِن قول من قال إنها بالجابية.

وقالت طائفة: هي في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت، وهو مرويّ عن سلمان الفارسي.

قال المحقق: البرزخُ هو الحاجز بين شيئين، وكأن سلمان أراد أنها بين الدنيا والآخرة مرسلة، هناك تذهبُ حيث شاءت قال: هٰذا قول قوي فإنها قد فارقت الدنيا، ولم تلج الآخرة، بل هي في برزخ بينهما فأرواحُ المؤمنين في برزخ واسع، فيه الرَّوحُ والريحان والنعيم، وأرواحُ الكفار في برزخ ضيّق، فيه الغم والعذاب، قال تعالى: ﴿وَمِن

(١) انظر «الدر المنثور» في تفسير آية الأنبياء (١٠٥).

وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] فالبرزخ هنا ما بين الدنيا والآخرة، وأصله الحاجز بين الشيئين[1]، انتهى.

وزعمت طائفة: أن مستقرّها العدم المحض.

قال المحقق: وهٰذا قول من قال إنها أعراض من أعراض البدن، وهو الحياة قال: وهٰذا قولُ ابن الباقلاني ومن تبعه.

قال المحقق: وهٰذا يردّه الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة، وأدلة العقول والفِطر، وهو قول من لم يعرف روحه، فضلاً عن روح غيره، وقد خاطب الله سبُحانه النفس بالرجوع والدخول.

ودلت النصوص الصحيحة الصريحة: على أنها تصعد وتنزل، وتقبض وتمسك، وتُرسل وتفتح لها أبوابُ السماء وتسجد وتتكلم، وأنها تخرجُ تسيلُ كما تسيل القطرة، وتكفن وتحنط في أكفان الجنّة أو النار إلى أن قال: ودَلَّ القُرآن على أنها تنتقل من مكان إلى مكان، حتى تبلغ الحلقوم في حركتها إلى أن قال: ولمّا أورد ذٰلك على ابن الباقلاني لَجَّ في الجواب وقال: يُخَرَّجُ هٰذا على أحد وجهين: إما بأن يُوضع عرض من الحياة في أوّل جزء من أجزاء الجسم، وإمّا أن يُخلق لتلك الحياة والنعيم والعذاب جزء آخر.

قال المحقق: وهٰذا قول في غاية الفساد، وفسادُهُ من وجوه كثيرة، وأي قولٍ أفسد من قولٍ يجعل روح الإنسان عرضًا / ٢٢٢/[2] [من الأعْرَاض تَبدَّل كل ساعة ألوفًا من التغيرات فهٰذا يدل على أنه لم

---

(١) «الروح» ص١٧٧-١٧٨ .

(٢) هذا الموضع سقط في (أ)، انظر ص(٣٧٣) ت(١).

تكن بعد المفارقة روح تنعم ولا تعذب ولا تصعد ولا تنزل ولا تمسك، ولا ترسل وأي قول أفسد من هٰذا القول؟ فإنه مخالف للعقل والكتاب والسُّنة والفِطرة وهٰذا لم يَقُل به أحدٌ مِنْ سلفِ الأُمة ولا أئمة الإسلام. آنتهى.

وقال في «الإفصاح»[(١)]: المنَعَّم على جهات مختلفة.

منها: ما هو طائر في شجر الجنَّة. ومنها: ما هو في حواصل طير خضر. ومنها: ما يأوي في قناديلٍ تحت شجر العرش. ومنها: ما هو في حواصل طير بيض. ومنها: ما هو في حواصل طير كالزرازير، ومنها: ما هو في أشخاص صور من صور الجنَّة. ومنها: ما هو في صورة تخلق من ثواب أعمالهم. ومنها: ما تسرح وتتردد إلى جثثها وتزورها. ومنها: ما تتلقى أرواح المقبوضين وممن سوى ذٰلك ما هو في كفالة ميكائيل ومنها: ما هو في كفالة آدم، ومنها: ما هو في كفالة إبراهيم.

قال القرطبي: وهٰذا قول حسن يجمع الأخبار حتى لا تتدافع[(٢)]. وارتضاه السيوطي أيضًا، وقال: قلت: ويؤيده ما في حديث الإسراء عند البيهقي في الدلائل وابن مردويه من رواية أبي سعيد الخدري

---

(١) شبيب بن إبراهيم ونقل عنه هنا ونسبه إليه الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٣٧٦) وقال أبو الحسن بن حيدرة صاحب الأفصاح. وأبو الحسن: كنية شبيب بن إبراهيم، وحيدرة: جده كما في ترجمته. اهـ من التذكرة (٦٢).

(٢) «التذكرة» ص٤٣٨.

«صعدتُ إلى السَّماءِ الثانية فإذا أنا بيحيى وعيسى ومعهما نفرٌ مِنْ قَومهما، ثم صعدتُ إلى السماء الثالثة فإذا أنا بيوسُف ومعه نفرٌ مِنْ قومه، ثُمّ صعدتُ إلى السَّماءِ الرَّابعةِ فإذا أنا بإدريسَ ومعه نفر من قومه ثم صعدت إلى السماء الخامسة فإذا أنا بهارون ومعه نفر من قومه، ثم صعدت إلى السَّماءِ السَّادسة فإذا أنا بموسى ومعه نفرٌ مِنْ قومه، ثم صعدت إلى السماء السابعة فإذا أنا بإبراهيم ومعه نفر من قومه فقيل لي: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [آل عمران: ٦٨] وإذا أنا بأمتي شطرين شطر عليهم ثياب بيض كأنها القراطيس وشطر][١] عليهم ثياب مذر... الحديث[٢].

فهٰذا يدلُ على تفاوت الأرواح في المراتب، وإن كان في كل سماء قوم[٣].

وقال المحققُ: لا مُنافاة بين حديث أنه طائر يعلق في شجر الجنة، وبين حديث عرض المقعد، بل تردُ روحه أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، ويعرض عليه مقعده، لأنه لا يدخل إلا يوم الجزاء بدليل: أنَّ منازل الشهداء يومئذ، ليست هي التي تأوي إليها أرواحهم في البرزخ، فدُخول الجنّة التام إنما يكون للإنسان التام رُوحًا وبدنًا،

---

(١) إلىٰ هنا نهاية السقط، والمشار إليه في ص٣٧١ ت(٢).

(٢) رواه الطبري ١٥/ ١٣ وأورد ابن كثير الحديث في تفسيره ٣/ ١٣-١٤ بروايته وأسانيده ويغلب عليها الضعف وفي بعضها نكارة، انظر ص٣٦٧ ت(٢).

(٣) «شرح الصدور» ص٣٢٤ .

ودخُول الروح أمر دون ذٰلك[١].

قال النسفي في «بحر الكلام»: الأرواح على أربعة أوجه: أرواح الأنبياء تخرج من جسدها، وتصيرُ مثل صورتها، مثل المسك والكافور، وتكونُ في الجنة تأكل وتشرب وتتنعم، وتأوي بالليل إلى قناديل معلقة تحت العرش.

وأرواح الشهداء تخرج من جسدها، وتكون في أجواف طير خضر في الجنة، تأكلُ وتتنعم، وتأوي بالليل إلى قناديل معلقة تحت العرش.

وأرواح المطيعين من المؤمنين بَربَض الجنة، لا تأكل ولا تتمتع، ولكن تنظر في الجنة.

وأرواح العصاة من المؤمنين تكون بين السّماء والأرض في الهواء.

وأما أرواح الكفار، فهي في سجين، في جوف طير سود تحت الأرض السّابعة، وهي متصلة بأجسادها، فتعذب الأرواح وتتألم الأجساد منه، كالشمس في السماء ونورها في الأرض[٢]. ٱنتهى.

هٰذا وقد ثبت أنّ أرواح المؤمنين المطيعين تتنعم من الجنة، وما قاله يحتاج إلى دليل، على أنَّه قد تقدم رد كلام من زعم أن أرواح المؤمنين ليستْ في الجنَّة فليتنبه له والله أعلم.

(١) «الروح» ص١٦٣ ١٦٤.
(٢) «شرح الصدور» ص٣٢٥.

الباب الرابع
في ذكر ضيق القبور وظلمتها على أهلها وتنوّرها عليهم، وفي زيارة الموتى والاتّعاظ بحالهم والتفكر بهم

تقدّم أن القبر يقول: أنا بيت الظلمة وبيت الضيق، أخرج ابن المبارك عن سليم بن عامر قال: خرجنا في جنازة في باب دمشق، /٢٢٣/ ومعنا أبو أمامة الباهلي، فلمّا صلّى على الجنازة وأخذوا في دفنها، قال أبو أمامة: إنكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تغتنمون فيه الحسنات والسّيّئات، توشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر، وهو هٰذا يشير إلى القبر، بيت الوحدة وبيت الظلمة، وبيت الدود وبيت الضيق، إلا ما وسَّع اللهُ ثم تنقلون منه إلى مواطن القيامة[١].

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن ٱمرأة هشام الدستوائي قالت: كان هشام إذا طُفئ المصباح غَشِيَهُ من ذٰلك أمر عظيم، فقلتُ: إنه ليغشاكَ أمرٌ عظيم عند هٰذا المصباح إذا طُفِئ قال: إني أذكر ظلمة القبر، ثم قال: لو كان يسبقني إلى هٰذا أحد من السلف؛ لأوصيت إذا مُتّ أن أجعَلَ في ناحية من داري، قالت: فما مكث إلا يسيرا حتى مات قالت: فمرّ بعضُ إخوانه بقبره فقال: يا أبا بكر صرتَ والله إلى المحذور[٢]، ومَرَّةً ٱنطفأ المصباح فخرج هاربًا من البيت، فقيل له في ذٰلك فقال: ذكرت ظلمة القبر.

---

(١) «الرقائق» ص١٠٨ (٣٦٨). (٢) «القبور» ص٩٢ (٩٠).

وروى الحافظ ابن رجب، عن خالد بن خداش، قال: كنتُ أقعد إلى وسيم البلخي، عمّ قتيبة وكان أعمى، وكان يحدث ويقول آوه من القبر وظلمته، واللحد وضيقه، كيفَ أصنع ثم يغمى عليه، ثم يعود فيحدّث ويصنع ذلك مرات حتى يقوم[١].

وأخرج ابن أبي الدنيا عن وهب ابن الورد قال: نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره، فأعجبه حسنها فبكى ثم قال: والله لولا الموتُ لكنتُ بكِ مسرورا، ولولا ما نصيرُ إليه من ضيق القبور، لقرّتْ بالدُنيا أعيننا، ثم بَكَى بُكَاءً شديدا حتى ارتفع صوته[٢].

وذكر ابن أبي الدنيا أيضًا عن محمد بن حرب المكي قال: قدم علينا أبو عبد الرحمن العمري العابد، فاجتمعنا إليه وأتاه وُجوه أهل مكة، قال فرفع رأسه، فلما نظر إلى القصور المحدقة بالكعبة، نادى بأعلى صوته: يا أصحاب القصور المشيدة، اذكروا ظلمة القبور الموحشة، يا أهل التنعم والتلذذ، اذكروا الدّود والصّديد، وبلي الأجساد في التراب، قال ثم غلبته عيناه فنام[٣].

وذُكِرَ /٢٢٤/ أنّ سعيدَ بنَ عبد العزيز دخلَ على سُليمان الخَوّاص فقال: ما لي أراك في الظلمة؟ فقال: ظلمةُ القبر أشدّ[٤].

---

(١) «أهوال القبور» ص٢٠٩. (٢) «ذكر الموت» ص٧٠ (١٢٨).

(٣) الخبر في «حلية الأولياء» ٨/ ٢٨٥ و«سير أعلام النبلاء» ٨/ ٣٧٦.

(٤) حلية الأولياء ٨/ ٢٧٧، و«سير أعلام النبلاء» ٨/ ١٧٩، «صفة الصفوة» ٤/ ٢٧٣. «أهوال القبور» ص٢١١ : ٢١٣.

وذكر الحافظ في «أهوال القبور» عن أبي المصرخي قال: خرجتُ غازيًا فمررت ببعض حُصُون الشام، فوجدت بابَ الحصن مغلقًا، ومقبرة على الباب، فبتُّ بجنب المقبرة بالقرب من قبر محفور، فلما نمت إذا بهاتفٍ من القبر وهو يقول:

أنــعــم الله بــالخــيــالين عــينا   وبــمــسراك يــا أمــيــم إلينــا

عـجبًا مـا عـجبتُ من ثقلِ التر   ب وظــلــمــةِ الــقــبــور عــلينـا

قال: فانتبهت فإذا الباب قد فُتح، وإذا بالجنازة يقدمها شيخ فقلت له: ما هٰذه الجنازة؟ قال: هٰذه جنازة ابنتي قلت: ما ٱسمها؟ قال: أميمة، قلت: القبر المحفور لمن؟ قال: قبر ابن أخي، وكان زوجها فتوفى فدفنته ثم توفيت ابنتي فجئت أدفنها، فأخبرتُه بما سمعت من الهاتف في القبر[1].

ويشبه هٰذا ما خرّجه ابن أبي الدنيا عن الشعبي قال: كان صفوان بن أمية في بعض المقابر فإذا بشعل نيران قد أقبلت ومعها جنازة فلما دنوا من المقبرة قالوا: ٱنظروا قبر كذا وكذا، قال رجل: سمعتُ صوتًا من القبر حزينًا موجعًا يقول:

أنــعــم الله بــالــظــعــينة عــينا   وبــمــسراك يــا مُــنــينَ إلينــا

جزعًا مـا جَزعتُ من ظلمة القـ   ـبــر ومــن مــســك الــتراب أمــينا

فأخبر القوم بما سمع، فبكوا حتى أخضلوا لحاهُم، ثم قال هل تدري من مُنينة؟ قال: لا، قال: صاحبة هٰذا السرير، وهٰذه أختها ماتت عام أوّل[2].

---

(١) أهوال القبور ص٢١٣.   (٢) «الهواتف» ص٤٨ (٥٨).

وأخرج أيضًا عن إسماعيل بن راشد قال: حجَّتِ ٱمرأةٌ فماتت في بعض المنازل، فلما كان القابل حجّت أختٌ لها فماتت في ذٰلك المنزل، فجهزوها وأخرجوها ليدفنوها فبينا هم يطلبون قبر أختها، وإذا رجل قد أسري ليلته، فأتى القبور، فرمى بنفسه فنام فيها فاستيقظ فقال: ما تطلبون قالوا: قبرًا قال: هو تحتي / ٢٢٥/ [1] [قالوا: وما علمك؟ قال: سمعت قائلاً: يقول:

يـا مـنـيـنـا يـا مـنـيـنـا ... أنـعـم الله بـالـظـعـينة عـينا

نفسًا ما نفست من نفس القـ ... ـبـر وبـمـسراك يـا مـنـين إلينـا

لم نـلـق بـعـدكـم يـا مـنـينـا رخـاء ... أقـبـل الـدهـر بـالـرخـاء عـلينـا

قال: فدفنت إلى جنب أختها.

وأخرج أبو نعيم، عن عمر بن عبد العزيز، أنه كان يقول في موعظة له طويلة، يذكر فيها أهل القبور: أليسوا في مدلهمة ظلماء، أليس الليل والنهار سواء؟[2].

وقال أبو العتاهية يبكي على نفسه في مرثية:

لأبـكـين عـلى نـفـسي وحـق ليه ... يـا عـين لا تـبـخـلي عـني بـعـبرتـيه

لأبـكـين فقـد بـان الـشـبـاب فـقـد ... جـد الـرحـيـل عـن الـدنيا بـرحـلـتـيه

يا نأي منتجعي يا هول مطلعي ... يا ضيق مضطجعي يا بعد شقتيه

المـال مـا كـان قـدامـي لآخـرتي ... مـا لا أقـدم مـن مـالي فـليس ليه

لأبـكـينَ فـيـبـكـين ذوو ثـقـتي ... قبـل الـمـمـات وإخـواني وإخـوتـيه[3]

---

(١) سقطت من (أ) ورقتان. وأتممناها من (ب).

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٦١.

(٣) «أهوال القبور» ص٢١٣: ٢١٥.

فصل

وأخرج مسلم في «صحيحه»، من حديث بريدة، عن النبي ﷺ قال: **«كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة»**.

وخرجه الإمام أحمد، بلفظ آخر: **«فزوروها فإن في زيارتها عبرة وعظة»**(١).

وأخرج الإمام أحمد عن أنس أن النبي ﷺ قال: **«نهيتكم عن زيارة القبور ثم بدا لي فيها فإنه يرق القلب وتدمع العين، وتذكر الآخرة فزوروها ولا تقولوا هجرا..»**(٢).

وأخرج مسلم، من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«أستأذنت ربي أن أزور قبر أمي فأذن لي، فزوروها فإنها تذكر الموت»**(٣).

وأخرج الحاكم، عن أبي ذر، مرفوعًا قال: **«من زار القبور تذكر بها الآخرة، وغسل الموتى، فإن معالجة جسد الميت موعظة بليغة، وصلِّ على الجنائز، لعل ذٰلك يحزنك، فإن الحزين في ظل الله تعالى يتعرض**

---

(١) رواه مسلم (٩٧٧)، وأحمد ٥/ ٢٥٩ و٢٦١ و٣٥٠ و٣٥٥ و٣٥٦، وأبو داود (٣٢٣٥)، والترمذي (١٠٥٤)، انظر ص(٣٧) ت(١).

(٢) رواه أحمد ٣/ ٢٣٧، وأبو يعلى (٣٧٠٥) بإسناد قوي، انظر ص(٣٨) ت(١، ٢).

(٣) رواه مسلم (٩٧٦)، وأحمد ٢/ ٤٤١، وأبو داود (٣٢٣٤)، والنسائي ٤/ ٩٠، وابن ماجه (١٥٧٢).

لكل خير»[1].

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن ثابت البناني، قال: بينما أنا أمشي في المقابر إذا بهاتف من ورائي يقول: يا ثابت: لا يغرنَّك سكوتُها فكم من مغموم فيها، فالتفَتُّ فلمْ أرَ أحدًا[2].

وأخْرجَ عن بشر بن منصور قال: قال لي عطاء الأزرق: إذا حَضرتَ المقابر فليكن قلبك فيمن أنت بين ظَهريه، فإني بينما أنا قائم ذات ليلة في المقابر، تفكرتُ في شيء فإذا أنا بصوت يقول: إليك يا غافل، إنما أنت بين ناعم في تنعمه مدلل أو مُعذب في سكراته يتقلب[3].

وأخرج عن صالح المري قال: دخلت المقابر يومًا في شدة الحرّ فنظرت إلى قبور خامدة، كأنهم صُمتٌ فقلتُ: سبحان من يجمع بين أرواحكم وأجسادكم بعد ٱفتراقها، ثمَّ يحييكم وينشركمُ من بعد طول البلى، قال: فناداني مناد بين تلك الحفر: يا صالحُ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الروم: ٢٥] قال: فسقطتُ والله لوجهي جزعًا من ذٰلك الصوت[4].

---

(١) الحاكم ١/ ٣٧٧ وقال الذهبي: منكر وقال في موضع آخر (٤/ ٣٣٠) صحيح.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (٤٥).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (٤٦).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (٤٧) وأبو نعيم في «الحلية» ٦/ ١٧٠.

وأخرج عن عمر بن عبد العزيز أنه خرج مع جنازة، فلمّا دفنها قال لأصحابه: دعوني حتى آتي قبور الأحبة، قال: فأتاهم فجعل يدعو ويبكي، إذ هتف به التُرابُ فقال: يا عُمر: ألا تسألني عما فعلتَ بالأحبة؟ قالَ: وما فعلت بهم؟ قال: مَزقتُ الأكفان، وأكلتُ اللحم، وشدختُ المقلتين، وأكلت الحدقتين، ونزعت الكتفين من الساعدين، والساعدين من العضدين، والعضدين من المنكبين، والمنكبين من الصلب، والقدمين من الساقين والساقين من الفخذين، والفخذين من الورك، والورك من الصُلب، قال وعمر يبكي فلمّا أراد أن ينهض قال له التراب: يا عمر ألا أدلّك على أكفان لا تبلى؟ قال: وما هي؟ قال: تقوى الله والعمل الصالح[1].

ودخل ثابت البناني المقابر مرةّ، فبكى ثم قال: بليتْ أجسادهم وبقيت أخبارهم، فالعهد قريب، واللقاء بعيد.

ووقف بعض الأعراب على قبر وأنشد فى المعنى:

/٢٢٦/ لِكُلِّ أُناسٍ مُقبر بفنائهم ... فهم ينقصونَ والقُبورُ تزيد
وما أن ترى دارًا لحيّ قَدَ أقْفَرَت ... وقبرٌ لميت بالفناء جديد
فهم جيرة الأحياء أما محلهم ... فدانٍ وأما الملتقا فبعيد[2]

وقال بعضهم: وقد مرّ في سَفره بمقبرة لبعضِ المدنِ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (٤٢) بإسناد فيه مجهول، والخبر في «أهوال القبور» ص٢٣٠.

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» ٦/ ٢٤٥-٢٤٦.

كفى حزنًا أن لا أمرُّ ببلدة من الأرض إلاّ دُونَ مدخلَها قبر[١]

وعن جعفر بن سليمان قال: كُنَّا نخرجُ مع مالك بن دينار زمان الحطمة فنجمع الموتى، ونجهزهم فيخرج مالك على حمارٍ قصير قحاطَى لجامُه من ليف، عليه عباءة مُرْتّديها فيعظنا في الطريق، حتى إذا أشرف على القبور قال بصوتٍ له محزون:

ألاَ حيِّ القبور ومِن بهنّه وجوهٌ في التراب أحبّهنّه
ولو أنَّ القبورَ أجبْنَ حَيّا إذا لأجبْنَني إذْ زرْ تهنّه
ولٰكن القبورَ صمتْن عنّي أبتُ بحسرتي من عِندَ هُنَّه[٢]

وأخرج الحافظُ في «أهوال القبور»: عن يحيى بن عبد الله قال: كُنَّا مع عبد الله بن جعفر بن سليمان أمير البصرة، فمرّ به رجل كان يعظ الناس، فقال لهُ عبد الله عظني ببيت من الشعر فقال:

إذا ثوّى في القبر ذو خطر فزره فيها ولا تنظر إلى خطر

فبكى عبد الله بن جعفر وكان ابن السّماك يتمثل بهٰذا البيت ويزيد فيه بيتًا آخر:

أبرزه الموتُ من مساكِنه ومِن مَقاصيره ومِنْ حَجَره[٣]

وأخرَج ابن أبي الدنيا حدثنا إسماعيلُ بنُ عبد الله قال: أنشدنا رجل ونحن بالمقابر:

---

(١) عزاه ياقوت الحموي في «معجم البلدان» إلىٰ البحتري.
(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» ٢/ ٣٧٣ .
(٣) أهوال القبور ص١٨٥.

ألا يا عسكر الأحياء هٰذا عسكر الموتى
أجابوا الدعوة الصغرى ومُنتظرون للكبرى
يحثون على الزاد وما زادٌ سوى التقوى[1]
يقولونَ لكم جدُّوا فهٰذا آخر الدُنيا

/٢٢٧/ وأخرجَ عن غزوان بن عبد الرحمن بن غزوان قال: كنتُ جالسًا مع أبي بالبصرة إذْ أقبل شيخٌ على حمارٍ في عُنقه حبلُ ليف، والشيخ حافٍ عليه جبة صوف حتى وقف علينا، فسَلَّمَ على أبي، فأحفل أبي المسألة به وقال: من أين أقبلت؟ قال: فكرَّتُ في أهل هٰذا العسكر ليلاً فغدوتُ عليهم، فقلت:

وعظتكَ أجداث صُمّتُ وبكتّكَ ساكنة جفت
وتكلمت عن أعظم تُبلى وعن صورٍ سبت
وأرتك قبرك في القبور وأنت حيٌ لم تَمتْ

ثم ولَّىٰ غيرَ بعيد ثم أقبل فقال:

ولربما أنصرف الشُمَّاتُ وحل بالقوم الشَمَت

قال الحافظ ابن رجب قلت: هٰذا الشيخ أبو العتاهية والأبيات معروفة له.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن سَلام بن صالح قال: فُقد الحسنُ ذاتَ يوم، فلما أمسى قال له أصحابه: أين كنتَ اليوم؟ قال: كنتُ اليومَ عند إخوان لي إن نسيتُ ذكَّروني، وإن غبتُ عنهم لمْ يغتابوني، فقال له

---

(١) «ذكر الموت» ص٢٧٩ (٥٥٣).

أصحابُه: نِعْمَ الإخوانُ والله هٰؤلاء يا أبا سعيد دُلنا عليهم، قال هٰؤلاء أهل القبور[١].

ورُوي عن عليّ [كرّم الله وجهه][٢]، بإسناد منقطع أنه قيل له: ما شأنك جاورت المقبرة؟ قال: إني أجدهم إخوانٍ جيران صدقٍ، يكفُّونَ الألسنة، ويُذَكِّرون الآخرة[٣].

وفي «أهوال القبور» للحافظ عن الحسن: أن عثمان بن أبي العاص كان في جنازة فرأى قبرًا خاسفًا، فقَال لرجُل من أهله: يا فلان: تعالَ ٱنظر إلى بيتك الذي هو بيتك، قال: فقال: ما لي أرى بيتي لا فيه طعام ولا شراب ولا ثياب، قال: فإنه بيتك، قال: صدقت، قال: فرجع فقال: واللهِ لأجعَلَنَّ ما في بيتي هٰذا في بيتي ذاك، قال الحسنُ: هوَ واللهِ التسدُّد أو الهلكة، والله لتصبرنَّ أو لتَهلَكَن. وفي رواية قال: أراهُ بيتًا ضيقًا بابًا مظلمًا، ليس فيه طعامٌ ولا شراب ولا زوجة، وقد تركتُ بيتًا فيه طعام وشراب وزوجة. قال: هٰذا والله بيتك قال: صدقت أمّا والله لو قد رَجعتُ نقلت /٢٢٨/ من ذٰلك إلى هٰذا[٤].

وعن مُطرف الهذَليّ قال: كانَتْ عجوزٌ مُتعبدةٌ في عبد قيس،

---

(١) ورد نحو هٰذا الخبر عن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في «إحياء علوم الدين» ١/ ٢١١.

(٢)الأولى الاقتصار برضي الله عغنه إسوة بغيره من الصحابة.

(٣) رواه البيهقي في «الشعب» (٩٣١٢).

(٤) رواه الإمام أحمد في «الزهد» ص٤٧٧ بنحوه. «أهوال القبور» ص٢٢٣: ٢٢٤.

فعوتبتْ في كثرة إتيانها القبور، فقالت: إنّ القلبَ القاسي إذا حفى لم يلينه إلا رسومُ البلى، وإني لآتي القبور وكأني أنظر إليهم قد خرجوا من بين أطباقها، وكأني أنظرُ إلى تلك الوجوه المتعفرة، وإلى تلك الأجسام البالية المتغيرة، وإلى تلك الأكفان الدنسة، فيا له من مَنظرٍ[١].

ولأبي العتاهية رحمه الله:

إني سألتُ التُرَب ما فعلت بَعدي وجوهٌ فيك متعفرة
فأجابني صَيّرت ريحَهم يؤذيك بعدَ روائح عطرة
وأكلْتُ أجسادًا منعمة كان النعيمُ يهزُها نضره
ولم يبقِ غيرَ جماجمِ عَريتْ بيضٌ تلوحُ وأعظم نخره

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي إسحق، أنه قال: شهدتُ جنازة رجل من إخواني مُنذ خمسينَ سنة فلمّا دُفن وسُوّى عليه التراب، وتفرق الناس جلستُ إلى بعض تلك القبور، ففكرت فيما كانوا فيه من الدُنيا وانقطاع ذٰلك عنهم فأنشأت أقول:

سلام على أهل القبور الدّوارس كأنهم لم يجلسوا في المجالس
ولم يَشربُوا من بارد الماء شَربة ولم يأكلوا من[٢] بين رَطب ويابس
ألا خبّروني أين قبرُ ذليلُكم وقبر العزيز الماذخ المتمارس

قال فغلبتني عيني والله، فقمتُ وأنا محزون[٣].

---

(١) «أهوال القبور» ص٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٢) في المخطوطة: لعله ما بين رطب ويابس، لٰكن الرواية من بين؛ من المؤلف وعن نسخته.

(٣) «القبور» ص١٤٩ - ١٥٠ (١٨٠).

قال ابن أبي الدنيا أنشَدَنا الرياشي:

مقيمٌ إلى أن يبعثَ اللهُ خلقَهُ   لقاؤك لا يُرجى وأنت قريبُ
تزيدُ بلاءً في كل يوم وليلة   وتنسَى كما تَبلى وأنتَ حبيبُ(١)

وروى أبو نعيم أن داود الطائي ٱجتازَ على مقبرة وامرأة عند قبر تقول: هذين البيتين فسمعهما فكان ذٰلك سببُ توبته يعني: ٱنقطاعه عن الدنيا وأسبابها واشتغاله بالآخرة والاستعداد لها.

وأخرج ابن أبي الدُنيا في «كتاب الخائفين»، عن الحسن بن صالح أنه كان / ٢٢٩/ إذا صعد المنارة يعني: ليؤذن أشرف على المقابر، فإذا نَظر إلى الشمس تحوم على القبور، صَرخ حتى يسقط مغشيًا عليه، فيُحمل وينزل به، وشهد يومًا جنازة، فلما قرب الميت ليُدفن نظر إلى اللحد فأرفضَّ عرقًا، ثمَّ مال فغُشي عليه، فحُمل على سرير الميت فرُد إلى منزله(٢).

وذُكرَ أنّ ٱمرأة كانت بالمدينة، وكانت تزهو فدخلت يومًا المقابر، فرأت جُمجةً فصرخت، ثم رجعت مُنيبة فدَخل عليها نساؤها فقلنَ ما هٰذا فقالت:

بكى قلبي لذكر الموت لمّا   رأيتُ جماجمَ فوق القبور

ثم قالت: أخرجْنَ من عندي، فلا تأتيني منكن ٱمرأةٌ إلا ٱمرأةً ترغب في خدمة الله، ثم أقبلت على العبادة.

وأخرج عن عيسى الخواص، أن رجلاً من الصَدْر الأوّل دخل

---

(١) «القبور» ص١٣٢ (١٤٨).
(٢) أورده ابن الجوزي في صفة الصفوة ٣/ ١٠٥.

المقابر، فمرّ بجمجمة بادية من بعض القبور، فحزن حزنًا شديدًا ثم واراها، ثم التفت فلم يَر إلا القبور، فقال: لو كشفَ لي عن بعض أحدهم فسألتهُ عما رأى قال: فأتى فى منامه فقيل له: لا تغتر بتشييد القبور من فوقهم، فإن القومَ بليت خدودُهم في التراب، فمن بين مسرور ينتظر ثواب، الله عز وجل، وبين مغموم آسفًا على عقابه، فإياك والغفلة عما رايت، فاجتهدَ الرجل بعد ذٰلك ٱجتهادًا شديدًا حتى مات.

وأخرَج أيضًا عن جابر قال: رأى رجل جُمجمة إنسان، فحدث نفسه بشيء فخرّ ساجدًا نادمًا مما حدث نفسه، فقيل له ٱرفع رأسك فأنت أنت، وأنا أنا.

وعن جَعفر قال: سمعتُ أبا عمران الجوني يقول: نُودي ٱرفع رأسك فإنك ابن آدم، وأنا اللهُ تعالى، تتوبُ أعود عليك.

وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن البراء رضي الله عنه قال: بينا نحن مع رسول الله ﷺ، إذ بَصر جماعة فقال: «عَلامَ ٱجتمع هٰؤلاء؟» قيل على قبر يحفرونه، قال ففزع رسول الله ﷺ، فبدر بين يدي أصحابه مسرعًا حتى ٱنتهى / ٢٣٠/ إلى القبر، فَجثى عليه، قال: فاستقبلته من بين يديه لأنظر ما يصنع، فبكى حتى بلّ الثرى من دموعه، ثم أقبل علينا فقال: «أي إخواني لمثل هٰذا اليوم، فأعدّوا»[١].

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن الحسن قال: ماتَ أخٌ لنا فلما وُضع في القبر جَاء صلةُ بن أشيم، حتى أخذ بناحية الثوب ثم قال:

---

(١) رواه أحمد ٤/ ٢٩٤، وابن ماجه برقم (٤١٩٥).

إنْ تَنجُ منها تَنجُ من ذي عظيمةٍ   وإلاّ فأني لا أخالكَ ناجيا[1]

قُلْتُ: تقدم عزو هٰذا البيت لسيدنا عثمان، وهٰذا أصح فإني رأيتُ من طعن في عزوه لسيدنا عثمان رضي الله عنه، وعلى فرض صحته فلا تنافى والله أعلم.

وأخرج ابن أبي الدنيا أيضًا عن حجاج بن الأسودِ قال: رأيت في المنام كأني دخلتُ المقابر، فإذا أنا بأهل القبور في قبورهم، وقد ٱنشقت عنهم الأرض، فمنهم النائم على التراب، ومنهم النائم على الريحان، ومنهم كهيئة المتبسم في نومه، ومنهم قد أشرق لونه، ومنهم حائل اللون قال: فبكيْتُ عندما رأيتُ منهم، ثم قلتُ في منامي رَبّ لو شئت سوّيت بينهم في الكرامة، فناداني منادٍ مِن ناحية القبور: يا حجاج هٰذه منازلُ الأعمال فاستيقظتُ من كلمته فَزِعًا[2].

وعن سلمة البصري قال: وقف رجلٌ على قبر قد بُني بناءً حسنًا فجعل يتعجب من حُسنه، فلما كان من ليلته أتاهُ آت في منامه فوقف عليه وإذا رجل قد ٱمتحت آثار وجهه فقال:

أعجبك القبر وحسنُ البنا   والجسمُ فيه قد حواه البلا
فسائل الأموات عن حالِهم   ينبئك عن ذاك ذهاب الحِلا

قال: ثم وَلّىَّ فاتبعتُه فدخل الجبانة، فأتى ذٰلك القبرَ فانساب فيه بعينه، وعنه أيضًا قال: رأيتُ مربع بن سرور العابد في منامي، وكان

(١) «أهوال القبور» ص٢٣١، وفي حلية الأولياء ٢/ ٢٤١.
(٢) «أهوال القبور» ص١٩٤.

كثيرًا لذكر الله، كثيرًا لذكر الموت، طويل الاجتهاد قال: قلتُ كيف رأيت موضعك؟ قال: ليس يعلمُ ما في القبور داخله إلا الإله وساكن الأجداث ثم ولّى وتركني.

وعن الفُضيل بن مُهلهل أخُ المفضل / ٢٣١/ وكان من العابدين قال: كان جليسٌ لنا، حسنَ التخشع والعبادة، يقال له: مُجيب وكان من أجمل الرجال فصلّى حتَّى انقطع عن القيام وصام حتى اسود ثم مرض فمات وكانَ محمد بنُ النظر الحارثي له صديقًا، ومات محمد قبله قال: فرأيتُ محمدًا في منامي بعد موت مجيب، فقلت: ما فعل أخوك مجيب؟ قال: لحقَ بعمله، فقُلت: كيفَ وجهُه ذاك الحسن؟ قال: أبلاهُ واللهِ الترابُ قال: قُلت كَيفَ وأنت تقولُ لحقَ بعمله؟ قال: يا أخي أما علمتَ أن الأجسادَ في القبور تبلى وأن الأعمال في الآخرة تحيى، قلتُ: يبلون حتى لا يبقى منهم شيء، ثم يحيون يوم القيامة، قال: أي والله يا أخي يبلونَ حتى يصيرون رفاتًا، ثم يحييون عند الصيحة كأسرع من اللمح(١).

وأنشد بعضُهم:

ما حال من سكنَ الثرى ما حالُه ... أمسى وقد رثَّت هناك حِبالُه

أمسى ولا روحُ الحياة تُصيبهُ ... أبدًا ولا لطفُ الحبيب يَنالهُ

أمسى وقد دَرَسَت محاسن وجهه ... وتفرقتْ في قبره أوصالهُ

واستُبدِلتْ منه المجالس غيرَه ... وتقسَّمت من بعده أمواله

---

(١) «أهوال القبور» ص٢٣٣ .

ما زالت الأيامُ تلعبُ بالفتى ... والمالُ يذهبُ صفوهُ وجَلالهُ[1]

قال ابن أبي الدُنيا إنه قُرِئ على قبر بشيراز هٰذه الأبيات:

ذَهب الأحبة بعد طول تودُّد ... ونأى المزار فأسلموك واقشعوا
خَذَلوك أفقر ما تكونُ بغربة ... لم يُؤنسوك وكُربه لم يدفعوا
وقضى القضاء وصرتَ صاحبَ حفرة ... عنك الأحبة أعرضوا وتصدَّعُوا

قال وقرئ على قبر بمقابر البصرة مكتوب:

يا غافلَ القلب عن ذِكر المنيّاتِ ... عمَّا قليلٍ ستثوى بين أموات
فاذكرْ محلَّك من قبل ٱلحلول به ... وتُبْ إلى اللهِ من لهوٍ ولذّات
إن الحِمامَ له وقتٌ إلى أجل ... فاذكر مصائب أيام وساعات
لا تطمئن إلى الدُنيا وزينَتها ... قد حانَ للموت يا ذا اللُبّ أن يأت

وقرِئ على قبر آخر:

ستُعِرضُ عن ذكري وتنسى مودّتي ... ويُحدثُ بعدي للخليل خليلُ
إذا ٱنقطَعت يومًا من العيش مَودّتي ... فإنَّ عنَّا الباكيات قليل[2]

يا هٰذا أهل القبور في الحبوس* أكثرهم قد نكّسَ الروس* ينتظرون هدية تدفع بعض البوس* أو دعوة ترفع ما هم فيه من الغطوس* الثرى لهم مهاد* والتراب ملبوس.

قال ابن عباس، رضي الله عنهما: مثلُ الميت في قبره كالغريق المتغوث، ينتظر دعوةً من صديق فإذا ترحَّم الإنسان عليه أخذها ملك فجاء بها إلى قبره وقال: يا صاحبَ القبر الغريب: هٰذه هديّة من أخ

---

(١) «أهوال القبور» ص٢٣٣ - ٢٣٤ . (٢) «أهوال القبور» ص٢٣٥.

شفيقٌ[1].

قال الحافظ ابن رجب: روى ابن أبي الدُنيا عن محمد بن الحُسين، حدثنا أبو عمر العمري حَدثني عبدُ الله بنُ صدقة بنِ مرداس البكري، عن أبيه عن شيخ حدثّه بقرية من بلاد طرابلس، قال: كان ثلاثةٌ إخوة: أمير يصحب السلطان، ويُؤمَّر على المدائن والجيوش، وتاجر مطاع في ناحيته، وزاهد قد تخلى لنفسه، وتفرَّد لعبادة ربّه، قال: فحضرت العابد الوفاة فاجتمع عنده أخواه، فقال لهما: إذا أنا مِتُّ فغسّلاني وهيّآني وادفناني على نشز من الأرض، واكتبا على قبري:

وكيفَ يلذّ العيش من هو عالمٌ بأنّ إلٰه الخلق لابُدّ سائله
فيأخذ منه ظُلمه لعباده ويَجزيه بالخير الذي هُو فاعله

فإذا فعلتمُا ذٰلك فأتياني كل يوم مرّة، لعلّكما أن تتعظا قال: ففعلا ذٰلك، فكان أخوه يركبُ في جنده، حتى يقفَ على القبر ينزل فيقرأ ما عليه، ويبكي فلما كانَ اليومُ الثالث وأراد أن ينصرف سمع هدة من داخل القبر كادَ أن يتصدّع لها قلبه، فانصرف مذعورًا فَزعًا فلما كان من الليل، رأى أخاه في منامه فقالَ له: أي أخي ما الذي سمعت في قبرك؟ قال: تلك هدة المقمعة، قيل لي: رأيت مظلومًا فلم تنصره.

(١) رواه البيهقي في الشعب ٦/ ٢٠٣ و٧/ ١٦ بمعناه من حديث ابن عباس مرفوعًا. قال الذهبي في الميزان ٦/ ٨٦ ترجمة محمد بن جابر بن عياش: لا أعرفه وخبره منكر جدًا. وأورد له هٰذا الخبر.

فأصبح مهمومًا فدعا أخاهُ وخاصته وقال: ما أرى أراد بما أوصى أن يكتُب على قبره غيري، وإني أشهدكم أن لا أقيم بين ظهرانيكم أبدا، فترك الإمارة ولزم العبادة، وكتب إلى عبد الملك بن مروان في ذلك، فكتب أن خلّوه وما أراد فحضرته الوفاة، وهو في جبل مع بعض الرّعاة، فبلّغ /٢٣٣/ أخاه فأتاه فقالَ له: إذا متُّ فادفني إلى جنب أخي، واكتب على قبري:

وكيفَ يلذُّ العيش من كان موقنًا بأن المنايا بغتةً ستعاجلهُ
فتُسلبه مُلكًا عظيمًا [ونخوةً][1] وتُسكنه البيتَ الذي هو أهله

ثم تعاهدني ثلاثًا بعد موتي، وادعُ اللهَ لي لعلّ الله أن يرحمني، ومات ففعل به أخوه ذلك، فلمّا كانَ في اليوم الثالث، وأراد أن ينصرف سمعَ وجبة من قبره، كادت أن تذهل عقله، فرجع قلقًا حزينا، فلمّا كان الليل إذا بأخيه في منامه، قد أتاه قال: فقلتُ له يا أخي أتيتنا زائرًا قال: هيهات يا أخي بَعُد المزار، واطمأنت بنا الدار فقلت: يا أخي كيف أنت؟ قال: بخير ما أجمع التوبة لكل خير، فقلت: فكيف أخي؟ قال: ذاك مع الأئمة الأبرار، قلت: وما أمرنا وراكم؟ قال: من قدّم شيئًا وجَده فاغتنم وجدك قبل فقدك، فأصبَح أخوه معتزلاً، ففرّق ماله وقسم رباعه، وأقبل على طاعة ربّه، ونشأ له ابن من أحسن الشباب وجهًا وجمالاً فأقبل على المكاسب والتجارة، حتى بلغَ منها وحضرت أباه الوفاة فقال له: إذا مِتُّ فادفني مع عُمومتك، واكتب على قبري هذين البيتين:

(١) في القبور (٢١٨) و(بهجة) وجميع سياق القصة هنا باختصار.

وكيفَ يلذ العيش من هو صائر إلى جدث [يُبْلي الشبابَ منازلهُ]
ويُذهب رسم الوجه من بعد ضوئه سريعًا ويبلِي جسمه ومَفاصِلهُ[1]

فإذا متُ فتعاهدني بنفسك ثلاثًا، فادع لي ففعل فلما كانَ في اليوم الثالث سمع من القبر صوتًا أقشعر جسده، وتغير لونه، ورجع منه محمومًا إلى أهله.

فلما كان في الليل أتاه أبوه في منامه، فقال: أي بُني أنت عندنا عن قريب، والأمر بآخره والموتُ أقرب من ذٰلك، فاستعد لسفرك، وتأهّب لرحيلك، وحوّل جهازك من المنزل الذي أنت عنه راحل، إلى المنزل الذي أنت فيه مقيم، ولا تغتر بما اغترَّ به البطالونَ فتلكَ من طولِ آمالهم، فقصروا عزائمهم وزادهم فندموا عند الموت أشد الندامة، وأسفوا على تضييع العُمر أشد الأسف، فلا الندامة / ٢٣٤/ عند الموت تنفعهم، ولا حَمدُوا أنفسهم على التقصير، أنقذك الله من شر ما وافَى به المغبونون مليكَهم يومَ القيامة، أي: بُنيَّ بادر ثم بادر ثم بادر.

قال فَدخلتُ عليه صبيحة ليلته من هٰذه الرؤيا، فقصها علينا وقال ما أرى الأمر إلاَّ كما قال أبي: لا أرى الموتَ إلا قد أظلَّني فجعل يفرّق ماله، ويتصدق ويقضي ما عليه من الدّين، ويستحل خلطاءه ومُعامِليه ويسلم عليهم، ويودعهم ويودعونه، وكان يقول:

---

(١) في القبور (تبلى التراب مناهله) والبيت فيه:
ويُذهب وسم الوجه من بعد صورة ويبلى منه جسمه ومفاصله

قال أبي فبادر، بادر، بادر، فهٰذه ثلاث ساعاتٍ قد مضَت وليستْ بها أو ثلاثة أيام وأنَّى لي بها، أو ثلاثة أشهر وما أراني أدركها، أو ثلاث سنين، فهو أكثر من ذٰلك، وما أحبُ أن يكون ذٰلك كذٰلك، فلم يزل يُعطي، ويتصدق ثلاثة أيام، حتى إذا كانَ في آخر اليوم الثالث من هٰذه الرؤيا دَعا أهله وولده، فودعهم وسلم عليهم، ثم ٱستقبل القبلة فمدد نفسه وغمض عينيه، وشهد شهادة الحق، ثم مات: قال فمكث الناس حينًا يتناوبون قبره من الأمصار، فيصلون عليه.

وذكر صدقة بن مرداس، في أوّل حديثه هٰذا: أنه نظر إلى القبور الثلاثة، على شرف من الأرض، بقرب هٰذه القرية وقرأ عليها من الكتابة. ٱنتهى كلامُ الحافظ.

تنبيه

ذكر المحقق قدس اللهُ روحه: إن الأحاديث والآثار تدل على أن الزائر متى جاء عَلِمَ به المزور، وسمعَ كلامه، وأنسَ به وردّ عليه، وهٰذا عام في حق الشهداء وغيرهم وأنه لا توقيت في ذٰلك، قال: وهو أصح من أثر الضحاك الدّال على التوقيت، وهو من زار قبرًا يومَ السبت قبل طلوع الشمس، علم الميّت بزيارته، فقيل: وكيف ذٰلك؟ قال: لمكان يوم الجُمعة قال: وقد شَرع ﷺ، لأمّته أن يُسلموا على أهل القبور سلامَ من يخاطبونه، ممن يسمع ويعقل: فأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ خرج إلى المقبرة، فقال: «**السلامُ عليكم دار قومٍ مؤمنين، وإنا /٢٣٥/ إن شاء اللهُ بكم**

لاحقون»(١).

وأخرج ابن ماجه عن بُريدة رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ، يعُلمهم إذا خرجوا إلى المقابر «**السلامُ عليكم أهل الديار، من المسلمين، وإنا إن شاء اللهُ بكم لاحقون، أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع، أسأل الله لنا ولكم العافية**»(٢).

وأخرجَ مسلمٌ عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: «**قولي السلامُ على أهل الديار من المسلمين، ويرحم الله المستقدمين والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون**»(٣).

وهٰذا خطابُ من يَسمعُ ويعقلُ، ولولا ذٰلك لكان هٰذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد، والسَّلف مُجمعونَ على هٰذا، وقد تَواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرفُ زيارة الحي له، ويستبشر به انتهى.

وذكر الإمام ناصرُ السنة ابن الجوزي قدس الله روحه في كتابه «عيونُ الحكايات»، بسنده عن محمد بن العباس الوراق قال: خرج رجلٌ مع أبيه حتى إذا كان ببعض الطريق، مات الأب فدفنه بشجر الدوم، ومضى في سفره ثم مرَّ بذٰلك الموضع ليلاً فلم ينزل إلى قبر أبيه، فإذا هاتف يهتف به ويقول:

أجدك تطوي الدّوم ليلاً ولا ترى ... عليك لأهل الدّوم أن تتكلما

وبالدُّوم ثاوٍ لَو ثُويتَ مكانه ... فَمرّ بأهل الدُّوم عاج فَسلّما

---

(١) رواه مسلم (٢٤٩)، وأبو داود (٣٢٣٧)، وابن ماجه (٤٣٠٦)، والنسائي ١/ ٩٣، والإمام أحمد ٢/ ٣٠٥ و٣٧٥.

(٢) لفظ ابن ماجه (١٥٤٧)، وهو في مسلم (٩٧٥) بنحوه.

(٣) رواه مسلم (٩٧٤)، والنسائي ٤/ ٩٤، والإمام أحمد ٦/ ٢٢١.

فصل

قال الحافظ ابن عبد الهادي، في كتابه «الصارم المنكي» نقلاً عن أستاذه شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه[(١)]؛: زيارة القبور على وجهين: زيارة شرعية، وزيارة بدعية، فالشّرعيّة المقصود بها السلام على الميت، والدعاء له كما يقصد بالصلاة على جنازته، فزيارته بعد موته من جنس الصلاة عليه، فالسّنّة فيها أن يسلّم على الميت ويدعو له، سواء كان نبيّا أو غير نبيّ، كما كان النبي ﷺ، يأمر أصحابه إذا زاروا القبور، أن يقول أحدهم السلامُ عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء /٢٣٦/ الله بكم لاحقون، ويرحم اللهُ المستقدمين منكم والمستأخرين، نسألُ الله لنا ولكم العافية اللهُمّ لا تحرمنا أجرَهُم ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهم، وهكذا يقول إذا زار أهل البقيع، ومن به من الصحابة، وغيرهم أو زار شهداء أحد وغيرهم قال: وليست الصلاةُ عند قبورهم، أو قبور غيرهم مُستحبة، أو عند قبور أحدٍ من الأنبياء والصالحين أفضل من الصلاة في المساجد التي ليس فيها ذٰلك باتفاق أئمة المسلمين بل الصلاة في المساجد التي على القبور إما مُحرمة أو مكروهة[(٢)].

---

(١) هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحنبلي، ولد بحران يوم الأثنين العاشر من ربيع الأول سنة ٦٦١هـ، عنى بالحديث وسمع المسند والكتب الستة ومعجم الطبراني، وأخذ الفقه والأصول عن والده، ثم أخذ كتاب سيبويه، وأقبل علىٰ تفسير القرآن وتأهل للفتوىٰ والتدريس وهو دون العشرين، وتوفي سنة ٧٢٨هـ.

(٢) انظر تلخيص كتاب الاستغاثة (٥٦).

قال: وأما الزيارة البدعية فهي أن يكون مقصود الزائر أن يطلب حوائجه من ذٰلك الميت، أو يقصد الدعاء عند قبره، أو يقصد الدعاء به فهٰذا ليس من سنة النبي ﷺ، ولا ٱستحبه أحد من سلف الأمّة وأئمتها، بل هُو من البدع المنهي عنها. قُلْتُ: أمّا مَن كان قصده بالزيارة أن يطلب حوائجه من الميت، فهٰذا لا يشك عاقل في قبحه وتحريمه، إذ الحوائج منوطةٌ لخالقها، فليس إلا اللهُ يقضي حاجة، من شك في هٰذا طغى وتمرد، وأما إذا كان قصدهُ الدعاء عند قبر الميت أو التوسل به، فليس بمحرم[1]، نَعَم: إن ٱعتقد أن الدعاء عند القبور أفضل منه فى نحو المساجد، أو أنّه لا يُجابُ إلا ثمَّ كان هٰذا قبيحًا والله أعلم.

قال شيخ الإسلام رضي الله عنه، في كتابه «الجواب الباهر عن مسألة زيارة المقابر»[2]: زيارة أهل التوحيد لقبور المسلمين تتضمن السلام عليهم، والدعاء لهم، وهو مثل الصلاة على جنائزهم، وزيارة أهل الشرك تتضمن أنهم يشبّهون المخلوق بالخالق، ينذرون له، ويسجدون له، ويدعونه ويحبونه كما يحبون الله، فيكونون قد جعلوه لله ندّا، وسووه برب العالمين. وأطال في ذٰلك.

---

(١) بل الصواب عدم جواز التوسل بالميت، وهنا مسألتان:
الأولى: قصد الدعاء عند قبر الميت: فإذا كان الدعاء بالرحمة والمغفرة للميت فلا بأس به بل هو مرغب فيه، وأما إذا دعا عند قبر الميت ظنا منه أن الدعاء عنده أقرب للإجابة لصلاحه أو لولايته، فهٰذا لا يجوز بحال.
الثانية: التوسل به، وهو بمعنى مظنة قبول الدعاء عنده، وهو غير مشروع، وهو بمعنى الزيارة الشركية التي أورد المصنف كلام ابن تيمية وابن القيم عنها.

(٢) الرد على الأخنائي ص١٢٤.

وقال الإمام المحقق في كتابه: «إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان»[١]: بعد أن قرر زيارة القبور المشروعة. وحكى النزاع في ذلك في نحو ثلاث كراريس وذكر زيارة أهل الإيمان، على نحو ما قدمناه.

وأما الزيارة /٢٣٧/ الشركيّة فأصلُها مأخوذٌ عَن عُبّاد الأصنام، قالوا: الميتُ المعظم عند الله، الذي لروحه قرب ومزيّة عند الله تعالى، لا تزال تأتيه الألطاف من الله، وتفيض على روحه الخيرات، فإذا علق الزائر روحه به وأدناها منه، فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها، كما ينعكس الشعاع من المِرآة الصافية، والماء ونحوه على الجسم المقابل له قالوا: فتمامُ الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه إلى الميت، ويعكف بهمته عليه، ويوجّه قصده كله وإقباله عليه، بحيث لا يبقى فيه التفات إلى غيره، وكلما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم كان أقرب إلى انتفاعه به، وقد ذكر هٰذه الزيارة على هٰذا الوجه ابن سينا[٢] والفارابي[٣]، وغيرهما من

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٨٢، ٢٢٣، ٣٦٢)، (٢/ ٢٠٥)، «زاد المعاد» (١/ ١٤٦)، و«الروح» (٥، ١٦، ١١٩).

(٢) ابن سينا: هو: أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن على بن سينا، البلخي ثم البخاري، صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق، صنَّف «المجموع» وصنف «الحاصل والمحصول»، ولد في صفر عام ٣٧٠هـ، وتوفي سنة ٤٢٨هـ وله كتاب «دور الشفاء» [سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٣١]

(٣) شيخ الفلسفة الحكيم، أبو نصر، محمد بن محمد بن طَرْخَان بن أوْزَلَغ، التركي الفارابي المنطقي له تصانيف مشهورة، أحكم العربية بالعراق، وسار إلى حران ومصر وسكن دمشق، توفي سنة ٣٣٩هـ، [سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤١٦].

أهل الفلسفة، وصرَّح به عُباد الكواكب في عبادتها وقالوا: إذا تعلّقت النفوسُ الناطقة، بالأرواح العلوية، فاض عليها منها نورٌ؛ ولهذا عُبدت الكواكبُ واتخذت لها الهياكل، وصنفت لها الدعوات، وأطال في ذٰلك وفي الرد على أهله، فراجعه تظفر بكل ما تريد، والله الموفق.

تنبيه

روى أبو داود والترمذي وصححه، من حديث أَبي جُرَيٍّ الهَجْمِيِّ قال: أتيتُ النبي ﷺ، فقلت: عليك السلامُ يا رسولَ الله قال: «**لا تَقل عليك السلامُ، فإن عليك السلام تحية الميت**»[1].

فهٰذا يشعر بأن السُنة في السلام على الموتى أن يقال عليكم بتقديم الصلة، وقد صح الحديث بذٰلك على أنه تقدّم في الأحاديث الصحيحة الصريحة، أنه قال لهم ﷺ: «**السلام عليكم دار قومٍ مؤمنين**» فيحتاج إلى الجمع حتى إنّ بعضَهم قال: هٰذا أصّح من حدِيث النهي.

وذهب آخرون إلى أنَّ السُنة ما دلّ عليه حديثُ النهي، وقد أجاب الإمام المحقق عن ذٰلك في كتابه: بدائع الفوائد[2]، وأجاد حيث قال: كلٌ من الفريقين إنما أتاهم ذٰلك من عدم فهم المقصود من الحديث، فإن قوله ﷺ، «**عليك السلامُ تحية الموتى**»، ليس تشريعًا منه وإخبارًا عن أمر شرعي /٢٣٨/ وإنما هُو إخبارٌ عن الواقع المعتاد،

---

(١) رواه الترمذي (٢٧٢١)، وأبو داود (٤٠٨٤)، وابن أبي شيبة ٥/ ١٦٦، والحاكم ٤/ ٢٠٦، والطبراني في الكبير ٧/ (٦٣٨٦)، والبيهقي ١٠/ ٢٣٦.

(٢) بدائع الفوائد ٢/ ١٤٨ . وانظر «معالم السنن» (٦/ ٤٨) و«تهذيب السنن» لابن القيم، وكتاب «الجنائز» للألباني (٢٥٩).

الذي يجري على ألسنة الناس في الجاهلية، فإنهم كانوا يقدمون أسم الميت على الدعاء كما قال الشاعر: عليكَ سلام اللهُ قيسُ بن عاصمِ. وقول الذي يَرثى عمر بنَ الخطاب رضي الله عنهُ عليك سلام من أمير وباركت[1]. وهو في أشعارهم كثير والإخبار عن الواقع، لا يدُلُ على الجواز، فضلاً عن الأستحباب فتعين المصير إلى ما ورد عنه ﷺ، من تقديم لفظ السلام، حتى يُسلم على الأموات، فإن تخيلَ مُتّخيل في الفَرق أن السلام على الأحياء متوقّعٌ جَوابه، فقدّم على المدعو له، بخلاف الميّت قلنا: السلام على الميت يتُوقع جوابُهُ أيضًا كما ورد به الحديث: قالَ ومن النكت البديعة: أن الأحسنَ في دُعاءِ الخير أنْ يُقدَّمَ فيه الدعاء على المدعو له، نَحو ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾، ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾، ودعاء الشرِّ الأحسنُ فيه: تقديمُ المدعو عليه على المدعو به، كقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ﴾، ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ و﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ وأطال من ذكر الأسرار، ودقائق الفوائد والأخبار رحمَهُ اللهُ ما أغزر علمه وأسيل فهمه، فسبحان من ألهمه معرفة هٰذه الدقائق، وأطلعه على أسرار تلك الحقائق، فأودعَ في كتبه من ذٰلك، ما يبهر العقول لاسيّما في كتابه الموسوم بدائع الفوائد، فهو مفرد في ذٰلك، رزقنا الله عِلمًا نافِعًا، وقلبًا خاشعًا ودعاءً مُتقبلا، والله أعلم.

---

(١) هو جزء بن ضرار الغطفاني شاعر مخضرم له قصيدة في رثاء عمر بن الخطاب الإصابة (ت١٢٨١) وفي الإصابة البيت هكذا.

جــزى الله خـــيرًا مـــن أمـــير وباركت يد الله في ذٰلك الأديم الممزق

فصل في التذكر بأهل القبور والتفكر في أحوالهم، وذِكْر طرفٍ من أحوال السلف الصالح في ذٰلك.

أخرج الإمام أحمدُ والترمذي والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: «استحيوا من الله حق الحياء» وقالوا: إنا نستحي والحمد لِلّه، قال: «ليس ذاك ولٰكن: الاَستحياء من الله حقّ الحياء أنْ يحفظَ الرأس وما وَعى ويحفظَ البطنَ وما حوى، وليذكر الموتَ والبلى ومَنْ أرادَ الآخرة تركَ زينةَ الدُّنيا، فمن فعل ذٰلك، فقد اَستحيا من الله حق الحياء»[1].

وأخرج الترمذي والحاكم /٢٣٩/ عن أسماء بنتِ عُميس رضي الله عنها، عن النبي ﷺ: «بئس العبدُ عبد تخيَّلَ واختال، ونسى الكبير المتعال، بئس العبدُ عبدٌ تجبّرَ واعتدى ونسى الجبارَ الأعلى، بئس العبدُ عبدٌ سها ولهى ونسى المقابِر والبلى، بئسَ العبدُ عبد عتا وطَغَى ونسى المبتدا والمنتهى، بئس العبدُ عبدٌ يَخْتِلُ الدنيا بالدِّين، بئس العبدُ عبدٌ يَخْتِلُ (الدين)[2] بالشبهات، بئسَ العبدُ عبدٌ طمع يقوده للنار[3]، بئس العبدُ

(١) رواه أحمد ١/ ٣٨٧ (٣٦٧١)، والترمذي (٢٤٥٨)، وأبو يعلى (٥٠٤٧)، والحاكم ٤/ ٣٢٣. وإسناده ضعيف.

(٢) في (ب): (للسيادة).

(٣) كلمة (للنار) ليست في (ب) وفي الترمذي: يقوده.

عبدٌ هَوى يُضلّهُ، بئسَ العبدُ عبدٌ رغَبٌ يُذله»[١].

وأخرج ابن أبي الدنيا أن رجُلا قال: يا رسول الله من أزهدَ الناس؟ قال: **«من لم ينس القبر والبلى، وترك فضلَ زينةِ الدُنيا، وآثر ما يبقى على ما يَفْنَى، ولم يَعُدّ غدا من أيامه، وعدّ نفسه من أهل القبور»**[٢].

وأخرج الترمذي عن ابن عُمرَ رضي الله عنهما، قال: أخذ رسولُ الله ﷺ، بمنكبي فقال: **«كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل وعُدَّ نفسَكَ من أهل القبُور»**[٣].

وخَرَّج البخاريُّ أوله[٤].

وذَكَر الحافظ في «أهوال القبورِ»[٥] عن محمد بن كعب القُرظي، قال: بعث إليّ عمر بن عبد العزيز، فقدمت عليه فأدمت النظر إليه فقال لي: يا ابن كعب إنك لتنظرُ إليّ نظرًا ما كُنتَ تنظُره إليّ بالمدينة قال: فقلتُ: أجل يا أمير المؤمنين، يعجبني ما حال من لونك، ونحل من جسمك، قال: فكيف بك يا ابن كعب لوْ رأيتَني بعد ثالثةٍ في

(١) رواه الترمذي (٢٤٤٨)، والحاكم ٤/ ٣١٦.

قال أبو عيسى: هٰذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هٰذا الوجه وليس إسناده بالقوي.

(٢) رواه البيهقي في الشعب (١٠٥٦٥) من حديث الضحاك بن مزاحم مرسلاً.

(٣) رواه الترمذي (٢٣٣٣). وهو في الصحيح دون زيادة «وعد نفسك من أهل القبور».

(٤) البخاري (٦٤١٦).

(٥) القبور ص١١٥، «أهوال القبور» ص٢٤٣ .

القبور، وقد نَتِنَتْ حَدَقتايّ! وفي نسخة: عيناي على وجنتي، وخرَجَ الدّودُ والصّديدُ من منخري، لكنتَ لي أشد نُكرة[١].

وقال رجلٌ لعمرَ بن عبد العزيز رضي الله عنه ، تغيّرتَ بعدنا فقال له عمر: وتبيّنتَ ذٰلك فقال له: الأمر أعظم من ذٰلك، فقال له: يا أبا فُلان: فكيفَ لو رأيتَني بعد ثلاث، وقد أدخلتُ قبري، وقد خَرجَت الحدقتانِ فسالتا على الخدينِ، وتقلّصتِ الشفتان عن الأسنان، وانفتح الفم ونتأ البطن فَعَلَى على الصّدر، وخرج الصديد من الدُبر[٢].

قال الحافظ وقد رُوي عنه من وُجوه متعددة، أنَّه / ٢٤٠/ قال في آخر خُطبة خَطَبها رضي الله عنه: ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، ثم يرثها بعدكم الباقون، كذٰلك حتى ترد إلى خير الوارثين، وفي كلّ يومٍ تُشيعون غاديًا ورائحا قد قُضى به نحبه، فتودعونه، وتَدَعُونه في صدع من الأرض غير ممهد، ولا مُوَسَّد، قد فارق الأحباب وخلع الأسباب، وسكن التراب، وواجه الحساب، غنيًا عما خَلَّفَ فقيرًا إلى ما قدم[٣].

وكان ينشدُ هٰذه الأبيات، قال الحافظ ويروى أنه كان في جنازة

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات ٥/ ٣٧١.

(٢) رواه البيهقي في «الشعب» (٧٤٣٧).

(٣) حلية الأولياء ٥/ ٢٦٦ و٢٨٧ و٢٩٥.

في مقبرة، فرأى قومًا يهربون من الشمس إلى الظل، فأنشدها وهي هٰذه:

من كانَ حينَ تُصيب الشمسُ جبهته ... أو الغبار يخافُ الشين والشعثا
ويألفُ الظلَّ كي تبقى شبابتهُ ... فسوفَ يسكنُ يوما راغمًا جدثا
في ظلِّ مقبرة غبراء مُظْلمةٍ ... يُطيل تحتَ الثرى في غمها اللُّبثا
تجهزي بجهاز تبلغين به ... يا نفسُ قبل الردَى لم تُخْلَقي عبثا

وأخرج ابن أبي الدُنيا أن محمد بن واسع دخل على بلال بن أبي بردة فسأله عن القَدر، فقال له: جيرانكُ من أهل القبور فكر فيهم، فإن فيهم شُغلاً عن القَدر.

وقال مُغيث الأسود الزاهد: زوروا القبور كُل يوم تفكركم[١].

قال النصرُ بن المنذر لإخوانه: زوروا الآخرة في كل يوم بقلوبكم، وشاهدوا الموقف بتوهمكم، وتوسدوا القبور بقلوبكم، واعلموا أن ذٰلك كائن لا محالة، فمختارُ لنفسه ما أحب من المنافع والضرر[٢].

قال الحافظ: كانَ أبو بكر الصديق رضي الله عنه، يقولُ في خطبته: أين الوضاءة الحسنةُ وجوههُم، المعجبون بشبابهم، الذين كانوا لا يُعطون الغلبة في مواطن الحرب، أين الذين بَنَوا المدائن وحَصَّنوها بالحيطان، قد تضعضع بهم الدهر، وصاروا في ظلمات

(١) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢٩)، وأبو نعيم في «الحلية» ١٠/ ١٤٣.
(٢) «أهوال القبور» ص٢٣٨ : ٢٤٢.

القبور، الوحا الوحا النجا النجا[١].

وأخرج ابن أبي الدُنيا أنه مرّ على الحسن شابٌ وعليه بزةٌ حسنة، فدعاه فقال: ابن آدم معجبٌ بشبابه، معجبٌ بجماله، كأنَ القبر قد وارى بدنك، وكأنك /٢٤١/ قد لاقيتَ عملك، ويحك دَاوِ قلبك، فإن حاجة الله إلى عباده صلاحُ قلوبهم[٢].

وقال عبيد الله بن العيزار: لابن آدمَ بيتان، بيتٌ على ظهر الأرض، وبيتٌ في بطن الأرض، فعمَد إلى الذي في ظهر الأرض فزخرفه، وزيَّنه وجعلَ فيه أبوابا للشمال وأبوابًا للجنوب، ووضع فيه ما يُصلحه لشتائه وصيفه، ثم عمد إلى الذي في بطن الأرض، فخرّبَه فأتى عليه فقال: أرأيت هٰذا الذي قد أصلحته كم تقيم فيه؟ قال: لا أدري قال: فالذي خرّبته كم تقيم فيه؟ قال فيه مقامي، قال: تقر بهٰذا على نفسك، وأنت رجل تعقل[٣].

وعن الحسن قال: يومان وليلتان لم تسمع الخلائق بمثلهن قط ليلة تبيتُ مع أهل القبور ولم تبت قبلها، وليلة صبيحتُها يومُ القيامة، ويوم يأتيك البشير فيه من الله تعالى، إما إلى الجنَّة وإمَّا إلى النار، ويوم تُعطى كتابُك إما بيمينك وإما بشمالك[٤].

قال الحافظ: وكان أبو عمران الجوني يقول: لا يغرنكم من

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٣٤ و١٠/ ٣٢٥ وإسناده منقطع.

(٢) الحلية ٢/ ١٥٤، لعل الحسن لا يقصد الحاجة بمعنى الطلب وإنما مقصوده رحمه اللّه العبادة وكل عبارة ترد في هذا الكتاب حاجة الله فإن المراد به العبادة.

(٣) القبور ص١٠٤، «اهوال القبور» ص٢٤٤.

(٤) القبور ص١٢١. رواه البيهقي في «الشعب» ٧/ ٣٨٨ من رواية الزهري عن أنس موقوفًا.

ربكم طول النسية، وحسن الطلب، فإن أخذه أليمٌ شديد حتى متى تبقى وجوه أولياء الله بين أطباق الثّرى؟ فإنما هم محبوسون لبقية آجالهم، حتى يبعثهم الله إلى جنته وثوابه .

وذكر ابن أبي الدنيا عن حامد بن أحمد بن أسد، قال: أخذت بيد علي بن جبلة يومًا فأتينا أبا العتاهية فوجدناه في الحمام، فانتظرناه فلم يلبث أن جاء، فدخل عليه إبراهيم بن مقاتل بن سهل وكان جميلاً فتأمله أبو العتاهية وقال متمثلا:

يا حسان الوجوه سوف تمو تون، وتبلى الوجوهُ تحت التراب

فأقبل على ابن جبلة فقال أكتبْ:

يا مربيّ شبابه للتُّراب سوفَ يلهو البِلا بغضٍّ الشباب
يا ذوي الأوجه الحِسانِ المصونا ت وأجسامها الغضاضُ الرطاب
أكثروا من نعيمها وأقلوا سوف تهدونها لعفر التراب
قد نعتكَ الأيام نعيًا صحيحًا بفراق الإخوان والأصحاب / ٢٤٢/

فقال أبو العتاهية: قُل يا حامد: قلت معك ومع أبي الحسن قال نعم فقلتُ:

يا مقيمين ارحلوا للذهاب لشفير القبور حط الركاب
نعموا الأوجه الحسان فما صَوْ نُكمُوها إلا لعفر التراب
وألبسوا ناعم الثياب ففي الحفـ ـرة تعرون من جميع الثياب
قد ترون الشباب كيف يموتو نَ إذا استنضروا بماء الشباب[1]

قال ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن خلف قال: سمعت أبي قال:

---

(١) القبور ص١٦١، «أهوال القبور» ص٢٤٦.

رجعنا من دفن ميت مع ابن السماك، فأنشأ ابن السماك يقول:

يَمُر أقاربي جنباتِ قبري ... كأن أقاربي لا يعرفوني
وذُو الميراث يقتسمون مالي ... ولا يألون أن جَحدوا ديوني
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا ... فيالله، أسرع ما نسوني

وقال ابن السماك أيضًا لما انصرفت الناس من جنازة داود الطائي رحمه الله:

انصرف الناس إلى دورهم ... وغُودر الميت في رمسه
مرتهنُ النفس بأعماله ... لا يرتجى الإطلاقَ من حبسه
لنفسه صالح أعماله ... وما سواها فعلى نفسه

ولبعضهم:

قف بالمقابر وانظر إن وقفت بها ... لله درّكَ ماذا تستر الحفُر
ففيهم لك يا مغرورُ موعظة ... وفيهم لك يا مغترُّ معتبر

ولبعض المتقدمين:

تزوَّد قرينا من فعالك إنما ... قرينُ الفتى في القبرِ ما كان يعملُ
وإن كنت مشغولاً بشيء فلا تكن ... لغير الذي يَرضَى به الله تشغلُ
فلن يصحبَ الإنسانُ من بعد موته ... إلى قبره إلا الذي كان يَفعل
ألا إنما الإنسان ضيفٌ لأهله ... مقيمٌ قليلا عندهم ثم يرحل(١)

وقال مؤلّف هٰذا الكتاب، وقلبه في طماطيم التّحسّر /٢٤٣/ والالتهاب شعرًا:

(١) «أهوال القبور» ص٢٤٤: ٢٤٨.

تنبّه قبل الموت إن كنت تعقلُ فعمّا قليل للمقابر تُنقَل
وتُمسي رهينا في القبور وتُنسَى لدى جدثٌ تحت الثرى تتجندل
فريدًا وحيدًا في التراب وإنما قرين الفتى في القبر ما كان يَعمل
فوا أسفىَ ما يفعلُ الدود والثرى بوجهٍ جميل كان لِلّهِ يخجَل
وما يفعل الجسمُ الوسيم إذا ثوى وصارَ ضجيعَ القبر يعلوه جندل
وبطني بَدا فيه الرَّدى ثم لو ترى دقيق الثرى في مقلتي يتهرول
أعينايَ جُودا بالدمُوع عليكما فحزني على نفسي أحق وأجملُ
أيا مدّعي حُبّي هلمّ بنا إذا بكى الناسُ نبكي للفراق ونهملُ
دَعِي اللّهوَ نفسي واذكري حفرة البلا وكيفَ بنا دود المقابر يفعل
إلى الله أشكو لا إلى الناس حالتي إذا صرتُ في قبري فريدًا أململ

ولبعضهم:

أبقيْتَ مالك ميراثًا لوارثه فليتَ شعري ما يُبقي لك المالُ
القومُ بعدك في حال تسرُهم فليتَ شعري ما آلت بك الحالُ
مَلُّوا البكاء فما يبكيك من أحد واسْتحكم القيلُ في الميراث والقالُ
مالت بهم عنك دنيا أقبلت لهم وأدبرت عنك والأيام أحوال

تتمّه في حكايات غريبة، وأخبار عجيبة عن الموتى

منها ما رواه الحافظ الذّهبي[1]، أن أحمد بن نصر الخزاعي رحمه الله، أحد أئمة الحديث، دعاه الواثق إلى القول بخلق القرآن فأبى، فضرب عنقه وصُلب رأسه ببغداد، ووُكِّلَ بالرأس مَنْ يَحفظه، ويصرفه

---

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» ١١/ ١٦٧-١٦٨.

عن القِبلة برمح فذكر الموكل به، أنه رآه بالليل يستديرُ إلى القبلة ويقرأ سورة يس بلسان طلق.

قال الذهبي: رويتْ هٰذه الحكاية من غير وجه، ومنْ طُرُقها: ما أخرجه الخطيب، عن إبراهيمَ بن إسماعيل بن خلف قال: كان أحمد بن نصرٍ خالي، فلما قُتل في المحنة وصلب أخبرت أن الرأس يقرأ القرآن، فمضيت فبتُ قريبًا منه فلما هدأت العيون / ٢٤٤/ سمعتُ الرأس يقرأ ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ [العنكبوت: ١، ٢] فاقشعرّ جلدي(١).

ومنها ما ذكره ابن عساكر عن عمير بن حبّاب السلمي، قال(٢): أسرت أنا وثمانية معي في زمان بني أميّة، فأدخلنا على ملك الروم، فأمر بأصحابي فضُربت رقابهم، ثم أني قُدّمت لضرب عُنُقي، فقام إليه بعضُ البطارقة، فلم يزل يُقبل رأسه ورجليه ويطلبُ أن يهبني إليه، حتى وهبني له فانطلق إلى منزله فدعا ابنة له جميلة فقال لي: هٰذه ابنتي أزوجك بها وأقاسمك مالي، وقد رأيت منزلتي من الملك، فادخل في ديني حتى أفعل بك هٰذا، فقلت: ما أترك ديني لزوجة ولا لدنيا، فمكث أيامًا يعرض علي ذٰلك فلا أجيب، فدعتني ابنتُه إلى بستان لها، فقالت: ما يمنعك مما عرض عليك أبي، فقلت: ما أترك لامرأة ولا لشيء، فقالت: أتحبُّ المكثَ عندنا أو اللحاق ببلادك؟ فقلت:

---

(١) الخبر في صفة الصفوة ٢/ ٣٦٤.

(٢) «تاريخ دمشق» لابن عساكر: ٤٦/ ٤٧٣ .

الذهاب إلى بلادي، قال: فأرتني نجمًا في السّماء وقالت: سِرْ على هٰذا النجم باللّيل وأكمن بالنهار، فإنه يُلقيك إلى بلادك، ثم زوَّدَتْني وانطلقتُ، فسرتُ ثلاث ليال أسيرُ بالليل وأكمن بالنهار، فبينا أنا اليوم الرابع مكمن فإذا الخيل فقلت: طُلبت فأشرفوا علي، فإذا بأصحابي المقتولين على دواب معهم آخرون على دواب شهب، فقالوا: عُمير؟ قلت: عُمير، فقلت: أوليس قد قُتلتم قالوا: بلى، ولٰكن الله نشر الشهداء، وأذن لهم أن يشهدوا جنازة عُمر بن عبد العزيز، فقال لي بعض الذين معهم: ناولني يدك يا عُمير فناولته يدي، فأردفني خَلفه ثم سرنا سيرًا ثم قذف بي قذفة وقعتُ قرب منزلي بالحيرة من غير أن يكون لحقني شيء.

ومنها ما ذكره الإمام ناصر السنة الحافظ ابن الجوزي في «عيون الحكايات»، بسنده عن أبي علي البربري، وهو أوّل من سكن طرسوس، حين بناها أبو سليم قال: إن ثلاثة إخوة من الشام كانُوا يغزون، وكانوا فرسانًا شُجعانًا فأسرهم الروم مرة فقال الملك إني أجعل فيكم المُلك، /٢٤٥/ وأزوّجكم بناتي، وتدخلون في النصرانية، فأبَوا وقالوا: [يا محمدْ][1]، فأمر بثلاث قدور، فصُبَّ فيها الزيت ثم أوقد تحتها ثلاثة أيام يعرضون في كل يوم على تلك القدر، ويُدعَوْن إلى النصرانية فيأبون، فألقي الأكبر في القِدر، ثم الثاني ثم أدنى الأصغر فجعل يفتنه عن دينه بكل أمر، فقام إليه علج فقال: أيّها المَلِك أنا أفتنُه عن دينه قال: بماذا قال:

(١) ليس لها معنى إلا إذا كان الاستغاثة بالنبي ﷺ فإنه لا يجوز؟

قد علمت أن العرب أسرع شيء إلى النِّساء وليس في الرّوم أجمل من ابنتي، فادفعْه إليّ حتى أخليّه معها، فإنها ستفتنه، فضرب له أجلاً أربعين يومًا ودفَعَه إليه، فأدخله مع ابنته، وأخبرها بالأمر فقالت له: دَعْه فقد كَفيتك أمره، فقام معها نهاره صائم، وليله قائم، حتى مَضى أكثر الأجَل فقال العلج لابنته: ما صنعت فقالتْ: ما صنعت شيئًا، هٰذا الرجل فقد أخويه في هٰذه البلدة، فأخاف أن يكونَ ٱمتناعُه من أجلهما، كلما رَأى آثارهما، ولٰكن ٱستزد الملِك في الأجل، وانقلني أنا وإيّاه إلى بلدٍ آخرٍ غير هٰذا، فزاده أيّامًا وأخرجهما إلى بلد آخر، فمكث على ذٰلك أيامًا صائمٌ النهارَ قائمٌ الليل، حتى إذا بقى من الأجل أيام قالت له الجارية ليلةً: يا هٰذا أراك تقدّس رَبّا عظيمًا وإني قد دخلتُ في دينك وتركُت دين آبائي قال لها: فكيف تكون الحيلة في أمر الهرب؟ قالت: أنا أحتال لك فجاءتهُ بدواب، فركبا فكانا يسيران بالليل، ويكمنان بالنهار فبينما هما يسيران ليلة، إذْ سمعا وقع خيل فإذا هو بإخوته، ومعهما ملائكة، فسلم عليهما، وسألهما عن حالِهما فقالا: ما كانت إلا الغطسة التي رأيت حتى خرجنا في الفردوس، وإنّ الله أرسلَنا إليك، لنشهد تزويجك بهٰذه الفتاة، فزوجوه إياها وخرجَ إلى بلاد الشام، فأقام معها وكانوا مشهورين بذٰلك، معروفين في الشام في الزمن الأوّل، وقد قال فيهما الشعراء أبياتًا منها: /٢٤٦/[1]

---

(١) سقطت صفحة من (أ) بعد هٰذا الموضع واستدركاها من (ب) و(ط).

سُيعطى الصادقين بفضل صدقٍ نجاةً في الحياةِ وفي المماتِ

والله أعلم.

ومنها: ما حكاه الحافظ ابن رجب[1] - رحمه الله - قال: (روينا من طريق مراد بن جميل قال: قال أبو المغيرة: ما رأيتُ مثل المعافى بن عمران وذكر من فضله قال: حدَّثني بعض إخواني أن غانمًا جاء والمعافى بن عمران يلقن بعد ما دُفِن[2] فسمعته وهو يلقن في قبره وهو يقول: لا إله إلا الله فيقول المعافى لا إله إلا الله». ومنها ما حكاه اليافعي[3] عن الشيخ إسماعيل الحضرمي؛ أنه مر على بعض مقابر اليمن فبكى بكاء شديدًا وعلاه حزن ثم ضَحِكَ ضحكًا شديدًا وعلاه سرور، سُئل عن ذلك فقال: كُشِفَ لي عن أهلِ[4] هذه المقبرة فرأيتهم يُعذَبون فبكيتُ ثم تضرعتُ إلى اللهِ فقِيل: قد شفعناك فيهم، فقالت صاحبة هذا القبر: وأنا معهم يا فقيه إسماعيل أنا فلانة المغنية فقلتُ: وأنتِ معهم. فلذلك ضحكت..

---

(١) أهوال القبور ص٢٥.

(٢) تلقين الميت بعد الدفن لم يرد فيه حديث صحيح ولم يصح عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه وإنما المستحب بعد الدفن الدعاء له بالتثبيت عند السؤال والاستغفار له.

(٣) روض الرياحين ص٢٠١.

(٤) هذه من مكاشفات الصوفية وهذه الحكاية مبالغ فيها جدًا مما يدل على تلفيقها.

ومنها: ما حكاه الحافظ ابن رجب في «طبقات الأصحاب»[1] في ترجمة الإمام العلامة ولي الله[2] بلا نزاع الشيخ أبي عمر أخي موفق الدين بن قدامة - رضي اللهُ عنهما - عن الضياء - قدس الله روحه - عن عبد المولى بن محمد «أنه كان يقرأ عند قبر الشيخ سورة البقرة وكان وحده فبلغ إلى قوله تعالى ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ [البقرة: الآية ٦٨] قال: فغلطت فرد عَليّ الشيخ من القبر فخفت وفزعت وارتعدتُ وقمتُ، ثم مات القارئ بعد ذلك بأيام: قال الحافظ: وهذه الحكاية مشهورة قال: وقرأ بعضُهم عند قبره سُورةَ الكهفِ فسمعه من القبر يقول: لا إله إلا الله».

---

(١) «طبقات الأصحاب» ٢/ ٦٠.

(٢) من عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم لا يشهدون لأحد بعينه بأنه ولي لله لأنها من الأمور الباطنة ولأن الخواتيم بيد الله لكن يشهدون بأن المؤمنين هم أولياء الله.

فوائد:

الأولى: ذكر أبو الشيخ في كتاب «الوصايا» عن قيس بن قبيصة مرفوعًا: «**من لم يوص لم يؤذن له في الكلام مع الموتى**» قيل يا رسول الله: وهل يتكلم الموتى؟ قال: «**نعم. ويتزاورون**»[(١)].

وأخرج أبو أحمد الحاكم في «الكنى» عن جابر مرفوعًا[(٢)]: «**من مات عن غير وصية لم يؤذن له في الكلام إلى يوم القيامة**». قيل: يا رسول الله: وهل يتكلمون قبل يوم القيامة؟ قال: «**نعم. ويزور بعضهم بعضا**»./٢٤٦/

وأخرج الديلمي، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت في المنام امرأتين واحدة تتكلم والأخرى لا تتكلم، كلتاهما من أهل الجنة فقلت لها: أنت تتكلمين وهٰذه لا تتكلم**[(٣)]**، قالت: أمّا أنا فأوصيتُ، وهٰذه ماتت بلا وصيّة، لا تتكلم إلى يوم القيامة**»[(٤)].

الثانية: ورد في الحديث أن ما يؤذي الحي يؤذي الميت، أخرج

---

(١) الحديث أورده السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ١٨١، وعزاه لأبي الشيخ في كتاب الوصايا، وقد رمز لضعفه، وقال الغماري: هو باطل.
انظر: المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير للغماري ص١٢٨.

(٢) الحديث: أورده ابن رجب في أهوال القبور ص١٢٧ بسنده من رواية أبي محمد الكوفي، ثم قال ابن رجب .. قال أبو أحمد الحاكم: هٰذا حديث منكر وأبو محمد هٰذا رجل مجهول.

(٣) في الأصل: تكلم.

(٤) مسند الفردوس ٢/ ٢٥٨ (٣٢٠٢)، وتنزيه الشريعة (٢/ ٣٧٤).

الديلمي عن أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها: أن النبي ﷺ، قال: **«الميتُ يؤذيه في قبره ما يؤذيه في بيته»**(١).

وأخرج البخاري عنها أن النبي ﷺ: **«قال لا تسبُّوا الأموات، فإنهم قد أفضَوا إلى ما قدموا»**(٢).

وأخرج أبو داود والترمذي وابن أبي الدنيا عن ابن عمر رضي الله عنهما، مرفوعًا: **«اذكروا محاسن موتاكم وكُفوا عن مساوئهم»**(٣).

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عائشة رضي الله عنها، عنه ﷺ: **«لا تذكروا موتاكم إلا بخير إن يكونوا من أهل الجنة تأثموا، وإن يكونوا مِن أهل النار فحسبهم ما هم فيه»**(٤).

الثالثة: ورَد عن حضرة الرسالة أن الميت يتأذى بالنياحة عليه، أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها: أنه قيل لها: إن ابن عمر يرفع إلى النبي ﷺ: **«أن الميت يُعذب ببكاء الحيّ»** قالت: وهل قال أبو عبد الرحمن ذٰلك؟ إنما قال: **«أهل الميت يبكون عليه، وإنه ليعذبُ في قبرها»**(٥).

---

(١) الفردوس ١/ ١٩٩ (٧٥٤)، وقال أبو حاتم (العلل ١/ ٣٧٢): حديث منكر.
(٢) رواه البخاري (١٣٩٣) و(٦٥١٦)، وأحمد ٦/ ١٨٠ والنسائي ٤/ ٥٣.
(٣) رواه أبو داود (٤٩٠٠)، والترمذي (١٠١٩).
وقال الترمذي: هٰذا حديث غريب سمعت محمدًا (يعني البخاري) يقول: عمران بن أنس المكي منكر الحديث.
(٤) رواه عبد الرزاق (٦٠٤٢)، وابن أبي شيبة ٣/ ٤٦.
(٥) رواه البخاري (١٢٨٨) بمعناه، وأحمد ١/ ٤١ (٢٨٨) و١/ ٤٢ (٢٨٩ و٢٩٠) وفي ٦/ ١٣٨، والنسائي ٤/ ١٨، ينظر ابن حبان (٣١٣٦).

وأخرج الحاكم وصححه، عن النعمان قال: أُغمي علي عبد الله ابن رواحة، فَجَعلتْ أخته عمرْة تبكي، وا أخيّاه وا كذا تُعدد عليه، فقال حين أفاق: ما قُلتِ شيئا إلا قيل لي: أنتَ كذلك؟[1]

أخرج الطبراني عن الحسن أن معاذ بنَ جبل أغمى عليه، فجعلتْ أخته تقول: واجبلاه، فلما أفاقَ قال ما زلتِ لي مؤذيه منذ اليوم، قالت: لقد كانَ يعزُ عليَّ أن أوذيك، قال: ما زال ملك شديد الأنتهار كلما قلت واكذا. قال أكذلك أنت؟ فأقول له لا[2].

وأخرج ابن /٢٤٧/ سعد[3] عن المقدام بن مَعدي كَرِب قال: لمّا أُصيب عمر دَخلَتْ عليه حفصة فقالتْ: يا صاحبَ رسول الله ﷺ، ويا صهر رسول الله، ويا أمير المؤمنين، فقال عُمر: إني أحرّج عليك بمالي من الحق، أن تندبيني بعد مَجلسك هٰذا، إنه ليس من ميت يُندَبُ بما ليس فيه إلا الملائكةُ تمقتُهُ. أخرج ابن سعد[4] أيضًا عن يوسُف بن ماهك، قال: رأيتُ ابن عمر حضر جِنازة رافع بن خديج، فقال: إنَّ الميتَ يُعذب ببكاء الحي، وقد ورد حديث الميت يُعذَّبُ ببكاء الحي عليه أيضًا، من رواية أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أخرجه أبو يعلى

---

(١) الحاكم ٣/ ٤١-٤٢ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» ٢٠/ ٣٥ (٥٠) وقال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ١٥) الحسن لم يدرك معاذًا.

(٣) «الطبقات الكبرىٰ» ٣/ ٣٦١ .

(٤) الترمذي (١٠٠٤)، أحمد (٦/ ١٣٨).

بلفظ «الميتُ ينفخ عليه الحميم ببكاء الحي»[١]، وعن عُمر بن الخطاب بلفظ «إن الميت يُعذّبُ بالنياحة عليه في قبره»[٢]. أخرجه البخاري.

ومِن رواية أنس وعِمران بن حُصيْن عند ابن حِبّان في صحيحه[٣]، وسمرة بن جندب عند الطبراني في الكبير، وأبي هريرة عند أبي يعلى، والمغيرة بن شعبة عند ابن منده.

فاختلف العلماء في توجيه ذٰلك على مذاهب

أحدها: إنه على ظاهره مطلقًا، وهو رأي عُمر بن الخطاب، وابنه.

الثاني: لا. مطلقًا.

الثالث: أن الباء للحال أي: أنه يُعذب حال بكائهم عليه، والتعذيب بما له من ذنب، لا بسبب البكاء.

الرابع: أنه خاص بالكافر، والقوْلان عن عائشة رضي الله عنها.

الخامس: أنه خاصٌ بمن كان النوح من سُنته وطريقته، وعليه البخاري.

السادس: أنه فيمن أوصى به كما قال القائل:

إذا مت فانعيني بما أنا أهله وشُقِّ عليَّ الجيبَ يا ابنة معبد

السابع: أنه فيمن لم يُوص بتركه، فتكون الوصية بذٰلك واجبة، إذا عُلم أنّ مِن شأن أهله أن يفعلوا ذٰلك.

---

(١) أخرجه أبو يعلى بألفاظ مختلفة ليس فيها هٰذا اللفظ آنظر ١/ ١٤٤ (١٥٥، و١٥٦)، ١/ ١٤٤-١٤٥ (١٥٧، ١٥٨) في أبي يعلى (ينضح).

(٢) رواه البخاري (١٢٩٢).

(٣) (٣١٣٢، ٣١٣٤).

الثامن: أن التعذيب بالصفات التي يبكون بها عليه وهي مذمومة شرعًا، كما كان أهل الجاهلية يفعلون، يقولون: يا مرمّل النسوان، يا مُيتم الأولاد، يا مُخرب الدور.

التاسع: أن المراد بالتعذيب: توبيخ الملائكة بما يندبه أهله، /٢٤٨/ لحديث الترمذي، والحاكم وابن ماجه مرفوعًا «**ما من ميت يموت فتقومُ نادبة تقول: واجبلاه واسنداه**» أو شبه ذٰلك القول، «**إلاّ وُكِّل به ملكان يلهزانه، أهكذا كنُتَ؟**»[(١)] ويشهد له ما ذكرنا عن ابن رواحة وغيره[(٢)].

العاشر: أن المُراد تألُّم الميّت بما يقع من أهله؛ لحديث الطبراني وابن أبي شيبة، عن قيلة بنت مخرمة أنها ذَكَرَتْ عند رَسولِ الله ﷺ، ولدًا لها مات ثم بَكت، فقال رسولُ الله ﷺ: «**أيغلب أحدكم أن يصاحبَ صُويحِبَه في الدُنيا معروفًا فإذا مات اْسترجع، فوالذي نفس محمد بيده، إنّ أحدَكم ليبكي فيستعبر إليه صُوَيْحِبه، فيا عباد الله لا تُعذبوا موتاكم**»[(٣)]، وعلى هٰذا ابن جرير، واختاره جماعة من الأئمة،

---

(١) رواه الترمذي (١٠٠٣)، وأحمد ٤/ ٤١٤، وابن ماجه (١٥٩٤)، والحاكم ٢/ ٤٧١، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» ١/ ٦١.

(٢) انظر ت(١، ٢) ص٤١٦.

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٣٢٠ والمزي في «تهذيب الكمال» ٣٥/ ٢٧٩، وأورده الهيثمي ٦/ ٩-١٢ مطولاً وعزاه للطبراني.
عزاه الحافظ في «الفتح» ٣/ ١٥٥ لابن أبي خيثمة وابن أبي شيبة والطبراني.

آخرهم شيخ الإسلام ابن تيميّة، قدس اللهُ روحه، ذكره الجلال السيوطي في «أهوال الموتى والقبور»، ونَقَلْتُه ملخصًا.

والّذي رأيتُه عن شيخ الإسلام قدس الله رُوحَه، أن الميّت يتأذى بنوح أهله عليه مطلقًا، هٰذا لفظه، كما هو في ٱختياراته[١] قال: الجلال السيوطي، رحمه اللهُ في الجزء الأوّل من حديث يحيى بن معين، بسنده عن الحسن، أن من شرِّ الناس للميت أهله يبكون عليه، ولا يقضون ديونه أي: أنهم يجتهدون في جلب ما يؤذيه ويدَعون ما ينفعه، فإن الميت يتأذى ببكاء أهله، وهم يجتهدون في ذٰلك، وقضاء دَيْن الميت غاية مطلوبه، وهم مقصرون في ذٰلك إذْ روح الميت تُحبَسُ عن دخول الجنة، ما بقي على الميت درهم دين.

الفائدة الرابعة: فى النهي عن الوطء على القبور.

أخرج ابن أبي شيبة، عن عقبة بن عامر الصحابي، رضي الله عنه قال: **«لأنِ أطأ على جَمرة أو على حَدّ سيف [يُخطف] رِجلي، أحبُّ إليَّ من أنْ أمشي على قبر رجلٍ مسلم، وما أبالي أفي القبور قضيتُ حاجتي أم في السوق بين ظهرانيه، والناس ينظرون»**. وأخرجه ابن ماجه من حديثه مرفوعًا[٢].

---

(١) ص ١٣٤، ١٣٥ .

(٢) رواه ابن أبي شيبة ٣/ ٣٣٨، وابن ماجه (١٥٦٧) بإسناد فيه ضعف. وما بين القوسين في ابن ماجه (أو أخصف نعلي برجلي).

أخرج الطبراني والحاكم عن عِمارَةَ بن حزم قال: رآني / ٢٤٩/ رسول الله ﷺ، جالسًا على قبر فقال: «يا صاحب القبر: أترى من على القبر؟ لا تؤذ صاحب القبر ولا يؤذيك»[(١)]. وأخرج سعيد بن منصور، عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه سُئِل عن الوطئ على القبر قال: كما أكره أذى المؤمن في حياته، فإني أكره أذاه بعد موته.

وأخرج ابن أبي شيبة عنه، أذى المؤمن في موته كأذاه في حياته[(٢)].

وأخرَج ابن مندهَ عن القاسِم بن مُخيمَر، قال: لأن أطأ على سنان[(٣)] مَحْميٍّ حتى ينفد من قدمي، أحبّ إليّ من أن أطأ على قبر، وإن رجلاً وطئ على قبر، وإن قلبه ليقظان إذ سمع صوتًا من القبر: إليك عني يا رجل، لا تؤذني[(٤)].

الخامسة: في ملازمة الحافظين قبر المؤمن،

أخرج أبو نعيم عن أبي سعيد رضي الله عنهُ، سمعت رسول الله ﷺ، يقول: **«إذا قبضَ الله روح عبده المؤمن صعد ملكاهُ إلى السّماء، قالا: رَبَّنا وكَلتنا بعبدك المؤمن فُلان نكتب عمله، وقد قبضته إليك، فأذن لنا أن نسكن السماء قال: سمائي مملوءة من ملائكتي يسبحوني، فيقولان فأذن لنا أن نسكن الأرض، فيقول: أرضي مملوءة من خلقي،**

(١) الحاكم ٣/ ٥٩٠، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٦١ وقال رواه الطبراني في الكبير وفيه ابن لهيعة وفيه كلام وقد وثق.

(٢) رواه ابن أبي شيبة ٣/ ٣٦٧.

(٣) في (ب): أنسنان.

(٤) كشف الخفاء ١/ ٢٩٩ وعزاه لابن منده، وأورده الذهبي في السير ٥/ ٢٠٤ باختصار.

يسبحوني ولٰكن: **قُومَا على قبر عبدي فسبّحاني وهلّلاني، وكبِّراني إلى يوم القيامة واكتباه لعبدي»**[(١)]، وأخرجه البيهقي في الشعب، وابن أبي الدنيا من حديث أنس، وابن الجوزي في الموضوعات، من حديث أبي بكر الصديق، وزاد فيه: **وإذا كان العبدُ الكافر فمات فصعد ملكاه إلى السّماء، فقال لهما: ٱرجعا إلى قبره والعناه**، هٰذا كلام السيوطي رحمه الله، وأقول لفظ ابن الجوزي في الموضوعات كما رأيتُه في نسخة قديمة، فإذا كان العبدُ كافرًا فمات، صعد ملكاه فيقول الله لهما: ما جاء بكما، فيقولان: ربّ **قبضت عبدك فيقول لهما ٱرجعا إلى قبره فالعناه إلى يوم القيامة، فإنه كذبني وجحدني وإني جعلتُ لعنتكما عذابًا أعذّبه به يوم القيامة»**، وذكر /٢٥٠/ ابن الجوزي رحمه الله، طرقّه الثلاثة التي عن أبي سعيد وأبي بكر وأنس[(٢)]، وحكم عليه بالوضع، فليحفظ وتعقبّه الجلال السيوطي بأنه ليس بموضوع، بل ظاهر كلامه يشعر بأنه حسن كما يفهمه من له إمعان. والله أعلم.

السادسة: ٱختلفَ العلماء في وصول ثواب القراءة للميت، فجمهور السّلف، والأئمة الثلاثة على الوصول وخالفَ الشافعيُ مستدلاّ بقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم: ٣٩] وأجاب الجمهور عن الآية بأجوبة.

---

(١) أبو نعيم في الحلية ٧/ ٢٥٣ وقال: غريب تفرد به سعدان عن إسماعيل.

(٢) قال هذا حديث لا يصح. وقد اتفقوا على تضعيف عثمان بن مطر، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات لا يحل الاحتجاج به. ا.هـ

أحدها: أنها منسوخة، بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وأتبعناهم ذرياتهم بِإِيمَٰنٍ﴾ [الطور: ٢١][1] الآية أدُخل الأبناء الجنّة بصلاح الآباء.

الثاني: أنها خاصة بقوم إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام، وأما هٰذه الأمّة فلها ما سعت وما سُعِيَ لها، قاله عكرمة.

الثالث: المرادُ بالإنسان الكافر، فأمّا المؤمن فله ما سعى، وما سُعِي له، قاله الربيع بنُ أنس.

الرابع: ليس للإنسان إلا ما سعى من طريقه، فأمّا من باب الفَضل جائز أن يَزيده الله ما شاء، قاله الحسن بن الفضل.

الخامس: أن «اللام» في الإنسان بمعنى «على» أي ليس على الإنسان إلا ما سعى.

قُلْتُ: وينبغي أن يقيَّد هٰذا بما إذا لم يكن سببًا في ذٰلك؛ لما في خبر **«ومنْ سَنّ سُنّة سيّئة، فعليه وزرها ووزر من عمل بها»**[2] الحديث وحديث **«ما مِنْ مقتول يُقتل، إلاّ وعلى ابن آدم من دمه»**[3]، أو كما قال ﷺ.

---

(١) قال في التبصرة (٦٨٤) قرأ أبو عمرو «وأتبعهم» بقطع الألف وإسكان التاء والتخفيف وبعد العين نون وألف، وقرأ الباقون بوصل الألف وتشديد التاء وبعد العين تاء ساكنة. اهـ. وأيضاً: ذرياتهم قرأه أبو عمرو بالجمع وكسر الباء وكذلك قرأ ابن عامر غير أنه ضم التاء، وقرأ الباقون بالتوحيد وضم التاء.

(٢) رواه مسلم (١٠١٧)، وابن خزيمة (٢٤٧٧)، وابن حبان (٣٣٠٨)، وابن ماجه (٢٠٣)، وأحمد (٤/ ٣٥٨، ٣٦١، ٣٦٢).

(٣) روي هٰذا المعنى من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

رواه البخاري (٣٣٣٥) و(٦٨٦٧) و(٧٣٢١)، ومسلم (١٦٧٧)، وأحمد ١/ ٣٨٣ و٤٣٠ و٤٣٣، والنسائي ٧/ ٨١، وابن ماجه (٢٦١٦)، وابن حبان (٥٩٨٣)، والبيهقي ٨/ ١٥.

واستدل القائلون بالوصول بالقياس على مثل الحج من أنواع البر، وبما خرجه الخلال في الجامع عن الشعبي قال: كانت الأنصارُ إذا مات لهم الميت ٱختلفوا إلى قبره، ويقرءون له القرآن[1].

وبما أخرج السمرقندي في فضائل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] عن عليّ مرفوعًا **«من مرّ على المقابر وقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ إحدى عشرة مرة، ثم وهب أجره للأموات أُعطي من الأجر بعدد الأموات»**[2].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ دخل المقابرَ ثم قرأ /٢٥١/ فاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد وألهاكم التكاثر، ثُم قال إني جَعلتُ ما قرأتُ من كلامكَ لأهل المقابر من المؤمنين والمؤمنات كانوا شفعاء له إلى الله تعالى»**[3].

وأخرجَ الديلمي في تاريخ همدان، وابن النجار عن علي كرّم الله وجهه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قال إذا مرّ بالمقابر السلامُ على أهل لا إلٰه إلا الله مِن أهل لا إلٰه إلا الله، كيف وجَدتم قول لا إلٰه إلا الله، يا أهل لا إلٰه إلا الله بحق لا إلٰه إلا الله، ٱغفر لمن قال لا إلٰه إلا الله، واحشرنا في زمرة من قال لا إلٰه إلا الله، غُفِر له ذنوب خمسين سنة»** قيل: يا رسول الله من لم تكن له ذنوب خمسين سنة، قال:

---

(١) روى نحوه ابن أبي شيبة ٣/ ٢٣٦ وإسناده ضعيف.

(٢) عزاه غير واحد للسمرقندي، ورواه الرافعي في التدوين ٢/ ٢٩٧. وقال في كشف الخفاء ٢/ ٣٧١: رواه الرافعي في تاريخه عن علي.

(٣) عزاه في «تحفة الأحوذي» ٣/ ٢٧٥ لأبي القاسم الزنجاني في فوائده.

«لوالديه ولقرابته ولعامة المسلمين»(١).

وأخرج القاضي أبو بكر بن عبد الباقي الأنصاري، في مشيخته عن سلمة بن عبيد، قال: قال حماد المكي: خرجتُ ليلة إلى مقابر مكة فوضعتُ رأسي على قبر فنمت، فرأيت أهل المقابر حلقًا حلقًا فقلت: قامت القيامة؟ قالوا: لا ولٰكن رجلٌ من إخواننا قرأ قل هو الله أحد، وجعل ثوابها لنا، فنحنُ نقتسمه منذ سنة. وأخرج عبد العزيز صاحب الخلال، بسنده عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: **«من دخل المقابر فقرأ سورة يس خَفَّفَ اللهُ عنهم، وكان له بعدد ما فيها حسنات»**(٢).

وقال الحافظ ابن رجب: رَوى جعفر الخلدي، حدثنا عباس بن يعقوب بن صالح الأنباري، سمعت أبي يقول: رأى بعض الصالحين أباه في النوم، فقال له: يا بُني لولا الأحياء لهلكت الأموات(٣). وأخرج ابن النجار في «تاريخه»، عن مالك بن دينار، قال: دخلت المقبرة ليلة جمعة، فإذا أنا بنور يشرق فيها فقلت: لا إلٰه إلا الله، ترى إن الله قد غَفر لأهل المقابر، فإذا بهاتف يهتفُ به من البعد وهو يقول:

---

(١) رواه الرافعي في «التدوين» ٣/ ٣٩٦-٣٩٧ من رواية الأصبغ بن نباته عن علي. وإسناده واه الأصبغ كان يضع الحديث.

(٢) ذكره السيوطي في «شرح الصدور» (١٣٠) قال في تخريجه: أخرجه عبد العزيز صاحب الخلال بسنده عن أنس. قال الألباني في «الجنائز» (٢٥٩) لا أصل له في شيء من كتب السنة. ا.هـ

(٣) «أهوال القبور» ٢١٧

يا مالكُ بنُ دينار هٰذه هدية المؤمنين إلى إخوانهم أهل المقابر قلتُ: بالذي أنطقك ألا أخبرتني ما هو؟ قال: رجلٌ من المؤمنين قام في هٰذه الليلة فأسبغ /٢٥٢/ الوضوء وصلَّى ركعتين، قرأ فيهما فاتحةَ الكتاب وقُل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد، وقال: اللهم إني قد وهبتُ ثوابَها لأهل المقابر من المؤمنين، فأدخل الله علينا الضياء والنور، والبهجة والسرور في المشرق والمغرب.

قال مالك: فلم أزل أقرؤها في كل جمعة فرأيت النبي ﷺ في منامي يقولُ لي: يا مالك قد غفر الله لك بعدد النور الذي أهديته إلى أمتي ولك ثواب ذٰلك، ثم قال وبَنَى الله لك بيتًا في الجنة، في قصر يقال له المنيف قلت: وما المُنيف قال المطل على أهل الجنة.

وهٰذه الأخبار وشبهها وإن كانت ضعيفة، فمجموعها يدل على أنّ لذٰلك أصلاً وبأنّ المسلمين ما زالوا في كل مصر يجتمعون، ويقرؤن لموتاهم من غير نكير[1]، فكانَ ذٰلك إجماعًا ذكر ذٰلك كُلَّه الحافظُ شمس الدين بن عبد الواحد المقدسي، من أصحابنا رضي الله عنه.

قال القرطبي في التذكرة: وقد كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام[2] يُفتي بأنه لا يصل إلى الميِّت ثوابَ ما يُهدَى إليه من

---

(١) الاجتماع علىٰ قراءة القرآن وإهداء ثوابها للميت بدعة سواء كان في بيت الميت أو عند قبره، أما إذا قرئ القرآن بدون اجتماع وأهدي ثوابه فهذا جائز عند جمع من العلماء والله أعلم.

(٢) الفتاوىٰ (/ ٢٤) وهو رأي ابن كثير في تفسيره لآية ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعىٰ﴾.

القراءة، فلما تُوفي رآه بعض أصحابه فقال له: إنك كنتَ تقول إنه لا يصلُ إلى الميت ثواب ما يُهدَى إليه من القراءة فكيف الأمر؟ قال له: كنتُ أقول ذٰلك في دار الدنيا، والآن فقد رجعت عنه لما رأيت من كرم الله في ذٰلك، فإنه يصلُ إليه ذٰلك[١].

تنبيه: القراءة على القبر ٱستحبها أصحاب الشافعي، وغيرهم قال النووي في «شرح المهذب» يستحب لزائر القبور أن يقرأ ما تيسر من القرآن، ويدعو لهم، نص عليه الشافعي زاد في موضع آخر: وإن ختم القرآن على القبر كان أفضل.

وكان إمامنا رضي الله عنه ينكر ذٰلك أوّلاً، ثم رجع عنه حين بلغه الخبرُ، وقد ذكر المحقّق[٢] عن عليّ بن موسى الحداد، وكان صدوقًا قال: كنتُ مع الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن قدامة الجوهري في جنازة، فلما دفن الميت جلس رجل ضرير يقرأ عند /٢٥٣/ القبر فقال له الإمام أحمد: يا هٰذا القراءة عند القبر بدعة، فلمّا خرجنا من المقابر، قال محمد بن قدامة للإمام أحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله: ما تقولُ في مبشر الحلبي؟ قال: ثقة، قال: كتبتُ عنه شيئًا؟ قال: نعم، قال: فأخبرَني مبشّر عن عبد الله بن اللجلاج، عن أبيه أنه أوصى إذا دُفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة، وخاتمتها، وقال: سَمعتُ ابن عُمر يوصى بذٰلك، فقال له الإمام: فارجع وقل للرجل: يقرأ[٣].

(١) التذكرة (٩٤). (٢) «الروح» ص١١ .

(٣) انظر إلىٰ كتاب «الجنائز» للشيخ الألباني رحمه الله فقد رد هٰذه القصة من عدة وجوه وقد أصاب.

قال القرطبيُ في حديث «**اقرؤا على موتاكم يس**»، هٰذا يُحتمل أن تكونَ هٰذه القراءة عند الميّت في حال موته، ويُحتمل أن تكون عند قبره[1]، قال السيوطي: وبالأوّل قال الجمهور، وبالثانى قال: ابن عبد الواحد المقدسي، وبعضهم قال: بالتعميم، فيهما.

قال الغزالي في الإحياء وعبد الحق في العاقبة، عن الإمام أحمد رضي الله عنه، إذا دخلتم المقابر فاقرؤا بفاتحة الكتاب، والمعوذتين وقل هو الله أحد، واجعلوا ذٰلك لأهل المقابر، فإنه يَصلُ إليهم[2]، قال القرطبي: وقد قِيل إن ثوابَ القراءة للقارئ وللميّت ثواب الاستماع، ولذلك تلحقُه الرحمة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٤] قال: ولا يَبعدُ في كرم الله أن يلحقه ثواب القراءة والاستماع معًا، ويلحقهُ ثوابَ ما يُهدَى إليه من القراءة وإن لم يسمع كالصدقة.

الفائدة السابعة في بلاء الجسد ونتنه: أخرج البخاري عن جندب البجلي، «**أول ما ينتن من الإنسان بطنه**»[3]، وأخرج ابن عساكر، عن أبي قلابة، قال: ما خَلق الله شيئًا أطيب من الروح، ما نُزع من شيء إلا أنتن.

وأخرج أبو نعيم عن وهب بن منبه، قال: قرأتُ في بعض الكتب: لولا أني كتبت النتن على الميت، لحبسهُ الناس في بيوتهم[4].

---

(١) «التذكرة» ص٩٠.
(٢) انظر «الجنائز» للألباني ص١٥٩.
(٣) رواه البخاري (٧١٥٢).
(٤) حلية الأولياء ٢/ ٢٨٧.

وأخرج ابن عساكر عن زيد بن أرقم مرفوعًا: «**يقول الله تعالى توسعت على عبدي بثلاث خصال بعثتُ الدابة على الحبة، ولولا ذلك لكنزها ملوكهم كما يكنزون /٢٥٤/ الذهبَ والفضة، وتغير الجسد من بعد الموت، ولولا ذلك لما دفن حميمٌ حميمَه، وأسليت حَزَنَ الحزين، ولولا ذلك لم يكن يسلو**»[1][2].

وأخرج مُسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظم واحد، وهو عجمُ الذنب، ومنه يُركب الخَلقُ يوم القيامة**»[3]، وأخرجه أبو داود النسائي أيضًا.

وأخرج عنه أيضًا مرفوعًا: «**كل ابن آدم يأكله التُرابُ إلاَّ عجب الذنب**»، منهُ خُلق أي: هُو أوّل ما خُلق من الإنسان ومنه يُركّب.

قُلْتُ: لم أرَ أحدًا مِمّن تكلم على تكوين الإنسان، ذكر أنّ أوّل ما يخلق من الإنسان عجم الذنب، وإنما ذهب جماعةٌ أنه القلبُ وقيل الدّماغ وقيل الكبد، وقيل فقار الظهر، كما أنهى الكلام على ذلك الإمام المحقق في كتابه «تحفة الودود، في أحكام المولود». انتهى[4].

قال شارح «المواقف»: هل يعدمُ اللهُ الأجزاء البدنية؟ ثم يعيدها أو يفرقها ويعيد فيها التأليف؟ الحقُ أنه لم يَثبت في ذلك شيء فلا يُجزم

---

(١) كذا في الدر المنثور ٥/ ٢٣٠ وشرح الصدور ص١٣٢.

(٢) «تاريخ دمشق» جزء ٦٤ ص٣٤٤ .

(٣) رواه البخاري (٤٦٥١) باب يوم ينفخ في الصور، ومسلم (٢٩٥٥) وبلفظ مقارب عند أبي داود (٤٧٤٣)، والنسائي ٤/ ١١١، وابن حبان (٣١٣٨).
وعَجْب الذَّنب: هو العظم الذي يكون في أسفل الصُّلب.

(٤) «تحفة الودود في أحكام المولود» ص١٦٥ .

فيه بنفي ولا إثبات؛ لعدم الدليل على شيء من الطرفين انتهى. وقال ناظم الجوهرة:

وقل يعاد الجسم بالتحقيق عن عَدم وقيل عن تَفْريق
مَحضين لٰكن ذا الخلاف خصّا بالأنبياء ومن عليهم نصا
وفي إعادة العرض قوْلان ورَجحت إعادةُ الأعيان[1]

قال القرطبي في «التذكرة»: يُقال عجمُ وعَجْبُ بالباء والميم، وهو جزء لطيف في أصل الصُلب، وقيل هُو رأس العصعص، كما رواه ابن أبي داود في كتاب البعث، من حديث أبي سعيد الخُدري قيل يا رسول الله: وما هُو قال: «**مثل حبّة خردل، ومنه تنشئون**»[2][3].

الثامنة: أخرج ابن النجار في ترجمة كثير بن سالم الهيثمي أنه

---

(١) في هامش الأصل وفي شرح الجوهرة للأقاني: وعبارة الغزالي في كتاب الاَقتصاد: فإن قيل ما تقولون أتعدم الجواهر والأعراض ثم يعادان جميعًا، أو تقدم الأعراض دون الجواهر. وإنما تعاد الأعراض. قلنا: كل ذٰلك ممكن والحق أن ليس في الشرع دليل قاطع على تعذر أحد هٰذه الممكنات. قال الشارح: ورأيتُ لبعضهم ألحق و[وقوع] الأمرين جميعًا إعادة ما انعدم. بعينه وإعادة ما تفرق بأعراضه. وهٰذا حسن يجمع القولين والذي يختلج في خلدي أنه جمع بعد تفرق. والله ولي التحقيق. نقل من خط المؤلف.

(٢) رواه أحمد ٣/ ٢٨، وأبو داود في «البعث» (١٧)، وأحمد ٣/ ٢٨، وأبو يعلى (١٣٨٢)، وابن حبان (٣١٤٠)، والحاكم ٤/ ٦٠٩ وإسناده ضعيف لٰكن يشهد له حديث أبي هريرة المتقدم.

(٣) «التذكرة» ص١٨٤ .

أوصى أن لا يُعمر قبره إذا درس، وأكد في ذٰلك وشدَّد وقال إن /٢٥٥/ الله عزّ وجلّ ينظرُ إلى أصحاب القُبور الدوارس، فيرحمهم فأرجو أن أكونَ منهم قال ابن النجار: وقد وردَ مثلُ ذٰلك في الآثار ثم أخرج من طريق عبد الله بن حميد، ثنا إسماعيل بن عبد الكريم، ثنا عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه قال: مرّ أرْميا النّبيُّ عليه السلام بقبور تعذب أهلُها، فلما أن كان بعدَ سنَة مَرّ بها فإذا العذابُ قد سكن عنها. فقال قدّوس قدّوس، مررتُ بهٰذه القبور عام أول وأهلُها يُعذّبون، ومررت في هٰذه السّنَة، وقد سكن العذاب عنها فإذا النداء من السماء يا أرميا تمزّقت أكفانهم، وتمعَّطت شُعورهم ودرست قُبورهم، فنظرتُ إليهم ورحِمْتُهم، وهكذا أفعل بأهل القبور الدّارسات، والأكفان المتمزقات، والشعور المتمعطات[1].

التاسعة: أخرج أبو نعيم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«من وافق موتُه عند أنقضاء رمضان دخل الجنة، ومن وافق موته عند أنقضاء عرفة دخل الجنة، ومن وافق موته عند أنقضاء صدقة دخل الجنة»**[2].

وأخرج الإمام أحمد، عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قال لا إلٰه إلا الله أبتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة، ومن صام يومًا أبتغاء وجه الله خُتم له به دخل الجنة، ومن تصدق**

---

(١) هذا من الآثار التي رواها وهب عن بني إسرائيل.

(٢) الحلية ٥/ ٢٣ وفي إسناده نصر بن حماد ضعيف.

بصدقة ٱبتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة»[١].

وأخرجَ الديلمي عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: **«من مات صائمًا أوجب الله له الصيام إلى يوم القيامة»**[٢].

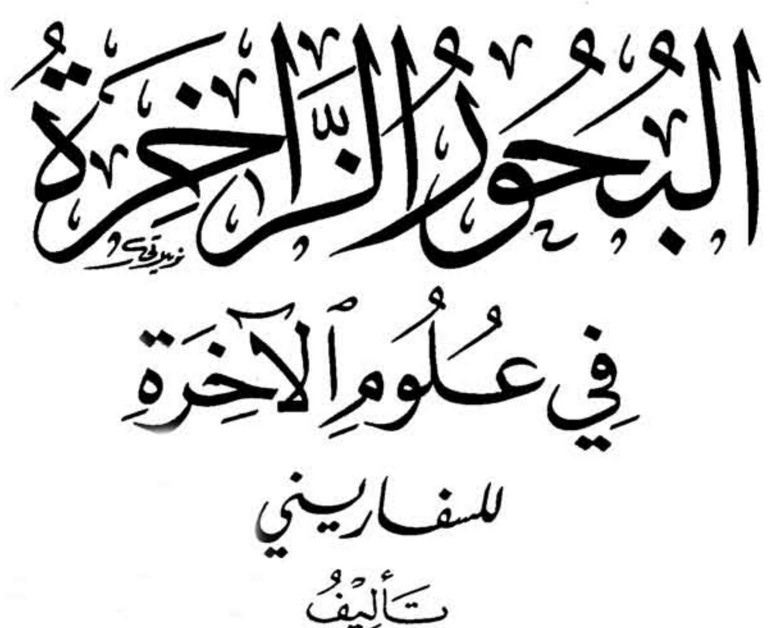
العاشرة: لا تأكل الأرض أجساد جماعة وهم الأنبياء والعلماء والشهداء، ومؤدبوا الأطفال والمؤذنون حيث ٱحتسبوا آذانهم لله، قُلْتُ: فإن أخذ المؤذنون ومؤدّبوا الأطفال على ذٰلك رزقًا من بيت مال المسلمين، فلا ينافي الٱحتساب، قال علماؤنا وما يأخذه المؤذّنون ونحوّهم /٢٥٦/ فكالرزق من بيت المال، وليس بأُجرة فإن وقَّع عقد إجارة على ذٰلك حَرم الأخذ، وبَطل الأجر على قواعد مذهب الإمام أحمد بخلاف الجعالة، ولا يخفى أن عدم الأخذ بالمرة أولى سيما مع شدة الخلاف في جواز تناول ذٰلك، كما لا يخفى على من له خبره بأقاويل العلماء وقد نظم بعضُهم الذين لا تأكله الأرض في قوله:

لا تأكل الأرض جسمًا للنبي ولا لعالم وشهيد قتل معترك
ولا مؤدب أطفال ومحتسبٌ أذانُه لإلٰه مُجري الفلك

---

(١) رواه أحمد ٥/ ٣٩١.

(٢) الديلمي في «مسند الفردوس» ٣/ ٥٠٤ (٥٥٥٧) وكنز العمال ٢٣٦٤٣.



للسفاريني

تأليف

الإمام العالم العلامة محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني الحنبلي

رحمة الله تعالى عليه

(١١١٤ - ١١٨٨ هـ)

يطبع لأول مرة على عدة نسخ خطية بخط المؤلف، وخط حفيده،

حققه وضبط نصه وعزا آياته وخرج أحاديثه ووثق نقوله وعلق عليه

عبد العزيز أحمد بن محمد بن حمود المشيقح

غفر الله له ولوالديه ولذريته ولمشائخه ولجميع المسلمين

المجلد الثاني

دار العاصمة

للنشر والتوزيع

الكتاب الثاني

في أشراط الساعة واقترابها وما يتعلق بذٰلك

قال تعالى ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١] وقال ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١﴾ [الأنبياء: ١] وقال: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ﴾ [الشورى: ١٧] وقال: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ﴾ [محمد: ١٨] وقال: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٦٦﴾ [الزخرف: ٦٦] إلى غير ذٰلك من الآيات، وأما الأحاديث فلا تكادُ تحصر، لا يقال كيفَ يوصَفُ بالاقتراب، ما قد مضى قبل وقوعه ألف ومائة، وأكثر من ذٰلك لأنا نقول أن الأجل إذا مضى أكثره وبقي أقله حسن أن يُقال فيه: اقترب الأجلُ فأجلُ الدُنيا قد مضى أكثره وبقى أقلّه، ولقرب قيام الساعة عنده تعالى جَعلها كغدٍ الذي بعد يومك، فقال تعالى: ﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ [الحشر: ١٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧﴾ [المعارج: ٦، ٧]

وفي الترمذي[١] وصححه عن أنس مرفوعًا: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» وأشار بالسبابة والوسطى. فما فضل إحداهما على الأخرى.

وفي الصحيحين عن ابن عمر مرفوعًا: «**إنما أجلكم فيمن مضى**

---

(١) الترمذي عن أنس (٢٢١٤) وقال: هٰذا حديث حسن صحيح.
والحديث في الصحيحين، فقد رواه البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١).

قبلكم من الأمَم مِن صلاة العَصر إلى مغرب الشمس»(١) وفي لفظ «إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس»(٢).

ولمّا كان أمر الساعة شديدًا، وهولها مزيدا، وأمدها بعيدا، كان الاهتمام /٢٥٧/ بشأنها أكثر من غيرها، وضيرها أكبر من خيرها، وأكثر النّبيّ ﷺ من بيان أشراطها، وأماراتها وأخبر عمّا بين يديها من الفتن القريبة والبعيدة، ونبّه أمته لأجل الاعتداد لقطع تلك العقبة الشديدة، فينبغي لكل ذي لب كامل ورأي فاضل أن يشتغل بالأعمال الصالحة، ولا ينهمك في نيل الشَهواتِ الفاضحة.

واعلم أن وقت إتيان الساعة مما انفرد الله بعلمه، وأخفاه عن عباده، وذلك لحكمة فإنه أصلح للعباد لئلاً يتباطئوا عن التأهب والاعتداد.

قال الفخر الرازي: كما أن كتمان وقت الموت أصلح لهم، يعني: فإنه إذا خفي عليه ذلك كان دائمًا مترقبًا وقوعه، بخلاف إذا علم فربّما كان يرتكب الموبقات ثم إذا قرب وقت الوفاة (تاب)(٣) إلى الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

---

(١) رواه أحمد ٢/ ١١٢ (٥٩١١)، والبخاري (٥٠٢١)، والترمذي (٢٨٧١).

(٢) رواه أحمد ٢/ ٦(٤٥٠٨) و٢/ ١٢٤ (٦٠٦٦)، والبخاري (٥٥٧) و(٣٤٥٩)، (٧٤٦٧).

(٣) في الأصل: أتوب.

قال المحققون: السبب في إخفاء الساعة: أنهم إذا لم يعلموا متى تكون، كانوا على حذر منها، فكان ذٰلك أدعى للطاعة، وأزجر عن المعصية.

قال العلامة في «بهجة الناظرين وآيات المستدلين»: قد ٱحتج كثيرٌ من العلماء، على تعيين قرب زمانها بأحاديثَ لا تخلوا من نظر، فمنهم من قال: بقي لها كذا، ومنهم من قال: يخرج الدجّال على رأس كذا، وتطلع الشمس على رأس كذا، فردّ الحافظ السيوطي ذٰلك كُلَّه، وذكر هو تقريبًا أنها تقوم على رأس الخمسمائة بعد الألف أو أزيد[١].

قال العلامةُ[٢]: وهٰذا أيضًا مردود لأنّ كلّ من تكلم بشيء من ذٰلك فهو ظنٌّ وحسبان، لا يقوم عليه من الوحي برهان. ٱنتهى.

وسأذكر جميع ذٰلك مستقصيًا إن شاء الله بعد.

واعلم أن في مدة عمارة الأرض أقوالاً فقيل: إنه لا يعلَمُ ذٰلك المقدار إلا العزيز الجبار، وهٰذا هو عين الصواب بلا شك ولا ٱرتياب، وقيل مدة عمارتها سبعة آلاف سنة /٢٥٨/ وهٰذا هو المشهور، وقيل غير ذٰلك قال أهل القول الأول: لم ينص على ذٰلك قرآن ولا صح خبر عن سيد ولد عدنان، فالخوض فيه ضرب من الهذيان، وحكى القول الثاني عن حبر القرآن، ووهب بن منبه، وحكاه جماعة عن اليهود وغيرهم.

(١) هٰذا في زمانه رحمه الله. أما في زماننا الآن فقد ٱنتشرت الترهات والنبوءات التي تدعي الاستدلال بالكتاب والسنة في إثبات «عمر أمة الإسلام» و«معرفة هر مجدون» وكل هٰذا من تلبيس الحق بالباطل.

(٢) «الإشاعة» ص١٩٠ .

وأما أعداء الله الفلاسفة فَزعموا أن تدبير العالم الذي نحن فيه للسنبلة فإذا آستكمل العالم قطع هٰذه المسافة، وقع الفساد والدثور ثم عاد الدهر إلى الميزان، فتجتمع المواد ويُقَدر النشورُ عَودا.

قال البكري: وسُلطان الحمل عندهم آثنا عشر ألف سنة، والثور إحدى عشر ألف سنة، ثم كذٰلك على التوالي، حتى تكونَ قسمةُ الحوت ألف سنة، فجميع ذٰلك ثمانية وسَبعون ألف سنة، فإذا آنْصَرَمتْ هٰذه المدة آنقضى عالم الكون والفساد[1].

قال: وهٰذا قول هرمس وزعم أنه لم يكن في عالم الحَمَل والثور، والجوزاء على الأرض حيوان، فلما كان عالم السرطان تكونت دَواب الماء، وهوام الأرض، فلما كان عالم الأسد تكونت الدواب ذوات الأربع، فلما كان عالم السنبلة تولد الإنسانان الأولان آدم نوس وحواء نوس.

وزعم بعضُهم: أن مُدة العالم مقدار قطع الكواكب الثابتة، لدرج الفلك والكوكب منها يقطع البرج في ثلثمائة سنة فذٰلك ست وثلاثون ألف سنة، وهي ألف وعشرون كوكبًا.

وقال في «جامع الفنون»: عددُ الكواكب الثابتة لا يَعلمُها إلاّ الله تعالى، إلا أن الحكماء ضبطوا مِنها ألفًا واثنين وعشرين كوكبًا، وقيل غير ذٰلك في مدة عُمر الدنيا، والله أعلم.

---

(١) هٰذا كله من الأقوال الفاسدة كما قدَّم المصنف.

واعلم أن أشراط الساعة وأماراتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام[1]:

قسم ظهر وانقضى وهى الأمارات البعيدة.

وقسم ظهر ولم ينقض بل لا يزال في ازدياد حتى إذا بلغَ الغاية ظهر.

القسم الثالث، وهي الأمارات القريبة التى تعقبها الساعة، وإنها تتابع كنظام خرزات قُطِعَ سلكها.

/٢٥٩/ ، فمن ثَمَّ جعلتْ أمارات السّاعة في ثلاثة أبواب.

---

(١) انظر: ٦٨٤ وما بعدها من هٰذا الكتاب المبارك.



الباب الأول

في الأمارات البعيدة التي ظهرت وانقضت.

وهي كثيرةٌ جدًا منها مُوتُ النبي ﷺ، وهو أعظم المصائب في الدين ومن ثم قال ﷺ: **«إذا أصيب أحدُكم بمصيبة فليذكر مُصيبته بي، فإنكم لن تصابوا بمثلي أبدًا»**[١]، قال الشاعر وأحسن:

اصبر لكل مُصيبة وتجلّد   واعلم بأن المرءَ غيرَ مُخَلَّد
وإذا أصبتَ بنكبة فاصبر لها   واذكر مَصابك بالنبي محمد

وقال الآخر:

تذكرت لمّا فرق الدّهر بيننا   فسليتُ نفسي بالنبي محمد
وقلتُ لها إن المنايا سبيلُنا   فمن لم يمت في يومه مات في غده

وموت النبي ﷺ، أول فتح باب الاختلاف حين قالوا: مِنَّا أمير ومنكم أمير، عن عوف بن مالك رفعه: **«أعدد بين يدي الساعة مَوتِي، ثم فتح بيت المقدس»**[٢]، وأخرج نحوه الطبراني عن ابن عمر مَرفوعًا. وفي الصحيح[٣]: «ما نفضنا أيدينا من تراب قبر رسول الله ﷺ، حتى أنكرنا قلوبنا».

---

(١) ضعيف رواه ابن ماجه (١٥٩٩)، وعبد الرزاق ٣/ ٥٦ (٦٧٠٠)، والطبراني في الأوسط ٤/ ٣٦٥ (٤٤٤٨) وفي المعجم الصغير (٦١٢) ١/ ٣٦٦ وفي الكبير (٦٧١٨) ٧/ ١٦٧.

(٢) البخاري (٣٠٠٥) الطبراني في الكبير (١٨/ ٤٢).

(٣) أحمد (٣/ ٢٦٨) أبو يعلى (٣٣٧٨) الترمذي (٥/ ٥٨٨).

ومنها قتلُ أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقد صحَّ أنه ﷺ، ذكر فتنة فمرّ عثمانُ رضي الله عنه، فقال: «**هٰذا يومئذ على الهدى**»، وقال لعثمان: «**إنّ الله مُقمّصُك قميصًا** - أي: موليك الخلافة - **فإن أرادك المنافقون على خلعه، فلا تخلعه حتى تلقاني**»(١). وقال حُذيفة رضي الله عنه: أوّلُ الفتن قتلُ عثمان، وآخرُها خروج الدجال.

زاد ابن عساكر في روايته: «**والذي نفسي بيده، ما من رجل في قلبه مثقال حبة من قتل عثمان إلا ٱتبع الدَّجال إن أدركه وإن لم يدركه آمن به في قبره**»(٢).

وملخص قصة قتله رضي الله عنه، أنهم ٱنتقدوا عليه بعض أمور، منها: أنه ولّى محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما مصر، فلما كان في بعض الطريق إذا بغلام عثمان على ناقته متوجهًا / ٢٦٠/ نحو مصرَ فأتوا به فسألوه عن الخبر، فلم يُخبرهم ففتشوه، فَلَقَوا معه كتابًا إلى العامل بمصر، فيه أنك تقتل محمدا، فرجع محمدٌ إلى المدينة فاجتمع عليه أربعة آلاف أوباش من مُضر وتميم وغيرها، وسألوه عن الغُلام والكتاب، فقال: لا علم لي به فقالوا: إن هٰذا فِعلُ مروان. وعرفوا خطه، وقالوا: فادفعه لنا. فلم يفعل، فأرادوه على أن يعزل نفسه، فلم يفعل ٱمتثالاً لوصية رسول الله ﷺ.

---

(١) رواه أحمد ٦/ ٧٥، والحاكم ٣/١٠٦، والطبراني في الكبير ٥/ ١٩٢ (٥٠٦١)، والسنة لابن أبي عاصم ٢/ ٥٦٢ (١١٧٩).

(٢) «تاريخ دمشق» جزء ٣٩، ص٤٤٧ .

فحاصروه، فجاءت الأنصارُ إلى الباب، وقالوا: يا أميرَ المؤمنين إن شئت كنا أنصارًا لله مرّتين، فقال: لا حاجة لي في ذٰلك كُفّوا، إن رسول الله ﷺ، عهدَ إليّ عهدًا، وأنا صائر إليه وجاء عليّ كرّم الله وجهه في جماعةٍ من بني هاشم، يريدُ نصره، فقال عثمان رضي الله عنه: كُلُّ من لي عهد في ذمته يكف عن القتال.

فأخذ عليّ عمامته أي عمامة نفسه رضي الله عنه، فرمى بها في صَحن داره وقال: ذٰلك ليعلمَ أني لم أخنه بالغيب، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين.

ومنعوه الماء العذب، فأرسل عليٌّ الحسن والحسين، وعبد الله بن جعفر في فئة من بني هاشم بثلاث قرب من الماء، فحالوا دونهم فحملوا عليهم حتى جُرحَ الحسنُ أو الحسين رضي الله تعالى عنهما، فسال الدم على وجهه وأوصلوه الماء، فلمّا رأوا ذٰلك، خافوا بني هاشم، وتركوا الباب، ونقبوا البيت من ظهره، وكان عنده في الدار عبيده الكثيرون، فأرادوا أن يمنعوا عنه فقال: من أغمد سيفه فهو حر ومنعهم من ذٰلك، وكان ممّن دخل عليه الدار: محمدُ بنُ الصديق رضي الله عنهما، فذكر له عثمان بعض مناقبه في الإسلام، وقال: أنشدك الله ألم تعلم ذٰلك؟ فيقول محمد: نعم، ثم قال: والله يا ابن أخي لو رأى أبوك مكانك لساءه ذٰلك، فبكى محمد وخرج ولم يحدث شيئا، ثم دخل عليه جماعة فقتلوه في أوسط أيام التشريق، والمصحف بين يديه سنة خمس وثلاثين من الهجرة، عن ثمان وثمانين سنة من

مولده، وقيل: عن / ٢٦١/ تسعين، ورجحه النووي في «تهذيبه»[١]، وقيل اثنان وثمانون. وحكى الواقدي فيه الاتفاق وكانَ ذلك يومَ الجُمعة وقيل: ليلة الجمعة وقيل يوم الأربعاء لثمان عشرة من ذي الحجة، وقيل: يوم التروية، وقيل: لليلتين بقيتا من ذي الحجة، وقيل في أوسط أيام التشريق، كما ذكرناه آنفًا، وقيل أكثر من ذلك، وقيل أقل.

قال ابن عبد الدايم البرماوي: وكان يومئذ صائمًا، ويُروى أنه كان يقرأ في المصحف، فوقعت قطرة من دمه، أو قطرات على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧] واختلفوا فيمن باشر قتله، فقال كثير لا يُعرف، وقيل: الأسود النخشي من مصر، وقيل: جبلة بن الأيهم من مصر، وقيل: سودان بن حمدان وقيل رومان اليماني، ورومان رجل من بني أسد بن خزيمة، وقيل قتله اثنان، وقيل غير ذلك.

وقال ابن باطيش، في كتاب «مزيل الشبهات»، فيما نقله السيوطي في «تنوير الحوالك» عن عبد الله بن سلام قال: أتيت عثمان وهو محصور، فقال: مرحبًا يا أخي رأيت رسول الله ﷺ في هذه الخوخة، فقال: يا عثمان حصَروك؟ قلت: نعم. قال: عطشوك؟ قلتُ: نعم. (فأدلى)[٢] لي دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت، حتى أني الآن لأجد برده بين ثديي، وبين كتفي، فقال: إن شئتَ نُصِرتَ

---

(١) «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٣٢٢).

(٢) في الأصل: فأدلا.

عليهم، وإن شئتَ أفطرتَ عندنا، فاخترتُ أن أفطر عنده، فقتل في ذلك اليوم(١).

وفي «الإشاعة» للبرزنجي(٢): أن عثمان رضي الله عنه رأى في ليلة يوم قتل فيه النّبيَّ ﷺ، فقال له: يا عثمانُ أفطر عندنا، فأصبح صائمًا وقُتل وهو صائم رضي الله عنه، وهو من المقطوع لهم بالجنة.

ومنها وقعة الجمل: روى الحاكم عن علي وطلحة رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال للزبير: «**أتحبُ عليًا أما أنك ستخرج عليه وتقاتلهُ وأنت له ظالم**»(٣).

وروى الإمام أحمد والحاكم عن عائشة رضي الله عنها: أنه ﷺ قال لها: «**كيف بإحداكن إذا نبحتها كلاب حوأب؟**» / ٢٦٢/ (٤).

وأخرج البزارُ بسند رجاله ثقات، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال لنسائه: «**أيتكن صاحبة الجمل الأدبب؟**» أي بهمزة مفتوحة ومهملة، وبموحدتين الأولى مفتوحة «**فتخرج حتى تنبحها كلاب الحوأب، يُقتل عن يمينها وعن شِمالها قتلى كثيرة، وتنجو بعد ما كادت**»(٥).

---

(١) ذكرها ابن شبة في «تاريخ المدينة» بروايات عدة عبد الله بن سلام (٤/ ٨٣-٨٥).

(٢) ص١١ .

(٣) رواه الحاكم ٣/ ٣٦٦ بنحوه.

(٤) أحمد (٦/ ٥٢)رواه الحاكم ٣/ ١٢٠. أبو يعلى في مسنده (٨/ ٢٨٢).

(٥) بلفظه تقريبًا في معتصر المختصر ٢/ ٣٦٢ وفي الفتن لنعيم بن حماد ١/ ٨٣ (١٨٨). ابن أبي شيبة (٧/ ٥٣٨) وذكره في مجمع الزوائد (٧/ ٤٧٤) وقال رواه البزار ورجاله ثقات.

وأخرج الإمام أحمد والطبراني، عن أبي رافع أن النبي ﷺ قال لِعليّ: «**سيكون بينك وبين عائشة أمرٌ**»، قال: فأنا أشقاهما يا رسول الله قال: «**لا، ولٰكن إذا كان ذٰلك فارددها إلى مأمنها**»[1].

وأخرج أبو نعيم عن طاوس (بسند[2] صحيح) أن رسول الله ﷺ قال: لنسائه: «**أيتكن تنبحها كلابُ حوأب؟**» فضحكت عائشة رضي الله عنها متعجبة، فقال: «**انظري، لا تكوني أنتِ يا حميراء**» والحوأب: بفتح المهملة وسكون الواو وبعدها همزة ثم موحدة هو ماءٌ لبني عامر، كما تعرفه.

ومُلخص وقعة الجمل على ما ذكره الحافظ ابن حجر، ملتزمًا صحّة ذٰلك أو تحسينَه هو أنه لما كان الغد من قتل عثمان رضي الله عنه، خرج عليّ رضي الله عنه، ومعه سفيان الثقفي فدخل المسجد، فإذا جماعَة على طلحة، فخرج أبو جهم بن حذيفة، فقال: يا علي، ألا ترى؟ فلم يتكلم ودخل بيته فأتى بثريد فأكل، ثم قال: يُقتل ابن عمي، ويُغلب على ملكه فخرج فأتاه الناس وهو في سوق المدينة فقالوا له: ٱبسط يدك فقال: حتى يتشاور الناس، فقال بعضهم: لئن رَجع الناس إلى أمصارهم بقتل عثمان، ولم يقم بعده قائم لم يُؤمن الٱختلاف وفساد الأُمّة، فأخذ الأكثر بيده، فبايعوه، وذهب إلى بيت المال ففتحه، فلما

---

(١) أحمد (٦/ ٣٩٣) الطبراني (١/ ٣٣٢) وذكره الهيثمي (٧/ ٤٧٤) وقال رواه أحمد والبزار والطبراني ورجاله ثقات.

(٢) في الأصل بخط مغاير: (هٰذا مرسل)، والحديث أخرجه نعيم في الفتن (١/ ٨٤).

تسامع الناس بذلك تركوا طلحة، فلم يعدلوا به طلحة ولا غيره، ثم أرسل إلى طلحة والزُبير فبايعاه، ثم أنهما ندما على خذلان عثمان، فطلبوا منه أن يقتل قتلة عثمان، فلم يجبهما وذلك لأن قاتله كان غير معلوم، أو كان ينتظر أولياء عثمان أن يتحاكموا إليه / ٢٦٣/ [(١)] إن قلنا أن قاتله معلوم أو ترك ذلك لما علم أنه يترتب عليه فتنة واختلاف كلمة المسلمين ثم إن طلحة والزبير استأذنا عليّا في العمرة، فأخذ عليهما عهودًا وأذن لهما فلقيا عائشة رضي اللهُ عنها فاتفقا معها على الطلب بدم عثمان، وكان يعلى بن أمية عامل عثمان على صنعاء، وكان عظيم الشأن عنده وكان متمولاً فقدم حاجًا فأعانهما بأربعمائة ألف دينار، وحمل سبعين رجلاً من قريش، واشترى لعائشة جملاً يقال له عسكر بثمانين دينار[(٢)].

وقال ابن عبد البر[(٣)]: بمائتي دينار. قال القرطبي في «التذكرة»[(٤)] وهو أصح انتهى..

فكان علي رضي اللهُ عنه يقول: أتدرونَ ممن ابتليتُ بأطوعِ النّاسِ في النَّاسِ: عائشة، وأَدْهَى النَّاسِ: طلحة، وأشد النَّاس: الزبير، وأثرى النَّاس: يَعلى بن أمية، فتوجهوا إلى البصرة فنزلوا بعض

---

(١) الصفحة التالية ساقطة من (أ) واستدركناها من (ب) و(ط).

(٢) انظر «الإشاعة» (١٤).

(٣) «الاستيعاب» في ترجمة (يعلى بن أمية) ٤/ ١٥٨٧.

(٤) ص٦٣٦.

مياه بني عامر، فنبحت الكلابُ، فقالت عائشة: أيّ ماءٍ هٰذا؟ قالوا: الحوأب. قالت: ما أظنني إلا راجعة. فقال لها الزبير: بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلُح اللهُ ذاتَ بينهم.

فقدموا البصرة فتعجب الناس وسألوهم عن مسيرهم، فذكروا أنهم خرجوا غضبا لعثمان، وتوبةً لما صنعوا من خذلانه وقبضوا على عامل علي عليها - ابن الأحنف - فأقبل عليّ لما سمع بخروجهم من المدينة ومعه تسعمائة راكبًا، فنزل «بذي قار»[1] فبلغه أن أهل البصرة ٱجتمعوا لطلحة والزبير فشق ذٰلك على أصحابه، فقال: والذي لا إلٰه غيره لتظهرنَّ على أهل البصرة ولنقتلن طلحة والزبير وبعث ابنه الحسن رضي اللهُ عنه وعمارًا رضي اللهُ عنه إلى [أهل][2] الكوفة يستنفرهم، فدخلا المسجد وصعدا المنبر، فكان الحسن في أعلى المنبر وقام عمار أسفل منه، فتكلم عمار وقال: إن أمير المؤمنين بعثنا إليكم نستنفركم، فإن أُمنا - يعني: عائشة رضي اللهُ عنها - قد سارت إلى البصرة والله إني أقول لكم هٰذا ووالله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولٰكن الله ٱبتلانا ليعلم إياه نطيع أو إياها وقال الحسن عليه السلام: إن أميرَ المؤمنين يقول: إني أذكِّر الله رجلا رعى لله حقًا إلاّ نفر، فإن كنتُ

---

(١) ماء لبكر بن وائل - قريب من الكوفة بينها وبين واسط «معجم البلدان» ٤/ ٢٩٣.

(٢) ليست في (ب).

مظلومًا أعانني، وإن كنتُ ظالمًا أخذ منّي، والله إن طلحة والزّبير لأول من بايعاني، ثم نكثا ولم أستأثر بمال ولا بدلت حكما. فخرج إليه أثنا عشر ألف رجل، ولما قدم عليٌّ رضي الله عنه، قام إليه قيسُ بنُ سعد بن عُبادة، رضي الله عنهما، وابن الكواء فقالا: أخبرنا عن مسيرك، أوَصيّة أوصاك به رسول الله ﷺ، أم رأيٌ رأيتَه؟ فقال: أما والله لئن كنتُ أوّل من صدّق رسول الله ﷺ، فلا أكون أوّل من كذَب عليه، والله (لأن)[1] يكون عهدٌ من رسول الله ﷺ إليّ فلا، ولٰكن ما مات رسول الله ﷺ فجأة ولا قُتل قتلا، ولٰكن مَكَث في مرضه أيّامًا وليالي، وكلّ ذٰلك يأتيه المؤذن فيؤذن بالصلاة، فيقول: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**». ولقد تركني وهو يرى مكاني، وما كنت غائبًا ولو عهد لي شيئًا لقمت به، حتى أنّ أمرأة من نسائه ﷺ - أي وهي عائشة رضي الله عنها - عارضت في ذٰلك فقالت: إنّ أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لم يسمع الناس، فلَو أمرتَ عُمر فليصل بالناس، فقال: «**إنكن صواحبَ يوسف**». فلما قبض رسول الله ﷺ، نظرنا فإذا رسول الله ﷺ قد ولاّه أمر ديننا، فولّيناه أمر دنيانا، فبايعته في المسلمين وَوفَّيتُ ببيعته، ثم بايعتُ عمر رضي الله عنه ووفيت ببيعته، ثم بايعت عثمان ووفيت ببيعته، فعدا الناس عليه فقتلوه، وأنا معتزل عنهم، ثم

---

(١) في الأصل: لئن.

ولَّوني، ولولا الخشية على الدين ما أجبتهم، ثم وثب فيها من ليس سابقته كسابقتي، ولا قرابته كقرابتي، ولا علمه كعلمي - يعني: معاوية - قالوا: صَدَقتَ، فأخبرنا عن قتالك، لهذين صَاحَباكَ في بَدرٍ وحُدَيْبِيَة وأُحُد وأخويك في الدِّين والسّابقة / ٢٦٥/ والهجرة - يعني طلحة والزبير - فقال: إنهما بايعاني بالمدينة وخلعاني بالبصرة، ولو أنّ رُجلاً بايَع أبا بكر خلعه لقاتلناه، ولو أنّ رجلاً ممن بايع عمر خلعه لقاتلناه، والله أعلم.

ثم إنّ عليّا رضي الله عنه دعاهم ثلاثة أيام بعد أن اْصطف الفريقان، حتى إذا كان اليوم الثالث دخل عليه الحسن والحسين، وعبد الله بن جعفر رضوان الله عليهم، فقالوا: قد أكثروا فينا الجراح، وذٰلك أنّ قتلة عثمان كانوا متفرقين في العسكرين، فخشوا أن يصطلحوا على قتلهم، فأنشبوا الحرب فتسابّ صِبيان العسكرين، ثم ترامَوا ثم تبعهم العبيد، ثم السفهاء فصلى عليّ ركعتين ودعا ربه، ثم قال: إن ظهرتم على القوم فلا تطلبوا مدبرا، ولا تجهزوا على جريح، وانظروا ما حضرت به الحرب من آنية فاقبضوه، وما كان سوى ذٰلك فهو لورثتهم.

ونادى عليّ الزبير رضي الله عنه فقال: تعالَ ولك الأمان، فخلا به وقال: أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول وأنت تلاوي يدي: «**لتقاتلنه وأنتَ له ظالم ثم ليُنصرنّ عليك**»؟ قال: لقد ذكرتني

شيئًا أنسانيه الدهر، لا جرم لا أقاتلك[1]. فقال له ابنه: ما جئت للقتال، إنما جئت للصلح فأعتق غلامك، وقف، فأعتق غلامه، ووقف فلما رأى الحرب نشبت وأيس من الصلح، خرج عن العسكرين، فغلب أصحاب أمير المؤمنين عليّ كرّم الله وجهه، وبلغت القتلى ثلاثة عشر ألفا وقتل طلحة رضي الله عنه، ثم جمع الناس وبايعهم، وانتهى عبد الله بن يزيد بن ورقاء الخزاعي إلى عائشة وهي في الهودج، فقال: يا أمّ المؤمنين، أتعلمين أني أتيتُك عندما قُتل عثمان؟ فقلتُ: ما تأمرين؟ فقلتِ الزم: عليّا. فسكتت، فقال: ٱعقروا الجمل، فعقروه فنزل محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما، ورجل آخر فاحتملا هودجها، فوضعوه بين يدي عليّ كرّم الله وجهه، فأمر بها فأدخلت بيتا، ولم يعنفها ولم يوبخها وأكرمها، وردّها إلى المدينة.

وقال في «التذكرة»[2]: روى أبو جعفر /٢٦٦/ الطبري قال: لما خرجَت عائشة رضي الله عنها من البصرة طالبة المدينة بعد ٱنقضاء الحرب، جهزها عليّ كرّم الله وجهه جهازًا حسنًا وأخرج معها من أراده للخروج، واختار لها أربعين ٱمرأة معروفات من نساء البصرة، وجهز معها أخاها محمدا وكان خروجها من البصرة يوم السبت غرة

---

(١) رواه العقيلي في «الضعفاء» ٣/ ٦٥، والحاكم في «المستدرك» ٣/ ٣٦٦.

(٢) «التذكرة» ١/ ٢١٨.

رجب سنة ست وثلاثين، وشيعها عليّ على أميال، وأمشى بنيه معها يومًا. انتهى.

وذكر الحلبي أنّ عليّا لبّس النّساء في زيّ الرجال، قال لأهل البصرة: إنها امرأة نبيكم في الدنيا والآخرة رضي الله عنها. انتهى، وقال في «الإشاعة»[1]: ولمّا ولّى الزّبير - يعني حين القتال - تبعه عمرو بن جرموز فقتله، وجاء بسيفه إلى عليّ فأخذه فنظر إليه وقال: أما والله لرُبّ كربة قد فرجها صاحب هٰذا السيف عن وجه رسول الله ﷺ. وذكر في «التذكرة» عن الزبير رضي الله عنه أنه لما قال له عليّ ما قال، قال: اللهم إني ما ذكرت هٰذه إلا الساعة، وثنى عنان فرسه لينصرف، فقال له ابنه عبد الله رضي الله عنه: إلى أين؟ قال: أذكرني عليٌّ كلاما قاله رسول الله ﷺ، قال: كلا ولكنك رأيتَ سيوفَ بني هاشم حدادًا، يحملها رجال شدادٌ قال له: ويحك تعيرني بالجبن، هلم الرمح، فأخذ الرمح وحمل في أصحاب عليّ، فقال عليٌّ: أفرجوا للشيخ فإنه محرج فشق الميمنة والميسرة وانقلب ثم رجع وقال لابنه: لا أمّ لك، أيفعل هٰذا جبان؟ وانصرف وقامت الحرب على ساق وبلغت النفوس التراق، واشرأب البلاء وهُدرت الدماء حتى مَلأت القتلى ذٰلك الفلا ثم فرجت عن ثلاث وثلاثين ألف قتيل، وقيل سبعة عشر ألفًا، فيهم من الأزد أربعة آلاف، ومن ضبة ألف ومائة، وباقيهم من سائر الناس كلهم من أصحاب عائشة رضي الله عنها، وقتل فيها من أصحاب عليّ نحوًا من ألف رجل، وقيل أقل، وقَطع /٢٦٧/ عَلَى

(١) ص١٦ .

خطام الجمل سبعون يدًا من بني ضبّة، كلما قطعت يد رجل أخذ الزمام آخر وهو ينشد:

نحن بنو ضبّة أصحاب الجمل ننازل الموت إذا الموت نزل

والموت أشهى عندنا من العسل

وكانت الراية على الجمل وكانوا قد لبّسوه الأدراع، وكان قتالهم من ارتفاع النهار يوم الخميس إلى قريب العصر، لعشر ليال خلت من جمادى الثاني سنة ست وثلاثين[1].

قال في الإشاعة[2]: واستأذن على عليٍّ كرَّم الله وجهه ابن جرموز، فأبطأ عليه الإذن فقال: أنا قاتلُ الزبير. فقال عليّ: أبقتل ابن صفيّة تفتخر؟ فلتتبوّأ بالنار، إنه حواريّ رسول الله ﷺ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**قاتل ابن صفية في النار**»[3].

قال: وجاء عمر بن طلحة رضي الله عنهما عليّا كرّم الله وجهه، فقال: مرحبًا بابن أخي إني لم أقْبِضْ مالكم لآخذه، ولٰكن خفتُ عليه من السفهاء، فخذ مالك، إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ

---

(١) «التذكرة» ص٦٢٠-٦٢١ . وكل ما سبق ينظر «الإشاعة» (١٤-١٥).

(٢) ص١٦.

(٣) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» ٢/ ٦١٠، والخلال ٢/ ٤٢٦، وأبو نعيم ٤/ ١٨٦، والبيهقي في «الاعتقاد» ١/ ٣٧٣، وأخرجه الحاكم ١/ ٣٦٧ وصححه.

مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ [الحجر: ٤٧] ثم أمّر ابن عباس رضي الله عنهما على البصرة وانصرف إلى الكوفة.

وعن عروة بن الزبير قال: قلتُ لعائشة: من كان أحبّ الناس إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: عليّ بن أبي طالب يعني بعد الصديق لما في الصحيحين أنه أحب الرجال إلى رسول الله ﷺ، قال عروة: فقلتُ: ما سبب خروجكِ عليه؟ قالت: لم تزوّجَ أبوك أمّك؟ قلتُ: ذٰلك من قدر الله. قالت: وكان ذٰلك من قدر الله[1]، والله أعلم.

ومنها وقعة صفين: وما أدراك ما وقعة صفين، قد صح عن سيّد المرسلين: «**لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة، دعواهما واحدة**»[2].

وعن عطاء بن السائب قال: حدثني غير واحد أن قاضيًا من قُضاة الشام أتى عمر رضي الله عنه /٢٦٨/ فقال: يا أمير المؤمنين رأيتُ كأن القمر والشمس يقتتلان، والنجوم معهما نصفين، قال: فمع أيهما كنت؟ قال: مع القمر على الشمس، فقال عمر وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل، وجعلنا آية النهار مبصرة أنطلق فوالله لا تعمل لي عَملاً أبدا. قال عطاء: فبلغني إنه قُتل مع معاوية يوم صفين[3].

ومُلخَّص الوقعة: أنه لما قُتل عثمان رضي الله عنه وبويع علي، أرسل إلى معاوية أن يَدخل فيما دخل فيه (المسلمون)[4] وينعزل عن

---

(١) ينظر هٰذا وما قبله وما بعده «الإشاعة».

(٢) رواه مسلم (١٥٧)، والبخاري (٣٤١٣)، (٦٧٠٧).

(٣) ذكره في بهجة المجالس في القسم الثاني (٣/ ١٤٥).

(٤) في الأصل المسلمين وما أثبت من المحقق.

العمل، وكان عاملاً لعمر ثم لعثمان على الشام، وكان يرجو أن يُبقيه عليٌّ على عمله وقد كان الحسن بن عليّ، وابن عباس رضي الله عنهما وغيرهما أشاروا عليه بإبقائه على الشام حتى يأخذ له البيعة، ثم يفعل فيه ما شاء، فقال عليٌّ: هيهات، لو علمت أن المداهنة تنفعني في دين الله لفعلت، ولكن الله لم يرضَ لأهل القرآن بالمداهنة، فبلغ معاوية فحلف أنه لا يلي لعليّ عملا أبدا وكان عمرو بن العاص على مصر، فعزله أيضًا فاجتمع عمرو ومعاوية واتفقا على الخروج.

وقد أخرج الطبراني عن شداد بن أوس مرفوعًا: «**إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص ففرقوا بينهما**»(١)، وكان شدّادُ إذا رآهما جالسَيْن على فراش جلس بينهما، ولما فرغ عليّ من وقعة الجمل ورجع إلى الكوفة أرسل جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية يدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس، فامتنع، فقال له أبو مسلم الخولاني: أنت تنازع عليا في الخلافة، وأنت مثله قال: لا وإني لا أعلم أنه أفضل، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قُتِل مظلومًا، وأنا ابن عمه ووليه أطلب بدمه فأتوا عليًا فقولوا له: يدفع لنا قتلة عثمان .

فأجاب معاوية أهل الشام، فأرسل إليه معاوية أبا مسلم يطلبُ بدم عثمان، وإنه وليه وابن عمه قال: يدخل في البيعة، كما فعل

---

(١) الطبراني في الكبير (٧١٦١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٤٨ وعزاه للطبراني وقال: فيه عبد الرحمن بن يعلى بن شداد ولم أعرفه.

الناس، ثم يحاكمهم إليّ، فتجهز معاوية من الشام وعليّ من الكوفة فالتقيا بصفين فتقاتلوا قتالاً شديدًا حتى بلغت القتلى ثلاثين ألفًا.

قال في «التذكرة»[1]: وكان مقام عليّ ومعاوية بصفين سبعة أشهر، وقيل: تسعة أشهر، وقيل ثلاثة أشهر وقتل في ثلاثة أيام من أيام البيض - وهي ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر - ثلاثة وسبعون ألفًا من الفريقين.

ذكره الثقة العدل أبو إسحاق: وفي تلك الليالي ليلة الهَرير جعل يهر بعضهم إلى بعض، والهرير: الصوت يشبه النباح لأنهم ترامَوا بالنبل، حتى فنيت وتطاعنوا بالرماح، حتى اندقت، وتضاربوا بالسيوف حتى انقضبت، ثم نزل القوم يمشي بعضُهم إلى بعض، قد كسروا جفون سيوفهم واضطربوا بما بقي من السيوف وعمد الحديد فلا يُسمع إلا غمغمة القوم والحديد في الهام، فلما صارت السيوف كالمناجل، تراموا بالحجارة ثم جثوا على الركب، فتحاثوا بالتراب، ثم تكَادَمُوا بالأفواه، وكسفت الشمس، وثار القتام، وارتفع الغبار، وضلَّت الألوية والرايات، ومرت مواقيت أربع صلوات لأن القتال كان بعد صلاتهم الصبح، واقتتلوا إلى نصف الليل، وذلك في شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين، قاله الإمام في تاريخه، وكان أهل الشام

---

(١) «التذكرة» ٢/ ٢٢٠.

يوم صفين خمسة وثلاثين ومائة وألف، وكان أهل العراق عشرين أو ثلاثين ومائة ألف، ذكره الزبير بن بكار بسنده عن محمد بن عَمرو بن العاص، وكان ممن شهد صفين وأنكى فيه وهو يقول:

فلو شهدتَ جمل مقامي ومشهدي ... بصفين يومًا شاب منها الذوائب

غداة أتى أهل العراق كأنهم ... من البحر لجٌ موجه متراكب

وجيناهم نمشي كأن صفوفنا ... شهاب حريق رفعته الجنائب

فقالوا لنا: إنا نرى أن تبايعوا ... عليًا، فقلنا: بل نرى أن نضارب

فطارت إلينا بالرماح كماتهم ... وطرنا إليهم بالأكُف القواضب

إذا نحن قلنا: ٱستهزموا عرضتْ لنا ... كتائب منهم وارتجحت كتائبُ/ ٢٧٠/

فلا هُم يولون الظهور فيُدبروا ... فرارًا كفعل الخادرات الدرائب[1]

قال ابن شهاب: فأنشدت عائشة رضي الله عنها هٰذه الأبيات فقالت: ما سمعت شاعرًا أصدق شعرًا منه، قال ابن دحية أبو الخطاب: قوله: بل نرى أنْ نضارب. أن: هنا مخففة من الثقيلة، محذوفة الأسم تقديره أننا نُضارب، وقوله كفعل الخادرات أي الأسود: يُقال أسد خادر كأن الأجمة له خِدر، فمعناه أنهم لا يُدبرون كالأسود التي لا تُدبر عن فرائسها، لأنها قد ضُريت بها ودربت عليها، والدربة الضَراوة، يقال: درب يَدْربُ ورفع الدرائب لأنها بدل من الضمير في يُدبروا هم قال ابن دِحية: والإجماع مُنعقد أن

---

(١) في (ب): (الذوائب) بدلاً من (الدرائب) ثم جاءت على الصواب بعدها بأسطر.

طائفة الإمام عليّ كرم الله وجهه، طائفة عدل والأخرى طائفة بغي، هٰذا كلامه وقد قال النبي ﷺ، لعمار بن ياسر رضي الله عنه، حين جعل يحفر الخندق، جعل يمسح رأسه ويقول: «**تقتلك فئة باغية، لا أنالهم الله شفاعتي يومَ القيامة**» رواه مسلم في صحيحه.

قال ابن عبد البر: تواترت الأخبار عن النبي ﷺ، أنه قال: «**تقتل عَمّارَ الفئةُ الباغية، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة**»[١].

---

(١) حديث: تقتلك الفئة الباغية صحيح دون الدعاء: (لا أنالهم الله ..إلخ)
عن أبي سعيد الخدري: أحمد ٣/ ٥، ٣/ ٢٨، ٣/ ٢٢، ٣/ ٩١ و٥/ ٣٠٦.
وحديث أبي اليسر عند الطبراني في الكبير ١٩/ (٣٨٢) و(٣٨٣)
وعن عبد الله بن عمرو:
أحمد ٢/ ١٦١ (٦٤٩٩) و٢/ ٢٠٦ (٦٩٢٧)، ٢/ ١٦١(٦٥٠٠) و٢/ ٢٠٦(٦٩٢٩) وابن سعد في الطبقات ٣/ ٢٥٣ والنسائي في خصائص علي (١٦٨)، والطبراني في الكبير ١٩/ (٧٥٩)، وأورده الهيثمي وقال: ورجال أحمد وأبي يعلى ثقات.
وعن عمرو بن حزم:
أحمد ٤/ ١٩٩، وأبي يعلى (٧١٧٥) و(٧٣٤٦)، والحاكم ٢/ ١٥٥.
وعن حذيفة عند البزار (٢٦٨٩).
وعن عمرو بن العاص:
أحمد ٤/ ١٩٧، ١٩٩.
وأبي أيوب عند الطبراني في الكبير (٤٠٣٠).
وأبي رافع عند الطبراني في الكبير (٩٥٤).
وعن خزيمة بن ثابت: أحمد ٥/ ٢١٤، ٢١٥.
وعن أبي قتادة عند مسلم (٢٩١٥). =

قال في «التذكرة»[1]: وهو من أصح الأحاديث، وقال الإمام أبو المعالي في «الإرشاد»[2]: فصل: عليّ رضي الله عنه كان إمامًا حقًّا في توليته، ومقاتلوهُ بغاة، وحسن الظنّ بهم يَقتضي أن يُظنَّ بهم قصدُ الخير، وإن أخطئوه، وحسبُك بقول سيد المرسلين لعمّار: «**تقتلك الفئة الباغية، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة**» وهو من أثبت الأحاديث[3]، ولمّا لم يقدر معاويةُ على إنكاره لثبوته قال: إنما قتله من أخرَجه، ولو كان حديثًا فيه شك، لرده وأنكره وكذَّب ناقله وزوره،

= وعن أم سلمة:
أحمد ٦/ ٢٨٩، ٣٠٠، ٣١١، ٣١٥.
وابن مسعود عند الخطيب ٨/ ٢٧٥.
وعن أبي هريرة:
الترمذي (٣٨٠٠)، وأبي يعلى (٦٥٢٤).
وعن معاوية:
الحميدي (٦٠٦)، وعبد الرزاق (١٨٤٥)، وأبو يعلى (٧٣٦٤)، والطبراني في الكبير ١٩/ (٧٥٨) و(٧٥٩) و(٩٣٢).

(١) «التذكرة» ٢/ ٢٢٠-٢٢٢. (٢) ص (٤٣٣).

(٣) الحديث ثابت بدون الدعاء كما تقدم.
وينبغي التنبيه على أن هٰذه الفتنة قد ورد في تفاصيلها ما لا يعرف صحته من ضعفه، فيجب الحيطة في الأخذ بها، ولا يصح الطعن في أحد من الصحابة إذ لم يقاتل منهم أحد إلا عن اجتهاد، وقد كان في هٰذه الواقعة كثير من الدسائس والفتن التي لو علمها أطراف الفتنة لأنكروها ولتغيرت الأمور، ولٰكن كتاب الله سبق.

ولم يحتج إلى هٰذه الحجة الداحضة التي لا يعتمد عليها، ومن ثَمَّ ألزمَه عليّ رضي اللهُ عنه بقوله: فرسول الله ﷺ إذن قتل حمزةَ حين أخرجه لقتال المشركين. والله أعلم.

ولما رأى أصحابُ / ٢٧١/ معاوية من أصحاب عليّ العجز - أي عَجزُ أصحاب معاوية عن أصحاب عليّ - قال عَمرو لمعاوية: أرسلوا إلى عليّ بالمصحف، فادعوه إلى كتاب الله تعالى، فإنّ عليّا يجيبك إلى ذٰلك، ففعلوا فقال عليّ: نعم، نحنُ أحقُ بالإجابة إلى كتاب الله تعالى، فقال القُراء الذين صاروا بعد ذٰلك خوارج: يا أمير المؤمنين ما تنتظر إلى هٰؤلاء ألا نمشي عليهم بسيوفنا، حتى يحكم الله بيننا، فقال سهل بن حنيف: يا أيها الناس، اتهموا رأيكم، فآلى الأمر إلى التحكيم، فحكم عليٌّ أبا موسى بعد أن أراد أن يُحكم ابن عباس، فمنعه أهل الكُوفة، وحكَّم معاوية عَمرو بْنَ العاص، فاتفق الحكمان على أن يخلع كلٌّ منهما صاحبه، وكان عَمرو داهية، فقدَّم أبو موسى، فخلع عليًّا ثم قام عمرو فقال: إنَّ أبا موسى خلع عليّا، وإني نصَّبتُ معاوية، فاختلف الناسُ وأخذ أبو موسى يسبُ عَمرًا ويقول: إنك غدرت، فرجع عليٌّ إلى الكُوفة ومعاوية إلى الشام، ثم تجهز عليٌّ لقتال أهل الشام مرة بعد أخرى، فشغله أمر الخوارج، ثم تجهز في سنة تسع وثلاثين، فلم يتهيأ ذٰلك لافتراق أهل العراق عليه، ثم وقع الجد منه في ذٰلك في سنة أربعين، وجعل على مقدمته قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما، وكانوا أربعين ألفًا بايعوه على الموت، ثم قُتل سيدُنا

عليّ كرم الله وجهه، وصار الأمر إلى ما قَدَّر الله سبحانه وتعالى[١].

واعلم أن عليًا رضي الله عنه لم تُزينه الخلافة، بل هو زانَها، كما قال الإمامُ أحمد رضي الله عنه، وكان الناس محتاجين إلى علم عليّ رضي الله عنه، حتى قال عُمر رضي الله عنه: آه من معضلة ليس لها أبو حسن.

وروى الإمام ابن الجوزي في «تبصرته»[٢] عن أبي صالح قال: قال معاوية بن أبي سفيان لضرار بن ضمرة: صف لي عليّا فقال: أو تُعفيني يا أمير المؤمنين؟ فقال: بل تصفه لي، قال: أو تُعفيني قال: لا أُعفيك قال: أمّا إذ لابُد، فإنه كان والله بعيدَ المدى، شديدَ القُوى. يقول فَصْلاً / ٢٧٢/ ويحكمُ عَدْلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحشُ من الدُنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلب كفه، ويخاطب نفسه، يُعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب، كان والله كأحدِنا يُجيبنا إذا سألناه، ويبتدئنا إذا آتيناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحنُ والله مع تقريبه لنا وقُربه منا، لا نُكلمه هَيْبةً ولا نَبتديه لعظمته، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يُعظم أهل الدين، ويُحب المساكين، ولا يَطمع القويّ في باطله، ولا ييأس الضعيفُ من عدله، فأشهد بالله لرأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سجوفه، وغارت نجومه، وقد مَثُل في محرابه قابضًا على لحيته، يتململُ تململَ السليم: أي الذي

---

(١) إلىٰ هنا ينتهي النقل من «الإشاعة» ص١٦-١٨ .

(٢) انظر «الاستيعاب» (٣/ ٤٣) و«أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين» للكلبي (١٥١) التبصرة (٣٦٠).

قد لدغته حَيّة ويبكي بكاء الحزين، فكأني أسمعُه وهو يقول: يا دُنيا يا دُنيا أليّ تعرّضتِ، أم لي تشوّقتِ، هيهات هيهات، غِرِّي غيري، قَدْ بِتُّكِ ثلاثا لاَ رجعةَ لي فيكِ، فَعُمْرُكِ قصير، وعيْشُكِ حقير، وخطرك كبير، آه من قلّة الزّادِ وبُعدِ السفر، ووحشةِ الطَّريق.

قال: فذرفت دموعُ معاوية، فما يملكها وهو ينشفها بكمه، وقد اختنق القوم بالبكاء، ثم قال مُعاوية: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حُزنك عليه يا ضِرار؟ قال: حزنُ من ذُبح ولدُها في حجرِها، فلا ترقى عبرتها، ولا تسكن حسرتها، ولله درّ القائل:

أهوى عليّا وإيماني محبّتُه   كم مشركٍ دمُه من سيفه وكفا
إن كنتَ ويحك لم تسمع مناقبَه   فاسمع مناقبه مِنْ هل أتى وكفا

قال البرزنجي في «الإشاعة»[1]، عن يزيد بن الأصم قال: سئل عليّ كرم الله وجهه عن قتلى يوم صفين، قال: قتلانا وقتلاهم في الجنة، ويصيرُ الأمرُ إليّ وإلى مُعاوية. وتقدم[2] ما رأى عمرُ بن عبد العزيز من أنّ عليّا ومعاوية أدخلا بيتا، وأجيف عليهما، ثم خرج عليّ وهو يقول: قُضي لي عليه ورَبِّ الكعبة، فلم يلبث أن خرج /٢٧٣/ معاوية وهو يقول: غُفر لي ورَبِّ الكعبة، وقال عليّ رضي الله عنه: إن الله جعل قتلنا إياهم - يعني أصحابَ معاوية - كفارة لذنوبهم، وقال: من كانَ يُريدُ وجه الله منا ومنهم نجا، قال في «الإشاعة»[3] ذكر ابن عساكر أن رجلاً جاء إلى أبي زرعة الرازي، فقال: إني أبغض معاوية قال: لِمَ؟ قال: لأنه قاتَلَ عليّا بغير حق.

---

(١)، (٢) «الإشاعة» ص (١٨).   (٣) ص٣١٩.

قال أبو زرعة: ربُّ معاوية ربّ رحيم، وخصمه خصم كريم، فما دخولك بينهما؟

واعلم أن الواجب على كلّ مسلم ٱعتقاده حسن الظن بالصحابة رضي الله عنهم، والكفُّ عما وقع بينهم، فالخائض في ذٰلك خائب، والمتعرض لشتمة أحد منهم كاذب، فهم رضي الله عنهم معذورون باجتهادهم، لُمصيبهم أجران، ولمخطئهم أجرٌ واحد، وما أحسن قول القائل:

ونَسكت عن حرب الصحابة فالذي جرى بينهم كان ٱجتهادا مُجردا
فقد جاء في الأخبار أن قتيلَهم وقاتلهم في جنة الخلد خُلّدا

ومنها وقعة نهروان[1]: أخرج ابن جرير عن مخنف بن سليم قال: أتينا أبا أيّوب، فقلنا: يا أبا أيوب، قاتلت المشركين بسيفك مع رسول الله ﷺ، ثم جئتَ تقاتل المسلمين؟ فقال: إن رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاثة: الناكثين والقاسطين والمارقين، فقد قاتلتُ الناكثين والقاسطين، وأنا مقاتل إن شاء الله المارقين، وفي رواية أبي صادق عنه، «عهد إلينا رسول الله ﷺ أن نقاتل مع عليّ الناكثين، فقد قاتلناهم»[2]. يعني في وقعة الجمل، وذٰلك لأن طلحة والزبير رضي الله عنهما نكثا البيعة، «وعهد إلينا أن نقاتل معه ـ أي مع علي ـ القاسطين»، يعني الظالمين وأراد بهم أصحاب معاوية؛ لأنهم ظلموا

---

(١) انظر «الإشاعة» (١٩).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٤/ ١٧٢(٤٠٤٩)، وابن عدي في الكامل ٢/ ١٨٧ (ترجمة الحارث بن حصيرة). وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٢٣٥ وقال: فيه محمد بن كثير الكوفي وهو ضعيف.

عليّا ونازعوه أمرًا هو أحق النّاس به عند كل منصف، والقاسط هو العادل أي العادلين عن الحق إلى الباطل، «وعهد إلينا أن نقاتل معه المارقين»، وأراد بهم الخوارج، فإنهم مرقوا من الدين.

وعن أبي سعيد مرفوعًا: «**أنّه يُخرجُ من ضئضيء هٰذا قومٌ يتلون كتاب الله رطبا، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرقُ السّهم من الرّمية، يقتلون أهل الإسلام ويَدَعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد ثمود**»[1]، وأحاديث الخوارج كثيرة جدًا.

ومُلخّص وقعتهم: أنه لمّا حَكّم عليّ ومعاوية الحكمين قالت القراء: كفر عليّ وكفر معاوية، فاعتزلوا أمير المؤمنين عليّا رضي الله عنه، ونزلوا بحروراء، وهُم بضعة عشر ألفا، فأرسل إليهم عليٌّ ابن عبَاس، فناشدهم الله: أرجعوا إلى خليفتكم، فبم نقمتم عليه؟ أفي قسمة أو قضاء؟ قالوا: نخاف أن ندخل في الفتنة قال: لا تُعجلوا ضلالة العام مخافة فتنة عام قابل، فرجع بعضُهم إلى الطاعة.

وقال آخرون: نكون على ناحيتنا فإن قبل القضية - يعني: التحكيم - قاتلناه على ما قاتلنا عليه أهل الشام بصفين، وإن نقضها قاتلنا معه، فساروا حتى قطعوا النهر، وافترقت منهم فرقة يقتلون الناس، فقال أصحابهم: ما على هٰذا فارقنا عليّا، فلما بلغ عليّا صُنعُهم، وكان متجهزًا إلى الشام قام فقال: أتسيرون إلى عدوّكم؟ أو ترجعون إلى هٰؤلاء الذين خلفوكم في ديارهم؟ قالوا: بل نرجعُ إليهم فقال: أبسُطوا عليهم، فوالله لا يُقتل منكم عشرة، ولا يضر منهم

---

(١) البخاري (٧٤٣٢) مسلم (١٠٦٤).

عشرة، فكان كذلك فقال: اطلبوا رجلاً صفته كذا وكذا، أي: وذكر من نعته أنَّ له ثدي كثدي المرأة فطلبوه، فوجدوه على النعت الذي ذكره رسول الله ﷺ، فقال رجل: الحمد لله الذي أبادهم وأراحنا منهم، فقال عليّ رضي الله عنه: كلا، والذي نفسي بيده إن منهم لمن في أصلاب الرجال، لم تحمله النساء بعد، وليكونن آخرهم لِصاصًا جرادين.

وفي «الإشاعة»[1] عن ابن عمرو مرفوعًا: «**يخرج ناس من المشرق يقرءون القرآن، لا يجاوز تراقيهم، كلما قُطع قرن نشأ قرن، حتى يكون آخرهم يخرج مع المسيح الدجال**»[2].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما، منْ قتلَهُ / ٢٧٥/ الحرورية فهو شهيد، وعن الحسن قال: لمّا قَتل عليّ الحرورية قالوا: من هٰؤلاء يا أمير المؤمنين؟ أكفّار هم؟ قال: من الكفر فرُّوا، قيل: فمنافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكُرون الله إلا قليلا، وهٰؤلاء يذكرون الله كثيرا، قيل: فما هُم؟ قال: قومٌ أصابتهم فتنة فعَمُوا فيها وصموا. قال في الإشاعة: ومن بقايا هٰؤلاء القرامطة، وهم الباطنية والإسماعيلية وفتنتهم مشهورة أهلكوا العبادَ والبلاد والله أعلم.

ومنها[3]: نزولُ أمير المؤمنين الحسن بن عليّ رضي الله عنهما لمعاوية رضي الله عنه عن الخلافة. أخرج أبو نعيم عن سفيان قال:

---

(١) هٰذ وما قبله وبعده (١٩-٢٠).

(٢) رواه أحمد ٢/ ١٩٨، ٢/ ٢٠٩ والطيالسي ١/ ٣٠٢(٢٢٩٣)، ونعيم بن حماد في «الفتن» ٢/ ٥٣٢ (١٥٠٦)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٥٣-٥٤).

(٣) «الإشاعة» ص٢٠ .

أتيت الحسنَ بنَ عليّ بعد رُجوعه إلى المدينة، فقلت له: يا هلاك المؤمنين، فكان ممّا احتج به عليٌّ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تذهب الأيام والليالي حتى يجتمع أمر هٰذه الأمّةِ على رجل واسع السّرم، ضخم البلعوم، يأكل ولا يشبع**»[1]، وهو معاوية فعلمت أن أمر الله واقع، قال في النهاية: السرم: الدبر، والضخم: العظيم، ومعناه الشديد الذي يملك الأرضَ كلها.

قال في «الإشاعة»[2]: وهو على حقيقته فإن معاوية دعا عليه النبي ﷺ، «أن لا يُشبع الله بطنه»[3]، لأنه أرسل يطلبه ليكتب، فقالوا: يأكل، ثم بعث آخر، فقالوا: يأكل. فدعا عليه، فكان يأكل ولا يشبع، كذا زُعم.

وملخص القِصة أنه لما رجع أمير المؤمنين عليّ كرّم الله وجهه من قتال الخوارج، وتجهز للشام كما مر، قُتل رضي الله عنه في سابع عشر من شهر رمضان، وهو خارج لصلاة الصبح، قتله أشقى الآخِرين، عبدُ الرحمن بن مُلجم عليه غضب رب العالمين، كما هدم ركن الدين الأعظم، وقبح الله كل من مدحه، ضربه الخبيث بسيف مسموم على جبهته، فأوصله دماغه وذٰلك ليلة الجمعة، سابع عشر رمضان سنة أربعين فبويع للحسن بالخلافة.

---

(١) الفتن لنعيم بن حماد (٤٢٢) والعقيلي في الضعفاء الكبير (٢/ ١٧٥).

(٢) ينظر هٰذا وما بعده ص ٢٠.

(٣) مسلم (٢٦٠٤).

ولم يظهر أحدٌ في الكوفة خلافه فسار الحسن عليه السلام /٢٧٦/ إلى معاوية بكتائب أمثال الجبال، يريد الشام وخرج إليه معاوية يريد الكوفة، وأرسل عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة إلى الحسن رضي الله عنه، يطلب الصلح، فقال الحسن رضي الله عنه: إني أحقن دماء المسلمين، وأنزل عن الخلافة لمعاوية ولٰكن إنا بنو عبد المطلب، قد أصبنا من هٰذا المال أي جُبلنا على الكرم والتوسعة على أتباعنا، حتَّى صار لنا عادة، فلا نقدر على الغُلة وإن هٰذه الأمة قد عاثت في دمائها أي: العسكرين الشامي والعراقي وقد قُتل بعضهم من بعض فلا يكفون إلا بالصفح وعدم الأنتقام.

قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك، قال: فمن لي بهٰذا؟ قالا: نحن لك به، فكتب إليه معاوية: أن أطلب ما شئت، واشرط فإني أوفى لك بذٰلك، وأرسَل إليه ورقا بياضا، وختم في أسفله، وقال: أكتب ما شئت، فشرط الحسن رضي الله عنه أشياء منها: أن يكون له بيت مال الكوفة، وأن يكون له خراج دار أبجرد[1]، وأن تكون الخلافةُ بعد معاوية له ولأخيه الحسين، وفي رواية للمسلمين، يولّون من شاءوا، وأن لا يتعرض لأهل العراق، ولا ينتقم منهم، فنزل الحسن وبايعه.

فقال معاوية: تكلم يا حسن فقام فحمد الله وأثنى عليه وقال:

---

(١) ذكرها ياقوت في موضعين (دار ابجرد) (درابجرد) ص٢/ ٤١٩، ٤٤٦.

أيها الناس إن الله قد هداكم بأوّلنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإن معاوية نازعني أمرًا أنا أحق به منه، وإني تركته حقنًا لدماء المسلمين، وطلبًا لما عند الله، فشهد جماعة من الصحابة أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول للحسن: «**إن ابني هٰذا سيّد، وسيصلحُ الله به، بين فئتين عظيمتين من المسلمين، يكون بينهما مقتلةٌ عظيمةٌ**»[١]، وسُمّيت تلك السّنة سنة الجماعة لاجتماع الناس، ورَفع القتال من بينهم والله أعلم.

ومنها؛ مُلك بني أمية فهم الذين بدلوا الخلافة ملكًا، وأظهروا في الإسلام /٢٧٧/ مالا ينبغي أن يحكى[٢]، فيا له من مُلك: كان لأهل الدين والصلاح أذّل وأنكى، فبعد معاوية، ما وَلى فيهم صالحٌ سوى الخليفة التّقى عُمر بن عبد العزيز قيل والناقص، نعم معاوية بن يزيد كان عبدًا صالحًا قدس الله روحه، ما كان أتقاه! وأما أبوه فكان ما أشقاه!! وعن عليّ كرم الله وجهه، لكل أمّة آفة، وآفة هٰذه الأمّة بنو أميّة[٣]، وقال أبو ذرّ رضي الله عنه: إذا بلغَتْ بنو أميّة أربعين رجلاً، اتخذوا عباد الله خَولا، ومالَ الله دَخلا، وكتابَ الله دغلا، وفي لفظٍ ومال الله نحلا، وكتابَ الله نقلا[٤] وعن عمر بن مُرة الجهني قال:

(١) رواه البخاري (٢٧٠٤) و(٣٧٤٦) و(٧١٠٩)، والترمذي (٣٧٧٣)، وأحمد ٥/٣٧-٣٨ (٢٠٣٩٢)، والنسائي (٣/١٠٧)، وأبو داود (٤٦٦٢).
(٢) في الأصل: يحكا.
(٣) رواه نعيم بن حماد في الفتن ١/١٢٩.
(٤) رواه الحاكم في المستدرك ٤/٥٢٦ من طريق نعيم بن حماد، وفي الفتن ١/١٣٠.

ٱستأذن الحكم بن أبي العاص على رسول الله ﷺ، فعرف صوته فقال: «**اءذنوا له حية أو لد حية لعنة الله عليه، وعلى كل من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم، وقليلاً مّا هم**»[1] قال في «الإشاعة»[2]: وهٰذا الاْستثناء إشارة إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وأمثاله منهم ٱنتهى. ويروى أنهم يُعظمون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق، ومن جملة ما وقع في زمنهم ما وقع في زمن أشقاهم: يزيد لا زال غضب الباري عليه يزيد، من قتله السبط الشهيد، وريحانة رسول الملك المجيد، الإمام أمير المؤمنين حسن بن عليّ عليهما السلام، وهو بقية الخلفاء الراشدين فإنه وَلي الخلافة ستة أشهر، وهي بقيةُ مدة الخلافة التي أخبر بها المصطفى ﷺ، ثم نزل لمعاوية عنها فصارت مُلكًا كما مر وسبب ذٰلك أن يزيداً زاده الله بُعدًا من رحمته، أرسل إلى زوجة سيدنا الحسن، جعدة الكندية أن تسمَّه ويتزوجها، وأرشاها بمائة ألف درهم ففعلت، فمرض أربعينَ يومًا، وجهد به أخوه الحسين رضي الله عنه، أن يخبره بمن سمّه فأبى وقال الله أشدّ نقمة وأجد كبدي تقطع، وإني لعارف من أين دُهيت، يُشير إلى أنه من قِبَل يزيد، ثم قال لأخيه رضي الله /٢٧٨/ عنهما فبحقي عليك لا تكلمتَ في ذٰلك بشيء وأقسم عليك أن لا تريق في أمري محجمة دم، وقال له إياك وسفهاء الكوفة أن يستخفوك فيخرجوك، والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة، وقد كنتُ طلبت من عائشة أن أدُفن مع رسول الله ﷺ

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٢٨.

(٢) ينظر هٰذا وما قبله وما بعده ص٢٢ .

فأجابت، فإذا مت فاطلب منها، وما أظن القوم يعني بني أميّة إلاّ يمنعونك، فإن فعلوا فلا تُراجعهم، وادفني عند أمي فاطمة عليها السلام بالبقيع، فمات رضي الله عنه بعد أربعين يومًا والأكثرون كما في الإشاعة أنه سنة خمسين، فلمّا مات سأل الحسين رضي الله عنه عائشة رضي الله عنها، فقالت: نعم حبّا وكرامة، فمنعهم عدوُّ الله مروان، وكان إذ ذاك أمير المدينة من قِبَل معاوية، هو ومن معه من بني أميّة، فلبس الحسينُ ومن معه من بني هاشم السلاح وقالوا: نقاتل فقال أبو هريرة رضي الله عنه، والله لا يمنعه إلا ظالم، والله إنه لابن رسول الله ﷺ، ثم قال للحسين: لا تكن أوّل مَن ترك وصيّة أخيك فقد وصّاك بعدم القتال، فما زال به حتى ردّه ودفنوا الحسن بالبقيع، عند أمّه رضي الله عنهما.

وأرسلت جعدة الكندية، عليها غضب رب البرية إلى يزيد تطلبه لما وعدها به فأبى، ولم يتزوّجْها وقال: كيف آمنكِ على نفسي، وقد قتلت ابن بنتِ رسول الله ﷺ، فخسرت الدّنيا والآخرة، ذٰلك هو الخسران المبين.

وممّا وقع في زمن يزيد العنيد، قتله سيدنا الحسين رضي الله عنه، ذكر في «الإشاعة»[1] عن حضرة الرسالة أنه قال ﷺ: **«أمسك يا معاذ وأحص فلمّا بلغت خمسًا: يعني من الخلفاء قال: يزيد لا بارك الله في يزيد، نُعي إلى حُسين وأُتيتُ بتربته، وأخبرتُ بقاتله، والذي نفسي**

(١) ينظر هٰذا وما قبله وما بعده «الإشاعة» ص٢٤ .

بيده لا يقتل بين ظهراني قوم لا يمنعوه، وفي لفظ لا ينصروه، إلا خالف الله / ٢٧٩/ بين صُدورهم وقلوبهم، وسلّط عليهم شرارهم، وألبسهم شِيَعًا»[1] كذا في الإشاعة.

قُلْتُ: وهٰذا حديث موضوع فالعجب منه كيف لم ينبّه عليه؟ فقد أورده ابن الجوزي في «الموضوعات»، بلفظ خرج علينا رسول الله ﷺ مرعوبًا متغير اللون فقال: «نُعيَت إليّ نفسي، وذكر كلامًا طويلاً، ثم قال أمسك يا معاذ وأحصِ، وتنفَّسَ الصعداء ثم قال يزيد: لا بارك الله في يزيد الطعّان اللعّان، أما إنه نُعي إليّ حبيبي حسين، أُتيت بتربته وأريتُ قاتِله، أما إنه لا يُقتلُ بين ظهراني قوم لا ينصروه، إلاّ عمّهم الله بعقابه، أو قال بعذابه»[2].

قال ابن الجوزي: هٰذا حديث موضوع بلا شك، واتُّهم بوضعه الأشناني، فليعلم، وجاء من طرُقٍ صحح الحاكم بعضها أن جبريل، وفي رواية ملك القطر: جاء إلى النبي ﷺ فأخبره أن الحسين مقتول، وأراه من تُربة الأرض التي يُقتل فيها، فأعطاه لأمّ سلمة وأخبرها أن يوم قتله يتحول دماء فكان كذٰلك، وشمّ ﷺ ذٰلك فقال: ريح كرب وبلاء.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير ٣/ ١٢٠ (٢٨٦١) من طريقين، ٢٠/ ٣٨ (٥٦) وأورده الهيثمي في المجمع ٩/ ١٩٠ وقال: رواه الطبراني وفيه مجاشع بن عمرو وهو كذاب.

(٢) موضوعات ابن الجوزي ٢/ ٣٠٠ (٨٦٦). وهو في اللآليء للسيوطي ١/ ٤٥٣، وفي التنزيه ١/ ٤١٥-٤١٦، وفي الفوائد للشوكاني ص٤١٩ فالحديث موضوع.

وملخص القصة أنَّه لما توفي الحسن رضي الله عنه، أخذ معاوية البيعة ليزيد من أهل الشام وجاء حاجا، فأراد أن يأخُذَها لَهُ من أهل الحجاز، من المهاجرين والأنصار، فامتنعوا وقالوا: إن كان لك رغبة فيها فهي لك، وإن سئمتها فردها على المسلمين، فلمّا مات معاوية رضي الله عنه، وبُويع ليزيد بالشام وغيرها أرسل يزيد لعامله بالمدينة أن يأخذ له البيعة على الحسين فهرب الحسين إلى مكة، خوفًا على نفسه، فأرسل إليه أهل الكوفة أن يأتيهم ليبايعوه، فنهاه ابن عباس رضي الله عنهما، وذكر له غدرهم وقتلهم لأبيه، وخذلانهم لأخيه، وأمرَه أن لا يذهب بأهله، فأبى فبكى ابن عباس وقال: واحسيناه، وقال ابن عمر نحو ذٰلك، فأبى فقبّل بين عينيه، وقال: أستودعك الله من قتيل.

قال في «الإشاعة»[1]: وكذلك نهاه ابن الزبير بل لم يبقَ، أحد إلاّ حزن لمسيره كذا قال والمعروفُ عند أهل السير: أن ابن الزُبير رضي الله عنهما، أشار عليه بالخروج، كما في تاريخ «الخُلفاء» للسيوطي وغيره وأما ابن عمر فنهاه أشد النهي، وقال له إن رسول الله ﷺ، خيره الله بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة، وإنك بضعة منه فلا تسألها يعني الدنيا، فأبى فاعتنقه وبكى، وودعه وقال: غَلَبَنا حسينٌ بالخروج، ولعمري: لقد رأى في أبيه وأخيه عِبرة وكلَّمه في ذٰلك أيضًا، جابر بن عبد الله، وأبو سعيد، وأبو واقد الليثي، فلم يُصغ لأحَد، وصمّم على الخروج إلى العراق، فقال له ابن عباس:

(١) ص٢٥ .

والله لأظنك تُقتل بين نسائك وبناتك، كما قُتل عثمان، فلم يقبل منه، فبكى ابن عباس.

قال السيوطي في «تاريخ الخلفاء» وقال ابن عباس له: أقررت عينَ ابن الزبير، ولمّا رأى ابن عباس عبد الله بن الزبير قال له: قد أتى ما أحببت هٰذا الحسين يخرج، ويتركك والحجاز ثم تمثل وقال:

يـا لـك مـن قُـنـبرة بـمـعـمـر   خـلالَـكِ الجـو فـبـيضي واصـفـري

وتنقري إن شئت أن تنقري

قال: وبعث أهل العراق إليه الرسل والكتب، يدعونه إليهم، فخرج من مكة متوجهًا إلى العراق في عشر ذي الحجة، ومعه طائفة من أهل بيته، رجالاً ونساءً وأولادًا، ولما بلغ أخاه محمد بن الحنفية خروجه، بكى حتى ملأ طستا بين يديه، وقدم أمامه مسلم بن عقيل، فبايعه من أهل الكوفة أثنا عشر ألفًا أو أكثر، وأرسل إليه يزيد اللعين ابن زياد المقبوح، وحرضه على قتله، وأخذوا مُسلمَ بن عقيل فقتلوه، وتفرق المبايعون.

وسار الحسين غير عالم بذٰلك، فلقي الفرزدق فسأله فقال قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أميّة، والقضاء ينزل من السماء فلمّا قرب من القادسية، تلقاه من أخبره الخبر وأمره بالرجوع، فهمّ بالرجوع، فقالت إخوة مسلم بن عقيل: والله لا نرجع حتى نأخذ / ٢٨١/ لثأرنا أو نُقتل. فقال: لا خير في الحياة بعدكم، ثم سار فلقيه أوائل خيل ابن زياد، زاده الله مقتا، فعدل الحسين رضي الله عنه إلى كربلاء، فجهز إليه ابن زياد عشرين ألف مقاتل، فلما وصلوا إليه

طلبوا منه النزول على حكم ابن زياد والمبايعة ليزيد، فقال دعوني أذهب إلى يزيد فأبى ابن زياد إلاَّ النزول على حكمه، فقال: والله لا نزلتُ على حكمه أبدا فقاتلوه، وكان أكثر مقاتليه المكاتبين إليه والمبايعين له، قاتلهم الله، فحارب الحسين رضي الله عنه ذلك العدد الكثير، وجملة من معه من أهله نيف وثمانون، فثبت في ذلك الموقف ثباتًا باهرًا ولولا أنهم أحالوا بينه وبين الماء، مع القَدَرِ المحتوم ما قدروا عليه، ولمّا بلغ القتلى من أهله خمسين، نَادَى أما ذَابٌّ يذّبُّ عن حرم رسول الله ﷺ؟ فخرج يزيد بن الحارث رجاء شفاعة جده، فقاتل بين يديه حتى قُتل، ثم فني أصحابه وبقي بمفرده فحمل عليهم حملة عمه حمزة، وصولة والده عليّ رضي الله عنهم، حتى قتل كثيرًا من شجعانهم، فكثروا عليه وحالوا بينه وبين حريمه، فصاح عليه السلام كُفوا سفهاءكم عن النساء والأطفال، فكفّوا، ثم لم يزل يقاتلُهم حتى أثخنوه بالجراح، فإنه طعن إحدى وثلاثين طعنة، وضرب أربعًا وثلاثين ضربة، ومع ذلك غلب عليه العطش، فسقط إلى الأرض فحزّوا رأسه، وذلك نهارُ الجمعة عاشر المحرم عام إحدى وستين، ولما وضع رأسه الشريف بين يدي كافر النفس بن زياد، زاده الله في دركات جهنم هبوطًا أنشد قاطعُ الرأس متبجحًا بذلك، عليه غضب المالك فقال:

أوقر ركابي فضة وذهبا إني قتلت ملكًا محجبا
قتلتُ خيرَ الناسِ أمّا وأبَا وخيرهم إذ يَنسبون نسبا

فأمر بضَرب عُنُقه وقال: إذ علمتَ أنه كذلك: فلم قتلته؟ فخسر الدنيا والآخرة فلعنة الله عليه، ومن تأمل فيما وقع لهذين السيّدين، من عظيم الاتفاق /٢٨٢/ انبهر، فإن جعدة سمّت الحسن، طلبًا

للمال، وطمعًا في تزويج يزيد لها فلم يحصل لها شيء من ذٰلك فخسرت وخابت فلا هي بزوجها ولا هي بمن طمعت فيه، وفاتَها المال وأغضبت رب العباد، وحُرمت شفاعة النّبي الهاد، وقاتِلُ الحسين ظن أن ابن زياد يوقر ركابه فضة وذهبا، فجازاه أن ضرب عنقه ضربا، فخسر الدنيا والآخرة، ذٰلك هو الخسران المبين فنعوذُ بالله من مَكْرِه ونسأله الثبوت على ذكره.

قال في «الإشاعة»[1]: والظاهرُ أنه إنما قتله ابن زياد، لأنه مدح الحسين، لا لأنَّه قتله، ويدُلّ لذٰلك أنه جعل الرأس الشريف في طست، وجعل يضرب ثناياه بقضيب، ويُدخله أنفه ويتعجب من حسن ثغره، فبكى أنس بن مالك عند ذٰلك، وقال: كان أشبههم برسول الله ﷺ، وقال زيد بن أرقم: ارفع قضيبك فوالله: لطالما رأيت رسول الله ﷺ، يقبل ما بين شفتيه، وبكى فأغلظ عليه اللعين ابن زياد، وهدده بالقتل، فقال: لأحدثنك بما هو أغيظ عليك من هٰذا، رأيت رسول الله ﷺ، آخذٌ حسنا على فخذه اليمنى، وحسينا على فخذه اليسرى، ثم وضع يده الكريمة على نافوخيهما، ثم قال: «**اللهُمّ إني أستودعك إياهما، وصالح المؤمنين**»[2]، فكيف كانت وديعة النبي ﷺ عندك يا ابن زياد؟

قُلْتُ: وفي التذكرة[3] بعدذكر البيتين اللذين ذكرناهما آنفًا وزادفيهما:

---

(١) ينظر لهٰذا وما قبله وبعده ص ٢٦ .

(٢) الطبراني في الكبير (٥/ ٥٠٣٧) قال الهيثمي في المجمع (٩/ ١٩٧) رواه الطبراني وفيه محمد بن سليمان بن بزيع ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.اهـ.

(٣) (٢/ ٣٩٠).

في أرض نجـــد وحَـــرّا ويـــثربـــا

قال فغضب ابن زياد من قوله وقال: والله لا نلت مني خيرًا أبدًا ولألحقنك به، ثم قدمه فضَربَ عُنقَه فهٰذا من أكبر الأدلّة على الخبيث، أنه إنما قتله لمدحه للحسين، لا لأنّه قتله، ولقد انتقم الله من ابن زياد، فقد روى الترمذي بسند صحيح أنّ رأس ابن زياد لما قتل، وضع رأسه موضع رأس الحسين، وإذا حيّة عظيمة قد جاءت فتفرق الناس عنها، فتخللت الرؤوس حتى جاءت رأسَ الخبيث ابن زياد، فجعلت تدخل من فمه وتخرج من منخره، /٢٨٣/ وتدخل من منخره فتخرج من فمه، فعلَتْ ذٰلك مرتين أو ثلاثا قُلْتُ: والذي يظهرُ لي، أن السِّرّ في ذٰلك أن ابن زياد لما كان يُدخل القضيب في منخر الحسين رضي الله عنه، عوقب بأن سَلَّط الله عليه حيّة، تدخل من فيه، وتخرج من منخره، والجزاء من جنس العمل، والله أعلم.

ولما دخل رأس الحسين قصر الإمارة بالكوفة، أمر بالرأس فوضع على ترس عن يمينه والناس سماطان، ثم أنزله وجهزه مع رؤوس أصحابه، وسبايا آل الحسين على أقتاب الجمال، موثقين في الحبال، والنساء مُكشَّفات الوجوه والرؤوس إلى يزيد الممقوت، ولما نزل الذين أرسلهم ابن زياد بالرأس الشريف أوّل منزل جعلوا يشربون [بالرأس][1] الخمر، كذا في «الإشاعة»[2]، وهو بعيد جدًا، وفي غير «الإشاعة» بإسقاط بالرأس، فخرجت عليهم يدٌ من حائط فكتبت سطرًا بدم:

---

(١) في «الإشاعة»: على الرأس.

(٢) ص٢٦ وليس في «الإشاعة» «الخمر».

أتـرجُـو أمّـةٌ[١] قـتـلـتْ حُـسينـا شـفـاعـةَ جـدِّه يـومَ الحـسـاب

نقله ابن حجر في «الصواعق المحرقة»، وكذا في شرح الهمزية، وزاد بقلم من حديد، فهربوا وتركوه ثم عادوا وأخذوه، ولما قدموا به على يزيد أقام الحريم على درج الجامع، حيث يقام الأسارى والسبي[٢]، كذا في شرح «الهمزية»، ومما ظهر يوم قتل الحسين أن السماء أمطرت دما، وأن أوانيهم ملئت دَمًا، وانكسفت الشمس، ورميت النجوم، واشتدّ الظلام حتى ظن الناس أن القيامة قد قامت، وأن الكواكب خربت بعضها بعضا، وأنه لم يرفع حجر إلا رؤي تحته دم عبيط، وأن الرؤوس انقلبت دَمًا، وأن الدُّنيا أظلمت ثلاثة أيام[٣].

---

(١) المقصود بالأمة أفراد الجماعة التي قتلته وإلا فالأمة تأبى ذَلِكَ وترفضه.

(٢) في (ب): (والبس).

(٣) قال ابن كثير تعليقًا على هذه الأقوال: والظاهر أن هذا من سخف الشيعة وكذبهم ليعظموا الأمر، ولا شك أنه عظيم ولكن لم يقع هذا الذي اختلقوه وكذبوه، وقد وقع ما هو أعظم من قتل الحسين رضي اللهُ عنه ولم يقع شيء مما ذكروه فإنه قد قُتل أبوه علي بن أبي طالب رضي اللهُ عنه وهو أفضل منه بالإجماع ولم يقع شي من ذَلِكَ، وعثمان بن عفان رضي اللهُ عنه قتل محصورًا مظلومًا ولم يكن شيء من ذَلِكَ، وعمر بن الخطاب رضي اللهُ عنه قتل في المحراب في صلاة الصبح، وكأن المسلمين لم تطرقهم مصيبة مثل ذَلِكَ ولم يكن شيء من ذَلِكَ، وهذا رسول الله ﷺ سيد البشرية في الدنيا والآخرة يوم مات لم يكن شيء مما ذكروا، ويوم مات إبراهيم ابن النبي ﷺ خسفت الشمس، فقال الناس: خسفت لموت إبراهيم فصلى بهم رسول الله ﷺ صلاة الكسوف وخطبهم وبيّن لهم أن الشمس والقمر لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته.. إلخ كلامه رحمه الله في التفسير ٤/ ٤٣.

قال في «شرح الهمزية»، بعد ذكر ما تقدم: ثم ظهرت فيها أي: الدنيا الحُمرة قال: وقيل ٱحمرت ستة أشهر، ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذٰلك، وعن ابن سيرين أن الحمرة التي مع الشفق، لم تكن حتى قُتل الحسين.

قال الإمام ابن الجوزي وحكمةُ ذٰلك أن الغضب يؤثر حمرة الوجه، والحقُ منزه عن الجسمية[1] فأظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين، بحمرة الأفق إظهارًا لعظم الجناية/ ٢٨٤/ ، ٱنتهى.

واعلم أن يزيدًا قد آذى الله ورسوله واعتدى على أهل بيت النبوة وفعل بهم أفاعيل وقتل منهم يومئذ مع الحسين من إخوته وأولاده وبني أخيه الحسن، ومن أولاد جعفر وعقيل تسعة عشر رَجُلا قال الحسن البصري: ما كان لهم على وجه الأرض يومئذ شبيه ومع ذٰلك أوقف حرم رسول الله ﷺ موقف الأسارى، زاد بذٰلك عجبًا وافتخارًا فنعوذ بالله من أفعال هٰذا الخسيس القبيحة، ونحن نعلم بالضرورة أن أذية رسول الله ﷺ أذية أكبر من قتل أولاده[2]، وسبْيِ حرمه، وقد جزم بكفر يزيد جماعة من العلماء، منهم الإمام الحافظ ناصر السنة ابن

(١) تقدم أن هذه الظواهر كلها من اختلاق الشيعة، وما ذكره ابن الجوزي يحتاج إلى تدقيق ونظر، فالجسم لم يرد في إثباته أو نفيه شيء من كتاب أو سنة.

(٢) ورد في هامش الأصل: قوله «ونحن نعلم بالضرورة أن أذية رسول الله كفر، هذا كلام فيه إجمال، وبيان ذلك أنه إن فعل ذلك المؤذي للرسول ﷺ، ومراده أذيته فقد اختلف في كفر فاعل ذلك، وأما إن فعل ذلك من غير قصد أذيته ﷺ فلا يكفر، ويدل لذلك أخبار كثيرة، منها قصة حاطب بن أبي بلتعة في الصحيحين ومنها قصة مسطح وحسان بن ثابت في تماديهما في حديث الإفك، ومن هذا أخبار كثيرة فيحمل حينئذ على الاستحلال أو كفران النعمة، والله الموفق مؤلفه من خطه نقل.

الجوزي، وسبقه القاضي أبو يعلى، ونقل عن الإمام أحمد مع شدة ورعه، وصرح الجلال السيوطي بلعنه، وقال التفتازاني: لا نشك في شأنه بل في إيمانه فلعنة الله عليه، وعلى أعوانه وفي «شرح العقائد» له ما لفظه والحق أن رضى يزيد بقتل الحسين، واستشباره بذٰلك وإهانته بيت النبي ﷺ، مما تواتر معناه وإن كان تفاصيله أحادا، فنحن لا نتوقف في إيمانه، لعنة الله عليه وعلى أنصاره وعلى أعوانه. ٱنتهى[1].

وكتب الشيخ مصطفى بن محب الدين الحنفي تحت قول ابن الحداد الشافعي: ونكل سريرة يزيد إلى الله قال: قلتُ: بل نلعنهُ عليه لعنة اللاعنين، ولعنة الخلائق أجمعين ٱنتهى.

ولفظ ابن الحداد، نَبرأُ من قتل الحسين وممن أعان عليه أو أشار به ظاهرًا وباطنًا، هٰذا ٱعتقادنا، ونكل سريرته. ٱنتهى. ولم نَر مَن ذكر هٰذه الواقعة إلاّ ولعنَه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والعجب من قوم يزعمون أنهم منصفون يُفتُونَ بالترضي عن يزيد، ويذبون عنه مهما أمكن بل بالغ بعضهم فزعم أن يزيدًا إنما قتل الحُسين بسيف جده فهٰذه لعمر الله الداهية الدهماء، والمصيبة الصماء، فاعتبروا يا أولي الأبصار / ٢٨٥/ ما هٰذا الخطأ الفاحش؟ والغفلة العظماء، ما أرضى هٰذا القائل الٱنتصار ليزيد العنيد، حتى زعم أنه قُتل بسيف جده، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال ابن الجوزي في كتابه «السر المصون»: من الٱعتقادات العامية، التي غلبت على جماعة منتسبين إلى السنة، أن يقولوا أن يزيدًا

---

(١) ينظر في شأن يزيد بن معاوية كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتبه منهاج السنة (١/ ٥٤٩).

كان على الصواب، وأن الحُسين أخطأ في الخروج عليه، ولو نظروا في السِير لعلموا كيف عُقدت له البيعة، وألُزِمَ النّاسُ بها، ولقد فعل في ذٰلك كل قبيح، ثم لو قدَّرنا صحة خلافته، فقد بدت منه بواد كلها توجب فسخ العقد، من رَمْي المدينةِ، ورمي الكعبة بالمجانيق، وقتل الحسين وأهل بيته، وضربه على ثنيته بالقضيب، حمله الرأس على خشبة، وإنما يميل جاهل بالسيرة، عامي المذهب، يظن أنه يغيظ بذٰلك الرافضة، ونقل البرزنجي في «الإشاعة»[1]، والهيثمي في «الصواعق المحرقة»؛ أن الإمام أحمد رضي الله عنه، لمّا سأله ولده عبد الله عن لعن يزيد قال: كيف لا يُلعن مَن لعنه اللهُ في كتابه؟ فقال عبد الله قد قرأتُ في كتاب الله، فلم أجد فيه لعنَ يزيد، فقال الإمام إن الله يقول: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣] الآية وأيّ فساد وقطيعة أشد مما فعلهُ يزيد. أنتهى كلامهما.

قُلْتُ: والمحفوظ عن الإمام أحمد رضي الله عنه خلاف ما نقلا، ففي «الفروع»[2] ما نصه: ومن أصحابنا من أخرج الحجاج عن الإسلام، فيتوجه عليه يزيد ونحوه، ثم قال: ونص أحمد خِلاف ذٰلك وعليه الأصحاب ولا يجوز التخصيص باللعنة، خلافًا لأبي الحسين، وابن الجوزي وغيرهما، قال شيخ الإسلام: ظاهر كلام الإمام أحمد الكراهة.

قُلْتُ: والمختارُ ما ذَهَبَ إليه ابن الجوزي، وأبو حسين القاضي،

---

(١) ص٣٠ .

(٢) ص١٠/ ١٩٠ .

ومن وافقهما، ثم وقفت على ترجمة يزيد قبحه الملك المجيد، في كتاب «الوافي بالوفيات»، فرأيت فيه ما يشعر بكفر يزيد السفيه، فمن أعظم ما رأيت من قبائحه الفظيعة وفواضحه / ٢٨٦/ الشنيعة ما نقله في الكتاب المذكور، عن ابن القفطي أن السبي لما ورد من العراق على يزيد، خرج فلقى الأطفال والنساء من ذرية عليّ والحسين، والرءوس على أسنة الرماح، وقد أشرفوا على ثنيّة العقاب، فلما رآهم أنشأ الخبيث يقول:

لما بدت تلك الحمول وأشرفت ... تلك الرءوس على شفا جيروني

نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل ... فقد اقتضيت من الرسول ديوني

يعني: أنه قتل بمن قتله رسول الله ﷺ يوم بدر مثل جده، عتبة وخاله ولد عتبة، ونحوهما فجزمت حينئذ بكفر يزيد، جزمًا ما عليه مزيد، وعلمتُ أن قائل هٰذا الكلام خارج عن ربقة الإسلام من غير شك، ولا ريب والله تعالى أعلم.

تنبيه: ذكر القرطبي[1] أن الذي باشر قتل سيدنا الحسين رضي الله عنه هو سنان بن أبي سنان النخعي، وهو جد شريك القاضي قال: ويصدق في ذٰلك قول الشاعر:

وأي رزية عدلتْ حسينًا ... غداة تبيده كفا سنان[2]

وقال خليفة بن خياط: الذي قتل الحسين شمر بن ذي الجوشن، وأمير الجيش عُمر بن سعد، وكان شمر أبرص، وأجهز عليه خولي بن زيد الأصبحي من حمير، حزّ رأسه، وأتى إلى عبد الله بن زياد[3]،

---

(١) «التذكرة» (٢/ ٣٩٠).
(٢) «التذكرة» ص(٢/ ٣٩٠) .
(٣) المصدر السابق.

ومما آشتهر على ألسِنة العامة في نواحي نابلسِ، أن الذي قتل حسين بن علي رضي الله عنهما، هو شمر من قرية، يُقال لها بزاريا على أميال من غربي نابلس، ولا يُعلم لذٰلك صحة. والله أعلم.

تتمه: روى الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال: ثنا حماد بن سلمة، عن عمار بن أبي عمار، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رأيتُ النبي ﷺ وسط النهار أشعث أغبر، معه قارورة فيها دم يلتقطه، ويتتبع ذٰلك فيها، قال: قلتُ يا رسول الله ما هٰذا؟ قال دم الحسين وأصحابه، لم أزل أتتبعه منذ اليوم، قال عمار فحفظنا /٢٨٧/ ذٰلك اليومَ، فوجدناه قتل ذٰلك اليوم[1]، قال القرطبي[2] وهٰذا سند صحيح لا مَطعن فيه، فانظر هٰذا المنام ما أصدقه! وانظر للذي زعم أنه قُتِل بسيف جده، ما أحمقه!

وذكر القرطبي في «التذكرة» أن رأس حُسين رضي الله عنه لمّا وضع بين يدي يزيد، أمر أن يُجعل في طست من ذهب، وجعل ينظر إليه ويقول:

صَبرْنا وكانَ الصبرُ منا عزيمةً وأسيافُنا يُقَطِّعنَ كفًّا ومعصما
نُفْلِقُ هامًا من رجال أعزةٍ علينا وهم كانوا أعق وأظلما[3][4]

(١) يعني رأى النبي ﷺ فيما يرى النائم كما صرحت الروايات، والحديث رواه أحمد ١/ ٢٤٢ و٢٨٣، وعبد بن حميد (٧١٠)، والطبراني في الكبير ٣/ ١١٠ (٢٨٢٢) و١٢/ ١٨٥ (١٢٨٣٧)، والحاكم ٤/ ٤٣٩ وإسناده قوي.

(٢) «التذكرة» (٢/ ٣٩١).

(٣) البيتان نُسبا إلى الحصين بن الحمام المري. انظر البداية والنهاية ٨/ ٢١٤، ومجمع الزوائد ٩/ ١٣٩.

(٤) «التذكرة» ص٦٤٧-٦٤٨ .

وقد كذب عدوُّ الله، بل هو الظالم العاقُ المخالفُ لله ورسوله ثم إنه تكلّم بكلامٍ قبيح كأفعاله القبيحة، وأمر بالرأس أن يُصلب بالشام، ولمّا صُلب، ٱختفى خالدُ بنُ عِمران وكان من أفاضل التابعين، فطلبوه شهرًا حتى وجدوه، فسألوه عن عزلته، فقال: أما تَرَوْنَ ما نزل بنا؟ وأنشأ يقول في ذٰلك:

جاءوا برأسك يا ابن بنت محمد   مُتزملاً بدمائه تزميلا
وكأنما بك يا ابن بنت محمد   قتلوا جهارًا عامدين رَسولا
قتلوك عطشانًا ولم يترقبوا   في قتلك التنزيل والتأويلا
ويُكبِّرون بأن قُتِلتَ وإنما   قَتلوا بكَ التكبيرَ والتَّهليلا

ثم بعثوا برأس الحسين رضي الله عنه إلى المدينة، فدفنوه بالبقيع عند قبر أمه قال القرطبي: هٰذا أصحُ ما قيل فيه[1]، وأمّا المكان المعروف بالمشهد الحسيني من القاهرة ليس الحسين مدفونًا فيه بالاتفاق، وزَعَم بعضُهم أنَّ رأسَه فيه، وردّ عليه بعضهم، وأما شيخُ الإسلام ابن تيمية[2]، فشدَّدَ النكير في ذٰلك وأطال في الرد على زاعم ذٰلك، واللهُ أعلم.

ومنها وقعة الحرّة[3]: وحاصلُها أنه لمّا صار من يزيد العنيد ما

---

(١) «التذكرة» ص٦٤٨.   (٢) الفتاوى (٤/٥٠٨، ٥١٠).

(٣) الحرة أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار، .. والحرار في بلاد العرب كثيرة منها: حرة واقم إحدى حرى المدينة وهي الشرقية، وفي هذه الحرة كانت وقعة الحرة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية سنة ٦٣هـ. معجم البلدان ٢٠١/٢٤٥، ٢٤٩. وانظر «الإشاعة» لهذا وما بعده وقبله ص٢٧ .

صار، في حق سبط سيد العالم، أظهر ابن الزبير الخلاف على يزيد، والتجأ إلى مكة وقام أهل المدينة فشاركوا ابن الزبير، في الخلاف وخلعوا يزيد /٢٨٨/ بَعد أن بايعوه، وحاصروا بَني أُميّة الذين كانوا بالمدينة، فأرسل مَروانُ إنّا حُصِرنا ومُنعنا الماء العذبَ فواغوثاه، فوجّه إليهم يزيدُ مسلمَ بن عقبة المرّي، أمرَّ الله عيشه في آثني عشر ألفا وقال له: آدعُهم ثلاثًا فإن رَجَعوا وإلا فقاتلهم، فإذا ظهرت عليهم فأبح المدينة للجيش ثلاثًا، وأجهز على جريحهم، واتبع منهزمهم[1] فتوجَه إليهم، فوصل في ذي الحجة سنة ثلاث وستين.

فحاربوا وكانَ الأميرُ على الأنصار عبد الله بن حنظلة - غسيل الملائكة - وعلى قريش عبد الله بن مطيع، وعلى غيرهم من القبائل معقل بن سنان الأشجعي، وكانوا آتخذوا خندقًا، فلمّا رأوهم أهل الشام خافوهم وكرهوا قتالهم، فأدَخل بنو حارثة قومًا من الشاميين من جانبة الخندق، فلما سمعوا التكبيرَ في جوف المدينة خافوا على أهلهم، فتركوا القتال ودخلوا المدينة فكانت الهزيمة، فأباح مسلم - لا سلمه الله - المدينة المنورة ثلاثًا، يقتلون الناس، ووقعوا على النّساء وقاتل عبد الله بن مطيع حتى قُتل هو وبنون له سبعة، وَبَعَثَ برأسه إلى يزيد.

---

(١) ينبغي التنبيه أن كثيراً من تفاصيل هذه الواقعة وأمثالها يستند على روايات لا يوثق بها، فبعض الأحداث الواردة هنا رواها الطبري في تاريخه من طريق أبي مخنف لوط بن يحيى وهو تالف لا يوثق به كما قال الذهبي في الميزان ٣/ ٤١٩.
وأيضًا فإن الشيعة كان لهم دور في صياغة هذه الأحداث تاريخيًا بما يوافق هواهم.

وقُتل من وجوه الناس أكثر من سبعمائة من الأنصار، ومن قريش ومن أخلاط الناس من الموالي والعبيد والصبيان والنساء أكثر من عشرة آلاف، وسَبُوا الذرية واستباحوا الفُروج، وأحبلوا أكثر من ألف امرأة من الزنا، وسمي أولادهن أولاد الحرة، ورَبطوا الخيل بسواري المسجد، وجالت الخيل فيه، وراثت وبالت بين القبر الشريف والمنبر[١]، وتعطل المسجد ثلاثة أيام لم يُصلَ فيه، وجبروا الناس على المبايعة ليزيد، على أنهم عبيد له في طاعة الله ومعصيته، حتى إنه أتي بابن المسيب يبايع على ذلك فقال: بل على كتاب الله، وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر، فأمر بقتله، فقال بعضُ الناس: دعوه فإنه مجنون، فتركوه[٢] وكل من أبى أن يبايع على أنه عبد ليزيد في طاعة الله ومعصيته، أمر بقتله وأما زين /٢٨٩/ العابدين رضي الله عنه، فلم يتعرضوا له، وسَمُّوا مسلمًا هذا مسرفا عليه غضب الله وسخطه.

ثم توجه إلى ابن الزبير، فإن يزيد قال له إذا فرغت من أمر المدينة، توجه إلى مكة وكان مسرفًا مريضًا، فمات في الطريق، وذُهب به إلى أمه الهاوية، فلعنة الله عليه، وكان من شدة كُفره وضلاله يقول: اللهم إني لم أعمل بعد شهادة أن لا إله إلاّ الله عملاً أرجى لي من قتل أهل المدينة[٣]، ولئن دخلتُ النار بعدها إني لشقي.

---

(١) هناك مبالغة في بعض المواضع، منها هذا الموضع فالقتال كان خارج المدينة.
(٢) في (أ): فتركه، والمثبت من (ب)، و(ط).
(٣) ينبغي الحذر في الأخذ بهذه الروايات كما تقدم بيانه.

قُلْتُ: لئن لم يدخل هٰذا الخبيث النارَ إنها لمصيبة، وأنا لا أشك في كفر هٰذا الخبيث.

فلما حَضرته اللّعنة وقَرُبَ هلاكه نادى حُصين بن نُمير، وقال له: أمير المؤمنين قُلْتُ: إنما هو خَبيثُ المؤمنين، يعني: يزيد ولاك بعدي، فأسرع السيرَ ولا تؤخر قتال ابن الزبير، وأمرَهُ أن يَنصُبَ المجانيق على مكة، وقال له: إن تعوَّذَ بالبيت فارمه. فذهب وحاصر مكة أربعًا وستين يومًا وجرى فيها قتال شديد، ورمي البيتَ بالمجانيقَ وأخَذ رَجلٌ قبسا في رأس رُمح فطارتْ به الريح، فأحرق البيتَ.

فجاءهم نعي يزيد، وكان بين الحرّة وهلاكه ثلاثة أشهر، فلما عَلموا بهلاكه ذلّت أهل الشام، واجترأ أهل مكة والمدينة عليهم، حتى كان لا ينفرد منهم رجل إلا أخذ بلجام دابته، فنكِّس عنها فَقالَ أهلُ الشام لبني أُميّة لا ترحلوا حتى تحملونا معكم إلى الشام، ففعلوا.

ومضى ذٰلك الجيش حتى دخل الشام، فبويع لابن الزبير بالحجاز، وبايع أهل الآفاق كلها لمعاوية بن يزيد رحمه الله: وكان رجلاً صالحًا، فقام خطيبا فقال: أيها الناس إن معاوية نازع هٰذا الأمر أهلَهُ، وخاض في دماء المسلمين حتى غلب عليه، ثم مات فالله أعلم بما هو صائر إليه، وإن أبي يزيد نازع هٰذا الأمر أهله وقتل أولاد رسول الله ﷺ، وأهل الحرمين، ونصب على مكة المجانيق، ثم مات فالله أعلم بما هو صائرٌ إليه، وإنكم قلدتموني هٰذا الأمر، فوالله لا أذهب بإثمه وتذهبون بنعيمه، ولا /٢٩٠/ أدخل في شيء من دماء

المسلمين وأموالهم[1].

فلزم بيته إلى أن مات رحمة الله عليه، وذٰلك بعد أربعين يوما، وقيل ستة أشهر وهو آخر من تولى من بني أبي سفيان، وكان قتل الحسين، ووقعة الحرة، ورمي الكعبة بالمنجنيق من أعظم الشنائع التي وقعت في زمن يزيد، ثم قتله الله هو وجنوده وأعوانه، فقُطع دابرُ القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين، ثم بَعد موت معاوية بن يزيد رحمه الله، بايع أهل الآفاق كُلها لابن الزُبير رضي الله عنه، وانتظم له المُلكُ بأرض الحجاز واليمن ومصر والعراق، وجميع المشرق كله، وجميع بلاد الشام حتى دمشق، ولم يتخلف عن بيعته إلا بنو أميّة، ومَن يهوى هواهم وكانوا بفلسطين، حتى أن مروان هَمّ بالرّحلة إلى مكة ليبايعه، فمنعه بَنو أميّة وبايعوه بالخلافة، وخرج بمن أطاعه إلى دمشق وقاتل الضحاك بن قيس المبايع لابن الزبير، فاقتتلوا بمرج راهط فقُتل الضحاك وغلب مروان على الشام، ثم توجه إلى مصر فحاصر عامل ابن الزبير بها، حتى غلب عليها في ربيع الآخر سنة خمس وستين ومات في تلك السنة، فكانت مدته ستة أشهر وعهد لابنه عبد الملك، فقام مقامه وكمل له ملك الشام ومصر والمغرب، ولابن الزبير ملك اليمن والحجاز والعراق والمشرق، إلا أن المختار بن أبي عبيد غلب على الكوفة، وكان يدعو إلى المهدي من أهل البيت ويقول: إنه محمد بن الحنفية فأقام على ذٰلك سنتين.

---

(١) أورد ابن كثير خطبة معاوية بن يزيد في البداية والنهاية ٨/ ٢٥٧ بسياق مختلف ليس فيه ذِكر لمعاوية بن أبي سفيان ولا لابنه يزيد. وانظر «الإشاعة» ص(٢٩).

ثم سار إليه مُصعب بن الزبير أمير البصرة لأخيه عبد الله بن الزبير، فحاصر المختار حتى قتله في شهر رمضان سنة سبع وستين، وانتظم أمر العراق كله لابن الزبير، فدام ذٰلك إلى سنة إحدى وسبعين فسار عبد الملك إلى مُصعب فقاتله حتى قتله في جمادى منها وملك العراق كلّه، ولم يبق مع ابن الزبير إلا الحجاز واليمن فقط، فجهز إليه الحجاج بن يوسف الثقفي الخبيث عدوّ الله، فحاصره في سنة ٱثنتين وسبعين إلى أن قتل عبد الله بن الزبير رضي / ٢٩١/ الله عنه، وذٰلك في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، وكان مجموع مدة ابن الزبير رضي الله عنه، تسع سنين وشيء، ثم ٱجتمع الناس على عبد الملك بن مروان، ثم بعده على ابنه الوليد، ثم ولي الأمر بعده أخوه سليمان، ثم عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، ثم يزيد بن عبد الملك، ثم هشام بن عبد الملك، فكلهم أولاد عبد الملك إلا عمر رضي الله عنه، فإنه ابن أخيه، ثم بعد هشام تولى ابن أخيه الوليد بن يزيد[١] الجبار العنيد، فقد ورد في مسند الإمام أحمد: ليكونن في هٰذه الأمة رجلٌ يقالُ له الوليد، لهو على هٰذه الأمّة أشد من فرعون لقومه[٢].

وقال ابن فضل الله في «المسالك»: الوليدُ بن يزيد الجبار العنيد، فرعون ذٰلك العصر الذاهب، والدهر المملوء بالمعائب، يأتي يوم

(١) انظر «الإشاعة» (٣١).
(٢) المسند عن عمر (١/ ١٨) والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥٠٥) مرسلًا، والحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة (٤/ ٤٩٤) وأورده ابن حبان في المجروحين (١/ ١٢٥) وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٤٦).

القيامة، يقدمُ قومه فأوردهم النار ويردُ بهم العار، وبئس الورد المورود، والمردى في ذٰلك الموقف المشهود، ورشق المصحف بالسهام ولم يخف الآثام، وذٰلك أنه ٱستفتح في المصحف الشريف فخرج، ﴿واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد﴾ [إبراهيم: ١٥]، فمزّق المصحف وقال:

أتــوعــدني بجــبــار عــنــيد ... وإني فــيك جــبــار عــنــيدُ
إذا مــا جــئــت ربــك يــوم حــشر ... فــقــل يــا ربّ مــزّقــني الــوليدُ

وكان قد ٱستباح الخمر، ونكاح أمهات أولاد أبيه، حتى راودَ أخاه سليمان عن نفسه ليفجر به، وله معائب وفضائح كثيرة جدًا، حتى أنه أراد الحج ليشرب الخمر فوق سطح الكعبة المشرفة، فقام عليه ابن عمه يزيد بن الوليد فقتله، وقام عليه مروان الحمار بن محمد بن مروان، ولمّا مات وُلي أخوه إبراهيم، فغلبه مروان، واختل أمرُهم حتى غلب على الملك بَنُو العباس وقتلوهم أشد القتلة، فسبحان من لا يزول ملكه، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] فلله الأمَر من قبل ومن بعد.

فكان ٱنقراض مُلك بني أميّة في ثنتين وثلاثين بعد المائة.

ثم قام من بني العباس أوّل خليفتهم السَفَّاح، ثم أخوه المنصور، ثم ولده المهدي، ثم ولده الهادي، ثم أخوه الرشيد، ثم ولده الأمين، ثم أخوه المأمون، وهو الذي / ٢٩٢/ ٱمتحَنَ الإمام أحمد، ثم المعتصم، وهو الذي ضرب سيدنا الإمام أحمد ثم ولد المعتصم: الواثق، وكان أخبث من أبيه ثم أخوه المتوَكّل فأظهر السنة رحمه الله ورضي عنه، ثم قتله ولده المنتصر، فلم يَقُمْ بعده إلا اليسير ثم المستعين، ثم المعتز، ثم

المهتدي، وكان صالحًا مأمونًا فقُتل، وقام من بعده المعتمد إلى أن صارت النوبة إلى المستعصم، وذٰلك أول فتنة التتار الظلمة الفجار، فقد أخرج الأئمة الأبرار عن النبي المختار «**أن قتال التتار من علامات الساعة**».

أخرج الستة إلا النسائي «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا، نعالُهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين، حُمر الوُجوه ذلف الأنوف، كأن وجوههم المَجانّ المُطرقة**»[1].

وفي رواية عند البخاري: «**لا تقومُ الساعَةُ حتى تقاتلوا خُوزا وكِرمان من الأعاجم، حُمر الوجوه، فطس الأنوف، صغار الأعين وجوههم المجان المطرقة نعالُهم الشعر**»[2]، وفي لفظ «**عراض الوجوه نعالهم الشعر**»، على ظاهره ويحتمل أن يكون من جلود مشعرة غير مدبوغة، ويحتمل أن يكون المرادُ وفور شعرهم، حتى يطأوها بأقدامهم قاله المناوي في «تخريج المصابيح».

وقوله (حُمر الوجوه) أي بيضُ الوجوه مشربة بحمرة، قاله في «الإشاعة»[3]، وقوله (ذلف الأنوف) بالذال المعجمة في رواية الجمهور قال صاحبُ «المشارق»[4] وهو الصواب، ويُروى بالمهملة،

---

(١) رواه البخاري (٢٩٢٨، ٣٥٨٧)، ومسلم (٢٩١٢)، وابن ماجه (٤٠٩٧)، وأحمد ٢/ ٥٣٠.

(٢) رواه البخاري (٣٥٩٠)، وأحمد ٢/ ٣١٩، وابن حبان (٦٧٤٣)، والحاكم (٤/ ٥٢٣).

(٣) ص٣٥ .

(٤) مشارق الأنوار للقاضي عياض (١/ ٢٧٠) .

وهُو بضم الذال وسكونِ اللام جمع أذلف كأحمر، معناه فُطس الأنوف كما في الرواية الأخرى أي قصارها، مع انبطاح وقيل: غُلظُ أرنبة الأنف قاله النووي(١)، والمجانّ: بفتح الميم، وتشديد النون جمع مجن بكسر الميم: هو الترس والمطرقة بضم الميم، وسكون الطّاء وحُكي فتحها، وتشديد الراء.

قال النووي(٢) عن الأول: أعني سكون الطّاء: هُو المشهور في الرواية، وكتب اللغة ومعناه أن وجوههم عريضة كما في الرواية الأخرى، ووجناتهم ناتئة كالترس المطرقة، وقوله «حتى تقاتلوا خوزا» قال في «النهاية»(٣) بالخاء المعجمة والزاي: جبل معروف وهو من بلاد الأهواز، من عراق العجم، بحيث قيل أنه صنف /٢٩٣/ منهم وكِرمانُ صنفٌ في العجم، قال السخاويُّ: وهي بلدةٌ معمورة من بلاد العجم بين خراسان وبحر الهند، ويروى خوراء بالراء المهملة وهو من أرض فارس، وصوّبه الدارقطني. والله أعلم.

ولما خرج التتار خرَّبوا البلاد، وأبادوا العباد، وأظهروا الفساد. قال السبكي في «طبقاته»(٤): لم يكن منذ خلق الله الدنيا فتنة أكبر من فتنة التتار، فإنهم خربوا المساجد، وحَرقوا المصاحف والكتب، وقتلوا الرّجال وسبَوا النساء وبقروا بطُون النساء. فأخرجوا أولادهن، وقتلوهم.

قال السخاوي: ولم تزل بقاياهم يخرجون إلى أن كان آخرهم

---

(١)، (٢) شرح مسلم (١٨/ ٣٧). (٣) «النهاية» (٢/ ٨٧).

(٤) طبقات الشافعية ١/ ٣٢٩.

تيمور الأعرج، فطرق الديار الشامية وعاث فيها وحرَقَ دمشق، حتى جعلها خاوية على عروشها ودخل الروم والهند وما بين ذٰلك، وطالت مدته إلى أن مات وتفرق بنوه في البلاد.

قال في «الإشاعة»[1]: وظهر بذٰلك مصداق قوله ﷺ: **«إن أوّل من يسلبُ أمّتي ملكَها بنو قنطورا»**[2].

قال السخاوي: وقنطورا بالمد والقصر: قيل كانت جارية لإبراهيم الخليل عليه السلام، فولدت له أولادًا فانتشر منهم الترك حكاه ابن الأثير[3]، وجزم به في القاموس. والله الموفق.

ومن علامات الساعة نار الحجاز التي أضاءت أعناق الإبل ببصرى، كما أخبر به ﷺ.

روى البخاريُّ في صحيحه والحاكم في المستدرك، عن أبي هريرة مرفوعًا: **«لا تقوم الساعة حتى تخرجَ نارٌ من أرض الحجاز، تضيء أعناق الإبل ببصرى»**[4].

وأخرج الإمام أحمد، وابن أبي شيبة والحاكم وصححه عن أبي ذرّ مرفوعًا: **«ليت شعري متى تخرج نار من جبل وِراق، تضيء لها أعناق البخت ببصري كضوء النهار؟»**[5].

---

(١) ص (٣٦).

(٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ٣٠٤، وعزاه للطبراني في الأوسط وقال: فيه مروان بن سالم وهو متروك.

(٣) «النهاية» (٤/ ١١٣).

(٤) رواه البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٢٩٠٢) ٤/ ٢٢٢٧، والحاكم ٤/ ٤٤٣.

(٥) رواه أحمد ٥/ ١٤٤، والبزار في مسنده (٤٣٠)، وابن حبان (٦٨٤١)، =

قال نور الدين السيد علي السمهودي، في «تاريخ المدينة»[١]:
وقد ظهرتْ هٰذه النّارُ بالمدينة واشتهرتْ ٱشتهارًا بلغ التواتر، وتقدمها زلازلٌ مهولة، وأشفق أهلُ المدينة منها غاية الإشفاق، والتجئوا إلى النبي ﷺ[٢]، وكان ٱبتداء الزلزلة بالمدينة، مستهل جمادى الآخرة، آخر /٢٩٤/ جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وستمائة أي: فيكون قبل قتل المستعصم[٣] وخراب بغداد بسنتين، قال لكنها كانت خفيفة واشتدت يومَ الثلاثاء وظهرت ظهورًا عظيما، ثم إنه لما كانت ليلة الأربعاء ثالث الشهر أو رابعه، في الثلث الآخر منها حدثت زلزلة عظيمة، ٱنزعجت القلوبُ لهيبتها، واستمرت بقية الليل إلى يوم الجمعة، ولها دَويٌّ أعظم من الرعد، فتموجت الأرض وتحركت الجدران، حتى وقع في يوم واحد دون ليله ثماني عشرة حركة فأسكنت ضحى يوم الجمعة.

ولما كان نصفُ النهار ظهرت تلك النار، فثار من محل ظهورها دخان متراكم غشي الأفق سواده فلما تراكمت الظلمات، وأقبل الليل سطع شعاع النار، وظهرت بقريظة بطرف الحرة، ترى تلك النار على هيئة البلد العظيم، عليها سور محيط على شراريفَ وأبراج، ومنابر

= والحاكم ٤/ ٤٩٠، وابن أبي شيبة ٧/ ٤٧١.

(١) هو كتاب «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى».

(٢) الالتجاء إلى النبي ﷺ بالاقتداء به والسير على نهجه هو المشروع، أما إذا قُصِدَ الالتجاء إليه بدعائه فهذا لا يُشرع كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة.

(٣) في (أ) المعتصم وهذا خطأ والصواب (المستعصم) كما في (ط)، و(ب). وذلك أنَّ وفاة المعتصم كانت سنة ٢٢٧هـ.

ورجال، يقودونها لا تمر بجبل إلاَّ دكته.

ويخرج من ذٰلك مثل النهر أحمر وأزرق، له دوي كدوي الرَّعد يأخذ الصخور من بين يديه، وينتهي إلى مَحطّ الرَّكب العراقي، واجتمع من ذٰلك ردم كالجبل العظيم، فانتهت النار إلى قرب المدينة، ومع ذٰلك كان يأتي المدينة نسيم بارد.

قال في «الإشاعة»[1]: وشوهد لهٰذه النار غليان، كغليان البحر، قال القاضي سنان فطلَعْتُ إلى الأمير وكان عز الدين منيف[2]، فقلت له: قد أحاط بنا العذابُ فارجع إلى الله تعالى فأعتَقَ كل مماليكه، ورد على الناس مظالمهم، وأبطل المكس، ثم هبط إلى النبي ﷺ، فبات في المسجد ليلة السبت، معه جميع أهل المدينة حتى النساء والصغار، وباتوا يتضرعون ويبكون، وكشفوا رؤوسهم واعترفوا بذنبوهم، واستجاروا بنبيهم[3]، فصرف الله تلك النار عنهم، ذات الشمال فسارت من مخرجها ببحر عظيم من النار، واستمرت مدة ثلاثة أشهر. قال المطرزي: كانت تذيب الحجر، ولا تحرق الشجر، وهٰذا من العجائب.

وذكر القسطلاني: أن هٰذه النار لم تزل مارة على سبيلها حتى ٱتصلت بالحرة، ووادي الشظاة، وهي تسحق ما والاها وتذيب ما

---

(١) الإشاعة ص٣٩.

(٢) عز الدين منيف بن شيحة الحسيني كان أمير المدينة عند ظهور نار الحرة بالمدينة، انظر «تحفة السخاوي» (١/ ٤٢٩).

(٣) انظر الصفحة السابقة.

لاقاها / ٢٩٥/ من الشجر الأخضر والحصى من قوة الحرّ، وإن طرفها الشرقي آخذ بين الجبال، فحالت دونها فوقفت وإن طرفها الغربي وهو الذي يلي الحرم، اتصل بجبل يقال له وعيرة على قرب من شرقي أحد، ومضت في الشظاة التي في طرفه فطفئت قال: وأخبرني من أعتمد عليه أنه عاين حجرًا ضخمًا من حجارة الحرة، كان بعضه خارجًا عن حد الحرم فعلقت بما خرج منه، فلما وصلت إلى ما دخل منه في الحرم طفئت وخمدت، قال: فهٰذا أولى بالاعتماد من كلام المطرزي: إنها كانت تحرقُ الحجر دونَ الشجر وإن رجلا مد إليها نبلاً فأحرقت النصل، ولم تحرق الخشب فإن المطرزي لم يُدرك هٰذه النار.

قال المؤرخون: واستمرت هٰذه النار مدة ظهورها تأكل الحجارة والجبال، وتسير سيرًا ذريعا في واد يكون مقداره أربعة فراسخ، وعرضه أربعة أميال، وعمقه قامتان ونصف، وهي تجري على وجه الأرض فيذوب الصخر حتى يبقى مثل الماء، فإذا جمد أسود بعد أن كان أحمر ولم يزل يجتمع من هٰذه النار [الحجارة][1] الذائبة في آخر الوادي، عند منتهى الحرة حتى قطعت في وسط وادي الشظاة، إلى جهة جبل وعيرة، فسدت الوادي المذكور بسد عظيم، من الحجر المسبوك أعظم من سد ذي القرنين.

قال العماد بن كثير[2]: أخبرني القاضي صدر الدين الحنفي قال: أخبرني والدي صفي الدين مُدرس مدرسة بصرى: أنه أخبرَهُ

---

(١) ليست في (أ). (٢) انظر البداية والنهاية ٣/ ١٨٢، ١٨٣.

غيرُ واحد من الأعراب كان بحاضرة بلد بصرى: أنهم رأوا صفحات أعناق إبلهم في ضوء تلك النار، مصداق قوله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نارٌ من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى**»[1].

قال في «الإشاعة»[2]: وقد كان إقبال هٰذه النار من جهة مشرق المدينة في جهة طريق السوارقية، وهناك حبس سيل فإنه بين حرة بني سليم والسوارقية، أي: مصداقًا لقوله ﷺ، فيما رواه الإمام أحمد وأبو يعلى «**يوشك نارٌ تخرجُ من حبس سيل تسيرُ سيرَ بطيئة الإبل تسيرُ النهارَ وتقيم الليلَ**»[3]. واللهُ أعلم.

ومنها **ظهور الرّفض** /٢٩٦/ واستبداد الرافضة بالملك، وإظهار الطعن واللّعن على جناب الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وهٰذا من أعظم الفتن وأقبح المحن وموت السُنن.

وقد أخرج الإمام أحمد، وأبو يعلى والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما، مرفوعًا: «**يكون في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة، يرفضون الإسلام فإذا رأيتموهم فاقتلوهم، فإنهم مشركون**»[4]، ولفظ الطبراني بإسناد حسن عنه: كنتُ عند النبي ﷺ، وعنده عليّ، فقال النبي ﷺ: «**سيكون في أمتي قومٌ ينتحلون**

---

(١) سبق تخريجه. (٢) ص (٣٩).

(٣) رواه أحمد ٣/ ٤٤٣، وأبو يعلى (٩٣٤)، وابن حبان (٦٨٤٠)، والحاكم ٤/ ٤٨٩.

(٤) رواه أحمد ١/ ١٠٣ عن علي، وأبو يعلى عن ابن عباس (٣٥٨٦)، وعن علي (٦٧٤٩)، والطبراني عن ابن عباس (١٢٩٩٧) وليس في مسند ابن عباس عند أحمد.

حبَّ أهل البيت، لهم نبز[١] يسمون الرافضة فاقتلوهم فإنهم مشركون»[٢]، وقال الإمام عليّ كرّم الله وجهه: «يهلك فينا أهل البيت فريقان، محبٌ مُفرط وباهت مفتر» وفي لفظ: «يهلك فيّ رجلان مُحبٌ مفرط يُقرظني بما ليس فيّ، ومبغض مفرط يحمل شنآني على أن يبهتني»[٣] رواه الإمام أحمد في مسنده، ورواه خشيش وابن أبي عاصم والأصبهاني عنه كرم الله وجهه.

وصحّ: «أنّ من أشراط الساعة أن يلعن آخر هٰذه الأمة أوّلها»[٤].

ومنها: **خروج دجالين كذّابين كلهم يدعي أنه نبيُ** كما أخبر به ﷺ، فيما رواه أبو داود، والترمذي وصححه وابن حبان، وهو طرف من حديث أخرجهُ مسلم عن ثوبان: أنه ﷺ قال: **«سيكونُ في أمتي كذابون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي»**[٥].

وفي رواية عند البخاري **«لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، دعواهما واحدة، وحتى يُبعث دجالون قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله»**[٦]. وفي حديث ابن الزُبير **«إن بين يدي الساعة ثلاثين كذابًا، منهم الأسود العنسي صاحب صنعاء، وصاحبُ**

---

(١) (النَّبَزُ) بالتحريك (اللقب) «النهاية» لابن الأثير ٥/ ٨.

(٢) رواه الطبراني (١٢٩٩٨)، وأبو نعيم في «الحلية» ٤/ ٩٥ السنة لابن أبي عاصم (٩٧٩).

(٣) «مسند أحمد» ١/ ١٦٠، السنة لابن أبي عاصم (٩٨٤، ٩٨٧).

(٤) الترمذي (٢٢١٠) تاريخ بغداد (٣/ ١٥٨) (١٢/ ٣٩٦).

(٥) رواه مسلم (١٥٧)، والبخاري (٣٤١٣)، وأحمد ٢/ ٢٣٦.

(٦) رواه البخاري (٦٩٣٥) و(٧١٢١).

اليمامة يعني مسيلمة»[1]، أي وقد خرج غيرهما من الدجالين كابن صياد، إن قلنا إنه ليس هو المسيح الدجال كما سنظهره بعد.

وخرج في زمن أبي بكر طليحة بن خويلد فادعى النّبوة ثم تاب ورجع إلى الإسلام، كذا في فتح الباري للحافظ ابن حجر[2] / ٢٩٧/ لٰكن: عند ابن عساكر أنه خرج في عهد النَّبي ﷺ فوجه إليه ضرار بن الأزور فشجُّوا طُليحة وأخافوه ثم جاءهم موت النبي ﷺ، فأرفض الناس إلى طليحة، واستطار أمره أي: ثم أسلم كما بينته في كتابي «تحبير الوفاء في سيرة المصطفى»، تبعًا لابن الجوزيّ فعلى هٰذا: يكون نسبة خروجه إلى زمن أبي بكر لاستطارة أمره فيه، وتمام ظهوره، والله الموفق.

وتنبأت أيضًا سجاح، فتزوجها مسيلمة بعد أن تجهزتْ لقتاله، فصنع لها مكيدة ودعاها إلى الدخول عليه وأمر أعوانه أن يكثروا من أدعاق البخور، والروائح النفيسة لعلمه أنّ النساء متى مَا شَمَّت الرائحة الطيبة هاجت، فلما دخلت عليه لأجل الصلح، وشّمت تلك الروائح الطيبة، هاجت شهوتها فدعاها للزواج فأجابت، فأمهرها أن وضع عن قومها الصلاة، فقال شاعرهم:

أضحت نبيّتنا يُطاف بها   وأصبحت أنبياء النّاس ذكرانا

---

(١) روي ذَلِكَ عن جابر عند أحمد ٣/ ٣٤٥، وابن حبان (٦٦٥٠)، وحديث ابن الزبير عند أبي يعلى (٦٨٢٠).

(٢) فتح الباري ١٣/ ٨٧.

ثم بعد قتل مسيلمة رجَعتْ إلى الله، وأسلمتْ فسبحان من يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات.

وخرج المُختار في زمن ابن الزبير، فإنه كان يدَّعي أنه يوحى إليه وكان يكتب في مكاتيبه: من مختار رسول الله، فجهز له عبد الله بن الزبير أخاه مصعبا، فقتله.

وخرج المتنبي الشاعر المشهور الذي طار شعره في الآفاق، ثم تابَ ورجع إلى الله. وخرج جماعة في زمن دولة بني العباس، منهم: بهبود اللّعين، لعنه الله خرج في خلافة المعتمد، فإن بهبود اللعين أفسد في العراق، وأهان آل الرسول.

وفي خلافة المكتفي خرج «يحيى بن زكرويه القرمطي»، ثم بعده أخوه الحُسين، وظهرت شامة في وجهه، فزعم أنها آيته وجاءه ابن عمه عيسى بن مهرويه، وزعم أنّ لقبه المدثر، وأنه المعْني في السورة، ولقب غلامًا له «المطوّق بالنور»، وظهر على الشام، وعاثَ ودُعي له على المنابر، ثم قتل.

وخرج في خلافة المقتدر «أبو طاهر القرمطي»، الذي قلع الحجر الأسود، وكان يقول:

أنا الله والله أنا يخلقُ الخلقَ ويُحييهمْ أنا

وفي خلافة الراضي ظهرَ [محمد بن علي الشَّلْمغاني /٢٩٨/ المعروف بابن أبي العزاقر][1]، وقد شاع أنه يدعي الألوهية، وأنه

---

(١) في الأصل [محمد بن علي الشملغاني المعروف بابن أبي العراق] والمثبت من كتاب «الأعلام» ٦/ ٢٧٣.

يُحيى الموتى فقُتِلَ وصُلب، وقُتِلَ معه جماعة من أصحابه.

وظهر في خلافة المطيع قوم من التناسخية، فيهم شاب يزعم أن روح علي ٱنتقلت إليه، وامرأته تزعم أن روح فاطمة ٱنتقلت إليها، وأخر يدعى أنه جبريل، فضربوا فزَعمُوا أنهم من أهل البيت، فأمر مُعزُ الدولة بإطلاقهم.

وفي خلافة المستظهر سنة تسع وتسعين وأربعمائة ظهر رجل بنواحي نهاوند، فادّعى النّبوّة، وتَبِعهُ خلقٌ فأخذ وقُتل.

وخرج جماعة بالمغرب من الرجال والنساء فمنهم رجل تسمى بـ«لا» وحرّف الحديث المشهور: «لا نبيّ بعدي»، وجعله إخبارًا منه ﷺ بأنه «لا» أي مُسمَّى هٰذا الٱسم نبي بعده، ويقول أن «لا» في الحديث مبتدأ ونبي خبره، وامرأته ٱدعت النبوة، فذكروا لها الحديث فقالت: إنما قال لا نبيّ بعدي، ولم يقل لا نبيّة.

والحاصل: أنه ظهر جَماعةٌ ممن أخبر عنهم المصطفى ﷺ، وأما مُطلق الكذابين، لا يكادون يُحصَونَ أن يدخلوا تحت حصر، ومِن هٰذا القسم من يدَّعي أنه مهدي، وهٰؤلاء أيضًا كثيرون.

قال في الإشاعة[1]: إنَّ رَجُلاً في زمانه كان ٱسمه عبد الله، واسم ابن له محمدٌ، ولقبُه مهديا فادعى أن ابنه المهدي المنتظر، فاتبعه أجلاف الأكراد وسفهاؤهم وعوامُّهم، فاستولى على بعض القِلاع ثم ركب عليه عامل «الموصل» فقتل منهم جماعة، وهرب ابنه إلى بعض

(١) الإشاعة ص١٢١.

النواحي، وحُبس هو فادعى أن ابنه قد غاب وأنها الغَيبة الأولى له، فإن للمهدي غيبتين، كما في بعض الروايات كما يأتي ثم أخذوا ابنه أيضًا، وأرسلوا بهما إلى تنور.

قلتُ: وفي زماننا هٰذا في آخر سنة سبعٍ وثلاثين بعد المائة والألف جاء رجُلٌ من نواحي البصرة إلى دمشق المحروسة يزعم أنه من أهل البيت، وأظهر أنه من السُوّاح، وأنه من أشياخ طريقة الصوفية فاجتمع عليه بعض الناس وأخذوا عليه الطريقة الصوفية، فلمّا تمكَّن مِنهُم /٢٩٩/ واستمال قلُوبهم، أظهر لهم أنه نبيٌّ، وأن محمدًا كان جَبّارًا، وطعن في رسالته ﷺ، وأنه هو الرسول بحق، فظهر هٰذا القول من فلتات ألسنة من دَخل في طريقته، لقلة علمه وعقله وأظهره لبعض أصدقائه، فقال لمريده: ينبغي أن تجمعني بهٰذا لعلّ الله ينفعني به، فاجتمع به وأظهر له أنه من أتباعه، فحينئذٍ أظهرَ له هٰذا القول الفاسد، فأخبر به الناس فاجتمعوا لأجل قتله، فعلم بذٰلك وهرب تحت الليل لعنه الله وقد رأيتُه بعيْنَي رأسي «وكان هٰذا اللعين أسمر طوالاً حلو المنظر، طويل القامة، حسن العينين، مربي شعره وكان يظهر التذلل والخشوع، حتَّى إذا تكلم ترى في كلامه أثر الخوف ٱجتمعتُ به وتكلمت معه، واستفتاني بعض أحكام وسألنا عن مسائل ولم أر فيه قابلا لأني تفرست في أن تَذلُّلَهُ نفاق فوافق ما في نفسي وزعم أن ٱسْمَهُ السيِّد مُحمد وذكر من كان يجتمعُ به في خلواته أنه كان يقذف سيدتنا عائشة، ويتكلم كلامًا قبيحًا فلعنَةُ الله عليه؛ إن كان صدر منه مثل ما بَلَغَنَا عنه، وقد أخبرنا شيخنا الشيخ إسماعيل

العجلوني[١] أن رجلاً شهد عليه أنه يتكلم بكلام قبيح آنف من ذكره في هٰذا الكتاب، فنعوذ بالله من مكره واللهُ أعلم.

ومنها فتح بيت المقدس، ففي الحديث «**أعدد بين يَدَي الساعة ستًا موتى، وفتحُ بيتِ المقدس**»[٢]، وقد فتح مرتين: مرةً زمن عمر رضي الله عنه، ومرة زمن الأكراد الأيّوبيه، فتحه السلطان صلاحُ الدّين رحمه الله، وفي تاريخ الحنبلي: أنَّ بيت المقدس تغلب عليه الإفرنج بعد الملك صلاح الدين مدة يسيرة، وكان فتوحه على يد الملك الناصر، فيكون فتح ثلاث مرات.

ومنها زوالُ ملك العرب، فعن طلحة بن مالك «**من اَقتراب الساعة هلاكُ العرب أي زوال ملكهم**» رواه الترمذيُّ[٣].

ومنها كثرة المال، وقد أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، «**لا تقوم الساعة حتَّى يكثُرَ المالُ فيكم فيفيض، حتى يهم ربُ المالِ من يقبلُ صدقته، وحتى يَعرضه، فيقول الذي يعرضه عليه: لا أَرَبَ**»[٤] أيْ: لا حاجة لِي فيه قال في «الإشاعة»[٥]: وهٰذا وقع في زمن عثمان رضي الله عنه، وكثرت الفتوح حين اَقتسموا أموال الفرس والروم، ووقع في زمن عمر بن عبد العزيز: أنَّ الرجل كان يَعرضُ ماله للصدقة فلا يجد من يقبل صدقته، وسيقع ذٰلك في زمن المهدي وعيسى، والله أعلم./ ٣٠٠/

---

(١) انظر: «سلك الدرر» للمرادي.   (٢) انظر: «مسند أحمد» ٦/ ٢٥.

(٣) انظر «السنن» ٥/ ٧٢٤ (٣٩٢٩). قال الترمذي: هٰذا حديث غريب إنما نعرفه من حديث سليمان بن حرب.

(٤) البخاري (٧٣)، ومسلم كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة (١٥٧).

(٥) ص(٤٩).

ومنها أن تزولَ الجبالُ عن أماكنها أخرج الطبراني عن سمرة رضي الله عنه: **«لا تقوم الساعة حتى تزول الجبال عن أماكنها»**.

ونقل الجلال السيوطي، في« تاريخ الخلفاء»[1]: أن في سنة اثنين وأربعين بعد المائتين، في خلافة المتوكل، سار جبلٌ باليمن عليه مزارع لأهله، حتى أتي مزارع آخرين، وفي سنة ثلاثمائة في خلافة المقتدر، سار جبلُ بالدينور في الأرض، وخرج من تحته ماء كثير غرق القرى.

ومنها فُقدان الصَّحابة رضوانُ الله عليهم. ففي الحديث **«لا تقوم الساعة حتى يُلتَمسُ الرجلُ من أصحابي، كما تُلتمس الضالة، فلا يوجد»**. رواه الإمام أحمد عن علي مرفوعًا[2].

ومنها وقوعُ ثلاثِ خسوفات:

أخرج الطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها، **«سيكون بعدي خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب وخسفٌ في جزيرة العرب»** قيل: تُخسفُ الأرض وفيهم الصالحون قال: **«نعم إذا أكثر أهلها الخبث»**[3] وفي حديث حُذيفة بن أُسيد اطّلَعَ علينا رسول الله ﷺ، ونحن نتذاكر الساعة فقال: **«إنها لن تقوم حتى تَرَوا قبلهَا عشرَ آيات»**، فذكر منها ثلاثة[4] خسوف خسفًا بالمشرق وخسفًا بالمغرب، وخسفًا بجزيرة العرب.

---

(١) (٢٩٦).

(٢) رواه أحمد ١/ ٩٣، وابن عدي في الكامل ١/ ٤٢٥ من رواية الحارث عن علي، وهو ضعيف.

(٣) رواه الطبراني في «الأوسط» (٣٦٤٧) بإسناد فيه ضعف لكن يشهد له ما بعده.

(٤) في الأصل ثلاث والصواب ما أثبتناه.

رواه الستة إلا البخاري(١).

وقد وقعت الخسوفات الثلاثة: فوقع في سنة ثمان ومائتين أنه خسف بثلاث عشرة قرية بالمغرب، وفي خلافة المطيع سنة ست وأربعين وثلثمائة، وقع بالري ونواحيها زلازل عظيمة، وخسف ببلد طالقات، ولم يفلت من أهلها إلا ثلاثين نفسا وخسف بمائة وخمسين قرية من قرى الري، واتصل الأمر إلى حلوان فخسف بأكثرها، وقذفت الأرض عظام الموتى، وتفجرت منها المياه، وتقطعت بالري جبالٌ وعلقت قرية بين السماء والأرض بمن فيها، نصف نهار ثم خسف بها، وتخرقت الأرض خروقًا عظيمة، وخرج منها مياه منتنة، ودخان عظيم كذا نقله الجلال السيوطي /٣٠١/ عن الحافظ ابن الجوزي، وناهيك بهما علمًا وثقة وحفظًا وفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة، خسف بقرية من أعمال بصرى، وفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، خسف ببلد بُحيرة وصار مكان البلد ماءً أسودَ قاله في «الإشاعة» قال وخُسف في زماننا بعدة قُرى، ناحية أذربيجان وغيرها من ديار العجم.

ومنها كثرة الزلازل.

ففي البخاريِّ وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه، «لا تقوم

---

(١) رواه مسلم (٢٩٠١)، والترمذي (٢١٨٣)، وابن ماجه (٤٠٥٥)، وأحمد ٦/٤ و٧، وابن حبان (٦٨٤٣).

الساعة حتى يُقبضَ العلمُ وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهرُ الفتن ويكثر الهرْج»، وهو القتل[١].

وقد وقع أوّل خلافة المتوكل سنة ٱثنين وثلاثين ومائتين زلزلة مَهولة بدمشق، سقطت منها دور وهلك تحتها خلق كثير، وامتدت إلى أنطاكية فهَدمَتْها، وإلى الجزيرة فأحرقتها، وإلى الموصل فيُقال: هلك من أهلها خمسون ألفا، وقد زُلزلت زَلازلُ كثيرة جدًا، فلا نطيلُ بذكرها.

ومنها المسخ والقذفُ ففي حديث عند الإمام أحمد ومسلم والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: **«يكون في أمتي خسفٌ ومسخٌ وقذفٌ»**[٢].

---

(١) رواه البخاري (٦٠٣٧) و(٦٠٦١)، وأبو داود (٤٢٥٥)، وابن حبان (٦٧١١) و(٦٧١٧)، وأحمد ٢/ ٥٢٥ و٥٣٠، والطبراني في الأوسط (٨٦٧٧).
وانظر: أحمد ٢/ ١٦١ و٢/ ٢٨٨ و٢/ ٥٢٤ و٢/ ٢٣٣ و٢/ ٣١٣.

(٢) الحديث روي عن طريق عبد الله بن عمرو بنفس لفظ المؤلف عند أحمد ٢/ ١٦٣، وابن ماجه (٤٠٦٢)، والحاكم ٤/ ٤٤٥، وابن عدي في الكامل ٦/ ٢١٣٥ ومن طريق عبد الله بن عمر. عند أحمد ٢/ ٩٠، ٢/ ١٠٨ و٢/ ١٣٦، وأبو داود (٤٦١٣)، وابن ماجه (٤٠٦١)، والترمذي (٢١٥٢) و(٢١٥٣).
وله شاهد من حديث أبي هريرة عند ابن حبان (٦٧٥٩).
ومن حديث سهل بن سعد عند ابن ماجه (٤٠٦٠) قال في الزوائد: وإسناده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وعند ابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه: «**بين يدي الساعة مسخٌ وخسفٌ وقذفٌ**»[١] وعند الترمذي عن عائشة رضي الله عنها، مرفوعًا «**يكون في آخر هٰذه الأمّة خسفٌ ومسخٌ وقذفٌ**» قيل يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثرُ الخبثُ**»[٢].

وقد قدمنا الكلام على وقوع الخسف، وأما المسخ فقد وقع لأشخاص منهم ما نقله في «الإشاعة»[٣] قال قد صحَّ عن غير واحد أنَّ في زمن فاطمية مصرَ كانوا يجتمعون بالمدينة يومَ عاشوراء في قبة العباس: يعني الأرفاض، فيسبون الشيخين رضوانُ الله عليهما، ويسبُّون الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فجاء رجل فقال: من يُطعمني في محبة أبي بكر فخرج إليه شيخٌ، وأشار إليه أن اتبعني، فأخذه إلى بيته وقطع لسانه، ووضعه في يده /٣٠٢/ وقال: هٰذه بمحبة أبي بكر، فذهبَ الرجلُ إلى المسجد وسلم على رسول الله ﷺ، وعلى الشيخين رضوانُ الله عليهما، ورجع ولسانُه في يده، فقعد حزينًا عند باب المسجد وغلبه النوم، فرأى النبي ﷺ في منامه، ومعه أبو بكر

(١) ابن ماجه (٤٠٥٩)، قال في الزوائد: رجال إسناده ثقات إلا أنه منقطع، وأخرجه البزار (١٤٥٧)، وأبو نعيم في الحلية ٧/ ١٢١.

(٢) في الأصل كَثُرَ وعند الترمذي «ظهر».
ورواه الترمذي (٢١٨٥)، وفي إسناده عبد الله بن عمر العمري قال الترمذي: هذا حديث غريب من حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه وعبد الله بن عمر تكلم فيه يحيى بن سعيد من قبل حفظه. والحديث في السنن الواردة في الفتن ٣/ ٧١٠ (٣٤١).

(٣) ص٥١ .

رضي الله عنه، فقال لأبي بكر رضي الله عنه: هٰذا الرجلُ قُطِعَ لسانُه في محبتك فَرد عليه لسانه، فأخرج اللسانَ من يده ووضعه في محله، فانتبه فإذا لسانُه كما كان قبل القطع، وأحسن فلم يخبر بذٰلك أحدًا، ورجع إلى بلاده فلما كان العام القابل، رجَع إلى المدينة، دخل القبة[١] يوم عاشوراء طلب شيئًا بمحبة أبي بكر، فخرج إليه شاب وقال اتبعني فتبعه، فأدخله الدار التي قطع فيها لسانُه فأكرمه الشاب، فقال الرجل إني أتعجب من هٰذا البيت، لقيتُ فيه العام الماضي مُصيبة ومهانة، وهٰذه السنة لقيتُ ما أرى من الإكرام فقال الشاب: كيف القصة؟ فأخبره بالقصة فانكب على يده ورجليه وقال: ذٰلك أبي وقد مسخه اللهُ قِردًا وكشف عن ستارة فأراه قردًا مربوطًا وأحسن إلى الرجل، وتاب عن مذهبه وقال: اكتم عليَّ أمرَ والدي[٢].

وقد ذكر هٰذه القصة ابن حجر في «الزواجر»[٣] بنحو هٰذا اللفظ، وذكرها السمهودي والقسطلاني في «المواهب»، وابنُ حجر أيضًا في «الصواعق» وفي «الزواجر»[٤]: أنَّه كان بحلبٍ رجلٌ يسبُ الشيخين، فلما مات نبش قبره شباب ليفعلوا معه أمرًا، فوجدوه خنزيرًا فأحرقوه.

---

(١) هذه من الأمور البدعية والتي لا يقرها الإسلام. وهي بناء القبب على القبور.

(٢) هذه القصة وأمثالها كثير يوردها المؤلف رحمه الله بدون زمام ولا خطام ودين الله مكتمل فيه الكفاية قال تعالى: (إن الذين يدعون من دون الله لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا). فينبغي علينا تنزيه الدين من كل نقص والسعي في تطهير مصادره من كل عيب.

(٣) انظر: ص٢٣٢-٢٣٣ .

(٤) انظر: «الزواجر» ص٢٣٢ .

وذكر السيوطي في «تاريخ الخلفاء»[١]: أن في سنة آثنين وثمانين وسبعمائة في خلافة المتوكل سادس الخلفاء العباسيين الذين كانوا بمصرَ، ورد كتابٌ من حلب يتضمنُ أن إمامًا قام يُصلي وأن شخصًا عبث به في صلاته، فلم يقطع الإمام الصلاة، حتى فرغ وحين سلم آنقلب وجه العابث وجه خنزير، وهربَ إلى غابة هناك.

وأما القذفُ فالمراد به الرجم، نقل السيوطي في «تاريخ الخلفاء»[٢] أن في سنة خمس وثمانين ومائتين مُطرت /٣٠٣/ قريةُ بالبصرة حجارةً سوداء وبيضاء ووقع بَرد، وزن البردة مائة وخمسون درهمًا.

وفي سنة آثنين ومائتين رُجمت قرية السويدي بالحجارَة، ووُزن حجر من الأحجار، فكان عشرة أرطال، وفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، في خلافة المقتدي، جاءت ريحٌ سوداء ببغداد واشتدَّ الرعدُ والبرق وسقط رمل وتراب كالمطر، وفي سنة نيف وستين بعد الألف، مُطرت حجارة سود كبيرة عريضة قَدْرَ بيض الدجاج وأكبر في الصيف والسماء مصحية ببلاد الأكراد، بين هيزا وكفرا، وكان يُسمعُ لها حِسٌ من مسافة يوم. ذكره في «الإشاعة»[٣].

تنبيه: ورد عنه ﷺ، الآيات بعد المائتين، فيحتمل بعد المائتين من الهجرة ويحتمل بعد المائتين بعد الألف، ويؤيد الأول أنَّ جُلَّ الآيات التي ذكرناها، وقع بعد المائتين وإن حُمل على الثاني فالمرادُ أمهاتها كما يأتي، وقد أضربنا من هٰذا الباب عن أشياء كثيرة خوف

---

(١) ص٤٣٧. (٢) (٣١٩).

(٣) ص ٥٢ .

الملال. وضيق الحال فنسأل الله التوفيق وحسن الختام، والحشر مع خير فريق ببركة محمد عليه الصلاة والسلام[1].

---

(١) هٰذا التوسل الممنوع فيقال ببركة حبنا لمحمد ﷺ أو ببركة أتباعنا لرسول الله ﷺ ولعل هٰذا مراد المؤلف رحمنا الله وإياه. وانظر «الإشاعة» (٦٩-٧٠).
فائدة الإخبار عن إمارات الساعة وأشراطها لا ينزل على الواقع بل نؤمن به ونعتقد أن ما أخبر به النبي ﷺ صدقاً.

الباب الثاني

في الأمارات المتوسطةُ التي ظهرتْ ولم تنقض[١]، بل تتزايد وهي كثيرةٌ جدًا

منها قوله ﷺ: «لا تقومُ الساعة حتى يكونَ أسعدَ الناس بالدُنيا لُكع بنُ لُكع»[٢] رواه الإمام أحمد والترمذي، والضياء عن حُذَيفَة وابن مردوية عن علي و«اللكع»[٣]: العبد والأحمق واللئيم، والمعنى: لا تقومُ الساعةُ حتى يكونَ اللئام والحمقاء ونحوهم رؤساء الناس،

(١) ما أثبت من (ب، ط).

(٢) رُوي عن غير واحد من الصحابة.

فروي عن أبي هريرة رواه أحمد ٢/ ٣٢٦ (٨٣٢٠م)، ٨٣٢٢، وابن عدي في الكامل ٦/ ٢١٠١، والبزار (٣٣٥٨-كشف الأستار).

وروي عن أبي بردة بن نيار رواه أحمد ٣/ ٤٦٦ وسنده حسن. والطبراني في الكبير ٢٢/ (٥١٢).

وعن حذيفة بن اليمان عند الترمذي (٢٢٠٩)، ونعيم بن حماد (٥٥٤)، وأحمد ٥/ ٣٨٩، ٥/ ٤٣٠، وتهذيب الكمال (٢٣٤١٥).

وعن بعض أصحاب النبي ﷺ عند أحمد ٥/ ٤٣٠، والطحاوي في شرح المشكل (٢٠٥١)، ونعيم بن حماد ٢/ ٤٦٥ (١٣١٢).

وعن أنس بن مالك: الطبراني في الأوسط (٦٣٢)، وأورده الهيثمي في المجمع ٧/ ٣٢٥-٣٢٦ وقال: رجاله رجال الصحيح غير الوليد بن عبد الملك بن مسرح وهو ثقة. وابن حبان (٦٧٢١)، والضياء في المختارة (٢٧٢٧).

وعن الزهري مرسلاً: نعيم بن حماد ١/ ٢٠١.

(٣) في (ط): (والكع).

وقد ولع أهل الأدب في هٰذا المعنى؛ لأنّ الدهر فوق نبال الحرمان لذوي الفطانة والرجحان، فمن ذٰلك قول بعضهم وقد أحسن للغاية:

أرى حُمرا تُروى وتأكل ما تَهوى ... وأسدًا جياعا تظمأ الدّهر لا تروى

وأشرافُ قوم لا ينالون قُوتهم ... وقومًا لئامًا يأكلوا المنّ والسّلوى

قضاء لجبَّارِ السموات سابق ... وليس على ردّ القضا أحدٌ يقوى/ ٣٠٤/

ومن عرف الدَهر الخؤون وعدله ... فيصبر في البلوى، ولم يظهر الشكوى

وأيقن أنَّ الرّزق لابدَ أن يجيء ... لميقاته فليصحب البرّ والتَّقوى

وقال الآخر:

لا خير في دهر تعزُّ لئامُه ... وبعكس ذي الأشياء تهان كرامه

وابن السفَاهَة إن تولى رتبة ... بين الملأ زادَ الكَلامُ كلامه

وهٰذا باب واسع جدًا ومن ذٰلك أي من الأمارات قوله ﷺ: «يأتي على الناس زمانٌ الصابر على دينه كالقابض على الجمر»[1] رواه

---

(١) جاء في هامش الأصل ما يلي:
قوله الصابر على دينه كالقابض على الجمر، هذا كناية منه ﷺ عن عدم المساعد والمعاون في الدين وقلة وفاء الخلق حين يكون المال والسعة للكع بن لكع وقد ولي الأمور السفلة فلا يُرى الفقير إلا بائسًا فهو في همٍّ دينه وهَمٍّ دنياه، فلا هو قادر على ما يعول أهله ليتخلى للعبادة، ولا الأمر منتظم له لينال مراده وَلعمرِ الله إن زماننا هذا موجود فيه وزيادة فيالله كم من ذي فطنة يقول:

ألا موت يباع فأشتريه ... فهذا العيش ما لا خير فيه

ألا موت لذيذ الطعم حتَّى ... يخلصني من العيش الكريه

إذا أبصرت قبرًا من بعيد ... وددت أنني مما يليه

الترمذي عن أنس[١].

وقوله ﷺ: «**لا تقوم الساعةُ حتَّى يتباهَى الناسُ في المساجد**» رواه الإمام أحمدُ وأبو داود وابن ماجة وابن حبان، عن أنس رضي الله عنه[٢].

وقوله ﷺ: «**يكون في آخر الزمان عبادٌ جهال وقراء فسقه**»[٣] وفي لفظ فُسَّاق رواه أبو نعيم والحاكم عن أنس.

---

(١) رواه الترمذي في سننه ٤/ ٥٢٦ (٢٢٦٠) وقال عقبة: هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي العلل ت(٦١١).
وابن عدي في الكامل ٦/ ١١٣ ترجمة عمر بن شاكر.
والمزي في التهذيب ٢١/ ٣٨٥-٣٨٦ جميعهم من رواية أنس.
وأخرجه أحمد ٢/ ٣٩٠-٣٩١ (٩٠٧٣) من رواية أبي هريرة بلفظ: «**المتمسك يؤمئذ بدينه كالقابض على الجمر**» أو قال: «**على الشوك**».
وذكره الهيثمي في المجمع ٧/ ٢٨١-٢٨٢ وقال: رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح.
وله شاهد آخر من رواية أبي ثعلبة الخشني فمن حديث مطول عند أبي داود ٢/ ٥٢٦ (٤٣٤١)، والترمذي ٥/ ٢٥٧ (٣٠٥٨)، وابن ماجة ٢/ ١٣٣٠ (٤٠١٤)، وابن حبان (٣٨٥) «بلفظ فإن من وراءكم أياما، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر».

(٢) رواه أحمد ٣/ ١٣٤ و١٤٥ و٢٣٠، وأبو داود (٤٤٩)، والنسائي ٢/ ٣٢، وابن ماجة (٧٣٩)، وابن خزيمة (١٣٢٢)، وابن حبان (١٦١٤) و(٦٧٦٠)، وأبو يعلى (٢٧٩٨)، والضياء في المختارة (٢٢٣٦)، وابن حجر في «تغليق التعليق» ٢/ ٢٣٦.

(٣) المجروحين (٣/ ١٣٥) ميزان الاعتدال (٤/ ٤٦٩) الحاكم (٤/ ٣١٥) الحلية لأبي نعيم (٢/ ٣٣١) وانظر تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (١٥١) وضعفه الذهبي كما في الميزان والعراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين.

ومنها أن يُرى الهلال ساعة يطلع فيُقال: «لليلتين لانتفاخه وكبره»[١] روى معناه الطبراني عن ابن مسعود. وفي لفظ «من أشراط الساعة ٱنتفاخُ الأهلة» بالخاء المعجمة أي عظمها يُقال: رجلٌ منتفخٌ ومنفوخ أي سمين وروى بالجيم من ٱنتفج جنبا البعير إذا ٱرتفعا وعَظُما خلقةً يُقال نفجت الشيء فانتفج أي رفعته وعظمته.

ومنها: ٱتخاذُ المساجد طرُقا[٢].

ومنها ما أخرجه أبو نعيم في «الحلية» عن أنس رضي الله عنهُ مرفوعًا: «من ٱقتراب الساعة ٱثنان وسبعون خصلة، إذا رأيتم الناس أماتوا الصّلاة وأضاعوا الأمانة وأكلوا الربا، واستحلوا الكذب، واستخفوا بالدّماء، واستعلوا البناء وباعوا الدّين بالدنيا، وتقطعت الأرحام، ويكون الحكم ضعفا، والكذب صدقا، والحرير لباسا، وظهر الجور، وكثر الطلاق، وموت الفجأة، وائتمن الخائن، وخُوِّنَ الأمين وصُدِّق الكاذب، وكُذِّبَ الصادق، وكثر القذف، وكان المطر قيظًا (أي في الصيف فلا يُفيد شيئًا) والولد غيظًا (أي يغيظ والديه بعقوقه)، وفاض اللئام /٣٠٥/ فيضا، (أي: كثروا) وغَاظَ الكرام غيظا (أي: نقصوا)، وكان الأُمراء والوزراء والأمناء خونة، والعرفاء ظلمة، والقرّاء فسقه إذا لبسوا مسوك (أي: جلود) الضأن قُلوبهم أنتنُ من

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٩٣٧٦) من حديث أنس بنحوه.
وأورده الهيثمي ٣/ ١٤٧ من حديث أبي هريرة وفيه من لا يعرف.

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٤٤٦).

الجيفة، وأمرٌ من الصبر، يُغشيهم الله فتنة يَتَهَاوَكُون فيها (أي: يتساقطون فيها) تهاوك اليهود والظَّلَمة، وتظهرُ الصفراء (يعني: الدنانير)، وتُطلَبُ البيضاء، (يعني: الفضَّة) وتكثر الخطباء (أي: فلا يخطبون حينئذ لله، ولا للاستحقاق وإنما يشترون وظيفة الخطابة، فيكثر الراغبون في ذٰلك)، ويقلّ الأمر بالمعروف، وحُلِّيت المصاحف، وصوّرت المساجد، وطوّلت المنابر، وخرِّبت القلوب، وشرُبت الخمور، وعُطّلت الحدود، وولَدتِ الأمةُ ربّتها وترى[1] الحفاةَ العراةَ صاروا ملوكا، وشاركت المرأة زوجها في التجارة، وتشبَّهَ الرجالُ بالنساء والنساء بالرجال، وحُلف بغير الله، وشهدَ المَرْءُ من غير أن يُستشهد، وسلم للمعرفة أي ما ٱبتدأه بالسلام إلا لمعرفته له، وتفقه لغير الله، وطُلِبت الدُنيا بعمل الآخرة، واتخذ المغنم دُوَلاً، (وهو بضم الدال وفتح الواو يجمع على دُوُلة بالضم ما يُتداول من المال، فيكون لقوم دون آخرين ومعناه: إذا ٱختُص الأغنياء وأرباب المناصب بأموال الفيء[2]، ومنعوها مستحقيها كما في النهاية. والله أعلم) والأمانة مغنما، (يعني الوديعة)، والزكاة مغرما، وكان زعيم القوم (أي ضمينهم) أرذلهم، وعق أباه الرجُل، وجفا أمّه وبرّ صديقه، وأطاع ٱمرأته، وعَلتْ أصواتُ الفسقة في المساجد، واتُخذَتِ القيناتُ (جمع قينة، وهي المغنية) والمعازف، (وهي: آلات اللهو) وشربت الخمور في

---

(١) في (أ) و(ط) تمرات وفي ب (وترا) وما أثبت من المحقق.

(٢) في (أ) الغني والمثبت من (ب) و(ط).

الطّرق، واتُّخذ الظُّلم فخرًا وبيع الحكم، وكثرت الشُرَط واتّخذ القرآن مزامير، وجلود السّباع صفافا، بأن يجعل على السروج كما يفعله وزراء زماننا، ولَعَن آخِرُ هٰذه الأمّة أوّلَها، فليرتقبوا عند ذٰلك ريحًا حمرا، وخَسفًا ومسخًا وقذفًا وآيات[1].

ومنها ما رواه الإمام أحمد، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن سلمان /٣٠٦/ موقوفًا والحسنُ بن سفيان وابن عساكر مرفوعًا «**إذا ظهر القول وخُزن العمل، وائتلفتِ الألسن واختلفت القُلوب، وقَطع كلّ ذي رحم رحمه، فعند ذٰلك لعنهم الله فأصمّهم وأعمى أبصارهم**»[2].

ومنها ما أخرجه أبو الشيخ وعويس والديلمي عن أمير المؤمنين عليّ كرّم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من اقتراب الساعة إذا رأيتم الناس أضاعوا الصلاة، وأضاعوا الأمانة واستحلوا الكبائر، وأكلوا الربا وأكلوا الرشا وشيّدوا**: (أي طولوا ورفعوا البناء ويحتمل أن يُرادَ جصّصوها، وعملوها بالشيد)، **واتبَّعوا الهوى، وباعوا الدين بالدنيا، واتخذوا القُرآن مزامير، واتخذوا جلودَ السباع صفافا، والمساجد طرقا، والحرير لباسا، وأكثروا الجَور وفشا الزنا، وتهاونوا بالطلاق**،

(١) الحلية ٣/ ٣٥٨-٣٥٩ وقال أبو نعيم: غريب من حديث عبد الله بن عبيد بن عمير، لم يروه عنه فيما أعلم إلا فرج بن فضالة، وإسناده ضعيف.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (١٥٧٨) والكبير ٦/ (٦١٧٠)، وأبو نعيم ٣/ ١٠٩ من حديث سلمان، وأورده الهيثمي في المجمع ٧/ ٢٨٧ وقال: فيه جماعة لم أعرفهم، قلت: إسناده ضعيف جدًا.

وائتمن الخائن وخوّن الأمين، وصار المطر قيظا، والولد غيظا، وأمراء فجرة، ووزراء كذبة، وأمناءُ خَوَنة، وعُرَفَاءُ ظلمة، وقلَّت العُلماء وكثرت القُراء وقلّتِ الفُقهاء وحُلِّيت المصاحفُ وزخرفت المساجدُ، وطوّلت المنابر، وفَسدتِ القلوب، واتخذ القينات والمعازف، وشربت الخمور، وعُطلّت الحدود، ونُقصت الشهور، (أي بالصّاد المهملة بأن يكون أكثرُها ناقصات) ونُقضت المواثيق، (بالضاد المعجمة والمواثيق جمع ميثاق وهو العهد، ونقضها عدم الوَفَاء بها)، وشاركت المرأة زوجها في التجارة، وركب النساء البراذين: (جمع برذون بكسر الموحدة وسكون الراء وفتح المعجمة فواو ساكنة فنونُ الدابة من الخيل، والمعنى ركبت النساء الخيل كما في بعض الروايات السروج)، وتشبهت النساء بالرجال والرجال بالنساء، ويحلف بغير الله، ويشهد الرجل من غير أن يُستشهد، وكانت الزكاة مغرما، والأمانة مغنما، وأطاع الرَّجل امرأته وعقّ أمّه، وقرَّب صديقه وأقصى أي (أبعد أباه)، وصارت الإمارات مواريث، وسبَّ آخرُ هٰذه الأمة أوّلها، وأكرمَ الرَّجلُ اتّقاء شرّه، وكثرت الشّرط، وصعد الجُهَّال المنابر، ولبس الرجل التيجان، وضيّقت الطرقات، وشيّد البناء واستغنى /٣٠٧/ الرجال بالرّجال، والنّساء بالنّساء، وكثرت خطباء منابركم، وركن علماؤكم إلى ولاتكم، فأحلوا لهمُ الحرام، وحرَّمُوا عليهم الحلال، وأفتوهم بما يشتهون، وتعلم علماؤكم ليجلبوا دنانيركم، ودراهمكم واتَّخذْتم القرآن

تجارة، (أي: أخذتم أجره على قراءته)[١]، وضيعتم حق الله في أموالكم، وصارت أموالكم عند شِراركم، وقطعتمُ أرحامَكم، وشربتم الخمور في ناديكم، ولعبتم الميسر أي بالقمار، ومنه: «الشطرنج ميسر العجم»، وعرضتم بالكبر (بفتحتين الطبل)، والمعزفة والمزامير، ومنعتم محاويجكم زكاتكم، ورأيتموها مغرما، وقُتل البرئ ليغيظ العامَّة (أي: قتل الذي لا قود عليه ليغيظ أقاربه ويترك القاتل، فهو جمع بين قبحين: قتلُ من لا قود عليه، وتركُ من عليه القود، فيفعلون ما نُهوا عنه[٢]، ويتركون ما أمروا به)، واختلفت أهواؤكم، وصار العطاء في العبيد والسقاط، وطفُف المكاييل والموازين، ووليت أموركم

---

(١) في (أ): أخذتم على أجرة قراءته، والمثبت من (ب) و(ط).

(٢) جاء في هامش الأصل هذا الكلام:

قوله فيفعلون ما نهوا عنه إلخ.. ولا شك أن الأنفس جبلت على كراهتها أن تدخل تحت أمر أحد إلا من وفقه الله فيستلذ بامتثال أوامر ربه حتَّى إنه ليتنعم بذلك أشد التنعم وقد صار مجبولاً على حب أمره فليس له في غير ذَلِكَ مطمع، بينهم إذا سمع النداء كأنه يشير له يقفو رضاه ويسرع كما قال من ذاق لذة ذَلِكَ:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدم

أجد الملامة في هواك لذيذة ... حبا لذكرك فليلمن اللوم

وأما الأنفس الخبيثة فهي بمعزل عن هذه الأوصاف الرفيعة حتَّى نرى كثيرًا من الناس يعمل شيئًا لو كلف عمله ما فعله أبدًا ويترك أشياء كلف بها لو لم يكلف بذلك ما تركها أبدًا والله الموفق (مؤلف من خطه نقل).

السفهاء»[١].

ومنها: «إذا وسِّد الأمر وفي لفظ: أُسْنِدَ الأمرُ إلى غير أهله فانتظروا الساعة» رواه البخاري[٢]، ولا شك أنّ هٰذا من ٱقتراب الساعة، وما أحسن قول القائل:

يا دهراً عملتَ فينا أذاكا[٣] ووليتنا بعدَ وجهٍ قفاكا

علَّيْتَ الشرار علينا رؤوسا وأجلستَ سِفْلتنا مستواكا

فيا دهرُ إن كُنت عاديتنا فها قد صنعت بنا ما كفاكا

ومنها: أن الشيطان يتمثل في صورة الرجل، فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب، فيتفرقون فيقولُ الرجل منهم: سمعت رجلاً أعرفُ وجهه ولا أدري ما ٱسمه يحدث. رواه مُسلم في مقدمة صحيحه[٤]، عن ابن مسعود.

وأخرج أيضًا عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن في البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان، يوشك أن تخرج فتقرأ على الناس قرآنا[٥].

---

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (١٤/ ٥٧٣) رقم ٣٩٦٣٩ وجاء في الحديث عن حذيفة وابن عباس في الدر المنثور وتفسير سورة محمد آية (١٨) الإشاعة ص٨٣ وهو بنحو حديث أنس المتقدم، وعليه أمارات الوضع.

(٢) رواه البخاري (٥٩).

(٣) نسبة الأثر إلى الدهر خلاف المشروع.

(٤) مسلم ١/ ١٢ من طريق عبد الرزاق، وهو في المصنف ١١/ ٣٨٣ عن عبد الله بن عمرو.

(٥) مسلم ١/ ١٢ .

ومنها: ما أخرجه الإمام أحمد والحاكم وابن ماجة[١] عن أنس رضي الله عنه، «**إذا كانت الفاحشة في كباركم، والملك في صغاركم، والعلمُ في رذالكم والمداهنة في خياركم**»، يعني: فتقرب إقامة الساعة.

/٣٠٨/ وفي أثناء حديث عمرَ رضي الله عنه، عند مسلم في قصة جبريل عليه السلام قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال ﷺ «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**» قال: فأخبرني عن أماراتها قال: «**أن تلدَ الأمة ربّتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشّاء يتطالون في البنيان**» الحديث[٢]. قال الحافظ ابن رجب، في (شرح الأربعين النووية)[٣]: يعني أن علم الخلق في وقت الساعة سواء قال: وهٰذا إشارة إلى أن الله تعالى ٱستأثر بعلمها، ولهذا في حديث أبي هريرة قال ﷺ: «**في خمس لا يعلمهن إلا الله ثم تلا** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤][٤]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ [النازعات: ٤٢، ٤٣، ٤٤] إلى غير ذٰلك من الآيات.

---

(١) رواه أحمد ٣/ ١٨٧، وابن ماجة (٤٠١٥)، وأبو نعيم ٥/ ١٨٥ بنحوه، وإسناده لا بأس به.

(٢) مسلم ١/ ٣٦ وتقدم والبخاري (٤٧٧٧).

(٣) وهو جامع العلوم والحكم. الحديث الثاني.

(٤) البخاري (٤٧٧٨).

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر مرفوعًا «**مفاتيح الغيب خمس لا يعلّمها إلا الله**» ثم قرأ هٰذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية[١].

وخرّجهُ الإمامُ أحمد[٢] ولفظه أن النبي ﷺ قال: «**أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمسُ**» ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾.

وخرج أيضًا[٣] عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أوتي نبيكم ﷺ مفاتيح كُل شيء غير خمس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية.

فبما ذكرنا علم أن علم الساعة كبقية الخمس، لم يَطَّلِعَ عليه أحدٌ إلا الله سبحانه وتعالى، ليس إلا والذي حَملنا على ذكر هٰذا هُنا هو أنَّا ٱجتمعنا ببعض من يُظَنُّ به الفضلُ فزعم أن آحاد الأولياء فضلاً عن الأنبياء أطلعه الله على علم الساعة، كبقية الخمس فعارضته بالآيات الصريحة، والأخبار الصحيحة، فكابر ولم يرعو، ولا جرم أن في زعمه مصادمة للكتاب والسنة، ولم نر أحدًا ممَّن يُعتمد على كلامه ذكر في شرح هٰذا الحديث ما ذكره هٰذا القائل، بل ابن حجر الهيتمي[٤] نقل عبارة الحافظ ابن رجب ولم يذكر غيرها، ثم قال في آخرها ففيه أنه ينبغي للمفتي والعالم وغيرهما إذا سئل عما لا يعلم أن

---

(١) البخاري (٤٦٩٧).
(٢) المسند ٢/ ٨٥.
(٣) المسند ١/ ٣٨٦.
(٤) في كتابه «فتح المبين لشرح الأربعين» ص٨٢.

يقول: لا أعلم وإنّ ذٰلك لا يُنقصه، بل يُستدلُ به على ورعه وتقواه، وكذا ذكر تلميذ الطوفي في شرحه كهو، فلا أدري من أين هٰذا القائل علم أنَّ آحاد الأولياء علم[1] ذٰلك فلينتبه، والله الموفق.

والحاصل أن النّبي ﷺ، ذكر في الحديث علامتين الأولى: أنْ تلد الأمة ربتها: أيّ سيِّدتها، وفي حديث أبي هريرة ربَّها قال الحافظ ابن رجب: وهٰذا إشارة إلى فتح البلاد وكثرة جلب الرقيق، حتى تكثر السراري، ويكثر أولادهن، فتكون الأمة رقيقة لسيدها، والأولاد منها بمنزلته، فإن وَلد السَّيِّد بمنزلته فيصير ولد الأمة بمنزلة ربها ثم قال: وقد فُسِّر قولهُ: «**تلد الأمة ربّتها**» بأن يكثر جلب الرقيق؛ حتى تُجلب البنت، فتعتق ثم تجلب الأمّ فتشتريها البنت، وتستخدمها جاهلةً بأنها أمها.

قال: وقد وقع هٰذا في الإسلام وقيل معناه: أن الإماء يلدنَ الملوك، وقال وكيع يلد العجم العرب والعرب ملوك العجم، وأرباب لهم. ٱنتهى كلامُ الحافظ ابن رجب[2].

زاد ابن حجر أو عقوق الأولاد لأمّهاتهم، فيعاملونهم معاملة السيد لأمته من الإهانة، والسّبّ قال: ويستأنس له برواية أن تلد المرأة ولم يذكر ابن حجر قول وكيع والله أعلم.

---

(١) المثبت من (ب)، و(ط) وفي (أ) علىٰ.

(٢) وقد يستجد أمور لا يعلمها إلا الله مثل ما يحصل في هذه الأزمنة من استئجار الأرحام وغيرها.

الثانية: قوله ﷺ: «**أنْ ترى الحُفاة**» الخ: المرادُ بالعالة الفقراء وقوله رعاء الشاء[١] يتطاولون في البنيان. قال الحافظ ابن رجب: هكذا في حديث عمر والمراد: أن أسَافِلَ الناس يصيرون رؤساءهم، وتكثر أموالهم حتى يتباهون بطول البنيان، وزخرفته وإتقانه، وأطال الحافظ في شرح الحديث والله الموفق.

(١) كذا في (أ) والمثبت من (ب)، و(ط) الشاة.



الباب الثالث

في العلامات العظام، والأمارات القريبة الجسام، التي تعقبها الساعة وفيه اثنا عشر فصلا.

الفصل الأول: في المهدي /٣١٠/ وما يتعلق به

وفيه ثلاث مقامات:

المقام الأول: في اسمه ونسبه، ومولده ومبايعته، وهجرته وحليته وسيرته.

أما اسمه: ففي أكثر الروايات أنه محمد وفي بعضها أنه أحمد، واسم أبيه عبد الله، فقد صحّ عنه ﷺ أنه قال: «**يواطئ أي: يوافق اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي**»[1].

قال في الإشاعة[2]: وتعسّف بعض الشيعة فقال: إن هٰذا تحريف والصواب: أنه اسم ابني بالنون، يعني: الحسن[3] أو أن المراد بأبيه جده الحسين، والمراد باسمه كنيته، فإن كنية الحسين أبو عبد الله فمعناه: أن كنية جده الحسين يُوافق اسم والد النبي ﷺ، وذٰلك لاعتقادهم أنه محمد بن الحسن العسكري، وهو باطل لهٰذه التعسفات

(١) رواه أحمد ١/ ٣٧٦ و٣٧٧ و٤٣٠ و٤٤٨، وأبو داود (٢٨٢)، والترمذي (٢٢٣٠) و(٢٢٣١)، والحاكم ٤/ ٤٤٢ وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) الإشاعة ص٨٧.

(٣) يقصدون: أن المهدي محمد بن الحسن العسكري.

والتكلفات، وأيضًا، فإن محمد بن الحسن هٰذا قد مات، وأخذ عمّه جعفر ميراث أبيه الحسن، وأيضًا فإن المهدي يبايع أربعين سنة أو أقل وأيضًا فإن مولد المهدي بالمدينة (بخلافه)[1]، وأيضًا ففي رواية ابن المنادي ما يرد كلامهم، عن علي كرم الله وجهه، فيجيء الله بالمهدي محمد بن عبد الله ٱنتهى. ملخصًا.

قُلْتُ: ولا ريب في فسادِ ما قالوهُ، وبطلان ما ٱنتحلوه، وزعمت الكيسانية أن المهدي هو محمد بن الحنفية، وأنه حيٌ مُقيمٌ بجبل رضوى، وأنه بين أسدين يحفظانه، وعنده ثَمَ عينان نضاختان، تجريان بماء وعسل، وأنه يعودُ بعد الغيبة، ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورًا، وإنما عُوقب بهٰذا الحبس لخروجه إلى عبد الملك بن مروان، وقيل إلى يزيد بن معاوية، وكان السيد الحميري على هٰذا المذهب وهو القائل:

ألاَ قل للوصيِّ فدتك نفسي أطلت بذٰلك الجبل المقاما

وهٰذا (القول)[2] وشبهه من خرافات أهل الرفض والبدع، وإذا تأملت مقالات أهل الزيغ ألفيتها على هٰذا النمط يضحك منها العاقل، ومن يضلل الله فما له من هاد، والله أعلم.

وأما لقبهُ: فالجابر، لأنه يجبر قلوبَ أمّة محمد ﷺ، أو لأنه يجبر أي يقهر الجبارين والظالمين /٣١١/ ويقصمهم.

---

(١) ليست في (أ) واستدركناها من (ب) و(ط).

(٢) ليست في (ب) و(ط).

وكُنيته: أبو عبد الله، وأما نَسبُه فإنه من أهل بيت رسول الله ﷺ، ثم إن الروايات الكثيرة والأخبار الغزيرة ناطقة أنه من ولد فاطمة البتول عليها السلام، وجاء في بعضها أنه من ولد العباس، والأوّل أصح.

قال ابن حجر في كتابه «القولُ المختصر»: وأمّا ما رُوي أن المهدي من ولد العباس عمي، فقال الدارقطني: حديث غريب تفرد به محمد بن الوليد، مولى بني هاشم قال: ولا ينافي خبر الرافعي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «**ألا أبشرك يا عمَّ إنَّ من ذرتيك الأصفياء ومن عترتك الخلفاء، ومنك المهدي في آخر الزمان، به ينشر الله الهدى، ويطفئ نيران الضلالة، إن الله فتح بنا هٰذا الأمر، وبذريتك يختم**»[1].

وخبر هيثم بن كلب وابن عساكر عن ابن عباس ورجاله ثقات، **اللهم أنصر العباس وولد العباس ثلاثا، يا عمّ أما علمتَ أنَّ المهدي من ولدَك؟ موفقًا راضيًا**[2]؟

وخبر أبي نعيم في الحلية عن أبي هريرة: «**ألا أبشرك يا أبا الفضل، إن الله عز وجل أفتتح بي هٰذا الأمر وبذريتك يختم**»[3].

وخبر الديلمي عن أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «**لن تزال الخلافة في ولد عمي وصنو أبي حتى يسلموها إلى**

(١) أورده في «فيض القدير» ٦/ ٢٧٨ وعزاه للرافعي.
(٢) «تاريخ دمشق» ٢٦/ ٢٩٩ .
(٣) رواه أبو نعيم في الحلية ١/ ٣١٥، وقال الألباني في الضعيفة (٨٢) موضوع.

الدجال»[١].

وخبر الخطيب عن ابن عباس، عن أمه أم الفضل: «**يا عباس أنت عمي وصنو أبي وخير مَنْ أخلفُ بعدي مِن أهلي، إذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة فهي لك، ولولدِك منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدي**»[٢].

وخبر الخطيب وابنُ عساكر عن علي كرّم الله وجهه: «**يا عمّ ألا أخبرك أن الله افتتح هٰذا الأمر بي ويختمه بولدك**»[٣].

وهٰذه كلها (لا تُنافي)[٤] أنه من ذريته ﷺ، من ولد الزهراء لأنَّ أحاديثه أكثر وأصح، بل قال بعض الأئمة الحفاظ أن كونه من ذريته ﷺ، قد تواتر عنه ذٰلك قال ابن حجر: ويُمكن الجمعُ بأنه لا مانع من أن يكون من ذريته ﷺ، وللعباس /٣١٢/ فيه ولادة من جهة أن (في أمه)[٥] عباسية، والحاصل: أنَّ للحسن فيه الولادة العُظمى لأن أحاديث كونِه من ذُريته أكثر وللحُسين فيه ولادة أيضًا، وللعبّاس فيه

---

(١) أخرجه الديلمي في «الفردوس» برقم (٥٣٧١). وأورده الهيثمي ٥/ ١٨٧ وعزاه للطبراني وقال: فيه جماعة لم أعرفهم.

(٢) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» ١/ ٦٣، وقال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» ١/ ٢٩١: هذا حديث لا يصح.

(٣) رواه الخطيب ٣/ ٣٢٣-٣٢٤ و٤/ ١١٧، وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/ ٢٩٢، وقال الألباني في الضعيفة (٨١): موضوع.

(٤) كذا بالأصل، وورد في «القول المختصر» ص٢٢: تنافي.

(٥) كذا بالأصل، وورد في «القول المختصر» ص٢٣: أمهاته.

ولادةٌ أيضًا ولا مانعَ من اجتماع ولادات مُتعددات، في شخص واحد، من (جهةٍ)[1] مختلفة[2]. انتهى

ومَولدُ المهديّ المدينة، رواه أبو نعيم[3] عن علي كرم الله وجهه، وفي مرفوع عبد الله بنِ عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، عند أبي نعيم وأبي بكر بن المقري في «معجمه»[4] يخرج المهدي من قرية يقالُ لها كرعة.

وأمّا مُبايعته: فإنه يُبايَعُ بمكة المشرَّفة بين الرُّكن والمقام ليلة عاشوراء، كما يأتي إن شاء الله تعالى.

وأما مهاجرته فإنه يهاجر إلى بيت المقدس، وأن المدينة تخربُ بَعْدَ هجرته، وتصير مأوى للوحوش، فقد ورد [عن عُمر][5]: عُمرانُ بيت المقدس خَرابُ يثربَ[6].

وأما حليتُه: فإنه آدمُ أي: أسمر، ضرب من الرجال أي خفيفُ اللَّحم، ممشوق مستدقٌ ربْعَة أي: لا بالطويل ولا بالقصير، أجلى الجبهة أي خفيفُ شَعر النَّزعتيْن من الصدْغين، والذي انحسر الشعرُ عن جبهته أقنى الأنف أي: طويله، مع دقة أرنبته، أشم أي رفيع العرنين، أزجُّ أي حاجبيه، فيه تقويسٌ مع طولٍ في طرفه، وامتداده

---

(١) كذا بالأصل، وورد في «القول المختصر» ص٢٣: جهاتٍ

(٢) «القول المختصر»: ص٢١-٢٣ .

(٣) كتاب الفتن (١/ ٣٦٦) وجميع ما ورد هنا فراجعه.

(٤) حديث ٩٤، وأخرجه ابن عدي (٥/ ٢٩٥) من طريق عبد الوهاب به، وانظر معجم البلدان (كرعة) الكاف مع الراء.

(٥) قوله: (عن عمر) ليست في (ب)، ولا (ط).

(٦) رواه أحمد ٥/ ٢٣٢ من حديث معاذ بنحوه.

أبلج أعين أكحل العينين، والأَعْيَن واسع العين، والكحل بفتحتين سوادٌ في أجفان العين خلقة من غير اكتحال، برّاقُ الثنايا، أي: لثناياه بريقٌ أفرقهما، أي: ليستْ مُتلاصقة في خده الأيمن، خال أسود يضيء وجهُه، كأنهُ كوكبٌ دُرّي كَثُ اللِّحية في كفه علامة أزيل الفخذين، أي: مُنفرجُ الفخذين، متباعدُهما لونُه لونُ عربي، وجسمه جسم إسرائيلي، في لسانه ثقل، وإذا أبطأ عليه ضرب فخذه الأيسر بيده اليُمنى، ابن أربعين سنة، وفي رواية ما بين ثلاثين إلى أربعين خاشعٌ لله خشوع النسرِ بجناحيه، عليه عباءتان قطوانيتان[١].

قال في النهاية[٢]: هي عباءة بيضاء قصيرة الخمل والنون زائدة.

وأما سيرته: فإنه يعملُ بسنة النبي ﷺ، لا يُوقظ نائمًا، ويُقاتل على السّنّة لا يتركُ سُنَّة إلا أقامَها ولا بدعة إلا رفعها /٣١٣/ يقومُ بالدين آخر الزمان، كما قام به النبي ﷺ أوّله يملكُ الدنيا كلها، كما ملك ذو القرنين، وسليمان يكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويردُ إلى المسلمين إلفتهم ونعمتهم، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجورا، ويحثو المال حثوا، ولا يَعدُّه عدّا يقسم المال صحاحًا بالسوية، يرضى عنه ساكن السّماء وساكن الأرض، والطير في الجوّ والوحش في القفر، والحيتان في البحر يَملأ قلوب أمّة محمد ﷺ غنى، حتى أنه يأمرُ مناديًا يُنادى ألاَ مَن له حاجة في المال؟ فلا يأتيه إلا رجلٌ واحد، فيقول أنا فيقول ائت السادن أي: الخازن فقل له: المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً فيقول له: احث حتى إذا جعلَه في حجره

(١) انظر: «التذكرة» ص٦٩٩-٧٠٠، و«القول المختصر» ص٢٧-٣٧، ٤١ .
(٢) «النهاية» لابن الأثير ٤/ ٨٥.

وأبرزه ندم، فيقولُ كنتُ أجشع: أي أحرص أمّة محمد ﷺ، أعجز عني ما وسعهم قال: فيردُّه فلا يقبل منه، فيقال له: إنا لا نأخذ شيئًا أعطيناه، تنعَمُ الأمّة بَرُّها وفاجرها في زمنه، نعمة لم يسمعوا بمثلها قط، وتُرسَلُ السماء عليهم مدرارا، لا تدّخر شيئًا من قطرها وتؤتى الأرض أكلها لا تدّخر عنهم شيئًا من بذرها.

تجرى على يديه الملاحم، يستخرج الكنوز ويفتح المدائن ما بين الخافقين، يُؤتَى إليه ملوك الهند مُغَلَّلين، وتجعل خزائنهم لبيت المقدس حُلِيًّا، يأوي إليه الناس كما يأوي النحل إلى عسوبها، حتى يكون الناس على مثل أمرهم الأوّل يمدّه الله بثلاثة آلاف من الملائكة، يَضربونَ وجوه مُخالفيه وأدبارهم، جبريلُ على مقدمته وميكائيل على ساقته، ترعى الشاة والذئب في زمانه في مكان واحد، وتلعب الصبيان والحيّاتُ والعقارب، لا تضرهم شيئًا ويزرع الإنسان مُدّا فيخرج له سبعمائة مدّ، ويرفعُ الرّبا والزنا، وشرب الخمر، وتطول الأعمار وتؤدَّى الأمانة وتهلك الأشرار، ولا يبقى من يبغض آل محمد ﷺ، محبوبٌ أي المهدي في الخلائق، يُطفئ الله به الفتنة /٣١٤/ العمياء، وتأمن الأرض حتى أن المرأة تَحُج في خمس نسوة، ما معهن رجل[١]، ولا يخفن شيئا إلا الله، مكتوب في شعائر الأنبياء ما في حكمه ظلم ولا عيب.

قال ابن حجر في «القول المختصر»: ولا ينافي هٰذا أن عيسى يفعل

---

(١) هذه الفقرة في الفتن لنعيم بن حماد ١/ ٣٥٦ عن الوليد عمن حدثه وقرأه عن كعب من قوله!

وفيه من العلل ما يكفي لرده، فضلاً عن ضعف نعيم.

بعضَ ما ذُكر، من قتل الخنزير وكسر الصليب، إذ لا مانع أن كلا منهما يفعله[١]، أي: فإنا لم نقل أن سيّدنا المهديَّ يستأصِلُ الخنازير والصليب، والله أعلم.

المقام الثاني: في علاماته التي يُعرف بها، والأمارات الدالة على خروجه:

أمّا العلامات فمنها: أنّ معهُ قميصَ رسول الله ﷺ وسيفه، ورايتُه من مِرط مخملة معلّمة سوداء، فيها حجر لم تنشر منذ توفى النبي ﷺ، ولا تنشر حتى يخرج المهدي، مكتوب على رأسه: البيعة لله، كذا في «الإشاعة»[٢]، ومنها أنّ على رأسه عمامةٌ فيها منادٍ ينادي: هٰذا المهدي خليفةُ الله[٣] فاتَّبِعوه، قاله ابن حجر:

(١) «القول المختصر» ص٤٢ . (٢) «الإشاعة» ص٩٠.

(٣) قال الألباني رحمه الله في الضعيفة (٨٥) في تعليقه على أحد أحاديث ذِكر المهدي:
وهذه الزيادة: «خليفة الله»؛ ليس لها طريق ثابت، ولا ما يصلح أن يكون شاهدًا لها، فهي منكرة؛ كما يفيده كلام الذهبي السابق، ومن نكارتها أنه لا يجوز في الشرع أن يُقال: فلان خليفة الله لما فيه من إيهام ما لا يليق بالله تعالى من النقص والعجز، وقد بيّن ذَلِكَ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، فقال في «الفتاوى» (٢/٤١٦):
«وقد ظن بعض القائلين الغالطين كابن عربي، أن الخليفة هو الخليفة عن الله، مثل نائب الله، والله تعالى لا يجوز له خليفة، ولهذا «قالوا لأبي بكر: يا خليفة الله! (فقال: لست بخليفة الله، ولكن خليفة رسول الله ﷺ، حسبي ذَلِكَ)، بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره، قال النبي ﷺ: «اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم اصحبنا في سفرنا، واخلفنا في أهلنا».
وذلك لأن الله حي شهيد مهيمن قيوم رقيب حفيظ غني عن العالمين، ليس له =

ومنها: أنه يغرسُ قضيبًا يابسًا في أرض يابسة فيخضر ويورق.

ومنها: أنَّه يُطْلَب منه آية، فيومئ بيده إلى طير في الهواء فيسقط على يده[1].

ومنها: أنه يُنادي منادٍ من السماء أيها الناس: إن الله قد قطع عنكم الجبارين والمنافقين وأشياعَهم، وولاكم خير أمة محمد ﷺ، فالحقوه بمكة فإنه المهدي، واسمه أحمد بن عبد الله[2].

ومنها: أن الأرض تخرج أفلاذ كبدها، مثل الأسطوانات من الذهب، وأنه يُخرجُ كَنز الكعبة المدفون فيها، فيقسمُه في سبيل الله. رواه أبو نعيم عن علي كرم الله وجهه[3].

ومنها: أنه يستخرج تابوت السَّكينة من غار أنطاكية أو من بحيرة طبرية، فيخرَجُ حتى يُحمَل فَيوضَعُ بين يديه، ببيت المقدس[4]. فإذا نظر

= شريك ولا ظهير، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، والخليفة إنما يكون عند عدم المستخلف؛ بموت، أو غيبة، ويكون لحاجة المستخلف، وسمي خليفة؛ لأنه خلف عن الغزو وهو قائم خلفه، وكل هذه المعاني منتفية في حق الله تعالى، وهو منزه عنها، فإنه حي قيوم، شهيد، لا يموت ولا يغيب... ولا يجوز أن يكون أحد خلفًا منه، ولا يقوم مقامه، إنه لا سَميَّ له، ولا كفء، فمن جعل له خليفة، فهو مشرك به».

(١) «القول المختصر» ص٥٤ . (٢) عقد الدرر في أخبار المنتظر (٣٥).

(٣) انظر فتح الباري ٣/ ٤٥٦ و٤٥٧ و٤٦١.

ويعارضه حديث «لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة» رواه أحمد ٥/ ٣٧١ وأصحاب السنن والحاكم ٤/ ٥٠٠.

(٤) روى هذا الخبر نعيم بن حماد في الفتن ١/ ٣٥٥ من قول كعب. وفي ١/ ٣٦٠ من قول سليمان بن عيسى.

إليه يهودٌ أسلموا إلا قليلاً منهم وتأتيه الرايات السود من خراسان فيرسلون إليه البيعة.

ومنها: **أنه يجتمع بسيدنا عيسى، ويصلي سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام خلفه.**

فائدة: ورد أن أسعد الناس به أهلُ الكوفة والله أعلم.

ومن الأمارات الدالة على خروجه: أنه تنشف الفرات فيحسر /٣١٥/ عن جبل من ذهب، وإنه[1] ينكسفُ القمر أوّل ليلةِ رمضان، والشمس ليلة النصف.

قُلْتُ: ونظّرَ في هٰذا العلاَّمة في «بهجته»، حيث قال بعد ذكره على ما فيه، أي من النظر والله أعلم.

قال في البهجة[2]: فأوَّلُ علامات المهدي كسوف الشمس، والقمر ونجم الذنب، والظلمة وتحاربُ القبائل بذي القعدة، وسماع الصوت برمضان، وذكروا لخروج المهدي آيتين لم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض، فذكر ما ذكرناه من كُسوف الشمس والقمر، قال: وقال شرُيك كما في أبي نعيم في الفتن[3]: بلغني أن القمر قبل

---

(١) جاء في هامش (أ)، و(ط) هذا نصه:
وكان وجه النظر بُعد كسوف القمر في أول ليلة الشهر لأن العادة عدمه ولا يبعد خرق العوايد من خط مؤلف.

(٢) ص١٨٤.

(٣) لم أقف على هذا الخبر عن نعيم بن حماد.

خروجه ينكسف مرتين: برمضان، قال: وورد عن كعب يطلع نجم بالمشرق، وله ذنب يضيء وفيه عن أبي جعفر لا يخرج حتى تزول الظلمة وفي الديلمي مرفوعًا تكون هٰذه في رمضان، توقظ النائم وتفزع اليقظان[1]، ومن وجه آخر يكون صوت في رمضان، في نصف الشهر يصعق منه سبعون ألفا، ويعمى مثلها، ويخرس مثلها، ويصم مثلها، وينفتق من الأبْكارِ مثلها.

ومن علامات خروج المهدي أيضًا خسف قرية ببلاد الشام، يقال لها حرستا كما في «الإشاعة»[2] وغيرها.

ومنها: ما ذكره في الإشاعة أنه ينادي منادٍ من السماء ألا إنَّ الحق في آل محمد، ويُنادي منادٍ من الأرض: ألا إن الحقَّ في آل عيسى أو آل العباس، وإن النداء الأول من الملائكة، والثاني نداء الشيطان.

المقام الثالث: في الفتن الواقعة قبل خروجه:

منها أنه يُحسر الفرات عن جبل من ذهب[3] كما تقدم فإذا سمع به الناس ساروا إليه، واجتمع عليه ثلاثة كلهم ابن خليفة، يقتتلون عنده، ثم لا يصير إلى واحد منهم فيقول: من عنده والله لئن تركت

---

(١) رواه بن الجوزي في الموضوعات ٢/ ١٩٠ وقال: موضوع. وقال الذهبي في ميزان الاعتدال ٢/ ٦٧٥: موضوع. كما حكم الذهبي على مثله بالوضع في مستدرك الحاكم (٤/ ٥٦٣).

(٢) ص (٩٠)، والفتن (١/ ٣٣٩).

(٣) كما في مسلم (٢٨٩٤) من حديث أبي هريرة وسيأتي باقي تخريجه، وأيضًا (٢٨٩٥) من حديث أُبي بن كعب.

الناس يأخذون منه ليذهَبَنَّ بكله فيقتتلون عليه، حتى يُقتل من كل مائة تسعة وتسعون وفي رواية فيقتل تسعة أعشارهم وفي رواية من كل تسعة سبعة، فيقول: كل رجل لعلي أنا أكون أنجو[١] وقد قال ﷺ: «من حضر فلا يأخُذ منه شيئًا»[٢] ./٣١٦/

ومنها: خروجُ السُفياني[٣]، والأبْقعُ، والأصْهَبُ، والأعرج، والكندي، أمّا السفياني: فعن أمير المؤمنين عليّ كرّم الله وَجهه أنه من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان، ويزيد: هو أخو معاوية بن أبي سفيان[٤] وهم ممن أسلم يومَ الفتح ومات يزيد أخو معاوية في خلافة الصدِّيق رضي الله عنه.

والسفياني: رجلٌ ضخمُ الهامة بوجهه آثار الجدري، وبعينه نكتة بيضاء هكذا ورد في حليته، عن علي كرم الله وجهه، وأنه يخرج من ناحية مدينة دمشق، في وادٍ يُقَالُ له وادي اليابس، يؤتى في منامه ويقال

(١) كذا في (أ)، وفي (ب) لعلي أكون أنا أنجو، وفي (ط): (على أن أكون أنا أنجو).

(٢) أحمد ٢/٣٠٦ (٨٠٦٢)، ومسلم (٢٨٩٤)، وابن حبان (٦٦٩١)، وأحمد ٢/٣٣٢ (٨٣٨٨).

(٣) انظر أخبار السفياني الآتية في:
كتاب الفتن لنعيم بن حماد ١/٥٥١ و٩٤ و٢٠٢ و٢٠١٦ و٢٢٠-٢٣١ و٢٤٦، وتاريخ بغداد ١/٣٨-٤٠. و«القول المختصر» ص٤٠-٤١، ٦٤ .
والسنن الواردة لأبي عمرو الداني في الفتن ٤/٩٣٧ (٤٩٧)، ٥/٩٧٨-٩٧٩ (٥٢٢) و٥/١٠٢١ (٥٤٣)، ٥/١٠٢٢-١٠٢٣ (٥٤٤)، (٥٤٥)، والمستدرك ٤/٥٠١-٥٠٢ و٤/٥٢٠ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٤) في (ب) و(ط): (رضي الله عنهم).

له: قم فاخرج فيقومُ فلا يجد أحدًا ثم يؤتى في الثانية، ثم الثالثة، ويقال له فيها فانظر إلى باب دارك فينحدر في الثالثة إلى باب داره، فإذا هو بسبعة أنفارٍ أو تسعة، معهم لواء فيقولون: نحنُ أصحابك ومع رجل منهم لواءٌ معقود يَعرفون في لوائه النصر، يستفرش يديه على ثلاثين ميلاً لا يَرى ذٰلك العَلم يعني اللواء أحدٌ إلاّ ٱنهزم، فيخرج فيهم ويتبعهم ناس من قريات الوادي، وبيد السفياني ثلاث قصبات لا يقرع بها أحدا إلاّ مات، فيسمع به الناس فيخرج صاحب دمشق فيلقاه ليقاتله، فإذا نظر إلى رايته ٱنهزم، فيدخل السفياني في ثلاثمائة وستين راكبا دمشق، وما يمضي عليه شهر حتى يجتمع عليه ثلاثون ألفًا من كلب، وهم أخواله.

وعلامة خروجه خسف بقرية من قرى دمشق أي: وهي حَرَسْتا[1]، ويسقط الجانب الغربي من مسجدها.

ثم يخرج الأبقع والأصهب، فيخرج السفياني من الشام والأبقع من مصر، والأصهب من الجزيرة أي من جزيرة العرب، لا جزيرة ابن عمر فإنها داخلة في جزيرة العرب.

ويخرج الأعرج الكندي بالمغرب ويدوم القتال بينهم سنة، ثم يغلب السفياني على الأبقع والأصهب، ويسيرُ صاحب المغرب فيقتل الرجال، ويسبي النساء ثم يرجعُ حتى ينزل الجزيرة في قيس إلى السفياني فيظهر السفياني على قيس ويحوز ما جمعوا من الأموال ويظهر على الرايات

---

(١) معجم البلدان ٢/ ٢٤١.

الثلاث، ثم يُقاتل الترك فيظهر عليهم، ويفسد في الأرض / ٣١٧/ فيبقرُ بُطونَ النّساء ويقتل الصبيان، ويهربُ رجالٌ من قريش إلى قسطنطينيّة، فيبعث إلى عظيم الروم أن يبعث بهم في المجامع فيبعث بهم إليه فيضرب أعناقهم على باب المدينة بدمشق، ثم ينفتقُ عليهم فتقٌ من خلفهم، فيرجع إليهم ويقتل طائفة منهم، فينهزمون حتى يدخلوا أرضَ خراسان، وتقبلُ خيل السفياني في طلبهم كالليل والسيل، فلا تمرُّ بشيء إلاَّ أهلكته وهدمته، فيهدم الحصون، ويخرب القلاع حتى يدخل الزوراء، وهي بَغداد فيقتل من أهلها مائة ألف، ثم يسيرُ إلى الكوفة فيقتل من أهلها ستين ألفا، ويسبي النساء والذراري، ويبثُ جنودَه في البلاد، فتبلغ عامة المشرق من أرض خراسان، ويطلبُون أهل خُراسان في كل وجه، ويبعث بعثًا إلى المدينة، فيأخذون من قدروا عليه من آل محمد ﷺ، ويقتلون من بني هاشم رجالاً ونساءً، ويؤتى بجماعة منهم إلى الكوفة، ويفترق بقيتهم في البراري، فعند ذٰلك يهرب المهدي والمبيض[1] وفي لفظ: والمنصور في سبعة إلى مكة، ويستخفون فيرسل صاحب المدينة إلى صاحب مكة، إذا قدم عليكم فُلان وفلان، ويكتب أسماءهم فاقتلوهم، فيعظم ذٰلك على صاحب مكة ثم يتآمرون بينهم، فيأتونه ليلاً فيستجيرون به، فيقولُ اْخرجوا آمنين فيخرجون، ثم يبعث إلى رجلين منهم، فيقتل أحدهما، والآخر ينظر إليه ويقتلون النفس الزكية بين الركن والمقام، فعند ذٰلك يغضب الله ويغضب أهل السموات، ثم يرجع

---

(١) في (ب)، و(ط): المبيض.

الآخر إلى أصحابه فيخبرهم، فيخرجون حتى ينزلوا جبال الطائف، فيقيمون فيه، ويبعثون الناس، فينسابُ إليهم ناس فإذا كان كذٰلك غزاهم أهلُ مكة، فيهزمون أهل مكة، ويُدخلونهم مكة، ويقتلون أميرهم، ويكونون بمكة إلى خروج المهدي.

وقد قال أبو عبد الله الحسينُ بنُ علي رضي الله عنهما، لصاحب هٰذا الأمر غيبتان يَعني: المهدي إحداهما: تطول حتى يقول بعضهم مات، وبعضهم ذهب، ولا يطلع على موضعه أحدٌ من وليّ ولا غيره إلا المولى الذي يَلِي /٣١٨/ أمره.

قال في «الإشاعة»[١]: وهاتان الغيبتان - والله أعلم - ما ذكرنا آنفًا أنه يختفي بجبال الطائف، ثمَّ ينسابُ إليه الناس، ويظهر معهم وينهزم أهل مكة، ثم إنه يختفي بجبال مكة ولا يطلع عليه أحد.

ويؤيده ما روي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر أنه يكون لصاحب هٰذا الأمر غيبة في بعض هٰذه الشعاب، وأومأ بيده إلى ناحية ذي طوى، وأمّا زعم الرافضة أنه محمد بن الحُسين العسكري، وأنه غاب ثم ظهر لبعض خواص شيعته، ثم غاب ثانيًا وأنه يراه خواص شيعته، فهو ضرب من الهذيان.

وقد علمت ما ذكرنا عن المهدي أنه لا يَطّلُع على موضعه أحدٌ من ولي ولا غيره، وهٰذا يُنافي زعمهم أنه يَعرفُه خواص شيعته، ولا ريَب في بُطلان كلامهم، فلا نُطيل بالرد عليه، والله الموفق.

---

(١) ص (٩٣).

ويحج الناس في تلك السنة من غير أمير، فيطوفون جميعًا فإذا نزلوا منى أخذ الناس كالكلاب، فيثور القبائل بعضُهم على بعض، فيقتتلون ويُنهب الحاجُ، وتسيل الدماء على جمرة العقبة، ويأتي سبعة رجال علماء من أفق شتى على غير ميعاد، قد بايع لكل منهم ثلاثمائة وبضعة عشر فيجتمعون بمكة، ويقولُ بعضُهم لبعض: ما جاء بكم فيقولون جئنا في طلب هٰذا الرجل الذي ينبغي أن تهدأ على يديه الفتن، وتفتح له قسطنطينية، قد عرفناه باسمه واسم أبيه وأمه.

قال في «الإشاعة»[1]: لم أقف على ٱسم أمّ المهدي بعد الفحص والتتبع، ولعلَّهم يعرفون ٱسمها من طريق الكشف[2]، لا من طريق النقل. ٱنتهى. فيقف السبعة على ذٰلك فيطلبونه، فيصيبونه بمكة، فيقولون أنت فلان فيقول: بل أنا رجلٌ من الأنصار، فيتفلت منهم فيصفونه لأهل الخبرة منهم والمعرفة به، فيقولون: هو صاحبكم الذي تطلبونه، وقد لحق بالمدينة فيطلبونه بالمدينة، فيخالفهم إلى مكة وهكذا إلى ثلاث مرات، ويسمع صاحبُ المدينة بطلب الناس للمهدي، فيجهز جيشًا في طلب الهاشميين بمكة، ويأتي أولئك /٣١٩/ السبعة فيصيبونه في الثالثة، بمكة عند الركن، ويقولن: إثْمُنا عليك ودماؤنا في

---

(١) «الإشاعة» ص٩٣-٩٤.

(٢) الكشف من بدع الصوفية وهو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودًا وشهودًا، كما في التعريفات للجرجاني ص٩٧. والصحيح منه هو «الفراسة».

عنقك، إن لم تمد يدك نبايعك، وهٰذا عسكر السفياني[١] قد توجه في طلبنا، عليهم رجل من حزم ويهددونه بالقتل إن لم يفعل فيجلس بين الركن والمقام، ويمد يده فيبايع فيظهر عند صلاة العشاء معه راية رسول الله ﷺ وقميصه وسيفه[٢].

فإذا صلَّى العشاء أتى المقام فصلى ركعتين، وصعد المنبر ونادى بأعلى صوته: أذكركم الله أيها الناس ومقامكم بين يدي ربكم، ويخطب خطبة طويلة، يرغبهم فيها في إحياء السنن وإماتة البدع، يقول فيها: أذكركم الله أيها الناس ومقامكم بين يدي ربكم، فقد أنجز الحُجة وبعث الأنبياء، وأنزل الكتاب وأمركم أن لا تشركوا به شيئا، وأن تحافظوا على طاعته وطاعة رسوله، وأن تُحيوا ما أحيا القرآن، وتميتوا ما أمات القرآن، وتكونوا أعونًا على الهدى ووزراء على التقوى، فإن الدنيا قدْ دَنا فناؤها وزوالها وإني أدعوكم إلى الله ورسوله، والعمل بكتابه، وإماتة الباطل، وإحياء السنة.

---

(١) أطال المصنف رحمه الله في سرد أخبار السفياني دون تمحيص لهذه الروايات. وليس فيها ما يصلح للأخذ به أو حتَّى حكايته فأكثرها رواها نعيم بن حماد في «الفتن» ١/ ٢٢٠-٢٢٦، وقد تفرد بمنكرات ومقاطيع لم يروها غيره. وسيأتي التعليق عليه.

(٢) خبر القميص والسيف وما بعده من الخطبة في الفتن لنعيم بن حماد ١/ ٣٤٥ من قول أبي جعفر (الباقر)، وإسناده ضعيف؛ فضلاً عن ضعف نعيم كما تقدم ذكره مرارًا وليس هناك أي خبر أو نص في دواوين السنن والآثار عن قميص الرسول ﷺ وسيفه سوى هذا الخبر الساقط!

فيظهر في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدد أهل بدر، وعدد أصحاب طالوت حين جاوزوا معه النهر.

فائدة: ما اجتمع هٰذا العدد إلا وانتصر. والله أعلم.

معهم أبدال الشام وعصائب أهل العراق ونجائب نجباء مصر على غير ميعاد، فزعًاكفزع الخريف، رُهْبانٌ بالليل أسدٌ بالنهار، ويأتيهم جيش صاحب المدينة، فيقاتلونهم فيهزمونهم، ويتبعونهم حتى يدخلوهم المدينة، ويستنقذونها من أيديهم.

قال في «الإشاعة»[1]: ولا يشكل إتيانهم المدينة مرتين أو ثلاثة مع وقوع البيعة ليلة عاشوراء وأن المدة بعد قضاء المناسك إلى ليلة عاشوراء قريب من عشرين يومًا، أو خمسة[2] وعشرين يومًا، ومسافة ما بين الحرمين عشر مراحل، وأكثر بالسير المعتاد، مع ما يتخلل ذٰلك من طلبهم له في كل مرة، إذ يمكن الإتيان على الركبان في خمسة أيام فيمكن تكرره / ٣٢٠/ في خمسة وعشرين يومًا على أنهم كلهم أولياء فيمكن أن تطوى لهم الأرض، أو يكونوا من أصحاب الخطوة[3] والله أعلم. وانتهى.

قُلْتُ: قد رأينا من أحاد الناس من قطع مسافة خمس مراحل في يوم واحد، ورأينا من سافر من قصبة نابلس إلى المسجد الأقصى ورجع بيومه، قبل صلاة العصر، وذٰلك في مشهد من الناس، فلا

---

(١) ص٩٤. (٢) في الأصل «خمس».

(٣) هذا من مصطلحات الصوفية .

عجب في قطع مثل هٰؤلاء السادة، مثل هٰذه المسافة، في نحو يوم أو يومين على أنه قد روى أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، قطع من الكوفة إلى مكة في ثلاثة أيام، ولذلك قصة مشهورة ذكرها ابن الجوزي في المناقب(١)، وكذا البيهقي وغيرهما، والله يختص برحمته من يشاء، سبحانه والله أعلم.

ويبلغُ السفياني الخبر فيبعث إليهم بعثًا من الكوفة، فيأتون المدينة، فيستبيحونها ثلاثة أيام، ويقتلون قتل الحرة عنده كضربة سوط، ويقصدون المهدي، فإذا خرجوا من المدينة وكانوا ببيداء من الأرض، خُسِفَ بأولهم وأخرهم، ولم ينج منهم إلا رجلان، نذير للسفياني وبشير للمهدي، فلمّا يسمع المهدي بذٰلك يقول: هٰذا آوان الخروج، فيخرج فيمرّ على المدينة فيستنقذ من كان أسيرًا من بني هاشم، وتنفتح له أرضُ الحجاز كله(٢).

قال في التذكرة(٣): روي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ، وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب، فبينا هم كذٰلك، إذ خَرجَ عليهم(٤) السفياني من الوادي اليابس، في فَوْرة ذٰلك، حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين جيشًا إلى المشرق وجيشًا إلى المدينة، فيسيرُ الجيش نحو المشرق حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» ص٣٦٣ . (٢) «التذكرة» ص٦٩٣ - ٦٩٨ .

(٣) وأورده أيضًا في التفسير على سورة سبأ آية (٥١) الدر المنثور تاريخ بغداد (١/ ٤٠) مختصراً.

(٤) انظر التعليق الآتي في نهاية الكلام.

الملعونة، والبقعة الخبيثة، يعني بغداد قال: فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف ويفتضون أكثر من مائة امرأة ويقتلون بها ثلاثمائة من [ولد][1] بني العباس، ثم يخرجون متوجهين إلى الشام، فتخرج راية هُدى من الكوفة، فيلحق ذلك الجيش منها / ٣٢١/ على ليلتين فيقتلونهم، ثم لا يفلت منهم أحد ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم قال: ويحل جيشه الثاني بالمدينة، فينتهبون ثلاثة أيام ولياليها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء بعث اللهُ جبريل عليه السلام، فيقولُ يا جبريل اذهب فأبدهم فيضربها برجله ضربةً يخسفُ الله بهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٥١﴾ [سبأ: ٥١] فلم يبق منهم[2] إلا رجلان أحدهما بشير والآخر نذير، وهما من جهينة، ولذلك جاء القول:

وعند جهينة الخبر اليقين[3].

---

(١) في الدر المنثور «كبش» وأيضاً في تاريخ بغداد (١/ ٤٠).

(٢) في (أ): (عنهم)، والمثبت من (ب) و(ط).

(٣) هذا شطر بيت وشطره الأول: تسأل عن أبيها كل ركب. وحكاية السفياني كل الاعتماد فيها على ما رواه نعيم بن حماد في الفتن ولا يصح مما ذكره شيء فغالبها آثار عن بعض الصحابة والتابعين أسانيدها لا تخلو من مقال وليس في السفياني حديث صحيح سوى ما ذكره الحاكم في المستدرك من طريق زكريا بن يحيى الساجي ثنا محمد بن أبي سمينة ثنا الوليد بن مسلم، ثنا الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي اللهُ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج رجل يقال له السفياني في عمق دمشق، وعامة من يتبعه من حلب، فيقتل حتَّى يبقر بطون النساء ويقتل الصبيان، فتجمع لهم قيس فيقتلها، حتَّى لا يمنع ذنب تلعة ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرة فيبلغ =

قال القرطبي: وحديثُ حذيفة هٰذا فيه طول، وكذلك حديث ابن مسعود، وفيه: يعني خبر ابن مسعود ثم أن عروة بن محمد السفياني، وكنُيته أبو عتبة، يبعث جيشًا إلى الكوفة خمسة عشر ألف فارس، ويبعث جيشًا آخر فيه خمسة عشر ألف راكب إلى مكة والمدينة، لمحاربة المهدي، ومَن تبعه فذكر نحوًا من خبر حذيفة وفيه أن الذي يستنقذ ما أخذه الجيش يُقال له: شُعيبُ بن صالح وفيه: فإذا وصلوا إلى البيداء، مسخهم الله أجمعين، وذٰلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝﴾[1] الآية [سبأ: آية ٥١].

قُلْتُ: والجمع ممكن بأن يُمسخُوا ثم يُخَسفُ بهم. والله أعلم.

وأخرج مُسلمٌ عن أم سلمة، رضي الله عنها، وقد سئلت عن الجيش الذي يُخسَفُ به، وكان ذٰلك في أيام ابن الزبير، فقالت: قال رسول الله ﷺ: «**يعوذ بالبيت عائذ فيبعث الله إليه بعثًا فإذا كانوا ببيداء من الأرض، خسف بهم**» فقُلت يا رسول الله: وكيفَ بمن كان كارهًا؟ قال: «**يخسف به معهم، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته**».

وقال أبو جعفر: هي ببيداء فقال له عبد العزيز بن رفيع: إنّما قالت ببيداء من الأرض قال: كَلاَّ والله إنها لبيداء المدينة[2][3].

= السفياني، فيبعث إليه جندًا من جنده، فيهزمهم، فيسير إليه السفياني بمن معه حتّى إذا صار ببيداء من الأرض خسف بهم، فلا ينجو منهم إلا المخبر عنهم». قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، المستدرك ٤/ ٥٢٠.

(١) التذكرة ٢/ ٢٩٠-٢٩١.

(٢) روه مسلم (٢٨٨٠).

(٣) «التذكرة» ص٢/ ٢٩٥.

قُلْتُ: ظاهر كلام أم سلمة رضي الله عنها، أنها حملت المستعيذ بالبيت على ابن الزبير، رضي الله عنهما، والصحيح أنه المهدي، وإن شاركه[1] ابن الزبير في ٱستعاذته بالبيت، لكنه لم يخسف بالجيش /٣٢٢/ الذي مَشى إليه والله الموفق.

ثُم يخرجُ وراء النَّهر خارج يقال له الحارث، حَرَّاث على مقدمته رجُلٌ يُقالُ له المنصور، يمكِّنُ لآل محمد كما مكَّنت قريش لمحمد ﷺ، واجب على كل مؤمن نصره[2].

وهٰذا الرجل يحتمل أن يكون هو الهاشمي الآتي ذكره، ويُلقَّبُ بالحارث كما يُلقَّبُ المهديُّ بالجابر ويُحتمل أن يكون غيره.

ويثور أهل خراسان بعسكر السفياني، ويكون بينهم وقعات وقعة بتونس، ووقعة بدولاب، ووقعة بتجزم الزنيخ فإذا طال عليهم قتالهم إياه، بايعوا رجلاً من بني هاشم بكفه اليمين، خَالٍ سهل الله أمره وطريقه[3]، هو أخو المهدي من أبيه أو ابن عمه وهو حينئذ بآخر المشرق بأهل خراسان، وطالقان ومعه الرايات السود الصغار، وهٰذه غيرُ رايات بني العباس، على مقدمته رجل من بني تميم، الموالي رَبْعة أصفر قليلُ اللحية كوسج واسمه شُعيب بن صالح التميمي، يخرجُ إليه

---

(١) وفي (أ) وأنه مشاركه، والمثبت من (ب) و(ط).

(٢) علقه أبو داود (٤٢٩٠)، أورده الديلمي ٥/ ٥١٤ عن علي مرفوعًا وهو حديث ضعيف.

(٣) في الأصل كذا وفيه وقفة لا تخفى.

في خمسة آلاف فإذا بلغه خروجه صيَّره على مقدمته، لو استقبلته الجبال الرواسي لهدمها[١]، يمهد الأرض للمهدي كما مَهّدت قريش للنبي ﷺ[٢].

وعنه ﷺ **«إذا سمعتم برايات سُود قدْ أقبلت من خراسان، فأتوها ولو حَبْوًا على الثلج»**[٣].

قال عليٌّ كرَّم اللهُ وجهه[٤]: فإن فيها خليفة الله المهدي أي نفره وإلا فهو حينئذ بمكة، فيلتقي هو أي الهاشمي، وخيل السفياني، فيقتل منهم مقتلة عظيمة، ببيضاء إصطخر[٥] حتى تطأ الخيلُ الدماء إلى أرساغها، ثم تأتيه جنود من قبل سجستان، عليهم رجلٌ من بني عدي، فيظهر الله أنصاره وجنوده، وظاهر السياق أن الجنود جاءت لنصر الهاشمي، ويحتمل على بُعد أن تكون جاءت لمحاربته، فينصره الله عليهم، ثم تكون وقعةٌ بالمدائن بعد وقعة ري، وفي عاقر قوفا وقعةٌ صلبة يخبر عنها كل ناج، وتقبلُ الرايات السود حتى تنزل /٣٢٣/

---

(١) كذا في (أ) والمثبت في (ب)، و(ط) لهدها.

(٢) رواه نعيم بن حماد ٣١٦/١ بإسناد فيه ضعف عن علي، وفي ١/ ٣١٠ بإسناد ضعيف من قول محمد ابن الحنفية. وروى بعضه في ١/ ٣١١ و٣١٢ و٣١٤.

(٣) رواه أحمد ٥/ ٢٧٧ ومن طريقه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٤٤٥) وإسناده ضعيف جدًا، وانظر الضعيفة للألباني (٨٥).

(٤) الفتن لنعيم بن حماد ١/ ٣١٧ من قول أبي جعفر، وفي ١/ ٣٢١ من قول علي مختصرًا، وانظر فتح الباري ١٣/ ٧٨.

(٥) بيضاء إصطخر: مدينة مشهورة بفارس، معجم البلدان ١/ ٥٢٩.

الماء، كذا في الخبر.

قال في «الإشاعة»[1] ولعله ماء دِجلة فيبلغ من بالكوفة من أصحاب السفياني نزولهم هناك، فيهربون ثم ينزل الكوفة حتى يستنقذ مَن فيها من بني هاشم، ثم يَخرُجُ قومٌ من سواد الكوفة يُقال لهم: العصب ليس معهم سلاح إلا قليل، وفيهم بعضُ أهل البصرة، قد تركوا السفياني فيستنقذون ما في أيديهم من سبي الكوفة، وتبعث الرايات السود ببيعتهم إلى المهدي، ويقبل المهدي من الحجاز، والسفياني من الكوفة، بعد أن يبلغه خسف جيشه، ولا يهوله ذٰلك، إلى الشام متعلق -بيقبل- كأنهما يعني المهدي والسفياني فرسا رهان، فيسبقه الصخرى فيقطع بعثًا آخر من الشام إلى المهدي، فيدركون المهدي بأرض الحجاز، فيبايعونه بيعة المهدي، ويقبلون معه إلى الشام.

تنبيه:

جاء في بعض الروايات: أن الجيش الذي يُخسفُ به يُبعث من الشام، وفي بعضها من العراق، قاله ابن حجر كغيره، ولا منافاة لأن البعث من العراق، لكنهم لما كانوا من أهل الشام نُسبوا إليها، في الرواية الأخرى.

وفي رواية أن المهدي يُقاتل هٰذا الجيش الثاني، عدد أهل بدر أصحاب المهدي يومئذ، فيُسمع صوتٌ من السماء ألا إن أولياء الله

---

(١) ص٩٥، ٩٦ .

فلانٌ يعني المهدي، فتكون الدبرة على أصحاب السفياني، فيُقتلون لا يبقى منهم إلا الشديد[1] فيهربون إلى السفياني، فيخبرونه ويُمكن الجمع كما في الإشاعة بأن بعضَهم يبايعه، وبعضهم يقاتُله فيهربون، وإن الذين يقاتلون هم الذين يبعثهم صاحب المدينة، الأمير من قبل السفياني إلى مكة كما مَرت الإشارة إليه، ويؤيده أنه يقاتلهم في عدد أهل بدر، أجنّتُهم يومئذ البراذع، فإن هٰذه الصفات تناسب حالهم عند ٱبتداء الغاية، ثم إن السفياني يُفسد في الأرض، ويظهر الكفر، حتى أنه يطاف بالمرأة وتجامع نهارًا في مسجد دمشق، على مجلس شرب، حتى تأتي فخذ السفياني فتجلس عليه، وهو في المحراب قاعدٌ فيقومُ رجل مسلمٌ من المسلمين / ٣٢٤/ فيقولُ: ويحكم أَكَفرتم بعد إيمانكم، إن هٰذا لا يَحلُ فيقومُ إليه فيضرب عنقه في المسجد، ويقتُل كل من شايعه، فعند ذٰلك ينادي منادٍ مِن السماء: أيها الناس إن الله قد قطع عنكم الجبارين والمنافقين وأشياعهم، وولاكم خير أمة محمد ﷺ، يعني: يومئذ فالحقوا به بمكة، فإنه المهدي واسمه أحمد بن عبد الله.

ويسير المهدي بالجيوش حتى يصير بوادي القُرى، وهو من المدينة على مرحلتين إلى جهة الشام، في هدُوء ورِفقٍ، ويلحقهم هناك ابن عمه الحسَني في ٱثنى عشر ألفًا فيقول له: يا ابن العمّ أنا أحق منك بهذا الجيش، أنا ابن الحسن، وأنا المهدي، فيقول له: بل أنا المهدي فيقول

(١) في (أ) الشديد، وما أثبت من (ب، وط)، و«الإشاعة» ص٩٦ وكل ما سبق منه وما بعده.

الحسني: هل لك من آية فأبايعك، فيومئ المهدي إلى الطير فيسقط على يده، ويغرس قضيبًا يابسًا في بقعة الأرض فيخضر ويورق، فيقول الحسني: يا بن عمي هي لك.

وهٰذا دليل[١] واضحٌ على أن المهدي من أولاد الحسين رضي الله عنه، وإنما قال الحسني: أنّا أحق بهٰذا منك، لأنه ظن أن الحسن لكونه صار خليفة، كما مرّ تكون الخلافة في نسله، بخلاف الحسين على أن بعض الناس قد بايع سيدنا الحسين، وأيضًا فإن الحسن قد نزل عن الخلافة ففوّت حقه، بخلاف الحسين فإنه ما نال ما أراد فحقه باقٍ فأعطاه الله الخلافةَ في أولاده.

فإن قيل: هٰذا الحسني إن كان هو الذي قدم بالريات السود، فقد مرّ أنه بُعث بالبيعة من الكوفة، وأنه لا يقدم الحجاز، وإنما يلقاه ببيتِ المقدسِ، وإن كان غيره فكيف ينازعه بعد أن بايعه أهل الحجاز كلها، وأهل المشرق والعراق.

والجواب كما في الإشاعة: أنه إن قلنا أن القادم بالرايات أخوه كما في بعض الروايات، فهٰذا غيره قطعًا، وحينئذ فوجه دعواه أن البيعةَ للمهدي، إنما هي للمتصف بهٰذا الوصف، لا لشخص بعينه، فيدعي أن البيعة له لأنه المهدي فلما ظهر له أنه هو غير المهدي وإنما المهدي هو / ٣٢٥/ ذاك بايعه وإن قلنا أنه ابن عمه، فإن كان غير هٰذا الحسني.

فالجواب: ما مرّ وإن كان هو فمعنى مُلاقاته: أنه يرسل إليه

---

(١) لم أقف أصلاً على هذا القسم من حكاية السفياني والمهدي، ومعظم هذه الصفحات تخاليط لا يصح منها إلا النزر اليسير فكيف تصلح دليل؟

جماعة ٱثني عشر ألفًا وإمدادًا ٱحتياطًا أن لا يكون هو المهدي، فينازعونه على الخلافة، ويؤمر عليهم واحدًا، ويأمره بأن يمتحنه، ويوكله في البيعة على التردد، فلما بايعوه صَحّ أن يقال: بعث له بالبيعة، وأن يُقال لقيه مجازًا كذا، قاله والله أعلم. فيبقى المهدي حتى إذا وصل ٱنتهى إلى حد الشام الذي بين الشام والحجاز، أقامَ بها فيُقالُ له أنفذ، فيكره المجاوزة[1] ويقول: أنا أكتب إلى ابن عمي، يعني الصخريّ فإن خلع طاعتي، فأنا صاحبكم فإذا أتاه كتاب المهدي، قال أصحابه: إنَّ هٰذا المهدي قد ظهر لتُبايعنَّه أو لَنَقْتُلنَّكَ فيبايعه[2]، ويسير إليه حتى ينزل بيت المقدس، فلا يترك المهدي بيد رجل من أهل الشام فترًا من الأرض إلا ردَّه لأهل الذمّة، وردّ المسلمين جميعًا إلى الجهاد، ثم يخرج رجل من كَلب يُقال له كنانة بعينه كوكب، في رهط من قومه حتى يأتي الصخري، فيقول: بايعناك ونصرناك، حتى إذا ملكت، بايَعت هٰذا الرجل[3]، ويعيرونه فيقولون: كساك اللهُ قميصًا فخلعته، فيقول: ما تَرون أنقضُ العهد؟ فيقولون: نعم، ما يبقى عامرية أمّها أكبر منك، إلا لحقتك، لا يختلف عنك ذاتُ خُف ولا ظلف، فيرحلُ وترحلُ معه عامر بأسرها، فيوجه إليهم المهدي راية،

---

(١) في «الفتن» ١/ ٣٥٣: فيكر المجارز.

(٢) في (أ): فبايعه، والمثبت من (ب)، و(ط).

(٣) في الفتن لنعيم بن حماد ١/ ٣٥٣: بايعت عدونا. وعمومًا السياق فيه هنا اختلاف عما في كتاب الفتن.

وأعظم راية في زمانه، مائة رجل فتَصُفُّ كلبُ خيلَها ورجلها، وإبلها وغنمها فإذا تسامت الخيلان، ولَّت كلبُ أدبارها فيقتلونهم، ويسبونهم حتى تباع العذراء منهم بثمانية دراهم، ويؤخذ الصخري فيؤتى به أسيرًا إلى المهدي فيذبح على الصخرة المعترضة على وجه الأرض، عند الكنيسة التي ببطن الوادي، على [طرف](1) دَرَج طور زيتا المقنطرة، التي على الوادي كما تُذبحُ الشاة، وقد قال ﷺ: «**الخائب من خاب يومئذ من غنيمة كلب، ولو بعقال**»(2)، قيل: يا رسول الله كيف يغنمون /٣٢٦/ أموالهم ويسبون ذراريهم وهم مسلمون؟ قال ﷺ: «**يَكفُرون باستحلالهم الخَمر والزنا**».

ويأتي الهاشمي بالرايات السود، وسيفه على عاتقه ثمانية أشهر، وفي رواية: ثمانية عشر شهرًا يقتل ويمثّل، حتى يقول الناس معاذ الله أن يكون هٰذا من ولد فاطمة، ولو كان لرَحِمنا، يُغريه الله ببني عباس وبني أمية، ويكون لهم وقعة بأرض من أرض نصيبين، ووقعة بحران وشِعارُهُم: أمِت أمت. وفي رواية: بكش بكش، والمعنى: واحد حتى يسلموها للمهدي.

---

(1) زيادة من «الإشاعة» ص٩٨ .

(2) روى هذا الجزء من الحديث دون قوله: «ولو بعقال» وفيه قصة.

من حديث أبي هريرة أحمد ٢/٣٥٦.

ومن حديث أم سلمة أحمد ٦/٣١٦، وأبو داود (٤٢٨٦)، والطبراني في الكبير ٢٣/(٩٣٠) و(٩٣١) وفي الأوسط (١١٥٣) و(٦٤٥٩)، والحاكم ٤/٤٧٨، وانظر مجمع الزوائد ٧/ ٣١٤ و٣١٥.

فإن قيل: قد ورد في بعض الروايات أنه يَحمل سيفه ثمانية أشهر، وفي بعضها ثمانية عشر شهرًا، وفي بعضها ٱثنان وسبعون شهرا، وهي مدة ست سنين، وفي بعض الروايات أنه يُسلِّمُ الرايات إلى المهدي ببيت المقدس، وفي أخرى أنه لا يبلغه حتى يموت، وفي أخرى فتلتقى رايات الهاشّمي مع خيل السفياني فيكون بينهم مقتلة عظيمة وتنهزم خيل السفياني ثُمَّ تكون الغلبة للسفياني فيهرب الهاشمي. ويأتي التميمي، مُستخفيا إلى بيت المقدس، يمهد للمهدي إذا خرج إلى الشام.

فما وجه الجمع؟ فالجواب: عن الجمع[١] بين الروايات أن رواية ٱثنين وسبعين باعتبار جميع مدته، ورواية ثمانية عشر شهرا باعتبار ما بعد مدة[٢] قتالِه مَعَ خيل السفياني، واجتماع شعيب بن صالح [به][٣] وثمانية [أشهر][٣]، باعتبار [مدة][٣] ما بعد نزوله الكوفة، وبعثه بالبيعة إلى المهدي، وهٰذا جمع حسن لا بأس به كما في الإشاعة وأما الجمع بين الروايات الأُخر هو أن يُقال على بعد: إن ضمير يموت، راجع إلى السفياني أي حتى يموتَ السُفياني أو يرجع إلى الهاشمي ويكون القادم بالرايات التميمي، ونسبته إلى الهاشمي مجازًا للسبب، أو أنه يوصل الرايات، وتفتح الشام ويموت قبل ٱجتماعه بقليل، على أن روايات قدومه بالرايات، ووصوله إليه أكثر وأشهر، فتُقدم عند عدم إمكان / ٣٢٧/ الجمع والله أعلم، وإنما تتساقط إذا تعارضتْ، وكذلك روايات

---

(١) في (أ) و(ب) الجميع، والمثبت من (ط) وهو الصواب. ومن «الإشاعة» (٩٨).

(٢) في (ط) تقديم وتأخير (مدة ما بعد)، والمثبت من (أ) و(ب).

(٣) الزيادة من «الإشاعة».

النصر والغلبة أكثر من روايات الهزيمة، فتُقدم ولو جُمع فوجه الجمعُ أنه ينهزم في بعض الوقعات، ثم تكون له الغلبة بعد ذٰلك.

قُلْتُ: وذُكر في التذكرة(١): أن المهدي يُبايَعُ مرتين، قال فإنه رُوي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أنه يخرج في آخر الزمان من المغرب الأقصى، يمشي النصر بين يديه أربعين ميلاً، راياته بيضٌ وصفرٌ، فيها رقوم، فيها ٱسم الله الأعظم مكتوب، فلا تهزم له راية، وقيام هٰذه الرايات، وانبعاثها من ساحل البحر بموضع يقال له ماسة(٢) من جبل المغرب، فيعْقد هٰذه الرَّايات مع قوم أخذ الله لهم ميثاق النصر والظفر، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢] الحديث بطوله.

قال العلامة في «البهجة» قال بعضهم: إنه يخرج من المغرب، وأنه من أجل ذٰلك سَمُّوا بَنو إدريس أنفسهم بالمهدية، طمعًا أن يكون منهم، ٱنتهى.

ثم ذكر في حديث ابن مسعود فيأتي الناس من كل جانب ومكان، فيبايعونه يومئذ بمكة، وهو بين الرُكن والمَقام، وهو كاره.

قال القرطبي(٣): وهٰذه المبايعة الثانية بعد البيعة الأولى، التي

---

(١) «التذكرة» ٧٠٢.

(٢) ماسة: رباط بالمغرب على نحر البحر. «معجم البلدان» ١/ ١٢٥ مادة (أدبى).

(٣) «التذكرة»، ص١٠٢، قلتُ: يرحم الله القرطبي كان يجمع من الأخبار والآثار ما لا أصل له ويبني عليها أحداث وتصورات للملاحم والفتن ما لم يقل به أحد من أهل العلم.

بايعه الناس بالمغرب ثم إن المهدي يقول: أيها الناس ٱخرجوا إلى قتال عدوكم، فيجيبونه لا يعصون له أمرا، فيخرُجُ المهديُّ ومن معه من المسلمين، من مكة إلى الشام، لمحاربة عروة بن محمد السفياني، ومن معه من كلب، ثم يبدد جيشَهُ ثم يُؤخَذ عروة السفياني على أعلى شجرة على بحيرة طبرية، قال: **والخائب يومئذ مَن خاب مِن قتال كلب، ولو بكلمة أو تكبيرة، أو بصيحة** فقال حذيفة: يا رسول الله كيفَ يحل قتلهم وهم مسلمون؟ فذكر نحو ما تقدم[(١)].

وفي الحديث «**لا تُحشر أمتي حتى يَخرجَ المهديُّ يمده اللهُ بثلاثةِ آلاف من الملائكة، ويخرجُ إليه الأبدال من الشام والنجباء من مِصر، وعصائب أهل المشرق، حتى يأتوا /٣٢٨/ مكة، فَيُبايَعُ له بين الرُكن والمقام، ثُم يتوجه إلى الشام وجبريل على مقدمته، وميكائيل على يساره، ومعه أهل الكهف أعوان له، فيفرح به أهل السماء والأرض، والطير والوحش، والحيتان في البحر، وتزيد المياه في دولته، وتمتد الأنهار، وتُضَعِّف الأرض أكْلها قال فيقوم إلى الشام فيأخذ السفياني، فيذبح تحت الشجرة التي أغصانها إلى بحيرة طبرية**»[(٢)]، وفي «البهجة» للعلاّمة، ثم يتوجه يعني: المهدي إلى المدينة، ومعه المؤمنون إلى أن قال: ثم ينهزم السفياني إلى الشام، فيقصده المهدي فيذبحه، عند عتبة بيت المقدس، كما تُذبح الشاةُ ويغنمه كذا رأيته في البهجة، وهو كما ترى وهم، إن لم يكن غلطًا من الكَتبة واللهُ أعلم.

---

(١) ص٥٥٢ ت(٢).

(٢) أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» ٥/ ١٠٩١، وله سياق مغاير عند أبي داود (٤٢٨٦)، أحمد (٦/ ٣١٦).

فَإِنْ قُلْتَ: قد ذكرتَ هنا ثلاث روايات في قتل السفياني، ومن المعلوم إنما الصحيح واحدة، فما هي؟

قُلْتُ: أما الرواية التي ذكرنَاهَا أوّلاً وهي: أن السُفياني يُؤخذ على شجرة، على بحيرة طبرية، فليس فيها أنه يُقتل على تلك الشجرة وإنما فيها أنه يؤخذ عليها.

والرواية الثانية: أنه يذبح تحت الشجرة تفسير للرواية الأولى أنه يُؤخذ على تلك الشجرة، ويُذبحُ تحتها.

وأما الرواية الثالثة التي ذكرناها، عن العلامة: فهي إن لم تكن غلطًا من النُسّاخ وهو الظّاهر، وإلا وهم، وإنما الذي يُذبح ثَمَّ الصخري، كما مَرَّ واللهُ سبحانه وتعالى أعلم.

ثم تُمهدُ الأرضُ للمهدي، ويدخل في طاعته ملوك الأرض كلهم، ويَبعثُ بَعثًا إلى الهند، فيُفتح، ويؤتى بملوك الهند إليه مُغلَّلين وتُنقل خزائنها إلى بيت المقدس، فتجُعلُ حِليةً لبيت المقدس، ويمكثُ في ذٰلك سنين، ومنها الملحمة[(١)] الكبرى، وذٰلك أن بعد هلاك السفياني، يهادن [المهدي][(٢)] الرومُ صُلحًا آمنًا تسع سنين على ما في بعض الروايات، فيغزو المسلمون عدوًا من وراء الروم فيغنمونهم، ويَنصرفون، حتى ينزلوا بمَرْج ذي تُلول، وهو موضع فيقول قائل من الروم: غلب الصليب، ويَقول قائل من المسلمين: بل الله غلب فيتداولونها بينهم، فيثور المسلم إلى صليبهم، وهو منهم غير بعيد،

---

(١) «الإشاعة» ص٩٩، ١٠٠ بتصرف.

(٢) زيادة في (ط)، (ب).

فيدقه فتثور الروم إلى كاسر صليبهم، فيقتلونه، فيثُور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتلون عن آخرهم، فتقول الروم إلى ملكهم كفيناك حد العرب، وقتلنا أبطالها، فما تنتصر فيجمعون في مدة تسعة، مقدار حمل ٱمرأة، فيأتون تحت ثمانين غاية (أي راية)، وهي بالغين المعجمة، والياء التحتية ويروَى بالموحدة أي: تحت رماح كالغابة[1].

وفي لفظ: فيسيرون بثمانين بندا، والمعنى واحد: تحت كل غاية ٱثنا عشر ألفا فينزلون بالأعماق بالعين المهملة أو بدابق، بوزن طابع بكسر الباء وفتحها، هما موضعان قرب حلب وأنطاكية، فيخرُجُ إليهم جلب من المدينة، من أخيار أهل المدينة، يومئذٍ وهم الذين خرجوا مع المهدي، فإذا تصافوا قالت الروم: خَلُّوا بيننا، وبين الذين سُبُوا مِنَّا نُقَاتِلْهُم.

يروى سُبوا بضم السين بالبناء للمفعول، وفتحها على البناء للفاعل، والمعنى على الأول الذين سبيتموهم مِنّا، وخرجوا من ديننا، وصاروا يُقاتلوننا، وعلى الثاني: الذين سَبوا أولادنا ونسَاءنا، فيقول المسلمون: لا والله لا نُخَلِّي بينكم وبين إخواننا، فينهزم من المسلمين ثلاث، لا يتوب الله عليهم أبدا، ويُقتَلُ ثلاث هم أفضل الشهداء عند الله، ويَفتح ثلاث لا يُفتنون أبدا، وفي رواية فيشترط المسلمون شُرطة الموت، لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفئ هٰؤلاء وهٰؤلاء وكل غير غالب، ثم يشترط المسلمون شرُطة، الشرطة:

---

(١) السنن الواردة في الفتن ٥/ ١٠٩٣، وروى بعض هذه الملحمة أبو داود (٤٢٨٢)، وابن ماجة (٤٠٨٩).

بالضم طائفة من الجيش، تُقدم للقتال للموت، لا ترجع إلا غالبة فَيرَجعون غير غالبين، إلى ثلاثة أيام، فإذا كان اليومُ الرابع نَهد أي: نهض إليهم بقيةُ الإسلام، فيجعلُ الدَبْرة على الكَفرة، فيقتَتَلُون مقتلة عظيمة لم يُر مثلُها، حتى إن الطائر ليمُر بجنباتهم، فما يخلّفهم حتى يمرّ ميتا، ويتعادّ بَنو الأب كانوا مائة، فلا يجدون بقى منهم إلا الرجل، فلا يقسم ميراث / ٣٣٠/ ولا يُفرحُ بغنيمة، ويكونُ لخمسين آمرأة قيّم واحد، قوله: بجنباتهم هو بالجيم: فنون فموحدة أي بنواحيهم.

وقوله: «لا يُخلفهم» بتشديد اللام أي لا يجعلهم خلفه، أي لا يتجاوزهم، حتى ينقطع عن الطيران، ويموت من بعد مسافة القتلة[١]، و«القيِّم» هُو الذي يقومُ بمصالح البيت، والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثمَّ يتبعونَهم ضربًا وقتلا، حتى يَنتَهُوا إلى قُسطَنْطينية أي الكُبرى، قال في «عقد الدُرَرَ»[٢]: لها سبعةُ أسوار، الذي يلي البلد عشرةَ أذرع على ساحل البحر، وهو خليج يَصُبُ في البحر الرومي، الذي طوله كما في «البهجة»: خمسة آلاف ميل، وعرضُه ستمائة ميل، ويَخرجُ منه خليجٌ إلى أرض بربر، طُولُه ميل قال في الخريدة: مخرجُهُ من المحيط ثُمّ يأخذُ مَشرقًا فيمر بشمالي الأندلس، ثم ببلاد الإفرنج إلى قسطنطينية، ويمتدُ ببلادِ الجنوب فيركز لواءه عند البحر، ليتوضأ للفجر، فيتباعد الماء منه فيتبعه، حتى يجوز من تلك الناحية، ثم يركزه وينادي: أيُّها

---

(١) في (ط)، و(ب): (المقتلة). (٢) ص١٧٣ .

الناس: أعبروا فإن الله عز وجل فلق لكم البحر، كما فلقه لبني إسرائيل، فيجوزون فيستقبلونها، فيكبرون فتهز حيطانها ثم يكبرون فتهز، ويسقط في الثالثة مِنها ما بين أثنى عشر برجًا فيفتحونها، ويقيمون بها سنة، حتى يبنوا المساجد، ثم يدخلون مدينةً أخرى فبينما هم يُقسمون فيها المال بالأترسة، إذا بصارخ: الدجالُ خلفكم في ذراريكم بالشام، فيرجعون، فإذا الأمر باطل فالتارك نادم[1]، ثم ينشئون ألف سفينة، ويركبون فيها من عَكّا، وهم أي: الذين يركبون من مدينة عكّا: أهل المشرق والمغرب، والحجاز والشام، على قلب رجل واحد، فيسيرون إلى روميَّة[2].

وروي أن عبد الله بن بسر المازني قال لبعض أصحابه: يا ابن أخي لعلك تدرك فتح القسطنطينية، فإياك إنْ أدركتَ فتحها أن تَترك غنيمتكَ منها، فإن بين فتحها وبين خروج الدجال سبع سنين، رواه نعيم بن حماد في الفتن[3].

ويَستخِرَجُ -أي: المهدي- كنزَ بيتِ المقدس، وحلية من القسطنطينية، /٣٣١/ الذي أخذها طاهر بن أسماء حين غزا بني إسرائيل فسباهم، وسبى حُليَّ بيتِ المقدس، وأحرقها بالنيران، وحمل منها في البحر ألفًا وسبعمائة سفينة، حتى أوردها رومية.

---

(١) في (ط)، و(ب): (ندم).

(٢) الخبر المتقدم في «السنن الواردة» ٥/ ١٠٨٩-١١٠٩ بأطول منه! من حديث حذيفة مرفوعًا، وهو موضوع بلا ريب.

(٣) انظر «عقد الدرر» (٢٠١).

قالَ حُذيفة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليَستخرجَنَّ المهدي ذٰلك، حتَّى يردُه إلى بيتِ المقدس».

قال في «عقد الدُرَر»[1]: روميَّة أمُّ بلاد الرّوم، وكلُّ من ملكها يقال له الباب، وهُو الحاكم على دين النصرانية، بمنزلة الخليفة على المسلمين، ليس في بلاد المسلمين مثلُها، وقد ذكر المؤرخون في صفتها عجائب، لم تُسمع في غيرها فلتُراجع، فيكبرون عليها أربع تكبيرات، فيسقط حائطها، فيقتلون ستمائة ألف، ويستخرجون منها حُليَّ بيت المقدس، والتابوت الذي فيه السكينة، ومائدة بني إسرائيل، ورضاضة الألواح أي ألواح موسى، وحلة آدم وعصا موسى، ومنبر سليمان، وقفيزين من المنّ، الذي أنزله الله على بني إسرائيل، أشدَّ بياضًا من اللبن، كذا في «الإشاعة»[2] ولا يَخفى بَعدَ ذٰلك مع ما تقدم، أنَّ التابوت يستخرجه المهدي من بحيرة طبرية، أو من غار أنطاكية.

وممَّا ينبغي أن يُعلمَ أنّ كتب الملاحم بعيدة عن الصحة[3]، قال الإمام أحمد: ثلاثة كتب ليست لها أصول، كُتب الملاحم والمغازي والتفاسير، وحمله الدارقطني على كتب مخصوصة في المغازي، والتفاسير وأما الملاحم: فأبقاه على عمومه نعم: ٱستثنى العلاّمة

---

(١) ص ١٧٣ . (٢) «الإشاعة» ص١٠٤.

(٣) غفر الله للمصنف، فلو أنه اختصر القصص السابقة - التي سود بها عشرات الصفحات - وأشار هذه الإشارة أنها بعيدة عن الصحة لكان أحسن من إرهاق القارئ بها.

كغيره من الأئمة قتال الروم، وفتح القسطنطينية على يد المهدي، ففي صحيح مسلم[1]: عن أبي هريرة، رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**هل سمعتم بمدينة جانب منها في البر، وجانب منها في البحر؟**» قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «**لا تقومُ الساعة حتى يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحق، فإذا جاءوها نزلوا، فلم يُقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم، فإذا قالوا لا إله إلا الله والله أكبر، سقط أحد جانبيها، ثمَّ يقولون الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر / ٣٣٢/ فيُفرج لَهُم فيدخلونها، فيقتسمون، فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم الصَريخ، فيقول: إن الدجال قد خرج، فيتركون كلّ شيء ويرجعون**» انتهى.

قال في «الإشاعة»[2]: بعد أن ذكر فتح رومية، «**ثم يأتون مدينة يقال لها: القاطع، طولها ألف ميل، وعرضها خمسمائة ميل، ولها ستون وثلثمائة باب، يخرج من كل باب مائة ألف مقاتل، وهي على البحر لا يُحمل يعني: البحر فيه جارية**»[3]، أي: سفينة قيل: يا رسول الله: ولم لا يُحمل فيه جارية؟ قال: «**لأنه ليس له قعر، وإنما يمرون من خلجان من ذلك البحر، جَعلها الله منافع لبني آدم، لها قعور فهي تحمل السفن فيكبرون عليها أربع تكبيرات، فيسقط حائطها**

---

(١) رواه مسلم (٢٩٢٠)، و الحاكم ٤/ ٥٢٣، وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٦٢٣).

(٢) ص١٠٤، «عقد الدرر» (٢٠٠).

(٣) هذا جزء من حديث حذيفة في «السنن الواردة» ٥/ ١١٠٣ وليس في حديث أبي هريرة المتقدم.

فيغنمونها، ثم يقيمون فيها سبعَ سنين، ثم يُنقلونَ منها إلى بيت المقدس، فيبلُغُهم أنَّ الدجال قد خرج من يهود أصبهان»، أخرجه أبو عمرو الداني في سننه[١].

وفي رواية: ثم يأتي يعني المهديُ مدينة يقال لها: القاطع وهي على البحر الأخضر المحيط بالدنيا، ليس خلفه إلاّ أمر الله عزّ وجلّ، فذكر نحو ما مرَّ.

واعلم أنه ورد أن المهدي يَدخلُ كل مدينة دخلها ذو القرنين، ويُصلحها، وأنه لا يبَقى جبارٌ إلا هلك وقد ورد عنه، ﷺ: **«ملك الدُنيا مؤمنان وكافران، أما المؤمنان: فذو القرنين وسليمان، وأما الكافران: فنمرود وبختنصّر، وسيملكها خامسٌ من عترتي، وهو المهدي»**[٢].

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس، رضي الله عنهما، مرفوعًا: **«أصحاب الكهف أعوانُ المهدي»**[٣].

قال العلماء: حكمة تأخيرهم إلى هٰذه المدة، ليحوزوا شرف

---

(١) «السنن الورادة في الفتن» ٦/ ١١٣٦.

(٢) أورده القرطبي في «التفسير» ١٠/ ٢٢٠ ولم يذكر قائله.
وذكره الحافظ في «الفتح» ٦/ ٣٨٥ بنحوه، قول الثوري ومجاهد دون ذكر الخامس وعزاه النووي في «تهذيب الأسماء واللغات» ١/ ٢٢٤ لابن عباس دون ذكر الخامس، ولم أقف عليه مرفوعًا، وانظر «تاريخ الطبري» ١/ ١٧٤.

(٣) أورده الحافظ في «الفتح» ٦/ ٥٠٣ وعزاه لابن مردويه في التفسير وقال: سنده ضعيف.

الدخول فى أمّة محمد ﷺ، إكرامًا لهم.

قُلْتُ: وفي هٰذا نظر لا يخفى على ذي بصر، حيث أكرمهم الله بذٰلك، فلم لا يكرمهم بما هو أفضل من ذٰلك؟ وهو الاجتماع بسيدنا وسيد الكونين، محمد ﷺ، ليفوزوا بشرف الصُحبة، والدخول في الأمَّة ورؤية المصطفى التي لا يُعادلها في الدنيا / ٣٣٣/ شيء والجهادُ معه لٰكن لله حِكم أخر يدقُّ فهمها عن عباده، إلاّ من منحه اللهُ نورًا فانجاب به عن قلبه الرّان، والله سبحانه وتعالى أعلم.

فإن كان الحديثُ ثابتًا فلا ريبَ أن في تأخيرهم لخروج المهدي حكمة يعجزُ فهم كثير من الخلق عن إدراكها، وقد يُقال يمكن أن تكون: أن في زمن المهدي الحاجةُ داعية لخروجهم أكثر من غير زمنه لخفة الدين حينئذ، فإنه يخرج في انمحاق الدين. قيل إنه لم يبقَ على وجه الأرض من المسلمين إلا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدة أهل بدر كما ورد، وإن كان الحديث لم يثبتُ فلا حاجةَ إلى هٰذا كُلّه واللهُ سبحانه وتعالى أعلمُ بما هو كائن.

فائدة: وردَ أنَّ أوّل لواء يعقدهُ المهدي يَبْعثُ به إلى الترك، قال في «الإشاعة»[1]: والظاهر أن هٰذه الفتوح تكون في مدة مهادنته الروم لأنّ بعد اشتغاله بهم، لا يتفرغ لغيرهم أو أنه يَبعَثُ البعوث والسرايا، ونسبة دخول الآفاق إليه يكون مَجازًا، وهٰذا محاولة منه لتوجيه هٰذا الكلام، كما لا يخفى والله أعلم.

---

(١) «الإشاعة» ص١٠٥.

تنبيه: ورد أنّ الملحمة العظمى، وفتح القسطنطينية، وخروج الدجّال في سبعة أشهر وفي رواية: سبع سنين وقال أبو داود: في سُننَه، ورواية: «سبع سنين» أصح من رواية: «سبعة أشهر»، ذكره في «الإشاعة»(١) وكذلك من رواية «سنة».

تتمه: ٱختلفت الروايات في مدة ملك المهدي، ففي بعضها «يملك خمسًا أو ستًا أو سبعًا» بالترديد، وفي بعضها «تسعة عشر سنة، وأشهرا» وفي بعضها: «عشرين» وفي بعضها «ثلاثين»، وفي بعضها «أربعين منها تسعُ سنين يهادن الروم فيها»، قال في «القول المختصر»: ويمكن الجمع على تقدير صحة الكل، بأن ملكه متفاوت الظهور والقوة، فيحمل الأكثر على أنه باعتبار جميع مدة الملك، والأقل على غاية الظهور، والأوسط على الأوسط(٢). ٱنتهى

قال في «الإشاعة»(٣) ويدل على ما قاله وجوه:

الأوّل: أنه ﷺ، بشّر أمّتَهُ خُصوصًا /٣٣٤/ أهل بيته ببشارات، وأن الله يعوضُهم عن الظُلم والجور قسطًا وعدلاً، واللائق بكرم الله، أن يكون مدة ذٰلك قدرَ ما ينسَونَ فيه الظلم والجور والفتن، والسبع والتسع أقل من ذٰلك.

الثاني: أنه يَفتحُ الدنيا كُلّها كما فتح ذو القَرنين وسُليمان، ويدخلُ جميع الآفاق، كما في بعض الروايات، ويبني المساجد

---

(١) «الإشاعة» ص١٠٥. وسنن أبي داود (٤٢٩٥)، (٤٢٩٦).

(٢) «القول المختصر» ص٢٧-٢٨ . (٣) «الإشاعة» ص١٠٥، ١٠٦.

والبلدان، ويُحلي بيت المقدس وهٰذا لا يُمكن في مدة التسع.

الثالث: ورد أن الأعمار تطول في زمانه، وطولها مستلزم لطول مدته، وإلا لا يكون طولها في زمنه، والتسع وما دونه ليس من الطول في شيء.

الرابع: أنه يهادن الروم تسع سنين، ويقيم بالقسطنطينية سنة، وبالقاطع سَبعًا ومدة المسير إليها مرتين، والرجوع في أثنائه يكون سنين، وقتاله السفياني، [ونقضه العهد بعد ثلاث سنين][1] وفتحه للهند وسائر البلدان يكون في سنين كثيرة. هٰذا ملخص كلامه وأطال فليراجع.

تنبيهان: الأوّل قال العلاّمة في «البهجة»: كثُرت الأقوال في المهدي، حتى قِيلَ لا مهديَّ إلا عيسى قال: والصحيح بَلْ الصَّوابُ أنه غيره، فإنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام، وقد كثرت بخروجه الروايات، فعند ابن أسكاف[2] مُرضيًا مُسندًا إلى جابر، رضي الله عنه: «**مَن كذَّب بالدجال فقد كفر، ومن كذّب بالمهدي فقد كفر**»[3].

ألا ترى أن الشارع أخبر به وبَشَّر كما ثبتَ ذٰلك بالروايات الصحيحة المتقدمة.

---

(١) زيادة من (ط).

(٢) هو أبو بكر محمد بن محمد بن أحمد الإسكافي، كان ثقة، حدث ببغداد وتوفي سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة الأنساب (١/ ٢٣٤) له كتاب: «فوائد الأخبار».

(٣) ذكره السهيلي في شرح السيرة (٢/ ٤٣١)، رواه مسندًا إلىٰ مالك بن أنس عن محمد بن المنصف عن جابر، انظر «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (١٥٧).

وقُلْتُ: ورد في بعض الأحاديث: «**لا مهدِيَّ إلاَّ عيسى ابن مريم**»[١] وهو ضعيف. ولو ثَبتَ لوجَبَ حملُه على معنى لا ينافي وجود المهديّ، لأن أحاديثه كثيرة جدًا، بل قد بلغت حدّ التواتر المعنوي، وتأويله أنه لا قول للمهدي إلا بمشورة عيسى، إن قلنا أنه وزيره، أو لا مهدي معصومًا مُطلقًا إلاَّ عيسى، ولا ٱعتبار بمن ٱغترَّ بالرواية المارة؛ فإنّ ذٰلك سهو من المعتمد، ذٰلك وقصور عن معرفة الأحاديث صحيحها من سقيمها، وإلاّ فالإيمانُ بخروج المهدي واجبٌ كما هو مقرَّر /٣٣٥/ عند أهل العلم، ومُدوَّنٌ في عقائد أهل السُنة والشيعة أيضًا، لكنهم زعموا أنه محمد ابن الحنفية، رضي الله عنه، أو أنه محمد العسكري، كما مرَّت الإشارة إلى ذٰلك، والله أعلم.

الثاني: صحَّ عن ابن سيرين[٢] أن المهدي خيرٌ من أبي بكر وعمر، قد كاد يفضل الأنبياء وصحّ: لا يفضُل عليه أبو بكر وعمر، وهو وإن كان أخف من الأوّل فليس على ظاهره، لأنَّ الأمَّة أجمعت على أنهما أفضل منه، بل ومن جميع الصحابة، خلافًا للرافضة خذلهم الله، بَلْ غيرهما من الصحابة أفضل من المهديّ على أنه من كلام ابن

---

(١) رواه ابن ماجه في «سننه» (٤٠٣٩)، وأبو نعيم في «الحلية» ٩/ ١٦١، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» ٢/ ٣٧٩-٣٨٠ . وقال: قال النسائي: هٰذا حديث منكر، وقال البيهقي: تفرد بهٰذا الحديث محمد بن خالد الجندي. وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة»: منكر.

(٢) انظر «عقد الدرر» (١٤٨)، «الفتن» لأبي نعيم (١٠٢٧)-(١٠٣٦)، «الفتن للداني» (٥٠٤). ما ذكره المؤلف في تفضيل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على المهدي هو ما عليه هذه الأمة.

سيرين، ولم يذكر له مستندًا فلا يُصار إليه بل الحقُّ أنّ أبا بكر وعُمر وبقية العشرة، بل وبقية الصحابة، أفضل من المهديّ، وما ورد بخلاف ذٰلك فليس على ظاهره.

نعم: لنا صحابي أفضل من أبي بكر وعُمر وهو: عيسى ابن مريم عليه السلام، كما سنبينه إن شاء الله تعالى، ثم يستمر سيدنا المهدي حتى يُسلم الأمر لروح الله عيسى بن مريم عليه السلام، ويُصلي المهدي بعيسى صلاة واحدة، وهي الفجر ثم يستمر المهدي على الصلاة وراء سيدنا عيسى عليه السلام، بعد تسليمه الأمر إليه ويكون معه حتى يقتُلَ سيدُنا عيسى عدوَّ الله الدّجَّال، بباب لُدٍّ كما يأتي، ثم يرجع سيدنا عيسى إلى بيت المقدس، فيموت سيدُنا المهدي فيُصليِّ عليه روح الله عيسى عليه السلام، ويدفنه هناك، كما في البهجة والله سبحانه وتعالى أعلم.

الفصل الثاني

في الدجَّال وما يتعلق به، والكلام عليه في أربع مقامات

المقامُ الأول في ٱسمه ونسبه ومولده: فأما ٱسمه فإنه صافي بن صياد أو صائد ومولده المدينة، بناء على أن ابن صيّاد هُو الدجال، كما يأتي.

وقيل: أن الدجال شيطانٌ مُوثَّق في بعض الجزائر وهوَ من أولاد الشق الكاهن المشهور، أو هُو شق نفسه وكانت أمه جِنيَّة فعشقت أباه فأوْلَدَها شقا وكانت الشياطين تعمل له العجائب، فحبسه سُليمانُ وليس بشيء.

وأمَّا لقبُه: فالمسيحُ /٣٣٦/ بفتح الميم وكسر السين، مُخففَّة وبالحاء المُهْمَلَة، وسُمِعَ مَسّيحُ، بالتشديد، قاله الأزهريُّ[١] على وزن فَعّيل فرقًا بينَه وبينَ عيسى عليه السلام قال الغنيمي الشافِعيُ في رسالته: «الأجْوبةُ المفيدة على الأسئلة العديدة» ما نصُّه: قال ابن دِحية: عن شيخه أبي القاسم عن أبي عمران موسى بن عبد الرحمن، قال: سمعتُ الحافظ أبا عمر بن عبد البر[٢] يقول: ومنهمُ من قال ذٰلك بالخاء المعجمة، وذٰلك عند أهل العلم خطأ ولذا ثبتَ عن رسول الله ﷺ، أنه نطق به بالحاء المهملة، ونقله الصحابة المبلغون عنه وقال الراجز: إذا المسيحُ قتل المسيحا، يَعني: عيسى عليه السلام، يقتُلُ الدجال. ٱنتهى[٣]. مُلخّصًا وقد بُسَط الكلامَ على ذٰلك، فليُراجَع.

---

(١) «تهذيب اللغة» مادة: مسح. (٢) انظر «التمهيد» (١٤/ ١٨٨).

(٣) «التذكرة» ص٧٦٨ .

وأمّا صِفتُه: فالدجَّالُ: مشتق من الدجل وهو خلط واللبس والخدع، فمعنى الدجال الخَداع الملبِّسُ على النّاس، ومنه قوله ﷺ، حينَ خَطبَ إليه[١] أبو بكر فاطمة رضي الله عنها: «**إني وعدتُها لعليّ ولستُ بدجّالٍ**» أي: لستُ بخدّاع ولا مُلبِّس عليك أمرك.

وأما تَلقيبُهُ بالمسيح: فقيل: لأنّ عينَه الواحدة ممسوحَة، يقال: رجل مَسيحُ[٢] الوَجْه؛ إذا لَمْ يَبقَ على أحَد شقي وجهه عينٌ ولا حاجبٌ إلا أستوى. وقيل لأنَه يمسحُ الأرض أي: يَقطعُها. وقال أبو الهيثم: هو مسيحٌ بوزنِ سكّيت، وهو الذي مسحَ خلقهُ وشوّهَ.

وزعم بعضهُم أن الدجَّالَ بالخاء المعجمة، وعيسى بالمهملة قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: وبَالغَ القاضي ابن عربي فقال: ضَلَّ قومٌ فروَوْهُ بالخاء المُعجَمة، وشدَّدَ بعضُهم السين، ليُفرّقُوا بينه وبين المسيح ابن مريم عليه السلام، وقد فرق النبي ﷺ بقوله في الدجّال: «مسيحُ الضلالة»[٣]، فدل أن عيسى مسيحُ الهُدى، فأرادَ هٰؤلاء تعظيمَ عيسى، فحرفوا الحديث[٤]. قال في «القاموس»[٥]: اْجتمع لنا في تسمية المسيح خمسون قولاً قُلْتُ: لم أرَ في كتب / ٣٣٧/ اللُّغَةِ بعدَ الفحصِ التام، والحرصِ على مُراجعةِ هٰذه المادَّة أحدًا ذكر أنه

---

(١) ذكره في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٠٤)، و«الموضوعات» لابن الجوزي (١/ ٣٨٢)، و«غريب الحديث» للخطابي (١/ ٦٢٦)، و«الفائق» (١/ ٤٢١)، و«المجموع المغيث» (١/ ٦٤٠) بألفاظ متقاربة.

(٢) انظر «لسان العرب» مادة: مسح.

(٣) أحمد (٢/ ٢٩١).

(٤) «فتح الباري» ١٣/ ٩٤ .

(٥) انظر «تاج العروس» مادة: مسح.

بالخاء فقد راجعتُ القاموس، والصِّحاحَ، ولسانَ العرب، وغريب الهروي، ونهاية ابن الأثير، وتهذيب الأسماء واللغات، والله أعلم.

وأما وجهُ تسمية سيدنا عيسى عليه السلام مسيحًا: لأنه لا يَمْسَحُ ذا عاهةٍ إلا برئ أو لأنّه أخمص ومنه في صفة النبي ﷺ: **«كان مسيح القدمين»**[1]، أو لأنه خرج من بطن أمه ممسوحًا بالدُّهن، أو لأنه يمسحُ الأرضَ ويقطعها.

المقام الثاني في حليتهِ وسيرتِه: أما حليتُه: فإنه رجلٌ شاب وفي رواية شيخ وسندهما: صحيحُ «جسم أحمر» وفي رواية: «أبيضُ، أمهق» وفي رواية «آدم» قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: يمكنُ أن تكون أدمته صافية، وقد يُوصَفُ ذٰلك بالحمرة لأن كثيرًا من الأدم قد تحمَّر وَجنتاهُ «جَعْدُ الرأس» قَطَطٌ أعور العين اليُمنى، كأنها عِنبة طافية، وفي رواية: «أعور العين اليسرى»، وجَاء في رواية أنه «أعور العين مطموسة»، وليست جُحراء، وهٰذا مَعنى «طافئة» مهموزة.

قال في فتح الباري، نقلاً عن القاضي عياض: الذي روَيناه عن الأكثر وصححه الجمُهور وجزم به الأخفشُ طافيةٌ بغير همز، ومَعناهُ أنها ناتئة نتُوَء العنبة قال: وضبطه بعض الشيوخ: بالهمز. وأنكره بعضهم قال: ولا وَجه لإنكاره[2] ثَّم جَمع القاضي عِياض بين الروايات بأن عينه اليمنى طافية بغير همز وممسوحة أي ذهب ضوؤها، وهَو معنى حديث أبي داود مطموس العَينِ ليستْ بناتئة ولا جَحْرَاءَ[3] أي: ليست عالية ولا عميقة، كما في الرواية الأُخرى عنه

---

(١) الشمائل المحمدية (٧) تح/الزعبي (٢) «الفتح» ١٣/ ٩٧ .

(٣) «سنن أبي داود» كتاب: الملاحم، باب: خروج الدجال (٤٣٢٠).

وهي الجاحظةُ: التي كأنها كوكب، و«كأنها نخاعة في حائط»: وَهي الخَضراء كما جاء ذٰلك في الأحاديث قال: وعلى هٰذا فَهُو أعورُ العينين معًا فكلُ واحدةٍ منهما عوراء وذٰلك أنّ العورَ العيب، والأعور: من كُل شيء المَعِيب. وكلا عيني الدجّال معيبة، إحداهما: بذهابِ نُورِها، والأخرى: نبئوها وخضرتها، قال النووي: وهو في غايَة الحُسن. ٱنتهى

وقد وردَ «أن على عَينِه ظفرةٌ غليظة»، وهي: لحمة تنبتُ /٣٣٨/ عند المآق، وقيل: لحمةٌ تخرجُ في العَين في الجانب الذي يلي الأنف، وهما متقاربان. قال في «فتح الباري»[(١)]: وقدْ وَرَدَ في كلتا عينيه: «أن عليها ظفرة» وفي بعض الروايات عن أبي سعيد، عند الإمام أحمد «عينه جاحظة لا تخفى كأنّها نخامة في حائط مجَصَّصُ وعينُه اليسرى كأنها كوكبُ دُرّيٌ»[(٢)]، وفي حديث أُبيّ عند الإمام أحمد أيضًا، والطبراني «إحدى عينيه كأنها زجاجة خضراء»[(٣)].

قال: والذي يَتحصَّلُ من مجموع الأخبارِ: أن الصواب في طافية بغير همز وصرَّح به في حديث عبد الله بن مَغفل، وسمرة وأبي بكرة: بأنّ عينَهُ اليُسرى مَمسوحة، والطافئة غير الممسوحة، وأما الظفرة: فجائز أن يكون في كل من عينيه، لأنه لا يُضادُ الطمسِ، ولا النتُوء، أو يكونَ التي ذهبَ ضوءها هي المطموسة، يعني: اليسرى والمعيبة مع

---

(١) فتح الباري ١٣/٩٨.
(٢) «مسند أحمد» ٣/ ٧٩ .
(٣) «مسند أحمد» ٥/ ١٢٤ .

بقاء عينها هي البارزة. انتهى.

والدجال: «قصيرٌ أفحج» أي: متباعدُ ما بين الساقين، وقيل: هو التداني بين صُدور القدمين، مع تباعد القدمين. وقيل: هو الذي في رجليه اعوجاجٌ.

«جُفالُ الشعر» بضم الجيم، وتخفيف الفاء أي: كثيرةُ «هِجان» بكسر أوّله وتخفيف الجيم: «أبيضُ أقمر» أي: شديدُ البياض «فَيْلماني» بفتح الفاء وسكون التحتانية أي: عظيم الجُثة، كأن رأسَهُ أغصَانُ شجرة، أي: شعرُ رأسه كثير متفرق قائم، وفي رواية: «إن رأسه من ورائه جبك»، أي: شعرُه من الجعود كالماء والرَّمل إذا ضربَتهُ الريح.

قال في «النهاية»: وهذا معنى ما مَرَّ أنه جعد قَطَط[1]. «مكتوبٌ بين عينيه ك ف ر، -حروفًا مقطعة- يقرأها كل مسلم، كاتب وغير كاتب، ولا يقرأها الكافر[2]. لا يُولَدُ له ولد ولا يدخلُ المدينة ولا مكة، تتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة، وسبعون ألفًا من يهود أصبهان، عليهم التيجانُ وكلُّهم ذو سيفٍ مُحَلَّى».

ومن صفاته: «تنام عيناهُ، ولا ينام قلبُه وأبوه طوال ضرب من اللحم، كأن أنفه منقارٌ وأمّه فرضاخية» أي: كثيرة اللّحم! «طويلة الشفتين، له حمارٌ أهلب، وهو المشعر الغليظ، ما بين أذنيه أربعون ذِراعًا يضع /٣٣٩/ خُطوةً عند منتهى طَرْفه».

---

(١) «النهاية في غريب الحديث» ١/ ٣٣٢ .

(٢) في هامش الأصل: وفي نسخة بخطه ولا يقرأها الكفار.

وقال أبو الطفيل عن بعض الصحابة: «يخرجُ الدجال على حمارٍ رجس على رجس». رواه ابن أبي شيبة[١].

وقال عليّ كرّم الله وجهه: «يخرج الدجالُ ومعه سبعون ألفًا من الحاكة». قال بعضُهم: هِي موضعٌ. على مُقدِّمَته - أشعر - أي: رجلٌ كثيرُ الشعر، يقولُ بدو بدو. ورواه الديلمي[٢]. قوله: بدو بدو معناه بالفارسية: أسرع أسرع.

وعن عليّ كرّم الله وجهه، «في صفة حماره طول كلّ أذن أربعون ذِراعًا ما بينَ حافر حمارِه إلى الحافرِ الآخر مسيرةُ يومٍ وليلة».

كذا في الإشاعة[٣]. وفي مرفوع ابن مسعود عند أبي نعيم في الفتن[٤]: «بينَ أذُني الدجّال أربعون ذراعًا وخطو حماره ثلاثة أيام، ويسبقُ الشمسَ إلى مغيبها، يخوضُ البحر كما يخوض أحدكم الساقية»، ووراه الحاكم وضعفه. «تُطوَى لهُ الأرضُ، مَنْهلاً مَنْهلاً يتناول السحابَ بيمينه[٥]، ويسبقُ الشمس إلى مغيبها، يخوضُ البحر إلى كَعْبِه»، وقد مر أنه قصير، فكيف يوصف هنا بهذا الطول؟ وتكلف بعضهم أن قصره يُحتَملُ أنْ يكونَ بالنظر إلى ضخامته، لأن ضخامتهُ تقتضي أن يكون أطول من ذلك، أو أنَّه قصيرٌ في نفس الأمر، ثم إذا أظهر الكفرَ وادَّعى الإلهية زاد طوله، وضخامته ابتلاء من الله للعباد،

(١) «المستدرك» (٤/ ٥٢٤)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٩٩٥) عن أبيه.
(٢) رواه ابن عدي في الكامل ١/ ٣٠٣، والديلمي ٥/ ٥١٣. قال ابن عدي: هذا الحديث باطل بهذا الإسناد.
(٣) ص١٢٥.
(٤) الفتن ٢/ ٥٤٣.
(٥) السنن الواردة في الفتن ٦/ ١١٩٧.

وفتنةٌ لهم ومحنة وفيه بُعد، لا يخفى. ففي سنن أبي داود عنه ﷺ، أنه قال: «**إن المسيحَ الدّجالَ قصيرٌ أفحج جَعدٌ أعور مطموس العين**»(١).

وفي مسند أبي بكر بن أبي شيبة، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**أما مسيح الضلالة فرجل أجلى الجبهة، ممسوح العين اليسرى، عريض المنخر، فيه رفا**»(٢) أي ٱنحناء.

وفي صحيح مسلم(٣) من حديث تميم الداري في صفة الدجّال حينَ رآه بالدير، فإذا رجلٌ أعظم إنسان رأيناهُ قط خلقًا، وأشد وثاقًا مجموعةٌ يداه إلى عنقه وما بين رُكبتيه إلى كتفيه بالحديد. وفي صحيح مسلم أيضًا: «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلقٌ أكبر من الدجال**»(٤).

واعلم أن العلماء ٱختلفوا في الدجّال، فقيل: أنه ليسَ بإنسان وإنما هو شيطان /٣٤٠/ موثقٌ بسبعين حَلَقة في بعَض جزائر اليمن، لا يعلَمُ مَن أوثقه، أهو سليمانُ أو غيره، فإذا أرادَ اللهُ ظهوره فك عنه كلّ عام حلقة، وإذا أبُرز أتَتْه أتان، عرضُ ما بين أذنيها أربعون ذراعًا، فَيضعُ على ظهرها منبرًا من نُحاس، فيقعدُ عليه وتتبعه قبائل الجنّ، يخرجون إليه بخزائن الأرض، والله أعلم.

وأما سيرته: فإنه يخرج أوّلاً فيدّعي الإيمان والصَّلاحَ، ويدعو

(١) رواه من حديث عبادة: أحمد ٥/ ٣٢٤، وابنه عبد الله في «السنة (١٠٠٧)، وأبو داود (٤٣٢٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٢٨)، والضياء في المختارة ٨/ ٢٦٥ من طريق بقية وهو ضعيف.

(٢) رواه بنحوه يعقوب بن شيبة في «مسند عمر بن الخطاب» ص٩٧.

(٣) صحيح مسلم (٢٩٤٢).

(٤) صحيح مسلم (٢٩٤٦) من حديث عمران بن حصين.

إلى الدين فيُتَّبع ويظهرُ فلا يَزال حتى يَقدمَ الكوفة، فيُظهِر ٱلدين، ويعمل به فيُتّبَعَ ويُحب على ذٰلك، ثم يَدَّعي الإلهية ويقول: أنا الله، فتغشى عينُه وتُقطع أذناه، ويكتب بين عينيه كافر، فلا يخفى على مسلم، فيفارقه كل أحد من الخلق في قلبه مثقال ذرة من الإيمان. هكذا رواه الطبراني[(١)].

وقال كعب الأحبار[(٢)]: «يتوجه الدجالُ فينزلُ عند باب دمشق الشرقيّ ٱبتداء قبل خروجه، ثم يُلتَمسُ فلا يُقدرُ عليه، ثم يُرى عند المياه التي عند نهر الكسوة، ثم يُطلبُ فلا يُدرى أين توجَّه، ثم يَظهر بالمشرق فيُعطى الخلافة ثُم يظهرُ السحر ثم يَدِّعي النبوة، فينصرف الناسُ عنه يعني: المسلمين فيأتي النهر فيأمره أن يسيل فيسيل، ثم يأمره أن يرجع فيرجع، ثم يأمره أن ييبسَ فييبس»، الحديث بطوله رواه نعيم بن حماد[(٣)]، و«يبعث الله له شياطين فيقولون له: ٱستعن بنا على ما تريد، فيقول نعم ٱذهبوا للناس فقولوا أنا رَبُّهم، فيبثهم في الآفاق، ويدعي الإلهية». والله سبحانه وتعالى أعلم .

المقام الثالث: في خروجه وما يأتي به من الفِتن والشبهات [ومعرفة سيره في الأرض][(٤)].

---

(١) أورده الهيثمي في المجمع ٧/ ٣٤٠ وقال: رواه الطبراني وفيه سعيد بن محمد الوراق وهو متروك.

(٢) رواه نعيم بن حماد ٢/ ٥٤١. (٣) في الفتن ٢/ ٥٤١.

(٤) ليست في (أ)، و(ب) وهي في (ط).

أما خروجه: فاعلم أنه يخرجُ من أرض المشرق من أرض خراسان، ومعه اليهود من أصبهان وغيرها، وقيل يخرج من يهودية أصبهان وقيل: من أرض كوثا[١] بالكوفة، وأكثرُ من يتبعهُ اليهود والنِّساء والأعراب و(عن)[٢] كعب: الدجالُ تلده أمّه بقوص من أرض مصر، وبين مولده ومخرجه أربعون سنة، أخرجه نعيم[٣] من طريق كعب.

وفي الترمذي أنه يخرجُ من خراسان[٤].

وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا: «**يتبع الدجال من يهَود أصبهان سَبعون ألفًا عليهم الطيالسة**»[٥].

وفي الطبراني: «**يخرج الدجال من قِبل أصبهان المشرق، معه قوم وجوههم كالمِجان**»[٦].

وفي الديلمي عن عليّ رضي الله عنه، مرفوعًا: «**يخرجُ الدجَّالُ ومعه سبعون من الحاكة على مقدمته**»[٧].

---

(١) كوثى: بسواد العراق في أرض بابل، وبها مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام وبها مولده «معجم البلدان» ٤/ ٤٨٧.

(٢) كذا في (ط)، و(ب) ومكانها يتأخر في (أ).

(٣) الفتن ٢/ ٥٤١.

(٤) رواه الترمذي (٢٢٣٨).

(٥) رواه مسلم (٢٩٤٤)، وأحمد ٣/ ٢٢٤، وابن حبان (٦٧٩٨).

(٦) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (١٢٨٥).

(٧) رواه ابن عدي في الكامل ١/ ٣٠٣، والديلمي ٥/ ٥١٣، وقال ابن عدي: حديث باطل.

وفي مستدرك الحاكم[1] عن ابن عمر مرفوعًا «يخرج الأعور الدجال من يهودية أصبهان، لم يُخلق له عينٌ، والأخرى كأنَها كوكب، ممزوجة بدم يشوى في الشمس سمكًا ويتناولُ الطيرَ من الجوِّ، لهُ ثلاثُ صيحاتٍ يَسمعُها أهلُ المشرقِ (والمغرب)[2]».

وأما فتنته: ففي الحديث «ما كانت ولا تكون فتنةٌ حتى تقوم الساعة أعظمَ من فتنة الدجال، ومَا من نَبيٍّ إلاّ وقد حذَّرَ قومه الدجال». الحديث رواه الحاكمُ عن جابر مرفوعًا[3]، وفي الحديث «أن قبل خروجه بثلاث سنين أوّل سنة: تمسك السماء ثلث قطرها، والأرض ثلث نباتها، والسنة الثانية: تمسك ثلثي قطرها، والأرض ثلثي نباتها، والسنة الثالثة: تمسك السماء ما فيها ويهلك كل ذي ضَرس وظلف».

ومن جُملة فتنته: «أنه يسيرُ معهُ جبلان أحدهما فيه أشجار وثمار وماء وأحدهما: فيه دُخان يقول: هٰذه الجنة وهٰذه النار» رواه الحاكم عن ابن عُمرو[4] وعن حُذيفَةَ «أن معه جنّةً ونارًا، ورِجالاً يقتلُهم، ثم يُحييهم ومَعه جبلٌ ثريد، ونهرُ ماء»[5].

قال العلامة في «بهجته»: وقد وردَ أنَّه إذا خرج يكونُ معه صورة جنة ونار، ويكون ذٰلك على طريق التخييل لا الحقيقة، ومن أدخله جنّته كانت عليه نارًا، ومن أدخله نارَهُ كانتْ عليه جَنَّة، ويكونُ مَعَهُ جبالٌ من خُبز كالبرد، ذكره الحافظ ابن حجر. قال العلامة: ويتسلط على كل الحُبوب والأقوات حتي الفول، خلافًا لمن ٱستثناه مدعيًا أن في

(١) في المستدرك للحاكم ٤/ ٥٢٨ وصححه، وتعقبه الذهبي وقال: بل منكر.
(٢) زيادة من (ط)، و(ب).
(٣) «المستدرك» ١/ ٢٤.
(٤) رواه أحمد ٦/ ٤٥٣.
(٥) «المستدرك» ٤/ ٥٢٩.

رأسه ألفًا أو مدةً سُودًا تشبه الألف، إذ هُو كلامٌ لا أصلَ له. قال: ولا يدعُ ماءً إلاّ دَخله وورَده، ويدعو الناسَ إلى الإيمان به / ٣٤٢/ وأنَّه ربّهم وإلهَهُم، ويدخُلُ البحرَ المالح في أعمق مكان منه، فيصل إلى حقوّيه، فيأخذُ بيده منه السمك، ويَمدُّ يديه إلى السحاب قال: ولا يَبقى [منه][1] بلا فتنة إلا سبعةُ آلاف آمرأة، واثنا عشر ألف رجل، على ما ورد. آنتهى[2].

فإن قيل: قَد ورَد أنَّهُ يُسَلَّطُ على واحد، ثم لا يَقدرُ عليه ثانيًا، وأنه يقول لا يَفعلُ بعدي بأحد من الناس، فكيف يُقالَ أن معه رجالاً يقتُلهم؟ فالجوابُ: أن هٰؤلاء الرجال إنما هم شَياطين، وقتله إيّاهم وإحياؤه لَهم إنما هو في رأي العين، لا على الحقيقة. وأما قتل ذٰلك فعلى الحقيقة، والرجُلُ هُو الخضر[3] كما يأتي ومع الدجال جبالٌ من خبز، والناس في غاية الجهد إلاَّ من آتبعه، ومعه نهران.

قال ﷺ: «**أنا أعلم بهما منه، نهرٌ يقول الجنة، ونهرٌ يقول النار، فمن أدخله الذي يسميه الجنَّة، فهو في النار، ومن أدخله الذي يُسميه النار فهو في الجنة**» رواه الإمام أحمد، وابنُ خُزَيمة والحاكم، وغيرهم عن جابرٍ رضي الله عنه[4].

---

(١) زيادة من «الفتن» لنعيم بن حماد ٢/ ٥٣٧.

(٢) في أ حاشية: قف على من لا تلحقه فتنة الدجال من الرجال والنساء.

(٣) الصحيح أن الخضر ميت كما هو رأى علماء السلف.

(٤) رواه أحمد ٣/ ٣٦٧-٣٦٨ مطولاً، وابن خزيمة في التوحيد ١/ ١٠٢، والحاكم ٤/ ٥٣٠. وأورده الهيثمي ٧/ ٣٤٤ وقال: رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح.

وفي رواية «أنا أعلمُ بما مع الدجال: معه نَهران يجريان، أحدُهما رأيُ العين؛ ماء أبيض، والآخر رأي العين؛ نارٌ تأجج، فإما إن أدرك ذٰلك واحدٌ منكم، فليأتِ النهرَ الذي يَراه نارًا تأجج، ويُغمضُ ثم ليُطأطئ رأسه فيشرب، فإنه ماء بارد»[١].

وعند البخاري[٢] من حديث المغيرة بن شعبة: «معه جبلُ خبز» زادَ مُسلم[٣] في رواية «معه جبالٌ خبز ولحم ونهرٌ من ماء».

وفي رواية نعيم عن ابن مسعود «معه جبلٌ من مَرق، وعراقُ اللحم حار لا يبرد، وجَبلٌ من جنّان وخضرة، وجبلٌ من نار ودُخان، يقول: هٰذه جَنَّتي، وهٰذا طعامي وهٰذا شرابي»[٤].

واعلم أن العلماء ٱختلفوا في هٰذه الجنة والنار، هل هي على سبيل الحقيقة؟ أم تخييل؟[٥] وقد ذكرنا أن العلامة قال: يكونُ ذٰلك على طريق التخييل لا الحقيقة.

وقال ابن حِبَّان في صحيحه[٦]: إنه تخييل. واستدل بحديث المغيرة بن شعبة في الصحيحين[٧]: /٣٤٣/ أنه قال: كنتُ أكثر من

---

(١) كما في مسلم (٢٩٣٤) من حديث حذيفة، وفي البخاري (٣٤٥٠) نحوه.
(٢) البخاري (٧١٢٢). (٣) مسلم (٢٩٣٩)، (١١٥).
(٤) الفتن ٢/ ٥٤٤.
(٥) قال ابن كثير رحمنا الله وإياه في «النهاية» (١/ ١٤٧): وقد تمسك بهذا الحديث طائفة من العلماء كابن حزم والطحاوي وغيرهما في أن الدجال ممخرق مموه لا حقيقة لما يبدي للناس من الأمور التي تشاهد في زمانه، بل كلها خيالات عند هؤلاء. أ.هـ
(٦) انظر (٦٧٨٢، ٦٨٠٠). (٧) البخاري (٧١٢٢)، ومسلم (٢٩٣٩).

سؤال النبي ﷺ، عن آية. أيّ: علامة الدجال فقال لي: «**وما يضرك؟**» قلت: لأنهم يقولون: إن معه جبل خبزٍ. قال: «**هو أهونُ من ذٰلك**»، قال فمعناه: أنه أهونُ على الله من أن يكونَ معه ذٰلك حقيقةً، بَل يُرى ذٰلك وليس بحقيقة ويدل له أيضًا الرواية السابقة: «أحدهما في رأي العين ماء أبيض» الحديث. وقال جماعة منهم ابن العربي: بل هي على ظاهرها ٱمتحانًا من الله لعباده، وحملوا قوله ﷺ: «**هو أهون**» إلى آخره أي: قال من أن يُخافَ منه، أو أن يُضل اللهُ به من يُحبه.

قال في «الإشاعة»[1]: والتحقيق الأول: ويدل له مع ما تقدم قوله ﷺ: «**فمن أدرك ذٰلك منكم فليقع بالذي يراه أنه نارٌ فإنه عذبٌ بارد**»، وبما في رواية: «**فالنار روضَةٌ خضراءُ**» والله الموفق.

وأخرج أبو داود عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سَمعَ بالدجال فلينأ: أي يبعد عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يَحسَبُ أنه مؤمنٌ فيتبعه، مما يبعَث به من الشبهات**»[2].

وأخرج مسلم من حديث النواس بن سمعان، من حديث الدجال الطويل: «**فيأتي أي الدجال القومَ فيدعوهم فيؤمنون به، ويستجيبون له، فيأمر بالسماء فتُمطر لهم، والأرض فتنبت فتروحُ عليهم سارحتُهم أطول ما كانت ذرًّا، واسبغه ضروعًا وأمده خواصر، ثم يأتي القومَ فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم فيصبحون**

---

(١) ص ١٢٦ .

(٢) رواه أحمد ٤/ ٤٣١ و٤٤١، وأبو داد (٤٣١٩)، والحاكم ٤/ ٥٧٦.

ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول: أخرجي ما فيك من كنز فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل»، الحديث(١).

وأخرج مسلم أيضًا عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يخرجُ الدجال فيتوجه قِبَلَهُ رجل من المؤمنين فيلقاه مسالح(٢) من مَسالح الدجال فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هٰذا الدجال الذي خرج فيقولون له: أوما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربُنا هٰذا خفاء، فيقولون: اقتلوه، فيقولُ بعضهُم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن لا تقتلوا أحدًا دونه؟ قال: فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن قال: أيها الناس هٰذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ، قال: فيأمر به الدجال فيُشَبحُ فيقول: خذوه فاشبحوه فيوسع ظهرُه / ٣٤٤/ ضربًا قال: فيقول: أما تؤمن بي فيقول: أنت المسيحُ الكذاب، قال فيؤمر به فيُنشر بالمنشار من فَرقِه حتى يُفرَقَ من رجله، قال: ثم يمشي الرجل بين القطعتين ثم يقولُ قم: فيستوي قائمًا، فيقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلاَّ بصيرة قال ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يَفعَلُ بَعدي بأحدٍ من الناس، قال: فيأخذُه الدجالُ ليذبحه، فيَجعلُ ما بين رقبته إلى ترقوته، فلا يستطيع إليه سبيلاً، قال: فيأخذ بيديه ورجليه، فيقذف به فيحسب الناس أنه قذف به في النار وإنما ألقي في الجنة»(٣).

---

(١) مسلم (٢٩٣٧) وتقدم.

(٢) في الأصل: «مسالخ من مساليخ» وهو خطأ ولفظ الحديث في صحيح مسلم: «المسالح، مسالح الدجال».

(٣) مسلم (٢٩٣٨)، وأبو يعلى (١٤١٠).

[قال رسول الله ﷺ][1]: «**هٰذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين**». [قال في التذكرة][2]: يقال إن هٰذا الخضر عليه السلام.

[وفي البهجة][3]: قد ثبت أن الله تعالى لا يسلط الدجال على أحد بالقتل، إلا على رجلٍ واحد، يخرج إليه ذٰلك الرجل، وهو شاب حسنُ فيقول له الدجال: أتؤمنُ بي وبألوهيتي؟ فيقول له: إنك اللَّعينُ الكذاب أو الدجال، فيقتُلَه ويشقَه نصفين، ويمشي الدجال بحماره بين الشقين، ويقول له: قم حيًا بإذني فيعود حيًا.

ثم يقول له بعد ذٰلك: أتؤمن بي؟ فيقول: ما زدت فيك إلا يقينًا أنك اللعين، [قال إبراهيم بن محمد][4] بن سفيان راوي صحيح مسلم أنه الخضر عليه السلام، لا أن ذٰلك الراوي إبراهيم أبو إسحق السبيعي، كما توهم القرطبي. وزعم بعضُهم أن الرجل من أصحاب الكهف، وقد مر أنهم يكونون من أصحاب المهديّ، وهو ضعيف [وفي رواية][5]: قال: يأتي - يعني الدجال - وهو محرَّمٌ عليه أن يدخل المدينة، فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة، فيخرجُ إليه يومئذ رجل وهو خير الناس، أو من خير الناس، فيقول: أشهد أنك

---

(١) مكانها بياض في (أ) واستدركناها من (ب)، و(ط).

(٢) مكانها بياض في (أ) واستدركناها من (ب)، و(ط).

(٣) مكانها بياض في (أ) واستدركناها من (ب)، و(ط).

(٤) مكانها بياض في (أ) واستدركناها من (ب)، و(ط). وفي حاشية (أ) على القول بحياة الخضر وقد أخذنا في كتابنا «الجواب المحرر» عدم حياته الآن، فالتصحيح على رأي من زعم أنه حي، مؤلف.

(٥) مكانها بياض في (أ) واستدركناها من (ب)، و(ط).

الدجال، الذي حدثنا رسول الله ﷺ، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلتُ هٰذا أتشكونَ في الأمر؟ فيقولون: لا فيقتُله ثم يُحييه فيقولُ حين يُحييه: واللهِ ما كنتُ فيك قط أشد بصيرة مني الآن فيريد الدجال أن يقتله، فلا يتسلط عليه خرجه البخاري[1]، /٣٤٥/ [وفي مسند أبي داود][2] الطيالسي عن النبي ﷺ، أن مع الدجال ملكين يُشبهان نبيين من الأنبياء أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله فيقول: ألست بربكم أحيي وأميت؟ فيقول أحدهما: كذبت، فلا يسمعه أحد من الناس إلا صاحبه، ويقولُ الآخر صدقت وذٰلك فتنة أي يقول صدقت فيسمع ذٰلك الناس، فيظن الناس أن قولَه صدقت جوابًا للدجال، وإنما هُو تصديق لتكذيب صاحبه للدجال في زعمه أنه رب[3].

[واعلم][4] أن في خروج الدجال أحاديث كثيرة مختلفة، وأبسط حديث فيه حديث النواس عند مسلم[5] وغيره، وحديث أبي أمامة عند ابن ماجة[6]، وابن خزيمة والحاكم[7] والضياء وحديث ابن

---

(١) رواه البخاري (١٨٨٢) و(٧١٣٢)، ومسلم (٢٩٣٨).

(٢) مكانها بياض في (أ) واستدركناها من (ب)، و(ط).

(٣) رواه الطيالسي (١١٠٦)، وابن أبي شيبة ٧/ ٤٩١، وأحمد ٥/ ٢٢١-٢٢٢، والروياني (٦٦٩).

(٤) مكانها بياض في (أ) واستدركناها من (ب)، و(ط).

(٥) «صحيح مسلم» برقم (٢٩٣٧).

(٦) «سنن ابن ماجه» برقم (٤٠٧٧). وضعفه الألباني.

(٧) «مستدرك الحاكم» ٤/ ٥٣٦-٥٣٧، وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم ووافقه الذهبي.

مسعود، عند نعيم بن حمّاد والحاكم[١]، وحديث أبي سعيد عند مسلم وعند البخاري معناه[٢]. وحديثُ أبي سعيد أيضًا عند الحاكم[٣] فلنَسُق هٰذه الأحاديث مَساقًا واحدًا [ثم نذكر][٤] وجه الجمع بين ٱختلافها بحسب الإمكان، والتيسير وقد نزيد بعضَ زيادات من غيرها، [فنقول ٱعلم][٥] أن النبي ﷺ، خطب فقال[٦]: **«إنه لم يكن في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم عليه السلام أعظم من فتنة الدجال، وأن الله لم يبعثْ نبيًا إلاً حذر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة فخفَضَ فيه ورفَعَ حتى ظنناهُ في طائفة النخل، فلما رُحنا إليه عرف منا ذٰلك فقال: أما[٧] من غير الدجال أخوف عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجُه دونكم، وأنا حجيج كل مسلم وإن يخرج من بعدي فكلٌ حجيج نفسِه، واللهُ خليفتي عليكم، وعلى كل مسلم، وإنه يَخرجُ من خَلّة أي: من طريق بينَ الشام والعِراق، فيَعيثُ أي يُفسد، يبعث السرايا والجنود يمينًا وشِمالاً، وإن**

---

(١) روراه الحاكم في مواضع عديدة ٤/٤٨٨، ٤٩٦، ٥٤٥-٥٤٦

(٢) سبق تخريجه في هامش (١). (٣) «المستدرك» ٤/٥٣٧-٥٣٨ .

(٤) مكانها بياض في (أ) واستدركناها من (ب)، و(ط).

(٥) مكانها بياض في (أ) واستدركناها من (ب)، و(ط).

(٦) هٰذا حديث طويل روي من طرق عديدة بألفاظ مختلفة أصحهما وأقربهما في «صحيح مسلم» برقم (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان. وكذا عند أبي داود من طريق أبي أمامة برقم (٤٣٢٢). وابن ماجه من نفس الطريق برقم (٤٠٧٧).

(٧) كذا في (أ) والمثبت في (ب)، و(ط): «أنا».

على مُقدمته سبعين ألفًا من يهود أصبهان، عليهم رجل أشعر يقول: بدو بدو كما مر».

[فقال][1] ﷺ: «يا عباد الله فاثبتوا فإني سَأصفُه لكم صفة لم يصفها نبيٌ قبلي، إنَّهُ يبدو فيقول: أنا نبيٌ ولا نبي بعدي، ثم يُثنيّ فيقول: أنا ربُكم ولا ترون ربكم حتى تموتوا، وإنه أعور وربكم ليس بأعور، وإنه مكتوبٌ بين عينيه كافر، يقرؤه كُلُّ مؤمن كاتب، وغير كاتب حروفًا مهجاة هكذا»[2] [كـ فـ ر][3] كما جاء مصرحًا به في بعض الروايات وتقدم ذٰلك [وأن من فتنته][4] أن معه جنةً ونارًا فناره جنة وجنته نار، فمن ٱبتلي بناره فليستعن بالله، وليقرأ فواتح سورة الكهف فتكون عليه بردًا وسلامًا كما كانت النار على إبراهيم [وإن من فتنته][5] كذا وكذا وقد ذكرناها [وأن معه اليسع عليه السلام][6] ينذر الناس فيقول: هٰذا المسيح الكذاب فاحذروه لعنه الله ويعطيه الله من السرعة ما لا يلحقه الدجال

[وفي رواية][7] إن بين يديه رجلين ينذران أهل القرى كلما دخلا

---

(١) مكانها بياض في (أ) واستدركناها من (ب)، و(ط).
(٢) هذا حديث النواس عند مسلم (٢٩٣٧).
(٣) مكانها بياض في (أ) واستدركناها من (ب)، و(ط).
(٤) مكانها بياض في (أ) واستدركناها من (ب)، و(ط).
(٥) مكانها بياض في (أ) واستدركناها من (ب)، و(ط).
(٦) مكانها بياض في (أ) واستدركناها من (ب)، و(ط).
(٧) مكانها بياض في (أ) واستدركناها من (ب)، و(ط).

قرية أنذرا أهلها فإذا خرجا منها دخلها [أول][١] أصحاب الدجال، [ويدخل القرى][٢] كلها غير مكة والمدينة فيمر بمكة، فإذا هو بخلق عظيم فيقول من أنت؟ فيقول: أنا جبريل، بعثني الله لأمنعه من حرم رسوله [وفي رواية][٣]: أنه لا يبقى في الأرض شيء إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة فإنه لا يأتيهما من نقب من أنقابهما إلا لقيه الملائكة بالسيوف، صلتة فيمر بمكة فإذا رأى ميكائيل ولى هاربًا ويصيحُ فيخرجُ إليه من مكة منافقوها [ويمر بالمدينة][٤] كذٰلك حتى إذا نزل عند الظريب الأحمر عند منقطع السبخة فتوجه قبله رجل من المؤمنين، ويقول لأصحابه: والله لأنطلق إلى هٰذا الرجل فلأنظرَنَّ أهو الذي أنذرنا رسول الله ﷺ أم لا؟ فيقول له أصحابه لا ندعكَ تأتيه، ولو أنا نعلم أنه يقتلُك إذا أتيته خلينا سبيلك، ولٰكن نخاف أن يفتنك.

فيأبى عليهم الرجل المؤمن إلا أن يأتيه، فينطلق يمشي حتى يأتي مسالح [الدجال][٥] أي: خفراءه، وطلائعه فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هٰذا الرجل الذي قد خرج وذكر ما قدمناه بحروفه، إلى أن قال فيرسلون إلى الدجال: إنا قد أخذْنا مَن يقولُ:

(١) ليست في (أ) وهي في (ب)، و(ط).
(٢) مكانها بياض في (أ) واستدركناها من (ب)، و(ط).
(٣) مكانها بياض في (أ) واستدركناها من (ب)، و(ط).
(٤) مكانها بياض في (أ) واستدركناها من (ب)، و(ط).
(٥) ليست في (أ) والمثبت من (ب)، و(ط).

كذا وكذا فنقتُله أو نرسلُه. قال: فيقول: أرسلوه إليّ. فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن عرفه لنعت رسول الله ﷺ، فيقول: أيها الناس هٰذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ، فيأمر به الدجال فَيُشبحُ ثم يقول: لتُطيعنَّني فيما أمرتُك أو لأشُقنَّك شقتين، فينادي المؤمن: أيّها الناس هٰذا المسيح الدجال الكذاب، من عصاه فهو في الجنة ومن أطاعه فهو في النار، فيؤمر فيوسعُ ظهره وبطنه ضَربًا فيقول له الدجال: والذي أحلفُ به لتُطيعَنيِّ أو لأشقنك شقتين، فيقول: أنت المسيح الكذاب، فيؤمر به فينشر بالمنشار على ما قدّمناه.

وفي رواية: فمد برجليه، فوضع حديدة على عجب ذنبه فشقه شقتين، ويبعد بينهما قَدْرَ رَمية الغرض، ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ويقول لأوليائه: أرأيتم إن أحييته؟ ألستم تعلمون أني ربكم؟ قالوا: بلى، فيضربُ أحد شقيه أو الصعيد عنده ويقول له: قم فيستوي قائمًا فلما رآه أولياؤه صدقوه، وأيقنوا أنه ربهم، وأجابوه واتبعوه، وقال للمؤمن: ألا تؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة ثم يأتي المدينة المشرَّفة فيجدُ بكل نقب من أنقابها ملكًا مسلطًا، فيأتي سبخة الجرف، وفي لفظ هٰذه السبخة، ينزل بمر قناة فيضرب رواقه ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج له، فتخلصُ المدينة، وذٰلك اليوم يوم الخلاص.

رواه الإمام أحمد والحاكم[١] عن محجن بن الأدرع فقالت أم شريك /٣٤٨/ بنت أبي العَكَن: يا رسول الله فأين العرب يومئذ؟ قال: «هم يومئذ قليل، وجلهم[٢] ببيت المقدس وإمامهم المهدي رجل صالح».

وفي رواية: عند الإمام أحمد من حديث جابر مرفوعًا: «فيفر المسلمون إلى جبل الدُّخَان بالشام فيأتيهم فيشتد حصارهم ويجهدهم جَهدًا شديدًا»، الحديث[٣].

ثم إن[٤] الناسَ يشكون في أمر الدجال، حين لم يقدر على قتل ذلك الرجل ثانيًا ويُبادرُ إلى بيت المقدس، فإذا صعد عقبة أفيق ورفع ظلة[٥] على المسلمين، فيوترون قسيهم لقتاله، فأقواهم مَن بَرَكَ حتى إذا طال الحصار قال رجل: إلى متى هذا الحصار والجهد؟ اخرُجوا إلى هذا العدو حتى يحكم الله بيننا إما الشهادة وإما الفتح فهل أنتم إلاّ بين إحدى الحسنيين؟! بين أن تستشهدوا أو يُظفركم الله عليهم، فيتبايعون على القتال بيعة يعلم اللهُ أنَّها الصدق عن أنفسهم، وذلك بعد ثلاث سنين شداد يُصيبُ الناسَ فيها الجوع الشديد، وأن قوتَ المؤمن التهليل والتسبيح والتحميد، ثم تأخذهم ظلمة لا يبصر أحدهم كفه، فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، فيحسرُ عن أبصارهم وبين أظهرهم رجلٌ عليه لامة فيقولون: من أنت؟ فيقول: أنا عبد الله وكلمتُه

---

(١) رواه أحمد ٤/٣٣٨، وانظر الفتح ١٣/٩٤.
(٢) في الأصل (وجلبهم) والمثبت من مصادر التخريج.
(٣) مسند أحمد ٣/٣٦٧.
(٤) في الإشاعة ص١٣٥ بتصرف.
(٥) كذا في (أ)، والمثبت في (ب): ظلمة.

عيسى، اختاروا إحدى ثلاث: أن يبعث الله على الدجال وجنوده عذابًا جسيمًا، أو يخسف بهم الأرض أو يُرسِلَ عليهم سلاحكم، ويكف سلاحهم فيقولون: هٰذا يا رسول الله أشفى لصدورنا(١).

فيومئذ ترى اليهودي العظيم الطويل الأكول الشّروب، لا تقلّ يدُه سيفَه من الرعب، فينزلون إليهم فيسلطون عليهم هٰذه هٰذه(٢)، وفي رواية فبينما إمامهم -أي المهدي- قد تقدم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عليهم نبيُ الله عيسى ابن مريمَ عليه السلام للصبح، فيرجعُ المهديُ قهقهرى، فيتقدم عيسى بنُ مريم عليه السلام ليُصلي بالناس ويقال له: يا روحَ الله تقدم أي يقولُ ذٰلك بَعضُ من لم يُحرم بالصلاة. إذن فيقولُ عليه السلام: ليتقدم إمامُكم فيصلي لكم ويضع عيسى يديه بين كتفيه فيقول تقدم فإنها لك أقيمت فيصلي بهم إمامُهم / ٣٤٩/ فإذا انصرفَ قال عيسى: افتح فيفتح ووراءه - أي: الباب - الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلّى، وساج فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وانطلقَ هاربًا فيقول عيسى عليه السلام: إن لي فيك [ضربة لن](٣) تسبقني بها فيدركه عند باب لُدّ الشرقي، -ولد بضم اللام والمهملة بوزن مُدّ بلدٌ بناحية بيت المقدس، بينه وبين الرملة مقدار فرسخ إلى جهة دمشق، متصل نخيله

---

(١) الخبر في الجامع لمعمر بن راشد (المطبوع مع مصنف عبد الرزاق) ١١/ ٣٩٧-٣٩٨، وفي الفتن لنعيم بن حماد ٢/ ٥٧٤ بأسانيد لا تقوم بها قائمة.

(٢) كذا في (أ)، و(ط)، والمثبت في (ب): «فيسلطون عليهم هذه».

(٣) مكانها بياض في (أ) واستدركناها من (ب)، و(ط).

بنخيلها- فيقتله، ويهزم الله اليهود[١].

وفي رواية لمسلم وأحمد: فبينما هو - أي: الدجال - كذلك إذ بعث الله المسيحَ ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، مهروذتين.

أي بالذال المعجمة والمهملة أي مصبوغتين بالهرذ وهو شيء أصفر أو بالزعفران أو الورس واضعًا كفّيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر - أي الماء من شعره - وإذا رفعه تحدَّرَ منه مثل الجمان، أي: بضم الجيم وتخفيف الميم، حبات من الفضة، يصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار. فلا يحلُ لكافر يجدُ من ريح نفسه إلا مات ونَفَسُه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لدّ فيقتله[٢].

وفي رواية «ثم ينزل عيسى عليه السلام فينادي من السحر فيقول: أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث؟ ويسمعون النداء: جاءكم الغوث فيقولون: هٰذا كلامُ رجل شبعان، وتُشرقُ الأرضُ بنور ربها، وينزلُ عيسى ابن مريم ويقولُ: يا معشر المسلمين: احمدوا ربّكم وسبحوه أي فإن الحمدَ والتسبيح قوتهم كما مرّ، فيفعلون.

ويريد أصحاب الدجال الفرار، فيُضيّقُ الله عليهم الأرض، فإذا أتوا بابَ لدّ[٣] في نصف ساعة، يُوافقون عيسى فإذا نظر الدجال إلى

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٧٧) الطبراني في الطوال (٤٨) انظر «التذكرة» (٧٥٩).

(٢) «صحيح مسلم» برقم (٢٩٣٧).

(٣) كذا في (أ)، و(ط)، والمثبت في (ب) بالبلد.

عيسى يقول: أقيموا الصلاة خوفًا منه أي: من عيسى ويقول: يا نبي الله قد أقيمت الصلاة فيقول عيسى: يا عدوَّ الله زعمت أنك رب العالمين، فلمن تُصلي؟ فيضربه بمقرعته، وفي رواية بحربته التي نزل بها من السماء، وفي رواية يذبحه بالسكين، ولا منافاة في ذٰلك إذ كل ذٰلك سلاح لسيدنا /٣٥٠/ عيسى عليه السلام فيقتلُه رواه الإمام أحمد[1] عن جابر مرفوعًا [ولفظه][2]: **ثم ينزل عيسى عليه السلام، فينادي من السحر فيقول: يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى هٰذا الكذاب الخبيث؟ فيقولون: هٰذا رجل حَيّ فينطلقون، فإذا هم بعيسى عليه السلام، فتقام الصلاة فيقال له: تقدم يا روحَ الله فيقول: ليتقدم إمامُكم فليصلي بكم، فإذا صلوا صلاة الصبح خرجوا إليه، فحين يراه الكذاب ينماث كما ينماث المِلح في الماء، فيمشي إليه فيقتله، حتى إن الشجر والحجر ينادي: يا روح الله هٰذا يهودي، فلا يتركن ممن كان تَبِعَهُ أحدٌ إلا قتله**[3].

وفي التذكرة: فيصلي بهم إمامُهم فإذا ٱنصرف قال عيسى عليه السلام: ٱفتحوا الباب، فيُفتح ووراءهُ الدجال، ومعه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف مُحلّى، فإذا نظر إليه ذاب الدجال[4] كما يذوب الملح[5]. كما تقدم .

---

(١) رواه أحمد ٢/٢٦٧-٢٦٨، وابن خزيمة في التوحيد ١/١٠٢، والحاكم ٤/ ٥٣٠.

(٢) ساقطة من (ب).

(٣) أحمد (٣/ ٣٦٧).

(٤) كذا في (أ) وفي (ب)، (ط): [فإذا نظر إليه الدجال ذاب].

(٥) انظر سنن ابن ماجة ٢/ ١٣٥٩-١٣٦٢ (٤٠٧٧).

تنبيه: وجه الجمع بين هٰذه الروايات: أن عيسى صلوات الله عليه، ينزل أوّلاً بدمشق على المنارة البيضاء ـ وهي موجودة الآن ـ لست ساعات من النهار، ثم يأتي إلى بيت المقدس غوثًا للمسلمين، ويلحقهم في صلاة الصبح، وقد أحرم المهديُ والناسُ كُلّهم أو بعضهم لم يُحرم بعد، فيخرج إليه من لم يُحرم بالصلاة فيأتي المهدي في الصلاة، فقهقر[1] ويقول لعيسى بعضُ الناس: تقدم لما تقهقر المهدي فيضع يده على كتف المهدي أن تقدم، ويقولُ للقائل: ليتقدم إمامكم فيجيبُ المهدي بالفعل، والقائل بالقول ليكونَ جواب كل على طبق قوله.

ثم إذا أصبحوا شرِّدَ أصحابُ الدجال، فتضيقُ عليهم الأرض فيدركهم بباب لُدّ، فيُصادف ذٰلك صلاة الظُهر، فيتحيل اللعين إلى الخلاص من سيدنا عيسى بالصلاة، فلمّا عرف أنه لا يتخلص من ذٰلك، ذاب خوفًا منه كما يذوب الملح بالماء، فأدركه فقتله، أو أنه ينشئ اللعينُ صلاةً في غير وقتها، وهو أدلُّ على ضلالته وجهالته بالله، ذكره في «الإشاعة»[2] ثم قال: وهنا وجهٌ آخر وهو أقرب / ٣٥١/ إلى التحقيق: وهو أن الصلاة في الأيام القصار التي هي آخر أيام الدجال تقدر، فيحتمل أن يصادف التقدير ذٰلك الوقت، وعلى هٰذا فلا إشكال بين كونِه ينزل بدمشق لِست ساعات مضين من النهار، وبين كونه يصلي بالناس صلاة العصر. أنتهى.

---

(١) في (ب): فيقهقر. والمثبت من (أ)، و(ط).

(٢) «الإشاعة» ص١٣٦.

وعندي في هٰذا الجمع نظر من وجوه:

الأول: في مسند الإمام أحمد عن جابر مرفوعًا: ثم ينزلُ عيسى عليه السلام، فينادي من السحر فيقول: **يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى هٰذا الكذاب الخبيث فيقولون: هٰذا رجل حيّ فينطلقون، فإذا هُم بعيسى عليه السلام فتقام الصلاة فيقال لهُ تقدّمْ يا روحَ الله.** الحديث[1] فهٰذا صريح أنه يجتمع بهم قبل إقامة الصلاة، ثم يقيمونها بعد ذٰلك، كما لا يخفى، سيما وقد عُطف بالفاء وهي للترتيب وأيضًا. فإن السحر قُبيل الصبح.

الثاني: في بعض الروايات «**ثم ينزلُ ابن مريم، بعدَ أن يجمع المهديُ الناسَ لقتاله -أي: الدجال- فتعمهم ضبابة من غمام، ثم ينكشف عنهم مع الصبح، فيرون عيسى قد نزل، ويكون نزوله عند المنارة البيضاء والناس يريدون صلاة الصبح، ثم بعد الصلاة يتبعونه، وقد فرَّ**». فهٰذا يدل على أنه ينزل على منارة دمشق الصبح، فكيف يُقال لستّ ساعات مضين من النهار؟ وفيه أيضًا أن الناس لم يكونوا أحرموا بالفجر، بل يريدون ذٰلك، إلاّ أن يقال أحرَمَ الإمام، وبعضُ الناس ومعظم الناس لم يُحرم بها بعد.

الثالث قوله: يُصلّي بالناس صلاةَ العصر المعروف عند أهل العلم: أن عيسى عليه السلام يُصلي وراء المهدي صلاة الفجر فقط. ثم يسلم له المهدي الأمر ويصلي بالناس، فيكون أوّل صلاة يصليها بالناس الظهر، فكيف يقول: يُصلي بالناس صلاة العصر؟

(١) سبق تخريجه ص٥٨٩.

والجواب أنه لا منافاة في كلام صاحب «الإشاعة» أو يكون قد جمع بين الظهر والعصر تأخيرًا لاشتغاله في طلب الدجال، فليحرر المقام فإذا قتَل الدجّال آنهزم جنودُه الذين هم اليهود، فلا يبقى شيء مما خلق الله /٣٥٢/ يتوارى به يهودي إلاّ أنطق الله ذٰلك الشيء لا شجرَ ولا حجرَ ولا حائط ولا دابّة إلا قال: يا عبد الله: هٰذا يهودي، وفي لفظ هٰذا دجالي فتعال اُقتله إلاّ الغرقد[١]، فإنّها من شجر اليهود، لا ينطق ففي مسلم عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يُقاتلَ المسلمون اليهودَ فيقتُلَهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقولُ الحجر والشجرُ يا مسلمُ هٰذا يهودي خلفي فاقتله، إلا الغرقد فإنه شجر اليهود**»[٢] وفي البخاري نحوه والله أعلم.

المقام الرابع: في سرعة سيره في الأرض ومدّة لبثه فيها، وكيفيّة النّجاة منه.

أما سيره: ففي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس من بلّدٍ إلاّ سيطؤه[٣] الدجال إلا مكة والمدينة**»[٤].

---

(١) في صحيح مسلم الغرقد بالغين المعجمة وفي الأصل: العرقد بالمهملة والغرقد هو ضرب من شجر العِضَاه وشجر الشوك ومنه قيل لمقبرة أهل المدينة بقيع الغرقد. «النهاية في غريب الحديث» ٣/ ٣٦٢.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٣٣)، والبخاري نحوه (٢٩٢٦).

(٣) في الأصل سيطأه وعند مسلم سيطؤه ٤/ ٢٢٦٥ (٢٩٤٣).

(٤) رواه مسلم (٢٩٤٣)، وهو في البخاري (١٨٨١).

وورد أيضًا: «يبلغ كلّ منهل إلاّ أربعة مساجد: المسجدُ ٱلحرام ومسجدُ ٱلنبي ﷺ ومسجد الأقصى ومسجد الطور، فيقتل وهو قاصد لبيت المقدس»[١] وعند أبي نعيم في الفتن: عن ابن مسعود مرفوعًا: «خطوُ حماره ثلاثة أيام»[٢].

وفي البهجة[٣] وردَ «أنّ خَطوَ حماره ثلاثةَ أيام وأنه لا يُسخرُ له من الدواب إلا الحمار، فيطأ كل منهل في كل سبعةِ أيام».

وذكر الحافظ ابن حجر[٤] «سيرَ الدجال ومجيئه دمشق عند بابها الشرقي، وأمْرَه السحابَ بالمطر فيمطر، والنهر أن يَسيلَ فيسيل إليه، وأن يَرجع فيرجع، وأن ييبس فييبس، ويأمر جبل سَيناء وجبل زيتا أن يتشحطا ويُثير الرياح سحابًا من البحر، يمرُّ الأرضَ بأمره ويخوض في البحر ثلاث خوضات في اليوم، فلا يبلغ حقويه، وإحدى يديه أطول من الأخرى، فيمد الطويلة في البحر فيبلغ قعره، فيُخرج من الحيتان ما يريد». الحديث بطوله في مستدرك الحاكم.

وأما مدة: لُبث الدجّال في الأرض: ففي خبر النواس بن سمعان، عند الترمذي قلنا: يا رسول الله «وما لبثه في الأرض؟ قال أربعون يومًا يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، /٣٥٣/ وسائر أيامه كأيّامكم، قلنا يا رسول الله: فذلك اليومُ الذي كَسَنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، ٱقدُرُوا له قَدره، قلنا: يا رسول الله، وما سِراعُه

---

(١) أحمد (٥/ ٤٣٤). (٢) في كتاب الفتن ٢/ ٥٤٣.

(٣) «البهجة» ص١٩٢، والحديث في الحاكم (٤/ ٥٧٥).

(٤) الفتح (١٣/ ٩٢) نعيم (٢/ ٥٤٢).

في الأرض قال: كالغيث ٱستدبرته الريح»[(١)]، الحديث بطوله. قال العلامة في البهجة[(٢)]: قال بعضُهم: وعلى قياس الصلاة الصوم والحج والعمرة، وحَولُ نصاب الزكاة ٱنتهى.

وفي رواية عند الإمام أحمد ومسلم من حديث ابن عمرو مرفوعًا **«يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين فيبعث اللهُ عيسى بنُ مريم عليه السلام، كأنه عروة بن مسعود الثقفي، فيطلُبه فيهلكه»**[(٣)].

وفي حديث أبي أمامة عند ابن ماجه، وابن خزيمة، والحاكم والضياء: **«إِنَّ أيامه أربعون سنة، السّنةُ كنصف السّنة، والسّنةُ كالشهر، والسنةُ كالجمعة، وآخر أيّامه كالشررة، يُصبحُ أحدكم على باب المدينة فلا يبلغُ بابَهَا الآخرَ حتى يُمسي»**[(٤)].

وقد ٱختلفَ العلماء في تأويل هٰذا الحديث، فمنهم منَ قال: هو كنايةٌ عن ٱشتغال الناس بأنفسهم من الفتن، حتى لا يدروا كيف يَمضي النهار؟ فيكون مُضيُّ النهارِ عندهم كمضي الساعة، والشهر كاليوم، والسنة كالشهر، وقال بعضُهم: بل هو على ظاهره فقد ورد من حديث أنس عند الإمام أحمد والترمذي في أشراط الساعة **«حتى يتقارب الزمان، فتكون السنةُ كالشهر، ويكونُ الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة**

---

(١) مسلم (٢٩٣٧) الترمذي (٢٢٤٠)، وانظر ص٥٩٥، ٥٩٦.

(٢) البهجة ص٢٠٠.

(٣) رواه أحمد ٢/ ١٦٦، ومسلم (٢٩٤٠)، والحاكم ٤/ ٥٥٠ من حديث عبد الله ابن عمرو. وجاء في الأصل ابن عمر.

(٤) رواه ابن ماجه (٤٠٧٧) والحاكم ٤/ ٥٣٦-٥٣٧ وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه بهٰذه السياقة. ووافقه الذهبي

كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالضرمة بالنار»[1]

قُلْتُ: وذكر بعضُ العلماء أنّ الصّلاة تقدر في هٰذه الأيام أيضًا، على قياس ما مرَّ[2] ويأتي تحريره قريبًا. والله أعلم.

والجوابُ عن اختلاف الحديثين: إمَّا بالترجيح وإمّا بالجمع فإن رجَّحنا فحديثُ النواس عند الإمام أحمد، ومسلم، والترمذي، فهو أقوى لأنه أصح، وإن كان الثاني: أيضًا في الصحيح، فيقدم عليه وإن جمعنا فطريق الجمع: أن أيامه أربعون سنة، وتُسمَّى السنين أيامًا مجازًا.

كما يُقالُ أيامُ بني الزبير وأيّام عمر بن الخطاب / ٣٥٤/ وأيام بني أمية، ثم إن أول أيام سنته الأولى: كسنة، وثانيها: كشهر، وثالثها: كجمعة وباقي أيامها كأيامنا ثم تناقص أيام السنة الثانية حتى تكون السنة كنصف سنة، وهكذا إلى أن تكونَ السنةُ كشهر، والشهر كجمعة والجمعة كيوم، حتى يكونَ آخر أيامه بحيث يُصبحُ أحدُهم على باب المدينة، فلا يبلغ بابها الآخر حتى يُمسي فتكونُ السنة الأولى مشتملة على مقدار سنين من سينيننا، وسِنُوُّه الأخيرة مقدار سنة، من سنيننا ويقربه رواية الحاكم، ونعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا أنه يقول: **«أنا رب العالمين، وهٰذه الشمس تجري بإذني، أفتريدون أن أحبسها؟ فيحبس الشمس حتى يَجعلَ اليومَ كالشهر، وكالجمعة، ويقول: أتريدون أن أسيّرَها فيجعلُ اليوم كالساعة؟»** الحديث[3].

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٣٢)، والذي عند أحمد ٢/ ٥٣٧ من حديث أبي هريرة.

(٢) ص٥٩٤.

(٣) رواه نعيم بن حماد في الفتن ٢/ ٥٤٤، وابن كثير في البداية والنهاية ١/ ١٣١- ١٣٤ مطولاً. وقال: خبر عجيب ونبأ غريب. ونقل عن الذهبي قوله: هذا الحديث شبه موضوع.

فائدة: مرّ أنه ﷺ سئل عن الصلاة، في اليوم الذي كالسنة «أتكفينا فيه صلاة يوم واحد؟ قال: لا، ولٰكن ٱقدُروا مقدارَ كُلّ يوم فصلّوا فيه خمسَ صلوات، وتقدم وقيس به اليومان الآخران وسئل عن الأيام القصار فقالوا: كيف نُصلي يا رسول الله في تلك الأيام؟ قال: تقدرون فيها للصلاة، كما تقدرونها في هٰذه الأيام الطوال». قال في الإشاعة[1]: والظاهر أن التقدير هُنا عكس الأوّل، بأن تُصلى الخمس في مقدار يوم من هٰذه الأيام.

قُلْتُ: وهو منطوق الخبر، والظاهر أن صاحبَ الإشاعة ظن أن قوله كما تقدرونها في هٰذه الأيام الطوال: أن الطوال هي أيام الدجال التي مرّ الكلام عليها وليس كذٰلك، بل قوله ﷺ، كما تقدرونها في هٰذه الأيام الطوال، أي التي أنتم فيها الآن، هٰذا الذي يظهر والله أعلم.

وأما كيفية النجاة منه: فإنه معلومٌ قطعًا أنه ليس برب، كيف! وهو يأكل الطعام ويشرب الشرابَ، وهو لضعفه وخسته أعور وهُو جسم مرئي، وهٰذه كلها لا تجوز على البارئ. نعم الرؤيا[2] لٰكن في الآخرة كما ثبت ذٰلك، ولو كان لَهُ قوة لردَّ عينه وجعلها أحسنَ /٣٥٥/ عين، رؤيت في الدنيا، وقد عُلم ممّا مَرّ أنه لا يدخل الحرمين، فينبغي لمن أدرك ذٰلك أن يلتجئ إلى أحدهما أو إلى المسجد الأقصى أو إلى مسجد الطور، هٰذا وقد صح عن حضرة الرسالة: «**أن من حفظ عشر آيات من أوّل سورة الكهف، عُصم من الدجال**»[3].

---

(١) الإشاعة ص١٣١.

(٢) والمراد بذلك قوله ﷺ: «واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»

(٣) رواه مسلم (٨٠٩) من حديث أبي الدرداء.

وفي رواية «من آخر الكهف» رواه مسلم عن أبي الدرداء مرفوعًا وقد ورَد عن أبي أمامة مرفوعًا: «**من لقيهُ منكم فليتفُل في وجهه**»[1] رواه الطبراني، وممّا ينبغي للمؤمن أن يُكثر من التهليل والتسبيح والتكبير، فإنه قوته إذن كما مرّ.

واعلم أن أحاديث الدجال لا ينبغي الجهلَ بها، بل يجب العلمُ بها وقد قال ابن ماجه: سمعت الطنافسي يقول: سمعتُ المحاربي يقول: ينبغي أن يُدْفع هٰذا الحديث يعني حديث الدجال إلى المؤدِّب حتى يُعَلمهُ الصبيان في الكُتَّاب[2].

وقد وَرَدَ أنَّ من علامات خروجه نسيان ذكره على المنابر. وأخرج الإمام أحمد وابنَ خُزيمة وأبو يعلى والحاكم عن جابر مرفوعًا: «**يخرج الدجال في خفة من الدين، وإدبار من العلم**»[3] فينبغي لكل عالم، لاسيَّما في زماننا هٰذا الذي ٱشرأبَّت فيه الفتن، وكثر فيه اللغط، أن يُفشى أحاديث الدجال، لتعرفَ. قد قَرُبَ واللهِ الميقات، وظهرت العلامات، واندرس العِلمُ ومات، ونُسي الدجال فلا يذكر في ساعة من الساعات، فوالله إني في بعض الأيام لأتكلم في أحاديثه، واحذّر الحاضرين من فتنته، فإذا ببعضِ السفهاء الضالين قد خرج مُنكرًا لذٰلك، فَلَقَي بعضَ إخوانه الذين طمس الله على بصيرته، فقال له:

---

(١) رواه الحاكم ٤/ ٥٨٠، والطبراني في الكبير ٨/ ١٤٦.

(٢) ابن ماجه ٢/ ١٣٦٣ (٤٠٧٧).

(٣) رواه أحمد ٣/ ٣٦٧، وابن خزيمة في التوحيد ١/ ١٠٢، والحاكم ٤/ ٥٣٠.

هل سمعتَ أنّ لنا ربيّن؟ فقال: لا، فقال: إنَّ فلانًا يقول إنَّ رجلاً يأتي آخر الزمان يقولُ للسّماء أمطري فتمطر، ولا يَفعلُ ذٰلك إلاّ ربُّ العالمين، فلا شكّ في هٰذا إن أدرك أيامَ ٱلدجَّال يكن من أوليائه. فنسأل الله العافية.

خاتمة: ٱختلف الصحابة فَمَنْ بعدهم قديمًا وحديثًا في الدجال هل هو ابن صياد أو غيره، ولكُلٍّ أدلّة. قال الحافظ /٣٥٦/ ابن حجر العسقلاني، في «شرح البخاري»: مما يدُل على أنَّ ابن صيَّاد هُو الدجال: ما أخرجَ مسُلم عن محمد بن المنكدر، قال: رأيت جابر بن عبد الله يحلفُ بالله أنّ ابن صيّاد الدجال، فقلت له أتحلف على ذٰلك؟ قال: إني سمعتُ عمر يحلفُ [بالله][1] على ذٰلك عند النبي ﷺ [فلم ينكره النبي ﷺ][2]. وأخرجه أبو داود في «سننه» وفي التذكرة[3] للقرطبي رحمه الله، عن نافع قال: كان ابن عمرَ رضي الله عنه يقول: والله ما أشك أن المسيح الدجال ابن صياد. وأخرجه أبو داود وإسناده صحيح[4].

وأخرج مسلم[5] عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه، قال: خرجنا

---

(١) ليست في (أ)، ولا (ط) ومثبتة من (ب).

(٢) ليست في (أ)، والمثبت من (ب)، و(ط).

(٣) ص٨٠٦.

(٤) أبو داود (٤٣٣٠) «فتح الباري» ١٣/ ٣٢٥ .

(٥) رواه مسلم (٢٩٢٧) (٩١)، وأحمد ٣/ ٤٣.

حجُاجًا أو عُمَّارًا ومعنا ابن صيّاد قال: فنزلنا مَنْزِلاً فتفرق الناس، وبقيتُ أنا وهو أي: ابن صيّاد، فاستوحشتُ منه وحشةً شديدة، مما يقالُ عليه قال: وجاء بمتاعه فوضعه مع متاعي، فقلت: إن الحرَ شديد، فلو وضعته تحت تلك الشجرة، قال: فرُفعت لنا غنمٌ فانطلقَ بَعِس[1] فقال اشرب أبا سعيدٍ، [فقلت: إن الحر شديد واللبن حار ما بي إلا أني أكره عن يده أو قال آخذ عن يده فقال: أبا سعيد][2] من خفي عليه حديثُ رسول الله ﷺ ما خفي عنكم معشرَ الأنصارِ، ألستمُ من أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ؟ أليس قد قال رسولُ الله ﷺ **«هو كافر؟»** وأنا مسلم، أوليس قد قال رسولُ الله ﷺ **«هو عقيمُ لا يُولَدُ له»**، وقد تركت وَلدي بالمدينة، أوليس قد قال رسول الله ﷺ **«لا يَدْخُلُ المدينة ولا مكة»** فقد أقبلتُ من المدينة وأنا أريد مكة وفي رواية **وقد حججت** قال أبو سعيد حتى كدت أن أعذُرَه ثم قال: أما والله إني لأعرفه، وأعرفُ مولدَه، وأين هُوَ الآن قال: قلتُ له تبًا لك سائر اليوم. وقيل له أيسرُّك أنك ذٰلك الرجل؟ فقال لو عُرضَ عليَّ أن أكونَ أنا هُو لم أكره وفي لفظ: ما كرهتُ قال أبو سعيد فقلتُ له تبًا لك سائر اليوم.

وعن ابن عُمر رضي الله عنهما قال: لقيتُ ابن صيادٍ مرتين، فذكر المرّة الأولى قال: ثم لقيته أخرى وقد نفرت عينه، قال: فقلت: /

---

(١) العس: هو القدح الكبير، النهاية ٣/ ٢٣٦.

(٢) ساقطة من (أ) واستدركناها من (ب)، و(ط).

٣٥٧/ متى نفرت[١] عينُك؟ ما ترى؟ قال: لا أدري قال: قلتُ: لا تدري وهي في رأسك قال: إن شاء اللهُ خلقها في عصاك هٰذه، قال: فنخر كأشدِّ نخر حمار سمعتُ قال: فَزعم بعضُ أصحابي أني ضربته بعصا كانت معي حتى تكسرت، وأما أنا فوالله ما شعرت.

قال: وجاء ابن عمر حتى دخل على أم المؤمنين فحدثها، فقالت: ما تُريد إليه أما إنه قد قال رسول الله ﷺ: «**إن أوَّل ما يبعثهُ الله على الناس غضبٌ يغضبه**»[٢].

وقال عمر لرسول الله ﷺ: ذرني يا رسول الله أضربُ عُنُقَه. قال ﷺ: «**إن يكن هُو فلن تسلط عليه، وإن لم يكنه، فلا خير لك في قتله**» ذكره في التذكرة[٣] وأخرج أبو داود[٤] عن جابر رضي الله عنه، قال: فُقِدَ[٥] ابن صيادٍ يومَ الحرّة، وأخرج الترمذي عن أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**يمكثُ أبو الدجال وأمه ثلاثين عامًا لا يولد لهما ولد، ثم يُولَدُ لهما أعور أضَرُّ شيءٍ وأقلُه منفعة، تنامُ عينُه ولا ينامُ قلبُه**»، ثم نعتَ لنا رسولُ الله ﷺ أبويه: فقال: «**أبوه طوالُ ضرب اللحم كأن**

(١) كذا في (أ)، وفي (ط)، (ب): [فعلت].

(٢) مسلم (٢٩٣٢)، وأحمد (٦/ ٢٨٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٣٧٠)، وغالب الأقوال نقلها المصنف من فتح الباري ١٣/ ٣٢٥-٣٢٦.

(٣) البخاري (١٣٥٤، ١٣٥٥)، ومسلم (٢٩٣٠)، والترمذي (٢٢٣٥).

(٤) أبو داود (٤٣٣٢)، وابن أبي شيبة ٧/ ٤٩٩، وصححه الحافظ في الفتح ١٣/ ٢٣٨.

(٥) كذا في (أ)، وفي (ب)، و(ط): فقدنا.

أنفه منقار، وأمه امرأةٌ طويلة اليدين»، قال أبو بكرة: فسمعَنا بمولود في اليهود بالمدينة، فذَهَبْتُ أنا والزبير بن العوّام، حتى دخلْنا على أبويه فإذا نعتُ رسول الله ﷺ فيهما، فقُلنا هل لكما ولد؟ فقال مكثنا ثلاثين عامًا لا يُولد لنا ولد ثم وُلدَ لنا غلامٌ أعور، أضرّ شيءٍ وأقلُه منفعة، تنامُ عينُه ولا ينامُ قلبُه قال: فخرجنا من عندهما فإذا هو منجدل في الشمس، في قطيفة وله جمجمة فكشفت عن رأسه فقال: ما قلتما؟ قلنا: وهل سمعتَ ما قلنا قال نعم، تنام عيني ولا ينام قلبي. قال الترمذي: حديث حسن غريب لا نعرفُه إلا من حديث حماد بن سلمة[1].

قال القرطبي[2]: قلتُ خرَّجه أبو داود الطيالسي قال: حدثنا حمادُ بنُ سلمة عن عليّ بنِ زيد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه وروى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن يهوديًا أتى النبي ﷺ، / ٣٥٨/ فسأله عن أشياء. الحديث وفي آخره قال: فأخْبِرني عن الدجال أمن ولد آدم هو؟ أم من ولد إبليس؟ قال: «هُو من وَلد آدم وإنه على دينكم معشر اليهود»، أو كما قال.

قال الحافظ ابن حجر: هٰذه الأحاديث كلها ليست نصًا ولا صريحًا، في أن ابن صياد هُو الدجال لأن النبي ﷺ أتى إلى المدينة، ثم لما أخبره تميم الداري جزم بأن الدجال هو ذٰلك المحبوس الذي رآه تميم، ويأتي حديثُه. وأمّا حلف عمر عند رسول الله ﷺ، فبناءً على

---

(١) الترمذي (٢٢٤٨)، الطيالسي (٨٦٥).

(٢) «التذكرة» (٧٧٧).

ظنه، وسكوت النبي ﷺ، لأنه كان مترددًا فيه. وأمّا حديثُ أبي بكرة فقال البيهقي في الجواب عنه: تفرَّد به عليٌّ بن زيد، وليس بالقوي.

قال الحافظ ابن حجر ويوهي حديثه: أن أبا بكرة أسلم حين نزل من الطائف لمَّا حُوصرت سنة ثمان من الهجرة، وفي حديث الصحيحين أنه حين اجتمع به النبي ﷺ في النخل: كانَ قد قاربَ الحُلُم، فأين يدرك أبو بكرة زمان مولده بالمدينة، وهو لم يسكن المدينة، إلاَّ قبلَ وفاة النبي ﷺ بسنتين، كيفَ يتأتى أن يكونَ في الزمن النبوي كالمحتلم؟ فالذي في الصحيحين: هو المعتمدُ ثم نقَلَ البيهقيُ أنه ليس في حديث جابر أكثر من سكوت النبي ﷺ، على حلف عمر فيُحتمل أنه ﷺ، كان يتوقف في أمره، ثم أُخبر من عند الله أنه غيره على ما تقتضيه قصة تميم الداري[1].

قال ابن حجر:[2] وقد توهم بعضُهم أن حديثَ فاطمةَ بنتِ قيس في قصة تميم، فرد وليس كذلك، فقد رواه مع فاطمة بنت قيس أبو هريرة وعائشة[3] وجابر. أما حديثُ أبي هريرة: فأخرجه الإمام أحمد، وأبو داود وابن ماجه وأبو يعلى، وأما حديث عائشة: فهو في حديث فاطمة المذكورة عند الشعبي، قال: ثم لقيتُ القاسمَ بنَ محمد

---

(١) «فتح الباري» ١٣/ ٣٢٦ . (٢) «فتح الباري» ١٣/ ٣٢٨-٣٢٩ .

(٣) انظر الطبراني في الكبير لمتابعتهم لحديث فاطمة (٢٤/ ٣٩٢، ٣٩٥) من رواية عائشة وأبي هريرة، وأصل حديث فاطمة في مسلم (٢٩٤٢) وأبي داود (٤٣٢٦) شرح السنة للبغوي (٤٢٦٨) وأحمد (٦/ ٣٧٣) الحميدي (٣٦٤) ابن أبي شيبة (١٥/ ١٥٤، ١٥٦) الإيمان لابن منده (١٠٥٨).

فقال: أشهد على عائشة حدثتني كما حدثت فاطمة بنت قيس، [وأما حديثُ جابر فأخرجه أبو داود بسند صحيح[١]، وأما حديثُ فاطمةَ بنتِ قيس،][٢] فأخرجه /٣٥٩/ مسلم وأبو داود بمعناه، والترمذيّ وابن ماجه قال الترمذيُّ حسنٌ صحيح[٣]، ولفظُ رواية مسلم[٤] قالت: سمعتُ منادي رسول الله ﷺ ينادي: الصلاةُ جامعة فخرجتُ إلى المسجد، فصليت مع رسول الله ﷺ، فلمَّا قضى صلاتَهُ جلسَ على المنبر، وهو يضحك فقال: «ليلزَمْ كُلُّ إنسانٍ مُصلاَّهُ»، ثم قال: «هل تدرونَ لِما جمعتكم؟» قالوا: اللهُ ورسوله أعلم. قال: «إنِّي واللهِ ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولٰكن جمعْتُكم لأنَّ تميمًا الداري كان رَجُلاً نصرانيًا» فجاء وأسلم وحدّثني حديثًا وافق الذي كنت حدثتكم[٥] به عن المسيح الدجال، حدثني أنه ركبَ في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام، فلعبَ بهم الموجُ شهرًا في البحر، فأرفئوا أي: بالهمز يعني لجؤا إلى جزيرة حين مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة وهو بضم الراء جمع قاربٍ بفتح الراء وكسرها، سفينةٌ صغيرة تكون مع الكبيرة، فيها ركاب السفينة لقضاء الحوائج قال: فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابةُ أهلب: أي غليظ الشعر كثيرة، وعند أبي داود فإذا أنا بامرأة تجر شعرها، قالوا: ويلك ما أنتِ؟ قالت: الجسّاسة أي بفتح

---

(١) أبو داود (٤٣٣٢). (٢) ساقط من (ب).
(٣) الترمذي (٢٢٥٣).
(٤) الحديث بطوله عند مسلم (٢٩٤٢).
(٥) كذا في (أ) والمثبت في (ب)، و(ط): [أحدثكم].

الجيم، وتشديد السين الأولى سُميت بذٰلك لأنها تتجسس الأخبار، وقد روي عن عمرو بن العاص[١] أن هٰذه هي دابَّةُ الأرض التي تخرجُ آخر الزمان، فتكلمهم كما يأتي فقالت: ٱنطلقوا إلى هٰذا الرجل في الدير، فإنه إلى أخباركم بالأشواق، فلمّا سَمَّتْ لنا رجُلاً فرقنا أي خفنا منها أن تكونَ شيطانة، قال: فانطلقنا حتى دَخلْنا الدير فإذا فيه أعظم إنسان رأيناهُ قطُ خَلقًا وأشدهُ وثاقًا مجموعةٌ يدُه إلى عنقه ما بين رُكبتيه إلى كعبه بالحديد، قلنا: ويلَك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قلنا: نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية، فأخبروه بالخبر فقال: أخبروني عن نخل بيسان بفتح الموحدة قرية بالشام، جنوبي طبرية، وناحية باليمامة وهي المرادةُ في الحديث /٣٦٠/ بدليل ذكر النخيل هل يثمر؟ قلنا: نعم قال: أما أنها يوشك أن لا تثمر قال: أخبروني عن بحيرة طبرية: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء، قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب، قال: أخبروني عن عين زُغر -بضم الزاي، وفتح الغين المعجمة على وزن صُرد-، بلدة معروفة من الجانب القبلي من الشام، بينها وبين بيت المقدس ثلاثُ فراسخ على طرف البحرية، وزُغر -ٱسم ابنة لوط عليه السلام-، كما في جامع الفنون في باب العيُون منه. هل في العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا: نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قلنا: قد خرج من مكة ونَزل يثرب،

(١) كذا في (أ)، وفي (ط): [ابن عمرو بن العاص] وفي (ب): [ابن عمر]. انظر «الإشاعة» (١٤٠) غريب الحديث للخطابي (١/ ٤٧) بصفحات المخطوط.

قال: أقاتله العربُ، قلنا: نعم. قال: كيفَ صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يَليه من العرب، وأطاعوه قال: أما إن ذٰلك خير لهم أن يُطيعوه وإني مُخبرُكم. إني أنا المسيحُ وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض، فلا أدعُ قريةً إلا هبطتُها في أربعين ليلة، غير مكة وطيبة، وهما محرمتان عليّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة منهما اْستقبلني ملك، بيده السيف صلتًا يصدني عنها وإنَّ علي كُلِ نقبٍ من أنقابها ملائكة يَحرسونها، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «وطَعن بمخصرته بكسر الميم: عصا أو قضيب يكون مع الملك أو الخطيب، يُشير بها إذا خَطب في المنبر -مُتعلق بطعن- هٰذه طيبة ثلاثًا: يَعني المدينة: **ألا هل كنتُ أحدِّثكم؟**» قال الناس: نعم. قال: «**فإنه أعجبني حديثُ تميم الداري أنه وافق الذي كنتُ حدثتكم عنه، وعن المدينة ومكة إلاّ أنه في بحر الشام، أو في بحر اليمن، إلا من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق، ما هو وأومأ بيده أنه إلى المشرق**»[1].

قال القاضي عياض: لفظةُ «ما» زائدة صلة الكلام ليست نافية. والمرادُ إثباتُ أنه من قبل المشرق[2] الحديث بطوله عند مسلم، وفي بعض طرق الحديث عِند البيهقي: إنه شيخُ. وسنده صحيح قال البيهقي فيه: إن الدّجال الأكبر الذي يَخرج في آخر الزمان / ٣٦١/ غير ابن صيَّاد، وإن كان ابن صياد واحد الدجّالين الكذابين الذين أخبرَ النبي ﷺ، بخروجهم.

---

(١) مسلم (٢٩٤٢)، وفيه اختلاف بالسياق.

(٢) «إكمال المعلم» ٨/ ٥٠٢ .

وكأنّ هٰؤلاء الذين يقولون: إن ابن صيّاد هُو الدجال، لم يسمعوا بقصة تميم، وإلا فالجمعُ بينهما بعيدٌ جدًا، إذ كيفَ يلتئم من كان في أثناء الحياة النبوية شبه المُحتلم، ويجتمع به النبي ﷺ، أن يكون في آخرها شيخًا مسجونًا في جزيرة من جزائر البحر مُوثقًا بالحديد، يستفهم عن خبر النبي ﷺ هل خرج أو لا قال: وأما إسلام ابن صياد، وحجه وجهادهُ فليس فيه تصريح بأنه غير الدجال، لاحتمال أنه يُختَم لهُ بالشر.

فقد أخرج أبو نعيم في «تاريخ أصبهان»، عن حسان بن عبد الرحمن عن أبيه قال: لما فتحنا أصبهان كان بين عسكرنا وبين اليهودية فرسخٌ فكُنا نأتيها، ونمتار منهَا، فأتيناها يومًا فإذا اليهودُ يدففون ويضربون، فسألتُ صديقًا لي منهم فقال: مَلكُنا الذي نستفتح به على العرب يدخل، فبتُ عنده على سطح فصليّتُ فلمّا طلعت الشمس، إذ الوهج من قِبَل العَسكر فنظرت فإذا هُو ابن صيّاد، فدخل المدينة فلم يعد حتى الساعة[1].

قال الحافظ ابن حجر[2]: وحسان بن عبد الرحمن، ما عرفتُه والباقون ثقات. قال: وقد أخرج أبو داود[3] بسند صحيح، عن جابر قال: «فقدنا ابن صياد يوم الحرّة». ورواه غيره بسند حسن وخبر جابر

---

(١) «تاريخ أصبهان» ١/ ٢٢-٢٣ .
(٢) الفتح ١٣/ ٣٢٨ وكل موضع ذكر فيه.
(٣) أبو داود (٤٣٣٢).

هٰذا يضعف خبر أنه مات بالمدينة، وأنهم صَلّوا عليه، وكشفوا عن وجهه ولا يلتئم أيضًا معَ خبر حسان بن عبد الرحمن المار، إذ فتحُ أصبهان كانَ في خلافة عمر كما أخرجه أبو نعيم في تاريخها[1]، وبين قتل عمر رضي الله عنه ووقعة الحرة نحو أربعين سنة، وغاية ما يعتذر عنه، أن القصة إنما شاهدها والد حسان، بعد فتح أصبهان في هٰذه المدة، ويكونُ جواباً لمّا في قوله: «لما فتحنا أصبهان» محذوف تقديره: صرتُ أتعاهدها وأتردد إليها فجرتْ قصةُ ابن صياد / ٣٦٢/ المارة وقد أخرج الطبراني في الأوسط من حديث فاطمة بنت قيس مرفوعًا: **«أن الدجال يخرجُ من أصبهان»**[2]. وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن أنس رضي اللهُ عنه أنه يخرج من يهودية أصبهان[3].

قال أبو نعيم: كانت اليهودية من جملة قرى أصبهان، وإنما سميت اليهودية لأنها كانت تختص بسكنى اليهود ولم تزل كذٰلك إلى زمن أيوب بن زياد أمير مصر في زمن المهدي بن منصور العباسي.

فسكنَها المسلمون، وبقيت لليهود منها قطعة.

هٰذا مُلخص كلام الحافظ ابن حجر، مع ضم فوائد من كلام

---

(١) «تاريخ أصبهان» ١/ ١٩ .

(٢) الطبراني في «الكبير» ٢٤/ ٣٨٦ (٩٥٧) وذكره الهيثمي في «مجمع البحرين» ٧/ ٣٠٩-٣١٠ وفي «مجمع الزوائد» ٧/ ٣٣٩ .

وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط في حديثهما الطويل، وفيه: سيف بن مسكين، وهو ضعيف جدًا.

(٣) مسند أحمد ٣/ ٢٢٤.

غيره وحاصل كلامه أن الأصح: أن الدجال غيرَ ابن صياد، ووافقَهُ في الإشاعة[1] وإن وافقه ابن صياد في كونه أعور من اليهود، وأنه ساكنٌ في يهودية أصبهان، إلى غير ذٰلك، لٰكن أحاديث ابن صياد كُلها محتملة، وحديثُ الجساسة نص فيقدم.

قال في الإشاعة[2]: ومما يؤيد أنه غيرُه: أن قصة تميم الداري متأخرة عن قصة ابن صياد، فهو كالناسخ له، كذا قال. قُلْتُ: لا مَدخَلَ هُنا للنسخ أصلاً، والله أعلم.

قال: ويرجحه أنه غيرُ ابن صياد: أنَّ النبي ﷺ، حينَ إخباره بأنه في بحر الشام، أو اليمن لا بل قال من المشرق، كان ابن صياد بالمدينة، فلو كان هو لقال بل هو في المدينة قال: ويؤيده ما أخرجه نعيمُ بن حماد[3] من طريق جُبير بن نفير، وشُريح بن عبيد، وعمرو الأسود وكثير بن مرة قالوا جميعًا: الدجالُ ليسَ هو إنسانٌ وإنما هُو شيطانٌ موثق بسبعين حلقة في بعض جزائر اليمن، كما تقدم. قال الحافظ ابن حجر[4]: وهٰذا لا يمكن مع كون الدجال هو ابن صيّاد، ولعل هٰؤلاء مع كونهم ثقات تلقوا ذٰلك من بعض كتب أهل الكتاب. ٱنتهى

قال القرطبي في التذكرة[5]: وقد ٱستدلَ مَن قال مِن العلماء أن الدجال ليس ابن صياد بحديث الجساسة، وما كان في معناه. قال

(١) ص ١٤١ .
(٢) ص١٤١ .
(٣) «الفتن» (٢/ ٥٤١).
(٤) فتح الباري (١٣/ ٣٢٨).
(٥) «التذكرة» ٢/ ٣٩٢.

والصحيح أن ابن صياد هو الدجال يدل له ما تقدم ولا يبعد أن يكون بالجزيرة ذلك الوقت، ويكون بين أظهر /٣٦٣/ الصحابة في وقت آخر إلى أن فقدوه يوم الحرة، وقد أخرجَ أبو داود[1] في خبر الجساسة من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: شهد جابر أنه هو ابن صياد قلت: فإنه قد مات قال: وإن مات قلت: فإنه قد أسلم قال: وإن أسلم قلت: فإنه قد دخل المدينة قال: وإن دخل المدينة قال: وذَكَر سيفُ بنُ عمر في كتاب «الفتوح والردة»[2] ما ملخصه: أنه لما نزل المسلمون على السوس، وأحاطوا بها وناشبوهم القتال أشرف عليهم الرهبان والقسيسون فقالوا: يا مَعشَر العرب: إن مما عهد علماؤنا وأولياؤنا: أنه لا يفتح السوس إلاّ الدجال، أو قوم فيهم الدجال، فإن كان الدجال فيكم فتفتحونها، وإلا فلا تعنُوا بالحصار.

قال: وصاف ابن صياد يومئذ مع النعمان في جنده، فأتى باب السوس غضبانًا فدقه برجله، وقال ٱنفتح فتقطعت السلاسل وتكسرت الأغلاق، وتفتحتِ الأبواب، ودخل المسلمون، وقد تقدمتْ قصة ابن صياد مع أبي سعيد[3]، فالذي حط عليه كلام القرطبي أنه صاف ابن صياد وقال العلامة في بهجته: الذي ٱعتمده

---

(١) أبو داود (٤٣٢٨).

(٢) انظر خبر فتح السوس في «فتح البلدان» للبلازدي ص٥٣٣ وسيأتي قصة الفتح مختلفة تمامًا وسيف بن عمر راوي القصة الموجودة هنا متهم بالكذب.

(٣) ص ٥٩٨ ت(٥).

المحدثون بعد الخلاف الكبير: أن الدجال هو ابن صياد اليهودي، الذي رآه رسول الله ﷺ بالمدينة. ورآه تميم بالجزيرة مع الجساسة ٱنتهى.

قال الحافظ ابن حجر: وغاية ما يجمع به بين ما تضمنه حديث تميم، وكونُ ابن صياد هو الدجال أن الذي شافه تميم موثقًا هو الدّجّال بعينه، وأن ابن صياد شيطانه ظهر في صورة الدجال، [في][(١)] تلك المدة [١] التي قدر الله تعالى خروجه فيها. والله أعلم.

وزعم بعضُهم أن الدجال هو ابن شق الكاهن، أو هو شق نفسه كما تقدم قال الحافظ ابن حجر: وهٰذا واه[(١)] وفي «البهجة»[(٢)] أن ٱسم الدجال عند اليهود المسيح بن داود، قال يخرج آخر الزمان فيبْلغُ سلطانُه البرَ والبحرَ، وتسير معه الأنهار وهو آية من آيات الله، قالوا: ويردُّ الملك إلينا، وكذبوا في زعمهم. ٱنتهى.

وفي «الإشاعة»[(٣)]: فإن قيل كيفَ يحكمُ بكفر ابن صياد فضلاً عن كونه /٣٦٤/ دجالاً بعد أن ثبت إسلامه، وحجه وجهادُه والأصل بقاؤه على الإسلام إلى الموت.

قلتُ: قوله في حديث أبي سعيد[(٤)] لا يكره أن يكون دجالاً ولو عُرض عليه ذٰلك لقبله. يدلُ على عدم إسلامه في الباطن إذ كيفَ يرضى المسلم أن يدعي الربوبية والنبوة؟ فهٰذا الذي جوزّ الحكم عليه بالكفر. ٱنتهى.

---

(١) فيه زيادة من الفتح [إلى أن توجه إلى أصبهان فاستتر مع قرينه إلى أن تجيء المدة» «فتح الباري» ١٣/ ٣٢٨.

(٢) «البهجة» ص١٩٣.

(٣) «الإشاعة» ص١٤٢.

(٤) ص٥٩٨ ت(٥).

قُلْتُ: حيث ثبت أن النبي ﷺ حكم عليه أنه الدجال، فلا محصل للسؤال، إذ هو أعلم بحقيقة الحال، والله الموفق. ولقد كنتُ جزمتُ أن الدجال هو ابنُ صياد تبعًا لأئمة الحديث، ومضى على ذٰلك مدة أُفتي من سألنا عن الدجال بأنه ابن صيّاد إلى أن ظهر لي أن الدجال هو الذي أخبر تميم عنه، وقرر المصطفى ذٰلك، وبلغه الصحابة، وأن ابن [صياد][1] كلامه في غاية الجودة، من أن ابن صياد شيطان الدجال، كما مر على أن لي في ذٰلك وقفة. إذ ليسَ كونُ الدجال هو الذي في الجزيرة، وأنه شيخٌ وأن ابن صياد كالمحتلم، وأنه بين ظهراني الصحابة بأعجبَ مما يأتي به الدجال من الفتن، فلعل هٰذا من ذاك واللهُ سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة الحال، وإليه المرجع والمآل لا نحصي ثناء عليه عز جارُه وجل ثناؤه فنعوذ بك اللهم من فتنة الدجال، ومن مُضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، فأنت حسبُنا وكفى[2].

(١) ما بين القوسين لعله ابن حجر كما في ص٦١٠.

(٢) قال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمنا الله وإياه فيما نقله عنه البغوي في (١٥/ ٧٤، ٧٥) شرح السنة، وقد اختلف الناس في أمر ابن صياد اختلافًا شديدًا، وأشكل أمره حتى قيل فيه كل قول، وقد يسأل عن هذا، فيقال: كيف يقارُّ رسول الله ﷺ رجلًا يدَّعي النبوة كاذبًا، ويتركه بالمدينة يُساكنه في داره، ويجاوره فيها، وما وجه امتحانه إياه بما خبأه له من آية الدخان، وقوله بعد ذلك «اخسأ فلن تعدو قدرك»؟!

قال أبو سليمان: والذي عندي أن هذه القصة إنما جرت معه أيام مهادنة رسول الله ﷺ اليهود وحلفاءهم، وذلك أنه بعد مقدمه المدينة كتب بينه وبين اليهود كتابًا صالحهم فيه علىٰ أن لا يهاجموا، وأن يُتركوا على أمرهم، وكان ابن صياد منهم، أو دخيلًا في جملتهم، وكان يبلغ رسول الله ﷺ خبره وما =

= يدعيه من الكهانة، ويتعاطاه من الغيب، فامتحنه ﷺ ليروز به أمره، ويختبر به شأنه، فلما كلمه، علم أنه مبطل، وأنه من جملة السحرة أو الكهنة، أو ممن يأتيه رِئي من الجن، أو يتعاهده شيطان، فيُلقي على لسانه بعض ما يتكلم به، فلما سمع منه قوله الدُّخ، زبره، فقال: «اخسأ فلن تعدو قدرك» يريد أن ذلك شيء اطلع عليه الشيطان فألقاه إليه، وأجراه على لسانه، وليس ذلك من قبل الوحي السماوي، إذ لم يكن له قدر الأنبياء الذين أوحىٰ الله إليهم من علم الغيب، ولا درجة الأولياء الذين يُلهمون العلم، فيصيبون بنور قلوبهم الحق، وإنما كانت له تارات يُصيب في بعضها، ويخطئ في بعض، وذلك معنى قوله: يأتيني صادق وكاذب فقال له عند ذلك: «خلط عليك» فالجملة من أمره أنه كان فتنةً قد امتحن الله عباده المؤمنين ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة﴾ وقد امتحن الله قوم موسىٰ عليه السلام في زمانه بالعجل، فافتتن به قوم وهلكوا، ونجا مَنْ هداه الله وعصمه منهم.

وقال الإمام النووي (١٨/ ٤٦-٤٧) قال العلماء: قصة ابن صياد مشكلة وأمره مشتبه في أنه هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره، ولا شك في أنه دجال، والظاهر أن النبي ﷺ لم يوح إليه في أمره بشيء، وإنَّما أوحي إليه بصفات الدجال، وكان في ابن صياد قرائن محتملة، فلذلك كان ﷺ لا يقطع في أمره بشيء بل قال لعمر «لا خير لك في قتله» ا.هـ

وقال الحافظ ابن كثير رحمنا الله وإياه في «النهاية» (١/ ١٠٤) والأحاديث الواردة في ابن صياد كثيرة وفي بعضها التوقف في أمره هل هو الدجال أم لا؟ فالله أعلم، ويحتمل أن يكون هذا قبل أن يوحىٰ إلى رسول الله ﷺ في شأن الدجال وتعيينه، وقد تقدم حديث تميم الداري في ذلك، وهو فاصل في هذا المقام، وسنورد من الأحاديث ما يدل على أنه ليس بابن صياد، والله تعالىٰ أعلم وأحكم.

وقال أيضًا (١/ ١٥٧) وقد قدمنا أن الصحيح أن الدجال غير ابن صياد، وأن ابن صياد كان دجالًا من الدجاجلة، ثم تاب بعد ذلك فأظهر الإسلام والله أعلم بضميره وسيرته. ا.هـ محل المقصود منه

الفصل الثالث
في نزول سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام

أخرجَ الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم، حكمًا عدلا، فيكسرُ الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية»**[١] الحديث وفي رواية لمسلم عنه **«واللهِ لينزلَنَّ ابن مريم حكمًا عادلاً فَليكسرنَّ الصليب»**[٢] بنحوه.

وأخرج مسلم عن جابر قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«لا تزالُ طائفةٌ من أمّتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة قال: فينزلُ عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم: تعال صَلِّ لنا فيقولُ: لا، إنَّ بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هٰذه الأمة»**[٣].

وقال العلامة في «البهجة»[٤] هو أي نزول عيسى ثابت بالكتاب والسنة، وإجماع الأمّة أما الكتاب فقوله تعالى ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا

---

(١) رواه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (٢٤٢).

(٢) رواه مسلم (٢٤٣).

(٣) رواه مسلم (٢٤٧).

(٤) «البهجة» ص٢٠٢-٢٠٣.

لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] أي: ليؤمننَّ بعيسى قبلَ مِوت عيسى، وذٰلك عند نزوله من السماء آخر الزمان[(١)]، حتى تكونَ المِلَّةُ واحدة، ملةُ إبراهيم حنيفا مسلما، ونوزع في الاستدلال بهٰذه الآية: وإن الضميرَ في قوله «قبل موته» لليهود ويؤيده قراءة أُبيّ قبل موتهم[(٢)].

---

(١) جاء في الحديث عن النبي ﷺ الذي يرويه ابن عباس في قوله: ﴿وإنه لعلم للساعة﴾ [الزخرف: ٦١] قال: «نزول عيسى ابن مريم من قبل يوم القيامة» رواه الإمام أحمد ١/ ٣١٧، والطبراني مطولًا ١٢٧٤٠، والطبري في تفسيره ٢٥/ ٩٠.
يقول ابن كثير رحمنا الله وإياه في تفسيره الصحيح أن الضمير عائد علىٰ عيسىٰ عليه السلام فإن السياق في ذكره واستبعد القول الثاني: أي هاء الكفاية في قوله تعالىٰ: ﴿وإنه لعلم للساعة﴾ قولان أحدهما: أنها ترجع إلىٰ عيسىٰ عليه السلام. والثاني: أنها ترجع إلىٰ القران.
- أعود إلىٰ كلام ابن كثير- حيث قال: ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة كما قال تبارك وتعالىٰ: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾، قال: وهكذا روي عن أبي هريرة وابن عباس وأبي العالية وأبي مالك وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم، قال: وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسىٰ ابن مريم عليه السلام قبل يوم إمامًا عادلًا، وحكمًا مقسطًا والقراءة الأخرىٰ هي بفتح العين واللام وهي قراءة ابن عباس وأبي رزين وأبي عبد الرحمن وقتادة وحميد وابن محيض كما في زاد المسير (٧/ ٣٢٥) وقرأ الجمهور ﴿لَعِلْمٌ﴾ بفتح اللام وكسر العين، قال ابن قتيبة من قرأ بكسر العين فالمعنىٰ أنه يُعلم به قرب الساعة ومن فتح العين واللام فإنه بمعنىٰ العلامة والدليل. ا.هـ قلت: وعلىٰ كلا المعنيين والقرآنين فيه دليل علىٰ نزوله في آخر الزمان والله أعلم.
(٢) انظر الكشاف (١/ ٣١٣).

وأما السُّنّة فلا نزاع فيها[1].

وأما الإجماع فقد أجمعت الأمّة على نزوله، ولم يُخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة[2]، وقد انعقد إجماع الأمّة على أنه متبع لهذه الشريعة المحمدية، وليس بصاحب شريعة

---

(١) نقتصر على ما ورد من الأحاديث الصحيحة فمنها رواية أبي هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد**» رواه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥) (٢٤٢)، وأحمد (٢/ ٢٤٠، ٥٣٧)، وغالب كتب الحديث أخرجته.

ومنها حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم: تعال صل لنا فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة**» رواه مسلم (١٥٦)، وأحمد (٣/ ٣٨٤، ٣٤٥).

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجًا أو معتمرًا، أو ليثنينهما**» رواه مسلم (١٢٥٢)، والبغوي (٤٢٧٨)، والحميدي (١٠٠٥)، وأحمد (٢/ ٢٤٠، ٢٧٢، ٥١٣، ٥٤٠)، وعبد الرزاق (٢٠٨٤٢)، وحديث أبي هريرة رواه أبو داود (٤٣٢٤)، والطبري في تفسيره (١٠٨٣٠)، وأحمد (٢/ ٤٠٦، ٤٣٧).

وحديث عائشة رواه أحمد (٦/ ٧٥)، وابن حبان (٦٨٢٢)، وحديث النواس بن سمعان رواه مسلم (٢٩٣٧) ، وابن ماجه (٤٠٧٥)، وأبي هريرة رواه مسلم (١٥٥)، وأحمد (٢/ ٤٩٣، ٤٩٤)، والبغوي (٤٢٧٦).

(٢) وأنكره أيضًا بعض المعتزلة والجهمية.

مستقلة، عند نزوله من السّماء، وإن كانت النبوة قائمة به، ويتسلم الأمر من المهدي، ويكون المهدي مع أصحاب الكهف الذين هم من أتباع المهدي، كما مرّ من جملة أتباعه، ويُصلي عيسى وراء المهدي صلاة الصبح كما تقدم، وذٰلك لا يقدحُ في نبوّته ويُسلم المهدي الأمر لعيسى عليه السلام، وكل ما معه من تابوت بني إسرائيل، ويقتل الدجال كما مرّ. ٱنتهى مُلخصًا.

والكلامُ على سيدنا عيسى عليه السلام في ثلاث مقامات:

المقامُ الأوّل: في سيرته وحليته:

أما حليتُه فعندَ البخاري[1] من حديث عقيل بن خالد، «**أنه أحمر أجعدُ عريضُ الصدر**». وفي رواية: «**آدم كأحسن ما أنت راءٍ من أدم الرجال سبط الشعر، ينطِف**» - بكسر الطاء المهملة أي: يقطر - زاد في رواية له: لمة - أي بكسر اللام وتشديد الميم - أحسن ما أنت راءٍ من اللمّم، قد رجَّلها - بتشديد الجيم: أي سرَّحها - وفي رواية: لمتُه بين منكبيه، رجلُ الشعر يقطرُ رأسه ماء.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «**ورأيت عيسى بن مريم عليه السلام مربوعَ الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الشعر**»[2] زاد في حديث أبي هريرة /٣٦٦/ بنحوه «**كأنما خرج من ديماس يَعني الحمام**»[3]، ولا مُنافاة بين الحُمرة والأُدمة، لجواز أن تكونَ أُدمته

---

(١) البخاري (٣٤٣٨) من حديث ابن عباس.

(٢) مسلم ١/ ١٥١-١٥٢. (٣) البخاري (٣٤٣٧).

صافية، كما مرّ في صفة الدجال، لا يجدُ ريحَ نَفَسِه أي عيسى عليه السلام، كافرٌ إلاّ مات.

وأما سيرته: فقد تقدم أنه يدقُ الصليب، ويقتل الخنزير، ويقتل القرد، ويضع الجزية فلا يُقْبَلُ إلا الإسلام، ويتحد الدين فلا يُعبَدُ إلا الله، ويَترِكُ الصدقة أي الزكاة لعدم من يقبلُها وتظهر الكنوز في زمنه، ولا يرغبُ في اقتناء المال، ويرفع الشحناء والتباغض وينزع سم كل ذي سم، حتى تلعبَ الأولادُ بالحيات والعقارب فلا تضرهم، ويرعى الذئب مع الشاة فلا يضرها، ويملأ الأرض سلمًا وينعدمُ القتال، وتنبتُ الأرض نبتها كعهد آدم، حتى يجتمع النفرُ على القطف من العنب فيشبعهم وكذا الرّمّانة وترخص الخيل لعدم القتال، ويَغلو الثورُ لأن الأرض تُحرَثُ كُلُّها ويكونُ مقررًا لشريعة المصطفى ﷺ، لا أنّه رسول لهٰذه الأمة، ويكون قد علم بأمر الله في السماء قبل أن ينزل وهو نبي، وزعم بعض العُلماء أنّ نزول عيسى عليه السلام، يرفع التكليف قالوا: لئلا يكونَ رسولاً إلى أهل ذٰلك الزمان يأمرهم عن الله وينهاهم، وهٰذا مردودٌ بالأخبار الواردة أنه مقرر لهٰذه الشريعة، ومجددٌ لها إذ هي آخر الشرائع ونبينا ﷺ، آخر الرسل، وأيضًا فإن بقاء الدنيا إنما يكون بمقتضى التكليف، إلى أن لا يقال في الأرض الله الله. ذكره القرطبي في «التذكرة»[1].

(١) «التذكرة» ص٧٩٧ .

قُلْتُ: في زعم رفع التكليف خطأ بين لكل ذي لب فإنّا لو قُلنا برفعه لكان الزنا، ومصحفيه[١] لا محذور فيها كبقية المحارم، إذ التكليف تحته الأحكام الخمسة، وهي: الواجبُ، والمسنونُ، والحرامُ، والمكروهُ، والمباح، فإذا رفعت هٰذه فلا بقاء لقوام العالم من غير شك. واللهُ سبحانه وتعالى أعلم.

واعلم أنّ /٣٦٧/ عيسى عليه السلام من أمة نبينا محمد ﷺ، فهو صحابيٌ؛ لأنه ٱجتمع به ﷺ ليلةَ، الإسراء واجتمع به في الطواف أيضًا، وقد ألغز في ذٰلك التاج السبكي بقوله[٢]:

من باتفاقِ جميعِ الخلقِ أفضلُ من ... خير الصحابِ أبي بكر ومن عمر
ومن عليّ ومن عثمانَ فهو فتىً ... من أمةِ المختارِ من مُضَر

قال في الإشاعة[٣] كالتذكرة: إنه ﷺ، قال: **«وتُسلب قريش ملكها»**[٤].

قال ابن حجر الفقيه في «القول المختصر»[٥]، وسبقه السخاوي في «القناعة»[٦]: معنى ذٰلك: لا يبقى لقُريشٍ ٱختصاص بشيء دونَ مراجعته، فلا يُعارضُ ذٰلك خبرٌ: **«لا يزال هٰذا الأمر في قريش ما بقي من الناس ٱثنان»**[٧].

---

(١) هكذا بالأصل ولم يظهر لي معناه.
(٢) «الإصابة» ٤/ ٧٦١ .
(٣) الإشاعة ص١٤٤، والتذكرة ص٧٨٨.
(٤) هذا جزء من حديث أبي رافع أخرجه ابن ماجه ١/ ١٣٦٢.
(٥) «القول المختصر» ص٧٩-٧٧ . (٦) «القناعة» ص٢٧ .
(٧) رواه البخاري (٣٥٠١)، ومسلم (١٨٢٠)، وأحمد ٢/ ٢٩(٣٤٨٢).

قال البرزنجي في «الإشاعة»: ويدُلُ لما قاله حديث جابر[١] عنه عند مسلم فيقول أميرهم: تعال صل لنا فيقول: لا. إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هٰذه الأمة، وعلى هٰذا: فلا منافاة أن يكون المهديُ هو الأمير حتى في زمن عيسى، وتكون مراجعته في الأمور لعيسى عليه السلام على سبيل التبرك، فإن قيل: كيفَ يصحُ معنى حديث لا يزال هٰذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان، مع أنا نشاهد أن قريشًا لم تملك منذ قرون؟ قلنا: مَعْنى هٰذا الحديث استحقاقُ الخلافة لقريش، وإن ظلمها ظالم، ولا شك أن عيسى عليه السلام يُظهرُ كمالَ العدل فلا يجوز أن يأخذ حقهم، وبالله التوفيق. انتهى.

و(القول)[٢] الذي يظهر لي أن قولَه: **«لا يزالُ هٰذا الأمر»** إلى آخره، مَعناهُ ولو مراجعة ولا شَكَّ أن قريشًا يراجعون على أن الخوارج في زماننا هٰذا يزعمون أنهم نُواب عن قريش، وأما سيدنا عيسى عليه السلام فلا ينبغي أن يُقال أن الأمر في زمنه للمهدي كيف وهو روح الله وكلمته؟! وذاك رجلٌ مجتهد يُصيبُ ويجوز عليه الخطأ وقد أخبر النبي ﷺ، أن الأمرَ يَكونُ لعيسى عليه السلام. نعم **/٣٦٨/** يكون المهديُ من خواص أصحابه، بل وزيره يُراجعه في الأمور ويصدرُ عنه الشورى، وعيسى عليه السلام مجدد ومقرر لشريعة نبينا عليه الصلاة والسلام، وهٰذا واضح والله أعلم

---

(١) مسلم (٢٤٧) انظر ت (٢) ص(٦٢٣)، ت(٤) ص٦٢٥.
(٢) في (ب): (أقول).

المقام الثاني: في وقت نزوله ومحله، وما يجري على يديه من الملاحم:

قد سبقت الروايات في محل نزوله، والجمع بينهما والحاصل أنه ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، لسِتٍّ ساعات مَضين من النهار، حتى يأتي مسجد دمشق، يقعد على المنبر، فيدخلُ المسلمون المسجد، وكذا النصارى واليهود كلهم يرجونه حتى لو أُلقي شيءٌ لم يُصب إلا رأس إنسان من كثرتهم ويأتي مؤذن المسلمين، وصاحبُ بوق اليهود وناقوس النصارى، فيقترعون فلا يخرج إلا سهمُ المسلمين، وحينئذ يؤذّن مؤذُنهم ويخرجُ اليهود والنصارى من المسجد، ويُصلي بالمسلمين صلاة العصر، ثم (يخرج)[1] بمن معه من أهل دمشق في طلب الدجال، ويمشي وعليه السكينة، والأرض تُقبضُ له وما أدرك نَفَسَه من كافر إلا وقتله، ويدرك حيث ما أدرك بَصَرهُ حتى يُدرك بصرُه حصونهم، وقَرياتهم إلى أن يأتي بيت المقدس، فيجدُه مغلقًا قد حصره الدجال، فيصادف ذلك صلاة الصبح كما مرّ، وتقدم قتلُه الدجال اللعينَ، وسيأتي هلاك يأجوج ومأجوج بدعائه.

المَقام الثالث: في مدته ووفاته:

أما مدّته: فقد وَرد في حديث أبي هريرة عند الطبراني، وابن عساكر أن رسول الله ﷺ قال: **«ينزلُ عيسى بنُ مريم، فيمكثُ في الناسِ أربعينَ سنةٍ»**[2].

---

(١) ساقطة من (ب).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط ٥/ ٣٣١(٥٤٦٤) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ٢٠٥: رجاله ثقات.

وعند الإمام أحمد[١] وابن أبي شيبة وأبي داود، وابن جرير وابن حبان عنه أنه يمكثُ أربعين سنة، ثم يُتَوفَّى ويصلي عليه المسلمون، ويدفنونه عند نبينا ﷺ.

وأخرج الإمام أحمد[٢] وابن أبي شيبة، وأبو يعلى وابن عساكر عن عائشة رضي /٣٦٩/ الله عنها، قالت: قال رسُول الله ﷺ: **«ينزلُ عيسى ابن مريمَ فيقتلُ الدجالَ، ثم يمكثُ عيسى في الأرضِ أربعينَ سنةٍ إمامًا عادلاً حكمًا مقسطًا»**.

وأخرج الإمام أحمدُ في «الزهد»[٣] عن أبي هريرةَ رضي الله عنهُ قال: **يَلبَثُ عيسى بنُ مريم أربعين سنةَ لو يقول للبطحاء سيلي عسلاً لسالت**. وفي المنتظم[٤] للإمام ابن الجوزيّ عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ، قال: **«ينزل عيسى بن مريم فيتزوج، ويولد له، ذكر بعضهم ولدين أحدهما يسميه موسى، والآخر محمدًا، وإن أمَّهما مِن يزد قال: ويمكث خمسًا وأربعين سنة ثم يموتُ ويدفَنُ معي في قَبريَ، فأقومُ أنا وعيسى من قبر واحد بين أبي بكر وعمر»**، وكأنّ روايات أربعين وردت بإلغاء الكسر وورد في رواية «يمكثُ سبع سنين»[٥].

---

(١) رواه أحمد ٢/٤٠٦، وأبو داود (٤٣٢٤)، وابن حبان (٦٨٢١)، والحاكم ٢/٥٩٥.

(٢) أحمد ٦/ ٧٥، وابن حبان (٦٨٢٢). (٣) الفتن النعيم (٢/ ٥٨٠).

(٤) «المنتظم» (٢/ ٣١) ذكره في مشكاة المصابيح (٥٥٠٨) العلل المتناهية (١٥٢٩) وقال: هذا حديث لا يصح.

(٥) هذا في حديث عند مسلم (٢٩٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو من رواية يعقوب بن عاصم لم يوثقه غير ابن حبان، ولم يروِ له مسلم سوى هذا الحديث، ولم يُتابع على هذا.

وجَمَعَ بعضُهم[١] أنَّ سيدنا عيسى حين رُفع كان عمرُه ثلاثًا وثلاثين، وينزل سبعًا فهٰذه أربعون سنة. قُلْتُ: وليس هٰذا بشيء لما مرّ في حديث عائشة، عند الإمام أحمد وغيره، «**فيقتل الدجالُ ثم يمكثُ عيسى في الأرضِ أربعينَ سنةٍ**»، فدلّ الحديث دلالة ظاهرة أن الأربعين بعد قتله الدجال، فلا (بقي)[٢] لذٰلك الجمع وجه.

وقد ذكر العلاّمة في «بهجته»[٣] أن الحافظ السيوطي، قال: كُنتُ أفتيت بأن ابن مريم يمكث في الأرض بعد نزوله سبعَ سنين، واستمريت على ذٰلك مدة من الزمان، حتى رأيت البيهقي ٱعتمد أن مُكثه في الأرض أربعين سنة، مُعتمدًا ما أفاده الإمام أحمد في روايته، بلفظ «**ثم يمكُثُ ابن مريم في الأرض بعد قتل الدجال**»[٤]، وهٰذا هُو المرجح لأنّ زيادة الثقة يحتج بها، ولأنهم يأخذون برواية الأكثر، ويقدمونها على رواية الأقل، لما معه من زيادة العلم ولأنه مثبت، والمثبت مُقدَّم. ٱنتهى.

وأخرج الإمام أحمد وابن جرير وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ينزلُ عيسى بنُ مريم** / ٣٧٠/ **فيقتلُ الخنزيرَ ويمحو الصليب، ويجمعُ الصلاة، ويُعطي المال حتى لا يقبل، ويضعُ الخراج، وينزل الروحاء فيحجُ منها أو يعتمر [أو**

---

(١) ومنهم ابن كثير في التفسير ١/ ٥٨٣.

(٢) في (ب): (يبقى).

(٣) البهجة ص٢٠٦، وفتوى السيوطي في الحاوي ٢/ ٣١٦.

(٤) «مسند أحمد» ٦/ ٥٧ .

يجمعهما][(١)][(٢)] .

وعند مسلم وابن أبي شيبة عنه: «**لَيُهلَنَّ عيسى ابن مريم بفج الروحاء بالحج أو العمرة، أو ليثنينهما جميعًا**»[(٣)] قوله: بفج: أيْ بطريق، والروحاء: مكان بين المدينة، ووادي الصفراء في طريق مكة.

وأخرج الحاكم وصححه وابن عساكر عنه: «**ليهبطن ابن مريم حكمًا عدلاً وإمامًا مقسطًا، وليسلكَن فجًّا حاجًا أو معتمرا وليأتينَّ قبري، حتى يُسلمَ عليّ ولأرُدَّنَّ عليه**»[(٤)]، قال أبو هريرة: أي بَني أخي إذا رأيتموه فقولوا أبو هريرة يقرئك السلام.

وأخرج الحاكم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أدرك عيسى منكم، فليقرئه مني السلام**»[(٥)].

وأما وفاته: فقد أخرجَ البخاريُ في تاريخه[(٦)]، والطبراني: يُدفنُ ابن مريم مع رسول الله ﷺ وصاحِبَيْهِ، فيكون قبرُه رابعًا. وفي «المواهبِ اللدنيَّة» للقسطلاني بقى من البيت موضعُ قبر يُدفن فيه عيسى بنُ مريم،

---

(١) زيادة في (ب).

(٢) صحيح، أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٢٩٠ (٧٩٠٣) والطبري في التفسير ٣/ ٢٩١.

(٣) رواه أحمد ٢/ ٢٤٠ و٥١٣ و٥٤٠، والحميدي (١٠٠٥، وابن أبي شيبة ٧/ ٤٩٤، ومسلم (١٢٥٢)، وابن حبان (٦٨٢٠) من حديث أبي هريرة رضي اللهُ عنه.

(٤) الحاكم ٢/ ٥٩٥ وصححه ووافقه الذهبي.

(٥) الحاكم ٤/ ٥٤٥ وصححه. قال الذهبي: إسماعيل لم يحتج به.

(٦) التاريخ الكبير ١/ ٢٦٣، وأورده الهيثمي ٨/ ٢٠٦.

ويكونُ قبرهُ الرابع ومرّ حديث ابن عمرَ[١] عند ابن الجوزيّ في «المنتظم».

قال العلاّمَةُ في «البهجة»[٢]: قالَ بعضُ مشايخنا: وذكر رابع القبور لا ينافي قوله معي في قبري فإنه عبرّ بذلك لشدة القرب، إذ هوُ لقربه كأنه معه أو بتقدير مضاف؛ أي في جانب قبري، لينطبق الكلام ويتسق فدل مجموع ما ذكرنا أنه يموت عليه السلام بالمدينة المنورة، قال بعضهم: ولعل موته عند حَجّه، وزيارته النبي ﷺ. والله أعلم.

---

(١) انظر ت(١، ٣) ص٦٢١.

(٢) البهجة ص٢٠٧.

الفصل الرابع
في ذكر يأجوج ومأجوج
وخروجهم من الفتن العظام والمصائب الجسام

فنسأل الله أن يمن علينا بالتوفيق، وأن يُذيقنا حلاوة التحقيق، إنه على ما يشاء قدير[1] وبالإجابة جدير، وخروجهم ثابتٌ بالكتاب والسنة وإجماع الأمّة.

أما **الكتاب** فقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ۝٩٦﴾ /٣٧١/ [الأنبياء: ٩٦]

وأما **السُنة** ففي صحيح مسلم، من حديث النواس بن سمعان مرفوعًا أن الله يُوحي إلى عيسى عليه السلام بعد قتله الدجال، **«أني قد أخرجْتُ عِبادًا لي لا يَدانِ لأحدٍ بقتالهم فحرِّز عبادي إلي الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمرُّ (أوائلهم)[2] على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمرّ آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه (مرةً)[3] ماء (ويحصر نبي الله)[4] عيسى وأصحابه حتى يكون**

(١) الصواب أن يقال: إنه على كل شيء قدير، للاستزادة انظر الدر السنية (٢/ ٢٩٨) فتاوى ابن عثيمين (٣/ ٨١، ٨٤) وسيأتي في ص١٢٣٣.

(٢) في جميع الأصول (أولهم) والمثبت من صحيح مسلم.

(٣) ليست في الأصول، وهي زيادة من مصادر التخريج.

(٤) في الأصول (ويحصرون عيسى) والمثبت من مصادر التخريج.

رأس الثور لأحدهم خيرٌ من مائة دينار»[١]. الحديث.

وقال ﷺ: «لا تقومُ الساعة حتى يكون عشرُ آيات: طلوعُ الشمس من مغربها، والدُخانُ والدابّة، ويأجوُجُ ومأجوج ونزول عيسى ابن مريم وثلاث خُسوفاتٍ ونارٌ تخرجُ من قعر عدن أبين...»[٢] الحديث. رواه ابن ماجه عن حُذيفة بن أسيد.

والأحاديث في ذٰلك كثيرة.

وأما الإجماع: فقد أجمعت الأمّة على خرُوجهم، ولنتكلّم عليهم في ثلاث مقامات:

المقام الأول: في نسبهم، وفي ذٰلك أقوال شتى: أحدُهم أنهم من بني يافث بن نوح عليه السلام وبه جزم وَهب بن منبه وغيره، واعتمده كثيرٌ من المتأخرين[٣].

قال الثعالبي في «العرائس»: إن يافث سارَ إلى المشرق فوُلد له هناك خمسة أولاد: جوهر، ونبرش، وأشار، واسقويل، ومياشح، وهي أسماء أعجمية فمن جوهر جميعُ الصقالبة، والروم، وأجناسهم ومن مياشح جميع أصناف العجم، ومن أشار: يأجوج ومأجوج

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧).
(٢) حديث حذيفة بن أسيد رواه أحمد ٤/ ٧، والطيالسي (١١٦٣-هجر)، ومسلم (٢٩٠١)، وأبو داود (٤٣١١)، والترمذي (٢١٨٣)، وابن ماجه (٤٠٤١، ٤٠٥٥)، وابن حبان (٦٧٩١، ٦٨٤٣)، والبيهقي ٦/ ٤٢٤.
(٣) انظر فتح الباري ١٣/ ١٠٦.

وأجناسهم، ومن أسقويل جميع الترك، ومن نبرش: الترك والقفجق، واليونان من ولد يافث، وكان عمرُه إلى أن قبضه الله أربعمائة سنة وخمسًا وستين. انتهى.

وقيل: إنهم من الترك قاله الضحاك. وقيل: يأجوج من الترك، ومأجوج من الديلم.

وسمعت أستاذي العلامة الشيخ عبد القادر التغلبي طيب الله ثراه يقول: التركُ من يأجوج ومأجوج، وكانت هٰذه الطائفة سارحة تفسدُ في الأرض فجاء /٣٧٢/ سيدنا اسكندر(١)، فسد عليهم، فتركَت هٰذه الطائفة من خارج السد، فسمُوا التركُ قرر ذٰلك لي مرارًا، وسيأتي ذٰلك مأثورًا والله أعلم.

وعن كعب الأحبار أنهم أي: يأجوج ومأجوج من ولد آدم من

---

(١) فرّق ابن كثير بين الإسكندر الذي يُقال: إنه ذو القرنين المذكور في القرآن وبين الإسكندر المقدوني باني الأسكندرية ويُدعى أيضًا ذا القرنين، فقال في «البداية والنهاية» ١/ ٤٩٣ (قصة ذي القرنين): إنَّ الأول كانَ عبدًا مؤمنًا صالحًا وملكًا عادلاً، وكان وزيره الخضر، وقد كان نبيًا على ما قررناه قبل هذا. وأما الثاني فكان مشركًا وكان وزيره فليسوفًا وقد كان بين زمانهما أزيد من ألفي سنة، فأين هذا من هذا؟ لا يستويان ولا يشتبهان إلا على غبي لا يعرف حقائق الأمور!

وقال في ١/ ٤٩٧: ولعل جماعة من الملوك المتقدمين تسموا بذي القرنين تشبهًا بالأول والله أعلم.

غير حواء، وذٰلك أن آدم نام فاحتلم، فامتزجت نطفته في التراب فخُلق منها يأجوج ومأجوج[١]. ورُدّ بأنّ الأنبياء لا يحتلمون. وأجيب بأن ذٰلك يفيض من غير أن يتراءى لهُ أنه يجامع، واعتمد الحافظ ابن حجر الأوّلَ؛ أي أنهم من ذرية نوح وإلا فأين كانوا حين الطوفان؟[٢]

وقال الإمام النووي في الفتاوى[٣]: يأجوج ومأجوجُ أولادُ آدم من غير حواء عند جماهير العُلماء، فيكونون إخواننا لأب.

قال الحافظ ابن حجر: لم يَرِد هٰذا عن أحد من السلف إلا عن كعب الأحبار ويرده الحديثُ المرفوع «إنهم من ذرية نوح»، ونوح من ذرية حواء قطعًا. وكأن الحديث ما روي عن أبي هريرة مرفوعًا وفيه ضعف ولد نوح: سام، وحام، ويافث، فوُلد لسام: العرب وفارس والروم، وولد لحام: القبط والبربر والسودان، وولد ليافث: يأجوج ومأجوج والترك، والصقالبة[٤].

قال العلامة تبعًا للحافظ ابن حجر: إنه ضعيف، وفي رواية عبد الرزاق: عن أبي قتادة قال: يأجوج ومأجوج ثنتان وعشرون قبيلة، بَنى ذو القرنين السد على إحدى وعشرين وكانت قبيلة غائبة

---

(١) قال ابن حجر في «الفتح» ٦/ ٣٨٦: هذا قول منكر لا أصل له إلا عن بعض أهل الكتاب.

(٢) «فتح الباري» ١٣/ ١٠٦-١٠٧.

(٣) ص١٧٤-١٧٥ و«شرح مسلم» ٣/ ٩٨، وضعفه ابن كثير في «البداية والنهاية».

(٤) «فتح الباري» ١٣/ ١٠٧. قال: وفي سنده ضعف.

منهم في الغزو[1]، وهم الأتراك فبقَوا دون السد.

وأخرج ابن جرير[2] وابن مردويه من طريق السدّي من أثر قوي: الترك سَرية من سرايا يأجوج ومأجوج، خرجت فجاء ذو القَرنين فبنى السد فبقوا خارجًا عنه، وسُئل علي كرم الله وجهه عن الترك فقال: هم سيّارة ليس لهم أصل، هُم من يأجوج ومأجوج، خرجوا يغيرون على الناس، فجاء ذو القرنين فسد بينهم وبين قومَهم، فذهبوا سيّارة في الأرض. رواه ابن المنذر.

فائدة: قال العلامة في البهجة[3]: يأجوج ومأجوج علمان أعجميان. ولذلك /٣٧٣/ مُنعا من الصّرف، ويجوز قراءتهما بالهمز (وتركه، وبلا)[4] همز من يج وماج إذا اضطرب، وذلك مناسب لشأنهم وقد جاء أجوج من أجيج النار بمعنى التهابها، أو الأج: وهو سرعة العدو، والإجاج: وهُو الملوحة.

المقام الثاني: في حليتهم وكثرتهم:

أما حليتهم: فأخرج ابن أبي حاتم من طريق شُريح بن عبيد، عن كعب الأحبار قال: هم (على)[5] ثلاثة أصناف: صنفٌ أجسادهم كالأرز بفتح الهمزة، وسكون الراء ثم زاي هو شجر كبير جدًا قال في النهاية: هو شجر الأرزن، وهو خشب معروف وقيل: شجر

(١) عزاه العجلوني في «كشف الخفاء» ١/ ٣٨ إلى ابن أبي حاتم.

(٢) «تاريخ الطبري» ١/ ١٢٤ .

(٣) ص٢١٠.

(٤) في (ب): (وتركه بلا).

(٥) ليست في (ب).

الصنوبر[١]، ومنهم من هو أربعة أذرع في أربعة أذرع، وصنف: يفترشون آذانهم، ويلتحفون الأخرى[٢]، ووقع في حديث حذيفة نحوه[٣].

وأخرج هو والحاكم من طريق أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: يأجوج ومأجوج شبرًا شبرًا وشبرين شبرين وأطولهم ثلاثة أشبار[٤].

وأخرج عن قتادة قال: يأجوج ومأجوج اثنان وعشرون قبيلة، وذكر الحديث المتقدم[٥].

وأخرج الإمام أحمد والطبرانيُّ عن خالد بن عبد الله بن حرملة، عن خالته مرفوعًا: «**إنكم لتقولون لا عدوَّ وإنكم لا تزالون تقاتلون عدوًا، حتى تُقاتلوا يأجوج ومأجوج، عُرض الوجوه صِغار العُيون صهب الشعور من كلّ حدبٍ ينسلون، كأن وجوههم المجان المطرقة**»[٦].

قوله صهب الشعور أي: بين الحَمار والسواد.

قال العلامة: وَرَد أنَّ منهم من يفترش أذنه، طوله وعرضه

---

(١) «النهاية» ١/ ٣٨ .

(٢) رواه أبو عمرو الداني في (السنن الواردة في الفتن وغوائلها) ٦/ ١٢١١ (٦٧٠) بإسناده مقطوع، وأورده القرطبي في التذكرة ٢/ ٣٨٣.

(٣) انظر ت(٢) ص٦٣١.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧/ ٢٣٨٨ (١٢٩٧٠)، والحاكم في المستدرك ٤/ ٥٢٧.

(٥) أورده السيوطي في الدر ٤/ ٤٥٠.

(٦) رواه أحمد ٥/ ٢٧١، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣٤١٩)، وأورده الهيثمي ٨/ ٦ وقال: رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح.

سواء، ومنهم من هو كالأرزة الطويلة ومنهم من له أربع أعين، عينان في رأسه وعينان في صدره ومنهم من له رِجلٌ واحدة، ومنهم من هو ملبس شعرًا كالبهائم ومنهم من لا يشرب غير الدم شيئًا[(١)].

وقال الزهري: هُم ثلاث أمم: منسك، وتاويل، وتاريس. فصنف منهم عرضُ أحدِهم وطولُه سواء، وصنف منهم يفترش إحدى أذنيه ويلتحف الأخرى، وصنف منهم أمثال الأرز أي: الشجر الطويل وفي حديث حُذيفة / ٣٧٤/ قلتُ: يا رسول الله صفهم لَنا قال: «**ثلاثة أصناف: صِنفٌ منهم أمثال الأرز**» قال: قلتُ: يا رسول الله ما الأرَز؟ قال: «**شجرٌ بالشام طول الشجرة عشرون ومائة ذراع في السّماء**». ثم قال: «**هٰؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفترش إحدى أذنيه**». وذكر ما مرّ وزاد: «**لا يَمرّون بفيل ولا وحش، ولا طير ولا جمل ولا خنزير إلاّ أكلوه، ومن مات مِنهم أكلوه**»[(٢)].

وذَكر بعضهم: أن فيهم من لَه قرنٌ وذنب وأنياب بارزة، يأكلون اللحومَ نيئة.

وأما كثرتهم: فقد أخرج ابن حِبان في صحيحه، عن ابن مسعود رضي الله عنه، رفعه «**أن يأجوج ومأجوج أقل ما يترك أحدهم من صُلبه ألفًا من الذرية**»[(٣)].

---

(١) هذه أقوال لا تصح والصواب أنهم من بني آدم وعلى خلقتهم.

(٢) رواه ابن حبان (٦٨٢٨) بإسناد فيه ضعف.

(٣) رواه ابن عدي في الكامل ٧/ ٣٦٦ (ترجمة محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن عكاشة) ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤١٦)، ورواه الطبراني في الأوسط، وابن جرير في التفسير ١٧/ ٨٧، وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٦٧٦). قال ابن عدي: هذا حديث منكر موضوع.

وعند النسائي من رواية عُمر بن أوس، عن أبيه رفعه: «**إن يأجوجَ ومأجوجَ يجامعونَ مَا شاءوا، ولا يموت رجلٌ منهم إلاّ تركَ من ذريتِهِ ألفًا فصاعدا**»[١]. وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه: «**إن يأجوج ومأجوج لهم نساءٌ يجامعونَ ما شاءوا**».

وأخرجَ الطبراني وابن مردويه والبيهقي وعبد بن حميد عن ابن عمرو «**إنَّ يأجوجَ ومأجوجَ من ذريةِ آدم ووراءهم ثلاثُ أممٍ تاويل وتاريس ومنسك**»[٢].

وأخرج عبد بن حميد بسند صحيح، عن عبد الله بن سلام نحوه[٣].

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن عمرو أنه قال: «**الجنُ والإنسُ عشرةُ أجزاء، فتسعةُ أجزاء يأجوج ومأجوج، وجزءُ سائر الناس**»[٤].

---

(١) رواه النسائي في تفسير آية ٩٦ من سورة الأنبياء بإسناد ضعيف، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٥٠ لابن مردويه.

(٢) رواه الطيالسي (٢٣٩٦)، والطبري في التفسير ١٧/ ٨٨، والطبراني في الأوسط (٨٥٩٨) مرفوعًا. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه في تفاسيرهم.
قال ابن كثير: حديث غريب جدًا وإسناده ضعيف وفيه نكارة شديد. وقال: وقد يكون من كلام عبد الله بن عمرو.
ورواه موقوفًا عبد الرزاق (٢٠٨١٠) ونعيم بن حماد في «الفتن»، والبيهقي في «البعث» والحاكم ٤/ ٥٠٠، وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٦٨٠) موقوفًا وإسناده صحيح.

(٣) كذا في الفتح ١٣/ ١٠٧.

(٤) كما في الدر المنثور ٥/ ٤٥٥، والفتح ١٣/ ١٠٧.

وأخرج الحاكمُ وابن مردويه عن حذيفة مرفوعًا **«يأجوج ومأجوج أمتان كل أمةٍ أربعمائة ألف رجل لا يموتُ أحدُهم حتى ينظرَ إلى ألف رجل من صُلبه، كلهم قد حَملوا السلاح»**(١).

وأخرجَ أبو الشيخ وابن المنذر من قول حسان بن عطية، **«هم أي يأجوج ومأجوج أمتان في كل أمة أربعمائة ألف أمة، لا تشبه واحدة الأخرى»**(٢).

وقال مكحول: **«الأرض مسيرة مائة عام، ثمانون منها يأجوج ومأجوج، وهي أمّتان كل أمة أربعمائة ألف أمّة، لا تُشبه أمّة الأخرى»**.

وعند أبي الشيخ عن أبي أمامة / ٣٧٥/ الدُنيا سبعةُ أقاليم: **«يأجوج ومأجوج ستة والباقي إقليم واحد»**(٣).

وعن خالد الأشج: إن بني آدم وبني إبليس ثلاثة أثلاث: فثلثان

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل ٦/ ٢١٧٧، وابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٢٠٦، وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٦٧٦) بأطول منه وهو حديث شديد الضعف.
أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٧ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه يحيى بن سعيد العطار وهو ضعيف. وهو في الفردوس (٨٩٦٣).

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٩٤٥) بإسناد منقطع.

(٣) عند أبي الشيخ (٩٢٤) من قول عبدة بن أبي لبابة «إن الدنيا سبعة أقاليم فيأجوج ومأجوج في ستة أقاليم وسائر الناس في إقليم واحد».
ورواه نعيم بن حماد في الفتن، وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٦٧٤) من قول ابن عباس، نحوه.

بنو إبليس، وثلثُ بنو آدم، وبنو آدم ثلاثة أثلاث: ثلثان يأجوج ومأجوج، وثلثٌ سائر الناس، والناسُ بعد ذٰلك ثلاثةُ أثلاث ثلثٌ الأندلس، وثلثٌ الحبشة، وثلثٌ سائر الناس: العربُ والعجم(١).

وعند ابن أبي حاتم: الإنس عشرة أجزاء، فتسعة أجزاء منها يأجوج ومأجوج، وجزء سائر الناس.

وعند الحاكم وعبد الرزاق من قول ابن عمر «**إنّ الله جزّأ الملائكة والجن والإنس عشرة أجزاء تسعة منهم الكروبيون، والذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وَجَزَّأ الجن والإنس عشرة أجزاء فتسعةٌ منهم الجن فلا يولد من الإنس ولد إلاّ ولد من الجن تسعة، وَجَزَّأ الإنس عشرة فتسعةٌ، منهم يأجوج ومأجوج**»، الحديث(٢).

المقام الثالث: في خروجهم وإفسادهم وهلاكهم.

في الحديث المرفوع إلى رسول الله ﷺ: «**إن يأجوج ومأجوج يحفرون السد كُلَّ يَوم**» وهو فيما أخرجه الترمذيُّ وحسنه وابن حبان والحاكم وصححاه عن أبي هريرة، رفعه في السد «**يحفرونه كُلَّ يوم، حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم: اَرجعوا فتخرقونه غدا، فيُعيده الله أشد ما كان، حتى إذا بَلغ مدتهم، وأراد اللهُ أن يبعثَهم على الناس، قال الذي عليهم اَرجعوا فستخرقونه غدًا إن شاء الله تعالى،**

(١) عزاه في الدر المنثور ٥/ ٤٥٦ إلى ابن المنذر.

(٢) رواه الحاكم ٤/ ٤٩٠ وصححه ووافقه الذهبي. وروى أبو الشيخ في «العظمة» (٩٤٨) نحوه من قول كعب الأحبار، وإسناده موضوع.

واستثنى قال فيرجعون فيجدونه كهيئته حينَ تركوه فيخرقونه، فيخرجون على الناس»[١] الحديث.

قال الحافظ ابن حجر[٢]: أخرجه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم، وعبد بن حميد، وابن حبان، كلهم عن قتادة، ورجال بعضهم رجالُ الصحيح.

قال ابن العربي: في هٰذا الحديث ثلاث آيات:

الأولى: إن الله منعهم أن يُوالوا الحفر ليلاً ونهارًا.

الثانية: منعهم أن يحاولوا الرقي على السد بالسلم، والآلة فلم يلهمهم ذٰلك، ولاعلمهم إياه مع أنّه ورد /٣٧٦/ أن لهم أشجارًا وزروعًا أو غير ذٰلك من الآلات.

الثالثة: أن صدهم أن يقولوا إن شاء الله تعالى، حتى يجيء الوقت المحدود.

قال ابن حجر[٣]: وفيه أن فيهم أهل صناعات، وأهل ولاية وسلاطة ورعيّة تطيع من فوقها، وفيهم من يعرف الله ويُقرُّ بقدرته ومشيئته، ويُحتمل أن تكون تلك الكَلمة تجري على لسان ذٰلك الوالي، من غير أن يعرف معناها فيحصل المقصود ببركتها.

---

(١) رواه أحمد ٢/ ٥١٠-٥١١، وابن ماجه (٤٠٨٠)، والترمذي (٣١٥٣)، وابن حبان (٦٨٢٩)، والحاكم ٤/ ٤٨٨. قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٥/ ١٩٤: هذا إسناد جيد قوي ولكن في رفعه نكارة.

(٢) «فتح الباري» ١٣/ ١٠٨، ونقل كلام ابن العربي.

(٣) المرجع السابق.

ثم روى لكل من الاحتمالين حديثًا فقال: عند عبد بن حميد من طريق كعب الأحبار[١] نحو حديث أبي هريرة وفيه: «فإذا جاء الأمر ألقي على بعض ألسنتهم: نأتي غدا إن شاء الله تعالى، فيفرغ منه». وعند ابن مردويه من حديث حُذيفة نحو حديث أبي هريرة، «وفيه يغدون فيجيؤون عليه فيفتح». الحديث وسنده ضعيف. انتهى

وحاصل ما في الإشاعة[٢]: أنه يحتمل أن يلقى إن شاء الله على لسان أحدهم، وهو أقوى. ويُحتمل أن يُسلم واحد منهم.

فائدة: قال ابن عبد البر في كتاب «الأممَّ»[٣]: أجمعوا على أن يأجوج ومأجوج من ولد يافث بن نوح، ثم ختم الباب بأن النبي ﷺ سُئل عن يأجوج ومأجوج، هل بلغتهم دَعوتك؟ فقال ﷺ: «**جُزتُ بهم ليلةَ أسُرى بي فدعوتُهم فلم يُجيبوا**»[٤].

وفي مسلم من حديث النواس بن سمعان، بعد ذِكر الدجال، وهلاكه على يد عيسى عليه السلام قال: «**ثم يأتيه** - يعني عيسى - **قوم، وقد عصمهم الله من الدجال فيمسحُ وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هم كذلك إذْ أوحى الله إلى عيسى: أن قد**

---

(١) خبر كعب الأحبار في تفسير الطبري ١٧/ ٨٩.

(٢) الإشاعة ص٢٥٤.

(٣) هو كتاب «القصد والأمم في أنساب العرب والعجم» كما في مقدمة التمهيد، ولم أقف عليه مطبوعًا.

(٤) حديث موضوع اختلقه أبو نعيم عمرو بن الصبح أحد الكذابين الكبار، كما قال ابن كثير في البداية والنهاية ٢/ ١٢٠.

أخرجت عبادًا لي لا يُدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور، ويبعثُ اللهُ يأجوجَ ومأجوج، فيخرجون على الناس فيُنشفون الماء، ويتحصَّن الناس منهم في حصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم، فيشربون مياه الأرض حتى إن بَعضهم ليمر بالنهر، فيشربون ما فيه حتى يتركوه يَبَسا، حتى إن / ٣٧٧/ من يمرُ من بعدِهم ليمر بذلك النّهر فيقول قد كان هاهنا ماء مرة ويحصر عيسى نبي الله وأصحابه، حتى يكون رأس الثور أو رأس الحمار لأحدهم خيرًا من مائة دينار»[1].

في رواية مُسلم[2] وغيره: «فيقولون لقد قَتلْنا من في الأرض، هلم نقتل من في السّماء، فيرمون نشابهم إلى السّماء فيردُها الله عليهم مخضوبة دماءً للبلاء والفتنة فيرغب نبي الله وأصحابه إلى الله، فيُرسلُ الله عليهم النَغَف» بفتح النون والغين المعجمة، ثم فاء.

وفي رواية: «دودًا كالنغف في أعناقهم وهو دود يكونُ في أنوف الإبل والغنم، فيصبحون مَوتى كموت نفس واحدة، لا يُسمعُ لهم حس، فيقولُ المسلمون: ألا رَجلٌ يشتري لنا نفسه فينظر ما فعل هٰذا العدو؟ فيتجردُ رجل منهم محتسبًا نفسه قد وطّنها على أنه مقتول، فينزلُ فيجدهُم موتى بعضُهم على بعض، فيُنادي يا معشرَ المسلمين: ألا أبشروا إن الله عز وجل قد كفاكم عدوكم، فيخرجُون من مدائنهم وحُصونهم، ويسرحون مواشيهم فما يكون لها مرعى إلاّ لحومهم، فتشكَر منه -بفتح الكاف- أي لتسمن أحسن ما شَكرت عن شيء،

---

(١) حديث النواس بن سمعان رواه مسلم مطولاً ٤/ ٢٢٥٠-٢٢٥٥ (٢٩٣٧).

(٢) صحيح مسلم ٤/ ٢٢٥٥.

وحتى إنّ دَوابَّ البحر تسمَنُ وتشكر شكرًا من لحومهم، ودمائهم ويهبط نبيُ الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلاملأه زهمهم ونتنهم أي: ريحُهم من الجيف فيؤذُونَ الناس بنتنهم أشد من حياتهم، فيستغيثون بالله، فيبعَثُ اللهُ ريحًا يمانية غبراء فتصير على الناس غما ودخانًا ويقعُ عليهم الزكمة ويكشَفُ ما بهم بعد ثلاثة أيام، وقد قذفت الأرض جيفهم في البحر».

وفي رواية: «فيرغبُ نبيّ الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرُسل طيرًا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء اللهُ» وفي رواية «فترميهم إلى البحر»، وفي رواية «في النار»، ولا مُنافاةَ لأنّ البحر يسجر، فيصير نارًا يوم القيامة، «ثم يرسل الله مطرًا لا يكن منه بيتُ مدر ولا وَبر فيغسِلُ الأرضَ حتى يتركها /٣٧٨/ كالزلقة» أي: كالمرآة بحيثُ يَرى الإنسان فيها وجهَهُ من صفائها.

قال القاضي عياض: في «مشارقه» يروى بالفاء وبالقاف، وبالوجهين ضبطناه في «مسلم» عن مُتقني شيوخنا، وبهما ذكره أهل اللغة وفسرها ابن عباس رضي الله عنهما: بالمرآة، وقاله ثعلب وأبو زيد. وقال آخرون: هو بالفاء الإجانة الخضراء وقيل الصحفة. وقيل: المحارة وقيل: المصانع الممتلئة ماء[1] أنتهى. وتفسير ابن عباس أظهر، «ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك (وردى)[2] بركتك فيومئذ تأكل

(١) «المشارق» ١/ ٣١٠-٣١١ .

(٢) في جميع الأصول (وروى) والصحيح ما أثبتناه من سنن ابن ماجه.

العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها ويوقد المسلمون من قِسِيِّ يأجوجَ ومأجوجَ ونُشَّابِهِم، وأترستهم سبع سنين»[١].

(١) الفقرة الأخيرة من أول: «ويستظلون ..» ليست في مسلم، وهي عند ابن ماجه برقم (٤٠٧٦).

الفصل الخامس

خرابُ المدينة وخروج القحطاني والجهجاه والهيشم والمقعد وغيرهم، وكذا هدمُ الكعبة

ولنذكرهم على سبيل الاختصار، فَأَمَّا خرابُ المدينة فقد تقدمت الإشارةُ إليه، وأخرج أبو داود عن معاذ بن جبَل مرفوعًا: **«عمران بيت المقدس، خراب يثرب»**[1] الحديث.

وروى الطبراني **«سيبلغُ الناس سلعا ثم يأتي على المدينة زمانٌ يمُر السَّفْرُ على بعضِ أقطارها فيقول: قد كانت هٰذه مرة عامرة من طول الزمان، وعُفُوِّ الأثر**[2].

وأخرج الإمام أحمد نحوه بإسناد حسن.

وأخرج أيضًا بسند رجالُهُ ثقات **«المدينة يتركها أهلها وهي مرطبة قالوا: فمن يأكلها قال: السباعُ والعوافي»**[3].

وفي الصحيحين: **«لتتركن المدينة على خير ما كانت مُذَللةً ثمارُها لا يغشاها إلاّ العوافي الطير والسباع وآخر من يُحشرُ راعيان من مزينة»**[4]، الحديث.

---

(١) أحمد (٥/ ٢٣٢، ٢٤٥) أبو داود (٤٢٩٤) الحاكم (٤/ ٤٢٠، ٤٢١) السنة للبغوي (١٥/ ٤٦).

(٢) رواه الطبراني في الكبير ٦/ ٨٨ (٥٥٩٧)، وأورده الهيثمي ٤/ ١٥، وقال: فيه إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي وهو متروك.

(٣) رواه أحمد ٣/ ٣٣٢ من حديث جابر، قال الهيثمي ٤/ ١٥: رجاله ثقات.

(٤) رواه البخاري (١٧٧٥)، وأحمد ٢/ ٢٣٤، وفي الفتح ٤/ ٩٠.

وأخرجَ ابن أبي الدنيا بسند صحيح: «**أما والله لتدعُنَّها مُذَلَّلة أربعين عامًا للعوافي، أتدرون ما العوافي؟ الطيرُ والسباع**»[(١)].

وسببُ خَرابها والله أعلم: أنهم يخرجون مع المهدي إلى الجهاد، ثم ترجُف بمُنافقيها وترميهم إلى الدجال، ولمْ يبقَ إلا المؤمنون المخلصون فيهاجرون إلى بيت المقدس عند إمامهم، فقد ورد «ستكون هجرة، وخيار الناس يومئذ /٣٧٩/ ألزمهم[(٢)] مُهاجَر إبراهيم»[(٣)] ومَن بقي منهم تَقبضُ الريحُ الطيبة أرواحهم فتبقَى خاويةً فهٰذا سبب خرابها.

---

(١) رواه من حديث عوف بن مالك عمر بن شبة فتح ٤/ ٩٠، والحاكم ٢/ ٣١٣ و٤/ ٤٧٢، والبيهقي ٤/ ١٣٦. قال الحافظ ٤/ ٩٠: رواه عمر بن شبة بإسناد صحيح.

(٢) ورد في هامش الأصل هذا الكلام.
ومهاجر إبراهيم قال كعب الأحبار: إن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه خرج من كوثا هاربًا حتَّى نزل بالشام من ناحية فلسطين في الموضع المعروف الآن بواد السبع وهو شاب لا مال له فأثرى وكثر ماله وشاخ فضاق على أهل الموضع موضعهم فقالوا له: تحول عنا فتحول فقال بعضهم: أتانا بلا مال فلو شاطرنا ماله فكلموه في ذَلِكَ فقال: أتيتكم شابًا ردوا علي شبابي وأرد عليكم ما اكتسبته من أرضكم فحجهم ثم سار فجف ماؤهم فلحقوه ليردوه فلم يفعل وأعطاهم سبع شياه وأمرهم أن تقف كل شاة على بئر فيرد الماء ففعلوا فرد الماء فسُمي واد السبع لذلك والله أعلم. نقل من خط مؤلف عن نسخة.

(٣) أحمد (٢/ ٢٠٩) أبو داود (٢٤٨٢).

وقد روى المرجاني في «أخبار المدينة»[١] عن جابر مرفوعًا «**ليعودن هٰذا الأمر إلى المدينة كما بدأ منها حتى لا يكونَ إيمان إلا بها**».

وأخرج النسائي عن أبي هريرة «**آخر قرية من قرى الإسلام خَراباً المدينة**» ورواه الترمذي[٢] بنحوه وقال: حسن غريب.

ورواه ابن حبان[٣] بلفظ «**آخر قرية في الإسلام خرابًا المدينة**».

وصح: «**إن الدين ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جُحرها**»[٤].

فهٰذه الأخبار بظاهرها، تعارض الروايات والأخبار السابقة ووجه الجمع بينهما: أن الفتن تعم الدنيا كُلّها كما مر في خروج المهدي، ويبقى أهل المدينة مع المهدي فيأرز الدين أي ينحشر ويدخل المدينة حينئذ، لأنهم المؤمنون الكاملون، التابعون للخليفة الحق، ثم إنها تنفى خَبثها زمنَ الدجّال، ويبقى فيها الإيمان الخالص بخلاف بيت المقدس، وغيرها من البلدان فإنه يبقى فيهم أهل ذمة، ومنافقون لأنهم إنما يؤمنون بعد نزول عيسى.

قُلْتُ: مرَّ أنّ مكة تقذفُ منافقيها إلى الدجال فالظاهر أنها كالمدينة والله أعلم. وحديثُ جابر حتى لا يكون إيمان إلا بها أي إيمانٌ خالصٌ غير مشوبٍ بنفاق، ثم إنه تجيء الريحُ الباردة فتقبضُ كل روح مؤمن ومؤمنة.

---

(١) هو كتاب «بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة المختار» لم يطبع بعد.

(٢) الترمذي (٣٩١٩).

(٣) ابن حبان ١٥/ ١٧٩ (٦٧٧٦).

(٤) رواه البخاري (١٨٧٦) ومسلم (١٤٧).

قيل: إنَ الريح تأتي من الشام فيكونُ أهل الشام يُقبضون قبل أن تصل إلى المدينة، أو من اليمن فكذلك أو من كليهما، كما جَمع به والأمر ظاهر فصدق أنه آخر من يُقبَض من المؤمنين أهل المدينة، وهٰذا مَحَضُ حديث أبي هريرة، فبمجرد موتهم تخربُ لأنه ليسَ فيها إلا المؤمنون، بخلاف غيرها فإنها تبقى عامرة بشرار الناس أشار إليه في «الإشاعة» وهو حسن.

وأما خروج القحطاني، والجهجاه والهيشم والمقعد وغيرهم، فأخرج أبو الشيخ عن أبي هريرة مرفوعًا: **«ينزل عيسى بن مريم فيقتُلُ /٣٨٠/ الدجال ويموتُ فيستخلفونَ** - أي: بعد وفاة عيسى - **بأمره رجلاً من بني تميم يُقال لهُ المقعد، فإذا مات المقعد لم يأت على الناس ثلاث سنين حتى يُرفعَ القُرآن من صدور الرجال، ويبدأ النقص ليوافق ما يأتي من بقاء الدين مدة مديدة بعد عيسى»**[1].

وعند الطبراني **«لا تقوم الساعة حتى يملك الناسَ رجلٌ من الموالي يقال له: الجهجاه»**[2].

وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال: **«لا تذهبُ الأيامُ والليالي حتى يملك الناس رجلٌ يُقال له الجهجاه»**[3].

---

(١) أورده السيوطي في الحاوي ٢/ ٨٩.

(٢) رواه الطبراني في الكبير ١٨/ ٨٥ من حديث علياء السلمي، وأورده الهيمثي في مجمع الزوائد ٥/ ٢٤٦ وقال: رواه الطبراني وفيه من لم أعرف.

(٣) رواه مسلم (٢٩١١).

وأخرج الشيخان عنه «**لا تقومُ الساعةُ حتى يخرجَ رجل من قحطان، يسوقُ الناسَ بعصاه**»[١].

وأخرج الطبراني في الكبير وابن منده وأبو نعيم وابن عساكر عن قيس بن جابر عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ، قال: «**ستكونُ من بعدي خلفاء، ومن بعد الخلفاء أمراء، ومن بعد الأمراء ملوك جبابرة، ثم يخرج من أهل بيتي المهدي يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جورًا، ثم يُؤَمَّر القحطاني، فوالذي بعثني بالحق ما هُو دونَه**»[٢].

وأخرج نعيم[٣] بن حماد عن سليمان بن عيسى قال: بلغني أنَّ المهديَ يملك أربعة عشر سنة ببيت المقدس، ثم يموتُ ثم يكونُ من بعده رجلٌ من قوم تُبّع يقال له المنصور أي: وهو القحطاني، يمكثُ ببيت المقدس إحدى وعشرين سنة، ثم يُقتل ثم يملك المولى ويمكث ثلاث سنين، ثم يُقتل ثم يملكُ بعده [هيشم][٤] المهدي ثلاث سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام.

والحاصل أن الواجب ٱعتقاده ما دَلت عليه الآثار الصحيحة من وجود المهديّ المنتظر، الذي يخرج الدجال، وعيسى في زمانه ويُصلي عيسى خَلفه وأنه المراد حيث أطلق المهدي والمذكورون قبله لم يصح

---

(١) رواه البخاري ٦/ ٥٤٥ (فتح)، ومسلم (٢٩١٠).

(٢) رواه الطبراني ٢٢/ ٣٧٥، وأورده الهيثمي ٥/ ١٩٠ وقال: فيه جماعة لم أعرفهم.

(٣) (١/ ٢٩٣) ١١٨١ .

(٤) في الفتن (هيم) وما أثبت من مخطوط ج ومن الإشاعة (١٥٩).

فيهم شيء، والذين بَعده أمراء صالحون أيضًا لٰكن ليسوا مثله، فهو الأخير منهم، كلهم في الحقيقة وهو إمامُهم وأفضلهم، ويجب ٱعتقاد خروج الدجال، ونزول سيدنا عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، والله الموفق.

وأما هدمُ الكعبة / ٣٨١/ وسلبُ حُليّها وإخراج كَنزها، فقد أخرج الشيخان والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «يخربُ الكعبة ذو السويقتين من الحبشة»(١).

وأخرج الإمام أحمد عن ابن عمر نحوه، وزاد «ويسلبها حليها ويجردها من كسوتها، فلكأني أنظر إليه أُصَيْلعَ أُفَيْدِعَ يضرب عليها بمِسْحاتِه أو معوله»(٢).

وأخرج الأزرقي عنه «يجيش البحر بمن فيه من السودان، ثم يسيلون سيل النمل حتى ينتهي إلى الكعبة فيخربونها، والذي نفسي بيده إني لأنظر في صفتُه في كتاب الله تعالى: أفيحج أصيلع أفيدع قائمًا يهدمُها بمسحاته أو معوله»(٣).

وفي الصحيحين: «كأني به أسودَ أفحج يهدمُها حَجرًا حَجرًا»(٤) أي ويتداولها أصحابه بينهم حتى يطرحوها في البحر»، كما ورد في حديث حذيفة مرفوعًا: «كأني أنظر إلى حبشي أحمرَ الساقين أزرق

---

(١) رواه البخاري (١٥٩٦)، ومسلم (٢٩٠٩).

(٢) «المسند» ٢/ ٢٢٠.

(٣) «أخبار مكة» للأزرقي ١/ ٢٧٦ عن ابن عمر.

(٤) رواه البخاري (١٥٩٥) وليس عند مسلم.

العينين، أفطس الأنف كبير البطن وقد صفَّ قدميه على الكعبة، هو وأصحابٌ له فينقضونَهَا حَجرًا حجرًا، ويتداولونها بينهم حتى يَطرحُوها في البحر» الحديث. قوله السُوَيقتين: تصغيرُ الساقين أي: -دقيق الساقين- والأصيلع: تصغير أصْلَع -وَهُو مَنْ ذهب مقدمُ رأسه- والأفَيْدع: تصغير أفدَعْ -وهو من في يديه ٱعوجاجٌ- وورد في بعض الروايات «أصعل» أي: صغير الرأس، وفي بعضها أصمع أي صغير الأذنين، وقيل: كبير الأذن والأفحج المتباعد الفخذين.

وأخرج الإمام أحمدُ عن أبي هريرة «يبايَعُ لرجلٍ بين الرُكنِ والمقام، ولن يستحلَ هٰذا البيت إلا أهلهُ، فإذا ٱستحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب، ثم تجيء الحبشة فيخربونه خرابًا لا يَعمَّرُ بعده أبدًا وهم الذين يستخرجون كنزه»[١].

ورواه الأزرقي بهٰذا اللفظ في «تاريخ مكة»، والحاكم وصححه.

فَإنْ قُلْتَ: قد تقدم أن المهدي هو الذي يُخرج كنز الكعبة، وهنا في هٰذا الحديث: أن ذا السويقتين هو الذي يُخرج كنزها؟

قُلْتُ: لعمري إنَّه لسؤالٌ وارد، ولم أرَ من تعرَّضَ لهٰذا الاعتراض، ولا مَن نبَّه عليه من العلماء والحفاظ.

ولعل الجواب /٣٨٢/ عن هٰذا: أن المهدي يستخرج الكنز المذكور، ثم بعد ٱستخراجه له يجمع ما فيه من الحجاج في مُدَّته، ومدة

---

(١) رواه ابن أبي شيبة ١٥/ ٥٢، والطيالسي (٢٣٧٣)، وأحمد ٢/ ٢٩١ و٣١٢، والحاكم ٤/ ٤٥٢-٤٥٣.

سيدنا عيسى عليه السلام إلى حين خُروج هٰذا الخبيث، فإن المدة قابلة لجمع أضعاف ذٰلك، سيما مع كثرة المال وكثرة الحجاج حينئذ، والله أعلم.

فَإِنْ قُلْتَ: هدم الكعبة وتسليط هٰذا الخبيث عليها يُنافي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [العنكبوت: ٦٧]، وقد حمى اللهُ هٰذا البيتَ من أصحابِ الفيل، ولم يكن قِبْلة، فكيفَ يُسلط عليه الحبشة بعد أن صارَ قِبَلةً للمسلمين ؟

فالجواب: ما ذكره في «فتح الباري»[1] وهو أن يُقال قد أشار النبي ﷺ للجواب في الحديث بقوله: «**ولن يَستَحلَ هٰذا البيت إلا أهله**»، ففي أصحاب الفيل: ما كان أهله ٱستحلوه فمنعه منهم، وأما الحبشة: فلا يهدمونه إلا بعد ٱستحلال أهله مرارًا، وقد ٱستحله أهل الشام زمن يزيد بأمره، ثم الحجاج زمن عبد الملك بأمره ومرَّت الإشارة إلى ذٰلك، ثم سلط الله القرامطة فقتلوا من المسلمين في المطافِ ما لا يُحصى، وقلعوا الحجر ونقلوه إلىٰ بلادهم، فلما وقع ٱستحلاله من أهلِ مرارًا، مكن غيرَهُم من ذٰلك عقوبةً لهم، على أنه ليس في الآية ٱستمرارُ الأمن المذكور فيه. والله أعلم.

خاتمة: اختلف العلماء في هدم الكعبة: هل هو في زمن سيدنا عيسى عليه السلام أو بعده عند قيام الساعة، حيثُ لا يبقى أحد يقول: الله؟

---

(١) «فتح الباري» ٣/ ٤٦١.

فعن كعب أنَّه زمن عيسى. وقيل: زمنه وبعد هلاك يأجوج ومأجوج يحجُ النَّاسُ ويعتمرونَ كما ثبت، وأن عيسى عليه السلام يحج أو يعتمر أو يجمع بينهما، والظاهرُ أنه بعد سيدنا عيسى عليه السلام.

وذكر الحافظ ابن حجر[١] أنه وجدَ في كتاب «التيجان» لابن هشام: أن عمر بن عامر كان ملكًا متوجًا وكان كاهنا معمرًا، وأنه قال لأخيه عمرو بن عامر المعروف: بمزيقيا، لمَّا حضرته الوفاة إن بلادَكم ستُخربُ، وأن لله في أهل اليمن سَخَطين ورحمتين: فالسخطة الأولى: هدمُ سد مأرب /٣٨٣/ وخراب البلاد بسببه، والثانية: غلبة الحبشة على اليمن. والرحمة الأولى: بعثة نبي من تُهامة ٱسمه محمد، يرسَلُ بالرحمة ويَغلب أهل الشرك، والثانية: إذا خرب بيتُ الله يبعثُ الله رجُلاً يقُالُ له شُعيب بن صالح، فيهلك من خرَّبهُ ويُخرجهم، حتى لا يكون بالدنيا إيمان إلا بأرض اليمن.

قال الحافظ: إن ثبت هٰذا عُلمَ منه ٱسم القحطانيّ وسيرتهُ وزمانه،.

واعترضه في «الإشاعة»[٢] بأنه ليس فيما ذُكر أن ذٰلك هو القطحاني، ولم لا يجوز أن يكون شعيب بنُ صالح التميمي القادم بالرايات السود إلى المهدي؟ وأنه يرسلُ عيسى إليه حين يأتيه الصريخ، ويؤيده كون لقبه المنصور، وبتقدير أن يكون هو إيّاه، فجائز أن يكون قبل خلافته، ويكون فيمن أرسله عيسى أميرًا عليهم، أي: فإنه ورد

---

(١) «فتح الباري» ١٣/ ٧٨.

(٢) «الإشاعة» ص١٦٢-١٦٣.

أن الصريخ يأتي عيسى بذلك، فيبعث إليه طائفة ما بين الثمانية إلى التسعة، فيكون هو أميرهم، وكونه رحمة لأهل اليمن، لا يلزم أن يكون منهم.

ويكفي [في كونه][(١)] رحمة لهم، كونه يدفع الحبشة عنهم بحيث لا يبقى إيمان إلا [في أرض][(٢)] اليمن، [ثم][(٣)] إن الحجازَ من اليمن ولذا يُقال الكعبة يمانية، وأقولُ كونُ ذلك زمن عيسى عليه السلام، وأنه هو الذي أرسله مع كون لا إيمان إلاّ في اليمن في غاية البعد. كيف وزمن عيسى لا يكونُ إلا إيمان خالص؟ والدين متحد كما مر فليحرَّر. فإنْ قِيلَ قد مَرَّ أنّ آخر ما يُوجد الإيمان في المدينة، وهنا قلتم في اليمن.

قُلت: المدينة من اليمن، وقيل إن هدم الكعبة بعد خروج الدابة.

وقيل: بعد الآيات كلها قرب قيام الساعة، حتى لا ينقطع الحاج، ولا يبقى في الأرض من يقول الله، ويؤيد هذا: أن زمن عيسى عليه السلام كُله زمن سلم وبركة وأمان وخير. قُلْتُ: وهذا أليقُ بكرم الله سبحانه وتعالى، سيما والبيت قبلةُ الإسلام والحج إليه أحد أركان الإسلام، فينبغي أن يبقى ببقاء المسلمين، فإذا جاءت الريحُ الباردة الطيبة، وقد قبضت المؤمنين / ٣٨٤/ فحينئذ يُهدم البيت، ويرتفع القُرآن، ولا يبقى في الأرض لا دين ولا إيمان. قال العلامة في «البهجة»[(٤)]: وعن الثقات من الحُفاظ يمكثُ الناس ما شاء الله في

---

(١) و(٢) زيادة من «الإشاعة». (٣) ساقطة من «الإشاعة».

(٤) البهجة ص٢١٧-٢١٨.

الخصب والدعة بعد يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس وخروج الدابة.

قالوا: ثم يخرجُ الحبشة وعليهم ذو السويقتين فيخربون مكة ويهدمون الكعبة، ثم لا تَعْمُرُ بعدها أبدًا، وهم الذين يستخرجون كنز فِرعونَ وقارون بمصر[١].

قالوا: فيجتمع المسلمون فيقاتلونهم، فيقتلونهم ويسبونهم حتى يُباعَ الحبشيُ بعباءة[٢]، فهٰذا بيَّن أنَّ هدمَ الكعبة بعد الآيات كلها. تتمة.

تتمة: ورد في الحديث أنه ﷺ، قال: «**حُجوا قبل أن لا تحجُّوا فوالذي خلّق الحبّة وبرأ النسمة، ليُرفعنَّ هٰذا البيت من بين أظهركم، حتى لا يَدري أحدُكم أين مكانه بالأمس**»[٣] والله أعلم.

---

(١) «الفتن» لأبي نعيم (١٨٨٧، ١٨٨٨) (٢/ ٦٧٢، ٦٧٣).

(٢) «الفتن» لأبي نعيم (١٨٧٨، ١٨٩٤) (٢/ ٦٧٢، ٦٧٤).

(٣) رواه الحاكم ١/ ٤٤٩، وأبو نعيم ٤/ ١٣١، والبيهقي ٤/ ٣٤٠ من حديث علي. قال الألباني في الضعيفة (٥٤٤): موضوع.
وروى نحوه الدارقطني ٢/ ٣٠٢ وأبو نعيم في أخبار أصبهان ٢/ ٧٦، والبيهقي ٤/ ٣٤١ من حديث أبي هريرة: قال الألباني (٥٤٣): باطل.

الفصل السادس
في طلوع الشمس من مغربها

وهو ثابت بالسنة الصحيحة والأخبار الصريحة بل: وبالكتاب المنزل على النبي المرسل، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] الآية أجمع المفسرون أو جُمهورهم: على أنها طلوع الشمس من مغربها. وأخرج مُسلمُ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: حفظتُ من رسول الله ﷺ، **«إنَّ أوَّلَ الآيات خُروجًا طلوع الشمَّسِ من مَغْرِبها، وخروجُ الدابة على الناس ضحَى، وأيتهمُا كانت قبل صَاحبتها فالأخرى على إثرها قريبًا منها»**(١).

وفي مسلم أيضًا عن أبي هريرة رضي اللهُ عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تقومُ الساعة حتى تطلعَ الشمسُ من مغربهَا، فإذا طلعت من مَغْربها آمنَ الناسُ كُلَّهُم أجمعون، فيومئذٍ ﴿لا ينفَعُ نفسًا إيمانُها لم تكن آمنت من قبلُ أو كسبتْ في إيمانها خيرًا﴾»**(٢) [الأنعام: ١٥٨]، وفي بعض طرق البخاري: **«حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناسُ آمن من عليها»**(٣) الحديث.

---

(١) مسلم (٢٩٤١) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: في خروج الدجال...
(٢) مسلم (١٥٧) كتاب: الإيمان، باب: الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان.
(٣) البخاري (٤٦٣٥) كتاب التفسير، باب لا ينفع نفساً إيمانها .

/ ٣٨٥/[١] وأخرج مسلم عن أبي ذر أن النبي ﷺ قال يومًا: «أتدرون أين تذهب هٰذه الشمس؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إن هٰذه تجري حتَّى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة، فلا تزال كذٰلك حتَّى يُقال لها ٱرجعي من حيث شئت، فترجع طالعة من مطلعها تجري لا يستنكر الناس منها شيئًا حتَّى تنتهي إلى مستقرها ذٰلك تحت العرش فيُقال لها ٱرجعي ٱرتفعي أصبحي طالعة من مغربكِ فتصبح طالعة من مغربها». فقال عليه السلام: «أتدرون متى ذٰلك؟ حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ »الآية [الأنعام: ١٥٨][٢].

وأخرج الإمام أحمد وعبد الرزاق وعبد بن حميد والستة غير الترمذي، وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي عن أبي هريرة رضي اللهُ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعةُ حتَّى تطلعُ الشمسُ من مغربها فإذا طلعت ورآها الناسُ آمنوا أجمعون، فذٰلك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾» ثم قرأ الآية[٣].

وأخرج ابن مردويه عن حذيفة رضي اللهُ عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: ما آية طلوع الشمس من مغربها؟ فقال: «تطول تلك الليلة

---

(١) سقط من هذا الموضع صفحة (أ) واستدركناه من (ب).

(٢) «صحيح مسلم» (١٥٩)، وهو عند البخاري (٣١٩٩) و(٤٨٠٢) و(٤٨٠٣) و(٨٤٢٤)، وأحمد ٥/ ١٧٧.

(٣) رواه البخاري (٤٦٣٥) و(٦٥٠٦) و(٧١٢١)، ومسلم (١٥٧)، وأبو داود (٤٣١٢)، وابن ماجه (٤٠٦٨)، وأحمد ٢/ ٢٣١ و٣١٣ و٣٥٠ و٥٣٠، وابن حبان (٦٨٣٨)، والبيهقي ٩/ ١٨٠ .

حتَّى تكون قدر ليلتين»[1].

وهو وابن أبي حاتم عن ابن عباس مرفوعًا: «تطول قدر ثلاث ليالٍ»[2].

وعند البيهقي عن عبد الله بن عمرو: «وقدر ليلتين أو ثلاث، فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون ويعملون كما كانوا، ولا يرون إلا قد قامت النجوم مكانها ثم يرقدون ثم يقومون ثم يقضون صلاتهم والليل كأنه لم ينقضِ فيضطجعون حتَّى إذا ٱستيقظوا والليل مكانه، حتَّى يتطاول عليهم الليل فإذا رأوا ذٰلك خافوا أن يكون ذٰلك بين يدي أمر عظيم، فيفزع الناس وهاج بعضهم في بعض، فقالوا: ما هٰذا؟ فيفزعون إلى المساجد، فإذا أصبحوا طال عليهم طلوع الشمس، فبينما هم ينتظرون طلوعها من المشرق إذا هي طالعةٌ عليهم من مغربها فَيضِجُّ الناسُ ضجةً واحدةً، حتى إذا صارت في وسط السّماء رجَعتْ وطلعت من مطلعها»[3].

وأخرجَ ابن مردويه وغيره عن أنس مرفوعًا «صبيحةَ تطلعُ الشمس من مغربها يصيرُ في هٰذه الأمة قردة وخنازير، تُطوى الدواوين وتجفُ الأقلام، لا يُزاد في حسنة ولا يُنقصُ من سيئة، ﴿ولا يَنفعُ نفسًا

---

(١) وأروده السيوطي في «الدر المنثور» ٣/ ٣٩٠، وابن كثير في تفسيره آية الأنعام (١٥٨) وقال: رواه ابن مردويه، وليس هو في شيء من الكتب الستة من هذه الوجه.

(٢) كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٩١.

(٣) رواه الطبري تفسير سورة الأنعام آية (١٥٨)، وروى بعضه ابن أبي شيبة ٧/ ١٥٨ من قول أبي سلمة.

إيمانها لم تكن آمنت من قبلُ أو كسبت في إيمانها خيرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وعند البيهقي «فيذهب الناسُ فيتصدقون بالذّهبِ الأحمر، فلا يُقبلُ منهم ويقال: لو كان بالأمس»[1].

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لا تزالُ الشمس تجري من مشرقها إلى مغربها، حتى يأتي الوقتُ الذي جعل الله لتوبة عباده، فتستأذنُ الشمسُ من أين تطلع؟ ويستأذن القمر من أين يطلع؟

فلا يؤذنُ لهما: فيحبَسانِ مقدارَ ثلاثِ ليال للشمس، وليلتين للقمر، فلا يعرفُ مقدار حبسهما إلا قليل من الناس، وهم بقية أهل الأرض، وحملة القرآن يقرأُ كلُ رجل منهم وردَه في تلك الليلة، حتى إذا فرغ منه نظر فإذا ليلته على حالها، فيعودُ ويقرأ ورده، فإذا فرغ نظر فإذا ليلته على حالها فلا يعرف ذلك إلا حملة القُرآن، فينادي بعضُهم بعضا: فيجتمعون في مساجدهم بالتضرع والبكاء والصراخ بقية تلك الليلة.

ومقدارُ تلك الليلة ثلاث ليال، ثم يرسل الله جبريل إلى الشمس والقمر فيقول: إن الرب تعالى يأمركما أن ترجعا إلى مغربكما فتطلُعا منه، فإنه لا ضوءَ لكما عندنا ولا نور، فتبكي الشمسُ والقمرُ خوفَ يوم القيامة، وخوفَ الموت، فترجعُ الشمس والقمرُ فيطلعان من مغربهما فبينما الناس كذلك، يتضرعون إلى الله تعالى، والغافلون في

(١) الدر المنثور ٣/ ٣٩٤.

غفلاتهم إذ نادى منادٍ: ألا إن باب التوبة قد أغلق، والشمسُ والقمرُ طلعا من مغاربهما، فنظر الناسُ فإذ بهما أسودان كالعكمين لا ضوءَ لهما، ولا نورَ فذٰلك قوله تعالى﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾ [القيامة: ٩][(١)].

قوله: (كالعكمين) /٣٨٦/ تثنية عكم، وهو الغرارة: أي: كالغرارتين العظيمتين، ومنهُ يُقالُ لمن شَدَّ الغرائر على الجمل العكام، وفي حديث أم زرع: عكومها رداح[(٢)]، والله أعلم.

فيرتفعان أي: الشمسُ والقمرُ **مثلُ البعيرين المقرونين [المعقورين][(٣)] يُنازعُ كُلٌّ منهما صاحبه استباقًا، ويتصايح أهلُ الدُنيا، وتذهلُ الأمهاتُ عن أولادها، وتضعُ كُلُّ ذاتِ حملٍ حَمْلَها، فأمّا الصالحون والأبرار، فإنّهم ينفعُهُم بكاؤهم يَومئذ، ويُكتَبُ لهم عبادة.**

وأما الفاسقون والفجار، فَلاَ ينفَعُهُم بكاؤهُمْ يومَئذ ويُكْتَبُ عليهم حسرة، فإذا بلغتِ الشمس والقمر سُرة السماء، وهي منتصفها جاءهما جبريل، فأخذ بقرونهما فردّهما إلى المغرب، فلاَ يُغرِبُهما في مَغَاربهما: أي مَغارب طلوعهما **ذٰلك اليوم**، وهي: أي المَطالع جهة المشرق،

---

(١) قال ابن كثير ٢/ ١٩٦ بعد أن عزاه لابن مردويه: هو حديث غريب جدًا، بل منكر بل موضوع إن ادعى أنه مرفوع، فأما وقفه على ابن عباس أو وهب بن منبه وهو الأشبه فغير مدفوع. وقال السيوطي في «الدر المنثور» ٣/ ١١٤: أخرجه ابن مردويه بسند واهٍ عن ابن عباس عن النبي ﷺ. فذكره.

(٢) رواه البخاري برقم (٥١٨٩) كتاب النكاح، باب: حسن المعاشرة مع الأهل. ومسلم برقم (٢٤٤٨) كتاب: فضائل الصحابة، باب: ذكر حديث أم زرع انظر «اللسان» (ع ك م).

(٣) زيادة من «الدر المنثور».

ولٰكن: يُغربهما في مغاربهما اللّذان في باب التوبة، فإنَّ الله خلقَ بابَ التوبة، فهو من أبواب الجنة، لهُ مصراعان من ذَهب مُكلّلاً بالدُّرِ والجوهر، ما بين المصراع إلى المصراع: مسيرة أربعين عامًا للرّاكب المسِرع، فذٰلك البابُ مفتوحٌ منذُ خَلقَ اللهُ خلقَه إلى صبيحةِ تلكَ اللَّيلة عند طلوع الشمس والقمرِ منْ مغاربهما، ولم يَتُب عبد من عباد الله توبةً نصوحًا، من لدُن آدمَ إلى ذٰلك اليوم، إلا ولجت تلك التوبة في ذٰلك الباب، ثم ترتفع إلى الله.

قيل: أي قال معاذ: يا رسول الله: وما التوبة النصوح؟ قال: «أن يَنْدمَ العبدُ على الذنب الذي أصاب فيهرُبُ إلى الله منه، ثم لا يعودُ إليه حتى يعودَ اللّبن في الضرع»، قال: «فيُغربهما جبريل في ذٰلك، ثم يردُ المصراعين، فيلتئم ما بينهما، ويصيران كأنهما لم يكن فيهما صدع قط، ولا خلل فإذا أغلق بابُ التوبة لم يقبل لعبد بعد ذٰلك توبة، ولم ينفعه حسنة يعملها بعد ذٰلك إلا ما كان يجري لهما قبلَ ذٰلك، فذٰلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾» [الأنعام: ١٥٨] الآية فقال أُبيّ بنُ كعب: يا رسول الله فكيف بالشمس والقمر /٣٨٧/ بعد ذٰلك وكيف بالناس والدنيا؟ قال: «إنَّ الشمسَ والقمر يُكسَيان بعد ذٰلك ضوء النور، ثم يطلعان على الناس ويغربان كما كانا قبل ذٰلك، وأمَّا الناسُ فإنَّهم حيث ما رأوا: رأوا من تلك الآية وعظمها يلحون على الدنيا فيعمرونها ويُجرون فيها الأنهار، ويغرسون فيها الأشجار، ويبنون فيها البنيان، وأمّا الدُّنيا فلو نتج رجل مُهرًا لم يركبه، حتى تقوم الساعة من لَدُن

طلوعِ الشمس من مغربها، إلى يوم يُنفخ في الصور»[1]. قُلْتُ: وذكر نَحو ذٰلك القرطبي في «التذكرة» عن الثعلبي، وغيره من المفسرين، عن أبي هريرة[2].

تنبيهات:

الأول: تقدم في حديث مسلم: «**أن أوَّل الآيات طُلوعُ الشَّمسِ من مغربها**»، واستشكل بأنه لو كان طلوع الشمس قبل نزول عيسى، لم ينفع الكُفار إيمانُهم في زمانه، ولا الفساق توبتهُم كما مَرَّ من أن بابَ التوبة يُغلق، ومن المعلوم: أنه ينفعهم زمن عيسى قطعًا، وإلاّ لَمَا صار الدينُ واحدًا، ولا كان في نزوله كبير فائدة.

وقد ٱضطرب كلام العلماء من المحدّثين والمفسرين في الجواب عن ذٰلك، والجمعُ بينَ الأحاديث الواردة في هٰذا الباب. والحاصل كما في «البهجة» للعلامة أنه أجيب عن ذٰلك بجوابين:

أحدهما: للبيهقي قال: إن كان في علم الله أن طلوعَ الشمس سابقًا، ٱحتمل أن يكون المراد نفي قبول توبة الذين شاهدوا طلوعَ الشمَّس من مَغربها. فإذا ٱنقرضوا، وتطاول الزمن، وعادَ بعضُهم إلى الكُفر عاد تكليف الإيمان بالغيب، وإن كان في علم الله أنَّ طلوعَ الشمس بعد نزول عيسى، ٱحتمل أن يكون المراد بالآيات في حديث ابن عمرو آيات أُخر غير الدجال ونزول عيسى، أي: وخروج المهدي إذْ هُوَ سابقٌ عليهما قطعًا.

---

(١) انظر التعليق السابق وفيه كلام ابن كثير على الحديث.

(٢) «التذكرة» ص٧٩٣، باب: طلوع الشمس من مغربها...

قال العلامةُ عن الأخير يَعني كون طلوع الشمس بعد نزول عيسى، وأن المراد بالآيات آيات أُخر هو المعتمد لما مرّ مِن أنَّ بابَ التوبة يُغلقُ من حين طلوع الشمس إلى يوم القيامة، مع أنه /٣٨٨/ قدَّم في «بهجته» طلوعَ الشمس من مغربها أوَّلاً ثُمَّ خروج الدابة ثم المهدي...إلخ.

الجواب الثاني: أن خُروجَ الدَّجالِ أوَّلَ الآيات العظام المؤذنة بتغير ٱنتظام أحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذٰلك بموت سيدنا عيسى عليه السلام، وطلوع الشمس من مَغربها: هُو أوّل الآيات العظام المؤذنة بتغير ٱنتظام العالم العلوي. وينتهي ذٰلك بقيام الساعة، وأمّا خُروجُ الدابَّة فإنه يقعُ في ذٰلك اليوم الذي تطلُعُ فيه الشمس من المغرب قال الحاكم: الذي يظهر أنَّ طلوعَ الشمس يسبقُ خروجَ الدابَّة في ذٰلك اليوم، أو الذي يقربُ منه (والحكمة في ذٰلك: أن عندَ طلوع الشمس من المغرب، يُغلقُ بابُ التوبة، فتخرجُ الدابَّة تميِّزُ المؤمن من الكافر تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة)[1].

قال العلامة: وهٰذا كلام في غاية التحقيق، جديرٌ بأن يُتلقى بالقبول، لما فيه من التوفيق قد قرره الحفاظ الأعلام وعلماء الإسلام.

وقال في محل آخر من بهجته: قد ذكر المحققون أن بابَ التوبة

(١) ذكر قول الحاكم ابنُ حجر كما في «الفتح» ١١/ ٣٥٣ . وما بين القوسين من كلام ابن حجر ليس من كلام الحاكم.

يغلق بطلوع الشمس من مَغْربها، وهي[١] غيرُ الغلق بالغرغرة، فمَنْ كان على شيء بعده ٱستمر لهُ ذٰلك فلا يَتَغيَّرُ حالُه كافرًا كان أو عاصيًا فلا يُقبلُ إسلامُ الكافر ولا توبة العاصي، ولا يكتب عملٌ بعد ذٰلك، لارتفاع الصحف وجفاف الأقلام، ولا[٢] يُفتح - يعني باب التوبة - بعد ذٰلك، وإن ذٰلك لا يختص بيوم الطلوع، بل يمتدُ إلى يوم القيامة.

قالَ بَعضُهم: والحكمة في طَلوع الشمس من مغربها: أن إبراهيمَ عليه السلام قال للنمرود إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأْتِ بها من المغرب، فبُهتَ الذي كفر، وأنَّ السحرة والمنجمة عن آخرهم ينكرون ذٰلك، ويقولون هو غير كائن، فيطلعها الله يومًا من المغرب ليَرى المنكرين قدرته، وأن الشمس في ملكه إنْ شاء أطلعها من المشرق أو المغرب أو لا.

الثاني: قد مرّ في حديث أنس[٣] عند / ٣٨٩/ ابن مردويه وغيره أن الدواوينَ تُطوي، والأقلام تجف، ولا يزاد في حسنة، ولا يُنقصُ من سيّئة وفي كلام العلامة ولا يكتب عمل بعد ذٰلك. وفي هٰذا عندي نظر لاحتمال أن يَحدُثَ على أحد المؤمنين تغير حالٍ من ٱقتراف ذنب، أو ٱرتداد ونحوهما.

والجوابُ عن ذٰلك: أن كلا من أهل الإيمان والمعاصي لا يتغيرُ حاله، إذ ذاك أو إذا عملوا عَمَلاً فأجسامُهم تشهدُ عليهم، كما رأيتهُ مأثورًا عن عائشة رضي الله عنها، ويأتي قريبًا[٤] وفيه: «وخلصَت

(١) في (ب): (وهو).
(٢) في (ب): (ولم).
(٣) ص٦٥٤ ت(١).
(٤) ص٦٦٣ ت(٥).

الحفظةُ، وشهدت الأجساد على الأعمال». رواه عبدُ بن حميد والطبراني بسند صحيح عنها والله أعلم[١].

الثالث: قد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما: «**يمكث الناس بعد طلوع الشمس من مغربها، عشرين ومائة سنة**»[٢] وروى عبدُ بن حميد عنه: «**يبقى شرار الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة**»[٣]. وأخرج نعيم عن ابن عَمرو «**لا تقوم الساعة حتى تعبدَ العربُ ما كان يَعبُدُ آباؤها عشرين ومائة سنة، بعدَ نُزُولِ عيسى ابن مريم، وبعد الدجال**»[٤].

وروى عبد بن حميد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقومُ الساعة حتى يلتقي الشيخان الكبيران فيقول أحدهما للآخر: متى وُلدتَ؟ فيقول: زمن طلعتِ الشمس من مغربها**»[٥].

وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر، عن أبي هُريرة رضي الله عنه

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» ٥/ ٤١١ (١٤٢٥١).
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ٣/ ١١٢ إلى عبدالرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٢) رواه ابن أبي شيبة ٧/ ٥٠٦، أشراط الساعة لابن حبيب (٢٠)، ونعيم بن حماد في الفتن ٢/ ٦٥٦ من قول عبد الله بن عمرو، وقال الحافظ في الفتح ١١/ ٣٥٤: رفع هذا لا يثبت. انظر الضعيفة (٢٩٣٩).

(٣) وعزاه أيضًا الحافظ ١١/ ٣٥٤ لعبد بن حميد في تفسيره وقال: بسند جيد.

(٤) رواه نعيم بن حماد في الفتن ٢/ ٥٩٩ و٢/ ٦٩٦ عن عبد الله بن عمرو موقوفًا.

(٥) الحديث في الفردوس ٥/ ٨٣ (٧٥٢٩) عن ابن عباس، قال السخاوي في القناعة (٦٢) (وما يروى في التقاء شيخين فيقول أحدهما لصاحبه متى ولدت؟ . . . غير صحيح.

«الآياتُ كلُّها في ثمانية أشهر»[١] وعن أبي العالية في ستة أشهر[٢] وقد مرّ، لو أن رجُلا نتج مُهرًا لم يركبه حتى ينُفخَ في الصور.

وجمع الحافظ ابن حجر، في «فتح الباري»، وتبعه السخاوي في «القناعة»[٣]، والبرزنجي في «الإشاعة»[٤]، بما حاصله: أن المدةَ كما في الروايات الأول عشرين ومائة سنة، لكنها تمرُّ مرًّا سريعًا كمقدار عشرين ومائة شهر، كما في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رفعه: «لا تقوم الساعة حتى تكون السنة كالشهر»[٥] الحديث، وفيه: «اليومُ كالساعة»، وعلى / ٣٩٠/ هٰذا يكونُ تقاربُ الزمان، وتقاصر الأيام مرتين، مرةً في زمن الدجال، ثم ترجع بركة الأرض وطول الأيام إلى حالها، ثم تتناقص بعد موت سيدنا عيسى عليه السلام، إلى أن تصيرَ في آخر الدنيا إلى ما ذكر والله أعلم.

قُلْتُ: وأحسنُ من هٰذا ما ذكره الطيبي: أن الآيات - أي أمارات الساعة - على قسمين: قسم يدل على قربها، وقسم يدلُ على حصولها، وأن من الأول الدجال، ونزول عيسى، وخروج يأجوج ومأجوج، والخُسوف.

---

(١) السنن الواردة ٥/ ٩٩٠، وإسناده منقطع، وانظر الفتح ١٣/ ٧٧.
(٢) الفتح ١٣/ ٧٧. (٣) «الفتح» ١٣/ ٨٤، و«القناعة» ص٧٣.
(٤) ص (١٦٨).
(٥) رواه أحمد ٢/ ٥٣٧-٥٣٨، وأبو يعلى (٦٦٨٠)، وابن حبان (٦٨٤٢) وليس في مسلم من حديث أبي هريرة، لكنه ورد في حديث النواس بن سمعان وقد تقدم.
تنبيه: ولعل المؤلف رحمنا الله وإياه نقله من الفتح حيث عزاه ابن حجر إلى مسلم في ثنايا الشرح وعزاه في موضع آخر إلى أحمد وهو الصحيح.

ومن الثاني: الدخان وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التي تخرج من قعر عدن تحشر الناس، فيكون المراد بالمدة الطويلة باعتبار الأوّل، والقصيرة باعتبار الثاني، لٰكن الخبر ناطقٌ، بأن العشرين ومائة سنة، بعد طلوع الشمس.

تتمة: ذكَر الحَليمي: أن أوّل الآيات الدجّال، ثم نزول عيسى، ثم طلوعُ الشمس من مغربها.

قُلْتُ: والصّوابُ عندي أن أوّل الآيات خروجُ المهديّ، ثم الدجال، ثم نزول عيسى، ثم خروجُ يأجوج ومأجوج، إلى آخرها على نسق ما ذكرنا.

وأما خُروجُ السفياني فإنه وإن كان قبل خروج المهدي، لٰكن لم يعد العلماء خروجه آية، وإنما: هو علامةٌ لخروج المهدي، والله الموفق.

الرابع من التنبيهات: زعم جماعة من العلماء أنه إنما يمتنعُ قبولَ الإيمان والتوبة وقت طلوع الشمس، أي في تلك الحالة، وأما مَن تاب بعد ذٰلك، أو أسلم قُبِلَ ذٰلك منه. قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[1] ما حاصله: الذي دلت عليه الأحاديث الثابتة الصحاح والحسان: أن قبول التوبة منفيًا بطلوع الشمس من مغربها، ومفهومها أنها بعد ذٰلك لا تُقبل بل قد جاء في بعض الروايات، التصريحُ بعدم القبول كما عند الإمام أحمد والطبريّ والطبراني عن مالك بن يخامر،

---

(١) انظر «الفتح» ١١/ ٣٥٤ - ٣٥٥ .

عن معاوية وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عمرو رفعوه «**لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت طُبِعَ على كل قلب بما فيه / ٣٩١/ وكُفي الناسُ العمل**»[١].

وفي حديث ابن عباس عند ابن مردويه السابق[٢]: «**فإذا أغلق ذلك الباب، لم تُقبل بعد ذلك توبة، ولا تنفع حسنة**» وعند نعيم بن حماد عن ابن عمر: «**فيناديهم مناد يا أيها الذين آمنوا: قد قُبل منكم، ويا أيها الذين كفروا: قد أغلق عنكم بابُ التوبة، وجَفَّتِ الأقلام وطُويتِ الصُحف**»[٣].

ومن طريق يزيد بن شُريح وكُثير بنُ مرة، إذا طَلعت الشمسُ من المغرب، يُطبَع على القلوب بما فيها، وتُرفع الحفظةُ، وتؤمر الملائكة أن لا يكتبوا عَملاً[٤]. وأخرجَ عبد بن حميد، والطبري بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها: إذا خَرَجتْ أوَّلُ الآيات - تعني: طُلوع الشمس من المغرب - طُرحت الأقلام وطُويت الصُحف، وخَلصَت الحفظة، وشهدت الأجسادُ على الأعمال[٥].

---

(١) الحديث أخرجه أحمد ١/ ١٩٢، والطبراني في الأوسط (٥٩)، والطبري ٨/ ٩٨، بإسناد حسن. وانظر مسند أحمد ٤/ ٩٩، والبزار ٣/ (١٠٥٤)، وشعب الإيمان ٥/ ٤٤٤، ومجمع الزوائد ٥/ ٢٥١.

(٢) انظر ت: (١)، ص(٦٥٧).

(٣) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» ٢/ ٦٥٤ وإسناده ضعيف.

(٤) رواه نعيم بن حماد ٢/ ٦٥٣ مقطوعًا.

(٥) كذا في الفتح ١١/ ٣٥٥ وقال: بسند صحيح. انظر: ص٦٦٠ ت(١).

وعن ابن مسعود[١] رضي الله عنهُ قال: الآيةُ التي تُختمُ الأعمال بها طلوعُ الشمس من مَغربها.

قال: فهٰذه آثار يشدُ بعضها بعضًا، مُتَّفقة على أنه إذا طلعتِ الشمسُ من المغرب أُغلقَ بابُ التوبة، ولم يُفتحْ بعدَ ذٰلك ولاَ يَختصُّ ذٰلك بطلوعها، بل يمتدُ إلى يوم القيامة، ويؤيده ما يأتي: أنَّ إبليسَ يخرُ ساجدًا، وأن الدابَّة تقتُله، فإنَّه لا يموتُ إلاّ عند الفراغ من العمل، والله أعلم.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٧/ ٤٦٧، والطبري ٨/ ١٠١ بإسناد قوي.

الفصل السابع
في خروج الدابَّة

وهو ثابت بالكتاب والسُنَّة، أما الكتابُ: فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ الآية [النمل: ٨٢].

وأما السنة: فهي كثيرة جدًا، والكلام عليها في ثلاثة مقاصد:

المقصدُ الأوّل: في حليتها، في حديث حُذيفةَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **دابَّةُ الأرض طُولُها ستونَ ذراعًا، لا يُدركُها طالب ولا يفوتها هارب**[١]

وفي حديث أبي هُريرة مرفوعًا «**تخرج دابَّةُ الأرض من أجياد فيبلُغ صدرُها الركن اليماني، ولم يخرج ذنبها بعدُ، وهي دابَّةٌ ذات قوائم**»[٢].

وفي حديث حذيفة يرفعه: / ٣٩٢/ أوّل ما يبدُو مِنها رأسها، معلمةٌ ذات وبر وريشٍ[٣].

وقال الإمام عليٌّ كرَّمَ اللهُ وجهه: تخرج ثلاثة أيام، والناسُ ينظرُون إليها، فلا يخرج إلا ثُلثُها، وروي فلا يَخرجُ إلاَّ رأسُها، فيبلُغُ عنانَ السماء وتبلغ السحاب[٤].

---

(١) الفردوس ٢/ ٢١٩ (٣٠٦٦).

(٢) رواه الذهبي في الميزان ٥/ ١٠٦ وفي إسناده مجهول.

(٣) رواه الطبري ٢٠/ ١٥، وأبو عمرو الداني ٥/ ١١٠٨.

(٤) «الدر المنثور» تفسير آية (٨٢) من سورة النمل عن علي بلفظ قريب من هذا =

وقال أبو هُريرة رضي الله عنه: فيها من كل لونٍ وما بين قرنيها فرسخ للراكب[(١)].

وقال وهب: وجهها وجه رجل، وسائرُ خلقها كخلق الطير.

وقال ابن جريج: رأسُها رأس الثور، وعينُها عينُ خنزير، وأذنها أذنُ فيل، وقرنها قرن أيّل وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هرّ، وذنبُها ذنب [تيس][(٢)]، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين أثنا عشر ذراعا، بذراع آدم عليه السلام[(٣)].

قال كعب: صُوتُها صوت حمار.

وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما: إن لها عنقًا مشرفًا - أي طويلاً - يراها من بالمشرق، كما يراها من بالمغرب، ولها وجه كوجه الإنسان ومنقار كمنقار الطير، ذات وبر وزغب.

وعن عليّ كرم الله وجهه: أنه قيل له: إنَّ ناسًا يزعمون أنك دابَّة

= وجاء من رواية ابن عمر راوه ابن أبي شيبة (١٥/ ٦٧) الفتن لنعيم (١٨٥٩) ابن جرير (١٨/ ١٢١، ١٢٢) وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٥) من حديث عمرو بن العاص في «الدر المنثور».

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في «تفسيره» ٩/ ٢٩٢٥ (١٦٥٩٩). «الدر المنثور» في تفسير آية النمل (٨٢).

(٢) في «الدر المنثور»: «كبش».

(٣) هذه الآثار في تفسير ابن كثير ٣/ ٣٧٧. «الدر المنثور» في تفسير آية النمل (٨٢).

الأرض فقال: والله إن لدابة الأرض ريشًا وزغبًا، وما لي ريشٌ ولا زغب، وإن لها حافرًا وإنها لتخرجُ حضر[١] الفرس الجواد ثلاثًا وما خرج ثلثاها[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها ذات زغب وريش فيها من ألوان الدواب كلها، وفيها من كل أمّة [سيما][٣]، وسيماها من هٰذه الأمّة أنها تكلم الناس بلسان عربي مبين، وتكلمهم بكلامهم[٤].

قوله: ذاتَ زغب أي عليها زغب وهو صغارُ الريش، أولُ ما يطلُع قاله في «النهاية»[٥]: وقوله الأيّل هو بفتح الهمزة وكسر التحتانية مشددة وبضمٍّ وفتح الوعَل بفتح العين وهو تيس الجبل.

قولُهُ وفيها من كل أمة سيمة، أي: علامة.

وفي «الميزان» للذهبي، عن جابر الجعفي: أنه كان يقول: دابَّةُ الأرضِ عليّ بنُ أبي طالب[٦]: قال: وكان جابر الجعفي شيعيًا يرى الرجعة / ٣٩٣/ أي: أنَّ عليًا يَرْجِعُ إلى الدُنيا.

قال الإمام أبو حنيفةَ: ما لقيتُ أحدًا أكذبَ من جابر الجعفي، ولا أفضل من عطاء بن أبي رباح. وقال الشافعي: أخبرني سفيان بن عُيَيْنة قال: كُنا في منزل جابر الجعفي، فتكلم بشيء، فنزلنا خوفًا أن

---

(١) وفي (ب): (حفر) ومعناها: العدو.

(٢) المصدر السابق: برقم (١٦٥٩٥).

(٣) في المخطوط سمية وما أثبت من «الدر المنثور» و«الإشاعة».

(٤) رواه الفاكهي في «أخبار مكة» ٤/ ٣٩ (٢٣٤٦). «الدر المثور» تفسير آية النمل (٨٢).

(٥) غريب: زغب (٢/ ٣٠٤).

(٦) «ميزان الاعتدال» ٢/ ١٠٧.

يقعَ علينا السقف، ومع ذلك روى لهُ أبو داود، والترمذي وابن ماجه، ووفاتُه سنة ست وستين ومائة[(١)].

المقصد الثاني: في سيرتها: في أواخر مستدرك الحاكم أن معها **عصا موسى، وخاتم سليمان عليهما السلام، لا يُدركُها طالبٌ ولا يُعجزُها هارب، تضرب المؤمنَ بالعصا، وتكتبُ في وجهه مؤمن، وتطبع الكَافر بالخاتم**[(٢)]**، وتكتب في وجهه كافر.** كذا رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه[(٣)].

قال العلماء تبعا للحديث النبوي: «**أنَّ معها عصا موسى وخَاتمَ سُليمان عليهم الصلاة والسلام، وتُنادي بأعلى صوتها: إنّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، وتَسِم الناسَ المؤمن والكافر، فأما المؤمن فيَرى وجهَه كأنه كوكب دري، ويُكتَبُ بين عينيه مؤمن وأما الكافرُ فتنكتُ بين عينيه نكتة سوداء، ويكتب بين عينيه كافر**» وفي رواية: «**فتلقى المؤمن، فتسِمهُ في وجهه نكتة، فَيَبيضَّ لها وجهُه وتسمُ الكافرَ نكتةً يَسْوَّدُ لها وجهه**» وفي رواية: «**فتجلو وجهَ المؤمنِ بالعصا، وتختم أنفَ الكافر بالخاتم حتى إن أهل الخوان ليجتمعون، فيقولون لهٰذا: يا مؤمن ولهذا يا كافر ويتعوذ بعض الناس منها بالصلاة، فتأتيه**

---

(١) انظر ترجمته في «تهذيب الكمال» ٤/ ٤٦٥-٤٧١. ترجمة (٨٧٩).

(٢) وتطبع بالخاتم الكافر في (ب).

(٣) رواه أحمد ٢/ ٢٩٥ و٤٩١، والطيالسي (٢٥٦٤)، والترمذي (٣١٨٧)، والحاكم ٤/ ٤٨٥-٤٨٦ وفي إسناده ضعف وجهالة.

من خلفه فتقولُ يا فُلان: الآن تُصلي فيُقبلُ عليها فتسمُه في وجهه، ثم تنطلق، ويشترك الناس في الأموال، ويصطَحبون في الأمصار يعرفُ المؤمنُ الكافر وبالعكس، حتى إن المؤمن ليقولُ للكافر: يا كافر، أَقض حَقِّي، والكافر يقول: يا مؤمن أَقض حقي، وتستقبل المشرق، فتصرخُ صرخةً تنفذه، ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة تنفذه، ثم المغرب واليمن كذلك، ولا يبقى /٣٩٤/ مؤمنٌ إلا نَكتَتْ في مسجده، بعصا موسى نكتة بيضاء فتفشو تلك النقطة، حتى يبيض لها وجهه، ولا يبقى كافر إلا نكتت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان، فتفشو تلك النكتة حتى يسوَدَّ لها وجهه»[1].

وأخرج نعيم بن حماد في «الفتن»[2]، والحاكم في «المستدرك»، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لا يلبثون يَعني الناس بَعْدَ يأجوج ومأجوج، حتى تطلع الشمس من مغربها، وجفَّت الأقلام وطُويَتِ الصُحُف، لا يُقْبَلُ من أحد توبة، ويَخر إبليس ساجدًا ينادي إلهي: مُرني أنْ أسجد لمَن شئت، وتجتمعُ إليه الشياطين فتقول: يا سيدنا إلى من تفزع؟ فيقولُ: إنَّما سألتُ ربي أن يُنظرني إلى يوم البعث فأنظرني إلى يوم الوقت المعلوم، وقد طلعتِ الشمسُ من مغربها، وهذا يومُ الوقت المعلوم، وتصيرُ الشياطين ظاهرة في الأرض حتّى يقولَ الرجلُ هذا قريني الذي كان يغويني، فالحمدُ لله الذي أخزاه ولا

---

(١) انظر «الدر المنثور» تفسير النمل آية (٨٢).

(٢) (١٨٤٣) (٢/ ٦٥٤).

يزال إبليس ساجدًا باكيًا حتى تخرجَ الدابة[١] فتقتله، وهو ساجد».

تنبيه: في سؤال إبليس أن يُنظرَ ليوم البعث مكر وخداع، وجهل برب العالمين، فإنه حاول أن لا يذوق طعم الموت، لأن يومَ البعث ليسَ يوم موت، وإنما هو يومُ بعثٍ ونشورٍ، وبعْثر مَنْ في القبور، فإذا كانَ الأمر كذٰلك، فكيف يُقبض إذ ذاك إبليس أو غيره؟ وإنما ذٰلك يومُ الجزاء والله أعلم.

وفي «العرائس»[٢] عن كعب الأحبار، أن إبليس إنما يذوقُ طعمَ الموت يوم الحشر، قال: ينزلُ إليه ملك الموت، وقد لبس ثياب السخط والغضب، ومعهُ أعوانٌ لا تُحصى كثرتهم، وله قوة لا تُطاق، وبأس لا يذاق، ومعه سبعون ألفًا من الزبانية[٣] قد مُلئوا غيظًا، ومع كُلِ واحدٍ سلسلةٌ من سلاسل لظى، وغلٌ من أغلالها، فنعوذ بالله من نكالها، ويأمر الله تعالى مالكًا بفتح أبواب النيران، وبتسعيرها مع الخزان، وينزل ملك الموت في صورة لو نظر إليه أهل السموات السبع لماتوا، ولو نظر إليه أهل الأرض لتفطرت مرائرهم من الفزع.

قال: فينتهي إلى أبليس لعنَهُ الله ويزجره، فيصيح صيحةً لو سمعَها أهلُ الدنيا لماتُوا منها فيهرُبُ إلى المشرق / ٣٩٥/ فيجد ملكَ الموتِ أمامه، فيغوصُ في البحر فلا يقبله، فلا يزال يهرب في الأرض

---

(١) رواه نعيم بن حماد ٢/ ٦٥٤، ورواه الحاكم بلفظ مخالف ٤/ ٥٦٦.

(٢) كتاب «عرائس المجالس» لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي وهو يشتمل على قصص كثيرة أكثرها غرائب وموضوعات وإسرائيليات.

(٣) في (ب): (الملائكة).

حتى يقفَ عند قبر آدم عليه السلام، فيقولُ من أجلك جُعِلت في هٰذا الحال، وبسببك ذُقتُ هٰذا النكال، فَلَيْتَك لم تُخلَق، قال: فعند ذٰلك يسقيهُ ملك الموت كأسًا ممزوجًا بالعذاب الشديد، فيذوقُ من العذاب عند موته عددَ ما أغوى من أولاد آدم أضعافًا مُضاعفة، فيخرّ لعنهُ الله مرة يتمرغ في التراب ومرة يَصْرخُ من هول العذاب، ومرة يهربُ من المشرق إلى المغرب، حتى يأتي إلى الموضع الذي أهبطه الله فيه يومَ طُرِد، (وفي حياة الحيوان بجدة قاله كعب وفي تاريخ ابن الحنبلي أنه أهبط بأيلة)[١] وهو دِسِت مياه، فيجد الملائكة قد نصبت له الكلاليب والخطاطيف، وصارت الأرض كالجمرة، فيصير في أشدّ عذاب ونكال، وخزي ووبال، فتخرجُ روحُه الخبيثة إلى مقرها الخبيث وتستريح الأرض منه. كذا ذكره الكسائي.

قُلْتُ: والأوّل أصحُّ لأنه رواه الحاكم في «المستدرك»، ونعيم في «الفتن»[٢]، عن ابن مسعود رضي الله عنه فهو في حكم المرفوع؛ لأنّه لا يُقال من قبل الرّأي وغايةُ ما ذكره كعب الأحبار، أن يكون تلقاه من كتب أهل الكتاب، ونحنُ معاشر المسلمين، لا نرى الاْحتجاج بكلامهم إلاّ ما وافَقَ الشريعة الغرّاء، والله الموفق.

المقصد الثالث: في خروجها

أخرج الحاكم في المستدرك عن أبي الطفيل، عن أبي سريحة[٣] عن

---

(١) ما بين القوسين لا يوجد في (ب). (٢) ص٦٧٠ ت(١).

(٣) في الأصل «سرعة»، وفي مصادر التخريج «سريحة» وهو الصواب.

النبي ﷺ قال: يكونُ للدابة ثلاثُ خرجات في الدهر تخرجُ في أوّل خرجة في أقصى اليمن، منتشرًا ذِكرُها بالبادية ولا يدخل ذِكرُها القرية، يعني: مكة - ثم بينما الناس يومًا في أعظم المساجد حرمة، وأحبّها إلى الله، وأكرمها على الله يعني المسجد الحرام، لم يَرُعْهُم إلاّ وهي في ناحية المسجد من الركن الأسود، وباب بني مخزوم، فيرفض الناس عنها شتى، وتثبت /٣٩٦/ عصابة من المسلمين عرفوا أنهم لن يعجزوا الله، فتنفض عن رأسها التراب فتجلوا وجوههم حتى كأنّهم الكواكب الدّرّيّة[١].

وفي «الإشاعة»: لها ثلاث خرجات في الدهر، فتخرج خرجة في أقصى بادية[٢]، وفي رواية في أقصى اليمن، ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة، ثم تمكث زمانًا طويلاً، ثم تخرج خرجة أخرى دون تلك فيعلو ذكرها في أهل البادية، ويدخل ذكرها القرية، ثم بينما الناس في أعظم المساجد الحديث.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها تخرجُ من بعض أودية

---

(١) رواه الطيالسي (١٠٦٩)، والحاكم ٤/ ٥٣٠، والطبراني في الكبير ٣/ (٣٠٣٥)، ونعيم بن حماد ٢/ ٤٥٩ و٢/ ٦٦١، والفاكهي في أخبار مكة ٤/ ٣٩، ورواه الطبراني ١٠/ ١٤، والحاكم ٤/ ٥٣١، والفاكهى ٤/ ٣٨ موقوفًا، وأورده الهيثمي ٨/ ٧ وقال: فيه طلحة بن عمرو وهو متروك. وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٩/ ٢٤٩): فيه غرابة.

(٢) في (ب): (البادية). وكذا في «الإشاعة» (١٧٦).

تهامة[١]، أي: وهٰذا في بعض خرجاتها والأوّل: «في خرجتها الأخيرة».

وعن أبي هريرة وابن عمر، أنّ رسول الله ﷺ «أراه المكان الذي تخرج منهُ الدابّة»[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «خروجُها من الصَّفا ليلةَ منى»، فيصبحونَ بين رأسها وذنبها، لا يدحض داحض، ولا يخرج خارج، حتى إذا فرغت مما أمر الله فيهلك[٣] من هلك، ونجا من نجا، كان أول خطوة تضعَها بأنطاكية[٤] وفي بعضها: «من مدينة قوم لوط»، وفي بعضها: «من وراء مكة».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: **«بئس الشعبُ شِعب أجياد، قالها مرتين أو ثلاثة»** قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: **«تخرجُ منه الدابّة فتصرخُ ثلاثَ صرخاتٍ فيسمَعُها من في الخافقين»**[٥].

---

(١) رواه نعيم بن حماد ٢/ ٦٦٥، وأبو عمرو الداني (٧٠٠)، وعزاه ابن كثير ٣/ ٣٧٧ إلى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن ابن عباس، وذكره الطبراني ٢٠/ ١٥ من قول قتادة.

(٢) رواه ابن عدي من حديث بريدة في ترجمة خالد بن عبيد وهو ضعيف. والبخاري في «تاريخه» (٣/ ١٦١، ١٦٢) وابن ماجه (٤٠٦٧)، وروىٰ الطبراني ٢٠/ ١٥ عن عبد الله بن عمرو أنه رفع قدمه وهو قائم قريبًا من الصفا وقال: لو شئت لم أضعها حتَّى أضعها على المكان الذي تخرج منه الدابة.

(٣) في (ب): (فهلك). وكذا في «الدر المنثور».

(٤) رواه نعيم بن حماد ٢/ ٦٦٧، والفاكهي ٤/ ٤٤ وإسناده ضعيف.

(٥) رواه ابن عدي (ترجمة رباح بن عبيد) و(ترجمة هشام بن يوسف)، والعقيلي=

وعن بريدة رضي الله عنه قال: ذهب بي رسول الله ﷺ إلى موضع بالبادية، قريب من مكة فإذا بأرض يابسة، حولها رمل فقال ﷺ: «تخرجُ الدابَّة من هٰذا الموضع»[1].

ووجْهُ الجمع بين هٰذه الروايات مِن وجهين[2]: أحدهما: أن لها ثلاثُ خرجات، ففي بعضها تخرجُ من مدينة قوم لوط، ويصدق عليها أنها من أقصى البادية، وفي بعضها تخرج من بعض أودية تهامة، ويصدق عليها أنها من وراء مكة، ومن اليمن، لأن الحجاز يمانية، ومن ثَمَّ قيل الكعبة يمانية[3]، وفي المرة الأخرى تخرج من مكة، وهي من عظم جثتها وطولها يمكنُ أن تخرج من بين المروة والصفا وأجياد، فإنها تمتدُ مقدار /٣٩٧/ ثلاثة أيام وأكثر، فحينئذٍ يصدقُ عليها أنها خرجتْ من المروة ومن الصفا ومن أجياد، ومن المسجد أي: ومنَ البادية التي بالقرب من مكة، كما في حديث بريدة.

والوجهُ الثاني: أنها تخرجُ من جميع تلك الأماكن في آن واحد، خرقًا للعادة، في صور متباينة، على أنه ورد كما في «حياة الحيوان»، أنه يَخرجُ من كل بلدة دابة، مما هو مبثوث[4] نوعُها في الأرض،

= ٢/ ٦١، وابن حبان في المجروحين ١/ ٣٠٠، والفاكهي في أخبار مكة ٤/ ٤٣ وإسناده ضعيف جدًا.

(١) حديث ضعيف وقد تقدم ت(٢) ص٦٧٣.

(٢) لا حاجة للجمع بين روايات أكثرها ضعيف كما تقدم في التعليق عليها.

(٣) في (ب): الكعبة اليمانية.

(٤) غير واضحة في الأصل.

فليست بواحدة فيكون قوله دابة: ٱسم جنس واللهُ أعلم.

فائدة: ذكر في «حياة الحيوان»، عنِ ابن عباس رضي الله عنهما، أن دابَّة الأرض هي الثعبان الذي كان في جوف الكعبة، واختطفته العُقابُ، حين أرادت قريش بناء البيت الحرام، وأن الطائر حين ٱختطفها ألقاها بالحجون، فالتقمتها الأرض، فهي الدابَّة التي تخرج تكلم الناس، وتخرجُ عند الصفا. ٱنتهى.

وذٰلك على ما ذَكر ابن عبدِ البَرِّ في التمهيد عن عمرو بن دينار قال: لمّا أرادت قريشُ بناء الكعبة، خرجت منها حية فحالت بينهم وبينها، فجاء طائر أبيض فأخذها، ورمى بها في أجياد[1].

وقال ابن إسحق: قال الزبير بن عبد المطلب فيما كان من شأن الحيّة التي كانت قريش تهابُ بنيان الكعبة بسببها شعر[2]:

عجبتُ لما تصوَّبتِ العُقابُ ... إلى الثُّعبانِ وهي لها ٱضطرابُ
إذا قُمنا إلى التأسيسِ شدّت ... تُهَيِّبُنا البناء وقد تُهابُ
وقد كانت يكونُ لها كشيشٌ ... وأحيانًا يكونُ لها وثابُ
فلمّا أن خَشينا الرجزَ[3] جاءت ... عقابُ تثلئب لها ٱنصبابُ
فَضَمَتْها إليها ثم خلَّت ... لنا البُنيانُ ليس لها حجابُ

---

(١) «التمهيد» ١٠/ ٣٩ ولكن فيه عن عبيد بن عمير.

(٢) الأبيات في «السيرة النبوية» ٢/ ١٠، و«التمهيد» ١٠/ ٣٩-٤٠، و«تفسير ابن كثير» ١/ ١٨٢ مع بعض التقديم والتأخير أحيانًا.

(٣) في (ب): الزجر.

فَقُمْنَا حاشدينَ إلى بناءٍ … لنا منه القواعدُ والتُّرابُ
غداة ترَّفعُ التأسيسُ منه … وليسَ على مُسوِّينا ثيابُ
أعز به المليكُ بني لؤيٍّ … فليسَ لأصله منهم ذِهابُ
فَبَوَّأنا المليكُ بذاك عِزًّا … وعندَ اللهِ يُلتَمسُ الثواب[1]

والله أعلم.

(١) في (ب) تقديم وتأخير في ترتيب الأبيات.

الفصل الثامن
خروج الدخان

وهو ثابت بالكتاب /٣٩٨/ والسنة، أما الكتابُ: فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [الدخان: ١٠] قال ابن عباس[١] وابن عمر[٢] والحسن[٣] وزيد بن علي: هو دُخان قبل قيام الساعة، يدخلُ في أسماع الكفار والمنافقين، ويعتري المؤمنين منه كهيئة الزكام، وتكونُ الأرض كلها كبيت أوقد فيه، ولم يأت بعد، وهو آت.

وأمّا السنة: فأخرج مسلم[٤]، عن حذيفة بن أسيد قال: طلَع علينا رسول الله ﷺ، ونحنُ نتذاكر فقال: «ما تذكرون؟» قالوا: الساعة يا رسول الله، قال: «إنها لن تقومَ حتى تروا قبلها عشرَ آيات،

(١) الطبري تفسير آية النمل (١٠) «الدر المنثور»، تفسير آية (١٠) النمل الحاكم (٤/ ٤٥٩).

(٢) الطبري تفسير آية (١٠) النمل «الدر المنثور» تفسير آية (١٠) من النمل.

(٣) الطبري موقوفًا علىٰ الحسن. «الدر المنثور» تفسير آية (١٠) من النمل وجاء من رواية حذيفة بن اليمان في «الدر المنثور» والطبري وأبي سعيد الخدري في «الدر المنثور» وذكر ابن كثير وقال ابن حجر إسناده ضعيف وأبي مالك الأشعري في «الدر المنثور» والطبري والطبراني (٣٤٤٠) وللنظر في أقوال أهل العلم ينظر الطبري، والدر المنثور.

(٤) مسلم (٢٩٠١).

فذكر منها الدخان»، ورواه الترمذي وابن ماجه «**وإنه يمكثُ في الأرض أربعين يومًا**»[١].

وفي حديث حذيفة: «**إن من أشراط الساعة، دخان يملأ ما بين المشرق والمغرب، يمكثُ في الأرض أربعين يومًا، فأما المؤمن: فيصيبُه منه شبه الزكام**، وأما الكافرُ: فيكون بمنزلة السكران، يخرج الدُخان من فمه ومنخريه وعينيه وأذنيه ودبره»[٢].

وقيل: إن الدخان مَرَّ وأنه الجوع الذي كان حال بين أبصار قريش، وبين السماء. ففي الصحيحين قال مَسروق: كُنا عند ابن مسعود جُلوسًا وهو مضطجع بيننا، فقال رجل: يا أبا عبد الرحمن قصّاصًا عند أبواب كندة، يقولُ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠] إنه دخان يأتي قبل يوم القيامة يأخذ بأنفاس الكفار والمنافقين، وأسماعهم وأجسادهم، ويأخذ المؤمنين منه مثل الزكام، فجلس ابن مسعود وهو غضبان فقال: يا أيها الناس اتقوا الله، من علِم شيئًا فليقلْ بما يعلم، ومن لا يعلم فليقُل الله أعلم، فإن الله تعالى قال لنبيّه ﷺ ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ * وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] وسأحدثكم عن ذلك، إن قريشًا لمّا أبطأت عن الإسلام، دعا عليهم رسول الله ﷺ، فقال: **اللهم سبعَ سنينٍ كسني يوسف / ٣٩٩/ عليه الصلاة والسلام، فأصابهم من الجهد**

---

(١) كما في حديث النواس عند الترمذي (٢٢٤٠)، وابن ماجه (٤٠٧٥).

(٢) الطبري في تفسير سورة الدخان آية (١٠) أورده القرطبي في تفسيره ١٦/ ١٣١ وعزاه للثعلبي.

والجوع، ما أكلوا به العظام والميتة والجلود، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يَرون إلاَّ الدخان من ظلمة أبصارهم من شدة الجوع، فأتاه أبو سفيان بن حرب فقال: يا محمّد إنك جئت تأمرُ بالطاعة وصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم فإنهم لك مطيعون فقال[1] تعالى حكايةً عنهم: ﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الدخان: ١٢] فدعى فكشف، فقال تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الدخان: ١٥] أي إلى كفركم[2].

قال العلامة: كلامُ ابن مسعود موافق لظاهر الآية، فلا دليل فيها للجمهور، وإنما الدليل لهم من السنة. ولعل ذٰلك لم يبلغ ابن مسعود، حين أنكر ذٰلك على أنه ورد عن ابن مسعود أنه كان يقول: هُما دخانان مضى واحد والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض، ولا يجدُ المؤمن منه إلا كالزكمة، وأما الكافر فيشقُ مسامعه، فيبعثُ اللهُ عند ذٰلك الريحَ الجنوبَ من اليمن، فتقبضُ روحَ كل مؤمن، ويبقى شِرار الناس.

وأخرج الإمامُ أحمد ومسلم عن ابن عمرو[3] رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء بعد موتِ عيسى عليه السلام ريحٌ باردة من قِبَل الشام، فلا تُبقي على وجهِ الأرض أحدًا في قلبه مِثقال ذرة

---

(١) في (ب): قال.

(٢) رواه البخاري (١٠٠٧) و(٤٦٩٣) و(٤٨٢١-٤٨٢٥)، ومسلم (٢٧٩٨).

(٣) في الأصل: ابن عمر.

من إيمان، إلا قبضته حتى لَو أنَّ أحدكم دخل في كبد جبل، لدَخلت عليه حتى تقبضه، فيبَقى شرارُ الناس، في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفًا، ولا يُنكرون مُنكرًا فيتمثل لهم الشيطان فيقولون: ما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الأوثان، فيعبدونها وهم في ذٰلك دارّ رزقهم حسن عيشهم، ثم يُنفخُ في الصور»[1] واستشكل بأنه قد تقدم أن الدابَّةَ تقتُلُ إبليسَ، والجوابُ أنه ليس فيه أن الذي يظهر لهم إبليس، بل يجوز أن يكونَ شيطانًا آخر غير /٤٠٠/ إبليس من ذريته.

وأخرجَ الإمام أحمد[2] ومسلم والترمذي، من حديث النواس بن سمعان، «فبينما هم كذٰلك إذ بعث الله ريحًا طيبة، فتأخُذَهم تحتَ آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم. ويبقى شِرار الناس، يتهارجون فيها تهارج الحُمر أي: يتسافدون تسافد الحُمُر، جمع حمار. فعليهم تقوم الساعة»، وفي حديث ابن مسعود: **«إن المؤمنين يتمتعون بعد خروج الدابّة أربعين سنة، ثم يعود فيهم الموت، ويُسرع فلا يبقى مؤمن ويبقى الكفار يتهارجون في الطريق كالبهائم وفيه فيكونون على مثل ذٰلك، حتى لا يُولد أحد من نكاح، ثم يُعقم الله النساء ثلاثين سنة، ويكونون كلهم أولاد زنا، شرار الناس وعليهم تقوم الساعة»**[3].

---

(١) رواه أحمد ٢/ ١٦٦، ومسلم (٢٩٤٠)، وابن حبان (٧٣٥٣).

(٢) مسلم (٢٩٣٧)، أحمد (٤/ ١٨٢)، والترمذي (٢٢٤٠)، وأبو داود (٤٣٢١)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٨٠٢٤).

(٣) رواه مسلم (٢٩٣٧)، وتقدم مرارًا.

وأخرجَ الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه، **«أن الله يبعثُ ريحًا من اليمن، ألين من الحرير، فلا تدع أحدًا في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته»**[١]، فإنْ قيل: تقدم أن الريح تأتي من قبل الشام، وهنا إنها من قبل اليمَن والجواب: ما ذكره المناويُّ في تخريج أحاديث المصابيح، بأنهما ريحان شاميّة ويمانية[٢].

وأخرج الإمام أحمد[٣] بسند قوي، عن أنس رضي الله عنه قال: **«لا تقومُ الساعةُ حتى لا يقال في الأرض: لا إله إلا الله»**، وهوُ عند مسلم[٤] بلفظ **«حتى لا يُقال في الأرض الله الله»**. والله أعلم.

---

(١) رواه مسلم (١١٧)، والحاكم ٤/ ٥٠٢.
(٢) «فيض القدير» ٢/ ٣٥٨ . (٣) المسند ٣/ ١٠٧.
(٤) صحيح مسلم (١٤٨).

الفصل التاسع
في رفع القرآن العظيم، وكلامُ الله القديم[١] من المصاحف والصدور، وهي من معضلات الأمور، فيالها من مصيبة ما أعظمها، وخيبة ما أوخمها

أخرج الديلمي عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما، قالا: يسري على كتاب الله ليلاً، فيُصبح الناس، وليس منه آية ولا حرف، في جوف إلا نُسخت[٢]. قال العلامة في «بهجته»: قرَّر الأئمة أنهُ يُرفع أوّلاً من المصاحف، وذٰلك أنهم يبيتون فيصبحون، وليس فيها حرفٌ مكتوب، ثمَّ يرفعُ من الصدور عقب ذٰلك، لأعجل زمنٍ حتى لا يكون منه شيء محفوظٌ /٤٠١/ حتى يقول الحافظ للآخر، وقد سأله الآخر كنتُ أحفظ شيئًا نَسيتُه، لا أدري ما هو؟

وفي الحديث: **«أكثروا من الطواف بالبيت قبل أن يُرفع، وينسى الناس مكانه، وأكثروا تِلاوَةَ القُرآن من قبل أن يُرفع»** قيل: وكيفَ يُرفع ما في صدورِ الرجال؟ قال: **«يسري عليهم ليلاً فيُصبحون منه فُقراء، ويَنسونَ قولَ لا إلٰه إلا الله»**[٣].

(١) قول السلف رحمهم الله تعالى في كلام الله عز وجل أنه قديم النوع حادث الآحاد، ومعنى قديم النوع أن الله لم يزل، ولا يزال متكلماً ليس الكلام حادثاً بعد أن لم يكن، ومعنى حادث الآحاد: أن آحاد كلامه أي الكلام المعين المخصوص حادث لأنه متعلق بمشيئته متى شاء تكلم بما شاء كيف شاء.اهـ.

(٢) رواه الحاكم ٤/ ٥٥٢، والديلمي ٥/ ٤٨٨ نحوه من حديث أبي هريرة. قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

(٣) عبد الرزاق ٥/ ١٣٧، والفاكهي ١/ ٣٥٩ من قول علي.

وعند الديلمي: من حديث ابن عُمرَ مرفوعًا: «**لا تقومُ الساعة حَتَّى يرجعَ القُرآنُ من حيثُ جاء، لهُ دويٌّ حول العرش كدويّ النحل، فيقول عز وجل مالك؟ فيقول: منك خرجتُ وإليك أعود، أُتلى فلا يُعملُ بي**»[١].

وعند ابن ماجه من حديث حذيفة مرفوعًا: «**يَدرَسُ الإسلامُ حتى ما يُدرىٰ ما صيام ولا صلاة!! ولا نسك ولا صدقة ويسري على كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية**»[٢]. الحديث

وأخرجَ السجزي عن ابن عمر رضي الله عنهما «**لا تَقومُ القيامةُ حتى يُرفَع الرُكنُ والقرآن**»[٣].

وأخرج ابن ماجه بسند قوي والحاكم والبيهقي والضياء عن حذيفة رضي الله عنه قال: «**يَدرَسُ الإسلامُ كما يدرسُ وَشْيُ الثوبِ حتى لا ندري ما صيام ولا صلاة، ولا نسك ولا صدقة، ويسري على كتاب الله في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، ويبقى طوائف من الناس، الشيخ والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هٰذه الكلمة لا إلٰه إلا الله، فنحنُ نقولها**»[٤] والله أعلم.

(١) «الفردوس» ٥/ ٧٩ (٧٥١٣).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠٤٩) وسيأتي تمام تخريجه. في ت (٤).

(٣) رواه السجزي عن ابن عمر في «فيض القدير» ٦/ ٤١٨، وهو في «الفردوس» ٥/ ٨٦ من حديث جابر.

(٤) رواه ابن ماجه (٤٠٤٩)، والبزار ٧/(٢٨٣٨)، والحاكم ٤/ ٥٢٠ و٤/ ٥٨٧، والبيهقي في «الشعب» (٢٠٢٨)، وصححه البوصيري في «مصباح الزجاجة» ٤/ ١٩٨، وصححه الألباني.

ورواه محمد بن فضيل في «الدعاء» (١٥)، ونعيم بن حماد ٢/ ٥٩٨، والخطيب في «تاريخه» ١/ ٤٠٠ موقوفًا.

الفصل العاشر

في النار التي تخرج من قعر عدن، تحشرُ الناس إلى مَحشرهم. وهي آخر العلامات

أخرج الإمام أحمد والبخاري عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا: «**أمّا أوّل أشراط الساعة فنارٌ تخرج من المشرقِ فتحشر الناسَ إلى المغرب، وأمّا أوّل ما يأكل أهلُ الجنة، فزيادة كبد الحوت**»[1] الحديث.

وأخرج الستةُ غير البخاري عن حذيفة بن أسيد مرفوعًا: «**لن تقومَ الساعةُ حتى تروا قبلها عشر آياتٍ وذكرها قال: وآخِرُ ذٰلك** /٤٠٢/ نارٌ تخرجُ من اليمن تطردُ الناسَ إلى مَحشرهم[2]»،

ويُروى: «**نارٌ تخرجُ من قعر عدن تسوق الناسَ إلى المحشر**»[3]، وفي

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٣٢٩)، (٣٩٣٨)، (٤٤٨٠). «المسند» ٣/ ١٠٨، ٣/ ١٨٩، انظر (٢) ص٦٨٩.

(٢) رواه مسلم (٢٩٠١) (٣٩)، وأبو داود (٤٣١١)، والترمذي (٢١٨٣)، والنسائي في «الكبرى» ٦/ ٤٢٤ (١١٣٨٠)، (وابن ماجه (٤٠٤١) مختصرًا.

(٣) رواه أحمد ٤/ ٧، ومسلم (٢٩٠١) (٤٠) بلفظ: ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس، وأبو داود (٤٣١١)، والترمذي (٢١٨٣)، والنسائي في «الكبرى» ٦/ ٤٢٤ (١١٣٨٠)، والحميدي في «مسنده» ٢/ ٧٥-٧٦ (٨٤٩)، ابن حبان في «صحيحه» ١٥/ ٢٥٧-٢٥٨ (٦٨٤٣)، والطبراني ٣/ ١٧١-١٧٢ (٣٠٢٩-٣٠٣٠).

لفظ: «من قعر عدن أبين»[١] وأبين بوزن أحمر. ٱسم الملِك الذي بناها.

وأخرج الإمام أحمد عن ابن عمرو رضي الله عنهما وكذا أبو داود والحاكم، وأبو نعيم: **ستكونُ هجرةٌ بعد هجرة فخيارُ أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم، ويبقى في الأرض شرار أهلها تلفظهم أرضوهم، وتقذرهم نفس الله، وتحشرهم في النار مع القردة والخنازير، تبيت مَعَهُم إذا باتُوا وتقيل مَعهم إذا قالوا، وتأكل من تخلُف**[٢]. قوله: تقذرهم نفس الله، هُو من المتشابه والإيمان به واجبٌ بالمعنى الذي أراده الله سبحانهُ إثباتٌ بلا تمثيل، وتنزيهٌ بلا تعطيل[٣].

وأخرج الإمام أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح عن ابن عُمر رضي الله عنهما مرفوعًا: **«ستخرجُ نارٌ من حضرموت، أو من بحرِ حضرموت، قبل يوم القيامة تحشرُ الناس»** قالوا: يا رسول الله: فما تأمرُنا؟ قال: **«عليكم بالشام»**[٤] أي وهٰذا هو المراد بمهاجر إبراهيم.

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٥٥)، وابن أبي شيبة ٧/ ٥٠٠-٥٠١ (٣٧٥٣١)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» ٢/ ٢٥٨-٢٥٧ (١٠١٢)، الطبراني ٣/ ١٧٢ (٣٠٣١).

(٢) رواه أحمد ٢/ ١٩٩، ٢٠٩، من رواية عبد الله بن عمرو وجاء من رواية عبد الله بن عمر بن الخطاب في المسند (٥٥٦٢) ومن رواية أبي هريرة في شطر الحديث عند البخاري (٦٥٢٢)، ومسلم (٢٨٦١) وابن مسعود في شطر الحديث (٧٥/ ٣٧) وأبو داود (٢٤٨٢)، والحاكم ٤/ ٤٨٦-٤٨٧، وأبو نعيم في «الحلية» ٦/ ٥٣-٥٤.

(٣) إثبات النفس لله ليس من المتشابه بل هو من الصفات الثابتة لله عز وجل قال تعالىٰ: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ وقال: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾.

(٤) رواه أحمد ٢/ ٨، ٥٣، ٦٩، ١١٩، والترمذي (٢٢١٧).

وأخرج الطبراني وابن عساكر عن حُذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «**لتقصدنكم نارٌ هي اليوم خامدة في وادٍ يُقالُ له برهوت، يغشى الناس فيها عذابٌ أليم، تأكل الأنفس والأموال، تدور الدنيا كلَّها في ثمانية أيام، تطيرُ طير الريح والسحاب، حرُّها بالليل أشد من حرّها بالنهار، ولها بين السماء والأرض دويٌّ كدوي الرعد القاصف، هي من رؤوس الخلائق أدنى من العرش**» قيل يا رسول الله: أسليمة يومئذ على المؤمنين والمؤمنات؟ قال: «**وأين المؤمنون والمؤمنات يومئذ؟ شرٌ من الحُمُر يتسافدون كما يتسافدُ البهائمُ وليس فيهم رجل يقول مه مه**»[1].

وأخرج البغويُّ والبارودي وابنُ قانع وابنُ حبان: «**يوشك أن تخرجَ نارٌ من حُبسِ [سيل]**[2]**، تسيرُ سيرَ بطيئة الإبل تسيرُ بالنهار،**

(١) «تاريخ دمشق» ٦٤/ ٢٦٧-٢٦٨.

(٢) في أبي يعلىٰ وابن حبان أسقط المحققان لفظة سيل وقد وردت في مسند أحمد (٣/ ٤٤٣) و«مجمع الزوائد».

قال السندي رحمنا الله وإياه قوله: «من حبس سيل» ضبط بكسر الحاء وسكون باء، وفتح سين وياء، والأظهر بفتح السين، فسكون ياء، وفي النهاية الحبس بالكسر: خشب أو حجارة تُبنىٰ في وجه الماء ليجتمع، فيشرب منه القوم، ويسقوا إبلهم. وقيل: هو فلوق في الحرة، تجمع ماء، لو وردت عليه أمة لوسعتهم، ويقال: للمضعة التي يجمع فيها الماء حبس أيضًا. وحبس سيل: اسم موضع بحرة بني سليم، بينها وبين السَّوارقيَّة مسيرة يوم، وقيل: إن حبس سيل -بضم حاء وكسر باء- هو موضع بمكة. وقال في معجم البلدان حُبْس سَيَل: روي بالفتح، إحدىٰ حرتي بني سليم، وهما حرتان بينهما فضاء، كلتاهما أقل من ميلين. ا.هـ

وتُقيم بالليل، تغدو وتروح» يُقالُ غدت النار: أيها الناس فاغدوا، قالت: -أي من القيلولة- أيُّها الناس فقيلوا، راحت /٤٠٣/ النار أيها الناس: فروحوا، من أدركته أكلته[1].

فإن قيل ما وجه الجمع بين كونها تخرج من قعر عدن، ومن برهوت ومن حبس سيل؟

فالجواب: أنها تخرجُ من برهوت: ويقالُ له وادي النار، وهي في قعر عدن، وعدن على ساحل البحر، فالعبارات مآلها واحد، وتمر بحبس سيل أيضًا والخطاب مع أهل المدينة، وحبس سيل: قريب من المدينة، فوصول النار إليها يكون قبل وصولها المدينة، فصح أن يُقال لهم: تخرجُ نارٌ من حبس سيل.

تتمة

مرّ أنّ أهل الأرض يكفرون، ويعبدون الأوثان، وأنه لا تقومُ الساعة إلاّ على شرار الناس، ففي مُسلم كالمسند **«لا تَقومُ الساعة حتى لا يُقالُ في الأرض الله الله»**[2].

وفي المستدرك بسند صحيح عن عائشة مرفوعًا: **«لا يذهب الليل والنهار، حتى تُعبدَ اللاتُ والعزى، ويبعث الله ريحًا طيبة، فتَتَوفَّى من**

---

(١) رواه البغوي في «معجم الصحابة»١/ ٩٤. وابن حبان (٦٨٤٠)، وأحمد (٣/ ٤٤٣)، والحاكم (٤/ ٤٤٢)، وأبي يعلىٰ (٩٣٤) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٢)، ورواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير رافع، وهو ثقة ا.هـ

(٢) رواه مسلم (١٤٨)، وأحمد ٣/ ١٠٧، ١٦٢، ٢٠١ .

كان في قلبه مِثقالَ حبةٍ من خردل من خير، فيبقى من لا خيرَ فيه، فيرجعون على دين آبائهم»[١].

وفي مرفوع ابن عمرو: «لا تقومُ الساعةُ حتى يَبعثَ اللهُ ريحًا لا تدعُ أحدًا في قلبه مثقال ذرة من خير إلا قبضته، ويلحقُ كلُ قوم بما كان يعبدُ آباؤهم في الجاهلية، ويبقى عجاج من الناس لا يأمرون بمعروف، ولا ينهون عن منكر، يتناكحون[٢] في الطرق فإذًا كان ذٰلك اشتد غضب الله على أهل الأرض، فأقام الساعة»[٣] وفي المستدرك عند الحاكم، عن أبي هُريرة مرفوعًا: «وحتى تؤخذ المرأة جهارًا نهارًا، تنكح وسط الطريق، لا يُنكرُ ذٰلك أحد»، وفي لفظ «حتى ينكح أحدُكم أمَّه فيكونُ أمثلهم يومئذ الذي يقول: لو نحيتها عن الطريق قليلاً فذٰلك فيهم مثل أبي بكر وعمر فيكم»[٤].

قال القرطبي في «التذكرة» عن بعض العلماء: «إذا أراد اللهُ انقراض الدُنيا وتمام لياليها، وقربت النفخةُ خرجَت نارٌ من قعر عدن تسوق النَّاس إلى المحشر، تبيتُ معهم، وتقيلُ حتى يجتمع الخلقُ بالمحشر الإنسُ والجن /٤٠٤/ والدوابُّ والوحشُ، والسباع والطير والهوام، وخشاش[٥] الأرض وكل من له روح، ثم ذكر النفخة» إلى آخره.

(١) «المستدرك» على شرط مسلم ولم يخرجاه. (٤/ ٤٤٦).

(٢) في (ب): فيتناكحون.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٠٣ وهو حديث عبد الله بن عمرو، وبعضه في حديث طويل عند مسلم (٢٩٤٠) من حديث ابن عمرو أيضًا.

(٤) «المستدرك» ٤/ ٤٩٥ .

(٥) في (ب): حشاش.

فائدة: ذكر القرطبي أيضًا: أن الحشر أربع: حشران في الدنيا، وحشران في الآخرة فاللذان في الدنيا المذكور في سورة الحشر، وهو حشر اليهود إلى الشام. والثاني: الحشر المذكور في أشراط الساعة(١)، في حديث أنس في مسائل عبد الله بن سلام النبي ﷺ، لما أسلم وفيها: **أما أوّل أشراط الساعة: فنارٌ تحشر الناس من المشرق إلى المغرب**(٢).

وفي حديث ابن عمرو عند الحاكم مرفوعًا: «**تبعَثُ على أهل المشرق نارٌ فتحشرُهم إلى المغرب تبيتُ معهم حيث باتوا، وتقيلُ معهم حيث قالوا، ويكون لها منهم ما سَقط**(٣)**، وتُخلفَ وتسوقهم سوق الجمل الكبير**»(٤).

قال الحافظ ابن حجر(٥): وكونها تخرجُ من قعر عدن، لا يُنافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب، لأنّ ٱبتداء خروجها من عدن، فإذا خرجَتْ ٱنتشرت في الأرض كلها، والمرادُ تعميم الحشر، لا خصوص المشرق والمغرب، أو أنها بعد الٱنتشار، أوّل ما تحشرُ أهل

---

(١) «التذكرة» ص: ٢٢٥ .

(٢) قطعة من حديث رواه البخاري برقم (٣٣٢٩)، و(٣٩٣٨)، (٤٤٨٠). وابن حبان (٧١٦١)، وفيه زيادة «أبي عبد الله» والصحيح ما أثبت انظر ت(١) ص٦٨٤.

(٣) في (ب): ما سقط منهم.

(٤) رواه الحاكم ٤/ ٥٩١ من حديث عبد الله بن عمرو، وهو عند الطبراني في «الأوسط» ٨/ ٩٩ (٨٠٩٢)، والخطيب في تالي التلخيص ١/ ٢٣٣، وصححه الحاكم، وقال الهيثمي ٨/ ١٢: رجاله ثقات.

(٥) «فتح الباري» ١١/ ٣٧٨.

المشرق. قال القرُطبي: وأما اللذان في الآخرة فحشرُ الأموات من قبورهم بعد البعث جميعًا قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧] وحشرهم إلى الجنة والنار[١].

قال الحافظ ابن حجر عن الأول يعني: المذكور في سورة الحشر ليس حشرًا مستقلاً فإن المرادَ حشرُ كل موجودٍ يومئذ، والأول إنما وقع لفرقة مخصوصة أي: وهم يهود. وهٰذا وقع كثيرًا، كما وقع لبني أُميّة حين أخرجهم ابن الزبير من المدينة إلى جهة الشام.

وأجيب بأنّ المراد ما سُمّي حَشرا على لسان الشارع، وقد سمّى الله الأول حشرا والله أعلم.

تنبيه: ٱختلف العلماء: هل الحشرُ يومَ القيامة أم قبله؟

قال القرطبي[٢] والخطابي[٣]، وصوّبه القاضي عياض[٤]، وقوّاه بحديث حُذيفة بن أسيد: إن هٰذا الحشر يكون قبل يوم القيامة بحشر الناسِ إلى الشام، وأمّا حشرُ من في القبور، فهو على ما في حديث / ٤٠٥/ ابن عباس رضي الله عنهما، في الصحيحين وغيرهما مرفوعًا: **«إنكم تحشرون حفاة عُراة غرلا»**[٥].

وقال الحكيم الترمذي والغزالي[٦]: هو يومُ القيامة ويدلّ له حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين وغيرهما: **يحشر الناسُ**

---

(١) «التذكرة» ص: ٢٢٨ . (٢) «المفهم» ٧/ ١٥٣

(٣) «أعلام الحديث» ٣/ ٢٢٦٩ . (٤) «إكمال المعلم» ٨/ ٣٩١ .

(٥) رواه البخاري ، ومسلم (٢٨٦١)، وابن حبان (٧٣٣٦).

(٦) «إحياء علوم الدين» ٤/ ٦٤١ .

على ثلاث طرائق راغبين راهبين، واثنان على بعير، وثلاثة وعشرة على بعير، وتُحشُرُ بقيتهم النار، تقيلُ معهم حيث قَالُوا، وتبيتُ معهم حيث باتوا، وتُصبحُ معهم حيثُ أصبحوا، وتُمسي مَعهم حيث أمسَوا»[1]

فالحديثُ كالتفسير؛ لقوله سبحانه وتعالى ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧﴾ [الواقعة: ٧] قال الحافظ ابن حجر[2]: ويؤيده حديث أبي ذر، عن الإمام أحمد والنسائي والبيهقي، حدثني الصادق المصدوق: «إن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج، فوجٌ يُحشرون طاعمين كاسين راكبين، وفوج تسحبهم الملائكة على وُجوههم»[3]. الحديث.

ثم ٱختلفوا على هٰذا القول في الجمع بين حديث أبي ذر وحديث ابن عباس رضي الله عنهم، وهُو «إنكم تُحشَرون حُفاةً» الحديث. فقال الإسماعيلي: الحشرُ يعبّر به عن النشر أيضًا لاتصاله به، وهو أي النشر إخراجُ الناس من قبورهم، فيخرجون حفاة عراةً يُساقون ويُجمعون إلى الموقف للحساب، ثم يُحشر المتقون ركبانًا على الإبل، والمجرمون على وجوههم[4]، وقال غيرُه يُخرجونَ من القبُور على ما في حديث أبي

---

(١) رواه أحمد ٥/ ١٦٤، وابن أبي شيبة ٧/ ٨٦، والنسائي ٤/ ١١٦، والبزار ٩/ ٣٣٦، والحاكم ٤/ ٦٠٨، والطبراني في الأوسط ٨/ ٢١٨.

(٢) «فتح الباري» ١١/ ٣٧٩ .

(٣) أحمد (٥/ ١٦٥) البزار (٣٨٩١)، والنسائي (٤/ ١١٦)، والحاكم (٤/ ٥٦٤)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ٣٢١) ومن رواية أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري (٦٥٢٢)، ومسلم (٢٨٦١).

(٤) انظر: المصدر السابق، الفتح (١١/ ٣٧٩).

هريرة وقال بعضُهم: حَمْل الحشرِ على هٰذا أقوى من وجوه:

أحدها: أنه إذا أُطْلقَ الحشرُ يرادُ به شرعًا الحشرُ من القبور، ما لم يخصه دليل.

الثاني: التقسيم المذكور في الخبر لا يستقيم في الحشر إلى أرض الشام، لأنّ المهاجرَ لابُدَّ أن يكون راغباً أو راهبًا، أو جامعًا بين الصفتين.

الثالث: حشر بقية[1] المؤمنين على ما ذكر، وإلجاء النار إلى تلك الجهة، وملازمتها حتى لا تفارقهم. قولٌ لم يرد به التوقيف[2] وليس لنا أن نحكم[3] بتسليط النار في الدنيا على أهل الشقوة من غير توقيف.

الرابع: /٤٠٦/ أن الحديثَ يُفسر بَعضهُ بعضًا، وقد وقَعَ في حديث أبي هريرة بلفظ: «ثُلُثًا على الدوابّ، وثلثًا ينسلون على أقدامهم، وثلثا على وجوههم.

قال: ونروي هٰذا التقسيم نظيرَ التقسيم الذي في سورة الواقعة، كُنتم أزواجًا ثلاثة، فقولُه: في الحديث: «راغبين راهبين». يريدُ عموم المؤمنين المخلطين عملاً صالحًا وآخر سيئًا، وهم أصحاب الميمنة.

وقوله: «اثنان على بعير» إلى آخره يُريد السابقين، وهم أفاضل المؤمنين رُكبانًا. وقولُه: «وتُحشر بقيتهم النار» يريد أصحاب المشئمة، فيُحتملُ أن البعير تحملُ دُفعة واحدةً لأنه يكونُ من بديع قدرة الله

---

(١) في الأصل: البقية. (٢) في (ب): التوفيق.

(٣) في (ب): الحلم.

تعالى، فيقوى على ما يقوى عليه عشرة من بُعران الدنيا، ويُحتمل أن يتعاقبوه. أنتهى ملخصًا.

وانتصر القاضي عياض لقول الخطابي والقرطبي، بأن حديث أبي هريرة «تَقيلُ معهم وتبيتُ معهم، وتصبح وتمسي» يؤيد ما ذُكر أن المراد به الحشر في الدنيا إلى الشام، لأنّ هٰذه الأوصاف مختصة بالدنيا(١).

وقوله: «أثنان على بعير إلى عشرة»، يريدُ أنهم يعتقبون البعير الواحد يركب بعض، ويمشي بعض، وذٰلك لقلة الظهر، كما في بعض الأحاديث أنتهى ملخصًا.

ورجّح هٰذا الطّيبي وتعقب ذٰلك البعضَ.

وأجابَ عن أوّل وجوه ترجيحه: بأن الدليل المخصص ثابت. فقد ورد في عدة أحاديث وقوع الحشر في الدنيا، إلى جهة الشام وذكر حديث حُذيفة السابق، وحديث معاوية بن حيدة رفعه: «**إنكم محشورون ونحا بيده إلى الشام رجالاً ورُكبانًا وتُجرون على وجوهكم**». أخرجه الترمذي والنسائي وسنده قوي(٢).

وحديث «**ستكون هجرة بعد هجرة، وينحاز الناس إلى مُهاجَر إبراهيم، ولاَ يبقى في الأرض إلاَ شِرارها تلفظهم أرضوهم تَحشرُهم**

---

(١) «إكمال المعلم» ٨/ ٣٩١ .

(٢) رواه أحمد ٥/ ٣ و٥، والترمذي (٢٤٢٤)، والحاكم ٤/ ٦٠٨، والطبراني في الكبير ١٩(٩٧٤) و(٩٧٥) و(١٠٣٧). وقوله: سنده قوي: هذا قول الحافظ في الفتح ١١/ ٣٨٠.

النارُ مع القردة والخنازير، تبيتُ معهم إذا باتوا وتَقِيلُ معهم إذا قالوا»[1]. أخرجَهُ الإمام أحمد، وسنده لا بأس به .. إلى أن قال: فليس المُرادُ بهٰذه /٤٠٧/ النارُ نارَ الآخرة كما زَعمه المعترضُ، وإلاّ لقيلَ تُحشَرُ بقيتُهم إلى النار، وقد قال تحشرُ بقيتَهُم النارُ فأضافَ الحشرَ إليها.

وأجاب عن الثاني: أن التقسيم المذكور في الحديث: إنَّ الذي في الحديث، ورد على القصد من الخلاص من الفتن، فمن ٱغتنم الفرصة سار على فسحة من الظهر، ويُسرة في الزاد راغبًا فيما يستقبله، راهبًا فيما يستدبره وهٰؤلاء هم الصِنفُ الأول في الحديث، ومن تواني حتى قَلَّ الظَّهر وضاقَ أن يسعهم لركوبهم، ٱشتركوا وركبوا عقبة، فيحصُلُ ٱشتراك ٱثنين في البعير، وكذا الثلاثة وأما الأربعة فالظاهر من حالهم التعاقب لا غير، وسكت عما فوقها إشارةً إلى أنها هي المنتهى في ذٰلك، وهٰؤلاء هم الصِنفُ الثاني في الحديث.

وأما الصنف الثالث فعبَّر عنه بقوله: «تَحشرُ بقيَّتهم النار»، إشارةً إلى أنهم عجزوا عن تحصيل ما يركبون، ولم يقع في الحديث بيانُ حالهم، بل يُحتَملُ أنَّهم يمشون، أو يُسحبون فرارًا من النار، ويُؤيّد ذٰلك، ما وقع في آخر حديث أبي ذر الذي تقدّم وفي الحديث: أنَّهم سألوا عن السبب في مشي المذكورين فيقال: تُلقَى الآفة على الظَّهرِ حتَّى لا يبقى ذات ظهر، حتى إن الرجل ليُعْطي الحديقة المعجبة بالشارف -الناقة المسن- ذات القتب، أي: يشتريها بالبُستان الكريم، لِهوان العقار الذي عزم على الرحيل عنه، وعزة الظهر الذي يُوصله إلى مقصوده، وهٰذا

---

(١) مسند أحمد ٢/١٩٨.

لائق بحال الدُنيا دونَ الآخرة ومؤكدٌ لما ذهبَ إليه الخطابي وغيره[(١)(٢)].

وأجابَ عن الثالث: أنَّهُ تبين بشواهد الحديث أنه ليسَ المرادُ بالنار نار الآخرة، وإنَّما هي نارٌ تخرجُ من الدنيا أنذر النبيّ ﷺ بخروجها، وذكر صفةَ ما تفعَلُ في الأحاديث المذكورة.

وأجابَ عن الرابع: أن حديث أبي هريرة، من رواية عليّ بن زيد الذي ٱستدل به المعترض مع ضعفه لا يخالفُ حديثَ الباب؛ لأنه موافقٌ لحديث أبي ذر في لفظه، وقد تبين من حديث أبي ذرٍ ما دَلَّ على أنه في الدينا /٤٠٨/ لا بعد البعثِ في الحشر إلى الموقف إذ لا حديقة هناك، ولا آفة تُلقَى على الظَهر، ووقَع في حديث علي بن زيد المذكور عند الإمام أحمد[(٣)]: **«أنهم يتقون بوجوههم كُلَّ حدب وشوك»**. وأرض الموقف مستوية، ولا عِوَج فيها، ولا أمْتًا، ولا حدب، ولا شوك، قال: وهٰذا ما سنح لي على سبيل الأجتهاد، ثم رأيتُ في «صحيح البخاري» في باب الحشر، «يُحشَرُ الناس يومَ القيامة على ثلاث طرائق»[(٤)]، فعلمتُ من ذٰلك أن الذي ذهب إليه الإمام التوربشتي[(٥)] هُوَ الحق الذي لا محيدَ عنه يعني: أن ذٰلك يوم القيامة.

---

(١) فتح الباري ١١/ ٣٨١ وما بعده منه أيضًا.

(٢) «أعلام الحديث» ٣/ ٢٢٦٩ - ٢٢٧٠ .

(٣) المسند ٢/ ٣٥٤ و٣٦٣، وهو في الترمذي أيضًا (٣١٤٢)، ومسند إسحاق (١٢٩). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

(٤) رواه البخاري (٦٥٢٢)، ومسلم (٢٨٦١).

(٥) هو شهاب الدين أبي عبد الله فضل الله بن حسن التوربشتي الحنفي المتوفى سنة ٦٦١ أو ٦٨٥ له مصنفات بالعربية والفارسية.

انظر: «كشف الظنون» ١/ ٣٧٣ .

ٱنتهى كلام الطيبي مع تلخيص.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»، بعد نقله ما تقدم عن الطيبي: قلت: لم أقف في شيء من طرق الحديث، الذي خرجه البخاري على لفظ «يوم القيامة» في صحيحه، ولا في غيره، وكذا هو عند مسلم، والإسماعيلي وغيرهما، ليس فيه «يوم القيامة» ثُم ٱختارَ هو أنه يتعين كونُ ذٰلك في الدنيا، لما وقع فيه أن الظهر يقل، لما يُلقى عليه من الآفة، وأن الرجل يشتري الشارفُ الواحد بالحديقة المعجبة، فإن ذٰلك ظاهر جدًا في أنَّه من أحوال الدنيا[1]، قالَ في «الإشاعة»[2]. فثبت أن الحق أن النار قَبل يوم القيامة. قُلْتُ: وهو كما قال وبالله التوفيق.

---

(١) «فتح الباري» ١١/ ٣٨٢ .

(٢) ص (١٨٧).

خاتمة

خاتمة عظيمة النفع جسيمة الوقع، لمن كان له قلب أو ألقى السمع:

اعلم أن في إخفاء علم الساعة عن العباد كما مرّ فوائد عظيمة، وعوائد جسيمة، وهو أنهم إذا لم يعلموا متى تكون، كانوا على حذر منها، فكان ذٰلك أدعى للطاعة وأزجر عن المعصية والفظاعة، وتقدم قول العلامة: قد ٱحتجَّ كثيرٌ من العُلماء على تعيين قرب زمانها، بأحاديث لا تخلوا من نظر.

قُلْتُ: أمّا قرب الساعة فحق، وأمّا التعيين فلا لأحد منه علم، سوى عالم الغيب والشهادة.

قال العلامة: فمنهم - أي ممن خاض في علمها، وأنها قَربَت - من قال بقى لها كذا، ومنهم من قال يخرج الدجال على رأس كذا، وتطلع الشمس /٤٠٩/ على رأس كذا. فجاء الحافظُ السيوطي وردّ ذٰلك في كتابه: «الكشفُ».

قُلْتُ: وهو كتاب لطيف لا يبلغُ كُرَّاسَه.

قال العلامة: وذكر هو تقريبًا أنها تقومُ على رأس الخمسمائة بعد الألف أو أقل، أو أزيد. قال العلامة: وهٰذا أيضًا مردود لأنّ كلّ من تكلم بذٰلك فهو ظن، وحسبان لا يقوم عليه من الوحي برهان، لٰكن الشارع صلوات الله وسلامه عليه ذكر لقرب الساعة علامات وأشراطًا والله أعلم.

قال السيوطي في «الكشف في مجاوزة هٰذه الأمّة الألف»: الذي

دَلَّت عليه الآثار أنّ مدّة هٰذه الأمّة تزيد على ألف سنة، ولا تبلغ الزيادة عليها خمسمائة سنة، وذٰلك لأنه ورد من طرق[١] أنّ مدّة الدنيا من لدن آدم عليه السلام، إلى قيام الساعة سبعة آلاف سنة، وأن النبي ﷺ بُعث في آخر الألف السادسة، وورَد أن الدجال يخرج على رأس مائة سنة، وينزلُ عيسى عليه السلام فيقتله، ويمكثُ في الأرض أربعين سنة، وأن الناس يمكثون في الأرض بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة، وأن ما بين النفختين أربعين عاما إلى أن قال: ولا يُمكنُ أن تكون[٢] المدة ألفًا وخمسمائة سنة أصلاً ثم ذكر حديث أبي هريرة عند الحكيم الترمذي، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّما الشَفاعَةُ يومَ القيامة، لمن عَمِل الكبائر من أمتي، ثمَّ ماتُوا عليها، فهم في الباب الأوّل من جهنَم، لا تسودّ وجوههم**» وساق بقية الحديث، وفيه: و«أطولهم مكثًا فيها من يمكث فيها، مثل الدنيا منذ يوم خلقت إلى يوم أقيلت[٣]، وذٰلك سبعة آلاف سنة».

قُلْتُ: ذكر الحافظ ابن رجب في كتابه «صفة النار» أن هٰذا الحديث خرّجه ابن [أبي][٤] حاتم وغيره، وخرّجه الإسماعيلي مطولاً، وقال الدارقطني في كتاب «المختلف»: هو حديثٌ مُنْكَر وذكر علله والله أعلم.

وذكر السيوطي حديث أنس عند ابن عساكر وغيره أن النبي ﷺ

---

(١) في (ب): طريق.

(٢) الدر المنثور (١٥/ ٦٥١) نوادر الأصول (١٣٩) ضعفه العراقي في تخريج إحياء علوم الدين (٧٣٤٤).

(٣) في (ب): القيامة.

(٤) زيادة من (ب).

قال: «**من قضى حاجة لأخيه المسلم / ٤١٠/ في الله خالصًا كتب له عُمْر الدنيا سبعة آلاف سنة صيام نهارها وقيام ليلها**»[١]. وذكر حديث أنس أيضًا مرفوعًا، عند ابن عدي: «**عُمْر الدنيا سبعة أيام، من أيام الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾**»[٢] [الحج: ٤٧]

وذكر حديث ابن زمل الجهني عند الطبراني في «الكبير» قال: رأيتُ رؤيا قَصَصْتُها على رسول الله ﷺ، فذكر المنام، وفيه: فإذا أنا بك يا رسول الله، على منبر فيه سبع دَرَج، وأنت في أعلاها درجة، فقال رسول الله ﷺ: «**أمَّا المنبر الذي رأيت، فيه سبع دَرجاتٍ، وأنا في أعلى درجة فالدنيا سبعةُ آلاف سنة، وأنا في آخرها ألفا**»[٣] أخرجه البيهقي في «الدلائل»، والسهيلي[٤] في «الروض الأنف»: قال السهيلي: هٰذا الحديث وإن كان ضعيف الإسناد، فقد رُوي موقوفًا عن ابن عباس رضي الله عنهما، من طُرُق صحاح أنه قال: الدنيا سبعة

(١) الحديث في الفردوس ٣/ ٥٧ (٤١٥١)، تاريخ ابن عساكر (٢٣/ ١٣٣).

(٢) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٦٦٠ وعزاه إلى ابن عدي والديلمي، الموضوعات لابن الجوزي (٣/ ٢٤٣).

(٣) رواه ابن حبان في المجروحين ١/ ٣٣٠، والطبراني في الكبير ٨/ ٣٠٣، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١١٧١) وإسناده ضعيف جدًا، الدلائل (٧/ ٣٧).

(٤) هو أبو زيد وأبو القاسم وأبو الحسن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد العلامة الأندلسي المالقي النحوي الحافظ العالم صاحب التصانيف.

انظر ترجمته في: «البداية والنهاية» ١٢/ ٨٤٧-٨٤٨، و«شذرات الذهب» ٤/ ٢٧١-٢٧٢.

أيام كل يوم مقدارُه ألف سنة، وبُعِثَ رسولُ الله ﷺ في آخرها[١].

قال أبو جعفر الطبري: هٰذا الأصل، وعضده بآثار، وذكر أدلة وآثارًا إلى أن قال: وينزل عيسى بن مريم فيقتله، يعني الدجال: فيُقيمون أربعين سَنة، لا يموتُ فيها أحد، ولا يمرضُ: ويقولُ الرجلُ لغنمه ودوابِّه: اْذهبوا فارعوا، وتمرّ الشاة[٢] بين الزرعين لا تأكل منه سنبلة، والحيات والعقارب لا تؤذي أحدا، والسبعُ على أبواب الدور لا يُؤذي أحدا، ويأخذ الرجل المُدّ من القمح فيبذره بلا حرث، فيجني منه سبعمائة مد، فيمكثون في ذٰلك حتى ينكسرَ سدُّ يأجوج ومأجوج، فيموجون ويُفسدون، فيبعثُ الله إليهم دابة فتدخل في آذانهم فيُصبحون مَوتى أجمعين. وذكر بقية الحديث. رواه الحاكم[٣] عن ابن مسعود مرفوعًا.

وأخرج الإمام أحمد في «الزهد»، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يلبَثُ عيسى بن مريمَ أربعين سنة، لو يقولُ للبطاحِ سيلي عَسَلاً لسالت، وقد قدَّمناه[٤] إلى أن قال: وبعد عيسى يتولى أمرؤ منهم يقال له: القحطاني /٤١١/ يتولى إحدى وعشرين سنة، وتُعرض لبقيتهم إلى طلوع الشمس من المغرب عشرين سنة أيضًا، إن لم تكن أكثرَ فهٰذه مائة وعشرون سنة والدجال يمكثُ أربعين سنة والله أعلم.

وقال بعضُهم: إنَّ الساعة تقوم سنة سبع، بعد أربعمائة وألف أخذًا من قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾

---

(١) «الروض الأنف» ٢/ ٢٩٥ .

(٢) في (ب): الماشية.

(٣) المستدرك (٤/ ٥٢٢).

(٤) ص٦٢٣.

[الزخرف: الآية ٦٦]، وقوله: «**لا تأتيكم إلاّ بغتة**» فإن عدة حروف بغتة: ألف وأربعمائة وسبع قال: فيحتمل خروجُ المهدي على رأس المائة ٱحتمالاً قويًا، بل قبل المائة إذ الدجال يخرج في خلافته، وهو يخرجُ على رأس المائة ويُحتمل أن يتأخر للمائة الثانية، ولا يفوتها قَطعًا. وإذا تأخر فلابد أن يبعث الله على رأس هٰذه المائة من يحيى للأمة أمر دينها كما ورد في حديثٍ مشهورٍ[1].

قال السيوطي رحمه الله في منظومته:

والشرطُ في ذٰلك أن تمضي المائة ... وهو على حياته بين الفئة
يُشارُ بالعلم إلى مقامه ... وينصرُ السُنَّةَ في كلامِه
وأن يكونَ في حديث قد رُوي ... من أهل بيت المصطفى وهو قويّ

والمختارُ الذي لا محيدَ عنه: أن علم ذٰلك مفوضٌ لعالم الغيب والشهادة، ليس لأحد من ذٰلك علم، والله أعلم. نعم: أخرج نعيم[2] عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه، وعن أبيه، قال: يقومُ المهدي سنة مائتين وأخرج أيضًا عن جعفر الصادق مثله، وأخرجَ أيضًا عن أبي قبيل قال: ٱجتماع الناس على المهدي سنة أربع ومائتين، وهٰذا لو صَحَّ لَمْ يُلزمنا لكونه لم يصدر عن المعصوم ﷺ، نعم: قد يستروحُ له، ولٰكن التحقيق أن ذٰلك منفردٌ الله بعلمه لا غير، والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) رواه من حديث أبي هريرة أبو داود (٤٢٩١)، والطبراني في الأوسط (٦٥٢٧)، والحاكم ٤/٥٦٧ و٥٦٨، وأبو عمرو الداني (٣٦٤).

(٢) «الفتن» (٣٣٢، ٣٣٤).

الفصل الحادي عشر
في نفخة الفزع، وما يكون فيها من تغير ٱنتظام هٰذا العالم، وفساد ٱنتظامه

قال تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾﴾ [ص: ١٥] أي من رُجوع ومردٍّ وقال: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٨٧] فسّر الزمخشريُ المستثنى في هٰذه الآية من ثبّتَ الله /٤١٢/ قلبه من الملائكة، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وقيل غير ذٰلك[1]، وإنما يَحصُل الفزع لشدّة ما يقع من الهول عند تلك النفخة، لأنه إذا نفخَ في الصور نفخة الفزع، تزلزلت الأرض، وتحركت السّماء، وتناثرت النجوم، وتفجرت البحار، وذَهلت المراضع، ووضعَتِ الحوامل، وعُطّلَتِ العشارُ - أي: النوقُ الحوامل التي أتى على حملها عشرة أشهر - تُركتْ هَمَلاً بلا راع، واختلطتِ الإنسُ والجن، والدواب والوحوش وماج بعضهم في بعض». قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴿١﴾﴾ [الحج: ١].

وفي البغوي عن أُبي بن كعب قال: ستُ آيات قبل يوم القيامة، بينَما الناس في أسواقهم إذ ذهبَ ضوءُ الشمس، فبيناهم كذٰلك: إذ تناثرت النجوم، فبينا هم كذٰلك، إذ وقعَت الجبالُ على وجه الأرض

(١) «الكشاف» ٣/ ٤٢٩ .

فتحركت، واضطربت وفزعت الجن إلى الإنس، والإنسُ إلى الجن، واختلطت الدوابُّ والطيرُ والوحش، وماج بعضُهم في بعض فذٰلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾﴾ [التكوير: ٥] ٱختلطتْ ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾﴾ [التكوير: ٤] أُهملت ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾[1] [التكوير: ٦] قالَ ابن عباس: أوقِدَتْ فصارَتْ نارًا تُضرم قال أُبي: قالت الجنُ للإنس: نحنُ نأتيكم بالخبر فانطَلَقوا إلى البحر، فإذا هو نارٌ تأجّ فبينا هم كذٰلك إذ تصدَّعَتِ الأرضُ، صدعةً واحدة إلى الأرض السابعة السفلى، وانشقت السماء ٱنشقاقة واحدة إلى السماء السابعة العليا، فبينا هم كذٰلك: إذ جاءتهم الريحُ فأماتتهم. ٱنتهى

ولنذكر أموراً تحصل عند نفخة الفزع، من تغير ٱنتظام هٰذا العالم: الأول: فيما يُصيب الأرضَ، قد جاء فيها آيات منها قوله تعالى ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: الآية ١] أي شدة الحركة على الحالة الهائلة، حتى ينهدم كل بناء على وجه الأرض، وهو معنى قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾﴾ [الزلزلة: ١] أي تحركت حركةً شديدةً لقيام الساعة، قال ابن عباس رضي الله عنهما، هي عند النفخة الأولى، وعليه جمهور المفسرين.

وأخرجَ البغوي في «تفسيره»، عن أبي هريرة مرفوعًا: **«تقيء الأرض أفلاذ كبدها، أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل /٤١٣/ فيقول: في هٰذا قتلتُ، ويجئ القاطع فيقول: في هٰذا**

---

(١) «تفسير البغوي» ٨/ ٣٤٧ .

قَطَعتُ ويجيء السارق فيقول: في هٰذا قُطعتْ يدي، ثم يَدَعُونَه فلا يَأخذون منه شيئا»[١].

وأخرجه مسلمُ في تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ [الزلزلة: ١][٢].

وقال تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤﴾ [الواقعة: ٤] أي رُجَّت وزُلزلت وحُرّكت تَحرِيكا شديدًا، حتى ينهدم كُل بناء على وجهها، قالَ المفسرون: ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدَم كل ما عليها، وينكسر كلُ شيء عليها من الجبال، وقال الثعْلبي: تكونُ كالسفينة الموسوقة في البحر، تضربُها الأمواج، وتقلبها الرياح.

ومنها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦﴾ [النازعات: ٦] قال البغوي: يومَ ترجف الراجفة يعني: النفخةُ الأولى تتزلزل ويتحرك لها كُلُ شيء، ويموتُ منها جميعُ الخلق ﴿تَتْبَعُها الرَّادِفَة﴾ هي: النفخة الثانية، ردفت الأولى وبينهما أربعون سنة. قال قتادة هما صيحتان: فالأولى تُميتُ كُلَّ شيء والأخرى تُحيي كُلَّ شيء بإذن الله تعالى[٣]، وقال العلامة: ترَجُفُ الراجفةُ، أيّ تُهدُّ الأرضُ بالبناء على الناس، وتذهل المراضع، وتضعُ الحوامل، وتشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة من الفزع، حتى تأتي الأقطار فتلقاها الملائكة، فتضربُ

(١) «تفسير البغوي» ٨/ ٥٠١.
(٢) رواه مسلم (١٠١٣) والترمذي (٢٢٠٨).
(٣) «تفسير البغوي» ٨/ ٣٢٦ .

وجوهَها وأدبارها، فترجعُ، ويولِّي الناس هاربين مدبرين. ٱنتهى

ومنها قوله تعالى ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾ [الفجر: ٢١] قال البغوي أي: مرةً بعد مرة زُلزلت فكسر بَعضُها بعضا، فينكسر كل شيء على ظهرها من جبال وبناء وشجر، فلم يبق على ظهرها شيء ومنها قوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ [الحاقة: ١٤] قال المفسرون: أي: رُفعت من جميع جهاتها مع الجبال بما يشاءه الله تعالى من ريح أو ملائكة، والمعنى: كسرتا كسرةً واحدةً فصارتا أرضًا مستوية، لاترى فيها عوجا ولا أمتا.

تتمة. ذكر ابن أبي الدنيا حديثًا مُرسلاً: أن الأرضَ تزلزلت على عهد رسول الله ﷺ، فوضَع يدهُ عليها ثم قال: **«أسكني فإنه لم يأن** /٤١٤/ **لكِ بعدُ»** ثم التفت إلى أصحابه فقال: **«إنَّ ربكم يستعتبكم فاعتبوه»**[1]، أي: فارجعوا إليه وتوبوا مما لعلكم ٱقترفتموه من الذنوب، ثم تزلزت بالناس على عهد عُمرَ بنِ الخطاب فقال: أيها الناس ما كانت هٰذه الزلزلة إلا عن شيء أحدثتموه، والذي نفسي بيده: إن عادت لا أساكنكم فيها أبدًا[2].

وفي «مناقب عُمر» لابن أبي الدُنيا: أن الأرض تزلزلت على عهد

---

(١) روىٰ بعضه ابن أبي شيبة ٢/ ٢٢١ بإسناد ضعيف ومرسل.
وروى الطبراني ١٠٩/١٥ نحوه عن ابن مسعود من قوله زلزلت الأرض.

(٢) نوادر الأصول ٢/ ١٠٤. انظر «كشف الصلصة عن وصف الزلزلة» للسيوطي ص (٤٥).

عمر فضرب يده عليها وقال: مالك مالك أما إنه لو كانت القيامة حدثت أخبارها، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إذا كان يومُ القيامة، فليسَ فيها ذراعٌ ولا شبرٌ إلا وهو ينطق**»[١].

وذكر ابن أبي الدُنيا عن أنس بن مالك: أنه دخل على عائشة رضي الله عنها، هو ورجل آخر فقال لها الرجل: يا أم المؤمنين حدثينا عن الزلزلة فقالت: إذا آستباحوا الزنا، وشربوا الخمور، وضربوا بالمعازف، غارَ الله في سمائه فقال للأرض: تزلزلي بهم فإن تابوا ونزعوا وإلا هَدَمها عليهم، قال: يا أمَ المؤمنين: أعذابًا لهم قالت: بل مَوعظة ورحمة للمؤمنين، ونكالاً وعذابًا وسخطًا على الكافرين، فقال أنس ما سمعت [حديثًا][٢] بعد رسول الله ﷺ، أنا أشد فرحًا مني بهذا الحديث[٣].

وقال كعب: إنما تزلزل الأرض إذا عُمل فيها بالمعاصي، فترعد فَرَقًا من الرب جل جلاله أن يطلع عليها.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار: أمّا بعدُ فإن هٰذا الرجف شيء يعاتِبُ الله عز وجل به العباد.

فإن قيل فما لنا نرى بعضَ الأرض تتزلزل دون بعض؟ فالجوابُ ما نقله العلامةُ في «البهجة» عن وهب: أن ذا القرنين أتى على جبل قاف، فرأى حوله جبالاً صِغارًا فقال: ما أنت قال: أنا قاف قال:

---

(١) انظر «كشف الصلصة عن وصف الزلزلة» ص (٤٦).

(٢) ليست في (أ) واستدركناها من (ب).

(٣) رواه الحاكم ٤/ ٥٦١، ونعيم بن حماد ٢/ ٦٢٠.

فما هٰذه الجبال التي حولك، قال: هي عُروقي وليسَتْ مدينة، إلاّ وفيها عرق منها، فإذا أراد الله تعالى أن يُزلزل مدينة، أمرني فحركت عرقي ذٰلك فتزلزلت تلك المدينة.

وأخرجَ ٱبن أبي الدنيا وأبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: خلقَ اللهُ تعالى جَبَلاً يُقالُ له: قاف محيطًا بالأرض /٤١٥/ وعروقُه إلى الصخرة التي عليها الأرض، فإذا أراد اللهُ تعالى أن يزلزل قريةً أمر ذٰلك الجبل، فيحرك العِرقَ الذي يَلي تلك القرية فيُزلزلُها ويحركها، فمن ثَمَّ تحرّكُ القريةُ دون القرية[1]. والله أعلم.

الأمر الثاني: فيما يُصيبُ الجبال وقد جاء في ذٰلك آيات منها قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥﴾ [الواقعة: ٥] أي: فُتِّتَتْ فصارت كالدقيق المبسوس، وهو المبلول. وقال الكلبي معني بُسَّت أي: صُيّرت على وجه الأرض[2]، وقال مُجاهد لُتت لَتا وقال الحسن: قُلعتْ من أصولها فذَهَبت. واختلفَ المُفسرون في تفسير الهباء فقال ابن عبّاس: إنَّهُ ما يُرى في شعاع الشمس في الصورة اللطيفة حين تدخل الكُوة[3]، وقيل: الرمادُ يطير من النار، إذا ٱضطرمت فإذا وقع لم يكن شيئا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤] فسر الثعلبي الكثيبَ بالرمل المجتمع، والمهيل بالسَّيال المتناثر إذا مسه

(١) العقوبات (٢٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» ص:٤٢٢، عبد الرزاق (٢/ ٢٣٦).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» ٨/ ٧-٨ .

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» ١١/ ٦٢٥ .

تتابع. وقوله: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ [القارعة: الآية ٥] قال البغوي: كالصوف المندوف[١]، وقال الثعلبي: إنّ أوّلَ ما تتغير الجبال تصيرُ رَملاً مهيلا، ثم عِهنا منفوشا، وهُو الصوف المصبوغ، فلا يُقالُ العِهنُ إلاَّ للمصبوغ، ثم هباء منثورا.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] قال العلامة عن بعض المفسرين معناه: أنه إذا كانت الجبالُ هباء منبثا يُسيِّر اللهُ ذٰلك الغبارَ بينَ السّماء والأرض كالسحاب، قال وظاهر كلام الزمخشري: أنها تسيرُ كالسحاب، فإذا نظرَ إليها الناظرُ حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد، وهي تمر مرًا حثيثا كما يمرُ السّحابُ[٢]. قال الرازي: وليسَ في الآية ما يَدُلُ إلى أين تسير، فيُحتمل أن يُقال: إن الله عز وجل يُسيرها إلى الموضع الذي يُريده ولم يُبيِّن ذٰلك الموضع لخلقه، [قال][٣] والحقُ أن الله تعالى يسيرُّها إلى العدم؛ لقوله تعالى: ﴿يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥].

قال العلامة: قلت أحسن من هٰذا وأظهر، أن يستدل على ذٰلك بقوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠﴾ [النبأ: ٢٠] قال مكي: أي: لا شيء كما أن السراب لا شيء.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥

---

(١) «تفسير البغوي» ٨/ ٥١٣ .

(٢) «الكشاف» ٣/ ٤٢٩ .

(٣) ليست في (أ) واستدركناها من (ب).

فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: ١٠٥ ـ ١٠٧].

قال الفخر: وصفَ الله سبحانه وتعالى الأرضَ بأوصاف أحدها كونها قاعًا وهو المكان المطمئن من الأرض، وقيل منتقع الماء، وثانيها صفصفا: وهو الذي لا نباتَ عليه، وقيل: أن القاع والصفصف الملساء المستوية.

وثالثُها، ورابعها: كونها لا ترى فيها عِوَجًا وَلاَ أمتا[1] قال الزمخشري: الأمتُ النّتوّ [اليسير][2] والعوج، ظاهر ويحصل بهذه الأربعة أوصاف أن [الأرض][3] تكون في ذلك اليوم ملساء خاليةً من الارتفاع، والانخفاض، وأنواع الانحراف والاعوجاج، وقال في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧] أي ظاهرة ليس عليها [من العمارات ولا من الجبال والأشجار شيء فبقيت بارزة ظاهرة ليس عليها][4] ما يسترُها، وهُو المرادُ بقوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: ١٠٧].

فائدة: في تبديل الأرض، وأين يكون الناس يومئذ؟ قال العلاّمة: اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] الآية المراد بالتبديل: هل هو تبديل ذات أم

---

(١) «الشرح الكبير» ٢٢/١١٧ .

(٢) ليست في (أ) واستدركناها من (ب).

(٣) ليست في (أ) واستدركناها من (ب).

(٤) ليست في (أ) واستدركناها من (ب).

تبديل صفات؟ قال البيضاوي: التبديلُ يكون في الذات كقولك: بدلتُ الدراهم بَالدنانير، وعليه قوله: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾[١]

قلتُ: قد نص الإمام أحمد نوَّر الله ضريحه في «الأجوبة القرآنية»[٢] ما نصه: قالتِ الزنادقة في قوله ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦] فما بال جلودهم التي قد عصت ٱحترقت، وأبدلهم الله تعالى جلودا غيرها، فلا نرى إلا أن الله عز وجل يعذب جلودًا لم تُذنب، حيث يقول: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾، فشكوا في القرآن، وزعموا أنه مُتناقض، قال فقلت: إن قول الله عز وجل ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ ليس يَعني جلودًا غير جلودهم، وإنما معنى ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾، تبديلها: تجديدها؛ لأنّ جُلودَهم إذا نضَجتْ جددها اللهُ وذٰلك لأنّ القرآن فيه خاص وعام، ووجوه كثيرة وخواطر، يعلّمها الله العلماء. ٱنتهى بحروفه.

ومنه يعلم ما فيما ذكر. قال البيضاوي: وفي الصفة كقولك: بدلت /٤١٧/ الحلقة خاتما إذا أذبتها وغيرت شكلها، وعليه قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾ [الفرقان: ٧٠] والآية تحتملهما[٣].

قال الجلال السيوطي: ٱختلفت الأحاديث والآثار في الأرض المبدّلة، وقد وقع الخلاف قديمًا للسلف في ذٰلك، وهل التبديل تغيير

---

(١) «تفسير البيضاوي» ٣/٣٥٦.

(٢) «الرد علىٰ الجهمية والزنادقة» ص(٨٦) تحقيق د. عميرة.

(٣) «تفسير البيضاوي» ٣/٣٥٦.

ذاتِها أو صفاتها فقط. أنتهى

فالقائلون بأنه تبديلُ ذات، منهم ابن مسعود[١] قال: تبدلُ الأرضُ كلها نارًا يوم القيامة.

قال كعبُ الأحبار، وأُبيّ بن كعب[٢]: تصير السموات جنات، ويصيرُ مكان البحر نارًا، وتبدل الأرضُ غيرها، أي مما لم يكن بحارًا، فقد ورد: أن ما يصير نارًا من البحر، يعود على بقية الأرض، فيدعها جمرة واحدة من نار.

فإن قِيلَ في هٰذا حجة لمن زعم أن الجناتِ لم تخلق بعد، لأنّ السّموات حيث قلتم إنها هي الجنة، فالجنة غير موجودة الآن، وكذا النار.

فَالْجَوَابُ: إن السموات تضاف إلى الجنة كما أن البحار تضاف إلى النار، لا أنّ الجنة هي السموات، بل السموات تصيرُ من جملة الجنة، وأن البحارَ تصيرُ نارًا وتضاف إلى النار، فتكون من جملة النار والله الموفق.

وعن علي كرم الله وجهه، تُبدل الأرض أرضًا من فضة، والسموات سموات من ذهب[٣].

وقال ابن جرير ومحمد بن كعب: تُبدل الأرض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه.[٤] لحديث الشيخين من مرفوع أبي سعيد

(١) ابن جرير (١٣/ ٧٣٣) و«الدر المنثور» تفسير آية (٤٨) سورة إبراهيم.
(٢) ابن جرير (١٣/ ٧٣٥) «حلية الأولياء» (٥/ ٣٧٠) عن كعب الأحبار.
(٣) «صفة الجنة» لأبي الدنيا (٦٢)، وابن جرير (١٣/ ٧٣٣، ٧٣٤)
(٤) «تفسير الطبري» ٧/ ٤٨١ .

الخدري «تكون الأرض يومَ القيامة خُبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده، كما يتكفأ أحدكم خبزته، في السُّفْرةِ[١] **-جمع سفرة- نُزُلا لأهل الجنة»**[٢] **النزل: هو الطعام الذي يُؤتى به الضيف أوّل نزوله، وسيأتي.**

وفي «الإرشاد»: تُبدلُ الأرضُ يومَ القيامة خبزة، فيأكل المؤمن من بين رجليه، ويشرب من الحوض.

وقال عكرمة: تبدَّلُ الأرض أرضًا بيضاء مثل الخبزة، يأكل منها أهل الإسلام، حتى يفرغوا من الحساب.

قال الحافظ ابن حجر: يُستفادُ منه أن المؤمنين لا يعاقبون بالجوع زمن الموقف[٣].

والقائلون بأنه تبديل صفة منهم ابن عباس وغيره قالوا: تبديلُ السموات ذهاب شمسها وقمرها، وانكدار نجومها وتبديل /٤١٨/ الأرض ذهابُ جبالها وأنهارها وأشجارها.

أخرج البيهقيُ عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله تعالى:

---

(١) في البخاري ومسلم (السَّفَر) قال الحافظ: قال الخطابي: يعني خبز الملة الذي يصنعه المسافر، فإنها لا تدحى كما تدحى الرقاقة، وإنما تقلب على الأيدي حتىٰ تستوي، وهٰذا علىٰ أن السفر بفتح المهملة والفاء، ورواه بعضهم بضم أوله، جمع سفرة وهو الطعام الذي يتخذ للمسافر، ومنه سميت السفرة. ا. هـ فتح الباري (١١/ ٣٧٣).

(٢) البخاري (٦٥٢٠)، ومسلم (٢٧٩٢).

(٣) «فتح الباري» ١١/ ٣٧٤ .

﴿تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] قال يُزادُ فيها وينقص، وتذهب آكامها من أماكنها، وجبالها وأوديتها وشجرها، وما فيها، وتمدّ مدّ الأديم العكاظي، أرضٌ بيضاء مثل الفضة، لم يسفك فيها دَم، ولم تعمل فيها خطيئة والسموات تذهب شمسها وقمرها [ونجومها][1]، ويدل لهٰذا حديث أبي هريرة «**تبدل الأرضُ غير الأرض، فيبسطها ويمدّها مَدَّ الأديم العكاظيّ لا ترَى فيها عوجا ولا أمتا، ثم يزجر الله الخلق زجرةً واحدةً فإذا هُم في هٰذه المبدلة، في مثل مواضعهم الأولى من كان في بطنها كان في بطنها، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها**»[2].

وهو ظاهرُ ما في حديث مسلم، عن سهل بن سعد «**يُحشَر الناس يومَ القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرصة النِقي ليس فيها معلَمٌ لأحد**»[3].

قوله «عُفرا» العفر بياض يقرب إلى الحمرة، و«النقي» بكسر القاف هو الحواري، وقوله «ليس فيها معلم لأحد»، أي: ليسَ لأحد فيها علامة أو مسكن أو بناء، أو أثر.

وفي «شعب الإيمان» للبيهقي في قوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ

---

(١) زيادة من «الدر المنثور» تفسير آية سورة إبراهيم (٤٨).

(٢) رواه إسحاق ١/ ٨٨، والطبري ١٣/ ٢٥٢ و٢٣/ ١٤، وأبو الشيخ في العظمة ٣/ ٨٢٨ (٣٨٦).

(٣) رواه البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠)، وابن حبان (٧٣٢٠).

فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ [الحاقة: ١٤] قال: «**تَصيرُ الأرض غَبرةً في وجوه الكفار**»[١].

واختلفوا في التبديل هل هو قبل يوم الحساب أم بعده؟ فقيل: قبلَ يومِ الحساب وقيل والناسُ على الصراط لحديث مسلم عن عائشة رضيَ الله عنها قلت: يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فأين يكونُ الناسُ؟ قال: على الصراط[٢].

وفي الترمذي عنها قلتُ أين الناسُ يا رسول الله؟ قال: «**على جسر جهنم**»[٣].

وأخرجَ عنها أيضًا وقال حسن صحيح قالت يا رسول الله صلى الله عليك وسلم، قال الله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] فأين يكون المؤمنون يومئذ؟ قال: «**على الصراط يا عائشة**»[٤].

وأخرج مسلم عن ثوبان، مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائمًا عند رسول الله ﷺ، فجاءه حَبر من أحْبار اليهود فقال: /٤١٩/ السلامُ عليكَ يا محمد، وذكر الحديث وفيه فقال: أين يكونُ الناس

---

(١) الحاكم (٢/ ٥٠٠).

(٢) أحمد (٤٠/ ٧٨) (٤١/ ٤٧٧) (٤٢/ ٢٥)، ومسلم (٢٧٩١) والترمذي (٣١٢١)، وابن ماجه (٤٢٧٩)، وابن حبان (٧٣٨٠).

(٣) رواه الترمذي (٣٢٤٢).

(٤) الترمذي (٣٢٤٢) وقال: حسن صحيح.

يوم تُبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال ﷺ: **«في الظلمة دونَ الجسر»**[1].

قال العلامة: هٰذا حاصل ما قاله كُلٌ من الفريقين.

ووجه الجمع بين القولين: ما أشار إليه صاحبُ «الإفصاح» من أنه لا تعارُضَ بينَ هٰذه الآثار فإنَّ الأرض والسموات تُبدَّل مرتين الأولى: أنَّه سبحانه يغير صفاتها قَبل نفخة الصعق، فتنتشرُ كواكبها وتكسف شمسها وقمرها، وتصيرُ كالمُهل، ثم تكشط عن رؤوسهم ثم تسيرُ الجبالُ، ثم تموجُ الأرض ثم تصيرُ البحارُ نيرانًا ثم تنشق الأرضُ من قُطرٍ إلى قطر، فتصيرُ الهيئة غير الهيئة والبنيةُ غير البنية، ثُمَّ إذا نُفخَ في الصورِ نفخةَ الصعق طُويتِ السماء ودُحيت الأرضُ، وبُدّلتِ السماء سماء أخرى، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩] وبُدلت الأرض وتمدُّ مَدَّ الأديم العكاظي، وأعيدت كما كانت، فيها القبورُ والبشرُ على ظهرها، وفي بطنها، وتُبدَّلُ الأرضُ تبديلاً ثانيًا، وذٰلك إذا وقفوا في المحشر، فتبدَّلُ لهم الأرضُ التي يُقالُ لها الساهرة، يحاسبون عليها، وهي أرضُ عَفراء وهي البيضاء من فضة، لم يُسفك عليها دم حرام قط، ولا جرى عليها ظلم قط، وحينئذ يقومُ الناس على الصراط، وهو لا يسعُ جميعَ الخلائق، وإن كان قد يُروى[2] أن مسافته ألف سنة صعودًا وألف سنة هبوطًا،

---

(١) رواه مسلم (٣١٥)، والحاكم ٣/ ٤٨١، وابن حبان (٧٤٢٢)، وابن جرير (١٣/ ٧٣٨، ٧٣٩).

(٢) القرطبي في التذكرة (٢١٥) سيأتي في ص٨٨١ ت(٢).

وألف سنة ٱستواء لأن الخلق أكثر من ذٰلك، فيقومُ من فضل منهم عن الصراط على متن جهنم، وهي كالهالة الجامدة، وهي الأرض التي قال عبد الله: إنها أرض من نار، يعرقُ فيها البشر فإذا حُوسب الناس عليها، أعني الساهرة، وجاوزوا الصراط، وحصل أهل الجنات من وراء الصراط وأهل النار في النار، وقام الناس على حياض الأنبياء يشربون، بُدلتِ الأرض كقرصة النقي، فأكلوا من تحت أرجلهم، وعند دخولهم الجنة كانت /٤٢٠/ خبزة واحدة أي: قُرصًا واحدًا، يأكلُ منه جميعُ الخلق ممن دَخل الجنة وأدْمُهم زيادة كبد ثور الجنة، وزيادة كبد النون قال الحافظ ابن حجر: لا تَنافي بين أحاديث تبديل الأرض، وأحاديث مَدِّها والزيادة فيها والنقص منها، لأنّ ذٰلك كله يقعُ لأرض الدنيا، لٰكن أرض الموقف غيرها فإنهم يزجرون من أرض الدنيا بعد تغييرها، بما ذكر إلى أرض الموقف قال: ولا تنافي أيضًا بين أحاديث مصيرها خبزة ونارًا وغبارًا بل يجمع بأن بعضَها يَصيرُ خُبزة، وبَعضها نارًا وبعضَها غبارًا، وأن النار هي: أرض البحر خاصةً، لٰكن مرّ أن الأرض تصيرُ كلها نارًا يوم القيامة[1]. وقد يُجاب كما في البهجة: بأن أرضَ البحرِ تكون نارًا في الٱبتداء بطريق الأصالة، ثم البقية بالتبعية. ٱنتهى.

وتعقب البدر العيني الحافظ ابن حجر: بأن لفظ الحديث تكونُ الأرضُ يومَ القيامة خبزة، وفيما قال: يَعني ابن حجر: ٱرتكاب المجاز

---

(١) «فتح الباري» ١١/ ٣٧٦ .

فلا يصارُ إليه إلاّ عند تعذر الحقيقة، ولا تعذر هُنا من كون الأرض خبزة، لأن القدرة صالحة لذلك قال: بل الجوابُ الشافي هنا أن يُقالَ أن المرادَ من كون الأرض نارًا هي أرض البحر، كما في حديث أُبيّ ابن كعب رضي الله عنه، تصيرُ السمواتُ جنانا - وتصيرُ الأرض خبزة، ويصيرُ مكانُ البحر نارًا[1] والمراد من كونها غبرة الجبال، فإنها بعدَ أن تُدكَ تصير غبارًا في وجوه الكفار. ٱنتهى[2]

فعلى كلام العيني أنَّ السموات تصيرُ جفانًا كما في الحديث، ولعل المرادُ من ذهب أو كالذهب، ليجمعَ بين الأحاديث والأرض خبزة أي بيضاء كالفضة، والجبالُ غُبارًا، ومكان البحر نارًا. والله أعلم.

الأمر الثالث: فيما يُصيبُ السماء وفيها آياتٌ منها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨﴾ [المعارج: ٨] قال عكرمة: كالزيت وقيل القار المُذاب، وقيل ما أُذيب من الفضة والنحاس[3]، وقوله ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩﴾ [الطور: ٩] قال مُجاهد[4]: تَدورُ دَورًا وقال قتادة: مورها تحركها، والضحاك ٱستدارتها، وقيل تتكفأ تكفُّؤ السفينة حتى تذهبَ ولا تكون شيئًا وقوله ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ۝٣٧﴾ [الرحمن: ٣٧] /٤٢١/ قال بعض المفسرين: ٱنشقاقها في المحشر، وأنها تصيرُ أبوابًا لنزول الملائكة، وقال ابن

(١) في (ب) تقديم وتأخير بين الجملتين، انظر ابن جرير (١٣/ ٧٣٥) وفيه عن كعب وفي الحلية (٥/ ٣٧٠) عن كعب الأحبار. الدر المنثور تفسير آية إبراهيم (٤٨).

(٢) «عمدة القاري» ١٩/ ٦٤ .

(٣) انظر «الدر المنثور» تفسير آية المعارج (٨).

(٤) الطبري (٢١/ ٥٧٢).

جرير: تذوبُ السماء فتصيرُ ذائبة حمراءَ كالدهن الذائب، حين يُصيبها حَرَّ جهنَّم.(١)

وقال مكي في تفسير ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١﴾ [الانفطار: ١]: وذلك يومَ القيامة يكونُ لونُها لون الورد الأحمر وهو تفسير ابن عباس(٢).

وأما الدّهانُ: فقال مجاهد والضحاك الدهان والدهن: شيء واحد. وقيل: الدهان الجِلد الأحمر وقال زيد بن أسلم تكون كعكر الزيت.

وقوله: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ۝١٦﴾ [الحاقة: ١٦] أي: ضعيفة مسترخية، بعد إحكامها وقوتها، ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ﴾ [الحاقة: ١٧] أي: جوانبها، وحافَّاتها واحدة رجا مقصور، وذلك أن السماء مَسكنُ الملائكة، فإذا ٱنشقَّتِ ٱنتقلوا إلى جوانبها، وقال الضحاك: تكونُ الملائكة على حافاتها، حين يأمرهم الرب جل جلاله، فيُحيطون بالأرض ومن عليها(٣).

الرابع: فيما يُصيب الشمس والقمرَ قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١﴾ [التكوير: ١] أي كُسفت وذهب ضوءها(٤). وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن ذلك بعد نفخة الفزع وقبل قيام الساعة،

---

(١) «تفسير الطبري» ١١/٥٩٨-٥٩٩ .

(٢) انظر «الدر المنثور» تفسير آية (٣٧) الرحمن.

(٣) انظر «الدر المنثور» تفسير آية (١٦، ١٧) التكوير.

(٤) انظر «الدر المنثور» آية (١) التكوير.

وهوَ قول أُبي بن كعب(١) وبه قال بعضهُم: وظاهرُ كلام جمع من المفسرين أن ذٰلك يومَ القيامة قال ابن عبّاس تكويرُها إدخالُها في العرش، ولا شك أن ذٰلك لا يكون إلا في يوم القيامة، فهي موجودةٌ فيه ثُمَّ يذهبُ بها بعدَ ذٰلك إما إلى إدخالها في العرش كما قال ابن عباس والضحاك(٢)، أو إلى النار كما قال الزمخشري(٣)

يُروى في الشمس والنجوم أنها تطرح في جهنّم ليراها من عَبدها كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] الآية قال بعضهم: يؤخذ بالشمس والقمر فيلقيان في جهنمَّ.

وقال عطاء بنُ يسار: يجمع بينهما يومَ القيامة ثم يقذفان في البحر، فيكونان نارَ الله الكبرى.

وقال علي وابن عباس، يدخلان في نور الحجب(٤).

وفي البغوي عن ابن عباس: يكور الله الشمس والقمر والنجوم يومَ القيامة في البحر، ثم يبعثُ عليها ريحًا دبورا فتضرمها فتصيرُ نارا(٥).

فَإِنْ قُلْتَ: قد مرّ أنه يذهب بالشمس والقمر /٤٢٢/ إلى العرش، وأنه يذهبُ بهما إلى البحر، وأنه يذهب بهما إلى الحجب، وأنه يذهب بهما إلى النار، فهل هٰذا إلا كالتناقض.

---

(١) ابن جرير (١٢٨/٢٤).

(٢) انظر «تفسير القرطبي» ١٩/ ٢٢٥ و«تفسير أبي السعود» ٩/ ١١٤ .، و«روح المعاني» ٣٠/ ٥٠ .

(٣) «الكشاف» ٤/ ٥٤٩ .

(٤) هذه النقول أوردها القرطبي في تفسيره ١٩/ ٩٧.

(٥) «تفسير البغوي» ٨/ ٣٤٦ .

قُلْتُ: الأمر دائر أنه يذهب بهما إلى أحد شيئين إمّا إلى النار وإمّا إلى العرش، وأما البحرُ فإنه داخل في النار على رأي من زعم أنه النار، أو يصير نارًا ويضافُ إلى النار وأمّا الحجب فإنَّها داخلةٌ في كونهما يُكوّران، ويُذهبُ بهما إلى العرش، فإنا نعني بالحجب هي ما دون العرش، فظهر ما قلنا أنه يُذهَبُ بهما إمّا إلى العرش، ولا فرق بين أن يُكَوّرا ويدخلا فيه، أو يُدخلا في نور حجبه أو إلى النار.

والجمعُ بين القولين: بأن يُكوّرا في النار أولا؛ ليراهما من عَبدهما من دون الله تبكيتا لهم، وصغارًا وهوانا ثم يذهب بهما إلى العرش، هٰذا ما يظهر والله أعلم. وقد أشار إلى بعضه في البهجة.

وذكر الإمام المحقق ابن القيم في كتابه «مفتاح دار السعادة»[1]: أنه اجتمع جماعةٌ من الكبراء والفضلاء يومًا فقرأ قارئ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾ [التكوير: ١، ٢، ٣] حتى بلغ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾ [التكوير: ١٤] وفي الجماعة الإمام أبو الوفا ابن عقيل، فقال له قائل: يا سيدّي: هب أنه نُشر الموتى للبعث والحساب وزُوِّج النفوس بقرنائها للثواب والعقاب، فما الحكمة في هدم الأبنية وتسيير الجبال، ودك الأرض، وفطر السماء، ونثر النجوم، وتخريب هٰذا العالم وتكوير شمسه، وخسف قمره؟ فقال الإمام ابن عقيل على البديهة: إنما بناء لهم الدار للسكنى

---

(١) (٣/ ١٨٢).

والتمتع، وجعلها و[جعل][(١)] ما فيها للاعتبار والتفكر، والاستدلال عليه بحسن التأمل والتذكر، فلما ٱنقضت مدة السكنى، وأجلاهم من الدار خَرَّبها لانتقال الساكن عنها، فأراد أن يُعلمهم بأن[(٢)] في إحالة الأحوال، وإظهار تلك الأهوال [وإبداء ذٰلك الصنع العظيم، بيانًا لكمال قُدرته ونهاية حِكمته، وعظمة ربوبيَّتِه وعِزِّ جلاله وعظمِ شأنه][(٣)]، وتكذيبًا لأهل الإلحاد وزنادقة المنجمين، وعباد الكواكب، والشمس، والقمر والأوثان ليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين، فإذا رأوا [مثال][(٤)] آلهتهم قد ٱنهدَم، وأن معبوداتهم قد ٱنتثرت، [والأفلاك التي زعموا أنها وما حوته / ٤٢٣/ هي الأربابُ المستوليةُ[(٥)] على هٰذا العالم][(٦)]، قد تشققت وانفطرت، ظهرت [حينئذ][(٧)] فضائحهم، وتبين كذبهم، وظهر أن العالَم مربوبٌ محدَثٌ مُدبر له رب يصرفه كيف يشاء تكذيبًا لملاحدة الفلاسفة القائلين بقدمه، فكم لله من حكمة لهدم هٰذه الدار، ودلالة على عظيم قدرته وعزته، وسلطانه وانفراده بالربوبية، وانقياد المخلوقات بأسرها لقهره وإذعانها لشأنه فتباركَ اللهُ ربُّ العالمين.

---

(١) زيادة في «مفتاح دار السعادة».

(٢) في «مفتاح دار السعادة» زيادة (الكونين كانت معمورة بهم و).

(٣) ما بين القوسين ساقط من «مفتاح دار السعادة».

(٤) غير موجود في «مفتاح دار السعادة».

(٥) في (ب): المتولية.

(٦) ما بين القوسين ساقط من «مفتاح دار السعادة».

(٧) ساقط من «مفتاح دار السعادة».

الخامس: فيما يُصيبُ النجومَ قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ [التكوير: ٢] ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾ [الانفطار: ٢] ومعناهما سقوطُ الكواكب إلى الأرض، وقد جاء أنها تسقط عند موت الملائكة الذين كانوا يحبسونها، وهي مُعلقة بين السّماء والأرض وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، إذا صارَت السماء كالمُهل تتناثر النجوم، وتسقط شمسُها وقمرها.

السادسُ: فيما يُصيبُ البحار قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣﴾ [الانفطار: ٣] أي: فاضَتْ ومُلئت قال الضحاك والربيع بنُ خثيم وغيرهما: تفجيرُها فيضها[1]، وقال الغزالي: قد تفجر بعضها في بعضٍ حتى ٱمتلأ عالم الهواء ماء.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ [التكوير: ٦] وهو بمعنى الأوُل عند الضحاك والرَّبيع وقال مجاهد: فُجر بَعضُها على بعض، فاختلطَ العذبُ والمالح، فصارت بحرًا واحدًا وقاله الضحاك أيضًا، ومُقاتل. وقيل: معنى «سُجّرتْ» يَبِسَتْ حتى لم يبقَ من مائها قطرة قاله الحسنُ وقتادة وقيل: معنى «سُجّرت» أُضْرمت نارًا قاله ابن عباس ووهب وسفيان[2]، وابن عطية وابن زيد، وفي «البهجة» للعلامة: يمكن الجمع بين الأقوال المتقدمة بأن يُقال: إنَّ البحار تفيضُ

---

(١) انظر «الدر المنثور» تفسير آية (٣) الانفطار.

(٢) انظر «الدر المنثور» تفسير آية (٦) التكوير.

أولاً لكثرة فيضها فتصير بحرًا واحدًا، ثم تَنشف[1] حتى لا يَبقى منها قطرة، ثم بعد ذٰلك يُضرمُ مكانُها نارًا وفي ذٰلك آياتٌ دالاتٌ على كمال قدرته ووجوب وحدانيته، لا إلٰه إلا هُو الفعال لما يُريد، وفي «تفسير مكيّ»[2] عن ابن عباس: جَهَنَّمُ في البحر الأخضر تكوَّر الشمسُ والقمرُ فيه. والله أعلم.

---

(١) كذا في (ب) والمثبت في (أ): تنشق.

(٢) «الهداية في بلوغ النهاية».

الفصل الثاني عشر
في نفخة الصعق وفيها هلاك كُل شيء

قال تعالى: /٤٢٤/ ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] وقد فُسرَ الصَعقُ بالموت. قال الفخر: لا شبهة عند أهل الإسلام في أن الله خَلق قَرنًا يَنفخُ فيه ملكٌ من الملائكة، وذلك القرن يُسمَّى بالصور، على ما ذكرهُ الله في مواضعَ من القرآن. وقال في «التذكرة»[1]: والصورُ قرنٌ من نور يُجعَلُ فيه أرواح الخلائق. وقالَ مُجاهد: كالبوق، ذكره البخاري[2].

وأخرج ابن ماجه عن أبي سعيد لخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن صاحِبَي الصور بأيديهما أو في أيديهما قرنان، يُلاحظان النظر متى يؤمران**»[3].

وأخرج الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: جاءَ أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال ما الصور؟ قال: «**قَرنٌ يُنفخُ فيه**» قال الترمذيُّ حديثٌ حسَن[4].

وأخرج الترمذي أيضًا وحسنه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله

---

(١) (٤٧٨).

(٢) «صحيح البخاري» رواه معلقًا قبيل حديث رقم (٦٥١٧).

(٣) رواه ابن ماجه (٤٢٧٣)، وعزاه الحافظ في الفتح ١١/ ٣٦٩ للبزار.

(٤) رواه الترمذي (٢٤٣٠) و(٣٢٤٤)، ورواه أحمد ٢/ ١٦٢ و١٩٢، وابن حبان (٧٣١٢).

عنه، عن النبي ﷺ قال: «**كيفَ أَنْعَمُ وصاحبُ الصورِ قد التقم القرن؟ واستمع الإذن، متى يؤمر بالنفخ**» فكأنَ ذٰلك ثقل على أصحاب رسول الله ﷺ، فقال لهم: «**قُولوا حَسْبُنا اللهُ ونعم الوكيل**»[1].

وروي أيضًا عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه مَرفوعًا: «**ما أطرف صاحب الصور مُذْ وُكِّلَ به مُستعدًا ينظر نحو العَرش، مخافَةَ أن يُؤمَرَ بالصيحةِ قبل أن يرتدَ طرفهُ، كأنّ عينيه كوكبان درِيّان**» خَرَّجَهُ أبو الحسن بن صخر في «فوائده»، وغيرُه[2].

وأخرجَ ابن المبارك ومُؤَمِّلُ بنُ إسماعيل، وعَليُّ بنُ معبد، عن ابن مسعود حديثًا فيه: «**ثم يقومُ ملك الصور بينَ السماء والأرضِ، فَيُنفخُ فيه والصورُ قرنٌ فلا يَبقَى خلقٌ في السمواتِ والأرض إلاّ مَّاتَ إلا ما شاء ربك**» الحديث[3]. وقد قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾، [القصص: ٨٨]، فمقتضى هٰذه الآية هلاكُ كُل شيء إلا هُوَ سبحانه قال العلامة: وهُوَ قول في المسألة قالوا: إنَّ اللهَ يُفني كُلَّ شيء حَتَّى الجنَّة والنار، ولا يبقى شيء سواه /٤٢٥/ قالوا: وهو مَعنى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ﴾ [الحديد: ٣] قال الغزالي، حدَّثني من لا

---

(١) اختصر المصنف بعض عبارات الحديث، والحديث بتمامه عند الترمذي (٢٤٣١)، وابن حبان (٨٢٣).

(٢) رواه أبو الشيخ في العظمة (٣٩١)، والحاكم ٤/ ٥٥٩ وصححه. وأبو نعيم في الحلية ٤/ ٩٩.

(٣) ذكره البيهقي في الشعب ١/ ٣١٥ موقوفًا، والحافظ في الفتح ١١/ ٣٧٠ وقوى إسناده.

أشكُ في علمه ومعرفته، أنَّ الاستثناء في قوله: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: الآية ٦٨] واقعٌ عليه سبحانه خاصة، ولو كانَ ثم أحدٌ لأجابهُ سُبحانَهُ حين يقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] فيقول لك يا واحد يا قهار.

وأخرج الشيخانِ عن أبي هريرة مرفوعًا: «**يقبضُ اللهُ الأرضَ يومَ القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثُمَّ يقول: أنا الملك أين الملوك**»[1].

وأخرج مسلمٌ عن ابن عُمرَ رضي الله عنهما مرفوعًا: «**يطوي الله السموات يومَ القيامة، ثمَّ يأخذهُنَّ بيده اليُمنى، ثُم يقولُ أنا الملك أين الجبارون؟ أينَ المتكبرون؟ ثم يطوي الأرض بشماله، ثم يقولُ: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**[2]») والحقّ في المسألة: أنَّ ثم أشياء لم تُخلق للفناء»، بل للبقاء وقد نصّ على ذٰلك إمام السنة: الإمامُ أحمد طيّب الله ثراه، حيثُ قال: خُلقَتِ الجنَّةُ وما فيها، وخُلقَتِ النَّارُ وما فيها، خلقَهُم الله عز وجل، ثم خلقَ لهما الخلق، لا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبدًا.

قال: فإن احتج محتجٌ بقول الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: الآية ٨٨] ونحوَ هٰذا مِن مُتشابه القُرآن[3]؟

فالجواب: إنَّ كل شيء مما كُتب عليه الفناء والهلاكُ فهالك،

---

(١) رواه البخاري (٦٥١٩)، ومسلم (٢٧٨٧).

(٢) رواه مسلم (٢٧٨٨)، وابن ماجه (١٩٨)، واحمد ٢/ ٧٢ و٨٨، وابن حبان (٧٣٢٤) و(٧٣٢٧).

(٣) ينظر الرد على الجهمية (١٤٨) تح عميرة.

والجَنَّةُ والنار خلقهما الله للبقاء لا للفناء ولا للهلاك، وهما من الآخرة لا مِنَ الدنيا، والحورُ العينُ خُلِقنَ للبقاء لَمْ يكتبْ عليهن الفناء ولا الموتُ قال: فمن قال خلافَ ذٰلك فهو مبتدع. ٱنتهى.

وقد أطالَ في حادي الأرواح في الرد على زاعمي ذٰلك، فراجِعهُ إن شئت واللهُ سبحانه وتعالى أعلم[1].

---

(١) انظر/ «حادي الأرواح» ص: ٤٨٠-٥٢٨ .



الكتاب الثالث
في المحشر وما يتعلق به
إلى أن يدخل أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ وأهلُ النَّارِ النَّارَ

وفيه ثمانية أبواب:



البابُ الأول
في نفخة البعث

وقد جاء في الكتاب العزيز آياتٌ كلُّها تدلُ على نفخة البعث، منها: قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يس: ٥١]

وقوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]

وقوله /٤٢٦/ ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾﴾ [المدثر: ٨] قال الكلبي وغيره: هي نفخةُ البَعثِ. والناقور: فاعول من النقر.

وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ٤١، ٤٢] الآية (قال المفسرون: المُنادي هُو إسرافيل عليه السلام، ينفُخُ في الصور)[١]، ويُنادِي: يا أيتها العظامُ البالية والأوصالُ المتقطعة، واللحومُ المتمزقة، والشعورُ المتفرقة، إن الله يأمرُكُنَّ أن تجتمعن لفصل القضاء، وقيل يَنفخُ إسرافيلُ وينادي جبريل، والمكانُ القريبُ صخرةُ بيتِ المقدس، قالَهُ جَماعةٌ من المفسرين[٢]، وهُيَ وسَط الأرضِ، وقيلَ وسطُ الأرضِ مكة المشرفة،

---

(١) ليست في (ب)، انظر الدر المنثور تفسير آية سورة ق (٤٠).

(٢) المرجع السابق

وقال علماء الهيئة: وسطُ الأرض جزيرة أرين، قالوا: هي نُقطَة الأرض كلِّها قفرُها ومعمورُها، وإذا توسَطت الشمسُ الحمل، لمْ يكن في هٰذه الجزيرة ظلٌ لشيء قائم، وهي أعدل الأرض هواء واعتدالَ ليلُها ونهارُها طول الدهر، لا يزيدُ ولا ينقصُ، ولا ينقصُ من شجرها ورقة.

قالوا: وكاد أن لا يموت فيها إنسان إلاّ على مائة عام، وفي هٰذه الجزيرة أعاجيبُ شتَّى ليسَ هٰذا محل ذكرها. واللهُ أعلم.

وتقدم أنّ بيْن النفختين أربعين عام، قال بعضُهم: ٱتفقت الروايات على ذٰلك، وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**ما بين النفختين أربعون**» قالوا: يا أبا هريرة: أربعون يومًا؟ قال أبَيْت قالوا: أربعون شهرا؟ قال: أبَيْت قالوا: أربعون عامًا؟ قال: أبَيْتُ الحديث[١]. وقول أبي هريرة (أبيت) فيه تأويلان، فقيل: «أبيت» أي: ٱمتنعت من بيان ذٰلك لكم، وقيل «أبَيْتُ» أن أسأل النبي ﷺ عن ذٰلك[٢].

(١) رواه مسلم (٢٩٥٥)، والبخاري (٤٨١٤).

(٢) قال ابن حجر رحمنا الله وإياه في «الفتح» (٨/ ٥٥٢) أبيت بموحدة أي امتنعت عن القول بتعيين ذلك لأنه ليس عندي في ذلك توقيف، ولابن مردويه من طريق أبي بكر بن عياش عن الأعمش في هٰذا الحديث فقال: «أعييت» من الإعياء وهو التعب، وكأنه أشار إلىٰ كثرة من يسأله عن تبيين ذلك فلا يجيبه، وزعم بعض الشراح أنه وقع عند مسلم أربعين سنة ولا وجود لذلك، نعم أخرج ابن مردويه من طريق سعيد بن الصلت عن الأعمش في هٰذا الإسناد=

وقال الغزالي: حدثني من لا أشك في علمه ومعرفته، أن سر ذٰلك وأمره لا يعلمه إلا الله تعالى؛ لأنه سرٌّ من أسرار الربوبية.

وفي حديث «**إنَّ بينَ النفختين أربعين عاما**»[1]، وفي تفسير الثعلبي عن أبي هريرة رضي الله عنه، في تفسير سورة الزُمر: إن الله تعالى يُرسِلُ مطرًا على الأرض فينزلُ عليها أربعين يوما، حتى يكون فوقَهم آثنى عشر ذِراعًا فيأمر الله عز وجل الأجساد أن تنبت /٤٢٧/ كنبات البقل، حتى إذا تكاملت أجسادهم، كَما كانَتْ قال الله تعالى: ليحيى حملة العرش، ليحيي جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، ثم يأمر الله تعالى إسرافيل فيأخذ الصورَ فيضعه على فيه، ثم يدعو الأرواحَ فيؤتَى بها، تتوهج أرواح المؤمنين نورا، والأخرى ظلمة فيقبضها جميعًا، ثم يُلقيها في الصور، ثم يأمره أن يَنفخَ نفخة البعثِ، فتخرجُ الأرواح كُلُّها كأنها النحل، قد ملأت ما بين السماء والأرض ثم يقول

=أربعون سنة وهو شاذ. ومن وجه ضعيف عن ابن عباس قال ما بين النفخة والنفخة أربعون سنة» ذكره في أواخر سورة ص، وكأن أبا هريرة لم يسمعها إلا مجملة فلهذا قال لمن عينها له «أبيت» وقد أخرج ابن مردويه من طريق زيد بن أسلم عن أبي هريرة قال: «بين النفختين أربعون. قالوا: أربعون ماذا؟ قال: هكذا سمعت» وقال ابن القيم: ويحتمل أيضًا علم ذلك لكن سكت ليخبرهم في وقت أو اشتغل عن الإعلام حينئذ. ووقع في جامع ابن وهب «أربعون جمعة» وسنده منقطع. ا.هـ

(١) أبي داود في «البعث» (٤٢) وذكره في «فتح الباري» (٨: ٥٥٢) (١١/ ٣٧٠)، وقال الحفاظ ضعيف. ويغني عنه الحديث الصحيح في ت (١) ص (٧٣٢).

الله تعالى: وعزتي وجلالي لترجِعَنَّ كل رُوح إلى جَسدِها فتدخُلُ الأرواح من الخياشيم، ثم تمشي مشيَ السُمِّ في اللديغ ثم تشققُ الأرض عنهم سراعًا، فأنا أوَلُ من تنشقُ عنه الأرض، فتخرجون مِنها إلى ربكم، تنسلون[(١)].

وفي الثعلبي في تفسير سورة الأعراف، وفي تفسير ابن عطية[(٢)]، عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم، إذا مات الناسُ كلُهم في

---

(١) ابن جرير (٣/ ٦١١-٦١٣) (١٥/ ٤١٩) (١٨/ ١٣٢، ١٣٣) (٢/ ٣٣٠، ٣٣١) (١٦/ ٣٠) (١٧/ ١١٠) (٢٤/ ٣٠) (٢٩/ ٤١، ٤٢) (٣٠/ ٢٦، ٣١) الأحاديث الطوال للطبراني (٣٦) وأبو الشيخ في «العظمة» (٣٨٨، ٣٨٩)، «البعث والنشور» (٦٦٩)، «البداية والنهاية» (١٩/ ٣١٠، ٣١٣)، «الدر المنثور» عند تفسير آية (٦٨) الزمر، وذكره في «إتحاف السادة المتقين» (١٤/ ٤٣٠، ٤٣١) وتكلم علىٰ الحديث ودرجته. وأيضًا ابن كثير في «البداية والنهاية».
أما الألباني فقد قال في ضعيف الترغيب (٢٢٢٤) هو حديث طويل جدًا في نحو ثمان صفحات لا أعلم له شبيهًا فهو إسناد ظلمات بعضها فوق بعض، مما لا يشك الباحث أنه حديث مركب.

(٢) «المحرر الوجيز» سورة الأعراف آية (٥٧) ونسبه إلىٰ الطبري بدون إسناد. الطبري في تفسير الآية المذكورة من رواية أبي هريرة قال الشيخ أحمد شاكر معلقًا. هذا الخبر عن أبي هريرة، رواه بغير إسناد، وكنت أظنه من رواية السدي في الأثر السالف، ولكني شككت في ذلك، فآثرت أن أضع له رقمًا مستقلًا وأيًا ما كان فإني لم أجد نص هذا الخبر في شيء من مراجعي. وحديث أبي هريرة في البعث رواه مسلم في صحيحه. انظر الحديث مساق بنصه في ت(١) ص (٧٣٢).

النفخة الأولى، أمُطر عليهم أربعين عامًا كمني الرجال من ماء تحت العرش، يدعي ماء الحيوان فينبتون من قبورهم، بذٰلك المطر كما ينبت الزرع من الماء، حتى إذا ٱستُكمِلتْ أجسادهم، نفخَ فيهم الروحُ ثمَّ تلقي عليهم نومةً فينامون في قبورهم، فإذا نفخَ في الصور [النفخة][١] الثانية: [قامُوا][٢] وَهم يجدونَ طعم النوم في أعينهم[٣]، كما يجدُ[ه][٤] النائم [إذا][٥] ٱستيقظ من نومه، فعند ذٰلك يقولون: ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢] [فناداهم المنادي: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾][٦] [يس: الآية ٥٢].

وأما قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢] ففي كونه من كلام الله على لسان الكفار، أو من كلامه على لسان الملائكة، قولان للمفسرين[٧]. قال مجاهد: إن للكافرين هجعة قبل يوم القيامة، يجدون فيها طعم النوم فإذا صيح بأهل

(١) غير موجود في الطبري. (٢) في الطبري «عاشوا».
(٣) في الطبري زيادة: رؤوسهم. (٤) غير موجودة في الطبري.
(٥) في الطبري: «حين». (٦) زيادة من الطبري
(٧) القول الأول لمجاهد كما سيأتي في سياق الأثر وابن أبي يعلىٰ وقتادة، كما أخرجه عبد الرزاق (٢/ ١٤٤، ١٤٥) في قوله: ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا﴾ قال أولها للكفار، وآخرها للمسلمين، قال الكفار ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا﴾ وقال المسلمون: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون. والقول الثاني للحسن كما في الأثر الذي أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٥٤٣) ويكون الكفار والمجيبون الملائكة.

القبور، [يقول الكافر: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمن إلىٰ جنبه ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾][1] قاموا مذعورين عجلين ينظرون ما يراد بهم.

تنبيه: ٱختلف الناسُ هل البعث إعادة بعد تفريق؟ أو إيجاد معدوم؟

قال التفتازاني في «شرح عقائد النسفي»: والبعثُ هو أنَّ الله يبعثُ الموتى من القبور، بأن يجمعَ أجزاءهم الأصلية /٤٢٨/ ويُعيدُ الأرواحَ إليها حق ..وذكر آيات تدل على ذٰلك. ثم قال: وأنكره الفلاسفة بناءً على ٱمتناع إعادة المعدوم بعينه، وهو أنه لا دليل لهم عليه يُعتد به، غير مضر بالمقصود؛ لأن مرادنا أن الله تعالى يجمعُ الأجزاء الأصلية للإنسان، ويُعيدُ روحَه إليه سواء سمي إعادة المعدوم بعينه، أو لم يسمّ. وبهذا يسقُطُ ما قالوا إنه لو أكل إنسان إنسانًا بحيث صارَ جزءاً منه فتلك الأجزاء إما أن تُعادَ فيهما وهو محال أو في أحدهما فلا يكون الآخر معادًا بجميع أجزائه، وذٰلك لأنّ المعاد إنما هو الأجزاء الأصلية، الباقية من أول العُمر إلى آخره، والأجزاء المأكولة فَضلة في الأكل لا أصلية. ٱنتهى

وتقدم الكلامُ على ذٰلك مُبينا قال: عكرمة رحمه الله: إنَّ الذين

---

(١) زيادة من «الدر المنثور» ولفظه في الزهد ولهناد يخالف ما في الدر عند تفسير آية (٥٢) يس، وما سبق هنا.

يَغرقونَ في البحر [و](١) تقتسم لحومهم الحيتان، [ولا](٢) يبقى [منهم](٣) شيء إلاَّ العظام(٤) [فتلقيها](٥) الأمواج [إلى الساحل](٦)، فتمكثُ [العظام](٧) حِينا، [ثُمَّ تصيرُ نخرةً](٨)، ثم [تمر](٩) بها الإبل فتأكلها، ثم تسيرُ الإبل فتبعر، ثم تجيءُ(١٠) قوم فينزلون، فيأخذون ذٰلك البعر فيوقدونه ثم تخمدُ تلك ٱلنار، فتجيء الريحُ فتُلقي ذٰلك الرمادُ على الأرض، فإذا جاءت النفخةُ(١١) ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] [يخرجُ](١٢) أولئك وأهل القبور سواء(١٣).

وقال العلامة: قال العلماء: إن الله تعالى يجمع ما تفرق من أجساد الناس من بطون السباع، وحيوانات الماء وبطن الأرض، وما أصابَ (النيرانُ)(١٤) منها بالحرق والمياه بالغرق، وما أبلته الشمسُ

---

(١) في العظمة ساقطة وفي الدر هم الذين.

(٢) في العظمة والدر «فلا». (٣) في العظمة: «معهم».

(٤) في العظمة زيادة تموج. (٥) في الدر: فتقلبها.

(٦) في الدر والعظمة «حتىٰ تلقيها علىٰ البر».

(٧) زيادة من العظمة والدر.

(٨) في العظمة والدر «حتى تصير حائلة نخرة» وفي العظمة حائلًا.

(٩) في العظمة والدر «فتمر». (١٠) في الدر والعظمة زيادة بعدهم.

(١١) في الدر والعظمة زيادة قال الله.

(١٢) في الدر والعظمة «فيخرج».

(١٣) انظر الدر المنثور تفسير آية (٦٨) الزمر، وكتاب العظمة (٢٣٧).

(١٤) في (ب): (النار).

وذَرته الرياحُ، فإذا جمعها وأكمل كُلَّ بدنٍ منها، ولم يبق إلا الأرواح نُفخَ في الصور، وأمر إسرافيل عليه السلام فأرسلها بنفخة من ثقب الصور فترجعُ كلُ روح إلى جسدها ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، هٰذا وقد دلَّ على قيام الناس من الأجداث الكتاب والسنة، وإجماع الأمة قال تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ٦] والمرادُ: يقومون من مصارعهم، حيث كانوا في سائر أقطار الأرض، وأوّلُ من يَنشقُ عنه القبرُ النبي ﷺ. أخرج مُسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه /٤٢٩/ أنّ رسولَ الله ﷺ قال: **«أنا سيدُ ولد آدم، وأوّل من ينشقُ عنه القبر، وأوّل شافع وأوّل مشفع»**[1]، وفي البخاري: **«أنا أوّل من يَرفعُ رأسه بعد النفخة الآخرة، فإذا بموسى عليه السلام متعلقٌ بالعرش، فلا أدري أكذلك كان؟ أم بعد النفخة»**[2].

وفي بعض ألفاظِ البخاري **«فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أَفَاقَ قبلي أم جُوزي بصعقة الطور؟»**.

وأخرج الحكيم الترمذي، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال خرج النبي ﷺ، ويمينهُ على أبي بكر، وشماله على عُمر فقال: هكذا

---

(١) رواه مسلم (٢٢٧٨). (٢) رواه البخاري (٤٨١٣).

نبعثُ يوم القيامة[١].

وفي الثعلبي عن أبي هُريرة رضي الله عنه مرفوعًا: **«ثم تنشقُ عنكم الأرض، وأوّل مَن تنشق عنه الأرض أنا فتنسلون سِراعًا إلى ربكم، عن سِنّ الثلاثين، وفي لفظ كأنكم أبناء ثلاث وثلاثين** ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٨]، **فتقفون في موقفٍ واحد سبعين عامًا حفاةً عُراةً غرلا بُهما، لا يَنْظرُ اللهُ إليكم، ولا يقضي بينكم، فتبكي الخلائقُ حتى تنقطع الدموع، ويلجمهم العرق»** الحديث وفي حديث علي بن معبد **«فتخرجون منها شبابًا كُلكم ابناء ثلاث وثلاثين»**[٢].

وفي البهجة: للعلاّمة اللسان يومئذ بالسريانية.

قُلْتُ: ويحتاج إلى توقيف ثابت عن المعصوم. والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) رواه الترمذي (٣٦٦٩)، وابن ماجه (٩٩)، وابن أبي عاصم في السنة (١٤١٨)، وابن عدي ٣/ ٣٧٩ (ترجمة سعيد بن مسلمة)، وابن حبان في المجروحين ١/ ٣٢١، والحاكم ٣/ ٧١ و٤/ ٣١٢. «نوادر الأصول» ص: ٣٨. قال الذهبي في الميزان ٨/ ٧٣: قال الدارقطني في غرائب مالك: لا يصح.

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» ١٧/ ٢٨ .



الباب الثاني
في الحَشْرِ

وهو لغةً: الجمعُ. تقول: حشرتُ الناس إذا جمعتهم، والمراد به: في القيامة جمع الأجزاء بعد التفرُّق مع إحياء الأبدان بعد موتها هٰذا مذهب الجمهور.

وزعم بعضُهم: أن الحشرَ: هو الإيجاد والإحياء بعد الإعدام عند البعث.

وأجمع أهل السنة أن الأجساد الدنيوية تعادُ بأعيانها وأعراضها، وتقدمت الإشارة إلى ذٰلك[1].

واعلم أن موضع الحشر: هو الأرض بالكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾ [النازعات: ١٣، ١٤] أي: على ظهر الأرض والعربُ تسمى الفلاة وظهر الأرض ساهرة، لأن فيها نوم الحيوان وسَهره قال ابن عباس، والحسن وعكرمة: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾، أي: على الأرض. وقال رسول الله ﷺ: /٤٣٠/ **«يُحشر الناس يومَ القيامة، على أرضٍ بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها عَلَمٌ لأحد»**[2]، أي: ليس فيها سكن أو

---

(١) انظر ص ٧٣٧، ٧٣٩.

(٢) رواه البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠).

بناء أو أثر لأحد وقيل معناه: أنها لم توطأ قبل ذلك، والحديثُ في الصحيحين عن سهل بن سعد وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يخطب على المنبر يقول: «**إنَّكم مُلاقوا اللهَ حفاةً عراةً غرلًا**»(١)، زاد في رواية «مشاة»، وفي رواية قال قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة، فقال: «**أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلًا، ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾** [الأنبياء: الآية ١٠٤] **وإن أوّل الخلائق يُكسى إبراهيم عليه السلام، وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذاتَ الشمال، فأقول يا رب أصحابي فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبدُ الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾**، إلى قوله **﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾** [المائدة: ١١٧ ـ ١١٨] قال: **فيقال لي: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم مذ فارقتهم**»، زاد في رواية: «**فأقول: سُحقًا سُحقًا**» رواه الشيخان(٢). ورواه الترمذي والنسائي بنحوه، قال الحافظُ المنذريّ: الغُرْلُ: بضَم الغين المعجمة وإسكان الراء جَمع أغرل الأقلف.

وأخرج الشيخان عَن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا، **يُحشَرُ الناسُ حفاةً عُراةً غرلاً** فقالت عائشة: فقلتُ الرجالُ والنساءُ جميعًا ينظرُ بعضُهم إلى بعض؟ قال: **الأمر أشد من أن يهمّهم ذلك**، وفي لفظ: من

(١) رواه البخاري (٦٥٢٤) و(٦٥٢٥)، ومسلم (٢٨٦٠).

(٢) رواه البخاري (٣٣٤٩) و(٣٤٤٧) و(٢٦٢٥)، ومسلم (٢٨٦٠) من حديث ابن عباس، وروى الفقرة الثانية البخاري (٦٥٨٣) و(٧٠٥٠) و(٧٠٥١)، ومسلم (٢٢٩٠) من حديث سهل بن سعد.

أن ينظرَ بَعضُهم إلى بعض[1].

وأخرج الطبراني في الأوسط بإسناد صحيح عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الناسُ يومَ القيامة عُراةً حفاةً**» فقالت أم سلمة: فقلتُ يا رسول الله واسوءتاهُ!! ينظرُ بعضُنا إلى بعض؟ فقال: «**شُغِل الناس**»، قلتُ: ما شَغلهم؟ قال: «**نَشرُ الصحائف فيها مثاقيل الذر، ومثاقيل الخردل**»[2]. وأخرج الطبراني بسند رجالُه ثقاتٌ عن سودةَ بنتِ زَمعة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يُبعثُ الناسُ حفاةً عُراةً غُرلاً / ٤٣١/ قد ألجمهُمُ العرقُ وبلَغ شحوم الآذان**»[3] فقُلتُ: يبصرُ بعضُنا بعضًا؟ فقال: **شُغِلَ الناس**، ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ۝٣٧﴾ [عبس: ٣٧].

واعلم أن الكُفار يُحشرون على وجوههم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان: ٣٤] الآية وقال: ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٢٢﴾ [الملك: ٢٢]

وعن أنسٍ رضي اللهُ عنه أن رجُلاً قال: يا رسول الله قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ﴾ الآية أيحشر الكافر على وجهه؟ قال ﷺ: «**أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدُنيا قادرًا على أن يُمشِيَهُ على**

---

(١) رواه البخاري» (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٨٣٣).

(٣) رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣٠٦٦)، والطبراني في الكبير ٢٤/ ٣٤ (٩١).

وجهه؟» قال قتادة حين بلغَهُ: بلى وعزة ربنا. رواه البخاري ومسلم(١).

وأخرج الترمذي وحسنه عن أبي هُرَيرةَ رضي الله عنه مرفوعًا: «**يُحشرُ الناسُ يومَ القيامة ثلاثة أصنافٍ: صِنفًا مُشاةً، وصِنفًا رُكبانًا، وصِنفًا على وجوههم**» قيل يا رسول الله: وكَيفَ يمشونَ على وجوههم؟ قال: «**إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادرٌ على أن يُمشيهم على وجوههم، أما إنهم يتقون بوجوههم كلَّ حدب وشوك**»(٢)، وتقدم الكلام على هٰذا الحديث(٣).

وأخرج البزارُ عن جابر رضي الله عنه مرفوعًا: «**يبعَثُ الله يوم القيامة ناسًا في صُور الذر، يطؤهم الناسُ بأقدامهم، فيقُال ما هٰؤلاء الذي في صور الذر؟ فيُقالُ: هٰؤلاء المتكبرون في الدنيا**»(٤).

وعند الترمذي والنسائي، من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده مرفوعًا: «**يُحشرُ المتكبرون يومَ القيامة أمثال الذرّ في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، يُساقونَ إلى سجن في جهنَّمَ يُقالُ له: بولس تعلوهم نارُ الأنيار يُسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال**» قال الترمذي: حديث حسن(٥).

---

(١) رواه البخاري (٤٧٦٠) و(٦٥٢٣)، ومسلم (٢٨٠٦).

(٢) رواه أحمد ٢/ ٣٥٤، والترمذي (٣١٤٢).

(٣) انظر ص٦٩٠ ت(٥) وت (١، ٢، ٣) ص٦٩١، ٦٩٥ ت(٣).

(٤) رواه ابن عدي في الكامل ٣/ ١٢١ (ترجمة الحسن بن دينار) من حديث عوف بن مالك. وله شواهد عند البيهقي في الشعب ٦/ ٢٨٨-٢٨٩. ولم أقف على حديث جابر.

(٥) رواه الترمذي (٢٤٩٢)، وقال: حسن صحيح.

ورواه الإمام أحمد في «الزهد» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ بلفظ: «**يُجاء بالجبارين والمتكبرين يومَ القيامة رجال في صورة الذر، تطأهم الناسُ من هوانهم على الله، حتى يقضي بين الناس، قال: ثُمَّ يُذهَبُ بهم إلى نار الأنيار**»، قال قيل يا رسول / ٤٣٢/ الله: وما نار الأنيار؟ قال: «**عُصارة أهل النار**»[(١)]، ورواه صاحبُ الترغيب والترهيب.

وأخرج مسلم[(٢)] عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، قال: «**لا يَدخُل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»، فقال رجل هو مالك بن الرهاوي: إنَّ الرَّجُل يحب أن يكونَ ثوبُه حسنًا ونعلُه حسناً فقال: «**إن اللهَ جميلٌ يحبُ الجمال الكبر بَطَر الحق وغمط الناس**» هٰذا الحديث وإن كان خارجًا عن الباب، إلاَّ أن له مناسبة ظاهرة؛ لأنه في مَعرض النهي عن التكبر؛ ولهذا بَطل تأويل من زعم أن المرادَ بالكبر هنا: الكبرُ عن الإيمان أو أنه إذا ماتَ لا يكونُ في قلبه كبرٌ حين دُخوله الجنة، بل المرادُ بالكبر هو الارتفاع عن الناس، واحتقارهم.

ويُجابُ عن مفهوم الحديث بما ذكره القاضي عياض، وغيره من المحققين: أنه لا يدخل الجنة دُونَ مجازاة، أو لا يدخُلُها مع أوّل الداخلين[(٣)(٤)]. وأما قوله ﷺ: «**إن اللهَ جميلٌ يُحبُ الجمال**» قيلَ جميلُ هنا بمعنى مُجمل ككريم وسميع بمعنى مُكرِم ومُسمع.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» ص: ٣٠ .

(٢) صحيح مسلم (٩١).

(٣) «إكمال المعلم» ١/ ٣٥٩ .

(٤) هذا تأويل ويبقى الحديث على ظاهره وسيأتي كلام النووي وهو الصحيح.

وقال القشيري: معناه جليل، وقيل معناه ذو النور والبهجة أي مالكها وقيل: جميل الأفعال بكم والنظر إليكم يكلفكم اليسير، ويُعين عليه، ويثيب عليه الجزيل، ويعفو عن الكثير.

وقال النووي: هٰذا الاسم ورد في هٰذا الحديث الصحيح. وورَد أيضًا في حديث الأسماء وفي إسناده مقال، والمختار جَواز إطلاقه على الله سبحانه، ومن العلماء من منعه وهٰذا المنع ممنوع.

قال العلماء: ما ورَدَ الشرع بإطلاقه في أسمائه تعالى وصفاته أطلقناه، وما منع الشرع منعناه، وما لم يَرد فيه إذنٌ ولا منع لم يقض فيه بحكم، ذكر نحو هٰذا إمام الحرمين الجويني، ثم قال ولا يُشترطُ في جواز الإطلاق، ورود ما يقطع به في الشرع ولٰكن: ما يقتضي العمل به[1]. وأطال في «حياة الحيوان». والله أعلم.

---

(١) الأرشاد ص١٤٣ «مسلم بشرح النووي» ٢/ ٩٠ . كلام النووي رحمه الله صحيح.

فصل

واعلم أن العبد يُبعث على ما ماتَ عليه ففي صحيح / ٤٣٣/ مسلم عن جابر رضي الله عنه مرفوعًا: «يبعثُ كُل عبدٍ على ما مات عليه»[١]. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أنه لما ٱحتضر دعا بثيابٍ جدد يلبَسُها» ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الميت يُبعَثُ في ثيابه التي يموتُ فيها». رواه أبو داود والحاكم وصححه[٢]، وأخرج ابن أبي الدنيا بسند حسن عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أنه دَفَنَ أمه في ثياب جُدد وقال: حسنوا أكفان موتاكم؛ فإنهم يُحشرون فيها[٣]. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نحوه.

قال القرطبي: هٰذه الأحاديث معارضة لحديث الحشر عراة، فبعضهُم قال بظاهره، والأكثر حملوها على الشهيد الذي أمر أن يُدفن بثيابه التي قتل فيها وأن أبا سعيد سمع الحديث في الشهيد، فحمله على العموم[٤]. وقال البيهقي: يجمع بأنَ بعضَهُم يُحشر عاريا، وبَعضَهُم بثيابه، أو يخرجون من قبورهم بثيابهم التي ماتوا فيها، ثم تتناثر عنهم عند ٱبتداء الحشر.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٧٨).

(٢) رواه أبو داود (٣١١٤)، والحاكم ١/ ٣٤٠ وصححه الألباني.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «العيال» ٢/ ٧٠٦ (٥١٥).

(٤) التذكرة ١/ ٣٢٣.

وقال الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب»: قد قال كُلُ من وقفتُ على كلامه من أهل اللغة: أن المرادُ بقوله: يبعث في ثيابه التي مات فيها أيّ: في أعماله.

قال الهروي: وهٰذا كحديثه الآخر يبعث العبدُ على ما مات عليه، قال: وليسَ قول من ذهب إلى الأكفان بشيء لأن الميّتَ إنما يكفَّن بعدَ الموت. أنتهى[١].

وأخرج الشيخان: **أن شاربَ الخمر يُبعثُ والكوز مُعَلَّقٌ في عنقه، والقدح بيده، وهو أنتنُ من كل جيفةَ على الأرض، يلعنهُ كل من يَمرُّ به من الخلق**[٢].

وفي الصحيح «**المقتول في سبيل الله، يأتي يومَ القيامة وجرحه يَشخُبُ دمًا اللونُ لونُ دم، والريحُ ريحُ المسك**»[٣].

وعن ابن عمر يرفعه «**ليس على أهل لا إلٰه إلا الله وحشة عند الموت، ولا في قبورهم ولا في منشرهم، كأني بأهل لا إلٰه إلا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم، وهم يقولون: الحمدُ لله الذي أذهبَ عنَّا الحزن**»[٤].

وذكر الفخر في تفسير / ٤٣٤/ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝٨٥﴾ [مريم: ٨٥] عن علي كرم الله وجهه قال: والذي نفسي بيده إن المتقين إذا خَرجوا من قبورهم ٱستُقبلوا بنوق

(١) «صحيح الترغيب والترهيب» ٣/ ٤١١.

(٢) لا يوجد بهذا اللفظ في الصحيحين أو أحدهما.

(٣) رواه البخاري (٢٣٧)، ومسلم (١٨٧٦) من حديث أبي هريرة.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٩٤٤٥) وضعفه الهيثمي ١٠/ ٨٣.

بيض، لها أجنحة عليها رِحالُ الذهب[١].

والوفد: القوم الركبان يفدون على الملك.

والسوقُ: القوم يساقون على أرجلهم. وقال ابن عباس: يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا قال: ركبانا، ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا قال: عطاشا.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وأبو يعلى وابن حِبّان مرفوعًا: «**يبعثُ الله يومَ القيامة قومًا من قبورهم تأجَّجُ أفواههم نارًا**» فقيل من هم يا رسول الله؟ قال: «**ألم تر أن الله يقولُ**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾»[النساء: ١٠][٢].

وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**ما من أمير عشرة إلا أتى يوم القيامة مغلولا، لا يفكُه من ذٰلك الغل إلا العدل**»[٣].

وأخرج أبو يعلى والطبراني بسند صحيح، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «**من سئل عن علم فكتمه جاء يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار (ومن قال في القرآن بغير ما يعلم جاء يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار)**[٤]»[٥]، وفي الجملة فالناس مُختلفونَ فكُلٌ يُحشر على

(١) «التفسير الكبير» ٢١/ ٢٥٢ .

(٢) رواه أبو يعلى (٧٤٤٠)، وابن عدي ٣/ ١٩٠ (ترجمة زياد بن المنذر) وإسناده ضعيف.

(٣) رواه أحمد ٢/ ٤٣١، وأبو يعلى (٦٦١٤) و(٦٦٢٩).

(٤) ليست في (أ) واستدركناها من (ب) وهي بقية الحديث كما في مصادر التخريج.

(٥) رواه أبو يعلى (٢٥٨٥)، والطبراني ١١/ (١١٣١٠).

حالة بحسب عمله.

وروى محمد بن نصر المروزي[١] بإسناده عن أبي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، قال: يُحشرُ الناسُ يومَ القيامة على قدر صنيعهم في الصلاة، وفَسَّرهُ بعضُ رُواته بقبض شِماله بيمينه، والانحناء هكذا وبإسناده عن أبي صالح السمّان قال: يبُعَثُ الناس يومَ القيامة هكذا. ووضع إحدى يديه على الأخرى، نقله ابن رجَب في كتابه «**الذل والانكسار**»[٢] والله سبحانه وتعالى الموفق.

---

(١) تعظيم قدر الصلاة ١/٣٣٨. وابن أبي شيبة (١٣/٥٤٣).

(٢) ص ٥٨ .

الباب الثالث
في الوقوف في المحشر، في شدة ما يلقاهُ الناس من الأهوال في تلك الحال

قال الله سُبحانه وتعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧] وقال: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الأنعام: ١٢] وقال: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [النبأ: ١٨] أي زمرا زمرا.

قال أبو هريرة: إن الله تعالى يحشر الخلق كلهم من دابة وطائر وإنسان[١]، وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥] يُحشَرُ كل شيء حتى الذُباب ليحشر[٢].

قال العلامة: /٤٣٥/ والحاصلُ أن اللهَ تعالى يجمعُ في ذٰلك اليوم الأولين والآخرين، حتى لا يدري الشخصُ أين يضع قدمه؟ لشدة الزِّحام، وفي «تفسير»[٣] مكي: يحشر الناس يومَ القيامة على أرضٍ قد مدَّها اللهُ تعالى مدّ الأديم العكاظي، فهم في ضيق مقامهم فيها كضيق سهام ٱجتمعت في كنانتها، فالسعيدُ يومئذ من يجدُ لقدمه مقامًا قال: وأكثرُ الأقدام يومئذ بعضها على بعض.

---

(١) تفسير القرطبي ١٩/١٨٩.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/٤٧٧ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) «البداية لبلوغ النهاية» لم يطبع.

لطيفة

ذكر أبو نعيم الحافظ بإسناده عن وهْب بن منبه، قال: إذا قامتِ القيامة[1] صرخت الحجارةُ صراخَ النساء وقطرت العصاة دمًا[2].

فائدة: ٱختلف العلماء في تسمية يوم البعث والحشر يوم القيامة، على أربعة أقوال.

الأول: لوجود أمور المحشر والوقوف ونحوهما فيه.

الثاني: لقيام الخلق كلهم من قبورهم إليها قال تعالى ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: ٤٣].

الثالث: لقيام الناس لرب العالمين، كما روى مسلم[3] عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ٦] قال: يقوم أحدهم في رشحه إلى نصف أذنيه، قال ابن عمر: يقومون مائة سنة، ويروى عن كعب[4]: يقومون ثلاثمائة سنة.

الرابع: لقيام الروح والملائكة صفًا قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨]

قال العُلماءُ رحمهم الله تعالى: ٱعلم أن كل ميّت مات، فقد قامت قيامته، لكنها قيامة صُغرى.

---

(١) في (أ) كتب كلمة: الساعة، أعلى تلك الكلمة.

(٢) حلية الأولياء ٤/ ٦٣.

(٣) رواه مسلم (٢٨٦٢)، وابن حبان (٧٣٣١).

(٤) «الدر المنثور» تفسير (٦) المطففين.

قال القرطبي: القيامة قيامتان: صُغرى وكُبرى فالصغرى ما تقوم على كُل إنسان في خاصته من خروج روحه، وانقطاع سَعْيه وحُصوله على عمله، والكُبرى: هي التي تعُم الناسَ وتأخُذهُم أخذة واحدة. قال: والدليل على أن كل من مات فقد قامت قيامته، قول المعصوم ﷺ، لقوم من الأعراب سألوه عن الساعة، فنظر إلى أحدث إنسان فقال: «**إن يعيش هٰذا حتى يُدركه الهرم، قامت عليكم ساعتكم**» خرّجه مُسلم[1] وغيره وقال الشاعر:

خرجتُ من الدنيا وقامتْ قيامتي غـداةَ أقَـلَّ الحـامـلـونَ جـنـازتي
وعـجـل أهـلي حـفـر قـبري وصيّروا خُروجي وتعجيلي إليه كرامتي/ ٤٣٦/
(كـأنهـم قَـطُّ لم يـعـرفـوا سيرتي)[2] غـداة أتى يـومـي عـليّ وسـاعـتي

تنبيه: اْختلف العلماء رحمهم الله تعالى، في مقدار مدة الوقوف بالمحشر وذٰلك لورود الآثار في ذٰلك، تقدم قول ابن عُمر وكعب رضي الله عنهم، وقال مكي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ٦] رُوِيَ أن الناس[3] يقومون حتى يُلجمهم العرق، فيقومون مقدار أربعين عامًا.

وأخرجه البيهقي من حديث أبي هُريرة.

وقال ابن مسعود[4]: يمكثون أربعين سنةً رافعين رؤوسهم إلى

---

(١) رواه مسلم (٢٩٥٢) ولفظه: «**لم يدركه الهرم**».
(٢) في (ب) تقديم وتأخير في ألفاظ هذا الشطر، انظر التذكرة ١/ ٣٣٢.
(٣) عن ابن مسعود كما في «الدر المنثور» تفسير آية (٦) المطففين.
(٤) انظر التخريج السابق.

السماء لا يُكلمهم أحد، قد ألجَمَهُم العَرقُ كُلَ بر وفاجر، قال فيُنادِي منادٍ: أليسَ عدلاً من ربكم أنه خلقكم، ثم صوركم، ثم رزقكم، ثم توليتم غيره، إن يولى كل عبد منكم ما تولى في الدنيا فيقولون بلى، وعن أبي هُريرة رضي الله عنه يقومون عاما وقيل مقداره ألف سنة[١].

أخرجَ الطبراني أن ابن عمر رضي الله عنهما، سأل النبي ﷺ، عن ذٰلك فقال له: «**أما مقام الناس بين يدي رب العالمين، فألف سنة، لا يؤذن لهم**»[٢].

وأخرج البيهقي عنه مرفوعًا: «**يمكثون ألف عام في الظلمة، يومَ القيامة، لا يكلمون**»[٣]، وقيل مقدارُهُ خمسون ألف سنة.

أخرجَ الحاكم وصححه والبيهقي عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: تلا رسول الله ﷺ هٰذه الآية: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: الآية ٦] قال: «**كيفَ بكم إذا جَمعكمُ الله كما يُجمعُ النبل في الكنانة، خمسين ألفَ سنة، لا ينظر إليكم**»[٤].

---

(١) الحديث هكذا مبتور ونصه في أبي يعلىٰ (٦٠٢٥) وابن حبان (٧٣٣٣) وفي الدر في تفسير آية (٦) المطففين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «يقوم الناس لرب العالمين مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة يهون ذلك علىٰ المؤمنين، كتدلىٰ الشمس للغروب إلىٰ أن تغرب»، سيأتي في ص٧٥٩ ت(٢).

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٣٧ وقال: رواه الطبراني وفيه هشام بن بلال ولم أعرفه وبقية رجاله وثقو.

(٣) الحديث في مسند الفردوس ٢/ ٦٢ (٢٣٤٨) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٤) رواه الحاكم ٤/ ٦١٦، وأورده الهيثمي ٧/ ١٣٥ وقال رواه الطبراني ورجاله ثقات.

وأخرج الإمام أحمد وأبو يعلى، وابن حبان، والبيهقي بسند حسن عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه، قال: سُئِل رسول الله ﷺ، عن ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] ما طول هٰذا اليوم؟ فقال: «والذي نفسي بيده: **إنَّه ليخفف علىٰ المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصَّلاة المكتوبة، يُصليها في الدُنيا**»(١).

وابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه، ما قدرُ طول يوم القيامة على المؤمن إلا كقدر ما بين الظُهر إلى العصر(٢).

وأخرجَ ابن المبارك والطبراني /٤٣٧/ وابنُ حبانَ عن ابن [عُمرو] رضي الله عنهما مرفوعًا قال: **يُجمعون يومَ القيامة، فيُقالُ أين فقراء هٰذه الأمة ومساكينها؟ فيقومون فيقال لهم: ماذا عملتم؟ فيقولون: رَبَّنا ٱبتليتنا فصبَرْنا ووليت الأموال والسلطان غيرَنا، فيقول الله صَدَقتم، فيدخُلون الجنَّة قبل الأغنياء بزمن، وتبقى شدة الحساب على ذوي الأموال والسلطان**، قالوا: فأين المؤمنون يومئذ قال: **يوضَعُ لهم كراسي من نور ويظَلَّلُ عليهم بالغَمام، ويكون ذٰلك اليوم أقصر على المؤمنين، من ساعة من نهار**(٣).

---

(١) رواه أحمد ٣/ ٧٥، وأبو يعلى ٢/ ٥٢٧ (١٣٩٠)، وابن حبان ١٦/ ٣٢٩ (٧٣٣٤).

(٢) وجاء كما أخرجه ابن جرير عن سعيد الصواف كما بين العصر إلىٰ غروب الشمس (١٧/ ٤٣٥).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» ص: ٢٢٦ (٦٤٣)، وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٣٣٧ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أبي كثير =

فتحصّل لنا سِتَّةُ أقوال في المسألة: أربعون عاما، أو سبعون، أو ألف، أو خمسون ألفًا، أو مائة عام، أو ثلاثمائة، والظاهرُ أن ذٰلك يختلفُ باختلاف الأشخاص على حسب الأعمال، بدليل كونه على المؤمن أخفَّ من الصلاة المكتوبة، واللهُ سبحانه وتعالى أعلم.

لطيفة. سُئل ابن عباس[1] رضي الله عنهما عن يوم القيامة، أمن الدّنيا هُو أم من الآخرة قال: صَدْر ذٰلك اليوم من الدنيا، وآخره من الآخرة، والله الموفّق. وأخرج ابن المبارك عن كعب قال: لو أنّ رَجُلاً كان له مثل عمل سبعين نبيًا لخشي أن لا ينجو من ذٰلك اليوم[2].

وأخرج الإمام أحمد عن عتبة بن عبد قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو أنّ رجُلاً يجُرُ على وجهِه من يوم ولد إلى يوم يموت، هرمًا في مرضاة الله تعالى، لحقَرَّهُ يومَ القيامة»**[3].

وأخرج البيهقي عن قتادة في قوله ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢] قال تشخصُ فيه فلا ترد إليهم ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ عامدين إليه ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ

= الزبيدي، وهو ثقة.

ورواه ابن أبي شيبة ٧/ ١٢٨، وابن المبارك في الزهد (٦٤٣) موقوفًا عن ابن عمرو أيضًا وجاء في الأصل هنا (ابن عمر).

(١) ذكر في «الدر المنثور» في تفسير آية (٢٤) الفرقان عن عكرمة وأيضًا في «تاريخ ابن عساكر» (٤١/ ١٠٠).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» ص: ٥٢ (١٥٩).

(٣) رواه أحمد ٤/ ١٨٥.

وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ [إبراهيم: ٤٣] قال: انتزعت قلوبهم حتى صارت في حناجرهم، لا تخرج من أفواههم، ولا ترجع إلى أماكنها، وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**يَعْرقُ الناس يوم القيامة، حتى يذهبَ عرقُهم في الأرض سبعين ذِراعًا ويلجمهم حتَّى يبلغَ آذانهم**»، وفي بعض ألفاظ الصحيح: «سبعين باعا»[١].

وأخرج مسلمٌ[٢] عن المقداد رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ، يقول: «**إذا كانَ يومُ القيامة أدنيت الشمسُ من العباد، حتى تكونَ قيدَ ميل أو ميلين، قال فتصهرهُم الشمس فيكونون في العرق، كقدر أعمالهم منهم، منْ يأخذه إلى عقبيه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومن يُلجمه إلجاما**».

وفي رواية له «**تُدَنَّى الشمس يومَ القيامة من الخلق، حتى تكونَ منهم كمقدارِ ميل**» قال سُلَيمُ بنُ عامر: واللهِ ما أدري ما يُعنَى بالميل مسافة الأرض؟ أو الميل الذي تكحل به العين؟ قال: «**فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهمُ من يكونُ إلى كعبَيهِ، ومنهم من يكونُ إلى ركبتيه، ومنهم من يكونُ إلى حقويه، ومنهم من يُلجمُه العرقُ إلجامًا**» وأشارَ رسول الله ﷺ إلى فيه.

وأخرج الإمام أحمد والطبراني وابن حبّان في صحيحه،

---

(١) مسلم (٢٨٦٣).

(٢) رواه مسلم (٢٨٦٤)، والترمذي (٢٤٢١)، وأحمد ٦/٣-٤، وابن حبان (٧٣٣٠).

والحاكم، وقال صحيح الإسناد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**تدنو الشمسُ من الأرضِ، فيعرقُ الناس، فمن الناس من يبلغُ عرقَه عقبيه، ومنهم من يبلُغ نِصفَ الساق، ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه، ومنهم مَن يبلغُ إلى العجز، ومنهم من يَبلغُ الخاصِرة، ومنهم من يبلغُ منكبيه، ومنهم من يبلغ عنقه، ومنهم من يبلغ وسط فيه، وأشار بيده ألجَمَها فَاه**»، رأيتُ رسول الله ﷺ يُشير هكذا، «**ومنهم من يُغطيه عرقه**»، وضَرَب بيده وأشار وأمرَّ يده فوقَ رأسه مِنْ غير أن يُصيبَ الرأسَ دوَّرَ راحتهُ يمينًا وشمالاً[١].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: الأرض كُلُّها نارٌ يومَ القِيامة والجَنَّةُ من ورائها كواعِبُها وأكوابُها، والذي نَفْسُ عبدَ الله بيده، إنَّ الرجلَ ليفيضُ عرقا، حتَّى يَسيحَ في الأرض قامته ثم يرتفعَ حتى يبلغَ أنَفَه، وما مسَّهُ الحساب، قالوا: مما ذاك يا أبا عبد الرحمن قال: مما يَرى النَّاس. رواه الطبراني بإسنادٍ جيد قوي[٢].

وعنه مرفوعًا «**إنَّ الرجل ليلجمه العرق يومَ القيامة فيقول: يا رب أرحني ولو إلى النَّار**» رواه الطبراني في الكبير بإسنادٍ جيد وأبو يعلى وابن حبان بلفظ: «**إنَّ الكافرَ ليلجمه العرق**»[٣] الحديث.

---

(١) رواه أحمد ٤/ ١٥٧، وابن حبان (٧٣٢٩)، والطبراني ١٧/ (٨٣٤) و(٨٤٤)، والحاكم ٤/ ٥٧١.

(٢) رواه الطبراني ٩/ ١٥٤ (٨٧٧١).

(٣) رواه الحاكم ٤/ ٦٢٠ وصححه، وأورده الهيثمي ١٠/ ٣٣٦ وقال: رواه البزار وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي هو ضعيف جدًا.

والحاكم عن جابر وصححه بلفظ: «إنَّ العرق ليلزم المرء في الموقف حَتَّى يقول: يا ربِّ إرسالك بي إلى النَّارِ أهون مما أجد وهو يعلم ما فيها من شدةِ العذاب»[(١)].

وعن أبي هُريرةَ رَضِي اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: «يومَ يقومُ النَّاسُ لربِّ العالمينَ مقدارُ نصفِ يوم مِنْ خمسِينَ ألفَ سنةٍ فيهونُ ذٰلك على المؤمنِ كتدلِّي الشمسِ للغروبِ إلَى أن تغربَ»[(٢)] رواه أبو يعلى بإسناد صحيح، وابنُ حبان في صحيحه.

قُلتُ: وهو سابعُ الأقوالِ لأنَّه أفادَ أنَّ مدّةَ الوقوفِ نصفُ يومٍ من خمسين ألف سنة فيكون مقدارُ الوقوفِ خمس وعشرين ألف سنة والله أعلم.

فائدة

قال الحافظ المنذري رحمه الله: قد صَحَّ أنَّ الفقراء يدخلون الجنَّة قبلَ الأغنياءِ بخمسمائة عام انتهى[(٣)]. فيكونون قد سلموا من تلك الأهوالِ الشَّديدة، والأحوال المكيدةِ، وفي ذٰلك مزية للفقر وأهلِه، ففي مسندِ الإمامِ أحمد عن أسامة بنِ زيد رَضِي اللهُ عَنْهُما، عن النبي ﷺ قال: «قمتُ عَلَى بابِ الجنةِ فإذا عامَّةُ من يَدخلهَا الفقراءِ إلا أنَّ أصحابَ الجدِّ أي: الحظِّ والثروةِ والمَالِ محبُوسونَ إلا أهلَ النَّارِ فقد أُمِرَ

---

(١) رواه الحاكم ٤/ ٦٢٠ وصححه، وأورده الهيثمي ١٠/ ٣٣٦ وقال: رواه البزار وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي وهو ضعيف جدًا.

(٢) رواه أبو يعلى (٦٠٢٥)، وابن حبان (٧٣٣٣). وقد مر بنا الحديث ت(١) ص٧٥٤.

(٣) «الترغيب والترهيب» ٤/ ٢١١ .

بِهِمَ إلى النَّار» الحديث متفق عليه(١).

وأخرجَ مسلمٌ عن عبد الله بن عمرو رَضي اللهُ عَنْهُما، عن النبي ﷺ أنَّه قال: «إن فُقراءَ المهَاجرينَ يسبقونَ الأغنياءَ إلى الجنَّةِ بأربعينَ خريفًا»(٢) وروى أبو هريرة، عن النَّبي ﷺ قال: «يدخلُ فقراءُ المؤمنينَ الجنةَ قبلَ أغنيائهمْ بخمسمائةِ عام»، وقال ﷺ: «الفقرُ أزينُ بالمؤمنِ مِن العُذَارِ الحَسَنِ عَلَى خَدِّ الفرسِ»(٣)، وقال ﷺ: «مَا من ذِي غنًى إلاّ سيودُ يومَ القيامةِ لو كانَ إنَّما أوتيَ قُوتًا»(٤)، وقال ﷺ: «يُؤتى بالعبدِ يومَ القيامةِ فيعتذرُ الله عَزَّ وَجلَّ /٤٤٣/ كَمَا يعتذرُ الرجلُ إلى الرجلِ في الدُّنيا، فيقول: وعزَّتي وجلالي ما زَوَيتُ الدُّنيا عنك لهوانِكَ عليَّ ولٰكن لِمَا أعدَدْتُ لَكَ من الكرامةِ، اُخرجْ يا عبدِي إلى هٰذه الصُّفوفِ فمن أطعَمكَ، أو كساكَ يريدُ بذٰلك وجهي فخُذ بيدِهِ فهُوَ لَكَ». ذكر ذٰلك جميعَه الإمامُ ابن الجوزي في «التبصرة». [وقال فيها: قيل لموسى عليه السلام: إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل: مرحبًا شعار الصالحين](٥).

---

(١) رواه أحمد ٥/ ٢٠٩، والبخاري (٥١٩٦) و(٦٥٤٧)، ومسلم (٢٧٣٦)، وابن حبان (٦٧٥).

(٢) رواه أحمد ٢/ ٦٩ (٦٥٧٨)، ومسلم (٢٩٧٩)، وابن حبان (٦٧٧)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٤٥٥).

(٣) رواه هناد في «الزهد» (٥٨٨)، والطبراني في الكبير ٧/ (٧١٨١).

(٤) رواه أحمد ٣/ ١١٧ و١٦٧، وهناد في «الزهد» (٥٩٦)، وأبو يعلى (٣٧١٣) و(٤٣٣٩) و(٤٣٤١)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٣٧٨)، وأبو نعيم ١٠/ ٦٩ وإسناده ضعيف جدًا.

(٥) ما بين معقوفتين من (ب).

وأخرج ابن أبي الدُّنيا، والطبراني من طرقٍ أحدها صحيح واللفظ له، والحاكم، وقال صحيح الإسنادِ عن عبد الله بن مسعود رَضِي اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**يجمعُ الله الأوّلينَ، والآخرين لميقَاتِ يومٍ معلوم قيامًا أربعينَ سنة، شاخصة أبصارهم ينتظرون فصل القضاء..**» قال: «**وينزل عَزَّ وَجَلَّ**» أي: نزولاً يليق بذاته المقدسة عن الشبيه، والمثيل.

فمذهبُ أهل الحق التسليمُ بما أخبرَ، لا كما يخطر للبشر، ومرور نحو هٰذا كما جاء من غيرِ تشبيه، ولا تعطيل، ولا تأويل، ولا تمثيل. كما قال شيخُ الإسلامِ قدَّسَ الله رُوحَه: إثباتٌ بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل فالمشبه يعبد صنمًا، والمعطل يعبد عدمًا. انتهى.

...في ظللٍ من الغمام من العرش إلى الكرسي، ثم ينادي منادياً أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم، ورزقكم، وأمركم أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئا أنْ يولي كل أُناسٍ منكم ما كانوا يعبدون في الدنيا أليس ذٰلك عدلاً من ربكم؟ قالوا: بلى، فينطلق كلُّ قوم إلى ما كانوا يعبدون، ويتولون في الدنيا قال: فينطلقون، ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون فمنهم من ينطلق إلى الشمس، ومنهم من ينطلق إلى القمر، والأوثان مِن الحجارة، وأشباه ما كانوا يعبدون.

قال: ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطانٌ، ولمن كان يعبد عزيرا شيطانٌ، ويبقى محمد ﷺ وأمّته فيتمثل لهم الربُّ تبارك وتعالى فيأتيهم فيقول: ما لكم لا تنطلقون كما انطلق النَّاس؟ قال: فيقُولون: إنّ لنا إلها ما رأيناه فيقول: هل تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: إن بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناه قال/ ٤٤٤/ : فيقول: ما هي؟ فيقولون:

يكشف عَن سَاقه، فعند ذٰلك يكشف عن ساقه، فيخر كل من كانَ يسجد للهِ في الدُّنيا، ويبقى قومٌ ظهورهم كصياصي أي: قرون البقرِ يريدونَ السجودَ فلا يستطيعون، وقد كانوا يُدعُون إلى السجودِ وهم سَالمون، ثم يقول: اَرفعوا رءوسكم، فيرفعون رءوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم» الحديث[١].

وأخرجَ الإمامُ أحمد، والطبراني بسند جيد عن أنسٍ رَضِي اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أَنَّه قال: «لَمْ يلق ابن آدمَ شيئًا مُنذ خَلقهُ اَلله أشد عليه من الموتِ، ثم إنَّ الموت أهونُ عليهِ مما بعده وإنهم ليلقون من هولِ ذٰلك اليوم شدة حَتَّى يلجمهم العرق حَتَّى إنَّ السفنَ لو أجريت فيه لجرت»[٢].

وأخرجَ الشيخان عن أبي هريرة رَضِي اللهُ عَنْهُ، عن النّبي ﷺ أَنَّه قال: «سَبعة يظلهم الله في ظله يَوم لا ظَل إلا ظله إمام عادل، وشاب نشأ في عبادةِ الله، ورجل قلبه مُعَلقٌ بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اَجتمعا على ذٰلك، وتفرقا عليه، ورجل دعته اَمرأة ذات منصب وجَمال فقال: إنّي أخافُ الله، ورجل تصَدق بِصَدَقَةٍ فأخفاها حَتَّى لا تعلم

---

(١) رواه الطبراني ٩/ (٩٧٦٣) و(٩٧٦٤)، والشاشي (٤١٠)، واللالكائي (٨٤٢) مطولاً، والحاكم ٢/ ٣٧٦-٣٧٧ وصححه، ووافقه الذهبي، وأورده الهيثمي ١٠/ ٣٤٠ وقال: رواه كله الطبراني من طرق ورجال أحدها رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني وهو ثقة.

(٢) رواه أحمد ٣/ ١٥٤ بأوله، والطبراني في الأوسط (١٩٧٦) بلفظه، وأورده الهيثمي ١٠/ ٣٣٤ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده جيد ورواه أحمد باختصار.

شمالُه ما أنفقت يمينه، ورجل ذكرَ اللهَ خَاليًا ففاضت عيناه»[١]. وقد نظم بعضهم هٰذا وأحسنَ فقال:

رَوينا حديثًا في الصحيحينِ سَبْعَةٌ ... يُظِلّهم المولى بخيرِ ظلالِ
إمامٌ له عدل وَمَنْ في عبادة ... نشأ بالتُّقَى للهِ لا بضلالِ
وَمَن قلبُه يهْوَى المساجدَ دائمًا ... تَعَلُّقُه فيها بغير زوالِ
وشخصانِ في اللهِ الكريمِ تَحابَبا ... بحالِ افتراق منهما ووصالِ
ومتصدقٌ أخفى التصدقَ لم يكن ... بما أنفقتْ يمناهُ علم شمالِ
وإنّي أخافُ اللهَ من قال عندما ... دعتْ ذات مالٍ منصب وجمال
ومن ذكر الربَّ المهيمن خَاليًا ... ففاضت به عيناه خوفَ نكال
فأكرم بهم مِنْ سبعة طيب الثنا ... وأكرم بهم في القومِ سبع خصال[٢] / ٤٤٥/

وأخرجَ الإمام أحمد، والحاكم عن سهل بن حنيف مرفوعًا: «**مَنْ أعانَ مجاهدًا في سبيل الله، أو غارمًا في عسرته، أو مكاتبًا في رقبته أظلَّه الله يومَ لا ظل إلا ظله**»[٣]. وأخرج الطبراني عن جابرٍ رَضِي اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: «**مَن أطْعم الجائعَ حَتَّى يشبع أظله الله تحت ظلِ**

---

(١) رواه أحمد ٢/ ٤٣٩، والبخاري (٦٦٠) و(١٤٢٣) و(٦٤٧٩) و(٦٨٠٦)، ومسلم (١٠٣١)، والترمذي (٢٣٩١)، والنسائي ٨/ ٢٢٢، وابن خزيمة (٣٥٨)، وابن حبان (٤٤٨٦).

(٢) هذه الأبيات للشيخ عفيف الدين اليافعي. انظر: «الازدهار فيما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار» للسيوطي ١/ ٧٧-٧٨ .

(٣) رواه أحمد ٣/ ٤٨٧، وابن أبي شيبة ٤/ ٢٣٠، والحاكم ٢/ ٩٩ و٢٣٦، والطبراني (٥٥٩٠) و(٥٥٩١)، والبيهقي ١٠/ ٣٢٠.

عرشِهِ»[١] وفي الحديث: «من أنظر معسرًا أظله الله يومَ القيامة»[٢]. أو كما قال، وفي حديث جابر عند الطبراني مرفوعًا: «**من كفل يتيمًا، أو أرملة أظلّه اللهُ في ظله يوم القيامة**»[٣].

وأخرج الطبراني، وابنُ عدي، والأصبهاني عن أبي هريرةَ مرفوعًا: «**أوحى اللهُ إلى إبراهيم الخليل عليه السلام: يا خلِيلي حَسُنَ خُلُقَكَ ولو مع الكفارِ تَدْخُلْ منازِلَ الأبرارِ، وإنّ كلمتي سبقتْ لمن حَسُنَ خُلُقُهُ أن أُظِلَّه تحت عرشي، وأن أسقيه من حظيرةِ قدسي وأدنيه في جَوَارِي**»[٤].

وأخرجَ الإمامُ أحمد، والبيهقي عن عائشةَ رَضي اللهُ عَنْها مرفوعًا: «**أتدرون مَن السَّابِقُون إلى ظلِّ الله يومَ القيامة؟ الَذينَ إذا أعطوا الحق قبلوه، ويحكمون للنَّاس حكمهم لأنفسهم**»[٥].

وفي الحديث: «**الحزين يعني: في الدنيا في ظل اللهِ**»[٦] قُلْتُ والمراد الحزين من أجل الله لأن قلبَه محزونٌ، ولبه خاضع لجلالِ الله،

---

(١) رواه الطبراني في «مكارم الأخلاق» (١٦٤).

(٢) رواه مسلم ٤/ ٢٣٠٢ (٣٠٠٦).

(٣)رواه الطبراني في الأوسط (٩٢٩٢) بإسناد ضعيف.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٦٥٠٦)، والرافعي في التدوين ٢/ ٣٣١، وأورده الهيثمي ٨/ ٢١ وقال: فيه مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي وهو ضعيف

(٥) رواه أحمد ٦/ ٦٧ و٦٩، وأبو نعيم في الحلية ١/ ١٦ و٢/ ١٨٧، والبيهقي في الشعب ٧/ (١١١٣٩)، وهو حسن بطرقه.

(٦) رواه الطبراني في الأوسط (٩٢٩٢) بإسناد ضعيف

وعظمته، وأما المحزون على الدُّنيا فهو ساخطٌ على الله لأنّه غيرُ راضٍ بما قسم له فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يرضينا بقضائه فإنّ العبدَ ليس له حيلة في دفعِ القضاء إلا التسليم والرضى ولي في المعنى

مـا لي عـلى مُـرِّ الـقَـضَـا مـن حَـيـلَـةٍ غَـيرُ الـرِّضَـا
أنـا في الهـوى عـبـدٌ ومـا لـلـعـبـدِ أنْ يـتـعـرضـا

فنسأل الله الرِّضاء بالقضاء.

وفي الحديث: **«ثلاثة في ظلّ العرشِ: واصل الرحم يزيدُ الله في رزقه، ويمد في أجله، وامرأة مات زوجها وترك عليها أيتامًا صغارًا فقالت: لا أتزوج أقيم على أيتامي حَتَّى يموتوا، أو يغنيهم، وعبد صَنع طعامًا فأضاف ضيفه، وأحسن نفقته فدعا عليه اليتيم، والمسكين فأطعمه»**[(١)].

وأخرج الطبراني، والدّيلمي عن أبي أمامةَ/ ٤٤٦/ رَضِي اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: **«ثلاثة في ظلِّ اللهِ يومَ القيامة رجل حيث توجه علم أنَ الله تعالى [معه]**[(٢)]**، ورجل دعته امرأة إلى نفسِها فتركها مِنْ خشيةِ الله، ورجل يحب الناس لجلالِ الله»**[(٣)]. وأخرج الديلمي عن عليّ كرّم اللهُ وجهه مرفوعًا: **«حَمَلَةُ القُرْآنِ في ظلّ اللهِ يومَ لا ظلَّ إلاّ ظِلُّه مع أنبيائه وأصفيائه»**[(٤)].

---

(١) رواه الديلمي كما في مسند الفردوس ٢/ (٢٥٢٦) من حديث أنس كنز العمال (٤٣٢٤٣).

(٢) ساقطة من (أ).

(٣) رواه الطبراني في الكبير ٨/ (٧٩٣٥) وفي إسناده بشر بن نمير: متروك.

(٤) ذكره العجلوني في كشف الخفاء ١/ ٧٦ (١٧٤) وقال: رواه أبو النصر عبد الكريم بن محمد الشيرازي في فوائده وابن النجار في تاريخه عن علي رفعه قال المناوي: ضعيف.

وأخرج الأصبهاني، والديلمي عن أنس مرفوعًا: «التاجر الصدوق تحت ظلِّ العرشِ يومَ القيامة»[١] والديلمي، وابن شاهين، عن عمرَ ابن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: «يصيح صائح يومَ القيامة أينَ الذين عادوا المرضى في الدنيا؟ فيجلسون على منابر من نور يُحدثون الله والنَّاس في الحساب»[٢].

والطبراني عن أبي أمامةَ مرفوعًا: «بشر المدلجين في الظلم بمنابر من نورٍ يومَ القيامة يفزع النّاسُ ولا يفزعون»[٣].

ومسلم عن ابن عمرَ مرفوعًا: «إنّ المقسطينَ عند اللهِ يوم القيامة على منابر من نورٍ عن يمينِ العرشِ هم الذين يعدلون في حكمهم، وأهلهم، وما وَلُوا»[٤] وعنده عن أبي هريرةَ مرفوعًا: «يقول اللهُ يومَ القيامة أينَ المُتحابونَ لجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يومَ لا ظلَّ إلا ظلي»[٥].

---

(١) أخرجه الأصبهاني في ترغيبه (٧٩٤) كما في تحفة الأحوذي ٤/ ٣٣٦.

(٢) الفردوس ٥/ ٤٨٦ (٨٨١١).

(٣) رواه الطبراني في الكبير ٨/(٧٦٣٣) و٨/(٨١٢٥) وفي مسند الشاميين ٢/ ١٢٣، وأورده الهيثمي ٢/ ٣١ وقال: رواه الطبراني في «الكبير» وفيه سلمة العبسي عن رجل من أهل بيته ولم أجد من ذكرهما.

(٤) صحيح مسلم (١٨٢٧).

(٥) صحيح مسلم (٢٥٦٦)، وهو عند الإمام أحمد ٢/ ٢٣٧ و٣٣٨ و٣٧٠ و٥٢٣ و٥٣٥

والإمام أحمد، وابن حبان، والترمذي عن معاذ بن جبل رَضِي اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**المتحابونَ في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظلّ إلا ظلّه يغبطهم بمكانِهم النَّبيون، والشُّهداء**»[(١)].

وفي مرفوع ابن عمر: «**إذا كانَ يوم القيامة وضعت منابر من نورٍ عليها قباب مِن در، ثمّ ينادي منادٍ أين الفقهاء؟ وأينَ الأئمة، والمؤذنون؟ اْجلسوا على هٰذه فلا روعَ عليكم، ولا خوفَ حَتَّى يفرغ الله فيما بينه وبين العبادِ من الحساب**»[(٢)].

وأخرج الطبراني، وأبو نعيم عن ابن عمر مرفوعًا: «**إنّ لله عبادًا اْختصهم لقضاء حَوائج النّاس، وآلى اللهُ على نفسه أنْ لا يعذبهم بالنَّار، فإذا كان يوم القيامة أجلسوا على منابر منْ نورٍ يحادثون اللهَ، والنَّاس في الحسابِ**»[(٣)].

تنبيه: قال صاحبُ /٤٤٧/ «مطامح الأفهام» إِظْلاَلُ اللهِ لهم عبارةٌ عن أنَّه سبحانَهُ يقيهم أهوالَ المحشر، ويعصمهم من حَر الشّمسِ

---

(١) رواه أحمد ٥/ ٢٣٩ وابنه عبد الله في ٥/ ٣٢٨، والترمذي (٢٣٩٠)، وابن حبان (٥٧٧)، والطبراني ٢٠/ (١٤٤-١٥١).

(٢) ذكره الديلمي في «الفردوس» ١/ ٢٥٤-٢٥٥ (٩٧٨).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية ٣/ ٢٢٥ بإسناد ضعيف جدًا، وهو في فيض القدير ٢/ ٤٧٧، وعزاه للطبراني وقال الهيثمي فيه شخص ضعيف، وله شاهد ضعيف جدًا لا يقوى به، وأورده الألباني في الضعيفة (٣١٩٦) وهو في الروض البسام (١٢٨٤) وانظر تعليق المصنف عليه في الروض.

حينئذ، ويحميهم من شدة العطشِ الذي يصيبُ الخلقَ يومئذَ، والله أعلم[١].

(١) يترك علىٰ ظاهره كما أفادني بذلك الشيخ صالح الفوزان نقلًا عن الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

فصلٌ في
الشفاعة العظمى

قال شيخُ الإسلام في الواسطية: وللنّبي ﷺ ثلاثُ شفاعات. أمّا الشفاعة الأولى: فيشفع في أهل الْموقفِ حَتَّى يقضي بينهم بعد أنْ يتراجع الأنبياء آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم الصلاة والسلام حتَّى تنتهي إليه ﷺ كما يأتي.

والثانية: فيشفع في أهلِ الجنّة أنْ يدخلوا الجنة، فهاتان خاصتان له ﷺ.

الثالثة: يشفَع فيمن ٱستحق النَّارَ وهٰذه الشفاعة له ولسائر النّبينَ، والصديقين، وغيرهم مِن عِبادِ اللهِ الصالحين، فيشفع فيمن ٱستحق النار أنْ لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرجَ منها[1]، وبعضهم أوصلَ الشفاعات المختص بها ﷺ إلى عشر، والله أعلم.

وقد مرّ مقدارُ الوقوفِ، وأنّ الشمسَ تدنو من رءوسِ الخلائقِ مقدار ميل، وما يصيبهم من العرقِ من شدة الهولِ، وعظم حر الشمس يومئذ، وقد قالَ بعضُ السلفِ: لو طلعت الشمسُ على الأرض كهيئتها يوم القيامة لأحْرقت الأرضَ، وأذابت الجوامد، ونشفت الأنهار، فإذا حصل ذٰلك الكربُ العظيم، والبلاء الجسيم

(١) «شرح العقيدة الواسطية» ٢/ ٥٨٣-٥٨٩ .

لجميع الخلقِ من إنسٍ، وجن، ووحْش، وطير، والعقول قد ذهلت، وطال مقامهم، واشتد زحامُهم، وسكبت العبرات، وذهبت الإشارات احتاجوا لشفاعةِ سيد العالمِ، وصفوةِ بني آدمَ، وهي الشفاعة الكبرى التي وعده بها أرحم الراحمينَ وهي تعم الخلائقَ أجمعين، وتنقذهم من طُول الوقوفِ، وشدةِ الحر والزحمة في تلك الصفوفِ، ومن الفزع من ذٰلك اليوم، والقلق، وعظم العطشِ، وكثرة العرقِ، وهي المشارُ إليها في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] قاله جماعةٌ من علماء التفسيرِ، بل زَعم الواحدي أنّه قد أجمعَ المفسرونَ على أنه مقام الشفاعة[١]، وثَمَّ نزاع طويل لسنا بصدد بيانه إذا علمت ذٰلك فقد أخرجَ البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أبي هريرةَ رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: أُتِيَ رسول اللهِ ﷺ بلحم، فرفعَ إليه الذّراع، وكانتْ تعجبه فنهشَ مِنها نهشةً ثمَّ قَال: «**أنا سيدُ النَّاسِ يومَ القيامةِ، وهل تدرونَ مِم ذاك؟ يجمع اللهُ الأولينَ، والآخرينَ في صعيدٍ واحدٍ فيبصرهم النَّاظر، ويسمعهم الدّاعي، وتَدْنو منهم الشَّمسُ فيبلغ الناس مِن الغم، والكربِ ما لا يطيقون، وما لا يحتملون.**

فيقول بعضُ النّاس لبعض: ألا ترون ما أنْتم فِيه، وما بلغكم؟ ألا تنْظرون إلى مَنْ يشفع لكم إلى ربّكم؟ فيقول بعضُ الناس لبعض:

---

(١) تفسير الواحدي ٢/ ٦٤٤ .

أبوكم آدم، فيأتُونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خَلقكَ اللهُ بيده، ونفخَ فيك مِن روحِه، وأمرَ الملائكةَ فسجدوا لك، وأسْكنكَ الجنّة ألا تشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، وما بلغنا؟ فقال - وفي بعضها فيقول -: إنَّ ربِّي غضبَ اليوم غضبًا لم يغضبْ قبلَه مثله، ولنْ يغضب بعده مثله، وإنّه نهاني عن الشجرةِ، فعصيته نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح.

فيأتونَ نوحًا فيقولون: يا نُوح: أنت أوّلُ الرسل إلى أهلِ الأرضِ، وقدْ سماك اللهُ عَبْدًا شكورا ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول: إنَّ ربي غضبَ اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضبَ بعده مثله، وإنه كان لي دعوة دعوتُ بها على قومي نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتونَ إبراهيمَ فيقولون: أنت نبي اللهِ وخليله مِن أهلِ الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إنَّ ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني كنت كذبتُ ثلاثَ كذبات فذكرها نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنتَ رسولُ اللهِ فضلك اللهُ برسالاتِه/ ٤٤٩/ ، وبكلامه على النّاسِ اشفع لنا إلى ربكَ ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلتُ نفسًا لم أؤمر

بقتلِها نفسي نفسي، اَذهبوا إلى غيري اَذهبوا إلى عيسى.

فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسولُ اللهِ، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وكلمتَ الناسَ في المهدِ اَشفعْ لنا إلى ربّك ألا ترى إلى ما نحنُ فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول عيسى: إنّ ربي قد غضب اليوم غضبًا لمْ يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبًا نفسي نفسي، اَذهبوا إلى غيري اَذهبوا إلى محمد.

فيأتوني فيقولون: يا محمد، أنْتَ رسُولُ اللهِ، وخَاتمُ الأنبياء، وقد غفرَ اللهُ لكَ ما تقدَّمَ مِنْ ذنبك، وما تأخر اَشفعْ لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق فآتي تحت العرشِ فأخرُّ ساجدًا لربي، ثم يفتح اللهُ علي من محامدِه، وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد اَرفع رأسَك سلْ تعطى، واشفعْ تشفعْ، فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب فيقال: يا محمد أدخِل مِن أمّتك مَنْ لا حساب عليهم من البابِ الأيمن من أبواب الجنّة، وهم شركاءُ النَّاسِ فيما سوى ذٰلك مِن الأبوابِ، ثُمَّ قَال: والذي نفسي بيده إنَّ ما بين المصراعينِ من مصاريعِ الجنةِ كما بين مكة وهجر، وكما بين مكّة وبُصرَى»[1].

تنبيهان الأول: قول إبراهيم عليه السلام: «وإنّي كذبتُ ثلاث كذباتٍ ليست هي في نفسِ الأمرِ كذبات، ولٰكن حسناتُ الأبرارِ

---

(١) رواه البخاري (٣٣٤٠) و(٣٣٦١) و(٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤)، وأحمد ٢/ ٤٣٥-٤٣٦، والترمذي (٢٤٣٤)، وابن حبان (٦٤٦٥).

سيئاتُ المقربين، ومن ثمّ جاء في بعض الروايات: والله ما جادل بهنَّ إلا عن دين اللهِ هي قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾[1] وقوله: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ وقوله لامرأته حين مرّ على الملك: هي أختي، وهٰذه ليستْ بكذبات وإنَّما هي صور يخيل لمن لم يمعن النَّظرَ في ذٰلك أنهَا كذبات، وإلا فقوله: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ إنَّما هو تنبيه لهم لعلهم أنْ يعلموا أنّ ذٰلك الصنم لا يفعلُ شيئًا وإذا جَزَمَتْ عقولهم أنه لا قدرةَ له على فعلِ شيء بطل أن يكونَ /٤٥٠/ ربًّا يُعْبَدُ بالضرورة فقال سيّدُنا الخليل لهم إنَّ الكبيرَ غضبَ على الصّغار لكوْنها تُعبدُ معه، وذٰلك ليعتبروا أنّ المعبودَ بحقٍ يغضبُ بعبادةِ غيره مما لا يملك لنفسهِ ضرًا ولا نفعًا، وتأمّل قولَه ﷺ: «فاسألوهم» كما أنه يقول لهم: أنْتم

---

(١) قال السجاوندي رحمنا الله وإياه في علل الوقوف (٢/ ٧٠٧): قد قيل على تأويل فعله من فعله وفيه بعد بل هو تعريض علىٰ أنه ممكن تعليقه بقوله ﴿إن كانوا ينطقون﴾ علىٰ التقديم، وتأخير قوله فاسألوهم.

وقال الأشموني في «المنار» (٢٥٠) حيث قال: ﴿قال بل فعله﴾ تام، أي فعله من فعله، أبهم إبراهيم عليه السلام الفاعل تعريضًا للمعنىٰ المقصود الذي أراده، فرارًا من الوقوع في الكذب فهو منقطع عما بعده لفظًا ومعنىٰ، فهو تام، قاله الكسائي، وقوله: ﴿كبيرهم هٰذا﴾ جملة من مبتدأ وخبر، استئنافية لا تعلق لها بما قبلها، أو هي بأن هٰذا الصنم المشار إليه أكبر الأصنام، وهٰذا صدق محض، بخلاف ما لو جعل ﴿كبيرهم﴾ فاعلًا بفعله فإنه يحتاج إلىٰ تأويل ذكروه، وهو حسن، لأنه من المعاريض، قال رسول الله ﷺ: «إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب» ومن جوز الكذب في إبطال باطل وإحقاق حق فهو حسن جائز بالإجماع. ا.هـ

في غرور بعبادتِكم مَنْ لا يدفع عن نفسِه، ولا قدرة له على النطق ليخبركم عَمّن فعلَ به ما فعل، ويا سبحانَ اللهِ إذا كانَ لا يدفع البأسَ عن نفسِه فكيف يدفعه عن غيره؟! على أنّ الكسائي قرأ ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ﴾ ، ووقف على ﴿فَعَلَهُۥ﴾، ثم قال: ﴿كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ أي: فعله من فعله، وأنت خبير أن الوجه في القراءةِ الأولى والله أعلم.

وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ إنما أرادَ الفرارَ من حضورِ عيدهم، ومناكرهم، وعكوفهم على الأصنام، ولو قيل: إن سيدَنا الخليل لمَّا نظر نظرةً في النّجوم فقال: أيُّها الملكُ الكريمُ أنت بحالي عليم، فهٰؤلاء عبادك ضلُّوا، وأضلُّوا، وعكفوا على أصنامهم، وولوا وما منهم ذو فطنةٍ ولب سليم، وأنا لا أقدرُ على منعهم من عبادةِ الأصنام فإنيِّ سقيم لكان له وجهٌ والله الموفق.

وقوله عليه السلام: لمّا أتاه أعوان ذٰلك الملك، وكان عادته إذا أعجبته ٱمرأة إنْ كانتْ ذات بعلٍ قتلهُ وأخذها، وإنْ لم تكن ذات بعل أخذها فقالوا: لإبراهيم: ما تكون هٰذه لك؟ فقال: «هي أختي» وقد صَدَقَ فإنَّها أختُه في الإسلام.

وقال البغوي: هٰذه تأويلاتٌ لا حاجة إليها إذ يجوز أن يكونَ اللهُ أذنَ لهُ في ذٰلك لقصدِ الصَّلاح، وتوبيخهم، والاحتجاج عليهم كما أذن ليوسفَ عليه السلام في قصةِ الصواع ولسنا بصدد تحرير هٰذا المقام وفي هٰذه الإشارة ما يفصح عن المرادِ والله أعلم[1].

---

(١) «تفسير البغوي» ٥/ ٣٢٥ .

التنبيه الثاني: زعمَ الغزالي في «الدُّرةِ الفاخرةِ» أنَّ بين إتيانِ أهل الموقفِ آدم، وإتيانهم نوحًا ألف سنة، وكذلك كل نبي بينه وبين الذي يليه ألف سنة، وهٰذا باطلٌ ومن ثَمّ قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: لم أقف لذٰلك على أصلٍ قال: وقد أكثر في هٰذا الكتابِ من إيرادِ أحاديث /٤٥١/ لا أصول لها فلا يغتر بشيء منها. ٱنتهى[1].

وفي حديث أبي هُريرةَ رَضِي اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: «ثم يأتوني فإذا جاؤني خرجتُ حَتَّى آتي قدامَ العرشِ فأخرُّ ساجدًا فلا أزالُ ساجدًا حَتَّى يبعثَ اللهُ مَلَكًا فيأخذ بعضدي فيرفعني فيقول اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أنتَ محمد؟ فأقول: نعم وهو أعلم، فيقول: ما شَأنك؟ فأقول: يا رب وعدتني الشفاعةَ فشفعني في خلقَكَ، واقض بينهم قال: فيقول: قد شفّعْتك أئتهم، واقض بينهم.

قال ﷺ: فأنصرف حَتَّى أقف مع النَّاسِ فبينما نحنُ وقوفٌ، إذْ سمعْنا حسًا من السّماء شدِيدًا فهالنا، فنزل أهلُ سماء الدنيا بمثلِ من في الأرضِ من الجِن والإنس حَتَّى إذَا دَنوا مِن الأرضِ أشرَقت الأَرضُ لنورِهم، فأخذوا مصافهم فقلنا: أفِيكم ربنا؟ فقالوا: لا وهو آت.

ثم ينزلُ أهلُ السمواتِ على قدرِ ذٰلك التضعيف حَتَّى ينزل الجبارُ في ظللٍ من الغمامِ والملائكةِ ولهم زجل من تسبيحهم يقولون: سبحانَ المَلِك ذي المَلَكوتِ ربِّ العرشِ والجبروت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يميت الخلائقَ ولا يموت، سبوح قدوس رب

(١) «الفتح» ١١/ ٤٣٤ .

الملائكةِ والروح قدوس قدوس، سبحانَ ربِّنا الأعلى سبحان ذي الجبروتِ والْملكوت والكِبرِياء والسلطان والعظمة سبحانه أبدًا أبدًا.

فنزل جلَّ ذكره، ويحمل عرشَه (ثمانية)[1] وهم الآن أربعة أقدامهم على تخومِ الأرض السفلى والسموات في حجرهم والعرش على مناكبهم، فيضع الله جَلَّ ذكره كرسيه حيث شاء من الأرضِ، ثم ينادي نداء يسمعه الخلائق: يا معشرَ الجنِّ والإنْسِ إنِّي أنصتُ منذُ خلقتكم إلى يومِكم هٰذا أسمعُ كلامَكم، وأبصرُ أعمالكم فأنْصتوا لي فإنّما هي صحائفكم، وأعمالكم تقرأ عليكم فمن وَجَدَ خيرًا فليحمد اللهَ ومَنْ وجد غيرَ ذٰلك فلا يلومنَّ إلاَّ نفسه»[2].

تنبيه: أوردَ الفخرُ على نزول الملائكةِ سؤالاً وهو أنّه قد ثبت أنّ الأرضَ بالقياس إلى السماءِ كحلقةٍ في فلاةٍ من الأرضِ فكيفَ بالقياسِ إلى العرشِ، /٤٥٢/ والكرسي فملائكة هٰذه المواضع بأسرِها أين يسعها؟ وأجاب بعضُ المفسرينَ عن ذٰلك بأنَّ الملائكةَ تكونُ في الغمام انتهى.

قُلْتُ: يرد أنَّ الكرسي يضعه اللهُ جلَّ ذكره حيث شاء من الأرضِ مع أنَّ السموات السبع، والأرضين السبع بالنسبةِ إليه كحلقة ملقاة في فلاة فالأحسن في الجواب ما أجابَ به العلامة أنَّ اللهَ تعالى

---

(١) في (ب): (ثمانية يومئذ).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢/ ٣٣٠، وأبو الشيخ في العظمة ٣/ ٨٢٩، وإسحاق بن راهويه في مسنده ١/ ٨٩.

يزيدُ في سعةِ الأرض كيْفَ شاء إذ هو على كلِّ شيءٍ قدير، وأمره بينَ الكافِ والنُّون ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ والله سبحانَهُ وتعالى أعلم.

ثُمَّ يؤتى بالجنةِ والنَّارِ إلى المحشرِ كما قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الشعراء: ٩٠-٩١] ومعنى أُزلفت: قربت من المحشرِ حَتَّى يراها كلُّ أحدٍ مِنْ أهلِ المحشرِ، وبروز النَّارِ: ظهورها في المحشر وانكشافها، وعندَ ذٰلك يكون الفزع الأكبر لأنَّ اللهَ تعالى يأمر بالْجَنَّةِ فتزخرف، وتزلف، ويؤتى بهَا، ولها نسِيم طيب أعبق ما يكون فيوجد ريحها من مسيرةِ خمسمائة عام كما يأتي، فترد النّفوس، وتحيى القلوب إلاَّ مَنْ كانتْ أعمالهم خبيثة، فيمنعون ريحها، فتوضع عن يمينِ العرشِ.

ثمَّ يُؤْمَرُ بإتيان النَّارِ فيؤتى بها تُقَاد بسبْعين ألف زمام في كلِّ زمامٍ سَبْعون ألف حلقة لو جُمِعَ حديدُ الدّنيا كله ما عدل منها حلقة واحدة، ولها شهيقٌ وزفير ورعد وشرر ودخان يفور حَتَّى يسد الأُفق ظلمته، وتنفلت من أيدي الخزنةِ ولم يقدر على إمساكها أحدٌ لِعظم شأنها حَتَّى يجثو كلُّ من بالموقفِ على ركبتيه حَتَّى المرسلين، ويتعلق إبراهيمُ، وموسى، وعيسى بالعرشِ، وكل منهم يقولُ: نَفْسي نفسي.

وفي تفسير الثعلبي عن أبي سعيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لمّا نزلتْ ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣] تغيرَ لونُه ﷺ، وعرف ذٰلك في وجهه حَتَّى اشتد على أصحابه ثمّ قال: **أقرأني جبريل** ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ

ﭐلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴿٢١﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾ [الفجر: ٢١ - ٢٣] قِيل له: كيفَ يُجاء بها؟ قال: «يجيءُ بها سَبعُون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام فتشرد شردةً لو تُرِكتْ لأحرقتْ أهل الجمعِ، ثمّ أتعرض لجهنم فتقول: مالي ومالك يا محمد فقدْ حرَّمَ اللهُ لحمكَ عَلَيَّ فلا يَبْقى أحدٌ إلا قالَ: نفسي نفسي، وإنَّ محمدًا ﷺ يقول: يا رب أمَّتِي أمَّتِي» أخرَجه ابن أبي حاتم؛ قال الحافظ ابن رجب في كتابِه «صفة النَّارِ»: وفيه الوَصَّافي شيخ صالح لا يحفظ الحديثَ فكثرت المناكيرُ في حدِيثه[1].

وأخرجَ مسلمٌ عن عبدِ الله بنِ مسعود رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «يؤتى بجهنم لها سبعون ألفَ زمام مع كلِّ زمامٍ سبعون ألف ملك يجرونها». قال الحافظ ابن رجب في كتابه «صفةَ النار»: وخرَّجه الترمذيُّ مَوقوفًا على ابن مسعود، ورجح وقفَه العقيلي، والدارقطني[2].

وأخْرجَ أبو يعلى عن أبي سعيدِ الخدري مرفوعًا: «إذا جمع اللهُ النَّاسَ في صعيدٍ واحد يومَ القيامة أقبلت النَّارُ يركب بعضُها بعضا، وخزنتها يكفونها، وهي تقول: وعزة ربي ليخلين بيني وبين أزْواجي، أو لأغشين النَّاس عنقا واحدًا، فيقال: مَنْ أزواجك؟ فتقول: كل

---

(١) التخويف من النار ص١٦٣، وأورده القرطبي في تفسيره ٢٠/ ٥٥.

(٢) رواه مسلم (٢٨٤٢)، والترمذي (٢٥٧٣)، والبزار (١٧٥٤)، والعقيلي ٣/ ٣٤٤.

متكبرٍ جبار»[١].

وأخرجَ الإمامُ أحمد، والترمذي عن أبي هريرةَ مرفوعًا: «يخرج عنق من النارِ يوم القيامةِ لها عينان يبصران، وأذنان يسمعان، ولسان ينطق تقول: إنِّي وُكِّلْتُ بثلاثةٍ بكل جبارٍ عنيد، وبكلِّ مَنْ دعا مع اللهِ إلهًا آخر، وبالمصورين»[٢]. قال الحافظ ابن رجب: صححه الترمذي. وفي رواية عند الإمام أحمد: «ومن قتلَ نفسًا بغير نفسٍ» بدل: «المصورين»، وعند البزار «خرج عنق مِن النَّارِ يتكلم بلسان طلق ذلق لها عينان يبصران، ولها لسان يتكلم فتقول: إنِّي أُمِرت بمن جَعَلَ مع اللهِ إلهًا آخر، وبكل جبارٍ، وبمن قتلَ نفسًا بغير نفسٍ، فينطلق بهم قبل سائر النَّاسِ بخمسمائة عام»[٣].

وخرَّجَ ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: «يؤتى بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام آخذ بكلِّ زمام سبعون ألف ملك، وهي تمايل /٤٥٤/ عليهم حَتَّى توقف عن يمينِ العرش، ويلقي اللهُ عليها الذُّل يومئذ فيوحي إليها: ما هٰذا الذل؟ فتقول: يا رب أخاف أن يكون فيّ نقمة، فيوحي الله إليها: إنَّما خَلقتك نقمة، وليس لي فيكِ نقمة فيوحي الله إليها، فتزفر زفرةً لا تبقي دمعةً في عينٍ إلاّ جرت ثمّ تزفر أخرى فلا يبقى ملكٌ مُقَرَّبٌ، ولا نبي مرسل إلاّ صُعِقَ إلاَّ نبيِّكم نبيَّ

---

(١) رواه أبو يعلى (١١٤٥).

(٢) رواه الإمام أحمد ٢/٣٣٦، والترمذي (٢٥٧٤) وقال: حسن غريب صحيح.

(٣) هو لفظ حديث أبي سعيد أخرجه البزار كما في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٩٢، وهو عند أحمد ٣/ ٤٠ مختصرًا.

الرَّحمة فيقولُ: «يا ربِّ أمَّتي أُمَّتي» ﷺ[1]. ثم إنَّ الناسَ يعرضون على ربِّهم كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة: ١٨] وقال: ﴿أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: ١٨]، وقال: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: ٤٨].

قال الفخر في تفسيرِ الصّف وجوه أحدها: أنْ تعرض الخلق على اللهِ تعالى صفًّا واحدًا ظاهرين بحيث لا يحجب بعضُهم بعضا.

ثانيها: لا يبعد أنْ يكونوا صفوفًا يقف بعضُهم وراء بعضٍ كالصفوف المحيطة بالكعبة التي يكون بعضها خلف، وعلى هٰذا التقديرِ فالمراد من قوله:

﴿صَفًّا﴾ كقوله: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾[2] [غافر: ٦٧] قلت: ويدل لهٰذا أي: كونهم صفوفًا ما مرّ في الحديث السابق: «**اخرُج يا عبدي إلى هٰذه الصفوف فمن أطعمك، أو كساك**» الحديث، وبما يأتي «**أقيموا عبادي صفوفا**».

ثالثها: أن يكونوا قياما كقولهِ تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾ [الحج: ٣٦] أي: قائمة. انتهى.

وأخْرجَ ابن ماجه عن أبي موسى الأشعري رَضي اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**يعرض النَّاس يوم القيامةِ ثلاث عرضات فأمَّا عرضتان: (فجدال)[3] ومعاذير، وأمَّا العرضة الثالثة: فتطير الصحف في الأيدي**

---

(١) التخويف من النار ص١٦٥.
(٢) «التفسير الكبير» ٢١/١٣٣.
(٣) في (أ): (فجدل).

فآخذ بيمينه وآخذ بشماله»[١] وفي لفظ: **«فتطاير الكتب في الأيمانِ والشمائل»**. قال الحكيم الترمذي: الجدال للأعداء أي: الكفار يجادلون لأنّهم لا يعرفون ربّهم فيظنون أنهم إذا جادلوا نجوا، وقامت حجتهم، والمعاذير لله يعتذر إلى آدم، وإلى أنبيائه، ويقيم حجته عندهم على الأعداء، ثم يبعث بهم إلى النَّارِ، والعرضة الثالثة: للمؤمنين، وهو العرض الأكبر يخلو بهم جلّ ذِكره فيعاتب مَن يريد / ٤٥٥/ عتابه في تلك الخلوات حَتَّى يذوق وبالَ الحياء والخجلِ، ثُمّ يغفر لهم، ويرضى عنهم فَياله مِنْ مقام ما أعظمه، ووبال ما أجسمه! فيا مَنْ إذا وقفَ بين [يدي][٢] أحد ملوك الأرضِ ٱرْفَضَّ عرقا، وارتعد فرقا، فكيف حالك إذا وقفت بين يدي ملك الملوكِ، وعاتبكَ بما فعلته حَتَّى على الظنون والشكوكِ؟! فلا هنَّأ الله لعبدٍ عيشا علمَ ذٰلك فالتذ بمعصية اللهِ، ولقد قلت ٱرتجالا:

إذا ما تذكرتُ الجزاء يوم عرضتي ... على خالقي ضاقتْ عليَّ مذاهبي
فلم أدْر ما ردُّ الجوابِ وما الذي ... أقول وربُّ العالمين معاتبي
فوا أسَفَي يومَ الحسابِ إذا بدتْ ... قبائح أفْعَالي وكل معايبي
وعاتبني ربِّي لديه وقَال لي: ... لك الويل إنِّي كنت لست بغائب
أمَا تستحي مني أما كنتَ تختشي ... أما كانَ أولى أنْ تكونَ مراقبي
أمَا كُنْت تدْرِي أنني بك عالم ... أما خِفْتَ مِن غضبي وشرِّ عواقبي
فما حِيلتي وا خجلتي مِنْ جَرائمي ... إذا كنت فذًّا ندّ عنّي صواحبي

---

(١) رواه أحمد ٤/ ٤١٤، وابن ماجه (٤٢٧٧).
(٢) ساقطة من (أ).

وَصَارَ مَنِي خِلِّي ومَلَّ مَودَّتي ومَرَّ وخلاّني أعزُّ حبايبي
سوى المصطفى ذخري وحصني وبغيتي ورحمة ربي ملجئ في معاطبي
عليه صلاة اللهِ ما هبت الصبا وما ناحَ ولَهَان لكثر المصائب
كذا الآل والأصحاب ما ناح بلبل وغرَّد شحرور بصوت مناسبي

وأخْرجَ الإمامُ الحافظ ابن منده في «التوحيد» عن معاذ بنِ جبل رَضي اللهُ عَنْهُ رفعه قال: **«إنَّ اللهَ ينادي يومَ القيامةِ بصوتَ رفيع غير فظَيع: يا عبادي إنِّي أنَا اللهُ لا إِله إلاَّ أنا أرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين، وأسرع الحاسبين، أحضروا حجتكم، ويسّروا جوابا فإنكم مسئولون، ومحاسبون، يا ملائكتي أقِيموا عِبَادِي صفوفًا على أطرافِ أنامل أقْدامهم للحساب»**[1].

وأخْرجَ أبو داود، وابنُ حبان عن أبي الدّرداء رَضي اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: **«إنكم تُدْعون يومَ القيامةِ بأَسْمائكم، وأسماءِ آبائكم فأحْسِنوا أسماءكم»**[2]، وأخرجَ أبو يعلى بسندِ رجاله ثقات عن أبي سعيدٍ رَضي اللهُ عَنْهُ، سمعتُ رسول الله ﷺ /٤٥٦/ يقول: **«إذَا جُمِعَ النَّاسُ في صعيدِ واحدِ يومَ القيامةِ أقبلت النَّارُ يركب بعضُها بعضا، وخزنتها يكفونها، وهي تقول: وعزة ربي لَتُخَلِّيَنَّ بيني وبين أزواجي، أو لأغْشينَّ النّاس عنقا واحدا فيقولون: ومَن أزواجك؟ فتقول: كلُّ متكبرِ جبّار، فتخرج لسانَها، فتلتقطهم من بين ظهراني النّاس، فتقذفهم في**

---

(١) كذا عزاه القرطبي في التذكرة وفي التفسير ١٠/٤١٧.

(٢) رواه أحمد ٥/١٩٤، وأبو داود (٤٩٤٦)، وابن حبان (٥٨١٨)، والبيهقي ٩/٣٠٦ وقال: هذا مرسل ابن أبي زكريا لم يسمع من أبي الدرداء.

جوفها، ثم كذٰلك فيقولون: مَنْ أزواجك؟ فتقول: كلُّ مختالٍ فخور، فتلتقطهم بلسَانِها، فتقذفهم في جوفها، ثم تتأخر، ويُقضى بين الناسِ»(١) وتقدَّم معناه، وظاهر هٰذا أنّ هٰؤلاء يلقونَ في النّارِ بغيرِ حسابٍ لأنّهم تكبَّروا على خلق الله في دارِ الدُّنيا.

وفي الحديث القدسي: «الكبرياءُ رِدائي، والعظمةُ إزاري فمَنْ نَازعني واحدًا منهما ألْقيته في النّار» رواهُ الإمامُ أحمد، وأبو داود، وابنُ ماجه(٢).

وعندَ مسلم، وأبي داود، وابن ماجه: «ألقيته في جهنم»(٣) وأخرجَ الحاكمُ: «الكبرياء ردائي فمن نَازعني رِدائي قَصمته» وقال: صحيح على شرطِ مسلم(٤).

وأخرجَ الإمامُ أحمد، والحاكم، وابنُ ماجه: «ما مِن رجلٍ يتعاظم في نفسِه، ويختالُ في مشيته إلاّ لَقِيَ الله، وهو عَليه غضبان»(٥).

واعلم أنّ التكبر مذموم شرعًا، وعقلاً، فأمَّا الشرع: فقدْ ذكَرنا قطرةً من بحرٍ لجي ممّا وردَ في الكبر، وفي الإشارة مَا يغني عن

(١) رواه أبو يعلى (١١٤٥).
(٢) رواه أحمد ٢/ ٤٤٢، وأبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجه (٤١٧٤)، وإسحاق في مسنده (٢٨٥)، وهو عند ابن حبان (٣٢٨) من حديث أبي هريرة، وهو في المختارة للضياء ١٠/ (٢٤٨) و(٢٨٦) و(٢٨٧) من حديث ابن عباس.
(٣) رواه مسلم (٢٦٢٠)، وأبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجه (٤١٧٤)، وأحمد ٢/ ٣٧٦.
(٤) المستدرك ١/ ١٢٩.
(٥) رواه أحمد ٢/ ١١٨، والحاكم ١/ ١٢٨، والبيهقي في الشعب ٦/ ٢٨٣ والمزي في التهذيب ٣٢/ ٥٣٩ من حديث ابن عمر.

العبارةِ، وأمّا العقل: فَإنّ كلّ إنسانٍ يعلم أنّ الكبرَ مذمومٌ وأنّ صاحبه من الأجرِ محروم، ومن ثم قال بعض الفضلاء: الكبر، والخيلاء يكسيان الرذائل، ويسلبان الفضائل، وقالَ الأحنف بن قيسُ: ما تكبّر أحد إلاّ مِن ذلّةٍ يجدها في نفْسه، ورأى أفلاطون رجلاً يختال في مشيته، فقال: جعلني اللهُ مثلك في نفسك، ولا جَعلني مثلك في نفسي، وقال الأحنف بن قيس: عجبتُ لِمَن خرجَ منْ مجرى البول مرتين كيف يتكبر؟! ومرّ بعضُ أولادِ المهلب بمالك بن دينار وهو يختال في مشيته، فقال له مالك: يا بنيّ لو تركت هٰذا الخيلاء لكان أجمل لك، قال: أوما تعرفني؟ قال: أعرفك معرفةً جيدة أوّلك نطفة مذرة /٤٥٧/ وآخرك جيفة قذرة، وبين ذٰلك تحمل العذرة، فأحْنى الفتى برأْسِه، وكفّ عمّا كان عليه.

والكبرُ يوجب المقتَ، ومَن مقته رجاله لمْ يستقم حاله، وقيل: لا يتكبّر إلا كلّ وضيع ولله در القائل:

قولا لأحمق يلوي التيه أجذعه ... لو كنت تعلم ما في التيه لم تته
التيه مفسدة للدِّين منقصة ... للعقل مهلكة للعرض فانْتبه

وقال الآخر:

تواضعْ إذا ما كان قدرُكَ عاليًا ... فإنَّ انْخفاض المرءِ من شيمة الفضل
وَلا تعجبن مِنْ عَالم متواضع ... يخاطبه طفلٌ فيصغي إلى الطفل
فإنّ رسولَ اللهِ كلَّم نملةً ... وإنّ إلٰه العرشِ أوحى إلى النَّحْل

ولسْنا بصددِ الكشفِ عنْ قبائح الكبرِ، ولٰكن ذكرنا ما ذكرنا للمناسبةِ، والشيء بالشيء يذكر، والله سبحانه وتعالى أعْلم.

فصل

ثم يؤتى بالصحف وتؤخذ باليمين والشمال قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾ [التكوير: ١٠] قال الثعلبي: أي: التي فِيها أعمال بني آدم نشرت لِلْحسابِ، وإنّما يؤتى بالصُّحفِ إلْزامًا للعبادِ، ورفعًا للجدل، والعناد قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣﴾ [الإسراء: ١٣] قال العلامة: معنى ﴿طَٰٓئِرَهُۥ﴾: عمله، وقال مقاتل، والكلبي: خيره، وشره معه لا يفارقه وهو عين الأوّل.

وأخرجَ العقيلي عن أنسٍ رَضِي اللهُ عَنْهُ، عن النّبي ﷺ قال: «**الكتب كلها تحت العرشِ فإذَا كانَ يوم القيامة يبعث اللهُ ريحًا فتطيرها بالأيمان والشمائل، أوّل خط فيها** ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾»[1] [الإسراء: ١٤] قال قتادة: سيقرأ يومئذ مَنْ لَمْ يكنْ قارئًا في الدُّنيا وقال تعالى:

﴿فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١] والفتيل: هو القشر الذي في شق النواةِ، وهٰذا يضرب مثلاً للشيء الحقِيرِ، وذكرَ مجاهد عن ابن عباسٍ /٤٥٨/ أنَّ المرادَ بالفتيل الوسخ الذي يظْهر بفتل الإنسان إبهامه بسبابته.

---

(١) رواه العقيلي ٤/ ٢٦٦ من حديث يغنم بن سالم عن أنس وقال: منكر الحديث.

قال العلامة: وإنّما خصَّ القراءةَ بمَن أوتي كتابه بيمينه دُون مَنْ أوتيه بشمَالِه؛ لأنَّ أهل الشِّمالِ إذَا طالعوا كتابَهم وجدوه مشتملاً على المْهلكاتِ العظيمة، والقبائح الكَاملة فيتولى الخوف، والدهش على قلوبهم، ويثقل لسانُهم فيعجزون عن القراءة الكاملةِ، وأمَّا أصْحابِ اليمينِ إذَا طالعوها ألفوها على الكمالِ فيقْرءون كتابَهم على أحسن الوجوه، وأتمها، ثمَّ لمْ يقنعْ أحدُهم بقراءته، بلْ يقول لأهلِ المحشر: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ [الحاقة: ١٩] قاله الفخر وأخْرجَ الديْلمي مرفوعًا: "عنوانُ كتاب المؤمنِ يومَ القيامة حُسْن ثناء النَّاسِ عليه" وقاله الفخر[١]،[٢].

وخرَّجَ مكي في تفسِيره عن عائشةَ رَضِي اللهُ عَنْها قالت: يا رسول اللهِ كَيفَ يُحاسب حسابًا يسيرا؟ قال: «**يؤتى العبد كتابه بيمينِه فيقرأ سيئاته، ويقرأ النَّاسُ حسنَاته، ثم يحول الصحيفة فيحول الله حسناته فيقرؤها النَّاسُ، فيقولون: ما كان لهٰذا العبد من سيئة**»[٣] فهٰذا تفسير قولِه تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴿٩﴾﴾ [الانشقاق: ٧-٩] أهله: هم أهلُ الجنَّةِ كما في البهجة.

---

(١) في (ب): (قاله ابن مسعود).

(٢) رواه الديلمي في مسند الفردوس (٤١٢٨)، والمناوي في «فيض القدير» (٥٦٣٢) ورمز لَهُ السيوطي بالضعف.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٢٥).

وأخرجَ الترمذي وحسنه، وابنُ حبان، والبيهقي، والبزار، وابنُ أبي حاتم عن أبي هريرة مرفوعًا في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] قال: «**يدعى الرجل فيعطى كتابه بيمينه، ويمد لهُ في جسمه ستون ذراعًا، ويبيض وجهه، ويجعل على رأسِهِ تاج من لؤلؤ يتلألأ، فينطلق إلى أصحابِه فيرونه من بعيدٍ فيقولون: اللهمَّ آتنا بهٰذا، وبارك لنا في هٰذا حَتَّى يأتيهم فيقول: أبشروا فإنَّ لكلِّ واحد منكم مثل هٰذا، وأمَّا الكافر فيسود وجهه، ويمد في جسمه، ستون ذراعًا، ويجعل على رأسه تاج من نار فيراه أصحابُه فيقولون: اللهم إنَّا نعوذُ بكَ من هٰذا اللَّهم لا تأتنا بهٰذا فيأتيهم، فيقولون: اللهم أخزه فيقول: أبعدكم الله فإنّ لكلِّ رجل منكم مثل هٰذا**»[1].

وأخرجَ الإمام أحمد /٤٥٩/ عن عائشةَ الصديقة رَضِي اللهُ عَنْها قالتْ: قلتُ يا رسولَ اللهِ هل يذكر الحبيبُ حبيبَه يومَ القيامةِ؟ قال: «**أمَّا عند ثلاث فلا عند الميزانِ حَتَّى يعلمَ أيثقل أمْ يخف، وعندَ تطاير الكتبِ فإمَّا أنْ يعطى بيمينه أو بشماله، وحين يخرج عنق من النَّارِ**»[2] الحديث.

---

(١) رواه الترمذي (٣١٣٦)، وأبو يعلى (٦١٤٤)، وابن حبان (٧٣٤٩)، والحاكم ٢/ ٢٤٢، ٢٤٣، وأبو نعيم في الحلية ٩/ ١٥-١٦.
قال أبو حاتم في العلل ٢/ ٨٩: إسرائيل يرفع الحديث والثوري لا يرفعه والثوري أحفظ.

(٢) رواه الإمام أحمد ٦/ ١١٠ (٢٤٧٩٣)، والآجري في الشريعة (٩٠٥).

وقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾﴾[الانشقاق: ١١] سعيرا أي: يدعو بالويْل والثبور، ويصْلى حرَّ السعير وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٦] يتمنى إذْ ذاك أنْ لا يؤتى كتابه لَمَا فيه من العظائم والقبائح، ويودّ أنْ لا يدْري ما حسَابه لَمَا يلقى منْ شدةِ الخجلِ، وبروزِ الفضائح فنسألُ الله العظيم أنْ يسددنا، ويوفقنا لما يرضيه عنّا. لو تفكرت النُّفوسُ فيما بينَ أيديها أو تذكرتْ حسابَها فيما لَهَا، وعليها لبعث حزنها بريد دمعها كل وقت إليها فيا لله العجب من جد عند الأنفسِ كالهزلِ ولقدْ أحسنَ من قال:

ومِن عجبِ الأشياء أنكَ تعْلم ... بأنك مأخوذٌ بمَا تتجرمُ
وأنتَ على ما أنْتَ فيه مقصر ... ولا مقلع عمَّا عليْكَ يُحَرَّمُ
كأنكَ في يومِ القِيامةِ آمِنٌ ... إذَا برزت للمُجْرمين جهنُم
فلا تغتر بالعمر إن طُالَ واعْتبرْ ... فإنكَ لا تدْري متى يتَصَرَّمُ
وتسكن بيتًا غيرَ بيتِكَ مظلمًا ... وما فيه مشروبٌ ولا فيه مَطعَمُ
وتتركُ ما قدْ كنتَ فيه محكما ... وغيرك فيه لو علمت المحكم
وتأتي غدًا منْ بعد يسرك معسرا ... وما لك دينار ولا لك درهم
فإنْ كنتَ قد قدّمت من قبل صالحًا ... فإنك مِنْ هولِ القيامة تسْلم
فكنْ مقلعًا وارْجعْ إلى اللهِ واغْتنم ... بقاك في الدُّنيا فمحياكَ مغنم

أما يحق البكاء لمن قد مضى زمانه، أما يحق البكاء لمن قد ذهبَ أوانُه، أما يحق البكاء لمن طالَ عصيانه؟! نهاره في المعاصي فقدْ زادَ خسرانُه، وليله في الخطايَا فقد خفَّ ميزانُه، وبينَ يديه الحشر العنيف

فيه ذله وهوانه، والحساب / ٤٦٠/ العسير ينشر فيه ديوانه، والموقف الطَّويل فيه غمومه وأحزانه، والجحيم الشَّديد فيه من العذابِ ألوانه، ذكر العرض أجرى دموعَ الخائفين وهوْل الحساب قلقل أفئدة التَّائبين.

سَأَلَ رجلٌ ذا النونِ[1]: ما الذي أنصب العباد وأضناهم؟ فقال: «ذكر المقامِ، وقلة الزادِ، وخوف الحساب». ولِمَ لا تذوبُ أبدانُ العبادِ، وتذهل عقولُهم والعرض على اللهِ تعالى أمامهم، وقراءة كتبهم بين أيديهم، والملائكة وقوف ينتظرون أمر الجبّار في الأخْيار، والأشرارِ؟! فمثل القوم هٰذا في نفوسهم، وجعلوه نصبَ أعينهم. إخواني قد شملت الغلة الخلائق حَتَّى سترت عنهم وجوه الحقائق فصار اليقينُ عندهم كالظنونِ فالعاقل يفعل فعل المجنون ولله درّ القائل:

يا أيُّها الراقد كَمْ ترقد ... قمْ يا حبيبي قد دَنا الموعد
وخذْ من الليل وساعاته ... حظا إذَا مَا هجع الرُّقَدُ
مَنْ نَامَ حَتَّى ينقضي ليلُه ... لمْ يبلغ المنزل أو يجهد
قلْ لذوي الألبابِ أهل التقى ... فنظرة العرض لكم موعد[2]

---

(١) هو: ثوبان بن أبراهيم، ويقال: الفيض بن أحمد، ويقال: كنيته أبو الفيض وقيل: أبو الفياض. كان مولى لقريش كان أبوه نوبيًا وكان عالمًا فصيحًا، وكان ممن امتُحِنَ وأُوذِيَ وكان أول من تكلم بمصر في ترتيب ا لأحوال وفي مقامات الأولياء، وقال السلميُّ: لما مات أظلت الطير جنازته مات سنة خمس وأربعين ومائتين.

(٢) هذه الأبيات لسعدون المجنون نسبها له صاحب كتاب «عقلاء المجانين» ١/ ١٢٢.

فنسأل اللهَ العظيم أنْ يوقظنا، وأحبابنا من سِنَةِ الغفلة، وأن يستعملنا فيما يرضيه عنا بمنه وكرمه.

فوائد

الأولى: قال ابن المسيب: الذي يأخذ كتابَه بشمالِه تلوى يده خلف ظهرِه، ثم يعطى كتابه، وقيل: تنتزع[1] منْ صدرِه إلى خلفِ ظهرِه، وقال مجاهد في قولِه تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾﴾ [الانشقاق: ١٠] قال: تجعل شماله وراء ظهرِه فيأخذ بها كتابه[2].

الثانية: يعطى الكافرُ كتابَه بشمالِه من وراءِ ظهره بأنْ تخلع أو يدخلها من صدْرِه أو تلوى، ويعطى المؤمن العاصي كتابه بشمالِه من أمامِه ويعطى المؤمن الطائع كتابه بيمينه من أمامِه.

الثالثة: ورد أنّ أوّل مَنْ يأخذ كتابه بيمينه أبو سلمة بنُ عبدِ الأسدِ، واسمه عبد الله، وهو أوّل من يدخل (الجنة)[3] من هٰذه الأمّة، وهو أوّل من هاجرَ من مكّة إلى المدينةِ كما بينتُ ذٰلك في كتابي «**تحبير الوَفا في سيرة المصطفى**» / ٤٦١/ ، وروي أنَّ أوّلَ من يأخذ كتابه بشماله الأسودُ أخو أبي سلمة المذكور روي أنّه يمد يدَه ليأخذه بيمينِه فيجذبه ملكٌ فيخلع يده فيأخذه بشماله من وراء ظهره.

قُلْتُ: وذٰلك لأنَّ أبا سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لمَّا أرادَ الهجرةَ رحل لزوجته أم سلمة إحدى أمّهات المؤمنينَ رَضِيَ اللهُ عَنْها بعيره، ثم حملها

---

(١) كذا في (أ)، وفي (ب): تنزع.
(٢) تفسير الطبري ١٢/ ٥٠٩/ ٣٦٧٤٣ .
(٣) ساقطة من (ب).

عليه، وحملَ معها ابنها سلمة بن أبي سلمة في حجرها، ثمّ خرجَ بها يقود بها بعيره فرأته رجال بني المغيرةِ فقاموا إليه، وقالوا: هٰذه نفسك غلبتنا عليها أرأيت صاحبتك هٰذه علام نتركك تسير بها في البلاد؟! فنزعوا خطامَ البعيرِ من يده فأخذوها منه، وغضبت عند ذٰلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة، فقالوا: لا واللهِ لا نترك ابننا عندها إذا نزعتموها من صاحبنا، فتجاذبوا ابنه سلمة بينهم حَتَّى خلعوا يده. القصة بتمامها في السيرة، فجوزي الأسود بأنْ خلعَ اللهُ يدَه كما خلعَ يدَ الغلامِ فالجزاء من جنس العمل ولقدْ أشرتُ لأمرِ هذين الأخوين، والتفاوت بينهما في المرتبتين في قولي:

سل الراحم المولى العناية تهتدي وقف بباب مولاك الكريم ووحّد
وكنْ خائفا من مكره وارج عفوه وجد على فعل المكارم تسعد
ولا تغترر يا ذا المحامد والنهى بأسلافك الماضين أهل التهجد
أبو سلمة الأعلا أخو الأسود الشقي كذاك أبو لهبٍ قرابة أحمد

قال القرطبي في «التذكرة»[1]: إذا وقفَ النّاسُ على أعمالِهم من الصحف التي يؤمر بها بعد البعثِ حوسبوا بها قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٨] فدل على أنّ المحاسبَة تكونُ عند إتيان الكتب لأنّ النّاسَ إذا بُعثوا لمْ يكونوا ذاكرين لأعمالِهم قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦] فإذا بُعثوا مِن قبورهم إلى الموقفِ، وقاموا فيه ما شاء اللهُ، وجاء وقتُ الحسابِ الذي يريد اللهُ أنْ يحاسبهم فيه أمرَ

(١) ص ١/ ٣٨٧، ٣٨٨ .

بالكتب التي كتبها الكرامُ الكاتبون يذكر أعمال الناس، فيؤتونها فمنهم من يؤتى كتابه بيمينه، وهم /٤٦٢/ السّعداء، ومنهم من يؤتى كتابه بشمالِه، أو وراء ظهره فأولئك هم الأشقياء فعند ذٰلك يقرأ كتابه، ويعلم خطأه، وصوابه، وأنشدوا في ذٰلك:

مثل وقوفك يوم العرضِ عريانا مستوحشًا قلق الأحشاء حيرانا
والنّار تلهب من غيظٍ ومن حنقٍ على العصاةِ ورب العرشِ غضبانا
اقرأ كتابَكَ يا عبدي على مهل فهل ترى فيه حرفًا غير ما كانا
لما قرأت ولن تنكر قراءته إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليلُ: خذوه يا ملائكتي وامضوا بعبد عصى للنار عطشانا
فالمشركون غدًا فى النَّار [في لهب][1] والمؤمنون بدار الخلد سكانا

ومن قصيدة طويلة من كلام الإمام المحقق ابن القيم أودعها في كتابه «طريقُ الهجرتين وباب السّعادتينِ»[2] وهي عظيمة اشتملت على جُلّ أحكام الموقف فمنها:

وَيَا ليْت شعْري كيف حالكَ عندما تطاير كتب العالمين وتقسم
أتأخذ باليمنى كتَابك أم [ترىٰ][3] بِيُسْـ رَاكَ خلف الظَّهرِ منك تسلم
وتقرأ [فيها][4] كلّ شيء عملته فيشرق منك الوجه أو هو يظلم
تَقول كِتَابي هاؤم [فاقرءوه][5] لي يبشر بالْجنان[6] حقا ويعلم

(١) في «التذكرة» يلتهبوا.
(٢) ص (٥٥).
(٣) في طريق الهجرتين زيادة: ترى تسلم بالياء.
(٤) فيه.
(٥) اقرأوه يبشر بالتاء يعلم بالتاء.
(٦) في (ب): (بالجنات).

وإنْ تكن الأخرى فإنّك قائل ألا ليتني لم أوته فهو مغرم

ولعمري إنّ المقام بتلكَ المحال، والزحام بين النساء والرِّجال، وقد اشتد الزّحام، وطالَ المقام، وصفت الأقْدام، وجمع الخاص والعام، إنَّه لمن المصائبِ العظام، والنوائبِ الجسام، وحريٌّ من صور نفسَه في ذٰلك الجمع الغفير أنْ يتركَ الطعام، ولذيذَ المنام، ويتشبث بذيالِ المصطفى عليه الصلاة والسلام.

فيا مَنْ غفلَ عن آخرته حَتَّى اشتعلَ الرأس شيبًا، وحال سواد لمته، تذكر وقوفك بين يدي الله عريانا وقد ضاقَ بك الفضاء، ونزلَ بكَ مرّ القضاء، وظهرت جرائمك على رءوسِ الأُشهادِ، ونودي ها فلان قدْ خسرَ، وخاب، وسلك به غير طريق العبادِ، فيا لها /٤٦٣/ من خجلة ما أعظمها بين يدي الجبار، فحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل، ولقد كنت قلتُ في هٰذا المعنى مستغيثًا بالنّبي ﷺ من هولِ ذٰلك، وأشكو لهُ مِنْ أسبابِ تلك المهالك:

إليكَ أشكو رسول اللهِ[1] مِنْ وجلي نأى شبابي سُدًى واحتاط بي أجلي

---

(١) الاستغاثة والاستعانة بالمخلوق؛ فيما لا يقدر عليه إلا الله، كالاستغاثة والاستعانة بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله من شفاء المرضى، وتفريج الكُرُبات، ودفع الضر، فهذا نوع غير جائز، وهو شرك أكبر، وقد كان زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال النبي ﷺ: «إنه لا يُستغاثُ بي، وإنَّما يستغاث بالله» فنهى ﷺ أن يُستعمل هذا اللفظ في حقه، وإن كان مما يقدر عليه في حياته؛ حمايةً لجانب التوحيد وسدًا لذرائع الشرك، وأدبًا وتواضعًا لربه، وتحذيرًا للأمة من وسائل الشرك، في الأقوال والأفعال؛ فإذا كان هذا فيما يقدر عليه=

نأى الشباب وجاء الشيبُ يخبرني بـأنّـي راحـلٌ لـلـقـبرِ وا خـجـلي
ضيَّعت عمري سدى في اللهو وا أسفي حَـتَّى دنـا المـوتُ مـنّي وانـقـضى أمَـلي
حَتَّى متى أصحبُ التّسويفَ في سفري وفي حـضـوري وعـمـري بـاد في مـلـلي
إذا عـزمـت عـلى فـعـل الـرشـاد دَنـا مِـن الـفـؤادِ مُـنَـاد الهـمِّ والـكـسـلِ
أشـكـو لمولاي تقْصيري ولهوي في دارِ الـبـلاء ومَـا لاقـيت مـن عـلـلي
وما اْعتراني من الخطبِ العظيم وما أحـلّ بي مـنْ ضـروبِ الحـزنِ والـنـكـل
وا خجلتي من مقامٍ لسْتُ أنكره إذا بـدَا لي عـلى رؤوسِ المـلا زلـلي
يا سيدي يا رسولَ اللهِ خذْ بيدي إنّي أتـيـتُ بـلا عـلـمٍ ولا عـمـلِ
حسبي اْفتقاري وذلي ثمّ مسكنتي وطـول حـزني وحـبي سيد الـرسـلِ
محمد المصطفى المبعوث من مضر المـرتـضى سيد الآتـين والأولِ
صَلّ عليه إلٰه العرش ما صدحتْ ورقُ الحمامِ على الأغصانِ بالزجلِ(١)
كذا الصحابة والآل الكرام ومَنْ نحـا طـريـقـتـهـم مِـنْ سـائـرِ المـلـلِ
وكـنْ إلهـي مـعِـيني إنّـني وجـلٌ لـولا اعـتـقـادي بـأنّ الله نـعـم ولي
محمد الحنبلي يرجو الخلاص إذا ما حاسب النَّاس ذاك الواحد الأزلي

= النبي ﷺ في حياته، فكيف يُستغاثُ به بعد مماته، ويُطلب منه أمور لا يقدر عليها إلا الله، وإذا كان لا يجوز في حقه ﷺ فغيره من باب أولى.

(١) جاء في هامش الأصل: وفي نسخة بخطه النظم القديم هذا:

صلى عليه إله العرش ما صدحت ورق الحمام وما القول القديم تُلى

الباب الرابع
في ذكر الحساب، وما يلقاه العالم من شدةِ البأسِ والعقابِ

قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢ ـ ٩٣] وقال في حق أعدائه: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ١٨] قال الثعلبي: الحساب تعريف الله عَزَّ وَجَلَّ الخلائق مقادير الجزاء على أعمالِهم، وتذكيره إياهم على ما قدْ نسوه منْ ذٰلك يدلّ على هٰذا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦] وقال بعضهم: معنى كونه تعالى محاسبًا لخلقه أنّه يعلمهم ما لهم وما عليهم.

أخرجَ التّرمذي / ٤٦٤/ عن أبي برزة رَضِي اللهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تزول قدما عبد يومَ القيامة حَتَّى يُسأل عن أربعٍ، عن عمرِه فيمَ أفناه؟ وعن علمِه ما عمل به؟ وعن مالِه من أين اكتسبه؟ وفيمَ أنفقه؟ وعن جسمه فيمَ أبلاه؟**» قال الترمذي: حديث حسن صحيح[1].

وأخرجَ مسلمٌ عن أبي هريرةَ رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: سمعتُ

---

(١) رواه الترمذي (٢٤١٧)، والدارمي ١/ ١٤٥ (٥٣٧)، وأبو نعيم ١٠/ ٢٣٢، والمزي في تهذيب الكمال ١٠/ ٥١٧.

رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «إنَّ أول النَّاسِ يقضى يومَ القيامة عليه رجلٌ أستشهدَ، فأتي بِهِ فعَرَّفه نعمهُ فعرَفها قال: ما عملت فيها؟ قال: قاتلتُ فيكَ حَتَّى أستشهدْتُ. قال: كذبتَ، ولكنَّكَ قاتلتَ حَتَّى يقال إنكَ جريء فقدْ قِيل، ثمّ أمر به فسحبَ على وجهه حَتَّى ألقي في النَّارِ، ورجلٌ تعلَّم العلمَ، وعلَّمَهُ، وقرأ القرآنَ فأتي به فعرَّفه نعمه فعرَفها. قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلمتُ العلمَ، وعلمتُهُ، وقرأت فيك القرآنَ. قال: كذبت، ولكنّكَ تعلمتَ العلم ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثمّ أُمرَ به فسحب على وجهه حَتَّى ألقي في النار، ورجلٌ وسّعَ اللهُ عليه، وأعطاه من أصنافِ المالِ كلّه فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيلٍ تحب أنْ ينفقَ فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبتَ، ولكنَّكَ فعلتَ ليقال هو جوادٌ فقد قيل، ثم أمِرَ به فسحب على وجهه حَتَّى ألقي في النَّار»[1].

قال الحافظ ابن رجب في كتابِه «شرح الأربعين النووية»: لمّا بلغَ معاوية هٰذا الحديث بكى حَتَّى غشي عليه فلمّا أفاقَ قال: صدقَ الله ورسوله ﷺ قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١٥، ١٦] أنتهى[2].

فدلّ هٰذا الحديث الشريف أنَّ أوّل مَنْ يحاسب هٰؤلاء الثلاثة

---

(١) صحيح مسلم (١٩٠٥)، وهو عند الإمام أحمد ٢/ ٣٢١.

(٢) «جامع العلوم» ١/ ٧٧ .

أشخاص؛ لأنّهم مراءون، ولا شك أنَّ الرياء مذمومٌ، وصاحبه من أبوابِ الخيرِ محروم.

أخرجَ الإمام أحمد، وأبو داود، وابنُ ماجه عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**مَنْ / ٤٦٥/ تعلم علمًا مما يُبتغى به وجه اللهِ لا يتعلمه إلاَّ ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عَرْف الجنَّةِ يومَ القيامة**»[1] يعني ريحها.

وأخرجَ الترمذي عن كعب بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النَّبي ﷺ قال: «**من طلبَ العلمَ ليماري به السفهاء أَو يجاري به العلماء، أو يصرف به وجوه النَّاس إليه أدخله الله النَّار**»[2]. وخرّجه ابن ماجه بمعناه من حديث ابن عمر، وحذيفة، وجابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[3].

وأخرج الإمام أحمد عن أبي بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النَّبي ﷺ قال: «**بشر هٰذه الأمّة بالثناء، والرفعةِ، والدين، والتمكين في الأرضِ فَمَنْ عملَ منهم عملَ الآخرةِ للدُّنيا لم يكنْ لهُ في الآخرةِ نصيب**»[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد ٢/ ٣٣٨، وأبو داود (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢)، وأبو يعلى(٦٣٧٣)، وابن حبان (٧٨)، والحاكم ١/ ١٦٠.

(٢) رواه الترمذي (٣٦٥٤)، والطبراني في الكبير ١٩/ (١٩٩).

(٣) رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر (٢٥٣) ومن حديث حذيفة (٢٥٩) ومن حديث جابر (٢٥٤).

(٤) رواه أحمد ٥/ ١٣٤، وابن حبان (٤٠٥)، والحاكم ٤/ ٣٤٦، والبيهقي في الشعب ٥/ ٣٣٤ و٧/ ٢٨٧، وأبو نعيم ١/ ٢٥٥ و٩/ ٤٢، والخطيب في موضع أوهام الجمع ٢/ ٤٨٣ (٤٧٦)، والضياء ٣/ (١١٥٢-١١٥٤).

ولسنا بصدد بيان مذام الرياء، ويكفي فيه أنَّه شرك، فإنّه، الشرك الأصغر كما ثبت ذٰلك، والله الموفق ولنرجع إلى ما نحن بصدده من أمرِ الحسابِ قال ﷺ: «مَنْ نوقش الحسابِ عُذِّب» قالتْ عائشةُ رَضي اللهُ عَنْها: فقلت: «أليس يقول الله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۞﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ٩] فقال: «إنّما ذٰلك العرض، وليس [أحد][1] يحاسب يوم القيامة إلا هلك» رواه البخاري ومسلم عنها[2].

وعند البزار والطبراني عن ابن الزبير رَضي اللهُ عَنْهُ نحوه مرفوعًا، وعن عتبة بن عبد الله رَضي اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنّه قال: «لو أنَّ رجلاً يخرُّ علىَ وجههِ مِنْ يومِ وُلِدَ إلى يومِ يموتُ في مرضاةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لحقَرَه يومَ القيامةِ»[3] رواه الطبراني: قال الحافظ المنذري: رواته ثقات إلا بقية قُلْتُ: يعضده ما رواه الإمام أحمد رَضي اللهُ عَنْهُ بإسنادٍ صحيح عن محمد بن أبي عميرة رَضي اللهُ عَنْهُ، وكان من أصحابِ النبي ﷺ رفعه: «لو أنّ رجلاً خرّ على وجهه من يومِ ولِدَ إلى

---

(١) من (ب).
(٢) أخرجه البخاري (١٠٣)، (٤٩٣٩)، ومسلم (٢٨٧٦)، وأبو داود (٣٠٩٣).
(٣) رواه أحمد ٤/ ١٨٥، والطبراني في الكبير ١٧/(١٢٣)، وأبو نعيم ٢/ ١٥ و٥/ ٢١٩، والبيهقي في الشعب ١/ ٤٧٩ (٧٦٧)، وأورده الهيثمي ١/ ٥١ و١٠/ ٢٢٥ و١٠/ ٣٥٨ وقال في الموضع الأول: رواه أحمد والطبراني في الكبير وفيه بقية وهو مدلس ولكنه صرح بالتحديث.

يوم يموت هرما في طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ لحقره ذٰلك اليوم/ ٤٦٦/ ، ولودّ أنّه لو رُدّ إلى الدّنيا كيما يزداد من الأجرِ والثوابِ»[١].

وأخرجَ البزار عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: «يخرج لابنِ آدم يومَ القيامة ثلاثة دواوين: ديوان فيه العمل الصالح، وديوان فيه ذنوبه، وديوان فيه النعم من الله عَزَّ وَجَلَّ، فيقول الله لأصغر نعمة أحسبه قال في ديوان النعم خذي ثمنك من عملِه الصالح، فتستوعب عملَه الصالح فإذا أرادَ اللهُ أنْ يرحم عبدًا قال: يا عبدي قد ضاعفتُ لكَ حسناتك، وتجاوزت عن سيئاتِك أحسبه قال: ووهبت لك نعمي»[٢].

وأخرج الحاكم وصححه عن جابرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: خرجَ علينا رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «خرجَ من عندي خليلي جبريل آنفًا فقال: «يا محمد والذي بَعثك بالحق إنَّ للهِ عبدًا من عبادِه عَبَد الله خمسمائة سنة على رأسِ جبلٍ في البحرِ عرضه وطوله ثلاثون ذراعًا في ثلاثين ذراعًا، والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كلِّ ناحية، وأخرجَ له عينًا عذبة بعرض الأصبع تبض بماء عذب فيستنقع في أسْفلِ الجبلِ، وشجرة

---

(١) رواه أحمد ٤/ ١٨٥، وابن المبارك في الزهد (٣٤)، والبخاري في تاريخه ١/ ١٥، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني(١١٢٤)،والطبراني ١٩/ (٥٦٢)،وأبو نعيم٥/ ١٣٣

(٢) أخرجه البزار في مسند (٣٤٤٤)، وأورده ابن كثير في تفسيره ٢/ ٥٤١ بإسناد البزار، وقال: غريب وسنده ضعيف. وأورده الهيثمي ١٠/ ٣٥٧ وقال: رواه البزار وفيه صالح المري وهو ضعيف.

رمان تخرج في كل ليلةٍ رمانة يتعبد يومه فإذَا أمسى نزلَ فأصاب من الوضوء، وأخذَ تلكَ الرمانة، فأكلها، ثم قامَ لصلاتِه، فسألَ ربَّه عند وقت الأجل أنْ يقبضه ساجدًا، وأن لا يجعل للأرضِ، ولا لشيء يفسد عليه سبيلا حَتَّى يبعثه وهو ساجد قال: ففعل.

فنحن نمر عليه إذا هبطنا، وإذا خرجنا فنجد له في العلم أنَّه يبعث يومَ القيامة فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول له الرب: «أدْخلوا عبدي الجنَّة برحمتي» فيقول: ربِّ بل بعملي فيقول: «أدخلوا عبدي الجنَّة برحمتي» فيقول: ربّ بل بعملي فيقول: «قايسوا عبدي بنعمتي عليه، وبعمله» فيوجد نعمة البصر قدْ أحاطتْ بعبادة خمسمائة سنة، وبقيتْ نعمة الجسدِ فضلاً عليه فيقول: «أدخلوا عبدي النّار» فيجر إلى النار فنادى: ربّ برحمتك أدخلني الجنة فيقول: «ردوه»، فيوقف بين يديه فيقول: «يا عبدي من خَلقكَ ولْم تك شيئا؟» فيقول: /٤٦٧/ أنت يا رب فيقول: «مَنْ قواكَ لعبادةِ خمسمائة سنة؟» فيقول: أنت يا رب فيقول: «من أنزلك في جبل وسط اللجةِ، وأخرجَ لكَ الماء العذبَ مِن الماءِ المالح، وأخرج لكَ كل ليلةٍ رمانة وإنّما تخرج مرة في السَّنة، وسألته أنْ يقبضك ساجدًا ففعل؟» فيقول: أنتَ يا رب، قال: «فذٰلك برحمتي، وبرحمتي أدخلك الجنة» قال جبريل: إنّما الأشياء برحمةِ الله يا محمد»[1].

---

(١) رواه الحاكم ٤/٢٧٨، والبيهقي في الشعب ٤/ ١٥٠ (٤٦٢٠).

ولقد قلتُ مرتجلاً أشير لتقصيري عن شكر نعمه التي منَّ بها علي:

عسى رحمة المولى الوسيعة في غدٍ ... تكون لنا حصنًا من النّارِ يا عدي
فإنْ لم تكنْ لي رحمة اللهِ ملجأ ... فإنّي في تلك المصارع مرتدي
فوا أسفي إنْ لمْ تكنْ لي فإنني ... على فرط تقصيري مع اللهِ معتدي
وكم نعمةٍ للهِ ضيَّعْتُ شكرها ... وقابلتها بالبطش بالرجل واليدِ
وفي بصري ما لو أقمت مجاهدًا ... مدى الدّهرِ يأكل المنى في تهجدي
لما كان هٰذا غير في جنب شكره ... كما جاء في نص الحديث المسدد
روينا حديثًا يا منى العين مسندا ... يشير لهٰذا فاتبعْ ذاكَ تهتدي

وأخرجَ البخاري ومسلم عن عائشة الصديقة رَضِي اللهُ عَنْها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«سَدِّدوا وقَاربُوا وأبشروا فإنّه لنْ يُدْخِلَ أحدًا الجنةَ عَمَلُهُ»** قالوا: ولا أنت يا رسولَ اللهِ؟ قال: **«ولا أنا إلاّ أنْ يتغمدني اللهُ برحمته»**[1].

ورواه الإمام أحمد عن أبي سعيد مرفوعًا بلفظ: **«لن يدخل الجنةَ أحد إلا برحمة الله»** قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **«ولا أنا إلاَّ أن يتغمدني الله برحمته»**[2] وقال بيده فوق رأسه.

قُلْتُ: فهم بعض أشياخي من حديث الصحيحين هٰذا من قول النّبي ﷺ عند إملائه لنا حديث البخاري هٰذا من صحيحه قال: قوله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٦٤)، (٦٤٦)، ومسلم ٨/ ٢٨، والنسائي في الكبرى ١٢/ ١٧٧٧٥. وسيأتي من رواية أبي هريرة ص٨٤١ ت(٣).

(٢) أخرجه أحمد في مسند ٣/ ٥٢ (١١٤٨٦)، وعبد بن حميد في المنتخب ٨٩٢.

«إلا أن يتغمدني الله برحمته» أي: فأدخل الجنة بعملي فقلت له: حيث تغمده الله برحمته أي عمل له أدخله الجنة قال: هٰذا مفهوم الحديث.

قلت: بل المراد لنْ أدخل الجنّة إلا أنْ يتغمدني الله برحمته فيكون الاستثناء راجع لدخولِ الجنّة /٤٦٨/ حسب فتكأكأ الشيخُ حفظه الله تعالى، ولم يبد جوابًا مع عدم ارتضاه لما قلنا.

وأخرج الإمام أحمد، والترمذي عن عائشةَ رَضي اللهُ عَنْها أنّ رجلاً من أصحابِ رسول الله ﷺ جلس بين يديه فقالَ: يا رسولَ اللهِ إنّي لي مملوكين يكذبونني، ويخونونني، ويَعْصونني، وأضْربهم، وأشتمهم فكيْفَ أنا منهم؟ فقالَ لهُ رسول اللهِ ﷺ: **«يُحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك، وعقابك إياهم فإنْ كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لكَ، وإنْ كانَ عقابك لهم بقدرِ ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا عليك، وإنْ كان عقابك إياهم فوقَ ذنوبِهم أقتص لهم منك الفضل الذي بقي قِبَلك»** فجعلَ الرّجل يبْكي بين يدي رسول اللهِ ﷺ، ويهتف فقال رسول الله ﷺ: **«ما لك ألا تقرأ كتابَ اللهِ** ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧]» فقال الرجلُ: يا رسولَ الله ما أجد شيئًا خيرا من فراقِ هٰؤلاء يعني: عبيده أشهدك أنّهم أحرار[1].

---

(١) رواه أحمد ٦/ ٢٨٠، والترمذي (٣١٦٥)، والبيهقي في الشعب (٨٥٨٦)، ورواية أحمد والبيهقي معها رواية أخرى لصحابي مبهم لنفس الحديث لكن في إسناده أيضًا رجل مبهم آخر، فحديث عائشة أقوى.

قال الترمذي: حديث غريب، لٰكن قال الحافظ المنذري: إسناده يعني الترمذي، وإسناد الإمام أحمد متصلان، ورواتهما ثقات، وفيه عبد الرحمن بن غزوان يكنى أبا نوحٍ ٱحتج به البخاري، وبقية رجال الإمام أحمد ٱحتج بهم البخاري ومسلم(١). قُلْتُ: فيكون هٰذا الحديث صحيحًا والله أعلم.

وقال ﷺ لوصيفٍ لهُ: **«لولا القصاص لضربتك بهٰذا السواك»** رواه أبو يعلى بإسنادٍ جيد(٢).

وأخرج البزار بإسنادٍ حسن عن أبي هريرة رَضِي اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: **«منْ ضربَ مملوكَهُ سوطًا ظلمًا ٱقتص منه يومَ القيامةِ»**(٣).

وأخرجَ الإمامُ أحمد بسند حسن عن عبدِ الله بن أُنيس رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«يحشر العباد يومَ القيامة»** أو قال: **«الناس عراة غُرلاً بُهمًا»** قال: قلنا: يا رسول اللهِ وما بهما؟ قال: **«ليس معهم شيء، ثمّ يناديهم بصوتٍ يسمعه من بَعُد كما يسمعه مَن قَرُب: أنا الديان أنا الملك لا ينبغي لأحدٍ مِنْ أهلِ النَّارِ أنْ يدخل النَّار وله عند أحدٍ مِنْ أهلِ الجنَّة حقٌ حَتَّى أقصّه منه، ولا ينبغي لأحد**

---

(١) «صحيح الترغيب والترهيب» ٢/ ٥٦٦ باب: القضاء وغيره.

(٢) رواه أبو يعلى (٦٩٢٨) من حديث أم سلمة، قال الهيثمي ١٠/ ٣٥٣: إسناده جيد.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (١٤٤٥)، وأخرجه البزار ٣٤٥٤، قال المنذري ٤/ ٢١٨: رواه البزار والطبراني وإسناده حسن. وكذا حسنه الهيثمي ١٠/ ٣٥٣.

من أهل الجنة أنْ يدخل الجنة ولأحدٍ من أهل النّار عنده حق حَتَّى أقصّه منه، حَتَّى اللطمة» قال: قلنا: كيف وإنّما نأتي عراة غُرلاً بُهْمًا؟ قال: «الحسنات، والسيئات»[1].

وأخرجَ مسلمٌ عن أبي هريرة رَضِي اللهُ عَنْهُ، عنه ﷺ أنّه قال: «المفلس مِنْ أمّتي مَنْ يأتي يومَ القيامة بصلاةٍ وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هٰذا، وقذف هٰذا، وأكل مال هٰذا، وسفك دم هٰذا، وضرب هٰذا، فيعطي هٰذا من حسناته وهٰذا من حسناته فإنْ فنيتْ حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خَطاياهم فطرحت عليه، ثمّ طُرِحَ في النّارِ»[2].

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي اللهُ عنه قال: قالوا: يا رسولَ الله هل نرى ربَّنا يومَ القيامة؟ فقال: «هل تُضارونَ في رؤيةِ الشمس في الظهيرةِ ليستْ في سحابةٍ؟» قالوا: لا قال: «فهل تُضارون في رؤيةِ القمرِ ليلةَ البدرِ ليس في سحابة؟» قالوا: لا قال: «فوالذي نفْسي بيده لا تُضارون برؤية ربّكم إلا كما تُضارون في رؤية أحدهما فيلقى العبد ربّه فيقول: أي فل. - يعني: فلانا بمعنى يا فلان حذفت [منه][3] الألف، والنون لغير ترخيم كما قاله الأزهري[4] وغيره.

---

(١) رواه أحمد ٣/ ٤٩٥. وقال الهيثمي ١/ ١٣٣ وقال: عبد الله بن محمد ضعيف [يعني ابن عقيل]قلت: لكنه قد توبع كما فصل في ذَلِكَ الحافظ في تغليق التعليق ٥/ ٣٥٥.

(٢) رواه مسلم (٢٥٨١)، والترمذي (٢٤١٨)، وابن حبان (٤٤١١) و(٧٣٥٩).

(٣) من (ب).

(٤) انظر لسان العرب مادة: فل.

أنتهى - ألم أُكرِمك، وأُسَوِدك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟» - بمثناة فوق، فراء ساكنة فهمزة مفتوحة أي: تصير رئيسًا، وتربع أي: تأخذ ما يأخذه كبير الجيشِ، وهو ربع المغانم، ويقال له: المرباع قاله المنذري[١]. فيقول: بلى يا رب فيقول: «أظننت أنكَ مُلاقِيّ؟» فيقول: لا يقول: «فإنّي أنساك كما نسيتني» ثم يلقى الثاني فذكر مثل الأول، وكذا الثالث فيقول للثالث: «أظننت أنكَ مُلاقِي؟» فيقول: أي يا رب آمنت بك، وبكتابك، وبرسلك، وصليت، وصمت، وتصدقت، ويثني بخير ما أستطاع فيقول: «ههنا إذًا»، ثمَ يقول: «الآن نبعثُ شاهدًا عليك، فيتفكَّرُ في نفسهِ منْ ذا الذي /٤٧٠/ يشهدُ عليَّ؟ فيُخْتَمُ على فيه، ويقالُ لفخذِهِ: «انطقي» فتنطقُ فخذهُ، ولحمهُ، وعظامهُ بعمله، وذلكَ ليعذرَ من نفسهِ وذلك المنافقُ وذلكَ الذي يَسْخَطُ اللهُ عليهِ»[٢].

وأخرج البخاري عنه أيضًا قال: إنّ النّاس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربَّنا يومَ القيامةِ؟ قال: «هل تمارون في القمرِ ليلة البدرِ ليْسَ دونه سحاب؟» قالوا: لا يا رسول اللهِ قال: «هل تمارون في الشمس ليسَ دونها سحاب؟» قالوا: لا قال: «فإنّكم ترونه، كذلك يحشر النّاس يومَ القيامة فيقول: مَنْ كانَ يعبدُ شيئًا فليتبعهُ، فمنهم مَنْ يتبع الشّمسَ، ومنهم مَنْ يتبع القمرِ، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى

(١) «صحيح الترغيب والترهيب» ٣/ ٤٢٩، كتاب: البعث وأهوال القيامة.
(٢) رواه مسلم (٢٩٦٨)، وابن حبان (٤٦٤٢) و(٧٤٤٥).

هٰذه الأمّةُ فيها منافقوها فيأتيهم اللهُ فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: هٰذا مكاننا حَتَّى يأتينا رَبُّنا فإذا جَاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: أنت ربُّنا فيدعوهم، ويضرب الصِّراط بين ظهراني جهنّم فَأكونُ أوّل من يجوز من الرّسل بأمَّته.

ولا يتكلَّمُ يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: «اللهُمَّ سَلِّم سَلِّم، وفي جهنمَ كلاليبُ مثل شوك السّعدان» أي: وهو نبت له شوك معقف فقال ﷺ: «هل رأيتم شوك السَّعدان؟» قالوا: نعم. قال: «فإنّها مثلُ شوكِ السعدان غير أنَّه لا يعلم قدر عظمها إلاَّ الله تخطف النَّاس بأعمالِهم فمنهم من يوبق بعمله، ومنهم من يخردل أي: يصرع وقيل يقطع.

قال المنذري: المعنى أنه يقطعه كلاليب الصراط حَتَّى يهوي في النار[1]. ٱنتهى.

ثمّ ينجو حَتَّى إذا أرادَ الله رحمة من أراد من أهل النارِ أمر الله الملائكةَ أنْ يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم فيعرفونهم بآثار السجود. وحرّم الله على النار أن تأكل أثرَ السّجود. فيخرجون من النّار، وقد ٱمتُحشوا - أي: بضم التاء وكسر المهملة فشين معجمة أي: ٱحترقوا، وقال الهيثم: هو أن تذهب ٱلنار الجلد وتبدي العظم ٱنتهى.

فيصب عليهم ماء الحياةِ فينبتون كما تنبت الحبة - أي: بكسر الحاء المهملة هي بزر البقول والرياحين / ٤٧١/ وقيل: بزر العشب وقيل: نبت في الحشيش صغير وقيل: جميع بزور النبات وقيل: بزر ما

(١) «صحيح الترغيب والترهيب» ٣/ ٤٣٢، كتاب: البعث وأهوال يوم القيامة.

ينبت من غير بذر، وما بذر تفتح حاؤه ذكره الحافظ المنذري - في حميل السيل أي: زبد السيل، وما يلقيه على شاطئه، وهو بفتح الحاء المهملة وكسر الميم «ثمّ يَفْرغ اللهُ مِنَ القضاء بين العبادِ»[1] الحديث.

وفي الصحيحين عن أبي سعيدٍ قال: قلنا: يا رسول اللهِ هل نرى ربنا يوم القيامة؟ وذكر الحديث وفيه: «فإذا كان يومُ القيامة أذَّن مؤذِّن: لتتبع كل أمّة ما كانت تعبد. فلا يبقى أحدٌ كان يعبد غيرَ اللهِ من الأصنامِ والأنصابِ إلاّ يتساقطون في النّارِ حَتَّى إذا لْم يبقَ إلاّ مَنْ كان يعبد اللهَ مِنْ بر وفاجر وغُبَّرِ أهلِ الكتابِ» أي: بقاياهم، وهو بغين معجمة مضمومة فموحدة مشددة مفتوحة جمع غابر.

«فيدعى اليهودُ فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنَّا نعبدُ عُزير ابن اللهِ فيقال لهم: كذبتم ما اتّخذ اللهُ مِنْ صاحبة ولا ولدٍ، فماذا تبغون؟ قالوا: عَطِشنا يا ربَّنا فاسقنا فيشار إليهم: ألا تَرِدونَ؟ فيحشرون إلى النَّار كأنها سراب يَحْطِمُ بعضُها بعضا، فيتساقطون في النار، ثمَّ يدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن اللهِ فيقال لهم: كذبتم ما اتّخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون؟ فيقولون: يا ربنا عطشنا فاسقنا فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار. حَتَّى إذا لم يبقَ إلاَّ مَن كان يعبد الله من برّ وفاجر أتاهم الله في أدنى صورة من التي رأوه فيها. قال: فما تنتظرون؟ تتبع كلُّ أمّةٍ ما

---

(١) رواه البخاري (٨٠٦) و(٦٥٧٣)، وهو أيضًا في مسلم (١٨٢).

كانتْ تعبد قالوا: يا ربَّنا فارقنا الناسَ في الدنيا أفْقَرَ ما كنا إليهم ولم نصاحبهم. فيقول: أنا ربُّكم. فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا (مرتين أو ثلاثا) حَتَّى إنّ بعضهم ليكاد أن ينقلبَ فيقول: هل بينكم وبينه آيةٌ فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاءِ نفسه إلا أذنَ له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتِّقَاءَ ورياءَ إلا جعلَ ظهره طبقة واحدة. كلّما أرادَ أنْ يسجدَ خرّ على قفاهُ، ثم يرفعون / ٤٧٢/ رءوسهم وقد تحوَّل في صورته التي رأوه فيها أوّلَ مرةٍ فقال: أنا ربُّكم فيقولون: أنت ربُّنا ثم يضرب الصراط على جسر جهنم، وتحلّ الشفاعة، ويقولون: اللَّهُمَّ سَلِّم سَلِّم»[1]. الحديث.

تنبيه: قد تقدم أنّ أوّل مَنْ يحاسب العلماء، والمغازون، وأرباب الأموالِ والسعة، ومما ينبغي أنْ يعلم أنّ أوّل ما يحاسب عليه العبد الصلاة. أخرج ابن المبارك، وأبو داود، والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، والنسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة رَضِي اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنَّه قال: «أوّلُ ما يحاسب به العبد يوم القيامَة الصلاة يقول الله لملائكته: «انظروا لِصلاة عبدي أتمها أمْ نقصها فإنْ كانتْ تامة كتبت له تامة، وإنْ كان ينقص منها شيئًا قال الله: انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه ثم تؤخذ

(١) رواه البخاري، ومسلم (١٨٢)، وأحمد ٢/ ٢٧٥ و٢/ ٥٣٣، وابن حبان (٧٤٢٩)

الأعمال على ذٰلك»(١).

وأخرج النسائي عن ابن مسعود رَضِي اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**أول ما يحاسب عليه العبد صلاته، وأول ما يقضي بين الناس في الدماء**»(٢).

فإن قيل: قد ورد في التنزيل أن الناس لا يُسألون قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ۝٣٩﴾ [الرحمن: ٣٩]. فالجواب: أنّ هٰذا معارضٌ بقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

ويجاب عن الآية الكريمة بأنّهم لا يسئلون سؤال ٱستفهام لأنّه تعالى عالم بكلِّ أعمالهم، وإنما يُسألون سؤال تقرير فيقال لهم: فعلتم كذا(٣). قال في «البهجة» قال الحسن، وقتادة: لا يُسألون عن ذنوبهم لأن الله تعالى حفظها عليهم، وكتبتها الملائكة وأجيب بأنّهم لا يُسألون سؤال ٱستفهام، بل سؤال تقرير، وقيل سَيُسألون في موطن دون موطن رواه عكرمة عن ابن عبّاس نظيره قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦﴾ [المرسلات: ٣٥-٣٦] وفي آية أخرى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾ [الزمر: ٣١]. فللناس يوم القيامة

---

(١) ابن المبارك في الزهد (٩١٥)، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم ١/ ٣٩٤.

(٢) أخرجه أحمد ١/ ٣٨٨، والبخاري ٨/ ١٣٨، ومسلم ٥/ ١٠٧، وابن ماجه ٢٦١٥، والترمذي ١٣٩٦.

(٣) «الدر المنثور» ٤/ ١٩٩.

حالات والآيات مخرجة باعتبار تلك الحالات ومن ثمَّ قال إمام أهل السنة /٤٧٣/ سيدنا الإمام أحمد أعلى الله شأنه في الدارين في أجوبته القرآنية قال في كلامه على هٰذه الآية الكريمة: أوّل ما تبعث الخلائق على مقدار ستين سنة لا ينطقون، ولا يؤذن لهم في الاعتذار فيعتذرون، ثُم يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون[1] فذٰلك قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [السجدة: ١٢] الآية فإذا أذنَ لهم في الكلام تكلموا، واختصموا فذٰلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: ٣١] عند الحساب وإعطاء المظالم، ثم يقال لهم بعد ذٰلك: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ﴾ [ق: ٢٨] أي: عندي: ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٨] يعني: في الدّنيا فإنَّ العذاب مع هٰذا القول كائن انتهى.

فائدة: اختلف العلماءُ عن المسؤول عنه، والمسؤول فقال ابن عباس: عن لا إلٰه إلاَّ الله، وقال الضحاك: عن خطاياهم، وقال القرطبي: عن جميع أقوالهم وأفعالهم[2]: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢ ـ ٩٣]. قال الفخر: ولا معنى لقولِ من يقول: إن السؤال إنّما يكون عن الكفر والإيمان، بل السؤال واقع عنهما، وعن جميع الأعمالِ لأن اللفظ عام

(١) الرد على الزنادقة والجهمية» ١/ ٧ .
(٢) «التذكرة في أحوال الموتىٰ وأمور الآخرة» ص٣٣٣، باب: ما جاء في سؤال الأنبياء.

يتناول الكل[1]، والضمير في قوله: لنسألنهم عائد على جميع المكلفين الأنبياء وغيرهم، ومما يدل على سؤالهم صريحًا قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦]. قال: فهٰذه الآية تدلّ على أنّه تعالى يحاسب كلّ عبادِه لأنهم لا يخرجون عن أن يكونوا مرسلين أو مرسلاً إليهم، ويبطل قول من زعم أنه لا حساب على الأنبياءِ عليهم الصلاة والسلام ولا الكفار ٱنتهى.

قال العلامة رحمه الله تعالى: يمكن الجواب أن يقال لا حساب على الأنبياء حساب مناقشة، قال النسفي في «بحر الكلام»: الأنبياء لا حساب عليهم، وكذلك أطفال المؤمنين، والعشرة المبشرون بالجنّة هٰذا في حساب المناقشة.

قُلْتُ: الحديث المارّ يدلّ على أنّ كل من لم يدخل النار لا يناقش في الحساب/ ٤٧٤/ ، فإنّ من نوقش الحساب عُذِّبَ، وأمّا حساب العرضِ فلا يمتنع حَتَّى على الأنبياء وغيرهم، وهو أنْ يقال: فعلت كذا وعفوت عنك، وحساب المناقشة لم فعلت كذا.

وقال القرطبي: وهٰذا العموم - يعني: عموم الآية - مخصوص بأحاديث «من يدخل الجنة بغيرِ حساب» كما سيأتي إنْ شاء الله تعالى. وقالَ شيخُ مشايخنا الإمام العلامة المتقن شيخ الإسلامِ محمد الأنصاري الخزرجي الحنبلي المعروف بالبلباني قدّس الله روحه في

(١) «التفسير الكبير» ١٩/ ٢١٤ .

«عقيدته» ما نصه: ويحاسب المسلمون المكلفون إلاّ مَنْ شاء الله أنْ يدخل الجنّة بغيرِ حساب، وكلّ مكلف مسئول ويسأل مَنْ شاء مِنَ الرّسل عن تبليغ الرسالةِ، ومَنْ شاء مِنَ الكفارِ عن تكذيب الرّسلِ. قال: فالكفار لا يحاسبون فلا توزن صحائفهم، وإنْ فعلَ كافرٌ قربة من نحو عتق أو صدقةَ، أو ظلمه مسلم رجونا له أن يخفف عنه العذاب ٱنتهى.

ولعل مراده غير عذاب الكفر، وأما عذاب الكفرِ فلا[1].

وقال شيخُ الإسلامِ قدسَ اللهُ روحَه في عقيدته الواسطية: ويحاسب اللهُ الخلقَ، ويخلو بعبدِه المؤمن، ويقرره بذنوبه كما وصف ذٰلك في الكتابِ، والسّنة. قال: وأمَّا الكفار فلا يحاسبون محاسبة مَنْ توزن حسناته وسيئاته، فإنَّهم لاحسنات لهم، ولٰكن تعد أعمالهم وتحصى فيوقفون عليها، ويقررون بها. ٱنتهى[2].

وعن ابن مسعودٍ رَضي اللهُ عَنْهُ: **«ما مِن عبد يخطو خطوة إلاّ ويسأل عنها مَا أرادَ بها»**[3].

وعن أبي هريرةَ مرفوعًا: **«إنّ أول ما يسأل عنه يومَ القيامةِ أنْ**

---

(١) والصحيح أن الكافر يقدم على الله وقد استوفى جميع ماله من أعمال فيعذب في الآخرة على كفره إلا من خصه الدليل كأبي طالب.

(٢) انظر العقيدة الواسطية بشرح ابن عثيمين ٢/ ٥٧٠ .

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية» ١/ ٣٧٦ و٤/ ١٠٧ و٨/ ٢١٢، وهو في الفردوس ٤/ ١٦ (٦٠٤٧).

يقالَ لهُ ألَمْ أصحح جسمَكَ، وأرويكَ مِنَ الماء الباردِ؟ والذي نفسي بيده من النّعيم الذي تُسألون عنه يومَ القيامة ظل بارد، ورطب طيب، وماء بارد»(١). أخرجه البغوي.

وأخرج الإمامُ أحمد، والبيهقي، وأبو نعيم عن الحسن مرفوعًا: **«ثلاث لا يحاسب بهن العبد ظل خص يستظل به، وكسرة يشدّ بها صلبه، وثوب يوارى به عورته»**(٢) وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود / ٤٧٥/ مرفوعًا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ⑧﴾ [التكاثر: ٨] قال: الأمن والصحّة(٣) ويروى: **«أشد النَّاسِ حسابا الصحيح الفارغ، وما كثر مالُ رجلٍ إلا كثر حسابه»**(٤)

والحاصل أنَّ العبدَ يُسْأل عن كلِّ شيء، ولقدْ أحسن من قال في ذٰلك:

ولو أنا إذا متنا تُركنا ... لكَان المْوتُ راحة كلّ حي

ولكنا إذا متنا بُعثنا ... ونسأل بعده عن كلِّ شيء(٥)

والظاهر أنّه أرادَ بكلِّ شيء لم يرد الشرع باستثنائه والله تعالى أعلم.

---

(١) روى أوله الترمذي (٣٣٥٨)، والطبري ٣٠/ ٢٨٨، والحاكم ٤/ ١٥٣، رواه دون أوله الترمذي (٢٣٦٩)، والحاكم ٤/ ١٠٤٥، والبيهقي في الشعب ٤/ (٤٦٠٤).

(٢) الزهد ص١٢ وهو مرسل، الفردوس (٢٤٩٤) ضعفه الألباني في الضعيفة (٢١٣٤).

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٦١٥)٤/ ١٤٩،وهناد في الزهد ٢/ ٣٦٤ (٦٩٤).

(٤) الزهد لابن المبارك (١٣٢٦) من قول معاوية بن قرة.

(٥) «ديوان علي بن أبي طالب» وهو من البحر الوافر.

فصل في حسَابِ البْهَائم

قال يحيى بن جعدة: أوّل خلق اللهِ تعَالى يحاسب يومَ القْيامة الدواب، والهوام حَتَّى يقْضي اللهُ بينها حَتَّى لا يذهب شيء بظلامه، ثُم يَجْعلها ترابًا، ثمّ يبعَث الثقلين الإنس والجن فيحاسبهم، فيومئذ يتمنى الكافرُ ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: ٤٠] وذكر نحوه البغوي عن عبد اللهِ بنِ عمرو رَضِي اللهُ عَنْهُما، وأخرجه الحاكمُ عن ابن عمرو قال: «**إذا كانَ يوم القيامةِ مُدت الأرْض مَد الأديم، وحشر اللهُ الخلائق الإنس، والجن، والدواب، والوحوش، فإذا كان ذٰلك اليوم جعل اللهُ القصاص بين الدّواب حَتَّى يقضي للشاةِ الجماء من القرناء بنطحتها، فإذا فرغَ اللهُ من القْصاصِ بين الدّواب قال لها: «كوني ترابًا» فيراها الكافر فيقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾**»[1] [النبأ: ٤].

وأخرجَ ابن جريرٍ، وابن أبي حاتم، والبيهقي عن أبي هريرة قال: «**يحشر الخلق كلهم يومَ القيامة البهائم، والدواب، والطير، وكل شيء فيبلغ من عدلِ الله أنْ يأخذَ للجماء من القرناء، ثمَّ يقول: «كوني**

(١) رواه البغوي في «معالم التنزيل»، ورواه الحاكم ٤/ ٦١٩ وقال: رواته عن آخرهم ثقات غير أن أبا المغيرة مجهول، وتفسير الصحابي مسند.
وله شاهد ضعيف من رواية شهر عن ابن عباس: أخرجه ابن المبارك (٣٥٣)، الحارث(١١٢٢-بغية)، والطبري ٣٠/ ١٨٥، وأبو نعيم في الحلية ٦/ ٦١ ويشهد لبعض الحديث التالي.

ترابا»(١) فذٰلك حين يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابا. وقال مقاتل: يجمع الله الوحوشَ، والهوام، والطير، فيقضي بينهم حَتَّى يقضي للجماء من القرناء، ثم يقول لهم: **«أنا خلقتكم، وسخرتكم لبني آدم، وكنتم مطيعين أيام حياتكم، فارجعوا إلى الذي كنتم كونوا ترابا»** فإذا التفت الكافر إلى شيء صار ترابًا يتمنى فيقول: يا ليتني كنت في الدنيا في صورة خنزير، وكنت اليوم ترابا.

تنبيه: ذكر البغوي /٤٧٦/ عن عبد الله بن ذكوان قال: إذا قضى اللهُ بين النَّاس، وأمر أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النَّار إلى النار قيل لسائر الأمم، ولمؤمني الجن: عودوا ترابا فيعودون ترابا فحينئذ يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابا. وبه قال ليث بن أبي سليم: مؤمنوا الجنِّ يعودون ترابا(٢): قُلْتُ: والحق أنّ الجنّ كالإنس يدْخل مؤمنهم الجنة، وكافرهم النار.

قال الإمام العلامة شمس الدِّين محمد بن مفلح الراميني الحنبلي(٣)

---

(١) رواه الطبري ٧/ ١٨٩، والحاكم ٢/ ٣٤٥ وصححه على شرط مسلم، وروى بعضه أحمد ٢/ ٣٠١ و٣٦٣.

(٢) انظر «معالم التنزيل» ٨/ ٣١٩ .

(٣) هو محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي، ثم الصالحي، الراميني الشيخ، الإمام العالم العلامة، أفضل القضاة: شمس الدين أبو عبد الله، وحيد دهره وفريد عصره، شيخ الإسلام، وأحد الأئمة الأعلام، سمع من عيسى المطعم وغيره، وتفقه في المذهب حتى برع فيه ودرس وأفتى وناظر وصنف وحدث وأفاد وناب في الحكم عن قاضي القضاة: جمال الدين المرداوي، وقال ابن القيم لقاضي القضاة الحجاوي سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة: ما تحت =

طيب اللهُ ثراه في كتابهِ الفْروع ما نصه الجنُّ مكلفون في الجملةِ إجماعا، ويدخل كافرُهم النار إجماعا، ويدخل مؤمنهم الجنَّة وفاقا لمالك، والشافعي لا أنَّه يصير ترابا كالبهائم، وثوابه النجاة مِنَ النار خلافا لأبي حنيفة وأطال[1]. وقال شيخ مشايخنا العلامة بدر الدين البلباني في عقيدته: والجن مكلفون يدخل مؤمنهم الجنة، وكافرهم في النار[2] أنتهى.

وقال العلامة في «البهجة» وبعضهم جعلَ مؤمني الجنِّ كالبهائم في أنَّه إذا حَاسبهم الله تعالى يعودون ترابا، والصواب لا. وقال في موضع آخر: وقال بعضهم: لا ثواب للجنِّ إلاَّ النَّجاة مِنَ النَّارِ، ثم يقال لهم: كونوا ترابًا مثل البهائم، وهو قول أبي حنيفة حكاه عنه ابن حزم إلى أنْ قال: والصواب أنهم يثابون على الطاعةِ، ويعاقبون على المعصيةِ، وهو قول ابن أبي ليلى، ومالك، ونقل عن الأوزاعي، وأبي يوسف، ومحمد، وهو مذهب أحمد، والشافعي، وسئل ابن عباس: هل لهم ثواب؟ فقال: نعم لهم ثواب، وعليهم عقاب، وعن عمر بن عبد العزيز: أن مُؤْمِني الجن حول الجنة. وقال الضحاك: يأكلون في

= قبة الفلك أعلم بمذهب الإمام أحمد من ابن مفلح. وقال ابن كثير: وجمع مصنفات منها على «المقنع» نحو ثلاثين مجلدًا، وله كتاب «الفروع» في الفقه وهو من أجل الكتب وأنفعها، وله حاشية على «المقنع»، و«النكت» على «المحرر»، وله في أصول الفقه توفي ليلة الخميس: ثاني شهر رجب سنة ثلاث وستين وسبعمائة بسكنه بالصالحية. وقال ابن كثير توفي عن خمسين سنة.
انظر «معجم المحدثين» للذهبي ١/ ٢٦٥ . وانظر «الوفيات» للسلامي ٢/ ٢٥٣ .

(١) انظر «الفروع» ١/ ٦٠٣ .

(٢) نقل شيخ الإسلام رحمنا الله وإياه الأجماع على أن كفار الجن في النار (١١/ ٣٠٦).

الجنَّةِ، ويشربون. وقال مجاهد: يدخلونها ولٰكن لا يأكلون، ولا يشربون، ويلهمون التسبيح والتقديس، فيجدون فيه ما يجد أهل الجنة من لذيذِ الطعام والشراب. وقال بعض العلماء: إنا نراهم في الجنةِ، ولا يرونا عكس الدنيا. ٱنتهى[1].

وأخرج الإمام أحمد، وأبو نعيم عن عمران الجوني /٤٧٧/ قال: حدثت أنّ البهائم إذا رأت بني آدم قد تصدعوا من بين يدي الله صنفين صنفًا إلى الجنةِ، وصنفًا إلى النَّارِ تناديهم البهائم الحمد لله الذي لم يجعلنا اليوم مثلكم لا جَنّة نرجو، ولا عقاب نخاف[2].

وأخرجَ البخاري عن ابن عمر مرفوعًا: «**دخلت ٱمرأة النَّار في هرّة حبستها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل مِنْ خَشاش الأرضِ حَتَّى ماتت**»[3] فظهر أنه يقتص من الإنسانِ للبهائم. وأخرجَ مسلم، والترمذي عن أبي هريرة رَضِي اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**لتُؤَدَّنَّ الْحقوق إلى أهلها يوم القيامة حَتَّى يقاد لَلشاةِ الجلحاء أي: التي لا قرون لها من الشّاةِ القرناء**»[4] ورواه الإمام أحمد بلفظ أنَّ رسول الله ﷺ قال:

---

(١) قال شيخ الإسلام في الفتاوى (١٩/ ٣٩) ويروى أنهم في ربض الجنة نراهم من حيث لا يروننا. اهـ.

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» ٢/ ٣١١ .

(٣) رواه البخاري (٢٣٦٥، ٣٣١٨، ٣٤٨٢)، ومسلم (٢٢٤٢).

(٤) رواه أحمد ٢/ ٢٣٥، ٣٢٣، ٣٧٢، ٤١١، ومسلم (٢٥٨٢)، والترمذي (٢٤٢٠) وابن حبان (٧٣٦٣)، والجماء: التي لا قرن لها، وقال النووي في «شرح مسلم» ١٣٧/١٦: القصاص من القرناء للجلحاء ليس هو من قصاص التكليف، إذ لا تكليف عليها، بل هو قصاص مقابلة.

«يقتص للخلق بعضهم من بعض حَتَّى للجماء من القرناء، وحتى للذرة من الذرة»[١]. ورواته رواة الصحيح.

وأخرج الإمام أحمد أيضًا عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النّبي ﷺ أنَّه قال: **«ليختصمن كلّ شيء يومَ القيامةَ حَتَّى الشاتان فيما أنتطحتا»**[٢] وإسناده حسن، ورواه أيضًا هو، وأبو يعلى عن أبي سعيدٍ[٣]. إذا علمت ذٰلك تبين لك أنَّ حشرَ البهائم حقٌّ.

وقد جرى بين العلماء في ذٰلك نزاع، وها نحن نذكر طرفًا مِنْ ذٰلك مبرهنين، ومحققين على ما نعتمد عليه إنْ شاء الله تعالى. قال ابن دحية[٤] في كتابه **«الآيات البينات»**[٥]: ٱختلف النَّاسُ في حشرِ البهائم، وفي جريان القْصاصِ بينها، فقال الشيخ أبو الحسن الأشعري[٦]: لا تجوز المقاصة بين البهائم لأنَّها غيرُ مكلفةٍ، وما ورد في ذٰلك من الأخبارِ نحو قوله ﷺ: **«يقتص للجماء من القرناء ويسأل العود لم خدش العود»**. فعلى سبيل المثل، والإخبار عن شدة التقصي في

(١) رواه أحمد ٢/ ٣٦٣، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٩٦٧) وقال: وهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم.

(٢) رواه أحمد ٢/ ٣٩٠ وسنده ضعيف، ويغني عنه ما سبقه.

(٣) رواه أحمد ٣/ ٢٩، وأبو يعلى (١٤٠٠)، وأورده الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٣٤٩، وقال: رواه أبو يعلى وأحمد بنحوه، وإسناده حسن.

(٤) هو أبو الخطاب عمر بن الحسن ابن دحية الكلبي الأندلسي المتوفىٰ سنة ٦٣٣هـ ترجمته «سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٣٨٩).

(٥) ص (٢٨٦).

(٦) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري اليماني المتوفىٰ سنة ٣٢٤هـ.

الحساب، وأنّه لابد أنْ يقتص للمْظلوم من الظالِم وقال الأستاذ أبو إسحق الإسفراييني: يجري القصاص بينها، ويحتمل أنها كانتْ تعقل هٰذا القدر فى دار الدنيا.

قال ابن دحية: وهٰذا جار على مقتضى العقل والنقل/ ٤٧٨/ ؛ لأنَّ البهيمة تعرف النفع والضر فتفر من العصا، وتقبل للعلف، وينزجر الكلب إذا زجر، وإذا ٱنشلى ٱستشلى، والطير والوحش تفر من الجوارح ٱستدفاعًا لشرها. فإنْ قيل: القصاص ٱنتقام، والبهائم ليستْ مكلفة، فالجواب أنها ليستْ بمكلفة لٰكن الله تعالى يفعل في ملكهِ ما أراد كما يسلط عليهم في الدّنيا التسخير لبني آدم، والذبح لما يؤكل منها، ولا ٱعتراض عليه سبحانه، وأيضًا فإن البهائم إنَّما يقتص لبعضها من بعض لا أنها لا تطالب بارتكاب نهي ولا مخالفة أمرٍ لأنّ هٰذا ممَّا خصَّ اللهُ به العقلاء.

ولَمَّا كثر النّزاع في ذٰلك وكان فيه نوع إشكال على العقولِ نظرنا فإذا هو سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] فنظرنا في القرآن فإذا فيه ﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ۝٥﴾ [التكوير: ٥] والحشر هو الجمع كما مر ونظرنا في السّنة فإذا هي مشحونة من الأخبار الصحيحةِ، والآثار الصريحة في ذٰلك ممَّا ذكرناه آنفًا فتحققنا أنَّ الحق الذي لا محيد عنه هو القول بما صرحت به السنة الغراء ولا التفات لِمَنْ خالفها.

قُلْتُ: وإذا تأمل العاقل في أحوالِ الحيوانِ ٱنكشف له عن حقيقة

ذٰلك، ولاح له البرهان، فانظرْ في حال النملة كيف تحمل قوتها وتدخره لزمن الشتاء؟! وانظر إلى النحلةِ تجد أمرًا يذهل العقول فإنَّها تجني من الأنوارِ والأزهار، وتتنزه عن النجاسات والأقذار، وتطيع لواحد من جملتها وهو أكبرها شخصًا وهو أميرها، ثم انظر إلى ما ألهمهَا الله مِنَ العْدلِ، والإنصاف فإنَّ كبيرها يقتل كلّ من وقعَ على نجاسة، أو خالفَ أمرًا أمر به، ثُمَّ تأمل في بنيانها بيتها من الشمع، واختيارها الشّكل المْسدس؛ لأنَّه أوسعُ الأشكالِ، وأحواها وكم في ذٰلك من حكمةٍ تدق على فهم كلّ ذي فهم.

وروى أبو نعيم[1] عن ابن مسعود رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: كنت عند كعب الأحبار وهو /٤٧٩/ عند عمر بن الخطاب رَضِي اللهُ عَنْهُ فقال كعب: يا أميرَ المؤمنين ألا أخبرك بأغرب شيء قرأته في كتب الأنبياء عليهم السّلام أنَّ هامة جاءت إلى سليمان بنِ داود عليهما السلام فقالت: السّلام عليك يا نبي اللهِ فقال: وعليكِ السّلام يا هامة أخبريني كيف لا تأكلين من الزرع؟ قالت: يا نبي اللهِ إنّ آدم أخرج مِنَ الجْنةِ بسببه فقال: فكيف لا تشربين الماء؟ قالت: [لأنَّ الله أغرق][2] قوم نوح فيه فمن أجل ذٰلك لا أشربه فقال لها سليمان: كيف تركت العمران، وسكنت الخراب؟ فقالت: لأنَّ الخرابَ ميراثُ اللهِ فأنا أسكن ميراثَ اللهِ قال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن

---

(١) «الحلية» (٥/ ٣٩١).

(٢) في «الحلية»: لأنه غرق فيه.

قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [القصص: ٥٨] فالدُّنيا ميراث الله كلها[١].

قال سليمان: فما صياحكِ في الدور إذا مررتِ [عنها]؟[٢] قالت: أقول: ويل لبني آدم كيف ينامون وأمامهم الشدائد. قال: فما بالكِ لا تخرجين في النَّهار؟ قالت: من ظلم بني آدم[٣] أنفسهم. قال: فأخبريني ما تقولين في صياحك؟ قالت: أقول: تزوّدوا يا غالفين، وتهيّؤا لسفركم سبحان خالق النّور. قال سليمان[٤]: ليس في الطيورِ طير أنصح لابن آدم، وأشفق عليه من الهامة، وما [على][٥] قلوب الجهال أبغض [منها][٦]. فانظر كيف تعرف أنَّ أمام النَّاس شدائد.

وذكر في حياة الحيوان أنّ سيّدنا سليمان عليه السلام مرّ على حمامة تغرّد فقال: أتدرون ما تقول هٰذه الحمامة؟ فقالوا: لا فقال: إنها تقول: يا ليت هٰذا الخلق ما خلقوا، وليتهم إذ خلقوا علموا لما خلقوا، وليتهم إذ علموا عملوا بما علموا، وأنشدت في ذٰلك ٱرتجالاً أبياتًا منها:

يا ذا النهى قد جاء في خبر ... نرويه عن من قبلنا سبقوا

---

(١) في «الحلية» زيادة (قال: قال سليمان ما تقولين إذا جلست فوق خربة؟ قالت: أقول أين الذين كانوا يتمتعون بالدنيا وينعمون فيها.

(٢) في «الحلية» (عليها) وهو الصحيح. (٣) في «الحلية» زيادة: على.

(٤) في «الحلية» زيادة (عليه السلام للهامة على ابن آدم أشفق وأحذر عليه و)

(٥) في «الحلية» (في). (٦) في «الحلية» من الهامة.

إن ابـــن داود الـــنّـــبي رأى   حـمـامـة قـد حـفّـهـا الـوَرَقُ
تـقـول في تـغـريـد نـغـمـتـهـا   يـا ليت هٰـذا الخـلـق مـا خـلـقـوا

والحاصل أنَّ الله سبحانه وتعالى له حِكَمٌ يدقّ فهمها عن إدراك أولى الألباب فالواجب على كلّ موفق التسليم للنصوص الواردة فى الكتاب العظيم/ ٤٨٠/ ، وفي سنة نبيه الكريم حيث ثبتت عنه ﷺ بالأسانيد المقبولة، فإنْ طابقت العقل فبها ونعمت، وإلا علمنا أنَّ ذٰلك العقل الذي لم يدرك كنه ذٰلك إنّما لم يدرك ذٰلك لانحراف فيه لا أنَّ الحديث الثابت عن حضرة الرسالة يرد لعدم قبول عقل بعض الناس له، والله سبحانه وتعالى أعلم.

فصل في حساب النَّاس والإتيان بالشهود

قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦] قال ترجمان القرآن ابن عباس رَضِي اللهُ عَنْهُما: يسأل النّاس جميعًا عمّا أجابوا المرسلين، والمرسلين عما بلغوا، وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الزمر: ٦٩] قال المفسرون: يعني: الكتب التي فيها أعمال العباد، وجيء بالنبيين يسألهم ربّهم عمّا أجابتهم به أممهم. وقال ابن عباس رَضِي اللهُ عَنْهُما في الشهداء هنا: هم الذين يشهدون للرسلِ بتبليغ الرِّسالة إذا جحد أممهم. وقيل: الحفظةُ الموكَّلون بالعبدُ، وقيل: الذين يستشهدون في طاعة الله.

وقال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ۝٢١﴾ [ق: ٢١] قال مكي: المراد به البر والفاجر. وقال الضحاك: المشركون. واختلفوا في السائق فقيل: ملك وهو قول جلّ المفسرين كابن عباس، وغيره. وقيل: قرينها من الشّياطين. وقد يستأنس له بخبر الصّحيح عن ابن مسعود رَضِي اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**ما منكم من أحد إلاّ وكل به قرينه من الجن**». قالوا: وإياكَ يا رسول الله. قال: «**وإياي إلا أنّ الله سبحانه أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير**»[1] وأكثر الروايات فأسلمَ

(١) رواه أحمد ١/ ٣٨٥، ومسلم (٢٨١٤)، وأبو يعلى (٥١٤٣)، والطحاوي في «ترتيب مشكل الآثار» ٩/ ٥٤-٥٥ (٦٣٥٧)، والبغوي (٤٢١١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٧/ ١٠١. =

بالنصب أي: فإنَّه أي: قريني أسلم، وقيل: فأسلمُ بالرفع على أنّه فعلٌ مضارع أي: فأسلمُ منه. والأوّل أظهر بدليل تمام الحديث: «**فلا يأمرني إلا بخير**» .وقال ابن عباس، وجمع من المفسرين: المراد بالشهيد العمل. وقال الضحاك: إنّه مِنْ أنفسهم الأيدي، والأرجل.

وقال مجاهد: السائق، والشهيد ملكان.

إذا علم هٰذا فذكر العلماء رحمهم / ٤٨١/ الله تعالى أنَّ أول ما يسأل اللوح المحفوظ، فإسرافيل، فجبريل، ثم أصحاب الشرائع. وأخرج أبو الشيخ «**أول من يحاسب يوم القيامة اللوح المحفوظ يُدعى بِهِ ترعد فرائصه، فيقال له: هَلْ بلّغت؟ فيقول: نعم. فيقول: مَنْ يشهد لك؟ فيقول: إسرافيل، فيُدْعى إسرافيل ترعد فرائصه**[1]**، فيقال له: هل بلغكَ اللوح؟ فإذا قال: نعم. قال اللوح: الحمدُ لله الذي نجاني من سوء الحسابِ**».

وأخرج أيضًا قال: «**إذا كان يومُ القيامةِ دُعي إسرافيل ترعد**

= وقال بعده: قوله في هذه الرواية: «**ولكن الله أعانني بإسلامه**» إن كان هو الأصل يؤكد قول من زعم أن قوله: «**فأسلم**» من الإسلام دون السلامة، وكأن شعبة أو من دونه شك فيه، وذهب محمد بن إسحاق بن خزيمة - رحمه الله - إلى أنه من الإسلام، واستدل بقوله: فلا يأمرني إلا بخير، قال: ولو كان على الكفر لم يأمر بخير، وزعم أبو سليمان الخطابي - رحمه الله - أن الرواة - يروون؛ «**فأسلمَ**» من الإسلام إلا سفيان بن عيينة فإنه كان يقول: «**فأسلمُ**»: أي أجد السلامة منه، وقال: إن الشيطان لا يسلم قط.

(١) جاء في هامش الأصل: جمع فريصة وهي اللُحمة بين الجنب والكتف.

فرائصه، فيقال: ما صنعت فيما أدى إليكَ اللوح؟ فيقول: بلغت جبريل. فيدعى جبريل ترعد فرائصه، فيقال: ما فعلت فيما بلغك إسرافيل؟ فيقول: بلغت الرّسل. فيؤتى بالرّسل، فيقال: ما صنعتم فيما أدى إليكم جبريل؟ فيقولون: بلغنا النّاس فذٰلك قوله تعالى ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦][(١)].

وفي رواية «فيقول جبريل بلغتُ محمدا. فيأمر الله أن يقدم محمد بالرفق واللين، فتأتيه الملائكة مع جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، فيقولون: أجبْ ربَّك عَزَّ وَجَلَّ. فيقول جبريل: يا محمد تداركني فإن محبتي معك إنّما كانتْ لأجلِ هٰذا اليوم قال: فيأتي النبي ﷺ، ويسجد بين يدي الله، فيقول الله لي: ٱرفع رأسك، وسلْ تُعطَه، واشفع تُشَفّع فيقول الله: هل بلغكَ جبريل. فأقول: نعم. فيقول الله: وما صنعتَ بها فأقول: بلغتها إلى أمّتي قال: فيأمر الله حتى تقدم أمتي..» الخبر، وفي النفس منه شيء.

وأخرج البخاري، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُدعَى نوح يومَ القيامة فيقال: هل بلغت؟ فيقول: نعم. فتدعى أمّته، فيقال لهم: هل بلغكم نوح؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، وما أتانا أحد فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ، وأمته فذٰلك قوله ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً

(١) رواه أبو الشيخ في العظمة (٣٩٥).

وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [1] [البقرة: ١٤٣] الآية.

وأخرجَ ابن جرير، وابن مردوية عن جابر رَضِي اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**أنا وأمّتي يومَ القيامةِ / ٤٨٢/ على كوم مشرفينَ على الخلائق ما من النّاس أحد إلاّ وَدَّ أي: طلب وتمنى أنّه منّا، وما من نبي كذّبه قومه إلاّ ونحن نشهد أنّه بلغ رسالة ربّه**»[2]. قوله على كوم: هو الشيء المرتفع.

قال المفسرون: تشهد أمّة محمد يوم القيامة للأنبياء على أممهم بالتبليغ، فيقول الله لهم: شهدتم على من لم تحضروا فيقولون: أي ربنا أنت أعلم جاءنا رسولك، ونزل إلينا كتابك، فنحن نشهد بما عهدت إلينا، وأعلمتنا به فيقول الله: صدقتم.

وفي خطبته ﷺ في حجة الوداع: «**إنكم تسألون عنّي فمَا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنّكَ قدْ بلغت، وأدّيت، ونصحت فقال: اللهمَّ اشهد**» ﷺ [3].

---

(١) رواه أحمد ٣/ ٣٢، ٥٨، وعبد بن حميد في المنتخب (٩١٣)، والبخاري في صحيحه (٣٣٣٩، ٤٤٨٧، ٧٣٤٩)، وفي خلق أفعال العباد ص٤١-٤٢، والترمذي (٢٩٦١)، وأبو يعلى (١١٧٣)، وابن حبان (٦٤٧٧)، وبلفظ آخر ابن ماجه (٤٢٨٤).

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ١٩٢ وقال: رواه ابن مردويه وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه مسلم (١٢٠١٨)، وابن حبان ٩/ ٢٥٧.

فصل في شهادة الأعضاءِ والأزمنة والأمكنة.

قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ﴾ [فصلت: ٢١].

وأخرجَ مسلم، عن أنسٍ رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: كنا مع رسول الله ﷺ فضحك فقال: **«تدرون مّما أَضحك؟»** قلنا: الله ورسوله أعلم قال: **«من مخاطبة العبد ربّه يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم، فيقول: بلى. فيقول: إنّي لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا مني. فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين عليك شهودا. فيختم على فيه، ويقال لأركانه: أنطقي، فتنطق بأعماله، فيقول: بُعدًا [وسحقًا]**[١] **لكن فعنكنّ كنت أناضل»** أي: أجادل، وأخاصم، وأدافع[٢].

وأخرج الإمام أحمد، والطبراني عن عقبة بن عامر رَضِي اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: **«إنّ أوّل عظم من الإنسانِ يتكلم يوم يختم على الأفواه فخذه من الرِّجل الشّمال»**[٣].

---

(١) ساقطة من (أ).

(٢) رواه مسلم (٢٩٦٩)، والنسائي في الكبرى (١١٦٥٣).

(٣) إسناده ضعيف، أخرجه أحمد ٤/ ١٥١، والطبري في تفسيره (٢٩٢١٥)، والطبراني في الكبير ١٧/ (٩٢١)، وابن أبي عاصم في الأوائل (٥٣).

وأخرج ابن جرير عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**يدعى الكافر والمنافق للحساب، فَيعْرِضُ عليه ربُّهُ عَمَلَهُ فيجحد، ويقول: أي رب، وعزتك لقد كتب علي هٰذا الملك ما لم أعمل فيقول له الملَك: أما عَمِلتَ كذا في يوم كذا في مكان كذا فيقول: لا وعزتك. فإذا فعل ذٰلك ختم على فيه**». قال أبو /٤٨٣/ موسى: فإنّي أحسب أوّل ما ينطق منه فخذه اليمين، ثمّ تلى[1] ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ [يس: ٦٥].

وأخرج الإمام أحمد عن حكيم بن معاوية، عن أبيه، عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «**تجيئون يومَ القيامة على أفواهكم الفدام[2]، وإنَّ أوّل ما يتكلم من الآدمي فخذه**»[3] فهٰذا الحديث لم يبين أيّ فخذي المرء ينطق أوّلا، والذي قبله: «**إنّ أوّل ما ينطق من الإنسان فخذه اليمين، والذي قبله الشمال**»، ولعل ذٰلك يختلف باختلاف الأشخاصِ على أنّ حديث عقبة جزم بأنَّ أوّل ما يتكلم من الإنسان فخذه من الرِّجل الشّمال، وحديث أبي موسى لم يجزم بل قال: أحسب، وأيضًا حديث عقبة صرح برفعه إلى النبي ﷺ، ولا كذٰلك أبي موسى نعم هو في حكم المرفوع إلا أنَّ حديث عقبة مقدم هنا على حديث أبي موسى لما ذكرنا، ولم أدر ما حكمة نطق الفخذ أولا والله سبحانه وتعالى أعلم.

فصوّر نفسك أيّها المغرور في ذٰلك المقام وتأمل في حالتك إذا

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٩٢١٢)، ورجاله ثقات، رجال الشيخين.

(٢) الفدام: هو ما يربط به الفم.

(٣) أخرجه أحمد ٤/٤٤٦ (٢٠٠١١)، والطبراني في الكبير ١٩/١٠٣٨.

آشتد الزحام، ونطق أعضاؤك بما لممت به في غابر الأيام، فيالها من ساعة ما أفظعها، وهتيكة ما أشنعها، شهدت عليك أعضاؤك بما عملت من الجرائم، ونطقت بذلك أبعاضك بما فعلت من المظالم، وانتهكت من المحارم، فهٰذه لعمري الحسرة العظيمة، والمصيبة الجسيمة، وأنشدوا:

خليلي ما أقضي وما أنا قائل ... إذ جئت عن نفسي[1] بنفسي أجادل
وقد وضع الرحمنُ في الحشرِ عدله ... وسِيق جميع النَّاسِ واليوم باسل[2]
وجيء بجرم النار خاضعة له ... وتلت عروس عندها ومجادل[3]
فيا ليت شعري ذٰلك اليوم هل أنا ... أسامح أم أجزى بما أنا فاعل
فإن أك مجريا فعدل وحجة ... وإن يك غفران ففضل ونايل
فيا خير مأمول ويا خير راحم ... ويا خير من ترجى لديه الوسائل
تعطف على العاصين واغفر ذنوبهم ... فعفوك مأمول وجودك شامل/ ٤٨٤/
وصل على خير الأنام محمّد ... صلاة [بها] تعطيه ما هو آمل

وقُلْتُ في المعنى:

كَفَى حسرة يا نَفْس لو كُنت تعْلمي ... شهادة أعضائي بما كنت تجرمي
ونادى منَاد الحق ها أنت شاهد ... عليك وقد ختم العظيمُ على فمي

---

(١) ورد في هامش الأصل: عن نفسٍ: أي: ذاتي أجادل: أي: أسعى في خلاصها لا يهمني غيرها.

(٢) ورد في هامش الأصل: باسل: أي: بطل وشجاع.

(٣) ورد في هامش الأصل: المجادل: جمع مِجْدَل: القصر. والمراد بالعروس: الجنة، وبالمجادل: قصورها.

فوا خجلتي يا نفسُ في ذٰلك الملأ إذَا قِيل هٰذا قد أتى بمحرم
فيا نفس تُوبي واتقي الله وارجعي وصومي وصلي واحفظ الله تسلمي
وقومي على الطاعات وارعي حدودَ مَنْ براكَ [وتوبي][1] واتقي الله واندمي
ونوحي على الذَّنبِ القْديم الذي مضى لعلك يا نفسي لدى الله تُرحَمِي
وإن كنتِ نفسي فاذكري الله واحذري محارمه طرا وصلي وسلمي
على المصطفى الهادي الأمين وآله وأصحابه ما عَنَّ لي في ترنمي

قال المفسرون في قوله تعالى حكاية عن المشركين ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]: إنهم إذا رأوا في القْيامة مغفرةَ اللهِ تعالى، وتجاوزه عن أهل التّوحيدِ قال بعضهم لبعض: تعالوا نكتم الشركَ لعلنا ننجوا مع أهل التوحيد فيقولون: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] فيقول اللهُ لهم ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢] أنَّهم شركاء ثُمَّ يختم على أفواههم، وتشهد جوارحُهم بالكفر.

وأخرج أبو يعلى، والحاكم وصححه عن أبي سعيد رَضِي اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: **«إذا كان يوم القيامة يمر الكافر بعمله فيجحد، ويخاصم فيقال: هٰؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول: كذبوا، فيقول: أهلك وعشيرتك، فيقول: كذبوا، فيقول: احْلفوا فيحلفون، ويصمتهم الله، ويشهد عليهم ألسنتهم، فيدخلهم النَّار»**[2].

---

(١) ما بين معقوفتين ساقط من (أ).

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده (١٣٩٢)، والحاكم ٤/ ٦٠٥، وصححه ووافقه الذهبي، وأورده الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٥١ وقال: رواه أبو يعلى بإسناد حسن، على ضعف فيه.

وأخرج الإمام أحمد، والترمذي وصححه، والنّسائي، وابن حبان، والبيهقي عن أبي هريرة رَضي اللهُ عَنْهُ قال: قرأ رسولُ اللهِ ﷺ هٰذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝﴾ [الزلزلة: ٤] **أي: تشهد على كلِّ عبدٍ وأمة بما عمل على ظهرها تقول: عمل كذا وكذا، يوم كذا وكذا فذٰلك أخبارها**»[١].

وأخرج الطبراني أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**تحفظوا مِنَ الأرضِ فإنّها أمكم، وإنّه ليسَ من أحد عامل / ٤٨٥/ عليها خيرًا، أو شرًا إلاّ وهي مخبرة**»[٢].

وأخرجَ أبو نعيم[٣] عن معقل بن يسار مرفوعًا: «**ليس من يوم يأتي على ابن آدم إلاّ ينادي فيه يا ابن آدم أنا خلقٌ جديد، وأنا فيما تعمل غدًا شهيد، فاعملْ فيّ خيرًا أشهد لكَ به غدًا فإنّي لو قد مضيت لم ترني أبدًا، ويقول الليل مثل ذٰلك**».

وأخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري أنَّه قال لعبدِ الرحمن: إني أراك تحب الغنم، والبادية فإذا كنت في غنمك، أو باديتك فأذّنت للصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنّه لا يسمع صوت المؤذن جنٌّ ولا إنس ولا شيء إلاّ شهدَ يوم القيامة[٤].

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٧٤، وابن حبان ٧٣٦٠، والترمذي ٢٤٢٩.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٥/٤٥٩٦.

(٣) «حلية الأولياء» (٣/ ٣٠٣) قال غريب من حديث معاوية تفرد به عنه زيد ولا أعلمه روي مرفوعًا عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٩، ٣٢٩٦، ٧٥٤٨، وأحمد في مسنده ٣/ ٣٥، ٣/ ٤٣.

فائدة: أخرج الأصبهاني في ترغيبه[1] عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: «إذا تابَ العبدُ مِنْ ذنوبه أنسى الله حفظته ذنوبه، وأنسى ذٰلك جوارحه، ومعالمه من الأرضِ حَتَّى يلقى الله يومَ القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب» وهٰذه بشارة عظيمة فنسأل الله سبحانه أن يرزقنا توبةً نصوحا تمحو ما تقدمها من الذّنوب والخطايا بمنه وفضله.

---

(١) (٧٧٨) وذكر المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٩٤) وعزاه للأصبهاني وضعفه.

فصل في حساب المؤمنِ ومَنْ يكلمه الله، ومن لا يكلمه

قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨] قال حبرُ القرآنِ ابن عباس رَضِي اللهُ عَنْهُما في هٰذه الآية: ليس مؤمن، ولا كافر عمل خيرًا، ولا شرًا في الدّنيا إلا أراه اللهُ إياه، فأما المؤمن فيريه حسناته وسيئاته فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته وأما الكافر فيريه حسناته وسيئاته فيرد عليه حسناته، ويعذبه بسيئاته.

وأخرج مسلم[1] عن أبي ذر رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يؤتى بالرَّجلِ يومَ القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، فيعرض عليه صغارها، ويخبأ عليه كبارها، فيقال: عملت يوم كذا وكذا كذا، وهو يقر ليس ينكر، وهو مشفق من الكبائر أن تجيء فيقال: أعطوه مكان كلّ سيئة عملها حسنة فيقول: إنَّ لي ذنوبًا لا أراها هنا»** فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حَتَّى بدت نواجذه.

وفي الصحيحين[2]: **«يدنو أحدكم من ربّه حَتَّى يضع كنفه عليه، فيقول: عملتَ كذا وكذا فيقول: نعم. ثم يقول: «إنّي سَترتُها / ٤٨٦/ عليكَ في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه.**

(١) مسلم (٣١٤).

(٢) البخاري (٤٦٨٥)، ومسلم (٢٧٦٨)، النسائي في الكبرىٰ (١١٢٤٢).

وأما الكافر والمنافق، فينادى به على رؤس الأشهاد: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾» [هود: ١٨]

وأخرج البيهقي(١) عن أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «يؤتى بالعبدِ يوم القيامة، فيستر ربه بينه وبين النَّاس فيرى خيرا، فيقول: قد قبلت ويرى شرًا، فيقول: قد غفرت. فيسجد عند الخير والشر، فيقول الناس: طوبى لهٰذا العبد الذي لم يعمل شرًا قط».

وعن أبي هريرة(٢) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ليأتين ناسٌ يومَ القيامة ودوا أنهم اْستكثروا من السيئأت. قيل: من هم؟ قال: الذين بدل الله سيئاتهم حسنات»(٣).

وأخرج أبو نعيم(٤) عن بلال بن سعد قال: «إنَّ الله يغفر الذنوب، ولٰكن لا يمحوها من الصّحيفة حَتَّى يوقفه عليها يوم القيامة، وإنْ تاب منها».

وأخرج الشيخان(٥) عن عدي بن حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يومَ القيامة ليس [بينه](٦)

---

(١) في «البعث والنشور» حديث (٥٤)، «الحلية» (١/ ٢٦٢).

(٢) «الدر المنثور» تفسير آية (٧٠) الفرقان.

(٣) ورد بهامش الأصل: حسنات: هذا يقتضي أنه يثبت بدل كل عقابٍ ثوابًا، وقيل في التبديل أن يوقفه لأضداد ما سلف منه.

(٤) الحلية (٤/ ٢٢٦).

(٥) البخاري (١٤١٣)، ومسلم (١٠١٦)، وأحمد (٤/ ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩، ٣٧٧).

(٦) ليست موجودة في (أ) وهي في (ب).

وبينه حجاب يحجبه، ولا ترجمان يترجم له، فيقول: أولم أوتك مالا» فيقول بلى فيقول: أولم أرسل إليك رسولا؟ فيقول: بلى. فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، وينظر عن يساره فلا يرى إلا النار، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النّار فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة، فإنْ لم يجد فبكلمة طيبة».

قال العلماء: ذلك يكون على الصراط والنار محيطة به وأخرج البيهقي[1] عن أبي هريرة رَضِي اللهُ عَنْهُ أنَّه قال: قال أعرابي: يا رسول الله مَنْ يحاسب الخلقَ يوم القيامة؟ قال: **«الله»** قال: نجونا ورب الكعبة. قال: **«وكيف يا أعرابي؟»** قال: لأنّ الكريم إذا قدر عفا.

وما أحسن ما قيل من الحكم المدوّنة: الكريم إذا قدر غفر وإذا زللت معه ستر. ومنها: ليس من عادة الكرام سرعة الغضب والانتقام.

فائدة: ذكر القرطبي في «التذكرة»[2] أنَّ الله سبحانه وتعالى يكلِّم المسلمين عند الحساب من غيرِ ترجمان إكرامًا لهم، ولا يكلم الكافرين، بل تحاسبهم الملائكة /٤٨٧/ إهانة لهم وتمييزًا عن أهل الكرامة.

وأخرج الشيخان[3] عن أبي هريرة رَضِي اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: **«ثلاثة لا يكلمهم[4] الله يوم القيامة، ولَا يزكيهم، ولهم عذابٌ**

---

(١) «كنز العمال» ٣٩٧٤٩ .

(٢) (١/ ٣٤٣) في أسماء يوم القيامة ومنها يوم الحساب.

(٣) البخاري (٢٣٦٩)، ومسلم (١٠٨)، والنسائي (٧/ ٢٤٦)، وابن ماجه (٢٨٧٠).

(٤) ورد في هامش الأصل: أي: كلامًا يسرهم، وهو كناية عن غضبه، والصحيح إثبات الكلام لله عز وجل على الحقيقة كما أثبته لنفسه عز وجل =

إليمٌ: رجل على فضل ماء بالطريق[١] يمنع منه ابن السبيل، ورجل بايع إمامًا ما يبايعه إلا لدنيا، فإنْ أعطاه ما يريد وفّى له وإلاّ لم يف له، ورجل يبايع رجلا سلعة بعد العصر[٢] فحلف بالله لقد أعطى كذا وكذا فَصَدَّقه ولم يُعطَ بها».

فشمل هٰذا الحديث هٰؤلاء الثلاثة أشخاص، فالأول: في غاية البخل والشح لأنَّه منع فضلَ ماء بالطريق فلا شك أنَّ هٰذا مِنْ أعداءِ اللهِ حيث مَنَعَ ما لم يحتاج إليه من هو محتاجٌ إليه، والبخيل عدوّ الله من غير شك فقبَّح اللهُ البخلَ وأهلهُ، ورحم الله أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز قدس الله روحه حيث قالت: أف للبخل لو كان قميصًا ما لبسته، أو كان طريقًا ما سلكته.

والثاني: في الغدر ولا شك أنَّ الغدرَ مذموم، وصاحبه من الخيرات محروم. قال بعض العلماء: رب غادر لا تظفر يداه بغادر، وضاقت عليه من موارد الحركات فسيحات المصادر، وطوّقه غدره طوق خزي فهو على فكه غير قادر، وأوقعه في خِطَئِةِ[٣] خسف وورطة حتف فما له من قوة ولا ناصر.

= ورسوله ﷺ إثباتاً يليق بجلاله من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبه ولا تعطيل كما أثبته لنفسه.

(١) ورد بهامش الأصل: أي: له ماء فاضل عن كفايته.

(٢) ورد بهامش الأصل: خصّه لشرف وقته.

(٣) كذا في (أ) والمثبت في (ب) (خَطِته).

والثالث: الحلف بالله كذبًا لاسيما بعد العْصرِ، وهٰذا معلوم قبحه فنسأل الله العافية(١).

وأخرج مسلم(٢) عن أبي ذر رَضِي اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثلاثة لا يكلمهم اللهُ يومَ القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليمٌ: شيخٌ زانٍ، ومَلِك كذَّابٌ، وعائلٌ أي: فقير مستكبر**».

فلا شك أن هٰؤلاء الثلاثة أشخاص بالغوا في القبح، فإنَّ الزنا من حيث هو قبيح لٰكن من الشيخ الكبيرِ الذي قد ٱنطفت شهوته، ولم يحمله على فعلِ هٰذه الكبيرة إلا مجرد العناد والحماقة أقبح، وكذلك الكذب إنما يحمل عليه الحاجة والطمع والخوف ونحو هٰذه الأمور، ومن المعلوم أنّ المِلك لا يفتقر لشيء من هٰذه الأشياء؟ فالكذب قبيح ومن المِلك أقبح لكونه إنَّما فعله لعناده /٤٨٨/ وحماقته، وكذلك الكبر قبيح ومن الفقير الذي لم تتوفر له الأسباب الحاملة على الكبر أقبح. نعم إنْ تكبر الفقير على المتكبر بمعنى أنَّه لم ينخفض له من أجل دنياه بل تنزه والتجأ إلى اللهِ فهٰذا مِنْ مكارم الأخلاقِ التي يحمد عليها مَنْ فعلها. فنسأل الله أنْ يمن علينا بالتوفيق لما يرضيه عنا بمنه وكرمه.

---

(١) قال ابن حجر رحمنا الله وإياه في الفتح (٧٢١٢): قال الخطابي خص وقت العصر بتعظيم الإثم فيه وإن كانت اليمين الفاجرة محرمة في كل وقت لأن الله عظم شأن هذا الوقت بأن جعل الملائكة تجتمع فيه وهو وقت ختام الأعمال والأمور بخواتيمها فغلظت العقوبة فيه لئلا يقدم عليها تجرؤاً فإن من تجرء عليها فيه اعتادها في غيره. . . . !اهـ. محل المقصود منه.

(٢) مسلم (١٧١).

وأخرج الطبراني بسندٍ صحيح عن سلمان رَضِي اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**ثلاثة لا يكلِّمهم اللهُ يومَ القيامةِ، ولا يزكيهم، ولهم عذابٌ أليم: أُشَيْمِطٌ**[1] **زانٍ، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه**».

وأخرجَ الإمامُ أحمد، والطبراني بسند جيد عن معاذ بن جبل رَضِي اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ ولي مِنْ أمور النَّاسِ شيئًا فاحتجب عن أولي الضعف والحاجة، احتجب الله عنه يوم القيامة**»[2] ومن هٰذا كثير والله الموفق.

---

(١) كذا مثبت في (أ) وفي (ب) وعند الطبراني في «الأوسط» (٥٥٧٧) (أشمط).

(٢) أحمد (٥/ ٢٣٩) الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٣١٦).

فصل في سرعة الحساب، وفيمن يدخل الجنَّة بغيرِ حساب

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩] روي أنه تعالى يحاسب الخلق في قدر حلب شاة، وفي مقدار فواق ناقة. وروي في مقدار لمحة ذكره الزمخشري في كشافه قال الحسن: حسابه أسرع من لمح البصرِ حكاه الثعلبي عنه. وقيل لعليّ بن أبي طالب رَضِي اللهُ عَنْهُ: كيف يحاسب اللهُ الخلائق يومَ القيامة؟ قال: كما يرزقهم في يوم واحد.

وفي الحديث: «**لا ينتصف النّهار [يوم القيامة]**[1] **حَتَّى يستقر أهل الجنةِ في الجنةِ وأهل النَّارِ في النَّارِ**».

قال بعضهم: من غريب حكم الآخرة أنّ الرجل يؤتى به إلى اللهِ فيوقفه، وتوزن حسناته وسيئاته، وهو يظن أنَّ الله لمْ يحاسب أحدًا سواه، وقد حاسب في تلك اللحظةِ آلاف ألوف، وما لا يمكن حصره. قال العلامة: قلت: لعل السر في هٰذا وتقريبه للعقول أن معنى الحساب قال المفسرون: تعريف الله عَزَّ وَجَلَّ الخلائق مقادير الجزاء على أعمالِهم، وتذكيره إياهم على ما قد نسوه. قال: وهٰذا قريبْ للعقل جدًا بأنْ يخلق الله في قلوبهم العلوم الضرورية بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب في لحظة واحدة ٱنتهى.

(١) ليست موجودة في (أ)، وهي مثبتة في (ب).

قُلْتُ: والحق أنَّه سبحانه يحاسبهم حسابًا حقيقيًا، وتوزن أعمالهم وزنًا حسيًا، ويخلوا الباريء عَزَّ وَجَلَّ بكلِّ عبد مِنْ عبادِه المؤمنين، ويقرره عن أعماله كما نطق بذلك الحديث الصَّحيح، والنص الصريح الثابت عن المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وأي حساب يصدر من الله لعباده حيث جعلتم الحسابَ مجرد خواطر وأوهام وتخيلات تمر بالأفهام؟!

وقد قدمنا أنَّ السماوات والأرض بالنسبة إلى الكُرسي كحلقة ملقاة في فلاة من الأرضِ مع أنّه ينزل الباريء فيضعه حيث شاء مِنَ الأرضِ فهذا العقل قد يرده لعدم تدبره مع أنَّ الحق ما صحَّ به الحديث الثابت، فالذي ندين الله به التسليم لجميع ما صَح عنه ﷺ، [ولنلقى جميع ذلك بالقبول من غير طعن في شيء مما ثبت عنه ﷺ][1] ونحمله على حقيقته، ونكل معنى ما أشكلَ مِنْ ذلك إلى اللهِ، وأمَّا هذه التخيلات، أو أنَّ اللهَ سبحانه إذا حاسب واحدًا من خلقه فقد حاسب جميع الناس، والخلائق فالحامل عليه مجرد قصور عقل من لا يُسَلّم للشريعة المطهرة، وأمَّا من سَلّم لها فقد زال عنه الإشكال، واتضح له الحال فهو إذا سمع حديثَ المصطفى ﷺ هَش له فرحا، ورقص قلبه له طربا؛ لأنَّه كلامُ طبيبِ القلوبِ المرَضى ﷺ.

وأخرجَ البزار، والطبراني بإسناد صحيح عن ابن الزبير رَضِي اللهُ عَنْهُما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نوقش الحساب**

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط في (أ) واستدركناه من (ب).

هلك» وأخرج البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي[1] عن عائشة رَضِي اللهُ عَنْها أن النبي ﷺ قال: «**من نوقش الحساب عُذِّب**» فقلت: يا رسول اللهِ أليس يقول اللهُ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾ [الانشقاق: ٧-٩] فقال: «**إنَّما ذٰلك العرض وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلاَّ هلك**».

وأخرج الإمامُ أحمد[2] بإسنادٍ صحيح عن عائشة رَضِي اللهُ عَنْها سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعضِ صلاته: «**اللهم حاسبني حسابًا يسيرا**» فلمّا انصرف أي: فرغ /٤٩٠/ مِنْ صلاته قلت: يا رسولَ اللهِ ما الحساب اليسير؟ قال: «**أنْ ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه إنَّه مَنْ نوقش الحساب يَا عائشة هَلك وكلّ ما يصيب المؤمن يكفر عنه من سيئاته حَتَّى الشوكة يشاكها**». وأخرج الإمام أحمد في (الزُّهد): «**أوحى اللهُ إلى داود أنذر عبادي الصّديقين فلا يعجبون بأنفسهم، ولا يتكلمون على أعمالهم فإنَّه ليس أحد مِن عبادي أنصبه للحساب، وأقيم عليه عدلي إلاّ عذبته من غير أنْ أظلمه**».

وأخرج الشيخان[3] عن أبي هريرة رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: قال

---

(١) البخاري (١٠٣) ٤٩٣٩، ومسلم (٢٨٧٦)، والترمذي (٣٣٣٧) وأبو داود (٣٠٩٣)، وأحمد (٦/ ١٠٨). مضى في ص٧٩٨ ت(٢).

(٢) أحمد (٦/ ٤٨)، والطبري (٣٠/ ١١٥)، والحاكم (١/ ٥٧، ٢٥٥)، (٤/ ٢٤٩، ٥٧٩).

(٣) البخاري (٩٣) (٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦)، انظر ت(١، ٢) ص٨٠٠ من رواية عائشة وأبي سعيد.

رسول الله ﷺ: «**لنْ يُنجيَ أحدا منكم عملُهُ**» قالوا: ولا أنت يا رسولَ اللهِ؟ قال: «**ولا أنا إلاَّ أنْ يتغمَّدني اللهُ برحمة منه وفضل**».

وأخرجا أيضًا عن عائشة[1] رَضِي اللهُ عَنْها، عنه ﷺ أنَّه قال: «**سَدِّدُوا وقاربوا وأبشروا فإنَّه لا يدخل الجنة أحدًا عملُه**» قالوا: **ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «وَلاَ أنا إلا أنْ يتغمدني اللهُ بمغفرة ورحمةٍ»**.

واستشكل هٰذا بقوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢] وأجيب بحمل الآية على أن الجنة تنال المنازل فيها بالأعمال، وأمَّا أصل دخلوها والخلود فيها فبرحمة اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بدليل ما روي عن ابن مسعود رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: «**تجوزون على الصّراط بعفو الله، وتدخلون الجنة برحمة اللهِ، وتقتسمون المنازل بأعمالكم**» فنسأل الله بنور ذاته المقدسة أنْ يدخلنا الجنَّة برحمته، وأن يمن علينا بالنَّظر إلى وجهه من غير سابقة عذاب، ولا محنة إنه جواد كريم رؤوف رحيم.

واعلم أنَّ طائفة مِنْ هٰذه الأمّة الشريفة تدخل الجنة بغير حساب، وذٰلك قبل حساب الخلق ووضع الموازين وأخذ الصحف فقد أخرجَ الشيخان عن ابن عباس رَضِي اللهُ عَنْهما قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «**عرضت[2] عليّ الأمم يمر النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي ليس معه أحد/ ٤٩١/ ، والنبي**

---

(١) انظر ت(١، ٢) ص٨٠١.

(٢) ورد بهامش الأصل: أي: مثلت لَهُ كما تنطبع الصورة في المرآة.

معه الرهط فرأيتَ سوادًا كثيرًا فرجوت أن يكون أمتي فقيل: هٰذا موسى ﷺ وقومه ثم قيل: انظر فرأيت سوادًا كثيرًا فقيل لي: هٰؤلاء أمّتك ومع هٰؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب». فتفرق الناس، ولم يبين لهم رسول اللهِ ﷺ، فتذاكر أصحابه، فقالوا: أمّا نحن فولدنا في الشرك، ولٰكن قد آمنا بالله ورسوله هٰؤلاء أبناؤنا. فقال رسول الله ﷺ: «هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاشة بن محصن فقال: أنا منهم يا رسول الله وفي لفظ: (ادعو الله أن أكون منهم) قال: «نعم» ثم قام آخر فقال: أنا منهم، فقال: «سبقك بها عكاشة»[1].

قال الإمام المحقق في كتابه «الداء والدواء»: قوله ﷺ: «سبقك بها عكاشة» لم يرد أن عكاشة وحده أحق بذٰلك ممن عداه من الصحابة، ولٰكن لو دعا له لقام آخر وآخر، وانفتح الباب، وربما قام من لم يستحق أن يكون منهم فكان الإمساك أولى انتهى[2].

فلا يفهم من هٰذا يعني قوله ﷺ: «سبقك بها عكاشة» أنَّ عكاشة اختص بذٰلك دون غيره، بل لا يريد أن الرجل الذي سأل المصطفى ﷺ ليس من الذين يدخلون الجنة بغير حساب كيف؟! وهو كما فسره بعض العلماء إنه سعد بن عبادة، وأياديه في الإسلام مشهورة،

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٧٥٢) كتاب: الطب، ومسلم برقم (٢٢٠) كتاب: الإيمان.

(٢) انظر «الداء والدواء» ص: ٦٥، فصل: لوازم الرجاء.

ومناقبه أَمَامَ رسول الله ﷺ مأثورة، ومن تأمل حاله لاسيما ما صدر منه يوم أحد، وما تكلف علم أنَّه أحق بذلك من كثير من الناس، بل نظير هٰذا ما ذكره الإمام المحقق قول سيدنا حذيفة رَضِي اللهُ عَنْهُ لسيدنا عمر بن الخطاب رَضِي اللهُ عَنْهُ: أنشدك الله هل سماني لك رسول الله ﷺ؟ يعني: في المنافقين قال: لا. ولا أزكي بعدك أحدا. قال المحقق في «الداء والدواء»: سمعت شيخ الإسلام قدس الله روحه يقول: ليس مراده أي: حذيفة أني لا أبرئ غيرَك من النفاق، بل المراد أني لا أفتح عليَّ هٰذا الباب فكل من سألني / ٤٩٢/ هل سماني لكَ رسول اللهِ ﷺ فأزكيه. انتهى[١].

فهٰذا نظير ما تقدم وإلاَّ فحاشا أنْ يكون حذيفة رَضِي اللهُ عَنْهُ لا يبرئ أكابر الصحابة من النفاق كيف؟! وقد جزم المعصوم لكثير منهم بالجنة كالعشرة، وعبد الله بن سلام، والسبطين، وأبي سفيان بن الحارث، وغيرهم والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأخرج الترمذي وحسنه عن أبي أمامة رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسولَ اللهِ ﷺ يقول: **«وعدني ربِّي أنْ يُدْخِلَ الجنَّةَ من أمَّتي سبعين ألفا لا حسابَ عليهم ولا عذابَ، مع كلِّ ألفِ سبعون ألفًا وثلاثُ حثيات مِنْ حثيات ربي»**[٢].

قوله: **«وثلاث حثيات من حثيات ربّي»** قال في مشارق الأنوارِ:

---

(١) انظر «الداء والدواء» ص٦٤-٦٥ .

(٢) «سنن الترمذي» برقم (٢٤٣٧) كتاب: صفة القيامة. وصححه الألباني.

ويروى «**حفنات**» بالفتح وهو الغرف ملء اليدين، وقيل: الحثية باليد، والحفنة باليدين[١].

وأخرجَ الإمام أحمد، والبزار، والطبراني عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رَضِي اللهُ عَنْهُما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ ربِّي أعطاني سبعين ألفًا من أُمَّتي يدخلون الجنة بغير حساب**» فقال عمر: يا رسول الله هلا ٱستزدته! قال: «**قد ٱستزدته [فأعطاني]**[٢] **مع كلِّ رجل سبعين ألفا**» فقال عمر: هلا[٣] ٱستزدته! قال: «**قد ٱستزدته فأعطاني هكذا**» وفرَّج بين يديه، وبسط باعيه، وحثا. قال هشام: هٰذا مِنَ اللهِ لا يُدْرَى ما عَدَدُه[٤].

وأخرج الطبراني، والبيهقي عن عمرِو بن حزم الأنصاري رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: تغيب عنا رسول الله ﷺ ثلاثًا لا يخرج إلاَّ إلى صلَاة مكتوبة، ثم يرجع، فلمَّا كان يوم الرابع خرجَ إلينا فقلنا يا رسول الله: ٱحتبست عنا حَتَّى ظننا أنه حدث حدث قال: «**لم يحدث إلا خير إنَّ ربي وعدني أنْ يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفا لا حساب عليهم، وإني سألت ربِّي في هٰذه الثلاثة أيام المزيد فوجدت ربي ماجدًا**

---

(١) انظر «مشارق الأنوار» ١/ ٢٠٨ .

(٢) ليست في (أ) وهي مثبتة في (ب).

(٣) في (ب) (فهلا).

(٤) رواه أحمد ١/ ١٩٧، والبزار في «البحر الزخار» ٦/ ٢٣٤ (٢٢٦٨).
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ٤١٠ وقال: رواه أحمد والبزار بنحوه والطبراني بنحوه.

كريما فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا قلت: يا رب وتبلغ أمتي هٰذا/ ٤٩٣/ ؟ قال: أكمل لك العدد من الأعراب»[١].

ففي هذين الحديثين أن مع كلّ واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا، وعامة الأحاديث سواهما مع كل ألف من السبعين ألفا سبعون ألفا. وأخرجَ البزارُ عن أنسٍ رَضِي اللهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«يدخل الجنَّة من أمَّتي سبعون ألفًا بغير حساب»** فقال أبو بكر رَضِي اللهُ عَنْهُ: يا رسول الله زدنا. قال: **«وهكذا»** فقال عمر: يا أبا بكر إنْ شاء الله أدخلهم الجنة بحفنة واحدة[٢].

ومن هنا يعلم أنَّ في هٰذا الحديث حذف تقديره **«وهكذا ثلاثًا»** أي ثلاث حثيات بدليل قول عمر إن شاء الله أدخلهم الجنة بحفنة واحدة، وقد جاء ذٰلك مصرحًا في رواية والله أعلم[٣].

---

(١) البيهقي في «شعب الإيمان» ١/ ٢٥٢ باب: حشر الناس. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ٤١٠، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه البزار كما في «كشف الأستار» ٤/ ٢٠٩ (٣٥٤٨). وقال: لا نعلم أحدًا تابع أبا هلال على روايته، وإنما يروية قتادة عن غير أنس.

(٣) قال القاضي أبو يعلىٰ رحمه الله في «طبقات الحنابلة» عبد العزيز بن جعفر المعروف بغلام الخلال (٢/ ١٢٢، ١٢٣) حكىٰ لنا أبو بكر أحمد بن إسحاق المعروف بابن سكينة الأزجي قال: حكىٰ لنا الشيخ أبو الفضل ابن التميمي، قال حكىٰ لي شيخ كان يسافر في طلب الحديث أنه وقع إليَّ في خبر أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب» قال: فسافرت كذا وكذا بلدًا أسأل هل هناك زيادة علىٰ هٰذا العدد، فما زادني أحدٌ، وكل يقول: هكٰذا سمعنا، فدخلت مدينة البصرة وسألت عن ذلك فما زادني=

وأخرجَ الطبراني بسند حسن عن أنس مرفوعًا قال: «**إذا وقف العباد للحساب جاء قوم واضعي سيوفهم على رقابهم تقطر دما فازدحموا على باب الجنةِ فقيل: مَنْ هٰؤلاء؟ قيل: الشهداء كانوا أحياء يرزقون، ثم ينادي مناد: ليقم مَنْ أجره على الله فليدخل الجنة، ثم ينادي مناد الثانية: ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة. قال: ومن الذي أجره على الله؟ قال: العَافُونَ عن النَّاس. ثم ينادي الثالثة: ليقم من أجره على**

= أحد فلما كان ذات يوم نمت وأنا تعب فرأيت النبي ﷺ فقبلت قدمه، فقال لي: يا فلان قد تعبت في هٰذا الخبر الذي سمعته عني فقلت له: أي والله يا رسول الله، فقال لي: امض إلىٰ بغداد إلىٰ جامع الخليفة سترىٰ رجلًا واسع الجبين، جهوري الصوت، فسله عن هذه المسألة، يعني أبا بكر عبد العزيز، فإنه يجيبك قال: فلم يحملني القعود حتى مضيت إلى بغداد قال: فقلت في نفسي، لا سألت أحداً عن هذا الرجل حتى أدخل الجامع وأنظر إلى الصفة التي وصفها رسول الله ﷺ فدخلت يوم الجمعة الجامع فسمعت صوته فإذا هو بالصفة التي وصفها رسول الله ﷺ إلى أن وصلت بين يديه فقال لي: اجلس، فجلست، فقال لي سراً: ألست الرجل الذي بعث بك رسول الله ﷺ؟ فوقعت عليَّ الرعدة. فوقفت حذاءه، فقلت: أيها الشيخ مسألة قال: أوسعوا للشيخ موضعاً: قلت: نعم. وأمسكت ثم قال لي: أيها الشيخ هات مسألتك، فسألت عن الحديث أن النبي ﷺ قال: «يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب» فقال لي يا أبله، أنت والذين سألتهم. حدثنا فلان عن فلان - وذكر الإسناد- أنه إذا كان يوم القيامة وحصل أهل الموقف يقول الله سبحانه وتعالىٰ هؤلاء ولا أبالي ثلاث مرات، ويحثي ثلاث حثيات، فمن قبضته أربع عشرة سماء وأرض كحبة خردل في أرض فلاة! كم مرة سبعون ألف؟. ا.هـ. محل المقصود وما أجمل هٰذه الحكاية نسأل الله أن يتغمدنا بواسع رحمته ووالدينا وذرياتنا وجميع المسلمين.

الله فليدخل الجنة. فقام كذا وكذا ألفا فدخلوها بغير حساب»[١].

وفي مرفوع أسماء بنت يزيد: «يجمع اللهُ [النَّاسَ يومَ القيامة][٢] في صعيدٍ واحد يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، فيقوم مناد ينادي أين الذين كانوا يحمدون الله في السّرّاء والضراء؟ فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنَّة بغير حساب، ثم يعود فينادي: أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع؟ فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يعود فينادي: ليقم الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله؟ فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يقوم سائر الناسِ فيحاسبون» رواه ابن أبي الدنيا، وغيره[٣]، وذكره الإمام الحافظ ابن رجب في كتابه «لطائف المعارف» قال: قد روي /٤٩٤/ أنَّ المتهجدين يَدْخلون الجنة بغيرِ حساب فذكر عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد، عن النبي ﷺ أنَّه قال: «إذا جمعَ اللهُ الأوّلين والآخرين يومَ القيامةِ، جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق: سيعلم الخلائق اليوم من أولى بالكرم». فذكر الحديث.

قال الحافظ ابن رجب في اللطائف: ويروى يعني: هٰذا الحديث عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس من قوله ويروى نحوه من حديث أبي إسحاق عن عبدِ اللهِ بن عطاء، عن عقبة بن عامر مرفوعًا وموقوفا، ويروى نحوه أيضًا عن عبادة بن الصامت، وربيعة الحرشي، والحسن،

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» ٢/ ٢٨٥ (١٩٩٨).

(٢) كذا في (أ). وفي (ب) (يوم القيامة الناس).

(٣) رواه هناد في «الزهد» ١/ ١٣٤ (١٧٦) التهجد لابن أبي الدينا (٣٤١).

وكعب من قولهم. قال في اللطائف: قال بعضُ السَّلفِ: قيامُ الليل يهوّن طول قيام يوم القيامة. قال: وإذا كان أهله يسبقون إلى الجنة بغير حساب فقد ٱستراح أهله من طول الوقوف للحساب. والله أعلم.

وأخرجَ البزار عن زيد بن أرقم مرفوعًا: «**ما ٱبتلي عبد بعد ذهاب دينه بأشد من بصره، ومن أبتلي ببصره فصبر حَتَّى يلقى الله، لقي الله ولا حساب عليه**»[١].

وأخرج البخاري عن أنس رَضِي اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**إذا ٱبتليت عبدي بحبيبتيه، ثم صبرَ عوضته منهما الجنَّة**» يريد: عينيه[٢]. وفي حديث جابر: «**مَنْ ماتَ في طريق مكة ذاهبًا، أو راجعًا لم يعرض، ولم يحاسب**»[٣].

وفي حديث أبي هريرة: يا رسولَ الله هَلْ فينا رجل يدخل الجنة بغير حساب؟ قال: «**نعم كلّ رحيم صبور**». وفي حديث أبي أيوب الأنصاري مرفوعًا: «**طالب العلم، والمرأة المطيعة لزوجها، والولد**

---

(١) رواه البزار في «كشف الأستار» ١/ ٣٦٦ (٧٧٠).
وقال الهيثمي في «المجمع» ٢/ ٣٠٨: رواه البزار، وفيه: جابر الجعفي، وفيه كلام كثير وقد وثق.

(٢) «صحيح البخاري» برقم (٥٦٥٣) كتاب: فضل من ذهب بصره.

(٣) رواه ابن عدي في «الكامل» ١/ ٥٥٦ ترجمة «إسحاق بن بشر» وقال عن إسحاق هو في عداد من يضع الحديث.
والحارث كما في «بغية الباحث» (٣٥٠) كتاب: الحج.
وقال الألباني في «الضعيفة» (٢٨٠٤): موضوع.

البار بوالديه يدخلون الجنة بغير حساب»(١). وفي حديث أبي هريرةَ مرفوعًا: «إنَّ شدة الحسابِ لا تصيب الجائع إذا آحتسب»(٢).

وفي حديث أنس مرفوعًا: «من مشى في حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكلٍ خطوة عبادة سبعين سنة، فإن قضيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وإن هلك فيما بين ذٰلك دخل الجنة بغير حساب»(٣). وعائشة مرفوعًا: «من ربى / ٤٩٥/ صبيًا حَتَّى يقول: لا إلٰه إلا الله لم يحاسبه الله»(٤). وعطاء مرفوعًا: «ما من مسلم أو مسلمة يموت ليلة الجمعة إلا وقي عذاب القبر، وفتنة القبر، ولقي الله ولا حساب عليه». وتقدم والله أعلم(٥).

---

(١) رواه الرافعي في «تاريخ قزوين» ١/ ٢٥٥-٢٥٦. وقال الألباني في «الضعيفة» (٣٢٥٣): حديث موضوع، ظاهر البطلان.

(٢) رواه البيهقي في «الشعب» ٧/ ٣١٤ (١٠٤٢٥) باب: في الزهد وقصر الأمل. والديلمي في «الفردوس» ٥/ ٣٤٨ (٨٣٩٣).

(٣) رواه أبو يعلى في «مسنده» ٥/ ١٧٥-١٧٦ (٢٧٨٩) وذكره الهيثمي في «المجمع» ٨/ ١٩٠، وقال: رواه أبو يعلى، وفيه: عبد الرحيم بن زيد العمِّي وهو متروك.

(٤) رواه الطبراني في «الصغير» ٢/ ٢٣ (٧١١). وابن عدي في «الكامل» ٤/ ٣٠٤ ترجمة «الشاذكوني»: وقال منكر بهذا الإسناد، ولعل البلاء فيه من أبي عمير هذا؛ فإنه ضعيف. وقال الألباني في «الضعيفة» (١١٤): موضوع.

(٥) وقفت على هذا الحديث من طريق عبد الله بن عمرو عند «الترمذي» برقم (١٠٧٤) كتاب: الجنائز، باب: فيمن مات يوم الجمعة. وقال أبو عيسى: حديث غريب ورواه أحمد في «مسنده» ٢/ ١٦٩ . وقال الألباني في «صحيح الترمذي»: حسن.

الباب الخامس في الميزان

قال القرطبي في تذكرته[١]: قال العلماء: إذا ٱنقضى الحساب كان بعده وزن الأعمالِ؛ لأنّ الوزن للجزاء فينبغي أنْ يكون بعد المحاسبة فإنَّ المحاسبة لتقرير الأعمالِ، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها.

قال العلامة البلباني في «عقيدتِه»: ونؤمن بأنّ الميزانَ الذي توزن به الحسنات والسيئات حق، وله لسان وكفتان توزن بهما صحائف الأعمال.

قال ابن عباس رَضِي اللهُ عَنْهُما: توزن الحسنات في أحسن صورة والسيئات في أقبح صورة ٱنتهى.

وقال العلامة في «بهجته»[٢]: الصَّحيح أنَّ المرادَ بالميزانِ الميزان الحقيقي لا مجرد العَدْل خلافًا لبعضهم ٱنتهى.

قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وقال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ [القارعة: ٦، ٧]. أي: راض صاحبها[٣] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [القارعة: ٨ ـ ١١] فبئست الأم، وبئس الأبن

---

(١) «التذكرة» ١/ ٣٧٧.

(٢) انظر «تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان» للعلامة: مرعي (٥٠) بهجة الناظرين (٢٩٥).

(٣) ورد بهامش الأصل: أو ذات رضًا.

ابنها فنسأل الله العافية.وقال: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾ [الأعراف: ٩].

وروي أنَّ داود عليه السّلام سألَ ربّه أنْ يريه الميزان فلمَّا رآه غشي عليه فلما أفاقَ قال: إلهي مَنْ ذا الذي يقدر يملأ كفة حسنته فقال: «**إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة واحدة**». ذكره الفخر[١]، والثعلبي. وقال عبدُ اللهِ[٢] بن سلام رَضِي اللهُ عَنْهُ: إنَّ ميزانَ ربّ العالمين ينصب للجنّ والإنس، يستقبل به العرش، إحدى كفتيه على الجنة، والأخرى على جهنم لو وضعت السماوات والأرض في إحداهما لوسعتهن، وجبريل آخذ بعموده ينظر إلى لسانه.

قال العلامة[٣]: /٤٩٦/ في كلام ابن سلام إنَّ أعْمَال الجنِّ توزن كما توزن أعمال الإنسِ، وهو كذلك ٱرتضاه الأئمة ٱنتهى.

قال القرطبي: المتقون توضع حسناتهم في الكفةِ النّيرة، وصغائرهم في الكفةِ الأخرى، فلا يجعل اللهُ لتلكَ الصغائر وزنا، وتثقل الكفة النيرة حَتَّى لا ترتفع، وترفع المظلمة ٱرتفاع الفارغة الخالية. قال: وأمَّا الكفار فيوضع كفرهم، وأوزارهم في الكفةِ المظلمة، وإنْ كان لهم أعمال بِر وضعت في الكفةِ الأخرى فلا يقاومها إظهار لفضل المتقين، وذل الكافرين[٤]. قُلْتُ: الحق أنَّ الكفارَ لا

(١) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» ٢٢/ ١٧٦ . والبغوي في «تفسيره» ٥/ ٣٢١ .
(٢) انظر «تفسير الرازي» (١٤/ ٢٨). (٣) «تحقيق البرهان» ص٦٤ .
(٤) ذكره في «التذكرة» ص٣٦٥، وبيان كيفية الميزان ووزن الأعمال فيه.

يقيم اللهُ[1] لهم وزنًا والله أعلم.

وأخرجَ الحاكم وصححه عن سلمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النّبي ﷺ أنَّه قال: «**يوضع الميزان يومَ القيامةِ فلو وزن فيه السّماوات والأرض لوسعهن[2]، فتقول الملائكة: يا رب لِمَنْ يزن هٰذا؟ فيقول: لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك**[3]».

وأخرجَ البزار، والبيهقي عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**أنَّ ملكًا من ملائكة اللهِ عَزَّ وَجَلَّ موكل يوم القيامة بميزانِ ابن آدم، فيؤتى به حَتَّى يوقف بين كفتي الميزان، فيوزن عمله، فإنْ ثقل ميزانُه نادى الملك بصوت يسمعه الخلائق باسم الرجل: ألا سعِدَ فلانٌ سعادةً لا يشقى بعدها أبدا، وإنْ خفت ميزانه نادى الملك: ألا شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا**[4]».

وذكر الثعلبي، وغيره، وابنُ جرير في «تفسيره»، وابن أبي الدنيا عن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّه قال: «**صاحب الميزانِ يومَ القيامةِ جبريل**

---

(١) جاء بهامش الأصل: من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ﴾ فخفتها عدم الاعتداد.

(٢) كذا في (أ) والمثبت في (ب) (لوسعتهن)، وفي المستدرك «لوسعت».

(٣) «المستدرك» ٤/ ٥٨٦، كتاب الأهوال. وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٤) رواه البزار كما في «كشف الأستار» ٤/ ١٦٠ (٣٤٤٥). وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٧٤).

عليه السلام»[١]. وقال الحسن[٢]: هو ميزان له كفتان، ولسان، وهو بيد جبريل عليه السلام.

تنبيه: اختلف العلماء رحمهم الله هل الميزان واحد أو أكثر؟ فقال الحسن بن أبي الحسن البصري[٣]: لكلٍّ واحد ميزان لقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وقال بعضهم[٤]: الأظهر إثبات موازين يوم القيامة لا ميزان واحد لقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ وقوله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ قال: وعلى /٤٩٧/ هٰذا فلا يبعد أن يكون لأفعالِ القلوب ميزان، وللجوارح ميزان، ولما يتعلق بالقول ميزان.[٥] ورده ابن عطية[٦] وقال: الناس: على خلافه، وإنّما لكلّ واحد وزن مختص به، والميزان واحد.

وأجاب بعضهم عن جمع الموازين في الآية فقال: ذٰلك لكثرة من توزن أعمالهم وهو جمع تفخيم[٧].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» ٥/ ٤٣٢ (١٤٣٣٨). والقرطبي ١١/ ٢٩٣، والديلمي في «الفردوس» ٢/ ٤٠٢ (٣٧٨٦).

(٢) ذكره في «زاد المسير» (٣/ ١٧١) «فتح الباري» (١٣/ ٥٣٩) اللالكائي (٢٢١٠).

(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٢٧٠) والقرطبي في «تفسيره» (١/ ٢٩٣).

(٤) انظر «تفسير الرازي» (١٤/ ٢٩).

(٥) انظر «لوامع الأنوار» (٢/ ١٨٦)، وذكره القرطبي في «تفسيره» (١١/ ٢٩٣).

(٦) «المحرر الوجيز» (٧/ ١٣).

(٧) انظر «تفسير الرازي» (٢٢/ ١٧٧).

واختلف العلماء أيضًا في الموزون فقيل: يوزن العبد مع عمله، وقيل غير ذلك، والحق ما قدمناه عن شيخ مشايخنا[١] البلباني: إنَّما الموزون صحف الأعمال، وصححه ابن عبد البر، والقرطبي، وغيرهما[٢]، وصوبه العلامة في «بهجته»، وقال الفخر: سُئل رسول الله ﷺ عما يوزن يوم القيامة فقال: «**الصحف**»[٣] وهو مذهب المفسرين لقوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ فعلى هٰذا فالثقل الذي يكون في الميزان إنَّما يكون في صحائف الأعمال[٤]، وحكاه ابن عطية[٥] عن أبي المعالي قال: وهٰذا أقربها.

فائدة: أخرج الترمذي، وابن حبان، وابن ماجه[٦]، والحاكم وصححه، والبيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النَّبي ﷺ أنه قال: «**يصاح برجلٍ مِنْ أمَّتي على رءوسِ الأشهادِ يومَ القيامة**»[٧] وفي لفظ عند ابن الجوزي في «التبصرة»[٨] أنّه قال ﷺ: «**إنَّ الله عزَّ**

(١) واختاره في «لوامع الأنوار» (٢/ ١٨٧).
(٢) انظر الطبري في «تفسيره» ٩/ ٣٣. بهجة الناظرين مخ ٢٩٧.
(٣) انظر «تفسير الرازي» (١٤/ ٢٧، ٢٨).
(٤) ذكره في «تفسيره الكبير» ١٤/ ٢٥ .
(٥) انظر «المحرر الوجيز» (٧/ ١٣). (٦) غير مذكور في (ب).
(٧) رواه الترمذي برقم (٢٦٣٩) كتاب الإيمان. وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه برقم (٤٣٠٠) كتاب: الزهد، وابن حبان في «صحيحه» ١/ ٤٦١ (٢٢٥) كتاب الإيمان، والحاكم في «المستدرك» ١/ ٦ كتاب، الإيمان، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في «الشعب» ١/ ٢٦٤ (٢٨٣)، وقال الألباني في «صحيح الترمذي»: صحيح.
(٨) ذكره في التبصرة (٢/ ١٩٨).

وَجَلَّ يستخلص رجلاً من أمتي على رؤسِ الخلائقِ يومَ القيامة فينشر له» وعند ابن الجوزي: «عليه تسعة وتسعون سجلاً». ولفظ ابن الجوزي بالبناء للفاعل في ينشر ونصب تسعة وتسعين سجلاً. «كل سجل منها مثل مد البصر فيها خطاياه وذنوبه. فيقول له: أتنكر مِنْ هٰذا شيئًا؟ أظلمَك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: «ألك عذر أو حسنة؟» فيقول: لا يا رب. فيقول الله: «بلى إنّ لك عندنا حسنة، وإنَّه لا ظلم عليك اليوم» فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله فيقول: يا رب ما هٰذه البطاقة مع هٰذه السجلات؟ فقال: إنك لا تظلم. فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة فتطيش». وفي لفظ: «فطاشت السجلات وتثقل» وفي لفظ: «وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع أسم اللهِ شيء».

قال شيخ مشايخنا الإمام العلامة المتقن المحدث أوحد عصره، ورئيس أهل الحديث في الدّيار الشّامية مفتي السادة الحنابلة الشيخ تقي الدين عبد الباقي[1] والد سيدي شيخ الإسلام . . . .

---

(١) هو عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر بن إبراهيم بن عمر بن محمد بالبعلي، الأزهري الدمشقي، المقرئ المشهور بـ«البدر» ثم بـ«ابن فقيه فِصَّه» وهي قرية ببعلبك من جهة دمشق بنحو فرسخ، وكان أحد أجداده يتوجه ويخطب فيها؛ ولذلك اشتهر بها وأجداده كلهم حنابلة. ولد ببعلبك سنة ١٠٠٥ وقرأ القرآن وأخذ في تعلم الفقه وأجازه علماء مكة. ومن تصانيفه «العين والأثر في عقائد أهل الأثر»، و«رياض الجنة»، و«رسالة في قراءة عاصم» توفي سنة ١٠٧١ . =

أبي المواهب[١] رحمهما الله تعالى: هٰذا حديث جليل له وقع في القلوب. قال: وقال أبو الحسن الحراني: لمَّا أملى علينا حمزة الكناني هٰذا الحديث صاح غريبٌ من الحلقةِ صيحة فاضتْ فيها نفسه قال وأنا ممن حَضَرَ جنازَته، وصلىَّ عليه، وهو جيد الإسنادِ ٱنتهى.

قال العلامة في «بهجته»[٢]: ثبت بهٰذا الحديث الصحيح أنَّ الموزون إنَّما هو صحائف الأعمالِ وهٰذا هو الحق كما قدمنا.

ونقل المفسرون عن مجاهد أنَّ المُرادَ بالميزان العدل[٣]. قال الفخر: ويروى مثله عن قتادة، والضحاك قال: وحكاه ابن جبير عن ابن عباس، وبه قال الأعمش، وكثير من المتأخرين، وردَّه الفخر[٤]، وقال: إنَّ حملَ الموازين على مجرد العدل، وصرف اللفظ عن الحقيقة إلى المجاز من غير ضرورة غير جائز لاسيما وقد جاءت الأحاديث

= انظر «هدية العارفين» ١/ ٤٩٧، و«خلاصة الأثر» ٢/ ٢٨٣، و«السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» ٢/ ٤٣٩ .

(١) هو أبو المواهب محمد بن عبد الباقي البعلي الدمشقي الإمام العالم الفهامة، الكامل. ولد بدمشق سنة ١٠٤٤ ونشأ بها وقرأ القرآن واشتغل بطلب العلم على يد والده وكان غواصًا في العلوم بحرًا لا يدرك غوره، وكوكب زهد على فلك التقى دوره. أخذ العلم عن جماعة كثيرة من دمشق، ومصر، والحرمين. وتوفي سنة ١١٢٦ ودفن بقرية مرج الدحداح. انظر «مختصر طبقات الحنابلة» (١١٩)، و«الأعلام» ٦/ ١٨٤ .

(٢) انظر «تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان» (٦١).

(٣) رواه ابن جرير في «تفسيره» (١٧/ ٣٣).

(٤) انظر «التفسير الكبير» (١٤/ ٢٨) (٢٢/ ١٧٦).

الكثيرة بالأسانيد الصحيحة في هٰذا الباب[١] والمعروف عن ابن عباس خلاف ما ذكره ابن جبير عنه أخرج أبو الشيخ[٢] في تفسيره من طريق الكلبي عن ابن عباس رَضِي اللهُ عَنْهُما قال: «**الميزان له لسان وكفتان**».

فالحاصل أنَّ الميزانَ محمول على الحقيقة وأنَّه واحد وأنَّ الموزون صحائف الأعمالِ فإنْ قيل: قد أخرج الشيخان عن أبي هريرة رَضِي اللهُ عَنْهُ، عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «**إنَّه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة**»[٣] فقد صرح بأن نفس الإنسان هو الموزون.

فالجواب: إن هٰذا ضربه ﷺ /٤٩٩/ مثلا للذي يغتر ببعض الأجسام وهو كناية عن قلة اكتراث الله بالأجسام، فإن اللهَ لا ينظر إلى صوركم وإنَّما ينظر للأعمال والقلوب، فكم من جسم وسيم وهو من أصحاب الجحيم. ومن ثَمَّ وَرَدَ «**ما أفلح سمين**» يروى أنه من كلام سيدنا الإمام الشافعي[٤]. قال: ما أفلح سمين إلا محمد الباقر. لأن السمن في الغالب إنما ينشأ عن غفلة القلب، وعدم التفكر في أحوال الدُّنيا والآخرة والعاقل لا ينفك في هٰذه الدار عن توارد الأخبار والتفكر فيما يقوم بأوده في هٰذه الدار وما يتزود به لتلكَ الأسفار ومن كانت حالته هٰذه فأنَّى له بالسمن فنسأل الله العافية.

---

(١) ذكره الفخر في «تفسيره» ١٤/ ٢٥، ٢٦.

(٢) ذكره في «الدر» في تفسير آية (٧) الأعراف، ويؤيده أثر الحسن عند اللالكائي (٢٢١٠) و«زاد المسير» (٣/ ١٧١)، و«فتح الباري» (١٣/ ٥٣٩).

(٣) رواه البخاري برقم (٤٧٢٩) كتاب: التفسير، ومسلم برقم (٢٧٨٥) كتاب: صفة القيامة والجنة والنار.

(٤) انظر «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٠/ ٩١ ترجمة الشافعي.

وقال بعضُ العلماءِ: إنَّ الموزون نفس الأعمال بأنْ تجسد ثم توزن والصواب ما تقدم على أن هٰذا لا ينافيه والله أعلم.

فائدتان:

الأولى: قال النسفي: إنَّ الإيمانَ لا يوزن، لأنه ليسَ له ضد يوضع في كفةِ الميزان الأخرى، لأنَّ ضده الكفر. والإيمان والكفر لا يكونان في الإنسانِ الواحد[١].

قُلْتُ: قد تقدم أنَّ كلمة الإخلاص وهي من الإيمان بل هي أس الإيمان ونحن نقول: الذي يوزن ثواب الإيمانِ وثواب العمل الصالح هٰذا الذي يظهر لي والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقال العلامة: قلت: وورَدَ أنَّ البكاء مِن خشية اللهِ لا يوزن لعظمهِ عند اللهِ. أخرجَ الإمامُ أحمد أنَّ النبي ﷺ نزلَ عليه جبريل وعنده رجل يبكي قال: «**من هٰذا؟**» قال: «**فلان**» قال جبريل عليه السلام: «**إنا نزن أعمالَ بني آدم كلها إلاَّ البكاء فإنَّ اللهَ يطفي بالدمعة الواحدة بُحُورًا من جهنم**»[٢]. وأخرجَ البيهقي: «**لو أنَّ باكيًا بكى في**

---

(١) قال محقق تحقيق البرهان (٦٦) بعد كلام سبق يبدو لي أن الذي جرهم إلىٰ القول بأن الإيمان لا يوزن، اعتقادهم بأن الإيمان اسم لمجرد التصديق بالقلب، وهو بسيط مركب، لا يقبل الزيادة والنقصان وهو مذهب غير صحيح، والذي عليه السلف أن الإيمان هو قول باللسان واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، يقبل الزيادة والنقصان.

(٢) رواه أحمد في «الزهد» ص (٣٥).

أَمَّةٍ مِنَ الأممِ لرحموا وما من شيء إلا له مقدار وميزان، إلا الدمعة فإنها يطفئ بها بحار من جهنم»[١] .وأخرج البزار، والطبراني، والدارقطني، والأصبهاني عن أنسٍ رَضِي اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ /٥٠٠/ أنَّه قال: «يؤتى يوم القيامةِ بصحف مختمة فتنصب بين يدي اللهِ تعالى فيقول اللهُ: ألقوا هٰذه. فتقول الملائكة: وعزتك ما كتبنا إلاَّ ما عملَ فيقول عَزَّ وَجَلَّ: إنَّ هٰذا كان لغير وجهي وإنِّي لا أقبل اليوم إلاَّ ما ٱبتغي به وجهي»[٢] فهٰذا الحديث دلنا على أنَّ ما لم يقصد به وجه اللهِ لا يوزن فنسأل الله بمنهِ وكرمه أنْ يرزقنا علمًا، وعملاً، وإخلاصًا فإنَّه لا سبيل لواحدٍ من ذٰلك إلا بمعونةِ المالك.

الثانية: ٱختلفَ العلماء رحمهم الله تعالى ما الحكمة في وزنِ الأعمالِ مع أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى عالم بكلِّ شيء على وجه التفصيل والإجمال؟ فقال الثعلبي: قولاً سنيًا. وحاول وجها يصير به اللبيب مرضيًا فقال: ذٰلك لتعريفِ الله عباده ما لهم عنده مِنَ الجْزاء من خيرٍ أو شرٍ ويعلم كلّ منهم أو ٱمتحانهم بالإيمان في الدُّنيا وجعل ذٰلك علامة لأهْلِ السعادةِ، والشقاوة في العقبى وإقامة الحجة عليهم وإلا فهو يعلم ما لديهم.

---

(١) «شعب الإيمان» ١/ ٤٩٤ (٨١١). وقال: هذا مرسل، وقد روي من قول الحسن البصري أيضًا برقم (٨١٢).

(٢) رواه البزار كما في «كشف الأستار» ٤/ ١٥٧ (٣٤٣٥). والطبراني في «الأوسط» ٣/ ٩٧ (٢٦٠٣). والدارقطني في «سننه» ١/ ٥١ .

وقال العلامة[1]: قلت: الأحسن أنْ يُقالَ: الحكمة فيه إظهار العْدلِ، وبيان الفضلِ حيث إنَّه تعالى يزن مثاقيل الذر مِنْ أعمالِ العْبادِ ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]. ٱنتهى.

أيّ عمل لكَ يصلح أنْ يحصل في الميزان أيّ فعل لك إذا ظهر زان. ستعلم من يفتضح إذا نشر له الديوان. ستعرف خبرَك إذا شهدَ الجْلدُ والمكان. بكلٍّ قبيح فعل أو كان. فيا مَن ٱشتغلَ بدنياه عن الآخرةِ. واكتفى بالخزفِ عن الدرر الفاخرة. وباعَ لذة لا تفنى ولا تبيد. بما لا يعدل مثقال حبة منَ الحديد. ٱنتبه يا مسكين قبل أنْ ينصبَ الميزان. وتوقف يا حزين بين يدي الرحمن. فلا ثمَّ صديق ينفع. ولا حميم يشفع. إلاَّ بإذن المنان. من ذا الذي يشفع عنده إلاَّ بإذنه. أم من ذا الذي يأمَن من مكرِه ولعنِه. فكيف بك وقد أتيته فردًا. ونصب الميزان وما ثَم ترجو أحدًا. ولقد أحسن من قال في ذٰلك /١٠٥/:

تذكر يومَ تأتي الله فردًا وقد نصبت موازين القضاء
وهتكت الستور عن المعاصي وجاء الذنب مكشوف الغطاء

لطيفة: ورَدَ ما يقتضي تضعيف الحسنات إلى عددٍ معلوم قال تعالى:

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٦٠] وقال: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ﴾ [البقرة:

---

(١) انظر «تحقيق الرهان» ص٦٥ .

٢٦١] وذٰلك يقتضي أنَّ الحسنة تتضاعف إلى سبعمائة حسنة وجاء أيضًا ما لا يقتضي العد كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] وقال: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] ولا شك أنَّ اللهَ يضاعفُ لِمَن يشاء ما شاء.

وأخرجَ الشيخان عن ابن عباس رَضِي اللهُ عَنْهُما، عن رسول اللهِ ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى قال: **«إنَّ اللهَ سبحانه وتعالى كتب الحسنات والسيئات، ثُمَّ بيّن ذٰلك فمَنْ همَّ بحسنةٍ فلم يعملها كتبها الله عنده حسنةً كاملةً، وإنْ همَّ بها فعملهَا كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإنْ همّ بسيئةٍ فلم يعملها كتبها الله عنده حسنةً كاملة، وإنْ همّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة»**(١).

قال الحافظ ابن رجب في «شرح الأربعين»: وفي هٰذا المعنى أحاديث متعددة. ثم ذكر حديث أبي هريرةَ عند الشيخين مرفوعًا: **«يقول الله: إذا أراد عبدي أنْ يعملَ سيّئةً فلا تكتبوها عليه حَتَّى يعملها فإنْ عملها فاكتبوها بمثلها، وإنْ تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها لَهُ حسنة فإنْ عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف»**(٢). هٰذا لفظ البخاري.

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٤٩١) باب: من همَّ بحسنة أو بسيئة. ومسلم برقم (١٣١) باب: إذا همَّ العبد بحسنة.

(٢) رواه البخاري برقم (٧٥٠١) كتاب التوحيد. ومسلم برقم (١٢٨) كتاب الإيمان.

قُلْتُ: أفادنا هٰذا الحديث أنَّ ترك السيّئة بعدَ الهَمِّ بها إنَّما يكون حسنةً إذا كان التركُ من أجلِ اللهِ كما نطق به الحديث ومفهومه أنَّه إنْ لم يكن الترك من أجله تعالى فلا يكون ذٰلك حسنة وهو كذٰلك واعلم أنَّ الإنسانَ إذا همّ بالحسنةِ يكون ذٰلك حسنة /٥٠٢/ لأنَّ الهم بالمعروف معروفٌ وقد أحسن من قال:

لأشكرنك معروفا هممت به ... فإنَّ همّك بالمعروف معروف
ولا ألومك إذ لم يمضه قدر ... فالشيء بالقدر المحتوم مصروف

وإذا همَّ الإنسانُ بسيئةٍ فتركها من أجلِ اللهِ كان ذٰلك حسنة فإنْ عزمَ، وصمم على فعل السيّئة، ثم لم يقدر عليها فلا يكون ذٰلك حسنة بل سيّئة فإنْ صمم على فعل السيّئة، ثم تركها من أجلِ اللهِ فهٰذا ربَّما يقال: التصميم على فِعْل السيّئة سيئة، والرجوع عنه من أجل الله كفارة لذٰلك التصميم. وقد بيَّن الحافظ ابن رجب تفصيل ذٰلك في كتابهِ «شرح الأربعين» فليراجعه مَنْ شاء والله أعلم.

وعن أبي عثمان النهدي قال: قدمتُ إلى مكة حاجًا، أو معتمرًا فلقيتُ أبا هريرةَ رَضِي اللهُ عَنْهُ فقلت: بلغني عنكَ أنك تقول: اللهُ يعطي عبدَه المؤمن بالْحسنةِ الواحدة ألف حسنة. فقال: لم أقل ذٰلك، ولكني قلتُ: إنَّ الْحسنةَ تضاعف بألفي ألف ضعف. ثم قال: قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

قُلْتُ: خرجه الإمام أحمد وقال: قال أبو هريرة: إذا قال الله

تعالى: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فمن يقدر قدره[1]. وروي عن أبي هريرةَ مرفوعًا، وموقوفًا وقد قال: قال الحسن: وإن تك حسنة يضاعفها أحب إلي من قول العلماء من أنَّ الحسنة الواحدة تضاعف مائة ألف حسنة؛ لأنَّ التضعيف الذي قالوه يكون مقداره معلومًا، وأمَّا على هٰذه العبارة التي في كتابِ اللهِ فغير معلوم.

(١) رواه أحمد في «مسنده» ٢/ ٥٢١-٥٢٢، الطبري في تفسيره (٥/ ٩١).

فصل

قال الله سبحانه وتعالى في حق الكافرين: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣] وقال: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧] وقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ﴾ [إبراهيم: ١٨] وقال فيهم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] هٰذا كله بالنسبة إلى الآخرةِ وأمَّا في الدُّنيا /٥٠٣/ فإن الله مجازيهم بها، ففي مسلم عن أنسٍ مرفوعًا: **«إنَّ اللهَ لا يظلم مؤمنًا حسنة يعطي بها في الدنيا[1] ويجزى بها في الأخرةِ وأمَّا الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتَّى إذا أفضي إلى الآخرةِ لم تكن له حسنة يجزى بها»**، وفي طريق آخر: **«إنَّ الكافر إذا عملَ حسنةً أطعم بها طعمة في الدُّنيا، وأمَّا المؤمن فإنَّ اللهَ يؤخر لَهُ حسناته في الآخرةِ، ويعقبه رزقًا في الدُّنيا على طاعته»**[2].

قال العلامة[3]: قُلْتُ: لٰكن لو أسلمَ الكافرُ فإنَّه يعتد بحسناتِهِ التي سلفت كما هو ظاهر الحديث. هٰذا مراده ولعل مراده بحسناته التي لا تحتاج إلى نية وفيه لولا سعة فضل اللهِ ورحمته إشكال.

---

(١) ورد بهامش الأصل: قوله: يعطى بها في الدنيا أي: يدفع عنه بها البلاء ونحوه.

(٢) حديث أنس: بطريقيه، رواه مسلم برقم (٢٨٠٨) كتاب: صفة الجنة والنار.

(٣) بهجة الناظرين مخ (٣٠٠).

تنبيهان: الأول: ٱختلفَ العلماء هل توزن أعمال الكفار أم الوزن خاص بالمؤمنين؟ فذهبَ بعضُهم إلى الأول مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف: ٩] أي: يجحدون. قاله مجاهد. وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة: ٨-٩] وأمَّا قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] بما يستدل به مَنْ قال بعدم وزن أعمالهم وأجاب القائلون بخلافه بأنَّ المرادَ وزنًا يعتد به فلا نكرمهم، ولا نعطيهم وهٰذا مجاز عن عدم الاعتداد بهم كذا قيل والحق أنَّهم لا يوزن لهم عملٌ والله أعلم. وفي كلام القرطبي: تلويح لوجه الجمع وهو أنَّ بعض الكافرين يعجَّل بهم إلى النارِ فلا يوزن لهم كما أنَّ بعضَ أهْلِ الجنَّةِ يدخلون الجنَّةَ بغير حساب فغير من يعجل به إلى النار لا يقام له وزن[١].

الثاني: تقدم عن النسفي[٢]: أنَّ الإيمان لا يوزن وقدمنا في معارضته حديث البطاقة وليس فيها إلا كلمة التوحيد وهي أسُّ الإيمان ولا يعلم أنَّ الإنسان يدخل في الإيمان إلاَّ بها في الجملةِ، ثم رأيت القرطبي أجابَ عن ذٰلك كالمستنصر لكلامِ النسفي تبعًا للحكيم الترمذي فقال: إنَّ كلمةَ التوحيد إنَّما تكون إيمانًا أوّل مرة وبعد ذٰلك تكون من حسناته قال: ويدل عليه قوله في الحديث: «**بلى إن لك عندنا**

(١) انظر «التذكرة» ص٣٦٣ - ٣٦٥ . «تفسير الرازي» (٢٢/ ١٧٧).
(٢) ص٨٥٩.

حسنة» ولم يقل: «إنَّ لك إيمانًا». وقد سُئِل / ٥٠٤/ رسول الله ﷺ عن لا إلٰه إلا الله أمن الحسنات هي؟ فقال: «من أعظم الحسنات»(١). خرجه البيهقي وغيره فبعدما حصل للإنسان الإيمان فالنطق بلا إلٰه إلا الله إنَّما هو حسنات توضع في الميزان. آنتهى ملخصًا. وفيه نظر يظهر بالتأمل والله أعلم(٢).

لطيفة: حكى القرطبي عن بعضهم أنَّه قال: رأيتُ بعضَهم في المنامِ فقلت: ما فعل اللهُ بكَ؟ قال: وزنت حسناتي فرجحت السيئات على الحسنات فجاءت صرة من السماء فسقطت في كفةِ الحسنات فرجحت فحللت الصرة فإذا فيها كف تراب كنت ألقيته في قبر مسلم(٣).

---

(١) رواه أحمد ٢/١٦٩ . من حديث أبي ذر. وذكره القرطبي في «التذكرة» ص٣٦٨ وعزاه للبيهقي.

(٢) انظر ص (٨٥٩) علىٰ كلام النسفي هناك فإنه مهم.

(٣) حكاه في «التذكرة» ص٣٦٩ .



الباب السادس
في ذكر الصراطِ وهو قنطرة جهنَّم بين الجنّةِ والنّارِ وخُلق مِنْ حين خلقت جهنَّم

قال القرطبي: أعلم رحمك الله أنَّ في الآخرة صراطين أحدهما مجاز لأهْلِ المحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم إلا مَنْ دخلَ الجنَّةَ بغير حساب أو تلتقطه عنق النار فإذا خلص مَن خلص مِن هٰذا الصراط الأكبر الذي ذكرناه ولا يخلص عنه إلا المؤمنون الذين علم الله منهم أنَّ القصاص لا يستنفذ حسناتهم حبسوا على صراط آخر خاص لهم ولا يرجع إلى النارِ من هؤلاء أحد إن شاء الله تعالى، لأنَّهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم التي يسقط فيها من أوبقه ذنبه، وأزكى أي: زاد على الحسنات جرمه وغيّه.

وأخرجَ البخاري[1] والإسماعيلي في مشيخته عن أبي سعيد الخدري رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخلص المؤمنون مِن النَّارِ فيحبسون على قنطرة بين الجنَّةِ والنارِ فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حَتَّى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى في الجنَّةِ بمنزله منه بمنزله كان في الدُّنيا**».

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٠).

وأخرجَ أبو داود واللفظ له، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة /٥٠٥/ رَضِيَ اللهُ عَنْها قالت: ذكرت النَّار فبكيت فقال رسول الله ﷺ: **«ما يبكيك؟»** قلت: ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامةِ؟ قال: **«أمَّا في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدًا: عند الميزان حَتَّى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند تطاير الصحف حَتَّى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم حَتَّى يجوز»**[1].

وأخرجَ الترمذي وقال حسن غريب. والبيهقي في البعث عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ أنْ يشفع لي في يوم القيامةِ فقال: **«أنا فاعل إن شاء الله»**. قلت: فأين أطلبك؟ قال: **«أول ما تطلبني على الصراط»** قلتُ: فإن لم ألقك على الصراطِ قال: **«فاطلبني عند الميزان»** قلت: فإنْ لم ألقك عند الميزان. قال: **«فاطلبني عند الحوض فإنِّي لا أخطئ هٰذه الثلاثة المواطن»**[2].

وأخرجَ الحاكم وصححه عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: **«يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعهنّ فتقول الملائكة: يا رب لَمن يزن هٰذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئتُ**

(١) أبو داود (٤٧٢٩)، وأحمد (٦/ ٧٥، ٢٤٥) قال العراقي في «تخريج الأحياء» (٤/ ٥٢٠) سنده جيد.

(٢) الترمذي (٢٤٣٣)، وأحمد (٣/ ٢٧٨)، قال الألباني في تخريج المشكاة (٥٥٩٥) سنده جيد.

من خلقي. فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك. ويوضع الصراط مثل حدّ الموسى فتقول الملائكة: مَنْ يمشي على هٰذا؟ فيقول: من شئتُ من خلقي. فيقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»[(١)].

وأخرجَ الطبراني بإسنادٍ حسن عن عبد اللهِ رَضِي اللهُ عَنْهُ: «يوضع الصراط على سواء[(٢)] جهنّم مثل حد السيف الرِهف مدحضه أي: مزلقة مزلة أي: لا تثبت عليه قدم بل تزل. عليه كلاليب من نار تخطف أهلها فممسك [هوى فيها][(٣)]، ومصروع ومنهم مَنْ يمر كالبرقِ فلا ينشب ذٰلك أن ينجو، ثم كالريح فلا ينشب ذٰلك أنْ ينجو، ثم كجري الفرس، ثم كرمل الرجل، ثم كمشي الرجل، ثم يكون آخرهم إنسانًا رجل قد لوحته النار ولقي فيها شرًا حَتَّى يدخله الله الجنّةَ بفضل رحمته فيُقال له: تمنّ وَسَلْ. فيقول: أي رب أتهزأ مني وأنت رب العزة. فيقال له: تمنّ وسل /٥٠٦/ حَتَّى إذا انقطعت به الأماني قال: لك ما سألت ومثله معه»[(٤)]. قال الحافظ المنذري: وليس في أصلي رفعه.

وفي حديث أبي هريرة عند البخاري: «فإذا جَاء ربُّنا عرَفناه فيأتيهم اللهُ فيقول: أنا ربّكم. فيقولون: أنت ربنا فيدعوهم، ويضرب الصراط بين ظهراني جهنَّم فأكونُ أوَّلَ مَنْ يجوزُ مِن الرُّسل بأمَّتِهِ ولا

(١) «المستدرك» (٤/ ٥٨٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٤١).
(٢) المثبت من (أ) وفي (ب) (جسر).
(٣) ما بين المعقوفتين بياض في (أ) والمثبت من (ب).
(٤) الطبراني في «الكبير» (٨٩٩٢)، والمجمع ١٠/ ٦٥٢ (١٨٤٤٤). انظر: صحيح الترغيب (٣٢٦٧)

يتكلَّم أحدٌ يومئذ[1] إلا الرسل وكلام الرسل يومئذٍ: اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّم وفي جهنَّم كلاليبُ مثلُ شوكِ السَّعْدان». الحديث.

وفي حديث أبي سعيد الخدري رَضِي اللهُ عَنْهُ مرفوعًا عند الشيخين ولفظه لمسلم[2]: «ثم يضرب الصراط على جسر جهنّم، وتحل الشفاعة، وتقولون: اللَّهُمَّ سلِّم سلِّم». قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قَالَ: «دحْضٌ مَزِلَّة» أي: بإسكان الحاء هو الزلق، والمزلة: المكان الذي لا تثبت عليه القدم إلا زلت كما تقدم. «فيه خطاطيف، وكلاليب، وحسكة تكون بنجدٍ فيها شوكة يقال لها السَّعْدان فيمرُّ المؤمنونَ كطرف العينِ، وكالبرق، وكالرِّيح، وكالطَّيْرِ، وكأجَاويد الخيل، والرِّكاب. فناجٍ مُسَلَّمٌ ومخدوشٌ مكردس ومكدوش. أي: مدفوع في نارِ جهنَّم حَتَّى إذا خلصَ المؤمنونَ من النَّارِ، فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد منا شدة في اَستيفاء الحق من المؤمنين للهِ يومَ القِيامةِ لإخوانه الذين في النار» وفي رواية: «فما أنتم بأشد منا شدة في الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار إذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم فيقولون: ربَّنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون. فيقال لهم: أخرجوا مَنْ عَرفتم فتحرم صورهم على النار» الحديث. ويأتي تمامه إن شاء الله تعالى.

قال القرطبي: معنى يخلص المؤمنون من النارِ أي: يخلصون من الصراط المضروب على النارِ. ودلّ هٰذا الحديث على أنَّ المؤمنين في

---

(١) كذا في (أ) أماني (ب) (يومئذ أحد).

(٢) مسلم (١٨٣).

الآخرةِ مختلفو الحال قال مقاتل: إذا قطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطرة بين /٥٠٧/ الجنة والنارِ فيقتص لبعضهم من بعض حَتَّى إذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان وأصحابه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

وفي حديث الشفاعة المارّ عند مسلم عن حذيفة، وأبي هريرة[١] رَضِي اللهُ عَنْهُما مرفوعًا وفيه: «**فيأتون محمدًا ﷺ فيقوم ويؤذن له وترسل معه الأمانة والرحمة فيقومان جنبتي الصراط يمينًا وشمالاً فيمرّ أوّلكم كالبَرقِ**» قال: قلْتُ: يا رسولَ الله بأبي أنت وأمي أيُّ شيء كمرِّ البَرْق؟ قال: «**ألم تروا إلى البرقِ كيف يَمُرُّ ويَرْجعُ في طَرْفَةِ عينٍ؟ ثم كمرِّ الريح، ثم كمر الطَّير وشدِّ الرحال**[٢] **تجري بهم أعمالُهم ونبيكم ﷺ قائم على الصِّراط يقول رَبِّ سَلِّمْ سلم حَتَّى يعجز أعمال العباد حَتَّى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفًا. قَالَ: وفي حافتي الصراط كلاليب معلَّقةٌ مأمورةٌ بأخْذِ مَنْ أُمِرَتْ به فمخدوش ناج ومكدوش** [أي: مدفوع دفعًا عنيفًا] **في النارِ**» والذي نفْسُ أبي هريرةَ بيده إنَّ قعرَ جهنَّم لسبعون خريفًا.

وفي مرفوع ابن مسعود عند ابن أبي الدُّنيا، والطبراني، والحاكم: «**والصراط كحد السيف دحض مزلة**» قال: «**فيقولون: أنجو على قدر نوركم فمنهم مَنْ يمر كانقضاضِ الكوكب، ومنهم من يمرّ كالطرف، ومنهم من يمر كالرّيح، ومنهم مَن يمر كشد الرجل ويرمل رملا**

(١) مسلم (١٩٥) من حديث حذيفة وأبي هريرة، وأبو هريرة عند مسلم (١٨٢).
(٢) كذا في (أ) والمثبت في (ب)، وعند مسلم برقم (١٩٥) (الرِّجال).

فيمرون على قدر أعمالهم حَتَّى يمرّ الذي نوره على إبهام قدميه تخرّ يدٌ وتعلق يدٌ وتخرّ رِجل وتعلق رجل فتصيب جوانبه النار»(١).

وعن عبيد بن عمير، عن النَّبي ﷺ قال: «الصراط على جهنم مثل حرف السيف بجنبتيه الكلاليب، والحسك فيركبه الناس فيختطفون فوالذي نفسي بيده إنَّه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر». رواه البيهقي مرسلاً وموقوفًا على عبيد بن عمير أيضًا(٢).

وأخرجَ الحاكم وصححه وقال: على شرط مسلم عن أبي هريرةَ رَضِي اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: «يلقى رجلٌ /٥٠٨/ أباه يومَ القيامةِ فيقول: يا أبتِ أي ابن كنت لك؟ فيقول: خير ابن فيقول: هل أنت مطيعي اليوم؟ فيقول: نعم فيقول: خذ بإزرتي فيأخذ بإزرته، ثم ينطلق حَتَّى يأتي الله تعالى وهو يعرض بين الخلق فيقول: يا عبدي اَدخل من أي أبواب الجنة شئت. فيقول: أي ربي وأبي معي فإنكَ وعدتني أن لا تخزني. قال: فيمسخ أباه ضبعا فيهوي في النَّارِ فيأخذ بأنفه، فيقول الله: يا عبدي أبوك هو؟ فيقول لا وعزتك»(٣). قال الحافظ المنذري: وهو في

(١) رواه الحاكم ٢/٤٠٨ و٤/٦٣٣، والطبراني ٩/(٩٧٦٣)، واللالكائي ٣/٤٨٦، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» ١/٢٩٩.

(٢) كذا في «الترغيب والترهيب» ٤/ ٢٣٢، والتخويف من النار ص١٧٠، وهو في «الزهد» لهناد (٣٢٠) و(٣٢١)، والحلية ٣/ ٢٧٣ بغير هَذَا اللفظ.

(٣) المستدرك ٤/٥٨٩، وأورده الهيثمي ١/١١٨ وقال: رواه البزار ورجاله ثقات، وسيأتي حديث إبراهيم عليه السلام في البخاري.

البخاري إلا أنَّه قال: يلقى إبراهيم أباه آزر. فذكر القصة. ٱنتهى.

قُلْتُ: في صحيح البخاري[١] في موضعين في أحاديث الأنبياء، وفي التفسير عن إسماعيل بن عبد الله قال: حَدَّثَنِي أخي عبد الحميد عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة، عن النَّبي ﷺ قال: **«يلقى إبراهيمُ أباهُ آزَرَ يوْمَ القيامةِ، وعلى وجْهِ آزرَ قترةٌ، وغبرةٌ، فيقول لهُ إبراهيمُ: ألم أقلْ لك لا تعصني؟ فيقول: أبوه فاليوم لا أعصيكَ، فيقول إبراهيم: يا ربِّ إنكَ وعدْتني أنْ لا تخزُني يومَ يبعثون فأيُّ خزي أخزى مِنْ أن يكون أبي في النارِ؟ فيقول الله: إنِّي حرَّمتُ الجنَّةَ على الكافرين ثم يُقال يا إبراهيمُ ما تحتَ رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيخٍ متلطخٍ فيؤخذُ بقوائمه ويلقى في النَّار»**.

قال العلماء: والحكمة في كونه مسخ ضبعًا دون غيره من الحيوان أنَّ الضبع أحمق الحيوان ومن حمقه أنَّه يغفل عمَّا يجب له التيقظ ولذلك قال عليّ رَضِي اللهُ عَنْهُ: لا أكون كالضبع يسمع الكدم فيخرج له حَتَّى يصاد والكدم الضرب الخفيف فلمَّا لم يقبل آزر النصيحة مِنْ أشفق النَّاس عليه وقبل خديعة عدوّه الشيطان أشبه الضبع الموصوفة بالحمق؛ لأنّ الصيادين إذا أرادوها رموا في جحرها بحجر فتحسبه شيئًا تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذٰلك ويُقال لها وهي في جحرها: أطرقي أم طريق خامري أمّ عامر /٥٠٩/ ٱستتري بجراد عَظْلى وشاة هَزْلى فلا يزال يقال لها ذٰلك حَتَّى يدخل عليها الصياد

(١) البخاري (٣٣٥٠).

فيربط يديها ورجليها ثم يجرها، وحمق الضبع أشهر من أن يذكر والله سبحانه وتعالى أعلم.

قال القرطبي: روي عن بعض أهْل العلم أنَّه قال: لن يجوز أحدٌ الصراط حَتَّى يسأل عن سبع قناطر فأمَّا القنطرة الأولى فيسأل عن الإيمان باللهِ وهي شهادة أن لا إله إلا الله فإنْ جاء بها مخلصًا، والإخلاص قول وعمل جاز. ثم يسأل على القنطرة الثانية عن الصلاةِ فإنْ جاء بها تامة جاز. ثم يسأل في القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان فإنْ جاء به تامًا جاز ثم يسأل في الرابعة عن الزكاة فإنْ جاء بها تامة جاز. ثم يسأل في الخامسة عن الحج، والعمرة فإنْ جاءَ بهما تامين جاز إلى القنطرة السادسة، فيسأل عَن الغَسلِ، والوضوء فإنْ جاءَ بهما تامين جاز ثم يسأل في السابعة وليس في القناطر أصعب منها فيسأل عن ظلامات النَّاس فيا مَنْ غرّه طول الأمل. ولم يتزوّد لمعادِه مِنَ العمل أفتكر يا مسكين فيما أمامك. واغتنم في الحْياةِ أوقاتك وأيامك وانظرْ إذا صرت على الصراط. هل تكون مِنْ أهْلِ الفوزِ أو الأنحطاط؟ وإذا نظرت إلى جهنَّم تحتك سوداء مدلهمة هل يبقى لك من همه؟ والحال أنه قد لظى سعيرها، وعلا لهيبها وزفيرها، وأنت على متنها ودمعك مجرى، تمشي تارة وتزحف أخرى ولله در القائل حيث قال:

ابت نفسي تتوب فما احتيالي إذا برزَ العبادُ لذي الجلالِ
وقاموا مِنْ قبورهم سكارى بأوزار كأمثالِ الجْبالِ
قد نصب الصراط لكي تجوزوا فمنهم من يكب على الشمال

ومـنـهـم مـن يـسير لـدار عـدن   تـلـقـاه الـعـرائـس بـالـغَـوَالِي[١]
يـقـول لـه المـهـيـمـن يـا وليّي   غـفـرتُ لـك الـذّنـوبَ فـمـا تـبـالي

وقال الآخر:

إذا مـدّ الـصراط عـلى جـهـنّـم   تصول[٢] على العُصاةِ وتستطيل/ ٥١٠/
فـقـوم في الجـحـيـم لـه ثـبـور   وقـوم في الجـنـان لهـم مـقـيـل
وبـانَ الحـقُّ وانـكـشـف الـغـطـاءُ   وطـال الـويـل واتـصـل الـعـويـل

وجاء في الحديث الشريف: «**أنَّه إذا صار النَّاس على طرف الصراط نادى ملكٌ مِنْ تحت العرْشِ: يا فطرةَ الملك الجبار جوزوا على الصراط وليقف كل عاص منكم وظالم[٣]. فيا لها مِنْ ساعة ما أعظم خوفها[٤]. وما أشد حرها. يتقدم فيها مَن كان في الدُّنيا ضعيفًا مهينا. [ويدحض][٥] من كان عظيما مكينا. ثمَّ [يؤمر][٦] بجميعهم بعد ذٰلك بالجْوازِ على الصراطِ على قدرِ أعمالهم في ظلمتهم وأنوارهم، فإذا عصف بأمَّتي نادوا: وامحمداه وامحمداه. فأبارز من شدة إشفاقي عليهم، وجبريل آخذ [بحجزى][٧] فأنادي رافعًا صوتي: ربّ أمّتي لا أسألك اليومَ نفسي ولا فاطمة ابنتي والملائكة قيام عن يمين الصراط، ويساره**

---

(١) ورد بهامش الأصل: جمع غالية وهي: أخلاطٌ من الطيب.
(٢) كذا في (أ) وهي في (ب) (تطول).
(٣) لم أقف عليه.
(٤) كذا في (أ) والمثبت في (ب) (خوفها).
(٥) في «التذكرة» ويتأخر.
(٦) في «التذكرة» يؤذن.
(٧) في «التذكرة» بحجزتي.

ينادُون: رب سلِّمْ[(١)] وقدْ عظمت الأهوال، واشتدت الأوجال، والعصاة يتساقطون عن اليمين وعن الشّمالِ، والزبانية يتلقونهم بالسلاسل والأغلال وينادونهم: أما نهيتم عن كسب الأوزار، أمَا خوّفتم عذاب النارِ، أما أنذرتم كلّ الإنذار، أما جاءكم النبي المختار. ذكر ذٰلك الإمام ابن الجوزي في كتابه «روضة المشتاق»[(٢)].

فائدة: في قول الرسل عليهم الصلاة والسلام على الصراط «ربّ سلم» إشارة إلى عظم شأن السلامة لاسيما يومئذ، فمن سلم حينئذ فقد فاز، ومن ثَمّ قال بعضهم العاقل لا يعدل بالسلامة شيئًا. ومن ثَمَّ قيل:

وقائلة: ما لي أراكَ مجانبًا أمورًا فيها للتجارةِ مربح
فقلت لها: ما لي بربحك حاجة فنحن أناس بالسلامةِ نفرح

فالرسل عليهم الصلاة والسلام اُقتصروا على طلب السلامة؛ لأنَّها عينُ الغنيمةِ، والكرامة.

تنبيه: زعمَ بعضُ النَّاسِ أنَّ /٥١١/ كون الصراط أدقّ من الشعرة، وأحدّ من السيف راجع إلى اليسرِ والعسر على قدر الطاعات والمعاصي وأنكرَ أنْ يكون الصراط بهٰذه الصفة، واستدلَّ على ذٰلك بما وصف مِنْ أنَّ الملائكة يقومون بجنبيه، وأنَّ فيه كلاليبًا وحسكا، وأنَّ مَنْ يمر عليه يقع على بطنه ومنهم مَن يبرك ثُمَّ يقوم.

---

(١) زيادة في «التذكرة» سلم.

(٢) ذكره القرطبي في «التذكرة» (٢/ ٤٣) تحقيق/ أبو سفيان محمود.

وهٰذا مردودٌ والإيمانُ بما وصفنا من صفات الصراط بأنَّه أدقُ مِنَ الشّعرة، وأحدّ منَ السيفِ واجب. والقادر على إمساك الطير في الهواء قادر أنْ يمسك عليه المؤمن فيجريه أو يمشيه وهٰذا بساط سيدنا سليمان عليه السلام كان يجلس عليه الملأ مِنْ جنده، وهو بين السَّماءِ والأرضِ وأي وجه يلجئنا إلى العْدولِ عن الحقيقة إلى المجْازِ مع ٱعترافنا بأنَّ القْدرةَ صالحةٌ ولا شيء يكثر على الله، كيف وهو الفاعل المختار؟ فالله سبحانه وتعالى قادر على كلِّ شيء فمَنْ ٱعترف بأنَّ اللهَ على كلِّ شيء قدير علمَ أنَّ ذٰلك حق وإنَّما يخيل لبعضِ النفوسِ ٱستحالة ذٰلك لعدم إلفها ذٰلك مع قلة معرفتها لله سبحانه فنسأل الله سبحانه وتعالى أنْ يرزقنا علمًا ربانيًا يقذفه في قلوبنا، ومعرفةً تامة، ومحبة كاملة، فمَنْ رُزقَ ذٰلك فاز، ومَنْ لا فله الويل والثبور ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

قال ابن اليمان: رأيتُ رجلاً نامَ وهو أسود الرأس واللحية، شاب يملأ العينَ، فرأى في منامِه كأنَّ النَّاسَ قدْ حُشروا وإذا بنهر من نارٍ، وبجسر يمر النَّاسُ عليه، فدعي فدخل الجسر فإذا هو كحد السيف يمور به يمينًا وشمالاً، فأصبح أبيضَ الرأسِ واللحية.

فيا مَنْ أعجبه اللهو والانبساط هلا ٱفتكرتَ في شدة المرور على الصراطِ، ويا مَن نامَ ليله الطويل، ولم يرض من دنياه بالقليل هلا تزوّدت ليومٍ تشخص فيه القلوب والأبصار، واتخذت لكَ مساعدًا على ركوب تلك الأسفار فإنَّه ليس ثم مساعد ولا رفيق موادد سوى

تقوى العزيز الغفار أنتبه لتلك الأوقات/ ٥١٢. واعتبر بمَن قبلكَ قد ماتَ هل بلغ منهم أحد الأوطار، وهل نجا منهم من الموت من أحد هدى أوطاره؟ كلا واللهِ لولا الغفلة والأمل لَمَا قر لذي لب قرار وأنشدوا:

اجنب جيادًا مِنَ الدُّنيا مضمرة ... للسبق يوم يفوز النَّاسُ بالسبق
تمرُّ مرَّ الرياح الهوج[1] عاصفة ... أو لمحة البرقِ إذْ يلتاح بالأفق
واركضْ إلى الغايةِ القصوى وخل لها ... عنان صدق رمى في الفتنة الصدق
كم جل عزمك منْ دنيا معوجة ... بقصدك اليوم عن مسلوكة الطرق
وفازَ مَنْ فاز لا حزن ولا فرق ... وخلفوك حليف الحزنِ والفرق
يا غافلاً والمنايا منه في فكر ... وضاحكًا والرَّدى يبغيه في حنق
قطعتَ عمركَ في لهو وفي سنة ... ومن أمامك ليل دائم الأرق
وربّ رأي تراه اليوم من سفه ... عقلا تراه غدا في غاية الخرق[2]
فاضرعْ إلى اللهِ واطلب عفوه فعسى ... ينجيكَ عند اشتمال الخْوف والقلق
واسأله أزكى تحيات مضاعفة ... على النبي الوفي الطيب الخلق
عليه خير صلاة لا نفاد لها ... يزري بقطرها بالمندَل العبق

فائدة:

أخرجَ الترمذي من حديث المغيرة بن شعبة رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: **«شعار المؤمنين على الصراط: سَلِّم سلم»**. وقال: حديث غريب[3].

---

(١) ورد بهامش الأصل: الحمق.

(٢) ورد بهامش الأصل: جمع هوجاء وهي: الريح التي تقلع البيوت.

(٣) الترمذي (٢٤٣٢).

وذكر الحافظُ عبد الحق الإشبيلي في «العاقبة» أنَّه ذكره الحارث بن أبي أسامة من حديث أبي هريرة رَضِي اللهُ عَنْهُ، عن النَّبي ﷺ.

وذكرَ ابن عساكرَ عن الفَضل[1] بن عياض قال: **«بلغنا أنَّ الصّراط مسيرة خمسة عشر ألف سنة خمسة آلاف صعودًا، وخمسة آلآف هبوطًا، وخمسة آلاف مستوى أدق من الشعرة وأحدّ من السيف على متن جهنَّم لا يجوز عليه إلا ضامر مهزول منْ خشيةِ اللهِ[2]»**. قالت المعتزلة: هٰذا لا يمكنُ العبور عليه وإنْ أمكن فهو تعذيب للمؤمنين/ ٥١٣. قلنا: أمَّا عدم إمكان المرور عليه فمردود بما مرّ، وأمَّا كونه تعذيبًا للمؤمنين فباطل إذ المؤمن لا يحصل له بذٰلك ألم، ولا عذاب وإنَّما العذاب على مَنْ رفض السّنَّة والكتاب، ورجعَ إلى رأيه، ونبذ السّنّة إلى ورائه. والذي أضل هٰؤلاء عقولهم القاصرة عن معرفة ربّهم، وقدرته الباهرة، فنسأل الله سبحانه التمسك بالكتاب والسنة، ومعرفة تمازج قلوبنا، حَتَّى يسكنَ القلبُ له لا لغيره.

وأخرج الطبراني بسند حسن عن أبي أمامة مرفوعًا: **«يجر الظالم يوم القيامة حَتَّى إذا كان على جسرِ جهنَّم بين الظلمة والوعرة لقيه المظلوم فعرفه، وعرف ما ظلمه به، فما برح الذين ظُلِموا يقتصون من الذين ظَلَموا حَتَّى ينزعوا ما في أيديهم مِنَ الْحسنات، فإنْ لَمْ يكن لهم حسنات**

---

(١) كذا في (أ)، (ب) والصحيح (الفضيل بن عياض).

(٢) قَالَ الحافظ في «الفتح» ١١/ ٤٥٤: هَذَا معضل لا يثبت. انظر: ص٧١٥ ت(٢).

رد عليهم من سيئاتهم، حَتَّى يوردوا الدرك الأسفل من النارِ»[(١)].

وأخرجَ ابن المبارك، وأبو نعيم، وابن أبي حاتم عن ابن مسعود: «يؤتى بالعَبدِ والأمةِ يومَ القيامةِ فينصبان على رءوسِ الأولين والآخرين فينادي مناد: هٰذا فلان ابن فلان مَنْ كان لَهُ حق فليأت إلى حقه فترجو المرأةُ أنْ يدورَ لها الحق على ابنها وأخيها ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] فيغفر اللهُ ما شاء من حقه، ولا يغفر مِنْ حقوق النَّاسِ شيئا فيقول: رب فنيت الدُّنيا مِنْ أين أوتيهم حقوقهم؟ فيقال: خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كلَّ ذي حق بقدرِ طلبته، فإنْ كان وليًا للهِ ففضل له مثقال ذرة ضاعفها اللهُ له حَتَّى يدخلَ الجنةَ ثم قرأ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠] وإنْ كان عبدًا شقيًا قال الملَك: رب فنيتْ حسناته، وبقى طالبون كثيرون قال خُذوا مِنْ سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته، ثُم صكوا له صكًا إلى النَّارِ»[(٢)].

وقال ابن مسعود رَضِي اللهُ عَنْهُ أيضًا: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «إنَّه ليكون للوالدين على ولدهما دين فإذا كان يوم القيامة يتعلقان به فيقول: إنِّي ولدكما فيوَدّان أو يتمنّيان لو كان أكثر من ذٰلك» رواه أبو نعيم[(٣)].

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٢٩٧٦)، وقال الهيثمي ١٠/ ٣٥٤: رجاله وثقوا.

(٢) الزهد لابن المبارك (١٤١٦)، والحلية ٤/ ٢٠٢.

(٣) رواه الطبراني ١٠/ (١٠٥٢٦)، وأبو نعيم في «الحلية» ٤/ ٢٠٢ وفي إسناده ضعف.

وعن أبي هريرةَ رَضِي اللهُ عَنْهُ /٥١٤/ قال: «**كنَّا نسمعُ أنَّ الرَّجلَ يتعلق بالرَّجلِ يومَ القيامةِ وهو لا يعرفه فيقول: مالك إلي وما بيني وبينك معرفة. فيقول: كُنتَ تراني على الخطايا وعلى المنكرِ ولا تنهاني**»[1] فانظرْ رحمك الله في هٰذا الحديث الذي يكاد أنْ يقصم ظهر مَنْ لهُ لبّ ويعضد هٰذا الخبر ما رواه أبو بكر الصديق رَضِي اللهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ الناسَ إذا رأوا المنكرَ فلم يغيّروه أوشك أنْ يعمّهم اللهُ بعقابهِ**»[2].

وفي حديث عن أبي هريرةَ عنه ﷺ أنه قال: «**لتأمرن بالمعروف، ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله شراركم على خياركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم**»[3].

وقال مالك بن دينار: قرأتُ في التوراة مَنْ كان له جار يعمل بالمعاصي فلم ينهه فهو شريكه.

وقال مسعر: أُمِر مَلَكٌ أنْ يخسف بقريةٍ فقال: يا رب فيها فلان العابد فأوحى الله تعالى إليه أنْ به فابدأ فإنَّه لم يتمعّر وجهه فيّ ساعةً

---

(١) أورده في «الترغيب والترهيب» ٣/ ١٦٤ وقال: ذكره رزين ولم أره.

(٢) رواه أحمد ١/ ٢ و٥، وأبو يعلى (١٣١)، ورجح الدارقطني في «العلل» ١/ ٢٤٩ وقفه.

(٣) الخطيب ١٣/ ٩٢ وقال: قَالَ الدارقطني: تفرد به محمود [أبو يزيد الظفري] عن أيوب بن النجار، وأورده الترمذي (٢١٦٩)، وابن أبي شيبة ٧/ ٤٦٠، وأحمد ٥/ ٣٨٨ و٣٩٠ و٣٩١ من حديث حذيفة، وحديث عائشة رواه أبو يعلى (٤٩١٤)

قطّ. فهٰذا يدلّ لما ذكر والله أعلم.

وأخرجَ ابن ماجه عن جابرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لمَّا رجعت إلى رسولِ الله ﷺ مهاجرة البحر قال: «**ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرضِ الحبشة؟**» .فقال فتية منهم: بَلى يا رسول الله بينما نحن جلوس مرَّتْ بنا عجوزٌ منْ عجائز رهابينهم تحملُ على رأسها قلة مِنْ ماء فمرَّت بفتى منهم فجعلَ إحدى يديه بين كتفيها، ثُمَّ دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها فلمَّا ٱرتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا عدوّ اللهِ إذا وضِع الكرسي، وجُمع الأوّلين والآخرين، وتكلّمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده. قال: يقول رسول الله ﷺ : «**صدقت كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم مِنْ سيدهم**»[1].

تنبيه: أنكرَ بعضُ المغفلة المتبعون هواهم بغير هدى من الله إعجابًا بآرائهم، ومحكمًا على كتابِ اللهِ/ ٥١٥/ ، وسنة رسوله ﷺ لخساسة عقولهم الضعيفة، وقلة أفهامهم السخيفة القْصاصَ حيث زعموا أنَّه لا يجوز في حكمِ اللهِ، وعدله أنْ يضعَ سيئات من كتبها على مَنْ لم يكتبها، وتؤخذ حسنات مَنْ عملها فتعطى لمَنْ لم يعملها مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] فقالوا: كيف تصح هٰذه الأحاديث مع مخالفتها الكتاب العزيز، والعقل الذي كالذهب الإبريز.

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٠١٠)، وأبو يعلى (٢٠٠٣) وأصله في البخاري.

والجواب: كما في «التذكرة»(١) وما قبله أنَّ الله سبحانه وتعالى لم يبن أمورَ الدّين على مقتضى عقول العبادِ، ولم يوعد على ما تحملته عقولهم فيدركونها بأفهامهم بل أوعدووعد بمشيئته، وإرادته وأمرَ ونهى بحكمتِهِ ولو كان كلُّ ما لا تدركه العقولُ مردودًا لكان أكثر الشرائع مستحيلاً على موضوع عقول العبادِ وذٰلك أنَّ اللهَ سبحانه أوجبَ الغسلَ بخروجِ المْني الذي هو طاهر عند بعضَ الصّحابة وكثير مِنَ الأئمةِ كالإمامِ أحمد، والإمام الشافعي، وغيرهما أوجب غسل الأطراف مِنَ الغائطِ الذي لا خلاف في نجاسته، وقذارته إلى أنْ قال: وكذلك القصاص بالحسنات والسيئات يعني: لا يدرك بالعقل وقد قال وقوله الحق:

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧] وقال: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ﴾ [العنكبوت: ١٣] و﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ﴾ [النحل: ٢٥] وهٰذا يبين معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ﴾ [الأنعام: ١٦٤] أي: لا تحمل حاملة ثقل أخرى إذا لم تتعد فإذا تعدت، واستطالت بغير ما أمرت به فإنَّها تحمل عليها ويؤخذ منها بغير ٱختيارها. ٱنتهى.

---

(١) (١/ ٤١٠) وما قبله.

قُلْتُ: أيّ عقل يرد مثل هٰذا القصاص أفليس هٰذا عين العدل؟! وإلا فالعدل أن يسفكَ الدّماء، ويأخذ الأموالَ، وينتهك المْحارم، ويظلم الضعيف /٥١٦/ ويؤلمه ثُمَّ لا يؤخذ بمثل هٰذه الجرائم هٰذا ممَّا تأباه العقولُ، وتباينه النقولُ فالعدل كلّ العدلِ في الْحسابِ والقصاص، ومن ثَمَّ جعله اللهُ سبحانه وتعالى بين عبادِه ولولا ذاك لأكلَ القويُّ الضعيفَ إذ لا يخشى في هٰذه الدُّنيا مِنْ ضعفِه، ولا يخاف يومَ القيامةِ من ذنبه، فويل لأهْلِ الإفك، والابتكار من غضبِ الجبارِ ما أجرأهم على أحاديث المصطفى بالردِ، والتزييف، والطعن، والتضعيف، سبحان الله عمَّا يصفون! فليتربصوا فسوف يعلمون فعلى العاقل أنْ يحاسبَ نفسَهُ قبلَ يوم الْحسابِ، ويعاتبها قبل أنْ لا ينفع العتاب ومِنْ ثَمَّ قال سيدنا عمر بن الخطاب رضوان الله عليه: حاسبوا أنفسَكم قبل أنْ تُحاسبوا، وزنوها قبل أنْ توزنوا. وحساب النفسِ هو التوبة النصوح، وتدارك ما فرط من تقصير في أداءِ الفرائض، ويرد المظالم إلى أهلها حبة حبة، ويستحل ما يمكنه ٱستحلاله. والله الموفق.

الباب السابع
في الحوضِ، والكوثرِ وهما ثابتان بالكتابِ والسُّنّةِ وإجماع أهْل الحق

قالَ الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: ١]
وقال الجلال السيوطي في كتابه «البدور السافرة»(١): قد وَرَدَ ذكر الحوض من رواية بضع وخمسين صحابيًا منهم الخلفاء الأربعة، وأبيّ بن كعب، وأنس، والبراء بن عازب، وجابر، وأبي هريرة، وعائشة، وأم سلمة. وذكر بقيتهم.

قال في «التذكرة»(٢): ذهَبَ صَاحبُ «القوت» إلى أنَّ الْحوض بعد الصراط والصحيح أنَّه قبله. وهكذا قال الغزالي: ذهبَ بعضُ السلفِ إلى أنَّ الْحوضَ يورد بعد الصراط وهو غلط من قائله. قال: القرطبي والمعنى يقتضي تقديم الحوض على الصراط فإنَّ النَّاسَ يخرجون عَطاشا مِنْ قبورِهم كما تقدم فناسب تقديمه.

قال ابن عباس رَضِي اللهُ عَنْهُما: سُئل رسول الله ﷺ عن الوقوف بين يدي ربّ العَالمين: هل فيه ماء؟ قال: «**إي والذي نفسي بيده إنَّ فيه لماء، وإنَّ أولياءَ اللهِ ليردون /٥١٧/ إلى حياض الأنبياء عليهم السلام**»(٣).

---

(١) «البدور السافرة» (٢١٥). (٢) (١/ ٤٥٧).
(٣) «الحلية» (٧/ ٣٥٢) كما ذكره في «التذكرة» للقرطبي (١/ ٤٥٨).

وأخْرَجَ الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِي اللهُ عَنْهُما قال: قال رسول الله ﷺ: «**حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب مِنَ المْسك، وكيزانه كنجوم السَّماءِ، مَنْ شرب منه لا يظمأ أبدًا**» وفي رواية: «**حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء**[1]**، وماؤه أبيض من الوَرِق**». وهي عندهما أيضا.

وأخرجَ الإمامُ أحمد بسند صحيح، وابن حبان في صحيحه واللفظ للإمام أحمد عن أبي أمامة رَضِي اللهُ عَنْهُ أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ وعَدَني أنْ يُدخِلَ مِنْ أمَّتي سبعين ألفًا بغيرِ حسابٍ**» فقال يزيد بن الأخنس: واللهِ ما أولئك في أمَّتِكَ إلا كالذُّبابِ الأصهبِ[2] في الذباب. فقال رسول الله ﷺ: «**قد وعدني سَبْعِينَ ألفًا مع كُلِّ ألفٍ سبعون ألفا، وزادني ثلاثَ حثيات**». قال: فما سعة حوضك يا رسول الله؟ قال: «**كما بين عَدَنَ إلى عُمَان، وأوسع وأوسع**» يشير بيده قال: «**فيه مُثْعُبان**» بضم الميم والعين المهملة بينهما مثلثة وآخره موحدة هو مسيل الماء قاله الحافظ المنذري: «**مِنْ ذهبٍ**» أي ذلك المثعبان من ذهب: «**وفِضَّةٍ**» قال: فما حوضك يا نبيَّ اللهِ؟ قال: «**أشدُّ بياضًا منَ اللبنِ، وأحْلَى مِنَ العسلِ، وأطيب رائحة من المسك، مَنْ شربَ منه شربة لم يظمأْ بعدها أبدًا، ولم يسود وجهه أبدًا**[3]».

---

(١) ورد بهامش الأصل: قوله: سواء: أي: عرضه مثل طوله لا يزيد أحدهما عن الآخر. أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

(٢) ورد بهامش الأصل: أي: الأشقر الذي يميل إلى الحمرة.

(٣) أحمد (٥/ ٢٥١، ٢٦٨)، وابن حبان (٦٤٥٧، ٧٢٤٦)، وابن أبي عاصم=

وأخرجَ مسلم عن ثوبان رَضِي اللهُ عَنْهُ، عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «**إني لبِعُقْرِ حوضي**» أي: مؤخره وهو بضم العين وإسكان القاف «**أذودُ النَّاسَ لأهْل اليمنِ**» أي: أطردهم وأدفعهم ليرد أهل اليمن قاله ابن المنذر «**أضربُ بعصاي حَتَّى يرفض عليهم**» فسُئِل عن عَرَضِه؟ فقال: «**من مقامي إلى عمان**». وسُئِل عن شرابه؟ فقال: «**أشدُّ بياضًا مِنَ اللَّبَن، وأحْلى مِنَ العَسلِ يَغُت**» أي: بغين معجمة مضمومة ثم مثناة فوق أي: يجريان «**فيه ميزابانِ** / ٥١٨/ **يمدَّانِه مِنَ الجْنَّةِ، أحدُهُما من ذهبٍ، والآخر من وَرِقٍ**»(١).

وروى الترمذي، وابن ماجه، والحاكم وصححه عن أبي سلام الحبشي قال: بعث إليّ عمر بن عبد العزيز فَحُمِلت على البريد فلمَّا دخلت إليه قلت: يا أمير المؤمنين لقد شق عليّ مركبي البريد فقال: يا أبا سلام ما أردتُ أنْ أشق عليكَ ولٰكن بلغني عنك حديثٌ تحدثه عن ثوبان، عن رسولِ اللهِ ﷺ في الحوض فأحببتُ أن تشافهني به فقلت: حَدَّثَني ثوبان أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**حوضي مثل ما بين عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضًا من الثلج، وأحلى منَ العَسل، وأكوابه عدد نجوم السماء، مَن شربَ منه شربةً لم يظمأ بعدها أبدًا، أوّل النَّاسِ**

= في السنة (٥٨٨، ٧٢٩) وفي «الآحاد والمثاني» (١٢٤٧، ١٢٤٨)، والطبراني في الكبير (٧٦٧٢، ٧٦٧٥)، والبيهقي في «البعث والنشور» (١٣٤).

(١) مسلم (٢٣٠١)، «الأجري في الشريعة» ص(٣٥٣)، والبيهقي في «البعث والنشور» (١٣٣)، وأبو عوانة كما في «إتحاف المهرة» (٣/ ٤٩).

ورودًا عليه فقراء المهاجرين الشعث رءوسًا» أي: البعيد عهدا بدهن رأسه، وغسله، وتسريح شعره. «**الدنس ثيابًا**» أي: الوسخ ثيابًا وهو بضم الدال والنون جمع دنس. «**الذين لا ينكحون المنَعَّمَات، ولا تفتح لهم الأبواب السدد**». فقال عمر: قد نكحت المنعمات فاطمة بنت عبد الملك، وفتحت لي الأبواب السدد ولا جرم لا أغسل رأسي حَتَّى يشعث، ولا ثوبي الذي يلي جسدي حَتَّى يتسخَ(١).

وأخرجَ الإمام أحمد بإسنادٍ حسن عن ابن عمر رَضِي اللهُ عَنْهُما أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**حوضي كما بين عدن وعمان أَبرد من الثلج، وأحلى منَ العَسل، وأطيب ريحًا من المسك أكوابه مثل نجوم السماء، مَنْ شربَ منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، أوّل الناسِ عليه ورودًا صعاليك المهاجرين**». قال قائل: من هم يا رسول اللهِ؟ قال: «**الشعثة رؤوسهم الشحبة**» أي: بفتح الشين المعجمة وكسر المهملة بعدها موحدة المتغيرة «**وجوهم**» وذٰلك من جوع أو هزال أو تعب «**الدنسة**» أي: الوسخة ثيابهم «**ثيابهم لا تفتح لهم السدد**» أي: الأبواب المغلقة وذٰلك لإهانتهم عند الناس وعدم أكتراثهم بهم «**ولا ينكحون المنعمات الذين يعطون كلّ الذي عليهم /٥١٩/ ولا يأخذون كلّ الذي لهم**»(٢).

---

(١) الترمذي (٢٤٤٤)، وابن ماجه (٤٣٠٣)، والحاكم (٤/ ١٨٤)، والبيهقي في الشعب (١٠٤٨٥) وفي البعث (١٣٥)، والطيالسي (٩٩٥)، والطبراني في «الأوسط» (٣٩٨)، وابن أبي عاصم في السنة (٧٠٦، ٧٠٠٧، ٧٤٧، ٧٤٩)، والطبراني في «الكبير» (١٤٣٧).

(٢) رواه أحمد ٢/ ١٣٢ .

وعند الطبراني بإسنادٍ حسن في المتابعات عن أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**حوضي كما بين عَدَن وعمان فيه أكاويب**» جمع كوب وهو كوز لا عروة له، وقيل: لا خرطوم له. فإذا كان له خرطوم فهو إبريق. «**عدد نجوم السماء، مَن شرب منه لم يظمأ بعده أبدًا**»[(١)] الحديث.

وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسول اللهِ ﷺ قال: «**ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة**» وفي رواية: «**مثل المدينة وعمان**». وفي رواية «**يرى**[(٢)] **فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء**». زاد في رواية: «**وأكثر من عدد نجوم السماء**» رواه البخاري، ومسلم، وغيرهما[(٣)].

وفي صحيح البخاري من حديث همام عن قتادة عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**بينا أنا أسير في الجنةِ إذ أنا بنهر حافَتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت: ما هٰذا يا جبريل؟ قال: هٰذا الكوثر الذي أعطاك ربّك. قال: فضرب الملك فإذا طينه مسك أذفر**»[(٤)].

وفي صحيح مسلم عنه مرفوعًا: «**الكوثر نهر في الجنة وَعَدَنِيه ربِّي عَزَّ وَجَلَّ**»[(٥)].

وفي «حادي الأرواح» للإمام المحقق ابن القيم قدس الله روحه

---

(١) الطبراني في الكبير (١١٩/٨) رقم ٧٥٤٦ قال في المجمع (٣٦٦/١٠) رجاله وثقوا على ضعف في بعضهم.

(٢) ليست موجودة في (ب).

(٣) البخاري (٣٥٧٠)، ومسلم (٤٠٠).

(٤) البخاري (٦٥٨١).

(٥) صحيح مسلم (٤٠٠).

عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**دخلتُ الجنَّةَ فإذا بنهر يجري حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدي إلى ما يجري فيه من**[1] **الماء فإذا أنا بمسك أذفر فقلت: لمن هٰذا يا جبريل؟ قال: هٰذا الكوثر الذي أعطاكه الله عَزَّ وَجَلَّ**»[2].

وفي سنن الترمذي عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الكوثر نهر في الجنةِ حافتاه**[3] **من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب مِنَ الْمسكِ، وماؤه أحلى من العسلِ، وأبيض من الثلج**» قال الترمذي: حديث حسن صحيح[4].

تنبيه: قال في التذكرة[5]: الصحيح أنَّ للنَّبي ﷺ حوضين أحدهما: في الموقف قبل الصراط والثاني في الجنةِ[6] وكلاهما يسمى كوثرًا والكوثر[7] في كلام العرب الخير الكثير./ ٥٢٠/

(١) في (أ) (يجري من فيه) والمثبت من (ب).

(٢) البخاري (٤٩٦٤).

(٣) ورد بهامش الأصل: أي: جانباه من الذهب. أي: حقيقة، أو مثله في النضارة والضياء، وقوله: ومجراه عَلَى الدر.. إلخ، لا يعارضه أن طينه المسك، بجواز كونه تحته أي: المسك، أي: تحت الدر.

(٤) رواه أحمد ٢/ ٦٧، والترمذي (٣٣٦١)، وابن ماجه (٤٣٣٤).

(٥) «التذكرة» ١/ ٣٦٨.

(٦) ورد بهامش الأصل: وهو أصل مادة الحوض لأنه يصب فيه كما في البخاري، أفاده المناوي.

(٧) ورد بهامش الأصل: فيشمل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ ما أعطي ﷺ من العلم والعمل وشرف الدارين والنهر الذي في الجنة لكثرة أتباعه وعلماء أمته.

قال الجلال السيوطي[١]: وقد وَرَدَ التصريحُ في حديث صحيح عند الحاكم وغيرِه بأنَّ الحوضَ بعد الصراط ورجحه القاضي عياض قال السيوطي: فإنْ قيلَ: إذا خلصوا من الموقف دخلوا الجنةَ فلم يحتج إلى الشرب منه. قلتُ: كلا بل هم محبوسون هناك لأجل المظالم فكان الشرب في موقف القصاص. ويحتمل الجمع بأنْ يقعَ الشربُ مِنَ الحْوضِ قبل الصراط لقوم وتأخيره بعده لآخرين بحسب ما عليهم من الذنوب حَتَّى يهذبوا منها على الصراط ولعل هٰذا أقوى. ٱنتهى.

قال العلامة في «البهجة»: هٰذا كلام في غاية التحقيق جامع للقولين وهو دقيق. ٱنتهى.

قال القرطبي في التذكرة[٢]: ولا يخطر ببالِكَ أو يذهبُ وهمك إلى أنَّ هٰذا الحوضَ يكون على وجه هٰذه الأرض وإنَّما يكون وجودُه على الأرض المبدلة على مسافات هٰذه الأقطار، وفي المواضع التي تكون بدلاً من هٰذه المواضع في هٰذه الأرض، وهي أرض بيضاء كالفضة لم يُسفك عليها دمٌ، ولم يظلم على ظهرها أحد قط كما تقدم.

لطيفة: أخرجَ ابن أبي الدُّنيا[٣] عن ابن مسعود رَضِي اللهُ عَنْهُ: **«يحشر النَّاسُ يومَ القيامةِ أعرى ما كانوا قط، وأجوع ما كانوا قط، وأظمأ ما كانوا قط، وأنصب ما كانوا قط فمن كسا لله كساه اللهُ، ومن**

---

(١) البدور السافرة ٢٤٠. (٢) «التذكرة» ١/ ٣٧١.

(٣) ابن أبي الدنيا في «اصطناع المعروف» رقم (٣٠) وله شاهد من حديث أبي سعيد في «اصطناع المعروف» رقم (٣١).

أطعم لله أطعمه الله، ومن سقا لله أسقاه الله، ومَنْ عملَ للهِ أغناه الله، ومن عفا لله أعفاه الله».

وأخرجَ ابن خزيمة[(١)]، والبيهقي عن سلمان مرفوعًا: «مَنْ يسقي صائمًا للهِ سقاه اللهُ مِنْ حوضي شربةً لا يظمأ حَتَّى يَدْخل الجنة».

وأخرجَ الحاكمُ[(٢)] عن أبي هريرةَ مرفوعًا: «مَنْ أتاه أخوه منتصلاً» أي: معتذرًا. «فليقبل[(٣)] ذٰلك منه محقًا كان ذٰلك أو مبطلا فإنْ لم يفعلْ لم يرد الحْوضَ».

وأخرجَ الطبراني عن أمّ المؤمنين عائشة رَضِي اللهُ عَنْها مرفوعًا: «مَنْ ٱعتذر إلى أخيه المسلم فلم يقبل عذرَه لم يرد على الحوض»[(٤)].

تنبيه: قال القرطبي[(٥)]: ظن بعض النَّاسِ أنَّ هٰذه التحديدات في أحاديث الحوض ٱضطراب واختلاف. قال: وليس كذٰلك وإنَّما تحدث النبي /٥٢١/ ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة وذكرَ فيها تلك الألفاظ المختلفة مخاطبًا لكلِّ طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها فيقول لأهْلِ الشَّامِ: ما بين أدرج وحرباء، ولأهلِ اليمنِ: من صنعاء إلى عدن. وتارة يقدر بالزمان فيقول: مسيرة شهر والمقصود

---

(١) ابن خزيمة (١٨٨٧) وفيه علي بن زيد بن جدعان ضعيف.

(٢) الحاكم (٤/ ١٥٤) من طريقين أحدهما شديد الضعف لأن في إسناده علي بن قتيبة روىٰ الأباطيل عن مالك بن أنس والآخر فيه سويد أبي حاتم ضعيف.

(٣) كذا في (أ) والمثبت في (ب) فليقل.

(٤) «المعجم الأوسط» ٦/ ٢٤١ (٦٢٩٥).

(٥) «التذكرة» (١/ ٤٦٠) في باب ما جاء في حوض النبي ﷺ.

أنَّه حوضٌ كبير متسع الجوانب والزوايا وكان ذٰلك التحديد بحسب من [حضره][(١)] ممن يعرف تلك الجهات فيخاطب كلّ قومٍ بالجهةِ التي يعرفونها ٱنتهى. وسيأتي للكلامِ على الحْوضِ تتمة في صفات الجنَّةِ إنْ شاء الله تعالى.

تتمة: ٱعلمْ أنَّ لكل نبي حوضًا كما ورد ذٰلك في الأخبارِ، والأحاديث، والآثار فقد أخرجَ الترمذي عن سمرةَ رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ لكلِّ نبي حوضًا، وإنَّهم يتباهون أيهم أكثر واردا، وإنِّي أرجو أنْ أكون أكثرهم واردا**» قال الترمذي: حديث حسن غريب[(٢)]. وَوَرَدَ في بعضِ الأخبارِ: «**لكلِّ نبي حوض إلاَّ صالحا فإنَّ حوضَه ضرُع ناقته**». وفي حديث ابن عباس رَضِي اللهُ عَنْهُما: «**وإنَّ أولياءَ اللهِ ليردون إلى حياضِ الأنبياءِ**»[(٣)].

---

(١) ليست في (أ) واستدركناها من (ب).

(٢) «الترمذي» (٢٤٤٣)، والطبراني في «الكبير» (٦٨٨١)، وابن أبي عاصم في السنة (٧٣٤)، وصححه الألباني.

(٣) «الحلية» ٧/ ٣٥٢ .

الباب الرابع[١]

في الانصراف مِنَ الموقفِ، وذكر شفاعة النَّبي ﷺ الخاصة، وشفاعة بقية الأنبياء، والعلماء، والصالحين

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ [الزلزلة: ٦]

قال المفسرون: يصدرون مِنْ موقفِ الحسابِ فيأخذ أهْل الجنةِ ذات اليمين، وأهل النار ذات الشمال. وذكر الثعلبي في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝٨٥﴾ [مريم: ٨٥]: عن عليّ رَضِي اللهُ عَنْهُ، عن النَّبي ﷺ: «**إذا حان الانصراف من بين يدي اللهِ تعالى تلقت الملائكة المؤمنين بنوقٍ بيض رحالها وأزمتها الذهب على كلِّ مركبٍ حلة لا تساويها الدُّنيا فيلبس كلُّ مؤمنٍ حلتَهُ ثُمَّ يستوون على مراكبهم فتهوي بهم النوق حَتَّى تنتهي بهم إلى الجنةِ فتتلقاهم الملائكة:** ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

/ ٥٢٢/ وقد ورد من قول [[٢] علي رضي الله عنه: ما يحشرون والله عَلَى أرجلهم ولٰكن عَلَى نوقٍ رحالها ذهب ونجائب سرجها يواقيت إن هَمُّوا بها سارت وإن نَهِمُوها صَارت.

وأما ما يجدون من ريح الجنة قبل الوصل إليها ففي حديث أبي

---

(١) ورد بهامش الأصل: قوله الرابع: ولعله الثامن وهو سبق قلم منه رحمه الله تعالى.

(٢) بداية سقط ينتهي في ص٩٠١ والأثر عن علي ذكره في الدر المنثور على تفسير آية سورة مريم (٨٥).

هريرة: «إن ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام»[١]. وعن جابر رضي الله عنه: «ألف عام»[٢].

وعن علي رضي الله عنه: إن أهل الجنة يجدون على باب الجنة شجرة يخرج من تحت ساقها عينان يعمدون إلى أحدهما فيتطهرون فيجري عليهم نضرة النعيم فلن تتغير نضارتها بعدها أبدًا كأنما دهنوا بالدهن ثمَّ يعمدون إلى الأخرى فيشربون منها فيذهب ما في بطونهم من أذى وقذى وتتلقاهم الملائكة عَلَىَ أبواب الجنة يقولون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الزمر: الآية ٧٣] أو كما قَالَ[٣].

وهل يجدون أبواب الجنة مفتحة أو لا؟

فيه خلاف بين العلماء، فقيل: مفتحة واحتجوا بقوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾ [ص: الآية ٥٠] فظاهر هٰذه الآية أنَّ أبوابها مفتحة.

وقيل: بل مغلقة لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾

---

(١) مسلم (٢١٢٨)، وأحمد (٢/ ٣٥٥-٣٥٦، ٤٤٠)، والبغوي (٢٥٧٨)، والبيهقي (٢/ ٢٣٤).

(٢) الطبراني في «الأوسط» ذكره في المجمع (٨/ ١٤٨)، قال الهيثمي رواه الطبراني في «الأوسط» من طريق محمد بن كثير عن جابر الجعفي وكلاهما ضعيف جدًا «صفة الجنة» لأبي نعيم (٢/ ٤٠).

(٣) ابن أبي شيبة (١٣/ ١١٢، ١١٣، ١١٤)، «الزهد» لابن المبارك (٥٠٩، ٥١٠)، وابن جرير (٢٤/ ٢٤)، و«البعث» للبيهقي (٢٤٦)، «صفة الجنة» لابن أبي الدنيا (٧)، قال العقيلي: حديث غير محفوظ «الضعفاء الكبير» (١/ ٨٦) قال ابن كثير عند تفسير آية (٨٥) مريم: حديث غريب جدًا وانظر «الدر» عند تفسير آية (٨٥) مريم. انظر ص١٠٥٥.

وظاهر هٰذه الآية أنهم يجدونها مغلقة ثمَّ تنفتح لهم.

قَالَ أهل القول الأول: بل يجدونها مفتحة حتَّى لا يقفوا هناك؛ لأن دار الفرح والسرور لا تغلق بخلاف أهل النار فإنهم يجدونها مغلقة الأبواب كما هو حال السجون فيقفون هناك حتَّى تفتح لهم مهانة لهم قَالَ بعضهم: يرد عَلَىٰ هٰذا قوله ﷺ: **«أنا أول من يفتح باب الجنة»**[1]. وفي الحديث: **«آتي باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: لك أمرت ألا أفتح لأحدٍ قبلك»**[2]. رواه الإمام أحمد ومسلم عن أنس رضي الله عنه.

والجواب أنه ﷺ يسبقهم إلى الجنة فيفتحها لهم، فيأتي أهلها بعد ذٰلك فيجدونها مفتحة، ثمَّ إنهم يزدحمون عَلَىٰ أبواب الجنة، وفي الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: **«باب أمتي الذي يدخلون منه عرض مسيرة الراكب المجد ثلاثًا ثمَّ إنهم ليضغطون عليه**

---

(١) أبو يعلىٰ (٦٦٥١) وذكره الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٦٢) باب ما جاء في الأيتام والأرامل والمساكين، وقال: رواه أبو يعلىٰ وفيه عبد السلام بن عجلان، وثقه أبو حاتم، وابن حبان وقال: يخطئ ويخالف، وبقية رجاله ثقات وضعفه البوصيري بعبد السلام بن عجلان، انظر «اتحاف الخيرة» (٢/ ١٣٩).

(٢) من رواية أنس، مسلم (١٩٧) أحمد (٣/ ١٣٦) والبغوي في السنة (٤٣٣٩) «صفة الجنة» لأبي نعيم (٨٣)، ومن رواية ابن عباس الترمذي (٣٦١٦)، والدارمي (٤٨) «صفة الجنة» لأبي نعيم (٨٣) ومن رواية أبي هريرة عند أبي نعيم في «صفة الجنة» (١٨٤) أسكننا الله إياها ووالدينا وذرياتنا ومشائخنا وجميع إخواننا المسلمين، انظر ت(١) ص٩٥٣.

حتَّى تكاد مناكبهم تزول»[١].

وفي صحيح مسلم[٢] عن عتبة بن غزوان قَالَ: ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام فتتلقاهم الغلمان. قَالَ الثعلبي[٣] عن علي كرم الله وجهه: إنهم إِذَا ٱغتسلوا تلقتهم الملائكة قَالَ: وتلقى كل غلمان صاحبهم يطوفون به ويقولون: أبشر فقد أعدّ الله لك كذا وكذا، فينطلق غلام من غلمانه يسعى إلى أزواجه من الحور العين فيقول: هٰذا فلان - باسمه الذي كان في الدنيا - قَدْ قدم فيستخعنهن الفرح حتَّى يخرجن إلى أسكفة فيجيء فيدخل الدار فإذا سرر موضوعة - أي منسوجة - كما توضن حلق الدرع فيدخل بعضها في بعض.

قَالَ المفسرون: منسوجة بالذهب والجواهر. وقال الضحاك: موضونة مرصوفة. وقال في «شرح غريب القرآن العظيم»: موضونة منسوجة باليواقيت والجواهر وأكواب موضوعة هو جمع كوب الإبريق الذي لا عروة له ونمارق أي: وسائد ومرافق مصفوفة بعضها بجنب بعض وزاربي أي: بسط عريضة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هٰذا الطنافس التي لها خمل ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ أي: مبسوطة ممهدة وقيل: مفرقة في المجالس ثمَّ ينظر إلى تأسيس بناينه فإذا هو قد أسس عَلَى جبل

(١) الترمذي (٢٥٤٨)، والبيهقي في «البعث» (٢٣٧)، و«صفة الجنة» لأبي نعيم (١٧٩)، انظر (٢) ص٩٥٧.

(٢) مسلم (٢٩٦٧).

(٣) انظر تخريج ت٣ ص(٨٩٨).

من اللؤلؤ ما بين أخضر وأصفر وأبيض ثمَّ يتكئ عَلَى أريكة أي: سرره التي في الحجال فلا تكون أريكة إلا إِذَا ٱجتمعا ثمَّ يرفع طرفه إلى سقفه فيراه كالبرق، فيقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ قَالَ: فتناديهم الملائكة ﴿تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] وسنذكر إن شاء الله ما يشفي ويكفي في صفة الجنة.

وأما أهل النار فقد قَالَ تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ۝٨٦﴾ أي: عطاشًا مشاة عَلَى أرجلهم قَدْ تقطعت أعناقهم][1].

من العطش. والوِرد: جماعة يردون الماء.

وقال الفخر: يُساقون إلى النَّارِ إهانةً لهم، واستخفافًا بهم كَنعَمٍ عطاشٍ تُساق إلى الماءِ. وقال الواحدي: يُساقون إليها وهم ظمأ والورد: الجماعة التي ترد الماء، ولا يرد أحدٌ الماءَ إلا بعد العطش ٱنتهى.

وقال الثعلبي في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧١] أي: يساقون سوقًا عنيفًا يسحبون عَلَى وجوههم إلى النَّارِ زمرًا أفواجًا بعضها على أثر بعض كلّ أمّة على حدة بعد أنْ يقفوا على بابها حَتَّى تفتحت أبوابها؛ لأنَّها لا تفتح إلاَّ بعد مجيئهم وفي وقوفهم ثم مذلة ومهانة وهكذا حال السجون في الدُّنيا ولا ريب أنَّ النَّارَ سجنُ الآخرةِ نسألُ الله سبحانه وتعالى أنْ يعافينا منها بمنّه وكرمه.

وأمَّا أهْلُ الجْنَّةِ: فلا يقفون على أبوابها بل يجدون الأبوابَ

---

(١) ما بين معقوفتين سقط من (أ) من ص٨٩٧ واستدركناه من (ب).

مفتحة على ما يأتي تحريره إن شاء الله تعالى. ثم إذا دخلوا النارَ دفعتهم الزبانيةُ إليها كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾ [الطور: ١٣] أي: يدفعون دفعًا فإذا وقفوا على النَّارِ قالوا: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾ والواحد من خزنة النار يسوق الأمّة وحده وعلى رقبته جبل يرميهم في النارِ ويرمي الجبل عليهم. قال عمرو بن دينار: إنَّ الواحدَ منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنّم أكثر من ربيعة ومضر.

وقال الثعلبي وغيره في قولِهِ تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: ١٢](١): أي: صوتًا بالغيظ، وزفيرًا: غليانًا يفور كالغضبانِ إذا غلى صدره مِنَ الغضبِ. قال مطرفٍ: التغيظ لا يسمع والمعنى رأوا لها تغيظًا، وسمعوا لها زفيرًا. وقال الواحدي: ﴿مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ مسيرة مائةعام ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا﴾ هو الغضب .﴿وَزَفِيرًا﴾ قال عبيد بن عمير: إنَّ جهنَّم لتزفر زفرة لا يبقى نبي مرسل، ولا ملك مقرب إلا خر لوجهه وقال في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا﴾ من جهنم ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾(٢) قال المفسرون: تضيق

---

(١) ورد بهامش الأصل: رأتهم: إذًا كانت بمر أي منهم كقوله ﷺ: «**لا تتراءى نارهما لها تغيظًا**» أي لا يتقارب بحيث تكون إحداهما بمر أي من الأخرى عَلَى المجاز وقوله: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا﴾ أي صوت التغيظ، شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وغيره وهو صوت يُسمع من دوفه هذا، ويمكن أن يخلق الله فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر، وقيل إن ذَٰلِكَ لزبانيتها فنسب إليها عَلَى حذف المضاف. البيضاوي.

(٢) أي في مكان، ومنها حال منه لتقدمه عليه.

عليهم كما يضيق الزجُّ في الرمح وقال رسول الله ﷺ في هٰذه الآية: «والذي نفسي بيده إنَّهم ليستكرهون كما ليستكره الوتد في الحائط»[١] ﴿مُقَرَّنِينَ﴾: موثقين في الحديد قرنوا مع الشياطين[٢] ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾: دعوا بالويل على أنفسهم، والهلاك كما يقول القائل: واهلاكاه.

نكتة: أخرج الواحدي[٣] بسنده عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «أوّل مَنْ يكسى يومَ القيامةِ إبليس يعني: من أهل النار - يكسى حلة من النَّارِ يضعها على حاجبيه فيسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول: واثبوراه. وهم ينادون: يا ثبورهم حتَّى يقفوا عَلَى النار فينادي: يا ثبوراه وينادون: يا ثبورهم فيقول الله تعالى: ﴿لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان: ١٤].

قال الزجاج[٤]: أي: هلاككم أكثر مِنْ أنْ تدعوا مرة واحدة.

وقال البغوي[٥]: في قوله تعالى: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ [الملك: ٧] هو أول نهيق الحمار وذٰلك أقبح الأصواتِ ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾

(١) ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٦٨).

(٢) ورد بهامش الأصل: أو قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل.

(٣) ابن أبي شيبة (١٣/ ١٦٨)، (١٤/ ١٠٩)، وأحمد برقم (١٢٥٣٦)، والبيهقي (٦٤٧)، والبزار «كشف الأستار» (٣٤٩٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٦٩).

(٤) ذكره البغوي في تفسير آية (١٤) الفرقان.

(٥) «تفسير البغوي» في تفسير آية (٦، ٧) الملك.

تغلي بهم كغلي المرجل أي: القدر. وقال مجاهد: تفور كما يفور الماء الكثير بالحب القليل

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾[الملك: ٨] أي: تتقطع مِنَ الغَيْظِ أي: من تغيظها عليهم. وقال ابن قتيبة[1]: تكاد تنشق غيظًا على الكفار. وقال العلامة: أي: تكاد جهنّم تتفرق وتتقطع من الغيظ على الكفارِ. وسيأتي الكلام على صفة النَّارِ مستوفيًا إن شاء الله تعالى.

---

(١) ذكره في كتاب «مشكل غريب القرآن» في تفسير آية (٨) الملك.

فصل

في الشفاعة الخاصة وهي فيمن ٱستحق النار مِنَ المؤمنين أن لا يدخلها وفيمن دخلها منهم أنْ يخرجَ منها كما تقدم عن شيخ الإسلام قدّس الله روحَه وهي التي تنكرها المبتدعة فأرجو أن يحرموها ومِنْ حججهم على ذٰلك قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨] وقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]. وزعمت أنَّ مَنْ دخلَ جهنَّم يخلد فيها؛ لأنَّه إمَّا كافر، أو صاحب كبيرة مات بلا توبة هٰذا رأي المعتزلة ومَنْ وافقهم مِنْ أهْلِ الأهواءِ وهو رأي فاسد، ومذهب باطل لا ينظر إليه، ولا يعول عليه /٥٢٦/ بإجماع أهْلِ السنةِ والجْماعةِ أيدهم الله بعلو الكلمة والشفاعة إنَّه على ذٰلك قدير وبالإجابة جدير.

أخرجَ البخاري[1] في صحيحه عن سيدنا عمر رَضِي اللهُ عَنْهُ أنَّه خطبَ فقال: إنَّه سيكون في هٰذه الأمّة قوم يكذبون بالدجال، ويكذبون بالشفاعةِ، ويكذبون بقوم يخرجون من النارِ بعدما ٱمتحشوا. قال في النهاية: ويكذبون بقوم يخرجون من النار أي: بعدما ٱحترقوا والمحش ٱحتراق الجلد، وظهور العظم ويروى: ٱمتحشوا مبنيا لما لم

---

(١) البخاري (٢٤٦٢)، ومسلم (١٦٩١)، وأبو داود (٤٤١٨)، وابن ماجه (٢٥٥٣)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧١٥٦، ٧١٥٩)، والترمذي (٣٢٣)، وابن حبان (٤١٣، ٦٢٣٩)، وأبو يعلىٰ (١٥٣)، وأحمد (١/ ٢٣، ٤٧، ٥٠، ٥٦).

يسم فاعله. انتهى.

وعن أنس رَضِي اللهُ عَنْهُ أنَّه قال: من كذب بالشفاعةِ فلا نصيب له فيها، ومَنْ كذبَ بالحوضِ فليس لهُ فيه نصيب. وقيل له: إنَّ قومًا يكذبون بالشّفاعة فقال: لا تجالسوا أولئك[1].

وأخرجَ البيهقي قال: ذكروا عند عمران بن حصين رَضِي اللهُ عَنْهُ الشفاعة فقال رجل يا أبا نجيد إنكم لتحدثونا أحاديث لم نجدْ لها أصلاً في القرآن. فغضب عمران بن حصين وقال للرجل أقرأتَ القرآن؟ قال: نعم قال: فهل وجدت صلاةَ العشاءِ أربعًا، وصلاة المغربِ ثلاثا، وصلاة الفجر ركعتين، والظهر أربعًا، والعصر أربعا؟ قال: لا. قال: فعن مَن أخذتم هٰذا؟ ألستم عنا أخذتموه؟ وأخذناه عن النَّبي ﷺ؟! ووجدتم في كلِّ أربعين درهمًا درهمًا، وفي كلّ كذا شاة كذا، وفي كلِّ كذا بعير كذا أوجدتم في القرآن هكذا؟ قال: لا. قال: ووجدتم في القرآن ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩] أوجدتم طوفوا سبعا، واركعوا ركعتين خلف المقام؟ أوجدتم هٰذا في القرآن؟ عمن أخذتموه؟ ألستم أخذتموه عنا؟! وأخذناه عن رسول الله ﷺ؟! قالوا: بلى إلى أنْ قال: فإنَّ اللهَ قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] وإنا قد أخذنا عن النَّبي ﷺ أشياء ليس لكم بها علم.

---

(١) هناد في «الزهد» (١٨٩)، «الشريعة» للآجري (٣٣٧).

وأخرجَ الطبراني في الكبير والصغير بإسنادٍ حسن عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُما /٥٢٧/ مرفوعا: «**يدخل مِنْ أهْلِ هٰذه القبلة النار مَن لا يحصى عددهم إلا الله بما عصوا الله، واجترءوا على معصيته، وخالفوا طاعته فيؤذن لي في الشفاعةِ فأثني على اللهِ ساجدًا كما أثني عليه قائمًا فيقال لي: ارفعْ رأسَكَ، وسل تعطه، واشفع تشفع**»[1].

وأخرجَ البزار، والطبراني، وأبو نعيم بسند حسن عن عليّ كرم الله وجهه، عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**أشفع لأمَّتي حتَّى يناديني ربِّي تبارك وتعالى: أرضيت يا محمد؟ فأقول: أي رب رضيت**»[2].

وأخرجَ الإمام أحمد، والطبراني، والبزار بسندٍ جيد عن معاذ، وأبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ ربي خيرني بين أنْ يدخلَ نصف أمَّتي الجنَّة، أو الشفاعة فاخترتُ لهم الشفاعة، وعلمتُ أنَّها أوسعُ لهم وهي لِمَنْ ماتَ لا يشرك باللهِ شيئا**». وأخرجَ الطبراني مثله عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[3].

وأخرجَ الإمامُ أحمد، والطبراني، والبيهقي بسندٍ صحيح عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**خُيِّرْتُ بين الشفاعةِ، وبين أن يَدْخلَ نصف أمَّتي فاخترت الشفاعة؛ لأنَّها أعم**

---

(١) انظر «الصغير» ١/ ٨٠ (١٠٣).

(٢) البزار ٢/ ٢٤٠، والطبراني ٣/ ٦٤، وأبو نعيم في «الحلية» ٤/ ٧٨ .

(٣) أحمد ٤/ ٤٠٤، ٦/ ٢٣ . والطبراني في «الصغير» ٢/ ٦٣ .

وأكفى وإنَّها ليست للمتقين ولكنَّها للمذنبين الخاطئين المتلوثين»[١].

وأخرج أبو داود، والبزار، والطبراني، وابن حبان في صحيحه، والبيهقي عن أنسٍ رَضِي اللهُ عَنْهُ، وابن حبان، والبيهقي عن جابر رَضِي اللهُ عَنْهُ قالا: قال رسول الله ﷺ: «**شفاعتي لأهلِ الكبائر من أمتي**»[٢].

وأخرجَ الحاكم، والبيهقي وصححاه عن أم حبيبة رَضِي اللهُ عَنْهُا، عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «**أُريت ما تلقى أمّتي مِن بعدي وسفك بعضهم دماء بعض فأحزنني وسبق ذٰلك من الله كما سبق في الأمم قبلهم فسألته أنْ يوليني فيهم شفاعة يوم القيامة ففعل**»[٣].

وأخرج الإمام أحمد، والبيهقي، والطبراني عن بريدة رَضِي اللهُ عَنْهُ، /٥٢٨/ عن النبي ﷺ: «**إنِّي أشفع يومَ القيامةِ لأكثر مما علَى وجه الأرضِ من شجر ومدر**»[٤].

وأخرجَ الطبراني عن أبي هريرةَ رَضِي اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**آتي جهنَّم فأضرب بابها[٥]، فتفَتح لي، فأدخلها، فأحمَدُ اللهَ**

---

(١) أحمد ٢/ ٧٥ .

(٢) أبو داود (٤٧٣٩)، والبزار كما في «كشف الأستار» ٤/ ١٧٢ (٣٤٦٩).

(٣) رواه أحمد ٦/ ٤٢٧، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٠٧٧)، وفي السنة (٢١٥)، والحاكم ١/ ١٣٨، وصححه الألباني.

(٤) رواه أحمد ٥/ ٣٤٧، وأورده الهيثمي ١٠/ ٣٧٨ وقال: رجاله وثقوا عَلَىَ ضعف كثير في أبي إسرائيل الملائي.

(٥) في الأصل كلمة (بها) بدلاً من (بابها)، وكلمة (حمد)بدلاً من (حمده)والمثبت من مصدر التخريج.

بمحامد ما حمد أحد قبلي مثله ولا يحمده أحد بعدي، ثُم أُخرِج منها مَنْ قال: لا إله إلا الله مخلصًا. فيقوم إليَّ أناسٌ مِنْ قريش فينتسبون [إليَّ](١) [فأعرف نسبَهم، ولا أعرف وجوههم فأتركهم في النارِ»](٢)(٣).

وأخرج البخاريّ عن عمران بن حصين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: «يخرج قومٌ من النارِ بشفاعة محمد ﷺ، ويدخلون الجنة ويسمون الجهنميين»(٤)(٥).

وأخرجَ الطبراني، وأبو نعيم عن أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عنه ﷺ أنَّه قال: «نعم الرجل أنا لشرار أمّتي» قيل: وكيف يا رسول الله؟ قال: «أمَّا شرار أمّتي فيدخلهم الجنة بشفاعتي، وأما خيارهم فيدخلهم الجنة بأعمالهم»(٦).

---

(١) في «المجمع» (١٠/ ٣٧٩)، و«البدور السافرة» (١٠٨٠) لي.

(٢) في «المجمع»، و«البدور السافرة»: فأعرف وجوههم فأتركهم في النار.

(٣) رواه الطبراني في «الأوسط» (٣٨٤٥)، وأورده الهيثمي ١٠/ ٣٧٩ وقال: رواه الطبراني في «الأوسط»عن شيخه علي بن سعيد الرازي وفيه لين وفيه من لم أعرفه.

(٤) ورد في هامش الأصل: إشارة إلى أنه طال مكثهم في النار فأطلق عليهم هَذَا الاسم، وأيس من خروجهم.

(٥) البخاري (٦٥٦٦).

(٦) رواه الطبراني في «الكبير» ٨/(٧٤٨٣)، والدولابي في «الكنىٰ» (١/ ١٤٢)، وأبو نعيم في «الحلية»١٠/ ٢١٩، وأورده الهيثمي ١٠/ ٣٧٧ وقال: فيه جميع بن ثوب الرجبي قَالَ فيه البخاري منكر الحديث، وقال النسائي: متروك الحديث، وقال ابن عدي: رواياته تدل عَلَىَ أنه ضعيف.

قُلْتُ: المراد يدخلهم الجنة بفضلهِ، ويقتسمون المنازل بأعمالهم أو يدخلهم الجنة بسبب أعمالهم وعلى كلّ حال إنَّما يدخلون الجنَّة بفضله تعالى كيف وهو الذي وفقهم للعمل الصالح، وقبله منهم بفضله والله الموفق.

وأخرج ابن أبي عاصم عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنَّه قال: **«ما زلت أشفع إلى ربِّ ويشفعني، وأشفع ويشفعني حَتَّى أقول: أي رب شفعني فيمن قال: لا إله إلا الله. فيقول: هذا ليس لك يا محمد ولا لأحدٍ هذه لي وعزتي وجلالي ورحمتي لا أدع في النارِ أحدًا يقول: لا إله إلا الله»**[1].

لطيفة: أخرج البيهقي بسند جيد عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنَّه قال: **«مَنْ غش العربَ لم يدخَل في شفاعتي»**[2] أي: مَن لم ينصح العرب، لأنَّ الغشَ عدم النصح فأمَّا أنْ يقالَ مَنْ عامل العرب بضد النصيحة بل بالغش بأن يزين لهم غير المصلحة ومنه حديث: **«مَن غشّنا فليس منا»**[3]. قال في النهاية: أي: ليس مِنْ أخلاقنا، ولا على سنتنا أو يقال: من لم ينصحهم والثاني: أشد كما يفهمه مَن له دقة فهم والعرب: اسم مؤنث ولذا يوصف

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة»(٨٢٨)، وأبو يعلى (٢٧٨٦)من رواية الحسن عن أنس. ومن طريقه أخرجه ابن خزيمة (١٨٧) وله شاهد أيضًا عند البخاري ومسلم.

(٢) رواه ابن أبي شيبة ٦/ ٤١٠، والإمام أحمد ١/ ٧٢، والترمذي (٣٩٢٨)، والبزار (٥١٩)وإسناده ضعيف.

(٣) رواه مسلم (١٠١) من حديث أبي هريرة.

بالمؤنث فيقال: العرب العاربة وهم الذين يتكلمون بلسان يعرب بن قطحان وهو اللسان القديم والمراد هنا بنو إسماعيل عليه الصلاة والسلام ومَن والاهم. وفي نهاية ابن الأثير: العرب ٱسم لهٰذا الجيل المعروف من الناسِ ولا واحد له من لفظه وسواء أقام بالبادية أو المدن[١]. ٱنتهى.

ومن ثم قال العلماءُ: ونعرفُ للْعربِ حقها وفضل لسان العرب على غيره لكونه ﷺ عربيًا، ولكون القرآن نزل به، ولكون لسان أهل الجنة به ويأتي إن شاء الله تعالى ولذا يشفع النبي ﷺ في العرب قبل غيرهم.

أخرجَ الطبراني عن [ابن] عمر رَضِي اللهُ عَنْهُ، عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: **«أوّل مَن أشفعُ له من أمتي أهَل بيتي، ثم الأقرب، فالأقرب من قريش والأنصار، ثم مَنْ آمن بي واتبعني من أهْلِ اليمن، ثم سائر العرب، ثم الأعاجم وأوَّل مَنْ أشفع له أولو الفضل»**[٢] وفي رواية: **«أوّل مَنْ أشفع له من أمّتي أهْل المدينةِ، وأهل مكة، وأهل الطائف»**[٣].

---

(١) انظر «النهاية» ٣/ ٢٠٢ .

(٢) رواه الطبراني ١٢/ (١٣٥٥٠)، وابن عدي في «الكامل»٢/ ٣٨٢، والخطيب في «موضح أوهام الجمع» ٢/ ١٨ (ترجمة حفص بن سليمان) والرافعي في التدوين ١/ ٤٢٦، وإسناده ضعيف.

(٣) رواه الطبراني في «الأوسط»(١٨٢٨)، والبخاري في «التاريخ الكبير»٥/ ٤١٤، والفاكهي ٣/ ٧٢ من حديث عبد الملك بن عباد. وعزاه الهيثمي ١٠/ ٣٨٠، والحافظ في «الفتح»٨/ ٤٢٨ للبزار والطبراني، وهو مرسل كما في «ثقات ابن حبان»٥/ ١١٥ وجامع التحصيل ص٢٢٩، ورواه البخاري في «تاريخه» ٥/ ٤٠٤ من طريق عبد الملك عن جرير، به.

تنبيه: المراد بشفاعته ﷺ للعرب قبل العجم الشفاعة لهٰذا الجنس قبل هٰذا الجنس ولا يمنع أنْ يشفعَ لبعضِ أفرادِ العجم قبل بعض أفراد العرب قطعًا وهٰذا كما تقول: الرجل خير منَ المْرأةِ أي: هٰذا الجنس خير من هٰذا الجنس وإنْ كان بعضُ أفراد النّساءِ خير مِنْ بعضِ أفراد الرِّجال، ولذا قال ﷺ: «**وأول مَن أشفع له أولو الفضل**» فتأمل فإني لم أر من صرح به والله أعلم.

والجواب عن شبهة أهل الٱعتزال، والزيغ، والضلال: أنَّ المراد بقوله: ﴿لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـًٔا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨] الكفار للآيات الواردة/ ٥٣٠/ ، والأخبار الثابتة في الشفاعة. قال البيضاوي: قد تمسكت المعتزلة بهٰذه الآية على نفي الشفاعة لأهْل الكبائر وأجيب: بأنَّها مخصوصةٌ بالكفارِ ويؤيد هٰذا أنَّ الخطاب معهم والآية نزلت ردًا لما كانت اليهود تزعم أن أباهم شفع لهم. ٱنتهى.

وقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] المراد بالظالمين الكافرين.

قالوا: قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢] وقال: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ وقال: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم: ٢٦] قالوا: ومن ٱرتضاه الله لا يخزيه. قال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ [التحريم: ٨] الآية.

قلنا: الجواب[1] عن الآية الأولى ما قال سيدنا أنس رَضِي اللهُ عَنْهُ خادم رسول الله ﷺ: معنى ﴿تُدْخِلِ ٱلنَّارَ﴾من تخلد. وقال قتادة: تدخل مقلوب تخلد ولا نقول كما قالت أهل حروراء فعلى هٰذا قوله: قد أخزيته على بابه من الهلاك أي: أهلكته، وأبعدته، ومقته ولهذا قال سعيد بن المسيب: الآية جاءت خاصة في قوم لا يخرجون من النار دليله قوله في آخر الآية: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٢] أي: للكفار. وإنْ سَّلم أنَّ الآية في عصاة الموحدين فالمراد بالخزي: الحياء. يقال: خزي يخزى خزاية إذا ٱستحيى فهو خزيان، وامرأةٌ خزياء كذا قَالَ أهل المعاني: فخزي المؤمنين يومئذ ٱستحياؤهم من دخول النارِ مع أهْلِ الكفرِ والاحتقار، ثم يخرجون منها بشفاعة النبي الكريم، ورحمة الرءوف الرحيم، وأمَّا خزي[2] الكفار فهو هلاكهم فيها من غير موت، وأمَّا المؤمنون فإنَّهم يموتون فيها كما سنذكره بعد إن شاء الله تعالى فافترق الخزي والخسارة كما فهم ذٰلك

(١) ورد في هامش الأصل: هَذَا الجواب إنما يصح عَلَىَ مذهب أهل السنة أما عَلَىَ مذهب المعتزلة فلا ويجاب بأن المدخل في النار خزي في حال دخوله فيها وإن كانت عاقبته أن يخرج منها وذلك إن الخزي هو هتك المخزي وفيضحته: قَالَ ابن الأنباري: حمل الآية عَلَىَ العموم أولى، والخزي: الإهانة والإذلال وقيل الهلاك والفضيحة.

(٢) قوله: وأما خزي الكفار إلخ حاصل من الجواب أن لفظ إلا خزي مشترك بين التخجيل والإهلاك واللفظ المشترك لا يمكن حمله في طرفي النفي والإثبات عَلَىَ معنييه جميعًا، وهذا يسقط الاستدلال.

من العبارة فالمؤمنون يخرجون من النارِ بشفاعة الشافعين ورحمة أرحم الراحمين، والكافرون يخلدون فيها والحمد لله رب العالمين.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ أي: لا[1] يعذبه /٥٣١/ ولا يعذب الذين آمنوا معه وإن عذَّب العصاةَ وأماتهم فإنَّه يخرجهم بالشفاعة، وبرحمته الواسعة والحاصل أنَّ الإيمانَ بالشفاعةِ واجبٌ ومَنْ أنكرها حُرِمَها ويكون من إخوان الشياطين مِنَ الفرقةِ المعتزلةِ الضالةِ عن سواء السبيل فنسأل الله أنْ يجعلنا مِنْ أهْل الشفاعةِ، وأنْ يوفقنا بمنه للطاعةِ، وأنْ يرينا وجه نبينا محمد ﷺ من غير سابقة عذاب إنَّه ولي ذٰلك، وأنْ يعافينا مِنْ جميع أنواع العقابِ وأسباب المهالك.

---

(١) ورد في هامش الأصل: أي وهَذَا النفي لا يناقضه إثبات الخزي في الجملة لاحتمال أن يحصل الإخزاء في وقت آخر، والمنفي عن المؤمنين حال ما يكونون مع النبي ﷺ.

فصل
في شفاعةِ الأنبياءِ، والملائكة، والعلماء والشهداء، والصالحين، والمؤذنين، والأولاد

أخرجَ البيهقي عن ابن مسعود رَضِي اللهُ عَنْهُ: «لا يشفع أحدٌ في أكْثر مِّما يشفع فيه يعني: النبي ﷺ، ثم الملائكة، ثم النبيون، ثم الصديقون، ثم الشهداء».

وعنه: «يشفع نبيكم رابع أربعة جبريل، ثم إبراهيم، ثم موسى أو عيسى، ثم نبيكم ﷺ، ثم الملائكة، ثم النبيون، ثم الصديقون، ثم الشهداء ويبقى قومٌ في جهنَّم. فقال[1] لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر: ٤٢، ٤٣] إلى قوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨] قال القرطبي[2]: قد قيل: إنَّ هٰذا المقام المحمود لنبينا ﷺ. خرجه أبو داود الطيالسي[3] عن ابن مسعود، قال: ثم يأذن اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في الشفاعةِ فيقوم روح القدس جبريل عليه السلام، ثم يقوم عيسى أو موسى عليهما السلام بالشك، ثم يقوم نبيكم ﷺ رابعًا فيشفع لا يشفع لأحدٍ بعده في أكثر مما يشفع وهو

---

(١) كذا في (أ)، والمثبت في (ب) فيقال.

(٢) التذكرة (٢/ ٦٠) في باب الشافعين لمن دخل النار.

(٣) ص (٥١).

المقام المحمود الذي قال الله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

وأخرج ابن ماجه، والبيهقي عن عثمان بن عفان رَضِي اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**يشفع يوم القيامة الأنبياء، ثم العلماء ثم الشهداء**»[١]. وأخرجه البزار أيضًا وزادَ في آخره: «**ثم المؤذنون**».

وأخرجَ الديلمي عن ابن عمر رَضِي اللهُ عَنْهُما مرفوعا: «**يقال للعالم: اشفع في تلامذتك / ٥٣٢/ ولو بلغت عدد نجوم السماء**».

وأخرجَ أبو داود[٢]، وابن حبان عن أبي الدرداء مرفوعًا: «**الشهيد يشفع في سبعين مِنْ أهْلِ بيته**» وأخرجَ الإمام أحمد[٣] عن أبي سعيد الخدري رَضِي اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**إنَّ الرّجلَ مِنْ أمّتي ليشفع للفئَام من النَّاسِ فيدخلون الجنَّةَ بشفاعته، وإنَّ الرَّجلَ ليشفع في الرجل، وأهل بيته فيدخلون الجنة بشفاعته**». قوله: «**الفئام من الناس**» الفئام مهموز الجماعة الكثيرة ذكره ابن الأثير في «نهايته»[٤].

---

(١) ابن ماجه (٤٣١٣)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٣٦٧) قال في «مصباح الزجاجة» في إسناده علان بن أبي مسلم. وقال الألباني في «ضعيف الجامع» موضوع. ا. هـ

(٢) أبو داود (٢٥٢٢)، والبيهقي (٩/ ١٦٤)، وله شاهد بإسناد صحيح عن المقدام بن معد يكرب، أخرجه أحمد (٤/ ١٣١)، وابن ماجه (٢٧٩٩)، والترمذي قال فيه: صحيح غريب.

(٣) أحمد (٣/ ٢٠، ٦٣)، والترمذي في «الزهد» (٧٧/ ٤).

(٤) انظر ابن الأثير في «نهايته» ٣/ ٤٠٦ .

وأخرجَ الإمام أحمد بسندٍ جيد عن أنس رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الرجلَ ليشفع للرجلين والثلاثة**» وروى ابن حبان(١) في صحيحه بإسنادٍ قال الحافظ ابن المنذر(٢): لا أعلم فيه مطعنًا عن حذيفة رَضِي اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**يقول إبراهيم يوم القيامةِ: يا رباه فيقول الرب جلَّ وعلا: يا لبيكاه. فيقول إبراهيم: يا رب أحرقت بني فيقول: أخرجوا مِن النارِ مَن كان في قلبه ذرة، أو شعيرة من إيمان**».

وأخرجَ الطبراني(٣) عن يزيد الرقاشي عن أنسٍ رَضِي اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**يُشفّعُ الله تبارك وتعالى آدم يوم القيامة من جميع ذريته في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف**» وأخرجَ الإمامُ أحمد(٤) بإسنادٍ جيد عن أبي أمامةَ رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**ليدخلن الجنة بشفاعةِ رجل ليس بنبي مثل الحيين ربيعة ومضر**» فقال رجل: يا رسول الله وما ربيعة من مضر؟ قال: «**إنَّما أقول(٥) ما أقولُ**».

وأخرجَ ابن حبان(٦) في صحيحه، وابن ماجه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال:

---

(١) (٧٣٧٨).

(٢) في «الترغيب» (٤/ ٢٢٠).

(٣) ذكره الذهبي في «الميزان» (٤/ ٤١٨) في ترجمة يزيد وعده من مناكيره وقال العراقي في «تخريج الأحياء» رواه الطبراني من حديث أنس بإسناد ضعيف رقم (٤٢٣٦).

(٤) أحمد (٥/ ٢٥٧)، ٢٦١، ٢٦٧).

(٥) ورد في هامش الأصل: ما أُقوّل هو بضم الهمزة وتشديد الواو أي ما لقنته وعلّمته أ.هـ مناوي.

(٦) أحمد (٣/ ٤٦٩، ٤٧٠)/ (٥/ ٣٦٦)، والدارمي (٢/ ٣٢٨)، والترمذي (٢٤٣٨)، وابن ماجه (٤٣١٦)، وابن خزيمة في «التوحيد» ص٣١٣، والحاكم (١/ ٧٠، ٧١)، وصححه ووافقه الذهبي، ابن حبان (٧٣٧٦).

«ليدخلن الجنَّةَ بشفاعةِ رجل من أمَّتي أكثر من بني تميم» قيل: سواك يا رسول الله؟ قال: «سواي» قال بعضُ الناسِ إنَّ ذٰلك عثمان[1] بن عفان رَضِي اللهُ عَنْهُ[2].

وأَخرجَ الحاكم وصححه: «إنَّ مِنْ أمّتي مَنْ يدخل الجنَّة بشفاعته أكثر من مضر، وإنَّ مِنْ أمَّتي مَن سيعظم للنار حَتَّى يكون أحد زواياها»[3] وقال ابن مسعود رَضِي اللهُ عَنْهُ فيما رواه الطبراني: لا تزال الشفاعة بالناس وهم يخرجون مِن النارِ حَتَّى إنَّ إبليس الأبالس ليتطاول لها رجاء أن /٥٣٣/ تصيبه[4]. وعنده عن جابر رَضِي اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأوّل داخل الجنة ولاَ فخر، وإنِّي لأشفع فأشفع حَتَّى أنَّ مَن أشفع له فيشفع، حَتَّى أنَّ إبليس ليتطاول في الشفاعة»[5].

وأخرجَ أبو يعلى، والبيهقي عن أنس رَضِي اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: «أنَّ رجلا مِنْ أهْلِ الجنةِ يشرف يوم القيامة على أهلِ النارِ فيناديه رجلٌ مِنْ أهْل النَّارِ: يا فلان أما تعرفني؟ فيقول: لا والله لا أعرفك من أنت؟

---

(١) وقيل: أويس القرني. (٢) رواه الحاكم ١/ ١٤٣.

(٣) أحمد (٥/ ٣١٢، ٣١٣)، والحاكم (١/ ٧١).

(٤) رواه الطبراني في «الكبير» ١٠/ (١٠٥١٣)، وعنه أبو نعيم ٤/ ١٣٠، وأورده الهيثمي ١٠/ ٣٨٠ وقال: فيه كثير بن يحيى صاحب البصري وهو ضعيف.

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٠٨٢)، وأورده الهيثمي ١٠/ ٣٧٦ وقال: رجاله وثقوا عَلَىَ ضعف كثير في عبيد بن إسحاق العطار والقاسم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل.

فيقول: أنا الذي مررت بي في الدُّنيا فأستقيتني شربة من ماء فسقيتك قال: قد عرفت. قال: فاشفعْ لي بها إلى ربِّك فيسألَ الله فيشفعه فيه ويخرج من النارِ»[١].

وأخرجَ ابن ماجه عن أنسٍ مرفوعًا: «يمر الرجلُ على الرجل فيقول: يا فلان أما تذكر يوم بعثتني بحاجة كذا وكذا فذهبت لكَ فيشفع له»[٢]. وأخرجهَ أبو يعلى بلفظ: «تعرض أهل النارِ يوم القيامة صفوفًا فيمر بهم المؤمنون فيرى الرجلُ مِنْ أهِل النارِ الرجلَ مِنَ المؤمنين قد عرفه في الدنيا فيقول: يا فلان أما تذكر يوم ٱستعنتني في حاجةٍ كذا وكذا فيذكر ذٰلك المؤمن فيشفع له إلى ربِّه فيشفعه فيه»[٣] وأخرجه البيهقي بلفظ: «أما تذكر يوم ٱصطنعت إليك في الدُّنيا معروفًا»[٤].

وفي مسند إسحاق بن راهوية مرفوعًا: «ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة مِنَ الولدِ أطَفال لم يبلغوا الحلم إلا جيء بهم حَتَّى يوقفوا على باب الجنَّةِ فيقال لهم: ٱدخلوا الجنَّة فيقولون: أندخل ولم يدخل أبوانا؟ فيقال لهم في الثانية أو الثالثة: ٱدخلوا أنتم وأباؤكم»[٥].

---

(١) رواه أبو يعلى (٣٤٩٠).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٦٨٥)، وضعفه البوصيري في «مصباح الزجاجة» ٤/ ١٠٥.

(٣) رواه هناد في «الزهد» (١٨٧)، وأبو يعلى (٤٠٠٦)، والطبراني في «الأوسط» (٦٥١١).

(٤) شعب الإيمان (٧٦٨٧)، ورواه الخطيب ٤/ ٣٣٢، وأورده ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٨٥٣) وقال: لا يصح.

(٥) رواه إسحاق في «مسند عائشة» (٣٤).

قلتُ: ورواه الإمام أحمد طيب الله ثراه قال: أخبرنا إسحق، أخبرنا عوف عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَا مِنْ مسلمين يموتُ لهما ثلاثةُ أولادٍ لم يبلغوا الحِنْثَ إلاَّ أدخلهم اللهُ الجنَّة / ٥٣٤/ وأباءهم بفضل رحمته»**[١] قال: يقال لهم: **ادخلوا الجنَّةَ قال: يقولون: حَتَّى يجيء أبوانا قال: ثلاث مرات، فيقولون مثل ذلك قال: فيقال لهم: ادخلوا الجنَّةَ أنتم وآباؤكم»**[٢] والحنث: هو البلوغ بأنْ لم يبلغوا الحلم وكأنَّه مأخوذ من الذنب؛ لأنَّه لا يكتب عليه إلا بعد بلوغه الحلم. فقوله: **«لم يبلغوا الحنث»** أي: لم يبلغوا أنْ يكتبَ عليهم الحنث وهو الذنب[٣].

وأخرجَ أحمد من حديث المغيرة، ثنا جرير، ثنا شرحبيل بن شفعة، عن بعضِ الصحابةِ أنَّه سمعَ النبيَّ ﷺ يقول: **«يقال للولدان يوم القيامة: ادخلوا الجنَّةَ. فيقولون: يا ربنا حَتَّى يدخل آباؤنا وأمهاتنا قال: فيقول الله تعالى: ما لي أراكم محبطين ادخلوا الجنَّةَ أنتم وآباؤكم»**[٤].

وأخرجَ أيضًا من حديث شرحبيل بن شُفْعَة قال: سمعتُ عتبة بن عبد السلمي قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: **«ما مِنْ رجل مسلم**

---

(١) ورد في هامش الأصل: (أ) أي بفضل رحمة الله للأولاد وذكر العدد لا ينافي حصول ذَلِكَ بأقل انتهى.

(٢) رواه أحمد ٢/ ٥١٠، وأبو يعلى (٦٠٧٩).

(٣) قوله: وهو الذنب فهو مجاز عن تسمية المحل بالحال. انتهى مناوي، والمحل هو سن التكليف، والحال الذنب انتهى.

(٤) رواه أحمد ٤/ ١٠٥، وقال الهيثمي ٣/ ١١: رجاله ثقات.

يتوفى له ثلاثة مِنَ الولدِ لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها دَخَل»[(١)].

وأخرجَ ابن ماجهُ عن علي بن أبي طالب رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ السِّقْطَ**[(٢)] **ليراغم**[(٣)] **ربَّه عَزَّ وَجَلَّ إذا أدخل أبويه النارَ فيقال: أيُّها السقط المراغمُ**[(٤)] **ربَّهُ أدْخِلْ أبويك الجنة**[(٥)]»[(٦)].

وأخرجَ ابن شاهين، والحافظ ابن عساكر عن أنس بن مالك رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة نودي في أطفَالِ المسلمينَ أنْ اَخرجوا مِنْ قبورِكم فيخرجون من قبورِهم ثمَّ ينادى أنْ اَمضوا إلى الجنَّةِ زمرًا فيقولون: ربنا ووالدانا معنا. فينادى فيهم الثانية أنْ اَمضوا إلى الجنة زمرا. فيقولون: يا ربنا ووالدانا معنا. قال: فيتبسم الرب جلَّ وعلا في الرابعة فيقول: ووالداكم معكم فيثبُ كلُّ طفل إلى**

---

(١) رواه أحمد ٤/ ١٨٣، وابن قانع في «معجمه» ٢/ ٢٦٦، والطبراني في «الكبير» ١٧/ (٢٩٤) و(٣٠٩)، وفي «مسند الشاميين» (١٠٧٠)، والمزي ١٢/ ٤٢٤.

(٢) ورد في هامش الأصل: الولد يسقط من بطن أمه.

(٣) ورد في هامش الأصل: أي ليغاضب.

(٤) ورد في هامش الأصل: أي: عليه أهـ (غير واضح).

(٥) ورد في هامش الأصل: وتمامًا كما في الجامع الصغير فيجرهما بسرره حتَّى يدخلهما الجنة.أهـ أي بشفاعته.

(٦) ورد في هامش الأصل: والحاصل إن لموت الأولاد فوائد كثيرة أي لمن صبر واحتسب أهـ. قَالَ البوصيري في «مصباح الزجاجة»٢/ ٥٢: هَذَا إسناد ضعيف لضعف مندل بن علي.

أبويه فيأخذون بأيديهم فيدخلونهم[١] الجنة لهم أعرف بأبائهم وأمهاتهم يومئذ من أولادكم الذين في بيوتكم».

تنبيه: قد وردت الأحاديث الصحيحة، والأخبار الصريحة بشفاعة الإسلام، والقرآن، والأعمال الصالحة أخرجَ مسلم عن النواس بن سمعان: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورة البقرة، وآل عمران كأنهما غمامتان أو غيابتان /٥٣٥/ أو ظلتان سوداوان بينهما شرق أو كأنهما حِزْقَان[٢] من طير صواف يحاجان عن صاحبهما»[٣].

وأخرجَ الحاكم، وابن خزيمة عن أبي موسى الأشعري مرفوعًا: «إنَّ اللهَ يبعث الأيام يوم القيامةِ على هيئتها، ويبعث الجمعة زهرًا منيرة أهلها يحفون بها كالعروسِ تهدى إلى كريمها تضيء لهم يمشون في ضوئها كالثلج بياضًا، وريحهم يسطع كالمسكِ يخوضون في جبالِ الكافورِ ينظر إليهم الثقلان لا يطرفون تعجبًا حَتَّى يدخلوا الجنَّةَ لايخالطهم أحد إلا المؤذنون المحتسبون»[٤].

---

(١) ورد في هامش الأصل: والحاصل إن لموت الأولاد فوائد كثيرة أي لمن صبر واحتسب أهـ.

(٢) ورد في هامش الأصل: هَذَا هو الصحيح كما ورد في صحيح مسلم ١/ ٤٥٤ (٨٠٥) بخلاف ما ورد بالأصل (رفرقان) في (أ)، (ب).

(٣) مسلم (٨٠٥).

(٤) رواه ابن خزيمة (١٧٣٠)، والحاكم ١/ ٤١٢، والطبراني في الشاميين (١٥٥٧)، والبيهقي في «الشعب» (٣٠٤١)، وابن عدي ٤/ ١١٠ (ترجمة طلحة بن زيد)، وضعفه أبو حاتم (العلل ١/ ٢٠٦).

والأحاديث في هٰذا المعنى كثيرة جدًا منها حديث المنام الطويل[1] الذي يقول فيه: «رأيتُ رجلاً مِنْ أمَّتي قَد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه مِنْ ذٰلك، ورأيتُ رجلاً مِنْ أمَّتي قد ٱحتوشته الشياطين فجاءه ذكرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فطردَ الشياطين عنه، ورأيت رجلاً مِنْ أمَّتي قد ٱحتوشته ملائكة العذابِ فجاءته صلاتهُ فاستنقذته من أيديهم، ورأيت رجلاً مِنْ أمتي يلتهبُ عطشًا كلَّما دنا مِنْ حوضِي منع منه وطرد فجاءه صيامه شهر رمضان فأسقاه وأرواه، ورأيتُ رجلاً من أمتي ورأيت النّبيين حلقا حلقا كلّما دنا إلى حلقة طرد فجاءه غسله مِنَ الجنابةِ فأخذ بيده فأقعدَه إلى جنبي، ورأيتُ رجلاً من أمتي مِن بين يديه ظلمة ومِن خلفِه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة وهو متحير فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخَلاه في النّورِ، ورأيتُ رجلاً مِنْ أمَّتي يتقي بيده وجهة وهج النَّارِ وشررها فجاءته صدقته فصارت سترة بينه وبين النَّارِ وظلاً على رأسه، ورأيتُ رجلاً من أمَّتي يكلّم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلته لرحمه فقالت: يا معشرَ المؤمنين إنّه كان واصلاً لرحمه فكلموه فكلمه المؤمنون

---

(١) ورد في هامش الأصل: ومصدره كما في الجامع الصغير: إني رأيت البارحة عجبًا؛ رأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاء إليه وضوؤه فاستنقذه من ذَلِكَ ورأيت رجلاً من أمتي قد بُسط عليه عذاب القبر فجاءته صلاته فاستنقذته من ذَلِكَ. إلى آخره وفيه: مغايرة للألفاظ الحديث هنا فيحتاج ما هنا لتحريره أهـ. الحديث في نوادر الأصول (٣٢٤) ضعفه صاحب الفيض القدير (٣/ ٢٥) والألباني في ضعيف الجامع! انظر ص٢٨١ ت(٢).

وصافحوه وصار فيهم، ورأيتُ رجلاً من أمَّتي قد اَحتوشته الزبانية فجاءه أمره (بالمعروفِ) ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله في ملائكة الرحمةِ، ورأيتُ رجلاً /٥٣٦/ من أُمَّتي جاثيًا على ركبتيه وبينه وبين اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حجاب فجاءه حسن خلقِه فأخذه بيده فأدخله على اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ورأيتُ رجلاً من أمتي قد هوت صحيفتُه من قبل شماله فجاءه خوفه من الله عَزَّ وَجَلَّ فأخذَ صحيفتَه فوضعها في يمينه، ورأيتُ رجلاً من أمتي خف ميزانُه فجاءه أفراطه فثقلوا ميزانه، ورأيتُ رجلاً مِنْ أمَّتي [قائم][1] على شفير جهنَّم فجاءه رجاؤه من اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فاستنقذه من ذٰلك ومضى، ورأيت رجلا من أمتي قد هوى في النارِ فجاءته دمعته التي بكى من خشية اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فاستنقذه من ذٰلك، ورأيتُ رجلاً من أمتي قائمًا على الصراطِ يرعد كما ترعد السعفة في ريح عاصف فجاءه حسن ظنه باللهِ عَزَّ وَجَلَّ فسكن رعدته ومضى، ورأيت رجلا من أمتي يزحف على الصراطِ ويحبو أحيانًا ويتعلق أحيانًا فجاءته صلاته عليّ فأنقذته وأقامته على قدميه، ورأيت رجلاً من أمتي اَنتهى إلى أبواب الجنَّةِ فغلقت الأبواب دونه فجاءت شهادة أن لا إلٰه إلا الله ففتحت له أبواب الجنة وأدخلته الجنة».

هٰذا الحديث أخرجه أبو القاسم الحافظ ابن عساكر قال: أخبرنا

---

(١) كذا في (ب)، والصحيح لغة (قائمًا).

أبو العز أحمد بن عبيد الله العكبري ببغداد، ثنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري، ثنا أبو الحسن علي بن محمد الوراق، ثنا أبو حفص عمر بن أيوب السقطي، ثنا أبو الوليد بشر بن الوليد القاضي، ثنا الفرح بن فضالة، ثنا هلال أبو جبلة عن سعيد بن المسيب، عن عبد الرحمن بن سمرة رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: خرجَ علينا رسولُ الله ﷺ يومًا ونحنُ في صفة بالمدينة فقام علينا فقال: «**إنِّي رأيتُ البارحة عجبًا رأيتُ رجلاً مِنْ أُمَّتي أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه برّ**[1] **والديه**[2] **فطرد ملكَ الموت عنه**»[3] وساق جميع ما ذكرنا.

قُلْتُ: وهٰذا الحديث ذكر غير واحد من الحفاظ أن لوائح الصحة ظاهرة عليه، وأنَّ القلب يركن إلى متنه[4] وفيه بشارة عظيمة للأمةِ عامة فإنْ قيل: هٰذه المذكورات أعراض فكيف تصح شفاعتها؟ وكيف تصدر الشفاعة من عرض وهو مفتقر لمحل يقوم فيه؟ قلنا /٥٣٧/ : لا جرم أنَّ هٰذه[5] الأعمال والمعاني مخلوقةٌ للهِ تعالى ولها

---

(١) ورد في هامش الأصل: برّ: أي لأن بر الوالدين يزيد في العمر، أي بالنسبة لما في صحف الملائكة أهـ.

(٢) في (ب) (بره بوالديه).

(٣) قَالَ القرطبي التذكرة (١/ ٣٦٧): هَذَا حديث عظيم ذكر فيه أعمالاً خاصة تنجي من عذاب القبر ومن أهوال خاصة لكن فيمن أخلص لله في عمله وصدق في قوله وفعله أهـ.

(٤) وأما سنده فقال المناوي إنه ضعيف أهـ. فيض القدير (٣/ ٢٥).

(٥) ليست في (ب).

صور عند الله سبحانه وإنْ كنا لا نشاهد تلك الصور وقد نصَّ أربابُ الحقيقة على أنَّ مِنْ أنواع الكشف الوقوف على حقائق المعاني وإدراك صورها بصورة الأجسام. والأحاديث(١) شاهدة لذٰلك هٰذا محصل جواب العلامة. ملخصًا.

قُلْتُ: وهٰذا ليس بشيء والتحقيق عندي أنَّ الله يخلق من ثواب القرآن ملائكة يأتون مع أهْلِ القرآن وقد جاء في الخبرِ: مَنْ قرأ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨] خلق اللهُ سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة(٢). وهنا كذٰلك يخلقُ الباري جلّ شأنه، وتعالى سلطانه من ثواب القرآن والصيام وكذلك سائر الأعمال الصالحة ملائكة يشفعون له ثُمَّ رأيت القرطبي ذكره في

---

(١) ورد في هامش الأصل: ففي الحديث الطويل الذي رواه أحمد وأبو داود والحاكم من طرق صحيحة عن البراء بن عازب أن المؤمن يأتيه في قبره رجل حسن الوجه طيب الريح فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح. والكافر يأتيه رجل قبيح الوجه منتن الريح فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الخبيث. فهذا يؤيد كلام العلامة. وقال المناوي في شرحه لهذا الحديث - أي حديث رأيت رجلاً - يحتمل الحقيقة بأن يجسد الله ثواب هذه الأعمال ويخلق فيه حياة ونطقًا، ويحتمل أنه مضاف إلى الملك الموكل بكتابة ثوابه. أهـ.

(٢) ويناسب المقام هنا حديث: «يأتي القرآن يوم القيامة شفيعًا لأصحابه» وأيضًا قال رسول الله ﷺ: «تأتي سورة البقرة وآل عمران كأنهما غيايتان أو كأنهما سحابتان من طير صواف تجادلان عن صاحبهما» وقد مر ذكر الحديث قريبًا.

«التذكرة»[١] عن الإمام عبد الله بن المبارك قدس الله روحه في «دقائقه». والحاصل أن الصور نفس ثواب القرآن كبقيةِ الأعمالِ لا أنَّ القرآن نفسه يتصور ولعله مراد العلامة بل هو مراده قطعًا وإنْ أوهم خلافه فتنبه والله أعلم[٢].

---

(١) (٢/ ٧٥) في باب منه في الشفعاء وذكر الجهنميين.

(٢) لا مانع أن الله يحيل هٰذه المعاني إلىٰ أجسام والله على كل شيء قدير، كما جاء في الحديث أن عمل الإنسان يأتيه في القبر حسب عمله إما صورة حسنة أو سيئة. ا. هـ من تعليق شيخنا الشيخ صالح الفوزان حفظه الله.

فصل
في سعة رحمة الله تعالى

قال عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ [الزمر: ٥٣] وقال تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الحجر: ٤٩] ثم قال: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٥٠] إلى غير ذٰلك من الآيات القرآنية.

ومما ينبغي أنْ يعلم أنَّ الله سبحانه وتعالى أرحم بعبده من الأم الشفوقة على ولدها وأنَّه تعالى أرحم بنا من أنفسنا كيف وهو الذي أفاض على العباد مِنْ هٰذه البركات، وأتى بهٰذه الخيرات، وامتن بهٰذه النعم التي ملأت ما بين الأرضِ والسماوات، واستخرج عبادَه مِنْ ظلمات الكفرِ، واستنقذهم من غمرات الجهلِ وهو الذي يغفرُ الذنوبَ جميعًا، ويستر العيوبَ، وينفس عن المكروب، ويجيبُ المضطر إذا دعاه وإنْ كان قد أكَلَ رزقه وعصاه وعتا /٥٣٨/ عن ذكر ربه وتولى سواه سبحانه مِنْ إلٰه ٱرتدى بالعظمةِ، وتسربل بالكبرياء فلا يُحَدُّ كرمه، ولا تعد نعمه ولله در القائل:

حَدثْ عن الجودِ وعن فيضه ... فالأمر مبني على الجودِ
واذكرْ لنا بعض أعاجيبه ... فلست تحصيه بتعديد

هيهات ما جود مليك الورى وخالق الخلق بمجدود[1]
حدث عن البحرِ وما البحر في بعض أياديه بموجود

أخرجَ الشيخان عن أبي هريرةَ رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إنَّ اللهَ خلقَ الرَّحمة**[2] - أي: قَدَّرَها - **يوم خلقها مائة رحمة فأمسكَ عنده تسعة وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة ولو يعلم الكافرُ**[3] **بكلِّ الذي عند الله من الرحمةِ لم ييأس مِنَ الجنةِ، ولو يعلم المؤمنُ بكلِّ الذي عند اللهِ مِنَ العَذابِ لم يأمن من النارِ**»[4][5].

---

(١) كذا في (أ) والصحيح (بمحدود) كما في (ب) و(ط).

(٢) ورد في هامش الأصل: قوله «خلق الرحمة ... إلخ»لا يذهب عليك أن هذه الرحمة مخلوقة لله سبحانه وتعالى، لا أنها صفته - تعالى الله عن ذَلِكَ - فإن الله وصفاته قديم وهي قديمة، فالرحمة التي هي صفة الله تعالى قديمة قائمة بذاته لا تشابه صفات المخلوقين ولا نردها إلى الإرادة كما ذهب إليه المتكلمة لزعمهم أن الرحمة هي الرقة، أي: رقة القلب والميل والله تعالى منزه عن ذَلِكَ، قلنا: رحمة الله غير رحمة العبد كما أن سمعه وبصره وعلمه وكلامه وقدرته وإرادته كلها بخلاف صفة العبد فصفات الله قديمة وصفات العبد محدثة، وحقيقة صفات الله غير حقيقة صفات العبد فالله قديم بصفاته وأسمائه، إذ صفات القديم قديمة، والعبد محدث مخلوق وصفاته كذلك، ومن زعم أن الرحمة ترد إلى الإرادة فقد وقع فيما فر منه كما يعلمه من له دقة فهم وأما هذه الرحمة التي خلقها الله فهي غير صفته تعالى لأن صفته لا تنفك عنه ولا تتجزأ كما لا يخفىٰ علىٰ من له تحقيق والله ولي التوفيق مؤلف من خطه نقلها.

(٣) كذا في (أ)، و(ط)وهو الصواب والمثبت في (ب): (المؤمن).

(٤) ورد في هامش الأصل: القصد منه ضرب المثل لنا ليعرف به التفاوت بين القسطين في الدارين لا التقسيم والتجزئه فإن رحمته تعالى غير متناهية. أهـ.

(٥) ومسلم (٢٧٥٢، ٢٧٥٣، ٢٧٥٥).

وأخرج الإمام أحمد[١]، والبزار، وأبو يعلى بسند صحيح عن أنس رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: مَرَّ علينا رسُولُ اللهِ ﷺ ونفر من أصحابه وصبيٌّ في الطريقِ فلمَّا رأت أمّ الصبي القوم خشيت على ولدها أن يطأ فأقبلت تسعى، وتقول: ابني ابني. وسعت فأخذته فقال القوم: يا رسول الله ما كانت هٰذه لتلقي ابنها في النارِ فقال ﷺ: «**ولا الله لا يلقي حبيبه في النار**» وأخرجه الشيخان[٢] من حديث عمر بن الخطاب رَضِي اللهُ عَنْهُ وفيه: وقال رسول الله ﷺ: «**اللهُ أرحم بعبادِه مِن هٰذه بولدها**».

وأخرجَ البزارُ[٣] بسندٍ صحيح عن عمر رَضِي اللهُ عَنْهُ أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ كان في بعضِ مغازيه فبينما هم يسيرون إذْ أخذوا فرخَ طير فأقبلَ أحدُ أبويه حَتَّى سقط في يد الذي أخذه فقال رسول الله ﷺ: «**[أ][٤] لا [تعجبون][٥] فإن هٰذا الطير أخذ فرخه فأقبل حَتَّى سقط في أيديهم [واللهِ][٦] لله أرحم بخلقه من هٰذا الطير بفرخه**».

وفي سنن أبي داود[٧] في أوائل كتاب الجنائز من حديثِ عامر

---

(١) الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٠٤، ٢٣٥)، والحاكم (١/ ٥٨) (٤/ ١٧٧)، «كشف الأستار» (٣٤٧٦)، أبو يعلىٰ (٣٧٤٧، ٣٧٤٨، ٣٧٤٩).

(٢) (البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤).

(٣) «مسند البزار» (٢٨٧).

(٤) زيادة من «مسند البزار».

(٥) في الأصل تعجبوا فإن هٰذا وما أثبت من البزار.

(٦) في الأصل فوالله وما أثبت من البزار.

(٧) (٣٠٨٩).

الرام / ٥٣٩/ أخي الخضر [بفتح الخاء][1]، وإسكان الضاد المعجمة فرد في الأسماء قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذْ أقبلَ رجلٌ عليه كساء وفي يده شيء قد التفَّ عليه، فقال: يا رسول الله، إنِّي لما رأيتك أقبلت فمررت بغيضة شجر فسمعت فيها أصوات فراخ طائر، فأخذتهن فوضعتهنَّ في كسائي، فجاءت أمُّهنَّ فاستدارت على رأسي فكشفت لها عنهن [فوقعت عليهن][2] معهن، فلففتهن بكسائي، فهنَّ أولاء معي[3] [قال: «ضعهن][4] **عنك**» فوضعتهن، [وأبت][5] أمُّهُنَّ إلاَّ لزومهنَّ فقال رسول الله ﷺ: **«أتعجبون [لرحمةِ أمِّ أم الأفراخ][6]؟»** قالوا: نعم يا رسول الله. قال: **«فوالذي بعثني بالحق لله أرحم بعباده مِنْ أمِّ الأفراخِ بفراخها، ارجع بهنَّ حَتَّى تضعهنَّ من حيث أخذتهنَّ وأمهن معهن»**. فرجع بهنَّ.

تنبيه: في هٰذا الحديث أنَّه ﷺ أمرَ الرجل الذي أتى بالفراخ وأمهن أنْ يرجعها بفراخها إلى موضعهن، وقد نص الفقهاء أنَّه لا يجوز إعتاق الطيور. قال إمام الحنابلة، ومحققهم سيدنا الإمام العلامة

---

(١) الذي في سنن أبي داود: بضم الخاء.
(٢) في الأصل: فلبثت وما أثبت من أبي داود.
(٣) كلمة (معي) ليست في (ب)، ولا (ط).
(٤) في الأصل: فقال: دعهن، وما أثبت من أبي داود.
(٥) في الأصل: فأبت، وما أثبت من أبي داود.
(٦) في الأصل: لرحمة أم هؤلاء عليهن، وما أثبت من أبي داود.

ابن عقيل طيب الله ثراه: لا يجوز أعتقتك في حيوان مأكول؛ لأنَّه فعلُ الجاهليةِ وفي «الفروع» وتبعه في «الإقناع»: وإذا أرسل صيدًا وقال: أعتقتك لم يزل ملكه عنه كما لو أرسل البعير أو البقرة. ٱنتهى.

وفي «حياة الحيوان»: لا يجوز عتقها: يعني: الطيور، على الأصح وقيل: يجوز لما روى الحافظ أبو نعيم عن أبي الدرداء أنَّه كان يشتري العصافير، ويرسلها. قال ابن الصلاح: والخلاف فيما يملك بالاصطياد أما البهائم الإنسية فإعتاقها من قبيل السوائب الجاهلية وذٰلك باطل قطعًا.[1] ٱنتهى.

وأخرجَ مسلم[2] عن أبي هريرة رَضِي اللهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«إنَّ لله مائة رحمة قسم منها رحمة في دارِ الدُّنيا فمن ثم يعطف الرجلُ على ولده، والطير على فراخه فإذا كان يوم القيامة صيرها مائة رحمة فعاد بها على الخلق»**.

وقال أيوب السختياني: إنَّ رحمة الله ما هو أكثر من ذٰلك إن شاء الله.

وأخرج أبو القاسم[3] عن عكرمة عن ابن عباس رَضِي اللهُ عَنْهُما / ٥٤٠/ مرفوعًا: **«إذا فرغَ اللهُ مِنَ القضاء بين خلقه أخرجَ كتابًا مِن تحت العرشِ: إنَّ رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحمُ الراحمين. قال: فيخرج من النارِ مثل أهْل الجنَّةِ قال: وأكثر ظني أنَّه قال: مثلي أهل**

(١) ذكر هٰذا المبحث في شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد (١/ ٦٤٥، ٦٤٦).
(٢) (٢٧٥٢، ٢٧٥٣).
(٣) هو إسحاق بن إبراهيم بن محمد الختلي في كتابه الديباج.

الجنة مكتوب بين أعينهم عتقاء الله»[١].

وعند البيهقي[٢] عن أبي هريرةَ مرفوعًا: «أمرَ اللهُ بعبد إلى النارِ فلمَّا وقفَ على [شفتها] التفت فقال: أما والله يا رب إن كان ظني بك لحسنا. فقال: ردوه أنا عند ظن عبدي بي».

وأخرجَ الحاكم[٣] وصححه، والطبراني عن أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «تحشر هٰذه الأمّة يوم القيامةِ علَى ثلاثةِ أصناف: صنف يدخلون الجنَّة بغيرِ حساب، وصنف يحاسبون حسابًا يسيرا ويدخلون الجنة، وصنف يجيئُون على حمائلهم كأمثالِ الجبال الراسية فيقول الله للملائكة وهو أعلم بهم: مَنْ هٰؤلاء؟ فيقولون: من[٤] عبيدك كانوا يعبدونك لا يشركون بك شيئًا وعلى ظهورهم الخطايا، والذنوب. فيقول الله: حطوها عنهم، وضعوها على اليهود والنصارى، وأدخلوهم الجنَّةَ برحمتي».

وعند البيهقي، وابن ماجه عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: «إذا كان يوم القيامة دفع إلى كلِّ رجلٍ مِنَ المسلَمين رجل من المشركين فيقال: هٰذا فداؤك من النار».

وأخرجَ مسلم[٥] عن أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رفعه: «يجيء يوم القيامة ناسٌ من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يغفرها اللهُ لهم، ويضعها على اليهود».

---

(١) انظر البعث والنشور لابن أبي داود (٥٢) وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٨٥٨).

(٢) كتاب الشعب (٩٨٤، ٩٨٥) وفي الأصل شفيرها وما أثبت من الشعب.

(٣) الحاكم (١/ ٥٨)، والطبراني (٤/ ٢٥٣، ٦٠٧).

(٤) ليست في (ب).

(٥) (٢٧٦٧)، والحاكم (٤/ ٢٥٣).

وأخرجَ مسلم(١) أيضًا من وجه آخر: «**إذا كان يوم القيامة دفع إلى كلِّ مسلم يهودي، أو نصراني فيقول: هٰذا [فكاكك] من النَّارِ**» وأو هنا ليست للشك بل للتخيير، والتنويع أي: يدفع له رجل من اليهود أو النصارى قال القرطبي في «التذكرة»(٢): ومعنى وضع ذنوب المذنبين من المسلمين على اليهودِ والنصارى أنَّه يضاعف عليهم عذاب كفرهم، وذنوبهم بقدر جرمهم، وجرم مذنبي المسلمين لو أخذوا بذٰلك، لأنَّه سبحانه وتعالى / ٥٤١/ لا يؤاخذ أحدًا بذنب أحد كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] وله أن يضاعف لمن يشاء العذاب، ويخفف عن من شاء بحكم إرادته ومشيئته وهوالفاعل المختار.

لطيفة: سمعَ أعرابي ابن عباس رَضِي اللهُ عَنْهُما يقرأ ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣] فقال الأعرابي: والله ما أنقذهم منها وهو يريد أنْ يوقعهم فيها فقال ابن عباس رَضِي اللهُ عَنْهُما: خذوها من غير فقيه بشارة.

أخرجَ مسلم عن عبادة بن الصامت رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ شهد أن لا إلٰه إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله حرمَ الله عليه النَّارَ**»(٣) وسنذكر تحقيق هٰذا الباب بعد إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) (٢٧٦٧)، وما بين القوسين في مسلم وفي الأصل: فداؤك.

(٢) (٢/ ١٩٠، ١٩١) باب ما جاء أن لكل مسلم فداء من النار.

(٣) ورد في هامش الأصل: أي: نار الخلود، أو إذَا تجنب الذنوب أو تاب عفا عنه. والحديث أخرجه مسلم (٢٩)، والترمذي (٢٦٣٨)، وأحمد (٤/ ٤٠٢).

الكتاب الرابع
في ذكر الجنة وصفاتها، وذكر نعيمها ولذاتها

جعلنا الله تعالى مِن أهلِها من غير سابقة عذاب، ولا مناقشة حساب قد تقدم أنَّ الجنةَ لا تدخل بالأعمال وإنَّما تدخل برحمة الكريم المتعال، وفضل ذي المنة والنوال، وقد ذكرنا أيضًا أنَّها موجودةٌ الآن ولٰكن لابد من زيادة هٰذا المقام توضيحًا وتحريرًا وتنقيحًا.

قال الإمام المحقق ابن القيم في كتابه «حادي الأرواح» إلى منازلِ الأفراح[1]: لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ، والتابعون، وتابعوهم، وأهل السنةِ والحديث قاطبة، وفقهاء الإسلام، وأهل التصوف والزهد على ٱعتقاد ذٰلك وإثباته مستندين في ذٰلك إلى نصوص الكتابِ والسنةِ وما علم بالضرورة من أخبارِ الرسل عليهم الصلاة والسلام كلهم من أولهم إلى آخرهم فإنَّهم دعوا الأمم إليها، وأخبروا بها إلى أَنْ نبعَت نابعَة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أنْ تكون الجنَّة الآن مخلوقة قالت: بل الله ينشئها يوم القيامة والمعاد وحملهم على ذٰلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله الله وأنه ينبغي له أنْ يفعلَ كذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا وقاسوه على خلقه في أفعالهم[2] فهم

---

(١) حادي الأرواح ص١١.

(٢) في (ب)، و(ط): (أفعاله).

مشبهة في الأفعالِ، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذٰلك معطلة في الصفات وقالوا: خَلق الله الجنةَ قبل الجزاء عبث فإنَّها تصير معطلة مُدَدًا متطاولة ليس فيها سكانها.

قالوا: ومن المعلوم أنّ مَلِكا لو ٱتخذ دارًا وأعدَّ فيها ألوانَ الأطعمة، والآلات، والمصالح وعطلها من الناسِ، ولم يمكّنهم مِنْ دخولها قرونًا متطاولة لم يكن ما فعله واقعًا على وجه الحكمة، ووجد العقلاء سبيلاً إلى الاعتراض عليه.

قال المحقق قدس الله روحه: هٰؤلاء حجروا على الرب بعقولهم الفاسدة وآرائهم الباطلة، وشبهوا أفعاله تعالى بأفعالهم، وردّوا من النصوص ما خالف هٰذه الشريعة [يعني: شريعتهم الباطلة] التي وضعوها، وحكموا ببدعةِ وضلالِ مَن خالفهم فيها، والتزموا لها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء.

ولهذا يذكر السلف في عقائدهم أنَّ الجنةَ والنار مخلوقتان ويذكر[1] من صنف في المقالات[2] أنَّ هٰذه مقالة أهْل السُّنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها، ثم ذكر عقائد أهل السنة ومقالاتهم، ثم ذكرَ الأحاديث والآيات الواردة الدالة على أنَّ الجنَّة كالنَّار موجودتان الآن وأطالَ بما لم أر في سائر كتب الإسلام أغزر منه تحقيقًا، ولا أظهر منه تدقيقًا فجزاه اللهُ خيرًا[3].

---

(١) في (ب)، و(ط) (ويذكره).

(٢) أي في مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري.

(٣) الفقرة الأخيرة مختصرة من حادي الأرواح ص١١-١٢.

احتج المخالفُ أنَّها لو كانت الآن مخلوقة لوجب أنْ تفنى، وأنْ يهلك كلُّ ما فيها ويموت لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] و﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥] قال: فتموت الحور العين التي فيها، والولدان. قالوا: والدار دار خلود وقد أخبرَ سبحانه بأنَّها دارُ خلودٍ فلا يموت من فيها، ولا يبيد وخبره لا يجوز خلفه ويستحيل نسخه أي: لأنَّه خبر محض وهو غير جائز. وقد أخرجَ الترمذي عن ابن مسعود رَضِي اللهُ عَنْهُ أنَّه ﷺ قال: «**لقيتُ إبراهيم ليلةَ أسري بي فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السَّلام، وأخبرهم أنَّ الجنَّةَ طيبةُ التربةِ عذبة الماءِ، وأنَّها قيعان، وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**» قال الترمذي: حديثٌ حسن غريب(١).

وأخرجَ أيضًا عن /٥٤٣/ جابر رَضِي اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ قالَ: سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة**» قال: حديث حسن صحيح(٢).

(١) رواه الترمذي (٣٤٦٢)، والطبراني في «الصغير»(٥٣٠)، وضعفه المنذري ٢/ ٤٢٥، والهيثمي ١٠/ ٩١ لكن يشهد لَهُ حديث أبي أيوب عند أحمد ٥/ ٤١٨.

(٢) رواه الترمذي (٣٤٦٤)، وابن أبي شيبة ١٠/ ٢٩٠ (الهندية)، وابن حبان (٢٣٣٥ - موارد)، والحاكم ١/ ٥٠١-٥٠٢ وصححه. وهو في الصحيحة للألباني (٦٤): وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو عند البزار (٣٠٧٩ - كشف)، وحديث معاذ بن أنس عند الإمام أحمد ٣/ ٤٤٠.

قال المخالف: فلو كانت الجنةُ مخلوقةً مفروغًا منها لم تكن قيعانًا، ولم يكن لهٰذا الغراس معنى وقد قال تعالى حاكيًا عن ٱمرأة فرعون أنَّها قالت: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١] ومحال أنْ يقولَ قائلٌ: لِمَنْ نسجَ ثوبًا أو بنى له بيتًا: ٱنسجْ لي ثوبًا، وابن لي بيتًا. وأصرح من هٰذا قوله ﷺ: «**من بنى للهِ مسجدًا بنى اللهُ له بيتًا في الجنةِ**» متفق عليه(١). وهٰذه جملة مركبة من شرطٍ وجزاء تقتضي وقوع الجزاء بعد الشرط بإجماع أهْل العربية وهٰذا ثابت عن النبي ﷺ من رواية عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وعمرو بن عنبسة رَضِي اللهُ عَنْهُم.

قال المخالف: وقد جاءت آثارٌ بأنَّ الملائكةَ تغرس فيها، وتبني للعبدِ مادام يعمل فإذا فتر فترت الملائكةُ عن العملِ. قال: وقد روى ابن حبان في صحيحه، والإمام أحمد في مسنده من حديث أبي موسى

---

(١) من رواية عثمان بن عفان البخاري (٤٥٠)، ومسلم (٥٣٣)، وجاء من رواية عمر بن الخطاب عند ابن أبي شيبة (١/ ٣١٠)، وابن خزيمة (٧٣٥)، وأحمد (١/ ٢٠، ٥٣)، وعلي عند ابن ماجه (٧٣٧)، وجابر عند ابن ماجه (٧٣٨)، وابن خزيمة (١٢٩٢) والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٤٨٦)، وابن عباس عند أحمد (١/ ٢٤١)، والطيالسي (٢٦١٧)، والبزار (٤٠٢)، وجاء من رواية عمرو بن عبسة عند أحمد (٤/ ٣٨٦)، والنسائي (٢/ ٣١). ومن رواية أنس عند الترمذي «٣١٩)، وأبي ذر عند ابن أبي شيبة (١/ ٣٠٩، ٣١٠)، والطيالسي (٤٦١)، والبزار (٤٠١). ومن رواية أبي بكر وأبي أمامة، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عمر، وواثلة بن الأسقع، وغيرهم.

الأشعري رَضِي اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: «إذا قبض اللهُ ولدا لعبد قال: يا ملك الموت قبضت قرة عينه وثمرة فؤادِه؟ قال: نعم. قال: فما قال عبدي؟ قال: حمدك، واسترجع. قال: ابنوا له بيتًا في الجنةِ وسموه بيت الحمد»(١).

وفي المسند أيضًا من حديثه أيضًا قال ﷺ: «مَنْ صلى في يوم وليلة أثنتي عشرة ركعة سوى الفريضة بنى له بيت في الجنة»(٢).

قال المخالف: وليس هٰذا من أقوال أهل البدع والاعتزال كما زعمتم فهٰذا ابن مزين قد ذكر في «تفسيره» عن نافع وهو من أئمة السنة أنه سئل عن الجنةِ: أمخلوقة هي؟ فقال: السكوت عن هٰذا أفضل.

هٰذه شبه أهل الاعتزال والزيغ والضلال والجواب مع ما تقدم عن هٰذه الشبه أن نقول لهم: ما تعنون بقولكم لم تخلق بعد؟ أتريدون أنَّها الآن عدم محض لم تبرز إلى الوجودِ كالنفخِ في الصورِ، وقيام الناس /٥٤٤/ من القبور؟ فهٰذا باطلٌ مردود وقائله مدحوض مبعد بالأحاديث الصحيحة، والأخبار الصريحة وهو قول مخترع لم يقله أحد

---

(١) أحمد (٤/ ٤١٥) عبد بن حميد (٥٥١) البغوي في السنة (١٥٤٩) ابن حبان (٢٩٤٨).

(٢) أحمد (٤/ ٤٠٣) (٦/ ٣٢٦)، والبزار (٧٠١، ٧٠٢)، و«الأوسط» (٩٤٣٢) وله شاهد من رواية أم حبيبة عند مسلم (٧٢٨)، وأحمد (٤/ ٤١٣) (٦/ ٤٢٦)، وأبو داود (١٢٥٠)، وعائشة عند ابن أبي شيبة (٢/ ٢٠٣)، والترمذي (٤١٤)، وابن ماجه (١١٤٠)، وأبي هريرة عند ابن أبي شيبة (٢/ ٢٠٤)، وابن ماجه (١١٤٢)، والنسائي (٣/ ٢٦٤)، وأحمد (٢/ ٤٩٨).

من السلف، ولا من أهْلِ السنة وهو رأي أهل البدع وبرده وتزييفه أئمة السنة والجماعة، والأكابر قطع أم تريدون أنَّها لم تخلق بكمالها لها، وجميع ما أعد الله لأهلها من نسائها ورجالها، وأنَّها لا يزال الله يحدث فيها شيئًا بعد شيء وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أمورًا أخرى فهٰذا حق لا يمكن رده، وأدلتكم إنَّما تدل على هٰذا القدر، وحديث ابن مسعود، وحديث جابر[1] صريحان في أنَّ أرضها مخلوقةٌ، وأنَّ الذكرَ الذي ينشئ الله سبحانه وتعالى لقائله منه غراسًا في تلك الأرض، وكذا بناء البيوت بالأعمال المذكورة، والعبد كلَّما وسع في الأعمالِ الصالحةِ وسع اللهُ له في الجنةِ، وكلَّما عمل خيرًا غرس له هناك غراس وبني له بيت وأنشئ له من العمل أنواع مما يتمتع به وهٰذا لا يدل على أنَّ الجنةَ لم تخلق بعد ولا يسوغ إطلاق ذٰلك أبدا.

وأمَّا ٱحتجاجكم بقوله تعالى ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ فإنَّما أوتيتم ذٰلك من عدم فهمكم معنى الآية واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنَّةِ والنار الآن نظير ٱحتجاج إخوانكم بها على فنائهما وخرابهما وموت أهلهما فلا أنتم وفقتم لفهم معناها، ولا إخوانكم، وإنَّما وفق لذٰلك السلف الصالح وأئمة الإسلام.

قال البخاري في صحيحه: قوله ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾

---

(١) انظر ص (٩٣٩).

أي: إلا ملكه ويقال إلا ما أريد به وجهه وقال إمام السنة[1] سيدنا الإمام أحمد طيب الله ثراه في رواية ابنه عبد الله: فأمَّا السَّماء والأرض فقد زالتا: لأنَّ أهلهما صاروا إلى الجنَّةِ، وإلى النَّارِ وأمَّا العرش فلا يبيد ولا يذهب، لأنَّه سقفُ الجنَّةِ والله سبحانه وتعالى عليه فلا يهلك ولا يبيد، وأمَّا قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] وذلك أنَّ الله تعالى أنزل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمن: ٢٦] فقالت الملائكة: هلك أهلُ الأرضِ وطمع أهلُ السَّماء في البقاء فأخبرَ سبحانه عن أهْلِ السماوات، وأهل الأرض /٥٤٥/ أنَّهم يموتون فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ لأنه حي لا يموت فأيقنت الملائكة عند ذٰلك بالموت وقال في رواية أبي العباس قال: قال أبو عبد الله الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هٰذه مذاهب أهل العلمِ وأصحاب الأثر، وأهل السنة المتمسكين بعروتها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب نبينا ﷺ إلى يومنا هٰذا، وأدركت مَن أدركت من أهلِ الحجازِ والشام وغيرهم عليها فمَنْ خالفَ هٰذه المذاهب أو طعنَ فيها أو عاب قائلَها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج أهلِ السنةِ وسبيل الحق فَسَاقَ أقوالَهم إلى أن قال وقد خلقت الجنة وما فيها، وخلقت النار وما فيها خلقهما الله عَزَّ وَجَلَّ وخلق كل شيء أنخلق لهما فلا يفنيان، ولا يفنى ما فيهما أبدًا فإنْ أحتج مبتدع، أو زنديق بقول اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] وبنحو هٰذا من

---

(١) «الرد على الجهمية والزنادقة» ص ١٤٨، تحقيق/ عميرة.

متشابه القرآن قيل له: كل شيءٍ مما كتب عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقتا للبقاءِ لا للفناء والهلاك وهما من الآخرة لا مِن الدُّنيا والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة، ولا عند النفخة، ولا يذقن الموت أبدا؛ لأنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ خلقهن للبقاءِ لا للفناء ولم يكتب عليهن الموت فمن قال خلاف هٰذا فهو مبتدع وقد ضل عن سواء السبيل.

قال: وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض وبين الأرض العليا والسَّماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام وبين كلِّ سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام والماء فوق السماء السابعة وعرش الرحمن عَزَّ وَجَلَّ فوق الماء والله عَزَّ وَجَلَّ على العرشِ والكرسي موضع قدميه وهو يعلم ما في السماوات، والأرضين السبع، وما بينهما، وما تحت الثرى، وما في قعرِ البحرِ، ومنبت كل شعرة، وشجرة، وزرع، وكل نبات، ومسقط كل ورقة، وعدد كل كلمة، وعدد الرمل والحصى والتراب، ومثاقيل الجبال، وأعمال العباد، وآثارهم، وكلامهم، وأنفاسهم، ويعلم كلَّ شيءٍ / ٥٤٦/ لا يخفى عليه من ذٰلك شيء وهو على العرشِ فوق السَّماء السابعة ودونه حجب من نار، ونور، وظلمة وما هو أعلم بها.

قال: فإن ٱحتج مبتدعٌ ومخالف بقول اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦][1] وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤] ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧] وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] ونحو هٰذا من متشابه القرآن

---

(١) ورد في هامش الأصل: حبل الوريد: مثل في القرب، والوريدان: عرقان مكتنفان لصفحة العنق أهـ.

فقل: إنَّما يعني بذٰلك العلم؛ لأنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ على العرشِ فوق السَّماءِ السابعة العليا يعلم ذٰلك كله وهو بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان.

وقال الإمام أحمد رَضِي اللهُ عَنْهُ أيضًا في رواية أبي جعفر الطائي محمد بن عوف بن سفيان الحمصي[١] قال الخلال في حقه: حافظ إمام في زمانه معروف بالتقدم في العلم والمعرفة كان الإمام أحمد رَضِي اللهُ عَنْهُ يعرف له ذٰلك، ويقبلَ منه، ويسأله عن الرجال من أهل بلده قال: أملى عليَّ الإمام أحمد بن حنبل فذكر من «رسالته في السنة»[٢] ثم قال في أثنائها: وأنَّ الجنَّةَ والنارَ مخلوقتان قد خلقتا كما جاء في الخبر قال النبي ﷺ: **«دخلتُ الجنةَ فرأيت فيها قصرًا ورأيت الكوثر[٣]، واطلعت في النارِ فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا»**[٤] فمَنْ قال: إنَّهما لم

---

(١) هو الحافظ المجود الثقة محمد بن عوف الطائي، قال فيه الإمام أحمد ما كان بالشام منذ أربعين سنة مثل محمد بن عوف، توفي سنة سبعين ومئتين. انظر «طبقات الحنابلة» (١/ ٣١٠) «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٦١٣).

(٢) انظر «طبقات الحنابلة» (١/ ٣١١، ٣١٣) للاطلاع علىٰ نص الرسالة.

(٣) هٰذا الشطر مجموع من حديثين من رواية أنس «دخلت الجنة فرأيت فيها قصرًا» أخرجه البخاري (٣٦٨٠)، والترمذي (٣٦٨٨)، وأحمد (٣/ ١٠٧) ولفظه «ورأيت الكوثر» ليس بهذا اللفظ وإنما هو بلفظ: «دخلت الجنة، فإذا أنا بنهر» الحديث أخرجه أحمد (٣/ ١٠٣)، البغوي (٤٣٤٣)، وابن حبان (٦٤٧٢، ٦٤٧٣).

(٤) ورد في هامش الأصل: كالحديث الذي رواه الإمام أحمد ومسلم والترمذي عن أنس، والبخاري والترمذي عن عمران بن حصين قَالَ: (قَالَ ﷺ):=

يخلقا فهو مكذب لرسولِ اللهِ ﷺ، وبالقرآن كافر بالجنَّةِ والنار يستتاب فإنْ تاب وإلا قُتِلَ.

وقال في رواية عبدوس بن مالك العطار(١) وذكر رسالة في السنة إلى أنْ قال(٢): والجنة والنار مخلوقتان كما جاء عن رسول اللهِ ﷺ: **«اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا، واطلعت في النارِ فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا»**(٣). فمَنْ زعم أنَّهما لم يُخلقا فهو مكذب بالقرآن، وأحاديث رسول الله ﷺ ولا أحسبه يؤمن بالجنةِ والنار لخصت هٰذا كله من كلام الإمام المحقق في حادي الأرواح وقد أجاد وأفاد قدس الله روحه ونور ضريحه.

تنبيه: لا يذهب وهمك من كلام الإمام أحمد رَضِي اللهُ عَنْهُ / ٥٤٧/ إلى نوع تشبيه أو تمثيل معاذ الله فهو رَضِي اللهُ عَنْهُ أبعد خلق الله من ذٰلك ولٰكن نؤمن بأنَّ الله كما أخبر لا كما يخطر للبشرِ فهو

= **«اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء»** أهـ. البخاري (٣٢٤١)، الترمذي (٢٦٠٣)، أحمد (٤/ ٤٢٩).

(١) كانت له عند الإمام أحمد منزلة وله به أنس شديد وكان يقدمه، وقد روىٰ عن الإمام أحمد مسائل لم يروها أحد غيره، ولم تقع إلينا كلها. انظر ترجمته في «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٤١)، «المنهج الأحمد» (١/ ٤٣٥)، «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٨٢)، يسر الله إتمام شرحها والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات فقد شرحتها على الطلاب أكثر من ثلاث مرات في القصيم، الباحة، أبها.

(٢) انظر «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٤١).

(٣) كما في حديث عمران بن حصين عند البخاري (٣٢٤١) وتقدم.

مستو على عرشِه ٱستواء يليق بذاته من غير تشبيه، ولا تعطيل، ولا تأويل، ولا تمثيل وقد تقدمت الإشارة إلى ذٰلك والله أعلم. إذا علمت أن الجنَّةَ مخلوقةٌ، وأنَّها موجودةٌ الآن فلنتكلم على صفتها في خمسة عشر بابًا.



الباب الأول

في ذكر أبوابها وما يتعلق بذٰلك

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر: ٧٣] وقال في صفة النار: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١] بغير واوٍ فزعمت طائفةٌ أنَّ هٰذه الواو واو الثمانية دخلت في أبواب الجنة لكونها ثمانية بخلاف أبواب النار فإنها سبعة وذكره الإمام ناصر السنة ابن الجوزي في «التبصرة» وانتصر له.

قال في «التبصرة» عند قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ في هٰذه الواو ثلاثة أقوال: **أحدها**: إنها زائدة، قاله الفراء في جماعة.

والثاني: إن الواو زيدت؛ لأنَّ أبواب الجنةِ ثمانية، وأبواب النار سبعة والعرب تعطف في العدد بالواو على ما فوق السبعة فيقولون: خمسة ستة سبعة وثمانية، ومثله قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢] فلمَّا ذكر سبع خصال قال: ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢] وكذلك: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢].

والثالث: إنَّها واو الحال فالمعنى جاءوها وقد فتحت أبوابها فدخلت الواو لبيان أنَّ الأبواب كانت مفتحة قبل مجيئهم وحذفت الواو من قصة أهل النارِ لبيان أنَّها كانت مغلقة قبل مجيئهم قال: ووجه الحكمة في ذٰلك من ثلاثة أوجه: **أحدها**: إنَّ أهْلَ الجنةِ لمَّا رأوا

أبوابها مفتحة ٱستعجلوا السرور، وأهل النارِ يأتونها والأبواب مغلقة ليكون أشد لحرها.

والثاني: أن الوقوف على الباب المغلق ذُلٌ فَصِينَ عنه أهل الجنة دون أهل النار.

والثالث: أنَّه لو وجَدَ أهل الجنة بابًا مغلقًا /٥٤٨/ لأثَّر ٱنتظار فتحه في كمالِ الكرمِ ومن كمال الكرم غلق أبواب النار إلى مجيء أصحابها؛ لأنَّ الكريم يعجل المثوبة ويؤخر العقوبة. ٱنتهى كلامه.

والإمام المحقق لا يرتضي ذٰلك كله بل قال: هٰذا قول ضعيف لا دليل عليه، ولا تعرفه العرب؛ ولا أئمة العربية وإنَّما هٰذا من ٱستنباط بعض المتأخرين. وقال عن القول بأنَّها زائدة: هو ضعيف أيضًا فإنَّ زيادةَ الواو غير معروفة في كلامهم، ولا يليق بأفصح الكلام أنْ يكون فيه حرف زائد بغير معنى، ولا فائدة. واختار بأن الواو عاطفة عَلَى قوله تعالى: ﴿جَآءُوهَا﴾ وأن الجواب محذوف.

قال: وهو ٱختيار أبي عبيدة، والمبرد، والزجاج، وغيرهم، قال المبرد: وحذف الجواب أبلغ عند أهل العلمِ. قال أبو الفتح ابن جني: وأصحابنا يدفعون زيادة الواو، ولا يجيزونه، ويرون أنَّ الجوابَ محذوفٌ للعلم به فإنْ قيل: ما السر في حذف الجواب في آية أهْلِ الجنةِ، وذكره في آية أهل النار؟ فالجواب: إنَّ هٰذا أبلغ في الموضعين فإنَّ الملائكةَ تسوق أهْلَ النار إليها وأبوابها مغلقة حَتَّى إذا جاءوها فتحت في وجوههم ففجئهم العذاب بغتة فحين ٱنتهوا إليها فتحت أبْوابها بلا مهلة، فإنَّ هٰذا شأن الجزاء المرتب على الشرط أنْ يكونَ عقيبه فإنها دارُ الإهانةِ والخزي فلم يستأذن لهم في دخولها، وأمَّا الجنة

فدار كرامته تعالى، ومحل خواصه وأوليائه فإذا ٱنتهوا إليها صادفوها مغلقة فيرغبون إلى صاحبها ومالكها أنْ يفتحها لهم، ويستشفعون إليه بأولي العزم من رسله فكلهم يتأخر عن ذٰلك حَتَّى تقع الدلالة على خاتمهم، وسيدهم، وأفضلهم فيقول: «**أنا لها**»[1] فيأتي تحت العرش، ويخر ساجدًا لربِّه فيدعه ما شاء أنْ يدعه ثم يأذن له في رفع رأسه، وأن يسأل حاجته فيشفع إليه سبحانه في فتح أبوابها فيشفعه، ويفتحها تعظيمًا لخطرها وإظهارًا لمنزلة رسوله وكرامته عليه وإن مثل هٰذه الدار التي هي دار ملك الملوك إنما يدخل إليها بعد تلك الأهوال العظيمة التي أولها من حين عقل العبد في هٰذه الدار إلى أنْ ينتهي إليها وما ركبه /٥٤٩/ من الأطباق طبقًا فوق طبق[2].

قال ابن عباس[3] رَضِي اللهُ عَنْهُما في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾ [الانشقاق: ١٩]: يعني الشدائد والأهوال والموت، ثم البعث، ثم العرض.

---

(١) رواه البخاري (٣٣٤٠) كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾.
ومسلم (١٩٤) كتاب: الإيمان، باب: أدنىٰ أهل الجنة منزلة فيها.
والترمذي (٢٤٣٤) كتاب: صفة القيامة، باب: ما جاء في الشفاعة.
وأحمد ٢/ ٤٣٦. وغيرهم من حديث أبي هريرة، وفي الباب عن أنس بن مالك، وابن عباس، وابن عمر، وسلمان الفارسي، وغيرهم.

(٢) انظر «حادي الأرواح» ص (٨٢-٨٣).

(٣) لم أجد قول ابن عباس في الكتب المسندة، وإنما ذكره من غير سند البغوي في «تفسيره» ٨/ ٣٧٦، والقرطبي في «تفسيره» ١٩/ ٢٧٩.

وقال عكرمة[١]: حالاً بعد حال رضيعًا، ثم فطيما، ثم غلاما، ثم شابا، ثم شيخا هٰذا معنى الآية الكريمة.

وقيل غير ذٰلك من الشدائد، والمصائب شدة بعد أخرى حَتَّى يأذنَ اللهُ سبحانه لنبيه وخاتم رسله أنْ يشفعَ إليه في فتحها لهم وهٰذا أبلغ واعظ في تمام النعمةِ، وحصول الفرح والسرور ولئلا يتوهم الجاهلُ أنَّها بمنزلةِ الخان الذي يدخله من شاء فجنة غالية، ومنزلة عالية بين الناسِ وبينها من العقاب، والمفاوز، والأخطار ما لا تنال إلا به فمَا لمن أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني ولهذه الدار فليعد عنها إلى ما هو أولى به وقد خلق لها وهي له.

قُلْتُ: وكلامه كله في الاحتجاج على أنَّ أبواب الجنةِ يصادفها أهلها مغلقة كما أنَّ أبوابَ النارِ يصادفها أهلها كذٰلك وهٰذا فيه نزاع مشهور بين العلماء والذي ذهبَ إليه ابن الجوزي، وغيره وتلاهم العَلامة في «بهجته» خلاف ما نحاه الإمام المحقق.

فَإِنْ قُلْتَ: ما الذي تختاره؟ قُلْتُ: كلام المحقق أبلغ، وكلام الجمهور أظهر وأنا أختار ما قاله المحقق فإنا إذا قلنا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ﴾ [الزمر: ٧٣] دلالة ظاهرة على ما نحاه، وتقدير الكلام حَتَّى إذا جاءوها وفتحت أبوابها سعدوا، وفازوا، ونعموا وقال لهم خزنتها وأما قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠﴾ [ص: ٥٠] أي:

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» ٨/ ٣٧٦، ينظر في تفسير ابن عثيمين رحمنا الله وإياه في تفسيره للآية حيث ذكرها أن أحوال الإنسان أربعة: الأمكنة، والأزمنة، الأبدان والقلوب.

بعد دخولهم كما نقرره إن شاء الله تعالى وتأمل ما في سوق الفريقين إلى الدارين زمرًا من فرحة هؤلاء بإخوانهم، واستبشارهم، وقوة قلوبهم، وخزي أولئك وغمهم يساقون إلى النارِ زمرًا يلعن بعضُهم بعضًا فإنَّ ذلك أبلغ في الخزي والفضيحة مِنْ أنْ يُساقوا واحدًا واحدًا فلا تهمل تدبر قوله تعالى: ﴿زُمَرًا﴾ وتأمل قول خزنة الجنة لأهلها: ﴿طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا﴾ أي: سلامتكم ودخولها يطيبكم، فإن الله حرمها إلا على الطيبين فيبشرونهم بالسلامة والطيب والدخول والخلود، وأما أهل النار فإنهم لما ٱنتهوا إليها على تلك الحالة من الهم والغم والخزي والحزن فتحت لهم أبوابها فوقفوا عليها وزيدوا على ما هم عليه من الخزي والنكال توبيخ خزنتها وتبكيتهم بقولهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ فاعترفوا و﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].

وكلمة العذاب قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

وحقت بمعنى وجبت، فيبشرونهم حينئذ بدخولها والخلود فيها وأنها بئس المأوى لهم، وتأمل قول خزنة الجنة لأهليها: ٱدخلوها وقول خزنة النار لأهلها: ٱدخلوا أبواب جهنَّم تجد تحته سرًا لطيفًا ومعنى بديعًا ظريفًا وهو أنها لما كانت دار العقوبة فأبوابها أفظع كل شيء وأشده حرًا وأعظمه غمًا يستقبل الداخل في العذاب ما هو أشد منها ويدنو من الغم والخزي بدخول الأبواب فقيل: ٱدخلوا أبوابها صغارًا لهم وإذلالاً وخزيًا ثم قيل لهم: لا يقتصر بكم على مجرد ذلك

ولٰكن وراء ذٰلك الخلود في النار.

وأما الجنة فهي دار الكرامة والمنزل الذي أعد الله لأوليائه فيبشرون من أول وهلة بالدخول إلى المقاعد والمنازل والخلود فيها، وتأمل قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ۝٥١﴾ كيف تجد تحته معنى بديعًا، وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة كما هي خلاف النار فإذا دخلوها أغلقت عليهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ۝٨﴾ أي: مطبقة ومنه سمي الباب وصيدًا وهي مؤصدة في عمد ممدة قد جعلت العمد ممسكة للأبواب من خلفها كالحجر العظيم الذي يجعل خلف الباب.

قال مقاتل: يعني أبوابها عليهم مطبقة فلا يفتح لها باب ولا يخرج منها غم ولا [يدخل فيها روح][1] ولا يدخل فيها نسيم آخر الأبد، وأيضًا فإنَّ في فتحِ الأبوابِ إشارةً إلى تصرف أهل الجنة وذهابهم وإيابهم وتبوئهم من الجنةِ حيث شاءوا ودخول الملائكة عليهم من كلِّ باب في كل وقت بالتحف والألطافِ من ربِّهم وأيضًا إشارة إلى أنها دار من لا يحتاج إلى غلق الأبواب كما في الدنيا.

هٰذا ملخص كلام الإمام المحقق مختصرًا. وهو صريح في أنَّ الجنةَ يصادفها أهلها مغلقة الأبواب وقد علم الجواب عن قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠﴾ وهو أنها تكون كذٰلك بعد دخولهم

---

(١) كلمة غير واضحة بالأصل، واستدركناها من «زاد المسير» لابن الجوزي ١٣٦/٩ وهي كذلك في تفسير مقاتل.

واستقرارهم ويؤيده قوله ﷺ: **«آتي بابَ الجنَّةِ فأستفتح»**. وقول الخازن: **«بك أمرت ألا أفتح لأحدٍ قبلك»**[١]. هٰذا ظاهر والله الموفق.

وأخرجَ الشيخانِ عن سهلِ بن سعد رضي اللهُ عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«في الجنَّةِ ثمانية أبواب: باب منها يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون»**[٢].

وفيهما عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«مَن أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة: يا عبدَ اللهِ هٰذا خير، فمَنْ كان مِن أهْلِ الصلاةِ دُعي من باب الصلاة، ومَن كان من أهل الجهادِ دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان». فقال أبو بكر رضي اللهُ عنه: والله يا رسول الله ما على أحد من ضرورة من أيها**

---

(١) رواه مسلم (١٩٧) كتاب: الإيمان، باب: في قول النبي ﷺ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة...»، انظر ت(١) ص٨٩٩.
والترمذي (٣١٤٨) كتاب: التفسير، باب: ومن سورة بني إسرائيل. ضمن حديث أبي سعيد الخدري.
وأحمد ٣/ ١٣٦.
وأبو يعلىٰ (٣٩٨٩) عن أنس رَضِي الله عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري (١٨٩٦) كتاب: الصوم، باب: الريان للصائمين.
ومسلم (١١٥٢) كتاب: الصيام، باب: فضل الصيام.
والترمذي (٧٦٥) كتاب: الصوم، باب: ما جاء في فضل الصوم.
وابن ماجه (١٦٤٠) كتاب: الصيام، باب: ما جاء في فضل الصيام.
وأحمد ٥/ ٣٣٣.

دعي، فهل يدعى منها كلها أحد يا رسولَ اللهِ؟ قال: «نعم، وإنِّي لأرجو أن تكونَ منهم»[١] قال القرطبي: قيل الدعاء من جميعها دعاء تنويه وإكرام ثم يدخل من الباب الذي غلب عليه العمل[٢].

وأخرج مسلم عن عمرَ رضي اللهُ عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فَيبلِغُ - أو فيسبغُ - الوضوء ثمَّ يقول: أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله اللهم اْجعلني من التوابين. إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»[٣]. زاد الترمذي: «واجعلني من المتطهرين»[٤]. زاد الإمام أحمد وأبو داود: «ثم رفع نظره إلى السماء فقال: اللهم اْجعلني...»[٥] الحديث.

---

(١) جاء في هامش الأصل هذا الكلام:
وفي لفظ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورةٍ، فهَلْ يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم».
والحديث أخرجه البخاري (١٨٩٧) كتاب: الصوم، باب: الريان للصائمين.
والترمذي (٣٦٧٤) كتاب: المناقب، باب: في مناقب أبي بكر وعمر.
والنسائي ٤/١٦٨-١٦٩ كتاب: الصيام، باب ذكر الاختلاف على محمد بن أبي يعقوب في حديث أبي أمامة في فضل الصائم. وأحمد ٢/٢٦٨.
تنبيه: ليس هناك عبادة يقول فيها المسلم ما صح من الذكر الوارد فيها وتفتح له أبواب الجنة الثمانية غير الوضوء.
(٢) انظر «التذكرة» ص٥٣٦ .
(٣) رواه مسلم (٢٣٤) كتاب: الطهارة، باب: الذكر المستحب عقب الوضوء.
(٤) رواه الترمذي (٥٥) كتاب: الطهارة، باب: فيما يقال بعد الوضوء.
(٥) رواه أحمد ١/١٩-٢٠. وأبو داود (١٤٨) كتاب: الطهارة، باب: القول بعد الفراغ من الوضوء انظر: ما بعده.

وعند الإمام أحمد عن أنسٍ رضي اللهُ عنه يرفعه: «**من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال ثلاث مرات: أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. إلا فتح له ثمانية أبواب الجنة من أيها شاء دخل**»[1].

وأخرجَ عبدُ الله بن الإمام أحمد، وابن ماجه عن عتبة بن عبد الله السلمي مرفوعًا: «**ما من مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل**»[2].

وأخرج الشيخان عَن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه قال: وضعت بين يدي رسول الله ﷺ قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع وكان أحب الشاة إليه فنهس نهسة وقال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**» ثُمَّ نهس أخرى، وقال: «**أنا سيدُ النَّاسِ يوم القيامةِ**» فلمَّا رأى أصحابه لا يسألونه قال: «**ألا تقولون: كيف؟**» قالوا: كيف يا رسول الله ﷺ؟ قال: «**يقوم النَّاسُ لرب العالمين فيسمعهم الدّاعي وينفذهم البصر..**» فذكر حديثَ الشّفاعة بطولهِ وفي آخره: «**فأنطلق فآتي العرش فأقع ساجدًا لربِّ فيقيمني رب العالمين مقامًا لم يقمه أحدًا قبلي، ولن يقيمه أحدًا بعدي، فأقول: يا رب أمتي. فيقول: يا محمد أدخل من أمتك من**

---

(١) رواه أحمد ٣/ ٢٦٥. وابن ماجه (٤٦٩) كتاب: الطهارة، باب: ما يقال بعد الوضوء، وانظر ما قبله.

(٢) رواه أحمد ٤/ ١٨٣-١٨٤. وابن ماجه (١٦٠٤) كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في ثواب من أصيب بولده. والطبراني في «الكبير» ١٧/ ١١٩ (٢٩٤).

لا حساب عليهم من الباب الأيمنِ، وهم شركاءُ النَّاسِ فيما سوى ذٰلك من الأبوابِ، والذي نفس محمدٍ بيده إنَّ مَا بين مصراعين مِن مصاريع الجنَّةِ لكما بين مكة وهجر، أو هجر ومكة» وفي لفظ: «كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى»[١].

وفي لفظ خارج الصحيح بإسناد: «إن ما بين عضادتي الباب كما بين مكة وهجر».

قوله: «ينفذهم البصر» هو بالذال المعجمة كما في «النهاية» ويقال: نفذني بصره إذا بلغني وجاوزني.

قال في النهاية: قيل: المرادُ به ينفذهم بصر الرحمٰنِ حتَّى يأتي عليهم كلهم. وقيل: ينفذهم بصر الناظر لاستواءِ الصّعيد[٢].

قال أبو حاتم: أصْحابُ الحديث يروونه بالذَّالِ المعجمةِ وإنَّما هو بالمهملةِ أي: يبلغ أولهم وآخرهم حتَّى يراهم كلهم ويستوعبهم من نفد الشيء وأنفدته، وحمل الحديث على بصرِ المبصر أولى من حمله على بصر الرحمن؛ لأن اللهَ سبحانَه يجمعُ النَّاسَ يومَ القيامةِ في أرضٍ يشهد جميع الخلائق فيها محاسبة العبدِ الواحد على انفرادِه ويبصرون ما يصير إليه. انتهى.

---

(١) رواه البخاري (٣٣٤٠) كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: الأرواح جنود مجندة. ومسلم (١٩٤) كتاب: الإيمان، باب: أدنىٰ أهل الجنة منزلة فيها. وأبو داود (٤٦٧٣) كتاب: السنة، باب: في رد الإرجاء. والترمذي (٢٤٣٤) كتاب: صفة القيامة، باب: ما جاء في الشفاعة. وأحمد ٢/ ٤٣٥-٤٣٦.

(٢) «النهاية في غريب الحديث والأثر» ابن الأثير ٥/ ٩١.

وأخرج الإمامُ أحمد عن حكيم بن معاوية عن أبيه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**أنتم توفون سبعين أمة أنتم آخرها وأكرمها على الله وما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عامًا وليأتين عليه يوم وله كظيظ**»(١).

فهٰذا الحديث إنْ صحَّ فمحمول على أحد الأبواب وهو أعظمها.

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عمرَ رضي اللهُ عنهما مرفوعًا: «**الباب الذي يدخل منه أهلُ الجنَّةِ مسيرة الرّاكبِ المجد ثلاثًا ثم إنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول**»(٢). ورواه أبو نعيم عنه أيضًا.

قال الإمام المحقق: وهٰذا مطابقٌ للحديثِ المتفق عليه أنَّ ما بين المصراعين كما بين مكة وبصرى. فإنَّ الراكبَ المجود غاية الإجادة على أسرع هجين لا يفتر ليلاً ولا نهارًا يقطع هٰذه المسافة في هٰذا القدرِ أو قريب منه. كذا قال وهو بعيد جدًا.

تنبيه: حديث حكيم بن معاوية مضطرب. قال المحقق:

---

(١) رواه عبد بن حميد ١/ ٣٧٧ (٤١١)، وأحمد ٥/ ٣، وابن حبان ١٦/ ٤٠١ (٧٣٨٨) كتاب: إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب: وصف الجنة وأهلها، والبيهقي في «البعث والنشور» (٢٣٩) باب: ما ورد في عدد الجنان.

(٢) أبو نعيم في «صفة الجنة» (١٧٩). والترمذي رقم (٢٥٤٨) وقال الترمذي هٰذا حديث غريب، وسألت محمد عن هٰذا الحديث فلم يعرفه، وقال: لخالد بن أبي بكر مناكير عن سالم عن عبد الله، والبيهقي في «البعث» (٢٣٧)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١/ ٣٥٠)، وضعفه ابن الجوزي في العلل (١٥٥٠)، وعزاه المناوي في فيض القدير (٣/ ١٩٢) لأبي يعلىٰ البغوي في «مصابيح السنة» (٢/ ١٦٠) منكر وقال: ضعيف. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣/ ٣) وتخريج المشكاة (٥٦٤٥)، انظر ت(١) ص٩٠٠.

والصحيح هو المتفق على صحته والله أعلم(١).

روى ابن مسلم عن خليد عن الحسن في قوله تعالى: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ ترى أي: تشاهد وتنظر وذكر أيضًا عن قتادة قال: «أبواب يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، تتكلم وتكلم وتفهم ما يقال لها: ٱنفتحي ٱنغلقي»(٢). وأخرج أبو الشيخ عن عبد الله أن غياث الفزاري قال: «لكل مؤمن في الجنة أربعة أبواب: فباب يدخل عليه زواره من الملائكة، وباب يدخل عليه أزواجه من الحور العين، وباب مقفل فيما بينه وبين أهل النار يفتحه إذا شاء ينظر إليهم لتعظم النعمة عليه وباب فيما بينه وبين دار السلام يدخل فيه على ربه إذا شاء»(٣).

قلت: ومراده قطعًا أبواب منزله في الجنة لا أبواب الجنة كما لا يتشبه على ذي فهم والله أعلم. ومن «حادي الأرواح» عن أنس مرفوعًا «**أنا أول من يأخذ حلقة باب الجنة ولا فخر**»(٤) وفي حديث الشفاعة عنه أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «**يأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها**»(٥).

قال المحقق: وهٰذا صريح في أنها حلقة حسية تقعقع وتحرك قال:

---

(١) انظر «حادي الأرواح» ص٩٢ .

(٢) رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» بهذا الإسناد رقم (١٧٣).

(٣) انظر «حادي الأرواح» ص. ٩٤ نقل هٰذا القول ابن رجب في «التخويف من النار» ص١٥٧.

(٤) رواه العقيلي في «الضعفاء الكبير» ٣/ ٢٠٠ ترجمة: عثمان بن دينار، ولفظه: «أنا أول ضارب حلقة باب الجنة ولا فخر».

(٥) سبق تخريجه قريبًا.

ويُذكر عن علي كرم الله وجهه: من قال: لا إلٰه إلا الله الملك الحق المبين في كل يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر وأؤمن من وحشة القبر واستجلب بها الغناء واستقرع به باب الجنة[(١)].

قال: ولما كانت الجنان درجات بعضها فوق بعض كانت أبوابها كذٰلك وباب الجنة العالية أوسع من باب الجنة التي تحتها وكلما علت الجنة ٱتسعت فعاليها أوسع مما دونه وَسعت الجنان بحسب وسع الجنة قال: ولعل هٰذا وجه الخلاف الذي جاء في مسافة ما بين مصراعي الباب. قال: ولهٰذه الأمة باب مختص بهم يدخلونها منه دون سائر الأمم.

أخرج الإمام أحمد عن عمر رضي اللهُ عنهما: أن النبي ﷺ قال: «**باب أمتي الذي يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب ثلاثًا ثم إنهم يضغطون عليه حتَّى تكاد مناكبهم تزول**»[(٢)].

قوله: يضغطون أي يزدحمون حتَّى يحصل لهم بسبب ذٰلك ضيق وقهر من شدة الزحمة والمراد أنه مع سعته يكون عليه ٱزدحام والله أعلم.

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي اللهُ عنه: عن النبي أنه قال: «**أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي**»[(٣)].

---

(١) أبو نعيم في «صفة الجنة» رقم (١٨٥)، انظر ت(٢) ص٩٥٧.

(٢) رواه الترمذي (٢٥٤٨) كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة أبوب الجنة، وأبو يعلىٰ ٩/ ٤٠٧ (٥٥٥٤). من حديث ابن عمر، ولم أجده عند أحمد، ولا من حديث عمر.

(٣) رواه أحمد في «فضائل الصحابة» ١/ ٢٧٣ (٢٥٨)، وأبو داود (٤٦٥٢) كتاب: السنة، باب: في الخلفاء، وضعفه الألباني.

الحديث. قال: في «حادي الأرواح»(١): روينا في «معجم الطبراني» أن لقيط بن عامر خرج وافدًا إلى رسول الله ﷺ قال: قلت: يا رسول الله فما الجنة والنار؟ قال: **«لعمر إلهك إن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عامًا وأن للجنة ثمانية أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عامًا»**(٢). وذكر الحديث بطوله ثم قال: وهٰذا الظاهر منه أن هٰذه المسافة بين الباب والباب لأن ما بين مكة وبصرى لا يحتمل التقدير بسبعين عامًا. ولا يمكن حمله على باب معين لقوله: ما منهن بابان. قلت: وإلى هٰذا أشار المحقق في النونية بقوله:

أبوابها حقا ثمانية أتت ... في النص وهي لصاحب الإحسان

باب الجهاد وذاك أعلاها وباب ... الصوم يدعى الباب بالريان

ولكل سعي صالح باب ورُبَّ السعي ... منه داخل بأمان

ولسوف يدعى المرء من أبوابها ... جميعًا إذا وافى حلي الإيمان

منهم أبو بكر هو الصديق ذاك ... خليفة المبعوث بالقرآن

وسبعون عامًا بين كل ٱثنين منها ... قدرت بالعدو إلحان

هٰذا حديث لقيط المعروف بالخبر ... خبر الطويل وذا عظيم الشان

وعليه كل جلالة ومهابة ... ولكم حواه بعد من عرفان

لٰكن بينهما مسيرة أربعين ... رواه حبره الأمة الشيباني

ومسند بالرفع وهو لمسلم ... وقف كمرفوع بوجه ثاني

---

(١) انظر «حادي الأرواح» ص(٩٨).

(٢) «المعجم الكبير» للطبراني ١٩/ ٢١١-٢١٥ (٤٧٧)، ومسند أحمد (٤/ ١٣ - ١٤) أبو داود (٣٢٤٩) سيأتي في ص١١٧٢، ١١٧٣.

ولـقـد روى تـقـديـره بـثـلاثـة أيـام لٰـكـن عـنـد ذي الـعـرفـان
أعني البخاري الرضى هو منكر وحـديـث راويـه فـذو نـكـران[١]

فبين رحمه الله ورضي عنه أن بين كل بابين مسيرة سبعين عامًا، وبين كل مصراعين من تلك الأبواب مسيرة أربعين يومًا، وبين أن البخاري ينكر حديث تقدير ما بين المصراعين بثلاثة أيام راويه يروي الحديث المنكرات والله أعلم.

(١) شرح ابن عيسى للنونية (٢/ ٤٦٩، ٤٧٢).

فصل
في مفتاح الجنة

واعلم أن الباب لابد له من مفتاح، وأن مفتاح الجنة هي كلمة الإخلاص وهي شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا ﷺ عبده ورسوله. أخرج الإمام أحمد عن معاذ بن جبل رضي اللهُ عنه مرفوعًا: «**مفتاح الجنة شهادة أن لا إلٰه إلا الله**»[1]. قال الحافظ ابن رجب في كتابه «التوحيد»: إسناده منقطع وسنده صحيح.

البخاري عن وهب بن منبه: أنه قيل له: أليس مفتاح الجنة لا إلٰه إلا الله؟ قال: بلى ولٰكن ليس من مفتاح إلا له أسنان فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح[2].

وأخرج أبو نعيم عن أنس رضي اللهُ عنه قال: قال أعرابي: يا رسول الله ما مفتاح الجنة؟ قال: «**لا إلٰه إلا الله**»[3].

وأخرج أبو الشيخ عن مجاهد عن يزيد بن شجرة قال: «إن

---

(١) رواه أحمد ٥/ ٢٤٢. والبزار في «البحر الزخار» ٧/ ١٠٣-١٠٤ (٢٦٦٠). والطبراني في «الدعاء» ٣/ ١٤٨٨ (١٤٧٩). وابن عدي في «الكامل» ٥/ ٦٠ ترجمة: شهر بن حوشب.

(٢) علقه البخاري جزما قبل حديث (١٢٣٧) كتاب: الجنائز، باب: في الجنائز. ووصله ابن حجر في «تغليق التعليق» ٢/ ٤٥٣.

(٣) رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» رقم (١٩٠).

السيوف مفاتيح للجنة»[١].

وفي المسند عن معاذ رضي اللهُ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟»** قلت: بلى. قال: **«لا حول ولا قوة إلا بالله»**[٢].

قال في حادي الأرواح[٣]: ولقد جعل الله لكل مطلوب مفتاحًا يفتح به فجعل مفتاح الصلاة الطهارة كما قال ﷺ مفتاح الصلاة الطهور[٤] ومفتاح الحج الإحرام، ومفتاح البر الصدق، ومفتاح الجنة التوحيد، ومفتاح العلم حسن السؤال، وحسن الإصغاء، ومفتاح النصر والظفر الصبر، ومفتاح المزيد الشكر، ومفتاح الولاية المحبة، ومفتاح المحبة الذكر، ومفتاح الفلاح التقوى، ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة، ومفتاح الإجابة الدعاء، ومفتاح الإيمان التفكر فيما دعا الله عباده إلى التفكر فيه، ومفتاح الدخول على الله سلامة القلب، وسلامته له والإخلاص له في الحب والبغض والفعل والترك، ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب والأوزار، ومفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع

---

(١) رواه أبو الشيخ كما في «حادي الأرواح» ص١٠٥ .

(٢) رواه عبد بن حميد ١/ ١٧١ (١٢٨). وأحمد ٥/٢٢٨، ٢٤٢، ٢٤٤. والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٥٩).
وفي «السنن الكبرىٰ» ٦/ ٩٧ (١٠١٨٩) كتاب: عمل اليوم والليلة، باب: ما يقول إذا أنتهىٰ إلىٰ قوم فجلس إليهم.

(٣) «حادي الأرواح» ص١٠٥.

(٤) ابن ماجه (٢٧٥). وقال الألباني: حسن صحيح.

عبيده، ومفتاح حصول الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى، ومفتاح العز طاعة الله ورسوله، ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل، ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم لمعرفة مفاتيح الخير والشر فإن الله جعل للخير وللشر مفتاحًا وبابًا يدخل منه إليه، كما جعل الشرك والكبر والإعراض عما بعث الله به رسوله والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحًا للنار، والخمر مفتاح كل إثم، والغناء مفتاح الزنا، وإطلاق النظرة في الصور مفتاح الطلب، والعشق والكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان، والمعاصي مفتاح الكفر، والكذب مفتاح النفاق، والشح والحرص مفتاح البخل، وقطيعة الرحم وأخذ المال من غير حله والإعراض عما جاء به الرسول مفتاح كل بدعة وضلالة فسبحان مسبب الأسباب والله الموفق وإلى المفتاح أشار في النونية بقوله[1]:

هذا وفتح الباب ليس بممكن ... إلا بمفتاح على أسنان

مفتاح بشهادة الإخلاص والتوحيد ... تلك شهادة الإيمان

أسنانه الأعمال وهي شرائع الإسلام ... والمفتاح بالأسنان

لا تلغين هذا المثال فكم به ... من حل إشكال لذي العرفان

---

(١) شرح ابن عيسى (٢/ ٤٧٤).

الباب الثاني

في مكان الجنة ومنشورها وتوقيعها وتوحد طريقها

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ ۝١٥﴾ [النجم: ١٣ ـ ١٥].

قال في «حادي الأرواح»: وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء وسميت بذلك لأنه ينتهي إليها ما ينزل من عند الله فيقبض منها وما يصعد إليه فيقبض منها وقال جل ذكره: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾ [الذاريات: الآية ٢٢]. قال مجاهد: الجنة[١]، وقال ابن المنذر عن مجاهد هو الجنة والنار[٢].

قال المحقق: وهٰذا يحتاج إلى تفسير فإن النَّار في أسفل سافلين ليست في السماء، ومعنى هٰذا ما قاله في رواية ابن أبي نجيح عنه. وقاله أبو صالح عن ابن عباس رضي اللهُ عنهما: الخير والشر كلاهما يأتي من السماء؛ وعلى هٰذا المعنى: أسباب الجنَّة والنار بقدر ثابت في السماء من عند الله[٣].

وأخرج أبو نعيم عن عبد الله بن سلاّم رضي اللهُ عنه قال: إنَّ

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٢١٨٨).

(٢) أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٧/ ٦١٩ وعزاه لابن المنذر.

(٣) انظر «حادي الأرواح» ص (٩٩).

أكرم خلق الله أبو القاسم ﷺ وإنَّ الجنَّة في السماء[١]. ورواه معمر بن راشد عن محمد بن أبي يعقوب مرفوعًا. وقال ابن عباس رضي اللهُ عنهما: الجنَّة في السماء السابعة، ويجعلها حيث شاء يوم القيامة، وجهنَّم في الأرض السابعة[٢]. وأخرج ابن مندة عن عبد الله[٣] قال: الجنَّة فوق السماء الرابعة، فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء. والنار في الأرض السابعة، فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء.

وقال مجاهد: قلت لابن عباس: أين الجنّة؟ قال: فوق سبع سموات قلت: فأين النار؟ قال: تحت سبعة أبحر مطبقة[٤]. رواه ابن منده. وأما الأثر الذي قد رواه ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عمرو رضي اللهُ عنها قال: الجنَّة مطوية[٥]. يظهر منه التناقض بين أول كلامه وآخره.

قال المحقق: ولا تناقض فيه. فإن الجنَّة المعلقة بقرون الشمس ما يحدثه الله سبحانه بالشمس كل سنة مرة من أنواع الثمار والفواكه جعله الله مذكرًا لتلك الجنَّة. وإلا فالجنَّة التي عرضها السموات والأرض ليست معلقة بقرون الشمس وهي فوق الشمس وأكبر منها.

---

(١) رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» رقم (١٣١).

(٢) انظر «حادي الأرواح» ص٩٩-١٠٠، وأورده ابن رجب في «التخويف من النار» ص٤٥ الباب الخامس في ذكر مكان جهنم.

(٣) أبو نعيم في «صفة الجنة» (١٣٤). (٤) أبو نعيم في «صفة الجنة» (١٣٥).

(٥) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ١/ ٢٨٩.

وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «**إنَّ الجنَّة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض**»(١) وهٰذا يدل على أنها في غاية الصعد والارتفاع.

قال المحقق: والحديث له لفظان هٰذا أحدهما.

والثاني: «**إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله**»(٢) قال وشيخنا يعني شيخ الإسلام ابن تيمية يرجح هٰذا اللفظ.

(٣)وهو لا ينافي أن يكون درج الجنة أكثر من ذلك. ونظير هذا: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة»(٤) أي: من جملة أسمائه هذا القدر. قال: ويدل هذا على أن منزلة نبينا محمد ﷺ فوق هذا كله، في درجة في الجنة ليس فوقها درجة، وتلك المائة تنالها آحاد أمته ﷺ كالمجاهد والجنة مقببة، أعلاها أوسعها وأوسطها وهو الفردوس، [وسقف](٥) العرش، كما قال ﷺ: «إذا سألتم الله

(١) رواه البخاري (٢٧٩٠) كتاب: الجهاد والسير، باب: درجات المجاهدين في سبيل الله.
والترمذي (٢٥٢٩) كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة درجات الجنة.
وأحمد ٢/ ٣٣٥، ٣٣٩.

(٢) أنظر الحديث قبله ومسلم (١٨٨٤).

(٣) بداية السقط من (أ) وينتهي عند قوله «هذه سبيل الله» وقد أضفت هذا من النسخة (ب). انظر ص٩٧٢ ت(١).

(٤) البخاري (٢٧٣٦) ومسلم (٢٦٧٧).

(٥) لعله «سقفها».

فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»[١].

قال المحقق[٢] قال شيخنا أبو الحجاج المزي: والصواب رواية من رواه ـ فوقه ـ بضم القاف على أنه اسم لا ظرف، أي وسقفه عرش الرحمن، فإن الكرسي وسع السموات والأرض، والعرش أكبر منه؟ فالجواب: لما كان العرش أقرب إلى الفردوس مما دونه من الجنان، بحيث لا جنة فوقه دون العرش كان سقفاً له، دون ما تحته من الجنان، ولعظم الجنة وغاية ارتفاعها يكون الصعود من أدناها إلى أعلاها بالتدريج شيئاً فشيئاً، ودرجة فوق درجة كما يقال لقارئ القرآن «اقرأ وارق فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»[٣] وهذا يحتمل شيئين:

أن تكون منزلته عند آخر حفظه، أو أن تكون عند آخر تلاوته لمحفوظه، انتهى كلامه في حادي الأرواح وفهم مما ذكرنا إشكالين، أحدهما: أن العرش ليس هو سقفاً للفردوس فقط بل غير الفردوس كهي. والجواب: أن الفردوس أعلى الجنة، وأن العرش سقفه حقيقة، وأما غير الفردوس فبينه وبينه حائل، فالفردوس سقف لما تحته وهلم جرا، والعرش سقف للفردوس، فالفردوس وسقفه سقف لما تحته، وهكذا، الثاني: أن الكرسي تحت العرش، والعرش فوقه، فكيف يكون العرش سقفاً للجنة دون الكرسي؟ والجواب عن هذا: أن الجنة

---

(١) البخاري (٢٧٩٠).

(٢)

(٣) أحمد (٢/ ١٩٢) أبو داود (١٤٦٤) الحاكم (١/ ٧٣٩) ابن حبان (٧٦٦).

فوق السماء السابعة كما أن الكرسي فوقها، فيكون العرش سقفاً للجنة والكرسي معاً، ويكون الكرسي محاذياً للجنة، وفي كلام شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: أن العرش سقف المخلوقات، وهو عال عليها من جميع الجوانب والجهات. أو نقول: الكرسي قدام العرش وأمامه، ولا يلزم من هذا أن يكون سقفاً للجنة، إذ العرش أكبر وأعظم من الجنة، إذ ليس في مخلوقات الله أعظم من العرش، ومن ثم يمتدح به تعالى، يقول: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥﴾ [البروج: ٨٥] ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ۝٤٢﴾ [الإسراء: ٤٢]. إلى غير ذلك من الآيات والآثار والله الموفق.

فصل

وأخرج الطبراني عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من الله لفلان بن فلان، ادخلوه جنة عالية قطوفها دانية»[١]. ورواه ابن منده أيضاً.

قال الإمام المحقق: قلت: وقع المؤمن في قبضة أصحاب اليمين يوم القبضتين ثم كتب من أهل الجنة يوم نفخة الروح فيه، ثم يكتب في ديوان أهل الجنة يوم موته، ثم يعطى هذا المنشور يوم القيامة، والله المستعان. وفي كلام الرب جل ثناؤه: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [المطففين: ١٨ ـ ٢١]، أخبر تعالى: إن كتاب الأبرار كتاب مرقوم تحقيقاً لكونه مكتوباً كتابة حقيقية، وخص كتاب الأبرار بأنه يكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين وسادات المؤمنين، ولم يذكر هذا لكتاب الفجار تنويهاً بكتاب الأبرار وما وقع لهم به وإشهاداً وإظهاراً بين خواص خلقه كما تكتب الملوك تواقيع من تعظمه من الأمراء وخواص أهل المملكة تنويهاً باسم المكتوب له

---

(١) الطبراني في الكبير (٦/ ٢٧٢) وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٧٣٥) وقال رواه الطبراني في الكبير الأوسط.

وإشادة بذكره: وفي مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان وأبي عوانة الإسفراييني من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه المتقدم، فيقول الله جل وعلا: «**اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى**»(١) والله أعلم.

---

(١) أحمد (٤/ ٢٨٧) وذكره الهيثمي (٣/ ١٧٠) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

فصل
في توحيد طريق الجنة

اعلم أن الله سبحانه وتعالى قد سد جميع الطرق، إلا طريقاً بينه المصطفى ﷺ فلا يوصل إلى الله إلا من طريقه وطريق أنبيائه وهي طريق واحدة.

قال في «حادي الأرواح»: هذا مما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين، وأما طرق الجحيم فأكثر من أنت تحصى، ولهذا يوحد سبيله، ويجمع سبيل النار، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله ﷺ خطاً وقال: «هذه سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه، وعن يساره، ثم قال: هذه سبل الله وعلى[١] كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾[٢] الآية.

فإن قيل قال الله تعالى: ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ فالجواب: هي سبل تجمع في سبيل واحد وهي بمنزلة الجوادّ والطرق في الطريق الأعظم فهٰذه هي شعب الإيمان تجمعها

---

(١) آخر السقط. انظر ص٩٦٧ ت(٣).

(٢) أحمد (١/ ٤٣٥) البزار (١٨٦٥) وذكره الهيثمي في المجمع (٧/ ٩٠) وقال: رواه أحمد والبزار وفيه عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف.اهـ.

الإيمان كما أن ساق الشجرة يجمع أغصانها وهٰذه السبل هي إجابة لداعي الله بتصديق خبره وطاعة أمره فطريق الجنَّة إجابة الداعي إليها ليس إلا.

وروى البخاري في صحيحه عن جابر رضي اللهُ عنه قال: **جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ فقال بعضهم: إنه نائم وقال بعضهم: العين نائمة والقلب يقظان وقالوا: إنَّ لصاحبكم هٰذا مثلاً فاضربوا له مثلاً وقالوا: مثله مثل رجل بنى دارًا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيًا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة. فقالوا: أولوها يفقهها فقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، الدار الجنَّة. والداعي محمدٌ فمن أطاع محمدًا فقد أطاع اللهَ ومن عصى محمدًا فقد عصى اللهَ ومحمد فرق بين الناس**[1]. ورواه الترمذي عنه بلفظ **خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: إني رأيت في المنام كأن جبريل على رأسي وميكائيل عند رجلي فذكر نحو ما تقدم وفيه: فالله هو الملك والدار الإسلام والبيت الجنة وأنت يا محمد رسول فمن أجابك دخل الإسلام ومن دخل الإسلام دخل الجنة وأكل مما فيها**[2]. وصحح الترمذي من حديث ابن مسعود رضي اللهُ عنه قال: صلَّى رسول الله ﷺ العشاء ثم

---

(١) رواه البخاري (٧٢٨١) كتاب: الاعتصام، باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.

(٢) رواه الترمذي (٢٨٦٠) كتاب: الأدب، باب: ما جاء في مثل الله لعباده.

ٱنصرف فأخذ بيدي ثم خرج بي إلى بطحاء مكة، فأجلسني ثم خط عليَّ خطة ثم قال: «**لا تبرحن خطك فإنه سينتهي إليك رجال فلا تكلمهم فإنهم لا يكلمونك**» ثم مضى ﷺ حيث أراد فبينا أنا جالس في خطي إذ أتاني رجال كأنهم الزط أشعارهم وأجسامهم لا أرى عورة ولا أرى قشرًا وينتهون إليّ لا يجاوزون الخط ثم يصدرون إلى رسول الله ﷺ حتى إذا كان من آخر الليل لٰكن رسول الله ﷺ قد جاءني وأنا جالس فقال: «**لقد رأى منذ الليلة**» ثم دخل عليّ في خطي فتوسد فخذي فرقد وكان رسول الله ﷺ إذا رقد نفخ فبينا أنا قاعد ورسول الله ﷺ متوسد فخذي إذا أنا برجال عليهم ثياب بيض الله أعلم ما بهم من الجمال فانتهوا إليّ فجلس طائفة منهم عند رأس رسول الله ﷺ وطائفة منهم عند رجليه ثم قالوا: ما رأينا عبدًا قد أوتي مثل ما أوتي هٰذا النبي إن عينيه تنامان وقلبه يقظان ٱضربوا له مثلاً، مثل سيد بنى قصرًا ثم جعل مأدبة فدعا الناس إلى طعامه وشرابه فمن أجابه أكل من طعامه وشرب من شرابه ومن لم يجبه عاقبه أو قال عذبه ثم ٱرتفعوا واستيقظ رسول الله ﷺ عند ذٰلك فقال: «**سمعت ما قال هٰؤلاء وهل تدري من هم؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**هم الملائكة فتدري بالمثل الذي ضربوه؟**» قلت: الله ورسوله أعلم قال: «**الرحمن بنى الجنة ودعا إليها عبادة فمن أجابه دخل الجنة ومن لم يجبه عذبه**»[1]. ولشيخ الإسلام ابن

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٦١) كتاب: الأمثال، باب: ما جاء في مثل الله لعباده وأحمد ١/ ٤٥٥.

تيمية طيب الله ثراه كلام حسن في جزء سمّاه «وجوب الاعتصام بالرسالة» فمنه: اعلم أن السعادة والهدى في متابعة الرسول ﷺ وأنَّ الضلال والشقاء في مخالفته وأن كل خير في الوجود إما عام وإما خاص فمنشأه من جهة الرسول وأن كل شر بالعالم وكل شر مختص بالعبد فسببه مخالفة الرسول أو الجهل بما جاء به وأنَّ سعادة العباد في معاشهم ومعادهم باتباع الرسالة والرسالة ضرورية للعباد لابد لهم منها وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء والرسالة روح العالم ونوره وحياته فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور والدنيا مظلمة ملعونة كلها إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة. وكذلك العبد ما لم يشرق في قلبه شمس الرسالة ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة وهو من الأموات قال: وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب**»[1] وهذا المقت كان لعدم هدايتهم بالرسل فرفع الله عنهم هذا المقت برسول الله ﷺ فبعثه الله رحمة للعالمين وحجة للسالكين وحجة على الخلائق أجمعين.

قال: وافترض الله سبحانه وتعالى على العباد طاعة نبيه ورسوله ومحبته وتعزيره وتوقيره والقيام بأداء حقوقه وسد إليه جميع الطرق فلم يفتح لأحد إلا من طريقه. انتهى.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب: الجنة ونعيمها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار. وأحمد ٤/ ١٣٢. والطبراني في «الكبير» ١٧/ ٣٦١ (٩٩٥).

وبلغنا أنَّ بعض العلماء رأى النبي ﷺ في المنام فسأله عن ابن سينا فقال: ذاك أراد أن يصل إلى الله من غير طريقنا فقطع أو قال فقطعناه. والله سبحانه المسئول أن يوفقنا لسلوك طريق الرسول وأن يوفقنا على معالم الهدى وحق اليقين وأن يقذف في قلوبنا من نور المعارف وعوارف اليقين ما ينجاب عن القلب غياهب الشكوك الردية وحوادس الظنون الدنية بمنه وكرمه.

الباب الثالث

في درجات الجنةِ وأعلاها وما أسم ملكا الجنة

قال الله تعالى ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦].

قال ابن محيريز: هي سبعون درجة ما بين الدرجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين عاما. وأخرج ابن المبارك عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال: ٤] وقال بعضهم: أفضل من بعض فيرى الذي عقد فضل به فضله ولا يرى الذي أسفل منه أنه فضل عليه أحد من الناس قلت: وهٰذا من تمام نعم الله على عبده لأنَّ الأنفسَ مطبوعة على التألم بمشاهدة من هو فوقها إلا من وفقه الله وهنا نكتة عنَّ لي أنْ انتبه عليها وهي أن العاقل ينبغي له أن يتألم بسبق غيره له في الطاعات ووجوه الخير فيبادر إلى فعل مثل ما فعل ذٰلك المبادر فيحصل له من المزية مثل ما حصل لذٰلك وما أحسن قول من قال:

إذا أعجبتك خلالا منه ... فكنه تكن مثل من يعجبك

فليس على الجود والمكرمات ... إذا جئتها حاجب يحجبك

والله الموفق.

قال «المحقق» في قوله تعالى: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ الآيتين أوقع التفضل أولاً بدرجة ثم أوقعه ثانيًا بدرجات فقيل: الأول بين القاعد المعذور والمجاهد. والثاني: بين القاعد بلا عذر والمجاهد

وقال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران: ١٦٣] وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هم ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٣، ٤].

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي اللهُ عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم**» **قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال:** «**بلى والذي نفسي بيده رجالاً آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين**»[١].

ولفظ البخاري في «الأفق» وهو أبين قال في «حادي الأرواح»: الغابر هو: الذاهب الماضي الذي قد تدلى للغروب وفي التمثيل به دون الكوكب - المسامت للرأس وهو أعلى.

فائدتان أحدهما: بُعدهِ عن العيونِ .**والثانية**: أنَّ الجنةَ درجات بعضها فوقَ بعضٍ وأعلى من بعضٍ وإن لم تسامت العليا السفلى كالبساتين الممتدة من رأسِ الجبلِ إلى ذيله. ٱنتهى.

وأخرج الشيخان عن سهلَ بن سعد أنَّ رسول اللهِ ﷺ قال: «إنَّ

(١) رواه البخاري (٣٢٥٦) كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة. ومسلم (٢٨٣١) كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: ترائي أهل الجنة أهل الغرف. وابن حبان (٧٣٩٣) كتاب: إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب: وصف الجنة وأهلها.

أهل الجنَّةِ ليتراءون الغرفة كما تراءون الكوكب في أفق السماء»[١]

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي اللهُ عنه عن رسولِ اللهِ ﷺ: **«أن أهل الجنَّة ليتراءون في الجنَّة كما تَراءون أو ترون الكوكب الدُّري الغارب في الأفقِ الطالعِ في تفاضلِ الدرجاتِ»** قالوا: يا رسول الله أولئك النبيون قالوا: **«بلى، والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا باللهِ وصدَّقوا المرسلينَ»**[٢].

قال في «حادي الأرواح»: ورجال هٰذا الإسناد احتج بهم البخاري في صحيحه وفي هٰذا الحديث: «الغارب» وفي حديث أبي سعيد: «الغابر» وقوله: «الطالع» صفة للكوكب وصفه بكونه غاربًا وبكونه طالعًا.

وقد خرج هٰذا المعنى في الحديث الذي رواه ابن المبارك عن فليح بن سليمان عن هلال بن علي عن عطاء عن أبي هريرة عن النَّبي ﷺ: **«إنَّ أهل الجنَّة ليتراءون في الغرف كما يرى الكوكبُ الشرقي والكوكبُ الغربي في الأفق في تفاضلِ الدرجاتِ»** قالوا: يا رسول اللهِ أولئك

---

(١) رواه البخاري (٦٥٥٥) كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار ومسلم (٢٨٣٠) كتاب: الجنة ونعيمها، باب: ترائي أهل الجنة أهل الغرف كما يرىٰ الكوكب في السماء وأحمد ٥/ ٣٤٠. والدارمي (٢٨٧٢) باب: في غرف الجنة. وابن حبان ١/ ٤٣٩ (٢٠٩) كتاب: الإيمان، باب: فرض الإيمان.

(٢) رواه الترمذي (٢٥٥٦) كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء في ترائي أهل الجنة في الغرف. وأحمد ٢/ ٣٣٥، ٣٣٩. وابن خزيمة في «التوحيد» ٢/ ٩٠٧ (٦٢٠).

النبيون قال: «بلى والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين»[(١)]. قال وهٰذا على شرط البخاري أيضًا.

وفي المسند عن أبي سعيد رضي اللهُ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المتحابين لُترى غرفهم في الجنَّة كالكوكب الطالِع الشرقي والغربي فيقال: من هٰؤلاء؟ فيقال: هٰؤلاء المتحابون في الله عزَّ وجل»[(٢)].

وفي المسند من حديث أبي سعيد أيضًا عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الجنَّةَ مائة درجة ولو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن وسعتهم»[(٣)] وفيه عنه أيضًا عن النبي ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنَّة: إقرأ واصعد. فيقرأ ويصعدُ بكل آية درجة حتَّى يقرأ آخر شيء معه»[(٤)].

قال المحقق: وهٰذا صريح في أنَّ درجَ الجنَّةِ تزيد على مائة.

وأما حديث البخاري عن أبي هريرة مرفوعًا: «أن الجنَّة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض. فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه وسط الجنَّة وأعلى الجنَّةِ وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة»[(٥)].

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» زوائد نعيم (٤١٨).

(٢) رواه أحمد ٣/ ٨٧ وفيه انقطاع.

(٣) رواه أحمد ٣/ ٢٩. والترمذي (٢٥٣٢) كتاب: صفة الجنة، باب: في صفة نساء أهل الجنة. والبيهقي في «البعث والنشور» (٢٦٢).

(٤) رواه أحمد ٣/ ٤٠٠. وابن ماجه (٣٧٨٠) كتاب: الأدب، باب: ثواب القرآن. وأبو يعلىٰ ٢/ ٣٤٦ (١٠٩٤).

(٥) انظر ت(١) ص٩٦٨.

فالجواب عنه: أنه يحتمل أن تكون هٰذه المائة درجة من جملة الدرج أو تكون نهايتها هٰذه المائة، وفي ضمن كل درجة درج دونها.

قلت: والثاني أوجه؛ لأن لفظ حديث البخاري معرفة الطرفين فيفيد الحصر على رأي البيانيين، وأن آستوجه المحقق الأول، واستدل له بما خرجه الترمذي عن معاذ رضي اللهُ عنه قال: سمعت رسول الله يقول: **«من صلى هٰؤلاء الصلوات الخمس، وصام شهر رمضان كان حقًا على الله أن يغفر له هاجر أو قعد حيث ولدته أمه»**. قلت: يا رسول الله ألا أخرج فأؤذن الناس؟ قال: **«ذر الناس يعملون فإن في الجنة مائة درجة بين كل درجتين منهما مثل ما بين السماء والأرض، وأعلى درجة منها الفردوس، وعليها يكون العرش، وهي أوسط شيء في الجنة، ومنها تفجر أنهار الجنة، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس»**[(١)] فرواه بلفظة «في».

وأخرج أيضًا عن عبادة بن الصامت مرفوعًا: **«في الجنة مائة درجة»**[(٢)] فذكر نحوه وعنده أيضًا عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **«في الجنة مائة درجة»**[(٣)] وذكر نحوه وقال حديث حسن غريب، وفيه عن أبي سعيد مرفوعًا **«أن في الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في**

---

(١) رواه أحمد ٥/ ٢٣٢. والترمذي (٢٥٣٠) كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة درجات الجنة. وابن ماجه (٤٣٣١) كتاب: الزهد، باب: صفة الجنة.

(٢) رواه أحمد ٥/ ٣١٦، ٣٢١. والترمذي (٢٥٣١) كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة درجات الجنة.

(٣) رواه الترمذي (٢٥٢٩) كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة درجات الجنة.

إحداهن لوسعتهم»[١] ورواه الإمام أحمد بدون لفظة «في» كما تقدم فرويت هٰذه الأحاديث بلفظة في وبدونها. فإن كان المحفوظ ثبوتها فهي من جملة درجتها وإن كان المحفوظ سقوطها الكبار المتضمنة للدرج الصغار، ولا تناقض بين تقدير ما بين الدرجتين بالمائة وتقديرها بالخمسمائة لاختلاف السير في السرعة والبطء، والنبي ﷺ ذكر هٰذا تقريبًا للإفهام يدل له حديث أبي سعيد رضي اللهُ عنه مرفوعًا: «**مائة درجة في الجنة ما بين الدرجتين ما بين السماء والأرض، وأبعدهما بين السماء والأرض**» قلت: يا رسول الله: لمن، قال: «**للمجاهدين في سبيل الله**»[٢].

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٣٢) كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة درجات الجنة. وأحمد ٣/ ٢٩. وأبو يعلىٰ ٢/ ٥٣٠ (١٣٩٨).

(٢) انظر ت(١) ص٩٦٧.

فصل

وأخرج مسلم عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه عشرًا ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّت عليه الشفاعة**»[1].

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي اللهُ عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا صليتم عليّ فاسألوا الله لي الوسيلة**» قيل: يا رسول الله، وما الوسيلة؟ قال: «**أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد، وأرجو أن أكون أنا هو**»[2]. هكذا الرواية «أن أكون أنا هو» ووجهها كما قال المحقق: أن تكون الجملة خبرًا عن ٱسم كان المستتر فيها ولا يكون أنا فصلاً، ولا توكيدًا بل مبتدأ، والله أعلم.

وأخرج الإمام أحمد والبخاري ومسلم عن جابر رضي اللهُ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال حين سمع النداء اللهم رب هٰذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا**

(١) رواه مسلم (٣٣٤) كتاب: الصلاة، ٱستحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه... وأحمد ٢/١٦٨، من رواية عبد الله بن عمرو بن العاص انظر ت(٢) ص١٠٦٦، وما عقده في الفصل.

(٢) رواه الترمذي (٣٦١٢) كتاب: المناقب، باب: في فضل النبي ﷺ. وأحمد ٢/ ٢٦٥.

محمودًا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيامة»(١). هكذا لفظ الحديث مقام بالتنكير ليوافق لفظ الآية ولأنه لما تعين وانحصر نوعه في شخص جرى مجرى المعرفة فوصف بما توصف به المعارف وهٰذا ألطف من جعل «الذي وعدته» بدلاً.

وأخرج الإمام أحمد عن أبي سعيد مرفوعًا: «**الوسيلة درجة عند الله عزَّ وجل ليس فوقها درجة فسلوا الله لي الوسيلة**»(٢) وأخرج أبو نعيم عن عائشة رضي اللهُ عنها قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله والله إنك لأحب إليّ من نفسي، وإنك لأحب إليّ من أهلي، وأحب إليّ من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك، فما أصبر حتَّى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإني إذا دخلت الجنة خشيت ألا أراك فلم يرد عليه النبي ﷺ حتَّى نزل جبريل بهٰذه الآية: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النساء: ٦٩](٣).

---

(١) رواه البخاري (٦١٤) كتاب: الأذان، باب: الدعاء عند النداء.
وأبو داود (٥٢٩) كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في الدعاء عند الأذان.
وأحمد ٣/ ٣٥٤. ولم أجده في مسلم، من رواية جابر انظر ت(١) ص١٠٦٦.

(٢) رواه أحمد ٣/ ٨٣.

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية» ٤/ ٢٣٩-٢٤٠، ٨/ ١٢٥. والطبراني في «الأوسط» ١/ ١٥٢-١٥٣ (٤٧٧). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة.

قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي: لا أعلم بإسناد هٰذا الحديث بأسًا، قال المحقق: سميت درجة النبي ﷺ الوسيلة لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرب تبارك وتعالى، وهي أقرب الدرجات إلى الله وأصل ٱشتقاق لفظة الوسيلة من القرب، وهي فعيلة من وسل إليه إذا تقرب إليه.

قال لبيد رضي اللهُ عنه:

بـلى كـل ذي رأي إلى الله واسِـلُ ....

ومعنى الوسيلة من الوصلة، ولهذا كانت أفضل الجنة.

لطيفة: قال الفضيل بن عياض: إنما حسنت الجنة لأن عرش رب العالمين سقفها[1]. وقال ابن عباس رضي اللهُ عنهما: نور سقف منازلهم نور عرشه، وقال الحسن: إنما سميت عدن لأن فوقها العرش، ومنها تفجر أنهار الجنة وللحورالعدنية الفضل على سائر الحور.

تنبيه قوله ﷺ في حديث الوسيلة: «**حلت عليه شفاعتي**»[2]. يروى حلت عليه[3] وحلت له: فمن رواها باللام فمعناها حصلت له ومن رواها بالعين. فمعناها: وقعت عليه شفاعتي ذكره الإمام المحقق في «حادي الأرواح»، والله الموفق.

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» ٩/ ٣١٢.

(٢) أبو داود (٥٢٣).

(٣) الترمذي (٣٦١٤) وأبو داود السابق.



الباب الرابع

في عرض الرب الجنة على العباد، وعدد الجنان، وأسمائها، وذكر السابقين إليها وإن كثر أهلها

هٰذه الآية قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١] فجعل سبحانه وتعالى الجنة ثمنًا لنفوس المؤمنين وأموالهم بحيث إذا بذلوها ٱستحقوا الثمن، وعقد معهم هٰذا العقد وأكدّه بأنواع من التأكيد:

أحدها: إخباره به سبحانه بصيغة الخبر المؤكد بأداة: أن.

الثاني: الأخبار بذٰلك الصيغة الفعلية الماضوية الذي مفهومها وقع وثبت واستقر.

الثالث: إضافة هٰذا الفعل إلى نفسه. وإن هو الذي ٱشترى هٰذا المبيع.

الرابع: بأنه أخبر بأنه وعد تسليم هٰذا الثمن وعدًا لا يخلفه.

الخامس: أنه أتى بصيغة على الآتي للوجوب إعلامًا لعباده بأن ذٰلك حقًا عليه بأن ذٰلك حقًا عليه أحقه، وهو على نفسه وإن كان سبحانه لا يجب عليه شيء. ولٰكن هٰذا واجب الوقوع لأنه وعد به وهو لا يخلف الميعاد.

السادس: إنه أكد ذٰلك بكونه حقًا عليه سبحانه يقال حق الشيء

إذا ثبت ووجب ولهذا قيل لمرافق الدار حقوقها: أي حقًا إيقاعه وإن كان غير واجب عليه تعالى.

السابع: إخباره عن محل هذا الوعد وأنه في أفضل كتبه المنزلة من السماء: وهي التوراة، والإنجيل، والقرآن.

الثامن: إعلامه لعباده بصيغة الاستفهام الإنكاري أنه لا أحدًا أوفى بعهده منه سبحانه.

التاسع: أنه أمرهم يبشروا بهذا العقد الثابت الذي لا يثبت فيه خيار ولا يعرض له ما يفسخه.

العاشر: أنه أخبرهم إخبارًا مؤكدًا أن ذلك هو الفوز العظيم والبيع هنا هو المبيع الذي أخذوه بهذا الثمن وهو الجنة. ودلت الآية على عظم خطر النفس الإنسانية فإن السلعة إذا خفي قدرها فانظر إلى المشتري من هو، وانظر إلى الثمن المبذول فيها ما هو، وانظر إلى من جرى على يده العقدة.

فالسلعة النفس، والمشتري البارئ جل شأنه، والثمن جنان النعيم، والسفير هو البشير النذير ﷺ لقد عظم قدرك أيها المؤمن حيث اشتراك خالقك ومولاك، وجعل الجنة ثمنك، ومثواك فنعم المشتري الملك الجبار، ونعم الدلال والسفير المصطفى المختار، ونعم الثمن دار القرار.

قد رشحوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

فإن قلت: لم اشترى الأنفس والأموال دون القلوب والأوصال فالواجب أن الآية نزلت في الحث على الجهاد، والجهاد يكون بالنفس والمال والنفس يراد بها هذا الهيكل جملة فالمراد بالنفس جملة البدن. فإن

قلت: أين كان هٰذا البيع، فالجواب: كان في عالم الذر كما ذكره الجلال السيوطي، والحكمة في هٰذا والله أعلم ليعلم العبد أنه إذا تصدق وأنفق ماله في وجوه الخير وبذل نفسه في الجهاد ومنفعة العباد لا يكون له في ذٰلك نوع منة لأنه لا نفس له، ولا مال بل هو وماله لله رقًا ومبيعًا. ثم حكم آخر ليس هٰذا محل ذكرها. والله أعلم.

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي اللهُ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل ألا أن سلعة الله غالية ألا أن سلعة الله الجنة»**(١).

قال الترمذي: حديث حسن غريب قوله: أدلج أي سار الليل كله، والمعنى بالغ في السير إلى الله تعالى، واجتهد وشمر عن ساق الجد والاجتهاد في طاعة الملك الجواد.

وعند أبي نعيم عن أنس رضي اللهُ عنه أنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ قال: ما ثمن الجنة؟ قال: **«لا إلٰه إلا الله»**(٢) قال في «حادي الأرواح»، وشواهد هٰذا الحدث كثيرة.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي اللهُ عنه أن النبي ﷺ جاء أعرابي. فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة. قال: **«تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان. قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هٰذا شيئًا أبدًا ولا**

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٠) كتاب: صفة القيامة، باب (١٨). والحاكم في «المستدرك» ٤/ ٣٠٧ كتاب: الرقاق.

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل» ٨/ ٦٥ ترجمة: موسىٰ بن إبراهيم.

أنقص منه». فلما ولّى قال: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»(١).

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي اللهُ عنه قال: أتى النعمان بن قوقل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ أرأيت إذا صليتَ المكتوبة وحرمتُ الحرامَ وأحللتُ الحلالَ، أدخلُ الجنةَ؟ فقال النَّبي ﷺ: «نعم»(٢) وفيه عن عثمان بن عفان، مرفوعًا: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخلَ الجنَّةَ»(٣).

وفي المسند وسنن أبي داود، عن معاذ رضي اللهُ عنه، عن النَّبي ﷺ أنه قال: «من كان آخر كلامُه: لا إله إلا الله، دخل الجنَّةَ»(٤).

وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي اللهُ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني آت من ربي فأخبرني - أو قال: فبشَّرني - أنَّ من ماتَ من أمتِكَ لا يشرك باللهِ شيئًا دخل الجنة قلت: وإن سرق وإن زنا؟ قال: وإن زنا وإن سرق. وإن زنا وإن سرق» وفي لفظ: «قلت: وإن زنا وإن

---

(١) رواه البخاري (١٣٩٧) كتاب: الزكاة، باب: وجوب الزكاة.
ومسلم (١٤) كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة ....

(٢) رواه مسلم (١٥) كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة...

(٣) رواه مسلم (٢٦) كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣) باب: ما يقول عند الموت، وأحمد ١/ ٦٥.

(٤) رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (١١٤٢) باب: ثواب من كان يشهد أن لا إله إلا الله. وأحمد ٥/ ٢٣٣. والطبراني في «الكبير» ٢٠/ ٤٥ (٧١).

سرق؟ قال: وإن زنا وإن سرق قلت: وإن زنا وإن سرق؟ قال: وإن زنا وإن سرق، وإن رغم أنف أبي ذر»[١] في الثانية أو في الثالثة.

وفي الصحيحين أيضًا عن عبادة بن الصامت رضي اللهُ عنه مرفوعًا: «من قال: أشهد أنَّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، وأنَّ عيسى عبد الله ورسولُهِ وكلمتُه ألقاها إلى مريمِ وروحٌ منه، وأنَّ الجنَّة حق، وأن النارَ حقٌ، أدخله الله من أي أبواب الجنَّة الثمانية شاء». وفي لفظ: «أدخله الله الجنَّة على ما كان من عملٍ»[٢] وفي صحيح مسلم: أنَّ رسول الله ﷺ أعطى أبا هريرة نعليه فقال: «اذهبْ بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هٰذا الحائطِ يشهدُ أنَّ لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه، فبشره بالجنَّة»[٣]. وقال الحسن ثمن الجنَّة: لا إله إلا الله.

وأخرج أبو نعيم بإسناد صحيح، عن جابر رضي اللهُ عنه

---

(١) رواه البخاري (١٢٣٧) كتاب: الجنائز. ومسلم (٩٤) كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه. وأحمد ٥/ ١٥٢. وابن حبان (١٧٠) كتاب: الإيمان، باب: الإيمان أجزاء وشعب لها أعلىٰ وأدنىٰ.

(٢) رواه البخاري (٣٤٣٥) كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ .ومسلم (٢٨) كتاب: الإيمان، باب: الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعا. وأحمد ٥/ ٣١٣-٣١٤. والبزار في «البحر الزخار» ٧/ ١٣٠ (٢٦٨٢).

(٣) رواه مسلم (٣١) كتاب: الإيمان، باب: الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعا.

وابن حبان ١٠/ ٤٠٨-٤٠٩ (٤٥٤٣) كتاب: السير، باب: الخلافة والإمارة.

مرفوعًا: «لا يدخل أحدًا منكم الجنَّة عملُه ولا يجيره من النار، ولا أنا إلا بتوحيد الله»[١] وأصل الحديث في الصحيح.

وهنا نكتة لابد من التنبيه عليها وهي: أنا قدمنا الجنَّة إنما تدخل برحمة الله تعالى وليس عمل / العبد مستقلاً بدخولها وإن كان فيه نوع سبب لدخولها وهو كذلك.

فإن قلت: قد أثبت اللهُ تعالى دخول العبادِ الجنة بالأعمالِ في غيرِ موضع مِنْ كلامه القديم كقوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢] و﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزخرف: ٧٢] ونفى رسولُ اللهِ ﷺ دخولها بالأعمال في غيرِ حديث كقولِه ﷺ: «لن يدخل أحد منكم الجنةَ بعمله»[٢].

فالجواب: أنَّه لا تنافي بين كلام اللهِ وكلام حبيبه ورسوله ﷺ أصلا لوجهين: أحدهما ما ذكره سفيان، وغيره قال: كانوا يقولون: النجاة من النارِ بعفو الله، ودخول الجنة برحمته، وانقسام المنازل والدرجات بالأعمالِ ويدل على هٰذا حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إنَّ أهْلَ الجنةِ إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم»[٣] رواه الترمذي.

(١) رواه مسلم (٢٨١٧) كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار. ولفظه: «... ولا أنا إلا برحمة من الله». وأحمد ٣/ ٣٩٤.

(٢) رواه البخاري (٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦)من حديث أبي هريرة بمعناه.

(٣) رواه الترمذي (٢٥٤٩) كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء في سوق الجنة.
وابن ماجه (٤٣٣٦) كتاب: الزهد، باب: صفة الجنة.
وابن حبان ١٦/ ٤٦٦-٤٦٨ (٧٤٣٨) كتاب: إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب: وصف الجنة وأهلها.

الثاني: الباء التي نفتْ الدخول باء المعاوضةِ التي يكون فيها أحد العوضين مقابلاً للآخر، والباء التي أثبتت الدخول باء السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره وإنْ لم يكن مستقلاً بحصوله. وقد جمعَ النبيُّ ﷺ بين الأمرين في قوله: «**سدّدوا، وقاربوا، وأبشروا، واعلموا أنَّ أحدًا منكم لنْ ينجو بعمله**». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أنْ يتغمدني اللهُ برحمته**»[1].

---

(١) رواه الترمذي (٢١٤١) كتاب: القدر، باب: ما جاء أن الله كتب كتابًا لأهل الجنة وأهل النار. والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٤٧٣) كتاب: التفسير، سورة الشورىٰ. وأحمد ٢/ ١٦٧.

فصل

واعلم أنَّ أهْلَ الجنةِ ينبغي لهم أنْ يطلبوها، ويجتهدوا في طلبها قال تعالى حاكيًا عن أولي الألباب من عبادِه: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران: ١٩٤] فالمعنى: آتنا ما وعدتنا مِن دخولِ الجنةِ، ونعيمها، وما أعددته لنا فيها على ألسنة رسلك صلوات الله وسلامه عليهم ولا تخزنا يومَ القيامةِ بإدخالنا النار، وإظهار ما ٱقترفنا من الذنوبِ والأوزار، واستر علينا فإنك أنت الستار، واغفرْ ذنوبَنا إنك أنتَ الغفَار. وقال تعالى:

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّـةُ ٱلْخُـلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَـٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾ [الفرقان: ١٥ ـ ١٦].

يسأله إياه عباده المؤمنون ويسأله إياه ملائكته المقربون لهم والجنة تسأل ربّها أهلها وأهلها يسألونه إياها والرسل يسألونه إياها لهم ولأتباعهم.

وأخرج أبو نعيم عن أنسٍ رضي اللهُ عنه والترمذي والنسائي وابنُ ماجه عن يزيد بنِ أبي مريم عن أنس رضي اللهُ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما مِنْ مُسلم يسألُ اللهَ الجنَّةَ ثلاثًا قالت الجنة: اللهمَّ أَدْخِلْهُ الجنةَ. ومَن ٱستجارَ بالله من النارِ ثلاثًا، قالت النارُ: اللهم أجِرْه من النار»**[1].

---

(١) رواه أحمد ٣/ ١١٧، والترمذي (٢٥٧٢)، والنسائي ٨/ ٢٧٩، وابن ماجه (٤٣٤٠)

وأخرج ابن أبي شيبة، عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ما سأَلَ الله عبدٌ الجنةَ في يومٍ سبعَ مراتٍ، إلا قالت الجنَّةُ: يا رب إنَّ عبدَك فلانًا سألني، فَأدخلْنِيه**».

وأخْرجَ أبو يعلى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ٱستجار عبدٌ من النَّارِ سبع مرات، إلا قالت النَّارُ: يا رب إنَّ عبدك فلانًا ٱستجار مني فأجِرْه ولا يسأل عبدٌ الجنةَ سبعَ مرات، إلا قالت الجنةُ: يا رب إنَّ عبدك فلانًا سألني فأدْخِلْه الجنة**»[1]. قال في حادي الأرواح: إسنادُه على شرطِ الصحيحين وعند أبي داودَ عنهُ مرفوعًا: «**مَنْ قال: أسألُ اللهَ الجنَّةَ سَبْعًا: قالتِ الجنةُ: اللهُمَّ أدْخله الجنةَ**»[2]، وعند الحسن بن سفيان عَنْ أبي هريرةَ أيضًا مرفوعًا: «**أكثروا مسألة الله الجنة واستعيذوا بالله من النار، فإنَّهما شافعتان مشفعتان وإنَّ العبدَ إذا أكثر مسألة الله الجنة. قالت الجنةُ: يا رب عبدك هٰذا الذي سألنيك فأسْكنه إياي، وتقول النَّارُ: يا رب عبدك هٰذا الذي ٱستعاذ بكَ منِّي فأعذه**»[3].

واعلمْ أنّ جماعةً مِنَ السَّلفِ ٱمتنعوا أنْ يَسْألوا اللهَ الجنةَ، وقالوا: حسبنا أنْ يجيرنا مِنَ النَّارِ منهم: أبو الصهباء وعطاء السلمي.

---

(١) رواه أبو يعلى ١١/ ٥٤-٥٥ (٦١٩٢)، وابن حبان في المجروحين ٣/ ١٤٠.

(٢) رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده»(٢٧٠٢)، والدارقطني في «العلل» ١١/ ١٨٩، قُلْتُ: قَالَ المصنف: وعند أبي داود. ومن المعروف أنه إذَا أطلق قصد به السنن لأبي داود السجستاني، وقد أطلقه هنا وقصد به الطيالسي.

(٣) رواه أبو عبد الرحمن الضبي في الدعاء ص٣٦٣ (١٥٨).

روي أن أبا الصهباء صلى ليلة إلى السَّحَر ثم رفعَ يديه وقال: اللهمَّ أجرني مِن النار أَوَ مثلي يجترئ يسألك الجنةَ؟ وكان عطاء السلمي لا يسأل الجنة، فقال له صالح المري: إنَّ أبان حدَّثَني عَنْ أنسٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**يقولُ اللهُ عزَّ وجل: ٱنظروا في ديوانِ عبدي فمن رأيتموه سَأَلَني الجنةَ أعطيته، ومَنْ ٱستعاذني من النارِ أعذته**»[1]. فقال عطاء: كفاني أنْ يجيرني من النَّارِ. ذكرهما أبو نعيم: هكذا رأى هٰؤلاء السَّادةُ، مع أنَّه أخرجَ أبو داود عن جابرٍ رضي اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا يسأل بوجه اللهِ إلاَّ الجنة**»[2].

وأخرجَ أيضًا أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: للفتى - يعني: الذي شكاه: «**كيف تصنع يا ابن أخي إذا صليت؟**» قال: أقرأُ بفاتحةِ الكتابِ، وأسألُ الله الجنَّةَ، وأعوذ به من النارِ، وإني لا أدري، ما دندنتك، ودندنة معاذ؟ فقال النبيُّ ﷺ: «**إنِّي ومعاذ حولها نُدندن**»[3]، وفي الحديث: «**ما مِن يوم إلاَّ والجنة والنار يسألان: تقول الجنةُ: يا رب قَدْ طابت أثماري واطردت أنهاري، واشتقتُ إلى أوليائي، فعجلْ إليَّ بأهلي**». الحديث.

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية»٦/ ١٧٥، وذكره ابن رجب الحنبلي في التخويف من النار ص٥٨، وقال: وروى صالح المري عن أبان عن أنس، فذكره ثم قَالَ: وإسناده ضعيف.

(٢) رواه أبو داود (١٦٧١).

(٣) رواه أحمد ٣/ ٤٧٤، وأبو داود (٧٩٢)، وابن خزيمة (٧٢٥)، وابن حبان (٨٦٨).

فالجنةُ تطلبُ أهلَها بالذات، وتجذبهم إليها جذبًا. والنار كذٰلك. وقد أمرنا نبينا ﷺ بدوام ذكرهما، وحثنا على ذٰلك حثًا بليغًا.

أخرج أبو يعلى الموصلي عن ابن عمرَ رضي اللهُ عنهما قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**لا تنسوا العظيمتين**». قالوا: وما العظيمتان يا رسولَ اللهِ؟ قال: «**الجنة والنَّار**»[١].

وعند أبي بكرٍ الشافعي عن كليب بن حزن مرفوعًا: «**اطلبوا الجنة جهدكم، واهربوا من النّارِ جهدكم؛ فإنَّ الجنةَ لا ينام طالبُهَا، وإنَّ النارَ لا ينام هاربها. وإن الآخرةَ اليوم محفوفةٌ بالمكاره، وإن الدنيا محفوفة باللذات، والشهوات. فلا تُلهِيَنَّكم عن الآخرة**»[٢].

قال الإمام ناصر السنة ابن الجوزي قدَّس الله روحه: ٱعلمْ أنَّ الجنةَ محفوفةٌ بالمكاره، فمتى أردتها فاصبرْ عما تكره لعلك تنال ما تحب، واعلمْ أنَّ الدُّنيا، والآخرةَ ضرتان، فمتى أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى، والعاقلُ يَشْغلُ قلبَه بمولاه، ويطلبُ بكلِّ جهده ورضاه. شعر لمؤلفه[٣].

ومَنْ لي بأن ترضى علي ولم يكن ... لنفسي مطلوب سواك ومقصد
وتسكن في قلبي المحبة والرضا ... وأمسي لديك الله أسعى وأحفد

---

(١) أورده ابن رجب الحنبلي في التخويف من النار ص٤٤ وعزاه لأبي يعلى ولم أجده في المطبوع. الكنى والأسماء للدولابي رقم (١٤٢٠) التاريخ الكبير للبخاري (١/ ٤١٧) المطالب العالية (٣٣١٨) صفة النار لابن أبي الدنيا (٢) سيأتي في ص١٢٨٩.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٩/ ٢٠٠) رقم ٤٤٩، وفي «الأوسط» (٤/ ٧٣) رقم (٣٦٤٣).

(٣) كتبت بخط صغير في (ط).

فصل
في أسماءِ الجنَّةِ ومعانيها واشتقاقها

قال في «حادي الأرواح»: لها عدة أسماء باعتبار صفاتها ومسماها واحد باعتبار الذات، فهي مترادفةٌ من هٰذا الوجه، وهكذا أسماء الربِّ تعالى، وأسماء كتابه، وأسماء رسوله، وأسماء اليوم الآخر، وأسماء النَّارِ.

الاسم الأول: الجنة، وهو العامُ المتناول لتلك الدارِ جملة، وما ٱشتملت عليه في أنواع النعيم، وأصل ٱشتقاقه من الستر والتغطية، ومنه الجنين لاستتارة فى البطن والجان لاستتارهم عن عيون الإنس، والمجن، السترة ووقاية الوجه، والمجنون لاستتار عقله، وتواره عنه. والجان وهي الحية الصغيرة الدقيقة، ومنه سُمي البستان جنة؛ لأنه يستر ما داخله من الأشجار، ولا يطلق هٰذا الأسم إلا على موضعٍ كثير الشجر مختلف الأنواع، والجنة بالضم ما يستجن أي: يوقى به من نحو ترس، وبالكسر الجن كما في قوله تعالى ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٦].

الثاني: دارِ السلام وقد سَمَّاه اللهُ بهذا الأسمِ في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧] وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥]، وهي جديرةٌ بهذا الأسمِ؛ لسلامتها من كلِّ بلية، وآفة فإن الله هو السلام، وهي داره، فمن أسمائه الحسنى

السلام. فالله سبحانه سلم هٰذه الدار، وسلَّم أهلَها من كلِّ نكبةٍ وداهية، وتحيتهم فيها سلام، والربُّ تعالى سلم عليهم من فوقهم والملائكةُ يدخلون عليهم من كلِّ بابٍ سلام عليكم، وكلامهم كله فيها سلام، ولا يسمعون فيها لغوًا إلا سلامًا.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ۝٩١﴾ [الواقعة: ٩٠ ـ ٩١] فحقق في «حادي الأرواح» أنَّ المعنى: سلام لك أيُّها الراحل في الدنيا سلموا من الدُّنيا وأنكادها والنار وعذابها فبشر بالسلامة عند ٱرتحاله مِنَ الدنيا وقدومه على الله تعالى، كما يُبشِّره المَلك روحَه عند أخذها بقوله: «**أبشري بروح وريحان ورب غير غضبان**». وهٰذا أوَّلُ البشرى التي للمؤمنين في الآخرةِ.

الثالث: دارُ الخلدِ وسميت بذٰلك لأنَّ أهلَها لا يظعنون عنها واشتقاقُه مِنَ الخلدِ وهو دوامُ البقاءِ. تقول: خلد الرجلُ يخلدُ خلودًا وأخلدَه اللهُ سبحانَهُ وتعالى إخلادًا. وخلَّده تخليدًا أبقاه. وأخلدتُ إلى فلانٍ: ركنتُ إليه.

وأخلد بالمكان أقام به وأمَّا الخَلَدُ بالتحريك: فالبال.

يقال: سنح في خَلدي أيْ: خطرَ في روعي وبالي وقلْبي والخلدُ أيضًا ضربٌ من الجرادين أعمى. والله أعلم.

الرابع: دارُ المقامة: قال تعالى حكاية عن أهلها: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ۝٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥] قال مقاتل: أنزلنا دار الخلود

أقاموا فيها أبدًا لا يموتون ولا يتحولون. قال أهلُ اللغةِ: المقامة والإقامة بمعنى.

الخامس: جنَّة المأوى، وهو مفعل من آوى يأوي أي ٱنضم إلى المكان. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١] وقال في النار: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النازعات: ٣٩] وقال تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم: ١٤، ١٥].

قال عطاء عن ابن عباسٍ رضي اللهُ عنهما: هي الجنَّةُ التي يأوي إليها جبريلُ والملائكةُ. وقال مقاتل: هي جنَّةٌ تأوي إليها أرواحُ الشُّهداءِ. وقال كعب: جنَّةُ المأوى جنَّة فيها طير خضر ترعى فيها أرواحُ الشُّهداءِ.

وقالت عائشةُ رضي اللهُ عنها: هي جنَّةٌ من الجنات.

قال المحققُ: والصحيح أنَّه ٱسمٌ مِنْ أسماءِ الجنَّةِ.

السادس: جنات عدن قيل هو ٱسمٌ لجنَّة من جملة الجنَّاتِ.

قال المحقق: والصحيحُ أنّه ٱسم لجملة الجنات، فكلها جنَّات عدنٍ.

قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [مريم: ٦١] وقال: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [فاطر: ٣٣] وقال تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [الصف: ١٢].

والاشتقاق يدلُّ على أنَّ جميعها جنات عدن فإنَّه مِنَ الإقَامةِ والدوام. يقال عدن بالمكان: إذا أقامَ به وعدنِتُ البلد: توطنته، وعدَنَت الإبلُ بمكان كذا: لزمته فلم تبرحْ منه.

قال الجوهري: ومنه جنَّات عدن أي: جنَّات إقامة. وثَمّ قولٌ بأنَّ جنَّةَ عدنٍ ٱسمٌ لموضع من الجنَّة مخصوص(١).

وهو جنَّة من جملة الجنان. قلتُ: ولا مانع من كونه ٱسم لموضع مخصوص، ويطلق على الكلِّ أنَّه عدن أي: أقام وخلد واستمر وأما أنّه جنَّةٌ مخصوصة من جملة الجنان فهٰذا أظهر من الشَّمسِ الصابحة لورودِ الأحاديث الثابتة بذٰلك.

وكنتُ تابعت الإمامَ المحقق في المسودة على أنَّها ٱسمٌ لجميعِ الجنان وليستْ هي جنَّة بنفسها مستقلة. ثُمّ ظَهر لي أنَّ الحقَّ أنَّ جنَّةَ عدن ٱسمٌ لموضعِ مخصوص في الجنَّات وإنْ جازَ إطلاقُه على جملةِ الجنَّات لصدق ذٰلك على جملتها كما فهم مما قررنا. وحجة ما ٱخترناه ما أخرجَ الطبرانيُّ في المعجم عن أبي الدرداء رضي اللهُ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ينزل اللهُ تعالى في آخر ثلاث ساعات بقين من اللَّيل، فينظر الله في السَّاعةِ الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينظر في الثانية في جنَّة عدن وهي مسكنه الذي يسكنُ لا يكون معه فيها أحد إلاَّ الأنبياء والشُهداء والصديقون، وفيها ما لم يره أحدٌ ولا خَطَر على قلبِ بشرٍ ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول:**

(١) «حادي الأرواح» ١٣٨-١٤٣.

ألا مستغفر يستغفرني فأغفر له؟ ألا سائل يسألني فأعطيه؟ ألا داع يدعوني فأستجيب له؟ حتَّى يطلعَ الفجرُ»[١] قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] فيشهده اللهُ.

وأخرج الدَّارمي عن ابن عمرَ موقوفًا: «خلق اللهُ أربعةَ أشياء بيده: العرش، والقلم، وعدن، وآدم ثم قال لسائرِ الخلقِ: كُنْ. فكان»[٢].

وأخرج الدارمي عن ميسرة: «إن اللهَ لم يمس شيئًا من خلقه بيده غير ثلاث: خلَقَ آدمَ بيدِهِ، وكتبَ التَّوراةَ بيده، وغرسَ جنَّةَ عدن بيده»[٣].

وأخرج عن كعب قال: «لم يخلق اللهُ بيده غيرَ ثلاث: خَلقَ آدم بيده، وكتب التوارة بيده، وغرسَ جنَّة عدن بيده ثم قال لها: تكلَّمي. قالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾» [المؤمنون: ١][٤].

---

(١) الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٥/ ١٣٩)، والدارقطني في «النزول» (١٥٧)، واللالكائي في «أصول السنة» (٣/ ٤٤٢)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٩٣-٩٤)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١٣٥)، والدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (٣٢). أورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٤١٢)، وقال رواه البزار، وفيه: زيادة بن محمد، وهو ضعيف.

(٢) رواه الدارمي في «نقض عثمان بن سعيد على المريسي»(٤٤)، واللالكائي (٧٣٠)، والطبري في «تفسيره»٢٣/ ١٨٥.

(٣) رواه الدارمي في «نقض عثمان بن سعيد» (٤٥)، والطبري في «تفسيره»١٨/ ١.

(٤) رواه الدارمي في «نقض عثمان بن سعيد» (٤٦)وهذه الآثار السابقة انظر ص١٠١٣، ١٠١٤.

وذكَرَ الحاكمُ[1] عَنْ مجاهدٍ: أنَّ اللهَ تعالى غرسَ جنَّات عدن بيده فلما تكاملتْ أغلقتْ فهي تفتح كل سحرٍ، فينظر اللهُ إليها فيقول: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١﴾.

وأخرجَ ابن أبي الدُّنيا عن أنسٍ رضي اللهُ عنه مرفوعًا: **«خَلَقَ اللهُ جنَّةَ عدن بيده لبنة مِنْ درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء، ولبنة من زبرجدة خضراء ملاطُها المسك وحصباؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران. ثُم قال لها: انطقي. قالتْ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١﴾. فقال اللهُ عزَّ وجل: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيكِ بخيلٍ»** ثم تلا رسولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[2] [الحشر: ٩] فهٰذه الجنَّة من الجنان كآدم في نوع الحيوان بجامع أنَّ كلاً منها خلقهُ اللهُ بيده جلَّ شأنه وتعالى سلطانُه.

قال في «حادي الأرواح»: تأملْ هٰذه العناية كيف خصَّ الجنَّةَ التي غرسها بيديه لمن خلقه، ولأفضل ذريته اعتناء وتشريفًا وإظهار الفضل لما خلقه بيده على غيره[3]. فهٰذا كلّه يدلُّ على أنَّ جنةَ عدن اسمٌ لموضعٍ من الجنان مخصوص ويُطلق على جملةِ الجنات، إما حقيقة

---

(١) أبو نعيم في «صفة الجنة» (١٨)، والطبراني في «تفسيره» (١٨/ ١).

(٢) أورده الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب»(١٥٥٣)، (٢١٩٢)، وعزاه المصنف لابن أبي الدنيا في صفة الجنة.

(٣) «حادي الأرواح» ص١٥٦.

لوجود الحقيقة وهي الإقامة والدوام والاستمرار، وإمَّا مجازًا من بابِ إطلاقِ البعض على الكلِّ. هٰذا ما ظهرَ لي، واللهُ تعالى أَعْلم.

السابع من أسْماءِ الجنَّةِ: دار الحيوان قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] والمراد الجنة.

قال أهلُ التَّفسير: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ﴾ يعني: الجنة ﴿لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ هي: دارُ الحياةِ التي لا موتَ فيها.

قال أهلُ اللغةِ: الحيوان بمعنى: الحياة.

قال أبو عبيدة وابن قتيبة: الحياة: الحيوان.

وقال أبو عبيدة: الحياة والحيوان والحي بكسر الحاء واحد.

قال أبو علي: يعني: إنها مصادر، فالحياة فعلة كالجبلة، والحيوان كالنزوان والغليان، والحي كالعي.

وقال أبو زيد: الحيوان ما فيه روح، والموتان والموات ما لا روح فيه والصواب: أنَّ الحيوان يقع على ضربين: أحدهما: مصدر كما حكاه أبو عبيدة، والثاني: وصف كما حكاه أبو زيد.

فعلى قول أبي زيدٍ يكون المعنى أنها الدَّارُ التي لا تفنى ولا تنقطع ولا تبيد كما تفنى الأحياء في هٰذه الدَّارِ فهي أحق بهٰذا الأسمِ من الحيوان الذي يفنى ويموت والأول أظهر والله أعلم.

الثامن: الفردوس.

قال تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ

فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠ ـ ١١] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف: ١٠٧].

قال المحقق: والفردوس ٱسمٌ يُقال على جميعِ الجنةِ ويقال على أفضلها وأعلاها كأنَّه أحقَ بهذا الأسمِ من غيره من الجنات. وأصلُ الفردوسِ البستان والفراديس البساتين.

قال كعب: هو البستان الذي فيه الأعناب. وقال الليثُ: الفردوس جنة ذات كروم يُقال: كرم مفردس أي: معرش. وقال الضحاك: واختارَه المبرد أنها الجنة الملتفة بالأشجار. وقيل: إنه ليس بعربي وإنَّما هُوَ رومي ومعناه بالْعربيةِ: البستان قاله الزَّجاج وقال: حقيقته البستان الذي يجمعُ كلَّ ما يكون في البساتين.

قال حسان بن ثابت رضي اللهُ عنه:

وإنّ ثوابَ اللهِ لكل مخلد　　جنان من الفردوس فيها يخلد

التاسع: جنات النعيم

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [لقمان: ٨] وهو ٱسمٌ جامع لجميع الجنات لمَا ٱشتملت عليه من النعيمِ المقيمِ.

العاشر: المقام الأمين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ [الدخان: ٥١] فالمقامُ موضعُ الإقامةِ والأمين الأمن من كلِّ سوءٍ ومكروه.

الحادي عشر والثاني عشر: مقعد الصدق وقدم الصدق

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥] فسمى الجنة مقعد صدق لحصول ما يراد من المقعد الحسن كما يقال: مودة صادقة إذا كانت ثابتةً وموضوعُ هٰذه اللفظة في كلامهم الصحة والكمال ومنه قوله ﷺ: **«الصدقُ يهدي إلى البرِ، والبرُ يهدي إلى الجنَّةِ»**[١]. ومنه الصدق في الحديثِ، والصدقُ في العملِ، والصديقُ الذي يصدق قوله بالعمل.

وفسر قدم الصدق بالجنَّةِ، وفسر بالأعمالِ التي تُنالُ بها الجنةُ، وفسر بالسابقة التي سبقت لهم من الله، وفسر بالرسول الذي على يده وهدايته نالوا ذٰلك. قال المحققُ: والتحقيق أنَّ الجميعَ حق فإنَّهم سبقتْ لهم مِنَ اللهِ السابقة بالأسبابِ التي قدَّرَها لهم على يدِ رسوله وادَّخرَ لهم جزاءها يومَ القيامةِ ولسانُ الصِّدقِ هو لسان الثناءِ الصادقِ بمحاسن الأفعال وجميلِ الطرائق وفي كونه لسان صدق إشارة إلى مطابقته للواقع، وأنَّه ثناءٌ بحق لا بباطل.

ومدخلُ الصِّدقِ، ومخرج الصدق هو المدخل والمخرج الذي يكون صاحبه فيه ضامنًا على اللهِ وهو دخوله وخروجه بالله ولله وهٰذه الدَّعوة مِنْ أنفع الدعاء للعبد فإنَّه لا يزال داخلاً في أمرٍ وخارجًا من آخر فمتى كان دخولُه للهِ وباللهِ وخروجه كذٰلك كان قَدْ أُدخلَ مدخل صدقٍ وأخرج مخرج صدق. والله أعلم[٢].

---

(١) رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٢) «حادي الأرواح» ١٤٣-١٤٧.

فصلٌ
في عددِ الجنات وأنواعها

تقدم أنَّ الجنَّةَ ٱسمٌ شامل لجميعِ ما حوته من البساتين والمساكن والقصور، وهي مع ذٰلك جنات كثيرة جدًا كما روى البخاريُّ عن أنسٍ رضي اللهُ عنه أنَّ أمَّ الرّبيع بنت البراء وهي أمُّ حارثة بن سراقة رضي اللهُ عنهم أتتْ رسولَ اللهِ ﷺ فقالتْ: يا نبيَّ اللهِ ألاَ تحدثني عَن حارثة؟ - وكان قُتل يوم بدرٍ، أصابَه سهمٌ غَرْبٌ - فإنْ كان في الجنةِ صبرتُ، وإن كانَ غيرَ ذٰلك ٱجتهدتُ عليه في البكاءِ. قال: **«يا أُمَّ حارثةَ إنَّها جناتٌ وإن ابنكِ أصابَ الفردوسَ الأعلى»**[1].

وأخرج الشيخان عن أبي موسى رضي اللهُ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وما بين القومِ وبين أنْ ينظروا إلى ربِّهم، إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنةِ عدن»**[2][3].

وقال القرطبي في التذكرة[4]: قيل: الجنات سبع: دار الجلال، ودار السلام، ودار الخلد، وجنة عدن، وجنة المأوى، وجنة نعيم،

---

(١) رواه البخاري (٢٨٠٩)، وأحمد ٣/ ٢٦٠، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٩/ ١٦٧.

(٢) رواه البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠).

(٣) «حادي الأرواح» ١٤٨-١٤٩.

(٤) «التذكرة» ص١٧٥.

والفردوس وزادَ بعضُهم عليين في حديث البراء مرفوعًا: «**إن عليين تحت العرشِ**» وقد قالَ تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦] فذكرهما ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [الرحمن: ٦٢] فهٰذه أربعُ واختلفَ في قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ فقيل: فوقهما وقيل: تحتهما. وظاهر كلام المحقق ٱعتماد الثاني واستدلَّ له بعشرة أوجه:

أحدها: قوله تعالى: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ [الرحمن: ٤٨] أي: أغصان أو أفنان شيء من الفواكه وغيرها ولم يذكرْ ذٰلك في اللتين بعدهما.

الثاني: قوله: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾ [الرحمن: ٥٠] وفي الأخرتين ﴿عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦] والنضاخةُ هي: الفوارة، والجاريةُ: السَّارحة الفوارة وهي أحسنُ من الفوارةِ فإنَّها تتضمنُ الفورانَ والجريان.

الثالث: قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ [الرحمن: ٥٢] وفي الأخرتين ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ ولا ريب أنَّ وصفَ الأولتين أكملُ فقيل: الزوجان الرطب واليابس الذي لا يقصر في فضلهِ وجودته عن الرّطبِ. وقيل: صنفٌ معروف وصنف من شكله غريب، وقيل: الحلو والحامض والأبيض والأحمر.

قال المحقق: وفيه أنهم قالوا: ليس في الجنةِ حامضٌ لأنَّه إنما تطلبه الأنفسُ السقيمة ولا سقمَ في الجنَّةِ والله أعلم.

الرابع: أنَّه قال: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۢ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۢ﴾ [الرحمن: ٥٤] وهٰذا تنبيه على فضلها وخطرها في الأخرتين قال: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍۢ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍۢ ۝٧٦﴾ [الرحمن: ٧٦] وفسر الرفرف بالمجالسةِ والبسط، وفسر بالفرش بالمجالس فوقها، وعلى كلٍّ قول فلم يصفه بما وصف به فرش الجنتين الأولتين.

الخامس: أنَّه قال: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍۢ﴾ [الرحمن: ٥٤] أي: قريب سهل يتناولونه كيف شاءوا ولم يذكرْ ذٰلك في الأخرتين.

السادس: أنَّه قال: ﴿فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الرحمن: ٥٦] أي: قد قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم كرضاهن بهم ومحبتهن لهم وذٰلك فيضمن قصرهن لطرف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن أنْ ينظروا إلى غيرهن. وقال في الأخرتين: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ۝٧٢﴾ [الرحمن: ٧٢] ومن قصر طرفها على زوجها باختيارها، أكمل ممن قصرت بغيرها.

السابع: أنَّه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون وإشراقه وحسنه، ولم يذكرْ ذٰلك في التي بعدها.

الثامن: أنَّه سبحانه قال في الأولتين: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ۝٦٠﴾ [الرحمن: ٦٠] وهٰذا يقتضي أنَّ أصحابها مِنْ أهلِ الإحسانِ المطلق الكامل فكان جزاءهم بإحسان كامل.

التاسع: أنَّه بدَأ بوصفِ الجنتين الأولتين، وجعلهما جزاءً لِمَن خافَ مقامَ ربِّه، وهٰذا يدلُّ على أنَّها أعلى جزاء الخائف لمقامه، ورتب

الجزاءَ المذكور على الخوفِ ترتيب مسبب على سبب.

ولما كان الخائفون نوعين مقربين وأصحاب يمين ذكر جنتي المقربين ثمَّ ذكر جنتي أصحاب اليمين.

العاشر: أَنَّهُ قَالَ: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ [الرحمن: ٦٢] والسياق يدُلُ على أَنَّه يقتضي فوق، كما قَالَ الجوهريُّ. ٱنتهى كلامُه مختصرًا ملخصًا(١).

قُلْت: وَيدلُ لما قَالَ: قَولُ ابن زيدٍ: هي يعني: الدار الآخرة أربع:

جنتان للمقربين السابقين ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ [الرحمن: ٥٢] وجنتان لأصحابِ اليمينِ التابعين.

وأخرج البيهقيُّ عَن ابن عباس رضي اللهُ عنهما قَالَ: «**كان عرشُ الرحمن عزَّ وجل على الماءِ، ثمَّ ٱتخذ لنفسِهِ جنةً ثُمَّ ٱتخذ دونها أخرى ثُمَّ أطبقهما بلؤلؤة واحدة**»(٢) فإن قِيل: كيف ٱنقسمت هٰذه الجناتُ الأربع على مَنْ خَافَ مقامَ ربِهِ. فالجوابُ: أَنَّه لما كان الخائفون نوعين مقربين وأصحاب يمين ذكر جنتي المقربين، ثُمَّ ذكر جنتي أصحاب يمين. فالمقربون لهم الجنتان العاليتان واللتان دونهما للذين دونهم وهم أصحاب اليمين. جعلنا اللهُ مِنْ عباده المقربين ومن حِزْبِه المفلحين.

---

(١) «حادي الأرواح» ١٤٩-١٥١.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» ٢/ ٤٧٥، والخطيب في «تاريخ بغداد»٩/ ١١٦.

فإن قِيلَ: هل الجنتان لمجموع الخائفين أم لكلٍّ واحدٍ جنتان وهما البستانان. فالجوابُ: أَنَّ للمفسرين في هٰذا قولين وظاهر كلام المحقق ترجيح الثاني وذكر لترجيحه وجهين:

أحدُهُمَا: مِنْ جِهة النقل وهو قوله ﷺ: **«هما بستانان في رياضِ الجنةِ»**[١].

والثَّاني: مِنْ جهةِ المعنى هو أَنَّ أحد الجنتين جزاء أَداء الأوامر والثانية جزاء ٱجتناب المحارم[٢].

---

(١) رواه الذهبي في «ميزان الاعتدال»٢/ ٢٨٨ ترجمة: الحسين بن داود أبو علي البلخي وقال الخطيب: ليس بثقة، حديثه موضوع.

(٢) «حادي الأرواح» ص١٥١.

فَصْلٌ

وقد ٱتخذ اللهُ سبحانَهُ وَتعالى من الجنات دارًا أَصْفَاهَا لنفسه واختصَّها بالقربِ مِنْ عرشِهِ وغرسها بيده فهي سيدة الجنان. والله سبحانه يختارُ منْ كلِّ نوعٍ أعلاه وأفضله كما ٱختار مِنَ الملائكةِ[1] جبريل، ومن البشرِ محمدًا ﷺ، ومِنَ السماواتِ العليا، ومن البلادِ مكة، ومن الأشهر الأشهر الحرم، ومن الليالي ليلة القدر، ومِنَ الأيامِ يوم الجمعة، ومن الليل وسطه، ومن الأوقات أوقات الصلوات، إلى غير ذٰلك. ذكره في حادي الأرواح[2] وأشَارَ إليه في أولِ الهدى. وذكرته مطولاً في رسالتي اللمعة في فضل الجمعةِ.

وَأخرج الحسن بن سُفْيان عَنْ أَنس مرفوعًا: «**إنَّ الله بنى الفردوس بيده وحظرها على كلِّ مشرك، وكل مدمن الخمر سكير**»[3].

---

(١) وجد في هامش (ط):
قوله: ومِنَ الملائكة جبريل هذا يشعر بأن جبريل أفضل الملائكة. وهو اختيارُ جماعةٍ. وظاهر كلام المحقق ابن القيم بل صريحه أنَّه أفضل الملائكة كما فهم مِن كلامِهِ في حَادي الأرواح والهدى وإغاثة اللهفان وغيرها مِنْ كتبه. والمشهور أَنَّ أفضل الملائكةِ إسرافيل لأنَّه أقرب الملائكة إلى اللهِ وهُوَ الذي يبلغ جبريل بما يأمر به اللهُ وينهى ويقضي كما ثبت ذَلِكَ في الأحاديث والحاصل الصحيح المشهور أَنَّ إسرافيل أفضل الملائكةِ واللهُ سبحانَه أعلى.

(٢) «حادي الأرواح» ص١٥٢.

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان»٥/ ١١ (٥٥٩٠).

وأَخرج الدارمي والنجاد وغيرهما عن عبدِ اللهِ بن الحارثِ مرفوعًا: «**خلق اللهُ تبارك وتعالى ثلاثةَ أشياء بيده: خلقَ آدمَ بيده وكَتَبَ التوراةَ بيدِهِ وغرَسَ الفردوسَ بيدِهِ ثُمَّ قال: وعزتي وجلالي لا يدخلها مِدْمُنُ خمر ولا الدَّيوث**» (كذا هو بتنكير خمرٍ وتعريف الديوثِ) قالوا: يا رسول الله قَدْ عَرفنا مدمن الخمر فما الدَّيوث؟ قال: «**الذي يُقِرُّ السوءَ في أهلِهِ**»[١].

قال المحقق[٢]: قلت: المحفوظ أنه موقوف ثم ذكر من طريق الدارمي عن ابن عمر موقوفًا[٣]: خلق اللهُ أربعةَ أشياء بيدِهِ: العرشَ والقلمَ وعدنَ وآدمَ.

وأخرج أبو الشيخ عَن شمر بن عطية قَالَ: خلق اللهُ جنةَ الفردوس بيده فهو يفتحها كل يوم خميس فيقول: إزدادي طيبًا لأوليائي، ٱزدادي حسنًا لأوليائي[٤].

---

(١) رواه الخرائطي في «مساويء الأخلاق» (٤٢٦، ٤٢٧)، وأبو الشيخ في «العظمة»(١٠١٧)، والبيهقي في «الصفات» (٦٩٢). وأبي نعيم في «صفة الجنة» (٢٣) مختصرًا.

(٢) في «حادي الأرواح» (٧٣-٧٤).

(٣) انظر «الرد علىٰ بشر المريسي» (٣٥)، «الأسماء والصفات» للبيهقي (٤٠٣)، والحاكم (٢/ ٣١٩).

(٤) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (٧٤) ونسبه لأبي الشيخ، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (١٨١) بسند منقطع وهو حسن، انظر ص١٠٠٢.

وأخرج البيهقي عن أبي سعيدٍ[١] رضي اللهُ عنه مرفوعًا: «**إنَّ اللهَ أحاطَ حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرسَ غرسَها بيده وقال لها: تكلمي، فقالتْ:** ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون: ١]، فقال: طوبى لك منزل الملوك» فإن قلت: علم من هٰذه الآثار أنَّ الله خلقَ عدنَ والفردوسَ والعرشَ والقلمَ وآدمَ بيده وكتبَ التوراةَ بيده وفيها لَم يخلقْ اللهُ بيده إلاَّ ثلاثة: آدم وكتبَ التوراةَ وغرسَ جنَّةَ عدنٍ[٢] وفيها القصرُ على أربعةٍ: العرش والقلم وعدن وآدم فما وجه الجمع؟ فالجواب واللهَ أعلم ليس الحصر على بابه بل عبرَ أولاً بما ذكر ثم أعلمنا بأنَّه خلق أشياءَ أُخر.

إما أنَّه تعالى أعلَمَه بذٰلك بعد أن أعلمه بالأول وإما أنَّه ذكر الأول لمناسبةٍ اقتضتْ ذٰلك، كما تقول: ليس في الدار إلا زيد وإن كان فيها غيره وأردت أنَّ الذي ينبغي أن ينوه بذكره إنما هو زيد هٰذا ما ظهر لي وفيه نظر والله أعلمَ.

وفي صحيح مسلم، عن المغيرة بن شعبةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**سَألَ موسى ربَّه: ما أدنى أهل الجنَّةِ مَنزلة؟ قال: رجلٌ يجيء بعدما**

---

(١) «صفة الجنة» لأبي نعيم (٢٣٧)، وجاء من رواية ابن عباس عند أبي نعيم في «صفة الجنة» (١٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٠٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٩٢)، وأنس عند أبي نعيم في «صفة الجنة» (١٧)، وانظر ص٩٩٦.

(٢) جاء في هامش الأصل: غير واحد تعرض لهذا الإشكال وهو وارد ولعل سكوتهم عن التوفيق له يقتضي ما اختاره المحقق أن عدن اسم لمجموع الجنَّة وأن المراد غرس جميع ثمار الجنَّة فليتأمل ذَلِكَ وليحرر. والله أعلم. مؤلف.

دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ فيقال له: ٱدخلْ الجنَّة فيقول: ربِ كيف وقد نزلَ الناسُ منازلَهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقول له: أترضى أن يكون لك مثل ملكِ من ملوك الدُّنيا؟ فيقول: رضيتُ رب فيقول له: لك ذٰلك ومثلُه ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسةِ: رضيتُ رب.

قال: رب فأعلاهم منزلةً؟ قال: أولئك الذين أردتُ غرستُ كرامتهم بيدي وختمتُ عليها فلم تر عينٌ ولم تسمع أذنٌ ولم يخطر على قلبِ بشرٍ». ومصداقه من كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧][1].

---

(١) رواه مسلم (١٨٩)، انظر ص١٠٦٧ ت(١).

فصلٌ
في ذكر أوّل من يقرع بابَ الجنَّةِ

تقدَّم أنَّ أوَّلَ مَن يقرع بابَ الجنَّةِ رسول الله ﷺ وأوَّلَ من يدخلها من الأمم أمته.

وأخرج الطَّبراني عن أنس رضي اللهُ عنه قال رسول الله ﷺ: **«آتي بابَ الجنَّة فاستفتح فيقوم الخازن فيقول: لا أفتح لأحدٍ قبلك ولا أقوم لأحد بعدك»**(١) وذلك أنَّ قيامه إليه ﷺ خاصة إظهار المرتبة ومرتبته، ولا يقوم في خدمة أحدٍ بعده بل خزنة الجنَّةِ دونه يقومون في خدمته، وهو كالملكَ عليهم وقد أقامه الله في خدمة عبده ورسوله، حتَّى مشى إليه وفتح الباب.

وأخرجه مسلمٌ في صحيحه عنه بلفظ: **«آتي بابَ الجنَّةِ يومَ القيامةِ فأستفتح فيقول الخازنُ: مَنْ أنت؟ فأقول: محمدٌ فيقول: بك أُمرت أن لا أفتح لأحد قبلك»**(٢).

وعن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: **«أنا أوَّلُ من يُفتح له بابُ الجنَّةِ إلا أنَّ آمرأةً تَبادِرُني فأقول لها: مَا لكِ أو ما أنتِ؟ فتقول: أنا آمرأةٌ قعدتُ على أيتامي»**(٣).

---

(١) رواه مختصرًا مسلم (١٩٧)، ورواه عبد بن حميد (١٢٧١)، وأحمد ٣/ ١٣٦، وابن منده في «الإيمان»(٨٦٧).

(٢) مسلم (١٩٧) مختصراً.

(٣) رواه أبو يعلى ١٢/ ٧ (٦٦٥١).

وفي الترمذي من حديثِ ابن عباس رضي اللهُ عنهما قال: جَلسَ ناسٌ من أَصحابِ النَّبي ﷺ ينتظرونه فخرج حتَّى إذا دنا منهم سَمِعَهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم: عجبًا إن لله من خلقِه خليلاً اتخذ اللهُ إبراهيمَ خليلاً وقال آخرُ: ماذا بأعجبَ من كلامِه موسى كلَّمَه تكليمًا، وقال آخر: فعيسى كلمةُ اللهِ وروحُه وقال آخر: آدم اصْطَفاه اللهُ فخرج عليهم فسَلَّم وقال: «**سمعت كلامكم وعجبكم إنَّ إبراهيمَ خليل اللهِ وهو كذٰلك، وموسى نجيُّ اللهِ وهو كذٰلك، وعيسى روحُه وكلمتُه وهو كذٰلك، وآدم اصطفاه اللهُ وهو كذٰلك، ألا وأنا حبيبُ اللهِ ولا فخر، وأنا حاملُ لواءَ الحمدِ يومَ القيامةِ ولا فخر، وأنا أوَّلُ شافعٍ وأوَّلُ مشفَّعٍ يوم القيامة ولا فخر، وأنا أكرمُ الأولينَ والآخرينَ ولا فخر**» قوله ﷺ: «**ولا فخر**»[1][2] أي: ولا فخر أعظم من هٰذا الفخر.

وقال بعضهم: وعندي أنَّ معناه أني لا أقولُ ذٰلك افتخارًا واستكبارًا بل على سبيلِ التَّنويهِ والتَّعريفِ والتَّذكر بنعمِ الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝﴾ [الضحى: ١١].

---

(١) رواه أحمد ١/ ٢٨١-٢٨٢، والطيالسي (٢٧١١)، وعبد بن حميد (٦٩٥)، وأبو يعلى (٢٣٢٨)، كلهم عن ابن عباس، وروى الترمذي نحوه (٣١٤٨)عن أبي سعيد، ولم نجد فيه عن ابن عباس، وقال الترمذي عقب حديث أبي سعيد: هَذَا حديث حسن صحيح، وقد روى بعضهم هَذَا الحديث عن أبي نضرة عن ابن عباس بطوله.

(٢) «حادي الأرواح» ١٥٩-١٦٠.

فما قاله ﷺ من باب التَّحدث بالنعم.

نكتة: لا بأس للعالم أن يذكر ما لديه من العلومِ على سبيل التَّنويه ليقصد ويؤخذ عنه ذٰلك لا على سبيلِ الاَفتخارِ فإن ذٰلك مزلة إلى النَّار وبم يعجب العاقلُ وما لديه من العلم ليس من وسعه وقوته وإنما هو من فضل مولاه ومنته والله أعلم.

وعن أنسٍ رضي اللهُ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أول النَّاسِ خروجًا إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا أنصَتوا، وقَائِدهم إذا وفدوا، وشافعهم إذا حُبسوا، وأنا مُبشرهم إذا يئَسوا، لواءُ الحمد بيدي، ومفاتحُ الجنةِ يومئذٍ بيدي، وأنا أكرمُ ولد آدم يومئذٍ على ربِّي ولا فخر يطوف عليَّ ألفُ خادمٍ كأنهم اللؤلؤُ المكنونُ**»[1]. رواه الترمذي، والبيهقي واللفظ له.

وفي صحيح مسلم عن أنَسٍ رضي اللهُ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أكثر الناس تبعًا يومَ القيامةِ، وأنا أوَّلُ مَن يقرعُ بابَ الجنةِ**»[2].

وفي الصحيحين عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نحن السَّابقون الأوَلَّون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتابَ من قبلنا، وأوتيناه من بعدِهم**»[3] أي: لم يسبقونا إلا بهٰذا القدرِ.

---

(١) رواه الترمذي (٣٦١٠).

(٢) رواه مسلم (١٩٦)، وابن أبي شيبة ٧/ ٢٥٧.

(٣) رواه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥)، وابن خزيمة (١٧٢٠).

قال في حادي الأرواحِ: معنى «بيد» معنى سوى، وغير، وإلا أن ونحوها أي من أدواتِ الاستثْناء فمعنى بيد أنهم أي: غير أنهم والله أعلم.

وفي صحيحِ مُسلم عن أَبي هُريرةَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**نحن الآخرونَ الأولونَ يومَ القيامةِ، ونحن أولُ من يدخلُ الجنَّةَ بيد أنَّهم أُوتوا الكتابَ من قبلنا وأوتيناه من بعدِهم فاختلفوا فهدانا اللهُ لما اختلفوا فيه من الحقِّ بإذنهِ**»[1].

وفي الصحيحين عنه مرفوعًا: «**نحن الآخرونَ الأولونَ يومَ القيامة، نحن أَوَّلُ الناسِ دخولاً الجنة بيد أنَّهم أوتوا الكتابَ من قبلنا وأوتيناه من بعدهم**»[2].

وعند الدارقطني عن عمرَ بن الخطاب رضي اللهُ عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الجنةَ حرِّمَت على الأنبياء كلهم حتَّى أَدْخُلَها، وحُرِّمت على الأُمَمِ حتَّى تَدْخُلَها أمتي**»[3].

والحديثُ غريبٌ كما نبه عليه الدَّارقطني والحاصل أنَّ هٰذه الأمةَ المشرفة أسبقُ الأُمَمِ خُروجًا من الأرضِ، وأسبقُهم إلى أعَلى مكانٍ في الموقف وأسبقُهم إلى ظل العرشِ، وأسبقُهم إلى الفصلِ والقَضَاءِ بينهم، وإلى الجَوازِ على الصِّراطِ، وإلى دُخولِ الجنَّةِ فالجنة محرمةٌ على الأنبياءِ حتَّى يدخلَها محمدٌ ﷺ، ومحرمة عَلَى الأمم حتَّى تدخلها أمته

---

(١) سبق. (٢) سبق.

(٣) رواه ابن عدي في «الكامل»٥/ ٢٠٩، وابن أبي حاتم في «العلل»(٢١٦٧).

وذٰلك فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيه مَنْ يَشَاءُ.

وأَخْرَج أبو داود في سُنَنِه عَن أَبي هريرةَ رضي اللهُ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريلُ فأخَذَ بِيدَي فَأرَاني بابَ الجنةِ الذي تدخلُ مِنه أُمَّتِي» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يا رَسُولَ اللهِ وَدَدْتُ أني كُنْتُ مَعَكَ حتَّى أَنْظُرُ إِلَيه، فقال رسولُ الله ﷺ: «أما إنَّك يا أبا بكرٍ أول من يَدْخُلُ الجنة من أُمَّتِي»[1].

وَقَوْله رضي اللهُ عنه: (وددت أني كُنت مَعَك) حِرْصٌ مِنْه عَلى زَيَادَةِ اليَقَينِ وَأنْ يصيرَ الخبرُ عِيَانًا لا أنه رضي اللهُ عنه عنده شَك في ذٰلك - معاذ الله - نَظِيره قَوْل سَيدِّنا إبراهيمَ ﷺ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]. ومن المعلوم أنه ليس الخبر كالعيان وإنْ جزم بأنَّ المخبر به واقع لا محالةَ.

وهٰذا معنى علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين فعلم اليقين حكم الذهن الجازم بالأخبارِ المتواترة كوجود مكة، وحلاوة العسلِ لمن لم ير مكة، ولم يذق العسل. فإذا نظرَ لمكة من أبي قبيس، وشاهد العسلَ فهو عين اليقين. فإذا دخلَ مكة، وذاقَ العسل فهو حق اليقين. والله أعلم.

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٥٢)، والحاكم ٣/ ٧٧، في ن الأصل هامش: قف على أول من يدخل الجنة من هذه الأمة بعد نبيها وهو الصديق الأعظم.

وأمَّا حديث ابن ماجه عن أبيّ بن كعب مرفوعًا: «**أولُ منْ يصافحهُ الحقُّ عمرُ، وأولُ من يسلِّمُ عليهِ، وأولُ منْ يأخذُ بيدهِ فيدخلهُ الجنةَ**»[١] فهو منكر جدًا قاله المحقق وفيه داود بن عطاء قال الإمام أحمد: ليس بشيء وقال البخاري: منكر الحديث[٢].

تنبيه: ٱسمُ خازن الجنَّةِ الذي تقدم ذكره: رضوان فهو المقدم على سائر خزنة الجنان، ورئيسهم، وهو مشتق من الرضا، وأمَّا خازن النَّار فاسمه: مالك مشتق من الملك، وهو القوة والشدة حيث تصرفت حروفه، والخزنة: جمع خازن مثل حفظة وحافظ، وهو المؤتمن على الشَّيء الذي ٱستحفظه وتقدم ذكر الخزنة في عدة مواضع من الأحاديث الصحيحة، والآثار الصريحة. والله تعالى أعلم.

---

(١) رواه ابن ماجه (١٠٣)، والحاكم ٣/ ٩٠، وسكت عنه وقال الذهبي: موضوع.

(٢) «حادي الأرواح» ١٦١-١٦٣.

فصل

وفي البخاري: ومسلم عن أبي هريرة رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أول زمرة تلجُ الجنّةَ صورهم على صورة القمرِ ليلة البدرِ. لا يبصقون فيها، ولا يمتخطون فيها، ولا يتغوطون فيها آنيتهم، وأمشاطهم الذَّهب والفضة، ومجامرهم الألوّة، ورشحهم المسك، ولكلِّ واحد منهم زوجتان[١] يرى مخ ساقهما[٢] مِنْ وراء اللحم مِنَ الحسن لا اختلاف بينهم، ولا تباغض قلوبهم على قلبٍ واحد يسبّحون الله بكرة وعشية**»[٣].

قوله: «**مجامرهم الألوّة**». قال في النهاية: أي: بخورهم العود وهو اسم له مرتجل، وقيل: هو ضرب مِنْ خيارِ العود وأجوده، وتفتح همزته وتضم، وقد اختلف في أصليتها وزيادتها ومنه حديث ابن عمر أنَّه كان يستجمر بالألوة غَير مُطرّاة أي: يتبَّخر بها ليس عليها ألوان الطيب من غيرها. وقال في النهاية: المطراة التي تعمل عليها ألوان الطيب غيرها كالعنبر والمسك والكافور، ومنه قولهم: عسل مطرى أي: مربّى بالأقاوية[٤].

---

(١) ورد في هامش الأصل: أي: موصوفتان بما ذكر، فلا يناقض خبر اثنتين وسبعين أهـ.

(٢) ورد في هامش الأصل: يرى مخ ساقهما إلخ، كناية عن غاية لطافتها أهـ، ويحتمل كناية عن النقاوة والصفاوة.

(٣) رواه البخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤)، وأحمد ٢/ ٣١٦.

(٤) النهاية ٣/ ١٢٣.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رَضِي اللهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «أوّلُ زُمرةٍ يدخلونَ الجنةَ على صورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ، والذينَ يَلُونهم على ضوءِ أشدِّ كوكبٍ دريٍّ في السماءِ إضاءةً. لا يبولونَ، ولا يتغوَّطونَ، ولا يتفلونَ، ولا يمتخطونَ. أمشاطُهم الذَّهبُ، ورشحُهم المسكُ، ومجامرُهم الألُوَّةُ، وأزواجُهم الحورُ العينُ. أخلاقُهُم على خُلُقِ رجُلٍ واحدٍ. على صورةِ أبيهِم ستونَ ذِراعًا في السَّماءِ»[(١)].

وفي حادي الأرواح عن ابن عباس رَضِي اللهُ عَنْهُما قال: قال رسول الله ﷺ: «أوّلُ منْ يُدْعَى إلى الجنَّةِ[(٢)] [الحمَّادونَ][(٣)] الذينَ يحمدونَ اللهَ في السّراءِ والضَّرّاءِ»[(٤)].

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرةَ رَضِي اللهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «عُرِضَ عليَّ أولُ ثلاثةٍ يدخلونَ الجنةَ، وأولُ ثلاثةٍ يدخلونَ النارَ، فأمَّا أولُ ثلاثةٍ يدخلونَ الجنةَ: فالشهيدُ، وعبدٌ مملوكٌ لم يشغلْهُ رقُّ الدُّنيا

---

(١) رواه مسلم (٢٨٣٤)، وأحمد ٢/ ٢٣٠ و٢٤٧ و٥٠٧، أما رواية البخاري فهي بلفظ الحديث السابق.

(٢) في «السنة» للبغوي زيادة: يوم القيامة.

(٣) غير موجودة في «السنة»، ولا في «المستدرك».

(٤) «المستدرك» (١/ ٢٠٥)، والبغوي (٥/ ٥٠)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٩) و«الصغير» (١/ ١٠٣)، «الدر المنثور» (٣/ ٣٨١)، وضعفه الألباني في «المشكاة» (٢٣٠٨)، وفي «السلسلة الضعيفة» (٦٣٢)، والعراقي في «تخريج أحاديث الحلية» (٣٣٧٨).

عَنْ طاعةِ ربِّه، وفقيرٌ متعففٌ ذو عيالٍ وأولُ ثلاثةٍ يدخلونَ النارَ: فأميرٌ مسلَّطٌ، وذو ثروةٍ من مالٍ لا يؤدِّي حقَّ اللهِ مِنْ مالِه، وفقيرٌ فخورٌ»[١].

وأخرج هو، والطبراني واللفظ للطبراني عن عبد الله بن عمر رَضِي اللهُ عَنْهُما قال: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون أول من يدخل الجنة؟ فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لم يستطع لها قضاء تقول الملائكة: ربنا نحن ملائكتك، وخزنتك، وسكان سماواتك لا تدخلهم الجنة قبلنا فيقول: «عبادي لا يشركوا بي شيئا تتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لم يستطع لها قضاء» فعند ذٰلك تدخل عليهم الملائكة من كلِّ باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار»[٢].

فإنْ قيل: ما تقولون في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد، والترمذي وصححه عن بريدة بن الحصيب رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالاً فقال: «يا بلال بم سبقتني إلى الجنة؟ فما دخلت الجنة / ٥٩٠/ قط إلا سمعت خشخشتك أمامي فأتيت على قصر بزيغ مشرف من ذهب فقلت: لمن هٰذا القصر؟ قالوا: لرجلٍ عربي.

---

(١) أحمد (٢/ ٤٢٥، ٤٧٩)، والطيالسي (٢٥٦٧)، وابن أبي شيبة (٥/ ٢٩٦) (١٤/ ١٢٤)، وعبد بن حميد (١٤٤٦)، وابن خزيمة (٢٢٤٩)، وأبي نعيم في «صفة الجنة» (٨٠)، والحاكم (١/ ٣٨٧)، والبيهقي (٤/ ٨٢).

(٢) أحمد (٢/ ١٦٨)، وابن أبي عاصم في «الأوائل»، والبيهقي في «البعث» (٤١٤)، وأبي نعيم في «صفة الجنة» (٨١)، وابن حبان (٧٤٢١).

قلت: أنا عربي. لمن هٰذا القصر؟ قالوا: لرجل من قريش. قلت: أنا قرشي. لمن هٰذا القصر؟ قالوا: لرجل من أمّة محمد؟ قلت: أنا محمد. لمن هٰذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب». فقال بلال: يا رسول الله ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن لله علي ركعتين. فقال رسول الله ﷺ **«بهما»**[1].

وأنتم تقولون: إنَّ أول مَنْ يدخل الجنة محمد، وهي محرمة على الأنبياء حَتَّى يدخلها محمد. فالجواب: أنَّا نتلقى هٰذا بالقبول، والتصديق لصحته عند ذوي النقول، والتحقيق غير أنَّه لا يدل على أنَّ أحدا يسبق النبي ﷺ إلى الجنة[2]، وتقدم بلال رضوان الله عليه إنَّما هو كالحاجب والخادم، ومن عادة الخادم أنْ يمشي بين يدي سيده، ولمَّا كان بلال يدعو إلى الله بالأذان بين يدي رسول الله ﷺ، ويمشي أمامه ليهيئ الماء لوضوئه ﷺ جازاه الله بأن خصه من بين خدم رسول الله ﷺ بالتقدم بين يديه، وقد رُوي أنَّ النبي ﷺ يبعث يوم القيامة، وبلال بين يديه ينادي بالأذان.

---

(١) «حادي الأرواح» ١٦٤-١٦٧. والحديث أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٤) فضائل الصحابة لأحمد (١٧٣١)، وأخرجه تامًا ومختصرًا ابن أبي عاصم في «السنة» (١٢٦٩)، وابن أبي شيبة (٧٠٨٩، ٧٠٨٧)، وابن أبي شيبة (١٢/ ١٥٠)، والطبراني في «الكبير» (١٠١٢)، والترمذي (٣٦٨٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٥٠)، والبغوي (١٠١٢).

(٢) ورد في هامش الأصل: أو يقال: هَذَا في المنام فلا ينافي أن المصطفى أول داخل يوم القيامة ولا يجوز إجراؤه عَلَىَ ظاهره، إذ ليس لنبي أن يتقدمه اهـ. مناوي.

فتقدمه بين يديه إنَّما هو كرامة لرسولِ اللهِ ﷺ وإظهار لشرفه ومزيته لا سبقا من بلال له، كيف وبلال، ومولى بلال، وسائر الخلق حسنة من حسناته ﷺ؟ بل لا وجود لهم لولا تلك الذات المعظمة التي ملأت ما بين السماء والأرض نعما وعلما ومننا، شعر لمؤلفه:

كلُّ الوجود وما في الكون من منن ... ما كان إلا بِطَه كاشف المحنِ
فهو الذي جاء بالدّين المتين وبالـ ... آيات والعلمِ والقرآن والسننِ
وأول الناسِ طرّا في المعاد إلى ... جنات عدن دخولا يا ذوي الفطنِ
رضوان في خدمة المختار قام ولم ... يقم لغير النَّبي المصطفى المدني
وهو الشفيع لنا يوم الحساب إذا ... ما قال كلّ رسولٍ ليس ينجدني
يا سيدي يا رسولَ اللهِ يا أملي ... كنْ لي شفيعا إذا ما خانني زمني/ ٥٩١/
وا خجلتي من ذنوبي يوم ينشرها ... ربي (فواوجلي)[1] منها ويا حني
لٰكن ملتجأي سرّ الوجود ومن ... به نجونا من التخليط والفتن
محمد المصطفى كنز الضعيف غدا ... إذا بدا للعدا نار لدي نتن
صلى عليه إلٰه العرشِ ما صدحت ... ورقُ الحمامِ وما ناحت على فنن
والآل والصحب والأزواج كلهم ... (والتابعون)[2] لهم نقالة السّنن[3]

(١) في (ب) (فواخلتي).

(٢) في الأصل (والتابعين) والصواب ما أثبتناه.

(٣) هذه الأبيات فيها من الغلو والتوسل البدعي وطلب أمور وحوائج لا تطلب إلا من الله عز وجل عفى الله عنا وعنه، مثل قوله (الأبطه كاشف المحن).

فصل

وتقدم أنَّ الفقراء يسبقون الأغنياء إلى الجنةِ بخمسمائة عام

أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رَضِي اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**يدخل فقراء المسلمين الجنة قبلَ أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام**» ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح[1]. قال في حادي الأرواح: ورجال إسنادِه أحتج بهم مسلم في صحيحه.

وأخرج مسلم[2] عن عبد الله بن عمرو رَضِي اللهُ عَنْهُما قال: سمعت رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إنَّ فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياءَ يومَ القيامة بأربعين خريفًا**».

وأخرجَ الإمام أحمد عن ابن عباس رَضِي اللهُ عَنْهُما قال: قال رسول الله ﷺ: «**التقى مؤمنان على باب الجنَّةِ مؤمن غني، ومؤمن فقير كانا في الدنيا فأدخل الفقير الجنَّة، وحبس الغني ما شاء الله أنْ يحبس، ثمّ أدخل الجنة فلقيه الفقير فيقول: أي أخي ماذا حبسك؟ والله لقد حبست حَتَّى خفتُ عليك. فيقول: أي أخي إني حبست بعدك محبسًا فظيعًا كريهًا ما وصلت إليك حَتَّى سال مني من العرق ما لو ورده ألف**

---

(١) أحمد (٢/ ٢٩٦)، والترمذي (٢٣٥٣)، وابن حبان (٦٧٦)، وابن ماجه (٤١٢٢).

(٢) مسلم (٢٩٧٩)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٥٨٧٦)، وابن حبان (٦٧٧، ٦٧٨)، والدارمي (٢/ ٣٣٩).

بعير كلها آكلة (حمضٍ)[١] لصدرت عنه»[٢].

وأخرجَ الطبراني عَنْ أبي هريرةَ رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إنَّ فقراء المؤمنينَ يدخلون الجنةَ قبل أغنيائهم بنصف يوم، وذٰلك خمسمائة عام**»[٣] الحديث[٤].

والذي في الصحيح أنَّ سبقهم لهم بأربعين خريفا فإمَّا أنْ يكون هو المحفوظ، وإمَّا أنْ يكون كلاهما محفوظ، وتختلف مدة السبق باختلاف أحوال الفقراء والأغنياء فمنهم مَنْ يسبق بأربعين، ومنهم من يسبق بخمسمائة سنة، كما يتأخر مكث العصاةِ من الموحدين في النار بحسب /٥٩٢/ جرائمهم.

تنبيه: لا يلزم من سبق الفقراء أن تكون منازلهم أرفع من منازل

---

(١) ورد في هامش الأصل: الحمض بالحاء المهملة والضاد المعجمة بينهما ميم ساكنة، نبات فيه ملوحة. مؤلفه من خطه.

(٢) رواه أحمد ١/ ٣٠٤، وأورده الهيثمي ١٠/ ٢٦٣، والمنذري في «الترغيب» ٤/ ٦٥ وقال: رواه أحمد بإسناد جيد قوي.

(٣) ورد في هامش الأصل: قُلْتُ: وهَذَا هو التحقيق عندي لما قدمنا عن الحافظ المنذري أنه قَالَ: صحّ أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، فجزم بأنه محفوظ، بل صحيح، فالأولى حمله عَلَى ما في الصحيح عَلَى ما ذكر وأنه خبير أن الإمام الترمذي صحح الخبر ورجاله رجال مسلم. والله أعلم. مؤلف من خطه.

(٤) رواه أحمد ٢/ ٣٤٣، والترمذي (٢٣٥٤)، وابن ماجه (٤١٢٢)، وابن حبان (٦٧٦)، والطبراني في «الأوسط»(٨٨٦٥)، وأبو نعيم في «الحلية»٧/ ٩٩ ومن طريقه الطبراني مطولاً.

الأغنياءِ بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة وإنْ سبقه غيره في الدّخول، والدليل على ذٰلك أنّ مِنَ الأمّة مَنْ يدخل الجنَّة بغيرِ حساب وهم من مر ذكرهم، وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم، والغني إذا حوسب على غناه فوجد شاكرًا لله قد تقرب بأنواع البر والصَّدقةِ كان أعلى درجة من الفقيرِ السَّابق له في الدخول من غيرِ تلكَ الأعمالِ لاسيما إذا شاركه الغني في أنواع عباداته، وقد زاد عليه بالصدقة بفضل ما له، فإنَّ الله لا يضيع مثقال ذرة[١].

نعم الفقير له المزية بسبقه وهما مزيتان مزية سبق، ومزية رفعة فقد يجتمعان فيحصل السبق والرفعة لبعضِ الأشخاص، وتلك تمام السعادة، وقد يعدمها آخر، وقد يحصل لبعضهم السبق دون الرفعة وبالعكس[٢].

ومما ينبغي أنْ يعلم أنَّ المراد بالفقير هو الفقير الصابر الذي قد ٱطمأن قلبه لما قدره اللهُ تعالى له، ورضي بقضائه دون الفقير الساخط بل فقر هٰذا كجوع الكلابِ، وذاك كجوعِ الصائم من أولي الألباب، والمراد بالغني هو الغني الشاكر، وأمَّا ما نعي الزكاة، وأضرابهم فهم بمعزل عن هٰذا بل هم مع إخوانهم في سقر سيما من ٱستحوذ عليهم الشيطان فأنفقوا أموالهم في اللهو والهذيان، ثمّ إذا حال الحول أتوا

(١) ومنه الحديث: «ذهب أهل الدثور بالأجور والدرجات العالية» إلخ وفيه: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء».

(٢) «حادي الأرواح» ١٦٨-١٧٠.

بأنواع الحيل التي ورثوها عن إخوانهم من اليهود، فادعى أنه لا زكاة عليه، وهٰذا قبح إلى قبح مجتمعان. وقد أخبرت عن بعض من ينتسب إلى العلم أنَّه قبيل الحول يهب مالَه لزوجته، فإذا حال الحول ٱسترده وهلم جرا فهٰذا هو غاية الظلم ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٢١] فهٰذا علمه ضره ما نفعه.

فائدة: التحقيق عندي أنَّ الغني الشاكر أفضل مِنَ الفقيرِ الصَّابر وهٰذا خلاف ما كنت أختاره أوّلا تبعا لجماعة، واعلم أنَّ الفقير الصادق له علامات، وآداب باطنة، وظاهرة: فأمَّا الباطنة فأنْ لا يكره ما ٱبتلاه الله تعالى به مِنَ الفقر وهٰذا واجب عليه، وأرفع من هٰذا أنْ يكون راضيًا بالفقر، وأرفع من هٰذا أن يكون طالبًا له، وفرحا به، وشاكرًا عليه وأمَّا آداب ظاهرة فإظهار التعفف، وأمَّا /٥٩٣/ في أعماله فلا يتواضع لغني والله تعالى أعلم.

فصل
في أصناف أهل الجنة الذين ضمنت لهم دون غيرهم

قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦] أخبر سبحانه أنَّه أعدها للمتقين دون غيرهم، ثم ذكر أوصافَ المتقين فذكر بذلهم للإحسانِ في حالتي العسر والشدة، والرخاء والسعة، وكف أذاهم للناس بحبس الغيظِ بالكظم وحبس الأنتقام إلى آخر الأوصافِ.

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠] فأخبرَ أنَّه تعالى أعدَّها للمهاجرين الذين هجروا أوطانهم ٱبتغاء مرضاته تعالى، ونصرًا لنبيّه والأنصار الذين بذلوا جهدهم في نصر نبيه ودينه، وأتباعهم أي: ومَنْ نحا نحوهم، واقتفى أثرهم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ

رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤] فوصفهم بإقامة حقه ظاهرًا وباطنًا، وبأداء حق عباده.

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: لَمَّا كانَ يومُ خيبر أقبل نفرٌ مِنْ صحابةِ النَّبي ﷺ فقالوا: فلانٌ شهيد، وفلان شهيد حَتَّى مَرُّوا على رجل فقالوا: فلان شهيدٌ. فقال رسولُ الله ﷺ: «كلا إني رأيته في النَّارِ في بردةٍ غَلَّهَا أو عباءةٍ» ثُمَّ قال رسول الله ﷺ: «يا ابن الخطاب اَذهبْ فنادِ في الناسِ أنَّه لا يدخلُ الجنَّة إلا المؤمنون»[1] قال: فخرجتُ فناديت أنَّه لا يدخل الجنَّةَ إلا المؤمنون. وفي البخاري معناه، وفي الصحيحين[2] عن أبي هريرةَ /٥٩٤/ رَضِي اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أمر بلالاً ينادي في الناسِ أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة وفي لفظ «مؤمنة».

وأخرج مسلم[3] عن عياض بن حمار المجاشعي أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إنَّ ربِّي أمرني أنْ أعلمكمْ مَا جهلتم مِمَّا عَلَّمني يَوْمي هٰذاَ كُل مالٍ نَحلْتَهُ عبدًا حلالٌ وإنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُم، وإنَّهم أَتَتْهم الشَّياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحَرَّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أنْ يشركوا بي ما لم أنزلْ به سلطانا.

وإنَّ اللهَ نظر إلى أهلِ الأرضِ فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتابِ وقال: إنَّما بعثتك لأبتليكَ وأبتلي بكَ، وأنزلتُ عليكَ كتابًا لا يغسله الماء تقرؤه نائمًا ويقظانَ وإنَّ اللهَ أمرني أنْ أُحَرِّقَ قريشًا

(١) رواه مسلم (١١٤).
(٢) البخاري (١٤٤٨)، ومسلم (١١١).
(٣) مسلم (٢٨٦٥).

فقلت: ربِّ أَذًا يَثْلَغُوا رأسي فيدعوه خبزةً قال: اُستخرجهم كما اُستخرجوك[١]، واغزهم نُغْزِكَ، وأنفق فننفق عليكَ، وابعثْ جيشا نبعثْ خمسةً مثله، وقاتلْ بمَنْ أطاعك مَنْ عصاك.

قال: وأهل الجنةِ ثلاثةٌ: ذو سلطانٍ مقسطٌ متصدق موفق، ورجل رحيمٌ رقيقُ القلبِ لكلِّ ذي قربى ومسلم، وعفيفٌ متعفف ذو عيال وأهل النار خمسة[٢]: الضعيفُ الذي لا زَبْرَ لهُ الذين هم فيكم تبعًا لا يبغون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دقَّ إلا خانه، ورجلٌ لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعكَ عن أهلك ومالك وذكر البخلَ والكذب والشنظير[٣] الفحَّاش وإنَّ الله أوحى إليَّ أنْ تواضعوا حَتَّى لا يفخر أحدكم على أحدٍ، ولا يبغي أحدٌ على أحد»[٤].

وأخرجَ البخاري، ومسلم عن حارثة بن وهب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ألا أخبرِكم بأهل الجنة؟ كلُّ ضعيف[٥]

---

(١) هَذَا ما جاء في صحيح مسلم (استخرجوك)٤/٢١٩٧ (٢٨٦٥)وفي (أ)، (ب)(أخرجوك).

(٢) ورد في هامش الأصل: وسيأتي تفسير ما خفي من هؤلاء الخمسة في صفة أهل النار. أهـ.

(٣) ورد في هامش الأصل: الشنظير: سيء الخلق.

(٤) رواه مسلم (٢٨٦٥).

(٥) ورد في هامش الأصل: أي: عن أذى الناس، أو عن المعاصي، متضعف: بفتح العين أي: يستضعفه الناس لرثاثة حاله وخموله أهـ.

متضعَّف لو أقسم على الله لأبرّه[١]. ألا أخبركم بأهْلِ النَّارِ؟ كل عتل[٢] جوّاظ مستكبر»[٣].

وأخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «إنَّ أهل النار كل جعظري جوّاظ مستكبر جماع مناع، وأهل الجنة الضِعفاء[٤] المغلوبون»[٥]. قوله: «جعظري» بالجيم والعين المهملة والظاء المعجمة الغليظ[٦]، والجوّاظ: هو الجموع المنوع والله أعلم.

---

(١) ورد في هامش الأصل: أي: لو حلف يمينًا عَلَىَ أن الله يفعل كذا أو لا يفعل جاء الأمر فيه عَلَىَ ما يوافق يمينه أهـ.

(٢) ورد في هامش الأصل: الجافي الغليظ.

(٣) رواه البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٢٨٥٣).

(٤) ورد في هامش الأصل: قوله: الضعفاء أي: الخاضعون المتواضعون المغلوبون أي: الذين كثيرًا ما يغلبهم الناس.

(٥) رواه أحمد ٢/ ٢١٤. ذكره في «حادي الأرواح» (١٧١-١٧٥).

(٦) ورد في هامش الأصل: قوله: الغليظ أي: غليظ القلب قاسية، سيء الخلق، متكبر، أو جسيم عظيم، أكول شروب، والجواظ: الضخم المختال في مشيته، أو الصيَّاح المهذار أهـ

فصل
في أنَّ أكثر أهل الجنة هٰذه الأمّة المطهرة

قال رسول /٥٩٥/ الله ﷺ: «أمَا تَرضَون أنْ تكونوا رُبُعَ أهل الجنَّةِ؟» فكبَّرنا، ثم قال: «أما ترضون أنْ تكونوا ثُلُثَ أهل الجنة؟» فكبرْنا، ثم قال: «إنِّي لأرجو أنْ تكونوا شطر أهلِ الجنة، وسأخبركم عن ذٰلك ما المسلمونَ في الكفارِ إلا كشعرة بيضاء في ثورٍ أسود أو كشعرة سوداء في ثور أبيض» رواه البخاري، ومسلم من حديث ابن مسعود رَضِي اللهُ عَنْهُ ولفظ البخاري «كشعرة بيضاء في ثور أسود، وكشعرة سوداء في ثور أبيض»[1] بغير ألف.

وأخرج الإمام أحمد، والترمذي بسند صحيح عن بريدة بن الحصيب رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «أهلُ الجنةِ عشرون ومائة صف هٰذه الأمة منها ثمانون صفا»[2][3].

وأخرج عبدُ اللهِ ولد الإمام أحمد عن أبي هريرة رَضِي اللهُ عَنْهُ

(١) رواه البخاري (٦٥٢٨)، ومسلم (٢٢١).

(٢) ورد في هامش الأصل: لفظ الحديث الذي رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم عن بريدة والطبراني والحاكم عن ابن عباس، وعن ابن مسعود، وأبي موسى مرفوعًا: «أهل الجنة عشرون ومائة صفٍ، ثمانون منها من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم»اهـ.

(٣) رواه الترمذي (٢٥٤٦)، وأحمد ٥/ ٣٤٧.

قال: لمَّا نزلت ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝٤٠﴾ قال رسول الله ﷺ: «**أنتم ربع أهل الجنة، أنتم ثلث أهل الجنة، أنتم نصف أهل الجنة**» قال الطبراني: تفرد به ابن المبارك عن الثوري[(١)].

واعلم أنَّه لا تنافي بين هٰذه الروايات، وبين حديثِ الشَّطر؛ لأنه ﷺ رجا أنْ يكونوا شطر أهل الجنة فأعطاه الله رجاءه، وزاده عليه شيئًا آخر قاله في حادي الأرواح.

واعلم أنَّ النّساء في الجنة أكثر مِنَ الرِّجالِ كما أنَّ النار كذٰلك لما ثبت في الصحيحن عن محمد بن سيرين قال: إمَّا تفاخروا وإمَّا تذاكروا، الرِّجَالُ أكثر في الجنةِ أم النساء؟ فقال أبو هريرة رَضِي اللهُ عَنْهُ: ألم يقل أبو القاسم ﷺ: «**إنَّ أوَّل زمرة تدخل الجنةَ على صورة القمر ليلةَ البدرِ والتي تليها على أضوء كوكبٍ دري في السماء لكل منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة عزب**»[(٢)].

قال في «حادي الأرواح»[(٣)]: فإن كن من نساء الدنيا فالنساء في الدنيا أكثر من الرجال، وإنْ كن من الحور العين لم يلزم أن يكن في الدنيا أكثر، والظاهر أنهن من الحور العين لما رواه الإمام أحمد عن أبي

---

(١) رواه أبو نعيم ٧/ ١٠١ عن الطبراني عن عبد الله بن أحمد، وهو أيضًا من نفس الطريق في «موضح أوهام الجمع»٢/ ٣٩٣.

(٢) رواه البخاري (٣٢٥٤)، ومسلم (٢٨٣٤).

(٣) «حادي الأرواح» (١٨٠).

هريرة مرفوعًا: «**للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كلّ واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب**»[(١)].

فإن قيل: كيف هٰذا مع حديث جابر المتفق عليه: شهدت مع رسولِ /٥٩٦/ الله ﷺ العيد صلى قبل أنْ يخطب بغير أذان ولا إقامة، ثم خطب بعدما صلى فوعظ الناس وذكرهم، ثم أتى النساء فوعظهن ومعه بلال فذكرهن، وأمرهن بالصدقة قال: فجعلت المرأة تلقي خاتمها وخرصها والشيء كذٰلك فأمر النبي ﷺ بلالاً فجمع ما هناك. قال: «**إن منكن في الجنة ليسير**» فقالت امرأة: يا رسول الله لم؟ قال: «**إنكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير**»[(٢)] وفي الحديث الآخر: «**إن أقل ساكني الجنة النساء**»[(٣)(٤)].

فالجواب كما في حادي الأرواح: إن هٰذا يدل على أنهن إنما كنّ في الجنة أكثر بالحور العين اللاتي خلقن في الجنة وأقل ساكنيها باعتبار نساء الدنيا فنساء الدنيا أقل أهل الجنة، وأكثر أهل النار[(٥)].

وأخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث عمارة بن خزيمة بن

---

(١) رواه أحمد ٢/ ٣٤٥.

(٢) رواه البخاري (١٤٦٢)، ومسلم (٨٨٥).

(٣) ورد في هامش الأصل: أي: في أول الأمر قبل خروج عصاتهن من النار، فلا دلالة فيه عَلَى أن نساء الدنيا أقل من الرجال في الجنة. كذا قاله المناوي وهو مخالف لما اختاره المحقق أهـ كاتبه.

(٤) رواه مسلم (٢٧٣٨)، وأحمد ٤/ ٤٢٧.

(٥) «حادي الأرواح» ١٨٠-١٨١.

ثابت قال: كنا مع عمرو بن العاص في حج أو عمرة حَتَّى إذا كنا بمر الظهران فإذا امرأة في هودجها قال: فمال فدخل الشعب فدخلنا معه فقال: كنا مع رسول اللهِ ﷺ في هٰذا المكان فإذا نحن بغربان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار والرجلين فقال رسول الله ﷺ: **«لا يدخل الجنَّة من النساء إلا مثل هٰذا الغراب في هٰذه الغربان»**[1].

قال في حادي الأرواح: الأعصم من الغربان الذي في جناحه ريشة بيضاء. قال الجوهري: ويقال هٰذا كقولهم: الأبلق: العقوق، وبيض الأنُوق لكلِّ شيء يعزّ وجوده. وفي النهاية[2]: الغراب الأعصم هو الأبيض الجناحين وقيل الأبيض الرجلين أراد قلّة من يدخل الجنة من النساء؛ لأنّ هٰذا الوصف في الغربان قليل عزيز.

وفي حديث آخر: **«المرأة الصالحةُ مثل الغراب الأعصم»** قيل: وما الغراب الأعصم؟ قال: **«الذي إحدى رجليه بيضاء»**[3] وفي حديث آخر: **«عائشة في النساء كالغراب الأعصم في الغربان»**.

قلت: فهم مما ذكرنا أن في الغراب الأعصم أربعة أقوال: أحدها: إنَّه الذي إحدى رجليه بيضاء كما في الحديث.

(١) رواه أحمد ٤/ ١٩٧.، ٢٠٥، وأبو يعلىٰ (٧٣٤٣)، وعبد بن حميد (٢٩٤)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩٢٦٨)، والبيهقي في «الشعب» (٧٨١٧)، والحاكم (٤/ ٦٠٢).

(٢) «النهاية» (٣/ ٢٤٩).

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» ٨/ ٢٣٧-٢٣٨ (٧٨١٧)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٤/ ٢٧٣: رواه الطبراني، وفيه مطرح بن يزيد، وهو مجمع على ضعفه.

الثاني: إنه الذي في جناحه ريشة بيضاء.

الثالث: إنه أبيض الجناحين.

الرابع: إنه أبيض الرجلين، وثم قول خامس ذكره الغزالي في الإحياء قال: والأعصم /٥٩٧/ أبيض البطن.

وفي وصيّة لقمان لابنه: يا بني اتق المرأة السّوء فإنّها تشيبك قبل المشيب، واتق شرار النساء فإنهن لا يدعون إلى خير، وكن من خيارهن على حذر.

قال الحسن: والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبّه الله في النَّارِ. وقال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: خالفوا النّساء فإنَّ في خلافهن البركة.وقد قيل شاورهن، وخالفوهن[1].

نكتة: الذي يظهر لي من الدليل والتعليل أنَّ النساء في الدنيا أكثر من الرجال، أمَّا الدليل فأخرج أبو يعلى الموصلي عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: حَدَّثَنَا رسول الله ﷺ وهو في طائفة من أصحابه فذكَر حديثًا طويلاً وفيه: **«فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله، وثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله بعبادتهما الله في الدنيا»**[2]. وذكر الحديث. ومن المعلوم أن لا عزب في الجنة جزما

(١) ضعفه في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (١٣٦٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أصرح منه حديث أبي نعيم في «صفة الجنة» (٣٧٠) من رواية أبي أمامة وابن ماجه في «السنن» (٤٣٣٧)، والبيهقي في «البعث» (٣٦٧) أن المؤمن يزوج ثنتين من الحور وسبعين من أهل ميراثه من أهل الدنيا. الحديث وهو ضعيف. انظر ص١٠٦٨.

وأما التعليل: فإنَّ الله سبحانه وتعالى أحلَّ للرجل أنْ يأخذ أربعة من النّساء، ولا يحل للمرأة أنْ تجمع بين زوجين بخلاف الرَّجل فإنَّ للحرّ أنْ يجمع بين أربع، وللرقيق أن يجمع بين ثنتين والذي يليق بحكمة أحكم الحاكمين، بل الذي تقتضيه الحكمة أن يكون النساء في الدنيا أكثر من الرجالِ؛ لأنَّ فعل البارئ سبحانه مقرون بالحكمة، وليس من الحكمة أنْ يجعل للكثير جمعًا من القليل، بل الحكمة تقتضي أن يكون الكثير متوزعًا على القليل فلمَّا نظرنا إلى حكمةِ البارئ، ورأيناه جلّ شأنه أحلّ للرجل الجمع بين أربع في آن واحد علمنا أنَّ النّساء أكثر مِنَ الرِّجالِ، وهٰذه النكتة والتعليل لم أر من سبقني إليها، والظاهر أنَّهم تكلَّموا وإنْ لم أره. والله أعلم.

ثم رأيت عبارة لطيفة للإمام ابن عقيل نقلها عنه في «الفروع»[1] ونصه في الفنون قال فقيه: شهوة المرأةِ فوق شهوة الرَّجل تسعة أجزاء، فقال حنبلي: لو كان هٰذا، ما كان له أنْ يتزوج بأربع، وينكح من الإماءِ ما شاء، ولا تزيد المرأة على رجل، ولها من القسم الرُّبع، وحاشا حكمته أنْ يضيق على الأحوجِ. /٥٩٨/ فهٰذا فيه تلميح لما ذكرنا والله تعالى أعلم[2].

---

(١) «الفروع» (٨/ ٢٤٩).

(٢) وذكر ابن عبد البر عن أبي هريرة رضي الله عنه وبعضهم يرفعه: «فضلت المرأة علىٰ الرجل بتسعة وتسعين جزءًا من اللذة، أو قال من الشهوة، ولكن الله ألقىٰ عليهن الحياء». أخرجه البيهقي في «الشعب» (٧٧٧٣)، وقوى ابن القيم في «أعلام الموقعين» كون الرجل أشد شهوة من المرأة، وأن حرارته أقوىٰ من حرارة المرأة، وأمعن في ذلك. إلخ.

الباب الخامس
في تربة الجنة ونورها وغرفها وقصورها وخيامها وما يلحق بذٰلك

أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قلنا: يا رسولَ اللهِ إذا رأيناك رقت قلوبنا، وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناكَ أعجبتنا الدنيا، وشممنا النساء والأولاد قال: «**لو تكونون على كلِّ حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم، ولزارتكم في بيوتكم، ولو لَمْ تذنبوا لجاء اللهُ بقومٍ يذنبون كي يغفر لهم**»[1] قال: قلنا: يا رسول الله حَدِّثْنَا عن الجنةِ ما بناؤها؟ قال: «**لبنة ذهب، ولبنة فضة، وملاطها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران من يدخلها يَنْعَم لا يَبْأس**[2]**، ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه ثلاثة لا تردّ دعوتهم الإمام العادل، والصائم حَتَّى يفطر، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام، وتفتح لها أبواب السموات، ويقول الرب: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد**

---

(١) ورد في هامش الأصل: السر فيه: إظهار صفة الكرم والحلم والتجاوز عن المسيء، وغفار يستدعي مغفورًا له، ولم يرد به عدم الاحتفال بمواقعة الذنوب. أهـ.

(٢) ورد في هامش الأصل: قوله: لا يبأس: هو بمثناة تحتية ثم بموحدة أي: لا يفتقر ولا يحتاج، بمعنى: أن نعيمها لا يشوبه بؤس. أهـ.

حين»[١].

قوله: «**وملاطها المسك**» قال في النهاية: الملاط[٢] الطين الذي يجعل بين ساقي البناء يملط به الحائط أي: يخلط ومنه الحديث: «**إنَّ الإبل [يمالطها] الأجرب**» أي: [يخالطها].

وفي الصحيحين[٣] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان أبو ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يحدث أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك**» وهو قطعة من حديث المعراج. قوله: «**جنابذ اللؤلؤ**» بالجيم والنون المفتوحين، ثم ألف، ثم ذال معجمة القباب وفي «مشارق الأنوار»[٤] للقاضي عياض ما نصه: وفي الحديث: «**وإذا فيها جنابذ اللؤلؤ**» كذا في كتاب مسلم، وفي البخاري في كتاب الأنبياء[٥] من رواية غير المروزي فسروه بالقباب واحدتها جنبذة بالضم، والجنبذة ما ارتفع

---

(١) رواه أحمد ٢/ ٣٠٥.

(٢) ورد في هامش الأصل: الملاط: بكسر الميم: الطين الذي بين كل لبنتين. أهـ. «النهاية» (٤/ ٣٥٧) وما بين القوسين في «الأصول»: بملاطها بخلاطها وما أثبت من «النهاية». «لسان العرب» مادة: ملط.

(٣) البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣)، وأبو عوانة (١/ ١٣٣-١٣٥)، وابن منده (٧١٤)، والبغوي (٣٧٥٤) وفي التفسير له (٤/ ١٢٨-١٣١) «صفة الجنة» لأبي نعيم (١٥٧)، والمسند (٥/ ١٤٣-١٤٤).

(٤) مادة الجيم مع النون وفي مادة الحاء مع الباء في فصل: الاختلاف والوهم.

(٥) البخاري (٣٣٤٢).

من البناء وجاء في البخاري في الصَّلاةِ «حبائل اللؤلؤ» وزعم قوم أنَّه تصحيف من جنابذ وقال: في حرف الجاء مع الباء «فيها حبائل اللؤلؤ» كذا لجميعهم في البخاري وفي مسلم «جنابذ اللؤلؤ» وهو الصواب وقد جاء في حديث آخر «حافاته قباب اللؤلؤ» والجنابذ جمع جنبذة وهي القبة /٥٩٩/ وقال من ذهب إلى صحة الرواية: إنَّ الحبائل القلائد العقود، أو يكون من حبال الرمل أي: فيها اللؤلؤ كحبال الرمل أي: وهو ما طال منه وضخم، قال: أو من الحبلة وهو ضرب من الحلي معروف.

قال ابن قرقول في «آستدراكاته» على القاضي عياض: وهٰذا كلّه تخييل ضعيف بل هو لا شك تصحيف من الكاتب، والحبائل إنَّما تكون جمع حبالة، أو حبيلة. آنتهى.

وفي صحيح مسلم[1] عن أبي سعيد رَضِي اللهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ سأل ابن صياد عن تربة الجنةِ فقال: درمكة[2] بيضاء مسكٌ خالص، فقال ﷺ: «صدق».

قال سفيان بن عيينة، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد قد

(١) مسلم (٢٩٢٨)، وأحمد (٣/ ٢٥، ٤٣)، «المصنف» لابن أبي شيبة (١٥٨٠٣)، و«صفة الجنة» لأبي نعيم (١٥٨).

(٢) الدرمكة: واحدة الدَّرمك وهو الدقيق الحُوَّارَي. ا. هـ «النهاية» (٢/ ١١٥).

غلب أصحابك. قال: «وبأي شيء غلبوا؟» قال: سألهم اليهود: كم عدد خزنة النار؟ فقالوا: لا ندري حَتَّى نسأل نبينا فقال رسول الله ﷺ: «**أيغلب قوم سئلوا عمَّا لا يعلمون فقالوا: حَتَّى نسأل نبينا، ولٰكن هم أعداء الله سألوا نبيهم أنْ يريهم الله جهرة، عليّ بأعداء اللهِ فإنِّي سائلهم عن تربة الجنة، وإنها درمكة**» فلمَّا أنْ جاءوا قالوا: يا أبا القاسم، كم عدة خزنة أهل النَّارِ؟ فقال رسول الله ﷺ بيديه كلتيهما: «**هكذا وهكذا**» وقبض واحدة أي: تسعة عشر فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ما تربة الجنة؟**» فنظرَ بعضُهم إلى بعض فقالوا: خبزة يا أبا القاسم فقال ﷺ: «**الخبزة من الدرمك**»[1].

فحصل من هٰذه الأحاديث ثلاث صفات في تربتها: قيل: زعفران، أو مسك، أو خبزة.

قال في «حادي الأرواح»: لا تعارض بينها لإمكان الجمع قال: ذهبت طائفة من السّلف إلى أن تربتها متضمنة للنوعين: المسك، والزعفران. قَالَ: ويحتمل معنين آخرين أحدهما: أنْ يكون التراب من: زعفران فإذا عجن بالماءِ صار مسكًا، والطين يسمى ترابا ويدل على هٰذا قوله «**ملاطها المسك**»[2] والملاط الطين. وفي بعض

(١) رواه أحمد ٣/ ٣٦١ (مختصرًا)، وأبي نعيم في «صفة الجنة» (١٥٩)، والترمذي (٣٣٢٧).

(٢) عند أحمد (٢/ ٤٤٥)، والترمذي (٢٥٢٦) «صفة الجنة لأبي نعيم (١٣٦).

الروايات[١]: «**ترابها الزعفران وطينها المسك**» فلما كانت تربتها طيبة وماؤها طيب وانضم أحدهما إلى الآخرِ حدث لهما / ٦٠٠/ طيب آخر فصار مسكا.

الثاني: أن يكون زعفرانًا باعتبار لونه، مسكًا باعتبار رائحته، وهٰذا من أحسن شيء يكون البهجة والإشراق لون الزعفران ورائحة المسك قال: وكذلك تشبيهها بالدرمك، وهو الخبز الصافي الذي يضرب لونه إلى صفرة مع لينها ونعومتها، قال: وهٰذا معنى ما ذكره سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد[٢]: «**أرض الجنة من فضة، وترابها مسك، فاللون في البياض لون الفضة، والرائحة رائحة المسك**».

وأخرجَ ابن أبي الدنيا عن أبي هريرةَ رَضِي اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**أرضُ الجنةِ بيضاء عرصتها صخور الكافور، وقد أحاط به المسك مثل كثبان الرمل، فيها أنهار مطردة، فيجتمع فيها أهل الجنة أدناهم وآخرهم فيتعارفون، فيبعث اللهُ ريحَ الرَّحمةِ، فتهيج عليهم ريح المسك**»[٣] الحديث.

وأخرج أبو الشيخ عن أبيّ بن كعب رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: قال

---

(١) «كشف الأستار» (٣٥٠٩)، «البعث والنشور» للبيهقي (٢٥٦، ٢٥٧)، و«صفة الجنة» لأبي نعيم (١٦٠).

(٢) ابن أبي شيبة (١٠٨٠١)، وأبي نعيم في «صفة الجنة» (١٦١).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٨)بإسناد ساقط.

رسول اللهِ ﷺ: **«قلتُ ليلة أسري بي: يا جبريل إنهم سيسألوني عن الجنةِ؟ قال: فأخبرهم: أنها من درة بيضاء، وأنَّ أرضها عقيان[١]»[٢].**

قال في «حادي الأرواح»: العقيان من الذهب فإن كان [ابن علاثة حفظه] فهي أرض الجنتين الذهبيتين، ويكون جبريل أخبره بأعلى الجنتين والله أعلم[٣].

---

(١) ورد في هامش الأصل: وفي الصحاح: العقيان من الذهب الخالص.

(٢) وكذا عزاه في «فيض القدير»٣/ ٣٦٤ لأبي الشيخ. «صفة الجنة» لأبي نعيم (١٥١).

(٣) «حادي الأرواح» ص١٩٩. ما بين القوسين في الأصل: محفوظًا وابن علاثة ترجمته في «تهذيب التهذيب» (٩/ ٢٧٠، ٢٧١).

فصل

وأما نور الجنة، وبياضها فأخرج الإمام أحمد عن ابن عباس رَضِي اللهُ عَنْهُما أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**خلقَ اللهُ الجنة بيضاء، وأَحب الزي إلى اللهِ البياض، فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم**». ثم أمر برعاة الشاةِ فجمعت فقال: «**من كان ذا غنم سود فليخلط بها بيضًا**» فجاءته آمرأة فقالت: يا رسول الله: إني آتخذت غنمًا سودًا فلا أراها تنمو. فقال: «**عفري**» أي: بيضي[1].

وأخرجَ أبو نعيم[2] عن ابن عباس رَضِي اللهُ عَنْهُما مرفوعًا: «**إنَّ الله خلق الجنة بيضاء، وإن أحب اللون إلى الله البياض، فليلبسه أحياؤكم، وكفنوا فيه موتاكم**».

وأخرج عنه أيضًا مرفوعًا[3]: «**عليكم بالبياض فإنَّ الله خلق الجنة بيضاء**» الحديث. وروى الإمام المحقق في حادي الأرواح عن ابن

---

(١) رواه الطبراني ١١/(١١٢٠١)، وابن عدي ٢/ ٣٧٧ (ترجمة حمزة النصيبي) و٧/ ١٠٦ (ترجمة هشام بن زياد)بنحوه. وأورده الهيثمي ٤/ ٦٦ وقال: فيه حمزة النصيبي وهو متروك. قُلْتُ: قَالَ ابن عدي: يضع الحديث. وذكر بعضه ٥/ ١٢٨ و١٠/ ٣٩٧ وقال: رواه البزار وفيه هشام بن زياد وهو متروك.

(٢) «الشريعة» للآجري (٣٩٣)، و«كشف الأستار» مختصرًا (٢٩٤٠، ٣٥١٠)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (١٢٩)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٨٠٠).

(٣) أبو نعيم في صفة الجنة (١٣٠) انظر الكامل لابن عدي (٤/ ١٤٧٩).

عباس رَضِي اللهُ عَنْهُما أَنَّه سُئِلَ: ما أرض الجَنَّةِ؟ قال: «مر مرة[١] بيضاء من فضة كأنَّها مرآة». قيل: ما نورها؟ قال: «ما رأيت السّاعة التي تكون فيها قبل طلوع الشمس فذٰلك نورها إلا أنها ليس شمس ولا زمهرير» الحديث[٢][٣].

وعند ابن ماجه[٤] من حديث أسامة بن زيد رَضِي اللهُ عَنْهُما: «هي - يعني: الجنة - ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، في مقام أبداً، في دار سليمة، وفاكهة، وخضرة، وحبرة، ونعمة في محلة عالية بهية». أخرجه ابن ماجه من حديث الوليد بن مسلم عن محمد بن مهاجر، عن الضحاك المعافري، عن سليمان بن موسى، عن كريب أنَّه سمعَ أسامة يقول: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «ألا هل مشمر للجنةِ فإنَّ الجنةَ لا خطر لها ورب الكعبة نور يتلألأ؟» وذكر الحديث. وفيه: قال: نعم يا رسولَ اللهِ نحن المشمرون لها. قال: «قولوا: إنْ شاء الله» قال القوم: إنْ شاء الله.

---

(١) ورد في هامش الأصل: المرمر: الرخام. أهـ.

(٢) رواه أبو الشيخ في العظمة (٥٩٩). وأبي نعيم في «صفة الجنة» (٢١١).

(٣) «حادي الأرواح» ص٢٠٠: ٢٠١.

(٤) ابن ماجه (٤٣٣٢)، انظر كلام البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٣٢٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٧٠، وفي «البعث» (٣٩١)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٤)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣٠١)، و«التاريخ الكبير» للبخاري (٤/ ٣٣٦)، والطبراني في «الكبير» (٣٣٨)، وابن أبي داود في «البعث» (٧٢)، والبغوي في «السنة» (٤٣٨٦).

فصل

وأمَّا غرف الجنة، وقصورها، وخيامها، ومقاصيرها قال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ﴾ [الزمر: ٢٠] فأخبر تعالى أنَّها غُرَف فوق غرف، وأنها مبنية بناء حقيقة؟ لئلا تتوهم النفوس أنَّ ذٰلك تمثيل، وأنَّه ليس ثَمَّ بناء[١].

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الفرقان: ٧٥] والغرفة: جنس كالجنة. وقال: ﴿إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧] وقال عن ٱمرأة فرعون: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١].

وأخرجَ الترمذي وقال غريب (عن علي كرم الله وجهه)[٢] مرفوعًا: **«إنَّ في الجنةِ لغرفًا يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها»** فقام أعرابي فقال: يا رسول الله لمن هي؟ فقال: **«لمن طيب الكلام، وأطعمَ الطَّعامَ، وأدام الصيام، وصلّى بالليلِ والناس نيام»** وعند ابن ماجه[٣] عن أبي مالك الأشعري مرفوعًا نحوه.

---

(١) «حادي الأرواح» ص٢٠٣.

(٢) أحمد (١/ ١٥٦) ابن أبي شيبة (٨/ ٦٢٥) رواه الترمذي ٤/ ٣٥٤ (١٩٨٤، ٢٥٢٧)، والأولى الاقتصار علي «رضي الله عنه» أسوة بسائر الصحابة وقد نبهت عليه مراراً.

(٣) أحمد (٥/ ٣٤٣)، والبيهقي في «السنن» (٤/ ٣٠٠، ٣٠١)، والبغوي في «السنة» (٩٢٧)، وعبد الرزاق (٢٠٨٨٣)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٥٤)، ورواه الطبراني في «الكبير»، ورجاله ثقات انظر ت(٤) ص١٠٥٠.

وفي «حادي الأرواح» بإسناد حسّنه محمد بن عبد الواحد عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «**إنَّ في الجنة غرفًا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها**» قال أبو مالك الأشعري: لِمَنْ هي يا رسول الله؟ قال: «**لِمَنْ أطابَ الكلامَ**[١]**، وأطعم الطَّعامَ**[٢]**، وبات قانتًا والناس نيام**[٣]»[٤].

وأخرج البخاري، ومسلم عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنَّ للمؤمِن في الجنةِ لخيمةً**[٥] **من لؤلؤةٍ واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً للمؤمنِ فيها أهْلُونَ يطوفُ عليهمُ المؤمن**[٦] **فلا**

---

(١) ورد في هامش الأصل: أي: تملق للناس وداراهم واستعطفهم.

(٢) ورد في هامش الأصل: أي: للعيال والفقراء والأضياف ونحو ذلك.

(٣) ورد في هامش الأصل: وقضية العطف بالواو يقتضي اشتراط اجتماعها فتكون هذه الغرف المخصوصة لمن جمع.

(٤) أحمد (٢/ ١٧٣) رواه الحاكم (١/ ٣٢١) انظر ت(٣) ص١٠٤٩.

(٥) ورد في هامش الأصل: قوله: لخميةً من لؤلؤة واحدة مجوفة كذا للكافة بالفاء وبالباء للسمرقندي قَالَ: في مشارق الأنوار: قوله: من لؤلؤة واحدة مجوفة أي: خالية الداخل غير مصمتة، ورواه السمرقندي: مجوبة قَالَ: والمعنى واحد، قَالَ: ورويناه في كتاب الخطابي: مجوبة أي: قد قطع داخلها الثقب فتفرغ وخلا من قولهم: جببت الشيء إِذَا قطعته، والجواب (وفي (ط)المجوب)آلة من حديد يقط بها الأدم قطًا مستديرًا، فمجوب من جوب، بناه للمبالغة ومجوبة من جاب أهـ. ومن المادة قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦﴾ إلى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ أي قطعوه مؤلف من خطه.

(٦) ورد في هامش الأصل: أي: ليجامعهن ونحوه.

يرى بعضهم بعضاً»[١].

وقال ﷺ: «من بنى للهِ مسجدًا بنى اللهُ له بيتًا في الجنةِ». حديث صحيح، وتقدم[٢].

وأخرجَ البخاري، ومسلم[٣]، وغيرهما عن عبد الله بن أبي أوفى، وأبي هريرة، وعائشة رَضِي اللهُ عَنْهُم أنَّ جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: «هٰذه خديجة أقرئها السلام من ربِّها» وأمره أنْ يبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه - أي: لغط، ولا نصب - أي: تعب والقصب هنا اللؤلؤ المجوف.

---

(١) البخاري (٤٨٧٩)، ومسلم (٢٨٣٨)، وأبي يعلىٰ (٧٣٣٢)، والترمذي (٢٥٢٨)، وابن ماجه في «المقدمة» (١٨٦)، والطيالسي (٢/ ٢٤٣)، والبغوي (٤٣٧٩)، وأحمد (٤/ ٤٠٠، ٤١١، ٤١٩)، والدارمي (٢/ ٣٣٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٦٠٦)، وابن حبان (٧٣٩٥).

(٢) «حادي الأرواح» ص٢٠٤-٢٠٥ انظر ت(١) ص٩٣٨.

(٣) حديث ابن أبي أوفى رواه البخاري برقم (١٧٩٢) كتاب: العمرة، باب: متى يحل المعتمر، ومسلم برقم (٢٤٣٣) كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل خديجة أم المؤمنين، وأحمد ٤/ ٣٥٥، وحديث أبي هريرة رواه البخاري برقم (٣٨٢٠) كتاب: مناقب الأنصار، باب: تزويج النبي خديجة، ومسلم (٢٤٣٢) كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل خديجة رضي الله عنها، وأحمد ٢/ ٢٣١، وحديث خديجة رواه البخاري برقم (٣٨١٧) كتاب: مناقب الأنصار، باب: تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها، ومسلم (٢٤٣٥) كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، وابن ماجه (١٩٩٧) كتاب: النكاح، باب: الغيرة، وأحمد ٦/ ٥٨.

وأخرج ابن أبي الدّنيا عن أبي هريرةَ مرفوعًا: «إنَّ في الجنةِ لقصرًا من لؤلؤ ليس فيه صدع، ولا وهن، أعده اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لخليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام»[1].

وفي الصحيحين عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب فقلتَ: لمن هٰذا القصر؟ قالوا: لشاب من قريش. فظننت أني أنا هو فقلت: ومن هو؟ قالوا: لعمر بن الخطاب»[2].

وأخرج البيهقي[3] عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ في الجنةِ لغرفًا فإذا كان ساكنها فيها لم يخف عليه ما خلفها، وإذا كان خلفها لم يخف عليه ما فيها» قيل: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «لِمَنْ أطابَ الكلام، وواصل الصّيام، وأطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى والناس نيام» قيل: وما طيب الكلام؟ قال: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر فإنها تأتي يومَ القيامة ولها مقدمات، ومجنبات ومعقبات»[4] قيل: وما وصال الصيام؟ قال: «مَنْ صامَ شهر رمضان، ثم أدرك شهر رمضان فصامه»

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (١٧٤)، والبزار (٢٣٤٦ - كشف) والطبراني في «الأوسط» (٦٥٤٣) و(٨١١٤)، وفي إسناده ضعف يسير.

(٢) مسلم (٢٣٩٣)، وقد سبق تخريجه مفصلا، البخاري (٣٩٨٠) من رواية أبي هريرة، انظر ت(١) ص١٠٢٥

(٣) في «البعث والنشور» برقم (٢٨٠)، والخطيب في «تاريخه» (٤/ ١٧٨، ١٧٩)، و«الكامل» لابن عدي (٢/ ٧٩٥).

(٤) فسر هَذَا الحديث معنى قوله ﷺ: « ..أطاب الكلام».

قيل: وما إطعام الطعام؟ قال: «**من قات عياله، وأطعمهم**» قيل: فما إفشاء السلام؟ قال: «**مصافحة أخيك، وتحيته**» قيل: وما الصلاة والناس نيام؟ قال: «**صلاة العشاء الآخرة**» وفيه حفص بن عمر مجهول، وفي «حادي الأرواح»[1] أنَّ ابن عدي ضعفه، وكذا ابن حبان لٰكن قال: إنَّ حديثه هٰذا له شواهد[2] /٦٠٣/ ، ثمَّ ذكر من شواهده حديثًا خرجه ابن السماك عن جابر بن عبد الله مرفوعًا فذكر نحوه إلا أنَّه قال: «**ومن صام رمضان، ومن كلِّ شهر ثلاثة أيام فقد أدمن الصيام، ومَنْ صلّى العشاء الآخرة في جماعة فقد صلى والناس نيام اليهود، والنصارى، والمجوس**»[3] قال: وهٰذا وإنْ كان إسناده لا يحتج به وحده فإذا ٱنضم إلى ما تقدم ٱستفاد قوة مع أنَّه روي بإسنادين آخرين أي: والإسناد إذا كان ضعيفًا لم يشتد ضعفه إذا ٱعتضد ٱرتقى إلى رتبةِ القبول[4] وما أحسن قول الشاعر حيث يقول:

يا مريض الجفون عذبت قلبا كان قبل الهوى قويًا سويا
لا تحارب بناظريك فؤادي فضعيفان يغلبان قويا

---

(١) «حادي الأرواح» ص٢٠٨ . (٢) «حادي الأرواح» ص٢٠٥-٢٠٨.

(٣) رواه ابن عدي ٢/ ٣٨٧ (ترجمة حفص بن عمر بن حكيم)وقال: وهذه الأحاديث بهذا الإسناد مناكير لا يرويها إلا حفص بن عمر بن حكيم هَذَا وهو مجهول، ورواه ابن حبان في «المجروحين»١/ ٢٥٩-٢٦٠ وعدّه من المناكير، ورواه الخطيب ٤/ ١٧٨.

(٤) لكن الحديث المنكر وشديد الضعف والموضوع وشبه الموضوع لا يدخل تحت هَذَا الباب فلا يتقوى بمنكر أو ضعيف.

والمقصود أنَّ الضعيف إذا أنضم إلى مثله أكتسبا بانضمامها قوة لم تكن لكلٍّ واحد منهما بانفراده وارتقيا إلى رتبةِ القبول والله سبحانه وتعالى أعلم.

فصل

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥] الوفد: الجماعة الراكبون.

أخرج ابن أبي الدنيا[١] عن علي كرَّم اللهُ وجهه قال: قلت: يا رسول الله ما الوفد إلا راكب؟ قال النَّبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده إنَّهم إذا خرجوا من قبورهم أستقبلوا بنوق بيض لها أجنحة عليها رحال الذهب شرك نعالهم نوريتلألأ كل خطوة منها مثل مد البصر، وينتهون إلى باب الجنَّةِ فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهبِ، وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينان فإذا شربوا من إحداهما جرتْ في وجوههم نضرة النعيم، وإذا توضئوا من الأخرى لم تشعث [أشعارهم][٢] أبداً. فيضربون الحلقة [بالصفيحة][٣] فيسمعون طنينَ الحلقةِ، [يا علي][٤] فيبلغ كلّ حوراء أنَّ زوجها قد أقبل فتسْتخفها العجلة فتستغيث قيمها فيفتح له الباب، فلولا أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ عرفه نفسه لخرّ [له][٥] ساجدًا مما يرى من النور والبهاء؟ فيقول: أنا قيمك الذي وكلت بأمرك فيتبعه، فيقفوا أثره فيأتي زوجته، فتستخفها**

(١) ابن أبي الدنيا صفة الجنة (٣١٥) رقم (٧) مضى في ص٨٩٨ ت(٣).
(٢) في صفة الجنة (شعورهم).   (٣) فيه (ليفتحه).
(٤) زيادة منه.   (٥) فيه ساقطة.

العجلة، فتخرج من [الجنةِ][١]، فتعانقه، وتقول: أنت حبي، وأنا حبك، وأنا الراضية فلا أسخط أبدا، وأنا الناعمة /٦٠٤/ فلا أبأس أبدًا، و[أنا][٢] الخالدة فلا أظعن أبدًا فيدخل بيتًا من أساسهِ إلى سقفه مائة ألف ذراع مبني على جندل اللؤلؤ، والياقوت طرائق حمر، وطرائق خضر، وطرائق صفر ليس منها طريقة تشاكل صاحبتها، فيأتي الأريكة فإذا عليها سرير على السرير سبعون فراشًا عليها سبعون زوجة على كلِّ زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الجلدِ يقضي جماعَهن في مقدارِ ليلة، تجري مِنْ تحتهم أنهارٌ مطردة أنها من ماء غير آسن صافٍ ليس فيه كدر، وأنهار من عسلٍ مصفى لم يخرج مِنْ بطونِ النحلِ، وأنهار من خمرةٍ لذة للشاربين لم تعصره الرِّجالُ بأقدامها، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم يخرج من بطون الماشية، فإذا اشتهوا الطَّعامَ جاءتهم طير بيض فترفع أجنحتها، فيأكلون مِنْ جنوبها من أي الألوان شاءوا، ثمَّ يطير فيذهب، فيها ثمار متدلية إذا اشتهوها انبعث الغصن إليهم، فيأكلون من أي الثمار شاءوا إنْ شاء قائمًا، وإنْ شاء متكئا، وذلك قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمٰن: الآية ٥٤] وبين أيديهم خدمٌ كاللؤلؤ»[٣].

قال في «حادي الأرواح»[٤]: هٰذا حديثٌ غريب، وفي إسنادهِ

---

(١) فيه الخيمة. (٢) زيادة منه.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة»(٧)، والعقيلي ١/٨٦، وإسناده واهٍ، وعزاه ابن كثير ٣/١٣٨ إلى ابن أبي حاتم من رواية أبي معاذ البصري عن علي. انظر «الدر المنثور» تفسير آية (٨٥) مريم. انظر ص٨٩٨ ت(٣).

(٤) ص ٢١٢ .

ضعف، وفي رفعه نظر، والمعروف أنَّه موقوف على عليّ كرّم الله وجهه ٱنتهى.

قلت: إذا صَحَّ عَنْ عليّ فحكمه الرفع؛ لأنَّ مثله لا يقال من قبل الرأي جزمًا والله الموفق.

وأخرج أبو نعيم عن الضحاك قال: إذا دخلَ المؤمنُ الجنَّةَ دخل أمامه ملك فأخذ به في سككها فيقول له: ٱنظر ما ترى؟ قال: أرى أكثر قصور رأيتها من ذهب، وفضة، وأكثر أنيس فيقول له الملك: فإنَّ هٰذا أجمع لك حَتَّى إذا رفع إليهم ٱستقبلوه من كلِّ باب، ومن كل مكان نحن لك نحن لك ثُم يقول: ٱمش فيقول له: ماذا ترى؟ فيقول: أرى أكثر عساكر رأيتها من خيام، وأكثر أنيس قال: فإنَّ هٰذا أجمع لك فإذا رفع إليهم ٱستقبلوه يقولون: نحن لك نحن لك.

وأخرجَ الشيخان[1] عن سهل بن سعد رَضِي اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**ليدخلن الجنة من أمّتي سبعون ألفا، أو سبعمائة ألف متماسكون آخذ بعضهم ببعض لا يدخل أوّلهم / ٦٠٥/ حَتَّى يدخل آخرهم[2] على صورة القمرِ ليلة البدرِ**» والله أعلم[3].

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٥٤) كتاب: الرقاق، باب صفة الجنة والنار. ومسلم (٢١٩) كتاب: الإيمان، باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب.

(٢) ورد في هامش الأصل: والمراد أنه يدخلون معترضين صفًا واحدًا.

(٣) «حادي الأرواح» ص٢١١-٢١٥.



الباب السادس

في صفة أهل الجنة وأعلاهم وأدناهم منزلة وتحفتهم إذا دخولها

أَمَّا صفتهم فأخرج الإمامُ أحمد[١] عن أبي هريرةَ رَضِي الله عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الله عَزَّ وَجَلَّ آدم على صورته[٢] طوله ستون ذراعًا فلمَّا خلقه قال له: اْذهب فسلم على أولئك النفر وهم نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنَّها تحيتك، وتحية ذريتك[٣]. قال: فذهب فقال: السلام عليكم فقالوا: السلام[٤] عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعا فلم يزل ينقص الخلق بعد حَتَّى الآن[٥]. متفق عليه.

وأخرج الإمام أحمد[٦] عنه رَضِي الله عَنْهُ قال: قال رسول الله

---

(١) «مسند أحمد» ٢/ ٣١٥ . ورواه البخاري برقم (٣٣٢٦) كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم وذريته. ومسلم برقم (٢٨٤١) كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير.

(٢) ورد في هامش الأصل: أي: عَلَى صورة آدم التي كان عليها من مبدأ الفطرة إلى موته لم تتفاوت قامته.

(٣) ورد في هامش الأصل: أي المسلمين منهم.

(٤) ورد في هامش الأصل: وهذا أول مشروعية السلام.

(٥) ورد في هامش الأصل: فانتهى التناقص إلى هذه الأمة.

(٦) مسند أحمد ٢/ ٢٩٥ .

ﷺ: «**يدخل أهل الجنَّةِ الجنةَ[١] جردا مردا[٢] بيضا جعادا مكحلين[٣] أبناء ثلاث وثلاثين، وهم على خلق آدم ستون ذراعا في عرض سبعة أذرع**» قيل تفرد به حماد عن علي بن يزيد.

وفي جامع الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين بني ثلاث وثلاثين**» قال الترمذي: حسن غريب[٤].

وأخرج أبو بكر بن أبي داود عن أنس رَضِي الله عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يبعث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جردا مردا مكحلين، ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم**»[٥].

وأخرج الترمذي عن أبي سعيد رَضِي الله عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن مات مِن أهل الجنة مِن صغير أو كبير يردون بني ثلاثين سنة في الجنةِ لا يزيدون عليها أبدا، وكذلك أهل النار**»[٦][٧].

---

(١) ساقطة من (ب).

(٢) ورد في هامش الأصل: أي: لا شعر عَلَى أبدانهم.

(٣) ورد في هامش الأصل: أي: عَلَى أجفانهم سواد خلقي.

(٤) رواه أحمد ٥/ ٢٣٩ و٢٤٣، رواه الترمذي (٢٥٤٥)، والطبري ٢٤/ ٣٢، والطبراني ٢٠/ (١١٨).

(٥) «البعث» لابن أبي داود (١٢)، والطبراني في «الصغير» (٢/ ١٤)، و«الحلية» (٣/ ٥٦)، و«صفة الجنة له» (٢٥٥).

(٦) رواه ابن المبارك في «الزهد»(٤٢٢)، والترمذي (٢٥٦٢)وفي سنده ضعف.

(٧) ذكره «حادي الأرواح» ص٢١٦-٢١٨.

قال في «حادي الأرواح»[1]: فإنْ كان هٰذا محفوظا لم يناقض ما قبله فإن العرب إذا قدرت بعدد له نيف فإن لهم طريقتين تارة يذكرون النيف للتحديد، وتارة يحذفونه، وهٰذا معروف في كلامهم وخطاب غيرهم من الأمم ٱنتهى.

والحاصل أنَّه /٦٠٦/ ألْغَى الكسر وهو كثير في كلام الشارع جدًا والله أعلم.

وأخرجَ ابن أبي الدنيا[2] عن أنس بن مالك رَضِي الله عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدخل أهل الجنة على طولِ آدم ستين ذراعًا بذراع الملك، على حسن يوسف، وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة، وعلى لسان محمد جرد مرد مكحلون**»[3].

وأخرجَ الطبراني عن المقداد بن الأسود مرفوعًا: «**يحشر الناس ما بين السقط إلى الشيخ الفاني أبناء ثلاث وثلاثين في خلق آدم، وحسن يوسف، وقلب أيوب مكحلين ذوي أفانين أي: شعور وجمم**»[4].

قال الإمام العلامة: ولعل المراد بقوله: «**يحشر الناس**» أي: عند دخول الجنةِ، وإلا فالأطفال يأتون الموقف كهيئتهم وعند الدخول يكونون في الجنةِ كالبالغين. ٱنتهى والله أعلم.

(١) ص٢١٨ . (٢) في «صفة الجنة» برقم (٢٢٠).

(٣) ذكره في «حادي الأرواح» ص٢١٨.

(٤) رواه الطبراني ٢٠/٢٥٦ (٦٠٤)، وأورده الهيثمي ١٠/ ٣٣٤، وقال: وفيه يزيد بن سنان أبو فروة الرّهاوي، وهو ضعيف، وفيه توثيق لين، ونحوه من حديث المقداد بن معدي كرب في «المجمع» ١٠/ ٣٣٤، وحسنه الهيثمي.

هٰذا خلقهم، وأمَّا أخلاقهم فقد قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: الآية ٤٧] فأخبر عن قلوبهم، وتلاقي وجوههم. وفي الصّحيحين[1]: أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم ستون ذراعًا في السَّماء. والرواية على خلق بفتح الخاء، وسكون اللام.

قال في «حادي الأرواح»: والأخلاق كما تكون جمعًا للخلق بالضم فهي جمع للخلق بالفتح، والمراد [تساويهم][2] في الطول، والعرض، والسن وإنْ تفاوتوا في الحسنِ والجمالِ ولهذا فسره بقوله: «**على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في السماء**».

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِي الله عَنْهُ: «**أوّل زمرة تلج الجنَة**» الحديث. وقد تقدم وفيه: «**لا ٱختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيّة**» وكذلك وصف الحق سبحانه نساءهم بأنّهنّ أترابا. قال في «حادي الأرواح»: أي في سن واحد ليس فيهن العجائز، والشواب قال: وفي هٰذا الطول، والعرض، والسن من الحكمة ما لا يخفى فإنَّه أبلغ وأكمل في ٱستيفاء اللذة؛ لأنَّه أكمل سن القوةِ مع عظم آلات اللذة، وباجتماع الأمرين يكون كمال

---

(١) رواه البخاري من حديث أبي هريرة برقم (٣٣٢٧) كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم وذريته. ومسلم برقم (٢٨٣٤)، كتاب: الجنة ونعيمها، باب: أول زمرة تدخل الجنة..

(٢) رسمها في الأصل ، نشاوهم وما أثبت من «حادي الأرواح» ص٢١٩.

اللذة، وقوّتها بحيث يصل في اليوم الواحد إلى مائة عذراء. كما سيأتي إنْ شاء الله ولا يخفى التناسب الذي بين الطول والعرض وأنَّه لو زاد أحدهما / ٦٠٧/ على الآخر فات الاعتدال، وتناسب الخلقة، ويصير طولا مع رقة، أو غلظا مع قصر وكلاهما غير مناسب.

وقال القرطبي في «التذكرة»[١]: تكون الآدميات في الجنة على سن واحد، وأمَّا الحور فأصناف مصنفة صغار وكبار على ما ٱشتهت أنفسُ أهل الجنَّةِ. ٱنتهى والله أعلم.

تنبيه: زعم بعضُ الناسِ أنَّه يدخل الجنة سيدنا آدم، وموسى، وهارون وسيدنا إبراهيم الخليل، وسيدنا أبو بكر الصديق، وزاد بعضُهم نوحًا عليهم الصلاة والسلام بلحية، (ونظم بعضهم)[٢] ذٰلك في أبيات من الشعر، وكل هٰذا كذب مفترى: أنشدنا شيخنا العلامة الشيخ محمد العجلوني الشافعي قال: أنشدنا شيخنا علاّمة وقته الشيخ أبو رميلة التميمي الخليلي لنفسه في المسجد الأقصى سنة ١٠٨٩ قال رحمه الله تعالى:

وستة ليستْ لأهل الجنَّةِ ... لا بول لا غائط لا أجنّة
كذاك لا نومَ ولا أسنانا ... ولا لحى أيضًا كما أتانا
واستثن منهم ستّة قد خصّوا ... بلحية قد جاء فيهم نصّ
هم آدم ونوح إبراهيم ... هارون والصّديق والكليم

قلتُ: أمَّا كون أهل الجنة لا بول لهم ولا غائط فهٰذا حقّ صحيح،

---

(١) ص ٥٥٥ .

(٢) في (ب) و(ط) (وبعضهم نظم).

وكذا لا أجنّة أي: لا يولد لأهل الجنةِ أولاد، ولا ينامون كما يأتي، وليس لأحد منهم لحية البتة، وما ذكرنا عن بعضِهم لا أصل له إذ لم يثبت ذٰلك عن حضرة الرسالة جزمًا. نعم ورد في آدم، وموسى، وهارون أحاديث موضوعة، وأخبار مصنوعة لا يعوّل عليها، ولا ينظر إليها، وقد ذكرها الإمام الحافظ ناصر السنة ابن الجوزي في «الموضوعات»[1] وللبرهان الناجى في ذٰلك مصنّف لطيف وقفت عليه، وتأملته، ولخصته، وزدت عليه زوائد حسنة حكم فيه ببطلان ما ورد في هٰذا الباب فهٰذا كلام أهل الأثر طافح ببطلان ذٰلك.

قال الإمام الحافظ ناصر السّنة ابن الجوزي طيب الله ثراه في كتابه «الموضوعات»[2] بعد أن حكم ببطلان كون لموسى عليه السلام لحية ما نصّه: قلت: ووضع هٰذا الحديث وضع قبيح؛ لأنَّه لو كان معظما /٦٠٨/ باللحية لكان نبينا أحق، ثم إنه متى كان الناس على حالةٍ وانفرد واحد بغير حالتهم كان ذٰلك كالعار عليه، والشهرة له فلا فائدة في ذٰلك ٱنتهى.

وقد أجاب الإمامُ الحافظ ابن حجر العسقلاني قدس الله روحه مَنْ سأله أنَّه ورد في بعضِ كتب الفرسِ أن للخليل، وأبي بكر لحية في الجنَّةِ بأنه لم يثبت ذٰلك، ولا أعرف ذٰلك في شيء من كتب الحديث المشهورة والأجزاء المنثورة. ٱنتهى.

---

(١) ٣/ ٥٨٦ - ٥٨٨ (١٨١٤ - ١٨١٧).

(٢) ٣/ ٥٨٩ .

فبطل أنْ يكون لأحدٍ في الجنةِ لحية البتة ولذا قلت في معارضة من زعم أن لمن ذكر لحية:

لعمرك أهل الخلد مرد جميعهم كما صحّ في أخبار خير البرية
وما قيل في موسى الكليم وصنوه وآدم والصديق ليس بمثبت[١]
كذاك خليل الله ما صحّ أنّه يرى في جنات الخلدِ يومًا بلحيةّ

وأما قوله: «**ولا أسنان**» هٰذا مما أتعبت نفسي في تصفح الطروس، والبحث في الدروس، ومراجعة الأساطين، ومراسلة الجهابذة الراسخين، وتأمل الدفاتر، وكشف الذخائر فلم أقف لذٰلك على أصل، ولم أظفر فيه بنقل لا بسند صحيح [ولا][٢] ضعيف ولا حسن ولا باطل ولا نحيف، وقد طالبت شيخنا بالأصل الوارد في ذٰلك، فعسر عليه، فقلت: إنْ لمْ يظهر لنا دليل هٰذا فلا ننظر إليه فإني والله لم أر فيه بعد شدة الفحص، ونصب النفس أثرًا سوى أقاويل كحكايات الأولاد، ومثل هٰذا إنما يثبت بصحة سنده عن خير العباد فإن رأينا الدليل الثابت فهو المراد، وإلا فهو عندنا مردود سيما وقد ورد خلافه بأنه تضيء الجنة من حسن ثنايا الحور العين. فإن قيل: لا يلزم أن تعيين الحور العين كأولاد آدم. قلنا: بل هم سواء حينئذ، والله تعالى أعلم.

---

(١) ورد في هامش الأصل: وغيرت البيت الثاني فقلت:
وما قيل في نوح وموسى وصنوه وآدم والصديق ليس بمثبت
المؤلف من خطه عن نسخته.

(٢) ليست في الأصل، وأثبتناه لتستقيم الجملة.

فصل

وأما أعلى أهل الجنة منزلة فهو نبينا محمد ﷺ. قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [البقرة ٢٣٥] قال مجاهد وغيره: منهم من كلَّم الله موسى، ورفع بعضَهم درجات هو محمد[١] ﷺ، وفي حديث الإسراء المتفق /٦٠٩/ عليه أنَّه ﷺ لمَّا جاوز موسى قال: «رب لم أظن أن يرفع علي أحد» ثم علا فوق ذٰلك بما لا يعلمه إلا الله حَتَّى جاوز سدرة المنتهى.

وفي صحيح مسلم[٢] عن عمرو بن العاص أنَّه سمعَ النَّبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صَلوا علَيّ فإنَّه مَنْ صلَّى علَيَّ صلاةً صلَّى الله عليه بها عشرًا، ثُمَّ سَلُوا لي الوسيلةَ، فإنَّها منزلةٌ في الجنةِ لا تنبغي إلا لعبدٍ مِنْ عبادِ الله وأرجو أنْ أكونَ أنا هو فَمَنْ سَأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة».

وفي صحيح مسلم أيضًا عن المغيرة بن شعبة مرفوعًا: «إنَّ موسى عليه السلام سأل ربَّه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال: (يعني الله سبحانه وتعالى) رجل (أي: هو رجل) يجيء بعدما دخل أهلُ الجنةِ الجنَّة فيقال له: ٱدخل الجنة. فيقول: رب كيف وقد نزل الناس منازلهم

(١) ورد في هامش الأصل: والإبهام لتفخيم شأنه كأنه العلم المتعين بهذا الوصف المستغني عن التعيين بأنه خص بالدعوة العامة والمعجزات المشرقة والفضائل العلمية والعملية.

(٢) هذا الحديث رواية عبد الله بن عمرو بن العاص وليس عمرو بن العاص، رواه مسلم (٣٨٤) كتاب: الصلاة، باب: استحباب القول مثل قول المؤذن. . .

وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب. فيقول: لك ذلك، ومثله، ومثله، ومثله. فقال في الخامسة: رضيت رب. قال: رب فأعلاهم منزلة. قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها فلم ترعين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر»(١).

وأخرج الترمذي عن ابن عمر رَضِي الله عَنْهُما عن النَّبي ﷺ أنه قال: «إنَّ أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى خيامه، وأزواجه، ونِعَمِهِ، وخدمه، وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة(٢) وعشية، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة](٣) ولهذا الحديث طرق، وروي موقوفًا على ابن عمر، ومرفوعًا كما هنا والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأما أدنى أهل الجنةِ منزلة، وليس فيها دني فأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرةَ رَضِي الله عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة له سبع درج، وهو على السادسة، وفوق السابعة، وإن له لثلاثمائة خادم، ويغدا عليه ويراح كلّ يوم بثلاثمائة صحفة - ولا أعلمه إلاَّ قال: من (ذهبٍ)(٤) - في كل صحفة لون ليس في

---

(١) رواه مسلم (١٨٩)، وابن حبان (٦٢١٦) و(٧٤٢٦)، انظر ت(١) ص١٠١٥.

(٢) ورد في هامش الأصل: أي: في مقدارهما في أن الجنة لا غدوة فيها ولا عشية.

(٣) رواه الترمذي (٣٣٣٠)، وفي (٢٥٣٣)ببعضه، وأبو يعلى (٥٧٢٩)، والحاكم ٢/ ٥٥٣ وصححه.

(٤) هذه الكلمة ساقطة في الأصل واستدركناها من مصدر التخريج و(ب)و(ط).

الأخرى، وإنَّه ليلذ أوله كما يلذ آخره. ومن / ٦١٠/ الأشربة ثلاثمائة إناء في كلّ إناء لون ليس في الآخر وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، وإنه ليقول[1]: رب[2] لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنَّة، وسقيتهم لم ينقص مما عندي شيئًا وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدُنيا، وإنَّ الواحدة منهن ليأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض»[3][4].

قال في «حادي الأرواح»[5]: فيه سكين بن عبد العزيز ضعفه النسائي، وفيه شهر بن حوشب وضعفه مشهور. قال: والحديث منكر مخالف للأحاديث الصَّحيحة، فإن طول ستين ذراعًا لا يحتمل أن يكون مقعدة صاحِبِهِ بقدر ميل من الأرض.

قلت: ليس من كانت بهٰذه المثابة من الجمال بشيء، بل رؤية هٰذه تزيل العقل والذي في الصحيحين «في أوَّل زمرة تلج الجنَّة لكلِّ أمرئ منهم زوجتان من الحور العين»[6] فكيف يكون لأدناهم ثنتان وسبعون من الحور العين وأقل ساكني الجنَّة نساء الدنيا؟ فكيف يكون لأدنى أهل الجنَّةِ جماعة منهن؟ كذا في «حادي الأرواح»[7].

---

(١) في (ب): يقول. (٢) في (ب): يا رب.

(٣) رواه أحمد ٢/ ٥٣٧ وفي إسناده شهر بن حوشب فيه ضعف.

(٤) ذكره في «حادي الأرواح» ص٢٢٠-٢٢٢.(٥) «حادى الأرواح» ص٢٢٣.

(٦) رواه البخاري (٣٢٥٤) في كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ومسلم (٢٨٣٤) في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشيا.

(٧) «حادي الأرواح» ص٢٢٣، انظر ص١٠٣٩.

قلتُ: ليس في الحديث إلَّا أنّ له ٱثنتين وسبعين من الحور العين سوى أزواجه من الدُّنيا يعني سوى أزواجه الكائنة في الدنيا لا أنه كلّ إنسان في الجنَّة له أزواج من نساء الدنيا، وكون أوّل زمرة تلج الجنَّة لكلٍّ واحد منهم زوجتان من الحور العين لا ينافي أنْ يكون له أكثر من ذٰلك إذ العدد لا مفهوم له، فتأمل على أن شهر بن حوشب وثقه جماعة وحسّنوا له، لٰكن خالف الثقات هنا فرد حديثه والله أعلم.

فصل

وأمَّا تحفة أهل الجنَّةِ إذا دخلوها فزيادة كبد النون.

كما أخرجه مسلم في «صحيحه»(١) عن ثوبان رضي الله عنه قال: كنت قائمًا عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السَّلام عليكَ يا محمد فدفعته دفعةً كاد يصرع منها فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله! فقال اليهودي: إنمّا ندعوه باسمه الذي سمَّاه به أهلُه فقال ﷺ: «إن ٱسمي محمد الذي سماني به أهلي فقال اليهودي: جئتُ أسألك: فقال له ﷺ: **«أينفعك شيء إن حدثتك»** قال: ٱسمع بأذني فنكتَّ رسول الله ﷺ بعود معه فقال: **«سل»** فقال اليهودي: أين تكون الناس يوم تبدل الأرضُ غير الأرض، والسموات؟ فقال ﷺ: **«هم في الظلمة دون الجسر»** قال: فَمَن أوّل

---

(١) مسلم (٣١٥) كتاب: الحيض، باب: بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائها، والنسائي في عشرة النساء (١٨٨)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٣٧)، والحاكم (٣/ ٤٨١)، والطبراني (١٤١٤)، والبيهقي في «البعث» (٣١٥).

الناسِ إجازة يومَ القيامةِ؟ قال: «**فقراء المهاجرين**» قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنَّة؟ قال: «**زيادة كبد النُّون**» قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: «**يُنحر لهم ثورُ الجنَّة الذي يأكل من أطرافها**» قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «**من عين فيها تسمَّى سلسبيلا**» قال: صدقت، قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحدٌ من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان قال: «**ينفعك إن حدَّثتك؟**». قال: أسمع بأذني قال: جئت أسألك عن الولد قال: «**ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرَا بإذن الله**» أي: أتى المولود ذكرًا وإذا علا مني المرأة مني الرَّجل آنثا بإذن الله» أي: جاء المولود أنثى، فقال اليهودي: لقد صدقت، وإنك لنبي، ثُمَّ انصرف. فقال ﷺ: «**لقد سألني هذا عنِ الذي سألني عنه، ومالي علمٌ منه بشيء حتى أتاني الله عز وجل به**».

وفي صحيح البخاري[1] عن أنس رضي الله عنه أنه سمع عبد الله بن سلام رضي الله عنه مقدم رسول الله ﷺ المدينة، وهو في أرض يخترف أي: يجتني منها الثمار والخريف: الزمان الذي تُخترف فيه الثمار يُقال: اخترفت الثمرة أي: اجتنيتها: فأتى النَّبيّ ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: فمَا أوّل أشراط الساعة؟ وما أوّل طعام أهل الجنَّة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه، أو إلى أمه؟ قال: أخبرنا بهن جبريل آنفا قال: (يعني: ابن سلام) جبريل؟ قال النَّبيّ ﷺ: «**نعم**» قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية: ﴿مَن

(١) «صحيح البخاري» (٣٣٢٩) كتاب: الأنبياء، باب: خلق آدم وذريته.

كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧] أمَّا أوَّل أشراط السَّاعة، فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأمّا أوَل طعام يأكله أهل الجنَّةِ فزيادة كبد الحوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولدَ، / ٦١٢/ وإذا سبق ماءُ المرأة نزعت قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله يا رسُولَ الله إنَّ اليهود قوم بهت وإنهم إنْ يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم بَهتَوني فجاءت اليهود فقال: «أي رجل عبد الله فيكم؟» قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا قال: «أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟» فقالوا: أعاذه الله من ذٰلك فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله. فقالوا: شرّنا وابن شرِّنا، وانتقصوه فقال: هٰذا الذي كنت أخاف يا رسول الله.

قلت: وهو في «ثلاثيات الإمام أحمد» وفيه: وأعلمُنا وابن أعلمِنا.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد مرفوعًا: «تكون الأرض يوم القيامة خبزةً واحدةً يتكفؤها الجبار كما يتكفؤ أحدُكم خبزته في السَّفر نزلاً لأهل الجنَّة» فأتى رجلُ من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجنَّةِ يوم القيامة؟ قال: «بلى» قال: تكون الأرض خبزة واحدة، (كما قال النَّبيّ ﷺ) فنظر النَّبيّ ﷺ إلينا، ثُمَّ ضحك حتى بدت نواجذه، ثُمَّ قال: «ألا أخبرك بإدامهم؟» قال[1]:

(١) في (أ): قال: بلى.

«إدامهم بالامٌ ونون». قال: «وما هٰذا؟» قال: «ثور ونون، يأكل منْ زيادة كبدها سبعون ألفًا»[١].

قال في «مشارق الأنوار»: بالامٌ ثور الجنَّة، والنون: الحوت. أما النون فمعروف في كتاب ٱ لله تعالى، وفي لسان العرب، وأما بالام فليست بعربية ولا حكاها أحد عنهم. قال القاضي عياض: وجدت هٰذه الحروف في كتاب الحميدي يعني: الأندلسي باللاي، واللاي الثور الوحشي علي مثال اللهي واللغي، ولا أعلم من رواه هكذا إلا ما رأيت له فإن كان أصلحه مما ظن أنه صُحِّف فقد بقيت الميم التي تثبت بعد اللام في الصحيح فتحمل على أنها تصحفت من الياء الساكنة بعد اللام من اللاي[٢].

وقال الخطابي[٣]: لعل اليهودي أراد التعمية فقطع الهجاء، [وقد][٤] قدم أحد الحرفين [فقال يا لام][٥]، وإنما [هو][٦] [الرتبة][٧]

---

(١) رواه البخاري (٦٥٢٠) في الرقاق، باب: يقبض الله الأرض يوم القيامة، ومسلم (٢٧٩٢) في صفة القيامة والجنة والنار، باب: نزل أهل الجنة.
وقوله: «خبزة واحدة»: أي الطُلمة، وهي عجين يوضع في الملَّة، أي الرماد الحار حَتَّى ينشج. «يكفؤها الجبار بيده»: أي يُميلها من يدٍ إلى يدٍ حَتَّى تجتمع وتستوي؛ لأنها ليست منبسطة.
«بالام» لفظة عبرانية معناها ثور.

(٢) «مشارق الأنوار ١/ ٧٦ وهنا فيه حذف وتقديم وتأخير ليس كالأصل.

(٣) «أعلام الحديث» (٢٢٦٦).

(٤) غير موجود في «أعلام الحديث».

(٥) زيادة من «أعلام الحديث».

(٦) زيادة من «أعلام الحديث».

(٧) في «أعلام الحديث»: في حق الترتيب.

[لام ألف وياء هجاء][(١)] لأي على وزن لعا[(٢)] فصحف الراوي الباء بالياء قال: وهٰذا أقرب ما يقع لي فيه اللهم إلا أن يكون عبر عنه بالعبرانية فقدَّم[(٣)] الياء؛ لأن أكثر العبرانية مقلوب على لسان العرب بتقديم حروف، /٦١٣/ وتأخيرها، وقد قيل: إن العبراني هو العرباني[(٤)]، فقدموا الباء، قال: وهٰذا كله مع ما فيه من التحكم، والظن غير مسلم؛ لأن هجاء اللاي غير هجاء بالام، وأولى ما يقال: أن تقرأ الكلمة كما رويت، وتكون عبرانية، ألا ترى أنهم سألوا اليهودي عن تفسيرها؟ ولو كانت كما قال الحميدي باللاي لعرفوها بلغتهم، ولا يوجد في اللغة العبرانية بالام؛ لأنه ٱسم ثور، قال: وقد سألت عنه من يقوم به فلم يعرفه، قالوا: وإنما البالم في اللغة العبرانية

---

(١) في «أعلام الحديث»: لام ياء هجاء.

(٢) في «أعلام الحديث» زيادة أي ثور وبعدها العبارة في «الأعلام» بقيتها هكٰذا نصها: يقال للثور الوحشي اللأي، وجمعه الآلاء، فصحف فيه الرواة فقالوا: بَالَام -بالباء- وإنما هو بَالَام بحرف العلة وكتبوه بالهجاء المضاعف، فأشكل واستبهم كما ترىٰ وهٰذا أقرب ما يقع لي فيه إلا أن يكون ذلك بغير لسان العرب، فإن المخبر به يهودي، فلا يبعد أن يكون إنما عبر بلسانه، ويكون ذلك في لسانهم بلا وأكثر العبرانية فيما يقوله أهل المعرفة بها مقلوب عن لسان العرب -بتقديم الحروف وتأخيرها- وقد قيل إن العبراني هو العرباني، فقدموا وأخروا الراء والله أعلم بصحته.

(٣) ساقطة من (ب).

(٤) في (أ)، (ب): العربان، وما أثبت من «أعلام الحديث».

الشديد، فلا يمتنع أن يكون عندهم مستعملاً في الثور، وكل ما يوصف بالقوة والشدة، وأما زيادة الكبد فهي القطعة المنفردة المنقطعة فيها، وهي أطيبها، وهؤلاء السبعون ألفًا يحتمل أنهم الذين يدخلون الجنَّة بغير حساب، ويحتمل أنه أراد به التكثير من غير إرادة حصر والله الموفق.

الباب السابع
في ريح الجنَّة وبساتينها[١]، وأشجارها، وثمارها، وزرعها

أمّا ريحها فأخرج الطبراني عن عبد الله بن عمرو، عن النَّبيّ ﷺ قال: **«من قتل قتيلاً من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنَّة، وإن ريحها ليوجد من مسيره مائة عام»**[٢]. وأخرجه البخاري في صحيحه بلفظ: **«ليوجد من مسيرة أربعين عامًا»**[٣].

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا **«ألا من قتل نفسًا معاهدا له ذمة الله، وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنَّة، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفًا»**. قال الترمذي: حديث حسن صحيح[٤].

قال في «حادي الأرواح»[٥]: قال محمد بن عبد الواحد:

---

(١) في (أ): ومناديها.

(٢) رواه الطبراني كما في «كنز العمال» ١٥/ ٦٥-٦٦، والحاكم ٢/ ١٢٦ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه البخاري (٣١٦٦) في كتاب: الجزية والموادعة، باب: إثم من قتل معاهدًا بغير جُرْم ولفظه: «مَنْ قَتَلَ معَاهدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّة، وإنَّ رِيحَهَا يُوجَدُ مِنْ أربَعينَ عَامًا».

(٤) رواه الترمذي (١٤٠٣) في الديات، باب: ما جاء فيمن يقتلُ نفسًا معاهدَة.

(٥) «حادي الأرواح» ص٢٢٩.

وإسناده عندي على شرط الصحيح.

قال المحقق[١]: قلت: وقد رواه الطبراني عنه مرفوعًا «**من قتل نفسًا معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنَّة، وإن ريح الجنَّة يوجد من مسيرة مائة عام**»[٢] وأخرج عن أبي بكرة رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ريح الجنَّة يوجد من مسيرة مائة عام**»[٣].

قال في «حادي الأرواح»[٤]: وهٰذه الألفاظ لا تعارض بينها بوجه، وقد أخرجا في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: لم يشهد /٦١٤/ عمي مع رسول الله ﷺ بدرًا قال: فشق عليه قال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه فإنْ أراني الله مشهدًا فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع قال: فهاب أنْ يقولَ غيرها. قال: فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد قال: فاستقبل سعد بن معاذ فقال له أين؟ فقال: واها لريح الجنَّة أجده دون أحد قال: فقاتلهم حتى قتل قال: فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة،

---

(١) المصدر السابق.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٦٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦/ ٢٩٤: رواه الطبراني في «الأوسط» عن شيخه أحمد بن القاسم، ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح غير معلل بن نفيل وهو ثقة.
وانظر أبو يعلى (٩٤٥٢).

(٣) رواه أحمد ٥/ ٤٦، والحاكم ٢/ ١٢٦ وصححه، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (١٩٣) والبيهقي ٨/ ١٣٣، والضياء المقدسي في «صفة الجنة» (١٥٣).

(٤) «حادي الأرواح» ص٢٢٩.

وطعنة، ورمية فقالت أخته[1]: عمتي الربيع بنت النضر: فما عرفت أخي إلا ببنانه، ونزلت هٰذه الآية ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]. قال: فكانوا يرون أنها نزلت فيه، وفي أصحابه[2].

قال في «حادي الأرواح»[3]: وريح الجنَّة نوعان: ريح يوجد في الدُّنيا تشمه الأرواح أحيانًا لا يدركه العباد[4]، وريح يدرك بحاسة الشم للأبدانِ كما تشم روائح الأزهار، وغيرها، وهٰذا يشترك أهل الجنَّةِ في إدراكه في الآخرة من قرب وبعد، وأمَّا في الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه، ورسله، وهٰذا الذي وجده أنس بن النضر رضي الله عنه يجوز أن يكون من هٰذا، وأن يكون من الأول انتهى.

قُلْتُ: الظاهر أنه من الثاني؛ لأنَّه قوله: لريح الجنَّة أجده دون أحد، يشير إلى هٰذا، فتأمل

وأخرج «**أبو نعيم**» عن أبي هريرة مرفوعًا: «**رائحة الجنَّة توجد من مسيرة خمسمائة عام**»[5].

وأخرج الطبراني عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله

---

(١) في (ب): أخذت.

(٢) رواه البخاري (٢٨٠٥) في كتاب الجهاد، باب: قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ .ومسلم (١٩٠٣) في كتاب الإمارة، باب: ثبوت الجنة للشهيد.

(٣) «حادي الأرواح» ص٢٣٠.

(٤) العبادة في (أ، ب) وما أثبت من «حادي الأرواح».

(٥) رواه أبو نعيم في «الحلية» ٣/ ٣٠٧، وفي «صفة الجنة» ٢/ ٤٢، والحديث أصله في مسلم (٢١٢٨) انظر ت(١) ص٨٩٨.

ﷺ «ريح الجنَّة يوجد من مسيرة ألف عام والله لا يجدها عاقّ، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان، ولا جارّ إزاره خيلاء»[١].

وأخرج أبو داود الطيالسي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «من ادّعى إلى غير أبيه لم يرح رائحة الجنَّة وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام»[٢].

أخرج الطبراني، وأبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا قال: «تراح رائحة الجنَّة من مسيرة خمسمائة عام، ولا يجد ريحها منّان بعمله، ولا عاق، ولا مدمن خمر»[٣]./ ٦١٥/

وأخرج أبو داود، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم وصححه عن أبي هريرة مرفوعًا: «من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عَرف الجنَّة يوم القيامة»[٤].

---

(١) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/ ١٤٨-١٤٩: رواه الطبراني في «الأوسط» من طريق محمد بن كثير عن جابر الجعفي، وكلاهما ضعيف جدًا، انظر ص٨٩٨ ت(٢).

(٢) رواه الطيالسي (٢٢٧٤)، وابن ماجه (٢٦١١)، وأحمد (٢/ ١٧١)، والذي في مسند أحمد والطيالسي «سبعين عامًا»، وجاء في رواية «مائة عام»، أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (١٩٨)، والنسائي (٨/ ٢٥)، وابن الجارود في «المنتقىٰ» (٨٣٤)، و«المستدرك» (٢/ ١٢٦).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» ١/ ٢٥٠، و«الحلية (٣/ ٣٠٧)، و«صفة الجنة» لأبي نعيم (١٩٦) سبق تخريجه في ص١٠٧٠.

(٤) رواه أبو داود (٣٦٦٤) في كتاب: العلم، باب: في طلب العلم لغير الله تعالى، وابن ماجه (٢٥٢) في المقدمة، باب: الانتفاع بالعلم والعمل به، وابن حبان ١/ ٢٧٩-٢٨٠ (٧٨).

قلت: والجمع بين هٰذه الأحاديث أنه يختلف ذٰلك باختلاف الشّامّ، وهٰذا الذي أومأ إليه المحقق في «حادي الأرواح»[(١)] حيث قال: وهٰذه الألفاظ لا تعارض بينها والله الموفق

قال في «حادي الأرواح»[(٢)]: وأشهد الله سبحانه عباده في هٰذه الدار آثارا من آثار الجنَّة، وأنموذجا منها من الرائحة الطيبة، واللذات المشتهاه، والمناظر البهية، والفاكهة الحسنة، والنعيم والسرور، وقرة العين.

وأخرج أبو نعيم عن جابر رضي الله عنه مرفوعًا: «**يقول الله عز وجل للجنة: طيبي لأهلك**» فتزداد طيبًا[(٣)]. فذٰلك البرد الذي يجده الناس بالسحر من ذٰلك، كما جعل سبحانه نار الدنيا وآلامها وأحزانها مذكرة بنار الآخرة قال تعالى في هٰذه النار: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا﴾[(٤)] [الواقعة: ٧٣].

وأخبر الصادق ﷺ أنَّ «**شدة الحر والبرد من أنفاس جهنم**»[(٥)] فلابد أن يشهد عباده أنفاس جنته، وما يذكرهم بها، والله المستعان.

---

(١) «حادي الأرواح» ص٢٢٩. (٢) المصدر السابق ص٢٣١.

(٣) والحاكم في «المستدرك» ١/ ٨٥، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٠) (١٩٩).

(٤) كلمة [ومتاعًا] ساقطة من (ب).

(٥) رواه البخاري (٥٣٣-٥٣٤) في مواقيت الصلاة، باب: الإبراد بالظهر في شدة الحر من حديث أبي هريرة وابن عمر مرفوعًا. وبرقم (٥٣٦) من حديث أبي هريرة.

ورواه مسلم (٦١٥) و(٦١٧) في المساجد، باب: استحباب الإبراد بالظهر من حديث أبي هريرة.

فصل

وأما نداؤها فأخرج مسلم عن أبي سعيد، وأبي هريرة رضي الله عنهما، عن النَّبيّ ﷺ قال: «**ينادي منادٍ: إنَّ لكم أنْ تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإنَّ لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإنَّ لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**»[1] [الأعراف: ٤٣]

قوله: «فلا تبأسوا» مأخوذ من الباساء، وهي الشدة، ومثله لا يبأس، ولا يبأسون، وكذا في غناء الحور العين: «**ونحن الناعمات فلا نبأس**»[2] أي: لا تصيبنا شدة في ٱ لحال، ولا في الأنس، وهو البؤس، والبأس. والبؤس وفي الحديث «**هل رأيت بؤسا قط؟**»[3] ويروى: بؤسٍ، والتنوين أكثر وهو المصدر.

وأخرج عثمان بن أبي شيبة عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا: ﴿وَنُودُوٓا أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]

---

(١) البخاري (٥٣٧) و(٥٣٨) مسلم (٢٨٣٧) في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في دوام نعيم أهل الجنة.

(٢) الطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٣٦٧)، والطبري (٢٣/ ٥٧)، قال في «المجمع» (٧/ ١١٩) وفيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي.

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٨٠٧)، النسائي (٦/ ٣٦)، وأحمد (٣/ ٢٥٣).

قال: «نودوا أن صحوا / ٦١٦/ فلا تسقموا أبدًا، واخلدوا فلا تموتوا أبدًا، وانعموا فلا تبأسوا أبدًا»[١].

وأخرج مسلم عن صهيب رضي الله عنه أن النَّبيّ ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنَّةِ الجنَّة، وأهل النَّار النار نادى مناد يا أهل الجنَّةِ، إن لكم عند الله موعدًا فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنَّةَ، وينجينا من النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله فوالله ما أعطاهم الله شيئًا هو أحبُّ إليهم من النَّظر إليه»[٢].

وفي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله عزّ وجلّ يقول لأهل الجنَّة: يا أهل الجنَّةِ فيقولون لبيك ربنا، وسعديك فيقول: (هل رضيتم! فيقولون: وما لنا لا نرضى؟ وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا منْ خلقك فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذٰلك قالوا: ربنا وأي شيء أفضل من ذٰلك؟ قال: أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدًا»[٣].

وفيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يدخل الله أهل الجنَّةِ الجنَّة وأهل النار النار، ثُمَّ يقوم مؤذن بينهم،

---

(١) رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» ٢/ ١٤٨-١٤٩.

(٢) رواه مسلم (١٨١) في كتاب: الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى.

(٣) رواه البخاري (٦٥٤٩) في الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، (٧٥١٨) في التوحيد، باب: كلام الرب مع أهل الجنة.
ومسلم (٢٨٢٩) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدًا.

فيقول: يا أهل الجنَّةِ، لا موت، ويا أهل النَّار، لا موت كلّ خالد فيما هو فيه»[1].

وهٰذا الأذان وإن كان بين الجنَّة والنَّار فهو يبلغ جميع أهل الجنَّةِ والنار، ولهم نداء آخر يوم زيارتهم ربهم جلّ وعلا، يرسل إليهم ملكًا فيؤذن فيهم بذٰلك، فيسارعون إلى الزيارة كما يؤذن مؤذن الجمعة إليها وذٰلك في مقدار يوم الجمعة والله تعالى أعلم.

(١) رواه البخاري (٦٥٤٤) في الرقاق، باب: يدخل الجنّة سبعون ألفًا بغير حساب. ومسلم (٢٨٥٠) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء.

فصل

وأما أشجار الجنَّة، وبساتينها، وظلالها فقد قال تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝﴾ [الواقعة: ٢٧-٢٨] أي: لا شوك فيه كأنه خُضِدَ شوكهُ، أي: قطع ونزع منه، ذكره البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة، وقال الحسن لا يعقر الأيدي، وقال ابن كيسان: لا أذى فيه[1]. ٱنتهى.

وفي الحديث في المدينة «**لا يخضد شوكها، ولا يعضد شجرها**» وقال الضحاك ومقاتل: هو الموفر حملا.

قال العلامة في «بهجة الناظرين»[2]: وليس شيء من ثمر الجنَّة في غلفه كما يكون في الدنيا /٦١٧/ مثل الباقلاء وغيره بل هو كله مأكول، ومشروب، ومنظور إليه، ومشموم.

﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝﴾ [الواقعة: ٢٩] أي: موز متراكم قد نُضِّد بالْحَمْل من أوَّله إلى آخره ليست له سوق بارزة. قال مسروق: أشجار الجنَّة من عروقها إلى أفنانها ثمر كله[3].

تنبيه: ما ذكرنا أن الطلح الموز هو ما قدمه البغوي، ونقله في «حادي الأرواح»[4] عن أكثر المفسرين قال: وهٰذا قول عليّ وابن عباس، وأبي هريرة، وأبي سعيد رضي الله عنهم.

---

(١) البغوي في «التفسير» ٨/ ١١، ١٢. (٢) مخ/ ٣٧٤.
(٣) المصدر السابق ٨/ ١٢. (٤) «حادي الأرواح» ص٢٣٧.

وقالت طائفة: بل هو شجر عظام طوال، وهو من شجر البوادي الكثير الشوك عند العرب قال حاديهم:

سيرهـــا دليلـــهـــا وقـــالا غـــدا تـريـن الـطـلـح والجـبـالا

ولهذا الطلح[1] الشجر نور، ورائحة طيبة، وظل ظليل، وقد نضد بالحمل والثمر مكان الشوك.

وقال الليث: الطلح شجر أمِّ غيلان له شوك أحجن من أعظم العضاة شوكا، وأصلبه عودًا وأجوده صمغا.

وقال أبو إسحٰق: يجوز أن يعني به شجر أمّ غيلان؛ لأن له نورًا طيب الرائحة جدًا فوعدوا بما يحبون مثله، إلاَ أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنَّة على سائر ما في الدنيا فإنه ليس في الدنيا مما في الجنَّة إلا الأسامي[2].

قال في «حادي الأرواح»[3]: الظاهر أن من فسر الطلح المنضود بالموز إنما أراد التمثيل به لحسن نضده، وإلا فالطلح في اللغةِ: هو الشجر العظام من شجر البوادي والله أعلم.

وأخرج البيهقي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال أعرابي: يا رسُولَ الله، لقد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية، وما كنت أرى أن في

---

(١) ساقطة في (ب).

(٢) انظر هذه الأقوال في «تفسير القرطبي» ٢٠٨/١٧، و«حادي الأرواح» ص٢٣٨.

(٣) «حادي الأرواح» ص٢٣٨.

الجنَّة شجرة تؤذي صاحبها: فقال عليه الصلاة والسلام: «وما هي؟» قال: السدر، فإنَّ لها شوكًا، فقال رسول الله ﷺ: «**يقول ٱلله عز وجل: ﴿فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ٢٨﴾ [الواقعة: ٢٨] يخضد الله شوكه فيجعل مكان كلّ شوكة ثمرة، إنها تنبت، ثُمَّ ينفتق الثمر منها عن ٱثنين وسبعين لونًا من الطعام ما منها لون يشبه الآخر**»[١]. وأخرج الطبراني[٢] مثله والله أعلم.

قال تعالى: ﴿وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ٣٠﴾ [الواقعة: ٢٩]. قال البغوي: دائم لا تنسخه الشمس والعرب تقول للشيء الذي لا ينقطع: ممدود / ٦١٨/ فإن قيل: قد علم أن لا شمس في الجنَّة فكيف يكون فيها ظل؟

فالجواب: أن الوقت في الجنَّة يكون كساعة أوّل النهار قبل طلوع الشمس كما هو مقرر، ولا شك أن ذٰلك ظل، ولذا صح ٱتصافه بكونه ممدودًا أي: دائمًا لا تزيله شمس، كما فسره البغوي[٣] طيب الله ثراه والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ٤٨﴾ [الرحمن: ٤٨]. وهي جمع فنن، وهو الغصن وقال: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ٦٨﴾ [الرحمن: ٦٨][٤].

أخرج ابن أبي داود عن عتبة بن عبد السلمي، قال: كنت جالسًا مع رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فقال: يا رسُولَ الله، أسمعك تذكر في

(١) أخرجه الحاكم ٢/ ٤٧٦، والبيهقي في «البعث والنشور» (٣٠٢).
(٢) الطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٣٠).
(٣) «معالم التنزيل» ٨/ ١٢، تفسير سورة الواقعة ﴿وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ٣٠﴾.
(٤) البغوي في «التفسير» ٧/ ٤٥٢.

الجنَّة شجرة لا أعلم شجرة أكثر منها شوكًا - يعني: الطلح - فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله يجعل مكان كلّ شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود، فيها سبعون لونًا من الطعام لا يشبه لون الآخر**»(١).

قال في «حادي الأرواح»(٢): الملبود الذي ٱجتمع شعره بعضه على بعض.

وقال عبد الله بن المبارك: أخبرنا صفوان بن عمرو عن سليم ابن عامر قال كان أصحاب محمد ﷺ يقولون: إنَّ الله لينفعنا بالأعراب، ومسائلهم؛ أقبل أعرابي يومًا فقال: يا رسُولَ الله، ذكر الله في الجنَّة شجرة مؤذية، وما كنت أرى في الجنَّة شجرة تؤذي صاحبها!»(٣) الحديث المتقدم في السدر.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ في الجنَّة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها فاقرءوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾**» [الواقعة: ٣٠](٤).

---

(١) رواه ابن أبي داود في «البعث» (٦٩)، وأبو نعيم في «الحلية» ٦/ ١٠٣./ «صفة الجنة» لأبي نعيم (٣٤٧)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٣٠).

(٢) «حادي الأرواح» ص٢٣٦.

(٣) رواه عبد الله بن المبارك كما في زيادات الزهد ص٧٤-٧٥، والحاكم ٢/ ٤٧٦ وصححه ووافقه الذهبي، وأبو نعيم في «الحلية» ٦/ ١٠٣، وانظر «مجمع الزوائد» ١٠/ ٤١٤.

(٤) رواه البخاري (٤٨٨١) في «التفسير»، باب: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾.
ومسلم (٢٨٢٦) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: إن في الجنة شجرة يسير الراكب فيها.

وأخرجا أيضًا عن سهل بن سعد رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ قال: «**إنَّ في الجنَّة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها**»[١].

وفي رواية: «**إن في الجنَّة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمّر السريع مائة عام لا يقطعها**»[٢].

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنَّ في الجنَّة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين أو مائة سنة هي شجرة الخلد**»[٣].

وأخرج وكيع[٤] عنه «**إنَّ في الجنَّة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام أقرؤوا إن شئتم** ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾» [الواقعة: ٣٠] فبلغ ذلك كعبًا فقال: صدق والذي /٦١٩/ أنزل التوراة على لسانِ موسى، والفرقان على لسان محمد ﷺ، لو أنَّ رجلاً ركب جذعه أو جذعا، ثُمَّ دار بأصل تلك الشجرة ما بلغها حتى تسقط هرما، إن الله غرسها بيده، ونفخ فيها، وإن أفنانها من وراء سور الجنَّة، ما في الجنَّة نهر إلا

---

(١) رواه البخاري (٦٥٥٢) في الرقاق - باب صفة الجنة والنار.
ومسلم (٢٨٢٧) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها.

(٢) هي رواية مسلم (٢٨٢٨) الموضع السابق.

(٣) رواه أحمد ٢/ ٤٥٥ و٤٦٢، وفي إسناده ضعف.

(٤) «الزهد» (١١٣)، والترمذي في تفسير سورة الواقعة (٥/ ٤٠٠)، والطبري (٢٧/ ١٠٥)، وابن أبي شيبة (١٣/ ١٠١).

وهو يخرج من أصل تلك الشجرة.

وأخرج ابن أبي الدنيا[(١)] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الظل الممدود» شجرة في الجنَّة على ساق قدر ما يسير الراكب المجدُّ في ظلها مائة عام في كلّ نواحيها فيخرج إليها أهل الجنَّةِ أهل الغرف، وغيرهم فيتحدثون في ظلها قال: «فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا، فيرسل الله ريحًا من الجنَّة فتحرك تلك الشجرة بكلّ لهو كان في الدنيا».

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة[(٢)] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما في الجنَّة شجرة إلا وساقها من ذهب**». قال هٰذا حديثٌ حسن.

وأخرج الترمذي أيضًا، والنسائي[(٣)]، وابن ماجه عنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله: أعددت لعبادي الصَّالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر أقرءوا إن شئتم** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السجدة: ١٧] وفي الجنَّة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا

---

(١) ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» ص٦٧، ٦٨.

(٢) رواه الترمذي (٢٥٢٤) في كتاب صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة شجر الجنة، قال: هذا حديث غريب حسن.

(٣) رواه الترمذي (٣٢٩٢) في كتاب التفسير، باب: من سورة الواقعة، قال: حديث حسن صحيح. والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٠٨٥) في التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾. وابن ماجه (٤٣٢٨) في كتاب الزهد، باب: صفة الجنة.

يقطعها، واقرؤوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ وموضع سوط في الجنَّة خير من الدنيا وما فيها، واقرؤوا إنْ شئتم ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾» [آل عمران: ١٨٥] صدر هٰذا الحديث متفق عليه.

وفي «حادي الأرواح»[(١)] عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسُولَ الله، ما طوبى؟ قال: «**شجرة في الجنَّة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنَّةِ تخرج من أكمامها**»[(٢)].

وأخرج ابن المبارك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نخل الجنَّة جذوعها من زمرد أخضر، وكربها ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنَّةِ منها مقطعاتهم وحلاهم، وثمرها أمثال القلال، والدلا أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد ليس فيه عجم[(٣)].

قوله: «**وكربها ذهب**» هو بالكاف، والراء محركة، ثُمَّ باء موحدة /٦٢٠/ أصل السعف، وقيل: ما يبقى أصوله في النخلة بعد القطع كالمراقي. قاله في «النهاية»: وقوله: منها مقطعاتهم المقطعات (من الثياب)[(٤)]: هي الثياب القصار كأنها قطعت عن بلوغ التمام. قاله في «النهاية»[(٥)] في هٰذا الحديث لم يكن يصفها يعني: ثياب أهل الجنَّةِ بالقصر؛ لأنها عيب وعندي: أنَّ ذٰلك ليس عيبًا كما هو عادة المترفين

---

(١) «حادي الأرواح» ص٢٤١.

(٢) رواه أحمد ٣/ ٧١، وأبو يعلى (١٣٧٤) ٢/ ٥١٩-٥٢٠، وفي سنده ضعف.

(٣) انظر «الزهد» لابن المبارك ص٥٢٤ (١٤٨٩)

(٤) ساقطة من (ب).

(٥) انظر «النهاية» ٤/ ١٦١ .

في الدُّنيا أنهم يلبسون المقطعات تحت الحلل. والله تعالى أعلم.

وأخرج الإمام أحمد عن عتبة بن عبد السلمي قال: جاء أعرابي إلى النَّبيّ ﷺ فسأله عن الحوض، وذكر الجنَّة، ثُمَّ قال الأعرابي: فيها فاكهة؟ قال: نعم، وفيها شجرة تدعى طوبى (فذكر شيئًا لا أدري ما هو) وفي لفظ هي بطائف الفردوس قال: أيّ شجر أرضنا تشبه؟ قال: ليست تشبه شيئًا من شجر أرضك فقال النَّبيّ ﷺ: **«أتيت الشام؟»** قال: لا قال: **«تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحد، وينفرش أعلاها»** قال: ما عظم أصلها؟ قال: **«لو ارتحلت جَذَعة من إبل أهلكَ ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرمًا»** قال: فيها عنب؟ قال: **«نعم»** قال: فما عظم العنقود؟ قال: **«مسيرة شهر للغراب الأبقع، ولا يفتر»** قال: فما عظم الحبة؟ قال: **«أذبح[1] أبوكَ تيسًا من غنمه عظيمًا قط؟»** قال: نعم قال: **«فسلخ إهابه فأعطاه أمك قال: اتَّخذي لنا منه دلوًا؟»** قال: نعم قال: **«فإن تلك الحبة لتشبعني وأهل بيتي!»** قال: نعم وعامَّة عشيرتك[2]. ورواه الطبراني في الكبير

(١) في (ب): هل.

(٢) رواه أحمد ٤/ ١٨٣، ١٨٤، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٢٦)، «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٠٩، ٤١٤)، قال: رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير»، وأحمد وفيه عامر بن زيد البكالي وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يخرجه ولم يوثقه وبقية رجاله ثقات. وقال الحافظ ابن كثير في «النهاية» (٢/ ١٥٧) قال الحافظ في «الضياء» لا أعلم لهذا الإسناد -إسناد الطبراني- علة. ا. هـ، أبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٤٦).

والأوسط، والبيهقي، وابن حبان في صحيحه، وفي لفظ: «**فأعطاه أمك فقال: ٱدبغي هٰذا، ثُمَّ ٱفري لنا منه دلوًا نروي به ماشيتنا**» قال: «**فإن تلك الحبة تشبعني وأهل بيتي**» الحديث.

وأخرج أبو يعلى الموصلي عن أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما قالت: سمعت رسول الله ﷺ وذكر سدرة المنتهى فقال: «**يسير الراكب في ظل الفنن منها مائة سنة**» أو قال: «**يستظل في فنن منها مائة راكب فيها فراش من الذهب كأن ثمرها القلال**» ورواه الترمذي وقال: حسن غريب[١]. وذكر الزمخشري في «كشّافه»[٢]: السدرة: واحدة السدر، وهو النبق، وهي في السَّماء السابعةِ / ٦٢١/ عن يمين العرش ثمرتها كالقلال، وورقها كآذان الفيلة تنبع من أصلها الأنهار التي ذكرها الله في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عامًا لا يقطعها وقال مقاتل: هي شجرة لو أن ورقة منها وضعِت في الأرض لأضاءت لأهل الأرض تحمل الحلى، والحلل، والثمار، ومن جميع الألوان، ولو أنَّ رجلاً ركب حقة فطاف على ساقها، ما بلغ المكانَ الذي ركب منه حتى يقتله الهرم.

قال العلامة: وهي طوبى التي ذكرها الله في سورة الرعد، وقد

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٤١) في كتاب صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة ثمار الجنة، «صفة الجنة» لأبي نعيم (٤٣٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٨٧-٨٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤١٩).

(٢) ذكره عند تفسير آية النجم: ﴿عند سدرة المنتهىٰ﴾.

رأى النَّبيّ ﷺ سدرة المنتهى ليلة الإسراء في السماءِ السابعة كما عند مسلم عن أنس قال: قال النَّبيّ ﷺ: «**ثمَّ ذهب بي (يعني: جبريل عليه السلام) إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها**»[١].

وفي طريق من طرق الحديث: أنَّه ﷺ رأى أربعة أنهار تخرج من أصلها: نهران ظاهران، ونهران باطنان، «**فقلت: يا جبريل ما هٰذه الأنهار؟**» قال: «**أمّا النهران الباطنان فنهران في الجنَّة، وأما النهران الظاهران فالنيل والفرات**». وذكر البخاري هٰذه الأنهار الأربعة[٢].

قال العلامة في «البهجة»: واختلف العلماء في تسميتها بالمنتهى، فقيل: لأن إليها ينتهي علم الخلائق، وما خلفها لا يعلمه إلا الله سبحانه، وقيل: لأنه ينتهي إليها من مات على سنةِ النَّبيّ ﷺ، وقيل: لأنه ينتهي إليها ما يعرج من أرواح المؤمنين، وقال ابن مسعود والضحاك: إنَّ تسميتها بذلك؛ لأنَّ إليها ينتهي كلّ ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمرِ الله تعالى أي: مأموره.

قال: واختلفوا في الذي يغشى السدرة فقيل: إنَّه فراش من ذهب، قاله ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهم. وهو مروي عن النَّبيّ ﷺ، وقيل: يغشاها نور رب العزة فتستنير، قاله الحسن،

---

(١) مسلم (١٦٢).

(٢) رواه مسلم (٢٦٤) في الأيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات.

وقيل: الملائكة.

وفي «حادي الأرواح»[١] عن جرير بن عبد ٱلله: نزلنا الصفاح فإذا رجل نائم تحت شجرة وقد /٦٢٢/ كادت الشمس أن تبلغه فقلت للغلام: ٱنطلق بهٰذا النطح فأظله قال: فانطلق، فأظله فلمَّا ٱستيقظ إذا هو سلمان، فأتيته فقال: يا جرير، تواضع لله فإنَّه منْ تواضع لله في الدُّنيا رفعه يومَ القيامة يا جرير، هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا أدري قال: ظلم النَّاس بينهم ثُمَّ أخذ عويدًا لا أكاد أراه بين إصبعيه، فقال: يا جرير ولو طلبت في الجنَّة مثل هٰذا لم تجده. قلت: يا أبا عبد الله فأين النخل، والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب، وأعلاه التمر.

وفيه عن مجاهد قال: **«أرض الجنَّة من ورق، وترابها مسك، وأصول أشجارها ذهب وورق، وأفنانها لؤلؤ وزبرجد وياقوت، والورق والثمر تحت ذٰلك فمَنْ أكل قائما لم يؤذه، ومن أكل جالسًا لم يؤذه، ومن أكل مضطجعا لم يؤذه، وذلِلت قطوفها تذليلاً»**[٢].

---

(١) «حادي الأرواح» ص٢٤٤، و«الأثر» لابن أبي شيبة (١٣/ ٣٣٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٠٢)، وهناد في «الزهد» (٩٨)، و«البعث» للبيهقي (٢٨٨، ٢٨٩).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٥٤ (٣٣٩٥٤)، وابن المبارك في «زيادات» نعيم بن حماد (٢٢٩)، والبيهقي في «البعث» (٢٨٦)، وتفسير مجاهد (٢/ ٧١٢)، وأبي نعيم في «صفة الجنة» (٢٠٧) أدخلنا الله الجنة ووالدينا وذرياتنا وإخواننا والمسلمين.

وفيه عن أبي سعيد رضي الله عنه أنَّ رجلاً قال: يا رسُولَ الله، طوبى لمن رآك، وآمن بك. قال: «**طوبى لمن رآني، وآمن بي، ثُمَّ طوبى ثُمَّ طوبى ثُمَّ طوبى لمن آمن بي ولم يرني**». فقال رجل: يا رسُولَ الله، وما طوبى؟ قال: «**شجرة في الجنَّة مسيرة مائة سنة ثياب أَهلِ الجنَّةِ تخرج من أكمامها**»[1] قال في «حادي الأرواح»[2] قلت: وصدر هٰذا الحديث في المسند، ولفظه: «**طوبى لمن رآني، وآمن بي، وطوبى لمن آمن بي ولم يرنى سبع مرات**».

وفي البهجة[3]: هي (يعني: طوبى) شجرة في جنة عدن في دارِ النَّبيّ ﷺ لم يخلق الله عز وجل لونًا، و لا زهرة إلا وفيها منها إلا السواد، ولا يخلق الله فاكهة، ولا ثمرة إلا وفيها منها ينبع من أصلها عينا الكافور والسلسبيل كلّ ورقة منها تظل أمة، عليها ملك يسبح الله عز وجلّ بأنواع التسبيح وفيها أيضًا عنه ﷺ: «**أنَّ طوبى شجرة غرسها الله بيده تنبت الحلى، والحلل، وأنَّ أوراقها ترى من وراء سور الجنَّة**» وحكى الأصم: أنها في دار النَّبيّ ﷺ، وفي دار كلّ مؤمن منها غصن. والله تعالى أعلم.

---

(١) البخاري (٦٥٥٣)، ومسلم (٢٨٢٨)، مسند أحمد ٣/ ٧١ .

(٢) «حادي الأرواح» ص٢٤١.

(٣) بهجة الناظرين مخ/ ٣٧١. انظر «وصف الفردوس» لابن حبيب (٣٢).

فصل

وأما ثمارها فقد قال الله تعالى: /٦٢٣/ ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ﴾ [البقرة: ٢٥] فقولهم: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾ أي: شبيهه ونظيره لا عينه. وهل هٰذا الذي رزقنا في الدنيا نظيره من الفواكه والثمار؟ أو هٰذا الذي رزقنا من قبل في الجنَّة؟ فيه قولان: ففي تفسير السدي عن ابن عباس، وابن مسعود، وناس من الصحابة رضي الله عنهم ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾ إنهم أؤتوا بالثمرة في الجنَّة فلما نظروا إليها قالوا: هٰذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا: قال مجاهد: ما أشبهه به. وقال ابن زيد: هٰذا الذي رزقنا من قبل في الدُّنيا وأتوا به متشابهًا يعرفونه.

وقال آخرون: هٰذا الذي رزقنا من ثمارِ الجنَّة منْ قبل هٰذا لشدة مشابهة بعضه بعضًا في اللون، والطعم، وظاهر كلام المحقق: الميل إلى هٰذا، وذكر حجج القولين في «حادي الأرواح»(١)، ثُمَّ قال: وأمَّا قوله عز وجل ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ﴾ فقال الحسن: خيار كلّه لا رذل فيه، ألم تروا إلى ثمار الدنيا كيف يسترذلون بعضه؟ وأما ذٰلك فليس فيه رذل ونحوه. قال قتادة، وقال ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهم: تشابها في اللونِ، وقاله ناس من الصحابة أيضًا. قال مجاهد:

---

(١) «حادي الأرواح» ص٢٤٥-٢٤٨، وجميع هٰذه الأقوال في «الدر المنثور» تفسير آية (٢٥) من البقرة.

متشابهًا لونه مختلفًا طعمه. وقاله الربيع بن أنس، وقال يحيى بن كثير: عشب الجنَّة الزعفران، وكثبانها المسك، فيطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها، ثُمَّ يأتونهم بمثلها فيقولون: هٰذا الذي جئتمونا به آنفًا فيقول لهم الخدم: كلوا فاللون واحد، والطعم مختلف فهو قوله عزّ وجلّ: «**كلما رزقوا منها من ثمرة رزقًا قالوا هٰذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها**».

وقيل: معنى الآية: إنه يشبه ثمر الدنيا غير أنَّ ثمر الجنَّة أفضل، وأطعم: وقال ابن وهب: يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا: بالتفاح، والرمان. قالوا في الجنَّة: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ يعرفونه، وليس هو مثله في الطعم، واختار هٰذا القول ابن جرير وصححه /٦٢٤/ وزيَّف القول الآخر قال: قد أخبر سبحانه أنَّهم قالوا: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ بعد أن قال: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ فكيف يجوز أن يقولوا لأوّل رزق من ثمارها ولم يتقدمه عندهم غيره منها هٰذا هو الذي رزقناه من قبل؟ وشنّع على من خالف هٰذا، لكن المحقق انتصر لمن خالفه، وقال: هم يخصون هٰذا العام بما عدا الرّزق الأوّل لدلالةِ العقل والسياق عليه قال: وليس هٰذا ببدع من طريقة القرآن وأنت مضطر إلى تصحيحه، ولابد من التصحيحات، أحدها: إن كثيرًا من ثمار الجنَّة، وهي التي لا نظير لها في الدُّنيا لا يقال فيها ذٰلك.

الثاني: إن كثيرًا من أهلها لم يرزقوا جميع ثمرات الدُّنيا التي لها نظير في الجنَّة.

الثالث: إنهم لا يستمرون على هٰذا القول أبد الآباد كلما أكلوا ثمرة واحدة قالوا: هٰذا الذي رزقناه في الدنيا، ويستمرون على هٰذا الكلام دائمًا إلى غير نهاية، والقرآن العزيز لم يقصد إلى هٰذا المعنى، ولا هو مما يعتنى به من نعيمهم ولذتهم، وإنَّما هو كلام مبين خارج على المعتاد المفهوم من المخاطب، ومعناه: أنَّه يشبه بعضه بعضًا ليس أوّله خيرًا من آخره والله تعالى أعلم.

وقال تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الدخان: ٥٥]. وقال: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص: ٥١]. وقال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزخرف: ٧٢]. وقال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة: ٣٢، ٣٣]: أي لا تكون في وقت دون وقت ولا تمنع ممن أرادها.

وقال تعالى: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحاقة: ٢١-٢٣] والقطوف: جمع قطف، والقطف بالفتح الفعل، يعني: المصدر أي: ثمارها دانية قريبة يتناولها فيأخذها كيف شاء. قال: البرآء بن عازب رضي الله عنهما: يتناول الثمرة وهو نائم.

قال تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [الإنسان: ١٤]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا همّ أنْ يتناول مِنْ ثمارها تدلت إليه حتى يتناول ما يريد. وقال غيره: قربت إليهم مذللة كيف شاءوا فهم يتناولونها /٦٢٥/ قيامًا وقعودًا أو

مضطجعين، ومعنى تذليل القطف: تسهيل تناوله.

وأخرج الطبراني عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الرجل إذا نزع ثمرة من الجنَّة عاد مكانها أخرى**»[(١)].

وأخرج عبد الله ابن الإمام أحمد عن أبي موسى رضي الله عنه مرفوعًا: «**أهبط الله آدم من الجنَّة، وعلمه صنعة كلّ شيء وزوده من ثمارِ الجنَّة فثماركم هٰذه من ثمار الجنَّة غير أنها تغير وتلك لا تغير**».

وأخرجَ مسلم عن جابر رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ قال: «**عرضت على الجنَّة حتى لو تناولت منها قطفًا أخذته**» وفي لفظ: «**فتناولت قطفًا فقصرت عنه يدي**»[(٢)].

وفي «حادي الأرواح»[(٣)] عنه قال: بينا نحن في صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا، ثُمَّ تناول شيئًا ليأخذه، ثُمَّ تأخر، فلما قضى الصلاة قال له أُبيّ ابن كعب رضي الله عنه: يا رسُولَ الله، صنعت اليوم في الصلاة شيئًا ما كنت تصنعه قال: «**إنه عرضت علي الجنَّة، وما فيها من الزهرة، والنضرة فتناولت منها قطفًا من عنب لآتيكم به فحيل بيني وبينه، ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السَّماء والأرض لا ينقصونه**».

وقال ابن المبارك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ثمر الجنَّة أمثال القلال، والدلاء، أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، وألين من

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» ٢/ ١٠٢ (١٤٤٩).

(٢) مسلم (٢٣٥٨).

(٣) «حادي الأرواح» ص٢٥٠، ٢٥١.

الزبد ليس فيه عجم. القلال: جمع قلة الحب العظيم، ومنه قلال هجر، وهي معروفة بالحجاز، وهجر: قرية[1] قريبة من المدينة، وليست هجر البحرين، وكانت تُعْمَل القلالُ بها تأخذ الواحدة مزادة من الماء، سُمِّيت قلة؛ لأنَّها تُقلُّ أي تُرْفَعُ وتحمل قاله في «النهاية»، وفي المطلع: القلة: هي الجرة سميت بذلك؛ لأن الرجل يقلها بيده، أي: يرفعها، والدلا: جمع دلو وهو معروف. والعجم: النوى من التمر، والعنب، والنبق، وغير ذلك، والواحدة: عجمة.

(١) ساقطة من (ب).

فصل

وأمَّا زروع الجنَّة فقال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١].

وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ كان يومًا يحدث، وعنده رجل من أهل البادية فقال: (يعني: النَّبيّ ﷺ) إنَّ رجلاً من أهل الجنَّةِ ٱستأذن ربّه عزّ وجلّ / ٦٢٥/ في الزّرع فقال له: **«أولست فيما ٱشتهيت؟ فقال: بلى، ولكن أحب الزرع فأسرع، وبذر فبادر الطرف نباته، واستواؤه، واستحصَاده، وتكويره أمثال الجبالِ فيقول الله عز وجل: دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء»** فقال الأعرابي: يا رسُولَ الله، لا تجد هٰذا إلا قرشيا أو أنصاريا فإنهم أصحابُ زرع، فأمَّا نحن فلسنا بأصحاب زرع فضحكَ رسول الله ﷺ[1].

قال في «حادي الأرواح»[2]: هٰذا يدل على أنَّ في الجنَّة زرعًا وذٰلك البذر منه قال: ولا أعلم ذكر الزرع في الجنَّة إلا في هٰذا الحديث وفي خبر إبراهيم بن [الحسين][3] عن أبيه، عن عكرمة «بينما رجل في الجنَّة فقال في نفسه: لو أنَّ الله يأذن لي لزرعت فلا يعلم إلا والملائكة على أبوابه فيقولون سلام عليك يقول لك ربّك: تمنيت في نفسك شيئًا

(١) رواه البخاري (٢٣٤٨) كتاب: المزارعة، وأحمد (٢/ ٥١١)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٩٩).

(٢) في «حادي الأرواح» ص٢٥٣، ٢٥٤.

(٣) «الحلية» (٣/ ٣٣٤)، وما بين القوسين في «الأهوال»: الحكم، وما أثبت من «الحلية».

فقد علمته وقد بعث معنا البذر، فيقول: ٱبذروا فيخرج أمثال الجبال، فيقول له الرب من فوق عرشِهِ: كلّ يا ابن آدم فإنَّ ابن آدم لا يشبع».

قال في «حادي الأرواح»[1]: وهٰذا أحسن أن تكون الأرض معمورة بالشجر والزرع.

قلت: قد مرّ أنَّ نبات الجنَّة زعفران، ومرّ أنَّ أرضها من فضة أو درمكة فكيف يقال: إنها تحرث، لكن أمور الآخرة لا تقاس على الدنيا أو يكون البذر بلا حرث لعدم التلازم بينهما كما أنَّ أنهارها بلا أخدود والله يفعل ما يشاء، والواجب على كلّ ذي لب التسليم، والله تعالى الموفق.

---

(١) «حادي الأرواح» ص٢٥٣.



الباب الثامن

في ذكر أنهار الجنَّة وعيونها، وطعام أهلها، وشرابهم، ومصرف ذٰلك وآنيتهم

قال تعالى: ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ [البقرة: ٢٥] وقال تعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ [يونس: ٩].

فدل على أنَّ الأنهار موجودة حقيقة، وأنها جارية، وأنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم كما هو المعهود في أنهار الدنيا وقد ظن بعض المفسرين أنَّ معنى جريانها: أنها تجري بأمرهم وتصرفهم لها كيف شاءوا قال في «حادي الأرواح»[1]: وكأن الذي حمله على ذٰلك أنه لمَّا سمع أنَّ أنهارها تجري في غير أخدود حمل قوله: «تجري من تحتها» أي: بأمرهم إذ لا يكون فوق المكان تحته، وهٰذا من ضعف الفهم فإنَّ أنهار الجنَّة وإنْ جرت في غير /٦٢٦/ أخدود فهي تحت القصور، والمنازل، والغرف، وتحت الأشجار وهو سبحانه لم يقل: من تحت أرضها وقد أخبر عن جريان الأنهار تحت الناس في الدنيا قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ﴾ [الأنعام: ٦] وحكى سبحانه عن فرعون قوله: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ﴾ [الزخرف: ٥١].

نكتة: ذكر الإمامُ العلامة ناصر السنة ابن الجوزي في مجلس وعظه يومًا هٰذه الآية فقال طيب الله ثراه: أنظروا يا إخواني هٰذا

---

(١) «حادي الأرواح» ص٢٥٥.

الأحمق (يعني: فرعون) ٱفتخر بنهر ماء أجراه ما أجرأه فانظر هٰذه البلاغة التي كادت تثلب الفؤاد والله تعالى يفعل ما يشاء ويختار سبحانه من منح من شاء ما شاء.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ [الرحمن: ٦٦] أي: فوارتان. وأخرج ابن أبي شيبة عن سعيد قال: نضاختان بالماء، والفاكهة(١) وعن أنس رضي الله عنه: نضاختان بالمسك، والعنبر فينضخان على دور أهل الجنَّةِ كما ينضخ المطرُ على دور أهل الدنيا(٢)، وعن البراء: اللتان تجريان أفضل من النضاختين.

وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ١٥]. وذكر سبحانه هٰذه الأجناس الأربع ونفى عن كلّ واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا، فآفة الماء أنْ يأسن، ويأجن يعني: يتغير، وينتن من طول مكثه، فإن قيل: قد وصف سبحانه الأنهارَ بأنها تجري، ومعلوم أنَّ الماء الجاري لا يأسن فما فائدة قوله: غير آسن؟

فالجواب: الماء الجاري وإنْ كان لا يأسن فإنه إذا [أخذ](٣) منه شيء، وطال مكثه، أسن، وماء الجنَّة لا يعرض له ذٰلك، ولو طال مكثه مهما طال، واعلم أنَّ في خمر الدُّنيا آفات كثيرة، ولا كذٰلك خمر

---

(١) ابن أبي شيبة ٧/ ٦٥ (٣٤٠٤٤) كتاب: الجنة.

(٢) ابن أبي شيبة (٤/ ٥١٨). (٣) لعل العبارة: لم يؤخذ.

الجنَّة ففي خمر الدنيا الصداع، والغول والإنزاف، واللغو، وعدم اللذة فهٰذه خمسة آفات تغتالُ العقل، وتكثير اللغو على شرابها، بل لا يطيب لشرابها ذٰلك إلا باللغو، وتنزف في نفسها وينزف المال، وتصدع الرأس، وهي كريهة المذاق، وهي رجس من عمل /٦٢٧/ الشَّيطان توقع العداوة والبغضاء بين الناس، وتصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة، وتدعوا إلى الزنا، وربما دعت إلى الوقوع على البنت وعلى الأخت وذوات المحارم، وتذهب الغيرة، وتورث الخزي والندامة والفضيحة، وتلحق شرابها بأنقص نوع الإنسان، يعني: المجانين، وتسلبه أحسن الأسماء والصفات يعني: العقل، وتكسوه أقبحهما، وتسهل قتل النفس، وإفشاء السر الذي في إفشائه مضرة، ومؤاخاة الشياطين في تبذير المالِ، ويكفي في ذمها أنّها أمّ الخبائث فهي جامعة لجميع المفاسد والمحرمات ومانعة من جميع المصالح والخيرات، على أنَّها لا تجتمع هي وخمرة الجنَّة في جوف كما ثبت ذٰلك عنه ﷺ أنه قال: «**من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة**»[١].

وجمع سبحانه وتعالى بين هٰذه الأنهار الأربع؛ لأنَّ أنهار الماء فيها ريهم ونضافتهم، وأنهار اللبن فيها قوتهم وغذاؤهم، وأنهار الخمر فيها لذتهم وسرورهم، وأنهار العسل فيها شْفاؤهم ومنفعتهم،

(١) البخاري (٥٥٧٥) مسلم (٢٠٠٣) رواه ابن ماجه (٣٣٧٤) في كتاب: الأشربة، باب: من شرب خمر الدنيا لم يشربها في الآخرة.
والنسائي في «السنن الكبرى» ٣/ ٢٣٠ (٥١٨١)، ٣/ ٢٣١ (٥١٨٣)، (٥١٨٤) في كتاب: الأشربة، باب: توبة شارب الخمر وكلهم عن ابن عمر انظر ص١١٢٤ ت(٣).

فجمع بينها لهذه، فإنها جمعت أفضل الأشربة والله أعلم.

واعلم أنَّ أنهار الجنَّة تتفجر من أعلاها ثُمَّ تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها كما أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ أنه قال: «**إنَّ في الجنَّة مائة درجة أعدها الله عزَّ وجل للمجاهدين في سبيله بين كلّ درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنَّه وسط الجنَّة، وأعلى الجنَّة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنَّة**»[1].

وأخرج الترمذي عن معاذ، وعبادة بن الصامت نحوه، ولفظ عبادة: «**والفردوس أعلاها درجة، ومنها الأنهار الأربعة، والعرش فوقها، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى**»[2].

وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه أنَّ النَّبيّ ﷺ قال: «**رفعت لي سدرة المنتهى في السماء السابعةِ نبقها مثل قلال هجر، وورقها مثل آذان الفيلة، يخرج من ساقها نهران ظاهران، ونهران باطنان فقلت: يا جبريل ما هذا؟ فقال: النهران الباطنان ففي الجنَّة، وأمَّا النهران**

---

(١) رواه البخاري (٢٧٩٠) في كتاب الجهاد والسير، باب: درجات المجاهدين في سبيل الله. و(٧٤٢٣) في التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾.

(٢) رواه الترمذي (٢٥٢٩) في كتاب صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة درجات الجنة من حديث معاذ. و(٢٥٣١) في كتاب صفة الجنة، باب: في صفة نساء أهل الجنة عن عبادة بن الصامت وقال: هذا حديث حسن غريب.

الظاهران فالنيل والفرات»[١].

وفيه أيضًا أنَّ النَّبيّ ﷺ قال: «**بينا أنا /٦٢٨/ أسير في الجنَّة إذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت: ما هٰذا يا جبريل؟ قال: هٰذا الكوثر الذي أعطاك ربّك فضرب الملك يده فإذا طينه مسك أذفر**»[٢] أي: شديد الرائحة، وهو بالذال المعجمة.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ [الكوثر: ١] الخير الكثير. وقال أنس: نهر في الجنَّة. وقالت عائشة رضي الله عنها: هو نهر في الجنَّة ليس أحد يدخل إصبعيه في أذنيه إلَّا سمعَ خرير ذٰلك النهر. قال في «حادي الأرواح»[٣]: وهٰذا والله أعلم معناه أنَّ خرير ذٰلك النهر يشبه الخرير الذي يسمعه حين يدخل إصبعيه في أذنيه.

وفي «حادي الأرواح»[٤] عن النَّبيّ ﷺ: «**أنهار الجنَّة تفجر من تحت تلال، أو من تحت جبال المسك**» ورواه الحاكم أيضًا وصح عن عبد الله موقوفًا: أنَّ أنهار الجنَّة تفجر من جبل مسك[٥].

وأخرج «**ابن أبي الدنيا**»[٦] عن أنس رضي الله عنه قال: أظنكم تظنون أنهار الجنَّة أخدودًا في الأرض لا والله إنَّها لسائحة على وجه

---

(١) رواه البخاري (٥٦١٠) في كتاب الأشربة، باب: شرب اللبن.
(٢) رواه البخاري (٦٥٨١) في الرقاق، باب: في الحوض.
(٣) «حادي الأرواح» ص٢٦٠.
(٤) «حادي الأرواح» ص٢٦١.
(٥) رواه البيهقي في «البعث والنشور» ص١٦٦، ١٦٧، رقم (٢٩٢).
(٦) ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» ص٨٢، ٨٣.

الأرض، إحدى حافتيها اللؤلؤ، والأخرى الياقوت، وطينه المسك، الأذفر قيل له: ما الأذفر؟ قيل: الذي لا خلط له.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**سيحان، وجيحان، والنيل، والفرات كلٌّ من أنهارِ الجنَّة**»[١].

وفي «حادي الأرواح»[٢] عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «**أنزل الله من الجنَّة خمسة أنهر: سيحون وهو نهر الهند، وجيحون وهو نهر بلخ، ودجلة والفراة وهما نهرا العراق، والنيل وهو نهر مصر، أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنَّة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل عليه السلام، فاستودعها الجبال، وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس في أصناف معاشهم فذٰلك قوله تعالى:** ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨] فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل جبريل عليه السلام فرفع من الأرض القرآن، والعلم كله، والحجر الأسود من ركن البيت ومقام إبراهيم، وتابوت موسى بما فيه، وهٰذه الأنهار الخمسة فرفع ذٰلك كله إلى السماء فذٰلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ فإذا رفعت هٰذه الأشياء من /٦٢٩/ الأرض فقد حرم أهلها خير الدنيا والآخرة». رواه ابن عدي في ترجمة سلمة[٣].

---

(١) رواه مسلم (٢٨٣٩) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: ما في الدنيا من أنهار الجنة.

(٢) «حادي الأرواح» ص٢٦٣.

(٣) رواه ابن عدي في «الكامل» ٨/ ١٥، ١٦

والحديث غير ثابت؛ لأنَّ فيه أحمد بن عدي، قال في حقه البخاري: منكر الحديث. وفي «حادي الأرواح»[١] عامة أحاديث أحمد هٰذا غير محفوظه، وبالجملة فهو من الضعفاء. وقال النسائي: متروك. وقال أبو حاتم: لا يشتغل به، ثُمَّ أخرج له عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**إن في الجنَّة نهرًا يقال له البيذخ عليه قباب من ياقوت تحته جوارٍ، يقول أهل الجنَّةِ: ٱنطلقوا بنا إلى البيذخ فيتصفحون تلك الجواري، فإذا أعجب رجلاً منهم جارية مس معصمها فتتبعه**»[٢] فهٰذا من جملة مروياته المستنكرات عليه والله الموفق.

فصل

وأمَّا عيون الجنَّة فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾﴾ [الذاريات: ١٥]. وقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإنسان: ٥، ٦].

قال بعض السلف معهم قضبان الذهب حيثما مالوا مالت معهم وقد ٱختلف في قوله تعالى: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ فقال الكوفيون الباء بمعنى منْ أي: يشرب منها. وقال آخرون: بل الفعل مضمن، ومعنى يشرب بها أي: يروى بها، فلما ضمَّنه معناه عداه تعديته. قال في «حادي الأرواح»[٣]: وهٰذا أصح، وألطف، وأبلغ. وقالت طائفة: الباء

---

(١) «حادي الأرواح» ص٢٦٤.
(٢) سيأتي ضبط لهذا الحرف ص١١٢٢، انظر ص٣٣١.
(٣) «حادي الأرواح» ص٢٦٤، ٢٦٥.

للظرفية، والعين اسم للمكان كما تقول كنا بمكان كذا وكذا ونظير هٰذا التضمن قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ [الحج: ٢٥] أي يهم فعدي تعديته.

وقال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الإنسان: ١٧، ١٨] فأخبر سبحانه عن العين التي يشرب بها المقربون صرفا، وأن شراب الأبرار يمزج منها؛ لأنَّ أولئك أخلصوا الأعمال كلها فأخلص شرابهم، وهٰؤلاء مزجوا فمزج شرابها، ونظير هٰذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين: ٢٢ ـ ٢٨]. فأخبر سبحانه أنَّ مزاج شرابهم بشيئين بالكافور في أولِ السورة، والزنجبيل في آخرها، فإن في الكافور /٦٣٠/ من البرد وطيب الرائحة، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة ما يحدث لهم باجتماع الشرابين، ومجيء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كلّ واحد منهما بانفراده، وتعدل كيفية كلّ منهما بكيفية الآخر، وما ألطف موقع ذكر الكافور في أول السورة، والزنجبيل في آخرها فإنَّ شرابهم مزج أولاً بالكافور وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعدله، والظاهر أن الكأس الثاني غير الأولى وأنهما نوعان لذيذان من الشراب أحدهما: مزج بكافور، والثاني: مزج بزنجبيل.

وأيضًا فإنه سبحانه أخبر عن مزج شرابهم بالكافور وبرد في مقابلة ما وصفهم به من حرارة الخوف، والإيثار، والصبر، والوفاء بجميع الواجبات التي نبه بوفائهم بأضعفها، وهو ما أوجبوه على أنفسهم بالنذر على الوفاء بأعلاها، وهو ما أوجبه الله عليهم، ولهذا قال: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢﴾ [الإنسان: ١٢] فإنَّ الصبر من الخشونة وحبس النفس عن شهواتها ما اقتضى أن يكون في جزائهم من سعةِ الجنَّة، ونعومة الحرير ما يقابل ذٰلك الحبس والخشونه، وجمع لهم تعالى بين النضرة والسرور، فهٰذا جمال ظواهرهم، وهٰذا جمال بواطنهم، كما جملوا ظواهرهم في الدنيا بشرائع الإسلام، وبواطنهم بحقائق الإيمان.

ونظيره قوله تعالى في آخر السورة: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١]: فهٰذا زينة الظاهر، ثُمَّ قال: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]. فهٰذا زينة الباطن المطهر له من كلّ أذى ونقص.

ونظير هٰذا قوله تعالى لأبيهم آدم: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ۝١١٩﴾ [طه: ١١٨، ١١٩] فضمن له أن لا يصيبه ذل الباطن بالجوع، ولا ذل الظاهر بالعري، وأن لا يناله حَرّ الباطن بالظماء، ولا حر الظاهر بالضحى، والضح: هو الحر، ومنه حديث: «**لا يقعدن أحدكم بين الضح والظل فإنَّه مقعد**

الشيطان»[١] أي يكون نصفه في الشمس، ونصفه في الظل، وحديث عياش بن أبي ربيعة لمَّا هاجر، أقسمت أمه بالله لا يظلها ظل، ولا تزال في الضح والريح حتى يرجع إليها. ذكره في النهاية[٢].

ونعم الله لا تحصى، وأياديه لا تستقصى / ٦٣١/ ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤] والله سبحانه أعد لعباده المتقين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

فصل

وأمَّا طعام أهل الجنَّة، وشرابهم ومصرفه فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المرسلات: ٤١ ـ ٤٣]. وقال تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ٢٤]. وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزخرف: ٧٢، ٧٣]. وقال: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤١٤)، والحاكم (٤/ ٢٧١)، وله شاهد من حديث بريدة دون قوله: «مجلس لشيطان»، وعند أبي شيبة (٨/ ٦٨٠)، وابن ماجه (٣٧٢٢)، وعن أبي هريرة في المسند برقم (٨٩٧٦).

(٢) «النهاية» ٣/ ٧٥، انظر «السيرة» لابن هشام (٢/ ٨٦)، و«البداية والنهاية» (٤/ ٤٢٩).

ﵟٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚﵞ [الرعد: ٣٥] وقال تعالى: ﵟيُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ﵞ [المطففين: ٢٥، ٢٦].

وأخرج مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يأكل أهل الجنَّة، ويشربون، ولا يتمخطون، ولا يتغوطون، ولا يبولون طعامهم ذٰلك جُشاء كريح المسك يلهمون التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس»** وفيه أيضًا عنه أنهم قالوا للنبي ﷺ: فما بال الطعام؟ قال: **«جُشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد»**[1].

قوله: فما بال الطعام؟ قال: **«جشاء»** كذا في جميع نسخ مسلم. قال الوقشي **ولعله «فمال»**؛ لأنه جاء في رواية الزبيدي **«أن يهوديًا»** يعني حديث[2] ابن أرقم الذي أخرجه الإمام أحمد: قال في «مشارق الأنوار» والبال: يأتي بمعنى الحال كقوله ما بال هٰذه؟ أي: ماحالها وشأنها؟ فمعناه: ما بال عقبا الطعام؟ وما شأن عقباه؟[3] **وأخرج الإمام أحمد، والنسائي بإسنادٍ صحيح عن زيد بن أرقم قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى النَّبيّ ﷺ فقال: «يا أبا القاسم تزعم أنَّ**

---

(١) رواه مسلم (٢٨٣٥) في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشيا.

(٢) في (ب): زيد.

(٣) «مشارق الأنوار» ١/ ١٠٤.

أهل الجنة يأكلون ويشربون، قال: نعم. والذي نفس محمد بيده إنَّ أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل، والشرب، والجماع، والشهوة. قال: فإنَّ الذي يأكل، ويشرب يكون له حاجة، وليس في الجنَّة أذى، قال تكون حاجة أحدهم رشحا يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضْمُر بطنه». ورواه الحاكم في صحيحه بنحوه.[1]

وفي «حادي الأرواح»[2] عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ «إنك لتنظر إلى / ٦٣٢/ الطير في الجنَّة، فتشتهيه، فيخر بين يديك مشويا»[3].

وأخرج الحاكم عن حذيفة رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ في الجنَّة طيرًا مثل البخاتي» فقال أبو بكر رضي الله عنه: «إنها

---

(١) أحمد (٤/ ٣٦٧، ٣٧١)، والنسائي في «الكبرىٰ» كما في التحفة (٣/ ١٩١)، وابن أبي شيبة (١٣/ ١٠٨)، وعبد ابن حميد (٢٦٣)، و«زوائد الزهد» لابن المبارك (١٤٥٩)، «كشف الأستار» (٣٥٢٢، ٣٥٢٣)، والدارمي (٢٨٢٨)، و«صفة الجنة» لأبي نعيم (٣٢٩).

(٢) «حادي الأرواح» ص٢٦٩.

(٣) «صفة الجنة» لأبي نعيم (٣٤١)، رواه البزار كما في «كشف الأستار» ٤/ ٢٠٠ (٣٥٣٢). قال البزار: لا نعلم رواه إلا ابن مسعود، ولا له عنه إلا هذا الطريق، وحميد هو: حميد بن عطاء كوفي، وليس بحميد المكي الذي روى عن مجاهد، ولا نعلمه يروى إلا عن عبد الله بن الحارث وهو ضعيف أي: حميد بن عطاء الأعرج.

لناعمة يا رسُولَ الله قال: «**أنعم منها من يأكلها يا أبا بكر**»[١].

وفي «حادي الأرواح»[٢] عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة: ١٨] يقول: الخمر ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ ولا صداع، وفي قوله: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٩] لا تذهب عقولهم، وفي قوله: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ [النبأ: ٣٤] ممتلئة، وفي قوله: ﴿رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ [المطففين: ٢٥] يقول: الخمر ختم بالمسك. وقال علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه: «**ختامه مسك: قال: خلطه وليس بخاتم يختم. قال المحقق**: قلت يريد - **والله أعلم - أنَّ آخره مسك، فيخالطه، فهو من الخاتمة ليس من الخاتم. وعن مسروق: «الرحيق: الخمر، والمختوم: يجدون عاقبتها طعم المسك». وقال عبد الله في قوله تعالى**: ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾ [المطففين: ٢٧] قال: يمزج لأصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفًا وكذلك قال ابن عباس[٣]: «**يشرب منها المقربون صرفًا، وتمزج لمن دونهم**». وقال عطاء: التسنيم: ٱسم العين التي يمزج منها الخمر»[٤].

---

(١) رواه البيهقي في «البعث والنشور» ص١٨٩ (٣٥٤)، «صفة الجنة» لأبي نعيم (٣٣٩) من رواية أبي سعيد.

(٢) «حادي الأرواح» ص٢٧٠، ٢٧١.

(٣) أخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي عن ابن عباس كما في الدر المنثور (٦/ ٥٤٤).

(٤) أخرج البيهقي عن عطاء كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٤٤).

وقال في «حادي الأرواح»[1] في قوله تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝﴾ [الإنسان: ١٨] قال بعضهم إنها جملة مركبة من فعل وفاعل، وسلسبيلا: منصوب على المفعول أي: سلسبيلاً إليها قال: وليس هٰذا بشيء، وإنما السلسبيل كلمة مفردة وهي ٱسم للعين نفسها باعتبار صفتها.

وقال قتادة في ٱشتقاقها[2]: سلسلة لهم يصرفونها حيث شاؤا، وهو من الاشتقاق الأكبر. وقال مجاهد: سلسلة السبيل حديدة الجِّرْيَة.

وقال أبو العتاهية[3]: تسيل عليهم في الطرق، وفي منازلهم، وهٰذا من سلاستها، وحدة جريتها. وقال آخرون: معناها طيب الطعم والمذاق. وقال أبو إسحق: سلسبيل: صفة لما كان في غاية السلاسة فسميت العين بذٰلك وصوّب ابن الأنباري أنَّ سلسبيل صفة للماء وليس باسم العين، واحتج بأنَّ سلسبيل مصروف، ولو كان ٱسمًا للعين لمنع من الصرف، وأيضًا فإنَّ ابن عباس رضي الله عنهما قال: معناه أنها تسيل في حلوقهم ٱنسلالا، وردّه الإمام المحقق[4] بأنَّ الصرف إنَّما هو لاقتضاء / ٦٣٣/ رؤوس الآى له كنظائره، وأمَّا قول ابن عباس فإنّما يدل على أنَّ العين سميت بذٰلك باعتبار صفة السلاسة والسهولة - والله أعلم - ومما قررنا عُلِمَ أنَّ المختار أنَّ العينَ تسمّى سلسبيلاً ليس إلا ولذا قيل شعر:

---

(١) «حادي الأرواح» ص٢٧٣. (٢) في (ب): انشقاقها.

(٣) في (ب): أبو العالية وهو أصح. (٤) «حادي الأرواح» ص٢٧٤ .

دع الدُّنيا ولا تركن إليها ومع من فرّ منها سلسبيلا
لعلك في جنانِ الخلد تحظى بها عين تسمى سلسبيلا

تنبيه: قد تضمنت الأخبار التي ذكرناها أنَّ لأهل الجنَّةِ فيها خبزًا، ولحمًا، وفاكهة، وحلوى، وأنواع أشربة من الماء، واللبن، والخمر، والعسل، وليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الموافقة في الأسماء، وأمَّا المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر.

فإنْ قيل: فأين يشوى اللحم ولا ثَمَّ نار؟

قلت: أجاب بعضُ العلماء عن هٰذا الاستشكال بأنَّه يشوى في الجنَّة بأسباب قدرها الله سبحانه غير النار كما قدر إنضاج الثمر والطعام، وقيل غير ذٰلك.

وظاهر كلام الإمام المحقق في «حادي الأرواح»[1] أنه يشوى في الجنَّة بنار تكون مصلحة غير مفسدة بل صرح بذٰلك حيث قال: لا يمتنع أن يكون فيها نار تصلح ولا تفسد شيئًا.

وقد صحّ عنه ﷺ أنَّه قال: «**مجامرهم الألوة**» فالمجامر جمع مجمر، وهو البخور الذي يتبخر بإحراقه، والألوة: العود المُطرَّاة كما مر، فأخبر سبحانه أنَّهم يتجمرون به أي: يتبخرون بإحراقه لتسطع لهم رائحته، وقد أخبر سبحانه أنَّ في الجنَّة ظلالاً، والظلال لابد أن تقي مما يقابلها، فقال: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس: ٥٦] وقال: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧] فالأطعمة،

(١) «حادي الأرواح» ص٢٧٤.

والحلوى، والتجمر تستدعي أسبابًا تتم بها، والله سبحانه خالق السبب والمسبب، وهو رب كلّ شيء ومليكه لا إلٰه إلا هو هٰذا كلامه. وهو تأييد لما صوبه أنه يشوي في الجنَّة بأسباب قدرها العزيز العليم، لإنضاجه، وإصلاحه كما قدر هناك أسبابا؛ لإنضاج الثمر، والطعام، وكما جعل في أجواف العالم من الحرارة ما يطبخ ذٰلك الطعام، ويلفظه، ويهيئه لخروجه رشحا وجشاء وكذلك ما هناك من الثمار والفواكه يخلق لها من الحرارة ما ينضجها، ويجعل سبحانه أوراق الشجر حلالا فرب /٦٣٤/ الدنيا والآخرة واحد، وهو الخالق بالأسباب، والأسباب مظهر أفعاله وحكمته، ولكنها تختلف، وقد أجابَ بعضُهم عن الاستشكال بأنه يشوى بكن، وآخرون بأنه يشوى خارج الجنَّة، ثُمَّ يؤتى به إليهم.

قلت: وحديث ابن مسعود[١] حجة لِمَنْ قال يشوى بكن، وتقدم قريبًا، والحاصل أنَّ الله قادر، والقادر الذي لا يجوز عليه العجز البتة لا يسع كلّ ذي لب إلا التسليم لما أخبر هو به، أو نبيِّه ﷺ فإنَّ إخبارّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنَّما هو إخبار منه تعالى على ألسنتهم.

وربما سبحانه جعلَ للأشياء أسبابا غير الأسباب المعهودة المألوفة فينكر ذٰلك من لا عنده علم، ولا عقل، ولا فهم فهٰذا محض الجهل والظلم إذ ليست قدرته تعالى قاصرة عن أسباب أخر ومسببات ينشأها منها كما لم تقصر[٢] قدرته في هٰذا العالم المشهود عن أسبابه

(١) انظر ت(٣) ص١١١٤.   (٢) في (ب): تقتصر.

ومسبباته، وليس هٰذا بأهون عليه من ذٰلك، ولعل النشأة الأولى التي أنشأها تعالى فيها بالعيان والمشاهدة أعجب من النشأة الثانية التي وعدنا بها إذا تأملها اللبيب، ولعل إخراج هٰذه الفواكه، والثمار من بين هٰذه التربة الغليظة، والماء، والخشب، والهواء المناسب لها أعجب عند العقل من إخراجها من تربة الجَنَّة ومائها وهوائها، ولعل إخراج هٰذه الأشربة التي هي غذاء ودواء وشرب[1] ولذة من بين فرث ودم ومن قيء ذباب أعجب من إخراجها أنهارًا في الجَنَّة بأسباب أخر.

ولعل إخراج جوهري الذهب والفضة في عروق الحجارة من الخيال، وغيرها أعجب من إنشائها هناك من أسباب، ولعل إخراج الحرير من لعاب دود القز، وبنائها على أنفسها القباب البيض والحمر والصفر أحكم بناء أعجب من إخراجه من أكمام تتفتق عنه شجر[2] هناك قد أودع فيها، وأنشيء منها.

ولعل جريان بحار الماء بين السمّاء والأرض على ظهور السَّحابِ أعجب من جريانها في الجَنَّة في غير أخدود، وبالجملة فالمعبود بحق قادر على كلّ شيء، والقادر له أن يعكس الأسباب بأن يجعل الماء ينضج ويحرق إذ لا يسأل عمَّا يفعل، وإذا تأمل العاقل بين أمور الدنيا /٦٣٥/ والآخرة، ثُمَّ وازن بينها، وبين ما أخبر به تعالى من أمور الآخرة من الجَنَّة والنار وما فيهما وجد هٰذه الأشياء نموذجًا دالاً على تلك أتم دلالة شاهدة لها، فمن رزقه الله علمًا لدنِّيًا، وقذفَ في قلبهِ

---

(١) في (ب): شراب.

(٢) في (ب): شجرها.

نورًا ربانيًا ٱنكشف جميع ذٰلك لبصيرته ٱنكشافًا تامًّا فآمن به واطمئن قلبه له، وصدق به فكان مؤمنًا حقًا، والذين حجبوا عن ذٰلك، وجعل على قلوبهم أكنة أنْ يفقهوه، فبعدًا لقوم لا يؤمنون.

فصل

وأمَّا آنيتهم فقال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١] والصحاف جمع صحفة، وهي القصاع قاله الكلبي، وقال الليث: الصحفة: قصعة مسلنطحة عريضة، والجمع: صحاف[1]، والأكواب: جمع كوب هو المستدير الرأس الذي لا أذن له ومرّت الإشارة إليها.

وقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الواقعة: ١٧، ١٨] فالأباريق هي: الأكواب غير أنّ لها خراطيم فإنْ لم يكن لها خراطيم، ولا عرى فهي أكواب، وأباريق الجنَّة من الفضة في صفاء القوارير يرى من ظاهرها ما في باطنها، والعرب تسمي السيف إبريقًا لبريق لونه .

قال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإنسان: ١٥، ١٦] فالقوارير: هو الزجاج، وشفافته، وهٰذا من أحسن الأشياء وأعجبها، وقَطعَ توهم كون تلك القوارير من زجاج بقوله ﴿مِّن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ١٥].

---

(١) «حادي الأرواح» ص٢٧٧ لسان العرب مادة: ص ح ف.

وأخرج البخاري، ومسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النَّبيّ ﷺ قال: «**لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة**»[١].

وأخرج أبو يعلي الموصلي عن أنس رضي الله عنه قال: «**كان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا فربَّما رأى الرجل الرؤيا فيسأل عنه إذا لم يكنْ يعرفه فإذا أُثني عليه معروفًا كان أعجبَ لرؤياه إليه، فأتته آمرأة فقالت: يا رسُولَ الله رأيت كأني أتيت فأخرجتُ من المدينةِ فأدخلتُ الجنَّة، /٦٣٦/ فسمعت وجبة ارتجت لها الجنَّة، فنظرت فإذا فلان بن فلان، وفلان بن فلان فسمت آثني عشرَ رجلاً. كان رسول الله ﷺ قد بعث سريَّة قبل ذٰلك فجيء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم فقيل: آذهبوا بهم إلى نهر البيدخ أو البيدي، فغمسوا فيه، فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر، فأتوا بصحفة من ذهب فيها بسر، فأكلوا من بسره ما شاءوا، فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا، وأكلتُ معهم**». فجاء البشير من تلك السَّريَّة فقال: أصيب فلان، وفلان حتى عدَّ آثني عشرَ رجلاً فدعا رسول الله ﷺ المرأة فقال: «**قصِّي رؤياك**» قصتها وجعلت تقول: جيء بفلان وفلان كما

---

(١) رواه البخاري (٥٤٢٦) في كتاب: الأطعمة، باب: الأكل في إناءٍ مفضض.
ومسلم (٢٠٦٧) في كتاب اللباس والزينة، باب: تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء وخاتم الذهب.

قال. ورواه الإمام أحمد في مسنده بنحوه[١]. قال في «حادي الأرواح»[٢]: وإسناده على شرط مسلم.

---

(١) رواه أحمد ٣/ ١٣٥، ٢٥٧، وأبو يعلى ٦/ ٤٤، ٤٥ (٣٢٨٩)، واختلف في ضبط هٰذا الحرف ففي مسند أبي يعلىٰ «البيذخ -أو البيرح-» وعند ابن حبان (١٨٠٣) «البيدخ»، وعند أحمد في الرواية الأخرىٰ (٣/ ١٣٥) «نهر السدخ أو نهر البيدج» وأما في الرواية (٣/ ٢٥٧) فكما تم ضبط هنا وجاءت في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٧٥)، «نهر السدح أو أرض السدح» وسيأتي ضبط في ص١١٦٢، انظر ص١١٠٩، ص٣٣١.

(٢) «حادي الأرواح» ص٢٨١.

الباب التاسع
في ذكر لباس أهل الجنَّة، وحليهم، ومناديلهم، وفرشهم، وبسطهم، ووسائدهم وسررهم وأرائكهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الدخان: ٥١-٥٣].

وقال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ [الكهف: ٣١].

قال في «حادي الأرواح»[١] عن جماعة من المفسرين: السندس: ما رق من الدّيباج، والإستبرق: ما غلظ منه، وقالت طائفة: ليس المراد به الغليظ، ولكن المراد به الصفيق[٢]. وقال الزجاج: هما نوعان من الحرير وأحسن الألوان الخضر[٣]، وألين الملابس الحرير، فجمع لهم سبحانه بين حسن المنظر، وحسن اللباس مع نعومته، والتذاذ الجسم به.

وقد ذكر في «حادي الأرواح»[٤] مسألة عظيمة، وملخصها أنه قد قال سبحانه ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣] وقد صح عن المصطفى ﷺ أنه قال: **«من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»**

(١) «حادي الأرواح» ص٢٨٢.
(٢) في (ب): الصفيق.
(٣) في (ب): الأخضر.
(٤) «حادي الأرواح» ص٢٨٢، ٢٨٣.

أخرجه البخاري، ومسلم، وغيرهما من حديث عمر[١] وأنس رضي الله عنهما.

فقيل: لا يلبس الحرير في الجنَّة، ولكن يلبس غيره، وخصوا عموم الآية، وقيل هو من الوعيد الذي له حكم أمثاله مثل قوله ﷺ «**من أتى كاهنًا فصدقه / ٦٣٧/ فقد كفر بما أنزل على محمد**»[٢] أو كما قال، فيحمل على الزجر، فإذا تاب فلا خلاف في أنه خرج من عهدة الوعيد، وكذا الحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، ودعاء المسلمين، وشفاعة من يأذن الله له في الشفاعة فيه، وشفاعة أرحم الراحمين إلى نفسه ونظيره «**من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة**»[٣] وسمعت بعض السادة يقول: أخشى على من لبس الحرير في الدنيا ولم يتب أن يخرج من الدُّنيا على غير فطرة الإسلام، وكان ذٰلك لكون من يدخل الجنَّة لابد وأن يلبس الحرير، ومن مات مسلمًا لابد من دخول[٤] الجنَّة، والمصطفى ﷺ منع أن يلبس الحرير في الجنَّة[٥] فعلى هٰذا لا يموت مسلمًا، ونعوذ بالله فنسأل الله تعالى الهداية، والعناية بمنه وكرمه.

---

(١) البخاري (٥٨٣٤)، وأحمد ٢/٤٢٩، والترمذي (٢٨١٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٣٤٣).

(٢) أبو يعلىٰ (٥٤٠٨)، والبزار (٢/٤٤٣) رقم (٢٠٦٧).

(٣) البخاري (٥٥٧٥)، ومسلم (٢٠٠٣)، رواه ابن ماجه (٣٣٧٤) وصححه الألباني. سبق تخريجه ت(١) ص١١٠٥.

(٤) في (ب): دخوله.

(٥) سيأتي في ت(١) ص١١٦٧.

قال تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: ٢١] فقوله: ﴿عَٰلِيَهُمْ﴾ أي بارزا، وظاهرًا يحمل ظواهرهم ليس ذٰلك بمنزلة الشعار الباطن بل ذٰلك للزينة والجمال، وقريء «عَالِيهُم» بالرفع على الابتداء، وبالنصب على الظرفية كما صوبه في «حادي الأرواح»[1] فإن قيل عال مفرد، وثياب: جمع فكيف يخبر عن المفرد بالجمع؟ فالجواب أنَّ عاليًا قد يراد به الكثرة كقول الشاعر:

ألا إنَّ جيران العشية رابح دعتهم دواع من هوى ومناح

ومنه قوله تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ۝٦٧﴾ [المؤمنون: ٦٧]. فقوله: ﴿عَٰلِيَهُمْ﴾ بالرفع مبتدأ، «وثياب سندس» خبره، ومن رفع خضرا جعله صفة لثياب، وهو الأقيس ومن جره جعله صفة لسندس على إرادة الجنس، كما يقال: أهلك الناس الدينار الصفر، والدرهم البيض، ووجه الرفع أقيس وأسلم من وجوه.

أحدها: المطابقة بينهما في الجمع.

الثاني: موافقته لقوله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾ [الكهف: ٣١].

الثالث: منْ تخلصه وصف المفرد بالجمع.

الرابع: مجيء كلام العرب بالجمع الذي هو في لفظ الواحد فيجرونه مجرى الواحد كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ﴾ [يس: ٨٠] وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] والله أعلم.

---

(١) «حادي الأرواح» ص٢٨٣ .

في «حادي الأرواح»[١] عن الحسن: الحلي في الجنَّة على الرجال أحسن منه على النساء. /٦٣٨/ وفيه عن سعدِ بن أبي وقاص مرفوعًا: **«لو أنَّ رجلاً مِنْ أهل الجنَّةِ اطلع فبدا بسواره لطمس ضوءَ الشَّمس كما تطمس الشمسُ ضوءَ النجوم»**[٢]. وفيه ابن لهيعة وثقه الإمامُ أحمد، وتكلَّم فيه ابن معين وغيره.

وفيه عن أبي إمامةَ مرفوعًا: **«في أهل الجنَّةِ مسورون بالذهب والفضة، مكللون بالدر، عليهم أكاليل من درّ وياقوت متواصلة، وعليهم تاج كتاج الملوك شباب جرد مرد مكحلون»**[٣].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان وهو يتوضأ للصلاة يمد يده حتَّى تبلغ إبطه، فقال له أبو حازم: يا أبا هريرة ما هٰذا الوضوء؟ فقال: يا بني فروخ، أنتم ها هنا لو علمت أنكم ها هنا ما توضأت هٰذا الوضوء سمعتُ خليلي ﷺ يقول: **«تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء»**[٤] وفي هٰذا استئناس لمن استحب غسلَ العضد، وإطالته.

(قلت)[٥]: صححه في «الإنصاف»، وجزم به في «المغني»

---

(١) «حادي الأرواح» ص٢٨٦.

(٢) رواه الترمذي (٢٥٣٨) كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة أهل الجنة. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من حديث ابن لهيعة. وصححه الألباني، أبو نعيم في «صفة الجنة» ص١١١ (٢٦٦).

(٣) رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» ص١١١ (٢٦٧).

(٤) رواه مسلم (٢٥٠) في كتاب الطهارة، باب: تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء.

(٥) ساقطة من (ب)، انظر «المقنع»، «الشرح الكبير»، و«الإنصاف» (١/ ٢٨٣).

و«الشرح»، وابن رزين، وغيره، وقدمه في «الفروع»، وعنه: (لا يستحب ذٰلك. قال الإمام أحمد: لا يغسل فوق المرفق. قال في «الفائق»)[1]: ولا تستحب الزيادة على محل الفرض في أنص «الروايتين» وهو الذي صححه الإمام المحقق قال: وهو قول أهل المدينة ولا حجة في الحديث؛ لأن الحلية إنَّما تكون زينًا في الساعد، والمعصم لا في العضد، والكتف وأمَّا ما في الحديث: «**مَنْ ٱستطاع منكم أنْ يطيل غرّته فليفعل**». فهٰذه الزيادة من كلام أبي هريرة رضي الله عنه مدرجة في الحديث لا من كلامه ﷺ قال: وكان شيخ الإسلام قدَّسَ الله روحَه يقول: «هٰذه اللفظة لا يمكن أن تكون من كلام رَسول الله ﷺ فإنَّ الغرة لا تكون إلا في الوجه، وإطالتها غير ممكنة إذ يدخل في الرأس، ولا يسمّى ذٰلك غرة والله أعلم»[2].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ أنه قال: «**من يدخل الجنَّة ينعَم، لا يبأس**[3] **لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، في الجنَّة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»[4].

وأخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي جرمي فقال: يا رسُولَ الله أخبرنا عن الهجرة / ٦٣٩/

---

(١) ساقطة من (ب).

(٢) «حادي الأرواح» ص٢٨٨ . (٣) في (ب): ييأس.

(٤) رواه مسلم (٢٨٣٦) في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في دوام نعيم أهل الجنة.

إليكَ أين ما كنت؟ أم لقوم خاصة؟ أم إلى أرض معلومة؟ أم إذا مت ٱنقطعت؟ فسأل ثلاث مرار، ثُمَّ جلس، فسكت رسول الله ﷺ يسيرًا ثُمَّ قال: «**أين السائل؟**» قال: ها هو ذا يا رسول الله. قال: «**الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها، وما بطن، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، ثُمَّ أنتَ مهاجر وإنْ مت بالحضر**»[١].

فقام آخر، فقال: يا رسُولَ الله أخبرني عن ثياب أهل الجنَّةِ تخلق خلقًا، أم تنسج نسجًا. قال: فضحك بعض القوم، فقال رسول الله ﷺ : «**تضحكون من جاهل يسأل عالمًا**» فسكت النَّبيّ ﷺ ساعته، ثُمَّ قال: «**أين السائل عَنْ ثياب الجنَّة؟**» قال: ها هو ذا يا رسُولَ الله قال: «**لا بل تشقق عنها ثمر الجنَّة ثلاث مرار**»[٢].

وعند الإمام أحمد[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**سوط أحدكم من الجنَّة خير من الدُّنيا ومثلها معها، ولقاب قوس أحدكم مِنَ الجنَّة خير من الدنيا ومثلها معها، ولنصيف ٱمرأة من الجنَّة خير من الدنيا ومثلها معها**».

قيل لأبي هريرة رضي الله عنه ما النصيف؟ قال: «**الخمار**».

وفي «حادي الأرواح»[٤] عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه مرفوعًا: «**إنَّ الرجل في الجنَّة ليتكئ سبعين سنة قبل أنْ يتحول، ثُمَّ تأتيه ٱمرأة،**

---

(١) رواه أحمد ٢/ ٢٢٤، ٢٢٥ (٧٠٩٥).

(٢) رواه الإمام أحمد ٢/ ٢٠٣. (٣) أحمد ٢/ ٣١٥، ٤٣٨.

(٤) «حادي الأرواح» ص٢٩٠، الترمذي (٢٥٦٢) في كتاب صفة الجنة باب: ما جاء ما لأدنى الجنة من كرامة، وقال: هذا حديث غريب.

فتضرب على منكبه، فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة، وإنَّ أدنى لؤلؤةٍ عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، فتسلم عليه، فيرد السلام، ويسألها: مَنْ أنت؟ فتقول: أنا المزيد وإنَّه ليكون عليها سبعون ثوبًا أدناها مثل النعمان من طوى، فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها مِنْ وراء ذٰلك، وإنَّ عليهم لتيجان، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق، والمغرب».

وروى الترمذي منه ذكر التيجان وما بعده.

وأخرج ابن أبي الدنيا[1] عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا: «ما مِنْ أحد يدخل الجنَّة إلا ٱنطلق به إلى طوبى، فتفتح له أكمامها، فيأخذ من أي ذٰلك شاء أبيض، وإن شاء أحمر، وإن شاء أخضر، وإن شاء أصفر، وإن شاء أسود مثل شقائق النعمان وأرق وأحسن».

وأخرج عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه سئل ما حلل الجنَّة؟ قال: **«شجر فيها ثمر كأنَّه الرمان، فإذا أراد وليّ[2] الله كسوة ٱنحدرت إليه من غصنها، فانفلقت / ٦٤٠/ عن سبعين حلة ألوانًا بعد ألوان، ثُمَّ تنطبق ترجع كما كانت».**

وعنده عن أبي سعيد رضي الله عنه أنَّ النَّبيّ ﷺ سئل ما طوبى؟ قال: **«شجرة في الجنَّة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنَّةِ تخرج من أكمامها»**[3].

---

(١) ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» ص١٢٣.

(٢) في (ب): وإلي. «صفة الجنة» لابن أبي الدنيا ص (١٢٣).

(٣) أحمد (٣/ ٧١)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» ص١٢٤ (١٥٠).

وأخرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**دار المؤمن في الجنَّة لؤلؤ فيها شجرة، فتنبت الحلل، فيأخذ الرجل بإصبعه، وأشارَ بالسبابة والإبهام سبعين حلة متمنطقة باللؤلؤ والمرجان**»[(١)].

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: أهدى أُكيدر دُومة إلى النَّبيّ ﷺ جبة من سندس، فتعجب الناس من حسنها فقال ﷺ: «**لمناديل سعد في الجنَّة أحسن من هذا**»[(٢)].

وفيهما أيضًا عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «أُهدى لرسول الله ﷺ ثوب حرير، فجعلوا يعجبون من لينه، فقال رسول الله ﷺ: «**تعجبون من هذا؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنَّة أحسن من هذا**»[(٣)].

قال في «حادي الأرواح»[(٤)]: لا يخفى ما في ذكر سعد بن معاذ بخصوصه ههنا فإنَّه كان في الأنصار بمنزلةِ الصديق في المهاجرين، واهتز لموته العرشُ، وكان رضي الله عنه لا تأخذه في الله لومة لائم، وختم الله له بالشَّهادة، وآثر رضى الله ورسوله على رِضَى قومه وعشيرته وحلفائه، ووافق حكمُه الذي حَكَمَ به الله من فوق سبع سمواته، ونعاه جبريل عليه السلام إلى النَّبيّ ﷺ يوم موته، فحق له رضي الله عنه أن

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» ص١٢٤ (١٥١).

(٢) رواه البخاري (٣٢٤٨) في كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة. ومسلم (٢٤٦٩) في كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل سعد بن معاذ رَضِي اللهُ عَنْهُ.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» ص١٢٦ (١٥٦).

(٤) «حادي الأرواح» ص٢٩٣.

يكون مناديله التي يمسح بها يديه أحسن من حلل الملوك.

وقد ذكرتُ في كتابي «تحبير الوفاء في سيرة المصطفى» في وقعة بني قريظة ما يشفي، وذكرت في قصة إسلامه رضي الله عنه ما يدل على رسوخه، وعلوّ كلمته رضوان الله عليه، فإنَّه كان من الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم.

فصل

ومن ملابس أهل الجنَّةِ التيجان على رءوسهم

أخرج البيهقي[١] عَنْ أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ: «من قرأ القرآن فقام به آناء الليل، وأطراف النَّهار، ويحلل حلاله، ويحرم حرامَه خلطه الله بلحمِه ودمِه، /٦٤١/ وجَعَله رفيقَ السّفرة الكرام البررة، وإذا كان يوم القيامةِ كان القرآن له حجيجا، فقال: يا رب كلّ عامل يعمل في الدنُيا يأخذ بعمله من الدنُيا إلا فلانًا كان يقوم بي آناء الليل والنهار، فيحل حلالي، ويحرم حرامي. يقول: رب فأعطيه فيتوّجه الله تاجَ الملكِ، ويكسوه مِنْ حلة الكرامة، ثُمَّ يقول: هل رضيت؟ فيقول: يا رب أرغبُ له في أفضل من هٰذا فيعطيه الله الملك بيمينه، والخلد بشماله، ثُمَّ يقول له: هل رضيت؟ فيقول : نعم يا رب».

---

(١) «شعب الإيمان» ٢/ ٣٤٥ (١٩٩١) باب: في تعظيم القرآن، فصل: في إدمان تلاوته.

وفي مسند الإمام أحمد عن بريدة رضي الله عنه مرفوعًا: «تعلَّموا سورة البقرة فإنَّ أخذها بركة وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة». ثُمَّ سكت ساعةً، ثُمَّ قال: «تعلموا سورة البقرة وآل عمران، فإنَّهما الزهراوان، وإنَّهما يظلان صاحِبَهما يوم القيمةِ كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، والقرآن يلقى صاحبه يوم القيمةِ حين ينشق عنه قبره كالرجل المشاحب، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول له: ما أعرفك فيقول له القرآن: أنا الذي أظمأتكَ في الهواجر، وأسْهَرتُ ليلك، وإنَّ كلّ تاجر مِن وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كلّ تجارة فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسِه تاج الوقار، ويكسى والداه جبتين لا تقوم لهما الدنيا، فيقولان بم كسينا هٰذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن ثُمَّ يقال: اقرأ، واصعد في درج الجنَّة، وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ هٰذاً كان أو ترتيلاً»[1] قوله البطلة: أي: السحرة، والغياية: ما أظل الإنسان، وكذا الغمامة.

فصل

وأمَّا الفرش، فقال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] وقال: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الواقعة: ٢٤] فسر بطائنها من استبرق على أنها ظهائرها أعلى، وأحسن من بطائنها، لأنَّ بطائنها للأرض، وظهائرها للجمال. قال عبد الله رضي الله عنه: هٰذه

(١) أحمد ٥/٣٤٨ (٢٢٩٥٠).

البطائن قد أخبرتم بها فكيف بالظهائر؟! ويدل قوله: **«وفرش مرفوعة»** على أنَّها عالية لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة.

أخرجَ الترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا: **«ارتفاعها كما بين السماء والأرض، ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام»** قال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد[1] قال في /٦٤٢/ «حادي الأرواح»[2]: قلت: رشدين بن سعد عنده مناكير وبَيَّن ذٰلك.

ومعنى الحديث كما قال الترمذي: أنَّ الارتفاع المذكور للدرجات، والفرش عليها

وعند عبد الله بن وهب عن أبي سعيد مرفوعًا **«ما بين الفراشين كما بين السَّماء إلى الأرض»**.

قال في «حادي الأرواح»[3]: وهٰذا أشبه أنْ يكون هو المحفوظ. كذا قال.

وأخرج الطبراني عن كعب في قوله: **«وفرش مرفوعة»** قال: **«مسيرة أربعين سنة»**[4].

وعن أبي أمامة: **«لو أنَّ أعلاها يسقط ما بلغ أسفلها أربعين خريفًا»** رواه ابن أبي الدُّنيا موقوفًا[5]، ورواه الطبراني مرفوعًا بلفظ

---

(١) أحمد (١٨/ ٢٤٧) رواه الترمذي (٢٥٤٠) في كتاب صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة ثياب أهل الجنة، وقال: حديث غريب.

(٢) «حادي الأرواح» ص٢٩٦.

(٣) «حادي الأرواح» ص٢٩٦.

(٤) «حلية الأولياء» ٥/ ٣٧٩.

(٥) ابن أبي شيبة (١٣/ ١٤٠) هناد في الزهد (٧٩)، ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» ص١٢٨، ١٢٩.

سئل رسول الله ﷺ عَنِ الفُرش المرفوعة قال: «**لو طرح فراش من أعلاها لهوى إلى قرارِها مائة خريفٍ**» ونظر في رفعه «المحقق»[(١)].

وأمَّا البسط فقال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الرحمن: ٧٦] وقال: ﴿سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الغاشية: ١٣ ـ ١٦].

قال جبير: الرفرف: رياض الجنَّة، والعبقري: عَتَاقُ الزرابي.

قال الحسن في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الرحمن: ٧٦]: هي البسط وأهل المدينة يقولون: هي البسط.

والنمارق: هي الوسائد. قاله: الواحدي في قوله الجميع واحدها نُمرقة بضم النون، وحكى الفراء: كسرها. والزرابي: البسط، والطنافس واحدها زربية في قول جميع أهل اللغة والتفسير. وقوله: ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٦] أي: مبسوطة منثورة.

وقال الليث: الرفرف: ضرب من الثياب خضر تبسط الواحد رفرفة، وقال أبو عبيدة: الرفارف البسط، وقيل: رياض الجنَّة وتقدم، وقيل: الوسائد، وقيل غير ذٰلك.

وقال «المحقق»[(٢)] قلت: أصلُ الكلمةِ من الطرف، والجانب، فمنه الرف في الحائط، والرفرف: وهو كِسرُ الخباء، وجوانب الدِّرع، وما تدنى منه، ومنه رفرف الطير إذا حرك جناحَه حولَ الشَّيء يريدُ أنْ

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» ٨/ ٢٤٢-٢٤٣ (٧٩٤٧)، وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٢٠، رواه الطبراني وفيه جعفر بن الزبير الحنفي وهو ضعيف، ضعيف الجامع (٤٨٢٦).

(٢) «حادي الأرواح» ص٢٩٩ .

يقع عليه، والرفرف: ثياب خضر تتخذ منها المجالس، الواحدة رفرفة، وقال ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١٨]: رفرفًا أخضر سد الأفق. متفق عليه[١].

وتقدم أنَّ العبقري[٢]: البسط، وقيل: موضع في البادية كثير الجِّن، يقال: /٦٤٣/ كأنهم جن عبقر، فنسب إلى ذٰلك، وهي الأرض التي سلكها الجن فصار مثلاً منسوبًا إلى شيء رفيع، وأنشد أبو عبيد لزهير:

يخيل عليها جنّه عبقرية جديرون يومًا أنْ ينالو فيشعلوا

قال الواحدي: وهٰذا الصحيح في العبقري؛ لأنَّ العربَ إذا بالغت في وصف شيء نسبته إلى الجنِّ، وشبهته بهم، ومنه قول لبيدة:

جنى الندى رواسيا أقدامها ....

وقال آخر في وصفه ٱمرأة:

جنية ولها جنّي يعلمها رمى القلوب بقوس ما لها وتر

وذٰلك لأنهم يعتمدون[٣] كلّ صفة عجيبة في الجن، وأنَّهم يأتون بكلِّ أمر عجيب، قال في «حادي الأرواح»[٤]: ولما كان عبقر معروفًا بسكناهم، نسبوا كلّ شيءٍ مبالغ فيها إليها، يريدون بذٰلك أنَّه منْ عملهم، وصنعهم، هٰذا هو الأصل، ثُمَّ صار العبقري ٱسمًا، ونعتًا لكلِّ ما بولغ في صفته ومنه قوله ﷺ حين ذكر عمر: «فلم أر عبقريًا

---

(١) البخاري (٣٢٣٣، ٤٨٥٨).
(٢) «معجم البلدان» ٤/ ٧٩ .
(٣) في (ب): يعتقدون.
(٤) «حادي الأروح» ص٣٠، ٣١.

يَفْري فَرِيَه»[1] وعن الفراء العبقري: السيد من الرجال، وهو الفاخر من الحيوان، والجوهر، وواحد العبقري: عبقرية. والحاصل أنَّ كلّ شيءٍ عجيبٍ يُقال له: عبقري. لما وصفنا، وتأمل كيف وصفَ سبحانه الفرش بأنَّها مرفوعة، والزرابي بأنَّها مبثوثة، والنمارق بأنها مصفوفة، فَرَفْعُ الفْرش دال على سمكِها ولينها، وبثُّ الزرابي دال عل كثرتها، وأنَّها في كلّ موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخره وجوانبه، وصّفُّ المساندِ[2] يدلُّ على أنها مهيأة للاستنادِ إليها دائما ليست مخبأة تصف في وقت دونَ وقت والله أعلم.

فصل

وأمَّا خيامهم وسررهم، وأرائكهم وبشخاناتهم، فقد قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمن: ٧٢].

ففي الصَّحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ أنَّه قال: **«إنَّ للمؤمن في الجنَّة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا»**. وفي روايةٍ للبخاري: **«طولها ثلاثون ميلاً»**[3].

---

(١) البخاري (٣٦٨٢). (٢) في (ب): المسانيد.

(٣) رواه البخاري (٣٢٤٣) في كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة. ومسلم (٢٨٣٨) في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في صفة خيام الجنة وما للمؤمنين فيها من الأهلين.

قال في «حادي الأرواح»[(١)]: وهٰذه الخيام غير الغرف، والقصور بل هي /٦٤٤/ خيام في البساتين[(٢)] وعلى شواطئ الأنهار.

وأخرج ابن أبي الدُّنيا[(٣)] عَنْ عبد الله رضي الله عنه قال: «**لكلِّ مسلمٍ خيرة ولكل خيرة خيمة، ولكل خيمة أربعةُ أبواب يدخل عليها كلّ يوم من كلّ باب تحفة، وهدية، وكرامة لم يكن قبلها ذٰلك لا مرحات، ولا ذفرات، ولا سخرات، ولا طماحات حور عين كأنَّهن بيض مكنون**».

وأخرج ابن المبارك عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «**الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون بابًا كلها من درة**»[(٤)]. وقال ابن عباس[(٥)] في قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمٰن: ٧٢]: الخيمةُ: مَنْ درةٍ مجوفة طولها فرسخ، وعرضها فرسخ، ولها ألف باب من ذهب حولها سرادق دوره خمسون فرسخًا يدخل عليه من كل باب منها ملك بهدية من عند الله عز وجل وذٰلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

وأمَّا السرر، فقال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ وقال: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ

---

(١) «حادي الأرواح» ص٣٠٣. (٢) في (أ): القصوتين.

(٣) ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» ص٢١٥، ٢١٦.

(٤) رواه ابن المبارك في «الرقائق» ص٧٢ (٢٥٠)، باب: في صفة الجنة وما أعد الله فيها، صفة الجنة لابن أبي الدنيا رقم (٣٢٠) (٣٢٥).

﴿١٦﴾ [الواقعة: ١٥، ١٦] وقال: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾﴾[1].

فأخبر سبحانه عن سررهم بأنها مصفوفة بعضها إلى جانب بعض ليس بعضها خلفَ بعضٍ، ولا بعيدًا منه، وأخبر أنَّها موضونة أي: منسوجة مضاعفة متداخلة بعضها على بعض كما يوضن حلق الدرع، ومنه سمي الوضين، وهو نطاق من سيور ينسج فيدخل بعضه في بعض، ومنه قول الشاعر:

ومِنْ نَسْجِ داودَ مَوْضونة يُساقُ مع الحي عيرًا فعيرا

قالوا: موضونة: منسوجة بقضبان الذَّهبِ مشبكة بالدر، والياقوت، والزبرجد وقال ابن عباس: مزمولة بالذهبِ. وقال مجاهد: موصولة بالذهب، وأخبر سبحانه بأنها مرفوعة: قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: سرر من ذهب مكللة بالزبرجد، والدر، والياقوت، والسرير مثل ما بين مكة، وأيلة. وقال الكلبي: طول السرير في السَّماء مائة ذراع[2]، فإذا أراد الرجل أن يجلس عليه تواضع له حتَّى يجلس عليه فإذا جلس عليه آرتفع إلى مكانه.

وأما الأرائك فتقدم أنَّها جمعُ أريكة، وأنَّ ابن عباس قال: «لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلة» فإنْ كان سرير بغير حجلة /٦٤٥/ لا تكون أريكة، وإنْ كانت حجلة بغير سرير لم تكن أريكة، فالسرير والحجلة أريكة، والحجلة هي البشخانة التي تعلق فوق السرير.

---

(١) «الزهد» لابن المبارك ٧٢ (٢٥٠)، وأخرجه الطبري من طريق المعتمر عن سليمان ولم يرفعه إلى أبي الدرداء.

(٢) في (ب): عام.

وقال في «حادي الأرواح»[١]: لا تسمَّى أريكة إلا بالسرير في الحجلة، وأن يكون على السرير فراش.

وفي الصحاح: الأريكة سرير منجد مزين في قبة أو بيت، فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة، والجمع الأرائك.

وفي الحديث: أنَّ خاتَمَ النَّبيّ ﷺ (أي: خاتم النبوة) كان مثل زر الحجلة، وهو الزر الذي يجمع به بين طرفيها من جملة أزرارها.

قلت: وكون المراد بزرّ الحجلة ما[٢] ذكرنا هو الذي صوبه أكثر المحققين منهم الإمام العلامة المحقق في «حادي الأرواح»[٣]، وغيره كالدميري، وقال الإمام الترمذي بعد إيراده حديث: أنَّ النَّبيّ ﷺ كان بين كتفيه خاتم مثل زر الحجلة: إنَّ المرادَ بالحجلة هٰذا الطائر[٤]، وزرّها بيضها، وإذا كانت المرأة مقصورة في الحجالِ فهو مِمَّا يتمدح به كما قال كثيرّ عزّه في ذٰلك:

وأنت التي حببت كلّ قصيرة ... إليَّ فلا تدري بذاك[٥] القصائر

عنيت قصارات الحجال ولم أرد ... قصار الخطى شر النساء البحائر[٦]

والله أعلم.

---

(١) «حادي الأرواح» ص٣٠٦، ٣٠٧.

(٢) في (ب): في.

(٣) «حادي الأرواح» ص٣٠٦، ٣٠٧.

(٤) رواه البخاري (١٩٠) في كتاب الوضوء، باب: استعمال فضل وضوء الناس. ومسلم (٢٣٤٥) في الفضائل، باب: إثبات خاتم النبوة وصفته ومحله من جسده ﷺ. والترمذي (٣٦٤٣) في كتاب المناقب، باب: ما جاء في خاتم النبوة وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٥) في (ب): بذلك.

(٦) في (أ): البحاتر وما أثبت من (ب).



الباب العاشر
في ذكر خدم أهل الجنَّة، وغلمانهم، ونسائهم، وسراريهم، والمادة التي خلق منها الحور العين، ونكاحهم، وهل في الجنَّة ولد أم لا؟

أمَّا خدمهم، وغلمانهم فقال تعالى: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الطور: ٢٤]. وقال: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإنسان: ١٩].

قال أبو عبيدة، والفراء، مخلدون: لا يهرمون، ولا يتغيرون. وقال آخرون: مخلدون مقرطون مسورون أي: في آذانهم القرطة، وفي أيديهم الأساور، والخلد القرطة، ومنه قول الشاعر:

ومخلدات باللجين كأنما ... أعجازهن رواكد الكثبان

وجمعت طائفة بأنَّهم لا يعرض لهم الكبر، والهرم، وفي آذانهم القرطة، وشبههم سبحانه وتعالى باللؤلؤ المنثور لما فيه مِنَ البياضِ، وحسن الخلقة، وفي كونه منثورًا فائدتان: الدلالة على أنَّهم غيرُ معطلين بل مبثوثون في خدمتهم /٦٤٦/.

والثانية: إنَّ اللؤلؤ إذا كان مَنثُورًا ولاسيما على بسط من ذهبٍ أو حرير، كان أحسن، وأبهى من كونه مجموعًا.

واختلف العلماء في هٰؤلاء الغلمان، فقال[١] علي كرَّم الله وجهه، والحسنُ البصري: هم أولاد المسلمينَ الذين يموتون ولا حسنة لهم، ولا سيئة يكونون خدمًا لأهل الجنَّةِ إذ الجنَّة لا ولادة فيها، وبعضهم قال: هم أولاد المشركين يجعلهم الله خدمًا لأهل الجنَّة، واستدلَّ هٰؤلاء بقول النَّبيّ ﷺ: **«سألت ربي اللاهين من ذرية البشرِ أن لا يعذبهم، فأعطانيهم، فهم خدمُ أهل الجنَّة»**[٢]. يعني: الأطفال، رواه يعقوب بنُ عبد الرحمن القاري، وعبد العزيز بن الماجشون، وفضيل ابن سليمان قال في «حادي الأرواح»[٣]: وطرقه ضَعيفة ففيه يزيد واهٍ، وفضيل بن سليمان متكلم فيه وعبد الرحمن بن إسحٰق ضعيف قال ابن قتيبة: واللاهون: من لهيت عن الشيء إذا غفلت عنه، وليست من لهوت.

وقيل: هم غلمان، أنشأهم الله في الجنَّة إنشاءً كما أنشأ الحور العين، وولدان أهل الدُّنيا يكونون يومئذ أبناء ثلاث وثلاثين سنة، لقوله ﷺ: **«مَن مات مِن أهل الجنَّةِ من صغيرٍ أو كبير، يردون بني ثلاثين سنة في الجنَّة لا يزيدون عليها أبدًا، وكذلك أهل النار»**[٤]. رواه

---

(١) في (ب): الإمام.

(٢) رواه أبو يعلى ٦/ ٢٦٧ (٣٥٧٠)، ٦/ ٣١٦ (٣٦٣٦)، و٧/ ١٣٨ (٤١٠١-٤١٠٢). ورواه الطبراني في «الأوسط» ٦/ ١١١ (٥٩٥٧). والضياء في «المختارة» ٧/ ٢٠١-٢٠٢ (٢٦٣٩). والحديث صححه الألباني في «الصحيحة» ٤/ ٥٠٢ (١٨٨١).

(٣) «حادي الأرواح» ص٣١٠.

(٤) رواه الترمذي (٢٥٦٢) في كتاب صفة الجنة، باب: ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة.

الترمذي من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، واختار هٰذا القول في «حادي الأرواح»[1] واستدلَّ له بقوله تعالى: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الطور: ٢٤] وهؤلاء غيرُ أولادهم فإن من تمام كرامة الله لهمْ أنْ يجعل أبنائهم مخدومين معهم لا غلمانًا لهم.

وفي حديث أنس رضي الله عنه أنَّ النَّبيّ ﷺ قال: «**أنا أوّل النَّاسِ خروجًا إذا بعثوا**»[2]. وفيه: «**ويطوف عليَّ ألف خادم كأنَّهم لؤلؤ مكنون**» والمكنون: هو المستور الذي لم تبتذله الأيادي.

والحاصل أن الولدان من جنس الحور العين، وليسوا من ذريةِ آدم على الصحيح المعتمد. قال قتادة: ذكر لنا أن رجلاً قال للنبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩]: /٦٤٧/ هٰذا الخادم فكيف المخدوم؟ قال: «**والذي نَفسي بيده إنَّ فضلَ المخدومِ على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب**» حكاه مكي.

وأخرج ابن المبارك، والبيهقي عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: «**إن أدنى أهل الجنَّةِ منزلاً من يسعى عليه ألفُ خادمٍ كلّ خادمٍ على عملٍ ليس عليه صاحبه**» وتلا قوله تعالى ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩][3].

وأخرج ابن أبي الدُّنيا عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا قال: «إن

(١) «حادي الأرواح» ص٣١١.

(٢) رواه الترمذي (٣٦١٠) في كتاب المناقب، باب: ما جاء في فضل النبي ﷺ، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٣) رواه البيهقي في «البعث والنشور» ص: ٢٠٧ (٤١٢)، ابن المبارك (١٥٨٠).

أسفل أهل الجنَّةِ أجمعين درجة، من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم»(١).

وأخرج ابن أبي الدنيا(٢) أيضًا عن أبي هريرة قال: «إن أدْنى أهل الجنَّةِ منزلة، وليس فيهم دنِيٌ مَنْ يغدو، ويروح عليه خمسة عشر ألف خادم ليس منهم خادمٍ إلا ومعه طرفة ليس مع صاحبه»(٣).

وقد نبه غيرُ واحدٍ من العلماء في مثل هٰذه الأحاديث على تقدير لفظة «من» أي: إنَّ مِنْ أدنى أهل الجنَّةِ كيت، وكيت، وكذا أحب العمل إلى الله كذا، وأحب العمل إلى الله كذا أي: إن من أحب العمل إلى الله، وبهذا يزول أشكلة كثيرة في أبواب كثيرة من الحديث والله تعالى أعلم.

فصل

وأما نساؤهم، وسراريهم فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

والأزواج: جمع زوج، والمرأة: زوج الرجل، وهو زوجها، هٰذا الأفصح، وهي لغة قريش وبها نزل القرآن كقوله تعالى: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] ومِنَ العربِ مَنْ يقول: زوجة، وهو نادر، والمطهرة: التي طهرت من الحيض، والبول، والنفاس، والغائط، والمخاط، والبصاق، وكل قذر، وطهر لسانها من الفحش،

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» ص: ١٥٤ (٢١٠).

(٢) ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» ص١٥٤.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» ص: ١٥٤ .

والبذاء، ونظرها من طمح عينها إلى غير زوجها، وكذلك خلقت حواء فلما ٱقترفت ما ٱقترفت قال سبحانه: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] «**إنِّي خلقتك مطهرة، وسأدميك كما أدميت هذه الشجرة**»[١] يعني لما خصفت عليها من ورق الشجرة، وهي التين فأدمتها كذا قيل، وهو في «العرائس» للثعلبي وفي «منظومة ابن العماد» التي جمع فيها الأنبياء على [حكم][٢] ما قاله القرطبي في «تذكرته»: / ٦٤٨/ إن أوّل مَنْ حاض بنات يعقوب عليه السلام[٣] قال في منظومته:

وأرسل الحيض على البنات   من نسل يعقوب عن الثقات

ولم أره لغيره وعندي فيه بعد لقوله تعالى في حكايته عن [الست][٤] سارة: ﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾ [هود: ٧١] أي: حاضت والله تعالى أعلم.

وقال جل شأنه: ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» رقم (٥٥٠) (٧٤٨).

(٢) هكذا في الأصل وجاء النص عن ابن عباس في الأوسط لابن المنذر (٢/ ٢٠١) والحاكم (٢/ ٣٨١) انظر الفتح (١/ ٤٠٠) الدر المنثور (١/ ٢٩٠).
وقد تعقب هذا الأثر الطبري في تفسيره وكذلك ابن كثير (١/ ٩٥) قائلاً: وهذا غريب، فلا أظن ذلك يصح اهـ. والاقتصار على ما جاء في الكتاب والسنة أولى.

(٣) ذكره في الوسائل في مسامرة الأوائل للسيوطي ونسبه لعبد الرزاق رقم (٣٩).

(٤) بمعنى سيدتي خطأ وهي عامية مبتذلة ذكره ابن الأعرابي وتأوله ابن الأنباري فقال: يريدون يا ست جهاتي. وتبعه في القاموس فقال: «وستي» للمرأة، أي يا ست جهاتي، انظر: قصد السبيل (٢/ ١١٨) وما أثبت هكذا ورد في الاصل.

وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ [الدخان: ٥٤-٥٦].

والحور: جمع حوراء وهي المرأة الشَّابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين، وقال زيدُ بن أسلم: هي التي يحار فيها الطرف والعينُ حسان الأعين وقال مجاهد: هي التي يحار فيها الطرف من رقةِ الجلدِ، وصفاء اللون. وقال الحسن: هي شديدة بياض العين شديدة سوادها. واختلف في اشتقاقِ هٰذه اللفظة فقال ابن عباس: الحور في كلامِ العربِ: البيض. وكذا قال قتادة. وقال مقاتل: الحور: البيض الوجوه. وكلام مجاهد يدل على أنَّ اللفظة مشتقة، من الحيرة، وردَّه الإمامُ «المحقق»، وقال: بل أصل الحور: البياض، والتحوير: التبييض، ومنه الحواريون أي: القصارون.

والصحيح: أنَّ الحورَ مأخوذ من الحَوَرِ في العين، وهو شدة بياضها مع قوةِ سوادها فهو متضمن لأمرين كما في «الصحاح»[١].

وقال أبو عمرو: الحورُ أنْ تسودَّ العين كلَّها مِثْلُ أعين الظِّباء والبقر، وليس في بني آدم حور، وإنَّما قيل للنساء حور العيون؛ لأنهنَّ شُبِّهْنَ بالظباء والبقرِ. وقال الأصمعي: ما أدري ما الحَوَرُ في العينِ. قال في «حادي الأرواح»[٢]: أهل اللغة قالوا: الحور في العين معنى يلتئم مِنْ حسن البياض والسوادِ وتناسبهما، واكتساب كلّ واحدٍ الحسن من الآخرِ، وعين حوراء إذا اشتدَّ بياضُ بياضها، وسوادُ سوادها، ولا تسمَّى المرأة حوراء حتَّى يكون مع حَوَرِ عينها بياض لون جسدها.

---

(١) «الصحاح» ٢/ ٦٣٩ . (٢) «حادي الأرواح» ص٣١٥.

وَالعِينُ: جمع عيناء، وهي العظيمة العين من النساء، ورجل أعين إذا كان ضخم العين، وامرأة عيناء، والجمع عين قال: والصحيح: أنَّ العين اللاتي جمعتْ أعينهن صفات الحسن والملاحة.

لطيفة: ذكرَ في «حادي الأرواح»[1] أنَّه يستحب الضيق /٦٤٩/ في المرأة في أربعةِ مواضع: فمها، وخرق أذنها، وأنفها، وما هناك وتستحب السعة منها في أربعةٍ أيضًا: وجهها، وصدرها، وكاهلها - وهو ما بين كتفيها - وجبهتها ويستحب البياض منها في أربعةٍ: لونها، وفرقها، وثغرها، وبياض عينها. ويستحب السواد منها في أربعةٍ: عينها، وحاجبها، وهدبها، وشعرها. ويستحب الطول منها في أربعة أيضًا: قوامها، وعنقها، وشعرها، وثيابها. ويستحب القصر منها في أربعة: (وهي معنوية): لسانها، ويدها، ورجلها، وعينها. فتكون قاصرة الطرفِ، قصيرة الرجل واللسان عن الخروج، وكثرة الكلام، قصيرة اليد عن تناول ما يكره الزوج، وعن بذله، وتستحب الدقة منها في أربعة: خصرها، وفرقها، وحاجبها، وأنفها. وقال سبحانه: ﴿۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾﴾ [ص: ٥٢] فالأتراب: جمع ترب وهو لذة الإنسان. وقال: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦] أي: لم يمسهن، قاله أبو عبيدة، ويونس، وقال الفرَّاء الطمث: الافتضاض، وهو النكاح بالتدمية،

---

(١) «حادي الأرواح» ص٣١٥، ٣١٦.

والطمث هو الدم يقال: طمثت الجارية إذا ٱفترعتها، وبيت الفرزدق يدلَّ لِمَا قاله أبو عبيدة:

خـرجـن إليَّ لم يـطـمـثـهـن قـبـلي وهـن أصـح مـن بـيض الـنـعـام

أي: لم يمسهن قبلي أحد، قال المفسرون لم يطأهن، ولم يغشهن، ولم يجامعهن هٰذه ألفاظهم. والله تعالى أعلم.

وقال تعالى في وصفهن: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمن: ٧٢] المقصورات: المحبوسات. قال أبو عبيدة: خدرت في الخيام. قال في «حادي الأرواح»(١): وفيه معنى آخر: وهو أنْ يكونَ المراد أنهنَّ محبوسات على أزواجهن لا يردن غيرهم وهم في الخيام وهٰذا معنى قول من قال: قصرن على أزواجهن فلا يردن غيرهم، ولا يطمحن إلى مَنْ سواهم، ذكره الفراء.

قال المحقق: قلت: هٰذا معنى قاصرات الطرف لكن أولئك قاصرات بأنفسهن، وهٰؤلاء مقصورات وقوله: ﴿فِى ٱلْخِيَامِ﴾ على هٰذا القول صفة لجوارٍ هن في الخيام، وليس معمولاً لمقصورات وكأن أرباب هٰذا القول فروا من كونهن محبوسات، والحبس عذاب والجواب: أنَّه سبحانه وصفهن بأنَّهنَّ مخدرات لا يخرجن مِنْ خدورهن، ولا يلزم من هٰذا أنّهن لا يفارقن الخيام إلى الغرف والبساتين، ألا ترى أن نساءَ /٦٥٠/ ملوك الدُّنيا وذويهم من

---

(١) «حادي الأرواح» ص٣٢١، ٣٢٢.

المخدرات المصونات قد يخرجن في بعضِ الأوقات لنحو منتزه؟ والله تعالى أعلم.

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠﴾ [الرحمن: ٧٠].

فالخيرات: جمع خيرة، وهي مخففة من خيرة كسيدة ولينة، وحسان جمع حسنة فهن خيرات الصفات والأخلاق حسان الوجوه.

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٣٨﴾ [الواقعة: ٣٥ ـ ٣٨]: الضمير عائد للنساء الدال عليهن الفرش على أنَّه قيل في قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝٣٤﴾ [الواقعة: ٣٤]: كناية عن النساء، لكن قوله: ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ يأباه كما نبّه عليه المحقق إلا أن يقال: رفعة القدر، وصوّب في «حادي الأرواح»[1]: أنَّ الفرش على حقيقتها ودلت على النساء؛ لأنها محلهن غالبًا.

قال قتادة، وابن جبير في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥﴾ أي: خلقناهن خلقًا جديدًا[2]. وقال ابن عباسٍ: يريد إنشاء الآدميات. وقال الكلبي ومقاتل: يعني: نساء أهل الدُّنيا العجز الشمط، بقوله تعالى: خلقهن بعد الكبر والهرم بعد الخلق الأول في الدنيا ويؤيده حديث عائشة رضي الله عنها أنَّ النَّبيّ ﷺ دخل عليها وعندها عجوز، فقال: «منْ هٰذه؟» قالت: خالتي قال: «**إنه لا يدخل الجنَّة العجز**» فدخل العجوز من ذٰلك ما شاء الله، فقال ﷺ: «﴿إِنَّآ

---

(١) «حادي الأرواح» ص٣٢٣.

(٢) رواه الطبراني في «تفسيره» ١١/ ٦٤٠ (٣٣٣٩٢).

أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ خلقًا آخر يحشرون يوم القيامةِ عراة حفاة غرلًا، وأول من يكسى إبراهيم خليل الرحمن». ثُمَّ قرأ النَّبيّ ﷺ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾﴾.[١]

وذكر مقاتل أن المراد بهنَّ الحور العين، ٱختاره الزجاج أي: أنشأهن سبحانه لأوليائه لم تقع عليهن ولادة[٢]، وظاهر كلام «المحقق» الميل إلى هٰذا، وأنَّ الحديث لا يدل على ٱختصاص العجائز المذكورات بهٰذا الوصف، بل يدل على مشاركتهن للحور العين في هٰذه الصفات المذكورة فلا يتوهم[٣] ٱنفراد الحور العين بذٰلك، نعم هنّ أحق بذٰلك منهن، فالإنشاء واقع على الصنفين.

وقوله: ﴿عُرُبًا﴾ جمع عروب وهنَّ: المحببات إلى أزواجهن. قال أبو عبيدة: العروبة: الحسنة التبعل. قال في «حادي الأرواح»[٤]: /٦٥١/ يريد حسن موافقتها، وملاطفتها لزوجها عند الجماع. وقال المبرد: هي العاشقة لزوجها، وأنشد لبيد في ذٰلك:

وفي الخروج عروب غير فاحشة ريا الروادف يغشى دونها البصر

وقيل: هي الغنجة وهي لغة المدينة. قال في «حادي الأرواح»[٥]: جَمَع سبحانه بين حسن صورتها، وحسن عشرتها، وهٰذا غاية ما يطلب من النساء وبه تكمل لذة الرجل بالمرأة التي لم يطأها سواه.

---

(١) ابن جرير (١٧/ ٨٠)، وأبو نعيم في «أخبار أصفهان» (٢/ ١٤٢)، و«البعث والنشور» للبيهقي (٣٤٣).

(٢) «زاد المسير» ٨/ ١٤٢ .

(٣) في (ب): نفهم.

(٤) «حادي الأرواح» ص٣٢٦.

(٥) «حادي الأرواح» ص٣٢٧.

وقال تعالى: ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣﴾ [النبا: ٣٣] فالكواعب: جمع كاعب أي: الناهد، قاله قتادة، ومجاهد(١)، والمفسرون والمراد: ثديهن نواهد، كالرمان ليست متدليةً إلى أسفل، ويسمين نواهد.

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا: **«الغَدْوَة في سبيل الله أو روحة خير مِنَ الدُّنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده، - (يعني سوطه) - من الجَنَّة خير من الدُّنيا وما فيها، ولو اَطَّلعت اَمرأة من نساء أهل الجنَّةِ إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحًا ولأضاءت ما بينهما، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»**(٢). تقدَّم أنَّ النصيف هو: الخمار.

وفي المسند(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: **«للرجل من أهل الجنَّةِ زوجتان من حور العين على كلّ واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب»**.

وأخرج الطبراني(٤) عن أم سلمة رضي الله عنها قالتْ: قلت: يا رسُولَ الله، أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢﴾ قال:

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» ١٢/ ٤١١ . (٢) رواه البخاري (٢٧٩٦).

(٣) رواه البخاري (٣٢٤٥) في كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة. ومسلم (٢٨٣٤) في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر وصفائهم وأزواجهم. وابن حبان ١٦/ ٤٣٦، ٤٣٧ (٧٤٢٠).

(٤) الطبراني في «الأوسط» ٣/ ٢٧٨ (٣١٤١). الكبير (٢٣/ ٣٦٧) ابن جرير (١٩/ ٥٣٩) (٢٢/ ٢٦٣).

«حور بيض عِين ضخام العيون شعر[1] الحوراء بمنزلة جناح النسر» قلت: أخبرني عن قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾. قال: «صفاؤهن كصفاء الدّرّ الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي» قلت: أخبرني عن قوله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ قال: «خيرات الأخلاق حسان الوجوه» قلت: يا رسُولَ الله، أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات: ٩] قال: «رقتهن كرقة الجلدة الذي رأيته في داخل البيضة مما يلي القشر ـ وهو ـ الغرقئ» قلت: يا رسُولَ الله، أخبرني عن قوله عز وجل: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [الواقعة: ٣٧] قال: «هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رمصاء شمطاء خلقهن الله تعالى بعد الكبرِ فجعلهن عذارى عربًا / ٦٥٢/ متعشقات محببات أترابًا على ميلادٍ واحدٍ». قلت: يا رسُولَ الله، نساء الدُّنيا أفضل أم الحور العين قال: «بل نساء الدنيا أفضل مِنَ الحورِ كفضل الظهارة على البطانة».

قلت: يا رسُولَ الله ومما ذٰلك؟ قال: «بصلاتهنَّ، وصيامهن، وعبادتهن الله، ألبسَ الله وجوههن النّور، وأجسادهن الحرير، بيض الألوان، خضر الثياب، صفر الحلي، مجامرهن الدر، وأمشاطهن الذهب يقلن: نحن الخالدات فلا نموت أبداً، ونحن الناعمات فلا نبأس أبدًا، ونحن المقيمات فلا نظعن أبدًا، ونحن الراضيات فلا نسخط أبدًا طوبى لمن كنّا له وكان لنا» قلت: يا رسُولَ الله، إنَّ المرأة منا تتزوج زوجين، والثلاثة، والأربعة، ثُمَّ تموت فتدخل الجنَّة، ويدخلون معها مَّنْ يكون

---

(١) تنبيه ورد خطأ في الطبراني في اللفظة «شفر» وفي المجمع أيضاً «شقر».

زوجها؟ قال: «**يا أم سلمة إنها تخير فتختار أحسنهم خلقًا فتقول: أي رب إنَّ هٰذا كان أحسنهم معي خلقًا في دارِ الدنيا فزوجنيه، يا أم سلمة، ذهبَ حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة**».

قال في «حادي الأرواح»[(١)]: تفرد به سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم، وقال ابن عدي: عامة أحاديثه مناكير ولم أر للمتقدمين فيه كلامًا، ثُمَّ ساق هٰذا الحديث من طريقه قال: ولا يعرف إلا بهٰذا السند.

قلت: وقد ورد خلافه فعن حذيفة أنَّه قال لأمامة: إنْ سرَّكِ أن تكوني زوجتي في الجنَّة إن جمعنا الله فيها فلا تتزوجي منْ بعدي فإن المرأة لآخر أزواجها[(٢)].

خطب معاوية[(٣)] أم الدرداء فأبت، وقالت سمعت أبا الدرداء يحدث عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**المرأة لآخر أزواجها في الآخرة**». وقال لي: إنْ أردتِ أن تكوني زوجتي في الآخرة فلا تتزوجي من بعدي. والله أعلم.

وأخرج أبو يعلي الموصلي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيّ ﷺ قال: «**والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم،**

---

(١) «حادي الأرواح» ص٣٢٩، ٣٣٠.

(٢) البيهقي في «سننه» (٧/ ٦٩-٧٠).

(٣) «طبقات المحدثين» لأبي الشيخ، والطبراني في «الأوسط» ٣/ ٢٧٥ (٣١٣٠)، وله شاهد آخر من حديث أبي بكر عند ابن عساكر في «تاريخه» (١٩/ ١٩٣/ ١) وحديث عائشة في «تاريخ بغداد» (٩/ ٣٢٨).

ومساكنكم من أهل الجنَّةِ بأزواجهم ومساكنهم، فيدخل الرجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة سبعين مما ينشئ الله، وثنتين مِنْ ولدِ آدم لهما فضل على من أنشأ الله تعالى بعبادتهما في الدنيا /٦٥٣/ يدخل على الأولى منهما في غرفةٍ مِنْ ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ، عليه سبعون زوجًا من سندس وإستبرق، وإنَّه ليضع يده على كتفيها، ثُمَّ ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها، وجلدها، ولحمها، وإنَّه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت كبده لها مرآة، وكبدها له مرآة فبينما هو عندها لا يملها ولا تمله لا يأتيها من مرة إلاَّ وجدها عذراء ما يفتر ذكره، ولا تشتكي قبلها فبينما هو كذلك إذْ نودي إنَّا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل، إلا أنه لا مني، ولا منية إلَّا أن تكون له أزواج غيرها فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة كلَّما جاء واحدةً قالت: والله ما في الجنَّة شيء أحسن منك، وما في الجنَّة شيء أحب إلَيَّ منك»[1].

قال في «حادي الأرواح»[2]: وهذا قطعة من حديث الصورِ الذي تفرد به إسمٰعيل بن رافع، وقد روى له الترمذي، وابن ماجة وضعفه الإمام أحمد، ويحيى، وجماعة[3]. وقال الدارقطني، وغيره:

---

(١) رواه أبو يعلى (٦٤٣٦). وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/٤١٦): رواه أبو يعلى، وفيه زيد بن أبي الحواري، وقد وثق على ضعف، وبقية رجاله ثقات.

(٢) «حادي الأرواح» ص٣٣١.

(٣) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم ٢/١٦٨-١٦٩ .

متروك[١]. وقال ابن عُدي: عامة أحاديثه فيها نظر[٢]. وقال الترمذي: يضعفه بعضُ أهل العلمِ وسمعت محمدًا (يعني البخاري) يقول: هو ثقة مقارب الحديث[٣].

قال المحقق: وقال شيخنا أبو الحجاج: هٰذا الحديث مجموع مِنْ عدة أحاديث ساقه إسمٰعيل، وغيره هٰذه السياقة، وشرحه الوليدُ بن مسلم[٤] في كتاب مفرد وما تضمنه معروف في الأحاديث. ٱنتهى كلامه.

وفي صحيح ابن حبان[٥] عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨﴾ [الرحمن: ٥٨] قال: «ينظر

---

(١) انظر «تهذيب الكمال» ٣/ ٨٨ .

(٢) «الكامل» ١/ ٤٥٢ - ٤٥٣ (١١٩).

(٣) انظر: «سنن الترمذي» ٤/ ١٨٩، و«تاريخ دمشق» ٨/ ٣٩٩ - ٤٠٠ .

(٤) هو الإمام عالم الشام، أبو العباس الدمشقي الحافظ، مولى بني أمية، قرأ القرآن على يحيى بن الحارث الذماري وعلى سعيد بن عبد العزيز وارتحل في هذا الشأن، وصنف التصانيف وتصدى للإمامة، واشتهر اسمه، وكان من أوعية العلم، ثقة حافظًا، لكن رمي بالتدليس. قال أبو اليمان: ما رأيت مثل الوليد بن مسلم، قيل لأبي زرعة الرازي: الوليد أفقه أم وكيع؟ فقال: الوليد بأمر المغازي، ووكيع بحديث العراقيين، قال ابن جوصاء الحافظ: لم نزل نسمع أنه من كتب مصنفات الوليد، صلح أن يلي القضاء، ومصنفاته سبعون كتابًا.

انظر: ترجمته في: «الجرح والتعديل» ٩/ ١٦، وتهذيب الكمال» ٣١/ ٨٦، و«سير أعلام النبلاء» ٩/ ٢١١ (٦٠).

(٥) «صحيح ابن حبان» ١٦/ ٤٠٩، ٤١٠ (٧٣٩٧).

إلى وجهه في خدها أصفى مِنَ المرآة، وإنَّ أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وإنَّه ليكون لها سبعون ثوبًا ينفذها بصره حتَّى يرى مخ ساقها من وراء ذٰلك».

وأخرج الترمذي وصححه، والبزار عن أنس رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ قال: «**يزوج العبد في الجنَّة سبعين زوجة**» قيل: يا رسُولَ الله أيطيقها؟ قال: «**يعطى قوة مائة**»(١).

وأخرج الإمام أحمد، والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إن أدنَى أهل الجنَّةِ منزلةً الذي له ثمانون ألف خادم، واثنان وسبعون زوجة، وينصب له قبة من لؤلؤ، وياقوت، وزبرجد كما / ٦٥٤/ بين الجابية وصنعاء**»(٢).

وأخرج البيهقي(٣) عن عبد الله بن أبي أوفى مرفوعًا قال: «**إنَّ الرجلَ من أهل الجنَّةِ ليتزوج خمسمائة حوراء، وأربعة آلاف بكر، وثمانية آلاف ثيب يعانق كلّ واحدةٍ منهنَّ مقدار عمره من الدُّنيا**» ثُمَّ أخرجه عن عبد الرحمن بن سابط موقوفًا عليه، وصححه.

وأخرج أبو نعيم في «صفةِ الجنَّة»، وأبو الشيخ عن ابن أبي أوفى

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٣٦) في صفة الجنة باب ما جاء في صفة جماع أهل الجنة وقال: هذا حديث صحيح غريب.

(٢) رواه الترمذي (٢٥٦٢) في صفة الجنة باب: ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة، وأحمد ٣/ ٧٦.

(٣) البعث (٣٧٣) العظمة لأبي الشيخ (٦٠٣) والحديث ضعيف كما في تخريج الأحياء (٩/ ٤٢) وفتح الباري (٦/ ٣٢٥)، انظر ص١١٥٧، ١١٩٣ ت(١).

رضي الله عنه مرفوعًا قال: «يزوج كلّ رجلٍ مِنْ أهل الجنَّةِ بأربعةِ آلاف بكر، وثمانية آلاف أيم، ومائة حوراء فيجتمعن في كلّ سبعةِ أيامٍ فيقلن بأصوات حسان لم يسمع[1] الخلائقُ بمثلهن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن النّاعمات فلا نبأس، ونحن الرَّاضيات فلا نسخط، ونحن المقيمات فلا نظعن طوبى لِمَنْ كان لنا وكنّا له»[2].

وأخرج الطبراني[3] في الأوسط عن أنس رضي الله عنه قال: حدَّثني رسول الله ﷺ قال: «حدثني جبريل عليه السلام قال: يدخل الرَّجل على الحوراء فتستقبله بالمعانقة والمصافحة» قال رسول الله ﷺ: «فبأي بنان تعاطيه لو أنَّ بعض بنانها بدا لغلب ضوؤه ضوء الشَّمسِ والقمر، ولو أنَّ طاقة مِنْ شعرها بدت لملأت ما بين المشرقِ والمغرب مِنْ طيب ريحها، فبينما هو متكئ معها على أريكة إذْ أشرفَ عليه نور من فوقه فيظن أنَّ الله قدْ أشرفَ على خلقه فإذا حوراء تناديه: يا ولي الله، أمَا لنا فيكَ مِنْ دولة؟ فيقول: مَنْ أنت يا هٰذه؟ فتقول: أنا من اللواتي قال الله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ فيتحول عندها فإذا عندها من الجمال، والكمالِ

---

(١) في (ب): يستمع.

(٢) رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» ٢/ ٢١٩-٢٢٠، وأبو الشيخ في «العظمة» حديث (٦٠٣)، وفي «طبقات المحدثين» حديث (٩٥٤).

(٣) الطبراني في «الأوسط» (٩/ ٣٨) (٨٨٧٧). قال الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٤١٨ رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه سعيد بن زرابي، وهو ضعيف.
وقال الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» ٢/ ٤٩٠ (٢٢٢٢): منكر.

ما ليس مع الأولى فبينما هو متكئ على أريكته إذْ أشرفَ عليه نور من فوقه فإذا حوراء أخرى تناديه: يا ولي الله، أما لنا فيك من دولة؟ فيقول: من أنت؟ فتقول: أنا من اللواتي قال الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] فلا يزال يتحول من زوجة إلى زوجة».

وعن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا: «**ما من عبد يدخل الجنَّة إلا ويزوج ثنتين وسبعين زوجة: ثنتان من الحور العين، وسبعون من أهل ميراثه من أهل الدُّنيا ليس منهنَّ ٱمرأة إلا ولها قبل شهي، وله ذكر لا ينثني**»[١].

وأخرج أبو نعيم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول /٦٥٥/ الله ﷺ: «**للمؤمن في الجنَّة ثلاث وسبعون زوجة**» فقلنا: يا رسُولَ الله أوله قوة ذٰلك؟ قال: «**إنه ليعطى قوة مائة**»[٢].

وأخرج الطبراني[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسُولَ الله، هل نصل إلى نسائنا في الجنَّة؟ فقال: «**إنَّ الرَّجلَ ليصل في اليوم إلى مائة عذراء**». قال محمدُ بن عبدِ الواحد المقدسي: رجال هٰذا الحديث عندي على شرط الصحيح.

---

(١) ابن ماجه (٤٣٣٧)، والبيهقي في «البعث» (٣٦٧)، وأبو نعيم (٣٧٠).

(٢) رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» ٢/٢٠٦ (٣٧٢).

(٣) «أبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٧٣)، والطبراني في «الأوسط» ٧١٨/١، وفي «الصغير» (١٢/٢)، و«كشف الأستار» (٣٥٢٥).

وأخرجَ أبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل: يا رسُولَ الله أنفضي إلى نسائنا في الجنَّة كما نفضي إليهنَّ في الدُّنيا؟ قال: «**والذي نفس محمد بيده إنَّ الرَّجل ليفضي في الغداة الواحدة إلى مائة عذراء**»[١].

قلت: ذكر هٰذه الأحاديث الإمام المحقق في «حادي الأرواح»[٢] بأسانيدها، وتكلم على رجالها، وفي الجملة هي أحاديث مقبولة، وإن تكلم في رجالها والله تعالى أعلم أنّ كثرتها مع تباين طرقها يدلُّ على ثبوتها، وليستْ موضوعة جزمًا.

ثمَّ قال في «حادي الأرواح»[٣] عقب ذكرها: والأحاديث الصَّحيحة إنَّما فيها أنَّ لكل منهم زوجتين، وليس في الصحيحِ زيادة على ذٰلك فإنْ كانت هٰذه الأحاديث محفوظة فإمَّا أن يرادَ بها ما لكلِّ واحد من السراري زيادة على الزوجتين، ويكونون في ذٰلك على حسب منازلهم في القلةِ والكثرة كالخدم والولدان، وإمَّا أنْ يرادَ أنَّه يعطى المؤمن قوة من يجامع هٰذا العدد، ويكون هٰذا هو المحفوظ، ورواه بعض هٰؤلاء بالمعنى فقال: له كذا وكذا زوجة. وقد روى الترمذي[٤] عن أنس رضي الله عنه يعطى المؤمن قوة كذا وكذا من الجماع.

---

(١) أبو يعلىٰ في «مسنده» (٢٤٣٦)، و«الزهد» لهناد (٨٨)، و«أبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٧٤).

(٢) «حادي الأرواح» ص٣٣٣، ٣٣٤.

(٣) «حادي الأرواح» ص٣٣٤.

(٤) رواه الترمذي (٢٥٣٦) في صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة جماع أهل الجنة، وقال: هذا حديث صحيح غريب.

قلت: والأوّل أظهر، ولا ينبغي أن يظن بأئمة الحديث النقاد الحفاظ أنْ يسري إليهم هٰذا الوهم في جملة هٰذه الأحاديث سيما وقد علمت أنَّ الحفاظَ نصوا على تصحيح بعضها، ولا ريب أنَّ للمؤمن أكثر من ثنتين في الجنَّة جزمًا لِمَا في الصَّحيحين مِنْ حديث عبد الله بن قيس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن للعبدِ المؤمن في الجنَّة لخيمة من لؤلؤة مجوفة طولها ستون ميلاً للعبد المؤمن فيها أهلون يطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضًا**»[1].

تنبيه: الظاهر أنَّ حديث أبي أمامة مقلوب وأنَّ الاثنتين من نساء الدُّنيا /٦٥٧/ والسبعين مِنَ الحور العين والله تعالى أعلم.

فصل

وأمَّا المادة التي خلق منها الحور العين فقد روى البيهقي عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ قال: «**الحور العين خلقن من الزعفران**» قال[2] البيهقي: «**منكر**».

(١) رواه البخاري (٣٢٤٣) في بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، (٤٨٧٩) في التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ۝٧٢﴾. ومسلم (٣٨٣٨) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في صفة خيام الجنة وما للمؤمنين فيها من الأهلين.

(٢) ابن جرير (٢٧/ ١٠٢)، «الفردوس بمأثور الخطاب» ٢/ ١٤٣ (٢٧٣٠) و«الثقات» لابن حبان ٨/ ٥٢٨. و«تاريخ بغداد» ٧/ ٩٨، ٩٩ (٣٥٤٠)، انظر البعث للبيهقي (٣٥٤).

قال المحقق: لكن فيه شعبة. أي: وشعبة لا يروي المناكير.

وأخرج الطبراني[(١)] عن أبي أمامة مرفوعًا: «**خلق الحور العين من الزعفران**». قال الطبراني: تفرد به علي بن الحسين بن هارون.

قال المحقق: وروي عن مجاهد موقوفًا وهو أشبه بالصَّواب من طريق أوقفه على ابن عباس قال المحقق: لا يصح رفعه، وحسبه أنْ يصلَ إلى ابن عباس. أي: يكفيه ذٰلك لجلالة قدر ابن عباس رضي الله عنهما وفخامة شأنه[(٢)]. وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: «**إنَّ لولي الله في الجنَّة عروسًا لم يلدها آدم، ولا حواء ولكن خلقتْ مِنَ الزعفران**». وهٰذا مروي عن صحابيين: وهما أنس، وابن عباس[(٣)] رضي الله عنهما، وعن تابعيين وهما: أبو سلمة، ومجاهد، [قاله][(٤)] المحقق، قال: وبكلِّ حال فهن من المنشآت في الجنَّة ليس مولودات من الآباء والأمهات ورواه أبو نعيم عن أنس يرفعه: «**لو أنَّ حوراء بصقت في سبعة أبحر لعذبت البحار من عذوبة فمها، وخلق الحور العين من الزعفران**»[(٥)].

---

(١) الطبراني في «الأوسط» ١/ ٩٥ (٢٨٨) وفي «الكبير» ٨/ ٢٣٧ (٧٨١٣)، وفي «صفة الجنة» لأبي نعيم (٣٨٣، ٣٨٥).

(٢) «البعث والنشور» للبيهقي (٣٥٤).

(٣) أبي أمامة عند الطبراني في «الكبير» (٧٨١٣)، وأبي نعيم في «صفة الجنة» (٣٨٣، ٣٨٥)، وذكره هو.

(٤) في (ب): قال.

(٥) رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» ٢/ ٢١٨ - ٢١٩، حديث (٣٨٦).

قال في «حادي الأرواح»[١]: وإذا كانت هٰذه الخلقة التي هي من أحسن الصور، وأجملها مادتها من تراب وجاءت الصورة من أحسن الصور فما الظن بصورة مخلوقة مِنْ مادة الزعفران الذي هناك؟! فالله المستعان.

وأخرجَ أبو نعيم عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«سطع نور في الجنَّة فرفعوا رؤوسهم فإذا هو مِنْ ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها»**[٢] وإلى هٰذا أشار من قال:

فلو أن حوراء الدّياجي تبسمت   لجلا دجى الظلماء في الأرض نورها
ولو مزج الماء الأجاج بريقها   لأصبح عذبًا سلسبيلاً بحورها

قال في «حادي الأرواح»[٣]: عن كثير بن مرة قال: إن من المزيد أنْ تمر السحابة بأهل الجنَّةِ فتقول: فماذا تريدون أنْ أمطركم؟ فلا يتمنون شيئًا إلا مطروا قال: يقول كثير: لئن أشهدني الله ذٰلك لأقولن أمطرينا جواري مزينات[٤]. /٦٥٨/

وأخرج ابن أبي الدُّنيا[٥] عن ابن عباس رضي الله عنهما: «إنَّ في الجنَّة نهرًا يقال له البيذخ عليه قباب من ياقوت تحته جوارٍ ناشئات

(١) «حادي الأرواح» ص٣٣٦، ٣٣٧.
(٢) رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» ٢/ ٢٢٢ رقم (٣٨١).
(٣) «حادي الأرواح» ص٣٣٧.
(٤) أبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٨٢)، و«الزهد» لابن المبارك (٢٤٠)، وفي كتاب أبي نعيم تصحيف (من بنات) وهٰذا خطأ.
(٥) أبو نعيم في صفة الجنة (٣٢٤) ابن أبي الدنيا ص٨٣ انظر ص١١٢٢ ت(١).

يقول أهلُ الجنَّة: انطلقوا بنا إلى البيذخ، فيجيئون، فيتصفحون تلك الجواري فإذا أعجب رجلاً منهن جارية مس معصمها فتتبعه».

وأخرج ابن المبارك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنا جلوسًا مع كعب يومًا فقال: لو أن يدًا من الحوراء أُدُليت مِنَ السَّماء لأضاءت لها الأرض كما تضيء الشمس لأهل الدنيا قال: إنَّما قلت: يدها فكيف بالوجه في بياضه، وحسنه، وجماله؟[١]

وأخرج الإمام أحمد[٢] عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ قال: **«لا تؤذي امرأة زوجها في الدُّنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فإنَّما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا»**.

وفي مراسيل عكرمة[٣] عن النَّبيّ ﷺ: **«إنَّ الحور العين لأكثر منكن عددًا يدعون لأزواجهنَّ يقلن اللهم أعنه على دينك، وأقبل بقلبه على طاعتك، وبلغه [معرفتك] يا أرحم الراحمين»**. ذكره ابن أبي الدنيا.

وفي «حادي الأرواح»[٤] عن ابن مسعود رضي الله عنه: **«إنَّ في الجنَّة حوراء يقال لها: اللعبة كلّ حور الجنان يعجبن بها يضربن بأيديهن على كتفها، ويقلن: طوبى لك يا لعبة لو يعلم الطالبون لك لجدوا بين**

---

(١) رواه ابن المبارك في «الرقائق» ص: ٧٢ - ٧٣ (٢٥٦).

(٢) أحمد ٥/ ٢٤٢.

(٣) ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» ص٣٠٤، وإسناده موضوع، وما بين القوسين في صفة الجنة (إلينا بقوتك).

(٤) صفة الجنة لابن أبي الدنيا (٣٠٥) «حادي الأرواح» ص٣٣٨، ٣٣٩.

عينيها مكتوب من كان يبتغي أن يكون له مثلي فليعمل برضا ربِّ».

وقال الحضرمي[١]: نمتُ أنا، وأبو حمزة على سطح فجعلت أنظر إليه يتقلب على فراشه إلى الصباح فقلت يا أبا حمزة ما رقدت الليلة. فقال: إني لمَّا ٱضطجعت تمثلتْ لي حوراء حتى كأني أحسست بجلدها قدْ مس جلدي فحدثت به أبا سليمان، فقال: هٰذا رجل كانَ مشتاقًا يعني: والشوق لا يزال بصاحبه حتى يريه مطلوبه، ويمثل له محبوبه كما قال عتبة:

أراكم بقلبي مِنْ مكان بعيدة فيا هل تروني بالفؤاد على بعد
فؤادي وطرفي يأسفان عليكم وعندكم روحي وذكركم عندي
ولست ألذّ العيشَ حتَّى أراكم ولو كنت في الفردوس في جنة الخلدِ

وقال غيره:

خيالك في عيني وذكرك في فمي ومثواك في قلبي فأين تغيب/ ٦٥٩/

وقال أحمد بن أبي الحواري: حدثني جعفر بن محمد قال: لقي حكيم حكيمًا فقال: أتشتاق للحور العين؟ فقال: لا. قال[٢]: فاشتق إليهنَّ فإنَّ نور وجههن من نورِ الله فغشى عليه، فحمل إلى منزله فجعلنا نعوده شهرًا.

وقال ابن أبي الحواري[٢]: سمعت أبا سليمان يقول: ينشأ خلق الحور العين إنشاء فإذا تكامل خلقهن ضربت عليهن الملائكة الخيام.

---

(١) صفة الجنة لابن أبي الدنيا (٣٠٩).

(٢) في (ب): فقال، المرجع السابق (٣٠٧) (٣١١).

وذكر ابن أبي الدنيا[١] عن صالح المري عن يزيد الرقاشي قال: بلغني أنَّ نورًا سطعَ في الجنَّة لم يبق موضع من الجنَّة إلا دخل من ذٰلك فيه، فقيل ما هٰذا؟ قيل: حوراء ضحكت في وجه زوجها قال صالح: فشهق رجل مِن ناحية المجلس فلم يزل يشهق حتى مات فنسأل الله سبحانه أنْ يرزقنا منهنَّ ما تقرّ به العيون، وتنشرح به الصدور بمنه، وكرمه.

فصل

وأمَّا نكاحهم، ووطؤهم، والتذاذهم فقد قال ﷺ: «**إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء**» إسناده صحيح[٢].

وأخرج ابن وهب عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: يا رسُولَ الله صلى الله عليك وسلم أنطأ في الجنَّة؟ قال: «**نعم والذي نفسي بيده[٣] دَحْمًا دَحْمًا فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكرًا**» ورواه الطبراني[٤] عن أبي أمامة بلفظ: سئل رسول الله ﷺ هل يتناكح أهل الجنَّة؟ قال:

---

(١) ابن أبي الدنيار في «صفة الجنة» ص٢٤١.

(٢) رواه أبو يعلى ٤/ ٣٢٦ (٢٤٣٦) من حديث ابن عباس ورواه من حديث أبي هريرة: الطبراني في «الأوسط» ١/ ٢١٩ (٧١٨)، و٥/ ٢٦٣ (٥٢٦٧)، وفي «الصغير» ٢/ ٦٨ .

(٣) ورد بهامش الأصل: قوله: دحمًا، الدحم: الدفع الشديد.

(٤) رواه الطبراني في «الكبير» ٨/ ١٦٠ (٧٦٧٤)، ٨/ ١٧٢ (٧٧٢١)، وابن حبان في «زوائده» (٢٦٣٣، ٢٦٣٤).

«بذكر لا يمل، وشهوة لا تنقطع دحما دحما» وفي رواية زيادة: «ولكن لامني ولامنية»[١] أي: لا إنزال، ولا موت.

وأخرجَ الحاكم عن الأوزاعي في قوله تعالى ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [يس: ٥٥] قال: شغلهم ٱفتضاض الأبكار[٢]. وقال مقاتل: شغلوا بافتضاض الأبكار عن أهل النار فلا يذكرونهم، ولا يهتمون لهم وكذا قال ابن عباس، وغيره من المفسرين[٣].

وأخرج ابن أبي الدنيا عن سعيد بن جبير: إنَّ شهوته لتجري في جسده سبعين عامًا يجد اللذة[٤] ولا يلحقهم بذٰلك جنابة فيحتاجون إلى التطهير، ولا ضعف، ولا ٱنحلال قوة بل وطئهم وطئ التذاذ نعيم لا آفة فيه بوجه من الوجوه، وأكمل النَّاس فيه لذة أصونهم[٥] لنفسه في هٰذه الدار عن الحرام فكما أنَّ من شربَ الخمرَ في الدُنيا لم يشربها في الآخرة، ومن لبسَ الحريرَ في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، ومنْ أكل في صحافِ الذَّهب والفضة في الدنُّيا لم يأكل فيها في الآخرة كما قال

---

(١) الطبراني في «الكبير» (٧٦٧٤)، وأبي نعيم في «صفة الجنة» (٣٦٨، ٣٦٩).

(٢) البيهقي في «البعث» (٣٦١).

(٣) انظر «صفة الجنة» لأبي نعيم (٣٧٥، ٣٧٦)، و«البعث والنشور» للبيهقي (٣٦٢).

(٤) ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» ص١٩٦ (٢٧٨).

(٥) في (ب): أصوبهم.

/٦٦٠/ النَّبيّ ﷺ: «**إنّما لهم في الدنيا، ولكم في الآخرة» فمن ٱستوفي طيباته، والتذاذاته واذهبها في هٰذه الدار المضمحلة حرمها هناك**»[1]. كما نفي سبحانه وتعالى عمَّن أذهب طيباته في الدُّنيا، واستمتع بها النعيم ثم واللذة وأذاقهم عذاب الهون في الدنيا والآخرة ككفتي الميزان ما زيد في إحداهما كان نقصًا، وبخسًا من الأخرى، ولهذا كانت الصحابة رضي الله عنهم، ومن تبعهم يخافون من ذٰلك أشد الخوف.

وذكر الإمام أحمد طيب الله ثراه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه رآه الإمام عمر رضي الله عنه، ومعه لحم قد ٱشتراه لأهلِهِ فقال: ما هٰذا؟ قال: لحم ٱشتريته لأهلي بدرهم فقال: أوكلما ٱشتهى أحدكم شيئًا ٱشتراه أمَا سمعتَ الله تعالى يقول: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠][2].

وأخرج الإمام أحمد قدَّس الله روحه قال: قدم وفد أهل البصرة مع أبي موسى رضي الله عنه على عمر - رضوان الله عليه - قال بعضُ الوفدِ فكنا ندخل عليه كلّ يوم وله خبز ثلاثة ربمَّا وافقناها مأدومة بالسمن، وربما وافقناها مأدومة بالزيت، وربما وافقناها مأدومة باللبن، وربما وافقنا القدائد اليابسة قد دقت ثُمَّ أغلابها، وربما وافقنا

---

(١) البخاري رقم (٥٤٢٦) مسلم (٢٠٦٧).

(٢) الموطأ لمالك رواية أبي مصعب (٢/ ١١١) الزهد للإمام أحمد (١٢٠) الزهد لابن المبارك (١٠٣).

اللحم العريض وهو قليل، فقال ذات يوم: إنِّي والله قد أدى تعذيركم، وكراهتكم لطعامي إنِّي والله لو تشيئت[١] لكنت من ألينكم طعامًا، وأرقكم عيشًا، ولكني سمعت الله[٢] عير قومًا بأمرٍ فعلوه، فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾.

فمن تركَ اللذةَ المحرمةَ استوفاها يومَ القيامةِ أكمل ما تكون، ومن استوفاها ههنا حرمها ثَم أو نُقِص كمالها فلا يجعل الله لذة من عكف على معاصيه، ومحارمه كلذة من ترك شهوته لله أبدًا.

قلت: وبالجملة كلّ من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، أو عوّضه ذٰلك الشيء بنفسه[٣] على وجه مباح شرعي.

وقد حكى الإمام الحافظ ناصر السنة أبو الفرج ابن الجوزي طيَّب الله ثراه في كتاب «التبصرة» عن بعض السلف قال: كان لنا جار من المتعبّدين قد برز في الاْجتهاد فصلىً حتَّى تورمتْ قدماه، وبكى حتَّى مرضت عيناه، فاشترى جاريةً وكانت تحسن الغناء وهو لا يعلم /٦٦١/ فبينا هو في محرابه رفعتْ صوتها بالغناء، فطار لبّه، ورام ما هو عليه من التعبد فلم يقدر عليه فقالتْ له الجارية: يا مولاي لقد أبليت شبابكَ، ورفضت لذات الدُّنيا في أيام حياتك فلو تمتعت بي

---

(١) في (ب): شثت، وهو أصح.

(٢) في (ب): تعالى. والأثر في الزهد لابن المبارك (٢٠٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٧٩).

(٣) في (ب): ساقطة.

فمال إلي قولها، وترك التعبد، واشتغلَ بفنون اللذات، فبلغ ذٰلك أخًا له كان يوافقه في العبادةِ فكتب إليه.

بسم الله الرحمن الرحيم مِنَ الناصح الشَّفيق، والطبيب الرفيق[1] إلى مَنْ سلب حلاوة الذكر، والتلذذ بالقرآن بلغني أنكَ ٱشتريت قينة بعْت بها حظك من الآخرة فإنْ كنتَّ بعت الجزيل بالقليل، والقرآن بالقيان فإنِّي محذرك هاذم اللذات، ومنغص الشهوات فكأنه قد جاءك على غرة فأبكم منك اللسان، وهدم منك الأركان وقرَّب منك الأكفان، واحتوشك الأهل والجيران، وأحذرك من الصَّيحة إذا جثت الأمم لملك جبار.

ثمَّ طوى الكتاب، وبعثه إليه، فوافاه وهو على مجلس سروره فأذهله، وأغصه بريقه فنهض من مجلسه، وعاد إلى ٱجتهاده حتَّى مات فقال الذي وعظه فرأيته في المنامِ بعد ثلاث فقلت ما فعل الله بك، فقال شعر:

الله عوضني ذو العرش جارية ... حوراء تغنيني طورًا وتسقيني

تقول لي ٱشرب بما قد كنت تأملني ... وقرعينًا مع الولدان والعين

يا مَنْ تخلَّ عن الدُّنيا وأزعجه ... عن الخطايا وعيد في الطواسين

وقد ذكرت لهٰذا يعنى مَنْ ترك شيئًا لله عوّضه الله خيرًا منه بابا في مجموعي «نديم الندماء» وذكرت ثَمَّ أشياء توفي بالمراد فعلى العاقل أن

---

(١) في (ب): الرقيق، وما أثبت يوافق التبصرة لابن الجوزي (١/ ٣٧٢).

يستدركَ ما فاتَ مِنَ الهفوات، وأنْ ينخلعَ عن المساوئ، والآفات، وأن لا ينهمك في زخارف الدُّنيا الدنية، واللذات فإنَّ ذٰلك يجلب الندامة، ويورث المهالك، والعاهات يومَ القيامة هٰذا وباب التوبة مفتوح لِمَنْ طلبه والمولى صفوح لمن تركَ مِنْ أجله ذنبه شعر:

مــولاي جــئــتــك والــرجــاء قــد ٱســتــجــار بحــســن ظــني
أبــغــي فــواضــلــك الــتي تمحــو بهــا مــا كــان مــني
فــانــظــر إليَّ بحــق لــطــفــك يــا إلهــي واعــف عــني
لا تخــزني يــومَ المــعــاد بمــا جــنــيت ولا تهــني[1]

(١) «التبصرة» ١/ ٣٨١-٣٨٢

فصل

وأمَّا ٱختلاف الناس هل في الجنَّة حمل أم لا؟ فقدْ أخْرجَ الترمذي في جامعِهِ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن إذا ٱشتهى الولدَ في الجنَّة كان حمله، ووضعه، وسنه في ساعة واحدة كما يشتهي»** قال الترمذي: حسن غريب[1].

وقد ٱختلف أهلُ العلمِ في هٰذا فقال بعضهم: في الجنَّة جماع، ولا يكون ولد هكذا روي عن طاووس، ومجاهد، وإبراهيم النخعي: وقال البخاري: قال إسحق بنُ إبراهيم في حديث النَّبيّ ﷺ: **«إذا ٱشتهى المؤمنُ الولد في الجنة كان في ساعة كما يشتهي ولكن لا يشتهي»** وقد روي عن أبي رزين العقيلي، عن النَّبيّ ﷺ قال: **«إنَّ أهل الجنَّةِ لا يكون لهم ولد»**[2] ٱنتهى كلام الترمذي.

قال في «حادي الأرواح»[3]: قلت إسناد حديث أبي سعيد على شرط الصحيح فرجاله يحتج بهم فيه، ولكنه غريب جدًا، وتأويل إسحق فيه نظر فإنَّه قال: **«إذا ٱشتهى المؤمن»** فإذا للمتحقق الوقوع، ولو أريد ما ذكره من المعنى لقال: **«لو ٱشتهى المؤمن الولد لكان حمله في ساعة»** فإن ما لا يكون أحق بأداة (لو) كما أنَّ المحقق الوقوع أحق بأداة (إذا).

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٦٣) في صفة الجنة، باب: ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة، وقال: حديث حسن غريب.

(٢) «سنن الترمذي» ٤/ ٦٩٥-٦٩٦ .

(٣) «حادي الأرواح» ص٣٤٨، ٣٤٩.

وقد أخرج أبو نعيم عن أبي سعيد رضي الله عنه قيل: يا رسُولَ الله أيولد لأهل الجَنَّةِ فإن الولد مِنْ تمام السّرور؟ فقال: «**نعم والذي نفسي بيده وما هو إلا كقدر ما يتمنى أحدكم فيكون حمله، ورضاعه، وشبابه**» وأخرج في «حادي الأرواح»[1] بسنده عنه نحوه إلا أنه قال: «فيكون حمله، وفصاله، وشبابه في ساعةٍ واحدةٍ» ورواه الحاكم وهو ضعيف كما قال البيهقي[2]. وفي حديث لقيط الطويل[3] قلت: يا رسُولَ الله ولنا فيها (يعني الجَنَّة) أزواج أو منهن مصلحات؟ قال: «**الصالحات للصالحين تلذذونهن مثلُ /٦٦٣/ لذاتكم في الدُّنيا، ويلذذنكم غير أن لا توالد**». قال لقيط: أقصى ما نحن بالغون، ومشتهون إليه، فلم يجبه النَّبيّ ﷺ الحديث.

قال المحقق: هٰذا حديث كبير مشهور، وعليه مِنَ الجلالة، والمهابة، ونور النبوة ما ينادي على صحته. وقال في (الهدي)[4] بعد سياقه حديث الوفد من أوله هٰذا حديث كبير جليل تنادي جلالته، وفخامته، وعظمته على أنَّه قَدْ خرجَ مِنْ مشكاة النّبوة لا يعرف إلا من حديث عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن المدني رواه عنه إبراهيم بن حمزة الزبيري، وهما مِنْ كبارِ علماء المدينة ثقتان محتج بهما في

(١) «صفة الجنة» لأبي نعيم (٢٧٥)، و«البعث» للبيهقي (٣٩٧)، وهناد في «الزهد» (٩٣)، وانظر «موارد الظمآن» (٢٦٣٦)، و«حادي الأرواح» ص٣٤٩، ٣٥٠، وما ذكره عن «حادي الأرواح» هو الموجود عند أبي نعيم.

(٢) «البعث والنشور» (٣٩٧).

(٣) سبق تخريجه ت(٢) ص٩٦٠ وانظر ما يأتي ص١١٧٣.

(٤) (٣/ ٦٧٣-٦٧٦).

الصَّحيح ٱحتج بهما إمامُ أهل الحديثِ محمد بن إسمٰعيل البخاري، ورواه أئمة السنة في كتبهم، وتلقونه بالقبول، وقابلوه بالتسليم، والانقياد، ولم يطعن أحد منهم فيه ولا في أحدٍ مِنْ رواته فممن رواه الإمامُ بن الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه، وفي كتاب السنة، والحافظ الجليل أبو بكر بن عمرو، والحافظ أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم، والحافظ الطبراني، والحافظ أبو عبد الله بن محمد بن حبان وأبو الشيخ الأصبهاني في كتاب السنة، والحافظ بن الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسحٰق بن مندة حافظ أصبهان والحافظ ابن مردوية، والحافظ أبو نعيم، وجماعة من الحفاظ. ثُمَّ قال: ولا ينكر هٰذا الحديث إلا جاحد، أو جاهل، أو مخالف للكتاب والسنة هٰذا كلام أبي عبد الله بن مندة رحمه الله تعالى.

قلت: وأنا أذكر الحديث بطوله أجمل به مجموعي هٰذا متبركًا به ومقتديًا بهٰؤلاء الأعلامِ فأقول: أخرج هٰؤلاء الأعلام المذكورون عن عاصم بن لقيط أنَّ لقيطًا رضي الله عنه خرجَ وافدًا إلى رسول الله ﷺ، ومعه صاحب لهُ يقال له: نهيكُ بن عاصم بن مالكِ قال لقيط بن عامر رضي الله عنه: خرجتُ أنا، وصاحبي حتَّى قدمنا على رسول الله ﷺ فوافيناه حين ٱنصرفَ مِنْ صلاةِ الغداةِ فقام في الناس خطيبًا». فقال: «أيها الناس[1] ألا إنِّي قَدْ خبأتُ لكم صَوْتي منذ أربعة

(١) أحمد (٤/ ١٣-١٤)، ورواه أبو داود (٣٢٦٦) كتاب: الأيمان والنذور، باب: ما جاء في يمين النبي، ما كانت، ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٣٦)، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٤٧٧)، ورواه الحاكم في «المستدرك»=

[أيام]، [ألا لأسمعنكم][1] [2] / ٦٦٤/ ألا فهل من امرئ بعثه قومُهُ» فقالوا: اعلمْ لنا ما يقولُ رسول الله ﷺ ألا ثُمَّ [رجل] لعلَّه [أنْ] يلهيه حديثُ نفسه، أو حديثُ صاحبه، أو يلهيه الضُّلّال ألا إنِّي مسئول: هل بلَّغت؟ ألا اسمعوا تعيشوا، ألا اجلسوا ألا اجلسوا [قال] فجلس النَّاس، وقمتُ أنا، وصاحبي حتَّى إذا فرغَ لنا فؤادُهُ وبصرهُ قلت: يا رسُولَ الله ما عندكَ مْن علم الغيب؟ فضحك لعمرُ الله، وهزَّ رأسه، وعَلِمَ أنِّي أبتغي [السقطة][3] فقال: «**ضنَّ ربُّك بمفاتيح خمسٍ من الغيب لا يعلمها إلا الله**» وأشار بيده قلت: وما هي؟ قال: «**علمُ المنيَّةِ، قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه، وعلمُ المني حين يكونُ في الرّحِم [قد علمه] ولا تعلمونه، وعلم ما في غدٍ [قد علم] ما أنت طاعم غدًا ولا تعلمه، وعلم يوم الغيث، يشرف عليكم آزّلَيْنِ [آزلين] مشفقين، فيظلُّ يضحكُ، قدْ علم أنَّ [غيركم إلي قرب»]**[4]. قال لقيط: [قلتُ][5]: لن نعدمَ مِنْ ربٍّ يضحكُ خيرًا[6]. قال: «**وعلمُ**

=٤/ ٥٦٠، كتاب: الأهوال، باب: خمس من الغيب لا يعلمهن إلاَّ الله، وما بين القوسين التي لم يوضع لها أرقام زيادة من المسند، وما وضع له رقم فإنه حذف أو أثبت نص المسند حيث تم ضبط الحديث منه.

(١) في الأصول المخطوطة: لتسمعو.

(٢) في النسخ زيادة اليوم وما أثبت من المسند.

(٣) في النسخ: سقطة.

(٤) في النسخ: غيركم إليَ قريب.

(٥) في النسخ: فقلت.

(٦) في النسخ زيادة: يا رسول الله.

يومِ الساعةِ[(١)]». قلت: يا رسُولَ الله علِّمنا ممَّا تعلِّمُ الناس [وما تعلم] فإنا من قبيلٍ لا يصدق تصديقنا أحد مِنْ مذحج التي [تربأ][(٢)] علينا، وخثعم التي توالينا، وعشيرتنا التي نحنُ منها.

قال: «تلبثون ما لبثتم، ثُمَّ يتوفى نبيكم، ثُمَّ تلبثون ما لبثتم، ثُمَّ تُبْعَثُ الصائحة لعمر إلهكَ لا تدع على ظهرها [من شيء][(٣)] إلا ماتَ والملائكة الذين مع ربِّك عزَّ وجلَّ فأصبح ربك يطوف في الأرض، وخلت عليه البلادُ، فأرسلَ ربُّكَ السماء تهضب (أي مطر) من عند العرشِ فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل، ولا مدفن ميتٍ إلا شقَّت القبرَ عنه حتَّى [تجلعه][(٤)] من عند رأسه، فيستوي جالسًا، فيقول ربك: مهيم؟ لما كان فيه يقول: يا ربِّ أمْس اليوم وَلعَهْده بالحياة يَحْسَبُهُ حديثًا بأهله». فقلت: يا رسُولَ الله كيف يجمعنا بعدما تمزقنا الرياحُ والبلى والسِّباع؟ قال: «أنبئك بمثل ذٰلك في آلاء الله؟ الأرضُ أشرفت عليها وهي مدرة بالية، فقلتَ: لا تحيى أبدًا ثُمَّ أرسل ربك عليها السَّماءَ فلم تلبث عليك إلا أيامًا حتى أشرفت عليها وهي شربَة واحدة ولعَمْر إلهك لهو أقدرُ على أن يجمعهم من الماء على أن يجمعَ نباتَ الأرض فيخرجون من الأصواء من مصارعهم فتنظرون إليه، وينظر إليكم». قال: قلت: يا رسُولَ الله وكيف ونحن مِلء /٦٦٥/ الأرض وهو شَخْص واحد ينظر إلينا، وننظر إليه؟ قال:

---

(١) في النسخ زيادة: متىٰ تكون. (٢) في النسخ: تربوا.
(٣) في النسخ: شيئًا. (٤) في النسخ: تخلفه.

«أنبئك بمثل ذٰلك في آلاء الله الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونهما، ويريانكم ساعةً واحدةً لا تضارُّون في رؤيتهما، ولعمرُ إلٰهكَ لهو أقدر على أن يراكم وترونه[1] [من أن ترونها ويريانكم لا تضارون في رؤيتهما]».

قلت: يا رسُولَ الله فما يَفْعَلُ بنا ربُّنا إذا لقيناه؟ قال: «تعرضون عليه باديةً له صفحاتكم، لا تخفى عليه منكم خافية فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة» من الماء فينضح قبيلكم[2] بها فلعمر إلٰهك ما تخطئ وجه أحدِكم منها قطرة، فأمَّا [المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء، وأما] الكافر فتخطمه بمثل [الحميم][3] الأسود ألا ثُمَّ ينصرف نبيُّكم ﷺ ويفترق على أثره الصَّالحون، فيسلكون جسرًا من النَّار، فيطأ أحدكم الجمرة فيقول: حَسِّ، يقول ربك عز وجل: أوانه. ألا فتطلعون على حوض الرسول ﷺ على أظمأ - والله - ناهلة قطُّ [ما] رأيتها، فلعمر إلٰهك ما يبسط واحد منكم يده إلا وقع عليها قدح مطهرة[4] من الطوف والبول والافك، وتحبس الشمس والقمر، فلا ترون منهما أحدًا».

قال: قلت: يا رسُولَ الله فبما نبصر؟ قال: «بمثل بصرك ساعتك هٰذه، وذٰلك [قبل][5] طلوع الشمس في يوم أشرقت الأرضُ

---

(١) في النسخ زيادة: منها.

(٢) في (ب): قبلكم.

(٣) في النسخ: الحميم.

(٤) في (ب): يطهره.

(٥) في النسخ: مع.

ثُمَّ [واجهت][(١)] [به][(٢)] الجبال». قال: قلت: يا رسُولَ الله فبم نُجزى من حسناتنا وسيئاتنا؟ قال: «الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها، إلا أن يعفو».

قلت: يا رسُولَ الله ما الجنَّة ما النَّار؟ قال: «لعمر إلهك إن للنار سبعة أبواب ما منهنَّ بابان إلا يسير الرَّاكب بينهما سبعين عامًا، وإنَّ للجنة ثمانية أبواب، ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما». قلت: يا رسُولَ الله فعلىٰ ما نطلع من الجنَّة؟ قال: «على أنهارٍ من عسل مصفًى، وأنهارٍ من خمر ما بها صداع ولا ندامة، وأنهار من لبنٍ ما يتغير طعمه، وماء غير آسن وفاكهة ولعمر إلهك ما تعلمون[(٣)]، وخير من مثله معه، وأزواج[(٤)] مطهرة».

قلت: يا رسُولَ الله أولنا فيها أزواج؟ أوَمنهنَّ مصلحات؟ قال: «الصالحات للصالحين» وفي لفظ «المصلحات للمصلحين» «تلذذونهنَّ ويلذذنكم مثلُ لذاتِكم في الدُّنيا غير أنْ لا توالد». قال لقيط: فقلت: /٦٦٦/ يا رسُولَ الله أقصى ما نحنُ بالغُونَ ومنتهون إليه؟ فلم يجبه النَّبيّ ﷺ قال: قلت يا رسُولَ الله علىٰ ما أبايعك؟ [قال] فبسط النَّبيّ ﷺ يده وقال: «على إقام الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، وزيال المشرك، وأن لا تشرك بالله إلهًا غيره».

قلت: يا رسُولَ الله وأنَّ لنا ما بين المشرق والمغرب؟ فَقَبّض

---

(١) في النسخ: واجهته.
(٢) في (أ): تعملون.
(٣) زيادة من المسند.
(٤) في (ب) الواو ساقطة.

رسول الله ﷺ يده وظنَّ أنِّي مشترط ما لا يعطينيه قال: قلت نحل منها حيث شئنا ولا يجني امرئ إلا [علىٰ] نَفْسِهِ؟ فبسط يده وقال: **«لك ذٰلك تحلُّ حيث شئت ولا يجني عليك إلا نفسك»**. قال: فانصرفنا عنه، ثُمَّ قال: **«[إن هٰذين][(١)] مرتين من أتقى الناس في الدُّنيا والآخرة»** وفي لفظ: **«في الأولى والآخرة»** فقال له كعب ابن الخدارية أحد بني بكر ابن كلاب: من هم يا رسول الله؟ قال: **«[بنو المنتفق بنو المنتفق ثلاثًا][(٢)] أهل ذٰلك منهم»**.

قال: فانصرفنا وأقبلت عليه وقلتُ يا رسُولَ الله هل لأحدٍ ممَّن مضى من خير في جاهليتهم؟ فقال رجل من عرض قريش: والله إن أباك المنتفق لفي النَّار قال: فلكأنه وقع حَرْ بين جلدي ووجهي ولحمي مما قال لأبي على رؤوس الناس فهممتُ أن أقول وأبوك يا رسول الله، ثُمَّ إذا الأخرى أجمل فقلت: يا رسُولَ الله وأهلك؟ قال: **«وأهلي لعمر الله ما أتيت عليه من قبر عامريٍّ أو قرشيٍّ من مشركٍ فقل: أرسلني إليك محمد، فأبشرك بما يسؤك تجر على وجهك وبطنك في النَّار، قال: قلت يا رسُولَ الله ما فُعل بهم ذٰلك وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه، وكانوا يحسبون أنهم مُصلحون؟ قال: ذٰلك لأنَّ الله بعث في آخر كلّ سبع أمم [يعني] نبيًا فمن عصى نبيه كان من الضَّالين ومن أطاع نبيه كان من المهتدين»**.

---

(١) في النسخ: ها إن ذين ها إن ذين مرتين.

(٢) في المسند مرة واحدة.

فصل

في الإشارة إلى غريب هٰذا الحديث العظيم.

تقدم قوله: **تهضب**: أي تمطر، **والأصواء**: القبور، **والسقطة**: الهفوة، **والشربة**: -بفتح الراء- الحوض الذي يجتمع فيه الماء وبالسكون [وبالياء] الحنظلة يريد أنَّ الماء قد كثر فمن حيث شئت تشرب، وعلى رواية السكون [والياء] يكون [قد] شبه الأرض بخضرتها بالنبات بخضرة الحنظلة، واستوائها وقوله: «**ضنَّ ربُّك بمفاتيح خمس**» أي: كتم /٦٦٧/ علمَ خمس من الغيب، وأصل الضن: البخل تقول العربُ ضَنِنت بالشَّيء بكسر النون لتضَن به ضنونا، وضنًّا وضَنَانة فأنا ضنين أي: بخيل وضَنَنْت أضِن لغةً ومنه حديث زمزم «**احفرن المضنونة**» أي: التي يضن بها لسقامتها[1]، وعزتها واعلم أنَّه لا يجوز إطلاق البخل على الله تعالى عن ذٰلك فالمراد أنَّ الله كتم علمَ خمسٍ مِنَ الغيب، أو نحو ذٰلك فالله أعلم بمراده.

والمنية: الموت .**والمني**: هو ماء الرَّجل الخارج دفقا بلذة. **والرحم**: بيت الولد. ويشرف: (يعني: الغيث الذي هو المطر) يقرب. وقوله: «**أزلين**» الأزل بسكون الزاي: الشدة، والأزل على وزن

---

(١) في (ب): لمقامتها. تم ضبط الألفاظ من «زاد المعاد (٣/ ٦٧٨) فما وضع بين القوسين فهو زيادة منه والحذف والإصلاح بدون رقم.

كَتِف هو الذي قد أصابه الأزل، واشتد به حتى كاد [يسقط][(١)].

قوله: «**فيظل يضحك**» هٰذا من صفاتِ أفعاله تعالى التي لا يشبهه فيها شيء من مخلوقاته كصفات ذاته، وكذا «**فأصبح ربكَ يطوف في الأرض**» «وجاء ربُّك»، وجميع ما ثبت بالكتاب والسنة الصَّحيحة فأهل الأثر، وجميع السلف يؤمنون به، ويكلونه إليه سبحانه من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تشبيه، ولا تمثيل إذ هم جازمون بأن ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أقواله، ولا في أفعاله فالمشبه يعبد صنمًا والمعطل يعبد عدمًا، وعلماء: الخلف يؤوّلون ذٰلك، وأبت الجهميةُ إلا التَّعطيل. فعليهم ما يستحقون من المولى الجليل.

والجسر: الصراط. وقوله: «**حس**» كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه على غفلة ما يحرقه، أو يؤلمه: قال الأصمعي رحمه الله: وهي مثل أوه.

وقوله: «**يقول ربك أو أنه**» قال ابن قتيبة: فيه قولان أحدهماَ: أنْ يكون «**أونه**»[(٢)] بمعنى: نعم، والآخر: أنْ يكون الخبرُ محذوفًا كأنَّه قال: أنتم كذٰلك أو أنه على ما يقول.

والطوف: هو الغائط، ومنه «لا يُصلِّ أحدكم وهو يدافع الطوف، والبول»[(٣)]. وفي «النهاية» ما نصه قوله: «**ما يبسط [واحد**

---

(١) في «الهدي» يقنط.

(٢) في (ب): أوانه، وما أثبت من «الهدى».

(٣) أبو عبيد في «غريب الحديث» (٤/ ٢١٤)، و«الفائق» (٢/ ٩٢).

منكم][1] **يَدَهُ إلا وقَعَ عليها قدح مطهرة من الطوف والأذى»**. الطوف: الحدث من الطَّعام، والمعنى أنَّ مَنْ شربَ تلك الشَّربة طهر من الحدث، والأذى. وأنث القدح، لأنَّه ذهبَ بها إلى الشربة، ومنه الحديث: «**نهى عن متحدثين على طوفهما**». أي: عند الغائط أنتهى[2].

وقوله: «**فلعمر إلهك**» هو قسم بحياةِ الرب /٦٦٨/ جل جلاله، وفيه جواز القسم بصفاته، وانعقاد اليمين بذلك، وأنَّها قديمة. وقوله: «**ثمَّ تجيء الصائحة**». يعني: صيحة البعث، ونفخته. وقوله: «**حتى يخلف من عند رأسه**»[3] هو مِن أخلف الزرع إذا نبت بعد حصاده شبه النشأة الآخرة بإخلافِ الزَّرع بعد (إحصاده)[4] وتلك الخلفة من عند رأسه كذا هنا، والذي في «صحيح مسلم» يدلُّ على أنَّ الإنسانَ ينشأ مِنْ عجم الذنب كما تقدم، فأخرج مسلم عن أبي هريرة رَضِي الله عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس من الإنسان شيء إلاَّ يبلَى إلاَّ عظم واحد وهو عجم الذنب ومنه يركب الخلق يومَ القيامة**»[5] وأخرجه أبو

---

(١) غي النسخ: أحدكم، وهو يوافق ما في «الغريبين» للهروي (٤/ ١١٨٧) وأيضًا «النهاية» (٣/ ١٤٣).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» ٣/ ١٤٢-١٤٣ .

(٣) وفي متن الحديث تجعله.

(٤) في (ب): حصاده. وفي «الهدي»: ما حصد.

(٥) رواه البخاري (٤٩٣٥) في التفسير، باب: يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجًا، ومسلم (٢٩٥٥) في الفتن وأشراط الساعة، باب: ما بين النفختين، والحديث الذي بعده أخرجه مسلم (٢٩٥٥).

داود، والنسائي (أيضًا)[١]، وأخرج عنه أيضًا مرفوعًا «**كلّ ابن آدمُ يأكله التراب إلا عجم الذنب منه خلق، ومنه يركب**» وقد قدمت الكلام على ذلك بما لعله يشفى ويكفي.

قلت: والذي يظهر لي في الجمع بين الأحاديث النبوية، والآثار المحمدية أن الإنسانَ يركب خلقه يوم القيامة من عجم الذنب بلا ريب، ثُمَّ إذا تم خلقه، ونفخ سيدُنا إسرافيل في البوقِ، ورجعت الأرواح إلى أجسادِها دخلت الأرواح في الأجساد من قبل الرأس وبها يزول الإشكال - إن شاء الله تعالى - وقد قدَّمنا[٢] في حديث أبي هريرة الطويل أنَّ الله تعالى يرسل مطرًا على الأرض فينزل عليها أربعين يومًا حَتَّى يكون فوقهم أثنى عشر ذراعًا فيأمر الله الأجساد أن تنبت كنبات البقل (أي: وذلك النبات يتركب من عجم الذنب)[٣] - حَتَّى إذا تكاملت أجسادهم كما كانت قال الله تعالى: «**ليحي حملة العرش ليحي جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل**» ثُمَّ يأمر الله تعالى إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه، ثُمَّ يدعوا الأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المؤمنين نورًا، والأخرى ظلمة فيقبضها جميعًا، ثُمَّ يلقيها في الصور، ثُمَّ يأمره أن ينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح كلها كأنَّها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض، ثُمَّ يقول الله تعالى: «وعزتي وجلالي لترجعن كلّ روح إلى جسدها فتدخل الأرواح في الخياشيم، ثُمَّ

---

(١) في (أ): هنا. (٢) ص٧٣٤ ت(١).
(٣) زيادة من (ب).

تمشي في الأجسادِ مشي السم في اللديغ، ثُمَّ تنشق الأرض عنكم سراعًا»
/ ٦٦٩/ الحديث هٰذا ما ظهر لي من الجمع على ما فيه والله أعلم.

وقوله: «**فيستوي جالسًا**» أي عند تمام خلقه بعد نفخ الروح فيه. وقوله: «**يقول: يا رب أمس اليوم**» ٱستقلالاً لمدة لبثِهِ في الأرض وكأنَّه لبثَ فيها يومًا فقال: أمس بعض يوم فقال: اليوم يحسب أنَّه حديث عهد بأهله فكأنَّه إنَّما فارقهم أمس أو اليوم وقوله: «فيقول ربك عزَّ وجل: مهيم؟ أي: ما شأنك، وما أمرك، وفيم كنت؟»

قال في «النهاية»: وهي كلمة يمانية[١]، وفي قول لقيط: «**كيف يجمعنا؟ إلخ**» رد على زاعمي عدم تدقيق الصَّحابة، وأنَّهم لم يكونوا يخوضون في دقائق المسائل، وأنَّ أفراخ الصّابئة، والمجوس، مِنَ الجهمية، والمعتزلة، والقدرية، وذويهم أعرفُ منهم بالعلميات ولعمري لقدْ ٱجترأ زاعمُ ذٰلك على ربِّه ومنصب أصحاب المصطفى أجلُّ، وأرفع، وأحصن[٢]، وأمنع، من أن يُذكر هٰؤلاء الملاحدة في حيزه كيف وهم الذين فسروا الكتاب، واستنبطوا الشرائع من تلك الآيات العجاب، ولكن مَنْ لَمْ يَجْعل الله له نورًا فماله من نور.

قال في «**الهدي**»[٣]: وفي هٰذا السؤال دليل على أنه سبحانه يجمع أجزاء العبدِ بعدما فرقها، وينشئها نشأة أخرى، ويخلقه خلقًا جديدًا كما سَمَّاه في كتابه، وقد مرَّ الكلام على ذٰلك مبسوطًا، وفي هٰذا السؤال أيضًا إثبات القياس في أدلة التوحيد، والمعاد والقرآن مملوء

---

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» ٤/ ٣٧٨ .

(٢) في (ب): وأخص. (٣) (٣/ ٦٨١).

منه وفيه أنَّ حكم الشيء حكم نظيره وأنه سبحانه إذا كان قادرًا على شيء فكيف يعجز عن نظيره؟

وقوله: «**في الأرض أشرفت عليها وهي مدرة**» أي بالية.

وقوله: «**فتنظرون إليه، وينظر إليكم**» فيه إثبات صفة النظر لله عزّ وجلّ، وإثبات رؤيته في الآخرة.

وقوله: «**كيف ونحن ملءُ الأرض وهو شخص واحد؟**» قد جاء في هٰذا الحديث، وفي حديث آخر: «**لا شخص أغير من الله**» والمخاطبون بذٰلك قوم عرب يعلمون المرادَ منه فلا يقع في قلوبهم تشبيهه سبحانه بالأشخاص بل هم أشرف عقولاً، وأصح أذهانًا، وأسلم قلوبًا من ذٰلك، وحقق ﷺ وقوع الرؤية عيانًا» برؤية الشمس والقمر تحقيقًا /٦٧٠/ لها، ونفيًا لتوهم المجاز الذي يظنه المعطلون.

وقوله: «**فيأخذ ربُك بيده غرفة من الماء**» فيه بيانُ صفةِ اليد له سبحانه لكن نؤمن بذٰلك كما أخبر لا كما يخطر (للبشر في أوهام)[1] بل نمرها كما جاءت هٰذا مذهب السلف، وعند الخلف التأويل لذٰلك بالقدرة، وفي محلات النعمة. وأنا أسلم من فرث المشبهة، ودم المعطلة إن شاء الله وأسلك طريق السَّلف من غير تفسيرٍ لشيءٍ لم يفسروه رضوان الله عليهم أجمعين.

---

(١) في (ب): في أوهام البشر.

أقول وبالله التوفيق ومنه استمد العون والتسديد مذهب أهل السنة والجماعة إثبات اليد حقيقية لله عز وجل كما وصف بها نفسه في كتابه من غير تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل، كما يليق بجلاله عز وجل.

و«الريطة»: الملاءة و«الحمم»: جمع حممة الفحمة. وقوله: «ثمَّ ينصرف نبيكم» أي: مِنْ موقف القيامة إلى الجنَّة. وقوله: «فيفرق على أثره الصالحون» أي يفزعون، ويمضون على أثره.

وقوله: «فتطلعون على حوض نبيكم» ظاهره أنَّ الحوض من وراء الجسر فكأنهم لا يصلون إليه حتى يقطعوا الجسر، وللسلف في ذٰلك قولان: قيل: وراءه بدليل هٰذا الحديث، وقيل: في الموقف بدليل ما قدمنا، وحقق في «الهدي»[1]، وتبعه السيوطي أنه لا تنافي بين أحاديث النَّبيّ ﷺ، وكلا الحديثين صحيح فإنَّ طولَ الحوضِ شهر، وعرضه شهر، وإذا كان بهٰذا الطول، والسعة فما الذي يحيل ٱمتداده إلى وراء الجسر فيرده المؤمنون قبل الصراط وبعده؟! فهٰذا في حيز الإمكان، ووقوعه موقوف على خبر الصَّادق وقدمنا ما فيه كفاية في محله.

وقوله: «على أظمأ والله ناهلة» «الناهلة»: العطاش الواردون للماء أي: يردون الحوضَ أظمأماهم إليه، وهٰذا الظمأ من مرورهم على الصراط.

وقوله: «وتخنس[2] الشمس والقمر» أي: يخفيان فلا يريان، والانخناس: التواري، والإخفاء، ومنه قوله تعالى: «من شر الوسواس الخناس». قال الزجاج: هو الشيطان جاثمٌ على قلب الإنسان فإذا ذكر الله خنس، وإذا غفلَ وسوس.

(١) (٣/ ٦٨٢).

(٢) في (ب): نخس.

وفي الحديث ٱنتفاء الولادة وهو المدعى وقول لقيط رضي الله عنه: «أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه» لا جواب لهٰذه المسألة؛ لأنَّه إنْ أراد أقصى مدة[1] الدُّنيا، وانتهائها فلا يعلم ذٰلك إلا الله، وإنْ أرادَ أقصى ما نحن منتهون إليه بعد دخول الجنَّة / ٦٧١/ والنار فكذلك فلا تعلم نفس ما أخفي لهم ولهذا لم يجبه ﷺ وفيه أنَّ المشركين في النَّار وإنْ ماتوا قبل البعثة والله تعالى أعلم.

فإنْ قلتَ: أيُّ القولين ٱعتمدت عدم الولادة في الجنَّة أم هي فإنك ذكرت لنا قولين بأدلتهما.

قلت: الذي أذهب إليه عدم الولادةِ فيها ٱقتفاء للآثارِ الصَّحيحة، والأخبار الصريحة إذ هو أرجح وأصح من مقابله لعشرة أوجه.

أحدها: هٰذا الحديث الصريح الثابت الصحيح.

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥] وهنَّ اللاتي طهرن منَ الحيض، والنفاس، والأذى. قال سفيان عن مجاهد: مطهرة من الحيض، والغائط، والبول، والنخام، والبصاق والمني والولد، وقال عطاء: أزواج مطهرة من الولد والحيض والغائط والبول.

الثالث: قوله ﷺ: «**غير أنَّه لا مني ولا منية**» والولد إنَّما يخلق من

---

(١) في (ب): عدة.

المني فإذا لم يكن هناك مني، ولا نفخ في الفرج لم يكن هناك إيلاد.

الرابع: أنَّه قد ثبتَ في الصحيح عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**يبقى في الجنَّة فضل، فينشئ الله لها خلقًا يسكنهم إياها**»[1] ولو كان في الجنَّة إيلاد، لكان الفضل لأولادهم.

الخامس: إنَّ الله تعالى جعل الحملَ[2] والولادة مع الحيض، والمني فلو كن النساء يحبلن في الجنَّة لم يقطع عنهنَّ الحيض والإنزال.

السادس: إنَّ الله تعالى قدر التناسلَ في الدُّنيا؛ لأنَّه قدر الموت، وأخرجهم إلى هٰذه الدار قرنًا بعد قرن، وجعل لهم أمدًا ينتهون إليه فلولا التناسل لبطل النوع الإنساني، ولهذا الملائكة لا تتناسل فإنَّهم لا يموتون كما تموت الإنس والجن بل كلَّما عدم منهم أحد وجد مكانه من غير نكاح، ولا تناسل والظاهر أنَّهم إنَّما يموتون مع نفخةِ الفزع وإياك أن يذهب وهمُك إلى عدم موتهم فإنَّ كلّ نفس ذائقة الموت فإذا كان يوم القيامة أخرجَ الله سبحانه الناس كلَّهم من الأرض، وأنشأهم للبقاء لا للموت فلا يحتاجون إلى تناسل لحفظ النَّوع الإنساني إذ هو منشأ للبقاء، والدوام فلا أهل الجنَّةِ ولا أهل النَّار يتناسلون.

السابع: أنه سبحانه قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] أخبر أنَّه يكرمهم بإلحاق ذرياتهم / ٦٧٠/

---

(١) رواه مسلم (٢٨٤٨) كتاب: في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء.

(٢) في (ب): الحل.

الذين كانوا لهم في الدُّنيا بهم في الآخرة ولو كان ينشئ لهم في الجنَّة ذرية أخرى لذكرهم كما ذكر ذريتهم الذين كانوا في الدُّنيا ؛ لأنَّ قرةَ عيونهم كانت تكون بهم كما هي بذرياتهم من أهل الدُّنيا.

الثامن: إمَّا أنْ يقالَ باستمرار التناسل فيها أو إلى غاية، ثُمَّ ينقطع وكلاهما باطل أمَّا الأول: فلاستلزامه ٱجتماع أشخاص لا تناهي لها وأمَّا الثاني: فلاستلزامه ٱنقطاع نوع من لذة أهل الجنَّة، وسرورهم لا يقال: يتناسل[1] يموت نسل، ويخلفهم نسل إذ لا موت ثَمَّ.

التاسع: إنَّ الجنَّة لا ينموا فيها الإنسان كما ينمو في الدُّنيا فلا ولدان أهلها ينمون ويكبرون، ولا الرِّجال ينمون بل هٰؤلاء ولدان صغار لا يتغيرون، وهٰؤلاء أبناء ثلاث وثلاثين لا يتغيَّرون فلو كانَ في الجنَّة ولادة لكان المولود ينمو ضرورة حتَّى يصير رجلاً ومعلوم أنَّ مَنْ مات من الأطفال يردون أبناء ثلاث وثلاثين سنة من غير نمو يوضحه الوجه العاشر: إن الله سبحانه وتعالى ينشئ أهل الجنَّةِ نشأة الملائكةِ أو أكمل من نشأتهم بحيث لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا ينامون، ولا يهرمون على تطاول الأحقاب، ولا تنمو أجسادهم يُلهمون التَّسبيح كالنَّفَسِ من غير كلفة.

فإن قلت: ماذا تقول في قول الأستاذِ أبي سهل[2] فيما نقله عنه

---

(١) في (ب): تناسل.

(٢) ذكره البيهقي في «البعث» حديث (٣٩٨).

الحاكم أنَّه قال: أهل الزيغ ينكرون هٰذا الحديث (يعني حديث الولادة في الجنَّة) وقد روي فيه غير إسناد وسئل النَّبيّ ﷺ عن ذٰلك فقال: يكون ذٰلك على نحو ما أسلفنا. قال: وهٰذا الله يقول: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١] وليس بالمستحيل أن يشتهي المؤمن الممكن من شهواته، وقرة عين، وثمرة فؤاد؟ قلنا: النافون[١] لِلْولادةِ في الجنَّة لم ينفوها لزيغ في قلوبهم بل لثبوت الأحاديث، والآثارِ التي ذكرناها وأقوال السلف والخلف، نعم للعلماء في ذٰلك مذهبان وقد ذكرناهما. وحديث أبي سعيد أجود أسانيده إسناد الترمذي[٢]، وقد حكم عليه بالغرابة وأنَّه لا يعرف إلا من حديث أبي الصديق الناجي وقد اضطرب لفظه فتارة يروي عنه: «**إذا اشتهى الولد**» وتارة: «**إنَّه يشتهي الولد**» وتارة «**إنَّ الرَّجلَ مِنْ أهل الجنَّةِ ليولد له**» وقوله: «**إذا اشتهى الولد**» معلق بالشَّرط ولا يلزم مِنَ التَّعليق وقوع المعلق، ولا المعلق به وإذا كانت ظاهرة في المحقق فقد تستعمل لمجرد التعليق الأعم من المحقق، وغيره.

قال في «حادي الأرواح»[٣] /٦٧١/ بعد ذكره للقولين مع ترجيح عدم الولادة وذكر حديث أبي سعيد: إن كان النَّبيّ ﷺ قد قاله فهو الحق الذي لا شك فيه. وهٰذه الألفاظ لا تنافي بينها ولا تناقض

---

(١) في (ب): الناقلون. (٢) انظر ص١١٧١، ١١٧٢.

(٣) «حادي الأرواح» ص٣٥٧، انظر ص١١٧١.

وحديث أبي رزين «**غير أن لا توالد**» إن ذٰلك ينفي التوالد المعهود في الدنيا ولا ينفي ولادة حمل الولد فيها ووضعه وسنه وشبابه في ساعة واحدة فهٰذا ما ٱنتهى إليه علمنا القاصر في هٰذه المسألة. ٱنتهى.

وأنا أقول كما قال: الَّذي قاله المصطفى وثبت عنه هو الصَّحيح وإذا نظرنا النظر التام رأينا أنَّ علماءَ الإسلامِ قد صححوا حديث لقيط، وجزموا به، وحكموا على حديث أبي سعيد بالغرابة، والاضطراب والله أعلم بالصَّواب.

الباب الحادي عشر
في ذكر سماع أهل الجنَّة، وغناء الحور العين، وذكر مطاياهم، وزيارة بعضهم بعضًا

أمَّا سماع أهل الجنَّةِ فقال تعالى ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الروم: ١٥]. قال ابن كثير الحبرة: اللذة والسماع[١] وبه قال الأوزاعي، وغيره في لفظ: الحبرة: السَّماع في الجنَّة.

قال في «حادي الأرواح»[٢]: ولا يخالف هٰذا قول ابن عباس: «يكرمون» ومجاهد، وقتادة: «ينعمون»؛ لأنَّ قولهم أعم من السَّماع، ولا مانع من دخول السماع فيما قالوا، فلذة الأذن السَّماع وذٰلك من الإكرامِ والنَّعيم، وهٰذا ظاهر لكلٍّ ذي طبع سليم.

وأخرجَ الترمذي، عن علي كرَّمَ الله وجهه أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«إنَّ في الجنَّة لمجتمعاً للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن النَّاعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط. طوبى لمن كان لنا، وكنَّا له»**[٣].

---

(١) «تفسير ابن كثير» ١١/١٧ .

(٢) «حادي الأرواح» ص٣٥٨، ٣٥٩.

(٣) رواه الترمذي (٢٥٦٤) في صفة الجنة، باب: ما جاء في كلام الحور العين.

وفي الباب عن أبي هريرة، وأبي سعيدٍ، وأنس وحديث علي كرم الله وجهه غريب: قال في «حادي الأرواح»[(١)]: قلت: وفي الباب عن ابي أوفى، وأبي أمامة، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم.

فأمَّا حديث أبي هريرة فأخرج جعفر الفريابي عنه: **«إنَّ في الجنَّة نهرًا طول الجنَّة حافتاه العذارى قيام متقابلات يغنين بأصوات حتَّى تسمعها الخلائق / ٦٧٢/ ما يرون في الجنَّة لذة مثلها قيل: يا أبا هريرة وماذاك الغناء؟ قال: إن شاء الله التسبيح، والتحميد، والتقديس، وثناء على الرَّب عزَّ وجل»**[(٢)]. هكذا رواه موقوفًا.

وأخرج أبو نعيم مرفوعًا: **«إنَّ في الجنَّة شجرة جذوعها من ذهب، وفروعها من زبرجد ولؤلؤ، فتهب لها ريح فتصطفق فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألذ منه»**[(٣)].

وأمَّا حديث أنس فأخرج أبو نعيم عنه مرفوعًا: **«إنَّ الحور يغنين في الجنَّة نحن الحور الحسان خلقنا لأزواجٍ كرام»**. ورواه ابن أبي الدنيا[(٤)].

---

(١) «حادي الأرواح» ص٣٥٩-٣٦٥ .

(٢) رواه البيهقي في «البعث والنشور» رقم (٤٢٥). وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ١/ ٣٨. والمنذري في «الترغيب والترهيب» ٤/ ٥٣٨-٥٣٩ وقال: رواه البيهقي موقوفًا. وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧٥١).

(٣) رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» رقم (٤٣٣). وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» وقال: ضعيف جدًا.

(٤) ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» ص١٨٦ وأبو نعيم في «صفة الجنة» رقم (٤٣٢).

وأمَّا حديث ابن أبي أوفى فأخرج أبو نعيم عنه مرفوعًا: «يزوج إلى كلّ رجلٍ من أهل الجنَّةِ أربعة آلاف بكر، وثمانية آلاف أيم، ومائة حوراء فيجتمعن في كلّ سبعة أيامٍ فيقلن بأصوات حسان لم تسمع الخلائق بمثلهن: نحن الخالدات فلاً نبيد»[١]. كحديث علي رضي الله عنه «بزيادة ونحن المقيمات فلا نظعن».

وأمَّا حديث أبي أمامة فأخرج جعفر الفريابي عنه مرفوعًا: «ما من عبد يدخل الجنَّة إلا ويجلس عند رأسه، وعند رجليه ثنتان من الحور العين يغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس والجن، وليس بمزامير الشيطان»[٢].

وأمَّا حديث ابن عمر فأخرج الطبراني عنه مرفوعًا: «إنَّ أزواج أهل الجنَّةِ ليغنين أزواجهنَّ بأحسن أصوات سمعها أحد قط إنَّ مما يغنين به: نحن الخيرات الحسان أزواج أقوام[٣] كرام ينظرن بقرة[٤] أعيان وإنَّ مِمًا يغنين به: نحن الخالدات فلا يمتنه نحن الآمنات فلا يخفنه نحن المقيمات فلا يظعنه»[٥].

وسئل ابن شهاب رحمه الملك الوهاب[٦]: هل في الجنَّة سماع فإنه حبب إلي السماع؟ فقال: أي والذي نفس ابن شهاب بيده إنَّ في الجنَّة

---

(١) رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» رقم (٤٣١). وقال الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٢٢١٩): منكر وانظر ت(٣) ص١١٥٦، ١١٥٧ ت(١).

(٢) رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» رقم (٤٣٤).

(٣) في (ب): قوم. (٤) عند أبي نعيم: بقرن.

(٥) الطبراني في «الأوسط» ١/ ١٤٩ (٤٩١٧) «الصغير» (١/ ٢٦٠)، «صفة الجنة» لأبي نعيم (٤٣٠).

(٦) صفة الجنة لابن أبي الدنيا (٢٥٥).

لشجراً حمله اللؤلؤ والزبرجد تحته جوار ناهدات يتغنين بالقرآن يقلن: نحن النَّاعمات فلا نبأس، ونحن الخالدات فلا نموت فإذا سمعَ ذٰلك الشجر صفق بعضه بعضًا فأجبن الجواري فلا يدري أصوات الجواري أحسن أم أصوات الشجر؟ رواه ابن وهبٍ.

وأخرج عن خالد بن يزيد: «**إنَّ الحور العين يغنين أزواجهن فيقلن: نحن الخيرات الحسان أزواج شباب كرام، ونحن الخالدات**» الحديث /٦٧٣/ وفي صدر إحداهنَّ مكتوب أنت حبي، وأنا حبك أنتهت نفسي عندك لم ترعيني مثلك[١].

وأخرج الأصبهاني[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسُولَ الله هل في الجنَّة سماع فإنِّي أحب السَّماع؟ قال: «**نعم والذي نفسي بيده إنَّ الله ليوحي إلى شجر الجنَّة أن أسْمعي عبادي الذين شغلوا أنفسهم عن المعازف والمزامير بذكري فتسمعهم بأصوات ما سمع الخلائق مثلها قط بالتَّسبيح، والتقديس**».

وفي الثعلبي قال إبراهيم: «**إنَّ في الجنَّة أشجارًا عليها أجراس من فضةٍ فإذا أراد أهل الجنَّةِ السَّماع بعث الله ريحًا من تحت العرش، فتقع في تلك الأشجار فتتحرك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدُّنيا لماتوا طربًا**».

وأخرج ابن عساكر عن الأوزاعي قال: إذا أراد أهل الجنَّةِ أن يطربوا أوحى الله إلى رياحٍ يقال لها: الهفافة، فدخلت في آجام قصب اللؤلؤ الرطب، فحركته فضرب بعضه بعضًا، فتطرب الجنَّة فإذا

(١) المرجع السابق ص٢٥٦.

(٢) «الترغيب والترهيب» (١/ ٥٤٢)، حديث (٩٩٧).

طربت لم يبق في الجنَّة شجرة إلا وردت، ولأهل الجنَّةِ سماع أعلى من هٰذا وهو صوت إسرافيل.

أخرج ابن أبي الدُّنيا[١] عن الأوزاعي أنَّه قال: بلغني أنَّه ليس من خلق الله أحسن صوتًا من إسرافيل عليه السلام، فيأمره الله تبارك وتعالى فيأخذ في السماع فما يبقى ملك في السَّموات إلا قطع عليه صلاته فيمكث بذٰلك ما شاء الله أن يمكث فيقول الله: **«وعزتي لو يعلم العبادُ قدرَ عظمتي ما عبدوا غيري»**

وأخرجَ ابن أبي الدُّنيا[٢] عن مالك بن دينار في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٤٠]. قال: **«إذا كان يوم القيامة أمر بمنبر رفيع فوضع في الجنَّة»**. ثمَّ نودي: يا داود مجدني بذٰلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به في دار الدُّنيا قال: فيستفرغ صوت داود عليه السلام نعيم أهل الجنان فذٰلك قوله عزَّ وجل: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ وأخرجه الإمامُ بن الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد طيَّب الله ثراه في «زوائد الزّهد» لأبيه، ولفظه **«يقيم الله سبحانه / ٦٧٤/ داود عليه السلام عند ساق العرش فيقول: يا داود مجدني بذٰلك الصوت الحسن الرخيم. فيقول: إلهي كيفَ أمجدك وقد سلبتنيه في دارِ الدُّنيا؟ قال: فيقول عزَّ وجل: فإني أرده عليك: قال: فيرده عليه. فيزداد صوته قال: فيستفرغ صوت**

(١) ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» ص١٨٨.

(٢) ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» ص٢٢٩.

داود نعيم أهل الجنَّةِ وأعلى من هٰذا كله بل يضمحل دونه كلّ سماع كلامُ رب العالمين جلَّ جلاله، وخطابه وسلامه، ومحاضرته لعباده، ويقرأ عليهم كلامه فإذا سمعو منه فكأنَّهم لم يسمعوه قبل ذٰلك» .

أخرج أبو الشيخ عن عبدِ الله بن بريدة: «إنَّ أهل الجنَّةِ يدخلون كلّ يوم مرتين على الجبارِ جلَّ جلاله، فيقرأ عليهم القرآن وقد جلس كلّ امرئ منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر، والياقوت، والزبرجد، والذهب والزمرد فلم تقر أعينهم بشيء لم يسمعوا شيئًا قط أعظم، ولا أحسن منه، ثُمَّ ينصرفون إلى رحالهم ناعمين قريرة أعينهم إلى مثلها من الغد» وسيأتي لهٰذا تتمة إنْ شاء الله تعالى.

لطيفة: أخرج ابن أبي الدُّنيا[1]، والأصبهاني عن محمد بن المنكدر قال: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم عن اللهو ومزامير الشيطان؟ أسكنوهم رياض المسك ثُمَّ يقول للملائكة: أسمعوهم حمدي وثنائي، وأعلموهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون».

وأخرج الدينوري عن مجاهد قال: «ينادي مناد يوم القيامة: أينَ الذين كانوا ينزهون أصواتهم، وأسماعهم عن اللهو، ومزامير الشيطان؟ قال: [فيجعلهم] الله في رياضٍ [منَ] الجنَّة من مسك، فيقول للملائكة: أسْمعوا عبادي تحميدي وتمجيدي، وأخبروهم أن لا

---

(١) ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» ص١٩٠ الترغيب والترهيب (٣١٩).

خوف عليهم ولا هم يحزنون»[١].

وأخرج ابن أبي الدُّنيا[٢] والضياء المقدسي بسندٍ صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «في الجنَّة شجرة على ساق واحدة قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عامٍ، فيخرج أهل الغرف، وغيرهم فيتحدثون في ظلها فيشتهي بعضهم، ويذكر لهو الدنيا، فيرسل الله ريحًا من الجنَّة فتتحرك تلك الشجرة بكلِّ لهو كان في الدُّنيا أي وهي شجرة طوبى».

وعن شهر بن حوشب قال: «إنَّ الله جلّ ثناؤه / ٦٧٥/ يقول للملائكة إنَّ عبادي كانوا يحبون الصوتَ الحسنَ في الدُّنيا، فيَدعونه من أجلي فأسْمِعوا عبادي، فيأخذون بأصوات مِنْ تهليل، وتسبيح وتكبير لم يسمعوا بمثله قط» والله تعالى أعلم.

قلت: وهٰذا من باب من ترك شيئًا لله عوَّضه الله خيرًا منه فنسأله سبحانه أن يمنَّ علينا بنظرة تصلح قلوبنا، وتمحو ذنوبنا، وتشرح صدورنا، وتيسر أمورنا، وتؤهلنا لخدمته، وتجعلنا من القائمين بطاعته، والحافظين لحرمته إنَّه على ذٰلك قدير، وبالإجابة جدير.

---

(١) المجالسة وجواهر العلم (٣٥٥٢) وما بين القوسين فيه «فيحلهم» و«في» بدلاً من «من» الدر المنثور (١٤/ ١٩٥).

(٢) ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» ص١٨٨، ١٨٩.

فصل

وأمَّا مراكبهم فأخرج الترمذي، عن بريدة رضي الله عنه أنَّ رجلاً سأل النَّبيّ ﷺ: هل في الجنَّة من خيل؟ قال: **«إن الله أدْخلك الجنَّة، فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس مِنْ ياقوتة حمراء، تطير بك في الجنَّة حيث شئت»**[١] وسأله رجل هل في الجنَّة من إبل؟ قال: فلم يقل ما قال لصاحبه، قال: **«إنْ يدخلكَ الله الجنَّة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذَّت عينك»**[٢] وأخرجه أيضًا عن عبد الرحمن بن سابط عن النَّبيّ ﷺ بمعناه وقال: هو أصح من الأول.

ورواه أبو نعيم عن أبي هريرة عنه قال: قال رسول الله ﷺ في ذكر الجنَّة فقال: **«والفردوس أعلاها (سُمُوًّا)**[٣]**، وأوسعها محلة، ومنها تفجر أنهار الجنَّة، وعليها يوضع العرش يوم القيامة»**. فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله: إنِّي رجل حبب إليَّ الخيل فهل في الجنَّة خيل؟ قال: **«إي والذي نفسي بيده إنَّ في الجنَّة لخيلاً وابلاً هفافة تزف بين خلال ورق الجنَّة يتزاورون عليها حيث شاؤوا»** فقام إليه رجل، فقال: يا رسُولَ الله إني رجل حبب إلي الإبل[٤]. وذكر الحديث.

---

(١) الترمذي (٢٥٤٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٥٤٣) في صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة خيل الجنة، وأخرجه وما قبله أبو نعيم في «صفة الجنة» (٤٢٥).

(٣) ساقطة من (ب)، كذا عند أبي نعيم.

(٤) أبو نعيم في «صفة الجنة» (٤٢٧).

قلت: حديث الترمذي إسناده ضعيف، وقد أخرجه عن واصل بن السائب عن أبي سورة[١] عن أبي أيوب الأنصاري قال: جاء أعرابي إلى النَّبيّ ﷺ فقال: إني أحب الخيل فهل في الجنَّة خيل؟ قال: **«إن أدخلت الجنَّة أتيت بفرس من ياقوتة له جناحان فحملت عليه، ثم تطير بك في الجنَّة حيث شئت»**[٢] وفي «معجم ابن قانع» أنَّ ٱسم هٰذا الرجل عبد الرحمن بن ساعد الأنصاري، وكذلك رواه الدينوري في «أوائل المجالسة»[٣]، وروى ابن عدي[٤] هٰذا الإسناد الضعيف /٦٧٧/ أن النَّبيّ ﷺ قال: **«إنَّ أهل الجنَّةِ يتزاورون على نجائب بيض كأنَّهنَّ الياقوت، وليس في الجنَّة من البهائم إلا الإبل والطير»**.

وأخرج ابن أبي الدُّنيا[٥] عن أبي هريرة رضي الله عنه: **«أنَّ أهل الجنَّةِ ليتزاورون على العيس الجون عليها رحال مسك تثير مناسمها غبار المسك خطام أحدها خير من الدنيا وما فيها»**. قوله: «على العيس» هو بكسر العين الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة وأحدها أعيس، والأنثى عيساء، وقيل: هي كرام الإبل وما أحسن قول من

---

(١) في (ب): سنورة.

(٢) رواه الترمذي (٢٥٤٤) في صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة خيل الجنة، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٤٢٣).

(٣) (٢/ ١٥١)، وانظر كلام المحقق هناك، ابن قانع (٢/ ١٥٦) رقم (٦٢٨).

(٤) «الكامل» (٧/ ٢٥٤٧).

(٥) ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» ص١٧٥.

قال:[١]

ومن العجائب والعجائب[٢] جمة قربُ الحبيب وما إليه وصول
كالعيسِ في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوقَ ظهرها محمول

وقال بعض العلماء: العيس: إبل في بياضها ظلمة خفيفة. والجون: يطلق على البياض والسواد، والمراد هنا البياض أي: الإبل البيض، والمناسم: بنون وسين مهملة: جمع منسم، وهو باطن خف البعير. وعند أبي نعيم[٣] عنه ﷺ «**إنَّ أهل الجنَّةِ ليتزاورون على نجائب بيض كأنها الياقوت، وليس في الجنَّة من البهائم إلا الخيل والإبل**».

وأخرج أبو الشيخ[٤] عن جابر بن عبد الله، عن النَّبيّ ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنَّةِ الجنَّة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لها أجنحة لا تبول ولا تروث، فقعدوا عليها، ثُمَّ طارت بهم في الجنَّة فيتجلى لهم الجبار فإذا رأوه خرّوا سجدًا فيقول لهم الربُّ تعالى: ارفعوا رؤسكم فإنَّ هٰذا ليس يوم عمل إنَّما هو يوم نعيم، وكرامة فيرفعون[٥] رؤوسهم**». وذكر الحديث

وأنت عليم بأنَّ في هٰذه الأحاديث من الاضطراب ما يقضي عليها بعدم القبول لولا كثرتها، وتباين طرقها، وإذا تباينت طرق

---

(١) من شعر عبد الغني النابلسي. (٢) في (ب): والطحائب.
(٣) الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٦٠٩)، «صفة الجنة» لأبي نعيم (٤٢٠).
(٤) أبو نعيم في «صفة الجنة» (٤٢٩)، وفي «الشريعة» (٢٦٧).
(٥) في (ب): فيرومون.

الأحاديث، وكثرت اشتد بعضها ببعض، وفي قول الترمذي[١] هذا أصح من حديث المسعودي يفهم منه أنَّه مقبول، بل صحيح كما لا يخفى على أنَّ ثُمَّ مَنْ تكلم فيه والله تعالى هو الموفق.

فصل زيارة أهل الجنة لبعضهم بعضا

وأمَّا زيارة أهل الجنَّةِ بعضهم بعضًا: فقد قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝٥١ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ [الصافات: ٥٠ ـ ٥٢] إلى قوله: ﴿لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات: ٥٧] فأخبر /٢٧٨/ سبحانه أنَّ أهل الجنَّةِ أقبل بعضهم على بعضٍ يتحدثون، ويتساءلون عن أمور، وأحوال كانت تعرض لهم في الدُّنيا فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم: كان لي قرين في الدُّنيا ينكر البعث، والدار الآخرة.

قال مجاهدٌ[٢]: كان شيطانا، وقال آخرون: كان من الإنس، وقال مقاتل: كانا أخوين، وقال الباقون: كانا شريكين أحدهما: اسمه فطروس، والآخر: مؤمن اسمه يهوذا هما اللذان قص الله خبرهما في سورة الكهف. ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ [الكهف: ٣٢]. قاله البغوي[٣].

ثُمَّ يقول لإخوانه في الجنَّة هل أنتم مطلعون في النَّار لننظر كيف منزلة قريني وما صار إليه؟ هذا أظهر الأقوال، وقيل: إنَّ الملائكة

---

(١) (٢٥٤٣).

(٢) انظر «الدر المنثور» (١٢/ ٤٠٦-٤١٢).

(٣) انظر «تفسير البغوي» ٥/ ١٧٠ .

تقول لهٰؤلاء المتذاكرين: هل أنتم مطلعون؟ رواه عطاء عن ابن عباس. وقيل: إنَّه من قول الله عز وجل لأهل الجنَّةِ يقول لهم: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ وقُدِّم هٰذا (في)[1] البغوي[2] واتبعه بالأول ولم يذكر الثاني والصحيح الأهل كما في «حادي الأرواح»[3] قال مقاتل: لما قال لأهل الجنَّةِ هل أنتم مطلعون؟ قالوا له: أنت أعرف به منا فاطلع أنت. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنَّ في الجنَّة كوى ينظر أهلها منها إلى النار فاطلع المؤمن فرأى قرينه في وسط الجحيم، ولو أنَّ الله تعالى عرَّفه إيّاه لما عرفه لقد تغير وجهه، ولونه وغيره العذاب أشد تغيير فعندها قال: ﴿تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ [الصافات: ٥٦] لتهلكني. وقال مقاتل: إن كدت لتغويني ومن أغوى إنسانًا فقد أهلكه. ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الصافات: ٥٧] معك في النار.

وقال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ خائفين ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: ٢٥ ـ ٢٨].

أخرج الطبراني[4] عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله: أيتزاور أهل الجنَّة؟ قال: «**يزور الأعلى الأسفل، ولا يزور الأسفل الأعلى إلا الذين يتحابون في الله يأتون منها حيث** / ٦٧٩/

---

(١) ساقطة من (ب). (٢) «تفسير البغوي» ٧/ ٤١

(٣) «حادي الأرواح» ص٣٧١.

(٤) رواه الطبراني في «الكبير» ٧/ ٢٩٢ (٧٩٥٦)، «صفة الجنة» لأبي نعيم (٤٢١).

شاءوا على النوق محتقبين الحشايا» قاله في «حادي الأرواح»[١]: فأهل الجنَّةِ يتزاورون فيها، ويستزير بعضهم بعضًا وبذلك تتم لذتهم، وسرورهم ولهذا قال حارثة للنبي ﷺ وقد سأله: **«كيف أصبحت يا حارثة؟»** قال: أصبحت مؤمنًا حقًا قال ﷺ: **«إنَّ لكلِّ حق حقيقة فما حقيقة إيمانك»** قال: عَزَفَتْ[٢] نفسي عن الدُّنيا فاسهرت ليلي، وأظمأتُ نهاري، وكأنِّي أنظر إلى عرش ربيِّ بارزًا وإلى أهل الجنَّة يتزاورون فيها، وإلى أهل النَّار يتعاوون فيها فقال ﷺ: **«عبد نور الله قلبه»**. قلت: وسمعت من لفظ شيخنا وحيد عصره الشيخ عبد الغني النابلسي صاحب التصانيف الجمة، وقد ذكر هٰذا الحديث فقال له المصطفى ﷺ: **«عرفت فالزم»**. ٱنتهى.

وأقول قد روى الحديث الإمامُ الحافظ ابن رجب في كتابه **«استنشاق نسيم الإنس من نفحات رياض القدس»** وزاد في آخره فقال النَّبيّ ﷺ: **«عرفت فالزم عبد نور الله الإيمان في قلبه»**. ثُمَّ قال الحافظ: وهٰذا الحديث روي مرسلاً، وروي مسندًا متصلا لكن من وجوه ضعيفة. ٱنتهى.

وأخرج ابن أبي الدُّنيا[٣] عن أنسٍ رضي الله عنه رفعه **«إذا دخل**

(١) «حادي الأرواح» ص٣٧٢.

(٢) في (ب): عرفت، والحديث أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب «الإيمان» (١١٥).

(٣) ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» ص١٧٣، «كشف الأستار» (٣٥٥٣)، «الترغيب والترهيب» للأصبهاني (٩٩٦)، وقد سقط من الإسناد في المطبوع الصحابي أنس رضي الله عنه.

أهل الجنَّةِ الجنَّة يشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض، فيسير سرير هٰذا إلى سرير هٰذا، وسرير هٰذا إلى سرير هٰذا، حتى يجتمعا جميعًا فيقول أحدهما لصاحبه: تعلم متى غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه: يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا».

وأخرج[1] أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ مِنْ نعيم أهل الجنَّةِ أنَّهم يتزّاورون على المطايا، والنجب، وأنهم يؤتون في الجنَّة بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول، فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله عزَّ وجل فيأتيهم مثل السحابة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت فيقولون أمطري علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذٰلك فوق أمانيهم، ثُمَّ يبعث الله ريحًا غير مؤذية فتسف كثبانًا من مسك عن أيمانهم، وعن /٦٨٠/ شمائلهم فيأخذ ذٰلك المسك في نواصي خيولهم، وفي معارفها، وفي رءوسهم ولكلِّ رجل منهم جمة على ما اشتهت نفسه فيعلق ذٰلك المسك في تلك الجمام، وفي الخيل، وفيما سوى ذٰلك مِنَ الثياب، ثُمَّ يقبلون حتَّى ينتهوا إلى ما شاء الله فإذا المرأة تنادي بعض أولئك: يا عبد الله أمَالكَ فينا حاجة؟ فيقول: ما أنت؟ فتقول أنا زوجتك، وحبك فيقول: ما كنت علمت بمكانك فتقول المرأة: أوَمَا تعلم أنَّ الله قال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧]. فيقول: بلى وربي فلعله

---

(١) ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» ص١٧٣، ١٧٤، الخطيب في «تاريخه» (١/ ٢٦٦)، ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ٢٥٥).

يشتغل عنها بعد ذٰلك الموقف أربعين خريفًا لا يلتفت، ولا يعود ما يشغله عنها إلا ما هو فيه مِنَ النَّعيم والكرامة».

وأخرج ابن أبي الدُّنيا[١] عن سيدنا الحسن بن علي عن أبيه رضوان الله عليهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنَّ في الجنَّة لشجرة يخرج من أعلاها حلل، ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة من در وياقوت، لا تروث ولا تبول، لها أجنحة خطوها مد بصرها فيركبها أهل الجنَّة، فتطير بهم حيث شاءوا، فيقول الذي أسفل منهم درجة: يا رب بم بلغ عبادك هٰذه الكرامة كلها؟ فيقال لهم: كانوا يصلون بالليل. وكنتم تنامون، وكانوا يصومون، وكنتم تأكلون وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون، وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون»**.

فصل
في ذكر سوق الجنَّة، وما أعدَّ الله فيها لأهلها

أخرج مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال إنَّ في الجنَّة لسوقًا يأتونها كلّ جمعةٍ فتهب ريحُ الشمال فتحثوا في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسنًا وجمالاً فيرجعون

---

(١) ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» ص١٧٦-١٧٨، الخطيب في تاريخه (١/ ٢٦٦) ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٢٥٥).

إلى أهليهم وقد ٱزدادوا حسنًا وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم والله لقد ٱزددتم بعدنا حسنًا وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ٱزددتم حسنًا وجمالاً»[1]. الإمام أحمد في المسند، وقال: «فيها كثبان المسك فإذا أخرجوا إليها هبت الريح».

وأخرج ابن أبي عاصم[2] في كتاب «السنة» أنَّ سعيد بن المسيب لقي أبا هريرة رضي الله عنه فقال أبو هريرة رضي الله عنه: أسأل الله أن يجمعَ بيني وبينك في سوقِ الجنَّة. فقال سيعد أَوَفيها سوق؟ / ٦٨١/ قال: نعم أخبرني رسول الله ﷺ: «**إنَّ أهل الجنَّةِ إذا دخلوها[3] بفضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدُّنيا فيزورون الله تبارك وتعالى، فيبرز لهم عرشه، ويتبدّا لهم في روضة من رياض الجنَّة، فيوضع لهم منابر من نور، ومنابر من مسك، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ياقوت، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلسُ أدْناهم (وما فيهم دني) على كثبان المسك والكافور ما يرون أنَّ أصحابَ الكُرْسِي بأفضلَ منهم مجْلِسًا**».

قال أبو هريرة رضي الله عنه: وهل نرى ربنا عزّ وجل؟ قال: «**نعم هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟** » قلنا: لا. قال:

---

(١) رواه مسلم (٢٨٣٣) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في سوق الجنة وما ينالون فيها من النعيم والجمال، أحمد (٣/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥) والبعث والنشور للبيهقي (٣٧٤) والبغوي في السنة (١٥/ ٢٢٦).

(٢) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» ١/ ٢٥٨ (٥٨٥).

(٣) «نزولها» زيادة من (ب).

«فكذلك لا تمارون في رؤية ربّكم، ولا يبقى في ذٰلك المجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة حتَّى يقول: يا فلان ابن فلان أتذكر يوم فعلتَ كذا وكذا. فيذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول: بلى أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى فبمغفرتي بلغت منزلتك هٰذه». قال: فبيناهم على ذٰلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبًا لم يجدوا مثل ريحه شيئًا قط قال: ثُمَّ يقول ربَّنا تبارك وتعالى: قوموا إلى ما أعددتُ لكم من الكرامة فخذوا ما شئتم. قال: **«فيأتون سوقا»** قد حفت به الملائكة فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على القلوب فيحمل لنا ما ٱشتهينا ليس يباع فيه، ولا يشترى، وفي ذٰلك السوق يلقى أهل الجنَّةِ بعضهم بعضًا.

قال: **«فيقبِلُ ذو البزة المرتفعة، فيلقى من هو دونه (وما فيهم دني) فيروعه ما يرى عليه من اللباس، والهيئة فما ينقضِي آخرُ حديثهِ حتَّى يتمثل عليه أحسن منه، وذٰلك أنَّه لا ينبغي لأحد أنْ يحزن فيها. قال: ثُمَّ ننصرف إلى منازلنا: فيلقانا أزواجُنا فيقلن: مرحبًا وأهلاً لقد جئت وإنَّ بكَ من الجمال والطيب أفضل ممَّا فارقتنا عليه. فيقول: إنا جالسْنا اليوم ربَّنا الجبارَ عزّ وجلَّ وبحقنا أن ننقلب بمثل ما ٱنقلبنا»**.

ورواه الترمذي في صفةِ الجنَّة، وابن ماجه. وليس في سنده من ينظر فيه إلا عبد الحميد بن حبيب وهو كاتب الأوزاعي فلا ينكر عليه تفرده عن الأوزاعي بما لم يروه غيره، وقد قال الإمام أحمد طيب الله

ثراه، وأبو حاتم الرازي: هو /٦٨٢/ ثقة. نعم ضعفه دحيم، والنسائي وقال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من هٰذا الوجه[١].

قال في «حادي الأرواح»[٢] قلت: قد رواه ابن أبي الدُّنيا[٣] عن أبي هريرة وروى الترمذي عن علي كرم الله وجهه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ في الجنَّة لسوقًا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرِّجال والنساء، فإذا اشتهى الرجلُ الصورة دخل فيها**». قال الترمذي. حديث غريب[٤].

قلت: حكم على هٰذا الحديث الإمام ناصر السنة ابن الجوزي بالوضع[٥]، وأعله بعبد الرحمن بن إسحق الواسطي بأنَّه متروك واستدرك عليه الإمام جلال الدين السيوطي بأنَّه قد أخرجَه الإمامُ بن الإمام عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند[٦] والترمذي. قال الحافظ ابن حجر في «القول المسدد»[٧]: عبد الرحمن بن إسحق حَسن

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٤٩) في صفة الجنة، باب: ما جاء في سوق الجنة، قال حديث غريب، وابن ماجه (٤٣٣٦) في الزهد، باب: صفة الجنة.

(٢) «حادي الأرواح» ص٣٧٨، ٣٧٩.

(٣) ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» ص١٨١-١٨٤، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٤١٨).

(٤) رواه الترمذي (٢٥٥٠) في صفة الجنة، باب: ما جاء في سوق الجنة، وقال: هذا حديث غريب.

(٥) انظر «الموضوعات» ٣/ ٥٨٤ (١٨١٣).

(٦) مسند الإمام أحمد (١/ ١٥٦). (٧) (٤ ـ ٤٢).

له الترمذي حديثًا غير هٰذا مع قوله فيه: إنَّه تكلم فيه مِنْ قبل حفظه. وصحح له الحاكم حديثًا آخر. وأخرجَ له ابن خزيمة في صحيحه لكن قال. في القلب منه شيء وله شاهد من حديث جابر أخرجه الطبراني[1] في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية، وأخرج الحافظ أبو عبد الله الحضرمي[2] عن جابر نحوه. وإلى هٰذا السوق أشار الإمام المحقق ابن القيم في قصيدته «الميمية» حيث قال:

وحي على السّوق الذي فيه يَلتقي الـ ... محبون ذاك السوق للقوم معلم

فما شئت خذْ منه بلا ثمن له ... فقد أسلف التجار فيه وأسلمو

وحي علي يوم المزيد الذي به ... زيارة رب العرش فاليوم موسم

وحي علي واد هنالك أفيح ... وتربته من أزفر المسك أعظم

منابر من نورٍ هناك وفضة ... ومن خالص العقيان لا يتفصم

وكثبان مسك قد جعلن مقاعدا ... لمن دون أصحاب المنابر تعلم[3]

والله أعلم.

---

(١) أبو نعيم في «صفة الجنة» (٤١٩).

(٢) ذكره في «النهاية» (٢٠/ ٣٧٥) وفي «الترغيب للمنذري» (٣/ ٢٣٩) (٤/ ٥٤١).

(٣) في (ب): يعلم.



الباب الثاني عشر
في السَّعادة العظمى وهي زيارة[١] إله[٢] الأرض والسَّماء ورؤيته

أخرج الإمام الشافعي[٣] عن أنسٍ رضي الله عنه قال: أتى جبريل بمرآة بيضاء فيها نكتة إلى النَّبيّ ﷺ، فقال ﷺ: «ما هذه؟» قال: الجمعة فضلت بها أنت وأمتك فالنَّاس لكم فيها تبع اليهود والنصارى، ولكم فيها خير، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن، يدعو بخيرٍ إلا /٦٨٣/ أستجيب له، وهو عندنا يوم المزيد. قال النَّبيّ ﷺ: «وما يوم المزيد؟» قال: «إنَّ ربَّك اتخذ في الفردوس واديًا أفيح (أي واسع) في كثب مسك، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله تبارك وتعالى ما شاء من ملائكتهِ، وحوله منابر من نور عليها النَّبيّون، وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت، والزبرجد عليها الشهداء، والصديقون من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله تعالى: أنا ربّكم صدقتكم وعدي فسلوني أعطكم. فيقولون: ربنا نسألكَ رضوانك فيقول: قد رضيتُ عنكم، ولكم ما تمنيتم، ولدي مزيد. فهم يحبون

---

(١) في (ب): زيادة. (٢) في (ب): إلهي.

(٣) رواه الشافعي كما في «المسند» ١/١٢٦ (٣٧٤) باب: في صلاة الجمعة.

يوم الجمعة لِمَا يعطيهم فيه ربهُم من الخير، وهو اليوم الذي أستوى فيه ربُكم على العرش، وفيه خلق آدم، وفيه تقوم الساعة».

وأخرج أبو نعيم عن أبي برزة الأسلمي: «إن أهل الجنَّةِ ليغدون في حلةٍ، ويروحون في أخرى كغدو أحدكم ورواحه إلى ملك من ملوكِ الدُّنيا كذٰلك يغدون، ويروحون إلى زيارة ربهِّم عزَّ وجل». الحديث[١].

وأخرج عن علي (كرم الله وجهه)[٢] رضي الله عنه: «إذا سكن أهل الجنَّةِ في الجنَّة أتاهم ملك يقول إنَّ الله تعالى يأمركم أنْ تزوروه فيجتمعون فيأمر الله تعالى داود عليه السلام فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل، ثُمَّ توضع مائدة الخلد». قالوا: يا رسُولَ الله وما مائدة الخلد؟ قال: «زاوية من زواياها أوسع مِمَّا بين المشرق والمغرب، فيطعمون ثُمَّ يسقون، ثُمَّ يكسون، فيقولون: لم يبق إلا النَّظر في وجه ربِّنا عزَّ وجلَّ. فيتجلَّى لهم، فيخرون سجّدا، فيقال لهم: لستم في دارِ عملٍ إنَّما أنتم في دار جزاء»[٣]

---

(١) رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» ص٢٢٥ (٣٩٤).
(٢) ساقطة من (ب). سبق التعليق عليها.
(٣) رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» ص٢٢٩ (٣٩٧).

فصل

ورؤية المولى جلَّ وعلا ثابتة بالكتاب والسنة، وإجماع أهل الحق من الأمةِ وهي أشرف، وأعظم، وأجل، وأنعم، نعيم الجنَّة قدرًا، وأجلّه خطرًا، وأعلاه أمرًا فما أقرها لعيونِ أهلِ السنة والجماعة، وأشدها على أهل البدع والشناعة. فهي الغاية التي شمرَ إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، ورغب فيها الراغبون، وتتَّيم فيها العاشقون ولمثل ذٰلك فليعمل العاملون، ويجتهد المجتهدون، فإذا نال ذٰلك أهل الجنَّةِ نسوا ما هم فيه من النعيم، وتنعموا برؤية الرءوف الرحيم، واتفق جميع الأنبياء والمرسلين، والصحابة، والتابعين وأئمة الإسلام أجمعين على ثبوتها /٦٨٤/ في دارِ القرارِ والنعيم والنوال، وأنكرها أهل البدع، والاعتزال، والكفر، والضلال منهم: الجهمية المتهوكون، والفرعونية المعطلون، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرافضة الذين هم بحبال الشيطان متمسكون، ومن حبل الله منقطعون، وعلى مسبة أصحاب رسول الله عاكفون، وبقذف سيدة النساء أم المؤمنين حبيبة المصطفى المبرأة من كلّ ريبة بالآياتِ الصَّريحةِ القرآنية، والروايات الصحيحة المحمدية، ومن أجمعَ أهل الحقِ قاطبة بكفرِ من طعنَ فيها بل بكفر من لَمْ يجزم ببراءتها كما يجزم بنبوة محمد ﷺ، وكما يجزم بعدم الشريك لله تعالى:

حصان رزان لا تبؤ بريبة وتصبح غرثى من لحومِ الغوافلِ

عقيلة هي من لؤي بن غالب كرام المساعي مجدهم غير نازلِ
مهذبة قد طيَّب الله خيمها وطهرها من كلّ سوء وباطلِ[1]

فالرافضة عليهم اللعنة (بقذف)[2] هذه السيدة يتعبدون، ولرؤية الحق ينكرون، ولسنَّة رسول الله الغراء محاربون، ولمخالفةِ الله ورسولهِ متبعون، وبتغليطِ الروحِ الأمين يتحدثون، وكل هؤلاء الضلال عن ربِّهم محجوبون، وعن بابه مطرودون بل وفيه شاكون، ولكتابه مخالفون فكل منهم مبعود ملعون:

أولئك أحزابُ الضّلال وشيعة الـ لـعـين وأعـداء الـرسـول وحـزبـه
ومن خالفوا الذكر الحكيم وما أتى بـه المـصـطـفـى بـالحـق مـن عـنـد ربِّـه

قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]. وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وأخرج ابن بطة في «الإبانة» عن عمارة بن رويبة قال: نظر النَّبيّ ﷺ إلى القمر ليلةَ البدر، فقال: **«إنَّكم سترون ربَّكم كما ترون هذا القمرَ لا تضارون في رؤيته، فإن اَستطعتم أن لا تغلبوا على صلاةٍ قبل طلوعِ الشمس، وصلاة قبل غروبها فافعلوا»**[3] وفي رواية له: **«إنكم سترون الله تبارك وتعالى كما ترون هذا القمر لا تُضَامون في رؤيته فإن اَستطعتم أن لا تغلبوا على ركعتين قبل طلوع الشمس، ولا ركعتين قبل غروبها فافعلوا»**.

---

(١) انظر «صحيح البخاري» (٤١٤٦).
(٢) في (ب): يقذفون.
(٣) البخاري (٥٥٤)، ابن بطة (٣/ ٨).

وفي «حادي الأرواح»[1] عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: يأتون النَّبيّ / ٦٨٥/ ﷺ، فيقولون: يا نبي الله إنَّ الله فتح بك، وختم بكَ، وغفرَ لك قم فاشفع لنا إلى ربِّك. فيقول: **«نعم أنا صاحبكم»** فيخرج يجوس أي: يطوف الناس حتى ينتهي إلى باب الجنَّة فيأخذ بحلقة الباب، فيقرع، فيقال: من هٰذا؟ فيقال: محمد قال: فيفتح له فيجيء حتى يقومَ بين يدي الله فيستأذن في السُّجود، فيؤذن له. الحديث.

وأخرج ابن بطة، وابن المبارك عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أتاني جبريل فإذا في كفه مرآة كأصفى المرايا، وأحسنها وإذا في وسطها نكتة سوداء»** قال: **«قلت يا جبريل ما هٰذه؟ قال: هٰذه الدُّنيا صفاؤها وحسنها. قال: قلت: وما هٰذه اللمعة في وسطها؟ قال: هٰذه الجمعة قلت: وما الجمعة؟ قال: يوم مِنْ أيام ربِّك عظيم، وسأخبرك بشرفه، وفضله، واسمه في الآخرة. أمَّا شرفه وفضله في الدُّنيا فإنَّ الله تعالى جمعَ فيه أمر الخلق، وأمَّا ما يرجى فيه فإنَّ فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم، أو أمة مسلمة يسألان الله فيها خيرًا إلا أعطاهما إيَّاه، وأمَّا شرفه، وفضله، واسمه في الآخرة. فإنَّ الله تبارك وتعالى إذا صير أهل الجنَّةِ إلى الجنَّة، وأهل النَّار إلى النَّار، وجرت عليهما أيامهما، وساعتهما ليس بها ليل ولا نهار إلا قد علمَ الله مقدار ذٰلك، وساعاته فإذا كان يوم الجمعة في الحين الذي يبرزون، ويخرج فيه**

---

(١) «حادي الأرواح» ص٤٥٣، والحديث في الطبراني (٦/ ٢٤٧) ابن أبي عاصم في السنة (٨١٣) مطولاً ابن خزيمة (١٩١) مختصراً.

أهل الجنَّةِ إلى جمعهم نادى منادٍ: يا أهل الجنَّةِ ٱخرجوا إلى دارِ المزيد. لا يعلم سعته، وعرضه، وطوله إلا الله عزَّ وجل في كثبان المسك. قال: فيخرج غلمان الأنبياء بمنابر من نورٍ، ويخرج غلمانُ المؤمنين بكراسي من ياقوت. قال: فإذا وضعت لهم، وأخذ القوم مجالسهم بعثَ الله تبارك وتعالى عليهم ريحًا تدعى المثيرة تثير عليهم أثايير المسك الأبيض، فتدخله من تحت ثيابهم، وتخرجه في وجوههم وأشعارهم، فتلك الريح أعلم كيف يصنع بذٰلك المسك من ٱمرأة أحدكم لو دفع إليها كلّ طيبٍ على وجه الأرض لكانت تلكم الريح أعلم كيف يصنع بذٰلك المسك من تلك المرأة لو دفع إليها ذٰلك الطيب بإذن الله تعالى، ثُمَّ يوحي الله سبحانه إلى حملة العرشِ فيوضع بين ظهراني الجنَّة وبينه وبينهم الحجب فيكون أوّل ما يسمعون منه أنْ يقولَ: أينَ عبادي الذين أطاعوني /٦٨٦/ بالغيب ولم يروني، وصدقوا رسلي، واتبعوا أمري؟ فسلوني فهٰذا يوم المزيد. قال: فيجتمعون على كلمةٍ واحدةٍ رب رضينا عنك فارض عنا. قال: فيرجع الله تعالى في قوله: أنْ يا أهل الجنَّةِ إنِّي لو لم أرض عنكم لَمَا أسكنتكم جنتي فسلوني فهٰذا يوم المزيد، قال: فيجتمعون على كلمة واحدةٍ: رب وجهك رب وجهك أرنا ننظر إليك. قال: فيكشف الله تبارك وتعالى تلك الحجب، ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره شيء لولا أنَّه قضي عليهم أن لا يحرقوا لاحترقوا مّما غشيهم من نوره. قال: ثُمَّ يقال: ٱرجعوا إلى منازلكم. قال: فيرجعون إلى منازلهم وقد خفوا على أزواجهم وخفين عليهم مما غشيهم من نوره تعالى فإذا

صاروا إلى منازلهم تزادُ النور وأمكن، وتراد وأمكن حتَّى يرجعوا إلى صورهم التي كانوا عليها. قال: فتقول لهم أزواجهم: لقد خرجتم من عندنا على صورة، ورجعتم على غيرها. قال: فيقولون: ذٰلك بأنَّ الله تبارك وتعالى تجلى لنا فنظرنا منه إلى ما خفينا به عليكم. قال: فلهم في كلّ سبعة أيام الضعف على أمَّا كانوا فيه. قال: وذٰلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧]»[1]. ورواه البزار.

وقال حذيفة رضي الله عنه في قوله عزّ وجل ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قال: النظر إلى وجه الله عز وجل[2]. وقال الحاكم:[3] وتفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع.

وأخرج ابن خزيمة[4] عن أبي نضرة قال: خطبنا ابن عباسٍ رضي الله عنهما فقال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من نبي إلا وله دعوة تعجلها في الدُّنيا، وأنِّي اختبأت دعوتي شفاعة لأمَّتي يومَ القيامة فآتي باب الجنَّة، فآخذ بحلقة الباب، فأقرع الباب، فيقال: من أنت؟ فأقول: أنا محمد، فآتي ربِّي وهو على كرسيه أو وهو على سريره فيتجلى لي ربي فأخر له**

---

(١) «البحر الزخار مسند البزار» (٧/ ٢٨٨)، ابن بطة (٣/ ٣١).

(٢) «التوحيد» لابن خزيمة (٢٦٤) ١/ ٤٥١، والدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (٦١)، والآجري في «الشريعة» (٢٦١).

(٣) «معرفة علوم الحديث» (٢٢).

(٤) رواه ابن خزيمة في «التوحيد» ٢/ ٦٠٥ (٣٥٢).

ساجدًا». ورواه ابن عيينة عنه، وأبو بكر بن أبي داود عنه مرفوعًا[١]: «**إنَّ أهل الجنَّةِ يرون ربَّهم تعالى في كلّ يوم جمعة في رمال الكافور، وأقربهم منه مجلسًا أسرعهم يوم الجمعة، وأبكرهم غدوا**».

وأخرج الصاغاني[٢] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «خلق الله الملائكة لعبادته أصنافًا فإنَّ منهم ملائكة قيامًا من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، ومنهم ملائكة ركوعًا خشوعًا مِنْ يوم خلقهم /٦٨٧/ إلى يوم القيامة، وملائكة سجود منذ خلقهم إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة وتجلى لهم تعالى، ونظروا إلى وجهه الكريم قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك».

وأخرج الدارقطني[٣] عن أبي بن كعب رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. قال: «**النظر إلى وجه الله عزَّ وجل**». ورواه محمد بن حميد عن كعب بن عجرة مرفوعًا[٤].

وأخرج الدارمي[٥] عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنَّ فضالة

---

(١) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» ص٤٥٦، ٤٥٧.

(٢) «تهذيب تاريخ دمشق» (٣/ ١٣٣).

(٣) ابن جرير (١٢/ ١٦٢)، واللالكائي (٧٨).

(٤) ابن جرير (١٢/ ١٦١)، اللالكائي (٧٨١).

(٥) مسند الإمام أحمد (٥/ ١٩١) عن أبي الدرداء، عن زيد بن ثابت، ذكره ابن القيم في «حادي «الأرواح» ص٤٥٨.

يعني: ابن حميد كان يقول: «**اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة**».

وأخرج الإمام أحمد[١] عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ أنه قال: «**قد حدثتكم عن الدجال**». الحديث وفيه: «**وإنكم لن تروا ربّكم حتَّى تموتوا**».

وقال الصديق رضي الله عنه وقد سئل: ما الزيادة يا خليفة رسول الله؟ قال: النظر إلى وجه الرب تبارك وتعالى[٢]، ذكره في «حادي الأرواح»[٣].

وقال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه من تمام النعمة دخول الجنَّة، والنظر إلى الله تبارك وتعالى في جنتهِ، رواه ابنُ أبي حاتم[٤].

وقال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى.

وقيل لابن عباسٍ رضي الله عنهما: كلّ مؤمن دخل الجنَّة يرى الله عزَّ وجل؟ قال: نعم.

---

(١) رواه أحمد ٥/ ٣٢٤.

(٢) انظر «التوحيد» لابن خزيمة (١/ ٤٥٣)، والدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (٦١)، «الاعتقاد» للبيهقي ص١٢٥ .

(٣) «حادي الأرواح» ص٤٥٩.

(٤) انظر اللالكائي (٣/ ٤٩٦) رقم (٨٥٩).

قال أنس[١] في قوله عز وجل: ﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾ [ق: ٣٥]: يظهر لهم الربُّ تبارك وتعالى يوم القيامة.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: إن الناس قالوا: يا رسُولَ الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال ﷺ: «**هل تضارون في القمر ليلةَ البدر؟**» قالوا: لا. قال: «**فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟**». قالوا: لا يا رسول الله. قال: «**فإنكم ترونه كذٰلك**»[٢] الحديث.

وفي صحيح مسلم عن صهيب رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنَّةِ الجنَّة يقول الله تعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنَّة وتنجينا من النار؟ فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم تعالى**»[٣]. ثُمَّ تلى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: ٢٦]، الحسنى: الجنَّة. /٦٨٨/ والزيادة الرؤية وقال هٰذا جماعة المفسّرين من الصَّحابة، والتابعين، وتابعيهم منهم: الصديق الأعظم، وعلي، وحذيفة بن اليمان، وأبو موسى الأشعري، وابن عباس، وابن مسعود، وسعيد بن المسيب، والحسن البصري، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة.

---

(١) اللالكائي (٣/ ٤٦٩) رقم (٨١٣).

(٢) رواه البخاري (٧٤٣٧) في التوحيد، باب: قول الله تعالى ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣﴾. ومسلم (١٨٢) في الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤيا.

(٣) رواه مسلم (١٨١) في الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، و«التوحيد» لابن خزيمة (٢٥٨).

وقال البيهقي[١]: هٰذا تفسير قد ٱستفاض، واشتهرَ فيما بين الصحابة، والتابعين، ومثله لا يُقال إلا بتوقيف، وقد روي مرفوعًا أخرج ابن جرير، وابن مردويه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله يبعث يوم القيامة مناديًا ينادي بصوت يسمعه أولهم وآخرهم: يا أهل الجنَّةِ، إنَّ الله وعدكم الحسنى وزيادة الحسنة الجنَّة، والزيادة النظر إلى وجه الرحمن**». وقد مر ذٰلك مرفوعًا إلى النَّبيّ ﷺ أيضًا[٢].

وأخرج الأجرى، والبيهقي[٣]، وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ [القيامة: ٢٢] قال: حسنة إلى ربِّها ناظرة. قال: نظرت إلى الخالق. وقال عكرمة: ناضرة من النعيم إلى ربها ناظرة، قال: تنظر إلى ربها[٣] نظراً، وقال محمد بن كعب والقرطبي في الآية قال: نضَّر الله تلك الوجوه وحسنها للنظر إليها[٣].

وقال الحسن: النضرة الحسن ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٣] نظرت إلى ربها فنضرت [لنوره][٤].

---

(١) «الاعتقاد» ص(٤٧).

(٢) رواه أبو داود (٤٣٢٠) كتاب: الملاحم، باب خروج الدجال. والنسائي (٧٧٦٤) في «الكبرى» كتاب: النعوت، باب: المعافاة. وأبو عاصم (٤٢٨) في «السنة» باب: ذكر قول النبي: «**إنكم لن تروا ربكم حتَّى تموتوا**». وأبو نعيم في «الحلية» ٥/١٥٧.

(٣) الآجري (٥٨٤، ٥٨٢، ٥٨٦) الاعتقاد للبيهقي (١٣٣).

(٤) في اللالكائي (٨٠٠) بنوره، وجميع الآثار السابقة، انظر رقم (٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣).

وقال أشهب[١]: سأل رجل مالكًا: هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ فقال مالك: لو لم ير المؤمنون ربَّهم لم يعيرا الكفار بالحجاب قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين: ١٥] قيل له: فإن قومًا يزعمون أن الله لا يُرى؟ فقال مالك قدَّس الله روحه: السيف السيف.

والحاصل أنه قد روي حديث الرؤيا عن خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام خلق كثير، وجم غفير من الصحابة رضي الله عنهم منهم أبو بكر، وعلي، وأبو هريرة، وأبو سعيد، وجرير، وأبو موسى الأشعري، وصهيب، وجابر، وابن عباس، وأنس، وعمار بن ياسر، وأبي بن كعب، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وحذيفة بن اليمان، وعبادة بن الصامت، وعدي بن حاتم، وأبو رزين لقيط بن عامر بن صبرة العقيلي، وكعب بن عجرة، وفضالة بن عبيد، وبريدة ابن الحصيب، وعبد الله بن /٦٨٩/ عمر، وعائشة أم المؤمنين، وعمارة بن رويبة، وسلمان الفارسي، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهم أجمعين، ولم يُروَ عن أحد منهم نفيها، ولو كانوا فيها مختلفين لنُقِلَ ٱختلافهم إلينا كما نقل ٱختلافهم في مسائل الحلال، والحرام، والشرائع، والأحكام فهم مجمعون على رؤية الحق في الآخرة، وكذا التابعون، وتابعوهم بإحسانٍ، وجميع أئمة الإسلامِ من أهل السنة كإمام السنة وحليلها[٢] ومبين قويها من هزيلها مبيد جيش

---

(١) اللالكائي (٨٧١، ٨٧٢). (٢) في (ب): جليلها.

الاعتزال وكاسر عنصر الضلال الإمام أحمد بن محمد بن حنبل طيب الله ثراه، وإمام دار الهجرة وعالم المدينة الإمام مالك قدَّس الله روحه، والإمام النَّبيّل ومن هو للسنة الغراء خليل الإمام (محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه، والإمام الأعظم والصدر المفخم الإمام)[1] محمد بن ثابت أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه الملك الديان، وابن الماجشون، والأوزاعي، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، وجرير بن عبد الحميد، وعبد الله بن المبارك، ووكيع بن الجراح، وقتيبة بن سعيد، وأبو عبيد القاسم ابن سلام، والأسود بن سالم شيخ الإمام أحمد، وإسحق بن راهويه، وغيرهم من أئمة الإسلام رضوان الله عليهم أجمعين.

قال الإمام محمد بن إسحق بن خزيمة: إن المؤمنين لم يختلفوا إن جميع المؤمنين يرون خالقهم يوم المعاد، ومن أنكر ذٰلك فليس بمؤمن عند المؤمنين[2].

وقال في «حادي الأرواح»[3]: قد دلَّ القرآن، والسنة المتواترة، وإجماع الصحابة، وأئمة الإسلام، وأهل الحديث عصابة الحق وخاصة سيد الخلق أن الله سبحانه يُرى في القيامة بالأبصارِ عيانًا كما يُرى القمر

---

(١) ساقطة من (ب).

(٢) جعلنا الله معهم ومنَّ علينا ووالدينا وذرياتنا وجميع المسلمين بهٰذا النعيم، اللهم إنَّا نسألك لذة النظر إلىٰ وجهك الكريم.

(٣) «حادي الأرواح» ص٤٧٦.

ليلة البدر صحوًا، وكما ترى الشمس في الظهيرة فالله تعالى الموفق.

وقد تلونا عليك هنا وفيما تقدم في المحشر ما تجزم العقول السليمة والقلوب المستقيمة تبعًا للآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة الدالة على رؤية الملك الجبار بأنَّها حق ثابتة، وأنَّ منكرها منسلخ من السنة الغراء مكذب لله ورسوله / ٦٩٠/ ولكونها ثابتة بلا نزاع بين أهل الحق وأنَّ إنكارها إلحاد وسم منكرها من أهل البدع والعناد، وأطلق عليه معتزلي فاسد الاعتقاد، وأثبتها أهل السنة في أصول العقائد، وقالوا: كلّ من أنكرها فهو ملحد بل جاحد. وإن أردت مزيدَ بيان فعليك بالكتب المؤلفة في هٰذا الشأن منها «حادي الأرواح» للإمام المحقق، و«الجيوش الإسلامية» له، و«البهجة» للشيخ الإمام العلامة مرعي، و«عقائد أهل الأثر» كلها مشحونة بذٰلك. والله سبحانه ولي التوفيق وهو المسئول أن يذيقنا حلاوة التحقيق، وأن يمنَّ علينا بالنظر إلى وجهه الكريم من غير سابقة عذاب ولا محنة إنه رءوف رحيم[1].

تتمة: ذهب جماعة من العلماء منهم الحافظ عماد الدين بن[2] كثير إلى أن النساء لا يرين الله سبحانه وتعالى في الجنَّة، وجماعة أيضًا منهم: العز بن عبد السلام، وتبعه صاحب «آكام المرجان»، و«ابن جماعة» إلى أنَّ الملائكة لا يرونه تعالى في الجنَّة[3].

---

(١) وعليك بكتاب «الرؤية» لحافظ الدنيا الدارقطني رحمة الله علينا وعليه، وكتاب «أصول السنة» للالكائي رحمنا الله وإياه.

(٢) النهاية (٢٠/ ٣٦٢) ينظر الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٤٢٠ ـ ٤٦٠).

(٣) انظر «إسبال الكساء على النساء» للسيوطي، فقد ذكر الأقوال وأصحابها.

والتحقيق خلافه النص الصريح عند الدارقطني[١] مرفوعًا: «**إذا كان يوم القيامة رأى المؤمنون ربهم عز وجل فأحدثهم عهدًا بالنظر إليه في كلّ جمعة، ويراه المؤمنات يوم الفطر ويوم الأضحى**» أي في مثل يوم الفطر ويوم الأضحى. وأخرج البيهقي[٢]: «**إذا كان يوم القيامة تجلى لهم ربهُم (يعني الملائكة) ونظروا إلى وجهه**». وقد مرّ. ونص على أنهم يرونه تعالى أبو الحسن الأشعري في «الإبانة». وقال بذلك من المتأخرين الإمام المحقق ابن القيم، والجلال السيوطي، والبلّقيني. قال الحافظ السيوطي: وهو أرجح بلا شك. وقرر الجلال البلقيني بثبوتِ الرؤية للملائكة ومال إلى ثبوتها لمؤمني الجنِّ أيضًا وهو اللائق بكرمه. والتحقيق عندي أنَّ كلّ من دخل الجنَّة يرى الله سبحانه وتعالى يومئذ بلا ريب[٣]، وأمَّا رؤيته سبحانه في الموقف فذهب جماعة إلى أنَّها تحصل حتَّى للمنافقين وآخرون للكافرين، ثُمَّ يحجبون والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر «الرؤية» للدارقطني، حديث (٥٦).

(٢) «تهذيب تاريخ دمشق» (٣/ ١٣٣).

(٣) انظر «إسبال الكساء».

فصل
في تكليمه سبحانه وتعالى لأهل الجنَّة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ الآية [آل عمران: ٧٧]. فللآية منطوق، ومفهوم فأمَّا منطوقها /٦٩١/ فعدم كلامه سبحانه وتعالى لمن اشترى بآياته وأيمانه ثمنًا قليلاً، وأمَّا مفهومها فهو إثباته لمن لم يتصف بهذه الصفة بل صدَّق رسله سبحانه، وقابل آياته بالقبول، وامتثل لكلِّ ما جاء به الرسول وفي حديث جابر أنَّ النَّبيّ ﷺ قال: إنَّه يشرف عليهم سبحانه من فوقهم، ويقول: «**سلام عليكم يا أهل الجنَّةِ فيرونه عيانًا**» رواه ابن ماجه[(١)]، وغيره وفي آخره وهو قول الله عز وجل: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ۝٥٨﴾ [يس: ٥٨].

وفي حديث بريدة رضي الله عنه: «**ما منكم أحد إلا سيخلو به ربه ليس بينه وبينه ترجمان، ولا حجاب**»[(٢)]. رواه ابن إسحٰق.

قال البخاري في صحيحه[(٣)] باب: كلام الرب تبارك وتعالى مع

---

(١) رواه ابن ماجه (١٨٤) المقدمة، باب: فيما أنكرت الجهمية، انظر الرؤية للدارقطني (١٦٦).

(٢) السنة لعبد الله (٥٩) اللالكائي (٨٥٣) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» ص٤٤١، ٤٤٢.

(٣) كتاب التوحيد (٩٧ باب كلام الرب مع أهل الجنة (٣٨).

أهل الجنَّةِ. وساق فيه عدة أحاديث ولا جرم أنَّ أفضل نعيم أهل الجنَّةِ رؤية معبوده وتكليمه لهم سبحانه وتعالى فويل لمن أنكر ذٰلك فقد باء بغضب الله والمهالك.

تكملة: ٱعلم أنَّ أهل الجنَّةِ كلهم ملوك خالدون يحاضرون الملك الأزلي سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠﴾ [الإنسان: ٢٠]. قال: مجاهد عظامًا وقال: ٱستئذان الملائكة عليهم فإنَّها لا تدخل إلا بإذن، وكذا قال كعب. وقال أبو سليمان في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠﴾ قال: «المُلْكُ (الكبيرُ)[1] أَنَّ رسُولَ ربِّ العزة يأتيه بالتحفة، واللطف فلا يصل إليه حتى يستأذن له عليه فيقول للحاجب: ٱستأذن على ولي الله فإنِّي لست أصل إليه فيعلم ذٰلك الحاجب حاجبًا آخر، وحاجبًا بعد حاجب، ومن داره إلى دار السلام باب يدخل منه على ربِّه إذا شاء بلا إذن، فالملك الكبير: أنَّ رسول ربِّ العزةِ لا يدخل عليه إلا بإذن، وهو يدخل على ربِّه بلا إذن.

أخرج ابن أبي الدُّنيا[2] عن أنس رضي الله عنه يرفعه: «**إن أسفل أهل الجنَّةِ أجمعين درجة من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم**».

وأخرج[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**إنَّ أدنى أهل الجنَّةِ**

(١) زيادة من (ب)، البعث والنشور (٤٠٣).
(٢) ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» ص١٥٤.
(٣) ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» ص١٥٥.

منزلة، وليس فيهم دني من يغدو عليه كلّ يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم ليس منهم خادم إلا ومعه طرفة ليست مع صاحبه». وفي رواية: «عشرة آلاف». وأخرج عبد الله بن[1] المبارك عن أبي أمامة رضي الله عنه /٦٩٢/ أنه قال: «إنَّ المؤمن يكون متكئًا على أريكة إذا دخل الجنة، وعنده سماطان من الخدم، وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل الملك من ملائكة الله عز وجل ليستأذن، فيقوم أدنى الخدم إلى الباب فإذا هو بالملك يستأذن فيقول للذي يليه: ملك يستأذن، ويقول للذي يليه: ملك يستأذن حتَّى يبلغ المؤمن فيقول: ٱئذنوا له. فيقول أقربهم إلى المؤمن: ائذنوا له. فيقول الذي يليه للذي يليه كذٰلك، حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل، فيسلم ثُمَّ ينصرف».

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث المغيرة بن شعبة عن النَّبيّ ﷺ قال: **«سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنَّةِ منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنَّةِ الجنة فيقال له: ٱدخل الجنَّة. فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك؟ الدُّنيا. فيقول: رضيت رب. فيقول: لك ذٰلك، ومثله، ومثله، ومثله، ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب فيقول: هٰذا لك وعشرة أمثالك، ولك ما ٱشتهت نفسك،**

---

(١) زوائد الزهد لنعيم بن حماد (٢٣٧)، صفة الجنة لابن أبي الدنيا رقم (١٩٩).

ولذت عينك. فيقول: رضيت رب». الحديث[١].

وقال أبو سعيد[٢]: (إنَّه يقال للجنة طوبى لك منزل الملوك) وروي مرفوعًا. والصحيح أنه موقوف. والله تعالى أعلم.

---

(١) رواه مسلم (١٨٩) في الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها انظر ص١٠١٥ ت(١) ص١٠٦٧ ت(١).

(٢) أخرجه البزار «كشف الأستار» (٣٥٠٧)، قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٩٧) رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» وأحد إسنادي الطبراني في «الأوسط» جيد ورواه البزار مرفوعًا وموقوفًا، ورجال الموقوف رجال الصحيح. «مجمع البحرين» (٤٨٦٠).



الباب الثالث عشر

في أن الجنَّة فوق ما يخطر بالبال، ويتوهمه الخيال، أو يدور في الخلد، وفوق ما يصف كلّ أحد كيف؟ وموضع سوط منها خير من الدُّنيا وما فيها.

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً﴾ [السجدة: ١٧].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**». مصداق ذٰلك في كتاب الله عز وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ * مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1].

وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد مرفوعًا: «**موضع سوط في الجنَّة خير من الدُّنيا وما فيها**»[2]. رواه الإمام أحمد من حديث أبي

---

(١) رواه البخاري (٣٢٤٤) في بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، وانظر (٤٧٧٩) كتاب التفسير، باب: قوله ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾. ومسلم (٢٨٢٤) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) رواه البخاري (٣٢٥٠) في بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة.

هريرة رضي الله عنه بلفظ: «**القيد سوط أحدكم من الجنَّة خير ممَّا بين السَّماء والأرض**»[١] وإسناده على شرطهما. ومعنى قيد: قدر.

وفي الباب عن أنس، وأبي سعيد، /٦٩٣/ وعبد الله بن عمرو بن العاص، وغيرهم رضي الله عنهم: وإنَّما كانَ موضع سوط في الجنَّة خيرًا من الدُّنيا وما فيها؛ لكونه لا يفنى، ولا يبيد، ولا يشوبه هم، ولا حزن، ولا تنكيد مع رضى الملك المجيد، وقرة العين بخلاف الدُّنيا بحذافيرها فإنَّها مشوبة بالأوصابِ وحلوها صاب. والله أعلم بالصواب.

قال في «حادي الأرواح»[٢]: وكيف يقدر قدر دارٍ غرسها الله بيده، وجعلها مقرًّا لأحبابه، وملأها من كرامته ورحمته ورضوانه، ووصفَ نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميعَ الخير بحذافيره، وطهرها من كلّ عيب وآفة ونقص فأرضها الزعفران، وتربتها المسك، وسقفها عرش الرحمن، وملاطها المسك الأذفر، وحصاؤها اللؤلؤ والجوهر، وبناؤها لبنة من فضة وأخرى من ذهب، وساقات شجرها الذهب الأحمر والفضة لا من الخشب، وثمرها كالقلال ألينّ من الزبد وأحلى من العسل، وورقها من أحسن ما يكون من رقائق الحللِ، وأنهارها من لبن لم يتغير طعمه وخمر لذة للشاربين ومن عسل مصفى وماء غير آسن، وطعام أهلها فاكهة ممَّا يتخيرون

---

(١) رواه أحمد ٢/ ٣١٥. حديث أنس (٣/ ١٣٢)، أبي سعيد هناد في «الزهد» (٥).

(٢) «حادي الأرواح» ٣٩٦، ٣٩٧.

ولحم طيرٍ مما يشتهون، وشرابهم التسنيم والزنجبيل والكافور، وآنيتهم الذهب والفضة والقوارير، وسعة أبوابها مسيرة أربعين عامًا بين المصراعين مع لذة ما يسمعون من كلام رب العالمين، ولباسهم الحرير، وحليتهم الذهب والفضة، وأنواع المعادن من الياقوت والمرجان، وعلى رؤسهم كالملوك التيجان، وأهلها أبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم أبي البشر، ووجوههم أنور من القمر، وأزواجهم الكواعب الأتراب التي جرى في أعضائهن ماء الشبَّاب

فللورد والتفاح ما لخدودها ضياء وللرمان ما لنهودها
وللؤلؤ المنظوم ما ضم ثغرها ومن أين للأغصان لينٌ كعودها
إذا ما بدت للشمس ترخي نقابها تخاف آنكسافًا صابها من شهودها
بها هام قلبي واعتراني بحبها ولوه وتيمني آنعطاف لخودها
عسى الله يجمع شملنا بعد بعدنا وأحظى بها لا أخشى من صدودها

فنسأل الله سبحانه أن يمنَّ علينا بالرضا والعافية، ويدفع عنا مرّ القضاء، ويرزقنا من شراب محبته الصافية، وأنْ يجعلنا أهلاً لتلك الدارِ، وأن يمتعنا /٦٩٤/ بتلك الكواعب الأبكار إنَّه على ما يشاء قدير(١)، وبالإجابة جدير آمين.

---

(١) الأولىٰ أن يقال إنه علىٰ كل شيء قدير. وقد مر بنا توضيح ذلك انظر ص٦٢٥ ت(١).



الباب الرابع عشر
في فصول جامعة وحكم هامعة
الفصل الأول
في ذكر آخر أهل الجنَّةِ دخولاً

أخرج الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إنِّي لأعلم آخر آهل النَّار خروجًا منها، وآخر أهل الجنَّةِ دخولاً الجنَّة: رجل يخرج من النَّار حبوًا، فيقول الله له: اْذهب فادخل الجنَّة فيأتيها فيخيَّل إليه أنَّها ملأى، فيرجعُ فيقول: يا رب وجدتها ملأى فيقول الله له اْذهب فادخل الجنَّة. قال: فيأتيها فيخيل إليه أنَّها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى فيقول الله له: اْذهب فادخل الجنَّة فإن لك مثل الدُّنيا وعشرة أمثالها (أو إنَّ لكل عشرة أمثال الدُّنيا) قال: فيقول: أتسخر بي (أو تضحك بي) وأنت الملك. قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه. قال فكان يقال: ذٰلك أدنى أهل الجنَّةِ منزلة»[1].

وفي صحيح مسلم عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال. قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل الجنَّةِ دخولاً الجنَّة، وآخر أهل النَّار خروجًا

---

(١) رواه البخاري (٦٥٧١) في الرقاق، باب: صفة الجنة والنار. ومسلم (١٨٦) في الإيمان، باب: آخر أهل النار خروجًا.

منها: رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال: أعرضوا عليه صغارَ ذنوبه، وارفعوا كبارها. فتعرضُ عليه صغارُ ذنوبِهِ. فقال: عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، فيقول: نعم. لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تُعرض عليه، فيقال: فإن لك مكان كل سيئة فيقول: ربِّ قد عملت أشياءَ لا أراها ها هنا. فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحكَ حتَّى بَدَتْ نواجذه»[1].

وأخرج الطبراني[2] عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ آخر رجل يدخل الجنَّة رجل يتقلب على الصراطِ ظهرًا لبطن كالغلام يضربه أبوه وهو يفرّ منه يعجز عنه عمله أن يسعى فيقول: بلغ بي الجنَّة، ونجنى من النار. فيوحي الله تبارك وتعالى إليه: عبدي إنْ أنا نجيتك من النَّار، وأدخلتك الجنَّة أتعترف لي بذنوبك وخطاياك؟ فيقول العبد: نعم يا رب وعزتك وجلالك لئن نجيتني من النار لأعترفن لك بذنوبي وخطاياي، فيجوز الجسر. ويقول العبد فيما بينه وبين نفسه: /٦٩٥/ لئن اَعترفت له بذنوبي، وخطايا ليردني إلى النَّار. فيوحي الله إليه: عبدي اَعترف لي بذنوبك، وخطاياك أغفرها، وأدخلك الجنَّة. فيقول العبد: لا وعزتك وجلالك ما أذنبتُ ذنبًا قط، ولا أخطأت خطيئة قط. فيوحي الله إليه: عبدي إن لي عليك بينة. فيلتفتُ العبد يمينًا وشمالاً فلا يرى أحدًا. فيقول: يا رب أرني بينتك.

(١) رواه مسلم (١٩٠) في الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» ٨/١٥٨-١٥٩ (٧٦٧٠).

فيستنطق الله جلده بالمحقرات فإذا رأى ذٰلك العبد يقول: يا رب عندي وعزتك وجلالك العظائم. فيوحي الله إليه: عبدي أنا أعرف بها منك، اعترف لي بها أغفرها لك، وأدخلك الجنَّة. فيعترف العبدُ بذنوبه فيدخله الجنَّة، ثُمَّ ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه. يقول: «هٰذا أدنى أهل الجنَّةِ منزلةً فكيف بالذي فوقه؟» ورواه ابن أبي شيبة.

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «آخرُ من يدخل الجنَّة رجل فهو يمشي مرةً، ويكبو مرةً، وتسفعه نار مرة، فإذا جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاه أحد من الأولين، والآخرين (يعني النجاة بعد أن أيس من نفسه وتحقق الهلاك) فتُرفع له شجرة فيقول: أي رب أدنني من هٰذه الشجرة أستظل بظلها، وأشرب من مائها. فيقول الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم لعلِّي إن أعطيتكها سألتني غيرها فيقول: لا يا رب. ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثُمَّ ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: يا رب أدنني من هٰذه لأشرب من مائها، وأستظل بظلها لا أسألك غيرها. فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ فيقول: لعلي إن أدنيتك منها أن تسألني غيرها. فيعاهده أن لا يسأله غيرها. وربه يعذره لأنه لم يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم تُرفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأولَيينْ، فيقول: أي رب أدنني من هٰذه

الشجرة لأستظل بظلها لا أسألك غيرها. فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ /٦٩٦/ قال: بلى. يا رب هٰذه لا أسألك، وربه يعذره؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه. فيدنيه منها. فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنَّةِ فيقول يا رب أدخلنيها فيقول: يا ابن آدم أيرضيك أن أعطيك الدُّنيا ومثلها معها؟ قال: «يا رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين». فضحك ابن مسعود فقال ألا تسألوني مِمَّ أضحك؟ قالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: «من ضحك رب العالمين حين قال أتستهزئ بي وأنت رب العالمين؟ فيقول: لا أستهزئ بك ولكنِّي على ما أشاء قادر»[1].

وأخرجه البرقاني[2] بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري بنحوه غير أنه قال في الشجرة الأولى: «مثِّل له شجرة ذات ظل فقال: قدمني إلى هٰذه الشجرة لأكون في ظلها». وفي الثانية: «ذات ظل، وثمر فقال: لأستظل بظلها وآكل من ثمرها». وفي الثالثة: «ذات ظل، وثمر، وماء فقال: لأكون في ظلها، وآكل من ثمرها، وأشرب من مائها، وأبدل لعلي إن أعطيتكها» «بهل عسيت إن أعطيتك ذٰلك». وكررها كل في شجرة وأبدل: «ترفع» «بمثل له». ولفظة: «سمع أصوات أهل الجنَّة». بقوله: «فتبرز له الجنَّة. فيقول: أي رب قدمني إلى باب الجنَّة فأكون

---

(١) رواه مسلم (١٨٧) في الإيمان، باب: آخر أهل النار خروجًا.

(٢) رواه مسلم (١٨٨) في الإيمان، باب: آخر أهل النار خروجًا.

بنجاف الجنَّة» وفي رواية: «تحت نجاف الجنَّة أنظر إلى أهلها فيقدمه الله إليها فيرى أهل الجنَّةِ وما فيها فيقول: أي رب أدخلني الجنَّة. فيدخله الجنَّة، فإذا دخل الجنَّة فيقول: هٰذا لي؟! فيقول الله له: تَمَنَّ. قال: فيتمنى، ويذكِّره الله سل كذا وكذا، فإذا انقطعت به الأماني قال الله: هو لك وعشرة أمثاله». قال: «ثمَّ يدخل بيته وتدخل عليه زوجاته من الحور العين» الحديث.

قوله: «تحت نجاف الجنَّة» قال في النهاية[١]: قيل: هو أسكفة الباب. والله أعلم.

---

(١) انظر النهاية لابن الأثير مادة: نجف.

الفصل الثاني
في لسان أهل الجنَّةِ

أخرج ابن أبي الدنيا[١] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدخل أهل الجنَّةِ على طول آدم ستين ذراعًا بذراع الملك، وعلى حسن يوسف، وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة، وعلى لسان محمد ﷺ جرد مرد مكحولون**».

وقال ابن عباس[٢]: لسان أهل الجنَّةِ عربي، وكذا الزهري[٣]، رواه عنه ابن المبارك. قال القرطبي[٤]: ولسانهم إذا خرجوا من قبورهم سرياني. /٦٩٧/ وقال سفيان: بلغنا أن الناس يتكلمون يوم القيامة قبل أن يدخلوا الجنَّة بالسريانية فإذا دخلوا الجنَّة تكلَّموا بالعربية. قال العلامة: وفيه بحث فإن القرآن ناطق بتكلمهم بالعربية قبل دخولهم الجنَّة قال تعالى حكاية عنهم: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]. ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١] وكذا لسان أهل النَّار قال حكاية عنهم: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا

---

(١) ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» ص١٥٨.

(٢) صفة الجنة لابن أبي الدنيا (٢١٨).

(٣) صفة الجنة لابن أبي الدنيا (٢٢١) الزهد لابن المبارك (٢٤٥).

(٤) التذكرة (٢/ ٣٠٥).

رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] ثُمَّ قال: اللهم إلا أن يكون ذلك من باب حكاية المعنى جمعًا للقولين فليتأمل.

والمراد بالملك في قوله: «بذراع الملك»: ملك من ملوك اليمن له ذراع معروف المقدار وقيل: ملك بالعجم ذكر ذلك الحافظ المنذري، والله تعالى أعلم.

الفصل الثالث
في ٱحتجاج الجنَّة والنَّار

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ أنه قال: «**احتجت النَّار والجنَّة فقالت هٰذه: يدخلني الجبارون، والمتكبرون. وقالت هٰذه: يدخلني الضعفاء، والمساكين. فقال الله عز وجل لهٰذه: أنت عذابي أعذب بك من أشاء. وقال لهٰذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها**»[1].

---

(١) رواه البخاري (٤٨٥٠) في التفسير، باب: قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ و(٧٤٤٩) في التوحيد، باب: ما جاء في قوله الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.
ومسلم (٢٨٤٦) في صفة الجنة ونعيمها، باب: النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء.

الفصل الرابع
في امتناع النوم على أهل الجنَّةِ

روى ابن مردويه عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**النوم أخو الموت، وأهل الجنَّةِ لا ينامون**»[١]. وأخرج الطبراني عنه سُئِل نبي الله ﷺ: أينام أهل الجنة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون**»[٢].

(١) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» ص٥٣٦، انظر ما بعده.
(٢) انظر «الأوسط» ١/ ٢٨٢ (٩١٩). أبو نعيم في الحلية (٧/ ٩٠) وقال الهيثمي في المجمع رواه الطبراني في الأوسط والبزار ورجال البزار رجال الصحيح.

الفصل الخامس
في ٱرتقاء العبدِ وهو في الجنَّة من درجة إلى درجة أعلى منها

أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنَّة فيقول: يا رب أنى لي هٰذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك**»[١].

---

(١) رواه الإمام أحمد ٢/ ٥٠٩، ابن ماجه (٢/ ١٢٠٧)، البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٧٨).

الفصل السادس

في إلحاق ذرية العبد المؤمن به في الدرجة وإن لم يعملوا عمله

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ [الطور: ٢١]

وقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله ليرفع ذرية المؤمنِ /٦٩٨/ إليه في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقربهم عينه**» ثُمَّ قرأ الآية. قال: «**وما أنقصنا الآباء بما أعطينا البنين**» ذكره في «حادي الأرواح»[(١)] وأخرج ابن مردويه في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال شريك أظنه حكاه عن النَّبيّ ﷺ: «**إذا دخل الرجل الجنَّة سأل عن أبويه، وزوجته، وولده فيقال: إنهم لم يبلغوا درجتك، أو عملك فيقول: يا رب قد عملت لي ولهم فيؤمر بالإلحاق بهم**»[(٢)] ثُمَّ تلا ابن عباس: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾ [الطور: ٢٤] الآية.

---

(١) «حادي الأرواح» ص٥٣٧. والحديث أخرجه البزار كما في «الكشف» (٢٢٦٠)، وابن مردويه كما في «تخريج الكشاف» (٣/ ٣٧٢) وقال في «مجمع الزوائد» (٤/ ١١٤) فيه قيس بن الربيع، وثقه شعبة والثوري وفيه ضعف. انظر «الدر المنثور» في تفسير هٰذه الآية.

(٢) انظر الطبراني «الكبير» (١٢٢٤٨)، وذكره في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٤)، وقال فيه: محمد بن عبد الرحمن بن غزوان، وهو ضعيف.

واختلف العلماء: ما المراد بالذرية؟ فقالت طائفة: المعنى: والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان فأتوا بمثل ما أتوا به من الإيمان فألحقناهم بهم في الدرجات فالمراد بالذرية: الكبار، وقد أطلق الله الذريةعليهم في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ﴾ [الأنعام: ٨٤]. وفي قوله ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ٣] ويدل عليه قول ابن عباس[(١)] يرفعه: «**إن الله يرفع ذرية المؤمن إلى درجته وإن كان دونه في العمل لتقر بهم عينه**». فهٰذا يدل على أنهم كبار لأنهم من أهل العمل كما نطق به الحديث.

وقالت طائفة أخرى: المراد بالذرية هنا: الصغار، والمعنى الذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمان الآباء، والذرية تبع الآباء وإن كانوا صغارًا في الإيمان وأحكامه من الميراث، والدية والدفن وغير ذٰلك فعلى هٰذا قوله: ﴿بِإِيمَـٰنٍ﴾ في موضع نصب على الحال من المفعولين أي وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان الآباء، ويدل على هٰذا أن التابعين لهم حكم أنفسهم في الثواب، والعقاب ولو كان المراد بالذرية البالغين لكان أولاد الصحابة البالغون كلهم في درجة آبائهم، ويكون أولادهم كذٰلك، وكذا أولاد أولادهم، وهلم جرا إلى ما لا نهاية فيلزم أن يكون جميع الناس في درجة واحدة، ولا قائل به.

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» ١١/ ٤٨٨ (٣٢٣٤٠)، وهناد في «الزهد» (١٧٩). الحاكم (٢/ ٤٦٨) البيهقي (١٠/ ٢٦٨).

وقالت طائفة منهم الواحدي: الوجه أن تحمل الذرية على الصغار، والكبار، لأنَّ الكبير يتبع الأب بإيمان نفسه، والصغير يتبع الأب بإيمان الأب: وهٰذا هو الصحيح الذي لا شك فيه لئلا يلزم ٱستواء المتأخرين والسابقين في الدرجات والقرآن ناص على خلافه ولا يلزم مثل /٦٩٩/ ذٰلك في الصغار، لأنَّ كلّ رجل وذريته من الأطفال معه في درجته ولا يذهب عليك أن لا طفل في الجنَّة من أبناء المؤمنين كما أسلفنا الكلام عليه فالمراد أنَّ من مات من أولاد المؤمنين وإن دخلوا الجنَّة أبناء ثلاث وثلاثين سنة فإنهم يكونون في درجة الآباء ملحقين بهم؛ لأنهم لم يعملوا في دار العمل هٰذا الذي يظهر لي على الصحيح. والله أعلم

الفصل السابع

في مسألة عظيمة، ونكتة جسيمة، وهي: أنَّ رجلاً من أهل العلم قدم على الشام حرسها الملك السلام فأظهر أن الله سبحانه لا يعلم عدد نعيم الجنَّة فخالفه جل أهل العلم بل كلهم إلا من شاء الله ثُمَّ بعد أيام ٱجتمعت به وعنده جماعة من الفضلاء فسألني بعضهم وقال: ما تقول في هٰذه المسألة؟ فقلت: قد علم بالضرورة أنَّ علم الله يتعلق بالواجب، والجائز، والمستحيل من حيث هو هو على ما يكون وقد علمنا أنَّ نعيم الجنَّة لا نهاية له فلو أنَّ الله علمَ عددَه لكان له نهاية؛ لأن علم الله إنَّما يتعلق بالشيء على ما هو عليه ولو كان له نهاية لكان ينفد ضرورة لكن أقول قد علم الله أن لا نهاية لنعيم الجنَّة ولا أقول أن الله لا يعلم عدد نعيم الجنَّة هٰذا جوابي لمن سألني. ثُمَّ رأيت سنة أربعين ومائة وألف في آخر كتاب العلامة الشيخ مرعي (توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين) مانصه: قال النسفى في «بحر الكلام»: سأل قوم: هل يعلم الله عددَ أنفاس أهل الجنَّةِ والنار أم لا؟ فإن قلتم: لا. فقد وصفتم الله بالجهل تعالى الله عنه، وإن قلتم: نعم. لزم أنَّ أهل الجنَّةِ والنار يفنون. قال: والجواب أن نقول: إن الله يعلم أنَّ أنفاس أهل الجنَّةِ والنار ليست بمعدودة ولا تنقطع. فإن قيل: إن قلتم بأنَّهم لا يفنون فقد سويتم بينهم وبين الله: قلنا: لا؛ لأنَّ الله تعالى قديم بلا ٱبتداء آخر بلا ٱنتهاء، وأهل الجنَّةِ محدثون وإنَّما يبقون

ولا يفنون بإبقاء الله تعالى إياهم. والله تعالى باق بنفسه فلا يكون تسوية بين الخالق والمخلوق. أنتهى. فنسأل الله أن يرزقنا علم الأشياء على ما هي عليه / ٧٠٠/ على الحقيقة بمنِّه وكرمه إنَّه على ذٰلك قدير وبالإجابة جدير[1].

---

(١) في حاشية ط وأعلم أن كل ذي فهم يقرن بين قولنا: الله يعلم أن لا شريك له، وبين قولنا الله لا يعلم له شريكاً، وكذا الله يعلم أن لا عدد لنعيم الجنة، والله لا يعلم عدد نعيم الجنة، فليتأمل ـ مؤلفه.
أقول: وبالله التوفيق ومنه أستمد العون والتسديد، هذه المسألة من زغل العلم ولم يتعبدنا الله عز وجل بذلك فالله عالم بكل شيء ومحيط به وهو على كل شيء قدير يعلم ما كان وما لم يكن لو كان كيف يكون.

الفصل الثامن

ترفع جميع العبادات في الجنَّة إلا عبادة الذكر فإنها دائمة، لا تبيد، ولا ترفع حتى في دار الجزاء

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أنَّ النَّبيّ ﷺ قال: «يأكل أهل الجنَّةِ فيها، ويشربون، ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، ولا يبولون، ويكون طعامهم أي: رجيع طعامهم. جشاء: هو صوت مع ريح يخرج عند الشبع ذٰلك جشاء ورشحا كرشح المسك، يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس»[1] وفي رواية: «التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس» بالتاء المثناة فوق أي: تسبيحهم، وتحميدهم، وتكبيرهم لا كلفة عليهم فيه بل يجري مع الأنفاس. واعلم أنَّ أعظم الذكر القرآن العظيم فإنَّ أهل الجنَّةِ يتنعمون به فيها وقد مرَّ في غيرِ حديث ذكر ذٰلك والله تعالى أعلم.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٣٥) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشيًا.

الباب الخامس عشر
فيمن يستحق لهٰذه الدار من الملل والأنفار

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣٠].

إلى غير ذٰلك من الآيات القرآنية والكلمات الربانية ومدارها على ثلاثة قواعد إيمان، وتقوى، وعمل خالص لله على موافقة السُّنة الغراء. فأهل هٰذه الثلاثة أصول هم أهل البشرى دون من سواهم من سائر الخلق لفًّا ونشرا وعليها دارت بشارات القرآن، وسنة سيد ولد عدنان وهي تجتمع في رجلين إخلاص في طاعة الله، وإحسان إلى خلقه. وضدها تجتمع في الذين يراءون، ويمنعون الماعون ويرجع ذٰلك إلى خصلة واحدة وهي موافقة الرب تعالى في محابه ولا طريق لذٰلك إلا بتحقيق القدوة ظاهرًا وباطنًا برسول الله صلى الله / ٧٠١/ عليه وسلم

ولا تتحقق القدوة به ﷺ إلا باتباع ما جاء به من الآيات الصريحة، والأخبار الصحيحة أمرًا، ونهيًا، وإثباتًا، ونفيًا قولاً، وعملاً، وتقريرًا، وصفة وأمَّا الأعمال التي هي تفاصيل هٰذا الأصل فهي بضع وسبعون شعبة أعلاها: قول: لا إلٰه إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، وبينها سائر الشعب التي مدارها على تصديق الرسول ﷺ في كلّ ما أخبر به، وطاعته في جميع ما أمر به إيجابًا، واستحبابًا كالإيمان بأسماء الرب، وصفاته، وأفعاله من غير تحريفٍ، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل بل هو كما وصف به نفسه، وفوق ما وصفه به خلقه.

وها نحن نملي عليك جملة ٱعتقادنا موافقة لإمام السُّنة، وحليلها[1]، وصاحبها، وخليلها الإمام المبجل سيدنا الإمام أحمد بن محمد بن حنبل طيب الله ثراه لا تقليدًا له في ذٰلك إذ لا يجوز التقليد في العقائد وهل يجزئ أم لا؟ الحق يجزئ خلافًا لقوم قال في «شرح مختصر التحرير»: ويحرم التقليد في معرفة الله سبحانه، وفي التوحيد، والرسالة عند الإمام أحمد، والأكثر. وذكره الإمام أبو الخطاب من أجلاء أصحابنا عن عامة العلماء وذكره غيره أنه قول الجمهور. وكذا لا يجوز في الأركان الخمس ونحوها مما ثبت بالتواتر.

وقال في «جمع الجوامع» ٱختلف في التقليد في أصول الدين: قال شارحه الجلال المحلي: فقال كثيرون، ورجحه الإمام الرازي،

(١) في (ب): جليلها.

والأسعدي[١]: لا يجوز بل يجب النظر؛ لأنَّ المطلوب فيه اليقين. ثُمَّ قال: وقيل النظر فيه حرام؛ لأنه مظنة الوقوع في الشبه، والضلال. ثُمَّ قال: وعن الأشعري: لا يصح إيمان المقلد. قال الشارح وشنع أقوام عليه بأنه يلزمه تكفير العوام وهم غالب المؤمنين. ثُمَّ دفع التشنيع بأنه إن كان القليد أخذًا لقول الغير بغير حجة مع ٱحتمال شك أو وهم بأنْ لا يجزم به فلا يكفي إيمان المقلد قطعًا، وإن كان التقليد أخذًا لقول الغير بغير حجة لكن جزمًا فيكفي إيمان المقلد عند الأشعري خلافًا لأبي هاشم من المعتزلة. وقال شارح المنتهى: ٱنعقدَ الإجماعُ على وجوب معرفة الله ولا تحصل بتقليد لجواز كذب المخبر.

قلت: /٧٠٢/ والصحيح المعتمد: أنه لا يجوز التقليد في أصول الدين لكن يجزئ حيث جزم بكلام من قلده وكان يصلح للتقليد جزمًا لا يتطرق إليه شك، ولا وهم، أو[٢] تردد كما أخبرنا أستاذنا الشيخ حسن المصري قال: كان يحضرني رجل نجدي فكنا إذا تذاكرنا في أصول الدين يقول ذٰلك الرجل: قال لي أستاذنا الشيخ أبو المواهب: كذا. فيأتي بأدلة، وكلام المحققين فلا يلتفت إليه ويقول: كذا أخبرني أستاذي ولا أرجع عن ما أخبرني به أبدًا. فهٰذا جزم بما أخبره به أستاذه جزمًا لا يتطرق إليه أدنى وهم وعلى كلّ حالٍ النظر، والاستدلال واجب على فحول الرِّجال قال الله سبحانه: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ [يونس: ١٠١] وفي صحيح ابن حبان لمَّا نزل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) في (ب): الأسدي. (٢) في (ب): و.

وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ الآيات [آل عمران: ١٩٠ ـ ٢٠٠].
قال ﷺ: «ويل لمن قرأهن، ولم يتدبرهن ويل له ويل له»(١).

فالذي ندين الله به موافقة لأصحاب الحديث وماذهبوا إليه في القديم والحديث الإقرار بالله سبحانه وتعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن المعصوم ﷺ لا نرد من ذٰلك شيئًا ولا نئوِّل إلا ما أوله أصحابه ﷺ وسلف الأمة من علماء الآثار، وأن الله سبحانه إلٰه واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبه ولا ولدا، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، وأنَّ الجنة حق، والنار حق، ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾، وأنَّ جميع ما ورد من آيات الصفات سواء أكانت صفات ذات، أو صفات فعل نؤمن بها، ونمرها كما جاءت، ونعتقد ذٰلك مع جزمنا بعدم التشبيه والتمثيل، وأن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وأنا لا ندرك كنه حقيقة(٢) ذات الله تعالى، وأنه لا يعلم ذٰلك إلا هو، وأن جميع الرسل حق جاءوا بالحق، وأنهم بلَّغوا ما أمروا بتبليغه، وأنهم معصومون من جميع الرذائل صلوات الله عليهم فنؤمن بجميع ما أخبر سبحانه لا كما يخطر في أوهام البشر:

سائلي عن عقيدتي أحسن الله ظنه علـم الله أنها شـهـد الـلـه أنّـه/ ٧٠٣/

---

(١) ابن حبان (٦٢٠)، وعبد بن حميد كما في تفسير ابن كثير (٢/ ١٦٤) وتخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٦٠، ٢٦١)، وابن أبي الدنيا كما في تفسير ابن كثير (٢/ ١٦٥).

(٢) ساقطة من (ب).

هٰذا اعتقادي ما حييت وإن أمت ... فوصيتي ذاكم إلى إخواني
لا أنثني عن ذا ولا أبغي الهدي ... في غير لا والذي هداني
يا مبتغي طرق السلامة إنني ... بينتها بالنّص خيرَ بياني
فاطرح كلام مشبه ومعطل ... وانحو كلام مسلمٍ رباني
جاس الشريعة فاقتفي سنن الهدى ... وأتى مقالة أحمد الشيباني
فعليه من ربّ العباد تحية ... ما ناح مشتاق إلى الأوطان
ثمَّ الصلاة على النَّبيّ وآله ... ما صاح شحرور على الأغصانِ

فنسأل الله بكتبه المنزلة، ورسله المرسلة، أن يتوفانا على الكتاب والسنة لا مغيرين ولا مبدلين بجاه سيد العالم، وخير بني آدم محمد ﷺ[1]: شِعر لمؤلفه

لكلِّ امرء عند الإله وسيلة ... تنجيه في يوم الجزاء من عذابه
ومالي سوى ذلّي وفقري وفاقتي ... وحسن رجائي وانكساري ببابه
عسى خالقي يمحو ذنوبي بمنه ... ويقبضني متمسكًا بكتابهِ

(١) ومن التوسل الذي ليس بصحيح: أن يتوسل الإنسان بجاه النبي ﷺ، وذلك أن جاه الرسول ﷺ، ليس مفيدًا بالنسبة إلى الداعي، لأنه لا يفيد إلا الرسول ﷺ، أما بالنسبة للداعي فليس بمفيد حتى يتوسل إلى الله به. والتوسل: اتخاذ الوسيلة الصالحة التي تثمر. فما فائدتك أنت من كون الرسول ﷺ، له جاه عند الله؟! وإذا أردت أن تتوسل إلى الله على وجه صحيح فقل اللهم بإيماني بك وبرسولك، أو بمحبتي لرسولك وما أشبه ذلك فإن هذه الوسيلة الصحيح النافعة. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ فقرن الوسيلة بتقواه فإذا كانت التقوى خالصة لله فلا بد أن تكون الوسيلة على مراد الله.

تتمة

أول دعاء أهل الجنَّةِ التسبيح، وآخر دعواهم التحميد كما قال سبحانه: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا﴾ أي: في الجنَّة .﴿سُبْحَٰنَكَ﴾. سئل رسول الله ﷺ عن ﴿سُبْحَٰنَ﴾ فقال: «تنزيه الله عن السوء»[1]. وسُئل علي عنها فقال: كلمة رضيها الله لنفسه. وقوله: ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ أي: ياالله فالميم عوض عن حرف النداء ومن ثَمَّ لا يجمع بينهما إلا ضرورة. ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ﴾ يعني أهل الجنَّة .﴿فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. قال ابن جريج: أخبرت أنَّ قوله: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ إذا مَّر بهم الطير يشتهونه قالوا: سبحانك اللهم. وذٰلك دعواهم يعني مسألتهم فيأتيهم الملك بما اشتهوا فيسلم عليهم فيردون عليه فذٰلك قوله: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ﴾. فإذا أكلوا أحمدوا الله ربهم فذٰلك قوله: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2] [يونس: ١٠].

والحاصل أن أول دعاء أهل الجنَّةِ في كلّ شيء التسبيح، وآخره التحميد إشعارًا بأن لا تكليف عليهم وإنَّما يلهمون ذٰلك إلهامًا كالنفس من غير كلفة والله تعالى أعلم.

---

(١) الطبري (٦/ ٥٣٥)

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» برقم (١٧٥٧١، ١٧٥٦٨، ١٧٥٦٣).

الكتاب الخامس
في ذكر النار وصفاتها وشدة عذابها أعاذنا الله تعالى منها بمنه وكرمه/ ٧٠٤/ .

قد مر أنها مخلوقة الآن كالجنَّة خلافًا لأهل الضلال، والبدع، والاعتزال ولنذكر الكلام عليها في عشرة أبواب وخاتمة.



الباب الأول
في ذكر الإنذار والتحذير من النَّار، والخوف منها، وأحوال الخائفين من تلك الدار

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾. الآية [التحريم: ٦].

وقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]. وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [آل عمران: ١٣١]. وقال: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الليل: ١٤].

وقال: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٦].

وقال: ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ [المدثر: ٣١-٣٧].

قال الحافظ ابن رجب في كتابه: «**التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار**» عن الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾﴾ [المدثر: ٣٦] قال: والله ما أنذر الله العباد شيئًا قط أدهى منها. وقال قتادة في قوله: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾﴾ [المدثر: ٣٥] يعني: النار[1].

(١) انظر ص١٤ .

وأخرج الإمام أحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول: «**أنذرتكم النار أنذرتكم النار**» حتى لو أن رجلاً كان بالسوق لسمعه من مقامي هٰذا وفي لفظ حتى لو أن رجلاً في أقصى السوق لسمعه وسمع أهل السوق صوته وهو على المنبر(١).

وفي الصحيحين عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا النار**». قال، وأشاح، ثُمَّ قال: «**اتقوا النار**» ثُمَّ أعرض، وأشاح ثلاثًا حتى ظننا أنه ينظر إليها، ثُمَّ قال: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة**»(٢).

وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل اَستوقد نارًا فجعلت الدواب والفراش يقعن فيها فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيها**» وفي رواية لمسلم: «**مثلي كمثل رجل اَستوقد نارًا فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش، وهٰذه الدواب التي في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن فيقتحمن فيها**» قال: «**فذلكم مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار هلم عن النار فتغلبوني، وتقتحمون / ٧٠٥/ فيها**»(٣).

---

(١) رواه أحمد ٤/٢٦٨، ٢٧٢.

(٢) رواه البخاري (٦٠٢٣) في الأدب، باب: طيب الكلام، و(٣٥٩٥) في المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، ومسلم (١٠١٦) في الزكاة، باب: الحث على الصدقة.

(٣) رواه البخاري (٦٤٨٣) في الرقاق، باب: الانتهاء عن المعاصي. ومسلم (٢٢٨٤) في الفضائل، باب: شفقته ﷺ على أمته.

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا فجعل الجنادب، والفراش يقعن فيها وهو يدعهن عنها وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي**»[١] دواب مثل البعوض واحدتها فراشة وهي التي تطير، وتتهافت في السراج بسبب ضعف أبصارها فهي لضعف بصرها تطلب ضوءَ النَّار فإذا رأت المسكينة السراج في الليل ظنت أنها في بيت مظلم، وأن السراج كوة في البيت المظلم فتقصد الموضع المضيء ولا تزال تطلب الضوء، وترمي نفسها إلى الكوة فإذا جاوزتها، ورأت الظلام ظنت أنها لم تصب الكوة ولم تقصدها على السداد فتعود إليها مرة أخرى حتى تحترق.

قال الإمام الغزالي: ولعلك تظن أن هٰذا لنقصان عقلها، وكثرة جهلها فاعلم أنَّ جهل الإنسان أعظم من جهلها بل صورة الإنسان في الإكباب على الشهوات كالتهافت على النَّار فلا يزال يرمي نفسه فيها إلى أن ينغمس فيها، ويهلك هلاكًا مؤبدًا فليت جهل الآدمي كان كجهل الفراش فإن باغترارها بظاهر الضوء إن ٱحترقت تخلصت في الحال والآدمي يبقى في النار أبد الآباد، أو مدة مديدة. ٱنتهى.

والجنادب: ضرب من الجراد واحدها جندب مثلث الدال قال سيبويه: النون فيه زائدة. وقيل: هو ذكر الجراد. والصحيح أنَّ الجندب غير الجراد كما هو معروف. والله تعالى أعلم.

---

(١) رواه مسلم (٢٢٨٥) في الفضائل، باب: شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه لمَّا نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤] دعا رسول الله ﷺ قريشًا فاجتمعوا فعم وخص فقال: «**يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النَّار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النَّار يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النَّار فإني لا أملك لكم من الله شيئًا**»[(١)].

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيّ صلى الله عليه /٧٠٦/ وسلم أنه قال: «**ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنَّة نام طالبها**»[(٢)] وفيه يحيى ضعفوه. ورواه ابن مردويه بسندٍ أجود من سند الترمذي، وخرجه الترمذي أيضًا بإسناد نظروا فيه عن أنس رضي الله عنه[(٣)]، وابن عدي بإسناد ضعيف عن عمر[(٤)] رضي الله عنه ذكره الحافظ ابن رجب. وذكر عن يوسف بن عطية عن المعلّى بن زياد: كان هرم بن حيان يخرج في بعض الليل فينادي بأعلى صوته: عجبت

---

(١) رواه مسلم (٢٠٤) في الإيمان، باب: قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾.

(٢) رواه الترمذي (٢٦٠١) في صفة جهنم.

(٣) الطبراني في «الأوسط» كما في «مجمع الزائد» (١٠/ ٢٣٣، ٤١٥)، قال الهيثمي: إسناده حسن وقال فيه محمد بن مصعب الفرقاني وهو ضعيف بغير كذب.

(٤) أخرجه السهمي في «تاريخ جرجان» (٢-٣٠٣).

من الجنَّة كيف ينام طالبها، وعجبت من النار كيف ينام هاربها، ثُمَّ يقول: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾﴾[1] [الأعراف: ٩٧] الآية.

وخرج الإمام أحمد في: «الزهد»[2] عن أبي الجوزاء أنه قال: (لو وليت من أمر الناس شيئًا ٱتخذت منارًا (أي: بفتح الميم: مكانًا مرتفعًا) على الطريق، وأقمت عليها رجالاً ينادون الناس النَّار النَّار.

وأخرج ولدُه في: «**زوائد الزهد**»[3] عن ابن دينار أنه قال: لو وجدت أعوانًا لفرقتهم ينادون في منار الدُّنيا كلها: يا أيها الناس النَّار النَّار. وفي لفظ لو وجدت أعوانًا لناديت في منار البصرة (أي: بفتح الموحدة وكسرها) بالليل: النَّار النَّار النَّار.

فصل

وأمَّا الخوف من النَّار فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ [المعارج: ٢٧، ٢٨].

وقال: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤]

---

(١) انظر «التخويف من النار» ص١٨ .

(٢) «حلية الأولياء» (٢/ ١١٩). (٣) «حلية الأولياء» (٢/ ٣٧١).

وقال: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ۝﴾ [الطور: ٢٥، ٢٧].

قال إبراهيم التيمي رحمه الله: ينبغي لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار؛ لأنَّ أهل الجنَّةِ قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤] أي: فإنه يدل على أنهم كانوا متلبسين به في حال الدُّنيا؛ لأن قولهم: ﴿أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ يقتضي أنهم كانوا محزونين، ومتصفين به فعوضهم الله فرحًا دائمًا، وسرورًا لا انقضاء له. قال: وينبغي لمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنَّة؛ لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾[1] وكان رسول الله ﷺ كثيرًا /٧٠٧/ ما يستعيذ من النار، ويأمر بذلك في الصلوات، وغيرها والأحاديث في ذلك أكثر من أن تستقصى. قال أنس رضي الله عنه: كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١] أخرجه البخاري[2].

وأخرج النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النَّبيّ ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من حرّ جهنم**»[3].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٤/ ٢١٥، والبيهقي في «شعب الإيمان» ١/ ٥١٧

(٢) رواه البخاري (٦٣٨٩) في الدعوات، باب: قول النبي ﷺ «ربنا آتنا في الدنيا حسنة».

(٣) رواه النسائي (٥٥٢٠) في الاستعاذة، باب: الاستعاذة من حر النار.

وأخرج أبو داود وابن ماجه عن جابر رضي الله عنه: أنَّ النَّبيّ ﷺ قال لرجل: «**كيف تقول في الصلاة؟** » قال: أتشهد، ثُمَّ أقول اللهم إني أسالك الجنَّة وأعوذ بك من النار أمَّا إني لا أحسن دندنتك، ولا دندنة معاذ فقال النَّبيّ ﷺ: «**حولها ندندن**»[١] وأخرجه البزار بلفظ: «**وهل أدندن**[٢] **أنا ومعاذ إلا لندخل الجنَّة، ونعاذ من النَّار؟!**»

قال الحافظ في «التخويف»: روينا عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النَّبيّ ﷺ قال: «**إنما يدخل الجنَّة من يرجوها، ويجنب من النار من يخافها، وإنَّما يرحم الله من يرحم**»[٣] وخرجه أبو نعيم[٤] وعنده: «**وإنمايرحم الله من عبادهِ الرحماء**»[٥] وقال: غريب: قال الحافظ: ورواه ابن عجلان عن زيد مرسلاً قال: والمرسل أشبه[٦]. وقال الإمام عمر رضي الله عنه: لو نادى منادٍ من السماء: أيها الناس إنكم داخلون الجنَّة كلكم إلا رجلاً واحدًا لخفت أن أكون أنا هو. خرجه أبو نعيم[٧].

(١) رواه أبو داود (٧٩٣) في الصلاة، باب: في تخفيف الصلاة.
وابن ماجه (٩١٠) في إقامة الصلاة باب: ما يقال بعد التشهد والصلاة على النبي ﷺ (٣٨٤٧) في الدعاء، باب: الجوامع من الدعاء عن أبي هريرة.
(٢) في (أ): أندندن وما أثبت من (ب).
(٣) انظر الحافظ في «التخويف» ص٢١ .
(٤) أبو نعيم في «الحلية» ٣/ ٢٢٥ .
(٥) أخرجه في «الحلية» ٣/ ٢٢٥ . وهو في «الصحيحين» في «البخاري» (١٢٨٤)، و«مسلم» (٩٢٣).
(٦) «الحلية» ٣/ ٢٢٥ .
(٧) «الحلية» ١/ ٥٣ .

وخرج الإمام أحمد[١] عن عثمان رضي الله عنه أنه قال: لو أني بين الجنَّة والنَّار ولا أدري إلي أيتهما يذهب بي لاخترت أن أكون رمادًا قبل: إن أعلم إلي أيتهما أصير.

وأعلم أنَّ الخوف من عذاب جهنَّم لا يخرج عنه أحد من الخلق، وقد توعد الله سبحانه خاصته[٢] على المعصية قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ [الإسراء: ٣٩]. وقال في حق الملائكة: ﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء: ٢٩].

وثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ في حديث الشفاعة قال: «**فيأتون آدمَ فيقول آدم: إنَّ ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضبَ /٧٠٨/ بعده مثله، وإنَّه أمرني بأمرِ فعصيته فأخافُ أن يطرحني في النَّار أنطلقوا إلى غيري نفسي نفسي**» وذكر في نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى مثل ذٰلك كلهم يقول: «**إني أخاف أن يطرحني في النَّار**» خرجه ابن أبي الدُّنيا، وخرجه مسلم بنحوه، وكذلك البخاري[٣]. قال الحافظ ابن رجب ولم يزل الأنبياء

---

(١) «حلية الأولياء» (١/ ٦٠). (٢) زيادة من (ب).

(٣) رواه البخاري (٣٣٤٠) في أحاديث الأنبياء، باب: قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾، (٤٧١٢) في التفسير، باب: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾.

عليهم السلام، والصديقون، والشهداء، والصالحون يخافون النار، ويخوفون منها فأمَّا ما يُذكر عن بعض العارفين من عدم خشية النَّار فالصحيح منه له وجه سنذكره إن شاء الله تعالى[١]. قال ابن المبارك عن وهب بن منبه: قال حكيم من الحكماء: إنِّي لأستحي من الله عز وجل أن أعبده رجاء ثواب الجنَّة (أي: فقط) فأكون كالأجير السوء إن أعطى عمل، وإن لم يعط لم يعمل، وإنِّي لأستحي من الله تعالى أن أعبده مخافة النَّار (أي: فقط) فأكون كالعبد السوء إن رهب عمل، وإن لم يرهب لم يعمل، وإنه يستخرج حبه مني ما لا يستخرجه مني غيره. خرجه أبو نعيم[٢].

وفيه تفسير لهٰذا الكلام من بعض رواته وهو أنَّه ذم العبادة على وجه الرجاء وحده أو على وجه الخوف وحده هٰذا حق. وكان بعض السلف يقول: من عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجي، ومن عبده بالخوف وحده فهوحروري، ومن عبد الله تعالى بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله تعالى بالخوف، والرجاء، والمحبة فهو موحد مؤمن وسبب هٰذا أنه يجب على المؤمن أن يعبد الله بهٰذه الثلاثة فلابد له من جمعها ومن أخلّ ببعضها فقد أخلَّ ببعض واجبات الإيمان وكلام هٰذا الحكيم يدلّ على أنَّ الحب ينبغي أن يكون أغلب من الخوف والرجاء كذا قال الحافظ رحمه الله، وقد قال الفضيل بن عياض رحمه

---

(١) انظر «التخويف من النار» ص٢١ - ٢٢ .

(٢) انظر «الحلية» ٤/ ٥٣ .

الله تعالى: المحبة أفضل من الخوف. ثُمَّ ٱستشهد بكلام هٰذا الحكيم.
وقال يحيى بن معاذ: حسبك من الخوف ما يمنع من الذّنوب، ولا حسب من الحب أبدًا.

فأمَّا الخوف، والرجاء فأكثر السلف على أنَّهما يستويان لا يرجح أحدهما على الآخر قاله الإمام أحمد، والحسن، ومطرف، وغيرهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحَه: يكونان كجناحي الطير فأيهما غلب /٧٠٩/ صاحبه وقع، أو هلك. ومنهم من رجح الخوفَ على الرجاء وهو محكي عن الفضيل، وأبي سليمان. وعلى القول بتسويتهما وهو المعتمد جاء عن حذيفة المرعشي رحمه الله تعالى: إنَّ عبدًا يعمل على خوفٍ لعبدُ سوء، وإنَّ عبدًا يعمل على رجاء لعبد سوء كلاهما عندي سواء.

قال الحافظ: مراده إذا عمل على إفرادِ أحدهما عن الآخر.

وقال بعضهم: لا تكونوا كالعاملِ يقال له: تعمل كذا وكذا. فيقول: نعم إنْ أحسنتم لي من الأجر ومراده من لا يلحظ في العمل إلا الأجر.

قال الحافظ: وهٰؤلاء العارفون لهم ملحظان: أحدهما: إن الله يستحق لذاته أن يُطاعَ، ويُحب، ويبتغى قربه، والوسيلة إليه مع قطعِ النَّظر عن كونه يثيب عباده، أو يعاقبهم كما قال القائل:

هب البعث لم تأتنا رسله   وجاحمة النار لم تضرم
أليس من الواجب المستحق   حياء العبادِ من المنعم

فقد أشار علي أن نعمه على عباده تستوجب شكره عليها، وحياءهم منه وهٰذا الذي أشار إليه النَّبيّ ﷺ لَمَّا قام حتَّى تورمت أقدامه، فقيل له أتفعل هٰذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فقال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»[١].

والملحظ الثاني: إنَّ أكمل الخوف، والرجاء متعلق بذات الحق سبحانه دون ما تعلق بالجنة والنار فأعلى الخوف: خوف البعد، والسُخط، والحجاب عنه، كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾[٢] [المطففين: ١٥ ـ ١٦] قدَّم عذاب الحجاب على عذاب صليهم النار، لأنه بالنسبة إليه كالعذاب. قال ذو النون رحمه الله: خوف النار عند خوف الفراق كقطرة في بحر

---

(١) رواه البخاري (٤٨٣٦) في التفسير، باب: ليغفر لك ربك ما تقدم من ذنبك وما تأخر.
ومسلم (٢٨١٩) في صفة الجنة والنار، باب: إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة.
والترمذي (٤١٢) في الصلاة، باب: ما جاء في الاجتهاد في الصلاة.
قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.
والنسائي ٣/ ٢١٩ في «المجتبى» في قيام الليل وتطوع النهار، باب: إحياء الليل.
وفي «الكبرى» (١٣٢٥) في قيام الليل وتطوع النهار، باب: ذكر صلاة رسول الله ﷺ بالليل واختلاف ألفاظ الناقلين لذلك.
وابن ماجه (١٤١٩) في إقامة الصلاة، باب: ما جاء في طول القيام في الصلاة.
وأحمد ٤/ ٢٥١.
وابن خزيمة (١١٨٣).

(٢) انظر «التخويف من النار» ص٢٤ .

لجي، كما أنَّ أعلى الرجاء ما تعلَّق بذاته سبحانه من رضاه، ورؤيته، ومشاهدته، وقربه ولكن قد يغلط بعض الناس في هذا فيظن أنَّ هذا كله ليس بداخل في مسمى نعيم الجنَّة، ولا في مسمى الجنَّة إذا أطلقت ولا في مسمى عذاب النار إذا أطلقت وليس الأمر كذلك. قال الإمام المحقق في كتابه: «**شرح منازل السائرين**»(١) بعد قول شيخ الإسلام صاحب المنازل / ٧١٠/ في منزلة تعظيم حرمات الله تعالى: الدرجة الأولى: تعظيم الأمر، والنهي لا خوفًا من العقوبة فيكون خصومة للنفس، ولا طلبًا للمثوبةِ فيكون مستشرفًا للآخرة، ولا شاهدًا لأحدٍ فيكون متزينًا بالمراءاة فإنَّ هذه الأوصاف كلها تبعث(٢) من عبادة النفس. فذكر الشارح كلام المعظم لهذا المقام، والطاعن في هذا الكلام بسياق حجج الفريقين، وما لهم من الأدلة، والبراهين، ثُمَّ قال: والتحقيق أن يُقال: الجنَّة ليست اسمًا لمجرد الأشجار، والفواكه، والثمار، والطعام، والشراب، والحور العين، والأنهار، والقصور، والولدان، ونحوها وأكثر النَّاس يغلطون في مسمَّى الجنَّة وإنَّ الجنَّة اسم لدارِ النَّعيمِ المطلق الكامل ومن أعظم نعيم الجنَّة التمتع بالنَّظر إلى وجه الرَّب، وسماعَ كلامه، وقرة العين بالقرب منه، ورضوانه فلا نسبة للذة ما فيها من المأكول، والمشروب، والملبوس، والصور إلى هذه اللذة أبدًا فأيسر يسير من رضوانه تعالى أكبر من الجنانِ وما فيها

---

(١) وأيضًا كتاب «الوابل الصيب» (٦-٧).

(٢) في (ب): تنبعث.

من ذلك كما قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] وأتى به منكرًا في سياق الإثبات أي: كلّ شيء كان من رضوانه عند عبده فهو أكبر من الجنَّة وما فيها كما قيل[١]:

قليل منك يقنعني ولٰكن ... قليلك لا يُقال له قليل

وفي الحديث الصحيح: «**فوالله ما أعطاهم شيئًا أحبّ إليهم من النَّظر إلى وجهه**»[٢] وفي الحديث الآخر: «**إنه سبحانه إذا تجلى لهم ورأوا وجهه عيانًا نسوا ما هم فيه من النعيم، وذهلوا عنه، ولم يلتفتوا إليه**»[٣].

ولا ريب أنَّ الأمر هكذا كما أشرنا إليه سابقًا وهوأجلّ ممَّا يخطر بالبال، ويدور في الخيال ولاسيما عند قول المحبين المرء مع من أحب فأيّ نعيم، وأي لذّة، وأي قرة عين، وأيّ فوز يداني نعيمَ تلك الرؤية، وتلك المعية، ولذتها، وقرة العين بها وهٰذا هو العلم الذي

---

(١) هذا البيت لأبي نصر أحمد الميكالي.

(٢) رواه مسلم (١٨١) في الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى. والترمذي (٢٥٥٢) في صفة الجنة، باب: ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى، وقال أبو عيسى: هذا حديث إنما أسنده حماد بن سلمة ورفعه. وابن ماجه (١٨٧) في المقدمة، باب: فيما أنكرت الجهمية. وأحمد ٤/ ٣٣٢. والطيالسي ٢/ ٢٥٢ (١٤١١). والطبراني في «الكبير» ٨/ ٣٩ (٧٣١٤). و«الأوسط» ١/ ٢٣٠ (٧٥٦).

(٣) رواه البخاري (٧٤٣٥) في التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾.

شمر إليه المحبون، واللواء الذي أمّه العارفون، وهو روح مسمى الجنَّة وحياتها، وبه طابت الجنَّة، وعليه قامت فكيف يقال لا يعبد الله طلبًا لجنته، ولا خوفًا من ناره وكذلك النَّار فإنَّ ما لا ربابها من عذاب الحجاب عن الله وإهانته، وغضبه، وسخطه، والبعد عنه أعظم من التهاب النَّار في أجسامهم، / ٧١١/ وأرواحهم بل التهاب هٰذه النَّار في قلوبهم هو الذي أوجبَ التهابها في أبدانهم ومنها سرت إليها فمطلوب الأنبياء، والمرسلين، والصديقين، والشهداء، والصالحين هو الجنَّة التي هي ما وصفنا وهربهم من النَّار التي هي ٱسم لغضب الله، والبعد عنه، وسخطه، ومقته، والحجاب عنه مع ما أعد الله سبحانه لأعدائه الذين ٱتصفوا بغضبه، وسخطه، والبعد عنه، ما أشبه ذٰلك من الحيات، والعقارب على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

ومقصد القوم أن العبد يعبد ربه حق العبودية والعبد إذا طلب من سيده أجرة على خدمته له كان أحمق ساقطًا من عين سيده إن لم يستوجب عقوبته إذ عبوديته تقتضي خدمته له. والنَّاس على أربعة أقسام: من لا يريد ربه، ولا يريد ثوابه فهٰؤلاء أعداؤه حقًّا، وهم أهل العذاب الدائم وعدم إرادتهم لثوابه إمَّا لعدم تصديقهم به وإمَّا لإيثار العاجل عليه ولو كان فيه سخطه.

ومن يريده، ويريد ثوابه وهٰؤلاء خواص خلقه.

ومن يريد منه، ولا يريده فهو ناقص غاية النقص وهو حال الجاهل الغافل الذي يسمع أن ثمَّ جنة، ونارًا فليس في قلبه غير إرادة نعيم الجنَّة المخلوقة، وخوف النار المخلوقة ولا يخطر بباله سوى ذٰلك

البتة وهٰذا حال أكثر المتكلمين المنكرين رؤية رب العالمين فهم عبيد الآخرة المحضة حتى يزعم بعض هٰؤلاء أن إرادة الله محال قالوا: لأن الإرادة إنما تتعلق بالحادث فالقديم لا يراد فهٰؤلاء منكرون لإرادة الله غاية الإنكار وأعلى الإرادة عندهم إرادة الأكل، والشرب، والنكاح، واللباس في الجنَّة وتوابع ذٰلك وهٰؤلاء أكشف الناس حجابًا، وأغلظهم طباعًا، وأقساهم قلوبًا، وأبعدهم عن روح المحبة، والتأله، ونعيم الأرواح والقلوب وهم يطعنون على أصحاب المحبة، والشوق إلى الله تعالى وعندي أن هٰؤلاء محرومون فنسأل الله أن يرزقنا محبته، وقربه، ولذة النظر إليه، والتأله به، والتلذذ بحبه.

والقسم الرابع: محال وهو أن يريد الله، ولا يريد منه وهو الذي يزعم صوفية زماننا، وذووهم /٧١٢/ أنه مطلوبهم، ويزعمون أنَّ من لم يصل إلى هٰذا المقام ففي سيره علة، وأن العارف ينتهي إلى هٰذا المقام بأن يريد الله، ولا يريد منه شيئًا كما يحكى عن سيدي أبي يزيد رضي الله عنه أنَّه قال: قيل لي: ما تريد؟ فقلت: أريدُ أن لا أريد.

قال الإمام المحقق ابن القيم: وهٰذا في التحقيق عين المحال الممتنع عقلاً، وفطرة، وحسًا، وشرعًا فإن الإرادة من لوازم الحي، وإنَّما يعرض له التجريد عنها بالغيبة عن حسه، وعقله كالسكر، والإغماء، والنوم ثُمَّ قال: ونحن لا ننكر التجريدَ عن إرادة ما سواه من المخلوقات التي تزاحم إرادتها إرادته أفليس صاحب هٰذا الحال مريدًا لقربِهِ، ورضاه، ودوام مراقبته، والحضور معه؟ وأي إرادة فوق هٰذه الإرادة.

نعم قد زهد في مراد المراد من هو أجلّ منه، وأعلى فما خرج عن الإرادة، وإنَّما ٱنتقل من إرادةٍ إلى إرادة، ومن مراد إلى مراد وأمَّا خلوه عن صفة الإرادة بالكلية مع حضورِ عقله، وحسه فمحال. ثُمَّ قال: وإن حاكمنا في ذٰلك محاكم إلى ذوق مصطلم مأخوذ عن نفسه قلنا له: هٰذه حالة عارضة غير دائمة، ولا هي غاية مطلوبة للسالكين، ولا مقدورة للبشر. ٱنتهى كلامه ملخصًا.

قلت: وفي قول سيدي أبي يزيد: (أريد أن لا أريد) إثبات لإرادةٍ ما فقد طلب أن يريد أن لا يريد فهو مستمر بإرادة أن لا يريد. فقد ثبت أنه مريد، فتأمّل لهٰذه الدقيقة التي هي عين الحقيقة. والذي يظهر من طلب عدم الإرادة يعني: أن لا يريد سوى المحبوب المطلق، ومحابه كما هو مصرح به في كلام فحولهم والله تعالى أعلم.

قال الحافظ ابن رجب: وهنا أمر آخر وهو أن في جهنم من أنواع العذاب المتعلق بالأمور المخلوقة لا يخافها العارفون كما أن ما أعده الله تعالى في الجنَّة من أنواع النعيم المتعلق بالأمور المخلوقة لا يحبه العارفون، ولا يطلبونه. قال: وهٰذا في نفس الأمر غلط والنصوص دالة على خلافه وهو مخالف لما جبل الله عليه الخلق من محبة الملائم، وكراهة المنافر وإنَّما صدر مثل هٰذا الكلام ممن صدر منه في حال سكره، واستغراقه فظن أنّ العبد لا يبقى له إرادة أصلاً فإذا رجع إليه عقله علم أنّ الأمر على خلاف ذٰلك.

ونحن /٧١٣/ نضرب لك مثلاً يتضح به هٰذا الأمر وهو أن أهل

الجنَّةِ إذا دخلوها، واستدعاهم الرب سبحانه إلى زيارته، ومشاهدته، ومحاضرته يوم المزيد فإنهم ينسون عند ذٰلك كلّ نعيم، ولا يلتفتون إلى شيء مما كانوا شاهدوا من نعيم الجنَّة حتى يحتجب عنهم فلو ذكروا في حال نظرهم إليه بشيء من النعيم لأعرضوا عنه، ولأخبروا أنَّهم لا يريدون في تلك الحال، وكذلك لو خوفوا بعذاب ونحوه لم يلتفتوا إليه وربما لم يستشعروا ألمه في تلك الحال وإنَّما يحذرون الحجاب عما هم فيه والبعد عنه[1] كما أشار من ٱستشعر ذٰلك إلى هٰذا المقام بقوله:

عذب بما شئت غير البعد عنك تجد   أوفى محب بما يرضيك مبتهج
وخذ بقية ما أبقيت من رمق   لا خير في الحب إن أبقى على المهج
وإن هددوا بالهجر ماتوا مخافة   وإن أوعدوا بالقتل حنوا إلى القتل

قال الحافظ: فإذا رجعوا إلى منازلهم رجعوا إلى ما كانوا عليه من التنعم بأنواع النعيم المخلوق لهم بل يُزاد نعيمهم بذٰلك مع شدة شوقهم إلى يوم المزيد ثانيًا.

فهكذا حال العارفين الصادقين في الدُّنيا إذا تجلى على قلوبهم أنوار الإحسان فاستولى عليها ولله المثل الأعلى. فإن هٰذا من شواهد ما يحصل لهم في الجنَّة يوم المزيد فهم لا يلتفتون في تلك الحال إلى غير ما هم فيه من الأنس بالله، والتنعم بقربه، وذكره، ومحبته حتى ينسوا ذكر نعيم الجنَّة، ويصغر عندهم بالنسبة إلى ما هم فيه فلا يخافون حينئذ إلا

(١) انظر «التخويف من النار» ص٢٥-٢٦ .

الحجاب، ولا يلذ لهم غير الخطاب وأيضًا فالعارفون قد يلاحظون من النار أنَّها ناشئة عن صفة أنتقام وغضب والأثر يدل على المؤثر فجهنم دليل على عظمته، وشدة بطشه فالخوف منها في الحقيقة خوف منه سبحانه فالخائف من النار خائف من المنتقم القهار فاجعل هٰذا البحث منزرعًا في صفحات قلبك، ونابتا في رياض لبك. والله تعالى أعلم[1].

واعلم أن الخوف واجب على كلّ مؤمن لقوله تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وهو واقع بأسباب فمنها: الخوف بسابق الذنب. ومنها: حذر التقصير في الواجبات ومنها: الخوف من السابقة أن تكون على مايكره ومنها: خوف الإجلال والتعظيم كما قال عز وجل: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ (٥٠)﴾ [النحل: ٥٠] / ٧١٤/. ومن تفكر فيما قضي عليه في السابق لم يزل منزعجًا خائفًا خوفًا لا يملك رده.

واعلم أن الخوف إذا أفرط قتل فالواجب منه ما يحمل على أداءِ الفرائض، واجتناب المحارم فإن زاد على ذٰلك بحيث صار باعثًا للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتبسط في فضول المباحات كان ذٰلك فضلاً محمودًا فإن زاد على ذٰلك بأن أورث، مرضاً، أو موتًا، أو همّا لازمًا بحيث يقطع

---

(١) انظر «التخويف من النار» ص٢٦ .

عن السعي في تسكب الفضائل المطلوبة، والفواضل المحبوبة لم يكن محمودًا ولهذا السلف كانوا يخافون على عطاء السلمي رحمه الله من شدة خوفه الذي أنساه القرآن، وصيره صاحب فراش وهٰذا لأنّ خوف العقاب ليس مقصودًا لذاته وإنَّما هو سوط يساق به المتواني عن الطاعة إليها. وذكر بعض المحققين أنَّ الخوف والرجاء كالحرارة والبرودة فمن غلب عليه أحدهما تداوى بالآخر حتى يرجع إلى حد الٱعتدال.

وقال الإمام ناصر السنة الحافظ ابن الجوزي قدس الله سره في «التبصرة»: المحمود من الخوف المتوسط وهو: الذي يقمع الشهوات، ويكدر اللذات، ويكف الجوارح عن المعاصي، ويلزمها الطاعة وقد ينحل البدن ويزيد به البكاء ولذلك قيل: ليس الخائف من بكى، وعصر عينيه إنَّما الخائف من ترك ما يقدر عليه ٱنتهى.

وفائدة الخوف التقوى، والورع، والاجتهاد في الطاعات فإذا أراد أن يخرج عن حد الٱعتدال أوقع في القنوط فبطلت فائدة الخوف، وصارت من البؤس والخوف ومن هنا كانت النار من جملة نعم الله على عباده الذين خافوه واتقوه ولهذا عَدَّها سبحانه من جملة الآية على الثقلين في سورة الرحمن. قال سفيان بن عيينة: خُلقت النار رحمة يُخوف الله بها عباده لينتهوا. رواه أبو نعيم[1] وقال الإمام العز بن عبد السلام رحمه الله: مرَّ بي في التلاوة تكرار قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا

---

(١) انظر «الحلية» ٧/ ٢٧٥ .

تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمن: ١٣] قال: فرأيت لذٰلك موقعًا عظيمًا في الآيات المتضمنة للنعم كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾﴾ [الرحمن ١، ٢] إلى آخره. ولم يظهر لي ذٰلك في آيات التخويف نحو: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرحمن: ٣١] ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾ [الرحمن: ٣٥] إذ ليس فيها ذكر شيء من الآلاء فطال بي الفكر في هٰذا فرأيت /٧١٥/ النَّبيّ ﷺ في النوم فسألته عن ذٰلك فقال: «**أما علمت أنَّ من حذر فقد بشر**» ٱنتهى.

قال الإمام المصطفى المحبي ومن خطه نقلت: «**والبشارة من جملة الآلاء**» ٱنتهى.

وقال الإمام البغوي[1] في قوله: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: ٤٣ ـ ٤٤] قد ٱنتهى حره. أي: يسعون بين الحميم وبين الجحيم .﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمن: ١٣]: فكل ما ذكر الله تعالى من قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمن: ٢٦] إلى هنا مواعظ، ومزاجر، وتخويف. وكل ذٰلك نعمة من الله تعالى؛ لأنها تزجر عن المعاصي ولذلك ختم بقوله: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾. ٱنتهى.

والمقصود من التخويف، والخوف طاعة الله، وفعل مراضيه، وترك مناهيه، ومكروهاته والخوف وسيلة ليس مقصودًا بالذات ولا

---

(١) «تفسير البغوي» ٧/ ٤٥٠، ٤٥١.

نكر أنَّ هيبة الله، وعظمته، وخشيته في الصدور، وإجلاله مقصود أيضًا ولكن القدر النافع من ذٰلك ما كان عونًا على التقرب إلى الله سبحانه بفعل ما يحبه، وترك ما يكرهه فمتى منع الخوف من ذٰلك ٱنعكس المقصود، وصار النفع غير موجودٍ نعم إنْ حصل عن غلبةٍ عُذِرَ صاحبه وقد كان في السلف من حصل له من ذٰلك أهوال شتى لغلبة حال شهادة قلوبهم النار وصفات الأنتقام والقهر فمنهم من كان يلازمه القلق، والبكاء وربما ٱضطرب وغشي عليه إذا سمع ذكر النار.

وقد روى أنَّه ﷺ سمع[1] قارئًا يقرأ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣﴾ [المزمل: ١٢ ـ ١٣] فصعق ﷺ وفي رواية: «**فبكى حتى غشي عليه**» لكنه مرسل ضعيف.

روى أنه لمَّا نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦] تلاها ﷺ ذات يوم على أصحابه فخر فتى مغشيًا عليه فوضع النَّبيّ ﷺ يده على فؤاده. وفي لفظ: بطنه فإذا هو يتحرك فقال ﷺ: «**يا فتى قل: لا إله إلا الله**». فقالها، فبشره بالجنَّة، فقال أصحابه: يا رسُولَ الله أمن بيننا؟ قال: «**أوما سمعتم قوله تعالى:** ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾» [إبراهيم: ١٤] رواه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما وصححه[2].

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يصلي وهو يتأمل ويتأوّه حتى لو

---

(١) البيهقي في «شعب الإيمان» ١/ ٥٢٢ (٩١٧) باب: الخوف من الله تعالى.

(٢) انظر «المستدرك» ٢/ ٣٥١ .

رآه ممن يجهله لقال: لقد /٧١٦/ أصيب الرجل وذلك لذكر النار إذا مر بقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ﴾ [الفرقان: ١٣]. أو نحو ذلك. أخرجه أبو عبيد.

وأخرج الإمام أحمد في «الزهد»[١] عن عبد الرحمن بن زيد بن جابر قال: قلت ليزيد بن مرثد ما لي أرى عينيك لا تجف؟ قال: وما مسألتك عنه؟ قلت: عسى الله أن ينفعني به. قال: يا أخي إن الله توعدني إنْ عصيته أن يسجنني في النار والله لو لم يتوعدني أن يسجنني إلا في الحمام لكنت حريًّا أن لا تجف لي عين. فقلت: فهكذا أنت في خلواتك؟ قال: ومسألتك؟ قال: عسى الله تعالى أن ينفعني به قال: والله إنَّ ذلك ليعرض لي حين أسكن إلى أهلي فيحول بيني وبين ما أريد وإنَّه ليوضع الطعام بين يدي فيعرض لي فيحول بيني وبين أكله حتى تبكي امرأتي، ويبكي صبياننا ما يدرون ما أبكانا ولربَّما أضجر ذلك امرأتي فتقول: يا ويحها ماذا خصت به من طول الحزن معك في الحياة الدُّنيا ما تقر لي معك عين.

وذكر الحافظ في «**التخويف**» عن بعض السلف أنه قال: ما رأيت أخوف من الحسن، وعمر بن عبد العزيز كأن النَّار لم تخلق إلا لهما وبكى الحسن فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أخاف أن يطرحني في النَّار غدًا ولا يبالي[٢]. وقال رحمه الله: إن المؤمنين قوم ذلك منهم الأسماع،

---

(١) الزهد (٣٨٢) أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٦٤) الشعب (٣/ ١٥٨) ٨٧٨ مع اختلاف في بعض الكلمات.

(٢) رواه الحافظ ابن رجب في «التخويف من النار» ص٢٩، ٣٠.

والأبصار، والأبدان حتى حسبهم الجاهل مرضى وهم والله أصحاء القلوب ألا تراه يقول: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]. والله لقد كابدوا في الدنيا حزنًا شديدًا وجرى عليهم ما جرى من كان قبلهم والله ما أبكاهم إلا الخوف من النار.

وأخرج ابن أبي الدُّنيا عن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال: سمعت عبد الله بن حنظلة يومًا وهو على فراشه وعدته من علّة فتلا رجل عنده هٰذه الآية: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١] فبكى حتى ظننتُ أنَّ نفسَه ستخرج، وقال: صاروا بين أطباقِ النارِ، ثم قامَ على رجليه فقال قائل: يا عبد الرحمن اقعد. قال: منع مني ذكر جهنم القعود لا أدري لعلي أحدهم. وسمع بعضهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزخرف: ٧٤] وكان على شاطئ الفرات فتمايل فلما قال التالي: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف: ٧٥] سقط /٧١٧/ في الماء فمات.

وأخرج ابن أبي الدُّنيا عن أبي بكر بن عياش قال: صليت خلف الفضيل بن عياض المغرب وإلى جانبي عليّ ابنه فقرأ الفضيل: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾﴾ [التكاثر: ١] فلما بلغ ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾﴾ [التكاثر: ٦] سقط عليٌّ مغشيًا عليه، وبقي الفضيل لا يقدر يجاوز الآية ثُمَّ صلى بنا صلاة خائف. قال: ثُمَّ رابطت عليًّا فما أفاق إلا في نصف الليل.

وروى أبو نعيم بإسناده عن الفضيل قال: أشرفت ليلة على عليّ

وهو في صحن الدار يقول: النار ومتى الخلاص من النَّار[١] وكان عليّ يومًا عند ابن عيينة فحدث ابن عيينة بحديث فيه ذكر النَّار وفي يد عليّ قرطاس في شيء مربوط فشهق شهقة ورمى بالقرطاس أو وقع من يده. فالتفت إليه سفيان وقال: لو علمت أنك ههنا ما حدثت به. فما أفاق إلا بعدما شاء الله.

وقال سرار أبو عبد الله عاتبت عطاء السلمي في كثرة بكائه فقال: ياسرار كيف تعاتبني في شيء ليس هو إليّ إنّي إذا ذكرت أهل النَّار وما ينزل بهم من عذاب الله عز وجل، وعقابه تمثلت لي نفسي بينهم فكيف لنفس تغل يدها إلى عنقها وتسحب إلى النار ألا تبكي، وتصيح؛ وكيف لنفس تعذب أن لا تبكي؟

وعوتب يزيد الرقاشي على كثرة بكائه وقيل: لو كانت النَّار خلقت لك ما زدت على هذا. قال: وهل خُلقت النَّار إلا لي، ولأصحابي، ولإخواننا من الجن؟! أما تقرأ: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝٣١﴾ [الرحمن: ٣١] أما تقرأ: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ [الرحمن: ٣٥] فقرأ حتى بلغ ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ۝٤٤﴾ [الرحمن: ٤٤] فجعل يطوف في الدَّار، ويصرخ، ويبكي حتى غشي عليه.

وقرئ على رابعة العدوية آية فيها ذكر النار فصرخت، ثُمَّ سقطت، فمكثت ما شاء الله لم تفق.

(١) انظر «الحلية» ٨/ ٢٩٧ .

ولما أهديت معاذة العدوية إلى زوجها صلة بن أشيم أدخله ابن أخيه الحمام، ثُمَّ أدخله بيتًا مطيبًا فقام يصلي حتى أصبح وفعلت معاذة كذٰلك فلمَّا أصبح عاتبه ابن أخيه على فعله فقال له: إنك أدخلتني بالأمس بيتًا أذكرتني فيه النار، ثُمَّ أدخلتني بيتًا أذكرتني فيه الجنَّة فما زالت فكرتي فيهما حتى أصبحت[١].

وكان من السلف إذا رأى النَّار ٱضطرب، وتغير حاله وقد قال تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا﴾ [الواقعة: ٧٣] أي: نار الدُّنيا .﴿تَذْكِرَةً﴾. لنار الآخرة. قاله مجاهد[٢]. ومر ابن مسعود على الذين ينفخون الكير فسقط /٧١٨/ خرجه الإمام أحمد.

وكان أويس القرني يقف على موضع الحدادين فينظر إليهم كيف ينفخون الكير، ويسمع صوت النار فيصرخ ثُمَّ يسقط.

وقال العلاء بن محمد دخلت على عطاء السلمي فرأيته مغشيًا عليه فقلت لامرأته: ما شأنه؟ قالت: سجرت جارتُنا التنورَ فلمَّا نظر إليه غشي عليه، ومر عليه صبي معه شعلة نارٍ فأصابت النَّار الريح، فسمع ذٰلك منها فغشي عليه.

وقال الحسن: كان عمر رضي الله عنه ربَّما توقد له النار ثُمَّ يدني يده منها ثُمَّ يقول: يا ابن الخطاب هل لك على هٰذا صبر؟

وكان الأحنف بن قيس يجيءُ إلى المصباح بالليل فيضع إصبعه

(١) انظر «التخويف من النار» ص٣٣ - ٣٤ .
(٢) انظر «التخويف من النار» ص٣٤ - ٣٥ .

عليه ثُمَّ يقول: حس يا أحنف ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا وكذا؟[١]

وخرج ابن أبي الدُّنيا مرسلاً قال: انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه، وتمرغ في الرمضاء وهو يقول لنفسه: ذوقي نار جهنَّم أشد حرًا. أنت جيفة بالليل، وبطالة بالنهار فبينا هو كذلك إذ أبصر النَّبيّ ﷺ في ظل شجرة فأتاه فقال: غلبتني نفسي. فقال له النَّبيّ ﷺ: «**ألم يكن لك بد من الذي صنعت؟ لقد فتحت لك أبواب السماء، ولقد باهى الله بك الملائكة**». وخرج الطبراني نحوه عن بريدة موصولاً قال الحافظ: وفي إسناده من لا يعرف حاله[٢].

فصل

ومن الخائفين من منعه خوف جهنم من النَّوم قال أسد بن وداعة: كان شداد بن أوس إذا أوى إلى فراشه كأنَّه حبة على مِقْلَى، فيقول: اللهم إن ذكر جهنم لا يدعني أنام. فيقوم إلى مصلاه.

وقال أبو سليمان الداراني: كان طاووس يفترش فراشه ثُمَّ يضطجع عليه فيتقلى عليه كما تتقلى الحبة على المقلى، ثُمَّ يثب فيدرجه، ويستقبل القبلة حتى الصباح، ويقول: ذكر جهنم طير نوم العابدين.

---

(١) المصدر السابق ص٣٦ .

(٢) انظر «التخويف من النار» ص٣٧ .

وكان عامر بن عبد الله يقول: ما رأيت مثل الجنَّة نام طالبها، وما رأيت مثل النَّار نام هاربها. فكان إذا جاء الليلُ قال: أذهب حر النَّار النومَ فما ينام حتى يصبح، وإذا جاء النَّهار قال: أذهب حر النَّار النوم. فما ينام حتى يمسي، وكان يتلوى كما يتلوى الحب /٧١٩/ في المقلى، ثُمَّ يقوم فينادي: اللهم إن النَّار قد منعتني النوم فاغفر لي. وقيل له: مالك لا تنام؟ قال: إن ذكر جهنمَّ لا يدعني أنام.

وأمر لبعض العبّاد بمائة ألف درهم فأبى أن يقبلها، وقال: ذكر جهنم أذهب حلاوة الدُّنيا من قلبي[١].

وما كان سفيان الثوري ينام إلا أوّل الليل، ثُمَّ يستيقظ فزعًا مرعوبًا ينادي النَّار النَّار شغلني ذكر النَّار عن النوم، والشهوات ثُمَّ يتوضأ، ويقول على أثر وضوءه: اللهم إنك عالم بحاجتي غير معلم، ولا أطلب إلا فكاك رقبتي من النَّار وفي هٰذا يقول الإمام الكبير عبد الله بن المبارك رضي الله عنه:

وإذا ما الليل أظلم كابدوه ... فيسفر عنهم وهم ركوع

أطار الخوف نومهم فقاموا ... وأهل الأمن في الدُّنيا هجوع

وقال أيضًا:

وما فرشهم إلا أيامن أزرهم ... وما وسدهم إلا ملاً وأذرع

وما ليلهم فيهن إلا تخوّف ... وما نومهم إلا عشاش مروع

وألوانهم صفر كأنَّ وجوههم ... عليها جساد طلي بالورس مشبع

---

(١) صفة النار لابن أبي الدنيا (١٩٨).

نواحل قد أزري بها الجهد والسرى إلى الله في الظلماء والناس هجع
ويبكون أحيانًا كأن عجيجهم إذا نوم الناس الحنين المرجع
ومجلس ذكر فيهم قد شهدته فأعينهم من رهبة الله تدمع

ومنهم من منعه خوف النار الضحك: قيل لسعد بن حبيب: إنك لم تضحك قط. قال: كيف أضحك وجهنم قد سعرت، والأغلال قد نصبت، والزبانية قد أعدت؟! وكان جماعة من السلف قد عاهدوا الله أن لا يضحكوا أبدًا حتى يعلموا مصيرهم إلى الجنَّة أم النَّار.

وسئل رسول الله ﷺ: ما كانت صحف موسى؟ قال: «**كانت عبرًا كلها فيها: عجبت لمن أيقن الموت، وهو يفرح، وعجبت لمن أيقن بالنَّار وهو يضحك**»[1]. الحديث خرجه ابن حبان في صحيحه وغيره.

ومنهم من حدث به من خوف النار مرض. ومنهم من مات من ذلك وكان الحسن يقول في وصف الخائفين: قد أبرأهم الخوف فهم أمثال الفراخ ينظر إليها الناظر فيقول: مرضى وما هم بمرضى. ويقول /٧٢٠/ قد خولطوا وقد خالط القوم من ذكر الآخرة أمر عظيم وسمع الإمام عمر رضي الله عنه رجلاً يتهجد في الليل، ويقرأ سورة الطور فلمَّا بلغ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾ [الطور: ٧، ٨] قال عمر: قسم ورب الكعبة حقٌّ ثُمَّ رجع إلى منزله فمرض شهرًا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه.

---

(١) رواه ابن حبان ٢/ ٣٦١ في كتاب: البر والإحسان، باب: ما جاء في الطاعات وثوابها.

وكان جماعة من عباد البصرة مرضوا من الخوف، ولزموا منازلهم كالعلاء بن زياد، وعطاء السلمي وكان عطاء قد صار صاحب فراشٍ عدة سنين. يرون أن بدو مرض عمر بن عبد العزيز الذي مات فيه من الخوف.

وأخرج الإمام أحمد(١) رضي الله عنه أن شابًا من الأنصار رضي الله عنهم دخل خوف النَّار قلبه فجلس في البيت فأتاه النَّبيّ ﷺ فقام فاعتنقه فشهق شهقة خرجت نفسه. فقال النَّبيّ(٢) ﷺ: «**جهزوا صاحبكم فلذ خوف النار كبده**» ورواه ابن أبي الدُّنيا وزاد فيه: «**والذي نفسي بيده لقد أعاذه الله منها من رجاء أشياء طلبه ومن خاف شيئًا هرب منه**» وهٰذا متصل وسند الإمام أحمد مرسل وهوأصح كما قال الحافظ رحمه الله.

وأخرج أبو نعيم، وابن أبي الدُّنيا، وغيرهما قصة منصور بن عمار مع الذي مرّ به في الكوفة ليلاً وهو يناجي ربه فتلا منصور هٰذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦] الآية. قال منصور: فسمعت دكدكة لم أسمع بعدها حسًا، ومضيت، فلمَّا كان من الغد رجعت فإذا جنازة قد أخرجت، وإذا عجوز فسألتها عن أمر الميت ولم تكن عرفتني فقالت: هٰذا رجل لا جزاه الله خيرًا إلا ما جزاه مرّ بابني البارحة وهو قائم

(١) رواه أحمد في «الزهد» ص٤٧٤.
(٢) البيهقي في «شعب الإيمان» ١/ ٥٣٠ (٩٣٦) باب الخوف من الله تعالى.

يصلي فتلى آيةً من كتاب الله فتفطرت مرارته فوقع[١].

وأخرج ابن أبي الدُّنيا عن بعض السلف قال: بينا أنا جالس في الحدادين ببلخ إذ مرّ رجل فنظر إلى النار في الكور فسقط فقمنا فنظرنا فإذا هو قد مات[٢].

وروى من غير وجه أن عليًّا بن الفضيل رضي الله عنهما مات من سماع قراءة هذه الآية: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام: ٢٧] / ٧٢١/.

فصل

وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أن النَّبيّ ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا**» قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: «**رأيت الجنَّة والنَّار**»[٣].

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النَّبيّ ﷺ أنه قال: «**لما كسفت الشمس رأيت النَّار فلم أر كاليوم قط أفظع**»[٤].

(١) انظر «الحلية» ٩/ ٣٢٨، ١٠/ ١٨٨.

(٢) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (٥١) ابن أبي شيبة في مصنفه (١٤/ ٨).

(٣) رواه مسلم (٤٢٦) في الصلاة، باب: النهي عن سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما.

(٤) رواه البخاري (٤٣١) في الصلاة، باب: من صلى وقدامه تنور أو نار أو شيء مما يعبد فأراد به الله. و(١٠٥٢) في الكسوف، باب: صلاة الكسوف جماعة. و(٥١٩٧) في النكاح، باب: كفران العشير. ومسلم (٩٠٧) في صلاة الكسوف، باب: ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النَّبيّ ﷺ خطب فقال: «**لا تنسوا**[١] **العظيمتين الجنَّة والنَّار**». ثُمَّ بكى حتى جرى أوبلّ دموعه جانبي لحيته، ثُمَّ قال: «**والذي نفس محمد بيده لو تعلمون ما أعلم مِن أمر الآخرة لمشيتم إلى الصعيد، ولحثيتم على رؤسكم التراب**» رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده.

وقال عبد الأعلى[٢]: ما جلس قوم مجلسًا فلم يذكروا الجنَّة والنار إلا قالت الملائكة: أغفلوا العظيمتين.

وقال ابن السماك: قطع قلوب العارفين بالله ذكر الخلد من الجنَّة والنَّار.

وخطب أبو موسى الأشعري رضي الله عنه النَّاس بالبصرة فذكر في خطبته النَّار فبكى حتى سقطت دموعه على المنبر، وبكى الناس يومئذ بكاءً شديدًا.

وقال أحمد بن أبي الحواري: حدثنا علي بن أبي الحسن قال: أوحى الله إلى يحيى بن زكريا عليه السلام: يا يحيى وعزتي لو ٱطلعت إلى الفردوس ٱطلاعة لذاب جسمك، ولزهقت نفسك ٱشتياقًا، ولو ٱطلعت إلى جهنم ٱطلاعة لبكيت الصديد بعد الدموع، وللبست الحديد بعد المسوح.

وقال صالح المري رحمه الله: للبكاء دواعي الفكرة في الذنوب، فإن أجابت على ذلك القلوب وإلا نقلتها إلى الموقف، وتلك الشدائد،

(١) في الأصل: لا تسبوا. والصحيح ما أثبتناه من مصادر التخريج انظر ص٩٩٧ ت(١).

(٢) ابن أبي الدنيا صفة النار (٣) أبو نعيم في الحلية (٨/ ٨٨).

والأهوال فإن أجابت إلى ذٰلك وإلا فأعرض عليها التقلب بين طباق النيران. ثُمَّ صاح، وغشي عليه، وتصايح الناس من جوانبه.

وقال الحسن رحمه الله: والله ما صدق عبد بالنَّار إلا ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وإن المنافق لو كانت النَّار خلف ظهره لم يصدق بها حتى يهجم.

وقال وهب بن منبّه: كان عابد في بني إسرائيل قام في الشمس /٧٢٢/ يصلي حتى اسود، وتغير لونه فمرَّ به إنسان فقال: كأن هٰذا خوّف بالنار قال: هٰذا من ذكرها فكيف بمعاينتها. وقال إبراهيم التيمي رحمه الله: مثلت نفسي في الجنَّة آكل من ثمارها، وأشرب من أنهارها، وأعانق أبكارها. ثُمَّ مثلت نفسي في النَّار آكل من زقومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها، وأغلالها فقلت لنفسي: أي شيء تريدين؟ قالت: أريد أن أردّ إلى الدنيا فأعمل صالحًا. قال: فقلت: فأنت في الآمنة فاعملي.

واعلم أن الخوف على مراتب فخوف العارفين خوف إجلال، وتعظيم لما غلب على قلوبهم من ذكر الله، وجلاله، وعظمته، وقهره، وجبروته. وقد يخافون من النَّار باعتبار أنها ناشئة عن صفات جلاله، وقهره، وكبريائه، وانتقامه، وغضبه، وسخطه فالنار أثر لمؤثر هو صفات الجلال فالخائف من غضبه سبحانه يخاف من النار والخائف من النار بهٰذا الاعتبار خائف من غضبه، وانتقامه وفي نفس الأمر الخوف ليس إلا من غضبه تعالى فمن غضب عليه والعياذ بالله به منه

عذَّبه بناره، ومن رضي عليه أسكنه في جواره فالجنَّة رضاه، ونعمته والنار غضبه، ونقمته فالعارفون يخافون من جلال عظمته، ويشفقون من آثار نقمته وهو خوف الأنبياء، والملائكة، وخواص الأولياء.

وأمَّا خوف أكثر المؤمنين فيذكر الوعد والوعيد، وأهوال يوم القيامة الشديد مع فكرتهم في الجنايات، والتفريط، واتهامهم لنفوسهم أن يكون فيها من الآفات ما يربي على المعاصي الظاهرة كالعجبِ، والرياء، والحسد، والكبر، ونحوها.

قال عطاء السلمي: خرجنا مع عتبة الغلام وفينا كهول وشبان يصلون الفجر بوضوء العشاءِ قد تورمت أقدامه من طول القيام، وغارت أعينهم في رؤسهم، ولصقت جلودهم على عظامهم وكأنَّهم خرجوا من القبور فبينا هم يمشون إذ مرَّ بمكانٍ فخرّ مغشيًا عليه فجلس أصحابه حوله يبكون في يوم شديد البردِ وجبينه يرشح عرقًا فلمَّا أفاق سألوه عن حاله فقال: إنّي كنت عصيت الله في ذٰلك المكان. فانظر رحمك الله إلى حال أولياء الله يا معاشر المذنبين ألا تستحيون من قلة الحياء فالحُرّ تكفيه /٧٢٣/ الملامة إلى متى تمشون على وجوهكم؛ إلى ما يسقط جاهكم.

قفوا في القلي حيث أنتهيتم تذمما ولا تقتفوا من جار لما تحكما

ما تفي لذة التأمر على الهوى والتولي بمرارة الأنصراف والتولي كلا والله بين الولاية والصرف صرف. قف على الباب باكيًا، وارفع

قصة النَّدم شاكيًا، وناد في ناد الأسى بصوت من أسى: أنا المسيء المذنب الخاطئ ما بقى في يديك غير البكاء، ولا لقلبكَ إلا التّحسر، ولا لفؤادك إلا القلق فالعارف يبكي على مافات، ويندم على ما ٱقترف من الآفات وإذا مرَّ بمكان كان قد حلا له مر المعاصي بكى وتذكر يوم الأخذ بالنواصي أشد ما يهيج خوف هٰؤلاء، ويزعج قلوبهم خوف السابقة، والخاتمة فإنَّ العبد لا يدري هل سبق له في علم الله السعادة فيختم له بخاتمةِ الإيمان، أو سبق له في علم الله الشقاوة فيختم له بخاتمة السّوء والخذلان، فكم من مغبوط في أحواله ٱنعكس عليه الحال، ورضي بمفارقة قبيح الأعمال فبدل بالأنس وحشة وطردًا، وبالقرب حجابًا وبعدًا فأمسى بعد المحاضرة مبعودًا، وبعد القرب مطرودًا.

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتي به القدرُ

وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدرُ

قال سهل بن عبد الله: خوف الصديقين خوف سوء الخاتمة عند كلّ خطرة، وعند كلّ حركة. وقيل لسفيان الثوري رحمه الله: عليك بالرجاء فإن عفو الله أعظم من ذنوبك. فقال: أو على ذنوبي أبكي لو علمت أنّي أموت على التوحيد لم أبالي بأمثال الجبال من الخطايا.

تنبيه: خوف بعض العارفين بالتفكر في السابقة فهو عين الحقيقة والمعول عليها؛ لأنَّ السعيد من سعد في بطن أمِّه، والشقي من شقى في بطن أمّه فهو ناظر إلى ما في نفس الأمر فإنَّه لا يتغير ما في علم الله

أبدا ومن تدبر في الخاتمة فباعتبار أنها النتيجة، والصورة البارزة فمن ختم له بخير فاز، ودخل الجنَّة، وجاور مولاه، ومن لا فلا فنسأل الله سبحانه وتعالى حسن الخاتمة في عافية فالأمور بخواتيمها باعتبار الخارج وفي نفس الأمر المعول عليه إنَّما هو السابقة / ٧٢٤/ ليس إلا الله والله الموفق.

فصل

واعلم أنَّ النَّار خلقها الله سبحانه وتعالى لعصاة الإنس والجن وبهما تمتلىء قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩] الآية وقال تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

وقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾ الآية [الأنعام: ١٢٨]. وقال: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ إلى قوله: ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٣١ ـ ٤١].

وأمَّا سائر الخلق ما عدا الثقلين فأشرفهم متوعدون على المعصية بالنار وهم يخافون منها. قال تعالى: ﴿وَهُم﴾ يعني الملائكة ﴿مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء: ٢٨ ـ ٢٩] وقد ٱستفاض عن جماعة من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم أن هاروت وماروت كانا ملكين، وأنهما خيّرا بعد المعصية بين عذاب الدُّنيا، وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدُّنيا لعلمهما بانقضائه وقد روي فيه حديث مرفوع خرجه الإمام أحمد، وابن حبان في «صحيحه»[1] عن ابن عمر عنه ﷺ لكن صحح بعضهم أنَّه موقوف. ومحققي علمائنا طعنوا في القصّةِ بأسرها،

---

(١) انظر «مسند أحمد» ٢/ ١٣٤ . و«صحيح ابن حبان» ١٤/ ٦٤ .

وقالوا: هاروت وماروت بشران أطلق عليهما اسم ملكين لصلاحهما بدليل قراءة ملكين بالكسر. وثَمَّ خلاف لم يثبت عن حضرة الرسالة منه شيء وإنَّما نقل عن علماء الكتاب والله أعلم بالصواب.

وخرج الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه أنَّ النَّبيّ ﷺ سأل جبريل عليه السلام فقال: **«مالي لا أرى ميكائيل عليه السلام يضحك»**. فقال جبريل: **«ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار»**[١].

وأخرج في الزهد عن أبي عمران الجوني قال: بلغنا أن جبريل عليه السلام جاء إلى النَّبيّ ﷺ وهو يبكي فقال رسول الله ﷺ: **«ما يبكيك يا جبريل؟»** قال: **«أوما تبكي أنت يا محمد؟ ما جفت عيني منذ خلقت النار مخافة أن أعصيه فيلقيني فيها»** وروي نحوه من وجوه كثيرة مرسلة[٢].

وخرج الطبراني[٣] عن عمر رضي الله عنه بسند فيه سلام الطويل وهو ضعيف جدًا قال: جاء جبريل عليه السلام إلى النَّبيّ ﷺ / ٧٢٥/ في غير حينه الذي كان يأتيه فيه فقال: **«يا جبريل مالي أراك متغير اللونِ؟»** فقال له: **«ما جئتك حتى أمر الله بمنافخ النار»** قال: **«يا جبريل**

---

(١) رواه الإمام أحمد ٣/ ٢٢٤.

وفي «الزهد» ص٨٨ وأبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» ص١٧٦ (٣٨٦).

والبيهقي في «الشعب» ١/ ٥٢١ (٩١٣) باب: في الخوف من الله.

وابن عبد البر في «التمهيد» ٥/ ٩.

(٢) الشعب (٣/ ١٦٥، ٨٨٧).

(٣) الطبراني في «الأوسط» ٣/ ٨٩ (٢٥٨٣).

صف لي النَّار، وانعت لي جهنَّم». فذكر الحديث فقال ﷺ: «حسبي يا جبريل لا تصدع قلبي فأموت». قال: فنظر رسول الله ﷺ إلى جبريل وهو يبكي فقال ﷺ: «تبكي يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذي أنت فيه» فقال: «وما لي لا أبكي وأنا أحق بالبكاءِ لعلّي أن أكون في علم الله على غير الحال التي أنا عليها وما أدري لعلي أُبتلى بما أُبتلي به هاروت وماروت، وما أُبتلي به إبليس فقد كان من الملائكة» فبكى النَّبيّ ﷺ، وبكى جبريل عليه السلام فمازالا يبكيان حتى نوديا أن يا محمد، ويا جبريل إن الله قد أمنكما أن تعصياه فارتفع جبريل، وخرج رسول الله ﷺ فمر بقوم من الأنصار يضحكون فقال: «أتضحكون ووراءكم جهنم فلو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيرًا، ولما أسعتم الطعام والشراب، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله عز وجل فنودي: يا محمد لا تقنط عبادي فإنَّما بعثتك مبشرًا، ولم أبعثك منفرًا». فقال رسول الله ﷺ: «سددوا وقاربوا». وقد علمت أن فيه سلام الطويل وهو ضعيف جدًا بل ربما أشعر سياقه بغير ذٰلك واستغفر الله العظيم.

وقال محمد بن المنكدر: لمَّا خلقت النَّار طارت أفئدة الملائكة من أماكنها فلمَّا خلق بنوا آدم عادت وأخرج نحوه أبو نعيم عن طاوس[1].

وأما البهائم، والوحوش، والطير فقد روي ما يدل على خوفها من النار قال يحيى بن أبي كثير: بلغنا أنه كان إذا كان يوم نوح داود عليه السلام تأتي الوحوش من البراري، وتأتي السباعُ من الغياض،

---

(١) انظر «الحلية» ٤/ ٥ .

وتأتي الهوامُ من الجبال، وتأتي الطير من الأوكار، ويجتمع الناس لذٰلك اليوم، ويأتي داود عليه السلام حتى يرق المنبر فيأخذ في الثناء على ربِّه فيضجون بالبكاء والصراخ، ثُمَّ يأخذ في ذكر الجنَّة والنَّار فيموت طائفة من الناس، وطائفة من السباع، وطائفة من الهوام، وطائفة من الطير، وطائفة من الوحوش، وطائفة من الرهبان والعذارى المتعبدات، ثُمَّ يأخذ في ذكر الموت / ٧٢٦/ وأهوال القيمة، ويأخذ في النياحة على نفسه فيموت طائفة من هٰؤلاء، وطائفة من هٰؤلاء، ومن كلّ صنف طائفة. خرجه ابن أبي الدُّنيا.

قلت: وخرجه ناصر السنة الإمام الحافظ ابن الجوزي في «التبصرة»(١) وزاد فيه: فإذا رأى سليمان ما قد كثر من الموتى نادى: يا أبتاه قد مزق المستمعين كلّ ممزق وقتلت طوائف من بني إسرائيل، ومن الرهبان، والوحوش فيقطع النياحة، ويأخذ في الدعاء ويغشى عليه فيحمل على سرير فإذا أفاق قال: يا سليمان ما فعل عباد بني إسرائيل؟ ما فعل فلان وفلان؟ فيقول: ماتوا. فيقوم فيدخل بيت عبادته، ويغلق عليه بابه، وينادي: أغضبان أنت على داود أم كيف قصرت به أن يموت خوفًا منك.

وقد روي مرفوعًا(٢) من حديث ابن عمر، وأنس رضي الله عنهم: «**إن الذباب كله في النَّار**». وفي رواية: «**غير النحل**» لكن حكم

---

(١) (١/ ٢٧٨).

(٢) الطبراني في «الكبير» ١٢/ ٤١٨، ٤١٩ (١٣٥٤٢)، (١٣٥٤٢).

على هٰذا الحديث الإمام ناصر السنة ابن الجوزي[1] بالوضع.

قلت: وهو في مسند أبي يعلى الموصلي[2] من حديث أنس أن النَّبيّ ﷺ قال: «**عمر الذباب أربعين ليلة، والذباب كله في النَّار إلا النحل**» وهو في الكامل في ترجمة عمرو بن شقيق عن مجاهد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**الذباب كله في النار غير النحل**»[3] وتعقب الإمام جلال الدين السيوطي الإمام ناصر السنة ابن الجوزي بأن الحديث ليس بموضوع. قال الحافظ ابن حجر في «شرح البخاري»[4]: حديث أنس إسناده لا بأس به، وحديث ابن عمر إسناده ضعيف. ٱنتهى.

وقد ورد أيضًا من حديث ابن عباس، وابن مسعود أخرجهما الطبراني بسندين جيدين. قال السيوطي: فالحديث حسن أو صحيح. ٱنتهى[5].

قال بعضُ الفضلاء قيل: كونه في النار ليس بعذاب له بل ليعذب

(١) «الموضوعات» (٣/ ٢٦٥-٢٦٦).
(٢) رواه أبو يعلى ٧/ ٢٣٠ (٤٢٣١) عن أنس رَضِي اللهُ عَنْهُ.
(٣) الطبراني في «الكبير» (١٣٤٣٦، ١٣٥٤٢، ١٣٥٤٤، ١٣٤٦٧، ١٣٤٦٨)، انظر «الكامل» ٦/ ٩٠ المطالب العالية (٢٣٣٥).
(٤) الفتح على حديث (٥٧٨٢).
(٥) انظر «البدور السافرة في أمور الآخرة» (٤٣٢) فإنه لما ساق حديث أنس رضي الله عنه ولفظه «الذباب كله في النار إلا النحل»، قال وأخرج الطبراني مثله من حديث ابن عباس وابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهم بأسانيد جياد. ا.هـ.

به أهل النار بوقوعه عليهم. كذا هو بالحاء على الصواب وربَّما صحفه بعضهم النمل كما رأيته في نسخةٍ قديمة: «النمل» بالميم وهو غلط والله تعالى أعلم .

وأمَّا الجمادات فقد أخبر سبحانه أنَّها تخشاه قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]. قال ابن عباس: إنَّ الحجر ليقع على الأرض ولو ٱجتمع عليه ألف من الناس ما ٱستطاعوه /٧٢٧/ وإنَّه يهبط من خشية الله[١].

وفي تاريخ الدول: لَمَّا أراد الله تعالى خلق آدم عليه السلام أوحى إلى الأرض: إنِّي أريد أن أخلق فيك خلقًا فمنهم من يطيعني، ومنهم من يعصيني فمن أطاعني أدخلته جنتي، ومن عصاني أدخلته النَّار فبكت الأرض فانفجرت منها العيون إلى يوم القيامة.

وأخرج ابن أبي الدُّنيا[٢] عن الفضيل بن عياض وكان من الأبدال، وكانت الدموع قد أثرت في وجهه، وكان يصوم الدّهر، ويفطر كلّ ليلة على رغيف قال: مرّ عيسى عليه الصلاة والسلام بجبل بين نهرين نهر عن يمينه، ونهر عن يساره ولا يدري من أين يجيء هٰذا الماء ولا أين يذهب فسأله: من أين يجيءُ هٰذا الماء؟ قال: أمَّا الذي عن يميني فمن دموع عيني اليمنى، وأما الذي يجري عن يساري فمن دموع عيني اليسرى. قال: مم ذاك؟ قال: خوفًا من ربي أن يجعلني من

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٧٦٢).

(٢) صفة النار (٢٣٣) الشعب للبيهقي (٣/ ١٨٠).

وقود النار. قال عيسى: فأنا أدعو الله عز وجل أن يهبك لي فدعا الله له، فقال عيسى: قد وهبت لي. قال: فانفجر منه من الماء حتى ٱحتمل عيسى فذهب به. قال عيسى: ٱسكن بقدرة الله فقد ٱستوهبتك من ربِّي فوهبك لي فما هٰذا البكاء قال: **«أمَّا البكاء الأول فبكاء الخوف، وأما البكاء الثاني فبكاء الشكر»**.

قلت: قد يكون البكاء عن حزن، وقد يكون عن فرح وقد جاء أنَّ أبا بكر رضي الله عنه لمَّا قال للنبي ﷺ في حديث الهجرة وقد قال له: **«إن الله قد أذن لي في الخروج»**[1] فقال له: الصحبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله. قال: **«نعم»** فبكى الصديق رضي الله عنه سرورًا بصحبة حبيبه، وحبيب كلّ مسلم ﷺ في الهجرة. قالت عائشة رضي الله عنها: فرأيت أبا بكر يبكي وما كنت أحسب أنَّ أحدًا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر رضي الله عنه يبكي. وما أحسن قول من قال في ذٰلك:

ورد الكتاب من الحبيب بأنَّه سيزورنا فاستعبرت أجفاني
غلبَ السرورُ عليّ حتىّ أنَّه من عظم ما قد سرَّني أبكاني
يا عين صار الدمع عندك عادة تبكين من فرح ومن أحزاني

وقد ذكر الإمام المحقق ابن القيم طيب الله ثراه في كتابه «الهدي»[2] للبكاء أنواعًا.

/٧٢٨/ وملخص ذٰلك أنَّه تارة يكون للرقة، والرحمة. الثاني:

---

(١) رواه البخاري (٢١٣٨) في البيوع، باب: إذا اشترى متاعًا أو دابة.
(٢) (١/ ١٨٤) مع اختلاف في بعض الكلمات أو زيادة.

بكاء الخوف، والخشية. الثالث: بكاء المحبة، والشوق. الرابع: بكاء الفرح، والسرور. الخامس: بكاء الجزع من ورود المؤلم، وعدم أحتماله. السادس: بكاء الحزن، والفرق بينه وبين بكاء الخوف أنَّ بكاء الحزن يكون عمَّا مضى من حصول مكروه، أو فراق محبوب، وبكاء الخوف لما يتوقع في المستقبل من ذٰلك. والفرق بين بكاء السرور والفرح وبكاء الحزن أنَّ دمعة السرور باردة، والقلب فرحان ودمعة الحزن حارة والقلب حزين قلقان. ولهذا يقال لما يفرح به: هو قرة عين، وأقر الله عينه، ولما يُحزن هو سخينة العين وأسخن الله عينه. السابع بكاء الخور والضعف. الثامن: بكاء النفاق وهو أن تدمع العينُ والقلب قاس فيظهر صاحبه الخشوع، والبكاء، وسفك الدموع وهو من أقسى الناس قلبًا. التاسع: بكاء المعار والمستأجر عليه كبكاء النائحة بالأجرة فإنَّها كما قال سيدنا عمر رضي الله عنه: تبيع عبرتها، وتبكي شجو غيرها. العاشر: بكاء الموافقة وهو أن يرى الرجل الناس يبكون لأمر ورد عليهم فيبكي معهم ولا يدري لأيّ شيء يبكون وما كان من ذٰلك دمعًا بلا صوت فبكى بالقصر وما كان معه صوت فبالمد كما قال الشاعر:

بكَتْ عيني وحقَّ لها بُكاها ... وما يغني البكاء ولا العويل

وما كان مستدعيًا متكلفًا فالتباكي وهو نوعان: محمود: وهو أن يستجلب لرقة القلب وخشية الله لا للرياء والسمعة. ومذموم: وهو ما كان لذٰلك والله تعالى أعلم.

واعلم أنَّ هٰذه النَّار التي في الدُّنيا من نار جهنم فقد روى ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ أنه قال: **«ناركم هٰذه**

جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم ولولا أنها أطفئت بالماء مرتين لما ٱنتفعتم بها وإنَّها لتدعوا الله أن لا يعذبها فيها» وفيه بقية ضعيف. وروي عن أنس موقوفًا، وخرجه الحاكم عنه وزاد بعد قوله: **«ما ٱنتفعتم بها» «وأيم الله إن كانت لكافية وإنَّها لتدعوا الله، وتستجير به أن لا يعذبها في النار أبدًا»**[1]. قال الحاكم: صحيح الإسناد واعترضه الحافظ ابن رجب بأنَّ فيه حسن بن فرقد ضعيف.

وخرج ابن أبي الدُّنيا عن أبي رجاء /٧٢٩/ قال: لمَّا ألقي إبراهيم عليه الصلاة والسلام في النَّار أوحى الله تعالى إليها إن أنت ضررتيه، أو آذيتيه لأردنك إلى النار الكبرى فخرت مغشيًا عليها ثلاث أيام لا ينتفع الناس منها بشيء وقال أبو عمران الجوني: بلغنا أنَّ عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما سمع صوت النار فقال: فقيل له: ما هٰذا؟ فقال: والذي نفسي بيده إنَّها تستجير من النار الكبرى. وقال مجاهد: ناركم هٰذه تعوذ من نار جهنم[2].

فقد ذكرنا أن جميع مخلوقات الله تخاف من النار وذٰلك لأنَّها أثر ٱنتقامه وغضبه، وأن خواص خلقه أشد خوفًا وإشفاقًا وقد ذكرنا من ذٰلك طرفًا وذكر الإمام ناصر السنة ابن الجوزي في «التبصرة» أن إبراهيم الخليل كان إذا قام في الصلاة يسمع لصدره أزيز من شدة

---

(١) رواه الحاكم ٤/ ٦٣٥. وابن ماجه (٤٣١٨) في الزهد، باب صفة النار. والحاكم في «المستدرك» ٤/ ٥٩٣ في الأهوال، باب: ما من مسلمين يموت لهما أربعة إلا أدخلهم الله الجنة. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
(٢) هذا الأثر وما قبله في صفة النار لابن أبي الدنيا (١٤٩، ١٥٠).

الخوف وبكى نوح لَمَّا عُوتب في ابنه ثلاثمائة عام. وروينا في الإسرائيليات أن كلبًا أجرب مرّ بنوح فقال له نوح: إخسأ يا قبيح فأوحى الله إليه: يا نوح أعبتني أم عبت الكلب. فناحَ لذٰلك فسمي نوحًا واسمه عبد الغفار كما في «تاريخ الحنبلي» وغيره.

فهٰذا خوف القوم ونحن أحق بالخوف منهم غير أنَّ الخوف يكون بمقدار صفاء القلوب وقوة المعرفة وإنَّما أمنا لغلبة الجهل فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا معرفته، وأن يمنحنا القرب إليه، ومجاورته في الدار التي لا حزن فيها بمنه وكرمه.

فصل

واعلم أنَّ البكاء من خشية النار ينجي منها، وأنَّ التعوذ بالله منها يوجب الإعاذة منها. وقد تكاثرت بذٰلك الأحاديث. قال بعض السادة: البكاء من خشية الله سبب للنجاة من النَّار بل ومن كلّ ما يخشى الإنسان والبكاء من نار جهنم هو البكاء من خشية الله، لأنه بكاء من خشية عقاب الله، وسخطه، والبعد عنه، وعن رحمته، وجواره، ودار كرامته .

أخرج الترمذي وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ أنَّه قال: **«لا يلج النَّار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع»** ورواه النسائي[1].

---

(١) رواه الترمذي (١٦٣٣) في كتاب: فضائل الجهاد، باب: جاء في فضل الغبار في سبيل الله.

والنسائي (٣١٠٨) في الجهاد ما باب: فضل من عمل في سبيل الله على قدمه.

قلت: وظاهره ولو وقع البكاء في العمر مرة وفضل الله واسع فلا يحجر عليه.

وأخرج الترمذي أيضًا وحسنه عن ابن عباس رضي الله عنهما سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«عَيْنانِ لا تمسهما النَّارُ: عينٌ بكتْ في جوفِ الليل من خشيةِ الله، وعينٌ باتتْ تحرسُ في سبيلِ الله عز وجل»**[(١)].

وخرج الإمام أحمد واللفظ له، والنسائي، والحاكم وصححه عن أبي ريحانة مرفوعًا: **«حُرِّمتِ النَّارُ على عينٍ دمعتْ أو بكتْ مِنْ خشيةِ الله، وحرمَت النار على عينٍ سَهِرَتْ في سبيلِ الله»** وذكر عينًا ثالثة[(٢)]. وخرّجه الجوزجاني بلفظ: **«حرمت النار على عين سهرت بكتابِ الله، وحرمت النار على عينٍ دمعت من خشية الله، وحرمت النارُ على عينٍ غضت عن محارمِ الله، أو فقئت في سبيلِ الله عزّ وجل»**[(٣)].

---

(١) أخرجه الترمذي عن ابن عباس ١٦٣٩، وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن زريق. وفي الباب عن عثمان وأبي ريحانة.

(٢) حديث ضعيف، لكن يشهد لَهُ ما قبله، والعين الثالثة لم يسمعها محمد بن سُمير راوي الحديث عن أبي علي التُجيبي عن أبي ريحانة.
والحديث رواه أحمد ٤/ ١٣٤، والدارمي ٢/ ٢٠٣، والنسائي ٨/ ١٤٩، والحاكم ٢/ ٦٣، والبيهقي ٩/ ١٤٩. وفي إسناده محمد بن سُمير ويقال ابن شُمر مجهول.

(٣) كذا في التخويف من النار ص٤١، وروى نحوه ابن المبارك في الجهاد (١٨٨) من حديث أبي عمران الأنصاري.

وخرج ابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«ما مِنْ عبدٍ يخرجُ مِنْ عينيه دموعٌ، وإنْ كانت مثل رأسِ الذُّبابِ مِنْ خشيةِ الله، ثُمَّ يصيب شيئًا من حُرِّ وجهه، إلا حرَّمهُ الله على النارِ»**[1].

قوله: «حُرِّ وجهه» أي: ما أقبل عليك منه وبدا لك.

وأخرجَ ابن أبي الدُّنيا عنه ﷺ أنَّه قال: **«ما اغرورقت عينا عبد بمائها من خشيةِ الله إلا حرم جسدها على النارِ فإنْ فاضت على خده لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة، ولو أنَّ عبدًا بكى في أمة مِنَ الأمم لأنجى الله عزّ وجل ببكاءِ ذٰلك العبدِ تلك الأمّة من النارِ، وما من عمل إلا وله وزن، أو ثواب إلا الدمعة فإنَّها تطفئ بحورًا مِن النارِ»**[2] وقد روي هٰذا أو نحوه من كلام الحسن موقوفًا، وأبي عمران الجوني، وخالد بن معدان، وغيرهم.

وفي «التبصرة»[3] عنه ﷺ من حديث أبي أمامة: **«ليس شيء أحب إلى الله تعالى من قطرتين: قطرة دمع من خشية الله، وقطرة دم**

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٩٧)، وضعفه الألباني.

(٢) رواه ابن عدي في الكامل ٢/ ٢٨٢ (ترجمة تميم بن خرشف) من حديث أنس وهو حديث منكر، ورواه البيهقي في «الشعب» ١/ ٤٩٥ (٨١٢) من قول الحسن. ورواه مسلم بن يسار مرسلاً كما في الشعب (٨١١) بنحوه.

(٣) التبصرة ١/ ٢٨٨.

مهراق في سبيل الله»[١]. ثم أنشد الإمام ناصر السنة ابن الجوزي في تبصرته:

لا تحسبن ماء العيون فإنه لك يا لديغ هو اهم ترياق
شنوا الإغارة في القلوب بأسهم لا يرتجى لأسيرها إطلاق
واستعذبوا ماء الجفون فعذبوا الأسرار حتى درت الآماق

وعن زاذان أبي عمر رحمه الله أنَّه قال: «بلغنا أنه من بكى خوفًا من النار أعاذه الله منها، ومن بكى شوقًا إلى الجنة أسكنه الله إياها»[٢].

في الجملة/ ٧٣١/ : البكاء دليل الخوف والخشية، وتقدم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ حديث: «**سبعة يظلهم الله في ظله يومَ لا ظل إلا ظله، منهم رجل ذكرَ الله خاليًا ففاضت عيناه**»[٣].

قال في التبصرة: وكان من دعائه ﷺ: «**اللهم ارزقني عينين هطالتين يبكيان بذنوب الدموع من خشيتك من قبل أنْ تكون الدموع**

---

(١) أخرجه الترمذي (١٦٦٩)، وابن عدي في الكامل ٧/ ٨٠ (ترجمة الوليد بن كامل) وفيه ضعف، ورواه عبد الرزاق في المصنف (٢٠٢٨٩)، والقضاعي في مسند الشهاب (١٣٠٨)، والبيهقي في الشعب (٨٣٠٨) عن الحسن مرسلاً.

(٢) التخويف من النار ص٤٢.

(٣) أخرجه البخاري ١/ ١٦٨، ٨/ ١٢٥، ومسلم ٣/ ٩٣، والترمذي ٢٣٩١، وأحمد ٢/ ٤٣٩، والنسائي ٨/ ٢٢٢، وابن خزيمة في صحيحه (٣٥٨).

دمًا والأضراس جمرًا»[(١)].

وذكر عن أبي هريرةَ رضي الله عنه، عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «كلّ عينٍ باكية يوم القيامة إلا عين غضت عن محارمِ الله، وعين سهرت في سبيلِ الله، وعين يخرج منها مثل الذباب من خشية الله»[(٢)].

وذكر عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «أيها الناس ابكوا فإنْ لم تبكوا فتباكوا، فإنَّ أهْلَ النَّارِ يبكون حتَّى تصير الدموع في وجوههم جداول فتقد الدموع فتقرح الجفون حتَّى لو أنَّ السّفن أجريت فيها لجرت»[(٣)].

وفي الحديث: «لو وزنت دموع داوود عدلت دموع الخلائق، ودمعة آدم تعدل الكل»[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٤٨٠)، وأحمد في الزهد ص١٠، وأبو نعيم في الحلية ٢/ ١٩٦، وإسناده ضعيف، انظر ت(٣) ص١٤٣٩.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في الجهاد (١٤٨)، وأبو نعيم في الحلية ٣/ ١٦٣، وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٩٥)، ومن طريقه أبو يعلى (٤١٣٤)، وفي إسناده يزيد الرقاشي وهو ضعيف. وهو في الضعفاء للعقيلي ٣/ ٣٠٧، ورواه ابن سعد ٤/ ١١٠، وأبو نعيم في الحلية ٣/ ٢٦١ و٣/ ١٠٣ من قول أبي موسى الأشعري وهو أشبه.

(٤) رواه ابن عدي ١/ ٢٧٠ (ترجمة أحمد بن بشير) ومن طريقه البيهقي في «الشعب» ١/ ٥٠١ (٨٣٥)، والخطيب ٤/ ٤٧ من قول ابن بريدة، ورواه ابن عدي ١/ ٢٧٠، ومن طريقه البيهقي ١/ ٥٠٠، والخطيب ٤/ ٤٧ من طريق ابن بريدة عن أبيه مرفوعًا: «لو وزن دموع آدم بدموع ولده لرجح دموعه عَلَى =

وكان مجرى الدموع من خد ابن عباس كالشراك البالي.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: "لأنْ أدمع دمعةً مِنْ خشيةِ الله عزَّ وجل حتَّى تسيل على وجنتي أحب إلي أن أتصدق بجبل ذهب"[١].

وقال الحسن: "لو بكى عبدٌ مِنْ خشيةِ الله تعالى لرحم مَنْ حوله ولو كانوا عشرين ألفًا".

وقال مالك بن دينار: "البكاء على الخطيئة يحط الذنوب كما تحط الريح الورق اليابس". وكان سعيد بن جبير يبكي بالليل حتَّى فسدت عيناه. وبكى عمر بن عبد العزيز حتى بكى الدم، وكذا فتح الموصلي. قيل لعبد الواحد بن زيد: "ما يفهم كلامك مِن بكاءِ عتبة؟ فقال: يبكي عتبة على ذنبه وأمنعه لبئس واعظ قوم أنا"[٢]. وكان أمية الشامي ينتحب في المسجدِ فأرسل إليه الأمير: "إنكَ تفسد على المصلين صلاتهم فبكى وقال: إن حزن القيامة أورثني دموعًا غزرًا فأنا أستريح إلى ذرئها أحيانا".

كلما عنّفوا عليك ولاموا عصف الوجد بي ولجّ الغرَام
يتجافى الرقاد أجفان عيني فكأن الكرى عليها حرام

= جميع دموع ولده». قَالَ ابن عدي: وهذا الحديث من أنكر ما روي لأحمد بن بشير.

(١) رواه البيهقي في «الشعب» ١/ ٥٠٢ (٨٤٢) بإسنادٍ ضعيف. وفيه بألف درهم بدلاً من بجبل ذهب.

(٢) صفة الصفوة ٤/ ٢٢٢.

وإذا مـدت الـوصـال تـفـضّـت   فـعـلى مـدة الحـيـاة الـسـلام/ ٧٣٢/

فانظر بكاء القوم. يا مَن كلّ قُصده النوم. أهذا البكاء عن عبث. يا من لآخرته ما أكترث. أما والله لنحن أحق بذلك منهم. ولكن شتان. بين النائم واليقظان. كم بين علم اليقين. وبين من أحاديث الآخرة عنده كالمين. فيالها من غفلة لو كنا نعقل:

مالي ومال الهوى يا نفس لولاك   يا نفس يكفي أسى خالفت مولاك
يا نفس فيقى وهبي واحزني فلقد   جـاء الـنـذيـر بـأنَّ الـنـارَ مـثـواك
حتى متى في الهوى والبين يطلبني   وأنـت في غـفـلـة والمـوت يـنـحـاك
فـأنـت أولى عـبـاد الله قـاطـبـة   بالحزنِ والنوح لولا الذنب أعمَاك
يـا ويحنـا لـو بـكـينا قـبـل رحـلـتنا   لـكـان أولى بـنـا مـن شـكـيـة الـشـاكـي

فصل

وفي الصحيحين عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ قال في ذكر الملائكة الذين يلتمسون مجالسَ الذكرِ: «إنَّ الله عزَّ وجل يسألهم وهو أعلم بهم فيقول: مم يتعوذون؟ فيقولون: من النارِ. فيقول: وهل رأوها؟ قالوا: لا والله ما رأوها. فيقول: كيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا، وأشد منها مخافة. فيقول: أشهدكم أني قد غفرتُ لهم»[1].

وخرّج الترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنَّه قال: «مَا مِن مسلم يسأل الله الجنَّةَ ثلاثًا إلا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومَن اَستجارَ بالله مِنَ النَّارِ ثلاثًا إلا قالت النار: اللهُمَّ أجره من النار»[2] وتقدم.

وأخرجَ أبو صالح عن أبي هريرةَ رضي الله عنه مرفوعًا: «إذا كان يومٌ حارٌ فإذا قال الرَّجلُ: لا إله إلا الله ما أشد حر هٰذا اليوم اللهمَّ أجرني مِنْ حر جهنَّم. قال الله لجهنَّم: إنَّ عَبدًا مِن عبادِي اَستجارني مِن حرك، وأنا أشهدكِ أنِّي قدْ أجرته، وإذا كان يومٌ شديد البردِ فإذا قال العبدُ: لا إله إلا الله ما أشد برد هٰذا اليوم اللهم أجرني من زمهريرك

---

(١) رواه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩).

(٢) رواه أحمد ٣/ ١١٧ و١٤١ و١٥٥ و٢٠٨ و٢٦٢، وابن ماجه (٤٣٤٠)، والترمذي (٢٥٧٢)، والنسائي ٨/ ٢٧٩، وهو حديث صحيح.

جهنَّم. قال الله تعالى لجهنم: إنَّ عبدًا مِنْ عبادي ٱستجارني من زمهريرك، وأنا أشهدك أنِّي قد أجرته. قالوا: وما زمهرير جهنم؟ قال: بيت يلقى فيه الكافر فيتميز من شدة بردها»[١]. ذكره الحافظ في التخويف[٢].

وقال عطاء الخراساني: "مَنْ قال: أستجيرُ /٧٣٣/ بالله مِنَ النارِ سبع مرات قالت جهنَّم: لا حاجة لي فيك".

اللهُمَّ إنِّي أعوذُ بوجْهكَ الكريم، وباسِمِكَ العظيم، وبكلامك القديم مِنْ عذاب الجحيمِ، وعاملني بلطفكَ، وكرمك، ورأفتك، وإحسانك يا أرحم الراحمين

أستعيذُ بكَ مِنْ مكرك، وغضبك، وسخطك، وعذابك اللهم إنِّي أعتذرُ إليكَ مما أنت أعلم به مني، اللهم ٱغفرْ لي، وارحمني برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلي الله على سيدنا محمد وعلى إله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا يا رب العالمين.

---

(١) رواه البيهقي في الاعتقاد ١/ ٨٥، وإسناده ضعيف. وانظر مسند إسحٰق(٢١٣)، وأبو يعلى (٦١٩٢)، ورواه السهمي في «تاريخ جرجان» ١/ ٤٨٦ من حديث أبي موسى، ورواه البزار وأورده ابن حجر في المطالب العالية ونسبه إلى الطيالسي.

(٢) التخويف من النار ص٤٤.



الباب الثاني
في ذكر مكان جهنم وطبقاتها ودركاتها وصفاتها وقعرها وعمقها

أمَّا مكانها فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**جهنم في الأرضِ السابعة**». رواه أبو نعيم[١].

وخرّج ابن منده عن مجاهد قال: قلت لابنِ عباس رضي الله عنهما: أين النار؟ قال: تحت سبعة أبحر مطبقة.

وأخرجَ البيهقي بسند فيه ضعف عن ابن مسعود رضي الله عنه: «**الجنَّة في السَّماءِ السابعةِ العليا، والنَّارُ في الأرضِ السَّابعةِ السفلى**» ثم قرأ: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ و﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾[٢]. ورواه ابن منده، وزاد فيه: «**فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء**».

وخرّج ابن خزيمة، وابن أبي الدُّنيا عن عبدِ الله بن سلام رضي الله عنه: «**إنَّ الجنةَ في السماءِ، وإنَّ النارَ في الأرضِ**»[٣]. وابن أبي الدنيا

---

(١) راجع المستدرك ٤/ ٦٣٨، وانظر الشعب ١/ ٣٥٧، روي ذَلِكَ عن ابن مسعود كما في التمهيد ١٣/ ٢٦٧، دون قوله السابعة. وأبو الشيخ في «العظمة» (٦٠٠).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» ١/ ٣٣١ (٣٦٦١).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» ٤/ ٦١٢، والبيهقي في شعب الإيمان ١/ ٣٣١،

عن قتادة: «كانوا يقولون: **الجنة في السموات السبع، وإنَّ جهنَّم في الأرضين السبع**». وفي حديث البراء في حق الكافر: «**يقول الله: اكتبوا كتابَه في سجين في الأرضِ السفلى فتطرح روحه طرحًا**»(١) خرّجه الإمام أحمد، وغيره وتقدم أوّل الكتاب بطوله.

وأخرجَ الإمام أحمد بسند فيه نظر عن يعلى بن أمية، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**البحر هو جهنم**» فقالوا ليعلى: ألا تركبها. يعني: البحور. قال: ألا ترون أنَّ الله يقول: ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]. لا والذي نفس يعلى بيده لا أدخلها أبدًا حتَّى أعرض على الله عزَّ وجل ولا يصيبني منها قطرة حتَّى ألقى الله عزَّ وجل(٢).

قال الحافظ ابن رجب(٣): وهٰذا إنْ شئت فالمراد به أنَّ البحار تفجر يوم القيامة فتصير بحرًا واحدًا، ثم يسجر ويوقد عليها فتصير نارًا، وتزاد في نارِ جهنم. وقد فسر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝﴾ [التكوير: ٦] بنحو هٰذا(٤). وقال ابن عباس: تسجر تصير نارًا. وفي رواية عنه: «**تكون /٧٣٤/ الشمس والقمر والنجوم في البحرِ فيبعث الله عليها ريحًا دبورًا فتنفخه حتَّى يرجع نارًا**»(٥) رواه ابن

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤/ ٢٨٧، والبيهقي في «الشعب» ١/ ٣٥٧.
(٢) رواه أحمد ٤/ ٢٢٣، والحاكم ٤/ ٦٣٨، والبيهقي ٤/ ٣٣٤، قَالَ الهيثمي ١٠/ ٣٨٦: رجاله ثقات.
(٣) التخويف من النار ص٤٧.
(٤) «التخويف من النار والتعريف بدار البوار» ٦٠-٦٢.
(٥) رواه هناد في «الزهد» (٣٣٤)، وذكر ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٤٧٦ رواية ابن أبي حاتم. ورواه الطبري في «تفسيره» ٣٠/ ٦٨.

أبي الدنيا، وابن أبي حاتم، وأخرجا عنه أيضًا في قوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩، العنكبوت: ٥٤]. قال: هو هٰذا البحر فتنتشر الكواكبُ فيه، وتكور الشمسُ والقمر فيه فيكون هو جهنم. وقال سيدنا علي رضي عنه ليهودي: أين جهنم؟ [قَالَ: تحت البحر] قال عليٌّ: صَدَق، ثم قرأ: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ [التكوير: ٦] (١) رواه ابن أبي إياس.

وخرّج ابن أبي حاتم عن أُبيٍّ بن كعب رضي الله عنه في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾. قال: قالت الجن للإنس: **«نأتيكم بالخبرِ فانطلقوا إلى البحر فإذا هو نار تأجج»**(٢).

وفي سنن أبي داود عن ابن عمرو مرفوعًا: **«لا يركب البحر إلا حاجًا، أو معتمرًا، أو غازيًا في سبيل الله فإنَّ تحت البحر نارًا، وتحت النار بحرًا»**(٣). وروي عن ابن عمر مرفوعًا: **«إنَّ جهنَّم محيطة بالدُّنيا،**

---

(١) رواه البيهقي في «الشعب» ١/ ٣٣٣ إلا أن فيه: «والبحر المسجور»، والطبري في «تفسيره» ١٢/ ٤٦٠ (٣٦٤٣٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» ١٢/ ٤٦٠ (٣٦٤٣٢).

(٣) رواه أبو داود (٢٤٨٩)، وسعيد بن منصور ٢/ ١٨٧، والبيهقي ٤/ ٣٣٤ و٦/ ١٨، قَالَ ابن عبد البر ١/ ٢٤٠: هو حديث ضعيف مظلم الإسناد لا يصححه أهل العلم بالحديث لأن رواته مجهولون لا يعرفون.
وقال الحافظ في التلخيص ٢/ ٢٢١: قَالَ أبو داود: رواته مجهولون، وقال الخطابي: ضعفوا إسناده، وقال البخاري: ليس هَذَا الحديث بصحيح، ورواه البزار من حديث نافع عن ابن عمر مرفوعًا وفيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف.

وإنَّ الجنةَ من ورائها فلذلك كان الصراط على جهنَّم طريقًا إلى الجنَّة».

قال الحافظ ابن رجب: هٰذا حديث غريب منكر(١).

وقيل: إنَّ النَّارَ في السَّماء. وخرّج الإمام أحمد عن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«أتيت بالبراق فلم نزايل طرفه أنا وجبريل حتَّى أتيت بيت المقدسِ، وفتحت لنا أبواب السماء، ورأيت الجنَّةَ والنار»**(٢).

وخرّج عنه أيضًا، عن النَّبي ﷺ: **«رأيتُ ليلةَ أُسري بي الجنة والنار في السماءِ فقرأتُ هٰذه الآية:** ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات: ٢٢] **فكأنِّي لم أقرأها قط»**(٣)(٤).

ولا حجة في هٰذا ونحوه على أنَّ النَّارَ في السَّماءِ لجوازِ أنْ يراها في الأرضِ وهو في السماءِ وهٰذا الميت يرى وهو في قبره الجنةَ والنارَ وليست الجنةُ في الأرضِ وقد ثبت أنَّه ﷺ رآهما وهو في صلاةِ الكسوفِ وهو في الأرض وفي بعض طريق حديث الإسراء عن أبي هريرة أنَّه مر على أرضِ الجنةِ والنارِ في مسيره إلى بيت المقدس(٥). ولم

---

(١) التخويف من النار ص٤٨.

(٢) أخرجه الطيالسي (٤١١)، والحاكم ٢/ ٣٩١، وقال صحيح الإسناد.
وأخرجه أحمد ٥/ ٣٩٢، ٥/ ٣٩٤، والترمذي (٣١٤٧) وقال حسن صحيح.

(٣) روي ذَلِكَ من قول مجاهد والضحاك وسفيان كما في تفسير الطبري ٢٦/ ٢٠٦، والعظمة لأبي الشيخ ٤/ ١٢٦١.

(٤) «التخويف من النار» ص٦٥.

(٥) التخويف من النار ص٤٩.

يدل شيء من ذٰلك على أنَّ الجنةَ في الأرضِ، فحديث حذيفة إنْ ثبت فيه أنه رأى الجنةَ والنارَ في السماء، فالسماء ظرف للرؤية لا للمرئ أي: رأيتُ الجنةَ والنارَ حال كوني في السماءِ، يعني: صدرت الرؤيا مني وأنا في السماء، ولا تعرض في الحديث للمرئي فتأمل.

وفي حديث ضعيف جدًا أنه ﷺ رأى الجنةَ والنارَ / ٧٣٥/ فوق السماواتِ، فلو صح حُمِلَ على ما ذكرنا.

وقد أخرج القاضي أبو يعلى -من رءوس أصحابنا- بسند جيد عن الإمام أبي بكر المروزي أن الإمام أحمد رضي الله عنه فسر له آيات متعددة من القرآن، فكان مما فُسِّر له قوله ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ [التكوير: ٦] قال أطباق النيران ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾ [الطور: ٦] قال جهنم(١): وهٰذا يدل على أنه يرى أن النار في الأرض بخلاف ما رواه الخلاَّل، عن المروزي من أن النار في السماء.

وقال مجاهدٌ في قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾ [الذاريات: ٢٢] يعني: الجنة والنار(٢). وتأوّله بعضهم على أن المراد أن أعمال الجنة والنار مقدرة في السماء، والحاصل أن الجنة في السمٰواتِ والنارَ في الأرض على الصحيح المعتمد كما قدمناه والله تعالى الموفق.

---

(١) التخويف من النار ص٤٩.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» ١١/ ٤٦١ (٣٢١٨٨).

فصل

وأما طبقاتها وأدراكها فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] قال الضحاك: الدرك إذا كان بعضها أسفل من بعض، والدرج إذا كان بعضها فوق بعض وقال غيره: الجنة درجات والنار دركات، كما قال تعالى بعد أن ذكر أهل الجنة وأهل النار: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٣٢، الأحقاف: ١٩]، قال: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٢، ١٦٣] وقال عبد الرحمن بن زيد: درجات الجنة تذهب علوًّا ودرجات النار تذهب سفولا[١].

قال عكرمة في قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾ [الحجر: ٤٤] قَالَ: سبعة طباق[٢].

وفي قوله: ﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤] قَالَ: هي منازل بأعمالهم.

وقال يزيد بن أبي مالك الهمداني: لجهنم سبعةُ نيران تأتلقُ، ليس منها نارٌ إلا وهي تنظر إلى التي تحتها مخافة أن تأكلها[٣].

---

(١) تفسير الطبري ١٧/ ١٠٥، وابن كثير ٤/ ١٦٠.

(٢) الطبري ١٤/ ٣٥.

(٣) التخويف من النار ص٥٠.

وقال جريج[١] في قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ قَالَ: أولها جهنم. ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية. وفيها أبو جهل[٢][٣].

وفي «الإحياء» للغزالي على خلاف هٰذا الترتيب قَالَ: الأعلى جهنم، ثم سقر، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم الهاوية، ثم الجحيم والأول أصح لورود الآثار به.

قال القرطبي: الباب الأول يسمى جهنم وهو أهونها عذابًا وهو مختص بعصاة هٰذه الأمّة وسمي بذٰلك لأنه يتجهمُ / ٧٣١/ في وجوه الرِّجال والنساء تأكل لحومَهم، والهاويةُ آخرها وهي أبعدها قعرًا.

وقال الفخر: الظاهر أنَّ جهنم والعياذ بالله طبقات والظاهر أيضًا أنّ شرّها أسفلها.

وحكى الزمخشري، والثعلبي، والفخر: أن أصحاب الطبقة الأولى: أهل التوحيد يعذبون على قدر أعمالهم ثم يخرجون، والثانية: لليهود، والثالثة للنصارى، والرابعة: للصابئين، والخامسة: للمجوس، والسادسة: للمشركين، والسابعة: للمنافقين.

قال الضحاك: للنار سبعةُ أبواب، وهي سبعةُ أدراكٍ بعضُها على بعضٍ، فأعلاها فيه أهل التوحيد يعني عُصَاتهم يعذبون على قدر

---

(١) ورد في هامش الأصل: لعله ابن جريج. من خط المؤلف.

(٢) الطبري ١٤/ ٣٥.

(٣) «التخويف من النار» ٦٧-٦٨.

أعمالهم وأعمارهم في الدنيا ثم يخرجون منها وذكر الذي ذكرناهُ عن المفسرين الثلاثة.

قال الحافظُ: وهٰذا ضعيفٌ عن الضحاك؛ لأن فيه سلام المدائني وهو ضعيف[1]، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: أيُّ أهل النار أشدُّ عذابًا؟ قالوا له: اليهود، والنصارى، والمجوس قَالَ: لا ولكن المنافقون في الدرك الأسفل من النارِ في توابيت من نار مطبقة عليهم ليس لها أبواب.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: الدرك الأسفلُ من النارِ بيوتٌ لها أبوابٌ يُطبَقُ عليها فَتُوقَدُ من فوقهم ومِنْ تحتهم قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦] قال أبو يسار: الظُّلة من جهنم فيها سبعون زاوية في كل زاوية صنف من العذابِ ليس في الأخرى.

وقال كعب رضي الله عنه في ٱقتحام العقبة في كتاب الله عزَّ وجل يعني فلا ٱقتحم العقبة سبعون درجةً في النار.

وقال أبو رجاء: بلغني أنَّ العقبة التي ذُكِرت في كتاب الله مطلعها سبعة آلاف سنة ومهبطها سبعة آلاف سنة.

وقال بعض السلف في العقبة: جبلٌ في جهنم أَفَلاَ أُجاوزُه بعتق رقبةٍ؟! قال مقاتل بن حيان: هي عقبةٌ في جهنم. قالوا: بأي شيء تُقْطَعُ؟ قَالَ: بفكّ رقبة.

---

(١) «التخويف من النار» ص٦٨ .

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت في المنام أنه جاءني ملكان وفي يد كل منهما مقمعةٌ من حديد، ثم لقيني ملك في يده مقمعةٌ من حديد فقال: لن تُرع نِعْم الرجلُ أنت لو كنتَ تكثر الصلاة من الليل، فانطلقوا بي حتَّى وقفوا على شفير جهنم فإذا هي مطويَة كطي البئر وإذا لها قرون كقرون البئر بين كلِّ /٧٣٧/ قرنين ملكٌ بيدِه مقمعةٌ من حديد وإذا فيها رجالٌ معلقون بالسلاسل والأغلال رءوسهم أسفلهم، وعرفت فيها رجالاً من قريش فانصرفوا بي عن ذات اليمين. فقصصتها على حفصة، فقصتها على رسول الله ﷺ فقال: «**إن عبد الله رجل صالح**»[(١)].

فصل

وأمَّا صفة النارِ ونعوت دار البوار فهي أفظع من أن توصفَ وأقبحُ من أن تعرف أعَدَّها الله لكلِّ عاصٍ وكافرٍ إلا من رحم سبحانه وتعالى وما بالك بدارٍ هي آثار غضب الجبار فهي حَرِيَّةٌ بأن تُسمى الجحيم لأنها أثر نقمة العزيز الحكيم.

أخرج الطبراني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «**جاء جبريلُ إلى النبي ﷺ فقال: يا جبريل ما لي أراك متغير اللون قال: ما**

---

(١) صحيح رواه أحمد ٢/ ١٦٤، وعبد الرزاق (١٦٤٥) ومن طريقه رواه البخاري (١١٢١، ١١٢٢، ٣٧٣٨، ٣٧٣٩)، ومسلم (٢٤٧٩)، وابن حبان (٧٠٧٠).

جئتك حتَّى أمر الله بمنافيخ النار فقال: يا جبريل صف لي النار. قَالَ: إن الله أمر بجهنم فأُوقِد عليها ألفُ عام حتَّى ابيضَّت، ثم أُوقدِ عليها ألفُ عام حتَّى احمرَّت، ثم أوُقِد عليها ألفُ عامٍ حتَّى اسودَّت، فهي سوداء مظلمة لا يضيء شررها ولا يُطفأُ لهيبها، والذي بعثك بالحق لو أنَّ قدر ثقب إبرةٍ فُتِحَ من جهنم لمات من في الأض كلهم جميعًا من حرِّه، ولو أنّ خازنًا من خزنة جهنم برز إلى أهل الدنيا فنظروا إليه لمات من في الأرض كلهم من قبح وجهه، ومن نتن ريحه، ولو أنّ حلقةً من حلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت على جبال الدنيا لأرْفَضَتْ، وما تقارَّت حتَّى تنتهي إلى الأرض السفلى»[(١)].

وأخرج الإمامُ أحمدُ بسندٍ صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «هٰذه النار جزء من مائة جزء من نار جهنم»[(٢)] فنسأل الله سبحانه من فضله أن يعافينا من النار ومن غضبه بمنه وكرمه.

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٢٥٨٢)، قَالَ الهيثمي ١٠/ ٣٨٧: فيه سلام الطويل وهو مجمع عَلَى ضعفه.

(٢) مسند أحمد ٢/ ٣٧٩، ورواه الطبراني في «الأوسط» (٢٨٧٩)، قَالَ الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٨٧: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

فصل

وأما قعرها وعمقها فعن خالد بن عمير قال: خطب عتبة بن غزوان فقال: **إنه ذُكِرَ لنا أن الحجر يلقى من شفير جهنم فيهوي فيها سبعين عامًا لا يُدرِكُ لها قعرًا والله لتملأنُه أفعجبتم**. رواه مسلم موقوفًا هكذا، وكذا خرجه الإمام أحمد موقوفًا[١]، وخرّجه أيضًا مرفوعًا. قال الحافظ: والموقوف أصح[٢].

وخرّج الترمذي عن عتبة بن غزوان أنه قال على منبر البصرة عن النبي ﷺ قال: «**إن الصخرة العظيمة لَتُلْقَى من شفير جهنم فتهوي فيها سبعين /٧٣٨/ وما تقض إلى قرارها**»[٣].

قَالَ: وكان عمر رضي الله عنه يقول: أكثروا ذكر النار فإن حرّها شديد وإن قعرها بعيدٌ وإن مقامعَها من حديد.

قال الترمذي: رواه الحسن عن عتبة ولا نعرف للحسن سماعًا من عتبة بن غزوان.

وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ يومًا فسمعنا وَجْبَة، فقال النبي ﷺ: «**أتدرون ما هذا؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «**هذا حجرٌ أُرْسِلَ في جهنم منذ سبعين خريفا**»[٤].

---

(١) مسند أحمد ٤/ ١٧٤، وابن حبان (٧١٢١)، مسلم موقوفاً (٢٩٦٧).

(٢) «التخويف من النار» لابن رجب ص٧٢ .

(٣) الترمذي (٢٥٧٥). (٤) مسلم (٢٨٤٤).

وخرّج ابن حِبَّان في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنهُ عن النِّبي ﷺ أنه قال: «**لو أنَّ حجرًا قُذِفَ به في نَارِ جهنَّم لهوى فيها سبعين خريفا قبل أن يبلغَ قعرها**»[(١)(٢)].

وأخرج ابن المبارك عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: **إن ما بين شفير جهنم مسيرة سبعين خريفًا من حجر يهوي أو صخرة تهوي عظمها كعشر عشراوات أي: نوق عشارية عظام سمان فقال له رجل تحت ذٰلك شيء يا أبا أمُامة؟ قَالَ: نعم غيّ وآثام**»[(٣)].

قال الحافظ في التخويف[(٤)]: وقد روي هٰذا مرفوعًا بإسنادٍ فيه ضعف وزاد فيه: «**قيل وما غيّ وما آثام قال: بئران يسيل فيهما صديد أهل النار وهما اللتان ذكرهما الله في كتابه** ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] **وفي الفرقان** ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨].

قال الحافظ: والموقوف أصح[(٥)].

وأخرج الإمام أحمدُ عن عبد الله عنه ﷺ قال: «**ما من حكم يحكم بين الناس إلا حبس يوم القيامة وملك آخذ بقفاه حتَّى يقفَهُ على**

---

(١) رواه هناد في «الزهد» (٢٥١)، وابن حبان (٧٤٦٨)، والبيهقي في «الشعب» (٤٨٣).

(٢) «التخويف من النار» ٧٢-٧٣.

(٣) رواه بنحوه الطبري ١٦/ ٧٥ و١٩/ ٢٨-٢٩، والطبراني ٨/ (٧٧٣١)، والبيهقي في «الشعب» (٥٢٢) وفيه ضعف.

(٤) «التخويف من النار» لابن رجب ص٧٤ .

(٥) «التخويف من النار» لابن رجب ص. ٧٤

شفير جهنَّم ثم يرفعُ رأسَه إلى الله عزَّ وجل فإذا قال: ألقه، ألقاه في مهوي أربعين خريفا»[١].

وفي التخويف للحافظ[٢] بسند فيه عبد الله بن الوليد الرصافي لا يحفظ الحديث - وكان شيخًا صالحًا - أن أبا ذر رضي الله عنه قال لعمر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يجاء بالوالي يوم القيامة فينبذ على جسر جهنم فيرتج به الجسر أرتجاجة لا يبقي منه مفصل إلا زال عن مكانه فإن كان مطيعًا لله في عمله مضى به، وإن كان عاصيًا لله في عمله أنخرق به الجسر فهوى في جهنم مقدار خمسين عامًا**» فقال له عمرُ رضي الله عنه: من يطلب العمل بعد هٰذا؟ قال أبو ذر رضي الله عنه: من سلت الله أنفه وألصق خده بالتراب /٧٣٩/ فجاء أبو الدرداء فقال له عمر: يا أبا الدرداء هل سمعت رسول الله ﷺ؟ حدثنا بحديث حدثني به أبو ذر، قال: فأخبره أن مع الخمسين خمسين عاما يهوي أو نحو هٰذا.

وفي موعظة الأوزاعي للمنصور قال[٣]: أخبرني يزيد بن يزيد بن

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٤٣٠ (٤٠٩٨)، وابن ماجه (٢٣١١)، وقال الهيثمي في إسناده مجالد وهو ضعيف.

(٢) «التخويف من النار» لابن رجب ص٧٤ .

(٣) عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، إمام أهل الشام في زمانه في الحديث والفقه، كان يسكن دمشق خارج باب الفراديس بمحلة الأوزاع ثم تحول إلى بيروت فسكنها مُرابطًا إلى أن مات بها. قال أبو حاتم: إمام مُتَّبع لما سمع.
انظر طبقات ابن سعد ٧/ ٤٨٨، و«التاريخ الكبير» ٥/ ٣٢٦-١٠٣٤، و«تهذيب الكمال» ١٧/ ٣٠٧ .

جابر عن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري أن أبا ذرّ وسلمانَ قالا لعمرَ رضي الله عنه: سمعنا رسول الله ﷺ يقول فذكر معناه وقال: «هوى به في النار سبعين خريفا» وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله قال: قال النبي ﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوي بها في النار**» وفي لفظ «**يزلُّ بها في النار أبعدَ ما بين المشرق والمغرب**»[1].

وأخرج الإمام أحمد والترمذي عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوي بها في النار سبعين خريفًا**»[2].

وخرَّجه ابن ماجهَ[3] وكذا البزار بنحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه. هٰذا عمقها.

وأما سعتها فروى مجاهدٌ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتدرون ما سعة جهنم؟ قلنا: لا، قال: قَالَ: أجل والله ما تدرون ما بين شحمة أذن أحدهم وعاتقه مسيرة سبعين خريفًا، تجري فيه أودية القيح والصديد والدم، قلنا: أنهار؟ قال: لا بل أودية، ثم قال: أتدرون ما سعةُ جهنم؟ قلنا: لا، قال: حدثتني عائشةُ رضي الله عنها أنَّها سألتْ رسولَ الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا

---

(١) رواه أحمد ٢/ ٢٣٦ و٢٩٧، والبخاري (٦٤٧٨)، ومسلم (٢٩٨٨).

(٢) رواه أحمد ٢/ ٣٥٥، والترمذي (٢٣١٤).

(٣) ابن ماجه (٣٩٧٠).

قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] فأين الناس يومئذ؟ قال: «**على جسر جهنم**»[1] رواه الإمام أحمد.

وخرّج النسائي والترمذي منه المرفوع وصححه الترمذي وخرّجه الحاكم وقال: صحيح الإسناد. والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) أخرجه أحمد ٦/ ١١٦ (٢٤٨٥٦)، والترمذي (٣٢٤١) وقال: حسن صحيح غريب من هَذَا الوجه، وأخرجه النسائي في «الكبرى» ٦/ ٤٤٦ (١١٤٥٣)، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٤٣٦ وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.



الباب الثالث

في ذكر أبواب جهنم وسرادقها وظلمتها وشدة سوادها

أما أبوابها فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ٤٣، ٤٤].

وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**لجهنم سبعةُ أبواب منها باب لمن سلّ سيفه على أمّتي**»[١].

وفي حديث أبي رزين العقيلي عند الإمام بن الإمام أبي عبد الرحمن /٧٤٠/ عبد الله بن الإمام أحمد والطبراني والحاكم وغيرهم عنه ﷺ أنه قَالَ: **لعَمْرُ ألهك إنَّ للنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما**» وتقدم بطوله[٢].

وأخرج ابن أبي حاتم عن علي كرم الله وجهه قال: «**أبواب جهنَّم سبعة أبواب بعضُها فوق بعضٍ**» قَالَ بإصبعه، وعقد خمسين، واضجع يده ثم يمثل الأول والثاني والثالث حتَّى عقدها كلها.

وقال جويبر عن الضحاك: سمى الله تعالى أبواب جهنم لكل باب منهم جزء مقسوم: باب لليهود، وباب للنصارى، وباب للمجوس، وباب للصابئين، وباب للمنافقين، وباب للذين أشركوا وهم كفَّارُ العربِ، وبابٌ لأهل التوحيد؛ وأهل التوحيد يرجى لهم

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٩٤ (٥٦٨٩)، والترمذي (٣١٢٣)، وقال الترمذي حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك بن مغول.

(٢) وتقدم تخريجه ت(٢) ص٩٦٠، وانظر ص١١٧٢، ١١٧٣.

ولا يرجى للآخرين[١]. خرَّجه الخلاَّل[٢].

وقال عطاء الخراساني: إن لجهنم سبعة أبواب، أشدُّها غمًا وكربًا وحرًا وأنتنها ريحًا للزناة الذين ركبوا بعد العلم.

وقال كعب: لجهنمَ سبعةُ أبوابٍ باب منها للحروريّة[٣].

وهٰذا يدل على أن كل باب من السبعة لعمل مخصوص من الأعمال السيّئة، كما أن أبوابَ الجنة الثمانية كل باب لعمل مخصوص من الأعمال الصالحة.

وقال وهب: بين كل بابين من أبواب النار مسيرة سبعين سنةً، كل باب أشد حرًّا من الذي فوقه[٤].

ويروى عن بلال رضي الله عنه: أن أعرابيّة صلّت خلف النبي ﷺ فقرأ النبي ﷺ هٰذه الآية ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤] فخرّت مغشيًا عليها فلما أفاقت قالت: يا رسول الله كل عضوٍ من أعضائي يعذب على كل باب منها فقال ﷺ: «**لكل باب منهم جزء مقسوم يعذب على كل باب على قدر أعمالهم**» فقالت: ما لي إلا سبعة أعبد أُشهدك أن كل عبد منهم، لكل باب من أبواب جهنم حُرٌّ لوجه الله تعالى فجاء جبريل فقال: بشرها أن الله قد حرّم عليها أبواب جهنم. هٰذا خرّجه الثعلبي في تفسيره بإسناد مجهول[٥].

قال الحافظ في التخويف: لا يصح رفعه وفيه ما لا تحل الرواية عنه، والصحيح ما خرّجه ابن أبي الدنيا عن هشام بن حيان قال:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٣٩٤).
(٢) «التخويف من النار» ص٧٩ . (٣) «التخويف من النار» ص٨٠ .
(٤) «التخويف من النار» ص٨٠ . (٥) «التخويف من النار» ٧٨-٨١.

خرجنا حُجَّاجًا فنزلنا منزلا في بعض الطريق فقرأ رجل كان مَعَنا هٰذه الآية / ٧٤١/ ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ۝٤٤﴾ فسمعت امرأة فقالت: أعد رحمك الله. فأعادها، فقالت: خلفت في البيت سبعة أعبد أُشهدك أنهم أحرار لكل باب واحد(١).

لطيفة: أخرج ابن أبي الدنيا من طريق عبد العزيز بن أبي وراد قال: كان بالبادية رجل قد اتخذ مسجدًا فجعل في قبلته سبعة أحجار فكان إذا قضى صلاته قال: يا أحجار أُشهدكم أن لا إلٰه إلا الله. قال: فمرض الرجل فعرج بروحه، قال: فرأيت في منامي أنه أمر بي إلى جهنم فلما أوقفت على بابها فرأيت حجرًا من تلك الحجارة أعرفه بعينه قد عظم، فسدّ عني بابًا من أبواب جهنم، فذهبوا بي إلى باب آخر فإذا بحجر آخر حتَّى سدّ عني بقية الأحجار أبواب جهنم.

فهٰذا أشهد حجرًا فنفعته تلك الشهادة، وأنا أشْهدُ الله الذي لا إلٰه إلا هو الرحمن الرحيم أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له إلها قاهرًا جبّارًا. وملكًا قادرًا قهّارًا؛ للذّنوب غفّارًا؛ وللعيوب ستّارًا؛ وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وأساله أن يتوفاني على كلمة الإخلاص. وأطلب منه العافية والخلاص، بمنه وكرمه، ولطفه وحلمه، والمسلمين أجمعين(٢).

---

(١) «التخويف من النار» ص٨١، ٨٢ .

(٢) وأنا أشهد بذلك لي ولوالدي وذريتي فأسأل الله أن ينفعني بها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتىٰ الله بقلب سليم، وقد ذكرت فيما مضى توسع المؤلف رحمة الله عليه في ذكر المنامات ولا مانع من حصولها شرعاً لأن الأدلة الدالة في الكتاب والسنة تؤيده.

فصل

وقد وصف الله سبحانه وتعالى أبوابها بأنها مغلقة فقال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾ [الهمزة: ٨] قال مجاهد: هي بلغة قريش مغلقة أصَّد الباب أي أغلقه[(١)] وقال مقاتل: أبوابها مطبقة فلا يفتح لها باب ولا يخرج منها غمّ ولا يدخل فيها روحٌ آخرُ الأبد[(٢)].

وخرّج ابن مردوية عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾ قَالَ: «مطبقة»[(٣)]، قال الحافظ في التخويف: رفعه لا يصح[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ معناه: أطبقت عليهم بعمد، قاله قتادة وكذلك هو في قراءة عبد الله بعمد بالباء الموحدة، قال عطاء: هي عُمُدٌ من حديد في النار.

وقال مقاتل: أطبقت الأبواب عليهم ثم سدّت بأوتادٍ من حديد حتَّى يرجع عليهم غمُّها وحرُّها، وعلى هٰذه فقوله: ممدَّدةٌ صفةٌ للعمد يعني أنَّ العمدَ التي أوُثقت بها الأبواب ممدودة مطولة والممدود الطويل أرسخ وأثبت من الطويل[(٥)]، وقيل: إن الممدودة / ٧٤٢/

---

(١) «التخويف من النار» ص٨١، ٨٢

(٢) «التخويف من النار» ص٨٢ . (٣) «التخويف من النار» ص٨٢ .

(٤) «التخويف من النار» ص٨٢ .

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» عن ابن عباس (٣٧٩٣٧).

صفة لأبواب، وهو عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقيل: المراد بالعمد الممددة القيود الطوال[1]، وقيل: المراد بالعمد الممددة الزمان الذي لا ٱنقطاع له، قال السدي: من قرأها في عمد بالفتح فهي عمد من نار، ومن قرأها بالضم فهو أجلٌ ممدودٌ.

واعلم أنَّ إطباق جهنَّمَ على نوعين:

أحدهما: خاص لمن يخلد في النار أو من يريد الله التضييقَ عليه - أجارنا الله من ذٰلك كله - قال بعض السلف: إن في النار أقوامًا مؤصدةٌ عليهم كما يطبق الحق على طبقه، خرّجه ابن أبي حاتم عن أبي توبة اليزني، والثاني: العام وهو إطباق النار على أهلها المخلدين فيها، كذا في التخويف للحافظ[2] قال: وقد قال سفيانُ وغيره في قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] قال: هو إطباق النار على أهلها.

وخرَّجَ ابن أبي حاتم عن سعيدِ بن جبير قال: ينادي رجل في شعبٍ من شِعَابِ النار مقدار ألف عام: يا حنَّان يا منّان. فيقول الله عزَّ وجل: يا جبريل أخرج عبدي، فيجدها مطبقة فيقول: إنها عليهم مؤصدة مطبقة.

وقال ابن عمرو رضي الله عنهما[3]: إذا أجاب الله تعالى أهل النار ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] أطبقت

---

(١) «التخويف من النار» ص٨٢ . (٢) «التخويف من النار» ٧٢-٧٣.

(٣) «التخويف من النار» ص٨٣ .

عليهم فلم ينطق القوم بعد تلك الكلمة، وإن كان إلا الزفير والشهيق يعني يأس القوم فلم ينطقوا. وقال أبو عمران الجوني: إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار عنيد وكل شيطان مريد وكل من كان يخاف الناس في الدنيا شره فأُوثِقوا بالحديد ثم أمر بهم إلى جهنم ثم أوصدوها عليهم فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبدًا ولا ينظرون فيها إلى أديم سماء أبدًا، ولا والله لا تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبدا ولا والله لا يذوقون فيها باردَ شرابٍ أبدا(١)

وقال بعض السلف: في إطباق النار على أهلها: لبسوا النضيج من النحاس ومنعوا خروج الأنفاس، فالأنفاسُ في أجوافهم تتردد والنيران على أبدانهم تتوقد، وقد أُطبقت عليهم الأبواب وغضب عليهم ربّ الأرباب، ومنعوا السؤال والجواب، ولم يبق إلا الزفير والشهيق والتشلوح والمزيق. وأنشد بعضهم في هٰذا:

لو أبصرتْ عيناك أهلَ الشقا سَيقوا إلى النار وقد أُحرقوا/ ٧٤٣/
يصلونها حين عصوا ربهم وخالفوا الرُّسلَ وما صدّقوا
تقول أُخْراهم لأولاهم في لجج المهل وقد أغرقوا
قد كنتم حذرتُم حرّها لكن من النيران لم تفرقوا
وجيء بالنيران مزمومةً شرارها من حولها محرق
وقيل للنيران أن أحرقي وقيل للخُزّان أن أطبقوا

---

(١) «التخويف من النار» ص٨٤ .

وقد ورد في بعض أحاديث الشفاعة فتح باب النار[١]، فخرّج الطبراني من رواية العباس عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إني آتي جهنم فأضرب بابها فيفتح لي، فأدخلها فأحمد الله بمحامد ما حمده أحد قبلي مثله ولا حمده بعدي، ثم أُخرِجُ منها من قال: لا إله إلا الله مخلصًا فتقوم لي أُناس من قريش فينتسبون لي فأعرف نسبهم ولا أعرف وجوههم فأتركهم في النار»**[٢]. قال الحافظ في التخويف: إسناده ضعيف والله أعلم[٣].

---

(١) انظر «تفسير ابن كثير» ١٠/١٥٣-١٥٤ .

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» ٤/١٥١.

(٣) «التخويف من النار» ٨٤-٨٦.

فصل

وأمَّا السرادقُ فقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ﴾ [الكهف: ٢٩]

قال الزجَّاج: السرادق كلما أحاط بشيء نحو المضرب والحائط المشتمل على الشيء، وقال ابن قُتَيبْة[١]: السرادق: الحجرة التي تكون حوط الفسطاط وقيل: الدهليز وهو معرب وأصله بالفارسية سرادار[٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو سرادقٌ من نار[٣]. وخرَّج الترمذي بسند فيه ابن لهيعة عن أبي سعيد مرفوعًا: «**لسرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة**»[٤].

قال الحافظ:[٥] وإحاطة السرادق بهم قريب من المعنى المذكور في غلق الأبواب، وهو شبه قول من قال في السرادق: إنه حائط لا باب له.

ولما كان إحاطة السرادق بهم موجبًا لغمهم وكربهم لشدة وهج النار، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ

---

(١) كتاب مشكل القرآن، سورة الكهف. قصد السبيل سرادق (٢/ ١٢٦)

(٢) «التخويف من النار» ص٨٦ .

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٣٠٣٤).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٣٠٣٧).

(٥) «التخويف من النار» ص٨٦ .

إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ [الكهف: ٢٩] وقال تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج: ٢١، ٢٢].

قال أبو معشر[١]: كنا في جنازة مع أبي جعفر القاريء فبكى أبو جعفر ثم قال: حدثني زيد بن أسلم: أن أهل النار لا يتنفسون؛ فذٰلك الذي أبكاني. أخرجه الجوزجاني / ٧٤٤/ .

وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: سبعون ألف قبة من نار في كل قبةٍ سبعون ألف تنور من نار، في كل تنور منها سبعون ألف كوة من نار، في كل كوة منها سبعون ألف صخرة من نار، على كل صخرة منها سبعون ألف حجر من نار، وعلى كل حجر منها سبعون ألف عقرب من نار، لكل عقرب منها سبعون ألف ذنب من نار، لكل ذنب منها سبعون ألف قفازة من نار، في كل قفازة منها سبعون ألف قلة من سم، وسبعون ألف موقد من نار يوقدون تلك النار".

وذكر تمام الحديث وستأتي إن شاء الله بقيته وفيه أنهم يهربون من باب إلى باب خمسمائة سنة.

قال الحافظ في التخويف[٢]: وهٰذا الخبر غريب منكر وفيه إبراهيم بن الحكم بن أبان ضعيف تركه الأئمة.

---

(١) صفة النار لابن أبي الدنيا (١٥٨) «التخويف من النار» ص٨٧ .

(٢) «التخويف من النار» ص٨٧ .

وتقدم أن أبواب جهنم قبل دخول أهلها إليها يوم القيامة تكون مغلقة وذكرنا قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١] الآية وفي حديث أبي هارون العبدي وهو ضعيف جدًا عن أبي سعيد مرفوعًا في قصة الأسراء: «**ثم عرضت علي النار وإذا غضب الله وزجره ونقمته لو طُرح فيها الحجارةُ والحديدُ لأكلتها ثم أغلقت دوني**» وقد روى أنها تفتح في كل يوم نصف النهار.

وأخرج الإمام أحمدُ: «أن خبابَ بن الأرت رأى رجلا يصلي نصف النهار فنهاه وقال: إنها ساعة تفتح فيها أبواب جهنم فلا يُصَلَّى فيها»[1] وتقدم أن الحكمة في غلقها ليزداد حرها، ويعظم ضرها، ويقوى شرها، ويزيد سعيرها، ويكثر زفيرُها، ويحبسَ دخانُها، ويخنقَ خزانها، فنسألُ الله أن يعافينا من زفراتها، ويبعدنا عن عقاربها وحياتها، بمنه وكرمه.

وقد ورد ما يستدل به على أن أبوابها مفتوحة كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين**»[2] وخرَّج الترمذي عن أبي هريرة مرفوعًا: «**إذا كان أوّل ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب**»[3].

(١) التخويف من النار ص٦٥.
(٢) أخرجه مسلم ١٠٧٩.
(٣) أخرجه الترمذي ٦٨٢، وابن ماجه ١٦٤٢، وأخرجه النسائي ٤/ ١٢٦.

وأجيب: بأن غلق أبواب النار إنما هو عن الصائمين خاصة وكذا فتحُ أبواب الجنة لهم خاصة /٧٤٥/ ويدل عليه حديث ابن عباس مرفوعًا: «**فيفتح فيها أي في أول ليلة من رمضان أبواب الجنة للصائمين من أمّة محمد ويقول الله عزَّ وجل: يا رضوان ٱفتح أبواب الجنان، يا مالك: أغلق أبوابَ الجحيم عن الصائمين من أُمة محمدٍ ﷺ**»[1]، والحديث منقطعٌ فإنهُ رواه الضحاك عن ابن عباسٍ، والضحاك لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما، هكذا جواب بعض العلماء[2].

قلت: والذي يظهر لي من الجواب عن هٰذه الأحاديث أنَّ المراد بقوله ﷺ: «**وغلقت أبواب النار**» أي ٱستمرت على حالها قبل رمضان مغلوقة كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ [النساء: ١٣٦] وكذا القول في أبواب الجنة على رأي من زعم أنها مفتوحة الآن وإلا هٰذا الكتاب قد نطق بتغليق الأبواب فقد قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١] فالحقُّ أنَّ أبوابَ جهنَّمَ مغلقةٌ، أمَّا اليومُ فعَلَى الصحيحِ المعتمدِ وأمَّا فِي الآخرةِ فَلا نزاعَ اللهُمَّ إلا أنْ يُنَازِعَ في ذٰلِكَ من لا يعتدُّ بنزاعِهِ والله تعالَى الموفقُ.

---

(١) التخويف من النار ص٦٥ وكذلك في الترغيب والترهيب ٢/ ٦١.

(٢) «التخويف من النار» ٨٦-٨٨.

فصل
وأما ظلمتها وشدة سوادها

فروى ابن ماجه والترمذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**أوقِد على النار ألفُ سنةٍ حتى احمرت، ثم أُوقد ألفُ سنةٍ حتى ابيضت ثم أُوقِد عليها ألفُ سنة حتى اسودت، فهي سوداءُ كالليل المظلم**»[١].

قال الترمذي: حديث أبي هريرة في هٰذا موقوف أصح[٢]، قال: ولا أعلم أحدًا رفعه غير يحيى بن أبي بكر عن شريك وتقدم هٰذا عند الطبراني[٣] عن عمر بنحوه.

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**أترونها - يعني النار - حمراء كناركم هٰذه لهي أشد سوادًا من القار**»[٤] وخرَّجه

---

(١) رواه ابن أبي شيبة ٧/ ٧٧ (٣٤١٥٤)، كتاب ذكر النار، باب: ما ذكر فيما أعد لأهل النار وشدته.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٣٢٠)، والترمذي (٢٥٩١)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (١٣٠٥).

(٣) في «المعجم الأوسط» مطولًا ٣/ ٨٩-٩١ (٢٥٨٣)، وقال: «لا يُرْوَى هذا الحديث عن عمر إلا بهذا الإسناد، تفرَّد به سَلَّام»، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٣٨٦-٣٨٧: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه: سلام الطويل، وهو مجمع على ضعفه». وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة»

(٤) الموطأ (٢/ ٩٩٤) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (٥٠١)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦٦٦).

البزار بلفظ «**لهي أشد سوادًا من دخان ناركم بسبعين ضعفا**».

وروي موقوفًا عن أبي هريرة وهو أصح، قاله الدارقطني[١].

وقال ابن مسعود[٢] رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾﴾ [التكوير: ١٢] قال: سعرت ألفَ سنةٍ حتَّى ٱبيضت ثم ألفَ سنةٍ حتَّى ٱحمرت ثم ألف سنةٍ حتى ٱسودت فهي سوداء مظلمة.

قال الحافظ في «التخويف»[٣] وفيه الحكم بن ظهير ضعيف والصحيح ما رواه عاصم عن أبي / ٧٤٦/ صالح عن أبي هريرة كما سبق يعني من قوله في ما تقدم: «**أوقد على النارِ ألف سنةٍ حتَّى ٱحمرت**» الحديث.

وقال سلمان الفارسي[٤] رضي الله عنه: النارُ سوداء مظلمة لا يُطفأ جمرُها ولا يُضيء لهبُها ثم قرأ ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢٢] وقال أُبيّ بن كعب[٥] رضي الله عنه: ضرب الله مثلاً للكافر ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ الآية [النور: ٤٠] فهو يتقلب في خمسة من الظلم كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره إلى الظلمات إلى النار. رواه أبو جعفر.

وقال الضحاك[٦]: جهنم سوداء وماؤها أسود وشجرها أسود

---

(١) العلل (١٠/ ٨٣).

(٢) «التخويف من النار» ص٩٠-٩١ .

(٣) «التخويف من النار» ص٩١ .

(٤) رواه ابن أبي شيبة ٧/ ٧٢ (٣٤١٠٩)، كتاب: ذكر النار، باب: ما ذكر فيما أعد لأهل النار وشدته.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» ٩/ ٣٣٥ (٢٦١٦٤).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٢١٩ (٢٣٠٤٤).

وأهلها سود.

وقد دلّ على سوادِ أهلها قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس: ٢٧] وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾ [آل عمران: ١٠٦] الآيتين.

وثبت أن عصاة الموحدين منهم من يحترق في النار حتَّى يصير فحمًا[1] فنسأل الله بوجهه العافية من النار ومن غضبه وما ينشأ عنه غضبه ونستعيذ به وبأسمائه وصفاته وكلامه وخواص خلقه من غضبه وسخطه ونتحصنُ من النارِ بمدلولِ اسمه الغفار ونبيه المختار ﷺ[2].

---

(١) «التخويف من النار» ٨٩-٩٢.

(٢) نهى النبي ﷺ عن الغلو في تعظيمه ومدحه، وغيره من باب أولى، لأن ذَلِكَ يؤدي إلى إشراك المخلوقين في حق الخالق سبحانه وتعالى، ولعل المؤلف رحمة حينما توسل بالنبي ﷺ يقصد بطاعته.

الباب الرابع
في شدة حر جهنم وزمهريرها وسجرها وتسعيرها وتغيظها وزفيرها أعاذنا الله منها

أما حرها فقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١] وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضا فنفسني فأذِنَ لها في نفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف فأشد ما تجدون من الحر من سمومها وأشد ما تجدون من البرد من زمهريرها»**(١).

وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا أن رسولَ الله ﷺ قال: **«ناركم هٰذه ما يوقد ابن آدم جزءٌ واحدٌ من سبعين جزءاً من نار جهنم»** قالوا: والله إن كانت لكافية قال: **«إنها فُضِّلَت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرِّها»**(٢).

وخرَّجه الإمام أحمد وزاد فيه: **«وضربت بالبحر مرتين ولولا**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٧، ٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧)، وأحمد ٢/ ٥٠٣ (١٠٥٣٨)

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣)، وأحمد ٢/ ٣١٣ (٨١٢٦)، وعبد الرزاق في المصنف (٢٠٨٩٧)، والترمذي (٢٥٨٩)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

ذلك /٧٤٧/ ما جعل الله فيها منفعةً لأحد»[١] وتقدم.

وخرَّج الإمام[٢] عن أبي هريرة رضي مرفوعًا: «إن النار هٰذه جزء من مائة جزءٍ من جهنم» وروى الطبراني[٣] «أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ: والذي بعثك بالحق لو أن قدر ثقب إبرةٍ فتح من جهنم لمات من في الأرض كلهم جميعًا من حرِّه».

قال الحافظ[٤]: وروي عن الحسن مرسلاً من وجهٍ ضعيف، والحديث تُكُلِّم فيه والله تعالى أعلم.

وقال كعب الأحبار رحمه الله[٥] لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو فتح من جهنم قدر مِنَخرِ ثَورٍ بالمشرق ورجلٌ بالمغرب لغلى دماغه حتَّى يسيل من حرّها. وقال عبد الملك بن عمير[٦]: لو أنَّ أهلَ النارِ كانوا في نار الدنيا لقالوا فيها.

وقال بشير بن منصور: قلت لعطاء السلمي رحمه الله: لو أن إنسانًا أُوقِدَت له نارٌ وقيل له: من دخل هٰذه النار نجا من النار، فقال عطاء: لو قيل لي ذٰلك لخشيت أن تخرج نفسي فرحًا قبل أن أقع فيها[٧].

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٢٤٤ (٧٣٢٧)، وابن حبان في صحيحه (٧٤٦٣).

(٢) «مسند أحمد» ٢/ ٣٧٨ .

(٣) هو جزء من حديث سبق تخريجه.

(٤) «التخويف من النار» ٩٤.

(٥) رواه أحمد في «الزهد» ص١٥١، وأبو نعيم في «الحلية» ٥/ ٣٦٨-٣٦٩ .

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» برقم (١٥١).

(٧) «التخويف من النار» ٩٣-٩٥، ورواه أبو نعيم في «الحلية» ٦/ ٢١٦، والبيهقي في شعب الإيمان ١/ ٥٢٢-٥٢٣ (٩١٨) باب: في الخوف من الله تعالى.

فإن قلت قد ذكرت عن المصطفى ﷺ: «**أن هٰذه النار جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جهنم**»[(١)] وفي حديث آخر من مائة جزء وكلا الحديثين ثابت عنه ﷺ.

قلت: لفظة سبعين وسبعمائة وسبعة آلاف ونحوها كثيرًا ما يراد به التكثير كقوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] وهٰذا كثير جدًا في كلام العرب أو يقال: إن هذين الحديثين وردا بحسب ٱختلاف النارين اللتين من نار الدنيا وكل أحدٍ يشاهد أنَّ بعض نار الدنيا أقوى وأشدُّ حرًا من بعضٍ، هٰذا معلوم بالحس لا ينكره أحدٌ والله تعالى أعلم.

فصل
وأما زمهريرها

فروي أن بيتا في جهنم يتميز فيه الكافر من برده يعني يتقطع ويتمزعُ وقال مجاهد: إن في النار لزمهريرًا يقيلون فيه، يهربون إلى ذٰلك الزمهرير فإذا وقعوا حطم عظامهم حتَّى يسمع لها نقيض.

وقال ابن عباسٍ[(٢)] رضي الله عنهما: يستغيث أهل النار من الحر فيغاثون بريح باردةٍ يصدع العظامَ بردُها فيسألون الحرَّ.

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» ٢/ ٩٩٤ عن أبي هريرة، والحميدي في «مسنده» ٢/ ٤٧٩.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» برقم (١٥٢).

وعن عبد الملك بن عمير أنه قال[١]: بلغني أن أهل النار يسألون خازنها أنْ يخرجهم إلى حَبَّانها فأخرجهم فقتلهم البرد حتَّى رجعوا إليها فدخلوها مما /٧٤٨/ وجدوا من البرد.

وأخرج أبو نعيم[٢] عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن كعبًا رضي الله عنه قال: إن في جهنم بردًا هو الزمهرير يسقط اللحم حتَّى يستغيثوا بحرّ جهنم.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: الزمهرير لون من العذاب. وذكر الحافظ في «التخويف»[٣] أن زبيداً اليامي[٤] قام ليلةً للتهجد فعمد إلى مطهرة له قد كان يتوضأ فيها فغسل يده ثم أدخلها في المطهرة فوجد

---

(١) المصدر السابق برقم (١٥١)، سبق تخريجه.

(٢) «حلية الأولياء» ٥/ ٣٧٠ . (٣) «التخويف من النار» ص٩٦ .

(٤) هو زُبَيْد بن الحارث بن عبد الكريم بن عمرو بن كعب الياميّ، ويقال له: الإياميُّ أيضًا، أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو عبد الله الكوفي.
روى عن: إبراهيم بن سويد النخعي، وسعيد بن جبير، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وغيرهم وروى عنه: الحسن بن صالح بن حيّ، وسفيان الثوري، وسليمان الأعمش، وغيرهم. قال عليّ ابن المدينيّ، عن يحيى بن سعيد القطّان: ثبت.
وقال إسحق بن منصور، عن يحيى بن معين، وأبو حاتم، والنسائي: ثقة.
قال أبو نعيم: مات سنة ثنتين وعشرين ومئة.
وقال محمد بن عبد الله بن نُمَيْر: مات سنة أربع وعشرين ومئة بعد طلحة بعشر سنين. روى له الجماعة.
انظر: «الطبقات الكبرى» ٦/ ٣٠٩-٣١٠، و«التاريخ الكبير» ٣/ ٤٥٠ (١٤٩٩)، و«تهذيب الكمال» ٩/ ٢٨٩-٢٩٢ (١٩٥٧).

الماء فيها باردًا بردًا شديدًا كاد أن يجمد، فذكر الزمهرير الذي في النار ويده في المطهرة فلم يخرجها منها حتَّى أصبح، فجاءت الجارية وهو على تلك الحال فقالت: ما شأنُكَ يا سيدي؟ لم تصلِّ الليلة كما كنت تُصلِّي؟ قال: ويحك إني أدخلت يدي في هٰذه المطهرة فاشتد عليَّ البردُ فذكرت به الزمهرير فوالله ما شعرت لشدة برده حتَّى وقفتِ عليَّ، اُنظري لا تخبري بهٰذا أحدًا ما دمت حيًا فما علم بذٰلك أحدٌ حتَّى مات رحمه الله تعالى.

فصل

وأما سجر جهنم وتسعيرها فقد سبق أنه أوقِد عليها ثلاثة آلاف عام. وخرَّج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«لما خلق الله النار أرسلَ جبريلَ عليه السلام إليها وقال: اُذهب فانظر إليها وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها، قال: فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضا، ثم رجع وقال: وعزتك لا يدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فَحُفَّت بالشهوات ثم قال: اُذهب فانظر ما أعددت لأهلها فيها، فنظر إليها فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلاّ دخلها»**[1] واعلم أن جهنم تسجر كل يوم نصف النهار.

أخرج مسلم عن عمرو بن عبسة عن النبي ﷺ أنه قال: «صلِّ

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٥٤ (٨٦٤٨)، وأبو داود (٤٧٤٤)، والترمذي (٢٥٦٠) وقال الترمذي: حسن صحيح.

صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتَّى تطلع الشمس وترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صلِّ فإن الصلاة مشهودةٌ حتَّى يستقلَّ الظِّلُّ بالرمح ثم أقصِر عن الصلاةِ فإنه حينئذ تُسجر جهنم فإذا أقْبَلَ الفيءُ فصلِّ»[١]. وذكر بقية الحديث.

وفي حديث صفوان بن المعطل السلمي مرفوعًا: «إذا طلعت الشمس فصلِّ حتَّى يعتدل على رأسك مثل الرمح فإذا ٱعتدلت على رأسك فإن تلك الساعة تسجر جهنم فيها وتفتح فيها أبوابها حتَّى تزول عن حاجبك الأيمن» /٧٤٩/ خرَّجه عبد الله بن الإمام أحمد[٢]، طيب الله ثراهما.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «فإذا ٱنتصف النهار فأقصِر عن الصلاة حتَّى تميل الشمس فإنها حينئذ تُسْجر جهنم وشدة الحرّ من فيح جهنم»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٨٣٢).

(٢) في «زوائده على مسند الإمام أحمد» ٥/ ٣١٢ .
والحديث رواه ابن ماجه (١٢٥٢) كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في الساعات التي تكره فيها الصلاة، رواه عن أبي هريرة، قال: سأل صفوان بن المعطل رسول الله . . . ورواه الحاكم ٣/ ٥١٨ كتاب: معرفة الصحابة، باب: ذكر صفوان بن المعطل السلمي رضي الله عنه.
قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه ابن خزيمة ٢/ ٢٥٧-٢٥٨ (١٢٧٥)، كتاب: الصلاة، باب: النهي عن التطوع نصف النهار حتى تزول الشمس، وابن ماجه ٤/ ٤١٨ (١٥٥٠) كتاب: الصلاة، باب: فصل في الأوقات المنهي عنها.

وخرَّج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**إذا اشتد الحرّ فأبردوا بالصلاة فإنّ شدّة الحرّ من فيح جهنم**»[١] وعند أبي نعيم «**من فيح جهنم أو من فيح أبواب جهنم**».

وعند أبي داود عن أبي قتادة أنه ﷺ كره الصلاة نصف النهار إلا يوم الجمعة وقال: «**إن جهنم تسجر إلا يوم الجمعة**»[٢] وفي إسناده انقطاع.

وقد تسجر أحيانًا في غير نصف النهار كما خرَّجه الطبراني[٣] عن ابن أمّ مكتوم رضي الله عنه قال: خرج النبي ﷺ ذات غداة فقال: «**سعرت النار وجاءت الفتن**». فذكر الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٣، ٥٣٤)، ومسلم (٦١٥)، وأحمد ٢/ ٥٠١ (١٠٥٠٦).

(٢) رواه أبو داود (١٠٨٣) كتاب: الصلاة، باب: الصلاة يوم الجمعة قبل الزوال. قال أبو داود: وهو مرسل، مجاهد أكبر من أبي الخليل، وأبو الخليل لم يسمع من أبي قتادة.
والبيهقي ٣/ ١٩٣، كتاب: الجمعة، باب: الصلاة يوم الجمعة نصف النهار وقبله وبعده حتى يخرج الإمام.
وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» ١٠/ ٣(٢٠٠)، ولكنه صحيح المعنى كما بينه ابن القيم في «زاد المعاد» ١/ ٣٧٨-٣٨٠ .

(٣) في «المعجم الأوسط» ١/ ٢٧٢ (٨٨٧). قال الطبراني: «لا يُروى هذا الحديث عن ابن أم مكتوم إلا بهذا الإسناد. تفرَّد به: إسحاق بن سليمان».
وانظر: «مجمع الزوائد» ١٠/ ٢٢٩-٢٣٠، قال الهيثمي: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجالهما رجال الصحيح».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**يا أهل الحجرات سعرت النار لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرا**»[١] وفيه من تُكُلِّم فيه ورواه الأعمشُ مرسلاً والله تعالى أعلَم.

وتسجرُ جهنم أيضًا يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ [التكوير: ١٢-١٤] وقرئ سعرت بالتخفيف والتشديد قال الزجّاج: المعنى واحد إلا أن معنى المشدد أوقدت مرّة بعد مرّة، وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾﴾ أوُقدت وقال السدى: أُحميت، وقال قتادة: سَعَّرها غضُب الله وخطايا بني آدم[٢]. وخرَّجه ابن أبي حاتم.

وهٰذا يقتضي كما قال الحافظ: إن تسعير جهنم حيث سعرت فإنما تسعر بخطايا بني آدم المقتضية غضب الجبار عليهم، فتزداد جهنم حينئذ تلهُّبًا وتسعُرًا وهٰذا كما أنّ درج الجنة وغرس أشجارها يحصل بأعمال بني آدم الصالحة من الذكر وغيره وكذلك حسن ما فيها من الأزواج وغيرهم يتزايد بتحسين الأعمال الصالحة فكذلك جهنم تسعر وتزداد آلاتُ العذاب فيها بكثرة ذنوب بني آدم وخطاياهم وغضب مولاهم، عياذًا اللهم بك من غضبك ومن النار وما يقرب إليها من قول وعمل ونيّة[٣].

---

(١) يشهد لَهُ حديث أبي هريرة الذي أخرجه أحمد ٢/ ٤٦٧ (١٠٠٢٩).

(٢) انظر: «تفسير الماوردي» ٦/ ٢١٥، و«تفسير ابن كثير» ١٤/ ٢٦٦ .

(٣) «التخويف من النار» ١٠٠-١٠١ .

وقول الحافظ: يحصل بأعمال بني آدم يعني يزداد بذٰلك كما فهم من أثناء كلامه والله أعلم.

وتسجر أيضًا على أهلها بعد دخولهم إليها /٧٥٠/ قال تعالى: ﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧] قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: كلما طفئت أوقدت، وقال: ﴿خَبَتْ﴾: سكنت، قال ابن قتيبة: خبت النار إذا سكنَ لهبها، فاللهب يسكنُ والجمر يغلي، وقال غيره من المفسرين[1]: تأكلهم فإذا صاروا فحمًا ولم تجد النار شيئًا تأكله أُعيد خلقُهم جديدًا فتعودُ لهم، وقوله ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ أي: نارا تتسعر وتلتهب[2].

قلت: يكون السعير موجودًا فيزاد عليهم سعيرًا أيضًا كما يفهمُ من قوله تعالى: ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ فإنَّ قولك آزددت علمًا يشعر أنك كنت قبل الزيادة عالمًا ومتصفًا بالعلم، وإنما الذي حصل لك زيادة على ما كنت متصفًا به والله علم.

وقال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ١٤﴾ [الليل: ١٤] أي توهج قاله مجاهد وغيره[3] وقرأ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في صلاته سورة ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ١﴾ فلما بلغ قوله: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ١٤﴾ بكى ولم

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٥٣، و«زاد المسير» ٥/ ٩٠-٩١ .

(٢) «التخويف من النار» ص٩٧-١٠١.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١٢/ ٦١٨، و«زاد المسير» ٩/ ١٥١ .

يستطيع أن (يجيزها)[١]، ثم عاد فقرأ السورة حتى بلغ الآية فلم يستطع أن يجيزها مرتين أو ثلاثًا ثم قرأ سورةً غيرها رحمه الله تعالى[٢].

فصل

وأما تغيظها وزفيرها فقال جلّ شأنه وتعالى سلطانه: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا * إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: ١١، ١٢] وقال: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [الملك: ٦-٨].

والشهيق: الصوت الذي يخرج من الجوف بشدة كصوت الحمار وقال الربيع: الشهيق في الصدر. وقال المنذري: الشهيق في الصدر والزفير في الحلق، وقال ابن فارس: الشهيق ضد الزفير لأن الشهيق ردّ النفَس والزفير إخراجه[٣].

وقال مجاهد[٤] في قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ تغلي كما تغلي القدور.

---

(١) ورد في هامش الأصل: أن يجاوزها. من خطه رحمه الله.

(٢) «التخويف من النار» ١٠٢

(٣) «المجمل» لابن فارس ٢/ ٥١٤، و«لسان العرب» ٤/ ٢٣٥٣، وانظر: «تفسير الماوردي» ٦/ ٥٣ .

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» ١٢/ ١٦٧ (٣٤٤٩١).

وابن عباس[1]: تتميز تتفرق، وعنه يكاد يفارق بعضها بعضًا، وتتفطر.

وقال الضحاك: تتميز تتفطر، وذلك من شدة الغيظ على أهل المعاصي غضبًا لله تعالى وانتقامًا له.

وخرَّج ابن أبي حاتم[2] عن رجل من الصحابة رضي الله عنهم أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من قال عليَّ ما لم أَقُلْ فليتبوّأ بين عيني جهنم مقعدًا**»[3] قيل: يا رسول الله وهل لها عينان؟ قال: «**نعم أولم تسمع قوله** /٧٥١/ **تعالى**: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝١٢﴾ [الفرقان: ١٢]».

فليتبوَّأ أي: فليتخذ ويمهد له في جهنم مقعدًا ولعل مراده بعيني جهنم يحمل على ظاهره والله أعلم.

وقال كعب: ما خلق الله شيئًا إلا وهو يسمع زفير جهنم غدوة وعشية إلا الثقلين اللذين عليهما الحساب والعذاب. رواه الجوزجاني[4].

ورواه الإمام أحمد في «الزهد» بمعناه عن معتب بن سمي وقال الضحّاك: إن لجهنم يعني يوم القيامة زفرة لا يبقى ملك مقرّب ولا نبي

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» ١٢/ ١٦٧ (٣٤٤٩٢-٣٤٤٩٣).

(٢) «تفسير ابن أبي حاتم» ٨/ ٢٦٦٧ (١٤٩٩٩).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١٨/ ١٨٧.

(٤) «التخويف من النار» ١٠٣-١٠٤.

مرسل إلاّ خرّ ساجدًا يقول: رب نفسي. وعند ابن عمير[١] نحوه إلا أنه قَالَ: فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي إلا وقع لركبتيه ترعد فرائصه يقول: رب نفسي رب نفسي.

وقال وهب: إذا سيرت الجبال فسمعت حسيس النار وتغيظها وزفيرها وشهيقها صرخت الجبال كما تصرخ النساء ثم يرجع أوائلها عَلَى أواخرها يدق بعضُها بعضًا. خرَّجه الإمام أحمدُ[٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: ١٢] من مسيرة مائة عام وذٰلك إذا أتي بجهنم تُقَادُ بسبعين ألف زمام يشد بكل زمام سبعون ألف ملك لو تركت لأتت على كل بَرٍّ وفاجر سمعوا لها تغيظًا وزفيرًا تزفرُ زفرةً لا تُبْقِي قطرةً من دمع إلا بدرت ثم تزفرُ الثانيةَ فتقطعُ القلوبَ من أماكنها وتقطعُ اللهواتِ والحناجر، وإنَّ قوله ﴿ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾[٣] [الأحزاب: ١٠] رواه آدم، وفيه عاصم الكوري ضعيف جدًا.

وخرّج عبد الله بن الإمام أحمد عن عبد الله بن أبي جعفر قال: إنَّ جهنم لتزفر زفرة تنشق منها قلوب الظلمة ثم تزفر أخرى فيطيروا من الأرض حتَّى يقعوا على رؤوسهم.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ٢/ ٥٦ (٢٠٨٠).

(٢) في «الزهد» ٤٤٧ .

(٣) ضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» ٢/ ٤٣٦ (٢١٣١).

وخرَّج أبو نعيم(١): أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب: خوفنا، قَالَ: والذي نفسي بيده إن النار لتقرب يوم القيامة لها زفيرٌ وشهيقٌ حتَّى إذا دنت وقربت زفرت زفرة فما خلق الله من نبيٍّ ولا صدِّيقٍ ولا شهيدٍ إلا وجثا لركبتيه ساقطًا حتَّى يقول كل نبي وصديقٍ وشهيدٍ: اللهم لا أكلفك اليوم إلا نفسي، ولو كان لك يا ابن الخطاب عمل سبعين نبيًا لظننت أنك لا تنجو، قال عمر رضي الله عنه: إن الأمر لشديدٌ(٢).

وفي رواية عنه: لا يبقى ملك مقرب ولا غيره /٧٥٢/ إلا خرّ جاثيًا على ركبتيه يقول: ربِّ نفسي نفسي. وجثا نبينا وإبراهيم وإسحٰق عليهم السلام، فأبكى القوم حتَّى نشجوا.

وفي رواية: فأطرق عمر رضي الله عنه مليًّا فقال له كعب: يا أمير المؤمنين ألستم تجدون هٰذا في كتاب الله عزَّ وجل؟ قال عمر: كيف؟ قال: يقول الله عزَّ وجل في هٰذه الآية: ﴿۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [النحل: ١١١](٣).

فيا صريعَ شهوتِهِ وقتيلَ لذتِه أنتبه لهٰذا اليومِ العظيمِ وتزودْ لهٰذا الخطبِ الجسيم يا لاهٍ في اللذات هَلاَّ وله في الطاعات، ويحك يا قتيل نفسه، ويا مطيع حدسه تفكر فيما أنت آيل إليه وتدبرٍ فيما أنت قادمٌ

---

(١) في «حلية الأولياء» ٥/ ٣٧١ . (٢) «التخويف من النار» ١٠٥-١٠٦.

(٣) رواه أحمد في «الزهد» ١/ ١٥٠، ١٥١.

عليه حيث يتلاشى الشفعاء وينحط الرفعاء من علم عظمة الإله زاد وجَلُه ومن خاف مقام ربه حسُنَ عملُه.

الخوف يستخرج داء البطالة ويشفيه وهو نعم المؤدب للمؤمنِ يكفيه فالخوف للنفسِ سائق والرجاء قائد، ريح الرجاء يسكنُ وحوف الخوف وسيف الخوف يقطع سيف سوف.

في «التبصرة» للإمام ناصر السنة طيب الله ثراه قال بعض السلف: رأيتُ في بعض الجبال شابًا أصفر اللون غائر العينين مرتعش الأعضاء لا يستقر على الأرض كأنّ به وخزُ الأسنّةِ ودموعُه تتحادر فقلت: من أنت؟ فقال: آبِق أبَقَ من مولاه فقلت: فتعود وتعتذر فقال: العذر يحتاج إلى إقامة حجةٍ فبماذا يعتذُر المقصِّر؟ قلت: يتعلق بمن يشفع فيه، فقال: كل الشفعاء يخافون منه، قلت: فمن هو؟ قال: مولىً ربّاني صغيرًا فعصيته كبيرًا، شرط إلي فوفّاني وضمن لي فأعطاني فخنته في ضماني فعصيته وهو يراني فواحيائي من حسن صُنْعهِ وقبيح فعلي فقلت: أين هٰذا المولى؟ فقال: أين توجهت لقيت أعوانه وأين ٱستقرت قدمك ففي داره، فقلت: أرفق بنفسك فربما أحرقك هٰذا الخوف، فقال: الحريق بنار خوفه لعله يرضى أخف وأولى ثم أنشأ يقول رحمه الله تعالى:

لم يبق خوفك لي دمعًا ولا جَلدا ... لاشك أني بهٰذا ميت كمدا
عبد كئيب أتى بالعجز معترفا ... وناره تحرق الأحشاء والكبدا/ ٧٥٣
ضاقت مساكِنُه في الأرضِ من وجلٍ ... فهب له منك لطفًا إن لقيك غدا

فقلت له: يا غلام الأمر أسهل مما تظن، فقال: هٰذا من فتن البطالين هبه، تجاوز عني وعفا أين آثار الإخلاص والصفاء، ثم صاح صيحة سقط ميتًا فخرجت عجوز من كهف جبلٍ عليها ثياب رثة، فقالت: من أعان على قتل البائس الحيران، فقلت: يا أمةَ الله دعوتُه إلى الرجاء، قالت: دعوته إلى ذٰلك فقال: الرجاء بلا صفاء شرك قلتُ: من أنتِ منه؟ قالت: والدتُه، قلتُ: أقيمُ عندِك أعاونكِ عليه، فقالتْ: خلّه ذليلا بين يدي قاتلَه[1]، عساه يراه بغيرِ معينٍ فيرحمَهُ. فلم أدرِ مما ذا أعجبُ من صدقِ الغلام في خوفه أو من قول العجوز وحسن صدقها.

فصل
في ذكر دخان جهنم وشررها ولهبها

قال تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الوقعة: ٤١-٤٤] قال ابن عباس رضي الله عنهما: ظل من دخان، وكذا قال مجاهد وعكرمة وغيرهم[2]، وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ لا بارد المدخل ولا كريم المنظر، والسموم هو الريح الحارة قاله قتادة وغيره[3].

---

(١) العبارة فيها معنى غير مقصود، والصحيح الذي تدل له السنة الصحيحة غسل الميت وتكفينه والصلاة عليه.

(٢) «تفسير الطبري» ١١/٦٤٦-٦٤٧ .

(٣) «تفسير الطبري» ١١/٦٤٨ .

وهٰذه الآية تضمن ذكر ما يستبرد به في الدنيا من الكرب والحر وهو ثلاثة: الماء، والهواء، والظل، فهواء جهنم السموم الشديدة الحر، وماؤها الحميم، وهو الذي قد ٱشتد حره، وظلها اليحموم وهو قطع دخانها، أجارنا الله تعالى من ذٰلك كله بمنه وكرمه وفضله[١].

وقال البغوي:[٢] ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝٤٣﴾ من دخان شديد السواد تقول العرب: أسود يحموم إذا كان شديد السواد.

قال الضحاك:[٣] النار سوداء وأهلها سود وكل شيء فيها أسود.

وقال ابن كيسان: اليحموم ٱسم من أسماء النار، قلت: والأوّل وهو أنه الدخان الأسود أظهر والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ۝٣٠﴾ [المرسلات: ٣٠] قال مجاهد[٤]: هو دخان جهنم اللهب الأخضر والأسود والأصفر الذي يعلو النار إذا أوقدت، وقال السدي في قوله: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۝٣٢﴾ [المرسلات: ٣٢] قال: زعموا أن شررها الذي يرمي به كأصول الشجر ثم يرتفع فيمتد.

وقال القرطبي: على جهنم سور فما خرج من وراء سورها يخرج

---

(١) «التخويف من النار» ص١٠٨. (٢) في «معالم التنزيل» ٨/ ١٨ .

(٣) «تفسير الطبري» ٨/ ٢١٩ (٢٣٠٤٤).

(٤) «تفسير الطبري» ١٢/ ٣٨٧ (٣٥٩٦١).

منها في عظم القصور ولون القار.

وقال الضحاك والحسن: في قوله: ﴿كَٱلْقَصْرِ﴾ هو أصول الشجر /٧٥٤/ العظام ومجاهد قطع الشجر والجبل، وصح عن ابن مسعود قال: سور كالقصور والمدائن، وابن عباس: شرر كالقصر العظيم[(١)].

وفي «صحيح البخاري»[(٢)] عنه: كنا نرفع من الخشب بقصر ثلاثة أذرع أو أقل نرفعه للشتاء نسميه القصر. وقوله: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ۝٣٣﴾ [المرسلات: ٣٣] قال ابن عباس: حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض يكون كأوساط الرجال، وقال مجاهد: حبال الجسور[(٣)].

وقالت طائفة: بل هي الإبل، منهم الحسن وقتادة والضحاك وقالوا: ﴿جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ هي السود، عن ابن عباس:[(٤)] ﴿جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ قطع النحاس[(٥)]، وأخرج البيهقي بإسناد لا بأس به عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۝٣٢﴾ قال أما إني لست أقول كالشجر ولكن كالحصون والمدائن.

وقال تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ [الرحمن: ٣٥] قال ابن عباس: ﴿شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾، يقول: لهب النار ونحاس،

---

(١) «تفسير الطبري» ١٢/ ٣٨٨-٣٨٩، «تفسير الماوردي» ٦/ ١٨٠ .

(٢) برقم (٤٩٣٢) كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿إنها ترمي بشررٍ كالقصر﴾.

(٣) «تفسير الطبري» ١٢/ ٣٩٠ .

(٤) «تفسير الطبري» ١٢/ ٣٨٩-٣٩٠، «تفسير ابن كثير» ١٤/ ٢٢٣-٢٢٤ .

(٥) «تفسير الطبري» ١٢/ ٣٩١ (٣٥٩٩١).

يقول: دخان النار[١].

وقال سعيد بن جبير وغيره: النحاس: لهيب، والشواظ: الدخان[٢].

وقال مجاهد: الشواظ اللهب الأخضر المنقطع[٣].

وأخرج الترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يجتمع غبارٌ في سبيل الله ودخان جهنم في جوف امرئ أبدا**»[٤].

وخرَّج الإمام أحمد عن أبي الدرداء مرفوعًا[٥] نحوه والله أعلم[٦].

---

(١) «تفسير الطبري» ١١/ ٥٩٦-٥٩٧ (٣٣٠٢٧، ٣٣٠٤٠)، «تفسير ابن أبي حاتم» ١٠/ ٣٣٢٥ (١٨٧٣٩).

(٢) «زاد المسير» ٨/ ١١٦ .

(٣) «تفسير الطبري» ١١/ ٥٩٦ (٣٣٠٣٠-٣٣٠٣٢).

(٤) رواه أحمد ٢/ ٥٠٥، وابن ماجه (٢٧٧٤)، والترمذي (١٦٣٣) و(٢٣١١)، والنسائي ٦/ ١٢ وهو حديث حسن.

(٥) رواه أحمد ٦/ ٤٤٣ ويشهد لَهُ ما قبله.

(٦) «التخويف من النار» ١٠٨-١١٠.

الباب الخامس
في ذكر أودية جهنم وجبالها وعيونها وأنهارها

قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝﴾ [المطففين: ١] خرَّج الإمام أحمد والترمذي[١] عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«ويل وادٍ في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره»** وفي لفظ: **«واد في جهنم بين جبلين يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره»**.

وخرَّجه ابن حبان والحاكم في صحيحيهما، وخرَّج ابن جرير[٢] بسند فيه نظر عن عثمان مرفوعًا: الويل جبل.

والبزار بإسناد مجهول عن سعد بن أبي وقاص مرفوعًا: **«إن في النار حجرًا يقال له ويل: يصعد عليه العرفاء وينزلون منه»**[٣].

وعن عبد الله: **«ويل واد في جهنم من قيح»** رواه ابن أبي حاتم[٤].

---

(١) رواه أحمد ٣/ ٧٥، والترمذي (٢٥٧٦) و(٣١٦٤)، وأخرجه أيضًا عبد بن حميد (٩٢٤)، وأبو يعلى (١٣٨٣)، وابن حبان (٧٤٦٧)، والحاكم ٢/ ٥٠٧ و٤/ ٥٩٦، والبيهقي في «البعث والنشور» (٥١٢) و(٥١٣) و(٥٣٧) وهو من رواية دراج عن أبي الهيثم وهي ضعيفة.

(٢) (٢/ ١٦٧).

(٣) رواه البزار في «مسنده» (١١٢٣).

(٤) «التخويف من النار» ١١١، ١١٢ وجاء عن النعمان بن بشير كما في الدر المنثور (١/ ٤٣٤).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا: «الغي وادٍ في جهنم»[(١)].

قال الحافظ:[(٢)] لا يصح رفعه.

وقال ابن مسعود: «غيّ واد في جهنم خبيث الطعم بعيد القعر» /٧٥٥/ خرَّجه ابن أبي الدنيا وغيره[(٣)] وخرَّجه البيهقي بلفظ: «الغيُّ نهر حميم في النار يقذف فيه الذين يتبعون الشهوات»[(٤)].

وخرجه أيضًا عن البراء بن عازب بنحوه[(٥)].

وقال شُفَيٍّ بن ماتع: إن في جهنم قصرًا يقال له هوىٰ يرمىٰ الكافر من أعلاه أربعين خريفا قبل أن يبلغ أصله، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١].

وإن واديًا في جهنم يدعى: أثاما فيه حيات، وعقارب، فقاز إحداهن مقدار سبعين قلة سم.

والعقرب من حر جهنم حُمُوَّة[(٦)] لَدْغَتِها فهو لمن خلق له.

وإن في جهنم واديًا يدعى غيًا يسيل قيحًا ودمًا.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» ٩/ ٢٢٨ (٩١١٤).

(٢) «التخويف من النار» ص١١٤ .

(٣) رواه الحاكم ٢/ ٣٧٤-٣٧٥، والبيهقي في «البعث والنشور» (٥١٨).

(٤) رواه البيهقي في «البعث» (٥١٩)، وهو عند الطبراني ٩/ ٢٥٩ وفيه ضعف.

(٥) البعث والنشور (٥١٦).

(٦) حُمُوَّة الألم: سَورته، انظر: الصحاح ٦/ ٢٣٢٠ .

وإن في جهنم سبعين داء كلُّ داءٍ مثلُ جزء من أجزاء جهنم. خرَّجه ابن أبي الدنيا(١).

وقال أنس في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ [الكهف: ٥٢] هو وادٍ من قيح ودم، خرَّجه الإمام عبد الله بن الإمام أحمد عن يزيد بن درهم(٢).

وقال ابن عمر: هو وادٍ عميق في النار، وعن عمرو بن عبسة قال: الفلق بئر في جهنم فإذا سعرت جهنم فمنه تسعر وإن جهنم لتتأذى منه كما يتأذى بنو آدم من جهنم(٣).

خرَّجه الإمام ابن أبي حاتم وخرَّجه من وجه آخر عن زيد بن علي عن آبائه(٤).

الفلق جب في قعر جهنم عليه غطاء فإذا كشف عنه خرجت منه نار تصيح منه جهنم من شدة حر ما يخرج منه.

وعن كعب رحمه الله أنه دخل كنيسة فأعجبه حسنها فقال: أحسن عمل وأضل قوم رضيت لهم بالفلق قالوا: وما الفلق؟ قال: بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره(٥).

(١) في «صفة النار» (٣٧).
(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٢٤٠ (٢٣١٥٢).
(٣) «تفسير ابن كثير» ١٤/ ٥٢٣ .
(٤) «تفسير ابن أبي حاتم» ١٠/ ٣٤٧٥ (١٩٥٣٧).
(٥) الزهد (٣١١) «تفسير الطبري» ١٢/ ٧٤٧ (٣٨٣٤٩) انظر الدر المنثور تفسير سورة الكهف آية (٥٢).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: الفلق سجن في جهنم[١]، وفي البغوي: الفلق جب في جهنم مُغَطًّى والسجِّين: جب في جهنم مفتوح.

وأخرج ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه: «**تعوذوا بالله من جب الحَزَن**» قالوا: وما جب الحزن؟ قال: «**وادٍ في جهنم تتعوذ منه جهنم كلَّ يومٍ مائة مرة**»، قيل: يا رسول الله من يدخله؟ قَالَ: «**القراء المراءون بأعمالهم**»[٢]. وخرَّجه الترمذي وقال: غريب .

وفي رواية: «**تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة وإن أبغض القراء إلى الله تعالى الذين يزورون الأمراء الجورة**».

وفي إسناده ضعف كذا قال الحافظ[٣]: قلت: ذكر ابن الجوزي[٤] جُبُّ الحزنِ وأورد فيه حديث أبي هريرة هذا /٧٥٦/ وأخرجه أيضًا عن علي كرم الله وجهه ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «**تعوذوا بالله من جُبِّ الحَزَن أو وادي الحزن**» قيل: يا رسول الله وما جبّ الحزن أو وادي الحزن؟ قال: «**وادٍ في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء المرائين وإن من شر القراء أن يزوروا**

---

(١) «تفسير الطبري» ١٢/٧٤٦ (٣٨٣٤٢-٣٨٣٤٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٥٦)، والترمذي (٢٣٨٣)، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٣) «التخويف من النار» ١١١-١١٧.

(٤) في «الموضوعات» (١٨٢٤-١٨٢٥).

الأمراء» ثم حكم على هذا الحديث بطرقه بالوضع.

قلت: أما حديث أبي هريرة فأعلّه بعمار بن سيف الضبي قال: هو متروك، وكذا شيخه أبو معان، وأما حديث علي فأعلّه بأبي بكر الزاهدي، قال: ليس بشيء، وتعقبه الجلال السيوطي[١] بأن حديث أبي هريرة أخرجه البخاري في «تاريخه» والترمذي وابن ماجه والبيهقي في الشعب[٢]، وعمار وثقه الإمام أحمد والعجلي، وقال يحيى: ثقة، وضعفه أبو زرعة وأبو حاتم وقال الذهبي: يقال لم يكن بالكوفة أفضل منه، وقال العجلي: ثقة ثبت متعبد صاحب سنة، وقال أبو داود: كان مغفلاً[٣]، قال السيوطي[٤]: ومن يوصف بهذا لا يحكم على حديثه بالوضع بل بالحسن إذا توبع وله شاهد عن ابن عباس أخرجه الديلمي، وعن عمران القصير، قال: بلغني فذكره انتهى.

قلت: أخرجه البيهقي من غير زيادة: «وإن من شر القراء» إلى آخره وقال الحافظ المنذري: إسناده حسن والله تعالى أعلم. وإنما

(١) في «النكت البديعات على الموضوعات» ٢١٨ (٢٣٣).

(٢) «التاريخ الكبير» ٢/ ١٧٠ (٢٠٩١) البعث والنشور (٤٨١).
«شعب الإيمان» ٥/ ٣٣٩ (٦٨٥١)، باب: في إخلاص العمل لله وترك الرياء.

(٣) هو عمَّار بن سيف الضَّبِّيُّ، أبو عبد الرحمن الكوفي، وصيُّ سفيان الثوري. قال العجلي: موته بعد موت سفيان بقليل، روى له الترمذي، وابن ماجه.
انظر: «معرفة الثقات» ٢/ ١٦٠ (١٣١٩)، «الجرح والتعديل» ٦/ ٣٩٣ (٢١٩١)، «الكاشف» ٢/ ٥١ (٣٩٩١)، «تهذيب الكمال» ٢١/ ١٩٤-١٩٦ (٤١٦٤).

(٤) «النكت البديعات على الموضوعات» ٢١٨ (٢٣٣).

أطلت الكلام على هٰذا الحديث لنكتة ٱقتضت ذٰلك فنسأل الله أن يعافينا من جميع المهالك، وأخرج الإمام أحمد في «الزهد»[(١)] عن عمران القصير قال: بلغني أن في جهنم واديًا تستعيذ منه جهنم كلَّ يومٍ أربعمائة مرة مخافة أن يرسل عليها فيأكلها أعد الله ذٰلك الوادي للمرائين من القراء، قلت: وهٰذا هو الذي ٱستشهد به الجلال السيوطي في معارضة ابن الجوزي، وقال الحافظ ابن رجب[(٢)]: روينا من حديث معروف الكرخي رحمه الله قال بكر بن حبش: **إن في جهنم لواديًا تتعوذ جهنم من ذٰلك الوادي كل يوم سبع مرات وإن في ذٰلك الوادي لجبًّا يتعوذ الوادي وجهنم من ذٰلك الجُبِ كل يوم سبع مرات وإن في الجب لحيّة يتعوذ الوادي والجب وجهنم من تلك الحية كل يوم سبع مرات يبدأ بفسقة حملة القرآن فيقولون: أي رب تبدى بنا قبل عبدة الأوثان، قيل لهم: ليس من يعلم كمن لا يعلم»/ ٧٥٧/.**

وقال كعب رحمه الله: إن في أسفل درك جهنم تنانير ضيقها كضيق زج أحدكم في الأرض يقال له جب الحزن يدخلها قوم بأعمالهم فيضيق عليهم[(٣)] خرَّجه هناد بن السري، وخرَّجه ابن أبي حاتم بلفظ: **إن في النار لجبًّا يقال له جُبُّ الحزن لهو أضيق على من يدخل فيه من زج أحدهم على رمحه يطبقها الله أو قال يضيقها الله على عبادٍ من عباده سخطًا عليهم ثم يخرجهم منها آخر الأبد»** وأخرج ابن

---

(١) ص٤٥٢ .

(٢) «التخويف من النار» ص١١٨ .

(٣) أخرجه هناد في «الزهد» (٢٢١)

المبارك عن أبي هريرة مرفوعًا: «**إن في جهنم لواديًا يقال له لملم وإن أودية جهنم تستعيذ بالله من حره**» وخرَّجه الضياء وابن أبي الدنيا وغيرهما وفيه يحيى بن عبيد الله ضعفوه، وخرج ابن أبي الدنيا عن ابن أبي بردة عن أبيه مرفوعًا: «**إن في جهنم واديًا ولذلك الوادي بئر يقال له هب هب حق على الله أن يسكنها كل جبار**»[1].

قلت: ذكره الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات»[2] وقال أبو حاتم: هٰذا متن لا أصل له ٱنتهى.

وقال الحافظ ابن رجب: فيه أزهر بن سنان ضعيف ضعفوه[3]، قلت: قال يحيى بن معين: أزهر ليس بشيء، ذكره ابن الجوزي عنه في «الموضوعات»[4]، قلت: وتعقبه الجلال السيوطي[5] بأنه أخرجه الحاكم[6] وصححه وأقره الذهبي والبيهقي في «البعث»[7] وأزهر من رجال الترمذي وثقه ابن عدي[8] فقال: ليست أحاديثه بالمنكرة جدًا أرجو أنه لا بأس به. ٱنتهى.

---

(١) أخرجه في «المستدرك» ٤/ ٣٣٢، وأبو يعلى في «مسنده» (٧٢٤٩).

(٢) برقم (١٨٢٦).　　(٣) «التخويف من النار» ص١١٨ .

(٤) عقب حديث (١٨٢٦).

(٥) في «النكت البديعات على الموضوعات» ٢٧٠ (٢٨٧).

(٦) في «المستدرك» ٤/ ٣٣٢، كتاب: الرقاق، باب: في جهنم بئر يسكنها كل جبار.

(٧) ٢٧٦ (٤٧٩).

(٨) في «الكامل» ٢/ ١٤٢ (٢٣٩).

وأنت خبير بأن هٰذا التوثيق ليس بالوثيق في التحقيق، قال الحافظ[١]: والصحيح ما خرَّجه الإمام أحمد وغيره عن محمد بن واسع قال: قلت لبلال بن أبي بردة وأرسل إليّ: أنه بلغني أن في النار بئرًا يقال له جب الحزن يؤخذ المتكبرون فيجعلون في توابيت من نار ثم يجعلون في تلك البئر ثم تنطبق عليهم جهنم من فوقهم فبكى بلال.

وخرَّج الإمام أحمد والترمذي وحسنه، والنسائي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس يعلوهم كل شيء من الصغار حتَّى يدخلوا سجنًا في جهنم يقال له بُولَس فتعلوهم نار الأنيار يسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار**»[٢] وهو غريب كما نص عليه الترمذي قائلاً: هٰذا حديث حسن غريب/ ٧٥٨/ [٣].

وخرَّج ابن أبي الدنيا[٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن بشر بن عاصم الجشمي حدث عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لا يلي أحدٌ من أمر الناس شيئًا إلا أوقفه الله على جسر جهنم فزلزل به الجسر زلزلة**

---

(١) «التخويف من النار» ص١١٨ - ١١٩.

(٢) في المطبوع قَالَ الترمذي في تعليقه عَلَىَ الحديث حسن صحيح. في طبعة (بشار) [هذا حديث حسن] ثم علق عليه في الهامش وقال في م: [حسن صحيح] وما أثبتناه من ت وس وي وهو الأصوب ا.هـ. وفي طبعة بولاق (حسنٍ صحيح).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٩٢)، وأحمد ٢/ ١٧٩ (٦٦٧٧)، والحميدي في «مسنده» (٥٩٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٧).

(٤) في «كتاب الأهوال» (٢٤٧).

فناجٍ أو غير ناج لا يبقى منه عظم إلا فارق صاحبه فإن هو لم ينج ذهب فيه في جب مظلم كالقصر في جهنم لا يبلغ قعره سبعين خريفًا» الحديث قال الحافظ ابن رجب[١]: فيه إبراهيم بن الفضل ضعيف.

وخرَّج ابن أبي الدنيا عن عطاء بن يسار قال: «**إن في النار سبعين ألف وادٍ في كل وادٍ سبعون ألف شعب في كل شعبٍ سبعون ألف حجر في كل حجر حية تأكل وجوه أهل النار**»[٢].

وخرج ابن أبي الدنيا أيضًا عن أبي المنهال الرياحي: **أنه بلغه أن في النار أودية في ضحضاح من نارٍ وفي تلك الأودية حيات أمثال أجوان الإبل**[٣] **وعقارب كالبغال الحبش فإذا سقط إليهن بشيء من أهل النار اَنشأن به لسعًا ونشطا حتَّى يستغيثوا بالنار فرارًا منهن وهربًا منهن**[٤].

وخرج أبو نعيم[٥] أن طاوسًا قال لسليمان بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين إن صخرة كانت على شفير جب في جهنم هوت فيها أي: في تلك الجب سبعين خريفًا حتى اَستقرت قرارها أتدري لمن أعدها الله؟ قال: لا قال: ويلك لمن أعدها الله؟! قال: لمن أشركه الله في حكمه فجار فبكى لها.

---

(١) التخويف من النار ص١٢٠.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» (٤٥).

(٣) الجَوْنُ من الخيل ومن الإبل: الأدهم الشديد السواد. انظر: الصحاح ٥/ ٢٠٩٥ .

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» (٤٧).

(٥) في «حلية الأولياء» ٤/ ١٥ .

وأخرج البخاري في «تاريخه»[1] والبيهقي وابن عساكر وابن منده عن الحجاج الثُّمالي الصحابي عن نفير بن مجيب رضي الله عنه وكان من قدماء أصحاب رسول الله ﷺ قال: «**إن في جهنم سبعين ألف وادٍ في كل وادٍ سبعون ألف شعب في كل شعب سبعون ألف دارٍ في كل دارٍ سبعون ألف بيت في كل بيت سبعون ألف بئر في كل بئر سبعون ألف ثعبان في شدق كل ثعبان سبعون ألف عقرب لا ينتهي الكافر أو المنافق حتَّى يواقع ذٰلك كله**»[2].

قال الحافظ المنذري[3]: فيه سعيد بن يوسف اليمامي الحمصي ضعفه يحيى بن معين، وقال النسائي[4]: ليس بالقوي، وقال ابن أبي حاتم[5]: ليس بالمشهور ولا أرى حديثه منكرًا. كذا قال، قال الحافظ المنذري: وأورد عليه هٰذا الحديث لظهور نكارته ٱنتهى.

ما جاء في جبال جهنم أجارنا الله منها ووالدينا

وأما جبال جهنم ونعوذ بالله منها /٧٥٩/ فقال تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧﴾ [المدثر: ١٧] روى دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عنه ﷺ في قوله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧﴾ قَالَ: «**جبل من نار يكلف**

---

(١) ٨/ ١٢٤ (٢٤٣٧).

(٢) البخاري في التاريخ (٨/ ١٢٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» (٩٧)، والبيهقي في البعث والنشور (٢٧٦) (٤٧٨).

(٣) «الترغيب والترهيب» (٤/ ٤٧٠) في أوديتها وجبالها.

(٤) في «الضعفاء والمتروكين» ٥٣ (٢٧٤).

(٥) في «الجرح والتعديل» ٤/ ٧٥ (٣١٨).

أن يصعده فإذا وضع يده عليه ذابت فإذا رفعها عادت فإذا وضع رجله عليه ذابت فإذا رفعها عادت يصعد سبعين خريفًا ثم يهوي كذٰلك»[١].

وخرَّجه الإمام أحمد وغيره بمعناه وخرجه الترمذي مختصرًا، ولفظه: «**الصَّعُود جبل من نار يصعد فيه الكافر سبعين خريفا ويهوي فيه كذٰلك أبدا**»، قال الترمذي: غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث ابن لهيعة عن دراج.

قال الحافظ في التخويف[٢]: لكن رواه عمرو بن الحارث عن دراج به خرجه من طريقه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧﴾ [المدثر: ١٧] جبل في النار زلق كلما صعده الفاجر زلق فهوى في النار[٣].

وقال ابن السائب: هو جبل من صخرة ملساء في النار يكلف أن يصعدها حتَّى إذا بلغ أعلاها انحدر إلى أسفلها ثم يكلف أن يصعدها فكذلك دأبه أبدا يجذب من أمامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع الحديد فيصعدها في أربعين سنة[٤]، والمقامع: جمع مقمع وهو المطرق وقيل: السوط.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٢٦)، وأحمد في مسنده ٣/ ٧٥ (١١٧١٢)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٣٨٣)، والحاكم في المستدرك ٤/ ٥٩٦.

(٢) «التخويف من النار» ص١١٣ .

(٣) «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٦٤ (٣٣٩٨).

(٤) انظر: «زاد المسير» ٨/ ٤٠٦ .

وروى عطية عن ابن عمر في قوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١﴾ [البلد: ١١] قَالَ: جبل زلزال في جهنم[١] وقد سبق ذكره فنسأل الله العافية بمنه وكرمه.

(١) «تفسير الطبري» ١٢/ ٥٩٢ (٣٧٣٠٩).

الباب السادس
في ذكر سلاسلها وأغلالها وحجارتها وأنكالها وحياتها وعقاربها

نسأل الله سبحانه العافية من ذٰلك كله قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَا۟ وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإنسان: ٤] وقال تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [غافر: ٧١-٧٢] وقال: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٢] وقال: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ [المزمل: ١٢-١٣] فهٰذه ثلاثة أنواع ذكرها الله سبحانه وتعالى إحداها الأغلال وهي في الأعناق كما ذكر جلّ شأنه.

قال الحسن بن صالح: الغل اليد الواحدة إلى العنق، والصفد اليدان جميعًا إلى العنق. أخرجه ابن أبي الدنيا، وقال السدي: الأصفاد تجمع اليدين إلى عنقه.

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: ٤٩] في القيود والأغلال(١) / ٧٦٠/.

وقال الحسن: إن الأغلال لم تجعل في أهل النار لأنهم أعجزوا

---

(١) «تفسير الطبري» ٧/ ٤٨٤ (٢٠٩٨٠).

الرب عزَّ وجلّ، ولكنها إذا طفا بها اللهيب أرستهم، ثم خر الحسن مغشيًا عليه[١].

وقال: لو أنّ غُلاً منها وضع على الجبال أقصمها إلى الماء الأسود ولو أنّ ذراعًا من السلسلة وضع على جبل لرضَّه.

وخرج ابن أبي حاتم عن موسى بن أبي عائشة أنه قرأ قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٢٤] قَالَ: تشد أيديهم بالأغلال في النار فيستقبلون العذاب بوجوههم قد شدت أيديهم فلا يقدرون أن يتقوا بها كلما جاء نوعٌ من العذاب يستقبلونه بوجوههم.

وقال الفضيل بن عياض: إذا قال الرب تبارك وتعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾﴾ [الحاقة: ٣٠] سيبتدره سبعون ألف ملك كلهم يبتدر إليه يجعل الغل في عنقه.

النوع الثاني: الأنكال وهي: القيود قاله مجاهد والحسن وعكرمة وغيرهم[٢] قال الحسن: قيود من نار، قال أبو عمران: والله لا تحل أبدًا[٣]، وواحد الأنكال نكل وسميت القيود أنكالاً لأنها ينكل بها أي: يمنع، وفي البغوي[٤] عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ﴾ أي: عندنا في

---

(١) «تفسير الطبري» ١٢/ ٢٨٨-٢٨٩ .

(٢) «صفة النار» (٦٦)، «حلية الأولياء» ٢/ ٣١٠ .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» (٥٧).

(٤) «معالم التنزيل» ٨/ ٢٥٥ .

الآخرة أنكالاً، قال: قيودًا عظاما لا تنفك أبدا واحدها نكل، قال الكلبي: أغلالاً من حديدٍ.

النوع الثالث: السلاسل، خرَّج الإمام أحمد وغيره عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أنّ رضاضة مثل هٰذه** - وأشار إلى مثل الجمجمة - **أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة عام لبلغت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفًا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها**».

قال الحافظ ابن رجب: غريب وفي رفعه نظر(١) كذا قال.

قُلْتُ: رواه الإمام أحمد والترمذي والبيهقي وقال الترمذي: إسناده حسن ذكره الحافظ المنذري رحمه الله ولفظه عن ابن عمرو رضي الله عنهما: قال: تلى رسول الله ﷺ: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ الآية فقال: «**لو أن رضاضة مثل هٰذه** - وأشار إلى جمجمة - **أُرسلت من السماء إلى الأرض**» فذكره بعينه غير أنه قال: «**قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها**» بالشك(٢)(٣).

وفي «البهجة» أن الترمذي قال: إسناده صحيح، والذي ذكره

---

(١) «التخويف من النار» ص١٢٤ .

(٢) رواه أحمد ٢/ ١٩٧ (٦٨٥٦) و(٦٨٥٧)، والترمذي (٢٥٨٨)، ونعيم بن حماد في زوائده عَلَى الزهد لابن المبارك (٢٩٠)، والطبري في «تفسيره» (٣٤٨٢٢)، والحاكم ٢/ ٤٣٨-٤٣٩، والبيهقي في «البعث» (٥٨١) وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي والترغيب والترهيب (٤/ ٤٧٣) في سلاسلها وغير ذلك.

(٣) «التخويف من النار» ١٢٢-١٢٤.

الترمذي أن إسناده حسن كما ذكرناه عن الحافظ المنذري ولعله وقع في بعض نسخ الترمذي صحيح وفي بعضها حسن والله أعلم[١].

وأخرج الطبراني[٢] عن يعلى بن مُنْيَة من الصحابة رضي الله عنه ومنية أمّه ويقال: جدته، وهي بنت غزوان وأبوه أمية، رفع الحديث قال: **«ينشئ الله سحابةً سوداء مظلمة فيقال يا أهل النار أي شيء تطلبونه؟ فيذكرون بها سحابة الدنيا فيقولون: يا ربنا الشراب فتمطرهم أغلالاً تزيد في أغلالهم وسلاسل تزيد في سلاسلهم وجمرًا يلتهب عليهم»**[٣] قال الحافظ المنذري: وروي موقوفًا عليه وهو أصح.

وأخرج الطبراني[٤] عن عمر: أنَّ جبريل قال للنبي ﷺ: **«لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت على جبال الدنيا لانقضت ولم يُنَهْنِهُهَا شيء حتَّى تنتهى إلى الأرض السفلى»**[٥].

وروى سفيان عن بشير عن نوف البكالي في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة: ٣٢] قال: الذراع

---

(١) في المطبوع من الترمذي: حسن صحيح، وفي «تحفة الأشراف» ٦/ ٨٩١٠: إسناده حسن، في طبعة بولاق [حسن صحيح] وفي طبعة [بشار] (حسن) وقال في الهامش في م، س، ي، «حسن صحيح» وما أثبتناه من التحفة وهو الصواب الموافق لما نقله المنذري. . . اهـ.

(٢) في «المعجم الأوسط» ٤/ ٢٤٧-٢٤٨ (٤١٠٣).

وقال: «لا يُرْوَى هذا الحديث عن يعلى إلا بهذا الإسناد، تفرَّد به: منصور».

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار (٦٢) والمنذري (٤/ ٤٧٣).

(٤) سبق تخريجه

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار (١٥٧).

سبعون باعًا والباع من هاهنا إلى مكة وهو إذ ذاك بالكوفة[١].

وأخرج ابن المبارك عن كعب قال: إنَّ حلقةً من السلسلة التي قال الله ذرعها سبعون ذراعا قال: بذراع الملك، قال ابن المنكدر: لو جمع حديد الدنيا كله ما خلى عنها وما بقي ما عدل حلقة من الحلق التي ذكر الله في كتابه فقال تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ أخرجه أبو نعيم[٢] وفي البغوي: قال ابن عباس: سبعون ذراعًا بذراع الملك فتدخل في دبره وتخرج من منخره[٣]، وقيل: تدخل في فيه وتخرج من دبره، وقال سفيان: كل ذراع سبعون ذراعًا، وقال الحسن: الله أعلم أي ذراعٍ هو[٤].

قلت: السبعون يراد بها التكثير كقوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] أي: لو ٱستغفرت لهم مهما ٱستغفرت ولو زدت على مائة ألف مرة فلن يغفر الله لهم وكذا يقال هنا المراد بهٰذه اللفظة التكثير ولعل من قال: كل ذراع سبعون ذراعًا مراده هٰذا والله تعالى أعلم.

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار (٥٩)، والطبري في «التفسير» (٣٤٨١٨).

(٢) في «حلية الأولياء» ٣/ ١٥٣ .

(٣) أخرجه الطبري في «التفسير» (٣٤٨٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٨٩٧٥)

(٤) «معالم التنزيل» ٨/ ٢١٢ - ٢١٣ .

السلسلة تدخل في أسته ثم تخرج من فيه ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود حين يشوى، وفي رواية: تسلك في دبره حتَّى تخرج من منخريه حتَّى لا يقوم على رجليه، وذٰلك قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الفجر: ٢٥-٢٦].

وأخرج ابن أبي الدنيا[١] عن أبي هاشم قال: يُجْعَلُ لهم أوتادٌ في جهنم فيها سلاسل فتلقى في أعناقهم فتزفر بهم جهنم زفرة فتذهب بهم مسيرة خمسمائة سنة ثم تجيء بهم في يومٍ فذٰلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١] يؤخذ بناصيته وقدميه ويكسر كما يكسر الحطب في التنور، وقال السدي: يجمع بين ناصية الكافر وقدميه فتربط ناصيته ويفتل ظهره.

وأخرج ابن أبي الدنيا[٢] عن الحسن: إن جهنم ليغلى عليها من أولى الدهر إلى يوم القيامة يحمى على طعامها وشرابها وأغلالها ولو أن غُلاً منها وضع على الجبال لقصمها إلى الماء الأسود ولو أن ذراعًا من السلسلة وضع على جبل لرضَّه ولو أن جبلاً كان بينه وبين عذاب الله مسيرة خمسمائة عام لذاب ذٰلك الجبل وإنهم ليجمعون في السلسة من آخرهم فتأكلهم النار وتبقى الأرواح في الحناجر. وصرخ الحسن وروى مرفوعًا والموقوف أشبه قاله الحافظ ابن رجب.

---

(١) في «صفة النار» (٦٥).

(٢) في «صفة الجنة» (٢٧).

وفي الثعلبي عن سويد بن نجيح قال: بلغني أن جميع أهل النار في تلك السلسلة ولو أن حلقة منها وضعت على جبال الدنيا لذابت من حرها.

وقال الضحاك في قوله تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحج: ٢١-٢٢] المقامع المطارق[1].

وأخرج الإمام أحمد والحاكم وقال: صحيح الإسناد، عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«لو أن مقمعًا من حديد وضع في الأرض فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الأرض»**[2] ورواه أبو يعلى مرفوعًا.

وفي رواية للإمام أحمد وأبي يعلى مرفوعًا: **«لو ضرب الجبل بمقمع من حديد جهنم لتفتت ثم عاد» وروى هذه الحاكم أيضًا إلا أنه قال: لتفتت فصار رمادًا، وقال.** صحيح الإسناد.

وقال الإمام عمر [رضي الله عنه][3]: أذكروا لهم النار لعلهم يفرقون، فإن حرها شديد وقعرها بعيد وشرابها الصديد ومقامعها الحديد.

وأخرج عبدالله ولد الإمام أحمد أن رجلاً قرأ على يزيد الضبي: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۝٤٩﴾ [إبراهيم: ٤٩]

---

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» ٨/ ٢٤٨٢ (١٣٨٢٨).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/ ٢٩، وأبو يعلى ٢/ ٥٢٦، والحاكم في «المستدرك» ٤/ ٦٠٠.

(٣) زيادة من المحقق.

فجعل يزيد يبكي حتَّى غشي عليه.

وعن مالك بن دينار أنه قام ليلة في وسط الدار إلى الصباح فقيل له في ذٰلك فقال: ما زال / ٧٦٣/ أهل النار يعرضون عليَّ بسلاسلهم وأغلالهم[١].

وقال الفخر في قوله تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ۝٢١﴾ [الحج: ٢١] المقامع: السياط، قال الثعلبي: واحدها مقمعة سميت بذٰلك لأنها تقمع المضروب أي: تزله.

وأخرج البيهقي[٢] عن أبي صالح قال: إذا أُلْقِيَ الرجل في النار لم يكن له منتهى حتى يبلغ قعرها ثم تجيش به جهنم فترفعه إلى أعلاها وما على عظامه مزعة لحم فتضربه الملائكة بالمقامع فيهوي بها في قعرها فلا يزال كذٰلك.

قال الفخر في قوله: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢].

الإعادة: إنما تكون بعد الخروج والمعنى هنا أنَّ أهل النار يرفعهم لهبها حتَّى إذا كانوا في أعلاها ضربوا فهووا فيها سبعين خريفًا وقيل لهم: ذوقوا عذاب الحريق الغليظ من النار العظيمة الإهلاك والحريق المحرق مثل لئيم ووجيع.

وفي تفسير الواحدي[٣] عن الليث: المقمعة: شبه الجرز من

---

(١) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥٣).

(٢) في «البعث والنشور» (٨٥٩). (٣) ٣/ ٢٦٤.

الحديد يضرب بها الرأس، وجمعها: المقامع، وأصلها من قولهم: قمعت رأسه: إذا ضربته ضربًا عنيفًا. والجُرْز بضم الجيم وسكون الراء المهملة وبعدها زاي: هو عمود من حديد.

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢] أي: كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي يأخذ بأنفاسهم حتَّى ليس لهم مخرج ردوا إليها بالمقامع، قال المفسرون: إن جهنم لتجيش بهم فتلقيهم إلى أعلاها فيريدون الخروج فيردهم الخُزَّانُ ويقولون لهم: ذوقوا عذاب الحريق، فنسأل الله العافية والتوفيق والهداية لأقوم طريق.

فصل
وأما حجارتها

فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦] وقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤] قال بعض المفسرين: هي حجارة الأصنام التي عبدت من دون الله واستشهد لهٰذا بقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨-٩٩]

وأخرج ابن أبي الدنيا عن محمد بن هاشم قال: لما نزلت هٰذه الآية ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦] قرأها النبي ﷺ /٧٦٤/ فسمعها شاب إلى جنبه فصعق فجعل رسول الله ﷺ رأسه في حجره رحمة له، فمكث ما شاء الله أن يمكث ثم فتح عينيه، فقال: بأبي أنت وأمي مثل أي شيء الحجر، قال: «**أما يكفيك ما أصابك على أن الحجر الواحد منها لو وضع على جبال الدنيا لذابت منه، وإنَّ مع كل إنسان حجرًا وشيطانًا**»[1].

---

(١) التخويف من النار ص١٣٢، كما أورده المنذري في «الترغيب والترهيب» ٤/٢٥٧ الرقة لابن قدامة (١٢٠) رقم (١٣٦).

وفيه عباد قال أبو حاتم: صدوق في حديثه إنكار أخرجه البخاري في «الضعفاء»[١] وأكثر المفسرين على أن المراد بالحجارة في الآيتين: حجارة الكبريت توقد بها النار.

قال الحافظ ابن رجب[٢]: ويقال إن فيها خمسة أنواع من العذاب ليس في غيرها من الحجارة: سرعةُ الإيقاد ونتن الرائحة، وكثرة الدخان، وشدة الألتصاق بالأبدان، وقوة حرها إذا حميت.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ قال: هي حجارة الكبريت خلقها الله يوم خلق السماوات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين[٣]، وقال مجاهد: حجارة من كبريت أنتن من الجيف، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إنها من كبريت أسود.

وخرج الحاكم في «المستدرك»[٤] عن عبد الله بن عمرٍو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الأرضين سبع بين كل أرض إلى التي تليها مسيرة خمسمائة سنة، فالعليا: منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه في السماء، والحوت على صخرة والصخرة بيد ملك، والثانية: مسخر الريح فلما أراد الله أن يهلك عادًا أمر خازن الريح أن يرسل**

(١) الجرح والتعديل (٦/ ٨٤) الضعفاء (٢٢٧).

(٢) «التخويف من النار» ص١٣٣.

(٣) ابن جرير (١/ ١٣١) الحاكم (٢/ ٢٦١، ٤٩٤) الطبراني في الكبير (٩/ ٢٣٨) ابن أبي حاتم (١/ ٦٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» (٢٣١).

(٤) «المستدرك» ٤/ ٥٩٤ وصححه الحاكم وقال الذهبي: منكر.

عليهم ريحًا تهلك عادًا قال: يا رب أرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور، قال له الجبار تبارك وتعالى: إذًا تكفيء الأرض من عليها، أي: تقلبها وهو بالهمز ولكن أرسِل عليهم بقدر خاتم فهي التي قال الله في كتابه: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [الذاريات: ٤٢] والثالثة: فيها حجارة جهنم، والرابعة: فيها كبريت جهنم قالوا: يا رسول الله ألنار جهنم كبريت؟! قال: «نعم والذي نفسي بيده إن فيها لأوديةً من كبريت لو أرسل فيها الجبال الرواسي لماعت، والخامسة: فيها حيات جهنم إن أفواهها كأودية تلسعُ الكافر اللسعةَ فلا يبقى منه لحم على وَضَم أي: بفتح الواو والضاد المعجمة كل شيء يوضع عليه اللحم - والمراد هنا لا يبقى منه لحم / ٧٦٥/ إلا سقط عن موضعه قاله الحافظ المنذري - والسادسة: فيها عقارب جهنم إن أدنى عقرب منها كالبغال المؤكفة تضرب الكافر ضربة تنسبه ضربتها حر جهنم والسابعة: سقر وفيها إبليس مصفد بالحديد يدٌ أمامة ويدٌ خلفه فإذا أراد الله أن يطلقه لما يشاء من عباده أطلقه.

قال الحاكم: تفرد به أبو السمح وقد ذكرت عدالته بنص الإمام يحيى بن معين والحديث صحيح ولم يخرجاه قال الحافظ المنذري[1]: أبو السمح هو دراج وفي متنه نكارة والله تعالى أعلم.

وقال بعض متأخري الحفاظ: هو حديث منكر وفيه عبد الله بن عياش القيتاني ضعفه أبو داود وعند مسلم أنه ثقة ودراج كثير المناكير

(١) الترغيب والترهيب (٤/ ٤٧٥).

ذكره الحافظ ابن رجب في «التخويف»[1] ثم قَالَ: قلت: رفعه منكر جدًا ولعله موقوف وغلط بعضهم فرفعه وروى عطاء بن يسار عن كعب من قوله نحو هٰذا الكلام أيضًا ٱنتهى.

قلت: وأخرج نحوه أبو الشيخ عن حسان بن عطية[2] وهو في كتب القصاص من جملة الإسرائيليات ففي الإسرائيليات أن ٱسم الأرض الأولى: الرمكا وتحتها الريح العقيم زمت بسبعين ألف زمام من حديد وُكِّل بكل زمامٍ سبعون ألف ملك وبها أهلك الله قوم عاد وبها ينسفُ الله تعالى يوم ٱلقيامة الجبال والتلال. والثانية: تسمى جلدة وهي من حديد وجعل الله سكانها عقارب أهل النار. والثالثة: تسمى عرفة وأسكنها الله أصناف العذاب لأهل النار لا يقدر أحد على وصفه. والرابعة: الجدبا وأسكنها الله سبحانه حيات أهل النار نسأله سبحانه العافية، والخامسة: قلتا وأسكنها الله سبحانه الكبريت والحجارة التي أعدت لأهل النار، والسادسة: سجينا وجعل الله عزَّ شأنه فيها دواوين أهل النار، والسابعة: عجيبا وأسكن الله سبحانه إبليس في وسطها وجنوده حافة به وهو فيها محبوس موثوق وأرواح الفجار عند إبليس في وسطها حجاب من ظلمة في إحدى جانبيه باب إلى سقر وهناك عرش إبليس قيل فما تحت ذٰلك يا روح الله قال: هواء وظلمة وما لا يعلم به أحد إلا الله تعالى.

والله سبحانه وتعالى أعلم بصحة هٰذا وعدمه.

---

(١) ص ١٣٣ - ١٣٥ .

(٢) حسان بن عطية المحاربي مولاهم أبو بكر الدمشقي ثقة عابد مات بعد العشرين ومائة ترجمته في تهذيب التهذيب (٢/ ٢٥١).

فصل
وأما حيات جهنم وعقاربها

فخرج الإمام أحمد والطبراني وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح الإسناد عن عبد الله بن الحارث بن جزءٍ الزبيدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في النار حيات كأمثال أعناق البخت تلسع إحداهن اللسعة فيجد حرها سبعين خريفا وإنَّ في النار عقارب كأمثال البغال المؤكفة تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين سنة**»[1].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨] قال زيدوا: عقارب أنيابها كالنخل الطوال[2]. رواه أبو يعلى والحاكم موقوفًا، وقال صحيح على شرط الشيخين وفي رواية عنده عن أبي إياس قال زيدوا: عقارب من نار كالبغال الدهم أنيابها كالنخل.

قلت: لعله أراد بقوله كالبغال الدهم في الصفة لا في العظم وإلا فالتي أنيابها كالنخل لا تكون هي كالبغل كما لا يخفى على ذي عقل.

---

(١) رواه أحمد ٤/ ١٩١، وابن حبان (٧٤٧١)، والحاكم ٤/ ٥٩٣-٥٩٤، والبيهقي في «البعث» (٥٦١) وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١٥٨-١٥٩، والحاكم ٤/ ٥٩٣-٥٩٤ موقوفًا.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن يزيد بن شجرة، قال: إن لجهنم لجبابا في ساحل كساحل البحر فيه هوام وحيات كالبخاتي وعقارب كالبغال، فإذا سأل أهل النار التخفيف قيل ٱخرجوا إلى الساحل فتأخذهم تلك الهوام بشفاههم وجنوبهم وما شاء الله من ذٰلك فتكشطها فيرجعون فيبادرون إلى معظم النيران ويسلط عليهم الجرب حتَّى إن أحدهم ليحك جلده حتَّى يبدو العظم فيقال: يا فلان هل يؤذيك هٰذا، فيقول: نعم، فيقال له: ذٰلك بما كنت تؤذي المؤمنين[1].

قال الحافظ المنذري: ويزيد بن شجرة الرهاوي مختلف في صحبته.

وروى حماد بن سلمة عن الحريري عن أبي عثمان، قال: على الصراط حيات يلسعن أهل النار فيقولون: حس حس فذٰلك قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء: ١٠٢] وكان إبراهيم العجلي رحمه الله يقع البعوض على كتفه وظهره فيتأذى بهن فيقول:

وأنت تأذى من حسيس بعوضة ... فللنار أشقى ساكنين وأوجع[2]

وأخرج أبو يعلى بسند جيد عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «الذباب كله في النار إلا النحل» وتقدم الكلام[3] عليه

(١) أورده بن رجب في «التخويف من النار» ص١٣٧ في ذكر حيات وعقارب جهنم، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا وغيره، الترغيب والترهيب (٤/ ٤٧٦).

(٢) المصدر السابق ص١٣٧ - ١٣٨.

(٣) ت(٣) ص١٢٩٨.

مبسوطًا وفي حديث آخر: «**كل مؤذ في النار**»[1] وفي تأويله وجهان أحـدهمـا:

/٧٦٧/ إن كل من آذى الناس في الدنيا فهو معذب في النار يوم القيامة. والثاني: أن كل ما يؤذي من السباع والهوام ونحو ذٰلك في النار يعذب بذٰلك أهلها.

ويشهد لهٰذا ما أخرجه ابن أبي الدنيا عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: أسرَّ إليَّ النبي ﷺ فقال: «**يا حذيفة إن في جهنم لسباعًا من نارٍ وكلابًا من نار، وكلاليب من نارٍ وسيوفًا من نار، وإنه يبعث ملائكة يعلقون أهل النار بتلك الكلاليب بأحناكهم ويقطعونهم بتلك السيوف عضوًا عضوًا، ويلقونهم إلى تلك السباع والكلاب كلما قطعوا عضوًا عاد مكانه غضاً جديداً**»[2].

قلت: والذي يظهر ويفهم من هٰذا الخبر أن في النار كلابًا وسباعًا من نار لا أن كلاب الدنيا وسباعها تعذب في النار، كما لا يخفى والله تعالى أعلم سبحانه.

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/١٨٦) ابن الجوزي في العلل (١٢٥١) وقال بشار: موضوع.

(٢) صفة النار لابن أبي الدنيا (١٢١).

الباب السابع
في ذكر طعام أهل النار وشرابهم وكسوتهم وثيابهم

أما طعامهم: فقال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦] وقال تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ [الصافات: ٦٢-٦٥] الآيات وقال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الواقعة: ٥١-٥٢] الآيات وقال: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠] وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] فقال ﷺ: «**لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه**»(١) رواه الترمذي والنّسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه إلا أنه قال: «**فكيف بمن ليس له طعام غيره**» والحاكم(٢) بلفظ: «**والذي نفسي بيده لو أنّ قطرة من الزقوم قطرت في**

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٣٠٠ (٢٧٣٥)، وابن ماجه (٤٣٢٥)، والترمذي (٢٥٨٥).
(٢) الحاكم في «مستدركه» ٢/ ٤٥١، كتاب: التفسير.

بحار الأرض لأفسدت أو قال لأمرّت على أهل الأرض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه» وقال الحاكم على شرطهما وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وروي موقوفًا على ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال ابن /٧٦٨/ إسحق: حدثني حكيم بن حكيم عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو جهل: لمَّا ذكر رسول الله ﷺ شجرةَ الزقوم: يا معشر قريش أتدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد؟ قالوا: لا، قال: عجوة يثرب بالزبد والله لإن أستمكنا منها لنتزقمنها تزقما، فأنزل الله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ الآية. أي: ليس كما يزعم وأنزلَ تعالى: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ الآية[١].

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ﴾ قال: زادتهم تكذيبًا حين أخبرهم إن في النارِ شجرة فقالوا: يخبرهم أن في النار شجرة والنار تحرق الشجر فأخبرهم أنَّ غذاءها من النار[٢].

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنَّ شجرة الزقوم نابتة في أصل سقر. وقال الحسن: أصلها في قعر النار، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها.

وقد دلّ القرآن على أنَّ أهْلَ النارِ يأكلون من شجرة الزقوم حتَّى تمتلئ منها بطونهم فتغلي في بطونهم كما يغلي الحميم، وهو الماء الذي

---

(١) «سيرة» ابن إسحاق ص١٩٢، الطبري ١٠/ ٤٩٤ .

(٢) «تفسير الطبري» ١٠/ ٤٩٤ . .

قد انتهى حره ثم بعد أكلهم منها يشربون عليه من الحميم شرب الهيم أي: الإبل العطاش. قاله ابن عباس(١).

وقال السدي(٢): هو داء يأخذ الإبل فلا تروى أبدًا حتَّى تموت فكذلك أهل جهنَّم لا يروون من الحميم أبدًا.

ودل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ [الصافات: ٦٧] على أنَّ الشوب من الحميم: يشاب به ما في بطونهم من الزقوم فيصير شوبا له، أي: يمزج به.

قال عطاء الخراساني: يخلط طعامهم ويساط بالحميم. وقال قتادة: مزاجا من حميم(٣). وقال سعيد بن جبير: إذا جاعَ أهلُ النارِ استغاثوا فأغيثوا بشجرة الزقوم، فأكلوا منها فانسلخت وجوههم، حتَّى لو أنَّ مارًّا مرَّ عليهم يعرفهم لعرف جلود وجوههم فإذا أكلوا منها القي عليهم العطش، فأغيثوا بماء كالمهل وهو الذي انتهى حرُّه.

وفي البغوي: المهل: دردي الزيت الأسود(٤) فإذا أدنوه من أفواههم انضج حر الوجوه ويصهر به ما في بطونهم.

قال الواحدي في «تفسيره»: روي عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّه قرأ هذه الآية، ثم قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنَّ الحميم ليصب على رؤوسهم فتنفذ الجمجمة حتَّى تخلص إلى جوف الكافر فيسلت ما في جوفه حتى يخرق / ٧٦٩/ قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما**

---

(١) «تفسير القرطبي» ١٧/ ٢١٤-٢١٥ .
(٢) المصدر السابق.
(٣) «تفسير الطبري» ١٠/ ٤٩٥ .
(٤) «تفسير البغوي» ٧/ ٢٣٦ .

كان»[1]. وهذا معنى قوله: يصهر به. أي: بذلك الحميم ما في بطونهم والجلود.

قال الواحدي: فسر الصهر بالإذابة والإحراق والإنضاج وهو قول المفسرين. قال ابن عباس في رواية عطاء: ينضج. وقال قتادة، ومجاهد: يذاب. قال الواحدي: والمعنى: أن أمعاءهم وشحومهم تذاب وتحرق بهذا الحميم وتنشوي جلودهم فتساقط من حرها. انتهى.

﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١﴾ [الحج: ٢١] يضربون بها فيسقط كلُّ عضوٍ على حياله يدعون بالثبور، ثم إنَّ مرجعهم بعد أكل الزقوم، وشرب الحميم لإلى الجحيم وهذا يدل على أنَّ الحميمَ خارج من الجحيم فهم يَرِدُونَهُ كالإبل ترد الماء، ثم يُرَدُّونَ إلى الجحيم ويدل على هذا أيضًا قوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ ٤٤﴾ [الرحمن: ٤٤]. الحميم: دون النار فيؤخذ العبد بناصيته فيحرك في ذلك الحميم حتَّى يذوب اللحم ويبقى العظم، والعينان في الرأسِ ويدل لهذا قوله سبحانه: ﴿يُسۡحَبُونَ * فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ٧٢﴾ [غافر: ٧١-٧٢] ﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ١٢ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ١٣﴾ [المزمل: ١٢، ١٣] وقال تعالى: ﴿لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ٧﴾ [الغاشية: ٦، ٧].

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٧٤ (٨٨٦٤)، والترمذي (٢٥٨٢)، وقال الترمذي حسن صحيح غريب، والحاكم في «المستدرك» ٢/٣٨٧ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

أخرجَ الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ قال: شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج[1].

وعنه، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿مِن ضَرِيعٍ﴾ قال: شجر في النار. وقال مجاهد: الضريع الشبرق نبت ذو شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج.

وعنه: إنه إذا يبس يسمى ضريعا. قال قتادة: من أضرع الطعام. وفي البغوي عن مجاهد، وعكرمة، وقتادة: إن الضريع نبت ذو شوك لا طيء بالأرض تسميه قريش الشبرق فإذا هاج سموها الضريع وهو أخبث طعام، وأبشعه، وهو رواية العوفي عن ابن عباس.

قال الكلبي: لا تقر به دابة إذا يبس. قال ابن زيد: أما في الدُّنيا فإنَّ الضريع الشوك اليابس الذي ليس له ورق وهو في الآخرة شوك من نار.

قال البغوي: وجاء في الحديث عن ابن عباس: الضريع شيء في النار شبه الشوك أمرّ من الصبر، وأنتن من الجيفة، وأشد حرًا من النار. انتهى.

وقيل: هو الزقوم وقال سعيد بن جبير: من ضريع أي: من حجارة / ٧٧٧/

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢٩/ ١٣٥، صفة النار لابن أبي الدنيا (٨٣).

وأخرجَ الترمذي عن أبي الدرداء مرفوعًا: «**يلقى على أهل النارِ الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون أنَّهم كانوا يجيزون الغصص في الدُّنيا بالشراب، فيستغيثون بالشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد، فإذا دنت من وجوههم شويت وجوههم فإذا وصلت إلى بطونهم قطعتها**»[١] وذكر بقية الحديث.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في غسلين أنه صديد أهل النار، وعنه أن الغسلين الدم والماء يسيل من لحومهم وهو طعامهم. وأخرج أبو نعيم عن كعب أنَّه قال: لو أدلى من غسلين دلو واحد في مطلع الشمس لغلت منه جماجمُ قومٍ في مغربها.

وأخرجَ ابن أبي حاتم من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: ما أدري ما الغسلين ولكني أظنه الزقوم. وعلى القول الأول مأخوذ من الغسل كأنَّه غسالة فروجهم، وجروحهم، وقروحهم.

وقال الحسن: إنَّ الضريع الزقوم والشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم. قال أبو عمران الجوني: بلغني أنَّ ابن آدم لا ينهش منها إلا نهشت منه مثلها والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٨٦)، صفة النار لابن أبي الدنيا (٨٤).

فصل
وأمَّا شرابهم

فقال تعالى: ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٥٤﴾﴾ [الواقعة: ٥٤] وقال: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ﴾ [محمد: ١٥] وقال: ﴿لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا * إلا حميمًا وغساقًا﴾ [النبأ: ٢٤، ٢٥] وقال: ﴿وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ * يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ [إبراهيم: ١٦، ١٧] وقال: ﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ﴾ [الكهف: ٢٩] الآية.

فهٰذه أربعة أنواع من شرابهم ذكرها الله تعالى في كتابه. الأول: الحميم وهو الماء الحار الذي يحرق قاله ابن عباس. وقال الضحاك: إنه لم يزل يوقد عليه، ويغلى منذ خلق الله السماوات والأرض إلى يوم يسقونه ويصب على رءوسهم. وقيل: إنَّه دموعُ أعينهم في النار تجتمع في حياض النار فيسقونه. وقال جمهور المفسرين في قوله تعالى: ﴿حَمِيمٍ ءَانٖ﴾ [الرحمن: ٤٤] المراد بالآن: ما ٱنتهى حره. وقيل: حاضر. وفي البغوي: «آن» ٱنتهى حره. قال الزجاج: أنى يأنى فهو آن إذا ٱنتهى في النضج. وقال كعب: «آن» واد من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الأغلال فيغمسون في ذٰلك الوادي / ٧٧١/ حتَّى تنخلع أوصالهم، ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقا جديدًا فيلقون في النار فذٰلك قوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: ٤٤]

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ۝٥﴾ [الغاشية: ٥] ٱنتهى حرها، وحان شربها. وقال الحسن: كانت العرب تقول للشيء إذا ٱنتهى حرُّه حتَّى لا يكون شيء أحرّ منه قد أنى حره. وفي البغوي: ﴿تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ۝٥﴾ متناهية في الحرارة وقد أوقدت عليها جهنم منذ خلقت فدفعوا إليها وردًا عطاشا. قال المفسرون: لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت. ٱنتهى.

النوع الثاني: الغساق: وهو ما سيل من بين جلد الكافر ولحمه، قاله ابن عباس رضي الله عنهما. وعنه: إن الزمهرير البارد الذي يحرق من برده. وقال ابن عمرو: الغساق القيح الغليظ لو أنَّ قطرة منه تهراق في المغرب لأنتنت أهل المشرق، ولو تهراق في المشرق لأنتنت أهل المغربِ. وقيل: إنه عين في جهنم حمة كل ذات حمة من حية وعقرب أو غير ذٰلك فيستنقع فيؤتى بالآدمي فيغمس فيها غمسة واحدة، فيخرج وقد سقطَ لحمُه، وجلده عن العظام ويتعلق جلده ولحمه في عقبيه وكعبيه ويجر لحمه كما يجر الرجل ثوبه.

وخرّجَ الإمام أحمد، والترمذي، والحاكم في صحيحه عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا: لو أنَّ دلوًا من غساق يهراق في الدُّنيا لأنتن أهْلَ الدنيا[1].

(١) أخرجه أحمد ٣/٢٨، والترمذي (٢٥٨٤)، والبيهقي في البعث والنشور (٥٦٦)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٣٨١)، والحاكم في «المستدرك» ٤/٦٠١، ٦٠٢، وقال الحاكم: هَذَا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

واستدل لقول ابن عباس أنَّه الزمهرير البارد بقوله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ [النبأ: ٢٤، ٢٥] فاستثنى من البرد الغساق، ومن الشراب الحميم وبه قال مجاهد.

وفي البغوي في قوله تعالى: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ [ص: ٥٧] بعد أن ذكر قول ابن عباس ومجاهد على نحو ما ذكرنا.

وقال قتادة: هو ما يغسق أي: يسيل من القيح والصديد من جلود أهل النار، ولحومهم، وفروج الزناة، من قولهم: غسقت عينه إذا ٱنصبت والغسقان: الانصباب ٱنتهى.

الثالث: الصديد وهو القيح والدم قاله مجاهد، وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ [إبراهيم: ١٧] هل لكم بهٰذا يدان؟! أم لكم على هٰذا جسر؟! طاعة الله يا قوم أهون عليكم من هٰذا فأطيعوا الله ورسولَه/ ٧٧٢/ وخرّج الإمام أحمد، والترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ [إبراهيم: ١٦، ١٧] قال: يُقرَّبُ إلى فيه، فيكرهه، فإذا أُدني منه شوى وجهه، ووقعت فروةُ رأسِه، فإذا شربَهُ قطّع أمعاءه، حتّى تخرجَ من دُبره يقول الله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥] ويقول تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِى الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ [الكهف: ١٩][(١)].

(١) رواه الإمام أحمد ٥/ ٢٦٥، والترمذي (٢٥٨٣)، وقال: هَذَا حديث غريب.

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ على الله عهدًا لِمَن شرب المسكر أنْ يسقيه من طينة الخبال**» قالوا: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: «**عرق أهل النار أو عصارة أهل النار**»[١]. ورواه الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان عن ابن عمر مرفوعًا نحوه[٢] إلا أنه ذكر ذلك في المرة الرابعة. وفي بعض الروايات: «**من عين خبال**». وفي أخرى عند الإمام أحمد: «**من نهر الخبال**». قيل لابن عمر: يا أبا عبد الرحمن وما نهر الخبال؟ قال: نهر من صديد أهل النار. ورواه الترمذي وحسنه.

وأخرجَ الإمام أحمد، وابن حبان في صحيحه عن أبي موسى رضي الله عنه مرفوعًا: «**من مات مُدمِن خَمرٍ سقاه الله من نهر الغوطة**» قيل: وما نهر الغوطة؟ قال: «**نهر يخرج من فروج المومسات يؤذي أهل النار ريح فروجهن**»[٣]. والمومسات: بضم الميم الأولى وكسر الثانية الزانيات ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

الرابع: الماء الذي كالمهل أخرجَ الإمام أحمد، والترمذي عن أبي

---

(١) رواه مسلم (٢٠٠٢)، وأحمد ٣/ ٣٦٠.

(٢) رواه أحمد ٢/ ٣٥، والترمذي (١٨٦٢)، والنسائي ٨/ ٣١٦، والطيالسي (١٩٠١)، وأبو يعلى (٥٦٠٧)، والبغوي (٦٠١٤)، والحديث حسن بشواهده.

(٣) رواه أحمد ٤/ ٣٩٩، وأبو يعلى (٧٢٤٨)، وابن حبان (٦١٣٧)، والحاكم ٤/ ١٤٦، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ٧٤ وقال: (ورجال أحمد وأبي يعلى ثقات).

سعيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ قال: «كعكر الزيت، فإذا قرب إلى وجهه سقطت فروة وجهه منه»[(١)]. ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد. وقال مجاهد: ﴿بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ مثل القيح والدم أسود كعكر الزيت.

والحاصل أن للمفسرين في المهل أقوالاً قيل: هو دردي الزيت، وقيل: الذائب من النحاس والفضة، وقيل: ماء غليظ مثل دردي الزيت، وقيل: هو القيح والدم، وقيل: ماء أسود، وقيل: هو ضرب من القطران والله تعالى أعلم.

ومرّ /٧٧٣/ بعضُ السلفِ على كروم بقرية يقال لها باباذ وهم يعتصرون فيها الخمر فأنشد الرجل بيتًا من الشعر وهو:

بطير باباذ كرم ما مررت به ... إلا تعجبت ممن يشرب الماء

فهتف به هاتف وهو يقول مجيبًا له:

وفي جهنم ماء ما تجرَّعه ... خلق فأبقى له في البطن أمعاء

وقد كان من الخائفين من السلف رضي الله عنهم من ينغص عليهم ذكر طعام أهل النار وشرابهم طعامَ الدنيا وشرابَها حتّى يمتنعوا من تناوله أحيانًا لذلك.

وكان الإمام أحمد رضي الله عنه يقول: الخوف يمنعني من أكل الطعام والشراب فلا أشتهيه. وأتى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بعشاء وهو صائم فقرأ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا

---

(١) رواه أحمد ٣/ ٧٠، وعبد بن حميد (٩٣٠)، والترمذي (٢٥٨١، ٣٣٢٢).

أَلِيمًا ﴿١٣﴾ [المزمل: ١٢، ١٣] فلم يزل يبكي حتَّى نقع طعامه فما تعشى وإنه لصائم. خرجه الجوزجاني.

وذكر الحسن رحمه الله أنَّ رجلاً من السّلف لقى رجلاً فقال: يا هٰذا إني أراك قد تغير لونُكَ، ونحل جسمك فمم هٰذا؟ فقال الآخر: وإنِّي أرى ذٰلك بك فمم هو؟ قال: أصبحتُ منذ ثلاثة أيام صائما فلمَّا أتيت بإفطاري عرضت لي هٰذه الآية: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٦] الآية فلم أستطع أنْ أتعشى فأصبحت صائمًا فلمَّا أُتيتُ بعشائي عرضت لي أيضًا، فلم أستطع أنْ أتعشى فلي ثلاثة أيام منذ أنا صائم قال: يقول الرجل الآخر: وهي التي عملت هٰذا العمل بي.

وأخرجَ ابن أبي الدنيا مثله عن الحسن نفسه، ثم إن ابنه في اليوم الثالث ذهبَ إلى يحيى البكاء، وثابت البناني، ويزيد الضبى فقال: أدركوا أبي فإنَّه هالك فلم يزالوا به حتَّى سقوه شربة من سويق.

أفق من سكر الغفلة، وتهيأ للنّقلة، وتأمل طعام الزقوم والضريع، وشراب الحميم والصديد البشيع. لِمَا هٰذا التمادي والمنون بك ينادي كأنِّي بك وليس لك طعام إلا من شجرة الزقوم كالمهل تغلي في البطون كغلي الحميم فتصهر ما فيها يا ظلوم يا عجبًا لمَن يتحرى الرفيعَ مِنْ طعامه وشرابه، ويوقن بالتشييع من داره إلى ترابه كيف لا يتحاشى من شراب المهل على الضريع. وذٰلك من جوارحه وصديده الشنيع فنسأل الله المعونة والتوفيق / ٧٧٤/ والهداية لأقوم طريق:

أخافُ عليك يا نفس استقيمي   من الزقوم مع شرب الحميم

وكـفّـي عـن مـعـاصي الله حـتَّى تـفـوزي في المـعـادِ مـن الجـحـيـم
ولا تـدعـي الـبـكـا أسـفـا ونـوحـي وجـدي وانـصـبي جـزعًـا وهـيـمـي
وخـافي وارهـبي ودعـي ٱشـتـغـالي بـوصـف جـآذِرٍ ونـعـوت ريم
وفـيـقـي مـن هـوى لـبنى وَخـلي سـعـاد ونـغـمـة الـصـوت الـرخـيـم
وروحـي إنّ روحـي قـد نـعـاهـا ال مـنـون عـن الأحـبّـة والـنـعـيـم
وبي خـوف مـن الـتـقـصير لـولا رجـاء الـبرّ الـرؤوف بـنـا الـرحـيـم
وبجـاه[1] محـمّـد المبـعـوث فـيـنـا شـفـيـع المـذنـبـين لـدى الـكـريم
عـليه الله صـلَّى كـلّ وقـت مَـدَى الأيـام والـذكـر الحـكـيـم
كـذا الآل الـكـرام وكـلَّ صـحـب ذوي الإخـلاص والـديـن الـقـويم

فصل

وأما كسوة أهل النار وثيابهم

فقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ﴾ [الحج: ١٩] وكان إبراهيم التيمي إذا تلى هٰذه الآية في قصصه يقول: سبحان من خلق من النار ثيابًا.

وروى الحافظ ابن رجب في التخويف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يُقطع للكافر ثياباً من نار حتَّى ذكر القباء والقميص والكمة.

---

(١) التوسل بجاه النبي ﷺ لا يجوز وطلب الشفاعة منه مباشرة أيضًا لا يجوز دائمًا يسأل الله فيقال: اللهم شفع فينا نبيك محمد ﷺ.

وخرج أبو داود عنه ﷺ أنَّه قال: «**مَن أكلَ برجلٍ مسلم أكلة من الدُّنيا أطعمه الله مثلها في نار جهنم، ومَن كُسِيَ أو اكتسى برجل مسلم ثوبًا كساه الله مثله من جهنم**»(١).

وخرج أبو داود، والنّسائي، والترمذي عن بريدة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنَّه رأى على رجل خاتمًا من حديد فقال: «**ما لي أرَى عليك حلية أهل النار**»(٢).

وخرج الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**أوّل مَن يكسى حلة من النار إبليس يضعها على حاجبيه، ويسحبها من خلفه وذريته خلفه وهو يقول: يا ثبورهم يقولون: يا ثبورهم، فيقال لهم: لا تدعوا اليوم ثبورا واحدًا وادعوا ثبورا كثيرًا**»(٣).

وأخرج الطبراني عن عمر رضي الله عنه أنَّ جبريل عليه السلام قال للنبي /٧٧٥/ ﷺ: «**والذي بعثك بالحق لو أنّ ثوبًا من ثياب أهْلِ**

---

(١) رواه أحمد ٤/ ٢٢٩، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٤٠)، وأبو داود (٤٨٨١)، وأبو يعلى (٦٨٥٨)، والحاكم ٤/ ١٢٧-١٢٨، وله شواهد والحديث حسن.

(٢) رواه أحمد ٥/ ٣٥٩، وأبو داود (٤٢٢٣)، والترمذي (١٨٧٥)، والنسائي ٨/ ١٧٢، وقال الترمذي: هَذَا حديث غريب. أ.هـ، وفيه عبد الله بن مسلم أبو طيبة المروزي، قَالَ أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به.

(٣) رواه أحمد ٣/ ١٥٢، وابن أبي شيبة ١٣/ ١٦٨، والبيهقي في «البعث والنشور» (٦٤٧)، وفيه علي بن زيد وهو ضعيف.

النَّارِ علق بين السماء والأرض لمات مَنْ في الأرض كلهم جميعا من حرّه»[١].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۝٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٤٩-٥٠]: هو النحاس الذائب[٢]. وقال عكرمة: هو من صفر يحمي عليها ولعل هٰذا التفسير على قراءة من قرأ من «قَطِرٍ آن»[٣] أي: النحاس المذاب الشديد الحرارة كما خرجه ابن جرير عن ابن عباس، وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير[٤].

وقال الفخر: السرابيل: جمع سربال وهو القميص والقطران من شجر يسمى الأسل يطبخ، ويطلى به الإبل الجربة فيتحرق الجرب حرارته وقد تصل حرارته إلى داخل الجوف قال: ومن شأنه أنه يسرع فيه ٱشتعال النار وهو منتن الرائحة أسود اللون فتطلى به جلود أهل النار حتَّى يصير ذٰلك الطلى كالسرابيل وهو القميص قال: فيحصل بسببها أربعة أنواع من العذاب: لذع الحرقة، وإسراع النار في جلودهم، واللون الوحش، ونتن الريح وقال أيضًا: التفاوت بين قطران الدُّنيا، والآخرة كالتفاوت بين النارين وقال الحسن: قطران الإبل.

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» ٦/ ٣٤، وأبو نعيم في «الحلية» ٦/ ١٣٩.
(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٠٩٩٧)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٢٣١٩).
(٣) وهي قراءة ابن عباس وأبي هريرة وغيرهم المحتسب لابن جني (١/ ٣٦٦).
(٤) أورده ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٢٣٢٠).

وفي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب**»[١] وخرجه ابن ماجه بلفظ: «**النائحة إذا ماتت ولم تتب قطع الله لها ثيابًا من قطران، ودرعًا من لهب النار**»[٢] وخرجه ابن ماجه أيضًا عن ابن عباس مرفوعًا بلفظ: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها فإنَّها تبعث يوم القيامة وعليها سرابيل من قطران يغلي عليها بدروع من لهب النار**»[٣].

وخرج أبو نعيم عن وهب بن منبّه قال: «**كسى أهل النار، والعري كان خيرًا لهم، وأعطوا الحياة والموت كان خيرًا لهم**»[٤].

فصل

وقال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١] قال الضحاك، والسدي، وغيرهما: المهاد: الفراش، والغواش: اللحف.

وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨]: فراشا ومهادًا وقال قتادة: محبسا حصروا فيها / ٧٧٦/.

---

(١) رواه أحمد ٥/ ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ومسلم (٩٣٤).

(٢) رواه ابن ماجه (١٥٨١)، والحديث صحيح.

(٣) رواه ابن ماجه (١٥٨٢)، والحديث صحيح.

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٤/ ٧١ عن وهب بن منبه.

وكان الحسن رحمه الله يقول في وصف أهل النار وسكونهم دار البوار: قد حذيت لهم نعال من نار، وسرابيل من قطران، وطعامهم من نار، وشرابهم من نار، وفرش من نار، ولحف من نار، ومساكن من نار في شر دار وأسوأ عذاب فالأجساد أكلاً أكلاً، وصهرا صهرا، وحطما حطما. وقال أيضًا رحمه الله: إنّ رجلاً من صدر هٰذه الأمة كان إذا دخَلَ المقابر نادى: يا أهل القبور بعد الرفاهية والنعيم معالجة الأغلال في نارِ الجحيم، وبعد القطن والكتان لباس القطران ومقطعات النيران، وبعد تلطف الخدم ومعانقة الأزواج مقارنة الشيطان في نار جهنَّم مقرنين في الأصفاد.

وأخرجَ ابن أبي الدُّنيا عن وهب بن منبّه رحمه الله أنَّه قال: أما أهْل النار الذين هم أهلها فهم في النار لا يهدأون، ولا ينامون، ولا يموتون يمشون على النار، ويجلسون، ويشربون من صديد أهل النار، ويأكلون مِنْ زقوم النار لحفهم نار، وفرشهم نار، وقمصهم نار وقطران، وتغشى وجوههم النار، جميع أهل النار في سلاسل بأيدي الخزنة أطرافها يجذبونهم مقبلين ومدبرين فيسيل صديد إلى حفر في النار فذٰلك شرابهم. ثم بكى وهب حتَّى سقطَ مغشيًا عليه ولما ذكر هٰذا الخبر بكر بن خنبش غلبَ عليه البكاء حتَّى قام فلم يقدر أنْ يتكلم.

وفي الإسرائيليات أنَّ أم سيدنا يحيى بن زكريا عليهما السلام أقبلت عليه في ثوب تعالجه له ليلبسه فقال لها: أفعل قالت: من أي شيء؟ قال: من شعر. قالت: يا بني إذن يأكل لحمك قال: يا أمه أما

إنِّي إذا ذكرت مقطعات النيران لان على جلدي.

وكان عطاء الخراساني رحمه الله ينادي في أصحابه في السفر: يا فلان يا فلان قيام هٰذا الليل، وصيام هٰذا النهار أيسر من شراب الصديد ومقطعات الحديد ألوحاء ألوحاء ثم يقبل على صلاته[1]. ولمَّا ماتت النُّوَّار امرأة الفرزدق رحمهما الله ودفنت وقف الفرزدق على قبرها بحضرة الحسن البصري وأنشد هٰذه الأبيات العظيمة وهي:

أخاف وراء القبر إن لم يعافني ... أشد من القبر التهابًا وأضيقا

إذا جاءني يوم القيامة قائد ... عفيف وسواق يسوق الفرزدقا/ ٧٧٧/

لقد خاب من أولاد آدم من مشى ... إلى النار مغلول القلادة أزرقا

يساق إلى نار الجحيم مسربلا ... سرابيل قطران لباسا محرقا

إذا شربوا فيها الصديد رأيتهم ... يذوبون من حر الصديد تمزقا

فبكى الحسن بكاء شديدًا رحم الله تلك الأرواح الزكية والأخلاق المرضية.

---

(١) صفة النار لابن أبي الدنيا (١٩٢) حلية الأولياء (٥/ ١٩٣).

الباب الثامن
في عظم خلق أهل النار، وقبحهم، وأنواع صفاتهم بحسب أعمالهم

أما خلقهم، وقبح صورهم، وهيئاتهم وذٰلك من أنواع العذاب، وشديد المقت لهم بلا ٱرتياب، وأخرجَ البخاري عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ قال: **«ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع»** وخرجه مسلم بلفظ: **«ما بين منكبي الكافر في النار»**[1] الحديث.

وخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنَّه قال: **«ضرس الكافر، أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث»**[2]. والحاكم عن أبي هريرة مرفوعًا: **«ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد، وعرض جلده سبعون ذراعا، وعضده مثل البيضاء، وفخذه مثل ورقان، ومقعده من النار ما بيني وبين الرَّبَذة»**[3]. وخرجه الإمام أحمد من غير ذكر عضده.

(١) رواه البخاري (٦٥٥١)، ومسلم (٢٨٥٢).

(٢) رواه مسلم (٢٨٥١)، والترمذي (٢٥٧٩).

(٣) رواه أحمد ٢/ ٣٢٨، والحميدي (١١٧٧)، والحاكم ٤/ ٥٩٥، وابن حبان (٧٤٨٨)، والحديث حسن.

قوله: «**البيضاء**» هو جبل وكذا «**ورقان**». وقوله: «**ما بيني وبين الربذة**» أي: كما بين المدينة والربذة والرَّبَذة: اسم مكان[١] وهو الذي مات فيه أبو ذرٍّ رضي الله عنه لمَّا نفاه سيدنا عثمان وذكرت قصّته في «كتابي تحبير الوفاء في سيرة المصطفى».

وأخرجَ الترمذي حديث أبي هريرة بلفظ: «**إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعا، وإن ضرسه مثل أُحد، وإن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة**»[٢]. وقال: حديث حسن غريب صحيح. ورواه ابن حبان في صحيحه بلفظ: «**جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعا بذراع الجبار، وضرسه مثل أُحد**» والجبار ملك من ملوك اليمن له ذراع معروف المقدار كذا قال ابن حبان، وغيره، وقيل: ملك بالعجم قاله المنذري.

ورواه الحاكم وصححه وهو رواية للإمام[٣] أحمد بإسناد جيد ولفظه: «**ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد، وعرض جلده سبعون ذراعا، وعضده مثل البيضاء، وفخذه مثل ورقان، ومقعده من النار ما بيني وبين الربذة**»[٤]. قال أبو هريرة: وكان يُقال مثل بطن أضم /٧٧٨/.

---

(١) ورد بهامش الأصل: أي في الحجاز.

(٢) رواه الترمذي (٢٥٧٧)، وابن حبان (٧٤٨٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦١٠)، والحاكم ٤/ ٥٩٥ وصححه، وهو كما قَالَ.

(٣) ورد بهامش الأصل: لفظ عند فوق كلمة (للإمام).

(٤) انظر الصفحة السابقة ت(٣).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه لأبي عنان الضبي بظهر الحيرة: تعرف عبد الله بن خداش فإنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**فخذه في جهنم مثل أحد وضرسه مثل البيضاء**» قلت: لم ذاك يا رسول الله؟ قال: «**كان عاقا بوالديه**»[١]. رواه الطبراني.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «**إن الكافر ليسحب لسانه الفرسخ، والفرسخين يتوطأه الناس**»[٢]. رواه الترمذي، وخرجه البيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص بدل عبد الله بن عمر بن الخطاب وصوبه بعضهم.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا: «**يعظم أهل النار في النارِ حتَّى إن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام، وإنّ غلظ جلده سبعون ذراعا، وإن ضرسه مثل أحد**»[٣] رواه الإمام

---

(١) ضعيف، رواه أحمد ٢/ ٩٢، وعبد بن حميد (٨٦٠)، والخطيب في «تاريخه» ٢/ ٣٦٣، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٩٤)، وهناد في «الزهد» (٣٠١)، والترمذي (٢٥٨٠)، وقال الترمذي: هَذَا حديث غريب، والفضل بن يزيد هو كوفي قد روى عنه غير واحد من الأئمة، وأبو المخارق ليس بمعروف.

(٢) ضعيف، رواه أحمد ٢/ ٢٦، وعبد بن حميد (٨٠٨)، والطبراني في الكبير (١٣٤٨٢)، والبيهقي في «البعث» (٦٢٥)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ٣٩١، وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط وفي أسانيدهم أبو يحيى القتات، وهو ضعيف، وفيه خلاف، وبقية رجاله أوثق منه.

(٣) انظر: «ضعيف الترغيب والترهيب» للألباني ٢/ ٤٥٦ .

أحمد، والطبراني في الكبير والأوسط، قال الحافظ المنذري: وإسناده قريب من الحسن.

وأخرجَ الترمذي وقال: حسن غريب واللفظ له، وابن حبان في صحيحه، والبيهقي عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] قال: «**يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه، ويمد له في جسمه ستون ذراعا، ويبيض وجهه، ويجعل على رأسه تاج من نور يتلألأ، فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون: اللهم آتنا بهٰذا، وبارك لنا في هٰذا حتَّى يأتيهم فيقول لهم: أبشروا لكلِّ رجل منكم مثل هٰذا قال:** «**وأما الكافر فيسود وجهه، ويمد له في جسمه ستون ذراعا في صورة آدم، ويلبس تاجًا من نار فيراه أصحابه فيقولون: نعوذ بالله من شر هٰذا، اللهم لا تأتنا بهٰذا فيأتيهم فيقولون: اللهم اخزه فيقول: أبعدكم الله فإن لكلِّ رجل منكم مثل هٰذا**»[1]. وتقدم.

قلتُ: هٰذا الحديث إنَّما فيه إنَّه يمدّ له في جسمه ستون ذراعا مع أنَّ الأحاديث الصحيحة مصرَّحة بأنه يكون أعظم من ذٰلك كيف وضرسه مثل أُحد؟! وقد قال ﷺ في حديث أبي سعيد عند ابن ماجه، ورواه الإمام أحمد، وأبو يعلى، والحاكم كلهم من طريق ابن لهيعة: «**إنَّ الكافر ليعظم حتَّى إن ضرسه لأعظم من أُحُد، وفضيلة جسده على**

---

(١) رواه الترمذي (٣١٣٦) وقد تقدم.

ضرسه كفضيلة جسد أحدكم على ضرسه»[١].

والجواب: أنَّه يمدّ له في جسمه ستون ذراعا في الموقف فإذا دخل النار صار ضرسه كأحد وأعظم كما أخبر عنه ﷺ /٧٧٩/ وهٰذا ظاهر. لو يقال: إن عظم أجسادهم مختلف باختلاف أعمالهم فمنهم مَن يكون جسمُه ستين ذراعا، ومنهم مَن يكون بالصفة التي نعته بها رسول الله ﷺ فتأمله، فإني لم أر من صرح بهٰذا على أنِّي في شك من ثبوت حديث أبي هريرة هٰذا لثبوت الأحاديث الطافحة بما ذكرنا من صفة أهل النار.

وأخرجَ الإمامُ أحمد، والحاكم والبيهقي عن مجاهد قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: أتدري ما سعة جهنم؟ قلت: لا. قال: إنَّ بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرةَ سبعين خريفا تجري فيه أودية القيح والدم قلت: أنهار؟ قال: لا بل أودية[٢].

قال في البهجة: ولا تعارض بين الأحاديث فإنَّ أجسادهم متفاوتة في العظم على حسب جرائمهم. ٱنتهى.

وعن عمرو بن ميمون أنه قال: إنه ليسمع بين جلد الكافر ولحمه جلبة الدود كجلبة الوحش[٣].

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٣٢٢)، وأحمد ٣/ ٢٩، وأبو يعلى (١٣٨٧)، والحاكم ٤/ ٥٩٨، وصححه ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ٣٩٤: رواه أحمد، وأبو يعلى وفيه ابن لهيعة، وقد وُثِّق عَلَى ضعفه.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٦/ ١١٦.

(٣) صفة النار لابن أبي الدنيا ص١٠١.

واعلم أنَّه قد ورد أنَّ بعضَ عصاة هٰذه الأمّة يعظَّم في النار لا أن ذٰلك يختص بأهل الشرك والكفار.

أخرج الإمام أحمد، وابن ماجه، والحاكم عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ مِن أمتي مَن يعظم للنار حتَّى يكون أَحَدَ زواياها**»[١] إسناد الإمام أحمد جيد. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

وفي التخويف[٢] للحافظ ابن رجب عن أنس مرفوعًا: «**يجاء بالأمير الجائر يوم القيامة، فتخاصمه الرعية، فيفلحوا عليه، فيقال له: سدّ عنا ركنًا من أركان جهنَّم**» وفيه أغلب بن تميم. قال الحافظ فيه: ضعيف.

وأخرجَ الإمام أحمد، والترمذي، والحاكم وصححه عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنَّه قال في قوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٤] قال: «**تشويه النار، فتقلص شفته العليا حتَّى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتَّى تضرب سرته**»[٣].

---

(١) ضعيف رواه أحمد ٤/ ٢١٢، والبخاري في «التاريخ الكبير» ٢/ ٢٦١، وابن ماجه (٤٣٢٣)، والطبراني في «الكبير» (٣٣٦٣، ٣٣٦٤، ٣٣٦٥)، والحاكم ١/ ٧١، فيه عبد الله بن قيس جهله علي بن المديني والذهبي وابن حجر.

(٢) «التخويف من النار» ص١٦٩.

(٣) ضعيف رواه أحمد ٣/ ٨٨، والترمذي (٢٥٨٧، ٣١٧٦)، وأبو يعلى (١٣٦٧)، والحاكم ٢/ ٢٤٦، والبغوي في «شرح السنة» (٤٤١٦)، وقال الترمذي: هَذَا حديث صحيح غريب، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

قَالَ ابن رجب: وكان لطاووس رحمه الله تعالى طريقان إذا رجع من المسجد: إحداهما فيه رواس وكان يرجع إذا صلى المغرب فإذا أخذ الطريق الذي فيه الرواس لم يتعش فقيل له في ذٰلك فقال: إذا رأيت الروس كالحة لم أستطع أن آكل. وكان أويس القرني رحمه الله إذا نظر إلى الرؤوس المشوية يذكر هٰذه الآية / ٧٨٠/ ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٤] فيقع مغشيًا عليه حتَّى يظن مَن نظرَ إليه أنَّه مجنون خرجهما ابن أبي الدنيا.

وقال الأصمعي: مرّ ابن سيرين برايس قد أخرجَ رأسا فغشي عليه.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قرأ رجل عندي هٰذه الآية: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦] فقال عمر: أعد عليّ فأعادها فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: عندي تفسيرها تبدل في ساعة واحدة مائة مرّة فقال عمر: هكذا سمعتها من رسول الله ﷺ(١).

وفي رواية لابن مردويه أنَّ كعبًا رحمه الله قال: يا أمير المؤمنين أنا عندي تفسير هٰذه الآية لمَّا قرأها الرجل قال كعب: قرأتها قبل الإسلام يعني: إسلام نفسه، لأن كعب الأحبار رحمه الله أدرك النبي ﷺ ولم يسلم إلا في زمن خلافة عمر رضي الله عنه فلمَّا قال كعب ما قال قال له عمر: هاتها يا كعب فإن جئت بها كما سمعتُ من رسول الله ﷺ

---

(١) «تفسير ابن ابي حاتم» ٣/ ٩٨٢ (٥٤٩٣).

صدّقنا وإلا لم ننظر إليها قال: إنّي قرأتها قبل الإسلام كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها في الساعة الواحدة عشرين ومائة مرة فقال عمر: هكذا سمعت رسول الله ﷺ. والحديثان ضعيفان والله أعلم.

وقد ورد أنَّ لبعض أهل النار لسانين من نار، أو وجهين من نار ففي سنن أبي داود عن عمار رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار**»(١) ويروى نحوه عن أنس، وأبي هريرة وخرج الطبراني عن سعد مرفوعًا: «**ذو الوجهين في الدنيا يأتي يوم القيامة وله وجهان من نار**»(٢) ومنهم من تمسخ صورته على صورة قبيحة، وفي الصحيح أنَّ إبراهيم عليه الصلاة والسلام إذا شفع في أبيه قيل له: يا إبراهيم أنظر ما تحت رجليك فإذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار والذيخ هو ذكر الضبع وتقدم(٣).

---

(١) رواه الدارمي (٢٧٦٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٣١٠)، وأبو داود (٤٨٧٣)، وقال الألباني: صحيح.

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (٦٢٧٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/ ٩٥: رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه: خالد بن يزيد العمري، وهو كذاب أ.هـ. وقال الألباني: موضوع.

(٣) رواه البخاري (٣٣٥٠)، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلًا﴾.

وقال أبو العالية في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ [التين: ٥] قال: في النار في صورة خنزير. خرجه ابن أبي حاتم.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا أراد الله أن لا يخرج منها / ٧٨١/ أحدًا غيَّر صُوَرهم وألوانهم فلا يُعرف منهم أحد.

وفي موعظة الأوزاعي للمنصور بلغني أنَّ جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: «**لو أنَّ رجلاً أُدْخِل النار، ثم خرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقه**» وقد رواه بكر بن خنيس عن عبد الملك الجسري مرسلاً[1].

وأخرج ابن لهيعة عن ابن عمرو: «**لو أن رجلا من أهْلِ النار أخرج إلى الدُّنيا لمات أهل الأرض من وحشة منظره، ونتن ريحه**» ثم بكى عبدُ الله بن عمرو رضي الله عنهما بكاء شديدا وخرجه عنه ابن أبي الدنيا والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر ابن رجب في «التخويف من النار» ص١٧٦، فصل: في نتن ريح أهل النار.

فصل

في أنواع عذاب أهل النار، وتفاوتهم في ذٰلك في دار البوار على حسب ما اقترفوا من الذنوب والأوزار

وقد قدمنا أن تغيير صورهم، وكبر أجسامهم من جملة أنواع العذاب، وأخرج الإمام مسلم عن سمرة بن جندب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنَّه قال في صفة عذاب أهل النار: «**منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم مَن تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته أي: معقد إزاره، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته**»[١].

وأخرجَ الإمام أحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن أهون أهل النارِ عذابًا رجل منتعل بنعلين من نار يغلي منهم دماغه مع إجراء العذاب، ومنهم من قد اغتمر**»[٢].

وفي الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن أهون أهل النار عذابًا رجل**[٣] **في أخمص قدميه**

---

(١) رواه مسلم (٢٨٤٥)، وابن أبي شيبة ١٣/ ١٧٢، وأحمد ٥/ ١٠، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٥٦)، والحجزة: معقد الإزار، والترقوة: العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق.

(٢) رواه أحمد ٣/ ١٣، وعبد بن حميد (٨٧٥)، والحاكم في «المستدرك» ٤/ ٥٨١، والحديث صحيح عَلَىٰ شرط مسلم.

(٣) ورد بهامش الأصل: هو أبو طالب كما صرَّح به في الرواية الأخرى، وهٰذا بموته عَلَىٰ كفره، وهو الحق، ووهم بعضهم، وحكمة جعل العذاب عَلَىٰ قدميه أنه كان مع المصطفى بجملته لكنه متثبت القدمين عَلَىٰ ملة عبد المطلب فسلط العذاب عَلَىٰ قدميه أفاده المناوي.أهـ.

جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل بالقمقم» ولفظ مسلم: «**إنَّ أهون أهل النار عذابا رجل له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ما يرى أنَّ أحدا أشد منه عذابا وإنه لأهونهم عذابا**»[١] قوله المرجل يعني: القدر.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: «**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيُجْعَلُ في ضحضَاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منهما دماغه**»[٢] وفيهما عن العباس رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك، ويغضب لك؟ قال: «**نعم هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**»[٣] وفي مسلم: «**وجدته في غمرات من النار/ ٧٨٢/ فأخرجته إلى ضحضاح**»[٤] وفي مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أهون أهل النار عذابًا أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه**»[٥].

---

(١) رواه البخاري (٦٥٦١، ٦٥٦٢)، ومسلم (٢١٣)، وأحمد ٤/ ٢٧١.

(٢) رواه مسلم (٢١٠)، والبخاري (٣٨٨٥)، وأبو يعلى (١٣٦٠)، وابن منده في «الإيمان» (٩٦٨)، وأبو عوانة ١/ ٩٧، والضحضاح: هو ما رَقَّ من الماء عَلَىَ الأرض إلى نحو الكعبين، فاستعاره للنار، قاله ابن الأثير في «النهاية» ٣/ ٧٥.

(٣) رواه مسلم (٢٠٩)، وابن أبي شيبة ١٣/ ١٦٥، وعبد الرزاق (٩٩٣٩)، وابن منده في «الإيمان» (٩٥٧)، والحميدي (٤٦٠)، وأبو يعلى (٦٦٩٥)، والدرك: بفتح الدال والراء هو: قعر جهنم.

(٤) رواه مسلم (٢٠٩).

(٥) رواه مسلم (٢١٢).

قلت: قد ٱستدل الإمام البرزنجي في كتابه «سداد الدّين وسداد الدين في نجاة الوالدين» على نجاة أبي طالب بل وعلى أنه ليس بكافر مخلد في النار بهٰذه الأحاديث الصحيحة والآثار.

وذٰلك أن المصطفى أخبر أن شفاعته ﷺ قد نفعت أبا طالب، وأنقذته من غمرات جهنم إلى ضحضاح من نارٍ، ومن المعلوم أن الكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين كما نطق به كلام رب العالمين، فلو كان كافرًا مخلدًا فيها لما نفعته الشفاعة لكنها نفعته فلا يكون كافرًا كذا قال وقد ذكرت في كتابي «تحبير الوَفَاء» من ذٰلك ما يزيل الظمأ ويجلي عن القلب العمى فليراجعه من أراد الوقوف على تحقيق ذٰلك[1].

وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم: هل رأيت خيرًا قط هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب ويؤتى بأشد أهل الدنيا بؤسًا من أهل الجنة فيصبغ في الجنة صبغة فيقال: يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قط هل مرَّ بك**

---

(١) الصحيح أن أبا طالب مات على الكفر وكون النبي ﷺ شفع فيه فلا يدل على إيمانه ولو كان مؤمناً لما خلد في النار لقوله ﷺ «ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل في النار» فهذا يدل على كفره وكذا قوله: «أهون أهل النار عذاباً» فيدل على الاستمرارية والبقاء نسأل الله السلامة وكما سبق أن القول بنجاة الوالدين فإن هذا يعارض شرط صحة الاعتقاد وهو الأيمان بالله عز وجل ورسله، وانظر هامش (٣) ص١٤١٦.

شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مر بي بؤس، ولا رأيت شدة قط»(١).

وفي مسلم عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: **«يقول الله عزَّ وجل لأهونِ أهل النار عذابًا يوم القيامة: لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتديًا بها فيقول: نعم فيقول: قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك ولا أدخلك النار فأبيت إلا الشرك»**(٢).

واعلم أن تفاوت أهل النار في العذاب بحسب تفاوت أعمالهم القبيحة كما قال سبحانه: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٣٢] وقال: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦﴾ [النبأ: ٢٦] قال ابن عباس(٣): وافق أعمالهم فليس عقاب من يغلظ كفره وأفسد في الأرض ودعا إلى الكفر كمن ليس كذلك قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ۝٨٨﴾ [النحل: ٨٨] وقال: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

وكذلك تفاوت عصاة الموحدين /٧٨٣/ من عذب منهم في العذاب بحسب أعمالهم.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٠٧)، وأحمد ٣/ ٢٠٣، وفي «الزهد» ص٢٤، وعبد بن حميد (١٣١٣)، والبيهقي (٤٣٦).

(٢) رواه أحمد ٣/ ١٢٧، والبخاري (٣٣٣٤)، ومسلم (٢٨٠٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٩)، وأبو نعيم في «الحلية» ٣/ ٧٧.

(٣) أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس كما في «الدر المنثور» ٦/ ٥٠٣.

فليس عقوبة أهل الكبائر والبدع كعقوبة غيرهم.

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصورون**»(١) ومعنى هذا والله أعلم أن من أشد الناس عذابا بتقدير «مِنْ» ثم إن المصور إما أن يكون مسلمًا أو كافرًا فإن كان مسلمًا فيكون المعنى: أنَّ من أشد الناس المتصفين بالإسلام المستحقين للعذاب بسبب جرائمهم عذابًا المصورين وذلك لعظم جريمتهم، وإن كان المصور كافرًا فالأمر ظاهر.

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة من شتم الأنبياء ثم أصحابي ثم المسلمين**»(٢) وأخرج الطبراني وأبو نعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة من قتل نبيًا أو قتله نبيٌّ، وإمام جائرٌ، وهؤلاء المصورون**»(٣).

وأخرج البخاري في «التاريخ» والطيالسي عن خالد بن الوليد رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة أشدُّهم عذابًا للناس في الدنيا**»(٤).

---

(١) صحيح. رواه أحمد ١/ ٣٧٥، ومسلم (٢١٠٩)، وأبو يعلى (٥١٠٧).

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» ٤/ ٩٦، ١٠/ ٢١٥، وقال: غريب من حديث ميمون - يعني: ابن مهران - تفرد به محمد بن زياد.

(٣) الطبراني في الكبير (١٠/ ٢٦٦) ابن أبي الدنيا في صفة النار (١٠٥).

(٤) ٣/ ١٤٣ (٤٨٥).

وفي تفسير الثعلبي عن عبد الله: «**إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة ثلاثة: المنافق ومَن كفر مِن أصحاب المائدة وآل فرعون**».

قال صاحب «كنز الأسرار»: وتصديق ذٰلك في كتاب الله تعالى أما أصحاب المائدة فقال تعالى: ﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥] وأما آل فرعون فقال تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، وأما المنافقون فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] وقد يخفف العذاب عن بعض أهل النار بحسنات أُخَر، أو بما شاء الله من الأسباب ولهذا يموت بعضهم في النار كما سيأتي.

قلت: إذا لطف الله بعبده فلا عليه في أي الدارين أدخله، وإذا غضب عليه والعياذ بالله أنتقم منه أينما كان عياذًا بك اللهم من غضبك وتوسلاً بعفوك وسلمِك من حربك.

وأما الكفار: إذا كان لهم حسنات في الدنيا من نحو عدلٍ وعتق وإحسان إلى الخلق فهل يخفف عنهم بذٰلك من العذاب في النار؟ أم لا؟

فيه قولان لسلف هٰذه الأمة المطهرة وخلفها.

أحدهما: بلى وهو مروي عن سعيد بن جبير واختاره ابن / ٧٨٤/ جرير الطبري وغيره.

وأخرج الخرائطي في «مكارم الأخلاق» عن عائشة رضي الله عنها مرسلاً أنها قالت: يا رسول الله أين عبد الله بن جدعان؟ قال: «**في النار**» فجزعت عائشة رضي الله عنها واشتد عليها فلما رأى ذٰلك قال: «**يا عائشة ما يشتد عليك من هٰذا؟**» قالت: بأبي أنت وأمي يا

رسول الله كان يطعم الطعام ويصل الرحم قال: **«إنه يهون عليه بما قُلْت»**(١)(٢).

وأخرج ابن أبي حاتم والبزار في «مسنده» والحاكم في «المستدرك» وقال: صحيح الإسناد والبيهقي في «البعث والنشور» وقال: في إسناده نظر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما أحسن من محسن: كافر أو مسلم إلا أثابه الله عزَّ وجل في عاجل الدنيا أو ادَّخر له في الآخرة»** قلنا: يا رسول الله ما إثابة الكافر في الدنيا؟ قال: **«إن كان قد وصل رحمًا، أو تصدق صدقة، أو عمل حسنة أثابه الله المال والولد والصحة وأشباه ذٰلك»** قلنا: فما إثابة الكافر في الآخرة؟ قال: **«عذابًا أليمًا دون عذاب»** ثم تلا: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦](٣).

قال الحافظ ابن رجب في «التخويف»(٤): وفيه عتبة بن يقظان تكلم فيه بعضهم.

(١) وفي نحوه في صحيح مسلم وسيأتي في الصفحة التالية.

(٢) انظر: «التخويف من النار» ص١٨١ .

(٣) رواه البزار في «مسنده» (١٤٥٤) وقال: وهذا الحديث لا نعلم رواه عن رسول الله (إلا عبد الله بن مسعود، ولا نعلم لَهُ إسنادًا عن عبد الله إلا هَذَا الإسناد، ورواه الحاكم ٢/ ٢٥٣، وقال الذهبي: عتبة واه، وقال عنه ابن حجر: ضعيف. التقريب ٢/ ٥، وفيه عامر بن مدرك بن أبي الصفيراء، لين الحديث. التقريب ١/ ٨٢٩، ورواه البيهقي في «البعث والنشور» (١٧).
تنبيه: وليست في المستدرك الدنيا.

(٤) «التخويف من النار» ص١٨٢.

وتقدم أنَّ الله خفَّف عن أبي طالب بسبب إحسانه إلى رسول الله ﷺ وكذا خفف عن عمه أبي لهب بسبب عتقه لثويبة حين بشرته بولادة النبي ﷺ فقد ذكر الحافظ الدمياطي رحمه الله: أن أبا لهب رؤي بعد موته فقيل له: ما حالك؟ قال: في النار إلا أنه يخفف عني كل ليلة اثنين، وأمص من بين أصبعي هاتين وأشار برأس أصبعيه وإن ذٰلك بإعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة النبي ﷺ وبإرضاعها له ونحوه في «المواهب اللدنية».

قلت: والرائي لأبي لهب هو العباس رضي الله عنه وقد ذكرت ذٰلك مطوّلا في كتابي «تحبير الوفَاء» في ذكر إرضاعه ﷺ.

وما أحسن ما قاله الحافظ الشمس محمد بن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله تعالى في ذٰلك:

إذا كان هـٰذا كافرًا جاء ذمه ... وتبّت يداه في الجحيم مخلدا
أتى إنه في يوم الاثنين دائمًا ... يخفف عنه للسرور بأحمدا/ ٧٨٥/
فما الظن بالعبد الذي كان عمره ... بأحمد مسرورًا ومات موحدا

[...][1] إن الكافر لا ينتفع في الآخرة بشيء من حسناته بحال ومن حجة أهل هٰذا القول قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍۖ﴾ [إبراهيم: ١٨] الآية. وفي صحيح مسلم عن أنسٍ رضي الله عنه عن

---

(١) بياض في الأصل، ولعله القول الثاني.

النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ الله لا يظلم مؤمنًا حسنةً يعطي بها في الدنيا ويجزي بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها في الدنيا حتَّى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها» وفي رواية له أيضًا: «إنَّ الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة من الدنيا، وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ويعقبه رزقًا في الدنيا على طاعته»(١).

وفي صحيح مسلم أيضًا عن عائشة رضي الله عنها قلت: يا رسول الله إن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذٰلك نافعه قال: «لا ينفعه إنه لم يقل يومًا رب اْغفر لي خطيئتي يوم الدين»(٢) وقال أصحاب هٰذا القول في الجواب عما ورد في أبي طالب: تخفيف العذاب عنه من خصائص النبي ﷺ لا يشرك فيها غيره قلت: أما عذاب الكفر فإن الله لا يخفف منه شيئًا، وأما عذاب فروع الدين فيجوز أن يخفف منه على من يشاء من عباده وإن كفارًا، فإن المعتمد أن الكفار مخاطبون بفروع الإسلام.

وأما ما ورد من تخفيف العذاب عن أبي طالب عم المصطفى فلأياديه مع ولد أخيه أليس هو القائل لما تألّبت عليه القبائل بسبب

---

(١) رواه مسلم (٢٨٠٨)، وأحمد ٣/ ١٢٣، وعبد بن حميد (١١٧٨)، وابن المبارك في «الزهد» (٣٢٧)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٤٣٢)، والطيالسي (٢٠١١).

(٢) رواه مسلم (٢١٤)، وأحمد ٦/ ٩٣.

حفظه للنبي ﷺ وذبّ أعداء الله عنه من قصيدة طويلة منها:

وإن فخرتُ يومًا فإن محمّدًا ... هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها ... علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنا قديمًا لا نقر ظُلامةً ... إذا ما شنوا صعر الخدود نقيمها

وهو القائل:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتَّى أوسَّد في التراب دفينا/ ٧٨٦
فانفذ لأمرك ما عليك غضاضةٌ ... فكفى بِنا دَينًا لديك ودينا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي ... فلقد صدقتَ وكنتَ ثمَّ أمينا
وعرضت دينا قد علمتُ بأنَّه ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامةُ أو حذار مسبةٍ ... لوجدتني سمحًا بذاك مبينا

قال هٰذا الشعر عند وفاته ثم دعا بني عبد المطلب وقال: لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وتابعتم أمره فاتبعوه وأعينوه ترشدوا ثم قال: لابن أخيه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب يحثه على نصر المصطفى:

اعلم أبا أروى بأنك ماجدٌ ... من صلب شيبة ما نصرت محمدا
لله درّك إن عرفت مكانه ... في قومه ووهبت منك له يدا
شرف القيامة والمعاد بنصره ... وبعاجل الدنيا تحوز السؤددا
أكرم بمن يفضي إليه بأمره ... نفسًا إذا عد النفوس ومحتدا
وخلائقًا شرفت بمجد نصابه ... يكفيك منه اليوم ما ترجو غدا

أليس من كان هٰذا حثه وحفظه لهٰذا النبي مع كونه إذ ذاك قليل الأنصار قد قلاه الأقارب وجفاه الأجانب، ورماه الناس عن قوس

واحد ولا ثَمَّ إلا مشركٌ أو جاحدٌ والذين ٱتبعوه إذ ذاك بين مخافةٍ لا يُظِهرُ أمرَه وبين دخيل على ذي قوة يسند إليه ظهَره وأبو طالب قد شمر عن ساعد الجد والاجتهاد ونادى على رؤوس الأشهاد يقول:

فلا تحسبونا خاذلين محمدا لدى غربة منا ولا متقرب
ستمنعه منا يدٌ هاشمية مركبها في المجد خير مركب
يمينًا صدقنا الله فيها ولم تكن لنحلف بُطْلا بالعتيق المحجب
نفارقه حتَّى تُصرَع حوله وما بال تكذيب النبي المقرب

وقد حاربته قريش غثها وسمينها وقاطعته كلها فاجرُها وأمينُها حتَّى إنَّ أخاه أبا لهب جفاه فقام أبو طالب فالتجأ إلى الشعب هو ومن والاه، أليس من كان بهٰذه المثابة حريًا بأن يخفف عنه من العذاب، ويهون عليه من العقاب[1]. ومن يساوي بين أبي طالب وبين أبي جهل بل وبين /٧٨٧/ أبي لهب شتان بين مشرق ومغرب.

وإنما الذي ذكرنا من أيادي أبي طالب مع رسول الله ﷺ قطرة من بحر لجي وقد ذكرت جُلَّ صنائعه معه ﷺ في كتابي «تحبير الوَفَاء» ومع هٰذا فإني أقول لا أدري ما يفعل بي ولا بكم والله يفعل ما يشاء غير أني لا أتجرأ على أذية أهل بيت المصطفى، وأتبع الوارد عنه ﷺ وأقنع بهٰذا وكفى.

---

(١) على ما جاء في السنة النبوية؛ أما من ادعى إسلامه فهذا غير صحيح ولا يقال إن الحكم بكفرانه تجرئ على أذية بيت المصطفى في أهل بيته وبيان حكم الله فيهم، انظر تعليق ص١٤١٨.

فصل

قال كثير من السلف في قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٧-٤٩] نزلت في أبي جهل[1] قال الأوزاعي: يؤخذ أبو جهل يوم القيامة فيخرق في رأسه خرق ثم يؤتى بسجل من الحميم فيصب في ذلك الخرق ثم يقال له: ذق إنك أنت العزيز الكريم.

قال البغوي: وذلك أن أبا جهل كان يقول: أنا أعزُّ مَن في الوادي وأكرمهم. فيقول له هذا خزنة النار على طريق الاستخفاف والتوبيخ[2].

وقال مجاهد في قوله: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾ [الرحمن: ٣٥] النحاس: الصفر يذاب ويصب على رءوسهم يعذبون به[3]، والشواظ اللهب الذي لا دخان فيه[4].

وقال مجاهدٌ: هو اللهب الأخضر المنقطع من النار[5]، وقال

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» ١١/ ٢٤٦ .

(٢) رواه البغوي في «معالم التنزيل» ٧/ ٢٣٦ .

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» ١١/ ٥٩٧ (٣٣٠٤٣)(٣٣٠٤٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» ١١/ ٥٩٥ .

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» ١١/ ٥٩٦ (٣٣٠٣٢).

محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧﴾ [الهمزة: ٧] تأكله النار إلى فؤاده فإذا بلغ فؤاده أنشأ خلقه[1]، وقال ثابت البناني: تحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء لقد بلغ منهم العذابُ ثم بكى[2].

وقال صالح بن حيان عن بريدة في قوله تعالى: ﴿لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨﴾ [المدثر: ٢٨] قَالَ: تأكل العظم واللحم والمخ ولا تذره على ذلك[3]، وقال السُّدِّيُّ: تأكل ولا تبقى من جلودهم شيئًا ولا تذرهم من العذاب وقال مجاهدٌ في قوله تعالى: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦﴾ [المعارج: ١٦]: تنزع الجلد عن العظم وعنه تنزع ما دون العظم، وقال غيره: تحرق كل شيء منه ويبقى فؤاده يصيح.

ومن أنواع عذابهم سحبهم في النار على وجوههم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ۝٤٧ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨﴾ [القمر: ٤٧ ـ ٤٨] ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ * إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ۝٧١ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ۝٧٢﴾ [غافر: ٧٠، ٧١] في دار الجحيم /٧٨٨/ يُسْحَبون في النار مرة بعد مرة أولئك الذين غضب عليهم العزيز الحكيم جزاءً وفاقًا لا يظلم ربنا أحدًا من عباده بل كما فعل العبد لاقى.

---

(١) أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب. كما في الدر المنثور ٦/ ٦٧٠.

(٢) ابن رجب في «التخويف من النار» ص١٨٤ .

(٣) أخرجه ابن المنذر (٦/ ٤٥٦).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ[١] بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدا، ومن قتل نفسه بسم فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدا»[٢].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه يرفعه: «القتل في سبيل الله يكفر كل شيء أو قَالَ: يكفر الذنوب إلا الأمانة يؤتى بصاحبها فيقال له: أدِّ أمانتك فيقول: أنَّى يا رب وقد ذهبت الدنيا فيقال: اذهبوا به إلى الهاوية فيهوى فيها حتَّى ينتهي إلى قعرها فيجدها هناك كهيئتها فيحملها فيضعها على عنقه فيصعد بها في نار جهنم حتَّى إذا رأى أنه قد خرج منها زلت فهوت وهو في إثرها أبد الآبدين والأمانة في الصلاة والأمانة في الصوم والأمانة في الحديث وأشد ذلك الودائع» رواه شريك وأبو أسحق الأزرق ورواه جماعة موقوفًا.

وقال عاصم رحمه الله: «إذا ألقي الرجل في النار لم يكن له منتهى حتَّى يبلغ قعرها ثم تجيش به جهنم فترفعه إلى أعلا جهنم، وما على عظامه مزعة لحم فتضربه الملائكة بمقامع الحديد فيهوي بها في قعرها

---

(١) في هامش الأصل: وجأته بالسكين: ضربته بها.

(٢) رواه أحمد ٢/ ٢٥٤، ومسلم (١٠٩)، وأبو داود (٣٨٧٢)، والترمذي (٢٠٤٤)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٩٧)، وابن منده في الإيمان (٦٢٩) يجأ: يطعن، يتحساه: يشربه ويتجرعه، تردى: سقط من جبل باختياره.

فلا يزال كذٰلك» أخرجه البيهقي[1] وتقدم.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في كتابه «التخويف»[2]: وفي هٰذا المعنى يقول ابن المبارك:

تهوي بساكنها طورًا وترفعه ... إذا رجوا مخرجًا من غمها قمعوا

فصل

ومنهم من يدور في النار وتُجَرُّ معه أمعاؤه وقد رأى النبي ﷺ عمرو بن لحي يجر قُصْبَه[3] في النار[4].

وفي الصحيحين عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقي في النار فتندلق أقتابه[5] فيدور فيها كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر، قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه»**[6].

(١) البعث والنشور (٢٩٨) ٥٣٦ من رواية عاصم عن أبي صالح.

(٢) «التخويف من النار» ص١٨٨.

(٣) ورد بهامش الأصل: قصبه: أي أمعاءه.

(٤) صحيح رواه أحمد ٢/٣٦٦، والبخاري (٣٥٢١)، ومسلم (٢٨٥٦).

(٥) ورد بهامش الأصل: قوله: أقتابه: جمع قتب وهي أمعاء، وقال الأصمعي: جمع قتبة. أهـ.

(٦) رواه أحمد ٥/ ٢٠٥، والحميدي (٥٤٧)، والبخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩).

تنبيه: سبب دخوله النار إتيانه للمنكر وتكاسله عن المعروف وليس لأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

وقال بعض السلف: إن في النار أقوامًا يُربَطون بنواعَير من نارٍ تدور بهم النواعيرُ /٧٨٩/ وما لهم فيه راحة ولا فترة[(١)] ومنهم من يلقى في مكان ضيق لا يتمكن فيه من الحركة لضيقه قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝١٣﴾ [الفرقان: ١٣][(١)] قال كعب: إن في النار تنانير ضيقها كضيق زج رمح أحدكم تطبق على قوم بأعمالهم وتقدمت الإشارة إليه أوّلا.

وأخرج أبو نعيم الحافظ عن شفي بن مانع عن النبي ﷺ قال: **«أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى يسعون فيما بين الجحيم والحميم يدعون بالويل والثبور ويقول أهل النار بعضهم لبعض: ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى قال: فرجل معلق عليه تابوت من جمر ورجل يجر أمعاءه ورجل يسيل فوه قيحًا ودمًا ورجل يأكل لحمه فيقال: لصاحب التابوت ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى، فيقول: إن الأبعد مات وفي عنقه أموال الناس، ثم يقال للذي يجر أمعاءه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول منه لا يغسله، ثم يقال للذي يسيل فوه قيحًا ودمًا: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعد كان ينظر إلى كلمة فيستلذها كما يستلذ الرفث»** وفي رواية: **«يعمد إلى كل كلمة خبيثة قذعة أي: فاحشة فيستلذها ثم يقال للذي يأكل لحمه ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى قال: إن الأبعد**

---

(١) صفة النار لابن أبي الدنيا (٤٨) (٢٠٣).

كان يأكل لحوم الناس»[1] زاد في رواية «**ويمشي بالنميمية**»، قال أبو نعيم: وشفي بن ماتع مختلف فيه فقيل له صحبة وقيل لا.

وأخرج الإمام أحمد عن منصور بن زاذان رحمه الله قال: نبئت أن بعض من يلقى في النار يتأذى أهل النار بريحه فيقال له: ويلك ما كنت تعمل أما يكفينا ما نحن فيه من الأذى والسوء حتَّى أبتلينا بك ونتن ريحك فيقول: كنت عالمًا فلم أنتفع بعلمي.

قلت: في ذم عدم عمل العالم أحاديث جمة منها ما رواه الطبراني في الصغير والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه**»[2].

وأخرج البزار عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**شرار الناس شرار العلماء في الناس**»[3].

وأخرج الطبراني في الكبير عن جندب بن عبد الله الأزدي صاحب رسول الله ﷺ /٧٩٠/ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء**

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير (٧٢٢٦)، وهناد في «الزهد» ٢/ ٥٧٧.

(٢) رواه الطبراني في «الصغير (٥٠٧)، والبيهقي في «الشعب» (١٧٧٨)، وقال الهيثمي في «المجمع» ١/ ١٨٥: رواه الطبراني في «الصغير»، وفيه عثمان البري، قَالَ الفلاس: صدوق لكنه كثير الغلط صاحب بدعة، ضعفه أحمد والنسائي والدارقطني.

(٣) رواه البزار (٢٦٤٩).

للناس ويحرق نفسه»[١]. قال الحافظ المنذري: إسناده حسن إن شاء الله تعالى، والآثار في هٰذا كثيرة جدًا.

قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٧] المعنى: أنه يأتيه مثل شدة الموت وألمه من كل جزء من أجزائه حتَّى شعره وظفره وهو مع هٰذا لا تخرج نفسه فيستريح ولاترجع إلى مكانها من خوفه[٢].

فصل

وعذاب الكفار في النار لا يفتر عنهم ولا ينقطع بل هو متواصل أبد الآباد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف: ٧٤، ٧٥] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦] وقال: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٦] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١٦٨١، ١٦٨٥)، وقال الهيثمي في «المجمع» ٦/ ٢٣٢: رواه الطبراني من طريقين في أحدهما مدلس وفي الأخرى مجهول. انتهى مختصرًا.

(٢) صفة النار لابن أبي الدنيا (١٢٦، ١٧٢).

فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر: ٤٩، ٥٠] قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت إسحٰق بن إبراهيم على منبر دمشق يقول: لا يأتي على صاحب الجنة ساعة إلا وهو يزداد ضِعفًا من النعيم لم يكن يعرفه ولا يأتي على صاحب النار ساعة إلا وهو مستنكر لشيء من العذاب لم يكن يعرفه وسأل الحسن[١] أبا برزة عن أشدّ آية في كتاب الله عزَّ وجل على أهل النار قال: سمعت رسول الله ﷺ قرأ: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النبأ: ٣٠] فقال: «**هلك القوم بمعاصيهم لله عزَّ وجل**»[٢]. خرَّجه ابن أبي حاتم وفيه من هو ضعيف وخرجه البيهقي وقال: لم أعرفه.

وقال مجاهد: بلغني أن ٱستراحة أهل النار أن يضع أحدهم يده على خاصرته.

واعلم أن لأهل النار أنواعًا من العذاب لم يطْلع الله خلقه عليها في الدنيا ثم قرأ مجاهد: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾ [ص: ٥٨] وأعظم عذاب أهل النار حجابهم عن الله عزَّ وجل وبعدهم منه وإعراضه عنهم وسخطه عليهم، كما أن رضوان الله على أهل الجنة أفضل من كل نعيم كما مرّت الإشارة إليه بما هو كافٍ.

قال جل شأنه: ﴿كَلَّا بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٍ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [المطففين: ١٤-١٧] /٧٩١/ فذكر لهم ثلاثة أنواع

---

(١) أخرج ابن مردويه عن الحسن كما في «الدر المنثور» ٦/ ٥٠٤ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٩١٠٣) البعث والنشور (٥٧٩).

من العذاب: الحجاب عنه الذي هو أشد من كلِّ عذاب، وأعظم من كل عقاب، ثم صليهم الجحيم، ثم توبيخهم بتكذيبهم به في الدُّنيا مع ما وصفهم به من أنَّ الران على قلوبهم وهو صدأ الذنوب التي سودت قلوبهم فلم يصل إليها بعد ذٰلك شيء من معرفة الله، ولا من إجلاله، ومهابته، وخشيته، ومحبته، والإلتذاذ بذكره، والتفكر في آلائه إِن هم إلا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا.

فلمَّا حجبت قلوبهم في الدنيا عن معرفة الله والتلذذ بذكره، وكلامه، والتنعم بمحبته، والتفكر في إنعامه حُجِبوا في الآخرة عن النظر إليه، ومجاورته فيا لها من حسرة ما أعظمها، ومصيبة ما أجسمها.

قال أحمد بن أبي الحواري: حدَّثَنا أحمد بن موسى عن أبي مريم قال: يقول أهل النار: إلهنا اَرض عنا، وعذبنا بأيّ نوع شئت من عذابك فإنَّ غضبك أشد علينا من العذاب الذي نحن فيه[1]. قال أحمد: فحدثت به سليمان بن أبي سليمان فقال: ليس هٰذا كلام أهل النار هٰذا كلام المطيعين لله قال فحدثت به أبا سليمان فقال: صدق سليمان بن أبي سليمان وسليمان هو ولد أبي سليمان الداراني وكان عارفًا كبيرِ القدر رحمه الله.

قال الحافظ ابن رجب: وما قاله حق فإن أهل النار جُهَّال لا يتيقظون لهٰذا وإن كان في نفسه حقا؟ وإنَّما يعرف هٰذا من عرف الله وأطاعه ولعل هٰذا يصدر من بعض من يدخل النار من عصاة

---

(١) «التخويف من النار» ص١٩٥، فصل: أعظم عذاب أهل النار حجابهم عن الله عز وجل.

الموحدين، كما أنَّ بعضهم يستغيث بالله لا يستغيث بغيره فيخرج منها، وبعضهم يخرج منها برجائه لله وحده، وبعض من يؤمر به إلى النارِ يتشفع إلى الله، بمعرفته فينجيه منها.

وقد روي عن الفضيل بن عياض رحمه الله قال: يوقف رجل بين يدي الله عزَّ وجل لا يكون معه حسنة فيقول الله له: اْذهب هل تعرف أحدًا من الصالحين أغفر لك بمعرفته فيذهب فيدور مقدار ثلاثين سنة فلا يرى أحدًا فيرجع إلى الله عزَّ وجل فيقول: يا رب لا أرى أحدًا فيقول الله عزَّ وجل: اْذهبوا به إلى النار فيتعلق به الزبانية يجرونه فيقول: يا رب إن كنت تغفر لي بمعرفة المخلوقين فإني عارف بوحدانيتك، فأنت أحق أن تغفر لي فيقول الله للزبانية: ردوه فإنه كان يعرفني، واخلعوا عليه خلع كرامتي وَدَعُوه يتبحبح في رياض الجنة فإنه /٧٩٢/ عارف بي وأنا له معروف.

قلْتُ: وأخرجَ الدينوري[1] عن صالح المري قال: بلغني أنَّ أهْل النارِ يعذبون بأنواع العذاب فكلّما عذبوا بنوع من العذاب نقلوا إلى نوع أشد منه فيقولون: ربَّنا عذِّبنا كيف شئت بما شئت، ولا تغضب علينا فإنَّ غضبَكَ أشد علينا من العذاب؛ إذا غضبت ضاقت علينا الأكبال والقيود والسلاسل والأغلال فهٰذا ربَّما قيل فيه: إنهم ليسوا من الموحدين لما سيأتي أنَّ الموحدين لا يغلون بالأغلال، والقيود والأنكال وقد نطق في هٰذا الأثر بأنه سبحانه إذا غضب عليهم ضاقت القيود والأغلال عليهم والله أعلم.

---

(١) المجالسة (٢٤١١).

فصل

فيما يتحف به أهل النارِ عند دخولهم دار البوار أعاذنا الله منها بمنه وكرمه

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ۝٥١ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝٥٢ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ * فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ۝٥٤ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ۝٥٥ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝٥٦﴾ [الواقعة: ٥١-٥٦] للضيف عند قدومه فدلت هٰذه الآيات على أنَّ أهْلَ النارِ يتحفون عند دخولهم بالأكل من شجر الزقوم، والشرب من الحميم وهم إنما يساقون إلى جهنَّم عطاشا كما قال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ۝٨٦﴾ [مريم: ٨٦] وقد تقدم أنَّهم يبعثون عطاشًا ثم يقضون مشاهد القيامة عطاشا.

وأخرج ابن المبارك عن كعب الأحبار قال: إنَّ الله ينظر إلى عبده يوم القيامة وهو غضبان عليه فيقول: خذوه فيأخذه منه ألف ملك أو يزيدون، فيجمعون بين ناصيته وقدميه غضبًا لغضب الله فيسحبونه عَلَى وجهه إلى النار قَالَ: فالنار أشد غضبًا من غضبهم سبعين ضعفا قال: فيستغيث بشربة يسقط منها لحمه وعظامه وعصبه، ثم يركس أو يدكس في النار فويل له من النار وفي رواية عن غير كعب: فيتفتق في أيديهم إذا أخذوه فيقول: ألا ترحموني فيقولون: كيف نرحمك ولم

يرحمك أرحم الراحمين[1].

وروى الأعمش عن مالك بن الحارث قال: إذا طرح الرجل في النار هوى فيها فإذا ٱنتهى إلى بعض أبوابها قيل: مكانك حتَّى تتخفف قال: فيسقى كأسًا من سم الأساود والعقارب فيتمزق الجلد على حدة، والشعر على حدة، والعصب على حدة، والعروق على حدة. خرجه ابن أبي حاتم.

والحاصل أنَّ مَنْ /٧٩٣/ دَخَلَ النارَ ونعوذ برحمة الله وعفوه ومغفرته من غضبه ونقمته ومناقشته خسر الخسارة التي لا ربح بعدها أبدًا اللهم إلا أن يكون من عصاة المؤمنين فإنه يخرج منها كما يأتي.

وأنواع العذاب أكثر من أن نذكرها هنا.

واعلم أنه كما أن نعيم الجنةِ لا يحد ولا يحصى ولا يعد، فكذلك عذاب النار لا يحد وقد أعد الله لأعدائه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر من العذاب والله تعالى أعلم.

---

(١) «الرقائق» ص٨٣ (٢٨٦).

فصل
في بكاء أهل النار وزفيرهم وشهيقهم وصراخهم ودعائهم الذي لا يستجاب لهم

قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ * وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٠] وقال: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: ١٠٦][(١)] فالزفير في الحلق، والشهيق في الصدر. وقال داود عليه السلام: رب أرزقني عينين هطالتين يبكيان بذنوب الدموع من خشيتك قبل أن تعود الدموع دما، والأضراس جمرا[(٢)]. وتقدم من كلام نبينا[(٣)].

وكان عليه السلام يعاتب في كثرة البكاء فيقول: «**دعوني أبكي قبل يوم البكاء، قبل تحريق العظام وإشتعال اللحى، وقبل أن تؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**»[(٤)]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**أبكي نفسي قبل يوم البكاء أبكي**

---

(١) ورد بهامش الأصل: قوله: زفير وشهيق: الزفير: إخراج النفس، والشهيق: ردّه أهـ.

(٢) جاء أنه من دعاء الرسول ﷺ كما في المسند (٣/ ٢٢٤) قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٨٨) من رواية إسماعيل بن عباس عن المدنيين وهي ضعيفة وبقية رجاله ثقات. اهـ.

(٣) ت(١) ص١٣٠٧.

(٤) الزهد لأحمد (١/ ١٣٥) صفة النار لابن أبي الدنيا (٢٢١) أي: داود عليه السلام.

نفسي قبل أن لا ينفع البكاء» ثم دعا بجمر فوضع يده عليه حتَّى آذاه حره، ثم رفعها، وقال: «أوهِ لعذاب الله أوهِ أوهِ قبل أن لا ينفع أوه»[١].

وذكر صفوان بن محرز كلام داود هذا وهو قوله: «أوهِ من عذاب الله عزَّ وجل قبل أن لا ينفع» فبكى حتَّى غلب عليه البكاء.

وقال كعب الأحبار في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]: كان إذا ذكر النار قال: أوهِ من النار أوهِ من النار[٢].

وعن محمد بن كعب القرظي رحمه الله أنَّه قال: لأهل النار خمس دعوات يكلمون في أربع، ويسكت عنهم في الخامسة فلا يكلمون يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١] فيردُّ عليهم: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟﴾ [غافر: ١٢] ثم يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢] فيرد عليهم: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [السجدة: ١٣] الآيتين /٧٩٤/ ثم يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ [إبراهيم: ٤٤] فيرد عليهم: ﴿أَوَلَمْ

---

(١) لم أجد هذا الحديث عن النبي ﷺ ووضع يده على الجمر لم يصح صفة النار لابن أبي الدنيا (٢٢٢)، حلية الأولياء (٢/ ٢١٥) عن داودَ وليس فيه وضع يده على الجمر كما بينه صفوان، أي: داود عليه السلام.

(٢) تفسير الطبري ٦/ ٤٩٨، صفة النار لابن أبي الدنيا (٢٢٥).

تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ﴾ [إبرهيم: ٤٤] ثم يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧] فيرد عليهم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧] ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ * رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٦-١٠٧] فيرد عليهم: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] إلى قوله: ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٠] فلا يتكلمون بعد ذٰلك خرَّجه آدم بن أبي إياس، وابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمرٍو قال: نادى أهل النار: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] قال: فخلى عنهم أربعين عامًا ثم أجابهم: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧] فقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٧] فخلى عنهم مثل الدنيا ثم أجابهم: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ قال: فأطبقت النار عليهم ويئسوا من كل خير، ولم ينطق القوم بعد تلك الكلمة وإن كان إلا الزفير والشهيق[1].

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ مالكًا لم يجبهم عند قولهم: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] ألف عام. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ليس بعد هٰذه الآية خروج: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٨/٢٥٠٩ ابن المبارك في الزهد (٩١/٩٢) البعث والنشور (٦٠١)، صفة النار لابن أبي الدنيا (٢٥١) مطولاً.

وقال بعض السلف: إذا أراد الله أن لا يخرج منها أحدا غير وجوههم، وألوانهم فيجيء الرجل من المؤمنين فيشفع فيقول: يا رب فيقول: مَنْ عرف أحدًا فليخرجه فيجيء شبيه الرجل من المؤمنين فينظر فلا يعرف أحدًا فيناديه الرجل فيقول: يا فلان أنا فلان. فيقول: ما أعرفك قال: فعند ذٰلك يقولون في النار: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ فيقول عند ذٰلك: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ فإذا قال ذٰلك أطبقت عليهم فلم يخرج منهم أحد.

فصل

ثم إن أهْلَ النارِ لا يزالون في رجاء الفرج، والخروج من الحرج إلى أن يذبح الموت فعند ذٰلك ينقطع الرجاء، وتعظم عليهم الحسرة فلا يرجون مخرجًا.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: **«يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح[1] فيوقف بين الجنة والنار فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هٰذا؟ فيشرَئبّون[2]، وينظرون، ويقولون: نعم هٰذا الموت. ويُقال: يا أهل النار هل تعرفون هٰذا فَيشْرَئِبّون، وينظرون، ويقولون: نعم هٰذا هو الموت فيؤمر به**

---

(١) ورد بهامش الأصل: قوله: أملح: هو الأبيض الذي يخالطه قليل سواد أهـ.
(٢) ورده بهامش الأصل: قوله: فيشرئبون: أي يمدون أعناقهم لينظروا.

فيذبح[(١)]، **ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت»** ثم قرأ ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم: ٣٩].

وخرجه الترمذي[(٢)] وزاد: **«فلولا أن الله قضى لأهل الجنة بالحياة والبقاء لماتوا فرَحًا، ولولا أن الله قضى لأهل النار بالحياة والبقاء لَماتُوا تَرَحًا»** وفي رواية في الصحيحين: **«فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم»**[(٣)].

واعلم أنَّ بكاء أهل النار لا يجدي لهم فائدة بل الحسرة عليهم والكآبة لم تزل زائدة؛ نعم ربما نفع البكاء بعض عصاة الموحدين دون

---

(١) ورده بهامش الأصل: قوله: فيذبح: قَالَ المناوي: وهذا مثل ضُرب ليوصل إلى الأفهام حصول اليأس من الموت. فافهم. أهـ.

ويفهم من كلام المناوي: أن ذبح الموت كناية عن الدائم وهذا معنى عَلَى أن الموت أمر عدمي، وقيل: هو وجود وهل هو جوهر أو عرض تردد فيه بعضهم والظاهر أنه جوهر لأنه يذبح، والعرض لا يذبح. واختار هَذَا السيوطي أهـ. وقال بعضهم: مذهب السلف في هَذَا الحديث الوقوف عن الخوض في معناه؛ نؤمن به ونكل علمه إلى الله تعالى والصحيح أن ذبح الموت حقيقة كما جاء في الحديث، أقول وبالله التوفيق ومن استمد العون والتسديد هذا هو الصحيح.

(٢) الترمذي (٢٥٥٨)

(٣) صحيح رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩)، والطبري في «التفسير» ١٦/ ٨٧-٨٨، والآجري في «الشريعة» ص(٤٠١)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٦٤٠)، وهناد في «الزهد» (٢١٣)، وعبد بن حميد (٩١٤)، والإمام أحمد ٣/ ٩، والترمذي (٢٥٥٨).

يشرئبون: يمدون أعناقهم يتطلعون، الكبش الأملح: النقي البياض أو الذي غلب بياضه سواده.

أهل الشرك الملحدين.

ففي الترمذي بإسناد ضعيف عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إن رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما فقال الرب عزَّ وجل: أخرجوهما فلمّا خرجا قال لهما: لأي شيء اشتد صياحكما؟ قالا: فعلنا ذلك لترحمنا. قال: رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار قال: فينطلقان فيلقي أحدهما نفسه فيجعلها عليه بردًا وسلاما، ويقوم الآخر فلا يلقي نفسه فيقول الرّبّ عزَّ وجل: ما منعك أن تلقي نفسك كما ألقى صاحبك فيقول: إني لأرجو أن لا تعيدني فيها بعدما أخرجتني فيقول الله عزَّ وجل: لك رجاؤك، فيدخلان الجنة جميعًا برحمة الله عزَّ وجل**»[1].

وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يخرج من النار أربعة فيعرضون على الله عزَّ وجل فيلتفت أحدهم فيقول: أي رب إذ أخرجتني منها فلا تعدني فينجيه الله منها**» وعند ابن حبان في صحيحه: «**فيلتفت فيقول: يا رب ما كان هذا رجائي فيك فيقول: وما كان رجاؤك فيَّ. قال: كان رجائي إذ أخرجتني منها أن لا تعيدني فيها فيرحمه الله فيدخله الجنة**»[2].

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٩٩) وقال: إسناد هَذَا الحديث ضعيف، لأنه عن رشدين ابن سعد، ورشدين بن سعد ضعيف عند أهل الحديث عن ابن أَنْعَمْ وهو الأفريقي والأفريقي ضعيف عند أهل الحديث أهـ.

(٢) رواه أحمد ٣/ ٢٢١، ومسلم (١٩٢)، وابن منده في الإيمان (٨٦٠).

فصل
في نداء أهل النار أهل الجنة، وأهل الجنة أهل النار، وكلام بعضهم بعضا

وهٰذا من جملة أنواع عذاب أهل النار، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ﴾ [الأعراف: ٤٤] الآيات إلى قوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٠﴾ [الأعراف: ٥٠].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ينادي الرجل أخاه إني قد احترقت فأفض عليّ من الماء فيقال: أجبه. فيقول: إن الله /٧٩٦/ حرمهما على الكافرين[1].

وقال أبو بكر بن عبد الله ينادون يعني: أهل النار أهل الجنة أن يا أهل الجنة فلا يجيبونهم ما شاء الله، ثم يُقال: أجيبوهم وقد قطع الرحم والرحمة فيقول أهل الجنة: يا أهل النار لا لبيكم، ولا سعديكم ماذا تقولون؟ فيقولون: ألم نكن في الدنيا آباءكم، وأبناءكم، وإخوانكم، وعشيرتكم فيقولون: بلى فيقولون: أفيضوا علينا من الماء

---

(١) أخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر، وأبو الشيخ عن ابن عباس كما في «الدر المنثور» ٣/ ١٦٦ .

أو مما رزقكم الله قالوا: إن الله حرمهما على الكافرين.

وأخرج ابن أبي الدنيا والضياء كلاهما في صفة النار عن زيد بن ربيع رفعه: «**إن أهل النار إذا دخلوا النار بكوا الدموع زمانا، ثم بكوا القيح زمانا فيقول لهم الخزنة: يا معاشر الأشقياء تركتم البكاء في الدُّنيا هل تجدون اليوم من تستغيثون به؟ فيرفعون أصواتهم: يا أهل الجنة يا معاشر الآباء، والأمهات، والأولاد خرجنا من القبور عطاشا، وكنا طول الموقف عطاشً، ونحن اليوم عطاشا فأفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله فيدعون أربعين سنة، ثم يجيبهم:** ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧] **فييأسون من كل خير**»[١]. وتقدم الكلام على قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الصافات: ٢٧]. والله تعالى الموفق.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» ص١٣٣ (٢١١) بكاء أهل النار.

الباب التاسع
في ذكر خزنة جهنَّم، وزبانيتها

قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المدثر: ٣٠، ٣١] الآيات قال أبو العوام[1] رحمه الله تعالى في قوله: ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾: ما تقولون تسعة عشر ملكًا؟ فقيل: بل تسعة عشر ألف قال: ومن أين علم ذٰلك؟ قيل: لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً﴾ قال أبو العوام: صدقتم وبيد كل واحد منهم مرزبة من حديد لها شعبتان فيضرب بها الضربة يهوي بها سبعين خريفا بين منكبي كل ملك منهم مسيرة كذا وكذا[2].

قال الحافظ ابن رجب: فعلى قول أبي العوام، ومن وافقه الفتنة للكفّار جاءت من قِبَل العدد الموهم للقلة حيث لم يذكر المميز له ويشبه

---

(١) هو أبو العوام عمران بن داور العمي البصري القطان، حدث عن الحسن وابن سيرين وقتادة وجماعة وعنه أبو عاصم وابن مهدي والطيالسي وآخرون.
قال يزيد بن زريع: كان عمران القطان حروريًا يرى السيف وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث، وقال ابن عدي: يكتب حديثه. وقال النسائي: ضعيف الحديث، وقال أبو داود: ضعيف. مات في حدود سنة الستين والمائة.
انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» ٦/ ٢٩٧-٢٩٨ و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٢٥٩ . و«سير أعلام النبلاء» ٧/ ٢٨٠ .

(٢) رواه ابن أبي شيبة ٧/ ٨٠، «تفسير القرطبي» ١٩/ ٧٩ .

هٰذا ما رَوَى سعيد بن بشير عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: من كثرتهم[١].

وروي عن عكرمة أنه قال: إنَّ أوّل مَن وصل مِن أهل النار إلى النار وجدوا على الباب أربعمائة ألف من خزنة جهنم مسودة وجوههم كالحة /٧٩٧/ أنيابهم قد نزعَ الله الرحمةَ من قلوبهم ليس في قلب واحد منهم مثقال ذرة من الرحمة لو طار الطائر من منكب أحدهم لطار شهرين قبل أن يبلغ منكبه الآخر، ثم يجدون على الباب التسعة عشر عرضُ صدر أحدهم سبعون خريفا، ثم يهوون من باب إلى باب خمسمائة سنة حتَّى يأتوا الباب، ثم يجدون على كلِّ باب منها من الخزنة مثل ما وجدوا على الباب الأوّل، حتَّى ينتهوا إلى آخرها، خرَّجه ابن أبي حاتم[٢]، وفيه الحكم بن أبان فيه ضعف.

قال الحافظ[٣]: وهٰذا يدل على أن كلّ باب من أبوابها عليه تسعة عشر خازنًا هم رؤساء الخزنة وتحت يد كل واحد أربعمائة ألف. قال: والمشهور بين السلف، والخلف أن الفتنة إنما جاءت من حيث عدد الملائكة الذين اغتر الكفار بقلتهم، وظنوا أنهم يمكنهم مدافعتهم وممانعتهم ولم يعلموا أن كلَّ واحد من الملائكة لا يمكن البشر كلهم مقاومته ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ

---

(١) «التخويف من النار» ص٢١٧

(٢) «التخويف من النار» ص٢١٧، ٢١٨.

(٣) «التخويف من النار» ص٢١٨.

إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

قال البغوي: على النار تسعة عشر من الملائكة وهم خزنتها: مالك ومعه ثمانية عشر جاء في الأثر: أعينهم كالبرق الخاطف، وأنيابهم كالصياصي، يخرج لهب النار من أفواههم، ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، نزعت منهم الرحمة، يرفع أحدهم سبعين ألفًا فيرميهم حيث أراد من جهنم قال عمرو بن دينار: إنَّ واحدا منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر[(١)].

قال البغوي أيضًا: وقال ابن عباس، وقتادة، والضحاك ونقله ابن رجب الحافظ في التخويف[(٢)]: لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم، أسمعُ ابن أبي كبشة يخبر أنَّ خزنةَ النار تسعة عشر وأنتم الدَّهم، أي الشجعان، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد من خزنة جهنم؟ قال أبو الأشدّ بن كِلْدَة بن خلف الجمحي: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر، عشرة على ظهري وسبعة على بطني، فاكفوني أنتم اثنين[(٣)].

وروي أنه قال: أنا أمشي بين أيديكم على الصراط فأدفع عشرة بمنكبي الأيمن وتسعة بمنكبي الأيسر في النار ونمضي فندخل الجنة فأنزل الله عزَّ وجل: /٧٩٨/ ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ [المدثر: ٣١] لا رجالاً، أدميين فمن ذا يغلب الملائكة ﴿وَمَا جَعَلْنَا

---

(١) «تفسير البغوي» ٨/ ٢٧٠ . (٢) «التخويف من النار» ص٢١٨.

(٣) ابن جرير (٢٣/ ٤٣٦) «تفسير البغوي» ٨/ ٢٧٠ .

عِدَّتَهُمْ﴾ أي عددهم في القلة ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي ضلالة لهم حتَّى قالوا ما قالوا: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾؛ لأنه مكتوب في التوارة والإنجيل إنهم تسعة عشر﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: من أهل الكتاب ﴿إِيمَـٰنًا﴾: تصديقًا لمحمد ﷺ إذا وجدوا ما قال موافقًا لما في كتبهم ﴿وَلَا يَرْتَابَ﴾: ولا يشك ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ في عددهم ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شك ونفاق ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ ومشركو مكة ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا﴾ أي: شيء أراد الله بهٰذا الحديث؟ أراد بالمثل الحديث نفسه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كما أضل الله من أنكر عدد الخزنة وهدى من صدق ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

قال مقاتل: هٰذا جواب أبي جهل حين قال: أما لمحمد ﷺ أعوان إلا تسعة عشر؟

قال عطاء: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار، لا يعلم عدتهم إلا الله، والمعنى: إن تسعة عشر هم خزنة النار، ولهم من الأعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلمهم إلا الله عزَّ وجل انتهى كلام البغوي(١).

وفي حديث عن أنس رضي الله عنه يرفعه: **«والذي نفسي بيده خلقت ملائكة جهنم قبل أن تخلق جهنم بألف عام فهم كل يوم يزدادون قوة إلى قوتهم حتَّى يقبضوا على من قبضوا عليه بالنواصي والأقدام»**،

---

(١) «تفسير البغوي» ٢/ ٢٧٠-٢٧١ .

وقال أبو عمران الجوني: بلغنا أن خزنة جهنم تسعة عشر ما بين منكبي أحدهم مسيرة خريف ليس في قلوبهم رحمة؛ إنما خلقوا للعذاب يضرب الملك منهم الرجل فيتركه طحينا من لدن قرنه إلى قدمه.

فنسأل الله سبحانه التوفيق، والهداية، والتحقيق، والعناية، وأن يعافيني من بلاء الدنيا، وعذاب الآخرة بمنه، وكرمه، وجوده، وحلمه.



الباب العاشر
في ذكر حال الموحدين في النار، وخروجهم منها برحمة أرحم الراحمين، وشفاعة الشافعين وفي أكثر أهل النار، وأصنافهم

أما حال الموحدين في النار ودخولهم دار البوار فقد تقدم في الأحاديث الصحيحة، والأخبار الصريحة أنَّ الموحدين يمرون على الصراط فينجو منهم من ينجو، ويقع مَن يقع، فإذا دخل أهل الجنّةِ الجنّةَ فقدوا من وقع /٧٩٩/ في النار من إخوانهم فابتهلوا يسألون الحق جلّ جلاله، ويتشفعون إليه فيهم، ويحاجون عنهم.

واعلم أن ذٰلك لأمرٍ أراده الله سبحانه وارتضاه وإلا فمن ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه.

إذا علمت ذٰلك فأخرج البخاري، ومسلم واللفظ له عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنَّه قال في حديث تقدم في المحشر وفيه: «**حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مَنَا شَدةً لله تعالى في ٱستيفاء الحق من المؤمنين لله تعالى يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون: ربنا كانوا يصومون، ويصلون معنا، ويحجون فيقال لهم: ٱخرجوا مَن عرفتم فتحرم صورهم على النار، فُيخرِجون خلقًا كثيرًا قد أخذت النار إلى أنصاف ساقيه،**

وإلى ركبتيه فيقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به. فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيُخْرِجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر ممن أمرتنا به أحدًا فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذرْ فيها ممن أمرتنا أحدا ثم يقول: ارجعوا فمَن وجدتم في قلبهِ مثقال ذرّةٍ من خير فأخرجوه فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرًا» وكان أبو سعيد يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرأوا إن شئتم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠] فيقول الله عزَّ وجل: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضةً من النَّارِ، فيخرج بها قومًا لم يعملوا خيرًا قط قد عادوا أي: صاروا حُمَمًا أي: فحمًا فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يُقال له: نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبَّة في حميل السيل»[1] الحديث.

قال الحافظ ابن رجب[2]: والمراد بقوله ﷺ: «لم يعملوا خيرًا قط» من أعمال الجوارح وإن كان أصل التوحيد معهم، ولهذا جاء في حديث الذي أمر أهله أن يحرقوه بعد موته بالنار، أنه لم يعمل خيرًا قط

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» ٣/ ١٦، والبخاري (٤٥٨١)، ومسلم ١/ ١٦٧ (١٨٣)، والآجري في «الشريعة» ص٢٦٠، وابن حبان ١٦/ ٣٧٧ (٧٣٧٧).

(٢) «التخويف من النار» ص٢٥٥ انظر (٢٨٨).

غير التوحيد. خرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، وعن ابن مسعود موقوفًا ويشهد له ما جاء في حديث أنس / ٨٠٠/ رضي الله عنه مرفوعًا: «**فأقول يا رب إئذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله فيقول: وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي لأخرجن مِن النار مَن قال: لا إله إلا الله**» متفق عليه.

وعند مسلم: «**فيقول: ليس ذٰلك لك أو ليس ذٰلك إليك**»[1] وهٰذا يدل على أنَّ الذين يخرجهم الله سبحانه برحمته من غير شفاعة مخلوق هم أهل كلمة التوحيد الذين لم يعملوا مَعَهَا خيرًا قط بجوارحهم.

وخرج الحاكم بسند صحيح عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ وفيه: «**فإذا فرغَ الله سبحانه من القضاء بين العباد وتفقد المؤمنون رجالاً في الدنيا كانوا يصلون بصلاتهم، ويزكون زكاتهم، ويصومون صيامهم، ويحجون حجهم، ويغزون غزوهم فيقولون: أي رب عباد من عبادك كانوا في الدنيا يصلون بصلاتنا، ويزكون زكاتنا، ويصومون صيامنا، ويحجون حجنا، ويغزون غزونا لا نراهم، قال الله عزَّ وجل: أذهبوا إلى النار فمَن وجدتموه فيها فأخرجوه قال: فيخرجونهم وقد أخذتهم النار على قدر أعمالهم فمنهم من أخذته إلى قدميه، ومنهم من أخذته إلى ركبتيه، ومنهم من أخذته إلى إزرته،**

---

(١) رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم ١/ ١٨٢ (٣٢٦).

ومنهم من أخذته إلى ثدييه، ومنهم من أخذته إلى عنقه ولم تغش الوجوه قال: فيستخرجونهم فيطرحون في ماء الحياة» قيل: يا نبي الله وما ماء الحياة؟ قال: «غسل[1] أهل الجنة فينبتون فيها كما تنبت الزرعة في غثاء السيل ثم يشفع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في كل من كان يشهد أن لا إله إلا الله مخلصًا فيستخرجونهم منها، ثم يتحنن الله سبحانه برحمته على مَن فيها فما يترك فيها عَبْدًا في قلبه مثقال ذرة من الإيمان إلا أخرجه منها»[2].

وخرجاه في الصحيحين عنه مرفوعًا بلفظ: «يدخل أهلُ الجنةِ الجنةَ، وأهل النارِ النار، ثم يقول الله عزَّ وجل: أخرجوا مَن كان في قلبه مثقال حبة مِن خردل مِن إيمان فيخرجون منها قد اسودّوا فيلقون في نهر الحيا أو الحياة - بالشك من مالك - فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل ألم تر أنها تخرج صفراء[3] متلونة» هذا لفظ البخاري، وعند مسلم: «فيخرجون منها حُمما قد امْتَحشُوا»[4] قال في النهاية:

---

(١) ورد بهامش الأصل: قوله: «غسل أهل الجنة» لعله [. . .] أي: ما غسل به الرأس، ولم أقف عَلَىَ أصل الرواية في صحيحه. قُلْتُ: هو في «المستدرك» كما في الهامش التالي.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» ٤/ ٥٨٥، ٤/ ٥٨٦، وقال صحيح عَلَىَ شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) ورد بهامش الأصل قوله: صفراء متلونة أي لضعفها وهذا كناية عن سرعة نباتهم وضعف حالهم ثمَّ قواهم ويصيرون إلى منازلهم. أهـ مناوي.

(٤) رواه البخاري (٢٢)، ومسلم ١/ ١٧٢ (١٨٤).

أي: آحترقوا **والمحش**: آحتراق الجلد، وظهور العظم[1] ويروي «**آمتُحِشوا**»: لما لم يسمَّ فاعله وقد محشته النار تمحشه محشا[2]. آنتهى./ /٨٠١

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يجمع الله الناس يوم القيامة**» الحديث وفيه «**حتى إذا فرغ الله تعالى من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئًا ممن دخل النار يعرفونهم بأثر السجود تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار قد آمتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون فيه كما تنبت الحبة**»[3] أي بكسر الحاء بذر البقول والرياحين وقيل غير ذٰلك وأما ما تفتح حاؤه فهو ما يبذر ذكره الحافظ المنذري في حميل السيل: أي بفتح الحاء المهملة وكسر الميم هو الزبد وما يقلبه على شاطئه ومثله الغثاء[4].

قال في النهاية: الغثاء بالضم والمد ما يجيء فوق السيل مما يحمله من الزبد والوسخ وغيره[5].

---

(١) «النهاية في غريب الحديث» ٤/ ٣٠٢ .

(٢) النهاية في غريب الحديث ٤/ ٣٠٢.

(٣) رواه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم ١/ ١٦٣ (١٨٢)، والبيهقي في «البعث والنشور» ص٧٦ (١٠٢).

(٤)«الترغيب والترهيب» ٤/ ٢٢٢/ (٥٤٦٥).

(٥) «النهاية في غريب الحديث» ٣/ ٣٤٣ .

قَالَ: وفي كتاب مسلم: «**كما تنبت الغثاءة**» يريد ما ٱحتمله السيل من البزروات.

ومنه حديث الحسن هٰذا الغثاء الذي كنا نحدث عنه يريد أراذل الناس وسقطتهم.

وخرج مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن[1] ناس أصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فأماتهم الله إماتة حتَّى إذا كانوا فحمًا أذن في الشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر**»[2] أي: جماعات في تفرقة ضبائر واحدتها: ضبارة مثل عمارة وعمائر وكل مجتمع ضبارة.

وفي رواية أخرى: «**فيخرجون ضبارات ضبارات**» هو جمع صحة للضبارة والأول جمع تكسير ومنه الحديث: «**أتته الملائكة بحريرة فيها مسك ومن ضبائر الريحان**» قاله في النهاية[3]: «**فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم من الماء فينبتون نبات الحبة في حميل السيل**».

وظاهر هٰذا كما قال الحافظ ابن رجب يدل على أن هٰؤلاء

---

(١) ورد بهامش الأصل قوله: ولكن إلخ استدارك من توهم نفي العذاب عنهم، وقوله: فجيء بهم ضبائر أي يحملون كالأمتعة. أهـ.

(٢) رواه مسلم ١/ ١٧٢ (١٨٥).

(٣) النهاية لابن الأثير ٣/ ٧١-٧٢.

يموتون حقيقة وتفارق أرواحهم أجسادهم ويدل له ما خرَّجه البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**إن أدنى أهل الجنة حظًا أو نصيبًا قوم يخرجهم الله تعالى من النار، فيرتاح لهم الرب تبارك وتعالى وذلك أنهم كانوا لا يشركون بالله شيئًا فينبذون بالعراء فينبتون كما ينبت البقل حتَّى إذا دخلت الأرواح / ٨٠٢/ أجسادهم فيقولون: ربنا كما أخرجتنا من النار ورجعت الأرواح إلى أجسادنا فاصرف وجوهنا عن النار فيصرف وجوههم عن النار**»[١].

قال الإمام القرطبي في «تذكرته»[٢] في قوله ﷺ: «**فأماتهم الله إماتة**»: هذه الموتة للعصاة موتة حقيقة؛ لأنه أكدها بالمصدر وذلك تكريمًا لهم حتَّى لا يحسوا ألم العذاب.

قال: فإن قال قائل: فأي فائدة حينئذ في إدخالهم النار وهم لا يحسون بالعذاب فالجواب: يجوز أن يدخلهم تأديبًا لهم وإن لم يذوقوا فيها العذاب ويكون صرف نعيم الجنة عنهم مدة كونهم بها عقوبة لهم كالمحبوسين في السجن، فإن السجن عقوبة لهم وإن لم يكن معه غلٌّ ولا قيدٌ قال: ويحتمل أنهم يعذبون أوّلاً وبعد ذلك يموتون يختلف حالهم في طول التعذيب بحسب جرائمهم وآثامهم ويجوز أن يكونوا متألمين حالة موتهم غير أنَّ آلامهم أخف من آلام الكفار؛ لأن آلام الكفار المعذبين وهم موتى أخفُّ من عذابهم وهم أحياء دليلُه قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِئَالِ

(١) ذكره في مجمع الزوائد ١٠/ ٤٠٠. (٢) «التذكرة» ١/ ٤١٢.

فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥] إلى قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] فأخبر أنّ عذابهم إذا بعثوا أشد من عذابهم وهم موتى.

وقال في «مطامح الأفهام»: يجوز أن يريد بالإماتة المذكورة أنه أنامهم وقد سمى الله سبحانه النوم وفاة؛ لأن فيه نوعًا من إعدام الحس.

وفي الحديث المرفوع: «**إذا أدخل الله الموحدين النار أماتهم فيها فإذا أرادوا أن يخرجوا منها أمسهم العذاب تلك الساعة**»(١).

وأنت خبير بأن كلام القرطبي مخالف لكلام صاحب «مطامح الأفهام» وأن الإماتة حقيقية على الصواب سيما بما صرح به في الحديث الذي قدمناه من رجوع الروح إلى الأجساد.

واعلم أنَّ كلام الإمام القرطبي فيه الغث والسمين والحاصل الذي نعتمده مما ذكرنا أن الإماتة حقيقية وإنا نقول قد عذبوا عذابًا أليما قبل الإماتة حتَّى ماتوا وهل ماتوا إلا من شدة ما ذاقوا من العذاب والآلام والأوصاب.

ولله في ذٰلك حِكَمٌ أُخَر يَدِقُّ فهمها عن كثير من الناس ولطائف لا يدركها عقل ولا قياس فنسأله سبحانه التوفيق والهداية لأقوم طريق.

---

(١) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس ١/ ٢٥٢، قال الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٠٢٨) موضوع.

فصل

وروى مسكين أبو فاطمة قال: حدَّثني /٨٠٣/ اليمان بن يزيد عن محمد بن حمير، عن محمد بن علي، عن أبيه، عن جده عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن أصحاب الكبائر من موحدي الأمم كلها إذا ماتوا على كبائرهم غير نادمين ولا تائبين، من دخل النار منهم في الباب الأول من أبواب جهنم لا تزرق أعينهم ولا تسود وجوههم، ولا يقرنون بالشياطين ولا يغلون بالسلاسل ولا يجرعون الحميم، ولا يلبسون القطران في النار، حرم الله تعالى أجسامهم على الخلود من أجل التوحيد وصورهم على النار من أجل السجود منهم من تأخذه النار إلى قدميه ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه على قدر ذنوبهم وأعمالهم، ومنهم من يمكث فيها شهرًا ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها وأطولهم فيها مكثا بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تفنى، فإذا أراد الله تعالى أن يخرجوا منها قالت اليهود والنصارى ومَن في النار مِن أهل الأديان والأوثان لمن في النار من أهل التوحيد: آمنتم بالله وكتبه ورسله فنحن اليوم وأنتم في النار سواء فيغضب الله تعالى لهم غضبًا لم يغضبه لشيء مما مضى فيخرجهم إلى عين في الجنة وهو قوله عزَّ وجل**: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ [الحجر: ٢]»[1] خرجه ابن أبي حاتم وغيره وخرّجه الإسمٰعيلي مطولاً.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» ٧/ ٢٢٥ (١٢٣٢٨).

وقال الدارقطني في كتاب المختلف: هو حديث منكر واليمان مجهول ومسكين ضعيف ومحمد بن حمير لا أعرفه إلا في هٰذا الحديث[١] ذكره الحافظ ابن رجب.

وأخرج أبو نعيم والضياء عن كعب قال: يقول الله للزبانية ٱنطلقوا بالمصرِّين أهل الكبائر من أمّة محمد إلى النار، فتأخذ الزبانية بلحى الرجال وذوائب النساء فتنطلق بهم إلى النار، وما من عبد يساق إلى النار من غير هٰذه الأمَّة إلا مسودٌ وجهه وقد وضعت الأنكال في قدميه والأغلال في عنقه إلا من كان من هٰذه الأمَّة فإنهم يساقون بألوانهم فإذا وردوا على مالك قال لهم: من أي أمّة أنتم فما وردت عليَّ أمّة أحسن وجوهًا منكم فيقولون: نحن من أمة القرآن فينادي يا مالك لا تسوِّد وجوهَهم فقد كانوا يسجدون في دار الدنيا يا مالك لا تغلهم بالأغلال فقد كانوا يغتسلون من الجنابة يا مالك لا تقيدهم / ٨٠٤/ بالأنكال، فقد طافوا حول البيت الحرام، يا مالك لا تلبسهم القطران فقد خلعوا ثيابهم للإحرام، يا مالك قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم فالنار أعرف بهم وبمقادير ٱستحقاقهم من الوالدة بولدها، فمنهم من تأخذه إلى كعبه ومنهم من تأخذه إلى ركبته ومنهم من تأخذه إلى سرته ومنهم من تأخذه إلى صدره[٢].

---

(١) «المؤتلف والمختلف» ٢/ ٦٦٧ .

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٥/ ٣٧٣.

وأخرج مسلم والحاكم عن سمرة بن جندب أن النبي ﷺ قال: «**إن من أهل النار من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حجزته، ومنهم من تأخذه إلى ترقوته**»[١].

وخرج الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن عبدًا في جهنم لينادي ألف سنة يا حنان يا منان فيقول الله عزَّ وجل لجبريل عليه السلام: اذهب فائتني بعبدي هٰذا فينطلق جبريل فيجد أهل النار منكبين فيرجع إلى الله عزَّ وجل فيخبره فيقول: ائتني به فإنه في مكان كذا وكذا فيجيء به فيقفه على ربه فيقول: يا عبدي كيف وجدت مكانك فيقول: يا رب شر مكان وشر مقيل فيقول: ردوا عبدي فيقول: ما كنت أرجو إذ أخرجتني منها أن تعيدني[٢] فيقول ردوا[٣] عبدي**»[٤].

---

(١) رواه مسلم (٢٨٤٥)، وأحمد ٥/ ١٠ و١٨، والحاكم ٤/ ٥٨٦.

(٢) ورد بهامش الأصل: تردني من خطه.

(٣) كذا في الأصل: (ردوا)، وفي المسند وغيره (دعوا)وهو المعنى الذي أوله المصنف لاحقًا.

(٤) رواه أحمد ٣/ ٢٣٠، وابن خزيمة في «التوحيد» ٢/ ٧٤٩، وأبو يعلى (٤٢١٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات ص٨٤، وفي «البعث والنشور» (٥٧)، وابن الجوزي في «الموضوعات» ٣/ ٢٦٧.

وفيه أبو ظلال واسمه هلال قال الحافظ ابن رجب: ضعفوه[١].

قلت: أورده الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» وهو تساهل منه ومن ثَمّ تعقبه الجلال السيوطي والحافظ ابن حجر العسقلاني في «القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد»[٢] وقد أخرجه الإمام أحمد، وابن خزيمة في «صحيحه»، والبيهقي في «الأسماء والصفات»[٣].

وقال الحافظ ابن حجر في «القول المسدد»: أبو ظلال علق له البخاري حديثًا وقال فيه: مقارب الحديث وحسن له الترمذي بعض حديثه وله شاهد من حديث الحسن[٤] أخرجه الآجري في آخر الإفك.

وبما ذكرنا عُلِمَ أن ذكر الإمام ابن الجوزي هذا الحديث في «الموضوعات»[٥] ليس بصواب والله أعلم.

وقوله: **«ما كنت أرجو إذ أخرجتني منها أن تردني فيقول: ردوا عبدي»** أي: من أخذكم له إلى النار إلى الجنة أي: ردوه إلى الجنة لأنه ترجّاني فظنّ بي خيرًا وأنا عند ظنّ عبدي بي.

وقال الحافظ ابن رجب في التخويف[٦]: روينا من طريق محمد

---

(١) «التخويف من النار» ص٢١٠ . (٢) «القول المسدد» ص٤٨ .

(٣) «مسند أحمد» ٣/ ٢٣٠، «الأسماء والصفات» ص٨٤ .

(٤) «القول المسدد» ص٤٨ .

(٥) «الموضوعات» ٣/ ٢٦٧.

(٦) «التخويف من النار» ص٢٥٩ .

بن معاوية / ٨٠٥/ عن الحسن قال: «**أهل التوحيد في النار لا يقيدون فتقول الخزنة بعضهم لبعض: ما بال هٰؤلاء يقيّدون وهٰؤلاء لا يقيدون فناداهم منادٍ إنَّ هٰؤلاء كانوا يمشون في ظلام الليل إلى المساجد**».

وعن الحسن رحمه الله أنه قال: «**يخرج رجل من النار بعد ألف سنة**» قال الحسن: ليتني ذٰلك الرجل.

وقال أحمد ابن أبي الحواري: دخلت على أبي سليمان وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ قال: لئن طالبني بذنوبي لأطالبنه بعفوه ولئن طالبني ببخلي لأطالبنه بجوده ولئن أدخلني النار لأخبرت أهل النار أني كنت أحبه ثم أنشد يقول[1]:

ما أطيب وصله وما أعذبه ما أثقل هجره وما أصعبه
في السخط وفي الرضا فما أهيبه القلب يحبه وإن عذبه

فصل
في حسن الظن بالله تعالى

روى ابن أبي الدنيا عن على بن بكار رحمه الله تعالى أنه سُئل[2] عن حسن الظن بالله تعالى قال: أن لا تجمعك والفجار دار واحدة.

ودعا رجل بعرفات فقال: لا تعذبنا بالنار بعد أن أسكنت

---

(١) «التخويف من النار» ٢٥٩-٢٦٠ .

(٢) «حسن الظن بالله» ص٢٥ برقم (١١).

توحيدك قلوبنا ثم بكى وقال: ما أخالك تفعل بعفوك ثم بكى قال: ولئن عذبتنا بذنوبنا لتجمعن بيننا وبين أقوام طالما عاديناهم فيك[١].

وقال إبراهيم عليه السلام: اللهم لا تشمت من كان يشرك بك بمن كان لا يشرك بك[٢].

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان إذا تلا هذه الآية ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨] قال: ونحن نقسم بالله جهد أيماننا ليبعثن الله من يموت أتراك تجمع بين القسمين في دار واحدة ثم بكى أبو حفص الصيرفي بكاء شديدا.

وأخرج أبو نعيم عن عون بن عبد الله أنه قال: ما كان الله لينقذنا من شيء ثم يعيدنا فيه ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣] ما كان الله ليجمع أهل القسمين في النار ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ ونحن نقسم بالله جهد أيماننا ليبعثن الله من يموت[٣].

وقال ابن السماك رحمه الله: لما طلبني هارون الرشيد قال: تكلم وادع فدعوت بدعاء فأعجبه وقلت في دعائي: اللهم إنك قلت /٨٠٦/ ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ اللَّهُمَّ إنا نقسم بالله جهد أيماننا لتبعثن من يموت أفتراك يا رب تجمع بين أهل القسمين في مكان واحد. وهارون الرشيد يبكي[٤].

---

(١) «التخويف من النار» ٢٦٠ . (٢) المصدر السابق.

(٣) «حلية الأولياء» ٤/ ٢٦٣ . (٤) «التخويف من النار» ٢٦١ .

فصل

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]

وأخرج الشيخان أنه ﷺ قال مخبرًا عن ذي العزة والجلال: «**أنا عند ظنّ عَبْدِي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي**[١] **وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأٍ خير منه**»[٢].

وفي الحديث: «**إن لله مائة رحمة كل رحمة منها تملأ طباق ما بين السماء والأرض أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الطير والوحش على أولادها، وأَخَّر تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة**» رواه مسلم وغيره[٣].

---

(١) ورد في هامش الأصل قوله: في نفسي: ذكر النفس للمشاكلة، والمعنى: أن العبد إذا ذكر الله خاليًا أو سرًا تولّى الله بنفسه إثابته، ولم يكله إلى أحدٍ من خلقه، وإن ذكره جهرًا بين الملإ ذكره الله بثوابٍ أطلع عليه الملأ الأعلى. أهـ مختصرًا من المناوي.اهـ.
أقول: إثبات صفة النفس لله عز وجل جاء القرآن بإثباتها قال عز وجل: ﴿عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] فهذا القرآن قد نطق بذلك وهو أعلم بنفسه من خلقه وجاء في الحديث القدسي عن الله عز وجل فيما يرويه النبي ﷺ عن ربه عز وجل فنثبت ما أثبته الله لنفسه وننفي ما نفى الله عن نفسه إثباتاً ونفياً يليقان بجلاله. والله أعلم.

(٢) رواه البخاري (٧٤٠٥)و(٧٥٠٥)و(٧٥٣٧)، ومسلم (٢٦٧٥)من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد ٢/ ٤٣٤، ومسلم (٢٧٥٢)، وابن ماجه (٤٢٩٣)، والترمذي (٣٥٤١)

وفي الحديث: «حسن الظن من العبادة»[1].

وقال ﷺ قبل موته بثلاثة أيام: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله»[2].

وتقدم أيضًا قوله ﷺ: «إن شئتم أنبأتكم أوّل ما يقول الله عزَّ وجل للمؤمنين» قالوا: نعم، قال: «إن الله يقول للمؤمنين هل أحببتم لقائي؟» فيقولون: نعم يا ربنا، فيقول: «لم؟» فيقولون: رجونا عفوك ومغفرتك، فيقول: «قد وجبت لكم مغفرتي ورحمتي»[3].

وخرج البيهقي: «إن الله عزَّ وجل أمر بعبد إلى النار فلما وقف على شفتها التفت فقال: أما والله يا رب إن كان ظني بك لحسن فقال الله عزَّ وجل: ردوه أنا عند ظن عبدي بي»[4].

وفي الصحيح: أن رسول الله ﷺ سأل الله تعالى أمته فبكى فقال الله عزَّ وجل: «يا جبريل اْذهب إلى محمد فقل له سنرضيك في أمتك

---

(١) رواه من حديث أبي هريرة أحمد ٢/ ٢٩٧ و٣٠٤ و٣٥٩ و٤٠٧ و٤٩١، وعبد بن حميد (١٤٢٥)، وأبو داود (٤٩٩٣)، والترمذي (٣٦٠٤)، والحاكم ٤/ ٢٥٦ وفي إسناده ضعف لكن لَهُ شواهد سيوردها المصنف.

(٢) صحيح، رواه أحمد ٣/ ٢٩٣ و٣١٥ و٣٢٥ و٣٣٠، ومسلم (٢٨٧٧)، وأبو داود (٣١١٣)، وابن ماجه (٤١٦٧)، وأبو يعلى (١٩٠٧)، وابن حبان (٦٣٧) و(٦٣٨) من حديث جابر.

(٣) رواه أحمد ٥/ ٢٣٨.

(٤) رواه البيهقي في «الشعب» (١٠١٥)، والخطيب ٩/ ١٢٥ من طريق رجل من ولد عبادة بن الصامت عن أبي هريرة مرفوعًا، وفي إسناده جهالة.

ولا نسوؤك»[١].

وقال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة وفرغ الله من قضاء الخلق فيبقى رجلان فيؤمر بهما إلى النار فيلتفت أحدهما فيقول الجبار تبارك ٱسمه: ردوُّه فيقال له: لم تلتفت؟ فقال: كنت أرجو أن تدخلني الجنة، قال: فيقول لقد أعطاني ربي حتَّى لو أطعمت أهل الجنة ما نقص ذٰلك مما عندي شيئا»[٢].

خرجه ابن المبارك عن فضالة بن عبيد وعبادة بن الصامت قالا: وكان رسول الله ﷺ إذا ذكره يُرى السرورُ في وجهه[٣]. /٨٠٧/

وروي عن مسلم بن يسار نحوه لكنه لم يرفعه، كذا رأيته في الأصل الذي نقلت منه وفيه طي إن لم يكن سقط من قلم النساخ. وفي ذكري أني رأيت في بعض الكتب: «أنه لما التفت وأمر برده وقال له ما قال قال له: ٱذهبوا به إلى الجنة قال: وما أصنع وقد أخذ الناس منازلهم فأعطاه الله ما أعطاه على ما تقدم في صفة[٤] الجنة. وإن الله أمر الملائكة برد الذي بادر إلى النار فقال له تعالى: علام هٰذا البدار أتدري أين أنت ذاهب قال: نعم إلى النار وبادرت ٱمتثالاً لأمرك يا رب فغفر له سبحانه».

---

(١) روي ذَلِكَ في حديث الشفاعة الطويل، انظر البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (٢٠٢).

(٢) روى بعضه البيهقي في «الشعب» (١٠١٦)، وفي إسناده جهالة.

(٣) «الزهد والرقائق» ١٢٣/(٤٠٩).

(٤) انظر ص١٤٤٤.

أو كلام هٰذا معناه فنسأله سبحانه العفو والعافية وأن يعاملنا بألطافه وكرمه وحلمه.

وفي الحديث أنه ﷺ قال: **«والذي نفسي بيده ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب بشر والذي نفس محمد بيده ليغفرن الله مغفرة يتطاول لها إبليس رجاء أن تصيبه»**(١).

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: خلا لي الطواف ليلة فَصِرْتُ أطوف بالبيت وأقول: اللهم ٱعصمني فهتف بي هاتف فقال: يا إبراهيم كلكم تسألون الله العصمة فإذا عصمَكم فعلى من يتكرم.

وقال يعقوب القاري: رأيت في المنام أويس القرني فقلت: أوصني، قال: ٱبتغ رحمة الله عند محبّته واحذر نقمته عند معْصيته ولا تقطع رجاءك في خلال ذٰلك.

وقال مالك بن دينار رأيتُ مسلم بن يسار بعد موته في المنام، فقلت له: ما لقيت بعد الموت؟ قال: لقيت والله أهوالاً عظامًا شدادا قلت: فما كان بعد ذٰلك، قال: وما تراه أن يكون من الكريم إلا الكرم؛ قبل منا الحسنات وعفا لنا عن السيئات وضمن عنا التبعات ثم شهق مالك بن دينار شهقة وسقط مغشيًا عليه ثم مات بعد أيام وكانوا يرون أن قلبه ٱنصدع(٢).

ونظر أعرابي إلى الناس وهم وقوف بعرفة المشرفة فأنشد يقول:

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٠٢٢)، والديلمي في «الفردوس» ٤/ ٣٦٦.

(٢) «حلية الأولياء» ٢/ ٢٩٥ .

برزوا لوجهك يا كريم بدعوة ألفاظها شتى بمعنى مفرد
فاسمح بمغفرة تكون لجمعنا زادًا إليك غداة يوم المشهد

تنبيه: وَثَمّ نكتة لا بدّ من التّنبيه عليها وهي أن كثيرًا من الجهّال /٨٠٨/ اعتمدوا على سعة رحمة الله الكبير المتعال وعطلوا أمره ونهيه وتركوا الأعمال وارتكبوا المحارم وقالوا: الله هو الراحم ونسوا المساكين قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٧]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧].

قال الإمام المحقق ابن القيم في كتابه «الداء والدواء»: من اعتمد على العفو مع الإصرار فهو كالمعاند. قَالَ معروف: رجاؤك لرحمة مَنْ لا تطيعه من الخذلان والحمق[1].

وقال بعض العلماء: من قطع عُضْوًا منك في الدّنيا بسرقة ثلاثة دراهم لا تأمن أن تكون عقوبته في الآخرة على نحو هٰذا. وكثير من الناس لم يفرقوا بين الرجاء والتمني.

والفرق أن الرجاء يكون مع بذل الجهد واستفراغ الطاقة في الإتيان بأسباب الظَّفَرِ والفوز، والتمني حديث النفس بحصول ذٰلك مع تعطيل الأسباب الموصلة إليه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ٢١٨] فطوى سبحانه بساط الرجاء إلا عن هٰؤلاء.

---

(١) «الداء والدواء» ص٣٨، فصل: بين عفو الله وأمره.

وقال المغْتَرُّون الذين ضيعوا أوامره وارتكبوا نواهيه واتبعوا ما أسخطه وتجنبوا ما يرضيه أولئك [يئسوا من] رحمته وليس هٰذا ببدع من غرور النفس والشيطان لهم.

قال الإمام ابن القيم في كتابه «الروح الكبرى»: الرجاء لعبد قد أمتلأ قلبه من الإيمان بالله واليوم الآخر فمثل بين عينيه ما وعده الله من كرامته وجنته فامتد القلب مائلا إلى ذٰلك شوقًا إليه وحرصًا عليه فهو شبيه بالمادّ عنقه إلى مطلوب قد صار نصب عينيه[1].

قال: وعلامة الرجاء الصحيح أن الراجي لخوف فوت الجنة وذهاب حظه منها يترك ما يخاف أن يحول بينه وبين دخولها.

أما الأماني فإنها رؤوس أموال المفاليس أخرجوها في قالب الرجاء وتلك أمانيهم وهي تصدر من قلب تزاحمت عليه وساوس النفس فأظلم من دخانها فهو يستعمل قلبه في شهواتها، وكلما فعل ذٰلك منَّته حسن العاقبة والنجاة وأحالته على العفو المغفرة والفضل، وإن الكريم لا يستوفي حقه ولا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة، وتسمي ذٰلك رجاء وإنما هو وساوس وأماني باطلة تقذف بها النفس إلى القلب الجاهل فيستروح لها.

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء: ١٢٣] /٨٠٩/.

---

(١) «الروح» ص٣٦٥ .

فإذا قالت لك النفس أنا في مقام الرجاء فطالبها بالبرهان وقل هٰذه أمنيّة فهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين فالكيس يعمل أعمال البرّ على الطمع والرّجاء والأحمق العاجز يعطل أعمال البر ويتكل عَلَىَ الأماني التي يسميها رجاء.

والحاصل أنَّ حسن الظَّنَّ إن حُمِل على العمل وحثَّ عليه وساق إليه فهو صحيح ونافع، وإن دعا إلى البطالة والانهماك في المعاصي والانكباب على الضلالة فهو غرور ضارّ مهلك لصاحبه وقاطع.

وحسن الظن هو الرجاء فمن كان رجاؤه حاديًا له على الطاعة زاجرًا له عن المعصية فهو رجاء صحيح، ومن كانت بطالته رجاءً ورجاؤه بطالة وتفريطًا فهو المغرور ذكره في الدّاء والدَّواء.

وقال: لو أنّ رجلاً له أرض يؤمّل أن يعود عليه من مغلها ما ينفعه فأهملها ولم يبذرها ولم يحرثها، وحسن ظنه بأنه يأتي من مغلها ما يأتي ممن حرث وبذر وسقى وتعاهد الأرض لعدّه الناس من أسفه السّفهاء، وكذلك لو حسن ظنه وقوي رجاؤه بأنه يجيئه ولد من غير جماع أو يصير أعلم أهل زمانه من غير طلب للعلم وحرص عليه تام وأمثال ذٰلك فكذلك من حسن ظنه وقوى رجاؤه في الفوز بالدرجات العُلى والنعيم المقيم من غير طاعة ولا تقرب إلى الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وبالله التوفيق.

وقال: ومما ينبغي أن يعلم أن من رجا شيئًا ٱستلزم رجاؤه أمورًا:

أحدها: محبة ما يرجوه.

الثاني: خوفه من فواته.

الثالث: سعيه في تحصيله بحسب الإمكان.

وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذٰلك فهو من باب الأماني، والرجاء شيء والأماني شيء، فكل راجٍ خائف والسائر على الطريق إذا خاف أسرع مخافة الفوات.

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**من خاف أدلج**[1] **ومن أدلج بلغ المنزل ألا إنَّ سلعة الله غالية ألا إنَّ سلعة الله الجنة**»[2].

وهو سبحانه إنما جعل الرجاء لأهل الأعمال فعلم أن الرجاء والخوف إنما ينفع إذا حث صاحبه على طاعة مولاه.

قال تعالى: /٨١٠/ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ

---

(١) ورد في هامش الأصل: قوله: أدلج أي: سار من أول الليل، والمعنى: من خاف الله أي: بكل خير، ومَن أمِن منه اجترأ عَلَى كل شر.أهـ.

(٢) رواه الترمذي (٢٤٥٠)، وعبد بن حميد (١٤٦٠)، والبيهقي في «الشعب» (٨٨١) و(١٠٥٧٦)، وفي إسناده ضعف، قَالَ الترمذي: هَذَا حديث حسن غريب.

وله شاهد من حديث أبي بن كعب أخرجه أبو نعيم في الحلية ٨/ ٣٧٧، والحاكم ٤/ ٣٠٨، والبيهقي في «الشعب» (١٠٥٧٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٥٤)

يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١].

وأخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هٰذه الآية فقلت: أهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرقون فقال: «**لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون أن لا يقبل منهم أولئك يسارعون في الخيرات**»[1].

ولا جرم أَنَّ من تأمل أحوال السلف الصالح وتتبع سيرهم علم أن أكثر الناس أعمالاً وقربًا منه سبحانه أكثرهم خوفًا وهٰذا لا ينازع فيه إلا مكابر.

فقد أخبر النبي ﷺ: «**أنه أشد الناس خوفًا**».

وهٰذا الصديق رضي الله عنه يقول: وددتُ أني شعرة في جنب عبد مؤمن، ذكره عنه الإمام أحمد[2].

وذكر عنه أيضًا: أنه كان يمسك لسانه ويقول هٰذا أوردني الموارد[3]. ولعمري إنه أورده الموارد المحمودة والمواطن المشهودة.

فيا مغتر ألا تتأمل من قطع له بالجنة ومَدْحُه في الكتاب العزيز

(١) رواه الحميدي (٢٧٥)، وأحمد ٦/ ١٥٩ و٢٠٥، وابن ماجه (٤١٩٨)، والترمذي (٣١٧٥)، وأبو يعلى (٤٩١٧)وفي إسناده انقطاع. وانظر تفسير الطبري ١٨/ ٣٣، وابن كثير ٥/ ٢٥.

(٢) الزهد للإمام أحمد ص١٣٥.

(٣) الزهد ص١٣٥-١٣٦، وأخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (١٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥).

من الجبار حيث يقول: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠] ومع هٰذا كان يبكي كثيرًا ويقول: ٱبكوا فإن لم تبكوا فتباكوا. وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله.

وهٰذا الفاروق قرأ يومًا: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾ [الطور: ٧، ٨] فبكى حتَّى مرض وعادوه وقال لولده في مرض موته: ويحك ضع خدي على الأرض عساه يرحمني، ثم قال: ويل أمي إن لم يغفر لي ثلاثًا ثم قضى رضي الله عنه مع ما فتح الله على يده من الفتوحات العظيمة وما كان عليه من الخيرات الجسيمة.

وهٰذا عثمان كان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، وقال: لو أنني بين الجنة والنار لا أدري إلى أيتهما يؤمر بي لاخترت أن أكون رمادًا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير.

وهٰذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه كان شديد الخوف وكان يخاف كثيرًا من طول الأمل واتباع الهوى وحشاه[1] ثم حشاه من ذٰلك.

وجميع أكابر الصحابة على هٰذا المنوال يخافون بلا قنوط.

والمقصود أن من زعم أنه حسن الظن بالله مع ٱنهماكه في اللذات وانكبابه على المعاصي والشبهات /٨١١/ وإعراضه عن الأوامر

---

(١) ورد في هامش الأصل: قوله: وحشاه ثمَّ حشاه، ولعله حاشاه بألفٍ بين الحاء والشين إذ ليس معناهما واحد فتأمل.

والطاعات فهو من الحمق على جانب عظيم وليس الذي هو عليه إلا غرورًا وأمانيّ وسفهًا وبالله التوفيق.

وينبغي لذي اللب الحازم إذا عرض له أمر وزنه بميزان الشرع، فإنه لا يخلو من أن يكون مأمورًا به فليتبعه، أو منهيًا عنه فليتجنبه، فإن حدثته نفسه بعكس ذٰلك فليجاهدها، فإن غلبت عليه حتَّى وقع في المحذور فليستدرك التوبة، وليرجع إلى مولاه، فإن أبت إلا الثبوت على ذٰلك فليذكرها هاذم اللذات ومفرق الجماعات، وليتفكر فيما يؤل إليه وليستحضر نظر مولاه إليه، والوقوف بين يديه، وليتصور العرض عليه، وليعرض لذة المعصية على خزيها، ويتصور ٱنفضاحه على رؤوس الأشهاد في يوم التناد، وكيف حاله إذا قرب المولى أقرانه وأبعد مكانه ما حاله في تلك الساعة وما سقط في يده من فوات تلك البضاعة وما آل إليه من الفضيحة والفضاعة.

قال الإمام ابن الجوزي في كتابه «صيد الخاطر»: تأملتُ شهواتَ الدنيا فرأيتها مصائد هلاك، وفخوخ تلف، فمن قوي عقله على طبعه وحكم عليه سلم ومن غلب طبعه فيا سرعة هلكته.

فنسأل الله سبحانه العافية والتوفيق والهداية لأقوم طريق.

وهٰذا الفصل ذكرناه ٱستطرادًا لما ذكرنا حال الموحدين إذا دخلوا دار البوار، وحلوا في الباب الأول من النار، ولنرجع إلى المقصود مستمدين العون من المعبود.

فصل

وأما أكثر أهل النار أجارنا الله تعالى منها بمنه وكرمه فالنّساء كما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال في خطبة الكسوف: «**رأيتُ النار، ورأيتُ أكثر أهلها النساء لكفرهن**» قيل: أيكفرن بالله قال: «**يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنتَ إلى إحداهنَّ الدهرَ ثُم رأتْ منك شيئا قالت: ما رأيتُ منك خيرًا قط**»[(١)].

وفي صحيح مسلم: «**اطعلتُ في النار فرأيتُ أكثر أهلها النّساء**».

واعلم أنَّ مَن يدخل النار مِن ذرية آدم أكثر ممن يدخل الجنة ففي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله عزَّ وجل يوم القيامة يا آدم فيقول: لبيك ربنا وسعديك** / ٨١٢/ **فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعث النار قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف** - أراه قَالَ - **تسعمائة وتسعة وتسعين فحينئذ تضع الحامل، ويشيب الولد**[(٢)]، **وترى الناس سكارى**[(٣)] **وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد**». فشق ذٰلك على

(١) رواه مالك ص١٣٢، وأحمد ١/٢٩٨ و٣٥٨، والبخاري (٢٩) و(١٠٥٢) (٥١٩٧) ، ومسلم (٩٠٧)، وأبو داود (١١٨٩)، والنسائي ٣/١٤٦.

(٢) ورد في هامش الأصل قوله: ويشيب الولد.. إلخ أي: من شدة الهول، وهَذَا عَلَىَ سبيل الفرض أو التمثيل، وأصله أنَّ الهموم تضعف القوي وتُسرع الشيب فافهم. أهـ.

(٣) ورد في هامش الأصل: أي: كأنهم.

الناس حتَّى تغيرت وجوههم فقال النبي ﷺ: «**من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة**» فكبرنا، ثم قال: «**ثلث أهل الجنة**» فكبرنا، ثم قال: «**شطر أهل الجنة**» فكبرنا[١]. وتقدم هٰذا الحديث بتمامه والله الموفق.

واعلم أيضًا أنَّ الذين يدخلون النار مِن هٰذه الأمَّة أكثر من الذين يدخلون الجنة منها من جملتهم المنافقون وقد وردت الأخبار، وطفحت الآثار بأنَّ هٰذه الأمّة ستفترق على بضع وسبعين فرقة كلها في النارِ إلا فرقة واحدة وهم الذين على ما كان عليه المصطفى ﷺ، وأصحابه كما أخبر ﷺ، بذٰلك صحّت الأخبار، وصرحت الآثار بذٰلك مع الذين يقترفون الذنوب المتوعد عليها من الفرقة الناجية غير أن الخلود مجتنب فلا يخلد فيها من أمّة محمد أحد اللهم إلا أن يكون منافقًا أو كافرًا ببدعته.

فالحاصل أنَّه يدخل النار من ذرية آدم خلق أكثر من الجنة، والذين يدخلون النار من أمة محمد أكثر من الذين يدخلون الجنة منهم باعتبار الدخول الأول، وأكثر من يدخل النار من أمّة محمد النساء، والله أعلم.

---

(١) رواه أحمد ٣/ ٣٢، والبخاري (٣٣٤٨)و(٤٧٤١)و(٧٤٨٣)، ومسلم (٢٢٢).

فصل

وأما صفات أهل النار، وأصنافهم: ففي الصحيحين أنه ﷺ قال: **«ألا أخبركم بأهل الجنَّةِ كل ضعيف مُتضَعَّف لو أقسم على الله لأبرّه، ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر»**[(١)] والعتل القوي، وقيل: الفاجر.

وفي رواية[(٢)]: **«لا يدخل الجنة جواظ، ولا جعظري، ولا العتل الزنيم»** فقال رجل من المسلمين: ما الجواظ، والجعظري، والعتل الزنيم؟ فقال ﷺ: **«الجواظ الذي جمع ومنع** ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦﴾ [المعارج: ١٦]، **وأما الجعظري فالغليظ /٨١٣/ قال تعالى:** ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، **وأما العتل الزنيم شديد الخلق»** الحديث. وقيل الزنيم: اللئيم.

وفي النهاية[(٣)]: العتل الشديد الجافي والفظ الغليظ من الناس

---

(١) رواه أحمد ٤/ ٣٠٦، والبخاري (٤٩١٨)و(٦٠٧١)و(٦٦٥٧)، ومسلم (٢٨٥٣)، وابن ماجه (٤١١٦)، والترمذي (٢٦٠٥)، والبغوي (٣٥٨٣)من حديث حارثة بن وهب.

(٢) هذه الرواية عند ابن أبي شيبة ٥/ ٢١٢ في «الأدب»، وعبد بن حميد (٤٨٠)، وأبو داود (٤٨٠١).

(٣) النهاية في غريب الحديث ٣/ ١٨٠.

وكأنه مشتق من العتلة وهي عمود حديد يهدم به البناء، وقيل: حديدة كبيرة يقلع بها الشجر والحجر، ومنه حديث هدم الكعبة فأخذ ابن مطيع العتلة ٱنتهى ملخصًا.

وفي البغوي[1]: العتل: الغليظ الجافي. وقال الحسن: الفاحش الخَلق السّيّئ الخُلُق. وقال الفراء: شديد الخصومة في الباطل. وقال الكلبي: هو الشديد في كفره، وكل شديد عند العرب عتل، وأصله من العتل وهو الدفع بالعنف[2].

وقال عبيد بن عمير: العتل الأكول الشروب القوي الشديد لا يزن في الميزان شعيرة، يدفع الملك من أولئك سبعين ألفًا دفعة واحدة[3].

قال البغوي: والزنيم هو الدعي الملحق بالقوم وليس منهم[4].

وقيل: الزنيم الذي له زنمة كزنمة الشاة.

قال الجوهري: الزنمة شيء يقطع من أذن البعير فيترك معلقًا[5] والله أعلم.

وفي صحيح مسلم أنَّ النَّبي ﷺ قال في خطبته: «**وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر** - أي: لا عقل له - **الذين هم فيكم تبعًا لا يبتغون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دقَّ إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يُمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك**،

---

(١) شرح السنة ١٣/ ١٧٠. (٢) «تفسير البغوي» ٨/ ١٩٢ .
(٣) «تفسير القرطبي» ١٨/ ٢٣٣، «مصنف ابن أبي شيبة» ٧/ ١٦٣ (٣٤٩٩٤).
(٤) «تفسير البغوي» ٨/ ١٩٣ . (٥) «الصحاح» ٥/ ١٩٤٥ .

وذكر البخل، والكذب، والشنظير الفحاش»[١].

فبيّن ﷺ أنَّ أهْلَ النارِ خمسة أصناف: الأوّل: الضعيف الذي لا زبر له يعني بالزبر: القوة والحرص على ما ينتفع به صاحبه في الآخرة من التقوى والعمل.

وخرج العقيلي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**إنَّ الله تعالى يبغض المؤمن الذي لا زبر له**» فقيل له: أويكون هٰذا؟ قال: «**نعم والله لقد أدركتهم في الجاهلية، وإن الرجل ليرعى على الحي ما به إلا وليدتهم يطؤها**»[٢] وهٰذا القِسم أعني: الضعيف الذي لا زبر له شر أقسام الناس ونفوسهم ساقطة؛ لأنه ليس لهم هم في طلب الدنيا ولا الآخرة وإنما همة أحدهم شهوة البطن والفرج كيف ٱتفقتا له فيخدم النَّاسَ لأجلهما.

الثاني: الخائن الذي لا يخفى له /٨١٤/ طمع وإن دق إلاَّ خَانه يعني: لا يقدر على خيانة ولو كانت تافهة إلاّ بادر إليها، واغتنمها ويدخل في ذٰلك التطفيف في المكيال والميزان[٣].

قُلْتُ: وكذا الخيانة في الصلاة بأنْ يسرق صلاتَه بل هي أسوأ سرقة.

أخرجَ الإمام أحمد، والطبراني، وابن خزيمة في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد عن أبي قتادة رضي الله عنه، عن النبي

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ١٦٢، مسلم (٢٨٦٥)، الطيالسي في «مسنده» ١/ ١٤٥، والطبراني في «الكبير» (٩٨٧).

(٢) راجع التخويف من النار ص٢٠٢.

(٣) «التخويف من النار» ص٢٧٥-٢٧٦.

ﷺ أنَّه قال: «أسوأ الناس سرقةً الذي يسرق من صلاته» قالوا: يا رسول الله كيف يسرق من صلاته؟ قال: «لا يتم ركوعها، ولا سجودها أو قال لا يقيم صلبه في الركوع والسجود»[١].

وأخرج الطبراني في معاجمه الثلاثة بسند جيد عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «أسرق الناس الذي يسرق صلاته» قيل: يا رسول الله كيف يسرق صلاته؟ قال: «لا يتم ركوعها ولا سجودها، وأبخل الناس مَن بخل بالسلام» وقد قال ﷺ: «يا معشر المسلمين لا صلاة لمن لا يقيم صلبه في الركوع والسجود» رواه الإمام أحمد، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحهما[٢]. كذا الخيانة في الأمانات القليلة كالودائع، وأموال اليتامى، ونحو ذٰلك وهٰذا من جملة خصال النفاق نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن رجب: وربما دخل في الخيانة من خان الله ورسوله في ٱرتكاب المحارم سرًّا مع إظهار ٱجتنباها.

قال بعض السلف: كنا نتحدث أنَّ صاحب النار من لا تمنعه خشية الله من شيء خفي له.

الثالث: المخادع وهو من جملة المنافقين كما وصفهم الله تعالى بذٰلك ومعناه إظهار الخير، وإضمار الشر لقصد التوصل إلى أموال

---

(١) رواه أحمد ٥/ ٣١٠، والدارمي (١٣٣٤)، وابن خزيمة (٦٦٣)، والحاكم ١/ ٢٢٩.

(٢) صحيح رواه أحمد ٤/ ٢٣، وابن ماجه (٨٧١)، وابن خزيمة (٥٩٣) و(٦٦٧) و(٨٧٢)، وابن حبان (١٨٩١)و(٢٢٠٢)و(٢٢٠٣)، والبيهقي ٣/ ١٠٥.

الناس، وأهاليهم، والانتفاع بذٰلك، والاستمتاع به وذا من جملة المكر والحيل المحرمة، وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «**من غشنا فليس منا**»[١] والمكر، والخداع في النار يعني صاحبهما.

الرابع: الكذب، والبخل ولم يحفظ الراوي ما قال النبي ﷺ في هٰذا حفظًا جيدًا. والكذب والبخل خصلتان. وفي مسند الإمام أحمد في هٰذا الحديث: «**الكذب أو البخل بالشك**» وقيل: إنه عدهما واحدًا قاله مطرِّف الوراق وهو أحد رواة هٰذا الحديث[٢]، وهما /٨١٥/ ينشآن عن الشح كما جاء ذٰلك في الأحاديث، والشح: هو شدة حرص الإنسان على ما ليس له من الوجوه المحرمة، وينشأ عنه البخل وهو إمساك الإنسان ما في يده والامتناع من إخراجه في الوجوه التي أمر الله سبحانه أنْ يخرج فيها[٣].

وسمعتُ بعضَ أشياخي ذكرَ أنَّ البخيلَ هو الذي يبخل بما في يده عن إخراجه منها.

والشح: شدة تقتير المرء على نفسه حرصًا على المال مع محبته وميله إليه، وسمعتُ بعضهم قال: الشح هو البخل بمال الغير.

والتحقيق في الفرق بين الشح والبخل:

أنَّ الشح هو شدة الحرص على الشيء، والإحفاء في طلبه، والاستقصاء في تحصيله.

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٤١٧، ومسلم (١٠١).

(٢) «مسند أحمد» ٤/ ١٦٢ .

(٣) «التخويف من النار» ص٢٧٦-٢٧٧.

والبخل: منع إنفاقه بعد حصوله وحبه وإمساكه فهو شحيح قبل حصوله بخيل بعد وصوله فالبخل ثمرة الشح، والشح: يدعو إلى البخل، والشح: كامن في النفس فمن بخل فقد أطاع شحه، ومن لم يبخل فقد عصى شحه، ووقي شره وذلك هو المفلح: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩][1] ذكره الإمام المحقق ابن القيم في كتابه «**الكلم الطيب**» وقال: جود المرء يحببه إلى أضداده، وبخله يبغضه إلى أولاده ثم أنشد رحمة الله عليه:

ويُظهر عيب المرء في الناسِ بخلُه ... ويستره عنهم جميعًا سخاؤه

تَغطَّ بأثواب السخاء فإنني ... أرى كلَّ عيبٍ السخاء غطاؤه

والسخي قريب من الله، ومن خلقه، ومن أهله، والبخيل بعيد من الله، ومن خلقه، ومن أهله، والسخي قريب من الله، قريب من الجنة، بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من خلقه، بعيد من الجنة، قريب من النار.

روى البغوي عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**لا يجتمع الشح[2] والإيمان في قلب عبد أبدًا**»[3].

(١) ورد في هامش الأصل: فعلى هَذَا كل بخيل شحيح ولا عكس لأنه إذَا خالف شحه وأنفق ما وجب عليه إنفاقه فقد برئ من البخل. أهـ.

(٢) ورد في هامش الأصل: أي الذي هو رديف البخل أو الشح الذي يؤدي إلى البخل. أهـ.

(٣) رواه أحمد ٢/٢٥٦، ٤٤١، والنسائي ٦/١٤، وهناد في «الزهد» (٤٦٧)، والبغوي في «شرح السنة» (٢٦١٩)، وفيه حصين بن اللجلاج، جهله المزي والذهبي وابن حجر، وذكره ابن حبان في الثقات، وللحديث شواهد قَدْ يتقوى بها.

قال الحافظ ابن رجب: فالمخادع هو الشحيح يعني: الحريص وفسر ابن مسعود الشح بأخذ المال من غير حقه، والبخل منعه من مستحقه.

وفي أثر إنّ الشيطان قال: مهما غلبني ابن آدم فلن يغلبني بثلاث: بأخذ المال من غير حله، أو ينفقه في غير وجهه، أو يمنعه من حقه.

وينشأ عن الشح: الكذب، والمخادعة، والتحايل على ما لا يستحقه الإنسان فيتوصل إليه بالطرق الباطلة كما هو دأب الهمم العاطلة وفي الصحيح عن النبي /٨١٦/ ﷺ: «**إن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار**[1]»[2] وفي المسند: «**إذا كذب العبد فجر، وإذا فجر كفر، وإذا كفر دخلَ النار**»[3] خرجه عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا.

الخامس: الشنظير وقد فسر بسيِّئ الخلق والفحاش هو الفاحش المتفحش.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إن

(١) ورد في هامش الأصل فوق كلمة (الكذب)ما نصه: أي الإخبار بخلاف الواقع أهـ. وفوق كلمة (يهدي): يوصل صاحبه. أ.هـ. وفوق كلمة (الفجور): الذي هو هتك ستر الديانة والميل إلى الفساد. أ.هـ. وفوق كلمة (يهدي)الثانية: يوصل صاحبه أ.هـ.

(٢) رواه أحمد ١/ ٣٨٤ (٣٦٣٨)، والبخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧)عن عبد الله بن مسعود.

(٣) أخرجه أحمد ٢/ ١٧٦ (٦٦٤١).

من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس أتقاء فُحشهِ»[١].

وفي الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «**إن الله يبغض الفاحش البذيء**»[٢] أي الذي يجري لسانه بالسفه ونحوه من لغو الكلام.

وفي المسند أنه ﷺ قال: «**بحسب أمرءٍ من الشر أن يكون فاحشًا**»[٣] أي يكفيه من الشر فحشه وأصل الفاحش مجاوزة الشيء محله بذيئًا بخيلاً جبانًا، والمراد بالفاحش هنا: الذي يفحش في منطقه ويستقل الرجال بقبح الكلام من السب ونحوه ويأتي في كلامه ما يفحش ذكره[٤].

ولا يخفى نكتة مقارنة البخل بالجبن في قوله: «**بخيلاً جبانًا**» لأن البخل: الحرص على المال والجبن: الحرص على النفس وهما عديلان.

وفي دعائه ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال**»[٥].

وفي لفظ «**من ضلع الدين وغلبة الرجال**» والله المستعان.

---

(١) رواه البخاري (٦٠٣٢)، (٦٠٥٤)، (٦١٣١)، ومسلم (٢٥٩١)، وأحمد ٦/ ٣٨، وعبد بن حميد (١٥٠٩).

(٢) راجع التخويف من النار ص٢٠٤، والحديث لَهُ شاهد عن أبي الدرداء أخرجه ابن حبان (٥٦٩٥)، والبيهقي ١٠/ ١٩٣، والقضاعي في «مسند الشهاب» ١/ ٢٧٤.

(٣) أخرجه أحمد ٤/ ١٤٥، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣٤٥٩).

(٤) «التخويف من النار» ص٢٧٧-٢٧٨.

(٥) رواه البخاري (٦٣٦٩)، وأحمد ٣/ ١٢٢، وأبو داود (١٥٤١)، والترمذي (٣٤٨٤) عن أنس، وله طرق أخرى عن أبي سعيد، وأبي بكرة.

فصل
في ذكر أوّل من يدخل النار من سائر البشر وفي أول من يدخلها من عصاة الموحدين

أما أوّل من يدخل النار من بني آدم على الإطلاق زية وقيل: ٱسمها إزميل وهي التي أمرت بقتل سيدنا يحيى الحصور عليه السلام.

قال الإمام ناصر السنة ابن الجوزي في «**تبصرته**»[1]: عن الربيع بن أنس قال: كان لملك بنتٌ شابةٌ فكانت تأتيه فيسألها حاجتها فيقضيها وإن أمّها رأت يحيى عليه السلام وكان جميلاً فأرادته عَلَى نفسها فأبى فقالت لابنتها إذا أتيتِ أباك فقولي حاجتي رأس يحيى فجاءت فسألت ذٰلك فردها فرجعت قال: سلي حاجتك فقالت: رأس يحيى فقال لكِ ذٰلك فأخبرت أمّها فبعثت إلى يحيى إن لم تأت حاجتي قتَلتك فأبى فذبحته ثم ندمت فجعلت تقول ويل لها ويل لها حتى ماتت فهي أوّل من يدخل /٨١٧/ جهنم.

وفي حديث آخر: أنّها قتلت قبله سبعين نبيًا وهي مكتوبة في التوراة مُقَتِّلة الأنبياء وأنها على منبر في النار يَسمعُ صراخها أقصى أهل النار.

---

(١) ٢٩٣/١

وفي قصة قِتلة سيدنا يحيى عليه السلام روايات على غير هٰذا الوجه فالله أعلم بالثابت وأيها كان والله أعلم.

وأما أول من يدخل النار من عصاة الموحدين فأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**عرض علي أوّل ثلاثة يدخلون الجنة وأوّل ثلاثة يدخلون النار فأما أوّل ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه وفقير متعفف**[١] **ذو عيال وأول ثلاثة يدخلون النار فأميرُ مسَلّط وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله تعالى من ماله وفقير فخور**»[٢].

وخرج الترمذي أوّله وقال حديث حسن.

قال الحافظ ابن رجب هٰؤلاء الأصناف الثلاثة من أهل النار ضدّ الأصناف الثلاثة من أهل الجنة المذكورين في حديث مسلم أعني قوله ﷺ: «**أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسطٌ متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم؛ عفيف متعفف ذو عيال**»[٣] فإن السلطان الجائر ضد العادل المحسن والغني الذي يمنع حق الله عزَّ وجل ضد الرحيم الرقيق القلب بذي القربى وكل مسلم، والفقير

---

(١) ورد في هامش الأصل: قوله: متعفف أي: عن سؤال الناس وعن تعاطي ما لا يحل. أ.هـ.

(٢) رواه أحمد ٢/ ٤٢٥، ٤٧٩، وعبد بن حميد (١٤٤٦)، والترمذي (١٦٤٢)، وابن خزيمة (٢٢٤٩)، وفي إسناده ضعف.

(٣) رواه مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي (٢٨٦٥)، وأحمد ٤/ ١٦٢، ٢٦٦، وابن ماجه (٤١٧٩)، وورد في هامش الأصل فوق كلمة (عفيف): أي: عن سؤال الناس متعفف عن تعاطي ما لا يحل.

الفخور ضد المتعفف الصابر على شدة الفقر وضره، وأوصاف هٰؤلاء الثلاثة هي الظلم والبخل والكبر وهي ترجع إلى الظلم لأن الملك المسلط يظلم الناس بيده والبخيل يظلم الفقراء بمنع حقوقهم الواجبة في ماله والفقير الفخور يظلم الناس بفخره عليهم بقوله وإيذائه لهم بلسانه وبشأنه.

وعن أبي هريرة مرفوعًا نحوه: وفيه: «**المقاتل والقارئ والمتصدق الذين يراؤون بأعمالهم وقال: أولئك أوّل خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة يا أبا هريرة**»[1].

قال الحافظ ابن رجب: وقد يجمع بين هٰذا الحديث والذي قبله بأن هٰؤلاء الثلاثة أوّل من تسعر بهم النار وأولئك الثلاثة أوّل من يدخل النار، وتسعير النار أخص من دخولها فإن تسعيرها يقتضي مع الدخول تلهيبها وإيقادها وهو زائد على مجرد الدخول، وإنما زاد عذاب أهل الرياء /٨١٨/ على سائر العصاة لأن الرّياء هو الشرك الأصغر والذنوب المتعلقة بالشرك أعظم من المتعلقة بغيره.

قلت فيه: إن الشرك الأكبر أعظم منه فما بال هٰؤلاء أعني أصحاب الشرك الأصغر الذي هو الرياء تسعر النار بهم قبل أولئك، وقد يقال إن المراد من أهل التوحيد ويدفعه منطوق الحديث فإنه قال أولئك أوّل خلق الله تسعر بهم النار اللهم إلا أن يخص عمومه ويكون

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٢١، ومسلم (١٩٠٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٤٨٢)، والترمذي (٣٢٨٢).

المراد أوّل خلق الله من أهل التوحيد، أو يقال ذاك لحكمة دقت عن فهمنا أو لأنّه مع كونه مشركًا ظلم العباد بغرورهم وظنهم أنه مخلص حتَّى ربما ٱقتدوا به أو غير ذٰلك فليتأمل، والله تعالى الموفق.

تتمة في مسائل متفرقة

المسألة الأولى في خلود أهل الدارين فيهما: أعني الجنة والنار أما خلود أهل الجنة فقد تقدم وهٰذا بالإجماع لا ينازع فيه أحد من أهل الفهم والاطلاع ممن يثبت وجود الجنة وأنها دار المعاد والجزاء من سائر الأديان.

فإن قلتَ: هٰذا غير مسلم مع شهرة الخلاف واطلاعك عليه وأنت وذكرك له في غير موضع وقد ذكره جماعة من الأئمة كالإمام ابن القيم في «حادي الأرواح»[1] والعلامة في «البهجة» وغيرهما. قلتُ: إن ذٰلك كذٰلك لكني ما أعد ذٰلك خلافًا لوجهين:

أحدهما: أن أوّل من ٱبتكر هٰذا القول جهم بن صفوان إمام الجهمية وليس له فيه سلفٌ قط من الصحابة ولا من التابعين ولا من تابعيهم وإذا مضت هٰذه القرون الثلاث الذين هم خير هٰذه المِلة مجمعة عَلَى أمرٍ، ثمَّ حدث مِن بعدهم مَنْ ليس هو مثل أدناهم وانتحل مقالة لا تعد مقالته خلافًا، ولهذا لم يقل به أحد من أهل السنة وأنكره عليه وعلى أتباعه أئمة الإسلام وكفروهم به وصاحوا به من أقطار الأرض.

---

(١) «حادي الأرواح» ص٣٦٥ .

قال عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب «السنة»[1] عن خارجة بن مصعب أنه قال: كفرت الجهمية بثلاث آيات من كتاب الله عزَّ وجل يقول الله سبحانه ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥] وهم يقولون: لا يدوم لها أكل ولا أهل، ويقول الله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾ [ص: ٥٤] وهم يقولون ينفد ويقول الله: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] وهم يقولون: لا بقاء له.

الوجه الثاني أنه لا دليل لهٰذا القول /٨١٩/ إلا مجرد توهمات وقياسات فلسفية لا نعوّل على شيء منها معشر المسلمين.

فإن قلت: أليس يقول الله: ﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝١٠٨﴾ [هود: ١٠٨].

قلنا بلى وهي دليل عليكم لا لكم فإن قوله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أي غير مقطوع ومن المعلوم أن غير المقطوع دائم لا محالة، وأما ما يخيل لكم من الاستثناء في الآية الكريمة فهو راجع للذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة يقول سبحانه إنهم خالدون في الجنة مادامت السماوات والأرض إلا مدة مكثهم في النار؛ قاله معمر عن الضّحاك قال المحقق: وهو يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون الإخبار عن الذين سعدوا وقع عن قوم مخصوصين وهم هؤلاء.

والثاني: وهو الأظهر أن يكون وقع عن جملة السعداء

---

(١) «السنة» ١/ ١٣٠ .

والتخصيص[1] في المذكورين هو في الاستثناء.

وقيل المعنى خالدين فيها مادامت السماوات والأرض إلا ما شاء الله من الزيادة على ذٰلك؛ كما تقول: أسكنتك داري حولاً إلا ما شئت أي سوى ما شئت من الزيادة على الحول، وقيل هو استثناء لمدة المقام في البرزخ لأنهم محبوسون من الجنة فيه إلى أن يصيروا في الجنة ثم هو خلود الأبد فلم يغيبوا عن الجنة إلا بقدر إقامتهم في البرزخ.

وقالت فرقة: العزيمة قد وقعت لهم من الله بالخلود الدائم إلا أن يشاء الله خلاف ذٰلك؛ إعلامٌ لهم بأنهم مع خلودهم في مشيئة الله، وهٰذا كما قال لنبيه ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦] وقوله: ﴿فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤] وقوله: ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ [يونس: ١٦] فهو إخبار منه سبحانه لعباده أن الأمور كلها بمشيئته ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وثم أقوال أُخَر ومدارها بأن يقال أخبر سبحانه عن خلودهم في الجنة كل وقت إلا وقتا يشاء أن لا يكونوا فيها وذٰلك يتناول وقت كونهم في الدنيا وفي البرزخ وفي موقف القيامة وعلى الصراط وكون بعضهم في النار مدة، وعلى كل تقدير فهٰذه الآية من المتشابه وقوله فيها: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[2] محكم.

---

(١) ورد في هامش الأصل: وذلك كافٍ في حجة الاستثناء لأن زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض.

(٢) ورد في هامش الأصل: ولأجل قوله: [[عطاءً غير مجذوذ]]، فرَّق بين الثواب والعقاب في التأبيد. أ.هـ بيضاوي.

وكذا قوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥] ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

والمقصود أن القول /٨٢٠/ بفناء الجنة قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة والتابعين، ولا أحد من أئمة المسلمين، وكل من قال به فهو ضال مخرف عن الصواب. والله تعالى أعلم.

وأما خلود أهل النار ففيه نزاع والتحقيق خلودهم وبقاؤها وأنها لا تفنى ولا تبيد.

والحاصل: أن في بقاء الجنة والنار وفنائهما ثلاثة أقوال:

خلود أهلهما وبقاؤها جميعًا وهو الصواب.

وفناؤهما وعدم خلود أهلهما وهو ضلال وباطل.

بقاء الجنة وفناء النار وهو باطل أيضًا.

على أن جماعة من العلماء ذهبوا إليه ومن ثَمَّ قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: فيه قولان معروفان عن السلف والخلف والنزاع في ذٰلك معروف عن التابعين.

قال الإمام المحقق ابن القيم في «حادي الأرواح»[1]: وثم أقوال سبعة:

أحدها: من يدخل النار لا يخرج منها أبدًا بل كل من دخلها مخلد فيها وهٰذا قول الخوارج والمعتزلة.

الثاني: أن أهلها يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعتهم نارية يتلذذون بها لموافقتها لطبيعتهم وهٰذا قول ابن عربي

(١) «حادي الأرواح» ٥٠١، وما بعدها.

صاحب الفتوحات وهو مخالف لما علم بالاضطرار من الآيات القرآنية والأخبار المحمدية.

الثالث: أن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم آخرون، وهٰذا قول حكاه اليهود للنبي ﷺ فأكذبهم ونص القرآن على كذبهم، فهو قول اليهود، ومن سلك هٰذا المسلك فسلفه فيه اليهود أهل المكر والخداع وقد علم فساده من الكتاب والسنة وإجماع الأمّة.

الرابع: قول من يقول يخرجون منها وتبقى نارًا على حالها ليس فيها أحد يعذب حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية طيب الله ثراه عن بعض الفرق، والكتاب والسنة يردّانه.

الخامس: أنها تفنى بنفسها لأنها حادثة وما ثبت حدوثه ٱستحال وهٰذا قول جهم وشيعته ولا فرق عنده بين الجنة والنار.

السادس: أنها تفنى حركات أهلها وحياتهم ويصيرون جمادًا لا يتحركون ولا يحسون بألم، وهٰذا قول أبي حسين العلاف إمام المعتزلة.

والسابع: قول من يقول: بل يفنيها ربها وخالقها تبارك وتعالى فإنه جعل لها أمدًا تنتهي إليه ثم تفنى ويزول عذابها. /٨٢١/

قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: ونقل هٰذا عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم رضي الله عنهم.

وأخرج عبد بن حميد وهو من أجل علماء الحديث عن الحسن رحمه الله قال: قال عمر رضي الله عنه: لو لبث أهل النار في النار

كقدر رمل عالج لكان لهم على ذٰلك يوم يخرجون فيه[١].

واعلم أن الإمام المحقق ابن القيم قدس الله روحه ٱنتصر لهٰذا القول ٱنتصارًا عظيمًا ومال إليه ميلاً جسيما وذكر له خمسة وعشرين دليلا ثم رجع القهقرى وقال إن قيل إلى أين ٱنتهى قدمك في هٰذه المسألة العظيمة قيل إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

وإلى هنا ٱنتهى قدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فيها حيث ذكر دخول أهل الجنة وأهل النار وما يتلقاه هٰؤلاء وهٰؤلاء قال ثم يفعل الله بعد ذٰلك ما يشاء.

ثم قَالَ: وما ذكرنا في هٰذه المسألة من صواب فمن الله سبحانه وهو المانُّ به وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريء منه.

وأقول: الصحيح المعتمد الذي لا محيد عنه بقاء النار كالجنة جَزمًا فالنار لا تفنى ولا تبيد كما أن الجنة لا تفنى ولا تبيد بالنصوص القرآنية والأحاديث المصطفوية، ونحن نقول: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ من غير شك ولا ترديد نجزم بأن أهل النار الذين هم أهلها يخلدون فيها أبدًا لا نهاية لأبديّة ذٰلك، وأما ما ذكره الإمام المحقق عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فالحسن لم يأخذ عن عمر ولم يسمع منه جزمًا وأيضًا لو سمع منه وثبت ذٰلك لم ينظر إليه لمخالفته من هو أصح وأثبت

(١) «التخويف من النار» ص٤٨٩-٤٩١.

منه، كيف ولم يسمع من عمر؟ ولم يذكر الحسن أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفعه.

والحاصل أن الدارين باقيتان باقٍ ما فيهما خالد مخلد وقد صنف في ذلك علماء الإسلام مصنفات من آخرهم الإمام العلامة الشيخ مرعي صنف جزءاً وأسماه «توقيف الفريقين على خلود الدارين» والله تعالى أعلم بالصواب.

المسألة الثانية في أصحاب الأعراف

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ [الأعراف: ٤٨] وقال: ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٌ﴾ [الأعراف: ٤٦] فالأعراف: جمع عرف وهو كل مرتفع ومنه عرف الديك[1]، واختلف المفسرون في الأعراف فقيل: أعالي الحجاب المضروب بين الجنة والنار وهو السور[2] الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٍ﴾ [الحديد: ١٣] وعلى هٰذا معظم أهل التفسير، وقيل: الصراط[3]. وقيل جبل أحد[4] لما ورد

---

(١) انظر البغوي (٢/ ٤٧٥، ٤٧٦) والبيهقي (١٠٤) رقم (١٠٩)، وابن المبارك في الزهد (٤٨٢، ٤٨٣)، والطبري في «التفسير» (٨/ ١٨٩).

(٢) أخرجه هناد في الزهد (١/ ١٥٢) رقم (٢٠٤)، والطبري في «التفسير» (٨/ ١٨٩، ١٩٠) وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٨٦) للفريابي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وجاء تفسيره كذلك عن ابن عباس في القرطبي (٧/ ٢١٢).

(٣) انظر روح المعاني (٨/ ١٢٣) فتح القدير (٢/ ١٠٩).

(٤) تفسير القرطبي (٧/ ٢١٣).

عنه ﷺ: «**أحد جبل يحبنا ونحبه**»[١] وأنه يوم القيامة يمثل بين الجنة والنار يجلس عليه أقوام يعرفون كلا بسيماهم وهم إن شاء الله من أهل الجنة[٢].

وقال الحسن والزجاج: معنى قوله: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ﴾ أي الذين على معرفة أهل الجنة والنار رجال يعرفون من أهل الجنة والنار بسيماهم، قيل للحسن: هم أقوام ٱستوت حسناتهم وسيئاتهم. فضرب على فخذه، وقال: هم قوم جعلهم الله تعالى على أهل الجنة والنار، يميزون البعض من البعض، والله لا أدري، لعل بعضهم الآن معنا[٣].

فإن قيل: أي حاجة إلى ضرب هٰذا السور، بين الجنة والنار، وقد ثبت أن الجنة فوق النار، لأن النار أسفل سافلين، والجنة فوق السموات السبع وتحت العرش.

فالجواب: إن بُعْد أحداهما عن الأخرى، لا يقتضي منع جعل سور بينهما كما لا يخفى.

قال الفخر: وعندي فيه وقفة لكن أمور الآخرة لا تقاس على أمور الدنيا والله يفعل ما يشاء.

---

(١) «البخاري» (١٤٨٢) كتاب: الزكاة، باب: خرص التمر.

(٢) أخرجه بغير هَذَا اللفظ ابن ماجه (٣١١٥)، وقال الألباني في الضعيفة (١٨٢٠): إسناده ضعيف جدًا، وقد أورد هَذَا اللفظ القرطبي في «تفسيره» ٧/ ٢١٣.

(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» (١٤/ ٨٧).

واختلف المفسرون في أصحاب الأعراف فقيل: هم قوم أستوت حسناتهم وسيئاتهم، فما كانوا من أهل الجنة، ولا من أهل النار، أوقفهم الله على الأعراف، لأنها درجة متوسطة بين الجنة والنار، ثم يدخلهم الله تعالى الجنة بفضله ورحمته وهٰذا قول حذيفة وابن عباس وابن مسعود[١] رضي الله عنه وهو قول ابن جبير والضحاك والشعبي رحمهم الله.

أخرج أبو الشيخ والبيهقي وغيرهما عن حذيفة: «**أصحاب الأعراف قوم قصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار جعلوا هناك حتى يُقضَى بين الناس فبينماهم كذٰلك إذا طلع عليهم ربهم** /٨٢٣/ **فقال لهم: قوموا ٱدخلوا الجنة فإني غفرت لكم**»[٢].

وأخرج البيهقي عن حذيفة مرفوعًا: «**يجمع الله الناس ثم يقول لأصحاب الأعراف ما تنتظرون؟ قالوا: ننتظر أمرك فيقال: إن حسناتكم تجاوزت بكم النار -أن تدخلوها- وحالت بينكم وبين الجنة خطاياكم، فادخلوا بمغفرتي ورحمتي**»[٣].

وقيل: إن أصحاب الأعراف ناس خرجوا للغزو بغير إذن أبائهم فاستشهدوا فحبسوا بين الجنة والنار.

---

(١) عزاه ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٠٥) إلى ابن مسعود وحذيفة وابن عباس وأبي هريرة والشعبي وقتادة، انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٢٢٥).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٨٤٩٩)، والحاكم ٢/ ٣٢٠، وذكره البيهقي في الشعب ١/ ٣٤٤.

(٣) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (١١١).

أخرج البيهقي وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو الشيخ والطبراني وغيرهم أن رسول الله ﷺ سئل عن أصحاب الأعراف فقال: «**هم أناس قتلوا في سبيل الله، بمعصية آبائهم، فمنعهم من دخول الجنة معصية آبائهم، ومنعهم من دخول النار قتلهم في سبيل الله**»(١).

وقيل: أصحاب الأعراف: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أجلسهم الله على أعالي ذٰلك السور، تمييزًا لهم على سائر أهل القيامة وإظهارًا لشرفهم، وعلو مرتبتهم، ليكونوا مشرفين في الدنيا والآخرة(٢).

وقيل: هم العباس وحمزة وعلي وجعفر ذو الجناحين عليهم السلام، يجلسون على موضع من الصراط، يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه. رواه الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما(٣).

وقيل: إنهم عدول القيامة الشاهدون على الناس بأعمالهم وهم من كل أمة. حكاه الزهراوي(٤).

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في التفسير «(٨٤٩٨)، والطبراني في «الأوسط» (٤٦٤٤)، وفي «الصغير» (٦٥٨)، والبيهقي في «البعث والنشور» (١١٢-١١٥).

(٢) انظر: «تفسير الرازي» (١٤/ ٨٧)، «روح المعاني» (٨/ ١٢٤) وحكاه ابن عطية عن الزجاج. فتح القدير (٢/ ٢٠٧).

(٣) انظر: «روح المعاني» (٨/ ١٢٤) فتح القدير (٢/ ٢٠٨)، القرطبي (٧/ ٢١٢).

(٤) تفسير القرطبي (٧/ ٢١٢) حكاه الألوسي في «روح المعاني» (٨/ ١٢٤) عن الزهراوي والبغوي في «معالم التنزيل» (٢/ ٤٧٦) عن الحسن.

وقيل: إنهم قوم صالحون فَقهاء وعلماء. أخرجه هناد عن مجاهد[١].

وقيل: إنهم الشهداء[٢]. وقيل الملائكة[٣].

فإن قيل قد قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ فالجواب لا مانع من إطلاق ٱسم الرجال على الملائكة كما نقله الرازي[٤] وغيره.

وقيل: أصحاب الأعراف أناس رضي عنهم أحد أبويهم دون الآخر[٥].

وقيل: أولاد المشركين[٦].

وقيل: الذين يراؤون الناس[٧].

---

(١) رواه هناد في «الزهد» ١/ ١٥٢ (٢٠٣). «زاد المسير» (٣/ ٣٠٥) وقال ابن كثير (٢/ ٢٢٧).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٧/ ٢١١) «فتح القدير» (٢/ ٢٠٧).

(٣) البيهقي في «البعث والنشور» (١٠٨)، وابن المبارك في الزهد (١٣٦٦، ١٣٧٣)، الطبري في التفسير (٨/ ١٩٣،١٩٤) قال ابن كثير فيه: وهذا صحيح إلى أبي مجلز (٢/ ٢٢٧).

(٤) الرازي (١٤/ ٨٧) واستبعده جماعة من المفسرين منهم الطبري (٨/ ١٩٤) وابن كثير (٢/ ٢٢٧) وابن القيم في طريق الهجرتين (٣٨٣).

(٥) روى هذا القول عن مجاهد كما قال البغوي في «معالم التنزيل» (٢/ ٤٧٩)، «روح المعاني» (٨/ ١٢٤) زاد المسير (٣/ ٣٠٦).

(٦) البغوي في «معالم التنزيل» (٢/ ٤٧٧)، ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٢٠٦).

(٧) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٢٠٦).

وقيل: هم أهل الفترة[١].

وقيل: هم قوم لهم ذنوب عظام، من أهل الصلاة، يعفو الله عنهم، ويمسكهم في الأعراف[٢].

أخرج ابن جرير[٣]، والبيهقي من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الأعراف سور بين الجنة والنار وأصحابه رجال كانت لهم ذنوب عظام وكان أمرهم الله، يقومون على الأعراف يعرفون أهل النار بسواد / ٨٢٤/ ، وأهل الجنة ببياض الوجوه، فإذا نظروا إلى أهْلِ الجنةِ طمعوا أن يدخلوها، وإذا نظروا إلى أهل النار تعوذوا بالله منها فأدخلهم الله الجنة فذٰلك قوله ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ﴾ يعني: أصحاب الأعراف: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٩][٤] قيل: هم أولاد الزنا رواه صالح المري عن ابن عباس[٥].

وقيل: هم مساكين أهل الجنة حكى عن ابن عباس[٦]، وقيل غير ذٰلك.

---

(١) قاله عبد العزيز بن يحيى الكتاني، انظر: «زاد المسير» (٣/ ٢٠٦).

(٢) انظر: «تفسير الرازي» (١٤/ ٨٩) و«تفسير المنار» (٨/ ٤٣١) طريق الهجرتين (٣٨٢).

(٣) في التفسير (٨/ ١٩٥)، «البعث والنشور» للبيهقي (١٠٤).

(٤) روى الطبري شطره الأول (١٤٦٨٧)وباقيه (١٤٧٥١).

(٥) «زاد المسير» (٣/ ٢٠٥) القرطبي (٧/ ٢١٢) تفسير المنار (٨/ ٤٣٢) وقال: لا وجه له البتة.

(٦) ابن جرير في «التفسير» (٨/ ١٩١) ابن أبي شيبة (١٣/ ١٢٩).

والحاصل: أنَّ أصحابَ الأعراف على كلٍّ قول هم سعداء ناجون من أهل الجنة وإنها مآلهم وأرجح هٰذه الأقوال أنهم قوم آستوت حسناتهم وسيئاتهم كما قال القرطبي[1]، وجمع العلامة في «بهجته» بين هٰذه الأقوال بأنَّه يجوز أن الجميع ممن ورد فيهم أنهم أصحاب الأعراف يجلسون على ذٰلك الجسر مع تفاوت منازلهم على أن جملةً من هٰذه الأقوال متداخلة كما لا يخفى، والله تعالى أعلم.

المسألة الثالثة: في أطفال المشركين

أما أطفال المسلمين فقد تقدم الكلام عليهم أنهم في الجنةِ على الصحيح المعتمد، والمقصود هنا أولاد المشركين فقيل: هم في النار وهٰذا قول جمهور أصحابنا كذا في «البهجة»[2].

وقال الإمام العلامة ابن مفلح الراميني في «فروعه»[3]: أطفال الكفار في النارِ. وعنه الوقف، واختار ابن عقيل، وابن الجوزي في الجنة كأطفال المسلمين ومن بلغ منهم مجنونًا قال: واختار شيخنا يعني: شيخ الإسلام ابن تيمية طيب الله ثراه تكليفهم في القيامة للأخبار ومثلهم من بلغ منهم مجنونًا فإن جن بعد بلوغه فوجهان: قلت: أصحهما عندي أنه في النار قال: ومن لم تبلغه الدعوة لا

(١) «تفسير القرطبي» ٧/ ٢١١ .

(٢) ورد في هامش الأصل: قوله: جمهور أصحابنا وحجتهم في ذَلِكَ الأحاديث الواردة في هَذَا المعنى لكنها ضعيفة لا تقوم بها حجة أو مؤولة أو محمولة عَلَىَ من علم الله منه الكفر لو عاش أ.هـ في البهجة.

(٣) «الفروع» ٦/ ١٨٣ .

يعاقب، ذكره في «الفنون» عن الأصحاب قال: وإذا منع حائل البعد شروط التكليف فأولى فيهما.

وفي ٱختيارات شيخ الإسلام رضي الله عنه[١]: أطفال المشركين أصح الأجوبة فيهم ما ثبت في الصحيحين أنه سئل عنهم رسول الله فقال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»[٢] قال: فلا يحكم على معين منهم بجنة ولا نار، ويروى أنهم يمتحنون يوم القيامة فمن أطاعَ /٨٢٥/ دَخَلَ الجنة ومَنْ عصى دخَل النارَ وهٰذا حسن والله أعلم[٣].

وقال الحافظ جلال الدين السيوطي: لا تنافي بين الحديثين بل نقول بما دل عليه حديث أنهم في المشيئة فيمتحنون في الآخرة فمَن كتبت له السعادة أطاع بدخول النار فيردوا إلى الجنة، ومن كتب له الشقاوة ٱمتنع فيسحب إلى النار وهٰذا الذي ذكرنا هو الصحيح المعتمد وثم ستة أقوال أو أكثر:

أحدها: أنَّهم في النارِ.

الثاني: يصيرون ترابا.

الثالث: أنَّهم خدم[٤] أهل الجنة وقد مرّ الكلامُ على هٰذا القول،

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٤/٢٤٦ .

(٢) رواه البخاري من حديث أبي هريرة (١٣٨٤، ٦٥٩٨، ٦٦٠٠)، ومسلم(٢٦٥٨) (٢٣).

(٣) كما سيأتي في ص١٥٠٥ ت(١) ص١٥٠٦ ت(٣).

(٤) قَالَ المناوي: عند قوله ﷺ: «أطفال المشركين خدم أهل الجنة» هَذَا ما عليه الجمهور.

ونقله النسفي في «بحر الكلام» عن أهل السنة، والجماعة وفي ذٰلك أحاديث جمة.

الرابع: في الجنة.

الخامس: أنَّهم في برزخ بين الجنة والنار.

السادس: أنهم يمتحنون.

السابع: وهو المختار الوقف والله أعلم.

المسألة الرابعة: في أهل الفترة ونحوهم

وقد اختلف العلماء فيهم قديمًا وحديثا وهم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل عليهم السلام الذين لم يرسل الله إليهم الرسول الأوّل، ولم يدركوا الثاني كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى، ولم يدركوا نبيّنا عليهما الصلاة والسلام فعلى هٰذا الفترة ما كانت بين رسولين كنوح وهود لكن مقصودنا هنا ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

وذكر البخاري[1] عن سلمان أنها كانت ستمائة سنة إذا علم هٰذا فأخرج الإمام أحمد، والبيهقي وصححه أنَّ النَّبي ﷺ قال: **«أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئًا، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة فأمَّا الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئًا، وأما الأحمق فيقول: ربِّ لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونني بالبعر وأما الهرم فيقول: ربِّ لقد جاء الإسلام ولا أعقل**

(١) رقم (٣٩٤٨) بسنده موقوفًا على سلمان رضي الله عنه.

شيئًا، وأمَّا الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعونه فيرسل إليهم أن ادخلوا النار فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا»[1].

وأخرجا أيضًا عن أبي هريرة مرفوعًا مثله غير أنَّه قال في آخره: **«فمَنْ دخلها كانت عليه بردًا وسلاما، ومَنْ لم يدخلها يسحب إليها»**[2].

وأخرجَ البزار، وأبو يعلى عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«يؤتى بأربعة يوم القيامة بالمولود، والمعتوه، ومن مات في الفترة، والشيخ الفاني / ٨٢٦/ كلهم يتكلم بحجته فيقول الرب لعنق من النار، ابرز، ويقول لهم: إني كنت أبعث إلى عبادي رسلاً من أنفسهم، وأنِّي رسولُ نفسي إليكم ادخلوا هذه فيقول: من كتب عليه الشقاء: يا رب أندخلها ومنها كنا نفر ومَن كتبت له السعادة يمضي فيقتحم فيها مسرعًا فيقول الله: أنتم لرسلي أشد تكذيبا ومعصية فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار»**[3].

---

(١) رواه أحمد عن الأسود بن سريع ٤/ ٢٤، والضياء في المختارة (١٤٥٤)، والبيهقي في الاعتقاد ص(٢٠٢)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (٤١)، والطبراني في «الكبير» (١/ ٢٦٤)، والبزار (٢١٧٤)كشف الأستار، وذكر الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٢١٦ أن رجال أحمد والبزار رجال الصحيح، والحديث صححه الألباني، الصحيحة (١٤٣٤).

(٢) صحيح أخرجه أحمد ٤/ ٢٤، وإسحاق بن راهويه (٤٢)، والضياء في «المختارة» (١٤٥٥)، والبزار (٢١٧٥)كشف الأستار. وهو صحيح.

(٣) رواه أبو يعلى (٤٢٢٤)، والبزار (٢١٧٧) كشف الأستار، وأورده الهيثمي =

وأخرج الطبراني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن النبي ﷺ نحوه وفيه: «**يقول الله: إني آمركم بأمر فتطيعون؟ فيقولون: نعم فيقول: ٱذهبوا فادخلوا النار ولو دخلوها ما ضرتهم**»[١] الحديث.

وأخرج البزار عن ثوبان أنَّ النَّبي ﷺ عظَّم شأن المسألة فقال: «**إذا كان يوم القيامة جاء أهلُ الجاهليةِ يحملون أوثانهم على ظهورهم فيسألهم ربُّهم فيقولون: ربنا لم ترسل لنا رسلاً، ولم يأتنا أمر ولو أرسلت إلينا رسولا لكنَّا أطوعَ عبادك فيقول لهم ربُّهم: أرأيتم إن أمرتكم بأمر تطيعونني فيه؟ فيقولون: نعم. فيأخذ على ذٰلك مواثيقهم فيقول: ٱعمدوا إليها فادخلوها فينطلقون حتى إذا رأوها فَرَقُوا، فرجعوا، فقالوا: ربنا فرقنا منها، ولا نستطيع أن ندخلها فيقول: ٱدخلوها داخرين**» فقال النبي ﷺ: «**لو دخلوها أوّل مرة كانت عليهم بردا وسلاما**»[٢] والأحاديث في هٰذا الباب كثيرة جدًا، وقيل: إنّ أهْلَ

= في «مجمع الزوائد» رقم (٧/ ٢١٦) وقال: رواه أبو يعلى والبزار بنحوه، وفيه: ليث بن أبي سليم، وهو مدلس، وبقية رجال أبي يعلى رجال الصحيح. والحديث صححه الألباني في «الصحيحة» (٢٤٦٨).

(١) رواه الطبراني في «الكبير» ٢٠/ ٨٣-٨٤، وفي «الأوسط» (٧٩٥٥)وأورده الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٢١٧ وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه: عمرو بن واقد، وهو متروك عند البخاري وغيره، ورمي بالكذب، وقال محمد بن المبارك الصوري: كان يتبع السلطان، وكان صدوقًا، وبقية رجال الكبير رجال الصحيح.

(٢) أخرجه البزار (٣٤٣٣)كما في «كشف الأستار».

الفترة ناجون إلا من بدل كعمرو بن لحي، وقيل: ناجون إلا من ورد أنه في النار كعمرو بن لحي وامرئ القيس، وقيل: إنهم هالكون؛ لأنَّهم مشركون، والجنة محرمة عليهم.

وقال جمع: أهل الفترة ناجون جميعًا إلا من وَرَدَ فيه حديث صحيح من أهل الفترة بأنّه في النار فإن أمكن تأويله فذاك، وإلا لزمنا أن نؤمن بهٰذا الفرد بخصوصه وإن لم يوافق ما مهده أئمتنا قال: لأن الأدلة الجزئية لا يقضى بها على الأدلة الكلية.

واستدل هٰؤلاء بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

قلت: وهٰذا الكلام لا يخفى زيفه(١) على مَن حكم الشريعة على آراء الرجال، ونبذها خلف ظهره، وتمسك بأقوال المصطفى ﷺ، وأفعاله، وعض /٨٢٧/ على سنته الغراء بالنواجذ وجعل شريعته المطهرة أصلاً وكل ما خطر بباله عرضه على ذٰلك الأصل فإن وافقه قَبِلَه وإن خالفته نفض يديه منه.

وأما من جعل ما انتحله شيخه ومتبوعه أصلاً(٢) وما ورد من

---

(١) ورد في هامش الأصل: قوله: زيفه: الزيف: العيب. وفي هَذَا الكلام ردٌّ لكلامِ القائل بأنَّ أهلَ الفترةِ ناجون ولو غيَّروا؛ إلا من صحَّ فيه أنه من أهل النار إلخ واقول: إن الانتصار للسنة المطهرة حقٌّ، ولكن ينبغي أن يكون بمراعاةِ الأدب مع أئمة الدين، فإنهم عَلَىَ هدىً من ربهم. عبد الله العدوة أهـ.

(٢) ورد في هامش الأصل: قوله: وأما من جعل ما انتحله شيخه ومتبوعه أصلاً.. إلخ فيه: أن هذه المقالة اختارها كثير من الأئمة الأعلام والجهابذة =

الأخبار النبوية قاسه على رأي متبوعه فهٰذا يرى ما لا يرى العبد المعترف بالعبودية الخاضع لأقوال رسول معبوده وسيده ومولاه المعترف بقصوره وعجزه عن إدراك الحكمة الربانية المسلِّم للكلمات الربانية والآثار النبوية.

فيالله العجب حيث ثبت ما تلوناه من الأخبار ونقلناه من الآثار عن المصطفى المختار ودوّنه الأخيار وقال به الأبرار ولم يدفعه عقل صحيح ولا نقل صريح فما وجه العدول عنه إلى القول بنجاة أهل الفترة.

= الكرام وعمدتهم في ذَلِكَ قوله تعالى: الآية ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] وقد جنح لهذه المقالة العلامة الشيخ مرعي في بهجته. فارجع إليه فإنه أجاد، واعلم أنه رحمه الله تعرّض لردّ ما نقله في البهجة عن العلامة المحقق ابن حجر الهيتمي في قوله: إن الأدلة الكلية ناصَّة عَلَىَ أنه لا تعذيب إلا بعد بلوغ البعثة إليهم، والعرب أهل الفترة لم يبعث إليهم نبيٌّ يدعوهم إلى الإيمان فكيف يعذَّبون؟! ويقتصر في التعذيب عَلَىَ من صحّ فيه كرأيت عَمْرو ابن لحي في النار، فإنه أول من سنّ للعرب عبادة الأصنام وشرّع الأحكام. فالأحاديث محمولة عَلَىَ من غيَّر وبدَّل. أهـ مختصرًا وملخصًا من مقالته رحمه الله. وقد أتى بما يُشمُّ منه رائحة الحطّ عَلَىَ علماء الحديث القائلين بظاهر الأحاديث ووصفهم بالجمود عَلَىَ ظاهر الأحاديث لغفلتهم عمَّا قرّره الأئمة الذين عليهم المعتمد في تحقيق العلوم النقلية. قَالَ في البهجة: قُلْتُ: فكلامه أعني ابن حجرٍ في غاية التحقيق لا ينبغي العدول عنه. أهـ كاتبه عبد الله العدوة.

وفي حديث أبي رزين[١] الذي ذكرناه سابقًا ما يناقض ما زعمه هٰؤلاء خبره وخبر ابن جدعان حيث سألت عائشة المصطفى عنه فقال: «**إنه في النار**» وهٰذا حاتم الطائي أكرم الجاهلية والذي يضرب بكرمه وبمكارم أخلاقه الأمثال ورد الحديث بأنه في النار وأيضًا فالأرض لم تخل من شرع وداعٍ إلى الله تعالى منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة.

فالذي نختاره ونذهب إليه الوقف بأنهم في الجنة أو في النار إلا ما ثبت عن المصطفى أنه في النار فإنه فيها ومن لا فنكل أمره إلى الله تعالى إن شاء رب العالمين ٱمتحنهم كما أخبر الصادق الذي لا ينطق عن الهوى فمن أسعده الله سعد ودخل النار فتكون عليه بردًا وسلامًا ثم يدخله الجنة ومن أبى دخل النار وخُلِّد فيها كما نطق به الحديث الصحيح هٰذا الذي ندين الله به ولا نظر لسفساف يتشدق ومتكلم يتونق.

---

(١) انظر حديث لقيط ص٩٦٠ وجزء منه في ص١١٧٢، ١١٧٣ (على تخليد أهل الفترة)، ويكفي في ذلك الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم (٢٨٦٥) قوله ﷺ «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب» وهذا المقت كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمنا الله وإياه لعدم هدايتهم بالرسل فرفع عنهم هذا المقت برسول الله ﷺ فبعثه الله رحمة للعالمين وحجة للسالكين وحجة على الخلائق أجمعين. اهـ.

نعم الوالدان السعيدان[١] نرجو الله أن يكونا ناجيين فائزين ببركة سيد[٢] الكونين والله يفعل ما يريد ويختار ما كان لهم الخيرة من أمره سبحانه والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

وأنا أعتذر إلى الله تعالى من سوء فهمي وقلة علمي وأستمد منه المعونة والعافية والتوفيق والهداية لأقوم طريق.

---

(١) ورد في هامش الأصل: قَالَ ابن حجر: الحقُّ الذي لا غبار عليه أنَّ أبوى النبي ﷺ ناجيان لا عقاب عليهما. اهـ عبد الله العدوة.

أقول: ليعلم كل مطلع على هذه الأحرف أن الحكم والقول بنجاة والديّ النبي ﷺ هو هدم لصريح قاعدة من قواعد الاعتقاد، وهي أن الإيمان هو الشرط الأول لدخول الجنة وغير ذلك، إنما هو تلبيس من الشيطان فمجرد النسبة العرقية لوالدي النبي ﷺ وأنها مفتاح الجنة: تقول على الله بغير علم وهدم لقاعدة الاعتقاد التي هي أصل من أصول الإسلام من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه.

(٢) البركة من الله عز وجل ولا تطلب من غيره وأيضاً البركة باتباعه ﷺ.



الخاتمة وفيها فصلان

الفصل الأول /٨٢٨/ في التوبة

وهي في اللغة: الرجوع يقال تاب وأناب وآب يعني رجع.

وهي في الشرع: الندم على ما مضى من الذنب والإقلاع في الحال والعزم على أن لا يعود في المستقبل تعظيمًا لله تعالى وحذرًا من أليم عقابه وسخطه، قاله في «المطلع»[(١)].

فالتوبة: هي الرجوع من الأوصاف المذمومة إلى الأوصاف المحمودة.

قال في «طهارة القلوب»: يقال لمن رجع عن المخالفات خوفًا من العذاب: تائب ولمن رجع حياء من الله تعالى: منيبٌ ولمن رجع تعظيمًا لجلاله سبحانه: أوَّاب وهو معنى قول عمر رضي الله عنه: نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه على فرض ثبوت هٰذا الأثر يعني أنه يترك المعاصي تعظيمًا لجلال الله ولو لم يتواعد الله عليها بعقوبة.

ويقال أول التوبة يقظة من الله تقع في القلب فيتذكر العبدُ تفريطه وإساءته وكثرة جنايته مع دوام نعم الله عليه فيعلم حينئذ أنَّ الذنوب سُمومٌ قاتلة يخاف منها حصول المكروه وفوات المحبوب في الدنيا والآخرة فإذا تيقَّن ذٰلك أثمرت حالته هٰذه الندمَ على ما فات ثم يثمر الندم عملاً صالحًا فيبادرُ إلى الخيرات وقضاء الواجبات ورد الظلامات والعزم على إصلاح ما هو آت فإذا ٱنتظمت هٰذه الأمور الثلاثة فلا جرم أنها التوبة.

---

(١) ص٤٢.

وأما قوله ﷺ: «**النّدم توبة**»[١] يعني معظم أركان التوبة الندم والبكاء الدائم.

وقيل: هي قود النفس إلى الطاعة بخطام الرغبة وردها عن المعصية بزمام الرهبة.

وقال ابن الجوزي في «**التبصرة**»: التوبة ندم يورث عزمًا وقصدا.

وعلامة الندم طول الحزن على ما فات وعلامة القصد والعزم التدارك لما هو آت فإن كان الماضي تفريطًا في عبادة قضاها أو مظلمة أدّاها أو خطيئة لا توجب غرامة حزن إذا تعاطاها.

قَالَ: ومن علامات التائب أن يغضب على نفسه كما غضب ماعز والغامدية وأسلماها إلى الهلاك.

وهٰذا مثال وإلا فالأولى الستر على نفسه وأن تضيق عليه الأرض كما ضاقت على كعب بن مالك وصاحبيه فيستولي عليه الحزن والبكاء فيشغله عن اللهو والضحك.

وقال الغزالي في «منهاج العابدين»: هي ترك ٱختيار ذنب سبق مثله عنه منزلةً لا صورةً تعظيمًا لله تعالى وحذرًا من سخطه.

ولها إذن أربع شرائط:

إحداها: ترك ٱختيار الذنب وهو أن يوطن قلبه ويجرد عزمه على أن لا يعود إلى الذنب البتة، فأما إن ترك الذنب وفي نفسه أنه ربما

---

(١) صحيح رواه أحمد ١/ ٣٧٦، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٣٣، والحميدي (١٠٥)، وابن أبي شيبة ٩/ ٣٦١، وابن ماجه (٤٢٥٢)، وأبو يعلى (٤٩٦٩)، وغيرهم من حديث ابن مسعود.

يعود إليه أو لا يعزم على ذٰلك بل يتردد فإنه ربما يقع له العود فإنه ممتنع عن الذنب غير تائب عنه.

الثانية: أن يتوب عن ذنب قد سبق منه مثله إذ لو لم يسبق منه مثله لكان متقيًا غير تائب، ألا ترى أنه يصح القول بأن النبي ﷺ متقيًا عن الكفر ولا يصح القول بأنه كان تائبًا عن الكفر إذ لم يسبق منه كفر بحال وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان تائبًا عن الكفر لما سبق منه ذٰلك.

والثالثة: أن الذي سبق يكون مثل ما يترك ٱختياره في المنزلة والدرجة لا في الصورة؛ ألا ترى أن الشيخ الهرم الفاني الذي سبق منه الزنا وقطعُ الطريق إذا أراد أن يتوب عن ذٰلك تمكنه التوبة لا محالة إذ لم يغلق عنه بابها ولا يمكنه ترك ٱختيار الزنا وقطع الطريق إذ هو لا يقدر الآن على فعل ذٰلك فلا يقدر على ترك ٱختياره فلا يصح وصفه بأنه تارك له ممتنع عنه وهو عاجز عنه غير متمكن لكنه يقدر على ما هو مثل الزنا وقطع الطريق في المنزلة والدرجة كالقذف والغيبة والنميمة إذ جميع ذٰلك معاصٍ.

وإن كان الإثم يتفاوت في حق الآدمي في كل واحدة بقدرها ولكن جميع هٰذه المعاصي الفرعية كلها بمنزلة واحدة وهي دون منزلة البدعة ومنزلة البدعة دون الكفر أي حيث لم تكن البدعة مكفرة فإن كانت مكفرة فهي ومنزلة الكفر واحدة.

وفهمنا من هٰذا أن المنازل ثلاثة منزلة المعاصي ومنزلة البدع ومنزلة الكفر.

ثم إن المعاصي تقسم إلى صغيرة وكبيرة فلك أن تسميها منزلتين.

والكبائر: منها الموبقات السبع وهي قتل النفس والزنا وأكل الربا والسحر والقذف وأكل أموال اليتامى والتولي يوم الزحف.

وفهم أيضًا من كلامه أن الهرم إنما صحت توبته عن الزنا وقطع الطريق لقدرته على ما هو مثل ذٰلك في المنزلة.

يرشدك على هٰذا تعليل قبول /٨٣٠/ توبته بذٰلك حيث قَالَ: فلذلك صحت منه أعني الهرم التوبة من الزنا وقطع الطريق وسائر ما مضى من الذنوب التي عجز عن أمثالها والله أعلم.

ثم عَنّ لي بحثٌ يرد على هٰذا التقرير وهو أن لو قدّرنا أن رجلاً ٱقترف هٰذه الذنوب من الزنا وقطع الطريق ونحو ذٰلك ثم إنه عجز عن إتيان مثلها صورةً وهو مصرٌّ على أن لو قدر على ذٰلك لفعله ثم إنه عمي وصم وبكم وأقعد بحيث لا يمكنه إتيان شيء من مثل هٰذه الذنوب لا صورةً ولا منزلةً وعنّ له أن يتوب مما كان ٱقترف فندم في نفسه وعزم على التوبة وتاب في خاطره فهل قائلٌ بعدم توبة هٰذا الرجل مع صحة عقله.

وقد يُجابُ بأن لا قائل بعدم صحة توبة مثل هٰذا ولكن لا نسلم أنه لا يقدر على إتيان مثل هٰذه الذنوب منزلةً فإنه يمكنه أن يخطر في باله خاطر سوء ويعزم عليه ويصمم والعزم والتصميم على المعصية معصية كما هو مقرر والله تعالى كما قبل توبته بخاطره فإذا أساء بخاطره وأخذه وهٰذا لم أر من نبّه عليه غير أنه ظاهر لذوي البصائر والله أعلم.

قال الغزالي: **والرابعة** أن يكون ترك ٱختيار ذٰلك تعظيمًا له

سبحانه وحذرًا من سخطه لا لرغبة دنيوية أو رهبة من الناس أو طلب ثناء وصيتٍ أو ضعف في النفس أو نحو ذٰلك فهٰذه شرائط التوبة.

وأما مقدماتها فثلاث

ذكر شدة العقوبة منه سبحانه والإعراض عن العبد ومقته.

الثانية: ذكر غاية قبح الذنب.

الثالثة: ذكر ضعفك وقلة حيلتك في ذٰلك فإن من لا يحتمل حر شمس ولا قرص نملة وضربة سوط لا يحتمل حرّ نار جهنم وضرب مقامع الزبانية ولسع حياتٍ كأعناق البخت وعقارب كالبغال خلقت من النار في دار الغضب والبوار عياذًا بك اللهم من سخطك فإذا ٱستحضر العبد هٰذه الحالة لم تحلُ له المعصية وتاب إلى ربه سبحانه.

فإذا علمت ذٰلك فالحق أن التوبة واجبة من الكبائر والصغائر أما الكبائر فبالإجماع وأما الصغائر فهو قول أصحابنا وغيرهم من الفقهاء والمتكلمين وغيرهم.

قاله الحافظ ابن رجب في كتابه: «شرح الأربعين النووية»(١) قد أمر الله بالتوبة عقب / ٨٣١/ ذكر الصغائر والكبائر فقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

---

(١) «جامع العلوم والحكم» ص٤٤٦ .

فأمر بالتوبة من الكبائر والصغائر فالنظر صغيرة ولا جرم أن الزنا كبيرة.

وذكر التوبة بعد ذٰلك بصيغة الأمر التي موضوعها الوجوب وأمر بالتوبة من الصغائر بخصوصها في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

وزعمت طائفة من المعتزلة عدم الوجوب من الصغائر.

وقالت طائفة من المتأخرين: يجب أحد أمرين: إما التوبة، أو الإتيان ببعض المكفرات للذنوب من الحسنات.

وحكى ابن عطية في «تفسيره»(١) قولين في تكفير الصغائر باجتناب الكبائر أحدهما: نعم. وحكاه عن بعض أصحاب الحديث والفقهاء وأنه يقطع بتكفيرها بذٰلك لظاهر الآية يعني قوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١].

وقيل: لا يقطع بذٰلك وحكاه عن الأصوليين بل يظن ذٰلك ولا يقطع به إذ لو قطع بتكفيرها لكانت في حكم المباح الذي لا تبعة فيه وذٰلك نقض لعُرى الشريعة.

قال الحافظ: قُلْتُ: قد يقال: لا يقطع بتكفيرها لأن أحاديث التكفير المطلقة بالأعمال جاءت مقيدة بتحسين العمل كما ورد ذٰلك

---

(١) «المحرر الوجيز» ص ٤٢٦ .

في الوضوء والصلاة وحينئذ فلا يتحقق وجود حسن العمل الذي يوجب التكفير والله الموفق.

والحاصل أن التوبة واجبةٌ من الكبائر والصغائر على الصحيح المعتمد ولا التفات لمن لم يوجبها من الصغائر والله سبحانه يتوب على من تاب بمنه وكرمه.

فصل

ونحن نتلو عليك طرفًا من الأخبار النبوية والآثار المرضية في التوبة إن شاء الله تعالى

أخرج مسلم والنسائي عن أبي موسى رضي الله عنه عنه ﷺ أنه قال: «**إن الله عزَّ وجل يبسط يده بالليل**[1] **ليتوب مسيئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**»[2].

---

(١) ورد في هامش الأصل: أي: فيه، يعني: يبسط يد الفضل والإنعام لا يد الجارحة لأنها من لوازم الأجسام. أهـ؛ أي يقبل توبة التائب ليلاً ونهارًا. أهـ.
أقول وبالله التوفيق ومنه نستمد العون والتسديد الصحيح في مذهب أهل السنة والجماعة إثبات ليد الله عز وجل على ما يليق بجلاله كما وصف بها نفسه وجاءت على لسان رسول الله ﷺ.

(٢) رواه أحمد ٤/ ٣٩٥، ٤٠٤، ومسلم (٢٧٥٩)، وابن منده في «الإيمان» (٧٧٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (١٢٩)، وعبد بن حميد (٥٦٢)، والطيالسي (٤٩٠)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٦٩٤).

وأخرج / ٨٣٢/ مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**مَن تاب مِن قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه**»(١).

وأخرج ابن ماجه بإسناد جيد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم**»(٢).

وأخرج الحاكم وصححه عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**مِن سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الإنابة**»(٣).

وأخرج الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**كلُّ ابن آدم(٤) خَطَّاء وخير الخطائين التوابون**»(٥).

---

(١) رواه أحمد ٢/ ٢٧٥، وعبد الرزاق في «التفسير» ١/ ٢١٢، والطبري في «التفسير» (١٤٢٢٥)، ومسلم (٢٧٠٣)، وابن حبان (٦٢٩)، وابن منده في «الإيمان»(١٠٢٤)، والبغوي في «شرح السنة» (١٢٩٩)، وفي «التفسير» ١/ ١٤٤.

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢٤٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٠٣).

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» ٧/ ٣٦٢.

(٤) ورد في هامش الأصل: أي: غالبهم. أهـ.

(٥) رواه أحمد ٣/ ١٩٨، وابن أبي شيبة ١٣/ ١٨٧، وعبد بن حميد (١١٩٧)، والترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، وأبو يعلى (٢٩٢٢)، وابن حبان في «المجروحين» ٢/ ١١١، والحاكم ٤/ ٢٤٤.

وقال الترمذي: هَذَا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعدة عن قتادة، وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبي بقوله: عليٌّ لين الحديث. وقد حسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٤٢٨).

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن عبدًا أصاب ذنبًا فقال يا رب إني أذنبت ذنبًا فاغفره لي فقال له ربه علم عبدي أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبًا آخر وربما قَالَ: ثم أذنب ذنبًا آخر فقال: يا رب إني أذنبت ذنبًا آخر فاغفر لي قَالَ: ربه علم عبدي أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبًا آخر وربما قَالَ: ثم أذنب ذنبًا آخر فقال: يا رب إني أذنبت ذنبًا فاغفره لي فقال ربه علم عبدي أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به فقال: ربه غفرت لعبدي فليعمل ما شاء**»[١].

قال الحافظ المنذري معناه والله أعلم: أنه ما دام كلما أذنب ذنبًا ٱستغفر وتاب منه ولم يعد إليه بدليل قوله ثم أصاب ذنبًا آخر فليفعل إذا كان هٰذا دأبه ما شاء لأنه كلما أذنب كانت توبته واستغفاره كفارة لذنبه فلا يضره لا أنه يذنب الذنب فيستغفر منه بلسانه من غير إقلاع ثم يعاوده فإن هٰذه توبة الكذابين ٱنتهى.

ولا يخفى أن الحافظ المنذري سكت عمن تاب من ذنب وأقلع عنه وعزم أن لا يعود إليه أبدًا ثم عاد إليه والحكم فيه كالذي عاد إلى

---

(١) رواه أحمد ٢/٢٩٦، ومسلم (٢٣٧٩)، وابن ماجه (٢١٥٠)، وابن حبان (٥١٤٢)

مثله[١] من القبول والغفران بلا ريب والله أعلم.

وأخرج الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه في صحيحه[٢] والحاكم وصححه عن أبي /٨٣٣/ هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**إن المؤمن إذا أذنب ذنبًا كانت نكتة سوداء في قلبه فإنْ تابَ، ونزع، واستغفر صقل منها، وإن زاد زادت حتى يغلق بها قلبه فذٰلك الران**[٣] **الذي ذكره الله في كتابه**: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾ [المطففين: ١٤]»[٤].

وأخرجَ ابن ماجه، والترمذي وحسنه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ الله يقبل توبةَ العبدِ ما لم**

---

(١) ورد في هامش الأصل: ولعل مراد الحافظ المنذري رحمه الله بقوله: عاد إلى مثله أي: مثل ذَلِكَ الذنب يعني: بأن زنا ثانيًا؛ لأن الزنا ثانيًا مثل الأول لا عينه، كما لا يخفى؛ بل هَذَا مراده بلا شبهة، وإنما دخل هَذَا عَلَىَ المؤلف من كلام الغزالي، حيث فسَّر المثل بالغير في حق الهرم الذي كان يزني، فإنه يرجع عن مثله من نحو الغيبة. تأمل. والله أعلم. من خط المؤلف عن نسخته.

(٢) كذا في الأصل ولعل المراد: في سننه.

(٣) ورد في هامش الأصل: قوله: فذلك الران.. إلخ لعله مصدر ران يرين رينًا، ورُيُونًا. والرين: الطبع والدنس والصدأ الحاصل للقلب بسبب المعاصي، كما ذكره في الصحاح.

(٤) رواه أحمد ٢/ ٢٩٧، والطبري في «تفسيره» (٣٦٦٢٣)، وابن ماجه (٤٢٤٤)، والترمذي (٣٣٣٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤١٨)، وإسناده قوي.

يغرغر»[١] أي: بمعجمتين الأولى مفتوحة، والثانية: مكسورة وراء مكررة معناه ما لم تبلغ روحه حلقومه فيكون بمنزلة الشيء الذي يتغرغر به ذكره المنذري وابن الأثير في «النهاية»[٢] وزاد: والغرغرة أنْ يجعل المشروب في الفم ويردد إلى أصل الحلق ولا يبلع أنتهى.

وفي حديث معاذ رضي الله عنه مرفوعًا: «**وما عملت من سوء فأحدث له توبة السِّرُّ بالسِّرِّ، والعلانية بالعلانية**»[٣] رواه الطبراني بإسناد حسن غير أنَّ عطاء وهو الراوي عن معاذ لم يدرك معاذا ورواه البيهقي وأدخل بينهما رجلاً لم يسمَّ.

وأخرج الأصبهاني عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا: «**إذا تابَ العبدُ مِنْ ذنوبه أنسى الله حفظته ذنوبه، وأنسى ذٰلك جوارحه، ومعالمه من الأرض حتَّى يلقى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب**»[٤].

---

(١) رواه أحمد ٢/ ١٣٢ عن عبد الله بن عمر، ورواه الترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، إلا أنه قَالَ: عبد الله بن عمرو، وهو وهم كما نبه عليه المزي في تحفة الأشراف ٥/ ٣٢٨، وكذا ساقه المصنف - رحمه الله -، ورواه الحاكم ٤/ ٢٥٧، وأبو نعيم في «الحلية» ٥/ ١٩٠، وابن حبان (٦٢٨)، والحديث حسن.

(٢) «النهاية» ٣/ ٣٦٠ .

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٣١)، وهناد في «الزهد» ٢/ ٣٤٨ (٩٥٦)، وابن أبي عاصم في «الزهد» ١/ ٢٦.

(٤) الترغيب والترهيب (١/ ٤٤١) ٧٧٨، ذكره في «الترغيب والترهيب» للمنذري ٤/ ٤٨.

وأخرجَ ابن ماجه والطبراني عن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**التائب من الذنب كمَنْ لا ذنب له**»[١]. قلتُ: أخرجه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات، وحسنه الحافظ ابن حجر بشواهده؛ لأن في سنده أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه ولم يسمع منه وله شواهد ضعيفة ورواه البيهقي في شعب الإيمان وزاد عن ابن عباس: «**والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه**»[٢]. وقال ﷺ: «**الندم توبة**»[٣] رواه ابن حبان في صحيحه عن أنس رضي الله عنه، ورواه الحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي الله عنه وقال [ابن الدَّيْبَع][٤] في كتابه «تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على الألسنة /٨٣٤/ من حديث»: رواه الطبراني في «الكبير» وأبو نعيم في «الحلية» من حديث أبي سعيد الأنصاري مرفوعًا، بزيادة: «والتائب مِنَ الذنب كمن لا ذنب لَهُ» وسنده ضعيف.

وأخرج الحاكم وصححه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٤٢٥٠)، وابن أبي الجعد في «مسنده» ١/٢٦٦، والطبراني في «الكبير» (١٠٢٨١).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٢)، والبيهقي في «سننه» ١٠/١٥٤، وأحمد في «مسنده» ١/٤٢٢.

(٣) حديث صحيح وسبق تخريجه في أول الفصل (التوبة). (١٤٤٢).

(٤) في الأصل الربيع. والحديث في كتابه ص٢٨٥ (١٥١٤)، ورواه الطبراني ٢٢/(٧٧٥)، وأبو نعيم في «الحلية» ٨/٢٥١ و٣١٢ و١٠/٣٩٨.

رسول الله ﷺ: «ما عَلِمَ الله مِنْ عبده ندامةً على ذنبٍ إلا غفر لهُ قبل أنْ يستغفر منه». واعترض تصحيحَ الحاكم الذهبي بقوله: هشام بن زياد ساقط.

وأخرج مسلم[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قَالَ: «وَالذي نفسي بيده لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم ولجاءَ بقومٍ يذنبونَ ويستغفِرونَ الله فيغفر لهم».

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَم أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنَ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لاَ فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَم أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟! أنْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ الله، فَاعْبُدِ الله مَعَهُمْ، وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ المَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ العَذَابِ فَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى الله. وَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ العَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ». وفي رواية: «فأوحى الله تعالى إلى

(١) برقم (٢٧٤٩).

هٰذه أن تباعدي، وإلى هٰذه أن تقربي، وقال: قيسوا بينهما، فوجده إلى هٰذه أقرب بشبر؛ فغفر له»[١]. وقال الحسن: ذكر لنا أنه لما أتى ملك الموت نأى بصدره نحوها.

قُلْتُ: وأخرج ابن الجوزي هٰذه الزيادة في المرفوع، قَالَ: «**فخرج فأدركه الموت فنأى بصدره نحو القرية، فوجد إلى القرية أقرب بشبر فغفر له**».

وأخرجَ الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لله أفرح**[٢] **بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله بأرض فلاة أي: وكان عليها طعامه وشرابه**»[٣] كما في رواية فيهما.

وأخرجا أيضًا عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لله أفرح بتوبة أحدكم من رجل خرج بأرض دَوِّية** - أي مفازة لا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦)مطولاً.

(٢) ورد في هامش الأصل: قوله: أفرح إلخ إطلاق الفرح في حق الله مجازٌ عن رضاه وبسط رحمته وإقباله عَلَىَ التائب. والمراد: أن التوبة تقع من الله في القبول ما يقع مثله فيما يوجب فرطَ الفرح بمن يُتصور في حقه ذَلِكَ، لأنه تعالى يحب من عباده أن يطيعوه ويفرحُ بتوبة عبده مع غناه عنها. أهـ ملخصًا. من المناوي. وعند السلف: هذا من المتشابه. فانظر تفسيره.
أقول: والصحيح إثبات ذلك علىٰ ما يليق بجلاله من غير تحريف ولا تشبيه ولا تمثيل كما أثبته لنفسه جل جلاله وأثبته له رسوله ﷺ. والله أعلم.

(٣) صحيح، رواه أحمد ٣/ ٢١٣، والبخاري (٦٣٩)، ومسلم (٢٧٤٧)، وابن حبان (٦١٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧١٠٥)، والبغوي (١٣٠٣)، والخطيب في «تاريخ بغداد» ١٢/ ٤٤٦، عن أنس بن مالك.

ماء بها - مهلكة معه راحلته عليها طعامة وشرابه وزاده وما يصلحه فأضلها فخرج في طلبها حتَّى إذا أدركه الموت ولم يجدها قال: أرجع إلى مكاني الذي أضللتها فيه فأموت فيه فأتى مكانه فغلبته عينه فاستيقظ فإذا راحلته عند رأسه عليها طعامه وشرابه وزاده وما يصلحه»[(١)] وأخرجاه بهٰذا المعنى من حديث أبي هريرة، وأخرجه مسلم من حديث النعمان بن بشير[(٢)].

وأخرج الطبراني بإسناد حسن عن أبي ذرّ رضي الله عنه مرفوعًا: «من أحسن فيما بقى غفر له ما مضى، ومن أساء فيما بقى أخذ بما مضى وما بقى»[(٣)].

وأخرج البزار، والطبراني واللفظ [لَهُ][(٤)] وإسناده جيد قويٌّ أنَّ رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: أرأيت مَن عَمِل الذنوبَ كلها ولم

---

(١) رواه أحمد ١/ ٣٨٣، والبخاري مرفوعًا وموقوفًا (٦٣٠٨)، والترمذي (٢٤٩٧، ٢٤٩٨)، والنسائي في «الكبرى» (٧٧٤١)، وأبو يعلى (٥١٠٠)، والبغوي (١٣٠٢)، عن عبد الله بن مسعود.

(٢) رواه أحمد٢/ ٣١٦، ومسلم(٢٧٤٣)، والترمذي(٣٥٣٨)، وابن ماجه (٤٢٤٧)، وأبو يعلى (٦٦٠٠)عن أبي هريرة، ورواه أحمد ٤/ ٢٧٣، ومسلم (٢٧٤٥)، والدارمي (٢٧٢٨)، والطيالسي (٧٩٤)، وفي الباب عن أبي سعيد، والبراء بن عازب، وأبي موسى.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٦٨٠٦)، وقال في «المجمع» ١٠/ ٣٣٤: رواه الطبراني في «الأوسط»، وإسناده حسن.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

يترك منها شيئًا وهو في ذٰلك لم يترك حاجة ولا داجة[١] إلا أتاها فهل لذٰلك من توبة؟ قال: «**فهل أسلمت؟**» قال: فأما أنا فأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وإنك رسول الله، قال: «**تفعل الخيرات، وتترك السيئات يجعلهن الله لك خيرات كلهن**» قال: وغدراتي، وفجراتي. قال: «**نعم**» قال: الله أكبر فما زال يكبر حتَّى توارى[٢]، قلت: وشاهده من كلام الله تعالى: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍۗ﴾ [الفرقان: ٧٠].

واعلم أنَّ هنا بحثًا عظيمًا وهو هل السيئات تُمحى بالتوبة النصوح لقوله ﷺ: «**وأتبعِ السّيّئةَ الحسنةَ تمحُها**» أو لا؟!، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة: ٨] ويكون المحو لمجرد الإثم والمؤاخذة؟

قولان مشهوران أصحّهما عندي أنّ المحوَ لمجرد المؤاخذة وأنَّه لا بدّ له من التوقيف عليها /٨٣٦/ يوم القيامة ليظهر له عظم منة الله عليه وأنه سبحانه يحول السيئة حسنة فيثيبه عليها هٰذا ما ظهرَ لي من زبدة بحث طويل فيه إجمال وتفصيل قد نبه عليه أجلاّء الفحول، وأثبتوا فيه الآثار والنقول والله أعلم بالصواب من ذٰلك لا رب سواه، ولا معبود إلا إياه.

---

(١) ورد في هامش الأصل: قوله: ولا داجة: أي ولا ظلمة. انتهى. قال ابن الأثير في النهاية: «ما تركت من حاجة ولا داجة إلا أتيت» هكذا جاء في رواية بالتشديد. قال الخطابي: الحاجة القاصدون البيت والداجة الراجعون، والمشهور بالتخفيف، وأراد بالحاجة الحاجة الصغيرة وبالداجة الجاجة الكبيرة. اهـ.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» ٧/ ٣١٤ (٧٢٣٥).

إذا عُلِمَ ذٰلك فعلى الحازم أنْ يبادرَ إلى التوبةِ ليحصل له التوفيق للطاعة فإنّ شؤم الذنوب فساد القلوب، والحرمان من مشاهدة آثار أسماء المحبوب، والخذلان لدى علام الغيوب فقيد الذنوب يمنع من النهوض إلى طاعةِ علام الغيوب وكيف يسعى إلى مولاه مَن أثقلته خطاياه؟ وكيف ينور قلبًا بذكره وهو مصرٌ على عصيانهِ، ووزره؟ وكيف يذوق حلاوةَ الطاعةِ منَ اتخذ معصية الله له بضاعة؟ أم كيف يدعى إلى الخدمة مَن هو مُصِرٌّ على الجفوة والصدمة؟ أم كيف يقرب للمناجاة مَن هو متلطخ بالأقذار حائد عن طرق النجاة؟

وفي الخبر: إذا كذبَ العبد تنحى عنه الملكان لنتن ما يخرج من فيه فإذا كان هٰذا حال الملكين المخلوقين وهما عبدان يتنحيان عن نتن لسان تضمخ بالكذب فكيف هٰذا اللسان يناجي الحنان المنان؟ فلا جرم لا يكاد يجد المُصِرُّ على العصيان توفيقًا، ولا تخف أركانه للعبادةِ، ولا يسلك لها طريقًا، وإن انتصب للعبادةِ فقدْ سُلِبَ حلاوتها، وصفو لذتها. ولقد أجد في نفسي أني إذا خالطت أرباب الولايات، أو أكلت مِن أموالهم ثقلاً وربَّما منعني من إتيان حزبي تلك الليلة فأعلم أنَّ سبب ذٰلك من ذٰلك فنسأل الله أنْ يمنَّ بتوفيقه إنَّه ولي التوفيق.

وكلّ معصية أصابت العبدَ فبشؤم الذنوب، وترك التوبة.

ولقد صدق مَنْ قال: إذا لم تقدرْ على قيامِ الليل، وصيام النهار فاعلم أنكَ مكبول وقد كبلتك خطيئتك.

واعلم أنَّ العبادةَ ربما رُدت، ولم تقبل ممن لم يتب فإنَّ رب الدين

لا يقبل الهدية وذٰلك أنَّ التوبة عن المعاصي، وإرضاء الخصوم فرض لازم، ونوافل العبادة تبرع والتبرع لا يقبل وعليك الدين قد حل، والوقت قد فات واضمحل وكيف تترك لأجله المباح وأنت مُصِرٌّ على فعل المحظور بالغدوّ والرواح؟! أم كيف تناجيه، وتثني عليه باللسانِ وهو سبحانه وتعالى عليك غضبان؟! وفي أثر: إني أذكر مَن ذكرني، وإذا ذكرني مَن هو مُصِرٌّ على معصيتي ذكرته باللعن أو معنى ذٰلك.

هٰذا وداعي الرحمن ينادي على رؤوس الأشهاد ويدعو أهل التّوفيق والسداد في كل عصر ومِصْرٍ لو كانوا يسمعون يعقلون ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥].

فعلى العاقل أنْ يداوي ما به من الدّاء العضال بالرجوع إلى حضرة ذي العزة والجلال، ويقرع بابَ التوبةِ، ويرجع عن الذنبِ والحوبة.

أوحى الله تعالى إلى داود: يا داود أنين المذنبين أحبُّ إليّ مِن صراخ العابدين[١].

وقيل لرابعة: إنِّي كثيرُ الذنوبِ فإنْ تبت هل يتوب الله عليّ؟ قالت: لا بل إن تاب عليك تبت[٢].

---

(١) «شعب الإيمان» ٥/ ٤٥٢ .

(٢) قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ .

وقال ابن معاذ رحمه الله تعالى: ذنب بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها نقله في «طهارة القلوب».

واعلم أنَّ الواجب على العبد أنْ يتوب، ويعزم على أن لا يعود عزمًا صادقًا فإنْ عاد فليتب فإنَّ الله يتوب عليه.

قال الغزالي في «منهاج العابدين» فيمن يقول إني أعلم من نفسي أني أعود إلى الذنب، ولا أثبت على التوبة فلا فائدة في ذٰلك: إنَّ هٰذا من غرور الشيطان ومن أين هٰذا العلم؟ فعسى أن تموت تائبًا قبل أنْ تعود إلى الذنب، وأمَّا الخوف من العود؛ فعليك العزم والصدق في ذٰلك، وعليه الإتمام فإن أتم فذاك وإلا فقد غُفِرَتْ ذنوبك السالفة كلها فتطهرت منها وليس عليك إلا هٰذا الحدث.

فلا يمنعك خوف العود عن التوبة فإنك من التَّوبةِ أبدا بين إحدى الحسنين والله ولي التوفيق والهداية.

واعلم أنَّ الذنوب ثلاثة أقسام: **تركك واجب** فعليك أن تقضيه أو ما أمكنك منه، أو **ذنب بينك وبينه تعالى** كشرب الخمرِ فتندم عليه وتوطن القلب على عدم العود إليه، أو **ذنب بينك وبين العباد** وهٰذا أشكل وأصعب وهو أقسام أما في المال، أو في العرض، أو في النفس، أو في الحرمة، أو في الدين فما كان في المالِ فعليك أنْ ترده عليه إنْ أمكن /٨٣٨/ أو الاستحلال منه فإن عجزت عَن ذٰلك لغيبة الرجل أو موته فتصدق به عنه إن أمكن إن لم يكن وارث فإنْ تعذر ذٰلك كله فعليك بتكثير حسناتك والتضرع لمولاك أن يرضيه عنك.

وأمَّا ما كان في النفسِ فمكنه من القصاص أو أولياءه فإمَّا أن يقتص أو يعفو فإنْ عجزتَ فالرجوع إلى الله سبحانه أن يرضيه عنكَ يومَ القيامةِ.

وأمَّا العرض فإن ٱغتبته أو شتمته فعليكَ أن تكذب نفسك بين يدي مَن فعلت ذٰلك عنده فإن كان ما قلتَ حقًا فعليك التوبة وأن تستحل من صاحبه إنْ أمكن وإلاَّ فارجعْ إلى الله تعالى واسأله أن يرضيه عنكَ واستغفر له كثيرًا وقل: اللهمَّ ٱغفر لنا وله فإنَّ ذٰلك كفارة الغيبة كما جاء عن حضرة الرسالة.

وأمَّا الحرمة بأنْ خنته في أهله أو ولده ونحوه فلا وجه للاستحلال؛ لأنه مثار الفتنة ومعترك المحنة فالرجوع إلى المولى في ذٰلك أن يرضيه عنك أحرى وأولى.

وزعم بعضُهم أنَّه يستحله إن أمن الفتنةَ.

وأمَّا في الدين بأن كفَّره أو بدَّعه ونحو ذٰلك وهٰذا أصعب الأمر وأكثر هٰذا الداء في أهلِ العلم فيحتاج إلى أنْ يُكذِّب الإنسان نفسَه عند مَن صدرَ منه ذٰلك عنهم والاستحلال من صاحبه إن أمكن وإلا فالابتهال لذي الجلال أن يرضيه عنك في المآل والله الموفق.

وجملة الأمر: فما أمكن من إرضاء الخصم عملت وما لا رجعتَ إلى الله بالتضرع والصدق إلى الله ليرضيه عنك فيكون ذٰلك في مشيئة الله تعالى إذا علم مِن عبده الصدقَ أرضى الخصم مِن خزائن فضله ومَن رضي عنه مولاه أرضى عنه خصومه وتولاه.

قال الإمام العلاَّمة ناصر السنة ابن الجوزي في «تبصرته»: أعلم أنَّ التوبة إذا صحت قبلت بلا شك إذا وقعت قبل نزول الموت ولو كانت عن أي ذنب كان.

واعلم أنَّ التوبة مِن أعظم الأمور أهتمامًا وقد ورد عن بعض العلماء العاملين أنَّه قال: دعوتُ الله سبحانه ثلاثين سنة أنْ يرزقني توبةً نصوحًا، ثم تعجبتُ في نفسي وقلت: سبحان الله حاجة دعوت الله فيها ثلاثين سنة فما قضيت إلى الآن، فرأيت فيما /٨٣٩/ يرى النائم كأنَّ قائلاً يقول لي: أتعجب مِن ذٰلك؟ أتدري ماذا تسأل الله تعالى؟ إنَّما تسأله سبحانه أن يحبك أمَا سمعتَ قولُ الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ولا ينبغي للعاقل أنْ يغفلَ عمَّا جرى لإبليس فإنه كان من المقربين فأصبح من الملعونين، وبلعام بن باعوراء كان مِنَ الأولياء الكبار، والمطلعين على دقائق الأسرار، وكان يحفظُ الأسمَ الأعظم فآل به الحال إلى قول ذي العزة والجلال: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف: ١٧٥] فكان أول أمرهما ذنبًا، وآخره كفرًا فهلكا مع الهالكين ومن أمثالهما خلق كثير وجمع غفير فعلى العبد المعترف بالعبودية الرجوع إلى مولاه، والإنابة إلى مَن يعلم سره ونجواه فهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويهدي من أراد به خيرًا إلى طرق رشاده.

قال بعضُ السلف: سواد القلب من الذنوب، وعلامة سواده

أن لا تجد مِن الذّنبِ مفزعًا، ولا للطاعةِ موقعا، ولا للموعظة منجعًا، ولا يحقر العاقل من الذنوب شيئًا فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

وقد قال بعض السلف: أذنبت ذنبًا وأنا أبكي عليه منذ أربعين سنة. قيل: ما هو؟ قال: زارني أخ لي في الله فاشتريت له سمكًا فأكل فقمت إلى حائط جاري فأخذت منه قطعة طين فغسل بها يده.

ورأيتُ في بعضِ الإسرائيليات أنَّ جبريل أو غيره أخبر أنَّ رجلين يومَ القيامةِ توزن حسناتهما وسيئاتهما فترجح حسنات أحدهما، وترجح سيئات الآخر فيقال: ٱنظروا هل بقي لهٰذا من خير قط؟ فيقال: إنه كان جزارًا وإنَّ فلانًا أعني: الذي رجحت حسناته طلعَ يومًا فوضع إصبعه على لحم له فحملت يده من الدسومة شيئًا فأُخذَ بمقدارِ تلك الدسومة من حسنات الذي رجحت حسناته، فطاشت حسناته، ورجحت سيئاته، ووضعت في كفة الذي رجحت سيئاته فطاشت سيئاته، ورجحت حسناته. أو ما هٰذا معناه.

فانظر، واعتبر وبادر بالرجوع عن الذنب، وسافر بالقلب إلى الرب، وانظر حالَ الأب الأعلى، وما جرى له مع أنَّه سبحانه خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأحله دار كرامته، فأخرجه من جنته بذنب واحد، ونزع عنه تاجَ كرامته، ثم ٱصطفاه ربّهُ فتاب عليه / ٨٤٠/ وهدى.

روي أنَّ الله قال له: يا آدم أي جار كنت لك؟ قال: نعم الجار

يا رب قال: يا آدم أخرجْ مِنْ جواري، وضعْ عن رأسِكَ تاجَ كرامتي فإنَّه لا يجاورُني مَن عصاني فبكى على ذنبه مائتي سنة، فقيل له: يا آدم أكلّ هٰذا البكاء على الجنة فيروي أنه قال:

شغفت بجار لا بدارٍ ألفتها على الجار أبكي لا بكائي على الدار

ويروى أنَّ هٰذا قاله بعد وفاته. رآه بعض الصالحين فعاتبه على كثرة البكاء مع تحقق الرجوع فأجابه به.

فهٰذا حاله مع صفوته مِن خلقه فكيف بمَن هو عن ذٰلك بمراحل وفي مهلكات الذنوب قائل فيالله العجب يرهبه المقربون، ولا يخافه المدحضون، يخاف على نفسه مَن يتوب، فكيف ترى حال من لا يتوب؟ فعليكَ بالتوبةِ والندم، والرجوع إلى معدن الحلم والكرم، واطرق هاتيك الأبواب، ومرغ الخدود على التراب، والزم الوقوف لدى باب الرحيم الرؤوف، ونادِ بقلب حزين: يا أرحم الراحمين عُبَيدك قد أتاك منتصلاً وقد دعاك متأملاً فلا ترده خائبًا يا أرحم الرحمين ببركة محمد[1] ﷺ آمين:

أنا عبدك الجاني وأنت المالك إن لم تسامحني فإنِّي هالك

يا مَن تدارك طول جهلي حلمه ذخري لحشري عفوك المتدارك

مولاي أسررت القبيح وظاهري حسن وأنت لحجب ستري هاتك

حسبي خسارا أن تراني مسرفا ويظن هٰذا الخلق أني ناسك

---

(١) السؤال ببركة النبي ﷺ أو بجاه هذا من التوسل الممنوع فينبغي أن يسأل ويقال نسأل الله: بحبنا لمحمد ﷺ أو نسأل الله أن تشفع فينا محمد ﷺ.

والحاصل أنك إذا برأت قلبكَ مِن الذنوب كلها، وعزمت على أن لا تعود إلى الذنب والحوب جزمًا صادقًا، وعزمًا فائقا، وأرضيت ما أمكن من الخصوم، وقضيت الفوائت، ورجعت فيما لا يمكن إلى الحي، القيوم فاذهبْ فاغتسل، واغسلْ ثيابك، وصلِّ أربع ركعات كما يجب وضع وجهك على التراب، ومرغ خدّ الذل على الأعتاب ويكون ذٰلك في مكان خال من سوى علام الغيوب فإنَّ علمَه محيطٌ بالكائنات، وعبده في عينه أين كان ثم ضع التراب على رأسك، ومرغ وجهك الذي هو أعز أعضائك بالتراب بدمعٍ /٨٤١/ جارٍ، وقلب حزين، وصوت عال ونداء خفي وتذكر ذنوبَك ذنبًا ذنبًا، وتلوم نفسك العاصية عليها وتوبخها وتقول:

أما تستحي يا نفس من مولاكِ تبًا لكِ فإلَى متى أنهاكِ
جاء النذيرُ ولم تتوبي فارجعي وتيقني أنَّ الرحيم يراكِ
حتَّى متى هٰذا التمادي في الهوى توبي عسى مَوْلي الورى يرضاك

أما آن لكِ أنْ تتوبي، وترجعي، ألكِ طاقة بعذاب الله؟ ألك حاجة بسخط الله؟ تكثر من نحو هٰذا مع الدمع المسفوح، والقلب المجروح، ثم ترفع رأسك ويديك إلى أرحم الراحمين، وتقول إلهي عبدك الآبق رجع إلى بابك، عبدك العاصي رجع إلى الصلح، ووضع خده على أعتابك، عبدك المذنب أتاكَ بالعذرِ فاعف عني بجودك وكرمكَ وَمنِّكَ، وتقبلني بفضلِكَ، وانظرْ إليَّ برحمتك اللهم اغفر لي عظائم الأمور يا منتهى همة المهمومين، يا مَن إذا أراد شيئًا إنَّما يقول له: كن

فيكون. أحاطت بنا ذنوبنا فأنت المذخور لها يا مذخور لكلِ شدة كنت أذخرك لهٰذه الساعة فتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم. ثم أكثر مِنَ البكاء والتذلل، وقل: يا مَن لا يشغله سماعي عن سمع، يا مَن لا تغلطه المسائل، يا من لا يبرمه إلحاح الملحين أذقني برد عفوك، وحلاوة مغفرتك إنكَ على كلِّ شيء قدير. ثم صلّ على النبي ﷺ، واستغفر لجميع المؤمنين، والمؤمنات، وارجع إلى طاعةِ الله جلّ جلاله فتكون قد تبت توبةً نصوحًا وقد خرجت من الذنوب طاهرًا كيوم ولدتك أمك وأحبّك الله عزَّ وجل، ولك من الأجر والثواب، وعليك من البركة ما لا يحيط به وصف الواصفين، وقد حصل الأمنُ والخلاص، ونجوتَ مِن غصةِ المعاصي وبليتها في الدُّنيا والآخرة والله سبحانه وتعالى الموفق لكلِّ خير، والموقي لكل ضير لا ربّ غيره ولا يرجى إلا خيره.



الفصل الثاني: في المحبة

لَمَّا ذكرنا التوبةَ، وشرحنا لكَ معانيها وشروطها والآثار الحاثة على الرغبة فيها أعقبناها بهٰذا الفصل العظيم لكونه مترتبًا عليها وناشئًا عنها لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] وفيه مقاصد:

المقصد الأول: في لزوم المحبة له سبحانه وتعالى /٨٤٢/ قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾(١) [المائدة: ٥٤] الآية.

قال الإمام الحافظ ابن رجب في كتابه «ٱستنشاق نسيم الإنس(٢) من نفحات رياض القدس» عن أبي عبد الله محمد بن خفيف الصوفي سألنا أبو العباس بن سريج بشيراز فقال لنا: محبة الله فرض أو غير فرض قلنا فرض قال: ما الدلالة على فرضها فما منا من أتى بشيء

---

(١) ورد في هامش الأصل: قوله تعالى: يحبهم ويحبونه: محبة الله للعباد: إرادة الله الهدى والتوفيق لهم في الدنيا، وحسن الثواب في الآخرة. ومحبة العباد له: تمام إرادة طاعته والتحرز عن معاصيه. أهـ. أقول وبالله التوفيق ومنه استمد العون والتسديد الصحيح إثبات محبة الله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته فهو أعلم بنفسه حيث أثبتها لنفسه في كتابه ورسوله هو المخبر عن ربه جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة الصريحة فنثبتها إثباتاً يليق به من غير تحريف أو تأويل أو تشبيه أو تعطيل.

(٢) ٢٧ ـ وفي المطبوع. شريح وأشار إلى أن سريح.

يقبل فرجعنا إليه وسألناه الدليل على محبة المولى الجليل فقال قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ﴾ الآية [التوبة: ٢٤] فتوعدهم الله عزَّ وجل على تفضيل محبتهم لغيره على محبته ومحبة رسوله والوعيد لا يقع إلا على فرض لازم وحتم واجب.

وفي الصحيحين عن أنس مرفوعًا: «**أن محبة الله تمنعه من أن يعصيه**» وقال عمر: نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه، ذكره أبو عبيد في «غريبه»(١).

وقال الحسن: ابن آدم أحب الله يحبك الله واعلم أنك لن تحب الله حتى تحب طاعته.

وقال رجل لرابعة: إني أحبك في الله قالت: فلا تبغض الذي أحببتني له، وسئل ذو النون متى أحب ربي، قال: إذا كان ما يبغضه عندك أمر من الصبر، وقال النهرجوري: كل من ادعى محبة الله عزَّ وجل ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطلة وكل محب ليس يخاف الله فهو مغرور.

وقال يحيى بن معاذ: ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده.

وقال رويم: المحبة الموافقة في جميع الأحوال وأنشد:

ولو قيل لي: مُتْ مِتُّ سمعًا وطاعةً   وقلت لداعي الموت أهلاً ومرحبا(٢)

---

(١) «غريب الحديث» ٢/ ١٠٧ .

(٢) ورد في هامش الأصل: وهَذَا بياض هاهنا ستة أسطر في نسخة المؤلف بخطه كما ترى. لعل المصنف بدا لَهُ إلحاق شيء من الشعر المناسب للحال فلم تساعده الأقدار، ولا ينبغي الآن ترك بياض لفوات ذَلِكَ بموت المصنف رحمه الله.

/٨٤٣/ وخرج الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أعطى لله ومنع لله وأبغض لله وأحب لله فقد ٱستكمل إيمانه**»[١] وخرجه الإمام أحمد وزاد فيه «**وأنكح لله**».

وسئل ﷺ عن أفضل الإيمان فقال: «**أن تحب لله وتبغض لله وتعمل لسانك في ذكر الله**»[٢].

والمحبة الصادقة الصحيحة تمنع من الإصرار على الذنوب وعدم الٱستحياء من علام الغيوب ولذا قيل:

تعصي الإله وأنت تزعم حُبَّه   هٰذا لعمرك في القياس شنيع
لو كان حبك صادقًا لأطعته   إن المحبّ لمن يحبُّ مطيع

واعلم أن من أعظم المطالب وأهمها سؤال الله تعالى المحبة على أكمل الوجوه وأتمها وفي دعائه ﷺ: «**وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك**» خرجه الإمام أحمد والترمذي وصححه والحاكم وقال صحيح الإسناد[٣].

وفي بعض الروايات: «**وحبَّ عمل يبلغني حبك**» وفي دعاء داود عليه السلام «**اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي**

(١) حديث حسن، رواه أحمد ٣/ ٤٣٨، والترمذي (٢٥٢١)، وأبو يعلى (١٤٨٥، ١٥٠٠)، والحاكم ٢/ ١٦٤.

(٢) أخرجه أحمد ٥/ ٢٤٧، والطبراني في «الكبير» ٢٠/ ١٩١، والبيهقي في «شعب الإيمان» ١/ ٤١٥.

(٣) «الترمذي» ٣٤٩٠، كتاب: الدعوات، باب: ما جاء في عقد التسبيح باليد، و«أحمد» ٥/ ٢٤٣، و«المستدرك» ١/ ٥٢١، وقال الألباني: ضعيف، قال أبو عيسى الترمذي: حسن غريب.

يبلغني حبك اللهم اْجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد»(١) رواه الترمذي وقال حسن غريب.

وفي دعاء نبينا ﷺ: **«اللهم اْرزقني حبَّك وحبَّ من ينفعني حبُّه عندك اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب اللهم وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغًا لي مما تحب»**(٢) رواه الترمذي وقال حسن غريب.

وذكر الحافظ ابن رجب: الله تَعَالَى أَرْسَلَ إلى سليمان بن داود عليهما السلام بعد موت أبيه ملكًا من الملائكة فقال له الملك: إنّ ربي عزَّ وجل أرسلني إليك لتسأله حاجة قال سليمان: فإني أسأل ربي أن يجعل قلبي يحبه كما كان قلب أبي داود يحبه وأسأل الله أن يجعل قلبي يخشاه كما كان قلب أبي داود يخشاه فقال الرب تبارك وتعالى أرسلت إلى عبدي ليسألني حاجة فكانت حاجته إلي أن أجعل قلبه يحبني وأجعل قلبه يخشاني وعزتي لأكرمنه فوهب له مُلكًا لا ينبغي لأحد من بعده ثم قال: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾(٣) [ص: ٣٩، ٤٠]

وكان الحسن رحمه الله / ٨٤٤/ تعالى يقول: اللهم اْملأ قلوبنا إيمانًا بك ومعرفةً بك ومعرفة لك وتصديقًا لك وحبّاً لك وشوقًا إلى لقائك.

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٩٠)وقال: هَذَا حديث حسن غريب.

(٢) رواه الترمذي (٣٤٩١)وقال: هَذَا حديث حسن غريب.

(٣) انظر الدر المنثور على تفسير هذه الآية.

وعن الحسن بن الحسين بن علي عليهم السلام أنه كان يقول في دعائه: اللهم ٱرزقني محبةً لك تقطع بها عني محبّات الدنيا ولذاتها وارزقني محبة لك تجمع لي بها خير الآخرة ونعيمها، اللهم محبتُك آثرُ الأشياء عندي وأقرّها لعيني واجعلني أحبك حب الراغبين في محبتك حبًا لا يخالطه حبٌّ هو أعلا منه في صدري ولا أكبر منه في نفسي حتَّى يشتغل قلبي به عن السرور بغيره حتَّى تكمل لي به عندك الثواب غدًا في أعلا منازل المحبين لك يا كريم.

وكان الحسن هٰذا من خيار أهل البيت وكان يدعو بهذا الدعاء آخر كلامه ويبكي.

واعلم أنه لا يتصور حبّ إلا بعد معرفة بإدراك، وكل ما في إدراكه لذة فهو محبوب؛ لأن في الطبع ميلا إليه.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**حُبِّبَ إِلَيَّ من دنياكم الطيب**[١] **والنّساء**[٢] **وجعلت قُرّة عيني في الصلاة**»[٣] فجعل الصلاة أبلغ المحبوبات.

---

(١) ورد في هامش الأصل: لأنه حظ الملائكة ولا غرض لهم في شيء من الدنيا سواه أهـ.

(٢) ورد في هامش الأصل: قوله: النساء: أي: لنقل ما بطن من الشريعة أهـ.

(٣) رواه أحمد ٣/ ١٢٨، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٣٢٢، ٣٢٣)، وأبو يعلى (٣٤٨٢)، والطبراني في «الأوسط» (٥١٩٩)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» (٢٣١، ٧٢٧)، والحاكم ٢/ ١٦٠، والحديث حسن.

قال ابن الجوزي: ومن المعلوم ليس تحظى[١] بها الحواس بل حس سادس مظنته القلب وهٰذه الحاسة تدرك بالخمس وبها يتميز الآدمي عن البهيمة.

فجمالُ المعاني المدركة بالعقل والبصيرة أعظم من جمال الصورة الظاهرة للأبصار فتكون لذة القلوب بما تدركه من الأمور الشريفة التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ فيكون مثال العقل الصحيح أقوى فلا ينكر حُبَّ الله إلا من جاوز إدراك الحواس.

ومن المعلوم أن الإنسان يحب نفسه ودوام وجودها ويحب المال لأنه سبب بقائه ويحب ولده لأنه جزء منه ويحب أهله ومن أحسن إليه وليس كل جمال يدركه الحس فإن القلب أشد إدراكًا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور المدركة بالأبصار فإنّ من أحب أبا بكر وعليًا شاهد جمالهما وكمالهما في معانيه بعين علمه لا ببصره وكذلك من أبغض إبليس وأبا جهلٍ فبمشاهدة البصائر مقابحهما لا صورهما وهٰذه البصيرة هي نور / ٨٤٥/ العقل التام المعبر بها عند القوم بالذوق فجل المعاني العظيمة إنما تدرك بالذوق لا بالحواس.

---

(١) ورد في هامش الأصل: قوله: ليس تحظى بها: الظاهر أن الضمير يرجع إلى الصلاة يعني: أن قرة عين المصلِّي لا تدرك بالحواس الظاهرة. إذ هي لذة القلب وفرحه. وهي أعظم من لذة النساء والطيب وسائر الملاذ المدركة بالحواس. أهـ

فالصبي يستلذ اللعب فإذا ترعرع رأى لذة الزينة وركوب الخيل فاحتقر ما كان فيه من اللعب، فإذا بلغ طلب النكاح فاحتقر ما كان فيه قبله، فإذا رأى الرئاسة والعلو وكثرة المال قدَّمه على ذٰلك فإن كان قلبه نيِّرًا قدَّم حب العلوم على الكل؛ لأن لذة العلم تدرك بالذوق والعقل فتزيد على اللذات الحسية.

فعلى هٰذا لا محبوب على الحقيقة للعقول النيرة إلا الله عزَّ وجل؛ لأن الحب ميل النفس إلى الشيء الموافق والكمال والجمال والإحسان موافق

والله عزَّ وجل منفرد بذٰلك فإنه تام القدرة كامل الصنعة ظاهر الحكمة خالق النفس، وبه قوامها وتكميلها فمن أحب نفسه وجب عليه حب من أفاده الوجود وأدامه له وهيأ له أسبابه، وأحسن إليه وحب المحسن يقع اضطرارًا.

قال عليه السلام: «**أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة**» فمن لاحظ جمال العزة وكمال العظمة وجزيل الفضل، أحب ضرورة وهٰذه المحبة لا تحصل إلا بعد المعرفة.

وقولنا: الحب ميل النفس إلى الشيء الموافق هو أحد الأقوال في تعريف المحبة.

وقيل: هي الميل الدائم بالقلب الهائم.

وقيل: قيامك لمحبوبك بكل ما يحبه منك.

وقيل: ذكر المحبوب عدد الأنفاس.

كما قيل:

يـراد مـن الـقـلـب نـسيانـكـم وتـأبى الـطـبـاع عـلى الـنـاقـل

وقيل: مصاحبة المحبوب على الدوام كما قيل في ذٰلك:

ومـن عـجـبي أني أحـن إليهـم واسأل عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

وقيل: حضور المحبوب عند المحب دائمًا، وأن يكون القلب في تطلب الوصل هائمًا كما قيل:

ومـن عـجـبي أني أحـن إليكـم ولم يخل طرفي من سناكم ولا قلبي
وأطلب قربًا من حماكم وأنتم إلى ناظري والقلب في غاية القربِ

وقيل: هي سكون بلا أضطراب واضطراب بلا سكون، فيضطرب القلب فلا /٨٤٦/ يسكن إلاَّ إلى محبوبه ويضطرب شوقًا إليه ويسكن عنده.

وهٰذا معنى قول: من قال: هي حركة القلب على الدوام إلى المحبوب وسكونه عنده.

وفي أشتقاقها أقوال: قيل: من حبة القلب وهي سويداه فسميت بها لوصولها إلى حبة القلب.

وقيل: مشتقة من اللزوم والثبات ومنه أحب البعير إذا برك فلم يقم.

وقيل: من حَباب الماء بفتح الحاء المهملة أي: معظمه، أو ما يعلو عند المطر الشديد.

فعلى هٰذا: المحبة غليان القلب وثورانه عند الآهتياج إلى لقاء المحبوب.

وقيل: من الحَبِّ وهو جمع حبة أعني: لباب الشيء وخالصه وأصله فإن الحَبَّ أصل النبات والشجر.

وقيل: من حِب الماء الذي يوضع فيه؛ لأنه يمسك ما فيه من الماء ولا يسع غيره إذا آمتلأ، وكذلك قلب المحب إذا آمتلأ من الحب فلا آتساع فيه لغير المحبوب والحب بالكسر الزير.

وقيل: مشتقة من الصفاء؛ لأنّ العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها حبب الأسنان.

وقيل غير ذٰلك، وسئل الجنيد رحمه الله عن المحبة لله فقال: عبدٌ ذهب عن نفسه واتصل بذكر ربه، وقام بأداء حقوقه ونظر إليه بقلبه، فإن تكلم فبالله وإن سكت فمع الله.

وقال بعضهم: الحب كامن في الفؤاد كالنار في الزناد إن قدحته أورى، وإن تركته توارى فهو ألطف من أن تدركه عبارة وأدق من أن تتناوله إشارة، يستدل عليه بآثاره ويعرف وجوده بأنواره.

وكلامهم في هٰذا الباب كثير جدًا، والظاهر أن كل محب أخبر بحسب ما أدرك من حاله ولذيذ وصاله، فكل محب عبر عن حاله وبلباله بحسب ما أمكنه وإلا فالحب إنما يدرك بمجرد الذوق؛ إذ هو لا يدرك بالحواس الخمس كما أسلفنا بل بالذوق الصحيح والله تعالى أعلم.

واعلم أن من الأسباب المستجلبة لمحبة رب الأرباب معرفة نعمه الوافرة ومننه السافرة.

وقد جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها، وهذا مرويٌّ عن ابن مسعود رضي الله عنه ولذا قال بعضهم: إذا كانت القلوب جبلت على حبّ من أحسن إليها فواعجبًا لمن لا يرى محسنًا غير الله كيف لا يميل بكليته إليه.

وقال بعضهم: ذكر النعم يورث الحبّ لله /٨٤٧/ عزَّ وجل.

وقال الفضيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: أحبني وأحب من يحبني وحببني إلى خلقي، قال يا رب: هذا حبك وأحب من يحبك فكيف أحببك إلى عبادك؟ قال: تذكرني ولا تذكر مني إلا حسنًا[1].

وعن كعب: أوحى الله إلى موسى عليه السلام يا موسى: أتحب أن أحبك وملائكتي والجن والإنس؟ قال: نعم يا رب، قال: حببني إلى خلقي، قال: كيف أحببك إلى عبادك؟ قال: ذكّرهم آلائي ونعمائي فإنهم لا يذكرون مني إلا كل حسنة[2].

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: التفكر في نعم الله أفضل عبادة.

وكلام الإمام أحمد يدل على هذا وكان أكثر عمل أبي الدرداء

---

(١) علق الحافظ العراقي على ذلك بقوله: هذا الخبر لم أجد له أصلاً وكأنه من الإسرائيليات، انظر إحياء علوم الدين (٤/ ١٤٢) استنشاق نسيم الأنس (٤٥).

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» ٦/ ٣٢ .

رضي الله عنه الأعتبار[١].

وقال رضي الله عنه: تفكر ساعة خير من قيام ليلة[٢]، وقال الحسن: الفكرة مرات تريك حسناتك وسيئاتك، وأفضل العبادة التفكر والورع، ومن لم يكن كلامه حِكَمًا فهو لغو، ومن لم يكن سكوته تفكرًا فهو سهو، ومن لم يكن نظره أعتبارًا فهو لهو.

قال الإمام ابن الجوزي طيَّب الله ثراه: ومازال أهل العلم يعودون بالتفكر على التذكر، وبالتذكر على التفكر، ويناطقون القلوب فإذا لها أسماع وأبصار فنطقت بالحكمة وضربت الأمثال وأورثت العلم.

وقال سفيان بن عيينة: الفكرة نور تدخله القلب[٣].

وكان رحمه الله تعالى ينشد:

إذا المرء كانت له فكرة ... ففي كل شيء له عبرة

واعلم أنه كلما قويت معرفة العبد بالله، قويت محبته لطاعته وحصلت له لذة العبادات من الذكر وغيره على قدر ذٰلك.

وقد أخرج ابن أبي الدنيا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخبرني أهل الكتاب أن هٰذه الأمة تحب الذكر كما تحب الحمامةُ

---

(١) «الحلية» ١/ ٢٠٨ .

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» ١/ ٣٣٢ (٩٤٩)، وقال ابن صاعد: تفرد به ابن المبارك، غريب الإسناد صحيح.

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية» ٧/ ٣٠٦ .

وَكُرَهًا ولهم أسرعُ إلى ذكر الله من الإبل إلى وردها.

وقال مالك ابن دينار: ما تلذَّذَ المتلذذون بمثل ذكر الله عزَّ وجل[1].

وقال مسلم أبو عبد الله: ما تلذذ [المتلذذون] بشيء في صدورهم ألذّ من حب الله عزَّ وجل، ومحبة أهل ذكره[2].

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: أعلى الدرجات أن يكون عندك ذكر الله أحلى من العسل، وأشهى من الماء العذب الصافي عند العطشان في اليوم الصائف.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة /٨٤٨/ رضي الله عنه مرفوعًا: **«إنّ لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله عزَّ وجل تنادوا هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء، قال: فسألهم ربهم وهو أعلم بهم ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، فيقول هل رأوني؟ فيقولون: لا ما رأوك؟ قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا لك أشد عبادةً وأشد لك تمجيدًا وتحميدًا وأكثر لك تسبيحًا»**[3] الحديث.

---

(١) رواه البيهقي في «الشعب» ١/ ٤٥٦ (٧٠٤).

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» ٢/ ٢٩٤ . في استنشاق نسيم الأنس ص٥٠ (المتقون).

(٣) أخرجه أحمد ٢/ ٢٥١، والبخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩)، والترمذي (٣٦٠٠)، وقال: حسن صحيح.

قال الحافظ ابن رجب في كتابه «ٱستنشاق نسيم الأُنس»: وإذا كان مخلوق يقول في مخلوق:

وكنت أرى أن قد تناهى بي الهوى   إلى غـايـة مـا فـوقـهـا لي مـطـلـب
فـلـمـا تـلاقـيـنـا وعـايـنـت حـسـنـهـا   [عـلـمـت يـقـيـنـا أنـي][1] كـنـت ألـعـب

فكيف بالخالق جل ذكره الملك الحق العظيم، الذي لا يقدر حق قدره أحد، ولا يحيط خلقُه به علمًا ولا يحصون ثناءً عليه بل هو كما أثنى على نفسه ولا يبلغ الواصفون صفته.

ومن الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى معاملته بالصدق والإخلاص ومخالفة الهوى؛ فإن ذٰلك سبب لتفضل الله على عبده وأن يمنحه محبته.

قال فتح الموصلي: من أدام النظر بقلبه ورثه ذٰلك الفرح بالمحبوب، ومن أثره على هواه أورثه ذٰلك حبه إياه، ومن ٱشتاق إليه وزهد فيما سواه، ورعى حقه، وخافه بالغيب، ورثه ذٰلك النظر إلى وجهه الكريم[2].

ويذكر عن سُري السقطي رحمه الله: أنه كان له دكان فاحترق السوق الذي كان فيه الدكان ولم يحترق دكانه، فأخبر بذٰلك فقال: الحمد لله ثم تفكر في ذٰلك، فرأى أنه سُرَّ بعطب الناس وسلامته، فتصدق بما في دكانه فشكر الله له ذٰلك ورقّاه إلى درجة المحبين وسُئل مرّةً عن حاله فأنشد:

---

(١) في استنشاق نسيم الأنس ٥٣ «تيقنت أني إنما».

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» ٨/ ٢٩٣ .

من لم يبت والحب حشو فؤادِهِ   لم يدر كيف تفتت الأكباد[١]

وبلغ من أمره أنه لما مرض رفع ماؤه إلى الطبيب فلما رآه الطبيب قال: هٰذا عاشق فصعق حامل الماء وغشي عليه.

وقال ذو النون: من شغل /٨٤٩/ قلبه ولسانه بالذكر، قذف الله في قلبه نور الاشتياق إليه[٢].

قال الحسن: من عرف الله أحبه، وإذا تمكنت المعرفة أوجبت المحبة وأخرجت كل محبوب سواه من القلب، ومتى تمت المحبة نمت فظهر على الأبدان آثارها كما يظهر على الأرض أزهارها. والله أعلم.

وفي الباب أخبار كثيرة جدًا وإنما نشير إلى بعض الأصول فافهم معانيها تصُلْ وتهيأ للوصول.

المقصد الثاني: في علامات المحبة الصادقة والتذاذ المحبين بها.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وقال: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

فوصف سبحانه أهل المحبة بخمسة أوصاف.

أحدها: أنهم أذلة على المؤمنين، والمراد لين الجانب وخفض

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» ١٠/ ١١٩، ٣١٥، والبيهقي في «الشعب» ١/ ٣٨٥ (٤٨٩).

(٢) «حلية الأولياء» ٩/ ٣٧٩، والبيهقي في «الشعب» ١/ ٥١٣ (٨٨٥).

الجناح والرأفة والرحمة للمؤمنين كما قال لرسوله: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢١٥﴾ [الشعراء: ٢١٥] ووصف أصحابه رضي الله عنهم بمثل ذٰلك في سورة الفتح في قوله: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح: ٢٩].

وهٰذا يرجع إلى أن المحبين له سبحانه يحبون أحباءه ويعودون عليهم بالرأفة والعطف والرحمة بهم واللطف.

الثاني: العزة على الكافرين، والمراد: الشدة والغلظة عليهم كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التحريم: ٩] وهو يرجع إلى أن المحبين له يبغضون أعداءه، وذٰلك من لوازم المحبة الصادقة، فقد أجرى الله العادة بأن محب المحبوب محبوب، وعدوّه عدوّ، ومحبّ العدوّ عدوّ ومبغضه محبوب.

كما قال بعضهم:

إذا صافى صديقك من تعادي فقد عاداك وانفصل الكلام

والثالث: الجهاد في سبيله سبحانه وهو مجاهدة أعدائه باليد واللسان، وهو من تمام معاداة أعداء المحبوب.

والرابع: أنهم لا يخافون لومة لائم.

والمراد: أنهم يجتهدون فيما يرضي المحبوب من الأعمال، ولا يتبرمون بلوم من لام في ذٰلك رضي من رضي أو غضب من غضب؛ إذ مطلوب المحب رضى /٨٥٠/ المحبوب وهٰذا من علامات المحبة الصادقة؛ بأن يشتغل المحب بما يرضي حبيبه ومولاه ولا ينظر إلى من سخط سواه.

ولذا قيل من شرب من كأس المحبة وقف مع مراد محبه، ولقد أحسن من قال:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيذة حياء لذكرك فليلمني اللُّوَّمُ

والخامس: متابعة الرسول ﷺ وهو طاعته وامتثال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه، والوقوف عند هديه من غير تحريف ولا إلحاد.

قال الحسن: كان ناس على عهد رسول الله ﷺ يقولون: يا رسول الله إنا نحبّ ربنا حبًّا شديدًا فأحب الله أن يجعل لحبه علما فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾[1] [آل عمران: ٣١] الآية.

والحاصل أنه لا يوصل إلى الله تعالى إلا من طريق رسوله محمد ﷺ باتباعه وطاعته، كما قال الجنيد قدس الله روحه: الطرق إلى الله مسدودة إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ[2]، ومن ثَمَّ قال شيخ الإسلام قدَّس الله روحه: من زعم أنه يصل إلى الله من غير طريق الرسول، أو أنه لا يحتاج إلى هديه، أو أن من عرف الله لا يلزمه اقتفاء أثره فقد كفر.

ولقد وقفت على كلام أناس ممن زعم أنه عرف الله، وأنه من أهل الحقيقة لا يشبه كلام أهل الإسلام بل سمعت كلامًا من بعض

---

(١) ذكره ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ١/ ٢١٢ .
(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» ١٠/ ٢٥٧ .

هٰؤلاء لا يكاد أن يصدر ممن يتديّن بدين ما، وأنا أحلف بالله؛ إنْ هو إلا أشد كفرًا من اليهود والنصارى، وقد رد كلامهم جمع من أنصار دين الله وبينوا إلحادهم وكفرهم وأنهم لا دين لهم قديمًا وحديثا، وحذروا من الاغترار بهم وزجروا عن الاقتفاء بسربهم نهيًا حثيثا.

ولقد أحسن في عصرنا الشيخ الإمام العارف بالله سيدي مصطفى البكري، لا زال يبتكر المعاني الدقيقة ويكشف عن وجوه مخدرات الحقيقة بتصنيف كتابه المسمى: «بالسيوف الحداد في الرّدّ على أهل الزندقة والإلحاد»، فلقد أجاد وأفاد وأتى بما فوق المراد، فجزاه الله عن دينه خيرا، فنسأل الله تعالى معرفةً ندرك بها الأشياء على ما هي عليه والله أعلم./ ٨٥١/

وقال إبراهيم بن الجنيد: علامة المحب على صدق الحب ست خصال: دوامُ الذكر بقلبهِ بالسرور بمولاه، وإيثار محبة سيده على محبة نفسه والخلائق أجمعين، والأُنس به دون غيره، والشوق إلى لقائه، والرضا عنه في كل شدة وضُرٍّ ينزل به، واتباع رسول ﷺ.

ومحبة الرسول ﷺ على درجتين:

إحداهما: فرض: وهي التي تقتضي قبول ما جاء به من عند الله وتلقيه بالمحبة والتعظيم والرضا به والتسليم، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية، ثم حسن الاتباع له فيما بلغه عن ربه من تصديقه في كل ما أخبر به، وطاعته فيما أمر به من الواجبات، والكف عما

نهى عنه من المحرمات ونصرة دينه والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة فهٰذا القدر لابد منه فلا يتم الإيمان بدونه.

الثانية: فضل: وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به وتحقيق الاْقتداء بسنّته في أخلاقه وآدابه ونوافله وتطوعاته وأكله وشربه ولباسه وحسن معاشرته لأزواجه والاعتناء بمعرفة سيرته وأيامه واهتزاز القلب عند ذكره وتصوره وكثرة الصلاة عليه لِما سكن في القلب من محبته وتعظيمه وتوقيره ومحبة اْستماع كلامه وإيثاره على كلام غيره من المخلوقين، فإنه لم يزل المحبُّ يتلذذ بكلام محبوبه ويقدمه على كل كلام فمحبة كلام المحبوب أمر جِبِلِّيٌّ ولذا قيل:

لم أسع في طلب الحديث لسمعة أو لاجتماع قديمه وحديثه
لكن إذا فات المحبَّ لقاءُ من يهوى تعلل باستماع حديثه

ومن أعظم ذٰلك الاْقتداء به ﷺ في الدنيا والاجتزاء منها بالأدنى مع نهوض الهمّة إلى الدرجات العلا من الآخرة والرغبة فيما يوصل إلى تلك المقامات الفاخرة.

وقد علم مما قررنا أن من علامات محبة الله سبحانه: حبُّ كلامه القديم وذكره الحكيم الذي هو القرآن العظيم، وعلامة حبّ الله تعالى وحبّ كلامه حبّ رسوله ﷺ وعلامة حبّ الرسول ﷺ حبّ سنّته /٨٥٢/ وما جاء به.

وأما الذين نبذوا السنة الغراء وراء ظهورهم واعتمدوا كلام مقلديهم فما لهم وما لمحبة الله ورسوله إنما يزعمون ذٰلك بلا برهان:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وكيف يحبه أهل التعطيل والإلحاد أم كيف يحبه أهل التشبيه والتمثيل والفساد؟! وأيم الله إنَّ أهل التعطيل إذا سمعوا الأحاديث الصحيحة والأخبار الصريحة المخالفة لمذهبهم المرذول؛ لتذهب منهم العقول وإذا سمعوا الآيات القرآنية والكلمات الربانية المخالفة لنحلتهم؛ لتثير منها قلوبهم ويقابلون ذٰلك بأنواع الإلحاد والابتكار والتأويلات الفاسدة والإشارات الباردة وتارة يردونها بالطعن فيها مع عدالة ناقليها فليس لكل هٰؤلاء من محبة الله ورسوله إلا كمثل عطشان بعث رسوله ليأتيه الماء في غربال فلا يصل إليه من ذٰلك الماء ما ينتفع به وهو مع ذٰلك مشغول البال وحاصل ما عليه هٰؤلاء من محبة الله ورسوله أماني لا حقيقة لها في نفس الأمر إنّ الأمانيّ والأحلام تضليل.

وكلٌّ يدعي وصلاً لليلى وليلى لا تقر لهم بوصل

ومن علامة حب السّنّة حب الآخرة.

وقال بعضهم: علامة محبة الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زادًا يبلغه إلى الآخرة.

وقال بعضهم: علامةُ بغض الدنيا أن لا تذكرها بمدح ولا ذم.

واعلم أنَّ محبة الله سبحانه على قسمين:

واجبة: وهي تقتضي محبة ما أوجب من الطاعات وامتثالها وكراهة ما كرهه من المحرمات واجتنابها.

ومستحبة: وهي تقتضي محبة القرب إليه بالنوافل والورع عن دقائق المكروهات.

والمحبة الواجبة تقتضي مخالفة الهوى وإيثار ما يحبه ويرضاه على ما تشتهيه النفس وتهواه فإن الإناء إنما يصلح لشراب واحد لم يجعل الله لرجل من قلبين في جوفه فبقدر ما يدخل القلب من هم وإرادة وحبٍ يخرج منه هم وإرادة وحب فهو إناء واحد والأشربةُ متعددة فبأي شراب ملأه لم يبق فيه موضع لغيره.

وإنما ينبغي أن يمتلئ الإناء بأعلى الأشربة إذا صادفه خَاليًا فأمّا إذا صادفه ممتلئًا من غيره لم يساكنه حتَّى /٨٥٣/ يخرج ما فيه وها أنت وقلبك فاختر لنفسك ما يحلو:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبًا فارغًا فتمكنا

وقد أحسن من قال في هٰذا وبالغ في التحقيق لا كمن [قال][1] هٰذا:

لقد كان يُسبى القلب في كل ليلة ... ثمانون بل تسعون نفسًا وأرجح

يهيم بهٰذا ثم يألفُ غيره ... ويسلوهم من فوره حين يصبح

وقد كان قلبي ضائعًا قبل حبكم ... فكان بحب الخلق يلهو ويمزح

فلما دعا قلبي هواك أجابه ... فلست أراه عن جنابك يبرح

حرمت مُناي منك إن كنت كاذبا ... وإن كنت في الدنيا بغيرك أفرح

وإن كان شيء في الوجود سواكمُ ... يَقرُّبه القلب الجريح ويُشْرَح

وإن لعبت أيدي الهوى بمحبكم ... فليس له عن بابكم متزحزح

هوى غيركم نار تلظَّى ومحبس ... وحبكم الفردوس أو هو أفيح

فيا ضيم قلب قد تعلق غيركم ... ويا رحمةً مما يجول ويكدح

(١) زيادة من المحقق.

قال الإمام ابن القيم في كتابه «طريق الهجرتين ومفتاح السعادتين»: إذا تمكنت المحبة في القلب وامتلأ القلب منها أخرجت محبةُ الله سبحانه كل ما يكرهه الله:

فلم يبق في قلب المحب دقيقه سوى حب ليلى قد تمكن في الفسب

فلو نطق الأعضاء نادت برسمها وسارت لحان الأنس والوصل والقرب

فيا حبذا لما تملكني الهوى رقيقًا وصار القلب معترك الحب

وفي الحديث: **«فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصره به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها»**[1] يعني: توليته فصار نظره وسمعه وبطشه ومشيه إنما هو لي وبي.

فاحذر أن تزل قدمك ويستولي عليك ندمك واحذر كل الحذر من كلام أهل الأتحاد والزندقة والإلحاد واعلم أن المحبة منتهى القربة والاجتهاد فلا يسأم المحبوب من طول القيام، وإدمان الصيام والذكر والتبتل والتوجه والتوسل فلا يسأم محبٌّ من ذكر محبوبه ولا ينفر طالبٌ من قرب مطلوبه.

يجتهد /٨٥٤/ المحب في تحبيبه سبحانه إلى خلقه ويمشون بين عباده بالنصائح ويخافون عليهم من أعمالهم يوم تبدو الفضائح أولئك أولياء الله وأحباؤه وأهل صفوته وأعزاؤه فلا راحة لهؤلاء دون لقائه.

وذكر الحافظ ابن رجب رحمه الله قال: نظر الله تعالى إلى داود عليه السلام وهو وحداني منتبذ قال: مالك وحداني، قال: عاديت

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢)، وابن حبان ٢/ ٥٨، والبيهقي في «سننه» ٣/ ٣٤٦.

الخلق فيك، قال: أوما علمت أن من محبتي أن تُعطِفَ عليَّ عبادي وتأخذ عليهم بالفضل هنالك أكتبك من أوليائي ومن أحبابي فإذا كنت كذلك كتبتك في ديوان أهل المحبة.

وقال بعض العبّاد في مناجاته: إذا سأم البَّطالون من بطالتهم فلن يسأم محبوك من مناجاتك وذكرك.

وأوصى بعض السلف بعض المريدين فقال له:

وكن لربك ذا بِرٍّ لتخدمَه   إن المحبين للأحباب خدّام

فصاح المريد صيحة فسقط مغشيًا عليه.

وقال أبو عبد الرحمن المغازلي: لا يُعطى طريقَ المحبةِ غافلٌ ولا ساهٍ، المحبُّ لله عزَّ وجل طائر القلب كثير الذكر متسبب إلى رضوانه بكل سبيل يقدر عليها من الوسائل والنوافل.

وقال محمد بن نعيم الموصلي: إن القلب الذي يحب الله عزَّ وجل يحب التعب والنصب لله إنه لن ينال حُبَّ الله بالراحة.

وقال رجلٌ لبعض العارفين: أوصني، قال: أدِّمن فعل الخيرات وتوصل إلى الله بالحسنات فإني لم أر شيئًا قط أرضى للسيد ما يحب فبادر بمحبته يسرع في محبتك ثم بكى فقال له: زدني رحمك الله، قال: الصبر على محبة الله وإرادته رأس كل برّ أو قال: كل خير.

واجتمع أحمد بن أبي الحواري[1] وجماعة من الصالحين بعد صلاة

---

(١) أحمد بن أبي الحواري، اسم أبيه عبد الله بن ميمون الإمام الحافظ القدوة، شيخ أهل الشام، أبو الحسن، الثعلبي الغطفاني الدمشقي الزاهد، =

العتمة وقد خرجوا من المسجد إلى بيت رجل قد دعاهم إلى طعام صنعه لهم فأنشدهم رجل قبل دخول الباب:

علامة صدق المستخصين بالحب بلوغهم المجهود في طاعة الرّبّ
وتحصيل طيب القوت من [محيائه][1] وإن كان ذاك القوت [من] مرتقىً صعب

فلم يزل يرددهما وهم قيام حتَّى أذن مؤذن الفجر ورجعوا إلى المسجد.

وخرج /٨٥٥/ ابن أبي الدنيا عن مضر قال: اجتمعنا ليلة على الساحل ومعنا مسلم أبو عبد الله، فقال رجل: من الأزد بيتًا من الشعر وهو:

ما للمحب سوى إرادة حبه إن المحب بكل برّ يضرع

فبكى مسلم حتَّى حسبت والله أن يموت.

وبالجملة أهل المحبة هم أهل الودّ والصفاء والإقبال والوفاء.

ومن أعظم علامات المحب لله حب كلامه الذي هو القرآن.

وقد أخرج ابن ماجه أنه كان رجل يقرأ قراءة عالية فمات بالمدينة

= أحد الأعلام، أصله من الكوفة. قال ابن معين: أهل الشام يمطرون به وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يحسن الثناء عليه، ويطنب فيه. قال محمود بن خالد: ذكر أحمد بن أبي الحواري، فقال: ما أظن بقي على وجه الأرض مثله.

انظر: «الجرح والتعديل» ٢/ ٤٧ (٣٤). و«سير أعلام النبلاء» ١٢/ ٨٥ (٢٦)، وقد سبق ذكره ومثله من الأعلام.

(١) في استنشاق نسيم الأنس (٦٥) (مجتنائه) (في).

فحملوا نعشه فقال النبي ﷺ: «**ارفقوا به رفق الله به إنه كان يحب الله ورسوله**» وحضر حفرته فقال: «**أوسعوا له وسع الله عليه**» فقال بعض أصحابه: يا رسول الله لقد حزنت عليه؟ قال: «**أجل إنه كان يحب الله ورسوله**»(١).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : لا يسأل عبد عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله(٢) وفي رواية عن ابن مسعود: من كان يحب أن يعلم أنه يحب الله عزَّ وجل فليعرض نفسه على القرآن؛ فمن أحب القرآن فهو يحب الله عزَّ وجل فإنما القرآن كلام الله عزَّ وجل(٣).

وقال أحمد بن أبي الحواري رحمه الله: سمعت ابن عيينة يقول: لا تبلغوا ذروة هٰذا الأمرِ حتَّى لا يكون شيء أحب إليكم من الله عزَّ وجلَّ، ومن أحبّ القرآن فقد أحبّ الله عزَّ وجلَّ(٤).

وقال أحمد بن أبي الحواري عن بعض السلف: حبُّ الله عزَّ وجلَّ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٥٥٩)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» ٤/ ٣٤٨.
(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» ١/ ٣٨٨ (١٠٩٧)، وسعيد بن منصور في «سننه» ١/ ١٠ (٢)، وابن الجعد في «مسنده» ١/ ٢٩٠ (١٩٥٦)، والطبراني ٩/ ١٣٢ (٨٦٥٧)، والبيهقي في «الشعب» ٢/ ٣٥٣ (٢٠١٧) باب: في تعظيم القرآن.
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ١٦٥: رواه الطبراني ورجاله ثقات.
(٣) رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في «السنة» ١/ ١٤٨ (١٢٥).
(٤) رواه أبو نعيم في «الحلية» ٧/ ٢٧٨، ٣٠٢ . والبيهقي في «الشعب» ١/ ٣٦٥ (٤٠٧)، باب: في محبة الله عز وجل.

حبُّ القرآن، وحب رسوله ﷺ العمل بسنته.

وقال أبو سعيد الخراز: من أحب الله عزَّ وجل أحب كلامه ولم يشبع من تلاوته.

وقال أبو طالب المكي قال: سهل بن عبد الله: علامة حب الله حب القرآن[١].

وقال الإمام الحافظ ابن الجوزي في «**تبصرته**»: يا من يعاتبه القرآن وقلبه غافل وتناجيه الأيام والآيات وفهمه ذاهل: اْعرف قدر المتكلم وقد عرفت قدر الكلام وأحضر قلبك الغائب وقد فهمت الملام.

ثم قال: مكتوب في التوارة يا عبدي أما تستحي مني يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل معرضًا عنها فتقعد لأجله وتقرأه وتتدبره حرفًا حرفًا حتَّى /٨٥٦/ لا يفوتك منه شيء وهٰذا كتاب أنزلته إليك وأنت معرض عنه أفكنتُ أهون عليك من بعض إخوانك يا عبدي يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكلك ووجهك وتصغي إلى حديثه بكل قلبك وهأنذا ذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عني.

ثم ذكر عن عثمان رضي الله عنه أنه قال: لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم[٢].

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» ٤/ ٦٠ .

(٢) التبصرة (١/ ٣١٤) رواه عبد الله بن أحمد في «الزهد» ص١٥٩ .

ونقل عن كهمس بن الحسن أنه كان يختم في الشهر تسعين ختمة[١].

والمقصود أن من علامة محبة الله: التلذذ بكلامه وقد جمع بعض السلف دلائل المحبّة في قوله:

لا تخدعن فللمحب دلائل ولديه من تحف الحبيب رسائل
منها تنعمه بمر بلائه وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة والفقر إكرام وبرّ عاجل
ومن الدلائل أن يرى من عزمه طوع الحبيب وإن ألح العاذل
ومن الدلائل أن يرى متبسما والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلائل أن يرى متفهمًا لكلام من يحصى لديه السائل
ومن الدلائل أن يرى متقشفا متحفظا في كل ما هو قائل
ومن الدلائل أن تراه مشمرا في خرقتين على شطوط الساحل
ومن الدلائل ضحكه بين الورى والقلب محزون كقلب الثاكل

والبيتان[٢] الأخيران ألحقهما في «التبصرة» وهما مجروران وقافية القصيدة بالرفع فإن كانا من القصيدة ففيهما الإقواء وهو معيب عند الشعراء والله أعلم.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «تبصرته» ١/ ٣٨٠ .

(٢) ورد في هامش الأصل: والذي يظهر أنهما ليسا منها لقوله في الخامس:

ومن الدلائل أن يُرى متبسمًا والقلب فيه من الحبيب بلابل

فإن معناه ومعنى البيت الأخير متحد كما هو ظاهر. مؤلف عن نسخته من خطه نُقل. أقول ولم يذكر في استنشاق نسيم الأنس (٦٨) زيادة على ذلك اختلاف القافية حتى أن الأخيرين بقافية مكسورة. . . وما قبلها بقافية مضمومة.

وقال بعض المريدين: وجدت حلاوة المناجاة فأدمت قراءة القرآن ليلاً ونهارًا ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة قَالَ: فسمعت قائلا يقول وأنا في المنام هذين البيتين:

إن كـنـت تـزعـم حـبي ... فـلـم جـفـوت كـتـابي
أمـا تـدبـرت مـا فـيه ... مـن لـطـيـف عـتـابي

قال فانتبهت وقد أشرب قلبي محبة القرآن فعاودت إلى حالتي /٨٥٧/ الأولى وعلى كل حال مَن أحب الله أحب كلامه بلا جدال والله أعلم.

المقصد الثالث: في أنس المحبين بالله تعالى، وسهرهم بمناجاته، وشوقهم. ثبت في الصحيحين، والسنن، والمسانيد من غير وجه أنَّ جبريل سأل النبي ﷺ عن الإحسان، قال ﷺ: «**الإحسان أنْ تعبدَ الله كأنكَ تراه فإن لم تكن تراه فإنَّه يراكَ**»[١].

قال بعضُ العارفين[٢]: مَن عملَ لله على المشاهدة فهو عارف، ومن عمل على مشاهدة الله إياه فهو مخلص فهذان مقامان: أحدهما: الإخلاص وهو أنْ يعملَ العبد على ٱستحضار مشاهدة الله إياه، واطلاعه عليه، وقربه منه فإذا ٱستحضر العبدُ ذٰلك في عمله، وعمل على هٰذا المقام فهو مخلصٌ لله؛ لأنَّ ٱستحضارَه ذٰلك في عمله يمنعه من

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، (٤٧٧٧)، ومسلم (٨، ٩)، وأحمد ١/٢٨، والترمذي (٢٦١٠)، وأبو داود (٤٦٩٥) عن عمر بن الخطاب.
(٢) ذكره ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ١/١٢٩ .

الالتفات إلى غيره سبحانه بالعمل.

والثاني: المعرفة التي تستلزم المحبة الخاصة؛ وهو أنْ يعمل العبد على مشاهدته بقلبه ربه، وهو أنْ يتنور قلبه بنور الإيمان، وينفذ ببصيرته في العرفان حتَّى يصير الغيب عنده كالعيان وهٰذا هو مقام الإحسان المشار إليه في حديث جبريل عليه السلام، وهو الذي دندن حوله أهْل الجد والاجتهاد، وحام على سرادقاته أهل المعارف والسداد، وهو يتفاوت بحسب قوة نفوذ البصائر وقد فسرت طائفةٌ مِنَ العلماءِ المثل الأعلى المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧] بهٰذا. ومثله قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] الآية. قال كعب بن أبي كعب رضي الله عنه: المراد مثل نور الله في قلب المؤمن[١]. ومن هٰذا حديث حارثة رضي الله عنه لمَّا قال للنبي ﷺ: وكأنِّي أنظر إلى عرش ربِّي بارزًا، وكأنِّي أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهْل النارِ يتعاوون فيها فقال النبي ﷺ: «**عرفت فالزم عبد نوَّر الله الإيمانَ في قلبه**»[٢] وهٰذا الحديث روي مسندًا، ومرسلاً وتقدم.

ويتولد من هذين المقامين مقام الحياء من الله /٨٥٨/ عزَّ وجل وقد أشارَ النبيُّ ﷺ إلى ذٰلك في حديث: بهز بن حكيم عن أبيه، عن

---

(١) «تفسير ابن كثير» ١٠/ ٢٣٥ .

(٢) أخرجه عبد بن حميد في «مسنده» ١/ ١٦٥، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٦/ ١٧٠، والبيهقي في «شعب الإيمان» ٧/ ٣٦٣.

جده أنَّه سئل عن كشف العورة خاليًا فقال: الله أحق أن يستحيا منه.

وقد ندب ﷺ إلى دوام ٱستحضار معية الله، وقربه، والحياء منه في غير حديث ودلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]. وفي الحديث: «**أفضل الإيمان أنْ تعلم أنَّ الله معك حيث كنت**»[١] رواه الطبراني عن عبادة بن الصامت مرفوعًا. وقال ﷺ لأبي أمامة: «**استحِي من الله ٱستحياءك من رجلين من صالحي عشيرتك هما معك لا يفارقانك**»[٢] وفي هٰذا المعنى أنشد بعضُهم وأحسنَ[٣]:

كأنَّ رقيبًا منكَ يرعى خواطري ... وآخر يرعى ناظري ولساني

فما بصرت عيناي بعدك منظرًا ... لغيرك إلَّا قلتُ: قد رمقاني

وما بدرت مِن فيَّ بعدك لفظةٌ ... بغيرك إلاَّ قلت: قَدْ سمعاني

ولا خطرت من فكر غيرك خطرة ... على القلب إلاَّ عرجا بعناني

إذا ما تسلى القاعدون عن الهوى ... بذكر فلان أو كلام فلان

وجدت الذي يسلي سواي يسوقني ... إلى قربكم حتَّى أمل مكاني

وإخوان صدق قد سئمت لقاءهم ... وغضضتُ طرفي عنهم ولساني

وما البغض أسلى عنهم غير أنني ... أراكَ على كلِّ الجهات تراني

ويتولد من ذٰلك الإنس به سبحانه، والخلوة لمناجاته، وذكره،

---

(١) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» ١/ ٣٠٥، وأبو نعيم في «الحلية» ٦/ ١٢٤.

(٢) أخرجه ابن عدي في «الكامل» ٢/ ١٣٦، ٤/ ٨٩.

(٣) هذه الأبيات لأبي بكر الشلبي وهي من بحر الطويل.

واستثقال ما يشغل عنه من مخالطة السوى وقد صح عنه ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ أحدكم إذا كان يصلي فإنَّما يناجي ربَّه أو ربّه بينه وبين القبلة**»[(١)] والمراد: أنه معاينه سبحانه وتعالى فهو يبصره وعلمه معه.

وقد عكف العبّاد على العبادة في الخلوات ليحصل لهم أنس الجلوات حتَّى قال قائلهم[(٢)]: لولا الجماعة يعني: الصلاة في الجماعة ما خرجتُ من بابي أبدا حتَّى أموت وقال: ما يجد المطيعون لله لذة في الدنيا أحلى من الخلوة بمناجاة سيدهم، ولا أحب لهم في الآخرة من عظم الثواب أكثر في صدورهم وألذ في قلوبهم من النظر إليه ثم غشي عليه.

وقال إبراهيم /٨٥٩/ بن أدهم[(٣)]: أعلى الدرجات أنْ تنقطع إلى ربك، وتستأنس إليه بقلبك، وعقلك، وجميع جوارحك حتَّى لا ترجو إلا ربّك، ولا تخاف إلا ذنبك، وترسخ محبته في قلبك حتَّى لا تؤثر عليها شيئًا فإذا كنت كذلك لم تبال أفي برّ كنت، أو في بحر، أو في سهل، أو في جبل، وكان شوقك تلقاء الحبيب شوق الظمآن إلى الماءِ البارد، وشوق الجائع إلى الطعام الطيب، ويكون ذكر الله عزَّ وجل عندك أحلا من العسل، وأشهى من الماء العذب الصافي عند العطشان في اليوم الصائف.

وقال الفضيل[(٤)]: طوبى لَمَن ٱستوحش من الناسِ وكان الله

---

(١) أخرجه البخاري (١٣١٨)، ومسلم (٥٤٧)، وأحمد ٢/ ٣٤.

(٢) في حاشية ط هو مسلم العابد.

(٣) ذكره ابن رجب في «العلوم والحكم» ١/ ١٣٣ .

(٤) المصدر السابق ١/ ١٣٤ .

أنيسه. وكان ذو النون يقول: من علامة المحب لله ترك كلّ ما يشغله عن الله حتَّى يكون الشغل بالله وحده. ثم قال: إنَّ مِنْ علامة المحبين لله أن لا يأنسوا بسواه، ولا يستوحشوا معه. ثم قال: إذا سكن حب الله القلبَ أنسَ بالله، لأنَّ الله أجل في صدور العارفين من أن يحبوا سواه وكانت رابعة رحمها الله تنشد:

ولقدْ جعلتكَ في الفؤادِ محدثي وأبحت جسمي مَن أراد جلوسي

فالجسم مني للجليس مؤانسا وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه كثيرًا ما يتمثل في خلواته بقول القائل:

وأخرج من بين البيوت لعلني أحدث عنك القلب بالسر خاليا

قلت: والبيت لمجنون ليلى من قصيدة طويلة قد أنشدها سيدي عبد القادر الجيلاني قدس الله سره[1] في بعض مجالسه لما سئل عن المحبة منها:

لقد لامني في حبّ ليلى أقاربي أخي، وابن عمي، وابن خالي وخاليا

ولو كنت أعمى أخبط الأرض بالعصى أصم ونادتني أجبت المناديا

وأخرج من بين البيوت لعلني أحدث عنك النفس يا ليلى خاليا

وأشهد عند الله أني أحبها فهذا لها عندي فما عندها لِيا

---

(١) قال الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله في معجم المناهي (٤٣٨) هذه من أدعية المتصوفة والروافض والسر عندهم: سر الأسرار والروح الطاهرة الخفية. وقد سرت إلى بعض أهل السنة، ولو قيل: قدس الله روحه فلا بأس.

والمحب الصادق إذا سافر طرفه في الكون لم يجد له طرفا إلا على محبوبه فإذا ٱنصرف بصره عنه رجع إليه خاسئًا وهو حسير.

ويسرح طرفي في الأنام وينثني وإنسان عيني بالدموع غريق/ ٨٦٠/
فيرجع مردودًا إليك وماله على أحد إلاّ عليك طريق

وقيل: لبعض العارفين وقد رؤي يصلي وحده: ما معك مؤنس؟ قال: بلى قيل له: أين هو؟ قال: أمامي، وخلفي، ومعي، وعن يميني، وعن شمالي، وفوقي قيل له: معك زاد؟ قال: نعم الإخلاص قيل له: أمَا تستوحش وحدك؟ قال: إن الأنس بالله قطع عني كلّ وحشة حتّى لو كنت بين السباع ما خفتها.

وقال بعضهم: عجبت لمن عرف الطريق إلى الله كيف يعيش مع غيره؟! والله تعالى يقول: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ﴾ [الزمر: ٥٤] وقال بعض العارفين: من لزم الباب أثبت في الخدم، ومَن ٱستغنى بالله أمن من العدم.

وفي الإسرائيليات يقول الله تعالى: ابن آدم ٱطلبني تجدني فإن وجدتني وجدت كلّ شيء، وإن فتك فاتك كلّ شيء وأنا أحب إليك من كلِّ شيء. وأنشد أبو الحسن بن بشار الزاهد:

تنقضي الدنيا وتفنى والفتى فيها مُعَنَّى
ليس في الدنيا نعيم لا ولا عيش مُهَنَّا
يا غنيا بالدنانير محبّ الله أغنا

وقال غيره:

لقد كنت أخشى الفقر حتّى وجدتكم فصرت أدلّ المفلسين على الكنز

فيا من ٱشتغل في الدُّنيا بالدون أفقْ من هٰذه الغفلة، واعتبر ما أنت ومن تكون؟! قد خطبك مِن نفسك مَن يقل للشيء: كن فيكون واشترى نفسَكَ منك فما الذي حملك على عدم تسليم المثمن يا مفتون؟ وتعرف إليك من القدم أما تستحي من بلاء غطى بلاء.

اشتريت جارية مطربة بعشرين ألف درهم فبينا هي يومًا تغنّي:

وحقك لانقضت الدهر عهدا ... ولا كدرت بعد الصفو ودا

ملأت جوانحي والقلب وجدا ... فكيف أقرّ يا سكني وأهدا

فيا مَن ليس لي مولى سواه ... تراك رضيتني في الناس عبدا

فصاح بها الذهن من باطن القلب: مَن تعنين؟ وبمن تغنين؟ فانتبهت فعلمت أنَّه لا مولى سوى الحق، ولا يحسن بعد ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] نقض عهد فتغيرت واختلطت فقيل لها مالك فقالت:

خاطبني الحق من جناني[1] ... فكان وعظي على لساني

قربني منه بَعدَ بُعدٍ ... وخصني منه واصطفاني

أجبت لما دُعيتُ طوعًا ... ملبيا للذي دعاني

وخفت مما جنيت قدما ... فوقع الحب بالأماني

ثم رمى بها الفكر في بحر الوجد واشتغلت عن الخلق بالذكر وجعلت تقول:

يا من رأى وحشتي فآنسني ... بالقرب من فضله وأنعشني

---

(١) إذا كان المقصود الباعث به خوفه من الله عز وجل فهذا شيء صحيح وأما إذا كان يقصد بالعبارة التي يتذاكرها الصوفية وهي حدثني قلبي عن ربي فهذا مرم.

يا سكني لا خلوت من سكني ... دهري ويا عُدَّتي على الزمن
أوحشني ما فقدت منه وقد ... عاد بإحسانه فقربني
وعدت أيضًا فعاد منعطفًا ... كذاك مذ كنت منه عودني
حسبي من كل من شغلت به ... أصحبه مؤنسًا ويصحبني
هربت من مسكني إلى سكني ... حقًا ومن موطني إلى وطني
وكنت في غفلة فنبهني ... وكنت في رقدة فأيقظني
وكنت أخشى ما فات من زللي ... فحييت مستأمنًا فأمَّنني
يا قوم قولوا كلا بأجمعكم ... يا ليت ما كان قط لم يكن

ثم اشتد بها القلق وأزعجها الفرَق فكانت تصيح:

هربت منه إليه، بكيت منه عليه، وحقه وهو سؤلي، لازلت بين يديه حتَّى أنال وأحظى بما أرجى لديه، ثم لبست خمارًا من صوف ومدرعة من شعر وصاحت من شوقها وباحت بتوقها فقالت:

يا سرور السرور أنت سروري ... وحبوري وأنت نور النور
كم ترى يصبر المحب على البعد ... وكم يلبث الهوى في الصدور

ثم رحلت إلى مكة فطافت حول البيت وصاحت، إلهي كم ترى تخلفني في دارٍ لا أرى فيها أنيسا قد طال شوقي إليك فوقعت ميتة رحمها الله تعالى.

واعلم أن همم هؤلاء السادة متعلقة بالآخرة برؤية رب العالمين والنظر إلى وجهه الكريم في دار كرامته والقرب منه وحسن محاضرته.

قال الحسن /٨٦٢/ رحمه الله: لو علم العابدون أنهم لا يرون

ربهم يوم القيامة لماتوا.

وفي رواية: لذابت أنفسهم.

وقال بعض السلف: ما سرني أن لي نصف الجنة بالرؤية ثم تلا: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].

وقال ذو النون: ما طابت الدنيا إلا بذكره وما طابت الآخرة إلا بعفوه وما طابت الجنة إلا برؤيته[(١)]. وكان بعض العبّاد يقول: ليت ربي جعل ثوابي من عملي نظرةً مني إليه ثم يقول لي كن ترابًا.

وفي هٰذا المعنى أنشد بعضهم وأحسن:

وحرمة الود ما لي عنكم عوض ... وليس لي في سواكم سادتي غرضُ

وقد شرطت على قوم صَحِبْتَهم ... بأن قلبي لكم من دونهم فرضوا

ومن حديثي بهم قالوا به مرض ... فقلت لازال عني ذٰلك المرضُ

وأنشد غيره في المعنى وأجاد رحمه الله تعالى:

يا حبيب القلوب ما لي سواكا ... ارحم اليوم مذنبًا قد أتاكا

أنت سؤلي ومنيتي وسروري ... قد أبى القلب أن يحب سواكا

يا مرادي وسيدي واعتمادي ... طال شوقي متى يكن لقاكا

ليس سؤلي من الجنان نعيما ... غير أني أريدها لأراكا

وقد قال جل شأنه: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦] وأشرف طمع أهل الجنة رؤية مولاهم وقربه وجواره وأعظم خوفهم حجابهم عنه وقد أمن أهل الجنة منه.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «صفوة الصفوة» ٤/٣١٩.

قال حسين بن زياد: أخذ فضيل بن عياض بيدي فقال: يا حسين ينزل الله كلّ ليلة إلى سماء الدنيا فيقول: كذب من ٱدعى محبتي فإذا جنه الليل نام عني أليس كل حبيب يحب الخلوة بحبيبه؟ ها أنا ذا مطلع على أحبابي إذا جنهم الليل مثلت نفسي بين أعينهم فخاطبوني على المشاهدة، وكلموني على حضوري غدًا أُقِرُّ أعينهم في جناني[١].

وفي لفظ: جعلت أبصارهم في قلوبهم ومثلت نفسي بين أعينهم.

فإن قلت: كيف قال تعالى: ومثلت نفسي وهو سبحانه لا مثل له قلنا: هٰذا كلام من لم يعلم الفرق بين المثل والمثال وذٰلك جهل فالمثل هو المساوي في جميع الصفات والمثال لا يُشترط فيه /٨٦٣/ المساواة وتأمل العقل فإنه لا يماثله غيره وكثيرًا ما يمثل بالشمس وليس بينهما المناسبة إلا بشيء واحد وهو أنَّ المحسوسات تنكشف بنور الشمس كما تنكشف المعقولات بنور العقل.

والمراد هنا: جعلت بصائر أحبابي مشاهدة لي، وناظرة لجمالي، وعاكفة عليه، ومخاطبة لي على الحضور والمشاهدة ومن هنا ترك أهل المحبة المنام، واستعذبوا صف الأقدام في جملةِ الخدام وأسبلوا دموعَ الشوق والشغف، وبذلوا النفوس النفيسة لينالوا ذٰلك الشرف.

قال أحمد بن أبي الحواري: دخلتُ على أبي سليمان فرأيته يبكي فقلت: ما يبكيك؟ قال: ويحك يا أحمد إذا جنَّ الليلُ، وخلا كلُّ حبيبٍ بحبيبه ٱفترشَ أهْلُ المحبة أقدامهم، وجرت دموعُهم على

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» ٨/ ٩٩-١٠٠ .

خدودِهم أشرف الجليل جل جلاله وقال: بعيني من تلذذ بكلامي، واستروح إلى مناجاتي وأنا مطلع عليهم في خلواتهم أسمع أنينهم، وأرى بكاءهم، وحنينهم يا جبريل نادهم: ما هٰذا الذي أرى فيكم؟ هل أخبركم مخبر أنَّ حبيبًا يعذِّب أحبابَه بالنَّارِ؟ بل كيف يجمل أن أعذب قومًا إذا جنهم الليل تملقوني؟ في حلفت إذا وردوا القيامة عليَّ أن أسفر لهم عن وجهي، وأبيحهم رياض قدسي.

وكان لداود الطائي جارة يُقال لها أم سعيد بن علقمة قالت: كان بيني وبين داود الطائي جدار قصير فكنت أسمع حنينَه عامة الليلِ لا يهدأ ولربَّما سمعته يقول في جوف الليل: اللهمَّ همك عطل علي الهموم، وحال بيني وبين السهاد، وشوقي إلى النظرِ إليكَ وضعَ مني اللذات والشهوات فأنا في سبحتك أيها الكريم مطلوب قالت: وربَّما ترنم في السحرِ بشيء من القرآن فأرى أنَّ جميعَ نعيم الدُّنيا جمع في ترنمه تلك الساعة[1]. أحبابي أمّا جفن عيني فمقروح، وأمّا فؤادي فهو بالشوق مجروح:

يذكرني مر النسيم عهودكم ... فأزداد شوقًا كلّما هبت الريح
أراني إذا ما أظلم الليلُ أشرقت ... بقلبي من نار الغرام مصابيح
أصلي بذكراكم إذا كنت خاليًا ... إلا أنَّ تذكار الأحبّة تسبيح
يشح فؤادي أن يخامر سره ... سواكم وبعض الشح في المرء ممدوح/ ٨٦٤/
وإنْ لاح برق بالغوير تقطع ... الفؤاد على وادٍ به ألبانُ والشيح

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» ٧/ ٣٥٦-٣٥٧ .

ولم يزل المحبون يستروحون لنسيم الأسحار، ويترنمون على ذٰلك بالأشعارِ وذٰلك لأنَّها تمر على دارِ الحبيب، وتحمل من ذٰلك البرد والطيب ولذا قيل:

تمرُّ الصبا سفحًا بساكن ذي الفضا وتصدع قلبي أن يهب هبوبها

قريبة عهد بالحبيب وإنَّما هوى كل نفس حيث حل حبيبها

قال الحافظ ابن الجوزي: قال الربيع: بت أنا ومحمد بن المنكدر وثابت البناني عند ريحانة المجنونة بالأيلة فقامت الليل وهي تقول:

قام المحب إلى المؤمل قومةً كاد الفؤاد من السرور يطير

فلمَّا كان جوف الليل سمعتها تقول:

لا يأنس بمن يوحشك نظرته فيمنعن من التذكار في الظلم

واجهد وكد وكن في الليل ذا شجن يسقيك كأس وداد العز والكرم

ثم نادت: واحزناه. فقلت: من ماذا؟ فقالت:

ذهبَ الظلامُ بأنسه وبألفه ليت الظلام بأنسه يتجدد

وقيل لبعض العارفين: متى تقع الفراسة على الغائب؟ قال: إذا كان محبًا لما أحب الله، مبغضًا لما أبغض الله وقعت فراسته على الغائب وأنشد بعضهم[1]:

تشاغل قومٌ بدنياهم وقوم تخلوا لمولاهم

فألزمهم باب مرضاته وعن سائر الخلق أغناهم

فما يعرفون سوى حبه وطاعته طول محياهم

---

(١) الأبيات لأبي الوفاء القزويني.

يصفون بالليل أقدامهم وعين المهيمن ترعاهم
فطورًا يناجونه سجدا ويبكون طورًا خطاياهم
إذا فكروا في الذي أسلفوا أذاب القلوب وأبكاهم
وإن يسكن الخوف لأذوابه وباحوا إليه بشكواهم
وأضحوا صيامًا على جهدهم تبارك مَن هو قواهم
هم القوم أعطوا مليك الملوك صدق القلوب فوالاهم/ ٨٦٥/
هم المخبتون بنياتهم أرادوا رضاه فأعطاهم
وأسكنهم في فراديسه وأعلى المنازلَ بواهم
فنالوا المراد وفازوا به فطوبى لهم ثم طوبى هم

وقال الإمام الحافظ ابن رجب رحمه الله: قرأت بخط الشيخ عبد الله بن أحمد بن صابر السلمي أنشدنا أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن عقيل السهرزوري لبعضهم:

قليلُ العزاءِ كثير الندم طويل النحيب على ما اُجترم
جرى جمعُه فبكى جفنه وصارَ البكاء بدمع ودم
يخاف البيات كهجر المماتِ وفقد الحياة بضر السقم
ويخفى محبة ربّ العلى فتظهر أنفاسُه ما كتم
وأسبل من طرفه عبرةً على الصحن من خده فانسجم
وبات محارب محرابه ولما تزل قدم عن قدم
فلما تفتت أجساده من الشوق رق عليه الألم
وكم ليلة رامَ فيها النيام فصاحَ به حبه لا تنم
وناحَ على جسدنا حل أطال النحول به فانهدم

أنـــاب إلى الله مـــســـتـــغـــفـــرًا   وصـــارَ لـــه مِـــن أعـــز الخـــدم

أقول: لمَّا أشرقت القلوب بنور المحبوب ٱضمحل سلطانُ النومِ ولم يخطر ببالِ القومِ ومن المعلوم أنَّه متى أشرقت الشمس أنجاب الظلامُ، وانعكس سلطانه، وكذلك النوم متى أشرقت القلوب بالأنوار القدسية، والأسرار الأنسية تلاشى سلطانه، وانمحق برهانه.

لطيفة أخرى: النوم ينشأ عن الرطوبة والأبخرة، والمحبة نار تذهب ذٰلك أو تجففه وتلاشيه وتمحقه فالمحب قليلُ النّومِ كثير التأوه وما أحسن ما قيل[1]:

كيف ترضى بمقلة تألف النوم   ودمـــع يـــصـــان في الآمـــاق

وزمـــان الـــصـــبـــا يمـــر وقـــد   أنـــفـــق أيـــامـــه زمـــان الـــفـــراق

والـــليالي تمضي سراعـــا ومـــا   تقبل منها حوالة في الباق/ ٨٦٦/

كانت ٱمرأة متعبدة لا تنام في الليل إلا يسيرا فعوتبت في ذٰلك فقالت: كفى بطول الرقدة في القبور رقادا وأنشد بعضهم:

أيهـــا الـــعـــذال لا تـــعـــذلـــوا   إنمـــا الـــنـــصـــح لمـــن يـــقـــبـــل

وأرى ليلي لا يـــنـــقـــضـــي   طـــال ليلي والهـــوى أطـــول[2]

ويقال: الليل للمحبين سهرٌ على كل حال فمن كان وقته وقت فراق وهجر فهو يقول:

كـــم ليلـــةٍ فـــيك لا صـــبـــاح لهـــا   أفـــنـــيتـــهـــا قـــابـــضًـــا عـــلى كـــبـــدي

---

(١) الأبيات لابن سنان الخفاجي.

(٢) انظر: «المدهش» لابن الجوزي ص٨١٥ .

قد غصت العين بالدموع وقد ... وضعت خدي على بنان يدي[١]

ومن كان وقته وقت قرب وصفاء ووصل ووفاء فهو يقول:

كم ليلةٍ قضيتها ساهرًا ... لما تولى هجركم معرضا

أطوف في ظلمائها مبصرًا ... وليس ضوء مثل ضوء الرضا

والأول يقول ولبه بالغرام مذهول يتطلب الوصال، وقد صال عليه الغرام فقطع الأوصال وصاح يا صاح وليس ثامل كصاح فهو ينشد:

سروري من الدهر لقياكم ... ودار سلامي مغناكم

إذا ازدحمت في فؤادي الهموم ... أروّح قلبي بذكراكم

وأستنشق الريح من أرضكم ... لعلي أحظى برؤياكم

فلا تنسوا العهد فيما مضى ... فلسنا مدى الدهر ننساكم

واعلم أن الشوق إلى رب العالمين درجة عالية رفيعة تنشأ من قوة محبة الله سبحانه وسهر الليالي في طاعته، وأما من يطلب محبة الله والشوق إلى لقائه ونام الليل وأفطر النهار فإنما يطلب جذوة نار في بحر من الماء ما له قرار، أو كطالب ماءٍ من نارٍ وأنَّى بذٰلك فما في النّار للظمآن ماء.

وكان من دعائه ﷺ: **«وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك»**[٢] رواه الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم عن عمار

---

(١) الأبيات لأحمد بن يوسف.

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٩٧١)، والنسائي في «السنن الكبرى» ١/ ٣٨٧.

بن ياسر رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

وقال فتح الموصلي رحمه الله في عيد أضحى: قد تقرب المتقربون بقربانهم وأنا أتقرب إليك /٨٦٧/ بطول حزني يا محبوب قلبي لمَ تتركني في هٰذه الدنيا محزونا ثم غشي عليه وحمل فدفن بعد ثلاث رحمه الله.

فهٰذا حال من غلب عليه الشوق والتهبت نار الغرام في قلبه، وغلب عليه الرجاء فتاق إلى لقاء ربه.

وأما من غلب عليه الخوف فلا يتمنى الموت وذٰلك؛ لأن محبوبه تجلى على قلبه بصفات الجلال، فتلاشى طمعه وانمحق فرحه وفشى جزعه ورأى من نفسه غاية التقصير في جناب الملك القدير فالحزن دثاره والخوف شعاره والتأوّه ديدنه والتضرع أذكاره.

قال كعب رحمه الله: من بكى ٱشتياقًا إلى الله عزَّ وجل؛ أباحهُ النظر إليه تبارك وتعالى، وكان أبو عبيدة الخواص: يمشي في الأسواق ويضرب على صدره ويقول واشوقاه إلى من يراني ولا أراه[1].

وكان بمكة ٱمرأة من العابدات تصرخ وتقول: أوليس عجبًا

---

(١) ورد في هامش الأصل: ولبعضهم:

يا من يراني ولا أراه   كم ذا أراه ولا يراني

يعني: كم ذا أراه محسنًا إليّ ولا يراني في طاعته وحيثما أمرني به. والله أعلم. عن نسخته عن خطه.

تروني حية بين أظهركم وفي قلبي من الأشواق إلى ربي، مثل شعل النار التي لا تطفأ حتَّى أصير إلى الطبيب الذي بيده بُرء دَائي وشفائي.

وذكر في «زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال الملتقطة» من تاريخ مكة للأزرقي رحمه الله: أن بعض العابدين قال: رأيت شابة نحيفة الجسم خفيفة الساقين في الطواف وهي تقول: هٰذا بيت ربي هٰذا بيت معشوقي[1] هٰذا بيت من ٱشتقت إليه ثم وضعت خدها على حائط البيت فوقفت ساعة ثم أنشأت تقول:

الشوق حيرني والشوق طيرني والشوق قربني والشوق أبعدني
والشوق قيدني والشوق أطلقني والشوق فرق بين الجفن والوسنِ

فقال لها الشبلي: هل ٱشتقت إلى ربك؟ قالت: لا لأنّ الشوق لا يكون إلا لغائب وما غبت عنه طرفة عين وأنشدت:

قلب شرود وعقل والهٌ أبدا وشربة سكرها باقٍ إلى الأبدِ
يا عاذل العاشقين ٱرفق عليَّ فهمُ أفنوا زمانهم بالهمِّ والكمدِ
أفناهم الحب والكتمان قاطبة حتَّى تراهم بلا روح ولا جسدِ

كان يقوم بصدري في بعض الأحيان من الغرام ما يجرِّعني كاسات الحِمام. وتضيق عليّ الأرض بما رحبت فأخرج إلى الفلاة وأنوح على نفسي وقد أوهى جسمي شوقي وحدسي.

ولقد قلت في مثل هٰذه الحالة وأنا أتخيل أن الغرام يفني جسمي لا محالة من قصيدة طويلة أولها:

---

(١) هذه من عبارات الصوفية يصفون الله عز وجل بمعشوقهم وهذا خلاف السنة.

سقاني البين كاسات الحمام وهاج بلا بلي صدح الحمامِ
وفاضت عبرتي وازداد وجدي وغاضت زفرتي وفشى غرامي
وجدّ الوجد بي فغديت مما أكابد في الهوى محنى كلامِ
وزاد الوجدُ والتبريحُ حتَّى خفيت عن الورى لولا كلامي
أأزيد صبابة وتزيد بعدا تلطَّف بي بذلي وانحطامي
ترفق بي فما أبقيت مني سوى بثي وحزني وانعدامي
وغاض السمع وانمحق أصطباري وفاض الدمع واشتهر أكتتامي

وقلت وقد طرقني مثل هٰذا وتيقنت أن ذا الغرام من الغرام هٰذا:

ما لي تحيرت دون الناس في أمري أحس قلبي على مستوقد الجمر
أجوب في الأرض وحدي لا أرى أحدا أشكو إليه غراما حل في صدري
فوا أسفي على بلد خُلى عن الأغيار مع صوب الغمام
وخلٍّ صادقٍ في الودّ حتَّى أبث له أحاديث الغرام

وشدة الشوق قد يخرج الإنسان عن طور التكليف، ومن ثم ترى بعض هٰؤلاء يتكلم بكلام ليس من جنس كلام العقلاء وما ذاك إلا من شدة اللذة والأنس يذهب عن حواسه باستغراقه في لذة شوقه حتَّى إنه يقول:

ولو أن ما بي في الحصى فلق الحصى وفي الريح لم يظهر لهن هبوب
ولو أنني أستغفر الله كلما ذكرتك لم يكتب علي ذنوب
وبي من غرام لو تجسم بعضه ومرّ بأهل الأرض لا نخبل الكل
سقوني وقالوا لا تغني فلو سقوا جبال حنين ما سقوني لغنتي

ويقول:

وبي من غرام لو تجسم بعضه ... ومرّ بأهل الأرض لا نخبل الكل

ويقول:

سقوني وقالوا لا تغني فلو سقوا ... جبال حنين ما سقوني لغنتي

وسمع الجنيد قدس الله سره في جوف الليل جارية تقول:

أبى الحب أن يخفى وكم قد كتمته ... فأصبح عندي قد أناخ وطنبا

إذا اشتد شوقي هام قلبي بذكره ... وإن رُمتُ قربًا من حبيبي تقربا

ويبدو فأفنى ثم أحيى به له ... ويبعدني حتّى ألذّو أ طربا/ ٨٦٩/

فقال لها: يا جارية أما تتقين الله؟ تتكلمين في مثل هٰذا المكان بمثل هٰذا الكلام، وكانا في الطواف فالتفتت إليه؟ وقالت: يا جنيد:

لولا التقى لم ترني ... أهجر طيب وثني

إنّ التقى شردني ... كما ترى من وطني

أقر من وجدي به ... فحبه هيَّمني

ثم قالت: يا جنيد تطوف بالبيت أم برب البيت؟ فقال: أطوف بالبيت فرفعت رأسها وقالت: سبحانك ما أعظم مشيئتك على خلقك، خلقك كالأحجار يطوفون بالأحجار[1]، ثم قالت:

(١) الطواف بالبيت اتباع وليس المقصود منه تعظيم الأحجار. وهما من شعائر الله التي أمرنا بتعظيمها والبيت عند الله عظيم ومكرم ولذا أقسم الله به في كتابه فقال عز من قائل: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾.

يطوفون بالأحجار يبغون قربةً إليك وهم أقسى قلوبًا من الصخر
وتاهوا فلم يدروا من التيه من همُ وحلوا محل القرب في باطن الفكر
فلمّا أخلصوا في الود غابت صفاتهم وقامت صفات الود للحق بالذكر

فغشي على الجنيد من كلامها، فلما أفاق لم يرها.

وذكر الحافظ ابن رجب في «ٱستنشاق نسيم الأنس»(١) عن ذي النون رحمه الله تعالى أنه قال: إنَّ المؤمن إذا آمن بالله واستحكم إيمانه خافَ الله فولدت من الخوف هيبة، فإذا سكن درجةَ الهيبة تولدت طاعته لربِّه، فإذا أطاعَ تولد من الطاعةِ الرجاء، فإذا سكن الخوف والرجاء تولدت من الرجاء المحبة، فإذا ٱستحكمت معاني المحبة في قلبهِ سكن بعدها درجةَ الشوقِ، فإذا ٱشتاق أداه الشوقُ إلى الأنس بالله، فإذا أنس بالله ٱطمأن إلى الله، فإذا ٱطمأن إلى الله كان ليله في نعيم ونهاره في نعيم وسره في نعيم وعلانيته في نعيم.

قال الحافظ: ولا ريب أنّ الشوقَ يقتضي القلق، لكن قد يمنح الله بعض أهله ما يسكن قلقه من الأنس به والطمأنينة إليه كما أشار إليه ذو النون.

وعن إبراهيم بن أدهم قدس الله سره قال: قلتُ يومًا: اللهم إن كنت أعطيت أحدًا من المحبين لك ما سكنت به قلوبهم قبل لقائك فأعطني ذٰلك، فلقد أضرني القلق، قال: فرأيته تعالى في النوم يوقفني بين يديه وقال لي: يا إبراهيم أما ٱستحييت مني تسألني أن أعطيك ما

---

(١) سبق التوثيق من هذا الكتاب.

يسكن به قلبك قبل لقائي؟ وهل يسكن بيت المشتاق إلى غير حبيبه؟ أم هل يستريح المحب إلى غير من اشتاق إليه، قَالَ: فقلت/ ٨٧٠/ : يا رب تهت في حبك فلم أدرِ ما أقول.

وأخرج أبو نعيم عن عبد العزيز بن محمد قال: رأيت في المنام قائلاً يقول: من يحضر؟ من يحضر؟ فأتيته، فقال لي: أما ترى القائم الذي يخطب الناس ويُخبرهم عن أعلى مراتب الأنبياء، فأدرك فلعلك تلحقه وتسمع كلامه قبل انصرافه فأتيته فإذا الناس حوله وهو يقول:

ما نال عبدٌ من الرحمن منزلةً   أعلى من الشوق إن الشوق محمود

ثم سلَّم ونزل فقلتُ لرجلٍ إلى جانبي: من هٰذا؟ قال: أما تعرفه قلت: لا قال: هٰذا داود الطائي فتعجبتُ في منامي منه فقال: أتعجبُ مما رأيتَ، والله الذي عند الله لداود من الزلفى أكبرُ من هٰذا وأكثر.

لا جرم أن الشوق للمحبوب مطلوب وأن التقرب بأنواع محابِّه مرغوبٌ فيا لله! كم من عاشق انصدع فؤاده وأفناه الشوق وأباده مراده، وتخلى بأوصاف السقم وصار دمعه كالعنم[1] وهام وجالت فيه الأوهام:

فهجر[2] الرقاد وطيب الزواد   وأَلِفَ السُّهادَ وأمسى علم
إذا نام ناداه فرط الغرام   أفق إنَّ محبوبنا لم ينم
فقام يرددُ زفراتِه   ويضرع لله مولى النعم
أجَدَّ به الوجدُ حتى غدا   إذا ما غدا في الغرام انعدم
جفى جفنَه يا خليلي الكرى   وقام يناجي وصف القدم

(١) العنم: شجر لين الأغصان.

(٢) في الأصل، أعلى كلمة «فهجر» كلمة «خلى» ولعل الناسخ يقصد رواية أخرى للبيت.

فناداه مولاه طبْ يا فتى ... فأنت لنا من أعز الخدم

ويعجبني قول من قال من أهل الصبابة والحال:

هجرت الكرى في حُبِّ من جاد بالنعم ... وعِفْتُ الكرى شوقًا إليه فلم أنم

وموهتُ دهري يا لجنون عن الورى ... لأكتُمَ ما بي من هواه فما أنكتم

فلما رأيت الشوق والحب با يحا ... كشفت قناعي ثم قُلْتُ: نعم نعم

فإن قيل مجنونٌ فقد جنني الهوى ... وإن قيل: مسقام فما بي من سقم

وحق الهوى والحب والعهد بيننا ... وحرمة روح الأنس في حِنْدِسِ[1] الظلم

لقد لامني الواشون فيك جهالة ... فقلت لنطقي أفصح العذر فاحتشم

فعاتبهم طرفي بغير تكلم ... وأخبرهم أن الهوى يورث الصمم/ ٨٧١/

فبالحلم يا ذا المنّ لا تبعدنني ... وقرِّب مزاري منك يا باري النسم

قال ابن الجوزي[2]: ذكر ابن الجوّال المغربي قال: كنت ببيت المقدس جالسًا وإذا قد طلع شابٌ والصبيانُ حوله يرمونه بالحجارة ويقولون مجنون فدخل المسجد وجعل ينادي: اللهمَّ أرحني من هٰذه الدار فقلت له: هٰذا كلام حكيم فقال: ليس بي جنون ووَلَق بل فرَقٌ وقلق ثم أنشأ يقول الأبيات المتقدمة.

قال: فقلت له: أحسنت لقد غلط من سمّاك مجنونا، فنظر إليّ وبكى ثم قَالَ: ألا تسألني عن القوم كيف وصلوا واتصلوا؟ قلت: بلى أخبرني، قال: طهروا له الأخلاق، ورضوا منه بيسير الأرزاق وهاموا في محبته في الآفاق، وائتزروا بالصدق وارتدوا بالإشفاق، وباعوا العاجل الفاني بالآجل الباقي، ركضوا في ميادين السباق

---

(١) حِنْدِس: شديد الظلمة.

(٢) صفة الصفوة ٤/ ٢٠٩-٢١٠.

وشمّروا تشمير الجهابذة الحذاق، حتى ٱتصلوا بالواحد الخلاق، فشردهم في الشواهق عن الخلائق لا تأويهم دار، ولا يقرُّ لهم قرار، فالنظر إليهم ٱعتبار، ومحبتهم ٱفتخار، وهم صفوة الأبرار، ورهبان أخيار مدحهم الجبار، ووصفهم النبي المختار، إن حضروا لم يُعرفوا وإن غابوا لم يُفتقدوا وإن ماتوا لم يشهدوا.

ثم أنشأ يقول:

كن من جميع الخلق مستوحشًا ... من الورى تسري إلى الحق

واصبر فبالصبر تنال المنى ... وارض بما يجري من الرزق

واحذر من النطق وآفاته ... فآفة المؤمن في النطق

وجِدَّ في السير ممرًا كما ... شمر أهل السبق للسبق

أولئك الصفوة ممن سما ... وخيرة الله من الخلق

قال: فأنسيت الدنيا عند[1] حديثه ثم ولَّى هاربًا فأنا متأسف عليه.

المقصد الرابع: فى رضا المحبين بمر الأقدار والتذاذهم بما يبتليهم به العزيز الجبار كان من دعائه عليه الصلاة والسلام: «**أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك**»[2].

وأخرج الترمذي عن أنس مرفوعًا: «**أن الله إذا أحبَّ / ٨٧٢/ قومًا ٱبتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط**»[3].

(١) في الأصل (عن) وما أثبتناه من صفة الصفوة ٤/ ٢١٠.

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» ٥/ ٣٠٥، والنسائي في «الكبرى» ١/ ٣٨٧.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، وقال الترمذي: حسن غريب من هَذَا الوجه.

وخرج الإسمٰعيلي عن عمر رضي الله عنه قال: نظر رسول الله ﷺ إلى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه إهابٌ يعني: جلد كبش قد تنطق به فقال ﷺ: «**انظروا إلى هٰذا الرجل الذي قد نور الله قلبه لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون**»(١).

وذكر الحافظ ابن رجب عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من عبد يحبُّ الله ورسولَه إلا الفقر أسرع إليه من جرية السيل من رأس الجبل على وجهه ومن أحب الله ورسوله فليُعِدَّ للبلاء تجفافًا**»(٢) يعني: الصبر.

قال وفيه ضعف لكن روي معناه من وجوه متعددة.

ولما ٱحتضر سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه، وتغشاه الموت جعل يقول: ٱخنق خنقك فوعزتك إني أحبك(٣).

وقال الحارث بن عَميرة: إن معاذًا نزع نزعًا لم ينزعه أحد وكان كلما فاق من غمره فتح طرفه ثم قَالَ: ٱخنقني فوعزتك إنك تعلم أن قلبي يحبك(٤).

وقال حذيفة رضي الله عنه لما نزل به الموت: هٰذه آخر ساعةٍ من

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية»١/١٠٨.

(٢) أخرجه البيهقي في «السنن»٦/١١٩.

(٣) المحتضرين لابن أبي الدنيا (١٢٨).

(٤) مسند البزار ٧/١١٥، وأبو نعيم في «الحلية» ١٢/ ٢٤٠ .

الدنيا اللهم إنك تعلم أني أحب لقاءك.

وقال أبو علي الرازي: صحبت الفضيل بن عياض ثلاثين سنة فما رأيته ضاحكًا ولا متبسمًا إلا يوم مات ابنه علي فقلت له في ذٰلك فقال: إن الله أحبَّ أمرًا فأحببت ما أحبَّ الله(١).

وقال الفضيل: درجة الرضا عن الله درجة المقربين ليس بينهم وبين الله إلا روح وريحان(٢).

وقال: أحق الناس بالرضا عن الله العارفون بالله.

وقيل له: متى يبلغ الرجل غايته من حب الله تعالى؟ فقال: إذا كان عطاؤه ومنعه إياك عندك سواء فقد بلغت الغاية من حبه.

وذكر أبو قاسم الدمشقي الحافظ في «**تاريخه**» عن أبي شعيب قال: سألت إبراهيم بن أدهم الصحبة إلى مكة، قال لي: على شريطة، على أنك لا تنظر إلا لله وبالله فشرطت له ذٰلك على نفسي فخرجت معه فبينا نحن في الطواف فإذا أنا بغلام قد ٱفتتن الناس به لحسنه وجماله فجعل إبراهيم يديم النظر إليه فلما أطال ذٰلك قلت: يا أبا إسحق أليس /٨٧٣/ شرطت عليَّ أن لا تنظر إلا لله وبالله قال: بلى قلت: فإني أراك تديم النظر إلى هٰذا الغلام فقال: إن هٰذا ابني وولدي وهٰؤلاء غلماني وخدمي الذين معه ولولا شيء لقبَّلته ولكن ٱنطلق فسلم عليه مني قال: فمضيت إليه وسلمت عليه من والده فجاء إلى

(١) ذكره المناوي في «فيض القدير» ٢/ ١٢٩ .

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» ٨/ ٩٧ .

والده فسلم عليه ثم صرفه مع الخدم فقال: ٱنتظر أي شيء يراد بك وأنشأ سيدنا إبراهيم طيب الله ثراه يقول:

هجرت الخلق طرًّا في هواكا وأيتمت العيال لكي أراكا
فلو قطعتني في الحب إربا لما حن الفؤاد إلى سواكا

ذكره الحافظ في «ٱستنشاق نسيم الأنس»[1] وذكر فيه عن عبد الواحد بن زياد قَالَ: خرجت إلى ناحية البصرة فإذا إنسان ٱسود، مجذوم قَدْ تقطعت كل جارحة لَهُ من الجذام، وعمي وأُقعد، وإذا الصبيان يرمونه بالحجارة حتَّى دموا وجهه، فرأيته يحرك شفتيه، فدنوت منه لأسمع ما يقول، فإذا هو يقول: يا سيدي إنك لتعلم أنك لو قرضت لحمي بالمقاريض، ونشرت عظامي بالمناشير، ما ٱزددت لك إلا حبًا، فاصنع بي ما شئت، أخرجه ابن أبي الدنيا.

وقال الأوزاعي: حَدَّثَنِي بعض الحكماء قَالَ: رأيت رجلا قد ذهبت يداه ورجلاه وهو يقول: اللَّهُمَّ إني أحمدك حمدًا يوافي محامد خلقك لتفضلك عَلَيّ على سائر خلقك؛ إذ فضلتني عَلَى كثير ممن خلقت تفضيلاً فقلت له: عَلَى أي نعمة تحمد؟ فقال: أليس قَدْ ترى ما صنع بي، قُلْتُ: بلى، قَالَ: فوالله لو أن الله صب عليَّ السماء نارًا فأحرقني وأمر الجبال فدمرتني، وأمر البحار فغرقتني، وأمر الأرض فخسفت بي، ما ٱزددت لَهُ إلا حبًا، وما ٱزددت لَهُ إلا شكرًا.

---

(١) ص١٠٧ وما قبله وما بعده منه.

ومر بعض السلف عَلَىَ مجذوم وهو يقول: وعزتك وجلالك لو قطعتني بالبلاء قطعًا ما ٱزددت لك إلا حبًا وفي هٰذا المعنى قَالَ بعضهم:

لو قطعني الغرام إربًا إربا ما ٱزددت على الملام إلا حُبًّا
لا زلت بكم أسيرَ وجدٍ وصبا حتَّى أقضي على هواكم نحبا

وذكر الشيخ برهان الدين في شرح حكم ابن عطاء الله: أن عروة بن الزبير رضي الله عنهما ٱبتلي بقرحة في ساقه فبلغت إلى نشر ساقه في الموضع الصحيح / ٨٧٤/ منها فقال له الأطباء: ألا نسقيك مرقدا فلا تحس بما نصنع بك، فقال: لا ولكن شأنكم فنشروا منه الساق ثم حسموها بالزيت المغلي فما حرك عضوًا ولا أنكروا منه شيئًا حتَّى مسه الزيت فما زاد على أن قَالَ: حس.

وأصيب رضي الله عنه بولده محمد وكان من أحب ولده إليه، ولما رأى القدم بيد بعضهم قال: أما إنَّ الله يعلم أني لم أمش بها إلى معصية قط ثم قال: يا غلام غسلها وكفنها وادفنها في مقبرة المسلمين ثم جعل يقول: لئن أخذت لقد أبقيت ولئن ٱبتليت لقد عافيت ولئن أخذت لطال ما أعطيت.

وذكر الحافظ ابن رجب عن بعض العارفين قال: ليس يتحقق في الحب حتى يتلذذ بالبلاء في الحب كما يتلذذ الأغيار بأسباب النعم.

وكان عبد الصمد الزاهد يقول: أوجدهم في تعذيبه عذوبة، يشير إلى صبرهم على الضر والفقر.

وقالت رابعة: إن أولياء الله إذا قضى لهم شيئًا لم يسخطوه.

وقال يحيى بن معاذ: لو أحببت ربك ثم جوعك وأعراك لكان يجب أن تحتمله وتكتمه عن الخلق فقد يحتمل المحب لحبيبه الأذى فكيف وأنت تشكوه فيما لم يضعه بك، وفي هٰذا قيل:

ويقبح من سواك الفعل عندي وتفعله فيحسن منك ذاكا

وكان علي بن بابويه الصوفي في الطواف فهجمت القرامطة على الناس فقتلوهم فأخذته السيوف فلما وقع تمثل بهٰذا البيت:

ترى المحبين صرعى في ديارهم كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

واستشهد لبعض السلف ولدٌ في الجهاد فجاء الناس يعزونه فبكى وقال: ما أبكي على موته، إنما أبكي كيف كان رضاه عن الله حين أخذته السيوف. وفي هٰذا المعنى يقول القائل:

إن كان سكان الفضا رضوا بقتلي فرضا

والله لا كنت لما يهوى الحبيب مبغضا

صرت لهم عبدًا وما للعبد أن يتعرضا

وسُئل يوسف بن الحسين: ما بال المحبين يتلذذون بالذل في المحبة، فأنشأ يقول:

ذل الفتى في الحب مكرمة وخضوعه لحبيبه شرف

وقال آخر:

ما لي تطاوعني البرية كلها وأطيعهن وهن في عصياني/ ٨٧٥/

ما ذاك إلا أن سلطان الهوى وبه قوين أعز من سلطاني

وقال آخر:

أمـا يـكـفـيـك أنـك تملـكـني وأن الـنـاس عـنـدي كـالـعـبـيد
وإنـك لـو قـطـعـت يـدي ورجـلي لـقـلـت مـن الـرضـا أنـصـفـت زيـدي

فإذا كان هٰذا لمحبةِ مخلوق فما بالك بمحبة من أوجدك من العدم وأسبل عليك غزير النعم وعلى كل حال المحب تابع لهوى محبوبه بلا محال، قال المحب:

عذِّب بما شئت غير البعد عنك تجد أوفى محب بـمـا يـرضيك مـبـتـهـج
وخـذ بـقـيـة مـا أبـقـيـت مـن رمـق لا خير في الحب إن أبقى على المهج

وقال آخر:

وبـمـا شـئـت في هـواك أختـبرني فـاخـتـيـاري مـا كـان فـيه رضـاكـا

وقال:

لو قيل قف تيهًا على جمر الغضا لـوقـفـت مـمـتـثـلاً ولم أتـوقـف

هيهات ذهب الأبطال ولم يبق إلا كل بطّال، فيا من رضي من الزهد بالزي، ومن الفقر بالاسم، ومن التصوف بالصوف، ومن التسبيح بالسبح، أين فضل الفضيل؟ أين جد الجنيد؟ أين سر السرى؟ أين همة ابن أدهم؟ ويحك إن لم تقدر على معرفة معروف فاندب على ربع رابعة:

هـاتيك ربـوعـهـم وفـيهـا كـانـوا بـانـوا عـنـهـا فـليتـهـم مـا بـانـوا
نـاديـت وفي حـشـاشـتي نـيرانٌ يـا دار مـتى تحـول الـسـكّـانُ

يا من كان له قلب فانقلب، يا من كان له وقت مع الله فذهب، قيام الأسحار يستوحش لك صيام النهار يسأل عنك ليالي الوصال

تعاتبك على أنقطاعك والسنة تسأل عنك وعن حسن أتباعك

تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا وأظهرتم الهجران ما هكذا كنا

وأقسمتموا أن لا تحولوا عن الهوى فقد وحيات الحب حلتم وما حلنا(١)

ليالي كنا نجتني من ثماركم فقلبي إلى تلك الليالي قد حنا

ولقد كنت قلت أبياتًا في بعض الخلوات والقلب فيه لواعج الزفرات ولا أذكر منها الآن غير ثلاثة أبيات وهي:

كان لي قلب أعيش به بين أخداني وأترابي

باد مني في تقلبه في الغرام فصحت يا مابي/ ٨٧٦/

كيف يصحو غير منتبه في هواها منذ أحقابي(٢)

وهكذا كان شأنهم يتلذذون بما يرضي مولاهم وإن كان صعبًا ويستريحون به وإن كان تعبا.

هجم عيد على عبد الصمد وليس عنده شيء فجاءه رجل بدراهم فردها وقال: دعني أتلذذ بفقري كما يتلذذ الأغنياء بغناهم(٣).

المقصد الخامس: في المحبة والأخوة في الله سبحانه وتعالى

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣] والتأليف: الجمع على ما يشاكل والمراد بالآية الأوسَ والخزرج وهم الأنصار رضي الله عنهم.

---

(١) هنا أقسم بالحب: وهو لا يجوز الحلف بغير الله سبحانه وتعالى.

(٢) ورد في هامش الأصل: البيت الثالث ليس هو الذي يلي الثاني عن نسخة المؤلف بخطه.

(٣) انظر: «صفة الصفوة» ١/ ٣١٠ (٣٣١).

وفي الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«مثل المؤمنين في توادِّهم[(١)] وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اْشتكى منه شيء تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»**[(٢)].

وفيهما عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه»**[(٣)].

وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«حقّ المؤمن على المؤمن خمسٌ[(٤)]: يسلم عليه إذا لقيه ويشمته إذا عطس ويعوده إذا مرض ويشهد جنازته إذا مات ويجيبه إذا دعاه»**[(٥)].

فهٰذه الحقوق للاشتراك في الإسلام ثم إن الصادقة تطلق على ما دون الأخوّة فالأخوّة هي المرتبة العليا وإنما تقع الأخوّة الصادقة إذا حصل التشاكل بين الأخوين في أصل الوضع.

---

(١) ورد في هامش الأصل: قوله: في توادهم هو بتشديد الدال مصدر تواد، أي: تحابب، ووجه الشبه التوافق في التعب، والراحة، ولفظ الحديث خبر، ومعناه أمر أي: ليكون المؤمنون كنفس واحدة، إذَا أصاب أحدهم مصيبة يغتم جميعهم، ويقصدوا إزالتها، مناوي ملخصا.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦)، وأحمد ٤/ ٢٦٨.

(٣) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥)، وأحمد ٤/ ٤٠٥، والترمذي (١٩٢٨).

(٤) ورد في هامش الأصل: قوله: خمس أي: من الخصال يعم وجوب العين والكفاية والندب، وعطف السنة عَلَى الواجب جائز مع القرينة.

(٥) أخرجه البخاري (١٢٤٠)، ومسلم (٢١٦٢)، وأحمد ٢/ ٥٤٠، وأبو داود (٥٠٣٠).

وفي الصّحيحين عن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «**الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ٱئتلف وما تناكر منها ٱختلف**»[١].

قال أبو سليمان الخطابي معنى هٰذا الحديث: الإخبار عن مبدأ كون الأرواح وتقدمها الأجساد على ما روي أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بكذا وكذا فأعلم النبي ﷺ أنها خلقت على ٱئتلاف واختلاف فتأتلف الأجساد في الدنيا وتختلف على /٨٧٧/ حسب ما وقع في مبدأ الخلقة.

قلت: وتقدم في مقدمة الكتاب الكلام على هٰذا وبيان ذٰلك مفصَّلا.

واعلم أن الأخوَّة على ثلاثة أقسام:

أحدها: الأخوّة العامة وهي التي ذكرها الله في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

الثانية: أخوة النسب.

الثالثة: أخوة خاصة فوق الصداقة وهي التي عقدها رسول الله ﷺ بين أصحابه كعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع وهٰذه هي التي

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٦)، وفي الأدب المفرد (٩٠٠)، وله شاهد عن أبي هريرة أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»(٩٠١)، ومسلم (٢٦٣٨)، وأحمد ٢/ ٢٩٥.

توجب المحبة في الله عزَّ وجل وهي أوثق عُرى الإيمان. أن يحب في الله ويبغض في الله.

ومن ثواب المتحابين ما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»** فذكر منهم: **«رجلين تحابا في الله ٱجتمعا عليه وتفرقا عليه»**[١].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن الله عزَّ وجل يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»**[٢].

وأخرج ابن الجوزي بسنده عن أبي مسلم الخَوْلاني قال: أتيت مسجد أهل دمشق فإذا حلقة فيها كهول من أصحاب محمد ﷺ وإذا شاب فيهم أكحل العينين برَّاق الثنايا كلما ٱختلفوا في شيء ردوه إلى الفتى فقلت لجليسٍ لي من هٰذا قال: هٰذا معاذ بن جبل، فجئت من العشي فلم يحضر فغدوت من الغد فلم يجيئوا، فرحت فإذا أنا بالشاب يصلي إلى سارية فركعتُ ثم تحولت إليه قال: فسلم فدنوت منه فقلت: إني أحبك في الله قال: فدنى إليه

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠)، (١٤٢٣)، (٦٤٧٩)، ومسلم (١٠٣١)، وأحمد ٢/ ٤٣٩، والترمذي (٢٣٩١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٦)، وأحمد ٢/ ٢٣٧.

وقال: كيف قُلتَ؟ قُلتُ: إني أحبك في الله، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**المتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله**» قال: فخرجت حتَّى لقيت عبادة بن الصامت رضي الله عنه فذكرت له حديث معاذ بن جبل فقال: سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن ربّه عزَّ وجل /٨٧٨/ يقول: «**حقت محبتي للمتحابين فيّ وحقت محبّتي للمتباذلين فيّ وحقت محبتي للمتزاورين فيّ والمتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله**»[١]. ورواه الإمام أحمد في المسند.

وفي حديث عمرو بن عبسة عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله عزَّ وجل يقول: حقت محبتي للذين يتحابون من أجلي وحقت محبتي للذين يَتَصَافَوْن من أجلي**»[٢].

وفي حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن لله تعالى عبادًا على منابر من نور في ظل العرش يغبطهم الشهداء**» قيل: من هم؟ قال: «**المتحابون في جلال الله عزَّ وجل**»[٣].

وإنما يحصل هٰذا الثواب إذا كانت المحبة لله خاصة لا يشوبها كدر ومتى قويت محبة الله سبحانه في القلب قويت محبة أوليائه والصالحين

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٢٣٦، والطبراني في «الكبير»(٢٠/ ١٦٧).

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب ٦/ ٤٨٥، وابن المبارك في «الزهد»١/ ٢٥٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «العلل»٢/ ١٤٤ (١٩٢٨).

من عباده، ولينظر الإنسان من يؤاخي ومن يحب ولا ينبغي أن يتخير إلا من قد سبر عقله ودينه.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: **«المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»**[١] وفي الصحيحين عن ابن مسعود مرفوعًا: **«المرء مع من أحب فإذا أحب شخصًا فليعلمه»**[٢] وقال أبو زُرعة ابن عمرو بن جرير: **«ما تحابّ رجلان في الله تعالى إلا كان أفضلهما أشدهما حبًا لصاحبه»**.

وكان يقال: أصحب من إذا اصحبتَه زانك وإن خدمتَه صانك، وإن أصابتك خصاصةٌ مانك وإن رأى منك حسنة سرّ بها وإن رأى منك سقطة سترها، ومن إذا قلت صدَّق قولك ومن هو فوقك في الدين ودونك في الدنيا وكل أخ وجليس وصاحب لا تستفيد منه في دينك خيرًا فانبذ عنك صحبته فإذا صفت المحبة وخلصت وقع الشوق والتزاور وصار بذل المال أحقر الأشياء.

وقال مجاهد[٣]: إذا مشى أحد المتحابين إلى الآخر فأخذ بيده فضحك إليه تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق الشجر[٤].

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٠٣، والحاكم في «المستدرك»٤/ ١٨٨، والطيالسي في «مسنده»١/ ٣٣٥.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠)، وأحمد (١/ ٣٩٢).

(٣) انظر: «المتحابين في الله» لابن قدامة ص٤٣ (٣٧).

(٤) ورد في نفس المعنى أحاديث فيها مقال.

واعلم أن هٰذه المحبة سارية من محبة الله سبحانه وتعالى فإذا أحب العبد ربه سرت محبته إلى كل محبوب لله سبحانه، ومحبة العبد لربه إنما سرت من محبة الرب لعبده بلا /٨٧٩/ شبهة.

فإن قلت: أليس قد قدمت أن المحبة هي الميل إلى الملائم الموافق؛ وقد بان ذٰلك في محبة العبد فهل يتهيأ ذٰلك في محبة الحق لعبده[1].

قلنا: كلا لأن العبد إذا أحب ملائمًا موافقا فليتمَّ به نقصُه وليحصل به كماله والحق عزَّ وجل منزَّهٌ عن ذٰلك وإنما معنى محبته لعبده أنه إذا أحب نفسَه فأحب ما يصدر عنها من الأفعال الرفيعة القدر فتأثير محبة الحق للعبد أن يقطع عن القواطع ويرفع عن قلبه الحجاب حتَّى يراه قلبه.

والعبد لا يُحِب حتَّى يُحَب بلا ريب، ولا يريد حتَّى يراد فإذا رأيت قصورك عن مقامات الواصلين فاعلم أنك مطرود فليكن فرضك البكاء على إبعادك فربما أجدى والله تعالى أعلم.

تكملة في بعض أحوال أهل المحبة وهي أكثر من أن تذكر في مثل هٰذا المختصر وأعظم من أن تحصر أو تحد بالنظر.

قال في «زبدة الأعمال» عن مالك بن دينار أنه قال: رأيت شابًا بمنى وهو يقول: اللهم إن الناس قد ذبحوا ونحروا وتقربوا إليك فما لي شيء أتقرب به إليك أكبر من نفسي فتقبلها مني، ثم شهق شهقة فدنوت منه فإذا هو ميت، وقال عبد الصمد: اجتمعت أنا وبشر الحافي في طريق العمرة ومعنا شاب تائب سريع الدمعة قليل الكلام، كثير

(١) في ن ط/ كذب المعترض ولا يقاس لهذا الفن، والله أعلم.

التفكر فقلت له: هٰذا بشر الحافي فتبرك[1] به فقال له: يا أبا نصر ما جزاء من خالف محبوبه؟ قال: أن يقتل بسيوف العتاب ثم يحرق بنار الهوى، ثم يذرى فى هوى الذل فإن شاء جمعه وإن شاء قمعه، فشهق الغلام لما سمع ذٰلك ووقع ولم يزل يئن ويرتعد ويشهق إلى أن مات فندمت على ذٰلك وواريناه مكانه في ثوب إحرامه رحمة الله تعالى عليه، وما أحسن ما قيل:

يا سائلي كيف مات العاشقون فما ماتوا ولكن بأسياف الهوى قتلوا

وقال الفضيل رحمه الله: رأيت بالموقف شابًا ساكنًا وعليه أثر الذلة والخشوع والناس يسألون الحوائج فقلت: يا فتى أخرج يدك وسل حاجة فقال لي: يا شيخ وقعت مني وحشة وليس لي ثم وجه قلت: فإن كان الأمر كذٰلك /٨٨٠/ فالوقت يفوت فقال لي: لابد فلما أراد أن يرفع يديه بالدعاء صاح صيحة وخرّ ميتًا.

وفي «زبدة الأعمال» عن أبي بكر الكتاني قال: رأيت فقيرًا ميتًا وهو يضحك فقلت له: تضحك وأنت ميت فقال: هكذا محبّو الله، وقال بعضهم: عاهدت الله أن لا أنظر إلى حسان الوجوه فبينما أنا في الطواف وإذا بامرأة حسناء فتأملت فيها تعجبًا؛ فإذا بسهم من الهوى قد وقع على إحدى عيني فإذا عليه مكتوب نظرت بعين الغيرة فرميناك بسهم الأدب فلو نظرت بعين الشهوة رميناك بسهم القطيعة.

---

(١) التبرك بآثار الصالحين لا يجوز بل هو من البدع المحرمة.

وحكي عن ذي النون قال: رأيت أعرابيًا يطوف وقد نحل جسمه واصفر لونه ودق عظمه، فقلت له: أمحب أنت، قال: نعم، قلت: أحبيبك منك قريب أم بعيد؟ فقال: قريب، قلت: موافق أم غير موافق، قال: موافق، قلت: سبحان الله: حبيبك منك قريب ولك موافق وأنت على هٰذه الحالة، فقال: يا بطال أما علمت أن عذاب القرب والموافقة أشد من عذاب البعد والمخالفة، وجعل يقول:

سقى الله أيامًا سعدنا بقربكم ... فتلك طراز العمر واسطة العقد
إذا الجد سعد والزمان مساعد ... وأيماننا كانت موكدة العقد

وفي «آستنشاق نسيم الأنس»[1] عن أبي معمر قال: نظرت رابعة إلى رياح القيسي يومًا وهو يقبل صبيًا صغيرًا من أهله فقالت: أتحبه يا رباح؟ قال: نعم، قالت: ما كنت أحسب أن في قلبك موضعًا فارغًا لمحبة سواه، فخر مغشيًا عليه ثم أفاق وهو يمسح العرق عن وجهه وهو يقول: جعلها الله في قلوب عباده للأطفال، وكان بعض أهل المحبة يحصل له من طرقها نوع تغير وتكلم بعضهم يومًا في المحبة فاصطفقت قناديل المسجد حتى تكسرت وتكلم يومًا فيها أيضًا فجاء طائر فضرب بمنقاره الأرض حتّى مات.

ذكر ذٰلك الحافظ ابن رجب في آستنشاق نسيم الأنس.

وذكر ابن الجوزي في «التبصرة»[2] وما بين القوسين في التبصرة (فإنه) عن بعض السلف قال: صحبت في طريقي رجلاً

---

(١) ص١٣٤.

(٢) ٢/ ٦٥٥.

أسودًا فكان إذا ذكر الله تعالى ٱبيضَّ فسبحان من منح هٰؤلاء الإخلاص

وشغلت عن فهم الحديث سوى ما كان منك [وعندكم] شغلي/ ٨٨١/
وأديم نحـو محـدثي نـظـري أن قـد فـهـمـت وعـنـدكـم عـقـلي

وفيها أيضًا عن محمد بن ثابت البناني قال: ذهبت ألقّن أبي في الموت فقلت: يا أبت قل لا إلٰه إلا الله، فقال: يا بني خلّ عني فإني في وردي السادس أو قال: السابع فهٰؤلاء غلب عليهم الشوق حتَّى صار قوتهم ذكر محبوبهم

ذكـرك لي مـؤنـس يـعـارضـني يـعـدني عـنـك مـنـك بـالـظـفـر
وكـيـف أنـسـاك يـا مـدى هـمـمي وأنـت مـني بـمـوضـع الـنـظـر

وذكر الحافظ ابن رجب في «ٱستنشاق نسيم الأنس»[1] عن أحمد بن مخلد الخراساني قال: قال الله عزَّ وجل: **«ألا قد طال شوق الأبرار إلى لقائي وأنا إليهم أشد شوقًا، وما شوق المشتاقين إلَيَّ إلاَّ بفضل شوقي إليهم، ألاَ مَن طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني، ومن ذا الذي دعاني فلم أجبه ومن ذا الذي سألني فلم أعطه»**.

وقال أحمد بن أبي الحواري: حدثني عمر بن سلمة السراج عن أبي جعفر السراج عن أبي جعفر المصري قال: قال الله عزَّ وجل: **«يا معشر المتوجهين إلَيّ بحبي ما ضركم ما فاتكم من الدنيا إذا كنت لكم حظا وما ضركم من عاداكم إذا كنت لكم سلما»**.

---

(١) (١٣٨) وما بين القوسين في استنشاق نسيم الأنس (أمسى) (عنه).

هنيئًا لمن [أضحى] وأنت حبيبه ولو أن لوعات الغرام تذيبه
وطوبى لصب أنت ساكن سرّه ولو بان [منه] إلفه وقريبه
وما ضر صَبًّا أن يبيت وماله نصيب من الدنيا وأنت نصيبه
ومن تك راض عنه في طي غيبه فما ضره في الناس أن يستغيبه
فيا علة في الصدر أنت شفاؤها ويا مرضًا في القلب أنت طبيبه
عبيدك في باب الرجا متضرع إذا لم تجبه أنت من ذا يجيبه
بعيد عن الأوطان يبكي بذلة وهل ذاق طعم الذل إلا غريبه
تصدق على من ضاع منه زمانه ولم يدر حتَّى لاح منه مشيبه
غدا خاسرًا فالعار يكفيه والعنا وقد آن من ضوء النهار مغيبه

أوّاه على الاْجتماع برجل من أحباب الله تهب على القلب من أنفاسه نسمة ربانية تحيي ما مات منه.

قال السري رحمه الله: بقيت ثلاثين سنة / ٨٨٢/ أدور وأجول لعلي أرى وليًّا من أولياء الله سبحانه وتعالى:

وأشرف بالغور اليناع لعلني أرى نار ليلى أو يراني بصيرها

ليتني وجدت واحدًا من القوم إنّما أسمع نشدان الضلال وما فيهم من يعطيني علامة فأرجع والقلب فيه من لواعج الزفرات ما نطلب منه السلامة

أحقًا رأيت بوادي الغضا من الحي أو من رآهم خبر
أما من سبيل إلى نظرةٍ تعاد إلينا كلمح البصر
ألفنا خباهم إذا ما العيون عشقن الكرى وملكني السهر

أوّاه من نار تهبُّ في اللب وبلابل تذهب بالقلب ولا بلل وصال يذهب بها عن حشا الصب

صبا للصب صب ففاضت دموعه وغـرد قمـري فـهـاج ولـوعـه

يحـن إلى ريـح الـصـبـا وإنمـا هـوى كل صب حيث كـان ربيعه

فالشوق ربما أذهب المشوق وهو جاثم عليه كاظم لديه، وربما ضحك ومزح وفي قلبه بلابل البلاء فيصيح به الوجد ألست معي فيجيبه بلا ولكن:

أروّح نفسي بالمزاح لدى العدا وفي مهجتي نار وقلبي بها مرمي

أري عاذلي أني ضحوك لفرحتي وفي خلوتي جفني على دفقتي مدمي

يـذكـرني مـر الـنـسيم لياليا تقضت لنا مع جيره والنوى معمي

تفوق ليالي العيد لولا أنصرامها ولكنها قد شانها سرعة الصرم

بها الند والكافور والمسك عابق وكأس الهنا طفاح من قهوة الكرم

والمحب لا يزال قلبه مع محبوبه ولبه لدى مطلوبه وهو مع ذلك يجل حِبُّهُ أن يشكو إليه ما يلقى من الوجد بسبب الغرام من البعد فلسان حاله ينشد على رؤوس الأشهاد ولسان قاله معتقل بالأوراد:

أجلك أن أشكو إليك الذي ألقى وأنت ترى حالي وتعلمه حقا

وإن رمت أخفي ما ألاقي من الأسى وشى الدمع بالشكوى فيسبقني سبقا

إذا ما تمنى الناس روحًا وراحةً تمنيت أن أفنى وسر الهوى يبقى

بجودك فاجبر قلب عبد قطعته إليك فلا غربًا يروم ولا شرقا/ ٨٨٣

تعطَّف ولا تقطعه عنك فإنه مقيم على باب الرجا أبدا ملقى

الخاتمة

روينا عن أمّ المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما قالت: كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من حديثه وأراد أن يقوم من مجلسه يقول: «**اللهم اغفر لنا ما أخطأنا وما تعمدنا وما أسررنا وما أعلنا وما أنت أعلم به منا أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت**» حديث ضعيف وهو مسلسل بختم المجلس بالدعاء.

وأخرج النسائي عن أبي مريم وأخرجه غيره عن أمّ المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما قالت: ما جلس رسول الله ﷺ مجلسًا ولا تلى قرآنا ولا صلى إلا ختم ذٰلك بكلمات فقلت: يا رسول الله أراك ما تجلس مجلسًا ولا تتلو قرآنا ولا تصلي صلاةً إلا ختمت بهٰؤلاء الكلمات قال: «**نعم من قال خيرًا كن طابعًا له على ذٰلك الخير ومن قال شرًا كانت كفارة له سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك**»(١).

وقال علي رضي الله عنه: من أحب أن يكتال له بالمكيال الأوفى فليقل آخر مجلسه أو حين يقوم: سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

وفي صحيح الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه لم يكن

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى»٦/ ٨٤، وأورده السيوطي في «الجامع الصغير» ١/ ١١٨.

يجلس مجلسًا كان عنده أحد، أو لم يكن إلا قال: اللهم ٱغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني اللهم ٱرزقني من طاعتك ما تحول به بيني وبين معصيتك، وارزقني من خشيتك ما تبلغني به رحمتك، وارزقني من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا، وبارك لي في سمعي وبصري واجعلهما الوراث مني، اللهم ٱجعل ثأري على من ظلمني وانصرني على من عاداني ولا تجعل الدنيا أكبر همي، ولا مبلغ علمي اللهم لا تسلط عليّ من لا يرحمني، فُسئل عنهن ابن عمر فقال: كان رسول الله ﷺ يختم بهن مجلسه والحمد لله أوّلاً وآخرًا وعلى كل حال وفي كل حال اللهم يا من أمر بالدعاء ووعد بالإجابة أصلح القلب وما وعى، وارزقنا الطاعة والإنابة واستر عوراتنا وآمن روعاتنا، واغفر زلاتنا وضاعف حسناتنا، وعاملنا /٨٨٤/ بجودك ولطفك وإحسانك وكرمك وحلمك، ولا تعاملنا بما نحن أهله يا واسع المغفرة، يا باسط اليدين بالرحمة، اللهم ٱجعل هذا الكتاب خالصًا لوجهك الكريم، وسببًا للفوز في جنات النعيم، وهذا آخر ما سمحت به القريحة، والأعضاء الجريحة، بتوفيق مَنْ إليه عرجت الأرواح، وسرحت في محبته الأشباح، وقد جاء بحمد الله فوق ما آمله المريد، وأعلى ما تخيله الرأي السديد، فجمع من العلوم دررًا فاخرة، وأحيا من القلوب والرسوم أعظمًا ناخرة، فوافق الأسم المسمى، وأسفر عن مخدرات الفنون كل رمز معمى، فجعله الله على الطاعة موقوفًا، ولوجهه الكريم

مصروفًا، وتأمله بعين الإنصاف وحفظه من كل حسود وسفساف، يغمص الحق لحسده، ويحرف الكلم عن مواضعه بحقده، وما كان في هٰذا الكتاب من صواب فمن الله ورسوله وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريء منه وهو سبحانه يعامل كل إنسانٍ بنيته، وهو مطلع على أمنيته، وها أنا أسأل بلسان التضرع والخضوع، وأبتهل إلى مولاي بعين التذلل والخشوع، أن يجعل كتابنا هٰذا مرادًا به وجهه الكريم، مصونًا من شائبة الرياء والتعظيم، وأسأل من تصفح أبوابه، وتأمل ألفاظه وإعرابه، أن يصفح عن شينه، ولا يزدريه في عينه، وأن يبادر إلى إصلاح ما عثر عليه من السقط، وأن يصحح ما وقف عليه من الغلط، فلعل القلم سبق إلى غير المراد، أَوْ تَبَادَرَ الذهنُ معان فنقص من ذٰلك أو زاد، فإنما أنا ناقل من الطروس المتداولة، وليس لي من ذاك إلا أجر المناولة، فهٰذا اْعتذاري لمن تأمله، والمعترف بالذنب كمن لا ذنب له، ومن لا يقبل العذر فقد حرم التوفيق، وعدم اْصطناع المعروف وحلاوة التحقيق:

جزا الله خيرًا من تأمل تأليفي ... وقابل بالإغضاء وضعي وتصنيفي

فما لي شيء غير أني جمعته ... وحررته من غير شين وتحريفي

وضمتنه علمًا نفيسًا وكنت في ... مناقشتي كشاف عن كل ذي زيفي

وقمت على ساق التقشف ضارعًا ... إلى الله في الأسحار بالذل والخوف/ ٨٨٥/

عسى خالقي يمحو ذنوبي بمنه ... ويمنحني الرضوان من غير تعنيفي

والحمد لله أوّلاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا والحمد لله الذي هدانا

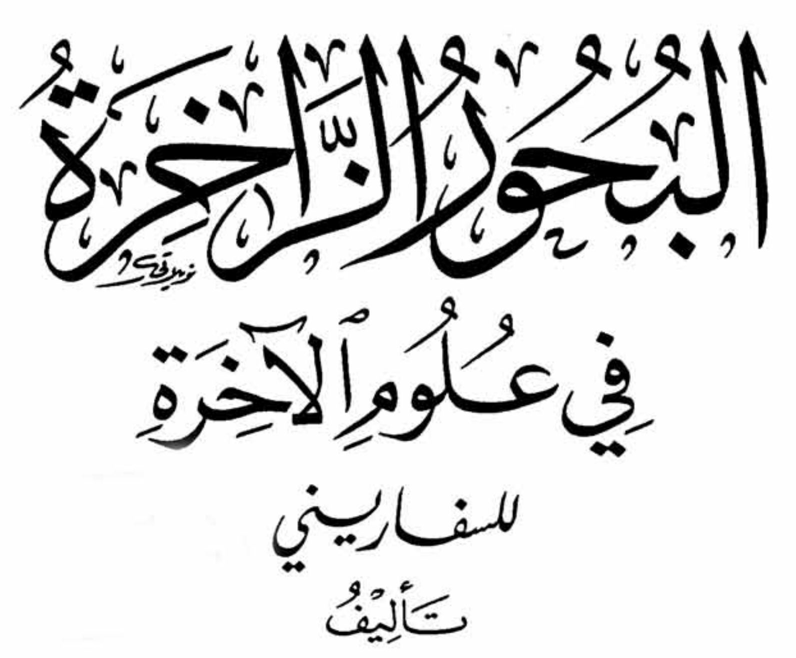
لهٰذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله على ينبوع الحكم الربانية، ومعدن الأسرار الروحانية، المنزل عليه في محكم كتابه الحكيم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤] وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه، ما تصاعدت الأنفاس وما تخالطت الأغلاس، وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين، وعلى الملائكة المقربين، وعلى عباد الله الصالحين، من أهل السماوات وأهل الأرضين، وامنح اللهم أشياخنا الرحمة والرضوان، واجزهم اللهم عنا خيرًا وإحسانا، إنك على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير، قَالَ مؤلفه ووقت الفراغ من تبييضه نهار الخميس ثلاثة عشر بقيت من ذي القعدة المبارك الذي هو من شهور سنة ثلاثة وأربعين ومائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام على يد فقير رحمة ربه الخائف وخمة ذنبه المعترف بتقصيره وذنوبه الراجي لطف سيده ومطلوبه المفتقر لمولاه العلي مؤلفها، الضعيف محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي عامله الله بلطفه الخفي والجلي إنه على ذٰلك قدير وبالإجابة جدير وذٰلك بقلم أحقر الورى وأذل الفقراء الراجي عفو مولاه العلي حفيد مؤلفها سعيد السفاريني الحنبلي عفى الله عنه وعن والديه ومؤلفها ومشايخه ولكل المسلمين أجمعين أمين، وذٰلك لستة عشر مضت من شهر صفر الخير سنة ثلاثة وأربعين ومائتين[1] وألف وصلى الله على سيدنا محمد وعلى إله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

---

(١) هكذا وجدت في المخطوطة.

تم والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات التعليق عليه وتصحيحه وتحقيقه في غرة شهر محرم من عام ١٤٢٤هـ بقلم راجي عفو ربه المنان الفقير إليه في جميع أحواله وأطواره في دنياه وآخرته عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن حمود بن علي بن حمود المشيقح غفر الله له ولوالديه وذريته وإخوانه المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات وجزى الله من أعان على نشر هذا الكتاب خير الجزاء من مؤلف وناسخ ومالك وموقف ومحقق وطابع وأخص بذلك كثيراً مؤلفه الذي ألطفنا بهذه الفوائد الفرائد فنسأل الله أن يعفو عن الجميع الذنوب الظاهرة والباطنة وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

حرر في مدينة بريدة حرسها الله وبلاد المسلمين من كل سوء ومكروه



تأليف

الإمام العالم العلامة محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني الحنبلي

رحمة الله تعالى عليه

(١١١٤ - ١١٨٨ هـ)

يطبع لأول مرة على عدة نسخ خطية بخط المؤلف، وخط حفيده،

حققه وضبط نصه وعزا آياته وخرج أحاديثه ووثق نقوله وعلق عليه

عبد العزيز أحمد بن محمد بن حمود المشيقح

غفر الله له ولوالديه ولذريته ولمشائخه ولجميع المسلمين

الفهارس

دار العاصمة
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص.ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

الفهارس العامة

فهرس الآيـات

وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ	٦٤	١٠٠٤
أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً	٦٧	٦٤٧
سورة الروم		
فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي	١٥	١١٩١
وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ	٢٥	٣٨٠
وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ	٢٧	١٥٦٦
سورة لقمان		
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ	٨	١٠٠٥
هَـذَا خَلْقُ الله	١١	١١٢
إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ	١٨	١٣٤
إِنَّ الله عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ	٣٤	٤٣٤، ٥١٨، ٥١٩
سورة السجدة		
قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ	١١	٧٤، ٨٧
رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً	١٢	٨١٠، ١٤٤٠
وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَـكِنْ حَقَّ	١٣	١٤٤٠
لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ	١٣	٩٥١، ١٢٩٤
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً	١٦	١٥٧٣
فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ	١٧	١٠١٥، ١٠٨٨، ١١٥٨، ١٢٠٤، ١٢١٧، ١٢٣١

لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ	١٦	٧٢٦
مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ	١٨	٩٠٥، ٩١٢
فَوقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُواْ	٤٥	٢٢٧
وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ	٤٥	١٤٥٩
النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً	٤٦	٢٦٩، ٣٣٩
أَدْخِلُواْ آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ	٤٦	١٤١٩، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٦٠
وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُواْ	٤٩	١٤٣٣
ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً	٦٧	٧٨٠
إِذِ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ	٧١	١٣٧٣، ١٣٧٥، ١٤٢٨
فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ	٧٢	١٣٩٢
سورة فصلت		
وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا	٢١	٨٢٧، ١٢٤٠
إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُواْ	٣٠	١٢٥١
سورة الشورى		
وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ	١٧	٤٣٣
فَإِن يَشَإِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ	٢٤	١٤٩٣
وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ	٢٥	١٥٣٠

سورة الزخرف		
وَهَـٰذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي	٥١	١١٠٣
وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ	٦١	٦١٤
هَل يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ	٦٦	٤٣٣
يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ	٧١	١١٢٠
وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ	٧١	١١٠٠، ١١٨٩
وَتِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا	٧٢	٩٠١، ٩٩٢، ١٠٩٧، ١١١٢
إِنَّ المُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ	٧٤	١٢٨١، ١٤٣٣
لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ	٧٥	١٢٨١
وَنَادَوْا يا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ	٧٧	١٢٤٠، ١٤٤١
إِنَّكُم مَّاكِثُونَ	٧٧	١٤٤١، ١٤٤٦
سورة الدخان		
فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ	١٠	٦٧٧، ٦٧٨
رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا العَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ	١٢	٦٧٩
إِنَّا كَاشِفُو العَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ	١٥	٦٧٩
فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ	٢٩	١٤٢
إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ	٤٣	١٣٨٩، ١٣٩٠
خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الجَحِيمِ	٤٧	١٤٢٧

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلاَلٍ وَسُعُرٍ	٤٧	١٤٢٨
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ	٥٤	١٠٠٦
فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ	٥٥	١٠٠٦
سورة الرحمن		
الرَّحْمَـنُ	١	١٢٧٨
عَلَّمَ الْقُرْآنَ	٢	١٢٧٨
فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ	١٣	١٢٧٧
فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ	١٣	١٢٧٨
بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ	٢٠	١٥١
كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ	٢٦	٩٩، ٩٤١، ١٢٧٨
سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلاَنِ	٣١	١٢٧٨، ١٢٨٢، ١٢٩٤
شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ	٣٥	٣٥٩، ١٢٨٢، ١٣٥٩، ١٤٢٧، ١٢٧٨
فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ	٣٧	٧١٧
فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَانٌّ	٣٩	٨٠٩
فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ	٤١	١٢٩٤، ١٣٧٨
هَـذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ	٤٣	١٢٧٨
يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ	٤٤	١٢٨٢، ١٣٩٢، ١٣٩٥
وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ	٤٦	١٠٠٨

سورة الحشر		
وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ	٧	٩٠٦
وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ	٩	١٠٠٣، ١٤٨٥
وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ	١٨	٤٣٣
سورة الصف		
وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ	١٢	١٠٠٠
سورة الجمعة		
هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ	٢	٢٢٦
سورة التحريم		
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً	٦	١٢٥٩، ١٢٧٩، ١٣٨٢
تُوبُواْ إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً	٨	١٥٣٠
لاَ يُخْزِى اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ	٨	٩١٢، ٩١٤
يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ	٩	١٥٥٣
رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ	١١	٩٣٨، ١٠٤٩
سورة الملك		
خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ	٢	٢٦، ٦٥
وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ	٦	١٣٥٢
إِذَا أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقاً	٧	٩٠٤
تَكَادُ تَمَيَّزُ	٨	٩٠٤

أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن	٢٢	٧٤٣
سورة القلم		
وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ	٤	١٦١٠
سورة الحاقة		
وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً	١٤	٧٠٥، ٧١٤
وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ	١٦	٧١٨
وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا	١٧	٧١٨
يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ	١٨	٧٨٠
هَاؤُمُ اقْرَؤُواْ كِتَابِيَهْ	١٩	٧٨٦
فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ	٢١	١٠٩٧
فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ	٢٢	١٠٩٧
قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ	٢٣	١٠٩٧
كُلُواْ وَاشْرَبُواْ هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ	٢٤	١١١٢
وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ	٢٥	٧٨٨
خُذُوهُ فَغُلُّوهُ	٣٠	١٣٧٣، ١٣٧٤
ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً	٣٢	١٣٧٦، ١٣٧٧
سورة المعارج		
يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ	٤	٧٥٥
إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً	٦	٤٣٣

إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ	٢٣	١٢٢١
كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ	٢٦	٤٧
وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ	٢٧	٧٦
سورة الإنسان		
إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاَسِلَ	٤	١٣٧٣
إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا	٥	١١٠٩
وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيراً	١٢	١١١١
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلاَلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً	١٤	١٠٩٧
وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوابٍ	١٥	١١٢٠
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً	١٧	١١١٠
عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً	١٨	١١١٦
وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ	١٩	١١٤١
إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً	١٩	١١٤٣
وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً	٢٠	١٢٢٧
عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ	٢١	١١١١، ١١٢٥
وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً	٢١	١١١١
سورة المرسلات		
انطَلِقُواْ إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاَثِ شُعَبٍ	٣٠	١٣٥٨
إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ	٣٢	١٣٥٨، ١٣٥٩

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام

	٦٥١، ٦٥٢،
	٦٦٠، ٦٦٦،
	٦٧٣، ٦٨١،
	٦٨٢، ٦٩٠،
	٦٩٣، ٦٩٥،
	٧٠٠، ٧٠٣،
	٧٠٥، ٧١٣،
	٧١٨، ٧٣٤،
	٧٤٥، ٧٥١،
	٧٥٥، ٧٦٢،
	٧٦٦، ٧٧٠،
	٧٧٥، ٧٧٩،
	٧٨٧، ٧٩٥،
	٧٩٧، ٨٠٣،
	٨٠٤، ٨١٢،
	٨١٤، ٨١٧،
	٨١٨، ٨٣١،
	٨٣٤، ٨٣٥،
	٨٤١، ٨٤٢،

	٨٤٩، ٨٦٢،
	٨٦٤، ٨٧١،
	٨٧٣، ٨٧٤،
	٨٧٥، ٨٨١،
	٨٨٣، ٩٢٠،
	٩٢٩، ٩٣٣،
	٩٥٣، ٩٥٥،
	٩٥٩، ٩٧٩،
	٩٨٠، ٩٨٣،
	٩٨٩، ٩٩٥،
	١٠١٦، ١٠١٨،
	١٠١٩، ١٠٢٠،
	١٠٢٢، ١٠٢٣،
	١٠٢٧، ١٠٢٨،
	١٠٤١، ١٠٤٥،
	١٠٥٢، ١٠٥٩،
	١٠٦٢، ١٠٦٧،
	١٠٧٧، ١٠٧٨،
	١٠٨٠، ١٠٨٦،



فهرس الشعر

فهرس الموضوعات